


KÖPRÜLÜ KÜT.
765

قوت القلوب

٧٦٥

استصحبه العبد الفقير اليه محمد بن الشيخ مصطفى الاكداري
الحمد لله على نعمه العظام وآلائه الجسام
والصلاة على رسوله وصحبه الكرام ما دامت الليالي والايام

مفصل

كتاب
قوت القلوب تأليف الامام ابي طالب المكي
رحمه الله تعالى رحمة واسعة

كتاب

قوت القلوب في معاملة المحبوب
وطريق المريد الى مقام التوحيد

تصنيف الشيخ الامام السعيد ابي طالب محمد بن علي بن
عطية المكي رضي الله عنه وارضاه ونفع المسلمين





٧٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول الأزلي قبل الكون والكائن عن غير أول ولا بداية الآخر الأبدي بعد فناء المكونات
والمكونات بغير آخر ولا غاية الظاهر في علوه بقهره عن غير بعد والباطن في دنوه بقربه من غير مس
الذي حسن لطفه كل شيء ابتداه واتقن صنعه كل شيء انشاه ودبرت الاحكام حكمته وصرفت المخلوقات
مشيئته وظهر في الغيب والشهادة لطيف قدرته وعم في العاجل والآجل خلقه بنعمته ونشر على من احب
منهم فضله وبسط لجميعهم عدله وانعم عليهم بتعريفهم اياه به واحسن اليهم باجتبائه اياهم اليه وافضل
عليهم بتيسيره اياهم ومن عليهم ببعثته رسولا من انفسهم اليهم فنسأله الصلاة على النبي وآله اجمعين
وان يوزعنا بفضله شكر نعمه ويعرفنا خفي قدره بكرمه وصلى الله على سيد الاولين والآخرين رسوله المفضل
بالشفاعة والحوض المورود المخصوص بالوسيلة والمقام المحمود وعلى اخوانه السابقين في الازمان وانصاره
ومن تبعهم باحسان **ذكر الآي التي فيها المعاملة** قال الله جل جلاله ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها
وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا وقال سبحانه وتعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان
يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقال عز وجل وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه
سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وقال جلت قدرته كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية
وقال عز من قائل ولكل درجات مما عملوا وقال سبحانه وتعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وقال عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون وقال سبحانه وتعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى
نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقال سبحانه لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما
كانوا يعملون **ذكر الآي التي فيها ذكر اوراد الليل والنهار** قال تبارك اسمه وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال جل ثناؤه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل
اليه تبتيلا وقال سبحانه واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال عز وجل
وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ
واقوم قيلا وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى امن هو قانت
آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال
تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما

وقال

وقال سبحانه كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال تعالى اقم الصلاة لدلوك
الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال اقم الصلاة
طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين وقال سبحانه فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون **ذكر عمل المريد** في اليوم
والليلة من فرائض الاوامر وفضائل النوادب من ذلك ما يستحب عند طلوع الفجر فاذا طلع الفجر
وهو البياض المنشق من سواد الليل المعترض في قطر السماء من الجانب الشرقي عند ادبار النجوم وادبارها
افتراقها وذهاب ضوئها لغلبة ضوء الفجر عليها وهو الوقت الذي امر الله عز وجل فيه بذكره اذ يقول
سبحانه وتعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم فليصل العبد ركعتي الفجر يقرأ فيهما قل يا ايها الكافرون
وقل هو الله احد فهو اكثر ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ فيهما فان شاء خافت وان شاء جهر فقد
روي حديثان احدهما يدل على المخافتة وهو حديث عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخفف ركعتي الفجر حتى اني اقول اقرأ فيهما بفاتحة الكتاب ام لا والآخر يدل على الجهر وهو حديث ابن عمر رمقت
النبي صلى الله عليه وسلم نيفا وعشرين يوما فسمعته يقرأ في ركعتي الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
وفي حديث ابي هريرة وابن عباس انه قرأ صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى الآية التي في سورة البقرة قولوا آمنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الى آخرها وفي الركعة الثانية ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا
مع الشاهدين فليقرأ بذلك في الاحايين ثم ليستغفر الله سبحانه وتعالى سبعين مرة يقول في كل مرة استغفر
الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة ثم يسبح الله عز وجل ويهلله مائة مرة بالكلمات
الاربع الجامعات المختصرات التي هن في القرآن وليست بقرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
واستغفر الله وتبارك الله مائة مرة ثم ليدع بهذا الدعاء فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو به بعد
ركعتي الفجر رويناه عن ابن ابي ليلى عن داود بن علي عن ابيه عن ابن عباس قال بعثني العباس الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلاة
الفجر قال اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتي
وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها
رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال
بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني اسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش
السعداء ومرافقة الانبياء والنصر على الاعداء اللهم اني انزل بك حاجتي وان قصر رأيي وضعف عملي

رب العالمين

وتلهمني

وافتقرت الى رحمتك فأسألك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب
السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي
او امنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسألكه
يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب
بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد
وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون اللهم يا ذا الحبل الشديد والامر الرشيد
اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك
رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان
الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي احصى كل
شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري
ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا
عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي
نورا فليدع العبد بهذا الدعاء بعد ركعتي الفجر لكن يقدم على دعائه المسألة لله تعالى والصلاة
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليستجيب الله عز وجل دعوته ولا يرده لقول الرسول صلى الله عليه وسلم
اذا سألتم الله عز وجل حاجة فابدأوا بالصلاة علي فان الله اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احداهما
ويرد الاخرى هذه الانوار التي سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل جزء من اجزائه انما هو
دوام النظر من نور النور وشاهد القيومية في كل سكون وحركة يكلؤه بنظره ويتولاه بحياطته
فينظر اليه بدوام نظره ويستقيم له بتولي حفظه فلا يزيغ بصره ولا يطغى ولا تستهويه النفس بهواها
ثم ليصل العبد صلاة الغداة في جماعة ليكون في ذمة الله وجواره وفي الحديث صلوة الغداة في جماعة
افضل من قيام ليلة وصلاة العشاء الاخرة في جماعة افضل من قيام نصف ليلة وليكن قيامه في صلاته
بالقاء سمع وشهود قلب وحضور عقل وجمع هم وصحة تيقظ وحسن اقبال وتدبر الكلام في ترتيل
وتفهم بالتماس غرائب التنزيل فاذا سلم من صلاته قال ما يستحب ذكر ما يستحب من الذكر وقراءة
الآي المندوب اليها بعد التسليم من صلاة الصبح استخرجناها من الآثار اللهم صل على محمد وآله انت
السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال
والاكرام ثم ليقل سبحان الله العظيم وبحمده ثلاثا ثم ليستغفر ثلاثا ثم تقول اللهم لا مانع لما اعطيت

ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ثم ليقل وهو ثان رجله من قبل ان يتكلم هذه الكلمات
عشر مرات لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير
كله وهو على كل شيء قدير ثم ليقرأ وهو كذلك قل هو الله احد احدى عشرة مرة ويقول اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون عشر مرات
وليقل سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى آخر السورة ثلاث مرات وليقل فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون الى آخر الثلاث آيات ثلاث مرات ثم تسبح ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر اربعا وثلاثين
فتلك مائة مرة وان احب جعلها خمسا وعشرين مرة وزاد فيها التهليل وان قال سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر خمسا وعشرين مرة استوعب ذلك مائة تسبيحة وكان ابن عليه يحمل اللداومة ثم تقرأ سورة الحمد
وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله الآية وقل اللهم مالك الملك الآيتين ثم تقرأ وقل
الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية ثم تقرأ لقد جاءكم رسول من انفسكم الآيتين ثم ليقرأ لقد صدق
الله رسوله الرؤيا الى آخرها ثم يقرأ خمسا من اول الحديد وثلاثا من آخر سورة الحشر ثم تقول اللهم اني اسألك
بجميع جملة الصلاة على محمد وآله واسألك الجنة واعوذ بك من النار سبع مرات وقال قبيصة بن
مخارق للنبي صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها واوجز فقد كبرت سني وعجزت عن اشياء
كنت اعملها فقال اما لدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
وبحمده لا حول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن امنت من عمى وفالج وبرص وجذام واما لآخرتك
فقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واهدني من عندك وافض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك
وانزل علي من بركاتك البستني من عافيتك في الدنيا والآخرة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما
انه اذا وافى بهن يوم القيامة لم يدعهن فتح الله عز وجل له اربعة ابواب من الجنة يدخل من ايها شاء
وان قال المسبعات العشر التي اهداها الخضر عليه السلام الى ابرهيم التيمي ووصاه ان يقولها غدوة
وعشية وقال له الخضر اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم وذكر من فضلها وعظم شأنها ما يجل عن الوصف
وانه لا يداوم على ذلك الا عبد سعيد قد سبقت له من الله عز وجل الحسنى حذفنا ذكر فضائلها اختصارا
فان في ذلك ثقل يشغل الفضل والمداومة عليهن تجمع لجميع ما فرقنا من الادعية روى ذلك
سعيد بن سعيد عن ابي ظبية عن كرز بن وبرة قال وكان وبرة من الابدال قال اتاني اخ لي من اهل
الشام فاهدى الي هدية وقال لي يا كرز اقبل مني هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من اهدى
لك هذه الهدية فقال اعطانيها ابرهيم التيمي قلت فلم تسأل ابرهيم من اعطاه هذه الهدية قال بلى قال

كنت جالساً في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس
عن يميني فلم ار في زماني احسن منه وجهاً ولا احسن منه ثياباً ولا اشد منه بياضاً ولا اطيب ريحاً فقلت
يا عبد الله من انت ومن اين جئت فقال انا الخضر فقلت في اي شيء جئت فقال جئتك للسلام عليك
وحباً لك في الله عز وجل وعندي هدية اريد ان اهديها اليك فقلت ما هي قال هي ان تقرا قبل ان
تطلع الشمس وتنبسط على الارض وقبل ان تغرب سورة الحمد سبع مرات وقل اعوذ برب الفلق سبع مرات
وقل هو الله احد سبع مرات وقل يا ايها الكافرون سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر سبع مرات وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبع مرات وتستغفر للمومنين والمومنات
سبع مرات وتستغفر لنفسك ولوالديك سبع مرات وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلاً واجلاً في الدين
والدنيا والاخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له اهل انك غفور رحيم جواد كريم
رؤوف رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت احب ان تخبرني من اعطاك هذه العطية
فقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت له اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمداً فاساله
عن ثوابه فانه سيخبرك فذكر ابرهيم التيمي رحمه الله انه راى ذات يوم في منامه كان الملايكة جاته فاحملته
حتى ادخلوه الجنة فراى ما فيها ووصف عظيماً مما راى من صفة الجنة قال فسالت الملايكة فقلت لمن هذا
كله فقالت للذي يعمل بمثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فاتاني النبي صلى الله
عليه وسلم ومعه سبعون نبياً وسبعون صفاً من الملايكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم علي واخذ
بيدي فقلت يا رسول الله ان الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر
وكلما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رييس الابدال وهو من جنود الله عز وجل في الارض
فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا وعمله ولم ير مثل الذي رايت في منامي هل يعطى شيا مما اعطيته
فقال والذي بعثني بالحق انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكباير
التي عملها ويرفع الله عز وجل عنه غضبه ومقته ويومر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيا من السيات
الى سنة والذي بعثني بالحق نبياً ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيداً ولا يتركه الا من خلقه الله سبحانه
وتعالى شقياً والذي بعثني بالحق انه من عمل بهذا وذكر بقية الفضايل وقد كان ابرهيم
التيمي رحمه الله عليه مكث اربعة اشهر لم يطعم طعاماً ولم يشرب شراباً فلعله بعد هذه الرويا والله اعلم
ذكر الاعمش عنه فهذا من جملة ما اتى فيما يستحب ان يقرا بعد صلاة الغداة ولذلك فضايل جمة
وردت بها الاثار حذفنا ذكرها للاختصار ذكر الادعية المختارة بعد صلاة الصبح

وقال اعوذ برب الناس سبع مرات

الجامعة

الجامعة المختصرة الماثورة في الاخبار المتفرقة روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا افتتح دعاً
افتتحه بقوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب واية الكرسي وانه كان يقول لا اله الا الله وحده لا
شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله
اهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
روينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعايشة رضي الله عنها عليك بجوامع الكوامل قولي اللهم اني
اسالك من الخير كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله واجله ما علمت
منه وما لم اعلم واسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول
وعمل واسالك من الخير ما سالك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك مما استعاذك
منه عبدك ورسولك صلى الله عليه وسلم واسالك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشداً وعافية
برحمتك يا ارحم الراحمين وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك ان
تسمعي ما اوصيك به ان تقولي يا حي يا قيوم يا لا اله الا انت برحمتك استغثت فاغثني ولا تكلني الى نفسي
طرفة عين واصلح لي شاني كله وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق رضي الله عنه هذا
الدعا فقال قل اللهم اني اسالك بمحمد نبيك وابرهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى روحك وكلمتك
وبكلام موسى وانجيل عيسى وزبور داود وقران محمد صلى الله عليه وسلم وبكل وحي اوحيته او قضاء قضيته
او سايل اعطيته او غني اقنيته او فقير اغنيته او ضال هديته واسالك باسمك الذي انزلته
على موسى صلى الله عليه وسلم واسالك باسمك الذي بثثت به ارزاق العباد واسالك باسمك الذي وضعته
على السموات فاستقلت واسالك باسمك الذي وضعته على الارض فاستقرت واسالك باسمك
الذي وضعته على الجبال فارست واسالك باسمك الذي استقل به عرشك واسالك باسمك الطهر
الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين واسالك باسمك الذي وضعته
على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريايك وبنور وجهك ان ترزقني القران والعلم
وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي في جميع جوارحي بحولك وقوتك فانه لا حول ولا
قوة الا بك يا ارحم الراحمين روينا عن ابن عمر ان جبريل عليه السلم اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فعلمه هذا الدعاء يا نور السموات والارض يا جمال السموات والارض يا عماد السموات والارض يا بديع
السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا صريخ المستصرخين يا غوث المستغيثين يا منتهى رغبة
الراغبين والمفرج عن المكروبين والمروح عن المغمومين ومجيب دعوة المضطرين وكاشف السوء

وارحم الراحمين واله العالمين منزول بك كل حاجة يا اكرم الاكرمين يا ارحم الراحمين   وعن ابن عمر
قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع ان يدعو بهولاء الكلمات حين يصبح وحين يمسي اللهم اني اسالك
العفو والعافية في ديني ودنياي واخرتي ومحياي وفي اهلي ومالي اللهم استر عوراتي وامن روعاتي
واقلني عثراتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال
من تحتي   وعن بريدة الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة الا اعلمك كلمات
من اراد الله عز وجل به خيرا علمه اياهن ثم لم ينسه اياهن ابدا قال قلت بلى يا رسول الله قال قل
اللهم اني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضاي اللهم
اني ضعيف فقوني واني ذليل فاعزني واني فقير فاغنني   وروينا عن ابي مالك الاشجعي قال
حدثني ابي قال كنا نغدو الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجي الرجل ويجي المراة فيقول كيف اقول يا رسول الله
اذا صليت قال تقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني واجبرني
فقد جمعن لك خير دنياك وآخرتك   وروينا عن ابي زرعة قال كتب الي ابو هريرة رضي الله عنه
فيما املاه نبيه وشافهني به فيما القاه ان الشيطان لا يطيف بانسان يقول حين يصبح وحين يمسي اللهم
اني اعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر السامة والهامة واعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر عذابك
وشر عبادك واعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر الشيطان الرجيم اللهم اني اسالك باسمك وكلمتك التامة
من خير ما تعطي وخير ما تسال ومن خير ما تخفي وخير ما تبدي اللهم اني اعوذ بك باسمك وكلمتك التامة من
شر ما يجي به النهار ان ربي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وان كان مساء قال
من شر ما جاء به الليل يقولها ثلاثا   وروينا عن عمر بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الله قال اتى ابو الدرداء
فقيل له احترقت دارك فقال ما كان الله ليفعل ثم اتاه آت فقال يا ابا الدرداء ان النار حين دنت
من دارك طفئت فقال قد علمت فقال ما ندري اي قوليك اعجب قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من قال هولاء الكلمات في ليل او نهار لم يضره شي وقد قلتهن وهي اللهم انت ربي لا اله الا انت
عليك توكلت وانت رب العرش الكريم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا
لم يكن اعلم ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي علما اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي
ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم   وقد روي عن ابي الدرداء من قال
في كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
كفاه الله عز وجل ما اهمه من امر دنياه وآخرته صادقا كان بها او كاذبا   وروينا عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال ما اصاب احدا هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امتك
ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك
او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن
ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي الا اذهب الله عز وجل همه وغمه وحزنه
وابدله مكانه فرجا قال فقيل يا رسول الله الا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها
وروينا في الاخبار التي بلغته ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق
جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني
وزكها وضاعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها انك غفور رحيم ودود قال من دعا بهذا
الدعاء اذا اصبح فقد ادى شكر يومه وكذلك اذا امسى   وروينا عن معمر عن جعفر بن
برقان ان عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا
املك نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني اللهم ٢
لا تشمت بي عدوي ولا تسو بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا
تسلط علي من لا يرحمني   وروينا عن عطاء عن ابن عباس قال يلتقي الخضر والياس
في كل موسم فيتفرقا عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله ما شاء الله لا يصرف
السوء الا الله ما شاء الله ما يكن من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله فمن قالها اذا
اصبح ثلاث مرات امن من الحرق والغرق والسرق   ويقال ان هذا من استغفار الخضر عليه السلام
اللهم اني استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه اللهم اني استغفرك من كل عقد
عقدته لك ثم لم اوف لك به اللهم اني استغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فقويت بها على
معصيتك اللهم اني استغفرك من كل عمل عملته لوجهك فخالطه ما ليس لك   وروينا
عن نبينا صلى الله عليه وسلم من قال اذا اصبح واذا امسى ثلاث مرات رضيت بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان حقا على الله عز وجل ان يرضيه يوم القيمة   وحكى سعيد بن
ابي الرجاء الجمال وكان من اهل الخير انه توحش ذات ليلة في ارض قفر فاستوحش وفزع فظهر له
شخص قال فاشتد جزعي منه حتى سمعته يقرا القرآن ثم قال لي الا ادلك على شي اذا انت قلته
انست اذا استوحشت واهتديت اذا ضللت ونمت اذا ارقت قلت علمني رحمك الله قال قل
بسم الله ذي الشان عظيم البرهان شديد السلطان كل يوم هو في شان لا حول ولا قوة الا بالله

حدثونا عن يعقوب بن عبد الرحمن الدعاء قال سمعت محمد بن حسان يقول قال لي معروف الكرخي
رحمه الله الا اعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعا بهن وجد الله عندهن قلت اكتبها
قال لا ولكن أرددها عليك كما رددها علي بكر بن خنيس حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي
حسبي الله الكريم لما اهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بغا علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء
حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤوف عند المسائلة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب
حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم وادع بهذه الكلمات اللهم يا هادي الضالين وراحم المذنبين ومقيل عثرات
العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين
انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين امين رب العالمين يقال ان عتبة الغلام
رؤي في المنام فقال دخلت الجنة بهذه الدعوات وليقل بعد ذلك هذه الكلمات اللهم عالم الخفيات
رفيع الدرجات ذا العرش تلقي الروح من امرك على من تشاء من عبادك غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذا الطول لا اله الا انت اليك المصير رؤي ابرهيم الصائغ رحمة الله عليه في النوم
فقيل له باي شيء نجوت فقال بهذا الدعاء وهو يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه
الاصوات يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين اذقني
برد عفوك وحلاوة مغفرتك يقال ان الخضر عليه السلام علم علياً كرم الله وجهه هذا الدعاء
وليستفتح بتسبيحات ابي المعتمر وهو سليمان التيمي فقد روينا من فضلها ان يونس بن عبيد
رأى رجلاً كان قد قتل شهيداً ببلاد الروم فقال له افضل ما رأيت من الاعمال قال رأيت تسبيحات
ابي المعتمر من الله عز وجل بمكان وقال المعتمر بن سليمان رأيت عبد الملك بن خالد بعد موته فقلت
ما صنعت قال خيراً فقلت ترجو للخاطئ شيئاً قال يلتمس تسبيحات ابي المعتمر فانها نعم الشيء
وهي هذه التسبيحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
عدد ما خلق الله وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق
وملء سمواته وملء ارضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته
ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما
هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسيم ونفس
من الابد الى الابد ابد الدنيا وابد الآخرة واضعاف ذلك واكثر من ذلك لا ينقطع اوله ولا ينفد آخره

وليدع

وليدعو بهذا الدعاء فانه دعاء التوبة مرجو فيه الاجابة روينا عن هشام بن عروة عن
ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت لما اراد الله ان يتوب على آدم عليه السلام طاف سبعاً بالبيت وهو
يومئذ ليس بمبني ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي
وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسألك ايماناً يباشر قلبي ويقيناً
صادقاً حتى اعلم انه لا يصيبني الا ما كتبت لي والرضى بما قسمت لي فاوحى الله عز وجل اليه اني قد غفرت
لك لن يأتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه
وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وان
كان لا يريدها وليقل هذه الكلمات المشهورة فانها مما روي في اسم الله الاعظم بل جاء في ذلك
ماثورة اللهم اني اسألك بان لك الحمد لا اله الا انت الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال
والاكرام انت الواحد الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد يا حي يا قيوم يا حي
حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه يا حي يا محيي الموتى يا حي يا مميت الاحياء ووارث اهل الارض
والسماء اللهم اني اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه
سنة ولا نوم اللهم اني اسألك باسمك الاعظم الاجل الاعز الاكرم الذي اذا دعيت به اجبت واذا
سئلت به اعطيت يا نور النور يا مدبر الامور يا عالم السر وما في الصدور يا سميع يا قريب يا مجيب الدعاء
يا لطيف لما يشاء يا رحيم يا كبير يا عظيم يا الله يا رحمن يا رحيم يا ذا الجلال والاكرام الم الله لا اله
الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم يا الهي واله كل شيء الهاً واحداً لا اله الا انت
اللهم اني اسألك باسمك الله الله الذي لا اله الا هو رب العرش العظيم تعالى الله الملك الحق
لا اله الا هو رب العرش الكريم انت الاول والآخر والظاهر والباطن وسعت كل شيء رحمة وعلماً
كهيعص حم عسق الر حم نون يا واحد يا قهار يا عزيز يا جبار يا احد يا صمد يا ودود يا غفور هو
الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
اللهم اني ادعوك باسمك المكنون المخزون المنزل السلام الطهر الطاهر القدوس المقدس يا دهر
يا ديهور يا ديهار يا ابد يا ازل يا من لم يزل ولا يزول هو هو يا هو يا هو يا من لا اله الا هو يا من لا هو
الا هو يا من لا يعلم ما هو الا هو يا كان يا كينان يا روح يا كائن قبل كل كون ويا كائن بعد
كل كون يا مكون كل كون اهيا شراهيا ادوناي اصباوث يا مجلي عظائم الامور فان تولوا فقل
حسبي الله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير اللهم صل على محمد

وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وآل ابرهيم انك حميد مجيد ثم ليقل هذه الادعية المأثورة اللهم
اني اسألك الثبات في الامور والعزيمة على الرشد واسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسألك
قلبا سليما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسألك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك
لما تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اعلنت وما اسررت فانك انت
المقدم وانت المؤخر وانت على كل غيب شهيد اللهم اني اسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد
وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد في اعلى جنة الخلد اللهم اني اسألك الطيبات وفعل الخيرات
وترك المنكرات وحب المساكين اللهم اني اسألك الصلاة على نبيك محمد صلى الله عليه واسألك حبك
وحب من يحبك وحب عمل يقرب الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم
فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحياة خيرا
لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي اسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضى والغضب
والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضرة
وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما
يحول بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تدخلنا به الى جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب
الدنيا اللهم ارزقنا غم خوف الوعيد وسرور الخلود ورجاء الموعود حتى نجد لذة ما نطلب وغم
ما منه نهرب اللهم البس وجوهنا منك الحياء واملأ قلوبنا بك فرحا واسكن في نفوسنا من عظمتك
وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك ممن سوانا اللهم اعني
على ذكرك وحسن عبادتك وشكرك اللهم اني اسألك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام
العصمة واداء الشكر بحسن العبادة اللهم اني اعوذ بك من فتنة الغنى وفتنة الفقر واعوذ بك
من ضيق الصدر وشتات الامر وعذاب القبر اعوذ بك من غنى مطغ ومن فقر منس وهوى مرد وقرين
مغو اللهم اني اسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم صل على محمد نبيك وصفيك ولا تعذبني
بعذاب ولا تخزني ليستبين الفتن اعوذ بك يا الله من الفتن ما ظهر منها وما بطن واعوذ بك من
المحن ما خفي منها وما علن اللهم اني اسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه
اعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار ومن بغتات الامور وفجآت الاقدار ومن شر كل طارق الا
طارقا يطرق منك بخير يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا واوسطه
نجاحا وآخره فلاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة وآخره تكرمة اعوذ بك ان ازل او

اللهم اني

اضل او اَظلم او اُظلم او اجهل او يُجهل علي عز جارك وجل ثناؤك وتباركت اسماؤك ولا اله غيرك
اللهم اني اعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال
واذا اردت بقوم سوءا او فتنة فاقبضني اليك غير مبدل ولا مفتون اللهم احيني ما كانت الحياة
خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي اسألك خير الحياة وبركة الحياة واعوذ بك من سوء الوفاة لي اسألك
خير ما بينهما خيرا ما بعد ذلك احيني حياة السعداء حياة من تحب بقاءه وتوفني وفاة الشهداء
وفاة من تحب لقاءه يا خير الرازقين ويا احسن الخالقين ويا احكم الحاكمين ويا رب العالمين اعوذ بك
من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته
وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته
والحمد لله الذي ظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى آله وازواجه
وذريته كما صليت على ابرهيم وعلى آله وازواجه وذريته وبارك على محمد وعلى آله وازواجه وذريته كما باركت
على ابرهيم وآله وازواجه وذريته في العالمين انك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك
النبي الامي رسول الاميين واعطه المقام المحمود الذي وعدته يوم الدين اللهم اني اعوذ بك من حدة
الحرص وشدة الطمع وسورة الغضب وسنة الغفلة وتعاطي الكلفة اعوذ بك من مباهاة المكثرين والازراء
على المقلين وان انصر ظالما واخذل مظلوما وان اقول في العلم بغير علم او اعمل في الدين بغير يقين اللهم
اني اعوذ بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم اللهم اني اعوذ بك من اتباع خطوات الشياطين
وشره في المال والولد وقبول امره في السوء والفحشاء اسألك حسن الاختيار وصحة الاعتبار وصدق
الافتقار اللهم افتح بخير واختم بخير وانت الفتاح العليم اللهم ارحم ما خلقت واغفر ما قدرت
وطيب ما رزقت وتمم ما انعمت وتقبل ما استعملت واحفظ ما استحفظت ولا تهتك ما سترت وانه
لا اله الا انت استغفرك من كل لذة بغير ذكرك ومن كل راحة بغير خدمتك ومن كل سرور بغير
قربك ومن كل فرح بغير مجالستك ومن كل شغل بغير معاملتك اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين
وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين استعملنا بمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن
اختيارك لنا نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم
احفظنا فيما امرتنا واحفظنا عما نهيتنا واحفظ لنا ما اعطيتنا يا حافظ الحافظين ويا ذاكر
الذاكرين ويا شاكر الشاكرين بحفظك حفظوا وبذكرك ذكروا وبفضلك شكروا يا غوث يا مغيث يا مستغاث
يا غياث المستغيثين لا تكلني الى نفسي طرفة عين فاهلك ولا تكلني الى الخلق فاضيع اكلأني كلاءة الوليد

واجعل عني وتولني بما توليت به عبادك الصالحين اللهم تغمدني بتوبتك علي تب علي انك انت التواب
الرحيم وبحلمك عني اعف عني انك انت الغفار وبعلمك بي ارفق بي انك انت ارحم الراحمين وبملكك بي املكني
نفسي ولا تسلطها علي انك انت الملك القهار سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءاً وظلمت نفسي
فاغفر لي ذنبي انك انت ربي انه لا يغفر الذنوب الا انت اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم
ارزقني حلالاً لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحاً تقبله مني اسالك العفو
والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من
سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناءً عليك انت كما اثنيت على نفسك ابوء بنعمتك اليك وابوء بذنوبي
الي هذه يداي بما كسبت عبدك وابن عبديك ناصيتي بيدك جارٍ في حكمك نافذ في قضاؤك عدل
في مشيتك ان تعذب فاهل ذلك انا وان ترحم فاهل ذلك انت فافعل بي ما انت اهله ولا تفعل بي
ما انا اهله فانك اهل التقوى واهل المغفرة يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك
واعطني ما لا ينقصك افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين توفني مسلماً والحقني بالصالحين انت ولينا
فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة ربنا عليك
توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز
الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا
من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشداً ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة الآية اللهم اني
اسالك ان تصلي على محمد وعلى آل محمد واسالك الصيانة اللهم اني اسالك العون على الطاعة والعصمة
من المعصية وافراغ الصبر في الخدمة وايزاع الشكر على النعمة وحسن الخاتمة اللهم اني اسالك اليقين
وحسن المعرفة بك واسالك المحبة وحسن التوكل عليك واسالك الرضا وحسن المنقلب اليك ربنا اننا
سمعنا منادياً ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا
الآية اللهم طهر قلوبنا في قلوب الابرار وتقبل منا اعمالنا في اعمال الاخيار وصل ارواحنا في ارواح
الشهداء يا اكرم الاكرمين ويا اجود الاجودين ويا ارحم الراحمين ربنا آتنا في الدنيا حسنة علماً وزهداً
وعبادة وامناً ورزقاً من حلالك وفي الآخرة حسنة رضوانك والجنة وقنا برحمتك عذاب النار وعذاب
القبر وقنا سخطك وغضبك وعذابك يا مولانا عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة برحمتك يا ارحم

الراحمين

ان يمجد الله سبحانه غدوة وعشية بما مجد نفسه فقد روى من ثواب ذلك ما هو غاية الطالبين
روينا عن علي عليه السلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يمجد نفسه كل يوم يقول
اني انا الله لا اله الا انا رب العالمين اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم اني انا الله لا اله الا انا العلي
العظيم اني انا الله لا اله الا انا الغفور الرحيم اني انا الله لا اله الا انا مبدئ كل شيء والي يعود اني انا
الله لا اله الا انا الدائم لم ألد ولم اولد اني انا الله لا اله الا انا العزيز الحكيم اني انا الله لا اله الا انا الرحمن
الرحيم اني انا الله لا اله الا انا مالك يوم الدين اني انا الله لا اله الا انا خالق الخير والشر اني انا الله لا اله
الا انا خالق الجنة والنار اني انا الله الذي لا اله الا انا الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة
ولا ولداً اني انا الله لا اله الا انا الفرد الوتر اني انا الله لا اله الا انا عالم الغيب والشهادة اني انا الله
لا اله الا انا الملك القدوس اني انا الله لا اله الا انا السلام المؤمن المهيمن اني انا الله لا اله الا انا
العزيز الجبار اني انا الله لا اله الا انا الكبير المتعال اني انا الله لا اله الا انا المقتدر القهار اني انا الله المتكبر
لا اله الا انا الحليم الكريم اني انا الله لا اله الا انا اهل الثناء والمجد اني انا الله لا اله الا انا اعلم السر
والخفي اني انا الله لا اله الا انا القادر الرزاق اني انا الله لا اله الا انا فوق الخلق والخليقة اني انا الله
لا اله الا انا الجبار المتكبر فسبحان الله رب العرش العظيم فمن دعا بهذه الاسماء فليقل انت الله
كذا وانت الله كذا ومن دعا بها او بالاسماء كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمداً وابراهيم
وموسى وعيسى والنبيين اجمعين في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارضين وليقل اللهم صل
على محمد وآل محمد صلاة تكون لك رضى ولحقه اداءً واعطه الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود
الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جزيت نبياً عن امته واعطه الشرف والشفاعة
يوم الدين اللهم صل على محمد نبي الرحمة وسيد الائمة وعلى جميع اخوانه من النبيين وصل على ابينا
آدم وامنا حواء ومن ولدا من الصالحين والمسلمين وصل على الملائكة اجمعين من اهل السموات والارضين
وصل علينا معهم يا ارحم الراحمين واغفر لي ذنبي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيراً واغفر للمؤمنين
والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت
الاعز الاكرم وانت ارحم الراحمين وخير الغافرين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وانا لله وانا
اليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل فهذا الجامع ما جاء من افاضل ما يقال من الدعاء عن
المصطفى وعن الصحابة وعن ائمة الهدى حذفنا ذكر فضائل ذلك وما جاء فيه من الروايات
هذا الدعاء بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس في كل يوم فان قاله بعد كل صلاة

مكتوبة فقد استعمل الفضل بفضل الله ورحمته **ذكر** عمل المريد بعد صلوة الصبح ثم يأخذ في
تلاوة القرآن وفي التفكر في عظمة الله والائه وتواتر احسانه ونعمائه وفي التسبيح والحمد والثناء وفي
بواطن النعم وغوامضها التي لا تحصى من حيث يحتسب العبد ومن حيث لا يحتسب فيما يعلم وفيما لا يعلم
او يتفكر في تقصيره عن الشكر على ظواهر النعم وبواطنها وعجزه عن القيام بما امر به من حسن الطاعة
ودوام الشكر على النعمة او يتفكر فيما عليه من الاوامر والنوادب فيما يستقبل او يتفكر في كثيف ستر الله
عليه ولطيف صنعه به وخفي لطفه له وفيما اقترف وفرط فيه من الزلل وفي فوت الاوقات الخالية
من صالح العمل ويتفكر في حكمة الله في الملك وقدرته في الملكوت واياته فيهما او في عقوبات الله تعالى
والائه وبلائه الظاهرة والباطنة بهما ومن ذلك قوله عز وجل وذكرهم بايام الله قيل بنعمته وقيل
بعقوباته ومنه قوله واذكروا الاء الله لعلكم تفلحون ومنه قوله فبأي الاء ربكما تكذبان اي باي
نعمه تكذبان يا معشر الجن والانس هما الثقلان ففي اي نوع من هذه المعاني اخذ فهو ذو الذكر
عبادة وهو خارج للفكر والفكر يدخل في الخوف والرجاء والذكر اذا قوي صار مشاهدة كما قال الله عز وجل
يذكرون الله ثم قال ويتفكرون في خلق السموات والارض ثم قال سبحانك فقنا عذاب النار ولا يكون
مشاهدة الا عن يقين فاليقين روح الايمان ومزيد المؤمن وقال بعض العلماء في تفسير الخبر تفكر ساعة
خير من عبادة سنة وهو التفكر الذي ينقل اي من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى القناعة
والزهد وقيل هو التفكر الذي يظهر مشاهدة وتقوى او يحدث ذكرا وهو كقوله واذكروا ما فيه
لعلكم تتقون وكقوله تعالى لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا ومثله ويبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون
في الدنيا والاخرة اي فيعملون لما يبقى ويرغبون فيما يدوم ويزهدون فيما يفنى وقد جعل الله ايضا
نعمته لما اقتضى الشكر عليه فقال يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون وكما قال واذكروا ما فيه لعلكم
تتقون وقد وصف اعداءه بضد ذلك فقال كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وقالت ام الدرداء
كان اكثر عبادة ابي الدرداء التفكر وقد كان يقول ما يسرني ان اربح في كل يوم ثلثمائة دينار انفقها
في سبيل الله قيل ولم قال يشغلني ذلك عن التفكر ويعتقد خير النيات وينوي جميل الطويات
فيما بينه وبين الخالق وفيما بينه وبين الخلق ويستغفر الله تعالى ويجدد التوبة لما مضى من عمره
ولما يأتنف من مستقبله ويخلص الدعاء بتمسكن وتضرع وتملق وتخشع ووجل واخبات ان
يعصمه من جميع النهي وان يوفقه لصالح الاعمال ويتفضل عليه برغائب الافضال وهو في ذلك حاضر
القلب مجتهد الهمّ موقن بالاجابة راض بالقسم ويتكلم بخير ومعروف ويدعو بما الله عز

ويشفع به اخاه المسلم ويعلّم من هو دونه في العلم فهذه كانت اذكار المتقدمين وافكار السابقين وقد كان
الذكر والفكر من افضل عبادة العابدين وهو طريق مختصر الى رب العالمين ففي اي هذه المعاني
اخذ فهو ذاكر لله تعالى فلا يزال كذلك وهو في جميع ذلك مستقبل القبلة في مصلاه لا يستحب له ان
يتكلم او يعمل غير ما ذكرناه من الاذكار وقد كانوا يكرهون الكلام بغير معروف وتقوى من طلوع الفجر
الى طلوع الشمس ومنهم من شدد في ذم الكلام من الفجر الى صلاة الغداة بغير ذكر وبر وهذه سنة
قد جهلت فمن عمل بها فقد ذكرها وهذا هو الورد الاول من النهار وفي النهار سبعة اوراد ٢
اولها من طلوع الفجر الثاني الى طلوع الشمس وهو ما ذكرناه من الاذكار وهو الذي اقسم الله عز وجل به
فقال والصبح اذا تنفس وتنفسه من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وهو الظل الذي مدّه الله عز وجل
لعباده ثم قبضه اليه ببسطة الشمس عليه واظهره من اياته وجعل الشمس كشفا له دليلا عليه فقال سبحانه
الم تر الى ربك كيف مد الظل يعني بسطه ولو شاء لجعله ساكنا يعني مقيما على حالة لا يتحول ثم جعلنا
الشمس عليه دليلا يقول كشفناه بها ففيه دلالة ان الدليل هو الذي يكشف المشكل ويرفع المشتبه
ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يعني الظل من تحت الشمس قبضا يسيرا اي خفيا لا يفطن له ولا
يرى فاندرج الظل في الشمس بقدرته اندراج الظلمة في النور اذا دخل عليها بحكمته وهو الاصباح
والفلق الذي تمدح الله عز وجل بخلقه وامر بالتنزيه له عنده والاستعاذة من شر ما خلق فيه
فقال تعالى فالق الاصباح وقال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون اي فسبحوه بالصلاة عندهما
وقال قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق يعني فلق الصبح فان امن العبد الفتنة والكلام فيما لا يعنيه
والاستماع الى الشبهة من القول وامن النظر الى ما يكره او يشغله عن الذكر او يذكره الدنيا وامن
دخول الافة عليه من التزين والتصنع للناس وذوق الشغل بمولاه والاخلاص له والاعراض عمن سواه
فعل ما ذكرناه من الذكر في مصلاه في مسجد الجماعة فهو افضل ولذلك اعز الله سبحانه وتعالى برفع المساجد
في قوله في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وان لم يأمن الفتنة وخشي دخول الافة عليه
من لقاء من يكره او من يلجئه الى تعيبه ومداراته او خاف الكلام فيما لا يعنيه او الاستماع الى ما لم يندب
اليه انصرف اذا صلى الغداة الى منزله او الى موضع خلوة بعد ان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات في مصلاه
وهو ثان رجله قبل ان يقوم ويقرأ بعدها قل هو الله احد عشرا قبل ان يتكلم فقد اشترط ترك الكلام
م

في هذين الحوشين اللذين ورد فيهما ثم اتى ببقيته ورده في بيته او خلوته وهو في ذلك مستقبل القبلة
وهذا حينئذ افضل له واجمع لقلبه ولا يتقدم على التسبيح لله والذكر له بعد صلوة الغداة وقبل طلوع
الشمس الا احد معنيين معاونة على بر وتقوى فرض عليه او ندب اليه مما يختص به لنفسه او يعود
نفعه على غيره ويكون ذلك ايضا مما يخاف فوته بفوت وقته والمعنى الآخر ان يكون الى تعلم علم
او استماع علم مما يقربه الى الله عز وجل في دنياه وآخرته ويزهده في الدنيا والهوى من العلماء بالله
الموثوق بعلمهم وهم علماء الآخرة اولو البصر والهدى الزاهدون في فضول الدنيا ويكون في طريقه ذاكرا
لله عز وجل او متفكرا في امثال العقلاء عن الله عز وجل فان اتفق له هذان فالغدو اليهما افضل من
جلوسه في مصلاه لانهما ذكر الله عز وجل وعمل له وطريق اليه على وصف مخصوص مندوب اليه قال الله
عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقال ابن مسعود اغد عالما
او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وفي الخبر من غدا من بيته في طلب علم فهو في سبيل الله
حتى يرجع ومن خرج من بيته يلتمس علما وضعت الملائكة له اجنحتها رضى بما صنع واستغفر له دواب
الارض وطير السماء وحيتان الماء والغدو والغداة يكون قبل طلوع الشمس وفي حديث ابي ذر الغفاري
حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة وافضل من شهود الف جنازة ومن عيادة الف مريض
وقيل ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن الا بعلم فان لم يتفق له احد هذين المعنيين فقعوده
في مصلاه في مسجد جماعته او في بيته وخلوته ذاكرا لله بانواع الاذكار ومتفكرا فيما فتح له بمشاهدة
الاوراد في مثل هذه الساعة افضل له مما سواهما وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم لان اقعد
في مجلس اذكر الله عز وجل فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب وروينا
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها يصلي ركعتين
وقد ندب الى ذلك في غير حديث وجاء من فضائل الجلوس بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس وفي صلاة ركعتين
بعد ذلك ما يجل وصفه اختصرناه . وروينا عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من
رحمة ربه انه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلوة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة اكفك ما بينهما
فاذا ارتفعت الشمس وابيضت صلى الضحى ثمان ركعات ——— وهذا الوقت هو الذي ذكره الله سبحانه
وتعالى في قوله يسبحن بالعشي والاشراق ثم ينظر فان علم مريضا عاده وان حضرت جنازة شيعها وان كان
معونة على بر وتقوى ساعد فيها او كان حاجة لاخ من اخوانه قضاها وان كان فرض يلزمه القيام به سارع

اليه وان لاح له افضل ندب اليه اغتنمه قبل فوته فهذا افضل شيء يعمله بعد الاذكار والاوراد من بعد
طلوع الشمس فاذا فرغ من ذلك او لم يتفق له ما ذكرناه من القربات اخذ في الصلاة او تلاوة القرآن او
صنوف الاذكار مما امر به او ندب اليه او المحاسبة لنفسه فيما سلف او المطالبة لها في الاستخراج منها
فيما يأتنف او المراقبة لربه في كل حال الى ان تنبسط الشمس وترمض الفصال ويرتفع النهار وهذا
هو الورد الثاني من النهار وهو الضحى الاعلى الذي اقسم الله عز وجل به فقال تعالى والضحى اي اذا اضحت
الاقدام بحر الشمس فاذا كان العبد على ذلك فقد اتبع ما انزل اليه من ربه وقد سمع قوله من قوله واتبعوا
ما انزل اليكم من ربكم لانه قال انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها ثم قال وان اتلو القرآن
وكما قال سبحانه اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ولذكر الله اكبر وصلاة الضحى في هذا الوقت افضل وهو حقيقة وقتها لوجود اسمها قال النبي صلى الله
عليه وسلم صلوة الضحى اذا رمضت الفصال وخرج يوما وهم يصلون بالاشراق فرفع صوته الا ان صلاة
الاوابين اذا رمضت الفصال • قوله الاوابين يعني التوابين الى الله سبحانه في كل وقت ثم ليأخذ العبد
بعد ذلك فيما ندب اليه او ابيح له من التصرف في معاش ان كان من تجارة بصدق او صناعة بنصح ان احتاج
الى ذلك وليكتف ان كفى وادنى احواله الصمت والنوم ففيهما سلامة من الآثام ومخالطة اللئام
وقد جاء في العلم يأتي على الناس زمان يكون افضل عملهم فيه الصمت وافضل اعمالهم النوم هذا
لدخول المشكلات في الكلام ووجود الآفات في الاعمال • وكان سفيان الثوري يقول كان يعجبهم
اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة فمن الناس من يكون احسن احواله النوم فليت العبد يكون يقظته
كنومه اذ في نومه توجد السلامة والسلامة متعذرة في يقظته وافضل اعماله في هذا الوقت
السلامة وانما الفضائل لاهل الفضل الذين زادوا على السلامة والعدل بالاحسان فان نام في هذا الوقت
فهو حينئذ نوم القائلة وما يتسبب فيه من المعاش يصنعه في هذا الوقت من الضحى الى زوال الشمس
وهو الورد الثالث من النهار ثم يتوضأ للصلاة قبل دخول وقتها وكذلك يستحب وهو المحافظة عليها
والاقامة لها فان حصلت كفايته في يومه وقوته في وقت من النهار ترك السوق ودخل بيته او قعد في
بيت مولاه او اشتغل بخدمته متزودا لعاقبته فقد كان الصالحون كذلك يفعلون كان يقال لا يوجد
المؤمن الا في ثلاثة مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او حاجة لا بد له منها فاذا زالت الشمس فان ابواب
السماء تفتح للمصلين والذاكرين ويستجاب الدعاء للموفقين • فهذا اول الورد الرابع من النهار
فليصل بعد الزوال اربع ركعات يقرأ فيهن بمقدار سورة البقرة او سورتين من المئين او اربعا من المثاني

يطيلهن ويحسنهن ولا يفصل بينهن بتسليم من الصلاة وحدها من صلوة النهار وهذا الورد هو
الإظهار الذي ذكره الله تعالى الحمد فيه فقال وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون وليتق
العبد الصلاة عند استواء الشمس في كبد السماء وهو قبل زوالها عند تقلص الظل وقيام ظل كل شيء تحته
فاذا زال الظل فقد زالت الشمس وقد يخفى استواؤها في الشتاء لقصر النهار ولعدول الشمس في سيرها
عن وسط الفلك فيقطع عرضا فيكون اقرب لغروبها فاقدر لذلك تقريبا ومقدار استوائها قبل ان
تزول نحو اربع ركعات بجزء من القرآن او قدر جزء بقراءة وهو آخر الورد الثالث فاما فيه ورد القراءة
والتسبيح والتفكر وهو احد الاوقات الخمسة التي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فيهن
والاربعة الاخر عند طلوع الشمس حتى ترتفع فيبدو بحرها في عين الناظر وعند تدليها للغروب حتى تحجب
وبعد صلوة الصبح وبعد صلوة العصر وليجتهد احياء ما بين الاذان والاقامة بالركوع فانها ساعة يستجاب
فيها الدعاء تفتح فيها ابواب السماء وتزكو فيها الاعمال وافضل اوقات النهار اوقات الفرائض فان لم
يقرا بين الاذانين من حزبه احببت له ان يقرا في تنفله الآي التي فيها الدعاء مثل آخر سورة البقرة
وآخر سورة آل عمران ومن تضاعيف السور الآيتين والثلاث مثل قوله انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا
ومثل قوله ربنا لا تزغ قلوبنا وقوله ربنا عليك توكلنا واليك انبنا وان قرا الآي التي فيها التعظيم
والتسبيح والاسماء الحسنى والابنية الحسنة مثل اول سورة الحديد وآخر سورة الحشر ومثل آية الكرسي
وقل هو الله احد كان ذلك جامعا بين التلاوة والدعاء والصلاة والتعظيم والمدح بالاسماء ثم ليصل الظهر
في جماعة ولا يدع ان يصلي قبلها اربعا وبعدها اربعا بعد ركعتين وهذا هو آخر الورد الرابع
من النهار وهو اقصر الاوراد وافضلها فان كان قد رقد قبل الزوال فلا يرقد في هذا الوقت فانه يكره له
نومتان في يوم كما يكره له نوم النهار من غير سهر الليل روينا عن بعض العلماء ثلاث يمقت الله
عليها الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع ونوم النهار من غير سهر بالليل وان لم يكن قد رقد
فلاحب ان ينام بين الظهر والعصر ليتقوى بذلك على قيام الليل فلينم فان نوما بعد الظهر لليلة المستقبلة
ونوما قبل الظهر لليلة الماضية فان دام سهره بالليل واتصلت اوراده بالنهار حسن ان ينام قبل
الظهر لما سلف من ليله وينام بعد الظهر لما غبر من الاخرى الا انه لا يستحب له ان يزيد في اليوم والليلة
على اكثر من نوم ثماني ساعات ومن الناس من يقول انه ان نقص ايضا من نوم هذا المقدار في اليوم
والليلة اضطرب بدنه لان النوم قوت الجسم وراحته قال الله سبحانه وتعالى وجعلنا نومكم سباتا
اي راحة كما قال وجعلنا النهار معاشا الا ان يكون السهر عادته فان العادة قد تحمل حمل الطبع

وتنفل عن الغروب لا يقاس عليها واحياء ما بين صلاتي الظهر والعصر هو صلاة الغفلة وهو يشبه
بقيام الليل ويستحب العكوف في المسجد بين الاولى والعصر للصلاة والذكر ليجمع بين الاعتكاف والانتظار
للصلاة فقد كان ذلك من سنة السلف قال كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين
دويا كدوي النحل من التلاوة الا ان يكون بيته اسلم لدينه واجمع لقلبه فالاسلم هو الافضل وكذلك
احياء الورد الثالث الذي هو من الضحى الاعلى الى زوال الشمس فوق هذا في الفضل يدرك به العبد فوت
قيام الليل لان الناس في هذين الوقتين مشغولون بطلب الدنيا وخوضه الهوى فالقلب المتيقظ من ربه
ينزع في هذين الوقتين ويسكن ولا يجد العامل للعمل حلاوة وللاقبال والتفرغ لذة ويكون فارغا من الخلق
ومشغلا بالخالق مزيد بركة وهذا احد الوجهين في قوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان
يذكر او اراد شكورا اي جعلهما خلفتين يتعاقبان في الفضل فيخلف احدهما الآخر فمن فاته
شيء من الليل قضاه في هذين الوقتين من النهار احدهما من الضحى الاعلى الى الزوال والثاني ما بين الاولى والعصر
والوجه الثاني ان النهار خلفه من الليل فمن فاته من عمل الليل شيء قضاه بالنهار وكان منه بدلا
ومن فاته شيء من اوراد النهار كان الليل له خلفا اذ كل واحد منهما خلف من صاحبه ففيه درك ما
فات وخلف ما سلف من الذكر والشكر والذكر اسم جامع لاعمال القلوب كلها من مقامات اليقين ومشاهدات
العلوم من الغيوب والشكر ايضا يشتمل على جمل اعمال الجوارح من شرائع الاسلام وهذان جملة للعبد (بعلوم العارفين)
وكنه خدمته وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما الكليم للجليل فقال كي نسبحك كثيرا ونذكرك
كثيرا انتظم التسبيح والذكر في جمل تصرف الجسم وتصريف القلب وهذا الورد الخامس الذي
هو ما بين العصرين من اطول الاوراد واشبهها للعباد وهو نظير الورد الثالث في الطول وهو اصيل
واحد الآصال التي ذكر الله سبحانه فيه سجود كل شيء وقرنه بالغدو فقال ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال فما اقبح ان تكون الاشياء الموات لربها ساجدات
ذاكرات والمؤمن الحي عن ربه معرض ذو غفلات ثم ليصل قبل صلوة العصر اربعا وليغتنم الصلاة
بين الاذان والاقامة كما ذكرنا آنفا فانها ساعة مرجو فيها الاجابة فاذا دخل وقت العصر دخل
العبد في الورد السادس من النهار وقد اقسم الله به في قوله والعصر وهذا احد المعنيين في
الآية وهو احد الوجهين من الوقت في الآصال الذي ذكره الله عز وجل وهو العشي الذي ذكر الله التسبيح
فيه والثناء هو الحمد لله فقال وعشيا وحين تظهرون وقال بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد
من الصلاة الا ما كان بين الاذانين ثم يتنفل بعد صلوة العصر بما شاء من الاذكار والاوراد

من أعمال القلوب والجوارح فيما فرض عليه أو ندب إليه وأفضل ذلك تلاوة القرآن بتدبر وترتيل وتفهم
وحسن تأويل فإذا ارتفعت الشمس إلى رؤوس الجدر ورؤوس الشجر واصفرت وما تحتها وكانت شاهجين
تطلع دخل في الورد السابع فهذا للتسبيح والتذكر والتلاوة والاستغفار لغروب الشمس
ومن أفضل ما قيل في هذا الوقت وفي مثله من أول النهار أن يقال أستغفر الله الحي القيوم وأسأله
التوبة سبحان الله العظيم وبحمده وإن قال أستغفر الله لذنبي وسبحان الله بحمد ربي فقد جاء بلفظ الأمر
في قوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار وليستحب الاستغفار على الأسماء
في القرآن مثل أن يقول أستغفر الله إنه كان توابا أستغفر الله إن الله غفور رحيم أستغفر الله
التواب الرحيم إنه كان غفارا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين
وهذا الورد في الفضل مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وهما الآنان اللذان ذكرهما الله التنزيه
فيه فقال فسبحان الله حين تمسون أي فسبحوا الله فأقام الاسم مقام الفعل وهو الطرف الثاني من النهار
الذي أمر الله فيه بالتسبيح في قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار ويستحب أن يقرأ قبل غروب
الشمس والشمس وضحاها والليل إذا يغشى والمعوذتين وأن تغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فذلك
مما أمر به في هذا الوقت من الأذكار وكل ما يستحب من التسبيح والتحميد والدعاء والذكر في أول النهار وقبل
طلوع الشمس فإنه يستحب في هذا الورد قبل غروب الشمس لأن الله تعالى قد قرنهما في الذكر فقال وسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقال وأطراف النهار وقال قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق
ومن شر غاسق إذا وقب أي من شر الليل إذا دخل وقال بالعشي والإبكار فليعد العبد ما ذكرناه
في الورد الأول من الأدعية والتسبيح وليقل عند الأذان اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات
دعاتك وحضور صلواتك وشهود ملائكتك صل على محمد وعلى آله وأعطه الوسيلة والفضيلة وابعثه
المقام المحمود الذي وعدته ثم ليقل رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ففي هذا أثر وفضل
وكذلك فليقل مثله عند أذان الغداة إلا أنه يقول عند إدبار ليلك وإقبال نهارك هكذا النص هذا في صلاة
المغرب قال الحسن كانوا أشد تعظيما للعشي منهم لأول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون
أول النهار للدنيا وآخره للآخرة فإذا تواريت بالحجاب انقضت لهذا النهار السبعة فانظر أيها
المسكين ماذا انقضى لك فيها وماذا ينقضي مثل عندها وماذا قضي عليك فيها قد قطعت من عمرك مرحلة
ونقصت من أيامك يوما فماذا قطعت في سفرك بقطع مرحلتك وماذا ازددت في عملك بما نقصت
من يومك فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الناس غاديان فغاد في نفسه فمعتقها أو رائح فموبقها

وقال تعالى إن سعيكم لشتى كل نفس بما كسبت رهينة وفي الخبر لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيرا
وجاء من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم ثم دخلت أوراد
الليل الخمسة فتدارك فيما تستقبل من الليل ما فات فيما مضى من النهار فقد روى أبو هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الله يبغض كل جعظري جواظ سخاب في الأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر
الدنيا جاهل بأمر الآخرة **ذكر** أوراد الليل الخمسة وفي الليل خمسة أوراد أولها أن تصلي بعد المغرب
ست ركعات ويستحب ذلك قبل أن يكلم أحدا يقرأ في الأوليين قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد
ليسرع بهما بعد صلاة المغرب من قبل أن يتكلم أو يشتغل بشيء وفي الخبر أسرعوا بالركعتين بعد المغرب
فإنهما يرفعان معها فإن كان منزله قريبا من مسجده فلا بأس أن يركعهما في بيته وليطل الأربعة الأخر
وكان أحمد بن حنبل يستحب أن يصليهما الرجل في بيته وكذلك كان يفعل ويقول هو سنة لأنه روي أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان يصليهما في بيته ولكن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في مؤخر المسجد وقد صلاهما
في المسجد ثم ليصل بين العشائين ما تيسر إلى أن يغيب الشفق الثاني وهو البياض الذي يكون بعد ذهاب
الحمرة وبعده غسق الليل وظلمته لأنه آخر ما يبقى من شعاع الشمس في القطر الغربي فإذا قطعت الأرض العليا
ودارت من وراء جبل قاف مصعدة تطلب المشرق فهذا الوقت هو المستحب لصلاة العشاء الآخرة وأسند
ابن أبي الزناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال
فقال الصلاة فيما بين العشائين وهو آخر الورد الأول من أوراد الليل والصلاة فيه ناشئة الليل أي
ساعاته لأنه أول نشء ساعاته وهو آني من الآناء التي ذكرها الله تعالى في قوله ومن آناء الليل فسبح
فالآناء جمع إني أي وقت منه فصل وقيل ناشئة الليل قيام الليل هذا في لسان الحبشة تقول نشأ
إذا قام وقد أقسم الله به فقال فلا أقسم بالشفق والشفق ما بين العشائين وهي صلاة الأوابين ويقال
صلاة الغفلة وقال يونس بن عبيد عن الحسن في قوله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال الصلاة ما بين
العشائين حتى قال أنس بن مالك قد سئل عمن نام بين المغرب والعشاء فقال لا تفعل فإنها الساعة التي
وصف الله المؤمنين بالقيام فيها فقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع يعني الصلاة بين المغرب والعشاء وقد أسنده
ابن أبي الزناد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال الصلاة
فيما بين العشائين ثم قال عليكم بالصلاة فيما بين العشائين فإنها تذهب بملاغاة أول النهار وتهذب
آخره وقوله ملاغاة جمع ملغى وهو من اللغو أي يطرح المطرح عن العبد من الباطل واللهو وتهذب له
آخره أي تصفيه وتجوده ويستحب العكوف في المسجد بين العشائين للصلاة وتلاوة القرآن فقد روي في فضل ذلك

ذلك

الا ان يكون بيته اسلم له لدخول آفة عليه فما شاء فيه فيصلي له ثم ليصل قبل العشاء الآخرة اربعا وبعدها
ركعتين ثم يصلي بعدهن اربعا ويقال ان الاربع بعد صلوة العشاء في بيته تعدل مثلهن من ليلة القدر وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليهن في بيته اذا دخل قبل ان يجلس وكان ابن مسعود يكره ان يصلي بعد كل
صلوة مثلها فكانوا يستحبون ان يصلي بعد المكتوبة ركعتين ثم اربعا وان قرا في الاربع في الاولى آية الكرسي
والآيتين بعدها وفي الثانية آمن الرسول والآية قبلها وفي الثالثة اول الحديد الى قوله وهو عليم بذات الصدور
وفي الرابعة آخر الحشر من قوله هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة فقد احسن واطاب فان صلى
بعد الاربع ثلث عشرة ركعة ان احب آخرهن الوتر فان هذا العدد اكثر ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلى به من الليل الا في خبر مقطوع وهو سبع عشرة ركعة والمشهور انه كان يصلي احدى عشرة ركعة وثلاث عشرة
ربما حسبوا منها ركعتي الفجر فما استحب له ان يقرا في ركوعه هذا ثلثمائة آية فصاعدا فاذا فعل ذلك
لم يكتب من الغافلين ودخل في احوال العابدين فقد قيل ان الاكياس ياخذون اوقاتهم من اول الليل
والاقوياء ياخذون اورادهم من آخر الليل فان قرا في ركوعه هذا سورة الفرقان وسورة الشعراء ففيهما
ثلثمائة آية فان لم يحسنهما قرا خمسا من المفصل فهن ثلثمائة آية سورة الواقعة وسورة نون وسورة الحاقة
وسورة المدثر وسورة الواقع فان لم يحسنهن قرا من سورة الطارق الى خاتمة القرآن ثلثمائة آية ولا استحب
للعبد ان ينام حتى يقرا هذا المقدار من الآي في هذا العدد من الركوع بعد عشاء الآخرة فان قرا في هذا
الورد الثاني اعني بعد عشاء الآخرة وقبل ان ينام الف آية فقد استكمل الفضل وكتب له قنطار من الاجر
وكتب من القانتين وافضل الآي اطولها لكثرة الحروف فان اقتصر على قصار الآي عند فتوره ادرك
الفضل لطول العدد وهي من سورة الملك الى خاتمة القرآن الف آية فان لم يحسن ذلك قرا قل هو الله احد
مائتين وخمسين مرة في ثلث عشرة ركعة فان فيها الف آية فهذا فضل عظيم وفي الخبر من قراها عشر مرات بنى الله
له قصرا في الجنة   وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في السور التي لم يكن يدعها في كل ليلة ثلثة احاديث
اشهرها انه لم يكن ينام حتى يقرا سورة السجدة وتبارك الملك والذي بعده انه كان يقرا في كل ليلة
بني اسرائيل والزمر والغريب منها انه كان يقرا المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية افضل من الف آية
قال فكان العلماء يجعلونها ستا فيجعلون فيها سبح اسم ربك الاعلى وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحب سبح اسم ربك الاعلى فهذا يدل انه كان يكثر قراءتها ولا يدع ان يقرا هذه الاربع في كل ليلة سورة
يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك فان ضم اليهن سورة الواقعة وسورة الصف
والجمعة فقد اكثر واحسن فان لم يكن من عادته القيام من الليل فقدم الوتر بنية الخبر المروي عن ابي هريرة

اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا انام الا على وتر وان كان معتادا لصلوة الليل فالافضل
تاخير الوتر الى آخر صلاته من تهجده او الى السحر على حديث ابن عمر صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خشيت
الصبح فاوتر بركعة وفي حديث عايشة اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اول الليل ومن اوسطه وآخره
وانتهى وتره الى السحر فان نام على وتر ورزق القيام لم يوتر بعده وكفاه وتره الاول على الخبر الذي جا
لا وتران في ليلة وقد قال بعض العلماء يصلي ركعة واحدة يشفع بها وتره من اول الليل ثم يصلي صلاته
من الليل ويوتر آخر صلاته وقد روي في هذا اثر عن عثمان وعلي عليهما السلام وان كان قد صلى ركعتين
من جلوس بعد وتره الاول ثم استيقظ للصلاة شفعتا وتره الركعة الواحدة لانها بمنزلة ركعة
واحدة تشفع له ركعة الوتر التي صلاها قبلها ثم ليصل من الليل مستانفا ما بدا له ثم يوتر بركعة واحدة
في آخر صلوته فيكون له في ذلك ثلثة اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر من آخر الليل وكذلك كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين جالسا بعد وتره والله اعلم فليقرا فيهما جالسا سورة الزلزلة وسورة الهاكم
التكاثر وقل يا ايها الكافرون فقد جا ذلك في حديثين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا فيهما بذلك لما في
الزلزلة والتكاثر من التخويف والوعظ ولما في سورة الكافرون من التبرية من عبادة سوى المعبود وافراد د
العبادة لله بالتوحيد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقراها عند النوم واوصى رجلا بقراءتها عند منامه
وتقديم الوتر مستحب لمن اختلف عادته في قيام الليل ولمن كان الاغلب عليه غلبة النوم وتاخيره الوتر ليكون
من آخر صلوته قبل طلوع الفجر افضل وليقل بعد السلام من الوتر سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح ح
جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت يقول هذا ثلاث مرات
وهذا هو الورد الثاني من الليل اعني الصلاة بعد عشاء الآخرة الى حد نومة الناس وقد اقسم الله به
في قوله عز وجل والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته وذكره عز وجل في قوله الى غسق الليل فهنالك يغسق
الليل ويستوسق ظلمته ثم ينام ان احب وهو على طهارة وعلى ذكر وقد كان الصالحون لا ينامون الا عن
غلبة ويجعلون التعمل للنوم وهو التمهيد للعادة وقد كان منهم من يمهد لنفسه في النوم ليتقوى
بذلك على صلاة اوسط الليل وآخره للفضل في ذلك ومن غلبه النوم حتى شغله عن الصلوة والذكر فان
السنة ان ينام حتى يعقل ما يقول وينشط في خدمته وقد كان ابن عباس يكره النوم قاعدا وفي الخبر
لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل
فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم فليرقد وقال خذوا من العمل ما تطيقون
فان الله لا يمل حتى تملوا وقيل له ان فلانا يصلي الليل لا ينام ويصوم الدهر لا يفطر فقال خير هذا الدين

ايسره ثم قال لكني انا اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال لا تشادّوا
هذا الدين فانه متين فمن شادّه يغلبه وقال لا تبغّض الى نفسك عبادة الله **والورد الثالث**
يكون بعد نومة الناس وهو التهجد الذي ذكر الله في قوله ومن الليل فتهجد به ولا يكون التهجد الا بعد
النوم وتلك النومة هي الهجوع التي قللها الله من القائمين آناء الليل فقال تعالى كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون فالهجوع النوم والتهجد القيام وقد يقال الهجود ايضا قد يكون نصف الليل فهذا اوسط الاورا د
وهو يشبه الورد الاوسط من النهار في انه افضل اوراده وهذا افضل الاوراد واشبهها للعباد وقد
اقسم الله به في قوله عز وجل والليل اذا سجى قيل اذا سكن وسكونه هدوّه وسنة كل عين فيه وغفلتها
الا عين الله الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال ويقال اذا اظلم
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل اسمع فقال جوف الليل الغابر وروينا في اخبار داو د
صلى الله عليه وسلم الهي اني احب ان اتعبد لك فاي وقت افضل فاوحى الله اليه يا داود لا تقم اول الليل
ولا آخره فانه من قام اوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي
واخلو بك وارفع الي حوائجك **والورد الرابع** يكون بين الفجرين احدهما الفجر الاول وهو بدو سلطان
شعاع الشمس اذا ظهرت من وراء الارض الخامسة سطع ضوءها في وسط السماء حتى يقطعها بمقدا ر
طلوع الفجر الاول ثم تغرق في الفلك الاسفل المتجانف وتحجبها الارض السادسة فيذهب الضوء ويعود
سواد الليل كما كان لغيبة الشمس وهو الثلث الاخير وفيه وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح
من جنات عدن ومن نزول الجبار الى سماء الدنيا وفيه الخبر الذي جاء ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي الليل
افضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي وهذا هو الورد الرابع وهو من نصف الليل الى وقت السحر
الاول ثم يدخل **الورد الخامس** وهو السحر الاخير وفيه يستحب السحور فمن لم يتسحر في اوله تعجّله
الفجر وهو قبل طلوع الفجر الثاني بمقدار قراءة جزء من القرآن وفي هذا الورد الاستغفار وقراءة القرآن
وقد ذكر الله تعالى في قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا قيل تشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار لتوسط هذا الورد بينهما ومن ذلك ذهب اهل الحجاز الى ان الصلاة الوسطى التي نص الله على
افراد المحافظة عليها هي صلاة الفجر تعظيما لهذا الوقت وتشريفا له لتوسطه بين آخر الليل واول النها ر
فهذا الورد هو من اقصر الاوراد وافضلها وهو من السحر الاول الى طلوع الفجر الثاني الا ما كان من صلاة
نصف الليل فذاك هو افضل شيء من الليل وهو اوسط الاوراد لانه هو الورد الثالث ويصلح في هذا
الورد الخامس من السحر الاخير الصلاة لمن استيقظ من ساعته او لمن تمم به صلاته فالصلاة فيه

مطلب الفجرين

لها فضل وشرف وهو بمنزلة الصلاة في اول الليل بين العشائين لان معنى قوله عز وجل عند بعض
المفسرين وبالاسحار هم يستغفرون اي يصلون وكذلك قوله عز وجل وقرآن الفجر يعني به الصلاة فكنى بذكر
القرآن والاستغفار عن الصلوة لانهما وصفان منها كما قيل للصلوة تسبيح وسبحة لان فيها التسبيح
وكذلك يقال للصلاة استغفار لانه يطلب لها المغفرة ويكون من الصلوة في السحر بدلا من السحور
الى طلوع الفجر الثاني وقد امر بها سلمان اخاه ابا الدرداء ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل
ذهب ابو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح
قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لربك عليك حقا وان لضيفك عليك
حقا وان لاهلك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وذاك ان امرأة ابي الدرداء اخبرت سلمان انه لا ينام
الليل قال فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا الورد الخامس يشبه
الورد السابع من النهار قبل الغروب في فضله وقربهما وهذا قبل الفجر الثاني **والفجر الثاني** هو انشقاق
شفق الشمس وهو بدو بياضها الذي تحته الحمرة وهو الشفق الثاني على ضد غروبها لان شفقها الاول
من العشاء هو الحمرة بعد الغروب وبعد الحمرة البياض وهو الشفق الثاني من اول الليل وهو آخر سلطان الشمس
وبعد البياض سواد الليل وغسقه ثم ينقلب ذلك على الضد فيكون بدو طلوعها الشفق الاول وهو البيا ض
وبعده الحمرة وهي شفقها الثاني وهو اول سلطانها من آخر الليل وبعده طلوع قرص الشمس فالفجر
هو انفجار شعاع الشمس من الفلك الاسفل اذا ظهرت على وجه الارض الدنيا تستر عنها الجبال
والبحار والاقاليم المشرفة العالية ويظهر شعاعها منتشرا الى وسط السماء عرضا مستطيرا **فهذا**
آخر الورد الخامس وعنده يكون الوتر فاذا طلع الفجر الثاني فقد انقضت اوراد الليل الخمسة ودخلت
اوراد النهار فانظر هل دخلت في دخوله عليك في جملة العابدين ام خرج عنك ثبت فيه من الغافلين
وتفكر اي لبسة البسك فان الليل جعل لباسا البستك فيه حلة النور بيقظتك فتربح تجارة لن تبور
ام البسك الليل ثوب ظلمته فكنت متمرما تقلبه لموت جسده بغفلته ثم يقوم العبد حينئذ فيصلي
ركعتي الفجر وهما معنى قوله عز وجل ومن الليل فسبحه وادبار النجوم قيل ركعتي الفجر ثم يقرأ شهد الله
انه لا اله الا هو الى آخرها ويقول وانا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته واولو العلم
من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة واسأله حفظها حتى يتوفاني
عليها اللهم احطط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا واحفظني بها واحفظها علي وتوفني
عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا وافضل ما عمل العبد في ورد من اوراد الليل والنها ر

بعد القيام بفرض يلزمه او قضاء حاجة لاخيه المومن بعينه الصلوة بتدبر الخطاب ومشاهدة المخاطب
فان ذلك يجمع العبادة كلها ثم بعد ذلك التلاوة بتيقظ عقل وفراغ هم ثم اي عمل فتح له فيه من فكر
او ذكر برقة قلب وخشوع جوارح ومشاهدة غيب فذلك افضل اعماله في وقته **ذكر** وقت الفجر وحكم ركعتيه
للاداء والقضاء وحكم الوتر ووقت القضاء له والاداء وفي الشهر ليلتان يعتبر بهما وقت الفجر احدهما
يطلع القمر فيها عند طلوع الفجر وهي ليلة ست وعشرين والاخرى يغيب القمر فيها عند طلوع الفجر وهي ليلة
اثني عشر من الشهر ومن طلوع الفجر الى طلوع الشمس مقدار ثلثي سبع تلك الليلة هذا يكون في الصيف ويكون في
الشتاء اقل من ذلك يكون نصف سدس تلك الليلة وهو الورد الاول من النهار ووقت الاداء للوتر من بعد
صلوة العشاء الاخرة الى طلوع الفجر الثاني فاذا طلع الفجر فقد ذهب وقت الاداء وبقي وقت القضاء للوتر
فليصل الوتر حينئذ من لم يكن اداه الى قبل صلوة الصبح فاذا صلى الصبح ذهب وقت قضاء الوتر ايضا
ووقت الاداء لركعتي الفجر اذا طلع الفجر الثاني والمستحب له ان يصليهما في منزله قبل صلوة الغداة والسنة
ان يخففهما فاذا صلى الصبح ولم يكن صلاهما فقد ذهب وقت الاداء وبقي له وقت القضاء فليمهل حتى تطلع
الشمس وتحل الصلوة وليقدمهما على سبحة الضحى وهذا هو وقت القضاء لركعتي الفجر الى صلوة الظهر فاذا
صلى الظهر ولم يكن صلاهما فقد ذهب وقت قضايهما ايضا ومن فاته ورد من الاوراد فاستحب له فعل مثله
في وقته او قبله متى ذكره لا على وجه القضاء لانه لا يقضى الا الفرايض ولكن على سبيل التدارك ورياضة النفس
بذلك ليأخذها بالعزايم كيلا يعتاد التراخي والرخص ولاجل الخبر الماثور احب الاعمال الى الله ادومها وان قل
كيف وفي حديث عايشة رضي الله عنها كالوعيد على ترك العادة من العبادة وروت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله وقالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غلبه النوم او عاقه مرض
فلم يقم تلك الليلة صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة ومن دخل المسجد لصلوة الصبح ولم يكن صلى ركعتي الفجر في منزله
صلاهما واجزتا عنه من تحية المسجد ومن كان قد صلاهما في بيته نظر فان كان دخوله المسجد بغلس عند
طلوع الفجر واشتباك النجوم صلى ركعتين تحية المسجد وان كان دخوله عند امحاق النجوم وكان مسفرا عند الاقامة
فقعد ولم يصل ركعتين لئلا يكون جامعا بين صلوة الصبح وبين صلوة قبلها ولا يصلي بعد طلوع الفجر الثاني شيا
الا ركعتي الفجر فقط ومن دخل المسجد ولم يكن صلى ركعتي الفجر فان كان قبل الاقامة صلاهما وان دخل وقت الاقامة
وقد افتتح الامام الصلوة فلا يصليهما وليدخل في صلاة المكتوبة فانه افضل وللنهي فيه روينا عن النبي صلى الله
عليه وسلم اذا اقيمت الصلوة فلا صلاة الا المكتوبة وليقل من قعد في المسجد عن غير تحية المسجد سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر هذه الاربع كلمات يقولها اربع مرات فانها عدل ركعتين في الفضل وكذلك

من دخله وكان على غير وضوء او مر في المسجد عابر طريق ومن دخل مسجدا فلا يقعدن حتى يصلي ركعتين
واكره دخول المسجد والقعود فيه على غير وضوء **كتاب** معرفة الزوال وزيادة الظل
ونقصانه بالاقدام واختلاف ذلك في الصيف والشتاء قال الله جلت قدرته الم تر الى ربك كيف مد الظل
ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل
وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وقال سبحانه والشمس
والقمر بحسبان وفي حديث ابي الدرداء وكعب الاحبار في صفة هذه الامة يراعون الظلال لاقامة الصلاة
فاحب عباد الله الى الله عز وجل الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله قال بعض العلماء بالحسبان
من اهل الحديث والاثار ان الليل والنهار اربعة وعشرون ساعة وان الساعة ثلثون شعيرة ياخذ كل واحد منهما
من صاحبه في كل يوم شعيرة حتى تستكمل الساعة في شهر وبين اول الشهر وآخره ثلثون درجة الشمس كل يوم في
درجة قال وتفسير ذلك انه اذا مضى من ايلول سبعة عشر يوما استوى الليل والنهار ثم ياخذ الليل من النهار
من ذلك اليوم في كل يوم شعيرة حتى يستكمل ثلثون يوما فيزيد ساعة حتى يصير سبعة عشر يوما من كانون الاول
فينتهي طول الليل وقصر النهار فتلك الليلة اطول ليلة في السنة وهي خمس عشرة ساعة وكان ذلك اليوم اقصر
يوم في السنة وهي تسع ساعات ثم ياخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضت سبع عشرة ليلة من اذار
استوى الليل والنهار وكان كل واحد منهما اثني عشرة ساعة ثم ياخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا
مضى سبعة عشر يوما من حزيران كان نهاية طول النهار وقصر الليل فيكون النهار يومئذ خمس عشرة ساعة
والليل تسع ساعات ثم ينقص من النهار كل يوم شعيرة حتى اذا مضت سبع عشرة ليلة من ايلول استوى
الليل والنهار ثم يعود الحساب على ذلك **قال** فمواقيت الصلوة من ذلك ان الشمس اذا وقفت فهو قبل
الزوال واذا زالت باقل القليل فذلك اول وقت الظهر واذا زادت على سبعة اقدام بعد الزوال فقد دخل
اول وقت العصر وهو آخر وقت الظهر قال والذي جاء في الحديث ان الشمس اذا زالت بمقدار الشراك فذلك وقت
الظهر الى ان يصير ظل كل شيء مثله فذلك آخر وقت الظهر واول وقت العصر وكذلك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اول يوم ثم صلى من الغد الظهر حين صار ظل كل شيء مثله فذلك آخر وقت الظهر واول وقت العصر ثم صلى العصر
حين صار ظل كل شيء مثليه وقال ما بين هذين وقت فاذا اردت ان تقيس الظل حتى تعرف ذلك فانصب عودا
او قم قايما في موضع من الارض مستو ثم اعرف موضع الظل ومنتهاه فخط على موضع الظل خطا ثم انظر
اينقص الظل ام يزيد فان كان الظل ينقص فان الشمس لم تزل بعد ما دام الظل ينقص فاذا قام الظل فذلك
نصف النهار ولا يصلح في هذا الوقت صلوة فاذا زاد الظل فذلك زوال الشمس الى طول ذلك الشيء الذي قست به

طول الظل وذلك آخر وقت الظهر فاذا زاد الظل بعد ذلك بشيء فقد دخل وقت العصر حتى يزيد الظل طول
ذلك الشيء مرة اخرى وذلك وقت العصر الثاني فاذا قمت فانما تريد ان تقيس الظل بطولك فان طولك سبعة اقدام
بقدمك سوى قدميك التي تقوم عليها فاذا قام الظل فاستقبل الشمس بوجهك ثم مر انسانا يعلم طرف ظلك
بعلامة ثم قس من عقبك الى تلك العلامة فان كان بينهما اقل من سبعة اقدام سوى ما زالت عليه الشمس من الظل
فانك في وقت الظهر بعد ولم يدخل وقت العصر حتى يزيد الظل على سبعة اقدام سوى ما تزول عليه الشمس من الظل
فذلك وقت العصر ثم ان الاقدام تختلف في الشتاء والصيف فيزيد الظل وينقص في الايام فمعرفة ذلك ان في استوا
الليل والنهار لسبعة عشر يوما من اذار فان الشمس تزول يومئذ وظل الانسان ثلثة اقدام وكذلك كل شيء تنصبه
فان الشمس تزول يومئذ وظل ذلك الشيء مثله اسباعه ثم ينقص الظل وكلما مضى ستة وثلثون يوما نقص الظل
قدما حتى ينتهي طول النهار وقصر الليل في سبعة عشر يوما من حزيران فتزول الشمس يومئذ وظل الانسان نصف
قدم وذلك اقل ما تزول عليه الشمس ثم يزيد الظل فكلما مضت ستة وثلثون يوما زاد الظل قدما حتى يستوي الليل
والنهار في سبعة عشر يوما من ايلول فتزول الشمس يومئذ والظل على ثلثة اقدام ثم يزيد الظل فكلما مضى اربعة عشر
يوما زاد الظل قدما حتى ينتهي طول الليل وقصر النهار وذلك في سبعة عشر يوما من كانون الاول فتزول الشمس
يومئذ على سبعة اقدام ونصف وذلك اكثر ما تزول الشمس عليه ثم كلما مضى اربعة عشر يوما نقص الظل قدما
حتى ينتهي الى سبعة عشر يوما من اذار فذلك استوا الليل والنهار وتزول الشمس على قدر ثلثة اقدام فذلك دخول
الصيف وزيادة الظل ونقصانه التي ذكرناه في كل ستة وثلثين يوما قدما في الصيف والقيظ وزيادته
في كل اربعة عشر يوما قدما في الربيع والشتاء. هذا ذكره بعض علماء المتأخرين من اهل العلم بالنجوم وقد ذكر
غيره من القدماء قريبا من هذا وذكر زوال الشمس بالاقدام في شهر شهر وخالف هذا في حدين من نهاية الطول
والقصر وذكر ان اقل ما تزول عليه الشمس في حزيران على قدمين وان اكثر ما تزول عليه الشمس في كانون على تسعة اقدام
وكان الاول هو ادق تحديدا واقوم تحريرا وذكر هذا ان الشمس تزول في ايلول على خمسة اقدام وتزول في تشرين
الاول على ستة اقدام وفي تشرين الآخر على سبعة وفي كانون على ثمانية اقدام قال وذلك منتهى قصر النهار
وطول الليل وهو اكثر ما تزول الشمس قال ثم ينقص الظل فيزيد النهار فتزول الشمس في كانون الآخر على سبعة
اقدام وتزول في شباط على ستة اقدام وفي آذار على خمسة اقدام وذلك استوا الليل والنهار وتزول في نيسان
على اربعة اقدام وتزول في ايار على ثلثة اقدام وتزول في حزيران على قدمين وذلك منتهى طول النهار وقصر الليل
وهو اقل ما تزول الشمس عليه فيكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات وتزول في تموز على ثلثة اقدام
وفي آب على اربعة اقدام وفي ايلول على خمسة اقدام وفيه يستوي الليل والنهار. قد روينا عن سفيان

الثوري اكثر ما تزول عليه الشمس سبعة اقدام واقل ما تزول عليه قدم وهذا اقرب الى القول الاول في التحديد وقد
جاء في ذكر الاقدام لوقت الصلوة اثر من سنة فلذلك ذكرنا منها ما شرحه من عرفه. روينا عن ابي مالك
سعد بن طارق الاشجعي عن الاسود بن يزيد ان ابن مسعود قال كان قدر صلوة الظهر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الصيف ثلثة اقدام الى خمسة اقدام وفي الشتاء خمسة اقدام الى ستة اقدام وفصل الخطاب من ذلك
ان معرفة الزوال بهذا التحديد ليس بفرض وهو مما لا يضيق علمه ولكن صلوة الظهر بعد الزوال بيقين فرض وهو
مما لا يسع جهله فمتى زالت الشمس مبلغ علمك ويقين قلبك ومنظر عينيك وكانت الشمس على حاجبك الايمن في الصيف
اذا استقبلت القبلة فقد زالت لا اشكال فيه فصل الى ان يكون ظل كل شيء مثله فهو آخر وقت الظهر
واول وقت العصر ثم صل العصر الى ان يصير ظل كل شيء مثليه فهذا آخر وقت العصر المستحب ثم الى ان تصفر
الشمس وتدلى للغروب فهذا وقت الضرورات وهو مكروه الا لمريض او معذور. روينا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ادرك من العصر ركعة قبل ان تغرب الشمس فقد ادرك العصر ومن ادرك من الصبح ركعة
قبل ان تطلع الشمس فقد ادرك الصبح فاذا كانت الشمس على حاجبك الايسر وانت مستقبل القبلة في الصيف
فان الشمس لم تزل مبلغ علمك ومنظر عينيك فهو استواؤها في كبد السماء نظر عينيك ويصلح ان يكون قد زالت
لقصر النهار في اول الشتاء ولا يكون قد زالت اذا امتد النهار وتوسط الصيف فاذا صارت الى حاجبك
الايمن فقد زالت في اي وقت كان ثم ان هذا يختلف في الشتاء فاذا كانت على حاجبك الايسر في الشتاء وانت
مستقبل القبلة فيصلح ان يكون قد زالت في قصر النهار وفي اول الشتاء وقد لا يكون زالت اذا امتد النهار في
اول الصيف فاذا كانت الشمس بين عينيك في الشتاء فقد زالت لا اشكال فيه فصل الظهر فاذا صارت الى حاجبك
الايمن فهذا آخر وقت الظهر في الشتاء وهو اول وقت الظهر في الصيف وهذا التقدير انما هو لاهل اقليم العراق
وخراسان وهم يصلون الى الركن الاسود وتلقاء الباب من وجه الكعبة فاما اقليم المغرب واليمن فان تقديرهم
على ضد ذلك وقبلتهم الى الركن اليماني والى مؤخر الكعبة فلذلك اختلف التقدير وتضاد لاختلاف التوجه
الى شطر البيت وتفاوت الامصار في الاقاليم المستديرين حوله. فهذا كان تقدير المتقدمين وما
سوى ذلك من التدقيق والتحرير فمحدث الا انه علم لاهله ومن اشكل عليه الوقت لجهل بالادلة او لغيم
اعترض فليتحر بقلبه وليجتهد بعلمه ولا يصلي صلاة الا بعد يقين دخول وقتها وان توسط ذلك
فهو افضل حينئذ ولكن قد جاء في الخبر ثلاث من مناقب الايمان الصيام في الصيف واسباغ الوضوء في
الشتاء وتعجيل الصلوة في يوم دجن. ومن امثال العرب يوم الدجن تضرب فيه عبد السوء وهذا لان
الوقت في الغيم كانه يقصر لغيبة الشمس فيغفل الانسان عن مراعاة الاوقات او يتشاغل عنها الى ان

واذا كانت الشمس عن يمينك

الفرائض لا تفعل الا على يقين فاداؤها بعد دخول الوقت على اليقين افضل من ادائها في اول الوقت على
الشك الم تر الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلثين فترك الاحتياط
في الفرائض خاصة وآثر اليقين وانت تعلم ان الاحتياط في اكمال شعبان تسعة وعشرين لاحتمال ان يكون يوم
الثلثين من رمضان ولكن يوم الاحد والثلثين هو اليقين من شهر رمضان فكان صومه على تيقنه افضل من الاحتياط
على الشك على انه اذا صلى على غير يقين وهو شاك فان الصلاة باطلة ومن صلى وهو يرى انه الوقت او توجه
الى القبلة فيما يعلم ثم تبين له بعد ذلك انه صلى قبل الوقت او صلى الى غير القبلة نظر فان كان في الوقت او
بعده قليلا اعاد الصلاة احتياطا وان كان الوقت قد خرج فان لم يعد جاز وهو معفو عن الخطا والاحب الي
ان يعيد تلك الصلاة متى ذكرها م وقال بعض العلماء ان للشمس سبعة ازولة ثلاثة منها لا يعلم بها
البشر الزوال الاول الذي تزول عن قطب الفلك الاعلى لا يشهده ولا يعلمه الا الله تعالى والزوال الثاني تزول
عن وسط الفلك لا يعلمه من خلق الله الا خزان الشمس الموكلون بها الذين يسوقونها على العجلة المركبة
في الفلك ويرمونها بجبال الثلج لينكسر حرها ويخمد شعاعها عن العالمين والزوال الثالث تعلمه ملائكة
الارض ثم ان الزوال الرابع يكون على ثلاثة دقائق وهو ربع شعيرة والشعيرة جزء من اثنا عشر جزءا من ساعة
فهذا الزوال يعرفه الفلاسفة من المنجمين من اهل العلم بمساحة الفلك وتركيب الافلاك فيه وتقدير سير
الشمس في الشتاء والصيف في فلكها منه يقومون ذلك بالنظر في اسطرلاب الطالع على التقويم فاذا زالت الشمس
الزوال الخامس نصف شعيرة وهي ستة دقائق عرف زوالها اهل الحسبان والتقاويم بالاسطرلابات الطالعة
فاذا زالت شعيرة فهو الزوال السادس المشترك وهو جزء من اثنا عشر جزءا من ساعة عرف زوالها علماء
المؤذنين واهل مراعاة الاوقات فاذا زالت ثلاث شعائر فهو الزوال السابع وهو ربع ساعة وعرف الناس
كلهم زوالها وعند هذا الزوال في هذا الوقت صلوة الكافة وهو اوسط الوقت واوسعه وذلك واسع برخصة
الله ورحمته وهذا كله لبعد منصب السماء ولاستواء تقويم صنعتها في الافق الاعلى ولاتقان صنعتها
في الجو المخترق علوا وفي الاقطار المتسعة المستديرة استواء والملاسا م وقد روي في خبر ان النبي
صلى الله عليه وسلم سأل جبريل هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف هذا فقال من قولي لا نعم قطعت في الفلك
خمسين الف فرسخ فكان النبي صلى الله عليه وسلم سأله عن زوالها على علم الله به م وقد قال بعض الفلاسفة
ان السماء تدور كما تدور الرحا فتدير الافلاك بدورانها على القطب ولكن لا يرى ذلك لبعدها وعلوها وتقويم
استدارتها وقد ذكر بعض العلماء من السلف ذكر بعض العارفين عجيب من هذا والطف من قدرة الله
وخفي صنعه ذكر ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة وان الساعة اثنا عشر دقيقة كل دقيقة اثنا عشر

شعيرة كل شعيرة اربعة وعشرون نفسا فتظهر الانفاس من خزائنها بجسم فتنشئ الشعائر فتنتشر
الشعائر فتظهر الدقائق وتظهر الدقائق فتنتج الساعات وتتحرك الساعات فتدور الافلاك وتدور الافلاك
فينتشر الليل والنهار في الجو والاقطار وينتشر الليل والنهار فتدير السماء في الآفاق وينعقد الحسبان
بالتفصيل فاذا خفيت الاحساس انقطعت الانفاس فانفكت الافلاك فعندها تنتثر النجوم وتنفطر السموات
وتخرب هذه الدار وتظهر دار القرار فتبارك الله احسن الخالقين والطف الصانعين واقهر القادرين
وقد قال سبحانه وتعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت وقال اذا السماء انفطرت وقال يوم تمور السماء
مورا يعني تدور دورا فسبحان الحكيم اللطيف ادار تلك الافلاك اللطاف بهذه الانفاس اللطاف كما حجب
الفلك الكثيف بستر الفضاء اللطيف فالفلك العظيم لا يحجب السماء والفضاء الدقيق يحجب الفلك لانه اراد	الرقيق
سبحانه ان يرين السماء واحب ان يخفي عنا الفلك فلم نر الا ما ارانا فالعبد هو سبب ذلك وهو متحرك
لذلك ولا يشعر بذلك فهذا انفاسه وانفاسه ساعاته وساعاته عمره وعمره اجله واجله آخرته وهو في
غفلة بدنياه وفي لعب بما يهواه فان نظرت الى السماء رايتها تنشئ الانفاس وان نظرت الى الانفاس رايتها
تدير الافلاك وان نظرت الى الفوق الفوق العلي الاعلى عميت عما سواه فلا اله الا هو صنع الله الذي
اتقن كل شيء ان ربي لطيف لما يشاء سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية وفي الارض آيات
للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون سيذكر من يخشى ويتجنبها
الاشقى م فاما صلوة المغرب فافضل ما صليت فيه اذا تدلى حاجب الشمس الاعلى وهو غيبها عن الابصار	غيبتها
روي عن عمر انه اخر صلوة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة وروينا ان ابن عمر اخر المغرب حتى
طلع كوكبان فاعتق رقبتين وافضل ما صليت فيه عشاء الآخرة اذا غاب البياض الغربي واظلم مكانه
وهو الشفق الثاني الى ما بعد ذلك فتاخيرها افضل الى ربع الليل ما لم ينم فالنوم قبلها مكروه شديد ووقت
حسن فيه سنة ان تصلي بمقدار غيب القمر ليلة ثلاث من الشهر وهذا يكون بعد سبع ونصف من الليل
لانا روينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي العشاء الآخرة لسقوط القمر ليلة ثلاث وافضل
ما صليت فيه صلوة الصبح اذا طلع الفجر الثاني وهي الصلوة الوسطى التي افرد الله محافظتها لانها تختص
بمعان ثلاثة من التوسط لا توجد في سائر الصلوات منها انها بين الليل والنهار والثاني انها بين صلاتين
من صلاة الليل وصلاتين من صلوة النهار والثالث انها متوسطة من صلاتي جهر وصلاتي مخافتة وايضا
فانها اقصر الصلوات عددا لا ثلاثا ولا اربعا فلما اختصت بتوسط هذه المعاني دون غيرها كانت
هي الوسطى وايضا فان الله نص على ذكر الفجر في قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا قيل في التفسير

تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار فمن زعم هذا ذكرها بوصف آخر ليعرف به توكيد المحافظة فان صح
الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر بطل ما قررناه وثبت
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هو الحق وبه نقول ولا احسب الخبر الا ثابتا كيف وقد جاء تاييده
بمعنى آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال هي التي شغل عنها اخي سليمان حتى توارت بالحجاب.
والسنة ان تقرا في صلوة الصبح بسور من المثاني او بطوال المفصل لانها قصرت تعويضا بطول القيام
فان كان اجمع للمصلين واكثر لعددهم اذا توسط الوقت قبل ان تمحق النجوم فحسن فاما ان يسفروا
حتى ينتشر البياض من تحت الحمرة فذاك هو شعاع الشمس فلا وان كثروا وصلاتها بغلس في القليل
افضل والمحافظة على اوائل الاوقات من كل صلوة من افضل الاعمال الا ما ذكرناه من تاخير صلوة العشاء
الآخرة لا ترتيبه. **روينا** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الصلوة في اول الوقت على الصلوة
في آخر الوقت كفضل الآخرة على الدنيا وفي الخبر ان العبد ليصلي الصلاة في آخر وقتها ولما فاته من اول
وقتها خير له من الدنيا وما فيها والحديث المشهور سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال
الصلوة لميقاتها وقد جاء في الاثر الوقت الاول رضوان الله والوقت الآخر عفو الله قيل فرضوان الله
يكون للمحسنين وعفو الله يكون عن المقصرين والوقت الاول من كل صلوة من عزيمة الدين وطريقة
مقيمي الصلوة المحافظين عليها والوقت الثاني رخصة في الدين وسعة من الله ورحمة للغافلين.

كتاب فضل الصلوات في الايام والليالي. ذكر ما جاء في صلوات النهار من الفضائل

روينا عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين
تمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين تمنعانك مدخل السوء. وروينا عن سعيد مطلب
بن ابي طويل انه سمع انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صلاة الصبح من توضا ثم توجه
الى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها
فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب الله له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة
فان جلس حتى يركع كتب له بكل جلسة الف الف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة
مبرورة. عن عطا بن يسار عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى اربع ركعات بعد
زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى الليل
ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع اربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان ابواب السماء تفتح في
هذه الساعة واحب ان يرفع لي فيها عمل صالح قيل يا رسول الله فيهن سلام فاصل قال لا. وروينا عنه

صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله عبدا صلى اربعا قبل العصر. **ذكر** صلوة يوم الاحد روينا عن سعيد
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب
وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات واعطاه ثواب نبي وكتب له حجة
وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلاة واعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك اذفر وروينا
عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وحدوا الله بكثرة الصلوة في يوم الاحد فانه واحد
فمن صلى يوم الاحد بعد صلوة الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة وقرا في الركعة الاولى فاتحة الكتاب
وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين اخريين قرا فيهما
فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسال الله حاجته كان حقا على الله ان يقضي حاجته ويبريه مما كانت النصارى
عليه. **ذكر** صلوة يوم الاثنين روى ابو الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم
الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله
احد مرة والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات
غفر الله له ذنوبه كلها. ثابت البناني عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ من صلوته قرا اثنتي عشرة
مرة قل هو الله احد واستغفر اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة اين فلان بن فلان ليقم فلياخذ ثوابه من
الله فاول ما يعطى من الثواب الف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة الف ملك
مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على الف قصر من نور يتلالا. **ذكر** صلوة يوم الثلثا روينا
عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلثاء عشر ركعات عند
انتصاف النهار وفي لفظ اخرى عند ارتفاع النهار يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة
وقل هو الله احد ثلاث مرات لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا
وغفر له ذنوب سبعين سنة. **ذكر** صلوة يوم الاربعا ابو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعا اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة
وقل هو الله احد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استانف
العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ودفع الله عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنه شدائد
القيامة ورفع له من يومه عمل نبي. **ذكر** صلوة يوم الخميس روينا عن عكرمة عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرا في كل ركعة

بفاتحة الكتاب مرة ومائة مرة آية الكرسي وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة ومائة مرة قل هو الله احد
ويصلي على النبي مائة مرة اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب
مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله وتوكل عليه الفي حسنات **ذكر** فضل الصلوة في
يوم الجمعة روينا عن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عن ابيه عن جده قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول يوم الجمعة صلوة كله ما من عبد مومن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قيد رمح او اكثر من
ذلك فتوضا ثم اسبغ الوضوء فصلى تسبيحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتي
حسنة ومحي عنه مائتي سيئة ومن صلى اربع ركعات رفع الله له في الجنة اربعمائة درجة ومن صلى ثمان
ركعات رفع الله له في الجنان ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثني عشر ركعة كتب الله له
الفا ومائتي حسنة ومحي عنه الفا ومائتي سيئة ورفع له في الجنة الفا ومائتي درجة • ابو صالح عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الصبح يوم الجمعة في جماعة ثم جلس في المسجد يذكر الله حتى
تطلع الشمس كان له في الفردوس سبعون درجة بعد ما بين الدرجتين حضر الفرس المضمر سبعين سنة ومن
صلى صلوة الجمعة في جماعة كان له في الفردوس خمسون درجة حضر الفرس الجواد خمسين سنة ومن صلى العصر
في جماعة فكانما اعتق ثمانية من ولد اسمعيل كلهم رب بيت ومن صلى المغرب في جماعة فكانما حج حجة مبرورة
وعمرة متقبلة • روينا عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل الجامع يوم
الجمعة فصلى اربع ركعات قبل صلوة الجمعة قرا في كل ركعة الحمد وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت
حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له **ذكر** صلوة يوم السبت روينا عن سعيد عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم السبت اربع ركعات يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب
مرة وقل يا ايها الكافرون ثلاث مرات فاذا فرغ وسلم قرا آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة
وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد
وكان تحت ظل عرشه مع النبيين والشهداء **فصل** صلوة الجماعة ابو وايل عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى اربعين يوما في جماعة لا تفوته التكبيرة الاولى مع الامام كتب
الله براءة من النار وبراءة من النفاق **ذكر** ما جاء في صلوة الليالي وما دخل فيه من الصلاة
بين المغرب والعشاء **ذكر** صلوة ليلة الاحد روينا عن مخارق بن فلفل عن انس بن مالك قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة قرا في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله احد
خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة ثم استغفر الله مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة

وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرا من حوله وقوته والتجا الى حول الله وقوته وقال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان آدم صفوة الله وبديع فطرته وابرهيم خليل الله وموسى كليم الله
وعيسى روح الله ومحمد حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه
الله يوم القيامة من الآمنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين **ذكر** صلوة ليلة الاثنين
روينا عن الاعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات قرا في
الركعة الاولى الحمد وقل هو الله احد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله مرة وقل هو الله احد عشرين مرة وفي الركعة
الثالثة الحمد مرة وقل هو الله احد ثلثين مرة وفي الرابعة الحمد مرة وقل هو الله احد اربعين مرة ثم يتشهد ويسلم
ويقرا قل هو الله احد خمسا وسبعين مرة ويصلي على محمد النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وسبعين مرة ويستغفر لنفسه ولوالديه
خمسا وسبعين مرة ثم يسال الله تعالى حاجته كان حقا على الله ان يعطيه ما سال وهي تسمى صلوة الحاجة
وعن القاسم بن عبد الرحمن عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين ركعتين
يقرا في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد خمس عشرة مرة وقل اعوذ برب الفلق خمس عشرة مرة وقل اعوذ
برب الناس خمس عشرة مرة ويقرا بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي ويستغفر الله خمس عشرة مرة جعل الله
اسمه في اصحاب الجنة وان كان من اصحاب النار وغفر له ذنوب السر وذنوب العلانية وكتب له بكل آية قراها حجة
وعمرة وان مات ما بين الاثنين الى الاثنين مات شهيدا **ذكر** صلوة ليلة الثلثاء في الخبر من صلى ليلة الثلثاء
اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واذا جاء نصر الله خمس مرات بنى الله له بيتا في الجنة
عرضه وطوله سبع الدنيا سبع مرات **ذكر** صلوة ليلة الاربعاء في الخبر من صلى ليلة الاربعاء ركعتين يقرا
في اول ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ
برب الناس عشر مرات نزل من كل سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة **ذكر** صلوة
ليلة الخميس روى ابو صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين
المغرب والعشاء ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد خمس مرات
والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلوته استغفر الله عز وجل خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه
فقد ادى حق والديه عليه وان كان عاقا بهما واعطاه الله ما يعطي الصديقين والشهداء **ذكر** صلوة
ليلة الجمعة ابو جعفر محمد بن علي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء
اثني عشر ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد عشر مرات فكانما عبد الله اثني عشر سنة
صيام نهارها وقيام ليلها روينا عن كثير بن سليمان عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرأ في كل
ركعة الحمد مرة وقل هو الله احد مرة والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه
الى القبلة فكأنما احيى ليلة القدر قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا علي من الصلوة في الليلة
الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة **ذكر** صلوة ليلة السبت عن كثير بن سطر عن انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنى عشرة ركعة بنى الله له قصرا في الجنة
وكأنما تصدق على كل مومن ومومنة وتبرأ من اليهودية وكان حقا على الله ان يغفر له **ذكر** فضل الصلاة
ما بين العشائين وما يختص به ذلك الوقت في كل ليلة • روينا عن سليمان التيمي ان رجلا حدثه قال قلت
لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بصلاة غير المكتوبة قال
ما بين المغرب والعشاء • وروى ابو صخر قال سمعت محمد بن المنكدر يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى
ما بين المغرب والعشاء فانها صلاة الاوابين • وعن عبد الرحمن بن الاسود عن ابيه قال ما اتيت عبد الله بن
مسعود في تلك الساعة الا وجدته يصلي فقلت له في ذلك فقال نعم ساعة الغفلة يعني بين المغرب والعشاء
• وسئل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي شي كان يصنع النبي صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء اذا دخل
بيته قال يصلي • وعن ثابت البناني قال كان انس بن مالك يصلي ما بين المغرب والعشاء ويقول هي ناشئة
الليل • حدثنا عن فضيل بن عياض عن ابان بن ابي عياش قال سالت امراة انس بن مالك فقالت اني ارقد
قبل العشاء فنهاها وقال نزلت هذه الآية فيما بينهما تتجافى جنوبهم عن المضاجع • حدثنا عن احمد بن
ابي الحواري قال قلت لابي سليمان الداراني اصوم النهار واقعد اتعشى بين المغرب والعشاء احب اليك او
افطر النهار واحيي ما بينهما فقال ان جمعتهما فهو افضل قلت فان لم يستو لي قال فافطر بالنهار وصل ما
بين المغرب والعشاء • روينا عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان افضل الصلوات عند الله عز وجل صلوة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاة الليل وختم
بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة لا ادري من ذهب او
فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة او قال اربعين سنة • ابو سلمة عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة
او كانه صلى ليلة القدر • روينا عن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قرآن كان حقا على الله ان
يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا

لوسعهم • عن محمد بن ابي الحجاج انه سمع عبد الكريم بن الحارث يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر اذا تكثر قصورنا يا رسول الله
قال الله اكبر وافضل او قال واطيب • روى ابو عايشة السعدي وابو حفص العوفي عن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشي فيما بين ذلك
من امر الدنيا يقرا في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من اول البقرة وآيتين من وسطها والهكم اله
واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض الى آخر الآية وقل هو الله احد خمس عشرة مرة
ثم يركع ويسجد فاذا هو قام في الركعة الثانية قرا بفاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها الى قوله اصحاب
النار هم فيها خالدون وثلاث آيات من آخر البقرة من قوله لله ما في السموات وما في الارض الى آخرها وقل هو الله
احد خمس عشرة مرة بني له في جنات عدن الف مدينة من الدر والياقوت في كل مدينة الف قصر في كل قصر
الف دار في كل دار الف حجرة في كل حجرة الف صفة في كل صفة منها الف خيمة في كل خيمة الف سرير من اصناف
الجواهر على كل سرير الف فراش بواطنها من استبرق وظواهرها من نور منضدة والف مرفقة من هذا
الطرف من السرير والف مرفقة من الطرف الآخر فوق كل فراش من تلك الفرش زوجة من الحور العين
لو وصف بشي الا زادت عليه جمالا لا يراها ملك مقرب ولا نبي مرسل الا افتتن بحسنها قد ملأت ما
بين طرفي السرير على كل زوجة منهن الف حلة لا تواري حلة حلة ولا تواري الحلل كلها الجلد يرى
بعضها من تحت بعض كما يرى السلك من الياقوتة وكما يرى الشراب الاحمر من الزجاجة البيضاء لكل
زوجة منهن مائة الف وصيف ومائة الف جارية وما ن الف قهرمان على قصورها وضياعها هذا لها خاصة
سوى خدم زوجها في كل خيمة منهن نهر من التسنيم ونهر من الكوثر وعين من الكافور وعين من الزنجبيل
وعين من السلسبيل وغصن من شجرة طوبى وغصن من سدرة المنتهى في كل خيمة الف مائدة من
الدر والياقوت ما دنى ما بين منها مثل استدارة الدنيا مرتين على كل مائدة منها الف صحفة من صحاف
الذهب مكللة بالدر والجواهر في كل صحفة منها مائة الف لون من طعام مختلف طعمه ولونه وريحه
ومذاقه ويعطي الله وليه المومن من القوة ما ياتي على تلك الاطعمة ومثلها من الاشربة وياتي على الاكل
الازواج كلهن في مقدار يوم من ايام الدنيا فسبحان الله الملك الوهاب القادر على ما يشاء • عبد الرحمن
ابن منصور عن سعد بن سعيد عن كرز بن وبرة قال وكان وبرة من الابدال قال قلت للخضر عليه السلم
علمني شيئا اعمله في ليلي فقال اذا صليت المغرب فقم الى الصلوة العشاء الآخرة مصليا من غير ان
تكلم احدا واقبل على صلاتك التي انت فيها وسلم في كل ركعتين واقرا في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة

وقل هو الله احد ثلاثا فاذا فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرأ
بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع
مرات وصل على النبي صلى الله عليه سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك
وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما
يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك فادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت
مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وادم الصلوة عليه حتى يذهب بك النوم
فقلت له احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حين علم هذا الدعاء
واوحي به اليه وكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان من الصلوة
وهذا الدعاء من داوم عليه بحسن يقين وصدق نية راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل ان
يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فراى انه ادخل الجنة فراى فيها الانبياء وراى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه ولهذا فضائل كثيرة اختصرناها للايجاز **ذكر الوتر** وفضل الصلاة
بالليل • روينا عن مبارك بن عوف الاحمسي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان الاكياس الذين
يوترون اول الليل وان الاقوياء يوترون آخر الليل وهو افضل • وقد روي في خبر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سأل ابا بكر متى توتر فقال من اول الليل قبل ان انام وقال لعمر متى توتر فقال من آخر
الليل فقال لابي بكر حذر هذا وقال لعمر قوي هذا • وفي بعض الاخبار انه قال لابي بكر مثلك مثل الذي
قال احرزت نهبي وابتغي النوافل وقال لعمر انك لقوي مكين • روينا عن عثمان رضي الله عنه انه قال
اما انا فاوتر اول الليل فاذا استيقظت صليت ركعة شفعت بها وتري فما شبهتها الا كالغريبة
من الابل ضممتها الى اخواتها ثم اوترت من آخر صلاتي والمشهور عنه من فعله انه كان يحيي الليل
كله بركعة واحدة يختم فيها القرآن وهي وتره • وروينا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال الوتر
على ثلاثة انحاء ان شئت اوترت اول الليل ثم صليت ركعتين وان شئت اوترت بركعة فاذا استيقظت
شفعت اليها اخرى ثم اوترت من آخر الليل وان شئت اخرت الوتر حتى يكون آخر صلاتك • وفي حديث
ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وهذا
احب الوجوه الي • وقال مجاهد قال عبد الله بن عمر من صلى اربعا بعد العشاء كن كعدلهن من ليلة القدر
وقال حصين فذكرت ذلك لابراهيم فقال كان عبد الله بن مسعود يكره ان يتبع كل صلاة بمثلها وكانوا

يصلون العشاء ثم يصلون ركعتين ثم اربعا فمن بدا له ان يوتر اوتر ومن اراد ان ينام نام وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتروا يا اهل القرآن وقالت عائشة من كل الليل قد اوتر رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اوله واوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر
عند الاذان ويصلي الركعتين عند الاقامة وسال رجل عليا عليه السلم عن وقت الوتر فسكت عنه ثم
خرج اليهم عند الاذان عند صلوة الفجر فقال اين السائل عن الوتر هذا وقت وتر حسن وروينا
عن ابي امامة عن عمرو بن عنبسة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اقرب ما يكون العبد
الى الله تعالى في جوف الليل الآخر فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله تعالى في تلك الساعة فكن
وقال ابو ذر قلت يا رسول الله اي الليل اسمع وفي لفظ آخر الصلوة فيه افضل فقال نصف الليل الغابر
يعني الباقي وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلم اي الليل اسمع فقال ان العرش يهتز
من السحر وقد روينا في الخبر ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله فيها خيرا الا اعطاه
وفي خبر آخر يصلي ويدعو الا استجيب له وهي في كل ليلة ويقال ان في الليل وقتا لا بد ان
ينام فيه او يغفل كل ذي عين الا الحي الذي لا يموت فلعله هذه الساعة وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا مضى نصف الليل وفي لفظ آخر اذا بقي ثلث الليل الآخر نزل الجبار الى سماء الدنيا
فقال لا يسال عن عبادي غيري هل من تائب فاتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له هل من داع فاستجيب
له هل من سائل فاعطيه كذلك حتى يطلع الفجر وفي حديث عمرو بن عنبسة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال عليك بصلاة الليل فانها مشهودة محضورة يعني يحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار

كتاب جامع ما يستحب ان يقول العبد اذا استيقظ من نومه وفي يقظته عند الصباح

ليقل اذا استيقظ من منامه بكرة اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة
لله والسلطان لله والقدرة لله والعزة لله عز وجل اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص
ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين الحمد لله الذي احيانا
بعد ما اماتنا واليه النشور اللهم انا نسالك ان تبعثنا في يومنا هذا الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح
فيه سوءا او نجره الى مسلم فانك قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم
فيه ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اسالك
خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله كل نعمة
من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام

دينا

وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير وليقرأ المعوذتين فإذا أمسى
قال مثل ذلك كله إلا أنه يقول أمسينا وأمسى الملك لله أسألك خير هذه الليلة ولا يدع أن يقول
في كل ليلة بسم الله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم أعوذ بكلمات الله
التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها
إن ربي على صراط مستقيم وإن أخّر عند دخوله إلى الخلاء عن وقت السحر كان أفضل كيلا يشغله عن الذكر
وليتصل به الوقت في البر يجعل ذلك في آخر النهار أو من أول الليل فقد فعل ذلك كثير من الصالحين
وهو حسن إلا أن دخول الخلاء عند الصباح أصلح للجسد من جهة الطب وأنظف في الطهارة سيما
لمن يأكل في النهار **ذكر** ما يستحب من القول إذا أخذ العبد مضجعه للنوم فليقل باسمك ربي
وضعت جنبي وباسمك أرفعه اللهم إن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها وإن أرسلتها فاعصمها واحفظها
بما تحفظ به عبادك الصالحين وعلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن عازب أن يقول إذا أخذ
مضجعه اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رهبة ورغبة إليك
لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت ورويناعن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول عند النوم اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك وإنه أمر أن يقال الحمد لله
الذي علا فقهر الحمد لله الذي بطن فخبر الحمد لله الذي ملك فقدر الحمد لله الذي هو يحيي الموتى وهو على كل
شيء قدير وليقل بعد ذلك اللهم إني أسألك الراحة بعد الموت والعفو عند الحساب اللهم إني أعوذ
بك من غضبك وسوء عقابك وشر عبادك وشر الشياطين وشركهم وليقرأ خمسا من أول سورة
البقرة وثلاثا من آخرها وآية الكرسي والآيتين اللتين بعدها وليقرأ قوله تعالى وإلهكم إله واحد لا إله
إلا هو الرحمن الرحيم والآية التي بعدها إلى قوله لقوم يعقلون ويقال من قرأ هذه الآي عند منامه
حفظ عليه القرآن فلم ينسه ولا يدع أن يقرأ آخر بني إسرائيل الآيتين قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن
أيا ما تدعوا وهذه الآية من سورة الأعراف إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض فإنه يدخل في
شعاره ملك يوكل بحفظه ويستغفر له ويستحب قراءة الخمس من أول سورة الحديد والثلاث
من آخر سورة الحشر ولينفث في كفيه بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والمعوذتين ويمسح
بهما وجهه وسائر جسده كذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك كان من قوله
وفعله وليقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآي لقيام الليل وأمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقراءة قل يا أيها الكافرون عند النوم لأنها براءة من الشرك وإخلاص بالتوحيد

وكان علي عليه السلام يقول ما كنت أحسب عبدا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر
سورة البقرة يعني قوله آمن الرسول وليقل اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني بأحب
الأعمال لديك يقربني منك زلفى ويبعدني من سخطك بعدا أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي
وأدعوك فتستجيب لي اللهم لا تنسني ذكرك ولا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا
تجعلني من الغافلين يقال من قال هذه الكلمات عند نومه أهبط الله إليه ثلاثة أملاك يوقظونه للصلاة
فإذا صلى ودعا أمّنوا على دعائه واستجيب له وإن لم يقم صفّت الأملاك أقدامها في الهواء فتعبدوا
وكتب له ثواب عبادتهم ورويناعن مطرف عن الشعبي عن عائشة قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه مقبوض في ليلته تلك
اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والإنجيل والفرقان
فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت
الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر
ثم يسبح ثلاثا وثلاثين مرة ويحمد ثلاثا وثلاثين مرة ويكبر أربعا وثلاثين مرة وإن أحب ربعها خمسا وعشرين مرة وزاد
فيها التهليل فهو يجمع له مائة كلمة وهو أخف عليه للمداومة وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وندب
إليه أدبار الصلوات الخمس وعند النوم فهذا جامع ما يستحب من قراءة الآي والدعاء في النوم **ذكر**
هيئة العبد عند النوم وأهبته للمضجع ومعنى الاعتبار بذلك لذوي الأبصار يستحب للعبد أن ينام
على طهارة سابغة وأن يمسح أعضاءه بالماء مسحا وقد كانوا يستحبون السواك عند النوم وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يفعله وكان بعض السلف يجعل عند رأسه سواكه وطهوره فإذا انتبه من الليل استاك ومسح
أعضاءه بالماء مسحا وكانوا يذكرون الله سبحانه وتعالى بالتلاوة والتسبيح في تقلبهم ويعدّون هذا يعدل
قيام الليل وقد روي هذا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره ورويناعن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه وأنه
كان يستاك في الليلة مرارا عند كل قومة من نومه فليعد العبد طهوره وسواكه عند رأسه وينوي
قيام الليل فأي وقت استيقظ توضأ وصلى أو قعد فقرأ أو دعا وذكر الله سبحانه وتعالى واستغفره أو
تفكر في آلائه وعظمته ومعاني قدرته ففي أي وجه أخذ من هذه المعاني فهو ذاكر وقد استعمل ذلك وقته
قربة إلى الله عز وجل وهو فضل من الله سبحانه وتعالى ورحمة عليه ولا ينبغي للعبد أن يبيت وله شيء يوصي
فيه إلا ووصيته مكتوبة عنده فإنه لا يأمن القبض بالوفاة وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك
في قوله لا ينبغي لأحد أن ينام ليلتين وله شيء يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عنده ويقال إن من مات

عن غير وصية لم يؤذن له في الكلام في البرزخ الى يوم القيمة يتزاورون الموتى ويتحدثون وهو لا يتكلم فيما
بينهم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات عن غير وصية فيكون ذلك حسرة عليه بينهم وموت الفجاءة
تخفيف ومستحب للمؤمن الفقير التواب الذي لا مال له ولا دين عليه فاما المثقل بالدين والمخلط في الدين
ومن له مال او هو مصر على حال فان موت الفجاءة لهؤلاء عقوبة ومكروه ولا ينبغي للعبد ان يبيت الا تائبا
من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم احد ولا يعقد على خطيئة اذا استيقظ وقد
جا في الخبر ان من اوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد ولا يحقد على احد غفر الله له ما اجترم ويستقبل في نومه
القبلة واستقبال القبلة على ضربين ان كان مستلقيا فاستقباله القبلة ان يكون وجهه اليها مع اخمص
قدميه كحال الميت المسجى وان كان نايما على جنبه فاستقباله القبلة ان يكون وجهه اليها مع شقه الايمن
كهيئة الملحد في قبره وليذكر بنومه على هذين الحالين ذينك الحالين عند موته وحين اضطجاعه في قبره فسيصير
اليه عن قريب وقد قال الله سبحانه وتعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا في احد الوجهين وهو مذهب
اهل التفسير اي تكفتهم تجمعهم احياء على ظهرها وامواتا في بطنها وقد جعل الله سبحانه وتعالى النوم من اياته
الدالة عليه لاهل السمع منه وهو سمع اليقين وقرنه بالابتغاء من فضله فقال عز وجل ومن اياته منامكم بالليل
والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون وكان فقرا اهل الصفة وبعض زهاد التابعين
اذا رقدوا لا يجعلون بينهم وبين الارض شيئا كان احدهم يباشر التراب بجلده ويطرح ثوبه فوقه
ويقول منها خلقناكم وفيها نعيدكم كانهم كرهوا الترفع عليها والوقاية منها يجدون ذلك ادق لقلوبهم
وابلغ في تواضعهم ومثل النوم عند اهل الاعتبار مثل البرزخ هو ما بين الدنيا والاخرة كذلك النوم بين
الحياة والموت فاذا انكشف حجاب النوم ظهرت الدنيا للحكمة وكذلك اذا كشف الغطا ظهرت الاخرة بالقدرة
فصارت الدنيا كالاحلام في المنام وقد قال عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم
يبعثكم فيه وكان بعضهم يقول عجبا لمن يعصي الله سبحانه وتعالى ثم ينام بعد ذلك وذكر بعض العلماء
عن الله سبحانه وتعالى ان كنتم تعصوني فاخرجوا من بساطي ولا تناموا في قبضتي وقال لقمان لابنه
يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام فكذلك تموت وان كنت تشك في البعث فاذا
نمت فلا تنتبه فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك فليذكر العبد عند نومه حين موته
وليعلم ان الله سبحانه وتعالى يكون له بعد موته كما كان العبد له قبل نومه فلينظر على اي حال
نام وعلى اي هم يتوفاه المتوفي عليه وليتذكر بانتباهه البعث فان العبد يبعث من قبره على مثل ما مات
عليه في الدنيا فيبعث بهمه ويحشر مع محبوبه كما ينتبه النايم عن همه الى محبوبه الذي نام عنه

وفي الخبر المرء مع من احب وله ما احتسب وروي عنه صلى الله عليه وسلم من مات على مرتبة من المراتب
بعث عليها يوم القيامة وروينا عن كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل
القبلة بوجهك فانها وفاة بيان آخر من الاعتبار لاهل البصيرة والتذكار ثم ليعلم العبد
ان الله عز وجل يكون له بعد بعثه من قبره كما كان العبد له بعد بعثه من نومه فلينظر على اي حال يبعث
فان كان العبد لنظر مولاه مكرما ولحرماته معظما والى مرضاته مسارعا كان الله سبحانه وتعالى لوجهه
في آخرته مكرما ولشانه معظما والى محبوبه ومسرته من النعيم المقيم مسرعا وان كان العبد لحق مولاه
متهاونا ولامره مستحقرا ولشانه مستصغرا كان الله سبحانه وتعالى له مهينا ولشانه متهاونا قال الله سبحانه
وتعالى وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء ثم قال موبخا لهم بذلك
قليلا ما تتذكرون وقال في مثله افنجعل المسلمين كالمجرمين ثم قال ما لكم كيف تحكمون ذاما عايبا لحكمهم
ثم اخبر بحكمه فيهم فقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات ساء ما يحكمون
سوا محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون هذا الذي بتقدير الكلام وهو من المقدم والموخر فرفع حسبانهم
واخبر بسوء حكمهم ثم ذكر حكمهم عنده في المحيا والممات فقال سوا محياهم ومماتهم اي كما كانوا
في الحياة كذلك يكونون بعد الوفاة ثم عقب ذلك بذكر عدله في خليقته فقال وخلق الله السموات والارض
بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون وكان هذا فصلا للخطاب وتذكارا لاولي الالباب
وقال في معناه وامر بتدبر كلامه واخبر بتذكر العقلاء خطابه فقال كتاب انزلناه اليك مبارك
ليدبروا اياته وليتذكر اولو الالباب هل تدبرون فتجدون انا نجعل المفسدين كالمصلحين او
نجعل المتقين كالفاسقين وهو قوله سبحانه وتعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الارض ام نجعل المتقين كالفجار فالتدبر التفهم والتفكر والتذكر التقوى والعمل وروينا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان يعلم منزلته عند الله عز وجل فلينظر كيف منزلة الله تعالى
في قلبه فان الله سبحانه وتعالى ينزل العبد عنده بحيث انزله العبد من نفسه فاذا نام العبد على
طهارة وذكر وعن مثل هذه المشاهدة والفكر فان مضجعه يكون مسجدا وانه يكتب مصليا حتى يستيقظ
ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله عز وجل دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر اذا نام
العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن
البلوغ فتلك المنامات اضغاث احلام لا تصدق فان غلبه النوم حتى يصبح حسب له قيام ليله وكان
نومه عليه صدقة ومن كان هذا وصفه في منامه سبق كثيرا من العباد في قيامهم عن سهو وغفلة

ووردّينا في خبر نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح **ذكر** ما يستحب من القول عند القيام للتهجد

فاذا قام من الليل متهجدا فليقل الحمد لله الذي احياني بعد اذ توفاني واليه المصير وليقرا العشر الاواخر من

سورة ال عمران ويستاك ويتوضا ثم ليقل سبحانك وبحمدك لا اله الا انت استغفرك واسالك التوبة فاغفر لي

وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين

واجعلني صبورا شكورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا ثم يرفع راسه الى السماء فيقول اشهد

ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك

من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك انا عبدك ابن عبدك ناصيتي بيدك

جار في حكمك عدل في قضاؤك هاتان يداي بما كسبتا وهذه نفسي بما اجترحت لا اله الا انت سبحانك اني

كنت من الظالمين عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك انت ربي لا يغفر الذنوب الا انت فلا اله الا

انت يا لا اله الا انت فاذا قام الى الصلوة متوجها فليقل الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا

ثم ليسبح عشرا وليحمد عشرا وليهلل عشرا وليكبر عشرا وليقل الله اكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة

والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد

اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت بهاء السموات والارض ولك الحمد انت زين السموات والارض

ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار

حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت وبك خاصمت واليك

حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت

نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاخلاق والاعمال لا يهدي لاحسنها

الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت اسالك مسالة البائس المسكين وادعوك دعاء

المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسؤلين واكرم المعطين ويستحب

له ان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ولا يستعجل ان ياكل شيا ولا يشرب ما حتى يقضي نهمته من

صلاته فان العبد اذا استيقظ من نومه يكون حاضر القلب فارغ الهم فاذا اكل او شرب تغير قلبه عن

هيئته فليؤخر اكله الا ان يخشى ان يفجاه الفجر ان لم يتسحر او يشرب فليبدا حينئذ بذلك ولا قوة الا

بالله **ذكر** تقسيم قيام الليل ونومه ووصف القائمين والمتهجدين قد قرن الله سبحانه وتعالى قوام الليل

برسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم وجمعهم معه في شكر المعاملة وحسن الجزاء فقال سبحانه وتعالى ان ربك يعلم

انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك وقد اخبر سبحانه ان ناشئة الليل اشد

وطاء للقلب واقوم قيلا للحفظ والذكر اي تواطئ القلب اللسان بالفهم والحفظ وقد سمى الله سبحانه وتعالى

اهل الليل علماء وجعلهم اهل الخوف والرجا واخفى لهم قرة العين من الجزاء فقال امن هو قانت اناء الليل

ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه ثم قال قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهذا من

المحذوف ضده لدلالة الكلام عليه والمعنى امن هو عالم قانت مطيع هل يستوي مع من هو غافل نائم ليله اجمع

فهو غير عالم بما يحذر ويرجو من ربه سبحانه وقال عز وجل في وصفهم في الدنيا ووصف ما اعد لهم في الاخرى

والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا اي تنبو عن

الفرش فلا تطمئن لما فيها من خوف الوعيد ورجا الموعود ثم قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء

بما كانوا يعملون قيل كان عملهم قيام الليل وقيل بل كانوا اهل خوف ورجاء وهذان من اعمال القلوب عن مشاهدة

الغيوب فلما اخفوا له بالاخلاص اعمال السرائر اخفى لهم من الجزا انفس الذخاير ولا تفرا اعين هولاء المحبين

الا بوجهه كما لم يعملوا الا لوجهه وقال بعض العلماء في قوله سبحانه وتعالى واستعينوا بالصبر والصلاة

قال هي صلوة الليل استعينوا بها على مجاهدة النفس ومصابرة العدو ثم قال وانها لكبيرة الا على الخاشعين

يعني الخائفين المتواضعين لا تثقل عليهم ولا يخفو بل تخف وتحلو وفي الخبر قيل يا رسول الله ان فلانا يصلي

من الليل فاذا اصبح سرق فقال سينهاه ما يقول وقال صلى الله عليه وسلم نعم الرجل عبد الله بن عمر لو كان

يصلي من الليل قال فما فاته بعد ذلك ليلة حتى يقوم منها وفي الخبر عليكم بقيام الليل فانه مرضاة لربكم

ومكفرة لسيئاتكم وهو داب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاثم وملغاة للوزر ومذهبة لكيد

الشيطان ومطردة للداء عن الجسد وقد جعل الله سبحانه وتعالى قيام الليل من اوصاف الصالحين

بقوله يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون الى قوله واولئك من الصالحين فيستحب ان يقوم من

الليل ثلثه واقل ذلك من القيام سدسه لانا روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم ليلة قط حتى اصبح

بل كان ينام منها ولم ينم ليلة حتى اصبح بل كان يقوم منها ويقال ان صلاة اول الليل للمتهجدين وقيام

مطلب اوسط للقانتين وقيام آخره للمصلين والقيام من الفجر للغافلين وحدثنا عن عبد الله بن عمر رضي

الله عنهما قال حدثنا يوسف بن مهران قال بلغني ان تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصيصيته

من زبرجد اخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف

الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال

ليقم المصلون فاذا طلع الصبح ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم وقال

بعض العلماء اهل الليل ثلثة اصناف قوم قطعهم الليل فهولاء المريدون ذوو الاوراد والاجرا كابدوا

الليل فغلبهم وقوم قطعوا الليل فهؤلاء العاملون الذين صبروا وصابروا الليل فغلبوه وقوم قطع بهم
الليل فهؤلاء المحجوبون العلماء اهل الفكر والحدثه واهل الانس والمجالسة واهل الذكر والمناجاة واهل
التملق والملاقاة بعض عليهم الليل حالهم وقصر النعيم عليهم ليلهم ورفع الحبيب عنهم نومهم وخفف الفهم
عليهم قيامهم واذهب مزيد الوصل عنهم مللهم وواصل العتاب به سهرهم وقيل لبعض اهل الليل كيف انت تهم
والليل فقال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته وقال اخر انا والليل فرسا رهان مرة
يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك قال ساعة انا فيها بين حالين افرح
بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط ولا اشتفيت منه قط وقيل لبعض المحبين
كيف الليل عليك فقال والله ما ادري كيف انا فيه الا انى بين نظره ووقفه تقبل بظلامه فاتدرعه ثم يسفر
قبل ان اتلبسه وقال الشيخ محمد بن محمد لبعضهم شعر زارني طيفك حتى اذا اراد ان يمضي تعلقت به
فليت ليلي لم يزل سرمدا والصبح لم انظر الى كوكبه نظم لم استتم عناقه لقدومه حتى بدا تسليمه لوداع
وشكا بعض المهديين الى استاذه طول سهره بالليل وان السهر قد اضر به قال فاخبرني بشي اجتلب به
النوم فقال له استاذه يا بني ان لله سبحانه وتعالى نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة
وتخطي القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات ففيها الخير فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل
ولا بالنهار وتذاكر قوم قصر الليل عليهم فقال بعضهم اما انا فان الليل يزورني قايما ثم ينصرف
قبل ان يجلس وقال علي بن بكار رحمه الله منذ اربعين سنة ما احزنني شي الا طلوع الفجر وقال الفضيل
ابن عياض اذا غربت الشمس فرحت بدخول الظلام لخلوتي فيه بربي فاذا طلع الفجر حزنت له لدخول الناس
علي وقال ابو سليمان الداراني اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء
في الدنيا وقال ايضا لو عوض الله سبحانه وتعالى على اهل الليل ثواب اعمالهم لكان ما يجدونه في قلوبهم من اللذة
اكثر من اعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل
التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم قيام الليل والتملق للحبيب والمناجاة للقريب
في الدنيا ليس من الدنيا بل هو من الجنة اظهر لاهل الله تعالى في الدنيا روحا لقلوبهم لا يعرفه الا هم ولا
يجده سواهم وقال عتبة الغلام كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال يوسف
ابن اسباط قيام ليلة اسهل علي من عمل قفة وكان يعمل كل يوم عشر قفاف وقال غيره ما اعجب
امر الليل ان اضطربت تحته غلبك وان ثبت له لم يقف وبكى عامر بن عبد الله حين حضرته الوفاة فقيل
له في ذلك فقال والله ما ابكي حبا للبقاء ولكن ذكرت ظمأ الهواجر في الصيف وقيام ليل الشتاء

وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا الا ثلاث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلوة في جماعة وقال
بعض العارفين ان الله سبحانه وتعالى ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملاها انوارا فترد الفوائد
على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء ان الله سبحانه
وتعالى ينظر الى الجنان عند السحر نظرة فتشرق وتضي وتهتز وتربو وتزداد جمالا وحسنا وطيبا
الف الف ضعف في جميع معانيها ثم تقول قد افلح المومنون فيقول الله سبحانه وتعالى هنيئا لك منازل الملوك
وعزتي لا يسكنك جبار ولا بخيل ولا متكبر ولا فخور وينظر الى العرش نظرة فيتسع الف الف سعة يزداد
بكل سعة الف الف عالم بالله كل عالم بالله لا يعلم وسعه الا الله سبحانه وتعالى ثم يهتز فيثقل على الحملة
حتى يموج بعضهم في بعض ويحطم بعضهم بعضا وهم بعدد جميع ما خلق الله تعالى اضعافا فذلك فيقول
العرش سبحانك اين ما كنت واين ما تكون فتنادي حملة العرش سبحان من لا يعلم اين هو الا هو سبحان من
لا يعلم ما هو الا هو وروينا عن بعض العلماء من القدماء ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى بعض الصديقين
ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي
وانظر اليهم فان حذوت طريقتهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب ما علامتهم قال يراعون الظلال
بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها عند الغروب
فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي
اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك
وبين قايم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشكون من حبي اول ما اعطيهم
اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والارض وما فيهما
في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه
وقال مالك بن دينار اذا قام العبد يتهجد من الليل ورتل القرآن كما امر قرب الجبار سبحانه وتعالى منه
قال وكانوا يرون ان ما يجدون من الرقة في قلوبهم والحلاوة وتلك الفتوح والانوار من قرب الرب عز وجل
من القلب في الاخبار عن الجبار سبحانه وتعالى اي عبدي انا الله الذي اقتربت لقلبك وبالغيب رايت نوري
وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله سبحانه وتعالى لشي اذنه لحسن الصوت بالقرآن
يعني ما استمع لشي استماعه اليه وفي الحديث الاخر لله اشد اذنا الى القاري القرآن من صاحب القينة
الى قينته واهل الهوى في غفلة عما اهل الاخرة فيه وفي عمى عما يبصره هولاء الحاضرون وكاين
من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون بل قلوبهم في غمرة من هذا ونطبع على قلوبهم

فهم لا يسمعون ويقال إن وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة كانت له مسورة
من أدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع إلى القيام وكان يقول لأن أرى في
بيتي شيطانا أحب إلي من أن أرى فيه وسادة يعني أنها تدعو إلى النوم وقال رقبة بن مصقلة
رأيت رب العرش سبحانه وتعالى في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لأكرمن مثوى سليمان التيمي فإنه
صلى لي الغداة بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة ويقال إنه كان مذهبه أن النوم إذا خامر القلب وجب
الوضوء **ذكر** من روي عنه أنه أحيى الليل كله ومن اشتهر بإحياء الليل كله وصلوة الغداة بوضوء
العشاء الآخرة أربعين سنة وثلاثين سنة حتى نقل عنه ذلك أربعون من التابعين منهم سعيد بن المسيب وصفوان
بن سليم المدنيان رحمهما الله وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان رحمهما الله وطاوس ووهب
بن منبه اليمانيان رحمهما الله والربيع بن خثيم والحكم بن عتيبة الكوفيان رحمهما الله وأبو سليمان الداراني
وعلي بن بكار الشاميان رحمهما الله وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العبادانيان رحمهما الله وحبيب أبو محمد
وأبو جابر السلماني الفارسيان رحمهما الله ومالك بن دينار رحمه الله وسليمان التيمي رحمه الله ويزيد الرقاشي
رحمه الله وحبيب بن أبي ثابت ويحيى البكاء البصريون رحمهم الله وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة
وما لم يفهم رجع وقرأه مرة أخرى رحمه الله وأيضا من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم
هؤلاء المشهورون منهم رحمهم الله فإن أحب المريد نام ثلث الليل الأول وقام نصفه ونام سدسه الآخر
وإن أراد نام نصف الليل وقام ثلثه ونام سدسه بعد ذلك فقد روي أن هذا من أفضل القيام وأنه كان
قيام نبي الله داود صلى الله عليه وسلم جاء ذلك في روايتين وإن أحب العبد قدم القيام فيهما وأخر وتره
إلى السحر فإن قام نصف الليل قسم النوم في أول الليل وآخره وإن قام ثلث الآخر إن أراد نام نصف الليل وقام
ثلثه ونام سدسه الآخر وإن اختار أن يقوم من أول الليل حتى يغلبه النوم ثم ينام ثم يقوم متى استيقظ
ثم ينام متى غلبه النوم ثم يقوم آخر الليل فيكون له في الليل نومتان وقومتان فهذا من مكابدة الليل وهو من
أشد الأعمال وهو طريقة أهل الحضور واليقظة وأهل الأفكار والتذكرة وقد كان هذا من أخلاق
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنس بن مالك ما كنت تريد أن ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما إلا رأيته
ولا كنت تريد أن تراه قائما إلا رأيته وكان هذا مذهب ابن عمر رضي الله عنه وأولي العزم من الصحابة
في قيام الليل وفعله جماعة من التابعين وقد رأينا من كان له في الليل قومات ونومات في تضاعيف ذلك
فأما أن يكون المنام والقيام موزونا عدلا فليس ذلك إلا لنبي دائم اليقظة يوحى من الله عز وجل
ولا يسلك هذا الطريق إلا بأسباب هي زاده لأن كل طريق يقطع بزاد مثله فمن أراده احتقب زاده

بأسباب أحوالهم يلزم القلب وحزن يسكن فيه ويقظة دائمة يحيى بها القلب وفكر في الملكوت
متصل وخلو المعدة من الطعام وقلة شرب الماء وأن يقيل بالنهار ولا يكثر تعب جوارحه في أمر الدنيا
فهذه رياضة المريد لأن يألف القيام فيستوطن فيتجافى جنبه لما قد استكن في قلبه من الخوف والرجا
مطلب وروي عن الله سبحانه وتعالى إن عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك ففي هذا
حث على القيام قبل السحر ونوم آخر الليل يستحب لمعنيين أحدهما أنه يذهب النعاس بالغدوات وقد
كانوا يكرهون النعاس بالغداة ويأمرون الناعس بعد صلوة الصبح بالنوم والمعنى الثاني أنه يقل صفرة
الوجه فلو قام العبد أكثر الليل ونام سحرا ذهب بالغداة نعاسه وقلت صفرة وجهه ولو نام أكثر الليل
وسهر من السحر غلب عليه النعاس بالغداة وصفرة الوجه فليتق العبد ذلك فإنه باب غامض من الشهوة
الخفية وليقل شرب الماء بالليل فقد تكون منه الصفرة لا سيما في آخر الليل وبعد الانتباه من النوم
وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة من أهله
دنا منهن وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة وقالت أيضا ما ألفيته السحر الأعلى إلا
نائما تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الخبر الآخر كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل اضطجع
على شقه الأيمن حتى يأتيه بلال فيخرج معه إلى الصلاة وقد كان السلف يستحبون هذه الضجعة بعد
الوتر وقبل صلوة الصبح حتى قال بعضهم هي سنة منهم أبو هريرة ومروان رضي الله عنهما والنوم من آخر الليل
وفي الثلث الآخر مزيد لأهل المشاهدة والحضور لأنه كشف لهم عن الملكوت واستماع العلوم من الجبروت
وهو راحة وسكون للعمال وأهل المجاهدة ولذلك حظرت الصلاة بعد طلوع الفجر وبعد صلوة العصر ليستريح
عمال الله وأهل أوراد الليل والنهار فيهما والنوم من آخر الليل نقصان لأهل السهو والغفلة من حيث كان
مزيدا لأهل الشهود واليقظة لأنه آخر خدمة الأملاك ففيه راحتهم وهو تطاول النوم والغفلة لهؤلاء فهو
نقصهم وليفصل العبد في تضاعيف صلوة الليل جلوسا يسبح فيه مائة تسبيحة فذلك ترويح له وعون
على الصلوة وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى ومن الليل فسبحه وأدبار السجود أي أعقاب الصلاة في
أحد الوجهين على قراءة من نصب وإن أراد المريد أحيى الوردين اللذين من أول الليل أحدهما بين العشاءين
والثاني قبل نومة الناس فإن إحياء هذين الوردين عند بعض العلماء أفضل من صوم يوم ثم ليقم الورد
الرابع وهو ما بين الفجرين وهو أول ثلث الليل الآخر والورد الخامس وهو السحر الأعلى قبل طلوع الفجر
الثاني وهو يصلح للقراءة والاستغفار وإن كان العبد لم يعتد القيام في جوف الليل وفي خبر أبو موسى
ومعاذ لما التقيا قال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل فقال أقومه أجمع لا أنام منه شيئا

وانفوق القرآن فيه تفوقا فقال معاذ لكني انام ثم اقوم واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي فذكروا
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لابي موسى معاذ افقه منك وقد كان بعضهم لا ينام حتى تغلبه
النوم وكان بعض السلف يقول هي اول نومة فان انتبهت ثم عدت الى نومة اخرى فلا انام الله عيني
وسئل فران الشامي عن وصف الابدال وكانوا يظهرون له فقال اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم
ضرورة وصمتهم حكمة وعلمهم قدرة وقيل لآخر صف لنا الخائفين فقال اكلهم اكل المرضى ونومهم نوم
الغرقى ولا يدع العبد ان يقوم مقدار خمس الليل او سدسه وهو ورد من اوراد الليل او وردان على
اختلافهما في الطول والقصر متفرقا كان قيامه او متصلا واي ورد احياه من الليل باي نوع من الاذكار
فقد دخل في اهل الليل وله معهم نصيب ومن احيى اكثر ليلة او نصفها كتب الله عز وجل له احياء جميعها
وتصدق عليه بما بقي منها ومن صلى في ليلة عشرين ركعة او ثمانيا بعد ما ينام حسب له كانه احياها بفضل الله
ورحمته وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم ليلة نصف الليل وليلة ثلثه وليلة ثلثيه وذلك مذكور
في اول الايتين من قيام الليل في سورة المزمل وقد كان صلى الله عليه وسلم يقوم ليلة نصف الليل ونصف
سدسه معه ويقوم ليلة ربعه فقط ويقوم ليلة سدسه فحسب وذلك مذكور في اخرى الايتين من قيا م
الليل وهذا على قراءة من كسر ونصفه وثلثه فاما من نصب فقال ونصفه وثلثه فانه يعني يقوم النصف
مع نصف السدس والنصف وحده والثلث وحده وهو الذي ذكرناه من الاية الاولى وقد جا في التفسير
نحو هذا وهو صلى الله عليه وسلم مفترض عليه صلاة الليل فالاية الاولى امره سبحانه وتعالى بقيام الليل
فيها والاخرى اخبر عنه بقيامه كيف هو فالاجود ان يكون ما اخبر عنه مواطئا لما امر به والذي امر به
ان قال سبحانه وتعالى قم الليل ثم استثنى القليل منه فقال الا قليلا ثم فسر امره فقال نصفه او انقص
منه قليلا يعني والله اعلم انقص نصف السدس او ثلث النصف هذا ان اقل اسماء النقصان عند العرب
ثم قال او زد عليه يعني زد على النصف كانه قال زد عليه نصف سدس الليل لانه اخبر عنه في الاية
الاخرى باقل من الثلثين فقال ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل يكون هذا نصفا ونصف سدس
وهو اقل التسمية عندهم ثم قال ونصفه اي ويعلم انك تقوم نصفه ايضا وثلثه اي وتقوم ثلثه فهذا الاخبار
اشبه بوطا الامر في قراءة من كسر فقال ونصفه وثلثه يريد وتقوم ادنى من نصفه وهو الربع او الثلث
وادنى من ثلثه وهو السدس او نصف السدس وقد قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقوم من الليل اذا سمع الصارخ تعني الديك فهذا يكون من السحر فقط فكانه سدس الليل او نصف
سدسه ففيه رخصة وسعة لقوام الليل وقلنا هذا تقريبا لا تحديدا والله اعلم والنصب اختيارنا

في القراءة على معنى كثرة القيام والمواطاة الخبر عنه للامر وقد جا في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة
وهذا قد يكون اربع ركعات وقد يكون ركعتين وقال ابو سليمان من احسن في نهاره كوفي في ليله ومن احسن
في ليله كوفي في نهاره وكان يقول اهل الليل على ثلاث طبقات منهم من اذا قرا فتفكر بكا ومنهم من اذا
تفكر صاح وراحته في صياحه ومنهم من اذا قرا فتفكر بهت فلم يبك ولم يصح قلت له من اي شي صاح
هذا ومن اي شي بهت هذا فقال لا اقوى على التفسير وقال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافى
واحب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك يا ابن اخي وكان الحسن رضي الله عنه اذا
دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم قال اظن ليل هولا ليل سوء ما يقيلون وقال بعض السلف كيف ينجو
التاجر من سوء الحساب وهو يلغو بالنهار وينام بالليل وقال الثوري رضي الله عنه حرمت قيام الليل خمسة
اشهر بذنب اذنبته قيل له وما هو قال رايت رجلا بكا فقلت في نفسي هذا مراي وقال بعضهم دخلت على
كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت ما بالك اتاك نعي بعض اهلك فقال اشد قلت وجع يوجعك قال اشد قلت فما ذاك
قال بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرا حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب احدثته وقال ابو سليمان الداراني
رحمه الله لا يفوت احد صلوة في جماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد فانه
بعد من الصلاة والتلاوة اذ في ذلك قرب ومن هذا قوله تعالى فبصرت به عن جنب وكان الحسن رضي الله عنه
يقول ان العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وصيام النهار وقال بعض العلماء اذا صمت يا مسكين
فانظر عند من تفطر وعلى اي شي تفطر فان العبد ليأكل الاكلة فينقلب قلبه عما كان عليه فلا يعود
الى حالته الاولى وقال آخر كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة حرمت قراءة سورة وان العبد ليأكل
الاكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة فبحسن التفقد يعرف المزيد من النقصان وبقلة الذنوب
يوفق على التفقد وقال الفضيل بن عياض رحمه الله لو رزقت من فهم القرآن وقيام الليل في اول امري
ما رزقت الان ما كتبت حديثا قط ولا اشتغلت بغير القرآن ويقال ان طول القيام راحات القيامة
وان صلاة الليل كفارات الكباير وقيل جبران لما انقص من الفرائض من صلوة النهار وقد كانوا يستحبون
في صلاة النهار كثرة الركوع والسجود وفي صلوة الليل طول القيام واعلم ان صلاة الليل نافلة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لانه كان متمما لفرائضه عليه السلم وصلوة الليل تكملة لنقص فرايضنا وفي الخبر اذا نام العبد
عقد الشيطان على قافية راسه ثلاث عقد فان قعد وذكر الله انحلت عقدة فان توضا انحلت
عقدتان فان صلى ركعتين انحلت العقد كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح كسلان خبيث
النفس وفي خبر ان من نام حتى يصبح بال الشيطان في اذنه وقد روينا في الخبر الاخر ان للشيطان

سقوطا ولعوقا ودورا فاذا سقط العبد نسي خلقه واذا العقه ذرب لسانه بالشر واذا ادره نام
الليل حتى يصبح ويستعان على قيام الليل بثلاث اكل الحلال والاستعانة على النوبة وغير خوف الوعيد
او شوق رجاء الموعود والذي يحرم العبد به قيام الليل ويعاقب معه لطول الغفلة بثلاث اكل الشبهات
او الاصرار على الذنب وغلبة هم الدنيا على القلب **ذكر** ورد العبد من التسبيح والذكر في اليوم والليلة
وما يستحب ان يكون شعاره ليكن للعبد في كل يوم وليلة ورد من التسبيح واقل ذلك سبعمائة مرة من
انواع الاذكار التي وردت بها الاخبار فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت
وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير مائة مرة فان قال ذلك مائتي مرة لم يعمل احد في يومه افضل
من عمله بأثر فيه وخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
وتبارك الله مائة مرة وليقل سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة وليقل لا اله الا الله الملك الحق المبين
مائة مرة وليقل اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الامي مائة مرة وليقل استغفر الله الحي القيوم واسأله
التوبة مائة مرة وليقل ما شاء الله لا قوة الا بالله مائة مرة تقول هذا في كل يوم وفي كل ليلة فان رزق
مزيدا عليه فهو فضل والا كان هذا معلومه وقد كان في الصحابة من ورده في كل يوم اثنا عشر الف
تسبيحة وكان في التابعين من ورده من التسبيح ثلثون الفا وحدثونا عن ابرهيم بن ادهم عن بعض الابدال
انه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير احدا فقال من انت اسمع صوتك
ولا ارى شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله بهذا التسبيح منذ خلقت قلت
ما اسمك قال مهلهيائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة
او يرى له وهو هذا التسبيح سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الاركان سبحان من يذهب بالليل
ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله في كل مكان وان
كان للعبد من الصلوة اوراد معلومة فحسن قد فعل ذلك كان من التابعين من ورده في كل يوم ثلثمائة
ركعة واربعمائة ركعة وكان فيهم من ورده ستمائة ركعة الى الف ركعة واقلهم من نقل عنه من الاوراد
مائة ركعة في اليوم وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين
اسبوعا قال فحسبنا ذلك فكان عشر فراسخ فلهذه الاسابيع مائتان وثمانون ركعة قال وكان مع ذلك
يختم القران في اليوم والليلة مرتين وقال هشام بن عروة كان ابي يواظب على ورده من التسبيح
كما يواظب على جزوه من القران وروي عنه ايضا كان يواظب على جزوه من الدعاء كما يواظب على جزوه من القران
ولا يدع العبد ان يسبح في ادبار الصلوات الخمس دبر كل صلوة مكتوبة مائة تسبيحة وكذلك عند النوم

وليواظب على ان يقول اذا اصبح واذا امسى ما جاء في تفسير قوله عز وجل له مقاليد السموات والارض فان
لذلك ثوابا عظيما روينا عن عثمان رضي الله عنه انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير هذه الاية له
مقاليد السموات والارض فقال لقد سالتني عن شيء ما سالني عنه احد قبلك هو لا اله الا الله والله اكبر
وسبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واستغفر الله الاول والاخر والظاهر والباطن
له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير من قالها عشرا حين يصبح وحين يمسي اعطي بها ست خصال
اول خصلة يحرس من ابليس وجنوده والثانية يعطى قنطارا من الاجر والثالثة ترفع له درجة في الجنة والرابعة
يزوجه الله سبحانه وتعالى من الحور العين والخامسة يحضرها اثنا عشر ملكا والسادسة يكون له من الاجر كمن
حج واعتمر وقد روينا في تفسيرها قول آخر من رواية اخرى واتصل به ذكر كنوز اهل الجنة ما هي فان ضم اليه
هذا فقد جمع الروايتين واستوعب الفضيلتين رواه عبد الرحمن بن ابي ليلى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه
سال النبي صلى الله عليه وسلم عن مسائل فاجابه عنها فقال اما مقاليد السموات والارض فان يقول العبد
لا اله الا الله محمد رسول الله واما كنوز اهل الجنة فان يقول سبحان من في السماء عرشه سبحان من في الارض
موضع اثره سبحان من في البحر سبيله سبحان من في الجنة رحمته سبحان من في النار عقابه سبحان من سبقت
رحمته غضبه سبحان من لا ملجأ ولا مهرب منه الا اليه يا عثمان من قالها في كل يوم عشر مرات كتب له بها ست
خصال تنجيه من ابليس وجنوده وان مات مات شهيدا ويبنى له قصر في الجنة وكانما قرا التوراة والانجيل
والزبور والفرقان وكانما اشترى ثمانية من ولد اسمعيل واعتقهم ولا يدع قراة هذه الايات الست عند كل
صلاة يصليها فريضة او تطوع ففي ذلك ثواب عظيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى اخر السورة وقوله
سبحانه وتعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون وليستغفر للمومنين والمومنات
في كل يوم خمسين مرة خمسا وعشرين اذا اصبح وخمسا وعشرين اذا امسى فانه يكتب من الابدال لاثر رويناه في
ذلك ولفظ الاستغفار الذي جاء به الخبر ان يقول اللهم اغفر للمومنين والمومنات والمسلمين والمسلمات حيهم
وميتهم شاهدهم وغائبهم قريبهم وبعيدهم انك تعلم منقلبهم ومثواهم وليقل هذا الاستغفار في
تشهده ايضا فقد جاء في ذلك اثر وليقل في كل يوم عشر مرات اللهم اصلح امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم فرج
عن امة محمد يقال من قاله في كل يوم كتب له ثواب بدل من الابدال وليقل اذا اصبح ثلاثا واذا امسى ثلاثا اللهم
انت خلقتني وانت هديتني وانت تطعمني وانت تسقيني وانت تميتني وانت تحييني انت ربي لا رب لي سواك
لا اله الا انت وحدك لا شريك لك فان في ذلك شكر نعمة يومه ولا يدع ان يقول كلما استيقظ من نومه
وكلما اراد المنام بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله

ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ففي هذا عصمة من الله وحرز له من الشيطان وقد جاء في الخبر من قالهن مائة
مرة يوم عرفة قبل غروب الشمس ناداه الله سبحانه وتعالى من فوق عرشه قد ارضيتني وعلي رضاك سلني ما شئت
اعطك ولا يدع ان يقول كل غداة وكل عشية فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم سبع مرات وكذلك يسال الله عز وجل الجنة ويستعيذ به من النار سبعا وكلما سمع الاذان قال كما
يقول المؤذن فاذا فرغ فليقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا اللهم رب هذه
الدعوة التامة والكلمة الصادقة والصلاة القائمة صل على محمد وعلى آله واعطه الوسيلة والفضيلة وابعثه
المقام المحمود الذي وعدته واذا كان الاذان لصلاة الصبح او صلاة المغرب زاد في ذلك اللهم هذا ادبار ليلك
واقبال نهارك واصوات دعاتك وحضور صلواتك وشهود ملائكتك صل على محمد وآله ثم ليدع بما احب فاذا كان
بين الاذان والاقامة اغتنم الدعاء والصلاة فانه مستجاب ولتكن هذه الكلمات مجيراه وشعاره في الاوقات
فانها من دعاء الابدال فيما بينهم وشعارهم في اوقاتهم ما شاء الله لا قوة الا بالله العفو العفو الغفور يا سلام يا سلام
سلم يا رب يا رب يا ذا الجلال والاكرام افتح بخير واختم بخير لا اله الا الله الحي القيوم سبحان ربنا ان كان
وعد ربنا لمفعولا يا الله يا الله يا عزيز يا عزيز يا قريب يا قريب يا حليم يا ستار يا كريم يا غفار يا واسع
المغفرة اغفر لي عافنا واعف عنا نسالك العفو والعافية يا غياث المستغيثين وفي جميع ما ذكرناه فضائل
وردت بها الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين لهم باحسان طوينا نشر ذلك اذ لم يكن قصدنا
ذكر فضائل الاعمال وانما اردنا شرح اوراد العمال ولا يدع السواك كلما استيقظ من نومه بالنهار والليل
فقد قيل انه من خير خصال الصائم الا بعد الزوال فقد كره للصائم وفي الخبر طيبوا طرق القرآن في
افواهكم بالسواك وفي الحديث السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ويقال ان الصلاة بعد السواك تفضل
على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا واوكد ما استعمل فيه السواك اربعة اوقات قبل الزوال للصائم ويوم
الجمعة مع الغسل لها وفي قيام الليل وبالغداة عند الاستيقاظ من النوم وقد كانوا يستحبون للعبد
ان لا ياتي عليه يوم ولا ليلة الا تصدق فيه بصدقة وان قلت مثل لقمة او تمرة حتى كان بعضهم يتصدق
ببصلة وبخيط لانه جاء في الاثر كل امرئ يوم القيامة في ظل صدقته والله سبحانه وتعالى يشكر القليل
الدائم ويهب الجزيل من الكثير المنقطع الم تر كيف ذم من اعطى وقطع في قوله سبحانه وتعالى واعطى قليلا
واكدى اي قطع ومدح فواكه الجنة بعيب بذلك فواكه الدنيا في تدبر الخطاب فقال وفاكهة كثيرة
لا مقطوعة ولا ممنوعة لئلا تزهدوا في فواكه الدنيا فانها مقطوعة ممنوعة رغبة في هذه الدائمة
وكان من اخلاق السلف ان لا يردوا سائلا الا بشيء وان قل لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار

ولو بشق تمرة ولقوله عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرس مطوق بفضة ولقوله صلى الله عليه وسلم لا تردوا
السائل ولو بظلف محترق ودفعت عائشة رضي الله عنها الى سائل عنبة واحدة قال فنظر بعضنا الى بعض
فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثير وقد كان من اخلاقهم ان لا يسال احد شيئا او يراد بامر مباح
فيقول لا لكراهتهم الخلاف ومحبتهم الائتلاف وكان ذلك من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سئل
شيئا قط فقال لا فان لم يقدر عليه سكت وقد كانوا يجتمعون على الامر الواحد بقلب واحد ولا يستبد
بعضهم بامر دون بعض ولا يستاثر احدهم بشيء دون اخيه وبذلك وصفهم الله سبحانه وتعالى في قوله عز وجل
وامرهم شورى بينهم اي امورهم مشاعة فيما بينهم غير مقسومة هم فيها سواء ويستحب للعبد ان يجمع
في يوم بين هذه الاعمال الاربعة صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة وقد كان هذا طريق
للمهتدين يسارعون اليه وفي الخبر من جمع بين هذه الاربع في يوم غفر الله له وفي بعضها دخل الجنة فان اتفق
له منها ثلاثة او اثنان واعجزه ما بقي حسب له تمامها لحسن نيته ولا يدع حضور صلاة الجماعة لا سيما
اذا سمع التاذين وكان في جوار المسجد وحد الجوار ان يكون بينه وبين المسجد ثلاث دور واولى المساجد
ان يصلي فيه اقربها اليه الا ان يكون له نية في الابعد لكثرة الخطى او لفضل امام فيه فالصلاة خلف
مطلب العالم الفاضل افضل او يريد ان يعمر بيتا من بيوت الله عز وجل بالصلاة فيه وان بعد وقال سعيد بن المسيب
من صلى الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وليتوضأ لكل صلاة قبل دخول وقتها فانه من المحافظة
عليها ومن حسن اقامتها وقال ابو الدرداء وحلف بالله عز وجل قال وما سمعته حلف بالله قط قال
من احب الاعمال الى الله عز وجل ثلاث امر بصدقة وخطوة الى الصلاة جماعة واصلاح بين الناس
ويستحب له كلما دخل منزله ان يصلي ركعتين وكلما خرج منه صلى ركعتين وقد كان السلف لا يخرجون
من منازلهم حتى يتوضؤوا ويستحب له كلما احدث ان يتوضأ وكلما توضأ ان يصلي ركعتين فان ذلك
من عمل الابرار وهو لمن مات على هذا العمل شهادة واذا خرج من منزله قال بسم الله ما شاء الله حسبي الله
توكلت على الله لا قوة الا بالله اللهم اليك خرجت وانت اخرجتني اللهم سلمني وسلم مني ديني كما اخرجتني
اللهم اني اعوذ بك ان ازل او اضل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي عز جارك وجل ثناؤك ولا اله
غيرك وليقرأ سورة الحمد والمعوذتين ولا يدع صلاة الضحى اربع ركعات او يزيد ما شاء الله الى ثماني ركعات
الى اثنتي عشرة ركعة لا يزيد على ذلك بل ان نشط اطالهن وان فتر قصرهن وليجعل من قراءته فيهن
والشمس وضحاها وسورة والضحى وآخر سورة البقرة وآخر سورة الحشر ثم ليتنفل بعد ذلك ما شاء من
غير ان يكون وردا كصلاة الضحى تلزمه المواظبة عليه وفي حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي

الضحى اربعًا ويزيد ما شاء الله وفي خبر عن الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه يا ابن آدم صلّ لي اربع ركعات
في اول النهار اكفك آخره وفي حديث ام هانى بنت ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمان ركعات وفي الخبر
يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني في كل مفصل في جسده بلثمائة وستون مفصلًا فامرك
بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الطريق صدقة واماطتك
الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تاتي على ذلك كله او قال يجمع لك ذلك كله وقد
كان من سيرة المتقدمين دخول المسجد سحرًا قبل طلوع الفجر والقعود فيه الى صلوة الصبح ويفضلون هذا
الفعل حدثونا عن رجل من التابعين قال دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فالفيت ابا هريرة رضي الله عنه قد
سبقني فقال يا ابن اخي اي شي خرجت من منزلك هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعد
خروجنا وقعودنا في المسجد بهذه الساعة ننتظر الصلوة بمنزلة غزوة في سبيل الله عز وجل او قال مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وافضل الاوقات المرجو فيها الاجابة اربعة عند السحر وعند طلوع الشمس وعند غروبها وبين الاذان
والاقامة وافضل اوقات الليل والنهار اوقات الصلوات المكتوبات واذا دعا الله سبحانه وتعالى فليدع عنه
بمعاني اسمائه فانها صفاته وهو يحب ذلك وانما اظهرها ليعرف بها وليدعى بها مثل ان يقول يا جبار
اجبر قلبي يا غفار اغفر ذنبي يا رحمن ارحمني يا تواب تب علي يا سلام سلمني ويستحب ان يدعو الله عز وجل
باسمائه التسعة والتسعين في كل يوم وليلة مرة فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من احصاها دخل الجنة
وهي مفرقة في جميع القرآن فمن دعا الله سبحانه وتعالى بها موقنًا كان كمن ختمه فان تعذر عليه حفظها
لانها منثورة على غير ترتيب فليتطرق اليها من حروف المعجم فليذكر من كل حرف ما فيه كانه يبتدي بالالف
فيتسق ما عليه من الاسماء ثم بالباء ثم بالتاء فيقول يا الله يا اول يا آخر يا باري يا باطن يا بر يا تواب وقد يتعذر
عليه وجود بعضها في بعض الحروف لعزتها الا انها تخرج في سائر الحروف المنتشرة بالاسماء الظاهرة
فاذا عد من الاحرف تسعة وتسعين اسمًا اجزاه لانه يجد في الحرف الواحد العشرة واكثر ودون ذلك
فلا يضره ان لم يعرف في بعض الحروف اسمًا اذا احصى العدد فقد حصل له الفضل لا اثر في ذلك ذكر
صلوة التسبيح استحب له ان يصلي صلاة التسبيح في الجمعة مرتين مرة نهارًا ومرة ليلا وهي ثلثمائة تسبيحة
في اربع ركعات ان صلاها نهارًا لم يفصل بينهن بتسليم وان صلاها ليلا سلم فيها سلامين فقد كان الصالحون
يصلونها ويتعرفون بركتها ويتذاكرون فضلها وقد روينا فيها روايتين احداهما حديث الحكم بن ابان عن
عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه الا
اعطيك الا امنحك الا احبوك بشي اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه

خطأه وعمده سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من
القراءة في اول ركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع
فتقولها عشرًا ثم ترفع راسك فتقولها عشرًا ثم تسجد فتقولها عشرًا ثم ترفع راسك من السجود فتقولها عشرًا
ثم تسجد فتقولها عشرًا ثم ترفع راسك من السجود وتقعد فتقولها عشرًا ثم تقوم فذلك خمس وسبعون في
كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة
مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة وحدثنا عن ابي داود السجستاني رحمه الله قال ليس في صلوة التسبيح
حديث اصح من هذا فتكون في هذه الرواية ان تسبح في القيام خمس عشرة مرة بعد القراءة وانه تسبح عشرًا بعد
السجدة الثانية في الركعة الاولى قبل القيام فانه يجلس جلسة قبل ان ينهض وفي الركعة الثانية ايضا كذلك قبل
التشهد وروينا في الحديث الآخر ان يفتتح الصلاة فيتوجه ويقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك
وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم تسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة ثم يقرأ الحمد وسورة ثم يسبح عشرًا ثم
يركع فيكون له في قيامه خمس وعشرون تسبيحة ولا يسبح بعد السجود في الجلسة الاولى بين الركعتين ولا في جلسة
التشهد شيئًا وكذلك رويناه في حديث عبد الله بن زياد بن سمعان عن معاوية بن عبد الله بن جعفر عن ابيه ان
النبي صلى الله عليه وسلم علمه صلوة التسبيح فقال فيها يفتتح الصلوة فيكبر ثم يقول فذكر الكلمات وزاد فيها
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال فيه يقول ذلك خمس عشرة مرة ولم يذكر بعد السجدة الثانية
عند القيام ان يقولها وهذه الرواية احب الوجهين الي وهو اختيار عبد الله بن المبارك حدثونا عن سهل
ابن عاصم عن ابي وهب قال سالت ابن المبارك عن الصلاة التي يسبح فيها فقال تقول سبحان الله الكلمات
خمس عشرة مرة ثم تتعوذ وتقرأ فاتحة الكتاب وسورة ثم تقولها عشرًا ثم تركع وذكرها قال فذلك خمس وسبعون
تصلي اربع ركعات على هذا ان صليت ليلا فاحب الي ان تسلم في الركعتين وان صليت نهارًا صليت اربعًا
بسلام واحد وان شئت سلمت واذا عد في الركوع يعد باصبعه على ركبتيه وفي السجود باصبعه على
الارض وحدثونا عن محمد بن جابر قال قلت لابن المبارك في صلوة التسبيح اذا رفعت راسي للقيام
من آخر السجدتين اسبح قبل ان اقوم قال لا تلك القعدة ليست من سنة الصلاة وقال ابن ابي رزمة
عن ابن المبارك قلت له تقول سبحان ربي العظيم سبحان ربي الاعلى ثلاث مرات قال نعم قلت فان سها يسبح
في السهو عشرًا قال لا انما هي ثلثمائة تسبيحة واحب ان تكون السورة التي تقرأها في صلوة التسبيح مع الحمد
فوق العشرين آية فقد روينا في حديث عبد الله بن جعفر الذي رواه اسمعيل بن رافع ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال في السورة بعد ام القرآن عشرين آية فصاعدا وكذلك احب زيادة لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

لما ذكرناه في الخبر الآخر فإن قرأ مع فاتحة الكتاب في كل ركعة عشر مرات قل هو الله أحد فقد ضاعف العدد واستكمل
الأجر. ذكر معاملة العبد في التلاوة ووصف التالين استحب للمريد أن يختم القرآن في كل أسبوع
ختمتين ختمة بالنهار وختمة بالليل ويختم ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما ويختم ختمة الليل
ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل بختمته أول النهار وأول الليل فإن الملائكة تصلي عليه
إن كانت ختمته ليلاً حتى يصبح وتصلي عليه إن كان ختمه نهاراً حتى يمسي فهذان الوقتان يستوعبان خليقة الليل
والنهار وفي الخبر لم يفقهه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو رضي الله
عنهما أن يقرأ القرآن في كل سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة ورويناه عن يحيى بن
الحارث الذماري عن القاسم عن أبي عبد الرحمن قال كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة
إلى المائدة وليلة السبت بالأنعام إلى هود وليلة الأحد بيوسف إلى مريم وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى
وفرعون وليلة الثلثاء بالعنكبوت إلى ص وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ويختم ليلة الخميس وكذلك
كان زيد بن ثابت وأبي يختمان القرآن في كل سبع ورويناه عن ابن مسعود رحمه الله أنه سبّع القرآن في سبع
ليال فكان يقرأ في كل ليلة سبعه إلا أن تأليفه على غير ترتيب مصحفنا هذا فلم نذكره لأن الاعتبار بالمثبتين
به وجماعة يذكر عنهم ختم القرآن في يوم وليلة وقد كرهت طائفة ختمه في أقل من ثلاث والتوسط من ذلك
ما ذكرناه وهو أن يختمه في كل ثلاثة أيام ونصف. ذكر أحزاب القرآن وكيف حزّبته الصحابة رضي الله عنهم
وإن قرأ القرآن في كل يوم أو ليلة أحزاباً في كل يوم أو ليلة حزب فحسن وهي سنة وذلك أشد لمواطأة القلب
وأقوم للترتيب وأدنى إلى الفهم فإن أحب قرأ في كل ركعة ثلث عشر القرآن أو نصف ذلك يكون الجزء من أجزاء
ثلاثين في ركعة أو ركعتين وإن قرأ في كل ورد جزءاً أو جزئين أو دون ذلك فلا بأس وأحزاب القرآن سبعة
فالحزب الأول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والحزب الرابع تسع سور والخامس
إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والمفصل من قاف هذه كانت أحزاب القرآن كذلك حزّبته الصحابة
وكانوا يقرؤونه كذلك في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة وكأنه حزّبه على عدد الآي
إذ عدده ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية وقد اعتبرت ذلك في كل حزب فرأيته يتقارب وهذا
قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء فما سوى هذا محدث يقال إن الحجاج جمع قراء البصرة والكوفة
منهم عاصم الجحدري ومطر الوراق وشهاب بن شريفة فأمرهم بذلك وقد كان الحسن وابن سيرين رحمهما الله
ينكران هذه الأخماس والأعشار والأجزاء ورويناه عن الشعبي وإبراهيم كراهة النقط بالحمرة وأخذ الأجر
على ذلك وكانوا يقولون جرّدوا القرآن وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال كان القرآن مجرداً

في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فإنه نور له ثم أحدثوا بعده
نقطاً كباراً عند منتهى الآي فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح
واعلم أنه لا يجد فهم القرآن الفهم الذي يكشف مشاهدة ويطلعه من الملكوت قدرة عبد فيه إحدى هذه
الخصال أدنى بدعة أو إصرار على ذنب أو عبد في قلبه كبر أو مقارب لهوى قد استكن في قلبه أو محب (معارف)
للدنيا أو عبد غير متحقق بالإيمان أو ضعيف اليقين ولا أمين هو واقف مع مقرأته ولا عبد مهتم بتتبع حروفه
اختيار ولا ناظر إلى قول مفسر ولا ساكن إلى علمه الظاهر ولا راجع إلى معقوله ولا قاض بمذهب أهل
العربية واللغة في باطن الخطاب وسر المراد فهؤلاء كلهم محجوبون بعقولهم مردودون إلى ما تقدر في علومهم
موقوفون مع ما تقرر في قلوبهم مزيدهم على مقدار علومهم وغرائز عقولهم وهؤلاء مشركون بعقولهم ومعلومهم (بمعة)
عند المحققين وهذا داخل في الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء وفي الخبر (مطلب)
أكثر منافقي أمتي قراؤها فهذا نفاق الوقوف مع سوى الله والنظر إلى غيره لا نفاق الشك والإنكار لقدرة
الله عز وجل فهو لا ينفك عن التوحيد ولكنه لا ينتقل إلى المقام المزيد فإذا كان العبد ملقي السمع بين
يدي سميعه مصغياً إلى سر كلامه شهيد القلب لمعاني صفات شهيده ناظراً إلى قدرته تاركاً المعقول
ومعهود علمه متبرئاً من حوله وقوته معظماً للمتكلم واقفاً في حضور مفتقراً إلى التفهم بحال
مستقيم وقلب سليم وصفاء يقين وقوة علم وتمكين سمع فصل الخطاب وشهد غيب الجواب وأفضل القراءة
الترتيل لأنه يجمع الأمر والندب وفيه التدبر والتفكر روي عن علي عليه السلام لا خير في عبادة لا فقه فيها
ولا في قراءة لا تدبر فيها وعن ابن عباس رضي الله عنه لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب
إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة وروي عنه أيضاً لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إلي
من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً وسئل مجاهد رضي الله عنه عن رجلين دخلا في صلاة فكان قيامهما
واحداً إلا أن أحدهما قرأ البقرة وقرأ الآخر القرآن كله فقال هما في الأجر سواء لأن قيامهما كان واحداً
وأفضل الترتيل والتدبر للقرآن ما كان في صلاة ويقال إن التفكر في الصلاة أفضل منه في غيرها لأنهما عملان
وهذا هو التفكر في معاني التدبر والتفهم لخطاب الوعد والوعيد والزجر والأمر تعظيماً للمتوعد وإجلالاً
للآمر وسئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الصلاة أفضل فقال طول القنوت وفي خبر آخر من سجد لله
عز وجل سجدة رفعه الله سبحانه وتعالى بها درجة وأنه قال لأبي فاطمة خادمه وقد سأله مرافقته في الجنة
فقال أعني بكثرة السجود ورويناه عن أبي ذر الغفاري أن كثرة السجود بالنهار وأن طول القيام بالليل
ويقال إن العبد يحشر من قبره على هيئته في صلاته من السكون والطمأنينة وتكون راحته في الموقف (مطلب)
على قدر راحته وتنعمه بالصلاة ورويناه معنى هذا عن أبي هريرة رضي الله عنه وعلى هذا المعنى تأويل قول

رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال أرحنا بالصلاة اى روّحنا اليها وأنعمنا بها من الروح والراحة يقال
أرحنا بالشئ اى روّحنا به وارحنا منه اسقطه عنّا وخفّف عنّا منه ولم يقل أرحنا منها كيف وقرة عينه
فيها وقال بعضهم انى لافتتح السورة فيوقفنى بعض ما اشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر
وما قضيت منها وطرى وقال سليمان بن ابى سليمان الدارانى رضى الله عنهما وعد ابن ثوبان اخا له ان يفطر مطلب
عنده فابطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد فقال وعدتنى ان تفطر عندى فتخلّفت فقال
لولا ميعاد ذلك ما اخبرتك بالذى حبسنى عنك انى لمّا صلّيت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك لانى لا آمن
ما يحدث من الموت فلمّا كنت فى دعاء الوتر دفعت لى روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر
اليها حتى اصبحت وقال الله سبحانه وتعالى كتب فى قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه قيل القرآن قوّى الله
ايمانهم بعلم القرآن فالقرآن روح الايمان وتقويتهم استعمالهم به وفى التفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوّة
قيل بجدّ واجتهاد ومثله خذوا ما آتيناكم بقوّة قيل بعمل به وقيل لبعضهم اذا قرأت القرآن تحدّث
نفسك بشئ فقال او شئ احبّ الىّ من القرآن أحدّث به نفسى وهذا صفة قوىّ مكين ويقال ان فى مطلب
القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس ودبابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراآت
بساتين القرآن والحاآت مقاصيره والمسبّحات عرائس وآل حم دبابيج القرآن والمفصّل رياضه والخانات ايات
ما سوى ذلك فاذا جال المريد فى الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الدبابيج
وتنزّه فى الرياض وسكن غرف الخانات اقتطعه ووقفه ما يراه وشغله الشاهد به عمّا سواه روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فردّدها عشرين مرّة فكان له صلى الله عليه وسلم فى كل
ردّة فهم ومن كل كلمة علم فينبغى ان يكون قلب التالى بوصف كل كلمة يتلو مشاهد المعانيها الى ما يفتح
الله عز وجل له من المزيد عليها من مجاورتها ومما يفهم بها من غيرها ويشهد غيرها منها فقد كان بعضهم
يقول كل آية لا افهمها ولا يكون قلبى فيها لا اعدّ لها ثوابا وكان بعض السلف اذا قرأ سورة ولم يكن
قلبه فيها اعادها ثانية فاذا مرّ بتسبيح وتكبير سبّح وكبّر وان مرّ بدعاء واستغفار دعا واستغفر وان
مرّ بمخوف ومرجوّ استعاذ وسأل وذلك معنى قوله تعالى يتلونه حق تلاوته وكذلك كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعل فى تلاوته وعلى هذا المعنى ما روى فى الخبر من اراد ان يقرأ القرآن غضّا كما أنزل فليقرأ على قراءة
ابن ام عبد اى على معنى تلاوته لانه كان يقرأ بقلب شهيد وسمع عتيد وبصر حديد فكان يتلو القرآن
على معانى الكلام وعلى شهادة وصف المتكلم الوعيد منه بالتحذير والوعد بالتشويق والوعظ بالتخويف
والانذار بالتشديد والتبسير بالتوفيق لانه كان عالما بصفات المتكلم واجدا لذوق الكلم فمثل هذا العبد
احسن الناس صوتا بالقرآن كما جاء فى الخبر احسن الناس صوتا بالقرآن من اذا قرأ رأيت انه يخشى الله عز وجل

ومن هذا قيل اذا قرأتم القرآن فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ومثله ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا
اى ان القرآن لما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود يوجب البكاء والحزن فان لم تحزنوا وجدا ولم تبكوا
يقينا فتباكوا وتحازنوا العظاء لاجل التصديق والاقرار به فندبهم الى التحازن فى التلاوة والتباكى
ليجتمع همّ العبد فى المتلوّ فيتدبّر الكلام عسى ان يكون قلبه بمعناه فيكون التباكى والتحازن سببا لجمع
همّه وفراغ قلبه لان المتباكى الصادق مجتمع الهمّ فيما يبكيه والحزين حاضر القلب مجموع الفكر مشغول
عن سوى ما يحزنه ومن ذلك ما روينا عن ابن عباس رضى الله عنه اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود
حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه فبكاء القلب حزنه وخشيته اى فان لم تبكوا ابدا العلماء عن
الفهم فلتحزن قلوبكم على فقد البكاء ولتخش كيف لم يوجد فيكم وصف اهل العلم وقد روينا فى غرائب التفسير
فى معنى قوله تعالى وان من الحجارة لما يتفجّر منه الانهار قال هى العين الكثيرة البكاء وان منها لما يشقق
فيخرج منه الماء قال هى العين القليلة البكاء وان منها لما يهبط من خشية الله قال هو بكاء القلب من غير دموع
عين وقال ثابت البنانى رايت فى النوم كانى اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فلمّا فرغت قال
هذه القراءة فاين البكاء وكان الحسن يقول والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الّا كثر
حزنه وقلّ فرحه وكثر بكاؤه وقلّ ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلّت راحته وبطالته والناس فى
التلاوة على ثلاث مقامات اعلاهم من يشهد اوصاف المتكلم فى كلامه ويعرف اخلاقه بمعانى خطابه وهذا
مقام العارفين من المقرّبين ومنهم من يشهد ربّه سبحانه وتعالى يناجيه بالطافه ويخاطبه بانعامه
واحسانه فمقام هذا الحياء والتعظيم وحاله الاصغاء والفهم وهذا للابرار من اصحاب اليمين ومنهم
من يرى انه هو الذى يناجى ربّه سبحانه وتعالى فمقامه السؤال والتملّق وحاله الطلب والتعلّق
وهذا للمتعرّفين والمريدين وينبغى للعبد ان يشهد فى التلاوة ان مولاه يخاطبه بالكلام لانه سبحانه وتعالى
متكلم بكلام بنفسه وليس للعبد فى كلامه كلام وانما جعل له حركة اللسان بوصفه وتيسيرا للذكر بلسانه
لحكمة ربّه عز وجل حدّا للعبد ومكانا له كما كانت الشجرة وجهة لموسى عليه السلم كلّمه ربّه سبحانه وتعالى
منها ويقال ان كل حرف من كلام الله سبحانه وتعالى فى اللوح اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت
على الحرف الواحد ان يقلّوه ما اطاقوه حتى يأتى اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقلّه باذن الله
عز وجل ورحمته اذ كان الله سبحانه وتعالى طوّقه ذلك لما استعمله به وقال جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه
والله لقد تجلّى الله سبحانه وتعالى لخلقه فى كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن شئ
لحقه فى الصلاة حتى خرّ مغشيا عليه فلمّا سرّى عنه قيل له فى ذلك فقال ما زلت اردّد الآية على قلبى

حتى سمعتها من المتكلم بها فلم تثبت جسمي لمعاينة قدرته فلذلك الخصوص يرددون الآية بقلوبهم على
قلوبهم ويتحققون بها في مشاهدتهم بمدد من شهيدهم حتى يستغرق فهم الفهم فيغرقون في بحر العلم
فان قصرت مشاهدة التالي عن هذا المقام فليشهد انه يناجيه بكلامه ويتملقه بمناجاته فان الله سبحانه وتعالى
انما خاطبه بلسانه وكلمه بحركته وصوته ليفهم عنه بعلمه الذي جعله له ويعقل عنه بفهمه الذي قسمه
له حكمة منه ورحمة اذ لو تكلم الجبار سبحانه وتعالى بوصفه الذي يدركه سمعه لما ثبت الكلام عرش ولا ثرى
ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات انواره فحجب ذلك غيب علمه عن العقول وستره بصنع
قدرته عن القلوب واظهر للقلوب علوم عقولها واشهد العقول عرف معقولها بلطفه وامتنانه ورحمته
واحسانه بلغنا في الاخبار السالفة ان وليا لله عز وجل من الصديقين ابتعثه في الفترة الى ملك
مطلب
من الجبابرة يدعوه الى التوحيد والى شريعة الانبياء عليهم السلام فسأله الملك عن اشياء من معاني التوحيد
فجعل الصديق يجيبه عنها بما يقرب من فهمه ويدركه عقله من ضرب الامثال بما يستعمله الناس
بينهم ويتعارفونه عندهم الى ان قال له الملك افرايت ما يأتي به الانبياء اذا ادعيت انه ليس بكلام الناس
ولا رأيهم امن كلام الله هو قال الصديق نعم قال الملك فكيف يطيق الناس حمله قال الصديق انا راينا
الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقدمها وتاخيرها واقبالها وادبارها
ولم يجدوا الدواب والطير تحمل كلامهم فوضعوا الهامن النقر والصفير والزجر ما عرفوا انها تطيق حمله
فكذلك الناس يعجزون ان يحملوا كنه كلام الله سبحانه وتعالى بكماله وصفته فصاروا بما تراجعوا بينهم
من الاصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت الزجر والنقر التي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع
ذلك معاني الحكمة المخبوة في تلك الاصوات من ان شرف الكلام بشرفها وعظم بتعظيمها فكان الصوت
للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح
التي فيها فكذلك اصوات الكلام تشرف وتكرم للحكمة التي فيها فالكلام عالي المنزلة رفيع الدرجة قاهر
السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يامر وينهى ولا طاقة للباطل
ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا
غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من شعاع الشمس
ما تحيى به ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد امره
كالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها
فالكلام اعظم واشرف من ذلك فهو مفتاح الخزائن النفيسة وباب المنازل العالية ومراقي الدرجات

الشريفة وشراب الحيوة الذي من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم ابدا اذا لبسه
من لم يتسلح به ابدا عورته واذا اتشح به غير اهله لم يخرج الا منهم نقلت هذا بعينه من كلام الصديق
الحكيم الذي خاطب به الملك فاستجاب له باذن الله سبحانه وتعالى فهذا وصف كلام الله سبحانه وتعالى الذي جعله
آية لنا وعبرة ونعمة علينا ورحمة فانظر الى الحكيم كيف جعل عقول البشر في فهم كلام الله سبحانه وتعالى العظيم
بمنزلة فهم البهائم والطير بالنقر والصفير الى عقول البشر وكيف جعل الصفير والنقر والافهام من الناس للانعام
والهوام مثلا لما افهم الله سبحانه وتعالى به الانام من معاني كلامه الجليل بما الهمهم به من الكلام ان في لطيف
لما يتشا فهذه لطيفة من قدرته التي لا تتناها وحكمة محكمة من حكمه التي لا تتناهى انه حكيم عليم ثم ليشهد
العبد انه مقصود بجميع القرآن من فاتحته الى خاتمته مراد بمعنى به له ضربت امثاله وفيه جميع ذكره واوصافه
لان الله سبحانه وتعالى لما تكلم بهذا الكلام وخاطب به المؤمنين كان هو احدهم وكان حاضرا معهم وقد سوى الله
سبحانه وتعالى بين المؤمنين في تنزيل القرآن عليهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى من المعاني فقال سبحانه وتعالى
واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة كما قال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وكذلك قال
وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وقال كذلك يضرب الله للناس امثالهم يعني صفاتهم وقال
ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات كما قال ولقد انزلنا اليك آيات بينات وقال سبحانه وتعالى واتبع ما يوحى اليك
واصبر ثم قال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقال سبحانه وتعالى فاستقم كما امرت ومن تاب معك غير انه سبحانه
وتعالى عم الجملة بالبصائر والبيان وخص بالهدى والرحمة اهل التقوى والايمان فمن ذلك قوله تعالى هذا
بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين فالموقنون هم المتقون
والمهتدون هم المرحومون وقد امرنا بطلب فهم القرآن كما امرنا بتلاوته فروينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم
اقرؤوا القرآن والتمسوا غرائبه وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وفي حديث
علي عليه السلم عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق لتفترقن امتي عن اصل دينها وجماعتها على اثنتين
وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة تدعو الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله سبحانه وتعالى فان فيه
نبأ ما كان قبلكم ونبأ ما ياتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره
اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج
فيقام ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق كثرة الرد هو الذي سمعته الجن فلم يتناهوا ان
ولوا الى قومهم منذرين فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد من قال به صدق ومن
عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم وقد روينا معناه في حديث حذيفة لما اخبره

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والتفرق بعده قال فقلت يا رسول الله فما تأمرني إن أدركت ذلك فقال
تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأعدت عليه فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من
ذلك قال فأعدت عليه فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة ثلاثا وعن علي عليه السلم قال ما أسر إلي رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في كتابه وعنه عليه السلم أنه قال من فهم
فسر جمل العلم وعن ابن عباس وغيره في قوله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قال الفهم في كتاب الله
سبحانه وتعالى وقال الله أحسن القائلين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فرفع الفهم مقاما فوق
الحكم والعلم وأضافه إليه للتخصيص وجعله مقاما عاما فيهما وكلاهما علما فإذا فهم العبد الكلام وعامل به المولى
تحقق بما يقول وكان من أهله ولم يكن حاكيا لقائله مثل أن تتلو قوله إني أخاف إن عصيت ربي عذاب
يوم عظيم ومثل أن يقول ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا ومثل قوله سبحانه وتعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا
إلا أنه فيكون هو الخائف لليوم العظيم ويكون هو المتوكل المنيب وهو الصابر على الأذى توكلا على المولى ولا يكون
مخبرا عن قائل قاله فلا يجد حلاوة ذلك ولا ميراثه وإذا كان هو كذلك وجد حلاوة التلاوة وتحقق بحسن الولاية
وكذلك إذا تلا الآي المذموم أهلها الممقوت فاعلها مثل قوله تعالى وهم في غفلة معرضون وقوله فأعرض
عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحيوة الدنيا ومثل قوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فما أقبح أن يعيب
ذلك وهو من أهله وما أعظم أن يذم أهل ذلك وهو يوصفه فهذا من حجج القرآن عليه فلا يجد مع ذلك
حلاوة المناجاة لأن وصفه المذموم قد حجبه وهواه المردي عن حقيقة الفهم قد حرمه ولأن قسوة قلبه
عن الفهم صرفته وكذبه في حاله عن البيان أخرسه فإذا كان هو المستيقظ المقبل وهو التائب الصادق سمع
فصل الخطاب ونظر إلى الداعي وله استجاب وقد اشترط الله سبحانه وتعالى الإنابة للتبصرة وحضور القلب
للتذكرة فقال تبارك وتعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر إلا من ينيب وقال تبارك وتعالى
إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والاستقامة على التوبة من الوفاء
بالعهد وتعدي الحدود من نقض الميثاق وقلة الصدق والإنابة هي التوبة بالإقبال على الله تبارك وتعالى
والألباب هي العقول الزاكية والقلوب الطاهرة وينبغي للتالي الخائف الناصح لنفسه وللخلق السليم القلب
إذا تلا آي الوعد والمدح ومحاسن الوصف ومقامات المقربين أن لا يشهد نفسه هناك ولا يرى بها مكانا لذلك
بل يشهد الموقنين فيها وينظر إلى الصديقين منها سلامة ونصحا وإذا تلا الآي الممقوت أهلها المتهدد
عليها المذموم وصفها من مقامات الغافلين وأحوال الخاطئين شهد نفسه هناك وأنه هو المخاطب المقصود
بذلك خوفا منه وشفقا فبهذه المشاهدة يرجو للخلق ويخاف على نفسه ومن هذه الملاحظة يسلم قلبه للعباد

ولا يجد حلاوة المناجاة

ويمقت نفسه رويناه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري قال
فقلت يا أمير المؤمنين هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله إن الإنسان لظلوم كفار فإن قلب هذان المعنيان
على عبد حتى يشهد نفسه في المدح والوصف ويشهد غيره في الذم والمقت انقلب قلبه عن وجهة الصادقين
وتنكب بقصده عن صراط الخائفين فهلك وأهلك لأن من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف ومن
شهد القرب في البعد مكر به في الأمن وقال بعض العلماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى
تلوته كأني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ثم رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأني
أسمعه من جبريل صلى الله عليه وسلم يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله سبحانه وتعالى بمنزلة أخرى فأنا
الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه وقال عثمان وحذيفة لو طهرت
القلوب لم تشبع من تلاوة القرآن وقال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين
سنة وقال بعض علمائنا لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر وروي عن علي عليه السلم لو شئت
لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وحكي عن أبي سليمان الداراني إني لأتلو الآية فأقيم فيها
أربع ليال وخمس ليال ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها وروينا عن بعض السلف أنه بقي
في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ منها وحدثنا عن بعض العارفين أنه قال لي في كل جمعة ختمة
وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلثين سنة ما فرغت منها بعد يعني ختمة التفهم والمشاهدة
وكان هذا يقول أقمت نفسي في العبودية مقام الأجراء فأنا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة
وإنما حجب الخلق عن فهم كنه الكلام ومعرفة سر المراد لأنه حجبهم عن حقيقة كنه معرفته وإنما أعطاهم من
معرفة الكلام بقدر ما أعطاهم من معرفة المتكلم إذ بمعاني كلامه تعرف معاني صفاته وأفعاله وأحكامه
ولأن معاني كلامه عن معاني أوصافه وأخلاقه فلذلك جاء فيه السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف
لأن من أوصافه الرحمة واللطف والانتقام والبطش فلما لم يصلح أن يعرف كعلمه بنفسه لم يصلح أن
يعلم كنه كلامه إلا هو كما لا يعلم كنه صفاته إلا هو فأعلم الخلق بمعاني الكلام أعرفهم بمعاني الصفات
وأعرف العباد بمعاني الأوصاف والأخلاق وغوامض الأحكام أعرفهم بسرائر الخطاب ووجوه الحروف ومعاني
باطن الكلام وأحقهم بذلك أخشاهم له وأخشاهم له أقربهم منه وأقربهم منه من خصه بأثرته وشمله
بعنايته وقد جاء في الخبر أحسن الناس صوتا بالقرآن من إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله سبحانه وتعالى ولا
يخشاه حتى يعرفه ولا يعرفه حتى يعامله ولا يعامله حتى يتقرب به ولا يقربه حتى يعني به وينظر إليه
بعنده بما عرف سر الخطاب واطلع على باطن الكتاب وإذا سجد العبد سجود القرآن فليدع في سجدته

مطلب

معاني الآية من الخير وتشعيد من معاني شرها فان ذلك فعل العلماء بالقرآن والله سبحانه وتعالى يحب ذلك
ولتلك المعاني اسجدهم له مثل ان يقرا قوله سبحانه وتعالى خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون
فيقول اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك او على
اوليائك ومثل قوله سبحانه وتعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فيقول اللهم اجعلني من الباكين
اليك الخاشعين لك وعلى هذه المعاني ونحوها وليكن القرآن هو علمه وعمله وذكره ودعاءه وهمه وشغله فعنه
يسال وعليه يثاب ومقامه منه وذكره فيه واحواله عنه مجموع له ذلك كله فيه فبكلامه عرفه العارفون وبمخا طبته
شهدوا صافه الموقنون فعلومهم من كلامه ومواجيدهم عن علومهم ومشاهدتهم عن معاني اوصافه وكلامهم
عن مشاهدتهم لان ضروب الكلام هي عن الله تعالى معاني الصفات فمنها كلام راض ومنها كلام غضبان ومنها
كلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر وحنان متعطف فاذا كان العبد من اهل العلم بالله والفهم عنه
والسمع من الله والمشاهدة له شهد ما غاب عن غيره وابصر ما عمي عنه سواه وقد قال سبحانه وتعالى فلا اقسم
بما تبصرون وما لا تبصرون وقال فاعتبروا يا اولي الابصار ومعناه في الفهم اعبروا الى الله فقد ابصر ثم
فالتاء قد تكون بمعنى تاء التفعيل تدخل للتحقق بالوصف والمبالغة في الفعل فلما اعطاهم الايدي والابصار
عبروا بقوامهم الى ما ابصروا ففروا الى الله سبحانه وتعالى من الخلق حين ذكروه بما خلق فخرجوا على معيار حسن
الابتلاء ولم ينقصهم البلاء شيئا فكانوا كما اخبر وكالذي امر في قوله سبحانه وتعالى ومن كل شيء خلقنا
زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله ثم قال ولا تجعلوا مع الله الها آخر فكانوا هم الموحدين المخلصين له
وكان هو المنفرد المستخلص لهم ثم جاوزا التذكرة بالاشيا اليه فذكروه عنده به فحينئذ هربوا اليه منه
حين هلكوا به فلم يتالهوا الى سواه كما لم يعبدوا الا اياه وكذلك رايتها في مصحف عبد الله ففروا الى الله
منه اني لكم نذير مبين وفي الخبر عن ابن مسعود وقد تبيناه مسندا من طريق ان للقرآن ظهرا وبطنا
وحدا ومطلعا فنقول ظهره لاهل العربية وباطنه لاهل اليقين وحده لاهل الظاهر ومطلعه لاهل
الاشراف وهم العارفون المحبون والخائفون اطلعوا على لطف المطلع بعد ان خافوا هول المطلع فادعوا
السر عند مقام امين ووقفوا على الخبر في حال مكين فكانوا لديه مقربين اذ كانوا به شاهدين وقال النبي
صلى الله عليه وسلم يرى الشاهد ما لا يرى الغائب فمن حضر شهد ومن شهد وجد ومن وجد وجد ومن وجد
عنى ومن غاب عمي ومن عمي فقد ومن فقد نسي ومن نسي نسي وقد قال سبحانه وتعالى كذلك اتتك آياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي تركتها فلم تعبا بها ولم تنظر اليها وكذلك اليوم تترك فلا ينظر اليك رحمة
ولا تكلم بلطيفه لا تتلقف بقريب

كتاب ذكر نوع من المفصل والموصل من الكلم

وفيه تفسير الغريب والمشكل من القرآن باختصار الاصول الدالة على المعاني فاما ظاهر الكلام فعلى معنيين
عجيبين وهو مجمل مختصر وموصل مكرر فاجماله واختصاره للبلاغة والايجاز قال الله سبحانه وتعالى ان
في هذا لبلاغا لقوم عابدين ومكرره وتفصيله للافهام والتذكار قال الله سبحانه ولقد وصلنا لهم القول
لعلهم يتذكرون وقال سبحانه وتعالى في المبهم المجمل والتوحيد المفصل الر فهذه ثلاثة اسماء الله لطيف رحيم
وقيل بل حروف من اسم الله سبحانه وتعالى وهو الرحمن ثم اظهر السبب فقال كتاب احكمت آياته يعني بالتوحيد ثم
فصلت اي بالوعد والوعيد ثم قال من لدن حكيم عليم اي بالاحكام للاحكام خبير بالتفصيل الحلال والحرام
ان لا تعبدوا الا الله هذا هو التوحيد الذي احكمه انني لكم منه نذير وبشير هذا هو الوعد والوعيد الذي اعلمه
فمن المختصر للايجاز قوله عز وجل وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ففي هذا مضمر ومحذوفان فالمضمر
قوله مبصرة المعنى آية مبصرة فاضمر الآية ومحذوفاه قوله فظلموا بها المعنى ظلموا انفسهم بالتكذيب بها
فاختصرت كلمتان من كلمتين للايجاز ومثله وهي خاوية على عروشها الخواء الخلاء والعروش السقوف وهو
جمع عرش فكيف تكون خالية من العروش والعروش موجودة فيها فهذا من المختصر المحذوف ومعناه والله اعلم
وهي خاوية من ثمرها او من اهلها واقعة على عروشها ومثله قوله سبحانه وتعالى ولكن البر من آمن بالله حذف
الفعل واقيم الاسم مقامه والمعنى فيه ولكن البر بر من آمن بالله وقد يكون من المبدل فيكون المحذوف هو الاسم
ابدل الفعل مكانه اي ولكن البر من آمن بالله فلما كان البر وصفه اقيم مكانه ومثل المعنى الاول قوله عز وجل
واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى اقتلت نفسا زاكية بغير نفس
ولم يذكر قتله والمعنى بغير نفس قتلها فحذف الفعل ومثله انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض
اضمر قوله بغير نفس قتلها وبغير فساد في الارض فاكتفى عنه بذكر الاول وكذلك قوله من في السموات والارض
معناه ومن في الارض وكذلك قوله فما يكذبك بعد بالدين هو متصل بقوله سبحانه لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم وفصل بينهما النعت والاستثناء والمعنى فما يكذبك بعد هذا البيان ايها الانسان بالدين بانه
اي فاي شيء يحملك على التكذيب بان تدين لله وهو احكم الحاكمين ومن المبدل المضمر ايضا اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات المعنى ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فاضمر ذكر العذاب وابدل
الاحياء والموتى بذكر الحياة والممات فاقام الوصف مقام الاسم ويصلح ايضا ان تنزل الوصف على لفظه
ويضمر اهل فيكون ضعف عذاب اهل الحياة وضعف عذاب اهل الممات كما اضمر اهل في ذكر القرية وذكر العير
فقال واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها معناه واسأل اهل القرية واسأل اهل العير ومن
هذا المعنى قوله سبحانه وتعالى ثقلت في السموات والارض هو من المبدل المضمر فبدله ثقلت ومعناه

خفيت ابدل بدلالة المعنى عليه لان الشيء اذا خفي علمه ثقل وكذلك قوله سبحانه وتعالى في السموات معناه على
ومضمرة اهل والمعنى خفيت على اهل السموات واهل الارض لا تاتيكم الا بغتة يعني فجاة ومنه قوله سبحانه
وتعالى تالله تفتؤ تذكر يوسف فيه مضمر ومحذوف فالمحذوف لا ومضمره لا التي هي جواب القسم والمعنى
قالوا تالله لا تزال تذكر يوسف فاضمرت لا وابدلت تزال بقوله تفتؤ وهي من مختصر الكلام وفصيحه
وهي لغة بعض العرب وفي القرآن من كل الغريب من هذا قوله تبارك وتعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
وقوله عز وجل بدلوا نعمة الله كفرا معناه تجعلون شكر رزقكم انكم تكذبون وكذلك بدلوا شكر نعمة الله
كفرا بها ومثله وكاين من قرية اهلكناها وكاين من قرية امليت لها معناه اهل قرية مثل قوله وسئل
العير المعنى اهل العير لان العير هي الابل الحمولة وهذا الذي تسميه النحويون المجاز وكذلك قوله تعالى ان هذا
القرآن يهدي للتي هي اقوم معناه للطريقة التي هي اقوم ومثله قوله تعالى قل لعبادي يقولوا التي هي احسن
اي يقولوا الكلمة التي هي احسن ومثله قوله سبحانه وتعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة اي بالكلمة او بالفعلة
التي هي احسن ومثله قوله سبحانه وتعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اي الكلمة الحسنى والوجه الآخر ان
الحسنى اسم لا نعت فمعناه الجنة وكذلك قوله سبحانه وتعالى على ملك سليمان اي على عهد ملك سليمان فاضمر
قوله عهد ومثله وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنة رسلك فاضمر السنة ومن الكنى المضمر قوله
سبحانه وتعالى وما انسانيه الا الشيطان اضمر الحوت وذكر اسم موسى للاختصار والمعنى وما انساني ذكر
الحوت لك الا الشيطان ومثله قوله سبحانه وتعالى انا انزلناه في ليلة القدر اي انزلنا القرآن فكنى عنه
ولم يتقدم له ذكر وكذلك قوله حتى توارت بالحجاب يعني توارت الشمس بحجاب الليل فكنى عنها ولم يجر لها ذكر
ومثله قوله سبحانه وتعالى وما يلقاها الا الذين صبروا اي الكلمة الطيبة او الفعلة التي هي احسن
وبمعناه قوله سبحانه وتعالى وما يلقاها الا الصابرون يعني كلمة الزهد في الدنيا ومقالة الترغيب في الآخرة
وهو عائد على قوله ويلكم ثواب الله خير اي هذه المقالة ومن المبدل المختصر قوله سبحانه وتعالى واذا قيل
له اتق الله اخذته العزة بالاثم معناه حملته العزة على الاثم اي حمله التعزز والانفة على ان ياثم ولم يبال
فاخذته بمعنى حملته وبالاثم معناه على الاثم ومن هذا قوله سبحانه وتعالى لا تاخذه سنة ولا نوم اي لا تحمله سنة يعني
لان السنة تحمل العبد اي تذهب به عن التيقظ ومن المنقول المنقلب قوله سبحانه وتعالى يدعو لمن
ضره اللام في من منقوله والمعنى يدعو من لضره اقرب من نفعه ومثله لتنوء بالعصبة معناه لتنوء
العصبة بها اي تثقل بحملها لثقلها عليهم ومثله قوله وطور سينين وسلام على الياسين هو مما
قلب اسمه لازدواج الكلام المعنى طور سينا وسلام على الياس وقيل ادريس لان في حرف ابن مسعود سلام

حكمة منه ولطفا وكذلك ايضا على هذه المعاني يفهم الخصوص من مكانهم ويشهدهم عن علو مقامهم في مكان
ما اظهر لهم من العلم به ونصيب ما قسم لهم من العقل عنه فهم متفاوتون في الاشياء ذو الفهوم حسب
تفاوتهم في الانصبة من العقول والعلوم اذ للقرآن عموم وخصوص ومحكم ومتشابه وظاهر وباطن
فعمومه لعموم الخلق وخصوصه لخصوصهم وظاهره لاهل الظاهر وباطنه لاهل الباطن والله واسع عليم
فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فاذا صفا القلب بنور اليقين وايد العقل
بالتوفيق والتمكين وتجرد الهم من التعلق بالخلق وتاله السر بالعكوف على الخالق وخلت النفس من الهوى
سرت الروح فجالت في الملكوت الاعلى وكشف للقلب بنور اليقين الثاقب ملكوت العرش عن معاني صفات
موصوف واحكام اخلاق مالوف وباطن اسماء معروف وغرائب عليم رحيم رؤوف فشهد عن الكشف وصاف
ما عرف فقام حينئذ بشهادة ما عرف فكان ممن قال فيه يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به فحق التلاوة
للمؤمن حقا لانه اذا اعطي حقيقة الايمان اعطاه مثلها وعلى معيارها ومعدنها حقيقة من مشاهدة
فكانت تلاوته عن مشاهدته وكان فهمه عن معنى تلاوته وكان ذلك على معيار حقيقته من ايمانه كما قال
الله سبحانه وتعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا اولئك هم المؤمنون حقا فيكون العبد بوصف
من نعت بالحضور والانذار وخص بالمزيد والاستبشار في قوله تعالى فلما حضروه قالوا انصتوا فلما
قضي ولوا الى قومهم منذرين وفي قوله سبحانه وتعالى فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ويكون بنعت من
مدحه بالعلم واثنى عليه بالرجاء ووصفه بالخوف في قوله سبحانه وتعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا فكان هذا من اهل الله
وخاصته ومن محبيه وخالصته كما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل القرآن اهل الله وخاصته
وقال ابن مسعود لا على احدكم ان يسال عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله وان لم يكن
يحب القرآن فليس يحب الله وهذا كما قال لانك اذا احببت متكلما احببت كلامه واذا كرهته كرهت
كلامه وقال ابو محمد سهل بن عبد الله من علامة الايمان حب الله ومن علامة حب الله حب القرآن ومن علامة
حب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم اتباعه وعلامة اتباعه الزهد
في الدنيا حدثونا عن بعض المريدين قال كنت في جدة ارادتي قد لهجت بتلاوة القرآن ثم دهقتني
فترة فبقيت اياما لا اقرا فهتف بي هاتف من قبل الله سبحانه وتعالى ان كنت تحبني فلم جفوت كتابي
اما ترى ما فيه من لطيف عتابي وقال بعض العارفين لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد
ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد واقل ما قيل في العلوم التي يحويها القرآن

من ظواهر المعاني المجموعة فيه اربعة وعشرون الف علم وثمانمائة علم اذ لكل آية علوم اربعة من ظاهر وباطن وحد ومطلع وقد قيل انه يحوي سبعة وسبعين الف علم ومائتي علم اذ لكل كلمة علم وكل علم عن وصف وكل كلمة تقتضي صفة وكل صفة موجبة افعالاً حسنة وغيرها على معانيها فسبحان الله الفتاح العليم

باب ذكر الوصف المكروه من نعت الغافلين

فاذا خالف التالي هذا الوصف الذي شرحناه او كان على ضد ذلك من السهو والغفلة والعمى والحيرة محادثاً نفسه مصغياً الى هواه ووسوسة عدوه متوهماً للظنون عاكفاً على الاماني خفت عليه ان يكون بمعاني ما قال الله سبحانه وتعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني الا تلاوة القول لا غير وان هم الا يظنون فوصفهم بالظن وهو ضد اليقين كما اخبر عن الظانين في قولهم ان نظن الا ظناً وما نحن بمستيقنين ومعنى ما قال وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالقرآن من اجل آيات الله في الارض والسموات الدالة على فاطرهما ومنزله وكان يوصف من تهدده بعلمه فيه عند استماعه لكلامه العزيز منها وتنابه مناجياً لغيره اذ يقول سبحانه وتعالى نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى ويمثل من يسمع وقلبه مشغول عن المسموع بما يضره عما ينفعه حتى اذا خرج عن الكلام سأل من حضر بقلبه ماذا فهم من الخطاب الذي كان هو بعقله عنه قد غاب وكان حاضراً بجسمه حجة عليه فمن ذلك قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفاً قال الله سبحانه وتعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اي عن فقه الخطاب فلم تسمعه القلوب ولم تعه واتبعوا اهواءهم يعني اباطيلهم وظنونهم الكاذبة ويقال ان العبد اذا تلا القرآن فاستقام نظر الله سبحانه وتعالى اليه بوجهه فاذا قرأ القرآن وخلط ناداه الله عز وجل ما لك ولكلامي وانت تعرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي

مطلب

وروينا في الاسرائيليات اوحى الله سبحانه وتعالى الى نبيه موسى وداود عليهما السلام مر عصاة بني اسرائيل ان لا يذكروني فاني آليت على نفسي ان اذكر من ذكرني واني اذكرهم باللعنة وكان يوصف من اخبر عنه اذ يقول سبحانه وتعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وصفهم بالظن الكاذب والرجا المخلف الذين لم يقترنا بخوف واشفاق عصوا خالقهم عاجلاً وتمنوا عليه المغفرة آجلاً جهلاً منهم بحكمته واعراضاً عن احكامه قال الله سبحانه وتعالى الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ثم اخبر عن علمهم بذلك علم قول وخبر لا علم يقين ومعاينة فقال سبحانه وتعالى ودرسوا ما فيه اي قرأوا هذا وعلموه ولم يعملوا به فلم ينتفعوا بشيء منه فكان هذا توبيخاً لهم وتقريعاً كقوله سبحانه وتعالى قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين

وفيها وجه غريب ودرسوا ما فيه اي محوه بترك العمل به والفهم له من قولك درست الريح الآثار اذا محتها وخط دارس وربع دارس اذا امحى وعفا اثره وهذا المعنى مواطئ لقوله سبحانه وتعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين اي ما تتبع وتهوى وهو مواطئ لقوله سبحانه وتعالى فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فسمى ترك العمل به طرحاً له والقاء وبيعاً له بالدنيا واشتراء وكل آية في التهديد والوعيد فللخائفين منها وعظ وتخويف وللغافلين عنها وصف وتعريف علمه من علمه كقوله سبحانه وتعالى في ذكر النار ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون وقال في بعض خبرها اعدت للكافرين وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل له وكيف ذلك قال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم الا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال سفيان في قوله سبحانه وتعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال اصرف عنهم فهم القرآن وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي قال الفضيل رضي الله عنه حرموا فهم القرآن

مطلب

وفي الاخبار من ذم القراء البطالين اكثر من ان يذكر فمن ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي امتي قراؤها وكان الحسن رضي الله عنه يقول انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً فانتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل اليهم من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقد كان ابن مسعود من قبله يقول انزل القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً ان احدهم ليتلو القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد اسقط العمل به (عليهم) وفي حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا برهة من دهرنا واحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي ان يقف عنده منها كما تعلمون انتم القرآن ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي ان يقف عنده منه فينثره نثر الدقل وهذا كما قال لان المراد المقصود بالقرآن الايتمار للاوامر والانتهاء عن الزواجر اذ حفظ حدوده مفترض وهو مسؤول عنه العبد ومعاقب عليه وليس حفظ حروفه فريضة ولا عقاب على العبد اذا لم يحفظ ما تيسر منه قال الله سبحانه وتعالى

انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً اي العمل به ثقيل والا فقد يسّره للذكر ومن ذلك الخبر المأثور عن
النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤونه
وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه وحدثني شيخ فاضل قال قرأت عليه القرآن قال قرأت القرآن على
شيخ لي فلما ختمت رجعت اليه لاقرأ فانتهرني وقال جعلت القراءة علي عملاً اذهب فاقرأ على الله عز وجل
فانظر ماذا يسمعك منه ويفهمك عنه وقد كان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يحفظ الا الجزء
والجزئين والسور المعدودة والسورتين وكان من يحفظ الحزب منه وهو سبع او البقرة والانعام عالماً
فيهم وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الف نفر لم يحفظ القرآن كله منهم الا ستة
اختلف منهم في اثنين وقال بعضهم لم يكن جمعه من الخلفاء الاربعة احد وختم ابن عباس على ابي بن كعب وقرأ عبد الرحمن
ابن عوف على ابن عباس وقرأ عثمان بن عفان رضي الله عنه على زيد بن ثابت وقرأ اهل الصفة على ابي هريرة
وكلهم كان متبعاً للاوامر مجتنباً للزواجر عالماً به فقيهاً فيه وقال يوسف بن اسباط وقد قيل له
اذا ختمت القرآن باي شيء تدعو فقال باي شيء ادعو استغفر الله سبحانه وتعالى مائة مرة من تلاوتي
وكان يقول اني لاهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار
واعلم ان للعبد في قراءة القرآن حسب ماله من تعظيمه والفهم له والمشاهدة منه والمعاملة به لانه من
اكبر شعائر الله في خلقه واعظم آياته في ارضه الدالات عليه واسبغ نعمه الكاملة علينا وللعبد من
التعظيم له بقدر تقواه وله من فهم الخطاب وتعظيم الكلام نحو ما اعطي من معرفة المتكلم وهيبته واجلاله
فاذا عظم المتكلم في قلبه وكبر في هيبته الهم تدبر كلامه فاطال الفكرة فيه وخط به واكثر ترداده وتكريره
على قلبه واسرع تذكره عند النازلة به والحاجة اليه فاتقى وحذر وقال سبحانه وتعالى واذكروا ما فيه
لعلكم تتقون وقال كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون لان كل كلام موقوف على قائله يعظم
بتعظيمه ويقع في القلوب بعلو مكانه او يهون لسهولة شانه فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء في
العظمة والسلطان وليس ككلامه كلام في الاحكام والبيان وقرأت في بعض الكتب من التوراة
اي عبدي اما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض اخوانك وانت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد
لاجله وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم وصلت
لك فيه من القول كم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون عليك
من بعض اخوانك اي عبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك
فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه اومأت اليه ان كف وها انا ذا مقبل عليك ومحدث لك

وانت معرض بقلبك عني افجعلتني اهون عندك من بعض اخوانك او كما قال وانما خف القيام على اهل الليل
لفهم الخطاب وثقل على اهل النوم لانعجام القلوب عن الفقه وشدة الحجاب كما قال الله سبحانه وتعالى
ثقلت في السموات والارض اي خفي علمها يعني الساعة فثقلت عليهم فسمي ما خفي علمه ثقيلاً

كتاب ذكر الجهر بالقرآن وما في ذلك من البيان وتفصيل حكم الجهر والاخفات روينا

قراءة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل قراءة السر على العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفي
مطلب
لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفي الخبر العام يفضل عمل
السر على عمل العلانية سبعون ضعفاً وفي مثله من العموم خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي الخبر
لا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقرآن في صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه
برد اذهب الى هذا المصلي فمره ان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وان للرجل فيه نصيباً
فرفع سعيد صوته فقال يا ايها المصلي ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت
تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً قال فسكت عمر وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه
وانصرف وهو يومئذ امير المدينة وعلى ذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع جماعة من اصحابه
يجهرون بالقراءة في صلاة الليل فيصوب ذلك لهم ويستمع اليهم وقد امر بالجهر فيما روي عنه اذا قام احدكم
من الليل يصلي فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلاته ومر صلى الله
عليه وسلم على ثلاثة من اصحابه في الليل مختلفي الاحوال منهم من كان يخافت وهو ابو بكر فسأله عن ذلك فقال
ان الذي اناجيه هو يسمعني ومنهم من كان يجهر وهو عمر فسأله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان
ومنهم من كان يقرأ آيات من هذه السورة وآيات من هذه السورة وهو بلال فسأله عن ذلك فقال
اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن واصاب فنقول والله اعلم ان المخافتة بالقراءة افضل
اذا لم يكن للعبد نية في الجهر او كان ذاهباً عن الهمة والمعاملة بذلك لانه اقرب الى السلامة وابعد
من دخول الآفة وان الجهر افضل لمن كانت له نية في الجهر ومعاملة مولاه به لانه قد قام بسنة قراءة
الليل ولان المخافتة نفعها لنفسه والجهر نفعه له ولغيره وخير الناس من نفع الناس والنفع
بكلام الله عز وجل من افضل المنافع ولانه قد ادخل عملاً ثانياً يرجو به قربة ثانية على عمله الاول
فكان ذلك افضل وليجعل العبد مفتاح درسه ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرأ قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد

وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله العظيم وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا به وبارك
لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم ومن حفظ جوارحه وقلبه عن النهي فقد عمل
بالقرآن الى خاتمته لانه مقسط على جملة العبد وجوارحه جملته وفي الجهر بالقراة سبع نيات منها
الترتيل الذي امر به ومنها تحسين الصوت الذي ندب اليه في قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم
وفي قوله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن اي يحسن به صوته وهو احد الوجهين ولجهما
الى اهل العربية والوجه الآخر اي من لم يستغن به من الغيبة والاكتفاء وقد يقال من هذا الوجه
يتغانى به ومنها ان يسمع اذنيه ويوقظ قلبه لتدبر الكلام وتفهم المعاني ولا يكون ذلك كله الا في
الجهر ومنها ان يطرد النوم عنه برفع صوته ومنها ان يرجو بجهره يقظة نائم فيذكر الله فيكون هو
سبب احيائه ومنها ان يراه بطال غافل فينشط للقيام ويشتاق الى الخدمة فيكون هو معاونا له
على البر والتقوى ومنها ان تكثر بجهره تلاوته ويدوم قيامه على حسب عادته للجهر ففي ذلك كثرة عمله
فاذا كان العبد معتقدا لهذه النيات طالبا لها متقربا الى الله سبحانه وتعالى بها عالما بنفسه مصححا
لقصده ناظرا الى مولاه الذي استعمله فيما يرضاه فجهره افضل لان له فيه اعمالا وانما يفضل
العمل بكثرة النيات فيه وارتفع العلماء وفضلت اعمالهم بحسن معرفتهم بنيات العمل واعتقادهم
لها فقد يكون في العمل الواحد عشر نيات يعلم ذلك العلماء فيعملون به فيعطون عشرة اجور وافضل
الناس في العمل اكثرهم نية فيه واحسنهم تسددا وادبا وفي بعض التفسير في قوله سبحانه وتعالى واما
بنعمة ربك فحدث قال قراءة القرآن وفي الخبر من استمع الى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفي
خبر آخر كتبت له عشر حسنات والتالي شريك المستمع في الاجر لانه اكسبه ذلك وقال بعضهم للقارئ اجر
وللمستمع اجران وقال الآخر وللمستمع تسعة اجور فاذا كان التالي مكسبا لغيره هذه الاجور فان له بكل اجر
اكسبه خاد اجرا لحسبه لقوله صلى الله عليه وسلم الدال على الخير كفاعله لا سيما ان كان عالما بالقرآن فقيها
فيه فيكون مقراه ووقوفه حجة وعلما للسامع وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر عايشة
رضي الله عنها فابطات عليه فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت استمع قراة رجل ما سمعت احسن
صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله
الذي جعل في امتي مثله واستمع ايضا ذات ليلة الى قراة عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضي الله
عنهما فوقفوا طويلا ثم قال من اراد ان يقرا القرآن غضا كما انزل فليقراه على قراة ابن ام عبد
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرا فقال يا رسول الله اقرا وعليك انزل فقال اني احب

ان اسمعه من غيري فكان يقرا وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان وذلك عند قوله سبحانه وتعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى قراة ابي موسى فقال لقد اوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى رضي الله عنه فقال يا رسول الله
لو علمت انك كنت تسمع لحبرته لك تحبيرا وكان ابن مسعود يامر علقمة بن قيس رضي الله عنهما ان يقرا
بين يديه ويقول له رتل فداك ابي وامي وكان حسن الصوت بالقرآن وفي الخبر كان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرا سورة من القرآن وكان عمر يقول لابي موسى الاشعري ذكرنا
ربنا فيقرا عنده حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط فيقال يا امير المومنين الصلاة الصلاة فيقول اولسنا
في صلاة كانه يتاول قوله سبحانه وتعالى ولذكر الله اكبر وقال بعض عباد البصريين لما وضع بعض البغداديين
كتابا في معاني الريا ودقايق آفات النفوس قال لقد كنت امشي بالليل فاسمع اصوات المتهجدين
كانها اصوات المحازين فكان في ذلك انس وحث على الصلاة والتلاوة حتى جانا البغداديون بدقايق الريا
وخفايا الآفات فسكت المتهجدون فلم نزل ذلك ينقص حتى ذهب وانقطع وترك الى اليوم فان لم يكن
للتالي نية في شي مما ذكرناه وكان ساهيا غافلا عن ذلك او كان واقفا مع شي من الآفات او سنح
في قلبه شخص او سانح ذكر هوى فقد اعتل فعليه ان يختتم الجهر فان جهر على ذلك دخل قلبه وفسد عمله
لاستكان الداء فيه فكان الى النقصان اقرب ومن الاخلاص ابعد فعليه حينئذ بالاخفاء فهو دواؤه
يعالج به حاله فانه اصلح لقلبه واسلم لعمله واحمد في عاقبته وقد يكون العبد واجدا بحلاوة الهوى
في التلاوة والصلاة وهو يظن ان ذلك حلاوة الاخلاص وهذا من دقيق شان الشهوة الخفية ولطيف
الانتقاص وقد يلتبس ذلك على الضعفاء ولا يفطن له الا العلماء وانما يجد حلاوة الاخلاص الزاهدون
في الدنيا وفي مدح الناس لهم ويلتذ بنصح المعاملة وصدق الخدمة المحبون لله الخايفون منه واعتبار
ذلك باحد شيئين سقوط النفس باستواء الذم والمدح وهذا حال في مقام الزهد وخروج الخلق
من القلب بشهادة اليقين وهذا حال في مقام المعرفة وفي هذين المقامين يستوي السر والعلانية
مطلب
وقد تكون العلانية افضل لاهل القوى والعلم وحدثت عن رجل من اهل الخير قال كنت اقرا في
السحر في غرفة لي شارعة سورة طه فلما ختمتها غفوت بعدها غفوة فرايت شخصا نزل من السماء
بيده صحيفة بيضا فنشرها بين يدي فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات
مثبتة الا كلمة واحدة فاني رايت مكانها محوا ولم ار تحتها شيا فغمني ذلك فقلت فوالله قرات
هذه الكلمة وما ارى لها ثوابا ولا اراها اثبتت فقال الشخص صدقت قد قراتها وكتبناها لك الا

أننا سمعنا منادياً ينادي امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها فبكيت في منامي وقلت لم فعلتم ذلك
قالوا مرّ رجل فرفعت بها صوتك لأجله فمحيت وقد روينا أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأ
يجهر بقرآنه فناداه يا فلان أسمع الله ولا تسمعني واعلم أن السمعة مقرونة بالرياء ومحكوم لها بحكمه
من فساد العمل ونقصان العامل وهي مأخوذة من السمع كأن العبد يسمع بعمله غير الله ويحب أن
يسمع به مخلوق ليمدحه به لغلبة هواه وضعف يقينه فيكون قد أشرك في عمله غير الله فيبطل
عمله بجهله بالتوحيد إذ لو علم يقيناً أن لا نافع ولا ضار إلا الله ولا معطي ولا مانع إلا هو إياه أخلص
له توحيده من الشرك فخلص عمله من الرياء وكذلك الرياء مأخوذ من رأي العين والسمعة في معناه وفي
الخبر لا يقبل الله من مسمع ولا مراء وفي خبر آخر من سمّع سمّع الله به ومن راءى راءى الله سبحانه وتعالى به
وصغّره وحقّره فأما من كانت له نية صالحة في أن يسمع أخاه كلام الله ليتعظ به ويتدبره أو لينتفع
باستماعه ويتذكر به فليس داخلاً في السمعة لوجود حسن النية وصحة القصد ولفقد اقتران
الآفة الإرادة طمع عاجل من مدح أو عرض دنيا كما قال أبو موسى رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لو علمت أنك تسمع لحبّرت لك تحبيراً فلم ينكر عليه ذلك لأنه ذو نية في الخير وحسن قصد له وقال
للآخر الذي أظهر صوته بالآية أسمع الله ولا تسمعني فأنكر عليه لما شهد السمعة فيه وقد روينا أنه مرّ
صلى الله عليه وسلم برجل يظهر التأوّه والوجد فقال من كان معه يا رسول الله أتراه مرائياً فقال لا بل
أوّاه منيب واعلم أن الأكل والنوم على السلامة والصدق أفضل في الحال وأرفع للمقام وأحمد في المآل
من القيام والصيام على تسبير من التصنع والتزين للخلق ومعرفة هذا والقيام به هو موضع علم العلماء
بالله حدّثنا عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال تفقدوا الحلاوة في ثلاث فإن وجدتموها فابشروا
وامضوا لقصدكم وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق عند تلاوة القرآن وعند الذكر وفي السجود وزاد غيره
وعند الصدقة وبالأسحار وقراءة القرآن في المصحف أفضل من قراءته عن ظهر قلب يقال الختمة بسبع ختمات
لأن النظر في المصحف عبادة وكان كثير من الصحابة والتابعين يقرؤون في المصحف ويستحبون أن لا
يخرج يوم إلا نظروا فيه وخرّق عثمان رضي الله عنه مصحفين من كثرة درسه فيهما **ذكر** إحياء
الليالي المرجو فيها الفضل يستحب إحياء خمس عشرة ليلة في السنة ست منها في شهر رمضان
وهي وتر ليالي العشر الأواخر منه وليلة سبع عشرة من رمضان وهي ليلة صبيحة يوم الفرقان
يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وكان ابن الزبير يذهب إلى أنها ليلة القدر والثماني
الأخر فأول ليلة من شهر المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من شهر رجب وليلة النصف منه وليلة

سبع وعشرين منه وفيها أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ليلة المعراج وليلة عرفة وليلتا العيدين
وليلة النصف من شعبان وقد كانوا يصلون في هذه الليلة مائة ركعة بألف مرة قل هو الله أحد عشراً
في كل ركعة ويسمون هذه الصلاة صلاة الخير ويتعرفون بركتها ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة روينا
عن الحسن قال حدثني ثلاثون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر
الله سبحانه وتعالى إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة وقد قيل إن هذه
الليلة هي التي قال الله سبحانه وتعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وأنه ينسخ فيها أمر السنة وتدبير الأحكام إلى
مثلها من قابل والله أعلم والصحيح من ذلك عندي أنه في ليلة القدر وبذلك سميت لأن التنزيل يشهد له
إذ في أول الآية إنا أنزلناه في ليلة مباركة ثم وصفها فقال فيها يفرق كل أمر حكيم فالقرآن إنما أنزل
في ليلة القدر فكانت هذه الآية بهذا الوصف في هذه الليلة مواطئة لقوله إنا أنزلناه في ليلة القدر
ذكر مواصلة الأوراد في الأيام الفاضلة وهي تسعة عشر يوماً تستحب فيها مواصلة الأوراد والدؤوب
في العبادة يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب ويوم سبعة عشر من رمضان ويوم النصف
من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين والأيام المعلومات وهي عشر ذي الحجة والأيام المعدودات وهي
أيام التشريق وفي الخبر صوم يوم عرفة يكفر سنتين سنة ماضية وسنة مستقبلة وصوم يوم عاشوراء
كفارة سنة وقد روينا عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام
وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض علمائنا من أخذ مهناه في هذه الأيام الخمسة في الدنيا
لم ينل مهناه في الآخرة وقال أيضاً هذه الأيام يرجى فيها الفضل من الله سبحانه وتعالى والمزيد فإذا اشتغلت
فيها بهواك وعاجل الدنيا فمتى ترجو الفضل والمزيد يعني بالأيام الخمسة العيدين ويوم الجمعة ويوم عاشوراء
ويوم عرفة ومن فواضل الأيام بعد هذه يوم الاثنين ويوم الخميس يومان ترفع فيهما الأعمال إلى الله
سبحانه وتعالى ومن أفاضل الشهور الأربعة الحرم وهن ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب خصهن
الله سبحانه وتعالى بالنهي عن الظلم فيهن لعظيم حرمتهن فلذلك الأعمال فيهن فضل على غيرها وأفضلها ذو الحجة
لوقوع الحج فيه ولما خص به من الأيام المعلومات والأيام المعدودات ثم ذو القعدة لجمعه الوصفين
معاً هو من الأشهر الحرم ومن أشهر الحج فأما المحرم ورجب فليسا من أشهر الحج وأما شوال فليس من
الأشهر الحرم ولكنه من أشهر الحج وأفضل الأيام في الشهر العشر الأواخر من رمضان والعشر الأول
من ذي الحجة وبعدهما عشر المحرم من أوله فالأعمال في هذه الأيام لها فضل ومزيد على سائر الشهور
وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام ثلاثة أيام من شهر حرام بعّده الله سبحانه وتعالى من النار

سبع مائة عام يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت وفي خبر آخر صوم يوم من الأشهر الحرم يعدل صوم ثلثين
يوماً من غيره وصوم يوم من شهر رمضان يعدل صوم ثلثين يوماً من شهر حرام ثم إن أفضل الأوقات في جملة
الأيام أوقات الصلوات الخمس ورويناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخلت العشر الأواخر من رمضان
طوى الفراش وشد المئزر وفي الحديث إذا دخلت العشر الأواخر دأب وأدأب أهله يعني أدام وأداموا التعب
والنصب في العبادة وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله سبحانه
وتعالى من أيام عشر ذي الحجة إن صوم يوم منها يعدل صيام سنة وقيام ليلة منها يعدل قيام ليلة القدر
قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع
منهما بشيء وفي الخبر الآخر إلا من عقر جواده وأهريق دمه وإذا أحب الله تعالى عبداً استعمله في الأوقات
الفاضلة بأفضل الأعمال ليثيبه أفضل النوال وإذا مقت عبداً استعمله بأسوإ الأعمال في أفاضل
الأوقات ليضاعف له السيئات بانتقاص حرمات الشعائر وانتهاك الحرام في الحرمات ويقال من علامة التوفيق ٢
ثلاث دخول أعمال البر عليك من غير قصد لها وصرف المعاصي عنك مع الطلب لها وفتح باب اللجأ والافتقار
إلى الله العزيز الغفار في الشدة والرخاء ومن علامة الخذلان أعاذنا الله منه ثلاث تعسير الخيرات عليك
مع الطلب لها وتيسير المعاصي لك مع الهرب منها وإغلاق باب اللجأ والافتقار إلى الله سبحانه وتعالى في كل حال
نسأل الله حسن التوفيق والاختيار ونعوذ به من سوء القضاء والأقدار

كتاب الجمعة

وذكر هيئاتها وآدابها وما يستحب من العمل فيها والمزيد في يومها وليلتها صلاة الجمعة واجبة بأوصاف
ساقطة بأوصاف فوجوبها يكون بالإقامة والاستطاعة وحضور وقت الظهر وتكملة عدد أربعين
رجلاً وسقوطها بالسفر ودخول وقت العصر ونقصان العدد ووقوع العذر وهي من أعمال الأمراء
تصلى خلف كل من قام بها منهم إلا أني أحب إعادتها ظهراً إذا صليت خلف مبتدع فإن اجتمع في
بلد كبير جامعان صليت خلف الأفضل من إماميهما فإن استويا في الفضل صليت في الأقدم من
الجامعين فإن تساويا صليت في الأقرب منهما إلا أن يكون له في الأبعد نية لاستماع علم أو تعلمه
وصلاتها في الجامع الأعظم وحيث يكون المسلمون أكثر أفضل ومن صلى في أيها أحب حسبت صلاته قال
ابن جريج قلت لعطاء إذا كان في المصر جامعان أو ثلاثة في أيها أصلي قال صل حيث جمع المسلمون فإنها
جمعة وهو يوم عظم الله عز وجل به الإسلام وزينه وشرف به المسلمين وفضلهم قال الله سبحانه وتعالى
يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع الآية فالبيع والشراء
محرمان بعد الأذان للجمعة عند طائفة من العلماء لعموم النهي عنه ومنهم من قال يرد البيع لأنه فاسد

إلا أني أحسب أن ذلك يحرم عند الأذان الثاني وهو مع خروج الإمام إذا قعد على المنبر لأن هذا كان
هو الأذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والأذان الأول أحدثه
عثمان رضي الله عنه لما كثر الناس وقال الله سبحانه وتعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض
وابتغوا من فضل الله الآية فأمر عباده المؤمنين في يوم الجمعة بالذكر له ونهاهم عن البيع وأمرهم بطلب
الفضل منه ووعدهم الخير والفلاح وهما اسمان جامعان لغنيمة الدنيا والآخرة وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى فرض عليكم الجمعة في يومي هذا وروي عنه صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة
ثلاثاً من غير عذر طبع الله عز وجل على قلبه وفي لفظ حديث آخر فقد نبذ الإسلام وراء ظهره واختلف
رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار فلم يزل يتردد إليه
شهراً يسأله عن ذلك يقول في النار ويقصد الجمعة من فرسخين أو ثلاثة واستحب لمن بكر إليها من
أهل القرى فأدركها وأدركه الليل فآواه إلى أهله إذا خرج أن يشهدها إلا أنها ساقطة عن خمسة الصبي
والمملوك والمرأة والمسافر والمريض فمن شهدها من هؤلاء فصلاها أجزأت عنه وكان يؤدي بها الفرض عنه
وفي الخبر أن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله سبحانه وتعالى له
أخره لهذه الأمة جعله عيداً لهم فهم أول الناس به سبقاً وأهل الكتابين لهم تبعاً وفي حديث أنس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه السلام في كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك
لتكون لك عيداً ولأمتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم
أعطاه الله أو ليس له قسم ذخر له ما هو أعظم منه أو تعوذ من شر هو عليه مكتوب أعاذه الله سبحانه وتعالى
من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال إن ربك
اتخذ في الجنة وادياً أفيح من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه وذكر الحديث
قال فيه فيتجلى لهم حتى ينظروا إلى وجهه ذكرناه بتمامه في مسند الألف وروي عنه صلى الله عليه وسلم
خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تقوم الساعة
وهو عند الله عز وجل يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله عز وجل في الجنة في
أخبار يطول ذكرها وفي الحديث ما من دابة إلا وهي قائمة على ساق يوم الجمعة مصيخة أي مصغية تتوقع
مشفقة من قيام الساعة إلا الشياطين وشقي بني آدم ويقال إن الطير والهوام يلقى بعضها
بعضاً يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وفي الخبر أن لله عز وجل في كل يوم جمعة ستمائة ألف عتيق
من النار وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وقال كعب الأحبار

إن الله سبحانه وتعالى فضّل من كل خلقه شيئاً ففضّل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان
ومن الأيام الجمعة وفي الخبر أن جهنم تسعّر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا
تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كله وإن جهنم لا تسعّر فيه فأفضل ما يعمله العبد
في يوم الجمعة البكور إلى الجامع في الساعة الأولى فإن لم يفعل ففي الساعة الثانية فإن لم يكن ففي الساعة الثالثة
لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرّب بدنة ومن راح
في الساعة الثانية فكأنما قرّب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما أهدى كبشاً أقرن ومن راح في
الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام
طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فإنما جاء لحق
الصلاة وليس من الفضل في شيء فالساعة الأولى تكون بعد صلاة الصبح والساعة الثانية تكون عند ارتفاع
الشمس والثالثة تكون عند انبساطها وهي الضحى الأعلى إذا رمضت الأقدام لحر الشمس والساعة الرابعة
تكون قبل الزوال والخامسة إذا زالت الشمس أو مع استوائها وليست الساعة الرابعة والخامسة مستحبتين
للبكور ولا فضل لمصلي الجمعة بعد الساعة الخامسة لأن الإمام يخرج في آخرها فلا يبقى إلا فريضة الجمعة
وقد يروى في خبر آخر إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة
وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم وجاء في الأثر أن الملائكة يتفقدون العبد إذا
تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضاً عنه ما فعل فلان وما الذي أخّره عن وقته فيقولون
اللهم إن كان أخّره فقر فأغنه وإن كان أخّره مرض فاشفه وإن كان أخّره شغل ففرّغه لعبادتك
وإن كان أخّره لهو فأقبل بقلبه إلى طاعتك وروينا في خبر مقطوع عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث
لو علم الناس ما فيهن لركضوا الإبل في طلبهن الأذان والصف الأول والغدو إلى الجمعة وقال أحمد بن حنبل
وقد ذكر هذا الحديث أفضلهن الغدو إلى الجمعة ويقال إن الناس يكونون في قربهم من الله سبحانه وتعالى
عند الزيارة للنظر إليه على قدر بكورهم إلى الجمعة ودخل ابن مسعود يوم الجمعة مبكراً فرأى ثلاثة نفر
قد سبقوه بالبكور فوجم لذلك وجعل يقول رابع أربعة يعني نفسه وما رابع أربعة ببعيد وهذا من اليقين
في هذه المشاهدة للخبر ولا يدع الغسل لها يوم الجمعة إلا من ضرورة فإنه عند بعض العلماء فريضة والاغتسال
في البيت أفضل وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من
حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما من أتى الجمعة فليغتسل وكان أهل المدينة يتسابّون بينهم
فيقولون لأنت أشر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقد قال عمر لعثمان رضي الله عنهما لما دخل وهو يخطب

أهذه الساعة فقال ما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن توضأت وخرجت فقال عمر رضي الله عنه
والوضوء أيضاً وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل ولكن في ترك الغسل رخصة لوضوء
عثمان رضي الله عنه مع علمه ويستند ذلك إلى الخبر المسند من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل
فالغسل أفضل وروينا عن الصحابة عليهم السلام أمرنا بالغسل يوم الجمعة في الصيف فلما جاء الشتاء كان
من شاء اغتسل ومن لم يشأ ترك الغسل وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد الجمعة من الرجال
والنساء فليغتسلوا فلذلك قال مالك بن أنس إن النساء إذا حضرن الجمعة اغتسلن لها ومن اغتسل للجنابة
أجزأه لغسل الجمعة إذا نوى ولا بد من النية لغسل الجنابة ويكون الغسل للجمعة داخلاً فيه فإن أفاض
عليه الماء ثانية بعد غسله للجنابة لأجل الجمعة فهو أفضل دخل بعض الصحابة على ابنه وهو يغتسل
يوم الجمعة فقال أللجمعة غسلك هذا قال لا بل من جنابة قال فأعد غسلاً ثانياً فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول واجب على كل مسلم أن يغتسل يوم الجمعة ومن اغتسل بعد طلوع الفجر للجمعة أجزأه ولكن أفضل
الغسل لها عند الرواح إلى الجامع وأحب أن لا يحدث وضوءاً بعد الغسل حتى يفرغ من صلاة الجمعة فمن العلماء
من كره ذلك ولكن إن بكّر إلى الجامع فتوضأ هناك من حيث لحقه لامتداد الوقت فإنه على غسل الجمعة
ويستحب أن يستاك ويلبس من صالح ثيابه ويجتنب الشهرة من اللباس ومن أفضل ما لبس البياض أو
بردان يمانيان ولبس السواد يوم الجمعة ليس من السنة ولا من الفضل أن ينظر إلى لابسه وليقلم أظفاره
ويأخذ من شاربه فقد روي فضل ذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أمره وروينا عن ابن مسعود
رضي الله عنه وغيره من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منها داء وأدخل فيها شفاء وليتطيب بأطيب
طيبه ما ظهر ريحه وخفي لونه فذلك طيب الرجال وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه روينا ذلك
في الأثر ويستحب لبس العمامة يوم الجمعة وقد روينا فيه حديثاً شامياً عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة فإن أكربه الحر
فلا بأس أن ينزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن يخرج من منزله إلى الجامع وهو لابسها ولا يصلي إلا
معتماً لتحصل له فضيلة العمة وليلبسها حينئذ عند صعود الإمام المنبر ثم ليصل وهي عليه
فإن شاء نزعها بعد ذلك وليخرج إلى الله سبحانه وتعالى خاشعاً متواضعاً ذا سكينة ووقار وإخبات
وافتقار وليكثر من الدعاء والاستغفار وينوي في خروجه زيارة مولاه في بيته والتقرب إليه
بأداء فريضته والعكوف في المسجد إلى حين انقلابه ثم لينو كف جوارحه عن اللهو واللغو وينوي
الشغل بخدمة مولاه وليترك أحشه في ذلك اليوم ومهناه من عاجل حظ دنياه وليواصل الأوراد فيه

فيجعل اوله الى انقضاء صلاة الجمعة للخدمة بالصلاة واوسطه الى صلاة العصر لاستماع العلم ومجالس
الذكر واخره الى غروب الشمس للتسبيح والاستغفار ومن ذلك كان المتقدمون يقسمون يوم الجمعة بهذه
الاقسام الثلثة وان صامه فحسن بضمه الى يوم الخميس او يضيف اليه يوم السبت فقد كره افراده بصوم
ومن لم يصمه وكان له اهل فالمستحب ان يجامع فيه اهله فقد روي في فضل ذلك وقد كان بعض السلف
يفعله وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غسل واغتسل وغدا وابتكر ودنا من الامام ولم يلغ كان
له بكل خطوة صيام سنة وقيامها وفي خبر آخر ودنا من الامام واستمع كان له ذلك كفارة لما بين الجمعتين
وزيادة ثلثة ايام وفي لفظ آخر غفر له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس
فمعنى قوله غسّل بالتشديد اي غسّل اهله كناية عن الجماع وبعض الرواة يخففه فيقول من غسل واغتسل
يكون معناه عنده غسل راسه واغتسل لجسده وليتق ان يتخطى رقاب الناس فان ذلك مكروه جدا
وقد جاء فيه وعيد شديد ان من فعل ذلك جعل جسرا يوم القيامة على جهنم يتخطاه الناس وروى
ابن جريج حديثا مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ راى رجلا يتخطى رقاب
الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان
ما منعك ان تجمع اليوم معنا فقال يا نبي الله قد جمعت قال اولم اراك تتخطى رقاب الناس وفي حديث
مسند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما منعك ان تصلي معنا الجمعة فقال اولم تراني قال قد رايتك
مطلب
تانيت وآذيت اي تاخرت عن البكور وآذيت الحضور ولا يقعد الى القصاص في يوم الجمعة فقد كره
ذلك ولا في حلقة قبل الصلاة فقد روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالما بالله تعالى يذكر بايام
الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور الى الجمعة وبين
الاستماع للعلم وروينا عن بعض علماء السلف قال ان لله سبحانه وتعالى فضلا من الرزق سوى
مطلب
ارزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل الا من ساله عشية الخميس ويوم الجمعة وفي الخبر المشهور ان
في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله سبحانه وتعالى فيها شيئا الا اعطاه وفي لفظ آخر لا يصادفها
عبد يصلي واختلف في وقت هذه الساعة فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل عند
الاذان وقيل هي اذا صعد الامام المنبر واخذ في الذكر وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل بعد
العصر في آخر اوقاتها وقيل عند غروب الشمس اذا تدلى حاجبها الاسفل كانت فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم تراعي ذلك الوقت وتامر خادمها ان ينظر الى الشمس فيؤذنها بسقوطها فتاخذ في الدعاء

والاستغفار في ذلك الوقت الى ان تغرب الشمس وتخبر ان تلك الساعة هي المنتظرة وتاثره عن ابيها
صلى الله عليه وسلم فهذا اجمل ما قيل في هذه الساعة بروايات جاءت في ذلك متفرقة حذفنا ذكرها فليتوخ من الاوقات
وليتعمد الدعاء فيها والصلاة فيما صلح منها وقد قال بعض العلماء ان هذه الساعة هي مبهمة في جميع اليوم لا
يعلمها الا الله كانها بمنزلة ليلة القدر مبهمة في جميع شهر رمضان وكانها مثل الصلاة الوسطى في جملة
الصلوات الخمس وقد قيل انها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر عند بعضهم في ليالي الشهر ليكون
العبد طالبا الى الله عز وجل وراغبا متضرعا مفتقرا في جميع ذلك اليوم فمن واصل الاوراد فيه وعمر
بالذكر كل ساعة منه صادفها باذن الله عز وجل وان لم يواصل الساعات في يوم واحد فليواصلها في جمع
شتى وقتا على وقت على ترتيب اوقات يوم فانها تقع في جميع الاوقات لا محالة وليكثر الدعاء والتضرع
في وقتين خاصة عند صعود الامام المنبر الى ان يقام الصلاة ويدخل فيها وعند آخر ساعة وقت تدلي الشمس
للغروب فهذان الوقتان من افضل اوقات الجمعة ويقوى في نفسي ان في احديهما الساعة المرجوة وقد اجتمع
كعب الاحبار مع ابي هريرة رضي الله عنهما فاجمع راي كعب انها في آخر ساعة من يوم الجمعة فقال له ابو هريرة كيف
يكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلاة فقال له
كعب الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قال بلى قال فذلك صلاة فسكت
ابو هريرة فكانه وافقه وليكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة وليلتها واقل ذلك ان يصلي
عليه ثمانين مرة وقد جاء في الخبر من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله سبحانه وتعالى له ذنوب ثمانين
سنة قيل يا رسول الله كيف الصلوة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي
مطلب في الصلاة عليه السلام
وتعقد واحدة وكيف ما صلى عليه بعد ان ياتي بلفظ ذكر الصلوة عليه فهي صلاة والصلوة المشهورة هي
التي رويت في التشهد وان جعل من صلاته عليه ان يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضى
ولحقه اداء واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جزيت
نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين يقول هذا سبع مرات
ففيه فضل عظيم يقال من قاله سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان زاد هذه الصلاة فهي ماثورة اللهم اجعل فضائل صلواتك وشرائف زكواتك
ونوامي بركاتك ورافتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول
رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به
قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون والآخرون اللهم اعط الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة

والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيعة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله اول شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وافلج حجته وارفع في اعلى المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكاسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين رب العالمين وليكثر من الاستغفار يوم الجمعة وليلتها واي لفظ ذكر فيه سؤال المغفرة فهو مستغفر وان قال اللهم اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم فهو افضل وان قال رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين فحسن ويستحب له ان يقرا ختمة يوم الجمعة فان ضاق عليه ذلك فليشفع اليه ليلتها ليكون ابتداؤه من ليلة الجمعة وان جعل ختمة القرآن في ركعتي الفجر من يوم الجمعة او في ركعتي المغرب ليلة الجمعة فحسن ليستوعب بذلك كلية اليوم او الليلة وان جعل ختمة بين الاذان للجمعة والاقامة للصلاة ففيه فضل ويستحب ان يصلي قبل الجمعة اثنتي عشرة ركعة وبعدها ست ركعات واذا دخل الجامع فليصل اربع ركعات يقرا فيهن قل هو الله احد مائتي مرة في كل ركعة خمسون ففيه اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له واذا دخل الجامع فلا يقعدن حتى يصلي ركعتين قبل ان يجلس وكذلك اذا دخل والامام يخطب صلاهما خفيفتين وان سمعه لامر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الا انه قد جاء في حديث غريب ان النبي صلى الله عليه وسلم سكت له حتى صلاهما فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما ولعل سكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم مخصوص له لوجوب قوله وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطي نورا من حيث يقراها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال ويستحب ان يصلي يوم الجمعة اربع ركعات باربع سور سورة الانعام وسورة الكهف وسورة طه وسورة يس فان لم يحسن ذلك قرا يس وسجدة لقمن وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور في كل ليلة جمعة ففي ذلك اثر وفضل كثير فان لم يحفظ القرآن قرا جميع ما يحسن منه فذلك له ختمة فقد قيل ختمه من حيث علمه وقد كان العابدون يستحبون ان يقرؤوا يوم الجمعة الف مرة قل هو الله احد فان قراها في عشر ركعات او عشرين فهذا افضل من ختمة وقد كانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة ومن التسبيح والتهليل بالكلمات الاربع الف مرة وهذه ثلاثة اوراد حسنة في يوم الجمعة اعني قراءة قل هو الله احد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسبيح والتهليل الفا الفا فلا يدعن ذلك من رزقه او احدها فانه من افضل الاعمال في هذا اليوم وان صلى يوم الجمعة

قبل الزوال صلاة التسبيح وهي ثلثمائة تسبيحة في اربع ركعات فقد اكثر واطاب فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال صلها في كل جمعة مرة وذكر ابو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لم يكن يدع هذه الصلاة كل يوم بعد الزوال ويخبر عن فضلها بما يجل وصفه وان قرا المسبحات الست في يوم الجمعة او ليلتها فحسن وليس يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا سورا باعيانها الا في يوم الجمعة وليلتها فانا روينا انه كان يقرا في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكان يقرا في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة المنافقين وقد روي انه كان يقرا هاتين السورتين في صلاة الجمعة وكان يقرا في صلاة الغداة يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل اتى على الانسان واستماع العلم اليقين والمعرفة وحضور مجالس الذكر افضل من صلاته وصلاته افضل من حضوره مجالس القصاص وروينا في حديث ابي ذر رضي الله عنه حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة وفي خبر آخر لان تتعلم احدكم بابا من العلم او تعلمه خير له من صلاة الف ركعة وفي خبر قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل ينفع قراءة القرآن الا بعلم فالصلاة اذا عدم مجلس العلم بالله والتفقه في دين الله اولى من حضور مجلس القصص ومن الاستماع الى القصاص فان القصص كان عندهم بدعة وكانوا يخرجون القصاص من الجامع روي ان ابن عمر رضي الله عنهما جاء ذات يوم الى مجلسه في المسجد فاذا قاص يقص فقال له قم عن مجلسي فقال لا اقوم وقد جلست فيه او قال قد سبقتك اليه فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه فلو كان ذلك من السنة لما حل لابن عمر ان يقيمه من مجلسه لا سيما وقد سبق الى الموضع كيف وهو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقيمن احدكم اخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا او توسعوا قال وكان ابن عمر اذا قام له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وقد روينا ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها يقص فارسلت الى ابن عمر رضي الله عنهما ان هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي قال فضربه ابن عمر حتى كسر عصى على ظهره ثم طرده وليحذر ان يمر بين يدي المصلين وان كان مرور لا يقطع الصلاة ففي الخبر لان يقف احدكم اربعين سنة خير له من ان يمر بين يدي المصلي وقد جاء فيه وعيد شديد لان يكون الرجل رمادا رمددا تذروه الريح خير له من ان يمر بين يدي المصلي وقد سوى في ذلك بين المار وبين المصلي في الوعيد في حديث زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان ان يقف اربعين سنة خير له من ان يمر بين يديه وليدن المصلي من اسطوانة او جدار فاذا فعل ذلك فلا يدع احدا يمر بين يديه وليدفعه ما استطاع وفي حديث عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري عن ابيه فان ابى فليقاتله فانما هو شيطان وكان ابو سعيد يدفع

من يمرّ بين يديه حتى يصرعه فربما تعلّق به الرجل فاستعدى عليه مروان فيخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم
أمره بذلك فإن لم يتفق له أسطوانة فليجعل شيئاً بين يديه يكون طوله عظم الذراع وقد قيل إن كان
حبلاً ممدوداً فجائز أن يكون بينه وبين المارّ وقد قيل أربع من الجفاء أن يبول الرجل قائماً أو يصلي
في الصف الثاني ويترك الأول فارغاً أو يمسح جبهته في صلاته أو يصلي بسبيل من يمرّ بين يديه وقد كان
الحسن رضي الله عنه يقول تخطّوا رقاب الذين يقعدون على أبواب الجامع يوم الجمعة فإنه لا حرمة لهم وليقرب
من الإمام وينصت ويستمع ويستقبله بوجهه كذلك السنة إلا أن يخاف أن يسمع أو يرى منكراً من لبس
سواد أو حرير وديباج ولا يستطيع تغييره فليبعد حينئذ فهو أسلم ولا يلغو ولا يتكلم في خطبة الإمام
ولا يتكلم في العلم في خطبة الإمام وإن تعمّد ولا يجلس في حلقة من يتكلم والإمام يخطب ولا يقول لآخر اسكت
ولكن يومي إليه إيماءً أو يحصبه بحصاة فإن لغا والإمام يخطب بطلت جمعته ومن لم يقرب ويستمع فلينصت
وإن بعد كذلك المستحب فقد روينا عن علي وعثمان عليهما السلم من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع
وأنصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد وفي حديث أبي ذر
رضي الله عنه لما سأل أبيّاً رضي الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فأومأ إليه
أن اسكت فلما نزل النبي صلى الله عليه وسلم قال له أبيّ اذهب فلا جمعة لك فشكاه أبو ذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال صدق أبيّ وكذلك جاء في الخبر من قال لصاحبه والإمام يخطب أنصت أو صه فقد لغا ومن لغا والإمام
يخطب فلا جمعة له وليقطع الصلاة إذا قام المؤذنون للأذان بين يدي الإمام فقد روى أبو إسحق عن
الحارث عن علي عليه السلم تكره الصلوة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة
والإمام يخطب وقد جاء في الأثر خروج الإمام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام وسجود العامة عند
قيام المؤذنين للأذان قبل الخطبة ليس بسنة فإن وافق ذلك سجوده في صلاة أو سجود قرآن فلا بأس أن يمدّ
في الدعاء إلى فراغه لأنه وقت مفضّل ولا أعرف في ذلك أثراً غير أنه مباح ومن العلماء من كره الصلاة
في المقصورة لأجل أنها قصرت على السلطان وأوليائه وذلك بدعة عند أهل الورع ابتدعت في المساجد
لأنها غير مطلقة لجملة الناس وكذلك نقل في الخبر وكان الحسن وبكر المزني رضي الله عنهما يصليان في
المقصورة وروى ثابت رأيت أنس بن مالك يصلي في المقصورة وعمران بن حصين رضي الله عنه أيضاً ومنهم من
لم يكره ذلك ورأى فيه فضلاً لأجل السنة في الدنو من الإمام واستماع الذكر فإن أطلق للعامة زالت
الكراهة عنها وإن خصّ بها أولياء السلطان تُرد عليهم فإن صلى مصلٍّ فيها فإن بعض العلماء قد كره الصلاة
في فناء المنبر من قبل أن المنبر يقطع الصفوف وكان عندهم أن تقدمة الصفوف في فناء المنبر بدعة

وكان

وكان الثوري رحمه الله يقول الصف هو الخارج بين يدي المنبر ومن خشي الفتنة والآفة في قربه من الإمام
بأن يسمع ما يجب عليه إنكاره أو يرى ما يلزمه الأمر فيه أو النهي عنه أو الصلاة في السلاح الثقيل الشاغل كان بعده
من الصفوف المقدمة أصلح لقلبه وأجمع لهمّه لقلة ملاقاة الناس ولترك النظر إليهم فالأصلح للقلب
والأجمع للهمّ هو الأفضل حينئذ وقد كان جماعة من العلماء والعبّاد يصلون في أواخر الصفوف إيثاراً
للسلامة وقيل لبشر بن الحارث نراك تبكّر يوم الجمعة وتصلي في آخر الصفوف فقال إنما يريد قرب
القلوب لا قرب الأجساد ونظر سفيان الثوري إلى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع إلى خطبة أبي جعفر فلما
جاءه بعد الصلاة قال شغل قلبي قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاماً يجب عليك إنكاره فلا تقوم به
ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال يا أبا عبد الله أليس في الخبر ادن واستمع فقال ويحك ذاك للخلفاء
الراشدين المهديين فأما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب لك إلى الله سبحانه وتعالى
وقد روينا عن أبي الدرداء رضي الله عنه فضيلة في الصف المؤخر قال سعيد بن عامر صليت إلى جنبه فجعل
يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم إلا أن
هذه الأمة أمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم وإن الله سبحانه وتعالى إذا نظر إلى عبد منهم في الصلاة
غفر لمن وراءه من الناس فإنما تأخرت رجاء أن يغفر لي بواحد منهم ينظر إليه وقد رفعه بعض الرواة أن
أبا الدرداء سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك والصدقة مستحبة مفضلة يوم الجمعة خاصة فإنها
تضاعف إلا على من سأل والإمام يخطب وكان يتكلم مع كلام الإمام فهذا مكروه قال صالح بن أحمد سأل
مسكين أبي يوم الجمعة والإمام يخطب وكان إلى جنب أبي فأعطى رجل أبي قطعة ولم يعرفه ليناوله إياها
فلم يأخذها منه أبي وقال ابن مسعود إذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى وإذا سأل على القرآن
فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على سؤّال الجامع الذين يتخطون رقاب الناس إلا أن يسأل
قائماً من غير أن يتخطى رقاب المسلمين أو قاعداً في مكان وروينا عن كعب الأحبار من شهد الجمعة
ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما
ثم يقول اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه
سنة ولا نوم لم يسأل الله سبحانه وتعالى شيئاً إلا أعطاه وقد روينا عن بعض السلف على غير هذا
الوصف قال من أطعم مسكيناً في يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحداً ثم قال حين يسلّم الإمام اللهم
إني أسألك باسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم أن تغفر لي وترحمني وأن تعافيني من النار ثم دعا بما بدا له
استجيب له وإن سمع قراءة الإمام لم يقرأ في صلاته إلا سورة الحمد لا غير وإن لم يسمع قراءته قرأ سورة

مع الحمد ان احب فاما من سمع قراءة الامام وقرا معه سورة الجمعة او غيرها من السور غير الحمد فقد خالف الامة
وعصا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اعلمه مذهب احد من المسلمين فاذا سلم من صلاة الجمعة قرا وهو ثان
رجله قبل ان يتكلم الحمد سبع مرات وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا ففي ذلك اثر عن
بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان ذلك حرزا له من الشيطان واستحب له ان
يقول بعد صلوة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك
وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعا اغناه الله عز وجل عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب
وقد روى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة رضي الله عنه انه كان
يصلي بعدها اربعا وروى علي وعبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعدها ستا فاذا
صلى العبد ست ركعات فقد استوعب جميع الروايات واكره شرا الماء في المسجد ليشربه او ليسبله لئلا
يكون مبتاعا في المسجد فقد كره البيع والشرا في المسجد فان باعه ودفع اليه القطعة خارجا من المسجد
وشرب او سبل في المسجد فلا باس وقد جاء عن بعض السلف انه كره الصلاة في رحاب الجامع وعن بعض الصحابة
انه كان يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب ويقول لا تجوز الصلاة في الرحاب فهذا عندي على ضربين وهو ان
الصلاة في رحاب الجامع الزوائد فيه المتصلة بالصفوف المحيط بها حائط الجامع الاعظم كالصلاة في وسطه
غير مكروهة والصلوة في رحابه المتفرقة وفي افنيته التي هي من وراء جدر الجامع كله مكروهة وكذلك
الصلاة في الطرقات والدور المنفردة عن الجامع غير المتصلة بالصفوف لحجر طريق او بعد مكان فلا يجوز
وهذا هو الذي كرهه من كان ينهى عن الصلاة فيه فاذا صلى الجمعة انتشر في ارض الله عز وجل يطلب من
فضل الله سبحانه وتعالى ومن الفضل طلب العلم واستماعه ويقال هو مزيد يوم الجمعة للعالم والمتعلم
قال الله سبحانه وتعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال سبحانه وتعالى ولقد آتينا داود
منا فضلا يعني العلم بدليل نظيرها من الآية الاخرى في قوله سبحانه وتعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما
وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين وقد روينا عن انس بن مالك رضي الله عنه في قول الله
سبحانه وتعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله قال اما انه ليس بطلب
دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة اخ في الله عز وجل وان الذكر بالعلم وتعليم
الناس اياه والتذكير بالله سبحانه وتعالى والدعوة اليه في يوم الجمعة له فضل عظيم على ساير الايام
لانه يوم المزيد وللقلوب فيه اقبال وتجديد وكذلك السعي اليه والاستماع له وحضور مجالس الذكر يوم الجمعة
لا مجالس القصاص افضل من ساير الايام والمستمع شريك القايل في الاجر وقد قيل اقرب الى الرحمة وقد

كره العلماء الجلوس الى القصاص سيما يوم الجمعة خاصة لانهم يثبطون عن الغدو الى الجامع في الساعة
الاولى والثانية اللتين ورد الفضل فيهما فمن اتفق له عالم بالله يذكره به ويدله عليه من علماء الآخرة
الزاهدين في الدنيا يوم الجمعة غدوة في الجامع او بعد صلوة الجمعة جلس اليه واستمع منه وان حضر من
يتكلم بعلم الدين وكان العبد محتاجا الى ذلك جالسه فهو الافضل لان مجالس العلماء في الجامع من زين يوم الجمعة
ومن تمام فضله قال الحسن رضي الله عنه الدنيا ظلمة الا مجالس العلماء فان لم يتفق له ذلك احيى ما بين
الصلاتين وهو الورد الخامس من النهار ويستحب صلوة العصر في الجامع الا لسبب لا بد منه مانع وان
قعد الى غروب الشمس فهو اثوب للساعة المنتظرة من آخرها اذا امن الفتنة والتصنع والكلام
فيما لا يعنيه ويقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى المغرب كان له ثواب عمرة فان
خشي دخول الآفة عليه او لم يامن التصنع والخوض فيما لا ينفع انصرف الى منزله ذاكرا لله عز وجل متفكرا في
آلائه وحسن نعمائه مراعيا غروب الشمس بالاذكار والتسبيح والاستغفار في منزله او مسجد حيه فذلك
حينئذ افضل له وقال بعض السلف اوفر الناس نصيبا من الجمعة من راعاها وانتظرها من الامس واخس الناس
نصيبا من يصبح يوم الجمعة فيقول ايش اليوم وقد كان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجل صلاة
الجمعة ومنهم من كان يبيت ليلة السبت في الجامع لمزيد الجمعة وكثير من السلف من كان يصلي الغداة
يوم الجمعة في الجامع ويقعد ينتظر صلاة الجمعة لاجل البكور ليستوعب فضل الساعة الاولى ولاجل ختم
القرآن وعامة المومنين كانوا ينحرفون من صلاة الغداة من مساجدهم فيتوجهون الى جوامعهم ويقال
اول بدعة حدثت في الاسلام ترك البكور الى الجوامع قال وكنت ترى يوم الجمعة سحرا وبعد صلوة الفجر
الطرقات مملوة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى الجوامع كما ترون اليوم في الاعياد حتى درس
ذلك وقل وجهل فترك اولا يستحي المومن ان اهل الذمة يبكرون الى كنايسهم وبيعهم قبل خروجه
الى جامعه او لا يعتبر باهل الاطعمة الباعة في رحاب الجوامع انهم يغدون الى الدنيا والناس قبل غدوه هو
الى الله سبحانه وتعالى والى الآخرة فينبغي ان يسابقهم الى مولاه ويسابقهم الى ما عنده من لقاه ويجب ان يكون
للمومن يوم الجمعة مزيد في الاوراد والاعمال فليتفرغ اليه سبحانه وتعالى ويجعله يوما آخر ان لم يكن له يوم سبت
كيوم الجمعة في الاوراد المتصلة والمزيد من الاذكار على المعلوم منها فلا يكون الجمعة كالسبت في نجان الدنيا
والشغل باسبابها واكره له التاهب ليوم الجمعة في باب الدنيا من يوم الخميس من اعداد الماكول والترفه من
النعمة والاكل والشرب فقد روينا حديثا من طريق اهل البيت فيه نظر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ياتي على
امتي زمان يتاهبون لجمعتهم في امر دنياهم عشية الخميس كما تتاهب اليهود لسبتها عشية الجمعة وانما كان

المؤمنون يتأهبون فيه للآخرة بالأوراد الحسنة ويزدادون من الأذكار المتصلة وقد كان أبو محمد
سهل رحمه الله يقول من أخذ مهنأه من الدنيا في هذه الأيام لم ينل مهنأه في الآخرة منها يوم الجمعة
وقال أيضا يوم الجمعة من الآخرة ليس هو من الدنيا وقال بعضهم لولا يوم الجمعة ما أحببت البقاء في الدنيا
فهو عندنا مخصوص بيوم العلوم والأنوار وبيوم الخيرة والأذكار لأنه عند الله سبحانه وتعالى يوم المزيد بالنظر
إليه في المزار وروينا حديثا غريبا عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعوا أشغالكم يوم الجمعة فإنه يوم صلاة وتهجد وروينا عن جعفر الصادق رضي الله عنه
أنه قال يوم الجمعة لله ليس فيه سفر قال الله سبحانه وتعالى وابتغوا من فضل الله وما ذكرناه من الصلاة
والسور المفروقة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الذكر في يوم الجمعة فإنه يستحب في ليلتها وهي
من أفضل الليالي فلا بد عن ذلك من وجد إليه سبيلا فإن للصادق المريد في كل وقت مفضل من الله سبحانه
وتعالى مزيدا وإذا أحب الله عز وجل عبدا استعمله في الأوقات المفضلة بفواضل الأعمال وإذا مقت
عبدا استعمله في الأوقات المفضلة بسيء الأعمال ليكون أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه
بركة الوقت وانتهاكه حرمة المؤقت ومما نختص به يوم الجمعة من الذكر والتمجيد بالأسماء فصول أربعة
أولها الأربعون اسما التي دعا بها إدريس عليه السلم خصه الله سبحانه وتعالى بها وذكر الحسن البصري رضي الله عنه
أن موسى صلى الله على نبينا وعليه قد كان دعا بهن وإنها كانت من دعاء محمد صلى الله عليه وسلم والفصل الثاني
كان إبرهيم بن أدهم الزاهد رضي الله عنه يدعو به في كل يوم جمعة عشر مرات إذا أصبح وإذا أمسى وكان
ذلك من عمله في يومه والفصل الثالث روينا عن علي عليه السلم رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن الله سبحانه وتعالى يمجد نفسه في كل يوم وليلة والفصل الرابع تسبيحات أبي المعتمر وهو سليمان
التيمي التي روي الشهيد بعد فنائه في المنام فقيل ما أفضل ما رأيت هناك من الأعمال فقال رأيت
تسبيحات أبي المعتمر من الله سبحانه وتعالى بمكان فأما هذان الفصلان من تمجيد الرب سبحانه وتعالى
نفسه وتسبيحات أبي المعتمر فقد ذكرناهما في أول الكتاب فيما أخبرناه من الأدعية المختارة بعد صلاة
الغداة وقبل غروب الشمس في كل يوم فاستثقلنا إعادة ذلك ههنا وأما الفصلان الآخران فنحن
ذاكروهما ذكر دعاء إدريس عليه السلم حدثنا الحسن بن يحيى الشاهد حدثنا القاسم بن داود الطيبي
قال حدثني عبد الله بن محمد القرشي قال حدثني محمد بن سعيد المؤذن حدثنا سالم الطويل عن الحسن البصري
قال لما بعث الله سبحانه وتعالى إدريس إلى قومه علمه هذه الأسماء فأوحى إليه قلهن سرا في نفسك
ولا تبدهن للقوم فيدعوني بهن قال فدعا بهن فرفعه الله عز وجل مكانا عليا ثم علمهن الله

وفيها الفاضلة

سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وبهن دعا في غزاة الأحزاب قال الحسن وكنت مستخفيا من
الحجاج فدعوت الله عز وجل بهن فحبسه عني ولقد دخل علي ست مرات فأدعو بهن الله سبحانه وتعالى
فيأخذ الله سبحانه وتعالى بأبصارهم عني فادع بهن التماس المغفرة بجميع الذنوب ثم سل حاجتك
من أمر آخرتك ودنياك فإنك تعطى ذلك إن شاء الله وهي أربعون اسما عدد أيام التوبة سبحانك وبحمدك
لا إله إلا أنت يا رب كل شيء ووارثه يا إله الآلهة الرفيع جلاله يا الله المحمود في فعاله يا رحمن كل
شيء وراحمه يا حي حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه يا قيوم فلا يفوت شيء علمه ولا يؤوده يا واحد
الباقي أول كل شيء وآخره يا دائم بلا فناء ولا زوال لملكه يا صمد في غير شبيه ولا شيء كمثله يا بارئ فلا شيء
كفوه ولا مكان لوصفه يا كبير أنت الذي لا تهتدي القلوب لوصف عظمته يا بارئ النفوس بلا مثال
خلا من غيره يا زاكي الطاهر من كل آفة بقدسه يا كافي الموسع لما خلق من عطايا فضله يا نقي من كل جور
لم يرضه ولم يخالطه فعاله يا حنان أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلما يا منان ذو الإحسان قد عم
كل الخلائق منه يا ديان العباد كل يقوم خاضعا لرهبته يا خالق من في السموات والأرض وكل إليه
معاده يا رحيم كل صريخ ومكروب وغياثه ومعاذه يا تام فلا تصف الألسن كل جلال ملكه وعزه
يا مبدئ البدائع لم يبغ في إنشائها عونا من خلقه يا علام الغيوب فلا يؤوده شيء من حفظه يا حليم
ذا الأناة فلا يعادله شيء من خلقه يا معيد ما أفناه إذا برز الخلائق لدعوته من مخافته يا حميد الفعال
ذا المن على جميع خلقه بلطفه يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله يا قاهر ذو البطش الشديد
أنت الذي لا يطاق انتقامه يا قريب المتعالي فوق كل شيء ارتفاعه يا مذل كل جبار بقهر عزيز سلطانه
يا نور كل شيء وهداه أنت الذي فلق الظلمات بنوره يا عالي الشامخ فوق كل شيء علو ارتفاعه يا
قدوس الطاهر من كل سوء فلا شيء يضاده من خلقه يا مبدئ البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرته
يا جليل المتكبر عن كل شيء فالعدل أمره والصدق وعده يا محمود فلا تبلغ الأوهام كل ثنائه ومجده
يا كريم العفو ذا العدل أنت الذي ملأ كل شيء عدله يا عظيم ذا الثناء الفاخر وذا العز والمجد والكبرياء
فلا يذل عزه يا عجيب فلا تنطق الألسن بكل آلائه وثنائه يا غياثي عند كل كربة ويا مجيبي عند كل
دعوة أسألك الصلاة على نبيك محمد صلى الله عليه وأمانا من عقوبات الدنيا والآخرة وأن تحبس عني
أبصار الظلمة المريدين بي السوء وأن تصرف قلوبهم عن شر ما يضمرون به إلى خير ما لا يملكه غيرك
اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليما ذكر دعاء إبرهيم بن أدهم رحمه الله حدثني أحمد بن المؤمل

اللهم

الوكيل قال حدثنا جعفر بن [illegible] الخواص قال حدثني ابرهيم بن نصر الخراساني قال حدثني ابرهيم بن بشار خادم
ابرهيم بن ادهم قال كان ابرهيم بن ادهم رحمه الله يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة اذا اصبح ويقوله اذا امسى
مثل ذلك مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتبا لنا ما نقول
بسم الله الرحمن الرحيم الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا وبلقائه
مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الالهية جاحدا
والى الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله منيبا اشهد الله واشهد ملائكته وانبياءه ورسله وحملة
عرشه ومن خلق ومن هو خالقه بانه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
صلى الله عليه وسلم تسليما وان الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ولقاءك
حق ووعدك حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور على ذلك احيى وعليه اموت
وعليه ابعث ان شاء الله اللهم انت ربي لا رب لي الا انت خلقتني وانا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت
واهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف عني سيئها
الا انت لبيك وسعديك والخير كله بيديك انا لك واليك استغفرك واتوب اليك آمنت اللهم بما ارسلت
من رسول وآمنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله على النبي وعلى آله وسلم كثيرا اختم كلامي ومفتاحه
وعلى انبيائه ورسله اجمعين آمين رب العالمين اللهم اوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا رويا سائغا
هنيا لا نظمأ بعده ابدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين
ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى من العمل واصلح
لي شاني كله وثبتني بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك
سبحانك يا علي يا عظيم يا باري يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات باكنافها وسبحان
من سبحت له الجبال باصواتها وسبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحيتان
بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بابراجها وسبحان من سبحت له الشجر باصولها ونضارتها
وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك سبحانك
يا حي يا حليم سبحانك لا اله الا انت وحدك فاذا دعا بهذه الادعية الاربع يوم الجمعة فقد كمل الله سبحانه
وتعالى عمله وتمم عليه فضله فاذا عمل بجميع ما ذكرناه من الاعمال والاقوال والاذكار واجتنب سيء ما
كرهناه من الاقوال والافعال فهو من اهل الجمعة وممن له من المزيد بها نصيب موفر وكان عمله الخالص

[illegible] الخير وتميت
وانت حي لا تموت
بيدك الخير انك
على كل شيء قدير
صح

١٢٢٣ سنة شهر رجب يوم
١٢

وذكره الصادق عند الله مشكورا آخر كتاب الجمعة وهيئاتها وآدابها **ذكر** ما يستحب للعبد
من الصيام وطبقات الصائمين في الصوم ووصف صوم الخصوص قال الله سبحانه وتعالى واستعينوا
بالصبر والصلاة جاء في التفسير الصبر يعني الصوم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي شهر رمضان
شهر الصبر لان الصبر هو حبس النفس عن الهوى وايقافها وحبسها على امر المولى وقد روينا عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر نصف الايمان والصوم نصف الصبر وقال عز وجل واستعينوا بالصبر
قيل معناه على مجاهدة النفس وقيل على مصابرة العدو وقال بعض العلماء استعينوا بالصبر على الزهادة
في الدنيا لان الصائم كالزاهد العابد فالصوم مفتاح الزهد في الدنيا وباب العبادة للمولى لانه منع النفس
عن لذاتها وشهواتها من الطعام والشراب كما منعها العابد الزاهد لدخوله في الزهد وشغله بالعبادة
ولذلك جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما في المعنى فقال ان الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد
فيقول ايها الشاب التارك شهوته من اجلي المبتذل شبابه لي انت عندي كبعض ملائكتي وقال في الصائم
مثل ذلك يقول الله سبحانه وتعالى يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلي
ففي الصوم عون حسن على مجاهدة النفس وقطع حظوظها ومنع عادتها وفيه اضعافها ونقصان هواها
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى كل عمل ابن ادم له الا الصوم فانه لي وانا اجزي به
فاضافه سبحانه وتعالى اليه تفضيلا له وتخصيصا كما قال وان المساجد لله وكما قال سبحانه وتعالى انما
امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها فلما كانت المساجد احب بيوت الدنيا اليه وكانت مكة
اشرف البلاد عنده اضافهما الى ذكره وله كل شيء كذلك لما كان الصيام افضل الاعمال عنده واحبها
اليه لان فيه خلقا من اخلاق الصمدية ولانه من اعمال البر غيب لا يطلع عليه الا هو وقيل ما في عمل
ابن آدم شيء الا ويقع فيه قصاص ويذهب برد المظالم الا الصوم فانه لا يدخله قصاص ويقول الله
سبحانه وتعالى يوم القيامة هذا لي فلا تقتص لاحد منه شيئا ويقال ما من عمل الا وله جزاء معلوم
الا الصيام فانه لا تعلم نفس ما جزاؤه ويكون اجره بغير حساب يفرغ له افراغا ويجازف مجازفة وهو
احد الوجوه في قوله سبحانه وتعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان
عملهم الصيام وكذلك في تاويل قوله سبحانه وتعالى السائحون قيل هم الصائمون كانهم ساحوا الى ربهم
بجوعهم وعطشهم وتركوا قرة اعين ابناء الدنيا من اكلهم وشربهم فآواهم مولاهم فيما اخفى لهم من قرة
اعينهم جزاء لعملهم وقال سبحانه انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قيل الصائمون والصبر اسم من اسماء
الصوم فلما اخفى ذكره بالصوم في نفسه اخفى الله سبحانه وتعالى له جزاءه اياه عن نفسه وفي الحديث من ذكرني

في نفسه ذكرته في نفسي فالصوم ذكر الله سبحانه وتعالى وهو سر وليس يستحب للعبد أن يزيد على إفطار
أربعة أيام نسقاً فإن ذلك يقسي القلب ويغير الحال ويولد العادات ويفتق الشهوات وإنه لم يؤمر
ولم يندب إلى أن يوالي بين إفطار أكثر من أربعة أيام متوالية وهي يوم النحر وأيام التشريق ويستحب له
أن يصوم يوماً ويفطر يوماً أو يصوم يومين ويفطر يومين وذلك صوم نصف الدهر وإن أحب صام يومين
وأفطر يوماً وهذا صوم ثلثي الدهر وإن أحب فليصم يوماً ويفطر يومين وهذا صوم ثلث الدهر وهذه طرق الصائمين
وفيها روايات حذفنا ذكر فضائلها للاختصار وإن صام ثلاثاً من أول الشهر وثلاثاً من وسطه وثلاثاً من
آخره فحسن وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فذلك خير كثير وأقل ذلك أن يصوم أيام البيض وأول يوم
من الشهر وآخر يوم وأفضل الصيام ما كان في الأشهر الحرم وأفضل ذلك ما وقع في العشرين منها وهو عشر المحرم
وعشر ذي الحجة وبعد ذلك ما كان في شعبان فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر الصيام فيه ولا يدع
أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وليواظب على صوم الاثنين والخميس وفي الخبر أفضل الصيام بعد شهر رمضان
شهر الله المحرم وصوم النصف الأول من شهر شعبان مستحب وقد كانوا يفطرون النصف الآخر منه وقد
روينا لخبر إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان وليفطر قبل رمضان أياماً وإن وصل شعبان
برمضان فجائز ولا يجوز أن يستقبل رمضان بيومين أو ثلاثة إلا أن يوافق ذلك يوم اثنين أو خميس
قد كان يصومه وكان بعض الصحابة يكره أن يصام رجب كله لأن لا يضاهي به شهر رمضان وكانوا
يستحبون أن يفطروا منه أياماً وقد كره قوم صوم الدهر كله ووردت أخبار في كراهته وقد تؤول
ذلك بأنهم كانوا يصومون السنة كلها مع يومي العيدين وأيام التشريق فوردت الكراهة لذلك فإن
كان مريد صلاح قلبه وانكسار نفسه واستقامة حاله في صوم الدهر فليصمه فهو حينئذ كالواجب
عليه إذا كان يقواه وصلاحه فيه فقد روينا عن سعيد عن قتادة عن أبي تميمة عن الهجيمي عن
أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الدهر ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه
لم يكن له فيها موضع وقد دلت الأصول على فضل صوم الدهر وقد صامه طبقات من السلف الصالح من
الصحابة والتابعين بإحسان إلا أن يكون رجل يرغب عن السنة ولا يرى الرخصة في الإفطار فيكره
له صوم الدهر للمعاندة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسعة في الدين وأخبر عن الله سبحانه وتعالى
أنه يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وفي لفظ آخر يحب أن يؤخذ برخصته كما يكره
أن تؤتى معصيته وقد دلت الأخبار على فضل صوم نصف الدهر أن يصوم يوماً ويفطر يوماً ذلك
ليكون العبد بين حالتين حال صبر وحال شكر ومن ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم عرضت علي مفاتيح

خزائن الدنيا وكنوز الأرض فرددتها وقلت أجوع يوماً وأشبع يوماً أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك
إذا جعت ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صوم أخي داود عليه السلام كان يصوم يوماً
ويفطر يوماً ومن ذلك منازلته لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه في الصوم وهو يقول إني أريد أفضل من
ذلك حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم صم يوماً وأفطر يوماً قال أريد أفضل من ذلك فقال لا أفضل من
ذلك وروي في الخبر صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين يوماً من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل
من صوم ثلاثين يوماً من شهر حرام وفي حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى
له عبادة سبعمائة عام وقد روينا أن النبي صلى الله عليه وسلم ما صام شهراً كاملاً قط إلا رمضان بل كان
يفطر منه وقد وصل مرة شعبان برمضان وفصل صوم رمضان مراراً من شعبان وما ذكرناه من أنواع
الصوم فهو صيام جماعة من السلف الصالح وفي كل ورد منه وردت فضائل يكثر ذكرها وكذلك في
جميع ما نذكره من أعمال القلوب والجوارح في الأيام والليالي وكذلك فيما نذكره من أخلاق الإيمان وأوصاف
الموقنين في أكثر ذلك فضائل ومثوبات إلا أنا لم نقصد تعديد ذلك وليس من همنا الاشتغال
بذكر فضائل الأعمال إنما طريقنا تهذيب قلوب العمال فبطهارة القلب وحقيقة الإيمان تزكو الأعمال
وتقرب العاملون من ذي الجلال سبحانه وتعالى **ذكر** صوم الخصوص من الموقنين فأما صوم الخصوص من
الموقنين فإن الصوم عندهم هو صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنياوية ثم صوم السمع والبصر
واللسان عن تعدي الحدود وصوم اليد والرجل عن البطش والسعي في أسباب النهي فمن صام بهذا الوصف
فقد أدرك وقته في جملة يومه وصار له في كل ساعة من نهاره وقت وقد عمر يومه كله بالذكر ولمثل هذا
قيل نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح وقد قرن الله سبحانه وتعالى الاستماع إلى الباطل والقول بالإثم
إلى الأكل الحرام فلولا أن في المسموعات والمقولات ما هو حرام على المستمع الإصغاء إليه وحرام على القائل
النطق به ما قرنهما إلى الأكل الحرام وهو من الكبائر قال الله سبحانه وتعالى سماعون للكذب أكالون للسحت
وقال سبحانه وتعالى لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت فالعبد الحافظ
لحدود الله تعالى إن أفطر بالأكل والجماع فهو صائم عند الله سبحانه وتعالى في الفضل للاتباع ومن صام
عن الأكل والجماع وتعدى الحدود وأضاع الحقوق فهو مفطر عند الله سبحانه وتعالى صائم عند نفسه
لأن ما أضاع أحب إلى الله عز وجل وأكثر مما حفظ ومثل من صام عن الأكل وأفطر بمخالفة الأمر بسائر
الجوارح مثل من مسح كل عضو من أعضائه في وضوئه ثلاثاً ثلاثاً ثم صلى فقد وافق الفضل في العدد
إلا أنه تارك للفرض من الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله وهو مغتر بفعله ومثل من أفطر

بالاكل وصام بجوارحه عن النهي مثل من غسل كل عضو من اعضائه في وضوئه مرة مرة فهو تارك للفضل في العدد الا انه مكمل للفرض محسن في العمل فصلاته متقبلة لاحكامه للاصل وعمله بالعلم ومثل من صام عن الاكل والجماع وحفظ جوارحه عن الآثام كمثل من غسل كل عضو ثلثا ثلثا فقد تمم الفرض واحسن تكميله الفضل فهذا كما قال الله سبحانه وتعالى تماما على الذي احسن وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوضوء ثلثا ثلثا هذا وضوئي ووضوء الانبياء قبلي ووضوء ابي ابرهيم وقد قال الله سبحانه وتعالى ملة ابيكم ابرهيم اي عليكم بها فاتموها واقتدوا به فيها وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وجاء في الخبر ان امراتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش في آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستاذنانه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما اكلتما قال فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملاتاه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما احل الله سبحانه وتعالى لهما وافطرتا على ما حرم الله عز وجل عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم وكان ابو الدرداء يقول يا حبذا نوم الاكياس وافطارهم كيف يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة بر من ذي يقين وتقوى افضل وارجح من امثال الجبال من عبادة المغترين وكل محظور عليك ان تتفوه به فمحظور عليك ان تستمع اليه وكل حرام عليك ان تفعله فمكروه لك ان تنظر اليه او تخطر ببالك وقد سوى الله سبحانه وتعالى بين المستمع والقائل في قوله انكم اذا مثلهم ومثل الصوم مثل التوبة لان الصبر من اوصافها وانما كانت التوبة مكفرة لما سلف من السيئات لاجل انه صبر عما سلف من سيئ العادات واعتقد ترك العود الى مثل ما سلف بصيانة جوارحه التي كانت طرائق المكروهات لذلك كان الصيام جنة من النار وفضيلة في درجات الابرار اذا صبر عليه الصائم بحفظ جوارحه فيه من الآثام فاذا ارسلها في الآثام كان كالتائب المتردد الناقض للميثاق لم تكن توبته نصوحا ولا كان صومه هذا اصلا صحيحا الا ترى الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم الصوم جنة من النار ما لم يخرقها بكذب او غيبة وامره في قوله اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم وفي لفظ آخر ولا يجعل يوم صومه ويوم فطره سواء اي يتحفظ في صومه لحرمته وفي خبر آخر الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته فحفظ الامانة من حق صيانة الجوارح لقول النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا هذه الآية ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة فذلك مجاز قوله فليقل اني صائم اي يذكر الامانة

التي حمل فيؤديها الى اهلها ومن حفظ الامانة ان يكتمها فان افشاها من غير حاجة فهي خيانة لان مودعها لا يحب ان يظهرها وحقيقة حفظ السر نسيانه وضياع السر ان يكثر خزانه فحقيقة الصائم ان يكون ناسيا لصومه لا ينتظر الوقت مشغولا عنه بالموقت

كتاب محاسبة النفس ومراعاة الوقت

قال الله سبحانه وتعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الى قوله سبحانه وتعالى اتينا بها وقرئت آتينا بها ممدودة اي جازينا بها فالتخويف لهذا الحرف اشد وابلغ وقال سبحانه وتعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم الآية واوصى ابو بكر عمر رضي الله عنهما عند موته فقال ان الحق ثقيل وهو مع ثقله مري وان الباطل خفيف وهو مع خفته وبي وان لله سبحانه حقا بالنهار لا يقبله بالليل وحقا بالليل لا يقبله بالنهار وانك لو عدلت على الناس كلهم وجرت على واحد منهم لمال جورك بعدلك فان حفظت وصيتي لم يكن شيء احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن شيء ابغض اليك من الموت ولن تعجزه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتهيئوا للعرض الاكبر على الله سبحانه وتعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فمحاسبة النفس تكون بالورع ووزنها يكون بمشاهدة عين اليقين والتزين للعرض الاكبر يكون بمخافة الملك الاكبر وهو حقيقة الزهد وانما خف الحساب في الآخرة على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا فثقلت موازين قوم في الآخرة وزنوا نفوسهم في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يكون ثقيلا واوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباذر رحمه الله فقال اتق الله اين ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وجرت هذه الوصية في كتاب الله سبحانه وتعالى لعباده بقوله سبحانه وتعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله والكلمة الثانية في قوله سبحانه وتعالى ويدرءون بالحسنة السيئة اي يدفعون بعمل الحسنة ويتبعونها السيئة المتقدمة تكفرها والكلمة الثالثة في قوله سبحانه وتعالى وقولوا للناس حسنا وقد اخبر الله سبحانه وتعالى عن وصية عباده الصالحين بثلاث فقال ان الانسان لفي خسر اي لفي خسران ونقص بفوت اوقاته وفقد ارباحه ثم استثنى فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقال في الوصف الثالث وتواصوا بالمرحمة فاتباع الحق بمخالفة الهوى فيه الصلاح اذ في موافقة الهوى الفساد والصبر قوام الامر وبمقداره يكون الربح والرحمة للخلق باب الرحمة من الخالق سبحانه وتعالى ومفتاح حسن الخلق ومنها حسن الظن وسلامة القلب وعندها ينتفي الحسد والغل ويوجد التواضع والذل وهذا وصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين اختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم

وأنزل عليهم سكينته وأيدهم بروح منه فقال سبحانه وتعالى رحماء بينهم وقال في حقيقة الرحمة واخفض
لهما جناح الذل من الرحمة وقال في مثله في وصف أحبائه لإخوانهم أذلة على المؤمنين فهذه الثلاثة
مفاتيح رقة القلب ومغالق القسوة وفي الرقة الإقبال على الله سبحانه وتعالى وعلى الدار الآخرة والتيقظ
لأمره والتذكر لوعده ووعيده وفي القسوة الإعراض وطول الغفلة روينا عن علي عليه السلام أما بعد
فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به
فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك
لآخرتك وهمك لما بعد الموت وقال عليه السلام الهوى شريك العمى ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة ونعم طارد
الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة ورب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له
حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمنك من حبيب سوء الظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب
كل جميل وأوثق العرى التقوى وأوثق سبب أخذت به نفسك سبب بينك وبين الله تعالى إنما لك من دنياك
ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك وإن كنت جازعا
على ما انفلت من يديك فلا تجزع على ما لم يصل إليك واستدل على ما لم يكن بما كان فإنما الأمور أشباه
وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه لكل شيء آفة وآفة العلم النسيان وآفة العبادة الكسل وآفة
اللب العجب وآفة الظرف الصلف وآفة التجارة الكذب وآفة السخاء التبذير وآفة الجمال الخيلاء وآفة الدين
الرياء وآفة الإسلام الهوى قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآفة أمتي الدينار والدرهم وروينا
عن وبرة عن مجاهد رضي الله عنهما قال أوصاني ابن عباس بخمس لهن أحسن من الدهم الموقوفة ومن الذهب
الموصوف قال لا تتكلمن فيما لا يعنيك فإنه أقرب لك من السلامة ولا آمن عليك الخطأ ولا تتكلمن
فيما يعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما يعنيه قد وضعه في غير موضعه فلقي عنتا ولا تمارين
حليما ولا سفيها أما الحليم فيقليك وأما السفيه فيؤذيك واخلف أخاك إذا غاب عنك بمثل ما تحب
أن يخلفك به إذا غبت عنه وأعفه مما تحب أن يعفيك منه واعمل عمل رجل يعلم أنه مكافى بالإحسان
مأخوذ بالإساءة وفي وصية العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما قال يا بني إني أرى هذا الرجل يقدمك
على الأشياخ ويكرمك فاحفظ عني هذه الخصال لا تفشين له سرا ولا تعصين له أمرا ولا تغتابن
عنده أحدا ولا يطلعن منك على خيانة ولا يجربن عليك كذبة هذا في روايتين دخلت إحداهما في
الأخرى قال في إحداهما قلت للشعبي كل واحدة منهن خير من ألف فقال كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف
وقال يوسف بن أسباط كان يقال ثلاث من كن فيه فقد استكمل إيمانه من إذا رضي لم يخرجه رضاه

إلى باطل وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق وإذا قدر لم يأخذ ما ليس له وقد رويناه مسندا من طريق
وقال سري بن المغلس ثلاث يستبين بهن اليقين القيام بالحق في مواطن الهلكة والتسليم لأمر الله عند
نزول البلاء والرضى بالقدر عند زوال النعمة وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه
فقد استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا
والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا وفي الخبر المشهور ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات
فخشية الله سبحانه وتعالى في السر والعلانية وكلمة العدل في الرضى والغضب والقصد في الغنى والفقر
وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وروينا في الخبر التكرم التقوى
والشرف التواضع والغنى اليقين وفي الحديث الآخر الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته
العلم وفي حديث عمار أسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا وكفى بالخشية علما
وكفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الخطباء وحكيم الحكماء
في خطبة الوداع كلمات موجزات جامعات في الوعيد والتذكرة والتزهيد والتبصرة ينتظم جميع معاني
ما قيل في معناها رواها أبان عن أبي عياش عن أنس بن مالك رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطب على ناقته فقال أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب وكأن من
نشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم
قد نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة طوبى لمن شغله عيب نفسه عن عيوب الناس وأنفق من مال
اكتسبه من غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه
وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله
وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم
حديث جامع لهذه المعاني المبثوثة مختصر في اللفظ والمعنى يقال إنه نصف العلم وهو قوله صلى الله عليه وسلم
من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه وما لم يؤمر به العبد فرضا ولم يندب إليه فضلا أو يحتاج
إليه مباحا فهو مما لا يعنيه وحديث آخر هو نصف الورع قوله دع ما يريبك إلى ما لا يريبك
فإن الإثم حزاز القلوب أي دع ما تشك فيه من قول وفعل أن فيه غنيمة أو سلامة إلى شيء أنت
على يقين من الفضيلة فيه أو السلامة معه وما حز في قلبك ولم ينشرح له فدعه فإن ذلك إثم وإن قل
ودق وقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم في الوصف المبسوط من أوصاف المؤمنين كوصف الله سبحانه وتعالى
أولياءه في الكلام المشروح أنه بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس بين أصحابه إذ سجد فأطال ثم رفع رأسه

ما ادّا يديه فقال اللهم اكرمنا ولا تهنّا وزدنا ولا تنقصنا واعزّنا ولا تذلّنا قلنا وما ذاك يا رسول الله
قال انزل علىّ من اقامهنّ دخل الجنة ثم تلا علينا قد افلح المؤمنون الى آخر العشر وروينا في حديث مجمل
ان رجلا سأله فقال يا رسول الله متى اعلم انى من اهل الجنة وفي لفظ آخر اني مؤمن حقا فقال اذا كنت
هذه الاوصاف وتلا عليه قد افلح المؤمنون الى آخر النعوت وروينا عنه صلى الله عليه وسلم في الوصف الجامع
المختصر كوصف الحليم الاكرم من صلح له من عباده بالاخلاص في التوحيد فقال صلى الله عليه وسلم لو لم ينزل
علىّ الا هذه الآية لكانت تكفي ثم قرأ آخر سورة الكهف فمن كان يرجو لقاء ربه الى آخرها فكان هذا فصل
الخطاب وبلاغا لاولي الالباب فالعمل الصالح الاخلاص بالعبادة ونفي الشرك بالخلق هو اليقين بتوحيد
الخالق سبحانه وتعالى وقد قال سبحانه وتعالى احسن القائلين في وصف اوليائه الخائفين ان الذين هم
من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون الى قوله سبحانه وتعالى وهم لها سابقون فوصفهم
بسبع مقامات جامعات بالغات ينتظم مقامات اهل المحاسبة ويستحوذ على معاني احوال اهل المراقبة
افتتحها سبحانه وتعالى بالخشية والاشفاق وختمها بالوجل والانفاق وجعل موجبها اليقين وهو
الذي يرجح به موازين المتقين صيّره آخر وصفهم ونهاية نعتهم وهو قوله سبحانه وتعالى انهم الى ربهم
راجعون اي لاجل يقينهم برجعهم اليه خافوه واشفقوا وآمنوا به واخلصوا وآتوه نفوسهم واموالهم
ووجلوا لهذا كقوله في الكلام المختصر واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين فللخائفين الامن
من الخوف عند اللقاء وحسن المنقلب والبشرى بالقرب لديه والزلفى فصورة المحاسبة ان يقف العبد
وقفة عند ظهور الهمّة وابتداء الحركة ثم تمييز الخاطر وهو حركة القلب والاضطراب وهو تصرف
الجسم فان كان ما خطر به الخاطر من الهمّة التي تقتضي نية او عقدا او عزما او فعلا او سعيا
ان كان لله سبحانه وتعالى وبه وفيه سارع الى امضائه وتنفيذه وان كان لعاجل دنيا او عارض هوى
او سهو وغفلة سرى بطبع البشرية ووصف الجبلّة سارع الى نفيه ولم يمكّن الخاطر من قلبه
بالاصغاء اليه والمحادثة له فيتولد فيه همّا رديّا يصعب عليه بعد حين طرحه وينبح منه فرادى نوبا يتعذّر
بعد وقت نفيه ويؤثر ذلك في قلبه اثرا يستبين له بعد حين فعله ومعنى قولنا ان كان لله اي خالصا
لاجله ومعنى قولنا به اي لم يشب بهوى قرينه لا بمقارنة نفسه ووصفه ومعنى فيه اي في سبيله وطلب
ما عنده لا لاجل عاجل حظه فان اشتبه عليه الخاطر فلم ينكشف له ما ورد به امحمود هو لله تعالى فيه
رضى وعلى العبد فيه سبق وتنفيذ ام مكروه ليس لله فيه محبة وللعبد في نفيه مزيد وقربة فيكون
اشكال ذلك لاحد ثلاثة معان ضعف يقين عن نقص معرفة بالمبتلى او قلة علم عن جهل بغامض الحكم

الشر

الباطن او لغلبة هوى كامن في النفس متولد من طبائع البشر وقد قال بعض العلماء ليس العالم الذي يعرف
الخير من الشر هذا العاقل يعرفه ولكن العالم من عرف خير الشرين يعني يفعله اذا اضطر اليه وعرف شر الخيرين
يعني فاجتنبه لما يؤول اليه واعلم ان حكم الله فيما اشتبه من الامور الامساك والوقوف وان لا يقدم العبد
على ذلك بعقد ولا عزم ان كان من اعمال القلوب ولا يمضي ذلك بفعل ولا سعي ان كان من عمل الجوارح بل
يقف ويتوقف الامر حتى يتبين له وهذا هو صورة الورع لان الورع هو الجبن والتأخر عن الاقدام على
المشكلات وعن الهجوم في الشبهات لا بقول ولا بفعل ولا بعقد حتى ينكشف وانكشافها بغامض العلم
لغموضها وبدقيق معرفة المعاني لدقتها وخفائها كما جاء في الخبر اعلم الناس اعرفهم بالحق اذا اختلف الناس
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل
عند هجوم الشهوات وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه في وصف كثرة الشبهات انتم اليوم في زمان خيركم
فيه المسارع وسيأتي عليكم زمان يكون خيركم فيه المتثبت كما وقف طائفة من الصحابة عن القتال مع اهل
العراق واهل الشام لما اشكل عليهم الحال منهم سعد وابن عمر واسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم رضي الله عنهم
فمن لم يتوقف عند الشبهات واقدم عليها كان متبعا لهواه معجبا برأيه وهذا من معنى الخبر الذي جاء في
ذم من كان هذا وصفه فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة
نفسك فلم يذم بوجود الشح لانه صفة النفس وانما ذم من اطاع النفس في شحها بامساك محبوبها وترجيحها
على ايثار محبة الله سبحانه وتعالى من الانفاق ومثله وهوى متبع فلم يعب بوجود الهوى لانه روح
النفس مستكن فيها وانما عاب باتباعه وكذلك قوله واعجاب كل ذي رأي برأيه لم ينقصه بوجود رأيه
بما رآه من الامر لانه نتيجة عقله وثمرة فهمه وانما نقصه بنظره اليه وادلاله به دون سبق نظره الى
من اراه وبنوره هداه وبايثاره رأيه على رأي من هو اعلم منه او بان يزري على رأي غيره افتخارا برأيه
وقد قال الله سبحانه وتعالى فلا تزكوا انفسكم وقد وصف اهل الرأي من اوليائه في قوله سبحانه وتعالى
ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقال على بصيرة انا ومن اتبعني وجاء في الاثر ما رآه المؤمنون حسنا فهو
عند الله حسن وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح وجاء انتم شهداء الله في ارضه وعن بعض
السلف افضل العبادة الرأي الحسن فاما ما اشكل لتجاذب الامثال فلم يتبين لك الى اي مثل تردّه
فالورع ان تقف ولا تمضي حتى ينكشف واما ما اشتبه لقصور العلم بالاستدلال فالعلم فيه ان تعرف
الاصلين من الحلال والحرام ثم تردّه الى اشبههما به وهذا ظاهر مثل ما احلّت طائفة النظر الى الغلام
الجميل لانه ذكر فيحتاج ان تردّه الى احد الاصلين لانه مشتبه قال الله سبحانه وتعالى انظروا الى ثمره اذا

أثم وقال عز وجل قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وكان هذا الأصل أشبه لوجود الجنس ومثله
الاستماع إلى القصائد كان الاستماع إلى القرآن حلالا والاستماع إلى الغناء حراما وكانت القصائد
بالغناء أشبه فكرهناه لغير أهله وكذلك القول في تلحين القرآن إذا جاوز الحد في مد المقصور
وقصر الممدود مكروه لشبهه بالأغاني ومثل لبس القطن ولبس الحرير فكرهنا لبس الملحم والمعمد
به لأنه بالحرير أشبه لما فيه منه فأما الإقدام على الأمور الغامضة مما لم ينكشف للأسماع ولم
يظهر للأبصار فإن القلوب تسأل عن عقود سوء الظن بها والقطع بظاهر الأمر عليها وهو معنى نهي
الله سبحانه عن قفو ما لم يبن علمه إذ لم يحصل من علم العبد وتشهده عليه بما ثم الجوارح عنه في قوله
سبحانه وتعالى ولا تقف ما ليس لك به علم أي لا تتبع ولا تجسس أثر ما لم تعلم فتشهد عليه بسمع أو رؤية
أو عقد قلب إذ حقيقة العلم السمع أو المشاهدة فلذلك قال سبحانه وتعالى إن السمع والبصر والفؤاد
كل أولئك كان عنه مسؤولا وكذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث
فمن اشتبه عليه الأمر فقطع به فهو متبع للهوى ومن تفرس في فعل أو أمر غابت عنه حقيقته فأخبر به
وأظهره على صاحبه فقد أساء كيف وقد جاء في الخبر من حدث بما رأت عيناه أو سمعت أذناه كتبه الله
سبحانه وتعالى من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا بهذا الكشف ستر الله سبحانه
وتعالى على عباده ومحبته للساترين منهم ولذلك كان من دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه اللهم
أرنا الحق حقا فنتبعه والباطل باطلا فنجتنبه ولا تجعل ذلك علينا متشابها فنتبع الهوى
وكذلك روينا من كلام عيسى صلى الله عليه وسلم الأمور ثلثة أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان
غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى عالمه وقد كان من دعاء علي عليه السلام أعوذ بك أن أقول
في العلم بغير علم فنعمة الله سبحانه وتعالى في كشف الباطل باطلا وبيان الضلال ضلالا مثل نعمته
في إظهار الحق وبيان الصدق لأنه باب من اليقين ولذلك تمدح الله سبحانه وتعالى به على نبيه صلى الله
عليه وسلم وجعله من تفصيل آياته في قوله سبحانه وتعالى وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل
المجرمين فنصب سبيل على إضمار اسمه ورفعه على كشف دلالته وتبيان طرقه وقد وعد الله سبحانه
وتعالى ذلك للمتقين وقدمه على تكفير السيئات والمغفرة وأخبر أن ذلك من الفضل العظيم في قوله
سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم أي نورا
في قلوبكم تفرقون به بين الشبهات ومثله ومن يتق الله يجعل له مخرجا أي من كل أمر أشكل على
الناس ويرزقه من حيث لا يحتسب أي يرزقه علما بغير تعليم بل إلهام وتوفيق من الخبير العليم

وقد وعد ذلك المؤمنين عند اختلاف العلماء للبغي بينهم وهو الكبر والحسد وحرم ذلك المنافقين
الذين لا يصدقون بالآيات والقدر الغائبات فقال عز وجل في ذلك وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فصنع
الهداية للحق أن يكشف الحق إذا هدى المتقي له ما يبدي الباطل للابتلاء وما يعيد على العبد من الأحكام
وقد يكون الباطل اسما للعدو ويكون وصفا للنفس ألم تسمع قوله سبحانه وتعالى جاء الحق وما يبدئ الباطل
وما يعيد أي لما جاء الحق أبدأ الباطل وأعاده فأظهر حقيقة الكريه بدءا أو عودا وقد قيل إن الباطل
يعني به إبليس هاهنا فتدبروا وقال الله سبحانه وتعالى إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله
وكما أنه سبحانه وتعالى في البيان نعمة لأنه لا يقع إلا بتقديره كما قال فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل
شيء قدير كذلك على العبد فيه شكر وقد يكون سببا للإنعام بالبيان وعلى الله المزيد بالشكر كما قال الله سبحانه
وتعالى كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون وقال في تحقيق الشكر بالمزيد للشاكرين على التصريف
كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون فإذا وقف العبد في الشبهات عن الإمضاء وأوقف الخاطر على الابتداء
حتى يكشفه الله له بمزيد علم أو قوة يقين أو كشف حجاب الهوى فقد وفق للصواب وهو من معنى
قوله سبحانه وتعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وداخل في قوله ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا هذا إذا لم يرد بالطلب فلم يجعل العالم آخر فيه كان كشفه للعبد يوصفه فإن أراده بالطلب
أولياءه جعل العلماء مكانا للدلالة عليه اضطره أن يسأل عالما بالله وبباطن أحكامه عارفا
بلطيف حجابه وخفي كشفه فيكشفه له على لسانه إذا لم يكن العبد ممن يكاشف بقلبه بتحقيق
قوله فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وتصديق قوله تعالى الرحمن فسئل به خبيرا والله سبحانه وتعالى
هو المسير الأول والمبين آخرا إلا أن السير والسؤال على العبد والهدى والبيان على الهادي المبين
كما قال سبحانه وتعالى سيروا في الأرض فانظروا وقال فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسئل ثم قال
إن علينا بيانه إن علينا للهدى وعلى الله قصد السبيل كذلك سنة الله التي قد خلت من قبل ولا تبديل
لها ولا تحويل ألم تسمع قوله سبحانه وتعالى وعلم آدم الأسماء كلها فهذا هو المجتبى للتعليم الآخذ نصيبه
من الله سبحانه وتعالى بالتفهيم المصطفى بالمكان للتخصيص ثم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم
بأسمائهم ترك آدم ورد إليه وذكر نفسه بالعلم منه بعد أن دل بالواسطة عليه فقال سبحانه وتعالى
ألم أقل لكم إني أعلم ولم يقل إن آدم يعلم فأخذ آدم نصيبه من رازقه بقلبه لمكان نبوته وأخذت
الملائكة أنصبتها من الله سبحانه وتعالى من نصيب آدم بواسطته والله سبحانه وتعالى هو الرزاق كما

هو اخلاق عمل من خالق غير الله يرزقكم والعبيد ياخذون اقسامهم وانصبتهم من حيث طرق
وسبّب لهم وهذا حينئذ اول المحاسبة عن مشاهدة حسيب والتحقق بالمحاسبة هو اول المراقبة عن
رؤية رقيب والمقام من المراقبة هو حال من احوال الموقنين وعلم اليقين هو آخر علم الايمان وآخر نصيب
العبد من علم اليقين اعني نهايته اول عين اليقين وهو شهادة المعرفة والمعرفة على هذا الوصف اول المشاهدة
وهذا هو مقام المقربين اعني المشاهدة وصف قريب محيط ببعد النفس فيستولي عليها فيغيب بعدها
في قربه ويتيه عقله فتنطوي حكمته في قدرته كمحو نور القمر في ضياء الشمس والله غالب على امره في علم
معاني الاسماء والصفات وتعريف الاخلاق وباطن احكام الذات يكون في مقامات القرب كمرآة نور الوجه
فيرفع حكم المكان ويشهد كان فيرفع كون المرآة ويشهد الوجه بنوره وتغيب المرآة عن كونها فيكون العبد
قائما بقهر قيوميته مشاهدا لمحيطه قربا لا بكونه كما يشهد الوجه بنور المرآة لا بجسمها ولا يكون هذا
الا بعد معاينة وصفه بعد حسن المراقبة في جميع المعاملة وحسن الادب في محاضرة الرب سبحانه وتعالى جميل
بتنفيذ خواطر الخير وسرعة نفي خواطر الشر حتى لا يبقى منها شيء وهذا حال المشاهد المقرب وذلك
يخرج العبد الى صفاء القلب بعلم اليقين وصفا القلب فيه مقامات في مشاهدة العين حتى لا يخطر بقلبه
الا خاطر حق فان عصاه عصى الحق وفي ترك هذا والغفلة عنه كدر القلب وفي كدره ظلمته وذلك مقامات
في القسوة وهي اول البعد وبلغني انه ما من فعلة وان صغرت الا ينشر لها ثلثة دواوين الديوان
الاول لم والثاني كيف والثالث لمن فمعنى لم اي لم فعلت وهذا موضع الابتلاء عن وصف الربوبية بحكم
العبودية اي كان عليك ان تعمله لمولاك ام كان ذلك منك بهواك فان سلم من هذا الديوان بان كان عليه
ان يعمله كما امر به سئل عن الديوان الثاني فقيل كيف فعلت هذا وهو مكان المطالبة بالعلم وهو البلاء
الثاني اي قد عملته بان كان عليك عمله فكيف عملته ابعلم ام بجهل فان الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملا
الا على طريقه وطريقه العلم فان سلم من هذا نشر عليه الديوان الثالث فقيل لمن وهذا طريق التعبد بالاخلاص
لوجه الربوبية وهو البلاء الثالث وهو بقية الله سبحانه وتعالى من خلقه الذين قال الا عبادك منهم المخلصين
وهذا مقتضى كلمة الاخلاص عن نفي ما سواه وهي لا اله الا الله وليس بعد هذا الا الاشفاق الى وقت التلاق
اي قد عملته بعلم فلمن عملته الوجه الله خالصا فاجرك عليه ام لشخص مثلك فخذ اجرك منه ام عملته
لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك عملك فيها ام عملته لنفسك بسهوك وغفلتك فقد سقط اجرك
وحبط عملك لذهابك عن القصد وعدم النية في الفعل وفي جميع ما اردت به سواه فقد تعرضت للمقت
واستوجبت العقاب بترك ما عليك وجهل ما لمولاك اذ كنت عبدا له تتوكل غيره واذا انت اكل رزقه

وتعمل لسواه واذا كان الدين قد جعلته لنفسي فقصدت به من دوني ويلك اما سمعته يقول الا لله
الدين الخالص ويلك ما قبلت امره اذ قال سبحانه وتعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
ويقول له ويلك اما سمعتني اقول ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق
واعبدوه فهذه امثال القرآن تشهد منها العلماء امثالهم وهي اذكار الخطاب عند تدبره يفهمها العارفون
اذكارهم فيكون توبيخ الله سبحانه وتعالى للغافلين بعزائم كلامه وغليظ خطابه اشد عليهم واوجع لهم
من اليم عقابه وذلك ان الله تعالى استخلص الدين لنفسه ولم يشرك فيه احدا من خلقه فقال سبحانه وتعالى
الا لله الدين الخالص يعني الموحد غير المشترك الصافي غير الكدر لان الاخلاص التصفية من اكدار الهوى
والشهوة وضده الشرك وهو الخلط بغيره من النفس والناس كما انعم علينا بالرزق الخالص من بين الفرث
والدم فتمت به النعمة فقال نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا فلو وجد فيه خلط من
احدهما لم تتم النعمة به علينا فكذلك ينبغي ان يكون عملنا له خالصا من الهوى والشهوة لنستحق به
الاجر والحظوة مع القيام بواجب الحق له علينا فكما انا لو راينا في اللبن الذي انعم به علينا فرثا او دما
عافته انفسنا فلم ناكله كذلك الحكيم الخبير اذا راى في عملنا خلطا من رياء او شهوة رده علينا فلم يقبله
وكما عمل لنا مما عملت يداه بقدرته انعاما ذللها لنا فمنها ركوبنا ومنها ناكل فينبغي ان نشكره فنعمل
له بعد الاكل عملا صالحا كما امرنا بعد اذ انعم علينا فقال سبحانه وتعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
فمن جهل ما جعله الله سبحانه وتعالى لنفسه وترك ما امر به من الاخلاص لوجهه استوجب المقت لجهله
واستحق العقاب بمخالفته وفي تدبر ما قلناه الهرب من الخلق والبكا على النفس الى لقاء الحق لمن اشهد
فاوقف واريد بالحضور فلم يصرف

ذكر ماهية الورد للمريد ووصف حال العارف في المزيد

اعلم ان الورد اسم لوقت من ليل او نهار يرد على العبد مكرورا فيقطعه في قربة الى الله سبحانه وتعالى
ويورد عليه محسوبا يرد عليه في الآخرة والقربة اسم لاحد معنيين امر فرض عليه او فضل ندب اليه
فاذا فعل ذلك في وقت من ليل او نهار ودام عليه فهو ورد قدمه يرد عليه غدا اذا قدم وايسر الاوراد
صلاة اربع ركعات او قراءة سورة من المثاني او سعي في معاونة على بر او تقوى قال انس بن سيرين كان لمحمد بن
سيرين في كل ليلة سبعة اوراد فكان ان فاته شيء منها قضاه بالنهار فسمي العمل الموظف الموقت وردا
وقال المعتمر بن سليمان ذهبت القن الى ابي عند الموت فاوما الي بيده دعني فاني في وردي الرابع فسمي
الحزب من احزاب القرآن لوقت ما وردا فمن العمال من كان يجعل الاوراد من اجزاء القرآن ومنهم من
كان يجعلها من اعداد الركوع وفوق هو آخر من العلماء كانوا يجعلون الاوراد من اوقات الليل والنهار

فان قطع الوقت باية او ركعة او فكرة او مشاهدة فذلك ورده واما العارفون فانهم لم يوقتوا الاوراد
ولم يقسموا الاوقات بل جعلوا الورد واحدا لمولاهم وجعلوا حاجتهم من الدنيا ضرورتهم وصيروا الوقت
متساويا لسيدهم وتصريفهم لمصالحهم يدخل عليهم فوضعوا رقابهم في ربقة العبودية وصفوا اقدامهم
في مصاف الخدمة فكانوا في كل وقت بحكم ما يستعملون وبوصف ما به يطالبون فذلك وردهم وذلك
علامتهم عن حسن اختيار الله عز وجل لهم وجميل توليه اياهم لا يكلهم الى انفسهم ولا يوليهم بعضهم وهو
يتولى الصالحين مشاهدتهم ذكرهم وقرب الحبيب حسبهم ليس يشهدون فضيلة في غير محبوبهم ولا يرجون
قوة بغير معروفهم به يتقربون اليه واليه يسبحون له وعليه يتوكلون له ومنه يخافون عنه واياه يحبون
منه لو اسقطوا الاعمال كلها غير ما تعلق بالتوحيد وثبوته ما نقص من توحيدهم ذرة ولو تركوا اوراد
المريدين كلهم ما اثر في قلوبهم بقسوة ولا فترة لانهم لا يزيدون بالاعمال فينقصون بها ولا يتفقدون قلوبهم
واحوالهم بالاوراد فيعرفون النقصان والمزيد منها ولا يجتمع همومهم بسبب ولا يقوى يقينهم بطلب
فتتشتت لفقد سبب ويضعف يقينهم لعدم طلب هذه المعاني هي احوال المريدين وجملة بعدهم في شين
ضيقهم بالخالق فهربوا منه واتساعهم بالخلق فاستراحوا اليهم ولو دام قربهم منه لدامت راحتهم به ولو
وقفت شهادتهم عليه لما نظروا الى سواه فاما العارفون فقد فرغ لهم من قلوبهم واجتمعت المتفرقات
بجامعها لهم وانا منهم اقامتهم شهادتهم له فلهم بكل شي مزيد ومن كل شي توحيد كل خاطر لهم يردهم
اليه وكل منظور اليه يدلهم عليه وكل نظرة وحركة طريق لهم اليه فتوجدهم في مزيد ويقينهم في تجديد
بغير تغيير ولا تصعيد ولا ايقان ولا تحديد ولربما طلب احدهم التشتت بالاسباب فيجمعه بها رب الارباب
لانه مراد بالاجتماع وانما استروح بالتشتات لاستجمام ما هو في قلبه آت ثقة منه بحبيبه وتمكنا
عند محبوبه اذ علم انه طالبه فطرح نفسه ليحمله فحمله بما تولاه ولم يكله الى نفسه وهواه فهذه مقامات
لاهلها لا يعرفها سواهم ولا تصلح الا لهم ولا تليق الا بهم لا يقاس غايتها ولا يبدع اكامنها ولا ينتظر
فتترك لها الاوراد ولا يشوق فيقصر لاجلها في الاجتهاد والمرادون بها محمولون اليها مواجهون بعلمها
مسلوك بهم طريقها مزودون زادها وهي محبوسة عليهم مقصورة لهم فهم لها سابقون فاولياء الله عابدون
قد عكفوا قلوبهم لمن عبدوه ونظروا الى معبودهم الذي عكفوا عليه ففهموا عنه فصل الخطاب
بما اتاهم من شهادة محكم الكتاب اذ يقول وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا بعد قوله سبحانه وتعالى
للغافلين بعيبتهم معرضا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين مع قوله امشوا واصبروا على الهتكم ان
هذا لشي يراد الى قوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا فعلموا ان اخلاص الدين الذي امروا به هو العبادة

خ لا يدعا كامنها

ولا عبادة الا بمجانبة الهوى بعدها الانابة الى المولى اما سمعت قوله سبحانه وتعالى والذين اجتنبوا
الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله وايقنوا ان الصلاة عماد الدين ولا صلاة الا للمتقين ولا تقوى
الا بالانابة كما قال الله سبحانه وتعالى منيبين اليه واتقوه ثم قال واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين
فهذه عبادة العارفين على سنة النبيين فانابتهم مشاهدتهم لمذكورهم كقوله تعالى في وصف ضدهم
كانت اعينهم في غطاء عن ذكري فهم عن كشف من ذكره اذ كانوا بضد وصفهم وحقيقة ذكرهم نسيانهم
سوى مذكورهم بمعنى قوله سبحانه وتعالى واذكر ربك اذا نسيت فاخرجهم الذكر له الى الفرار اليه كما فهموا
عنه اذ يقول لعلكم تذكرون ففروا الى الله فلما هربوا اليه آواهم بقربه ووهب لهم الهداية الى حبه
ونشر لهم من رحمته وطواهم في قبضته فلم ير بهم الا هو ولم يعرفهم سواهم وقد قال الله سبحانه وتعالى واذ
اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته وقال اني ذاهب الى ربي
سيهدين ولكن بمواصلة الاوراد المرسومة والاعمال المعلومة الموقتة يستبين المريد النقصان من المزيد
ويعرف قوة العزم والنشرة من وهن العادة والفترة وفي الاوراد ايضا فضيلة وهو ان العامل اذا
شغل عنها بمرض او سفر كتب له الملك مثل ثواب ما كان يعمل في الصحة والحضر وقد يكون نوم العارف
افضل من صلاة الغافل لان هذا النائم سالم وهو ذلك لان هذا العالم اذا استيقظ وجد وهذا الصائم
القائم لا يومن عليه الافات وتطرق الاعدا في العبادات وهو ذلك الجاهل المغتر اذا وجد فقد وقد
روينا في خبر نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وفي الحديث عالم واحد اشد على الشيطان من الف
عابد وروينا في خبر مقطوع لو وقعت هذه على هذه يعني السما على الارض ما ترك العالم علمه لشي
ولو فتحت الدنيا على عابد ترك عبادته ولان العالم قد يكاشف في نومه بالايات والعبر ويكشف
له الملكوت الاعلى ويخاطب بالعلوم ويشاهد القدرة من معنى ما يشهده الانبيا في يقظتهم فيكون
نوم العارف يقظة لان قلبه حياة ويكون يقظة الغافل نوما لان قلبه موات فيعدل نوم العالم
يقظة الجاهل ويقرب يقظة الغافل من نوم العالم كيف وقد جا في خبر ابي موسى ان النبي صلى الله
عليه وسلم نظر الى احد فقال هذا جبل احد ولا يعلم خلق وزنه وان من امتي من تكون التسبيحة منه
والتهليلة اوزن عند الله سبحانه وتعالى منه وفي حديث ابن مسعود اذ قال لعمر ما انكرت ان يكون
عمل عبد في يوم واحد اثقل من السموات والارض ثم وصف ذلك بانه هو العاقل عن الله سبحانه وتعالى
الموقن العالم به وقد سئلت عايشة عليها السلم عن صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان
فقالت ما كان يخص رمضان بشي دون غيره ولا كان يزيد في رمضان على ما يرتبه شيا د

وقال انس بن مالك ما كنت تشا ان ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم نايما من الليل الا رايته ولا تشا ان تراه قايما الا رايته وكان صلى الله عليه وسلم ينام ثم يقوم قدر ما نام ثم ينام قدر ما قام ثم يقوم قدر ما نام ثم ينام ثم يخرج الى الصلاه وقالت عايشه رضي الله عنها ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا قط الا رمضان ولا قام ليلة الى الصبح حتى ينام منها قالت وكان يصوم من الشهر ويفطر ويقوم من الليل وينام وفي الخبر الآخر كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يصبح صايما ثم يفطر ويصبح مفطرا ثم يصوم وفي الخبر الآخر كان يدخل من الضحى فيقول هل عندكم من شي فان قدم اليه شي اكل والا قال اني صايم وخرج يوما فقال اني صايم ثم دخل فقلنا يا رسول الله اهدي لنا حيس فقال اما اني كنت اردت الصوم ولكن قربيه وكان ورده صلى الله عليه وسلم حكم ما ورد عليه فعن هذا المعنى يكون تصريف العارفين ومن هذا المعنى يلون شهادة الموقنين ليسوا مع الله سبحانه وتعالى بايراد توقيت ولا يقطع على تحديد كما قيل لبعضهم باي شي عرفت الله سبحانه وتعالى فقال بفسخ العزايم وحل العقد ولكن الاوراد طريق العمال والوظايف احوال العباد منها دخلوا وفيها يرفعون الى ان يشهدوا الواحد فتكون الاوراد كلها وردا واحدا ويكونون بشهادتهم قايمين وقال العالم من السلف الايمان ثلثماية وثلثه عشر خلقا عدد الانبيا عليهم السلم كل من على خلق منها هو طريقه الى الله سبحانه وتعالى وجهته من الله عز وجل ونصيبه وفي كل طريقة طبقة من المومنين وقال العارف الطرق الى الله سبحانه وتعالى بعدد الخليقة يعني ان للشهيد بكل خلق طريقا فقد صارت المكونات للمكون طرقات وروينا في الخبر الايمان ثلثماية وثلثه وثلثون طريقة من لقي الله سبحانه وتعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة ومن هذا قوله سبحانه وتعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فدل على ان كلهم مهتدون وبعضهم اهدى من بعض يعني انه اقرب الى الله سبحانه وتعالى وافضل وقد ندب الى القرب في الامر بطلبه واخبر عن المقربين بالمنافسة في طلب القرب فقال الله سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة يعني القرب وقال فيما اخبر اوليك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب فاقرب الخلق من الله سبحانه وتعالى اعلمهم عنده واعلمهم عنده اعرفهم به وافضلهم لديه وروينا في تفسير قل كل يعمل على شاكلته قال على وحدانيته يعني بذلك على توحيده الذي يوحد الله سبحانه وتعالى به ويعرفه منه والشاكلة الطريقة والخلق الذي قد شاكله وقد شكل فيه ومن ذلك قول علي عليه السلم لكل مومن سيد من عمله فهذا السيد من العمل هو الذي يرجو به المومن النجاة ويفضل به عند مولاه وقال بعض العلما كان عباد الكوفه اربعه احدهم صاحب ليل ولم يكن صاحب نهار والآخر صاحب نهار

ولم يكن صاحب ليل وبعضهم صاحب سر ولم يكن صاحب علانية والآخر صاحب علانية ولم يكن صاحب سر وقد كان بعضهم يفضل عبادة النهار على عبادة الليل لما فيها من مجاهدة النفس وكف الجوارح لان النهار مكان حركة الغافلين وموضع ظهور الجاهلين فاذا سكن العبد عند حركة الغافل وصبر واستتر في ظهور الجاهل كان هو التقي المجاهد والفاضل العابد وقد قيل ليست العبادة الصوم والصلاة حسب بل افضل العبادات ادا الفرايض واجتناب المحارم وتقوى الله عز وجل عند الاكتساب وعند الدرهم وهذا من اعمال النهار وقد قال الله سبحانه وتعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما اكتسبت جوارحكم فعلق الاجتراح بالنهار ثم يبعثكم فيه فاذا لم يعلم من عبد اجتراحا بالنهار ولم يبعثه فيه في مخالفه فمن افضل منه وكان الحسن رضي الله عنه يقول اشرف الاعمال قيام الليل بالمداومة على ذلك ومداومة الاوراد من اخلاق المومنين وطرايق العابدين وهي مزيد الايمان وعلامة الايقان وسيلت عايشه رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اثبته وهذا كان سبب ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم صلاته بعد العصر ركعتين لانه كان ترك مرة ركعتي النافلة بعد الظهر شغله الوفد عن ذلك فصلاهما بعد العصر ثم لم يزل يصليهما بعد العصر كلما دخل منزله روت ذلك عنه عايشه وام سلمة رضي الله عنهما ولم يكن يصليهما في المسجد كيلا يستن الناس به وفي الخبر المشهور اكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله سبحانه وتعالى لا يمل حتى تملوا وفي الحديث الآخر احب الاعمال الى الله عز وجل ما ديم عليه وان قل وقد روينا في خبر من عوده الله عز وجل عبادة فتركها ملالة مقته الله عز وجل وفي خبر عن عايشه رضي الله عنها وقد اسنده بعض الرواة من طريق كل يوم لا ازداد فيه علما فلا بورك لي في صباح ذلك اليوم وقد جا في الاثر كلام ما ثور روي عن الحسن بن علي عليهما السلم ومرة يروى عن الحسن البصري رضي الله عنه ومرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع يقوله في المنام من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو محروم ومن لم يكن في مزيد فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وفي لفظة اخرى من لم يتفقد النقصان من نفسه فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له ولعمري ان المومن شكور والشكور في مزيد

كتاب ذكر تعريف النفس وتصريف مواجيد العارفين

اعلم ان النقصان يبدو من الغفلة والغفلة تنشا من آفات النفس والنفس مجبولة على الحركة وقد امرت بالسكون وبها ابتلاها ليفتقر الى مولاها وتتبرى من حولها وقواها ومثل ذلك قوله سبحانه وتعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون ليفزعوا اليه فيقولوا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وكما قال سبحانه وتعالى وكان الانسان عجولا خلق الانسان من عجل ثم قال ساريكم آياتي فلا تستعجلون وقال سبحانه اتى امر الله فلا تستعجلوه فاخبر عن وصفه بالعجلة

ثم امر بتركها للبلوى فان نزلت السكينة على القلب وهى مزيد الايمان سكنت النفس عن الهوى باذن منشيها
وان حجب القلب بالغفلة وهى علامة عن الافتقار والتضرع تحركت النفس بطبعها فان سكنت عن حركتها فبالمنة
والفضل وان تحركت بوصفها فبالابتلاء والعدل فاول الابتلاء اختلافها واول الخذلان فيها اختلافها ومقدمته
الهمة وبابه السمع وهو طريق الى الكلام والنظر والقول طريق الى الشهوة والشهوة مفتاح الخطيئة والخطيئة
مقام من النار حتى يزحزح عنها الجبار بالتوبة فى الدنيا او العفو فى العقبى وقد يكون المخالفة على المحب العارف
اشد من النار كما حدثت عن بعضهم قال لان ابتلى بدخول النار احب الى من ان ابتلى بمعصية قيل ولم قال لان
فى المعصية خلاف ربى عز وجل وسخطه وفى النار اظهار قدرته وانتقامه لنفسه قال فسخطه اعز على واعظم
من تعذيب نفسى وكذلك حدثونا فى معناه عن بعض الموقنين من العلماء انه قال دخولى النار احب الى
من دخول الجنة قيل وكيف قال لان فى النار رضى ربى ومحبته وفى الجنة رضاى وشهوتى فرضى ربى احب الى
من محبتى وقد قال وهيب بن الورد المكى رضى الله عنه فى لبن سئل ان يشربه فلم يفعل لانه سال عن اصله فلم
يستطبه فقالت له امه اشرب فانى ارجو ان شربته ان يغفر الله عز وجل لك فقال ما احب انى شربته وان الله سبحانه
وتعالى غفر لى قالت ولم قال لا احب ان انال مغفرته بمعصيته فجملة وصف النفس غليان الطيش والشره
فالطيش عن الجهل والشره عن الحرص وهما فطرة النفس فمثلها فى الطيش كمثل كرة او جوزة فى مكان املس
مصوب سكونها بالمنة فان اشر تلها وحركها ادنى حركة تحركت بوصفها وهو خفتها واستدارتها وصورتها
فى الشره المتولد من الحرص انها على صورة الفراشة التى تقع فى النار رجاهلة شرهة تطلب بجهلها الضوء وفيه
هلاكها فاذا وصلت الى شى منه لم تقنع بيسيره لشرهها فتحرص على الغاية منه فتطلب عين الضوء وجملته
وهو نفس المصباح فتحترق ولو قنعت بقليل الضوء عن بعد سلمت فكذلك النفس فى طيشها الذى تتولد منه
العجلة وفى شرهها الذى ينتج منه الطمع والحرص والطمع هما اللذان كانا سبب اخراج آدم عليه السلام
من الجنة لانه طمع فى الخلود فحرص على الاكل وكان ذلك عن الجهل والشره فكانت المعصية سبب عمارة الدنيا
وصارت الطاعة سبب عمارة الآخرة فلذلك قيل حب الدنيا راس كل خطيئة فصار الزهد اصلا لكل طاعة
فانظر كيف اخرج من الجنة بعد ان جعل فيها بذنب واحد وانت تريد ان تدخلها ولم تملك النظر اليها بذنوب
كثيرة من قبل ان الجنة طيبة ولا يسكنها الا طيب فمتى طابوا لها دخلوها الم تسمع الى وفاقه بين
ذلك فى قوله سبحانه وتعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
لانه قال ومساكن طيبة فى جنات عدن والذنوب خبائث كما قال الله سبحانه ويحرم عليهم الخبائث فلما
طابوا لها طابت لهم وقد اجمل ذلك بقوله سبحانه وتعالى الخبيثات للخبيثين وبقوله الطيبات للطيبين

والنظر

وقد مثل

وقد مثل بعضهم النفس فى شرهها بمثل ذباب مر على رغيف عليه عسل فوقع فيه يطلب الكلية فعلق بجناحيه
فقتله وآخر مر به فدنا من بعضه فنال حاجته ورجع الى ورائه سالما وقد مثل بعض الحكماء ابن آدم بدود
القز لا يزال ينسج على نفسه بجهله حتى لا يكون له مخلص فيقتل نفسه ويصير القز لغيره وربما قتلوه اذا
فرغ من نسجه لان القز يلتف عليه فيروم الخروج منه فيشمس وربما غمز بالايدى حتى يموت لئلا يقطع
القز وليخرج القز صحيحا فهذه صورة المكتسب الجاهل الذى اهلكه اهله وماله فيتنعم ورثته بما شقى به
فان اطاعوا به كان اجره لهم وحسابه عليه وان عصوا به كان شريكهم فى المعصية لانه اكسبهم اياه فلا يدرى
اى الحسرتين عليه اعظم اذهابه عمره لغيره او نظره الى ماله فى ميزان غيره ومما سمعت فى علم شره النفس
ما حدثنى بعض اخوانى عن بعض هذه الطائفة قال قدم علينا بعض الفقراء فاشترينا من جار لنا حملا مشويا
ودعوناه عليه فى جماعة من اصحابنا فلما مد يده واخذ لقمة وجعلها فى فيه لفظها ثم اعتزل وقال كلوا
انتم فانه قد عرض لى عارض منعنى من الاكل فقلنا لا نأكل ان لم تأكل فقال انتم اعلم اما انا فغير آكل ثم
انصرف قال فكرهنا ان نأكل دونه فقلنا لو دعونا الشواء فسألناه عن اصل هذا الحمل فلعل له سببا
مكروها فدعوناه فلم نزل نسأله عنه حتى اقر انه كان ميتة وان نفسه شرهت لبيعه حرصا على ثمنه فشواه
فوافق انكم اشتريتموه قال فمزقناه للكلاب قال ثم انى لقيت الرجل بعد وقت فسألته لاى معنى ترك اكله
وباى عارض فقال اخبرك ما شرهت نفسى الى الطعام منذ عشرين سنة للرياضة التى رضتها فلما قدم اليك
هذا شرهت نفسى اليه شرها ما عهدته قبل ذلك فعلمت ان فى الطعام علة فتركت اكله لاجل شره النفس اليه
فانظر رحمك الله كيف اتفق فى شره النفس عن قضية واحدة ثم اختلفا فى التوفيق والخذلان فعصم العالم
بالورع والمحاسبة وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص وترك المراقبة اعنى البائع للحمل ثم عصم الآخرون
للتوفيق بحسن الادب وهو قمع شره النفس عن الاكل بعد صاحبهم ثم تدورك البائع بعد وقوعه لصدق المشترى
وحسن نيته وجبلات النفس الاربع هى اصول ما تفرع منها وهى مقتضى ما فطرها عليه مولاها اولها
الضعف وهى مقتضى فطرة التراب ثم البخل وهو ما اقتضاه جبلة الطين ثم الشهوة وموجبها الحماة
ثم الجهل وموجبه الصلصال فهذه الصفات على معانى تلك الجبلات للابتلاء بالامشاج فعنه بدا الامت
والاعوجاج ذلك تقدير العزيز العليم ثم ان النفس مبتلاة باوصاف اربعة متفاوتة اولها معانى
صفات الربوبية نحو الكبر والجبرية وحب المدح والعز والغنى ومبتلاة باخلاق الشياطين مثل
الخداع والحيلة والحسد والظنة ومبتلاة بطباع البهائم وهو حب الاكل والشرب والنكاح وهى
مع ذلك كله مطالبة باوصاف العبودية مثل الخوف والتواضع والذلة بمعنى ما قلنا من قبل انها

خلقت متحركة وامرت بالسكون وانى لها بذلك ان لم يتداركها المالك وكيف تسكن بالامر ان لم يسكنها محركها
بالخير فلا يكون العبد عبدا مخلصا حتى يكون للمعانى الثلثة مخلصا فاذا تحقق باوصاف العبودية كان
خالصا من المعانى التى هى بلاء من صفات الربوبية فالخلاص العبودية للوحدانية عند العباد الموحدين
اشد من الاخلاص فى المعاملة عند العاملين وبذلك نفعوا الى مقامات القرب وذلك لانه لا يكون عندهم
عبدا حتى يكون مما سوى الله سبحانه وتعالى حرا فكيف يكون عبد رب وهو عبد عبيد لان ما تأله اليه فهو
الاهه وما ترتب عليه فهو ربه وهذا شرك فى الالهية عند المتألهين ومزج بالربوبية عند الربانيين
فهو متعوس منكوس بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم اذ يقول تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد
الزوجة تعس عبد الحلة فهؤلاء عبيد العدد الذين هالمولاهم سبحانه وتعالى ان كل من فى السموات والارض
الا آتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا اصحاب النفوس الامارة بالسوء المسولة الموافقة للهوى
المخالفة للمولى عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر وصفهم اولو النفس المرحومة
المطمئنة المرضية ثم عباد الرحمة اهل العلم والحكمة علمهم من لدنه واختارهم لنفسه ولا يكون المريد بدلا
حتى يبدل بمعانى صفات الربوبية صفات العبودية وباخلاق الشياطين اوصاف المومنين وبطبائع البهايم
اوصاف الروحانيين من الاذكار والعلوم فعندها كان بدلا مقربا والطريق الى هذا بان يملك نفسه
فيملكها وتسخر له فيتسلط عليها فان اردت ان تملك نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع
لها فان ملكتها ملكتك وان لم تضيق عليها اتسعت عليك فان اردت الظفر بها فلا تعرضها
لهواها واحبسها عن معتاد بلاها فان لم تمسكها انطلقت بك وان اردت ان تقوى عليها فاضعفها
بقطع اسباب هواها وحبس مواد شهواتها والا قويت عليك فصرعتك فاول الملكة لها ان تحاسبها
فى كل ساعة وتراقب حسبتها فى كل وقت تقف عند كل همة من خطراتها فان كانت لهمة لله سبحانه
وتعالى سابقت الموت وبادرت الفوت فى امضائها وان كانت الهمة لغير الله عز وجل سابقت وبادرت
فى محوها لئلا تثبت وعملت فى الاستبدال بها كيلا تستبيك فى تاويل الخبر المروى البر يزيد فى العمر
وهو معنى الدعا المشهور من قول الناس جعل الله فى عمرك البركة وقد بورك له فى عمره فان البركة فى العمر ان تدرك
فى عمرك القصير بيقظتك ما فات غيرك فى عمره الطويل بغفلته فيرتفع لك فى سنة ما لا يرتفع له فى عشرين
سنة والخصوص من المقربين فى مقامات القرب عند التجلى بصفات الرب الخالق رفيع الدرجات تدارك
للمافات عند اذكارهم واعمال قلوبهم اليسيرة فى هذه الاوقات فحل ذرة من ذكر بتسبيح او تهليل او تحميد
او تدبر وتبصرة او تفكر وتذكرة بمشاهدة قرب ووجد بحب ونظرة الى حبيب ودنو من قريب

افضل من امثال الجبال من اعمال الغافلين الذين هم بنفوسهم واجدون وللخلق مشاهدون ومثل
العارفين فيما ذكرناه من قيامهم بشهاداتهم ورعايتهم لاماناتهم وعهدهم فى وقتهم وحضورهم
مثل العامل فى ليلة القدر العمل فيها لمن وافقها خير من الف شهر وقد قال بعض العلماء كل ليلة للعارف
بمنزلة ليلة القدر وروينا عن على عليه السلام انه قال كل يوم لا نعصى الله سبحانه وتعالى فيه فهو لنا عيد
وكان الحسن رضى الله عنه اذا تلا قوله سبحانه وتعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية
قال يا اخوانى هى والله ايامكم هذه فاقطعوها بالجد والاجتهاد ولا تضيعوها بالغفلة عنها وفراغها من
حسن المعاملة وبطالتكم فيها عن الشغل بمعاد كل المحصول عليها كما قال المبطلون يا حسرتنا على ما فرطنا
فيها يعنى فى الايام الآخرة التى هى محصولهم ومثواهم وكما قالت النفس الامارة بالسوء يا حسرتى على ما
فرطت فى جنب الله يعنى ايام الدنيا التى ضيعت العمر فيها فخلت من الثواب والجزا غدا وهذا احد الوجهين
فى قوله سبحانه وتعالى الايام الخالية والوجه الآخر الخالية الماضية خلت اوقاتها وظعنت لحكامها
وذهبت شهواتها وبقيت عقوباتها فان قصرت عن هذه المحاسبة للحسيب ولم يكن لك مقام المراقبة
للرقيب ولا مكان المجالسة للحبيب فلا يفوتنك مقام الورعين ولا تنشنى عن حال التائبين وهو ان
تجعل لك وردين فى اليوم والليلة لمحاسبة النفس وموافقتها مرة بعد صلوة الضحى على ما مضى من ليلتك
وما سلف من غفلتك فان رايت نعمة شكرت وان رايت بلية استغفرت وان وجدت فى حالك اوصاف
المومنين التى وصفهم الله سبحانه وتعالى بها ومدحهم عليها رجوت وطمعت واستبشرت وان وجدت
من قلبك وحالك وصفا من اوصاف المنافقين او خلقا من اخلاق الجاهلين التى ذمهم الله عز وجل
لها ومقتهم عليها حزنت واشفقت وتبت من ذلك واستغفرت والمرة الثانية ان تحاسب نفسك
بعد الوتر وقبل النوم على ما مضى من يومك من طول غفلتك وسوء معاملتك وما فعلته من اعمالك كيف
فعلتها ولمن فعلتها وما تركته من سكونك وصمتك لم تركته ولمن تركته فتتفقد الزيادة والنقصان
وتعرف بذلك التكلف والاخلاص فى حركتك وسكونك فما تحركت فيه او سكنت فيه لاجل الله عز وجل
فهو الاخلاص ثوابك فيه على الله عز وجل عند مرجعك اليه فاعمل فى الشكر على نعمة التوفيق وحسن العصمة
من التهلكة وما سكنت فيه او تحركت لهواك وعاجل دنياك فهو التكلف الذى اخبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه هو والاتقيا من امته برآء منه وقد استوجبت فيه العقاب عند نشر الحساب
الا ان يغفر المولى الكريم فاعمل حينئذ فى الاستغفار بعد حسن التوبة وجميل الاعتذار وخف
ان يكون قد وكلك الى نفسك فتهلك فلعل مشاهدة هذين المعنيين من الخوف لما سلف منك

او الطمع فى قبول ما اسلفت يمنعك من المنام ويطرد عنك الغفلة فتحيى ليلك بالقيام فتكون من وصف
الله سبحانه وتعالى فى قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقد قال بعض السلف
كان احدهم يحاسب نفسه اشد من محاسبة الشريك شريكه وقال بعض العلماء من علامة المقت ان يكون
العبد ذاكرا لعيوب غيره ناسيا لعيوبه ماقتا للناس على الظن محبا لنفسه على اليقين وترك محاسبة
النفس ومراقبة الرقيب من طول الغفلة عن الله سبحانه وتعالى والغافلون فى الدنيا هم الخاسرون فى العقبى
لان العاقبة للمتقين وقال الله سبحانه وتعالى واولئك هم الغافلون لا جرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون
وطول الغفلة من العبد عن طابع القلب من العيوب والغفلة فى الظاهر غلاف القلب فى الباطن تقول
العرب غفلة وغلفة بمعنى كما يقولون جذب وجبذ وخشاف وخفاش وطابع القلب عن ترادف الذنب
بعضه فوق بعض وهو الران الذى يتعقب الكسب فيكون عقوبة له قال الله سبحانه وتعالى كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل المكاسب الخبيثة واكل الحرام وفى التفسير هو الذنب على الذنب حتى يسود
القلب واصل الرين الميل والغلبة وهو التغطية ايضا يقال ران عليه النعاس اذا غلبه وران الخمر على عقله
اى غطته ومن هذا قول عمر رضى الله عنه فى سابق الحاج فادان معرضا فاصبح قد رين به اى مال به
الدين وغلبه واصل ترادف الذنوب من اغفال المراقبة واهمال المحاسبة وتاخير التوبة والتسويف
بالاستقامة وترك الاستغفار والندم واصل ذلك كله هو حب الدنيا وايثارها على امر الله سبحانه وتعالى
وغلبة الهوى على القلب الم تسمع الى قوله سبحانه وتعالى ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة الى
قوله عز وجل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وقال عز وجل فى دليل الخطاب ونهى النفس عن الهوى يعنى
عن ايثار الدنيا لان صريح الكلام وقع فى وصفهم بالطغيان وايثار الحياة الدنيا ثم قال جل وعلا طبع الله
على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فاتباع الهوى عن طابع القلب وطابع القلب عن عقوبة الذنب وميراث العقاب
الصمم عن فهم الخطاب اما سمعته سبحانه وتعالى يقول لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم
فهم لا يسمعون وقد جعل على عليه السلم الغفلة مقاما من مقامات الكفر فقال فى حديثه الطويل
فقام اليه سلمان فقال اخبرنا عن الكفر على ما بنى فقال على اربع مقامات على الشك والجفا والغفلة والعما
واذا كثرت غفلة القلب قل الهام الملك للعبد وهو سمع القلب لان طول الغفلة يصمه عن السمع
وعدم سمع الكلام من الملك عقوبة الخطايا وتثبيت الملك للعبد على الخير والطاعة وحى من الله سبحانه
وتعالى اليهم وتفضيل للعبد اما سمعت قوله سبحانه وتعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا
الذين آمنوا وفى الخبر ان آدم عليه السلم حجب عن سمع كلام الملائكة فاستوحش لذلك فقال يا رب ما لى لا اسمع

كلام الملائكة فقال خطيئتك يا آدم فاذا لم يسمع العبد كلام الملك لم يفهم كلام الملك واذا لم يسمع الكلام
لم يستجب للمتكلم انما يستجيب الذين يسمعون وقال الحسن رضى الله عنه ان بين العبد وبين الله سبحانه وتعالى
حدا محدودا من الذنوب فاذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفقه لخير ابدا فبادروا ايها المجاورون للحدود
بالتوبة والرجوع قبل ان تبلغ الحد فتلقى غيا وجهدا وفى حديث ابن عمر رضى الله عنه الطابع معلق بقائمة
عرش الرحمن فاذا انتهكت المحارم بعث الله سبحانه وتعالى بالطابع على القلوب فاعماها وهذا هو القفل الذى
قال الله سبحانه وتعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها واعلم ان القسوة التى تهدد الله سبحانه وتعالى
عليها بالويل متولدة من طول الغفلة فى قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقد قرنها الله
سبحانه وتعالى بالنفاق واخبر انه يجعل القاء الشيطان فتنة لاهل النفاق والقسوة فالقاء الشيطان
يكثر عند قلة الهام الملك كما ذكرنا آنفا ينتظم ذلك قوله سبحانه وتعالى ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة
للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم اى وللقاسية قلوبهم ايضا والقسوة ثمرة البعد والبعد
عقوبة الخيانة والله لا يحب الخائنين فذلك فى تدبر الخطاب من قوله سبحانه وتعالى فبما نقضهم ميثاقهم
اى فبنقضهم الميثاق وما صلة فى الكلام فهذا هو الخيانة لعناهم اى بعدناهم وجعلنا قلوبهم قاسية
ثم ترادفت الذنوب بعد القسوة من الكذب والنسيان ولا تزال تطلع على خائنة منهم والبهتان فاصيبوا
بالذنوب فوقع الطابع على القلوب فصمت عن سمع كلام المحبوب كما قال الله سبحانه وتعالى اصبناهم
بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فجلا هذا الطابع القوى وهو مفتاح السمع كما قال الله سبحانه وتعالى اتقوا الله
واسمعوا

كتاب ذكر مشاهدة اهل المراقبة اعلم ان مشاهدة المراقب هى اول
مراقبة المشاهدين وذلك ان من كان مقامه المراقبة كان حاله المحاسبة ومن كان مقامه المشاهدة
فان وصف المراقبة فاول شهادة المراقب هو ان يعلم يقينا انه لا يخلو فى كل وقت ان قصر عن احد ثلثة
معان ان يكون لله سبحانه وتعالى عليه فرض والفرض على ضربين شى امر بفعله وشى امر بتركه وهو اجتناب
النهى والمعنى الثانى ندب حث عليه وهو المسابقة بخير تقربه الى الله سبحانه وتعالى والمسارعة بعمل بر
يبتدره قبل فوته والمعنى الثالث شى مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وليس للمؤمن وقت رابع فان احدث
وقتا رابعا فقد تعدى حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقد احدث فى دين الله
سبحانه وتعالى ومن احدث فى دين الله فقد سلك غير طريق المتقين الم تسمع الى قوله سبحانه وتعالى وهو الذى
جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا فهل ترى من هذين وقتا ثالثا او هل ترى
كما لا ترى بين الليل والنهار وقتا ثالثا فالذكر الايمان والعلم وهذان ينتظمان جمل اعمال القلوب والشكر

فهم

خ القلب

العمل بأخلاق الإيمان وأحكام العلوم وهما ان يشتملان على جميع أعمال الجوارح قال الله سبحانه وتعالى اعملوا آل
داود شكراً وقال سبحانه وتعالى واتقوا الله لعلكم تشكرون وقال سبحانه وتعالى كما ارسلنا فيكم رسولاً
منكم الى قوله عز وجل فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال سبحانه وتعالى ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم
وآمنتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عوتب في طول قيامه حتى تورّمت قدماه افلا اكون عبداً شكوراً
ففسّر الشكر بالعمل كما فسّر الله سبحانه وتعالى العمل بالشكر والوقت الثالث الذي هو المباح داخل فيهما لانه
يعين عليهما وبه استقامة العبد فيهما وكان بعض العلماء يقول لنا في معاصي الطاعات هم وشغل عن
معاصي المخالفات فينبغي للعبد المراقب فينظر بيقظته في ادنى وقت هل لله سبحانه وتعالى عليه فيه فرض
من امر او نهي فيبدأ بذلك حتى يفرغ منه فان لم يجد فانه لا يخلو من نوادب وفضائل فينبغي له الافضل فان لم
يمكن عمل في ادنى الفضلين وليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن يومه لامسه ومن ساعته ليومه ومن دنياه
لآخرته كما امر مولاه في قوله سبحانه وتعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تترك ان تاخذ نصيبك في الآخرة
من دنياك وهو ان تحسن كما احسن الله اليك ولا تطلب الفساد في الدنيا فتكون قد نسيت نصيبك من الآخرة
فيترككم الله عز وجل من جزيل ثوابه الذي اعدّ لاحبابه كما قال الله سبحانه وتعالى نسوا الله فنسيهم اي
تركوه فتركهم وتركهم له ترك نصيبهم منه وتركه لهم ترك محابهم من الآخرة فينبغي للعبد الفطن فيأخذ
من عمره وقته فيجعله لآخرته التي ابقى بها ثم ياخذ من وقته اعلى ما فيه مما تختص به الوقت ولا يوجد الا فيه
ويفوت دركه بفوت وقته وهو افضل ما يقدر عليه مما اداه علمه اليه فيجعله لمولاه ثم ان العبد لا يخلو في
كل وقت وان قلّ من احد مقامين مقام نعمة او مقام بلية فحاله في مقام النعمة الشكر وحاله في مقام
البلية الصبر ثم ليس يفقد احد مشاهدتين شهود نعمة او شهود منعم من حيث لا يخلو من وجود ما لك
وحضور مملوك فعليه الخدمة للموجود وعليه الحضور في خدمة المعبود والمراقبة علامة الحضور والمحاسبة
دليل المراقبة فيكون له ايضاً في ادنى اوقاته وهو الوقت الثالث الذي هو لمباحه وهو ادنى احوال المؤمن
يكون له فيه مشاهدة منعم او شهود نعمة لئلا يذهب وقته ايضاً هذا فارغاً من دنياه فلا يعود عليه منه
شيء من ذكر مولاه او تذكّر نعمه تدلّه على منعم او تخرجه اليه فينفعه ذلك في عقباه اذ العاقبة للمتقين اتحد خ
فان شهد منعماً انقطع اليه بالسكينة والوقار للهيبة وهذا مخصوص لخصوص وان شهد نعمة استغرقته
بالشكر والاعتبار وهذا للعموم الخصوص قال الله سبحانه وتعالى في وصف الاولين ومن كل شيء خلقنا زوجين
لعلكم تذكرون ففروا الى الله وقال سبحانه وتعالى في المقام الثاني ولا تجعلوا مع الله الهاً آخر وقال
في مقام الاولين قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه الى قوله سبحانه وتعالى افلا تتقون

وقال عز وجل في وصف الآخرين قل لمن الارض ومن فيها الى قوله عز وجل افلا تذكرون وقد روينا في الاثر
من صفات العاقل وحال المراقب وحشو الاوقات مما ينبغي ان يملأ به جمل ما ذكرناه في حديث ابي ذر الطويل
ولا يكون المؤمن ظاعناً الا في ثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وبمعناه وعلى العاقل
ان يكون له اربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله
سبحانه وتعالى اليه وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان في هذه الساعة عوناً له على الساعات وفيه ايضاً
ثلاث مجملات من صفة العاقل ومن علامة العاقل ان يكون مقبلاً على شانه حافظاً للسانه عارفاً بزمانه
وفي بعضها مكرماً لاخوانه فاما وقت المباح من الاوقات فالنوايب والحاجات تطرقه به والافات
تدخل عليه فلا يتكلفه قبل وقته فيشغله عن وقته ثم ان العباد في مشاهدة الملك على اربع مقامات كل
عبد يشهد الملك من مقامه بعين حاله فمنهم من ينظر الى الملك بعين البصيرة والعبرة فهو من اولي الالباب
الذين كشف عن قلوبهم الحجاب وهم اولو الايدي والابصار الذين اقامهم مقام الاعتبار وهذا مقام العلماء
الذين هم ورثة الانبياء ومنهم من ينظر الى الملك وما فيه بعين الرحمة والحكمة وهذا مقام الخائفين ومنهم من ينظر
الى الملك واهله بعين المقت والبغضة وهذا مقام الزاهدين ومنهم من ينظر الى الملك بعين الشهوة والغبطة
وهذا مقام الهالكين وهم ابناء الدنيا الذين هم لها يسعون وعلى فوتها يتحسرون فان اعطي العبد النظر الى
الملك بعين العبرة والحكمة ادخله الملك على المليك فاستغنى به عما سواه وان اعطي الخائف النظر الى الملك
بعين الرحمة اغتبط بمقامه وعظمت لديه عليه النعمة وان اعطي الزاهد النظر الى الملك بعين البغضة اخرجه
الملك عن الملك بالزهد فيه فعوضه من فوت الملك الصغير درك الملك الكبير ومن ابتلي بالنظر الى الملك
بعين الغبطة والحسرة اوقعه الملك في الهلك فسلك طريق الهالك ومن شهد معنى خلق من اخلاق الذات
او معنى وصف من الصفات كان مقتضاه بوجه الخلق او الوصف من شهود نعيم او عذاب وهو مقام له
في التعريف يرفعه الى مقام التعرف وهذه شهادة العارفين من كل ما شهدوه من الافعال التي تدل على معاني
الاخلاق والاوصاف انه اظهرها عنها ليستدل عليها وينظر اليه منها فاما من شهد شهوة من شهوات النفس
بعين الهوى اخرجته الى الاهوا فتخطفته الشياطين وهوت به الريح في مكان بعيد وتنكّب طريق المسالك
الى المولى التي تخرجه الى القرب وتقعده عند الحبيب مقعد صدق عند مليك مقتدر فمن فاته القرب
وقع في التيه والبعد فهو البائس المغبون الحائر المفتون الذي يكون ابداً يومه شراً من امسه وغده شراً من
يومه فالموت خير له لان حياته عن الحبيب تبعده وبقاءه عن السبيل تصده ووجوده لهواه يفقده وظهور
نفسه عليه عن السوابق يقعده لانه اذا كان في ادبار وكان ادباره في اقبال فقد فاته عمره عن آخره كفوت

وقت واحد وفوت شيء واحد لأن العمر ليس مما يتأتى فوته دفعة واحدة كشيء واحد لأنه ينشأ وقتًا
بعد وقت وانما يفوت جزءًا جزءًا على حكمة من الله سبحانه وتعالى وتمهل واستدراج منه وقتًا بعد وقت
ويومًا بعد يوم يدرجه في ذلك كما يصعد الدراج في الدرج مرقاة مرقاة كذلك يشغله في وقت عنه
ويفرغه وقتًا آخر لغيره ويذكره في وقت سواه وينسيه وقتًا آخر اياه فيشغله حينئذ كفراغه وذكره
يومئذ كنسيانه على هذا سائر اوقاته تارة يقطعه عنه وتارة يصله بغيره حتى يفني الأيام بالفوت وتفنى
الأوقات الى الموت وفي ذلك يسبل عليه الستر ليغتر ويسبغ عليه النعم كيلا يعلم ويديم له العوافي لئلا
يفطن ويبسط له الأمل ليزداد من سوء العمل ويقبض عنه الأجل ليقبض منه الوجل وينشر له الرجاء
ويطوي عنه الخوف حتى يبغتهم فجأة من حيث آمنهم ويأخذهم بغتة في حال غرتهم كما قال الله سبحانه وتعالى
ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون ومن معنى ما ذكرناه قوله سبحانه وتعالى فلما نسوا ما ذكروا
به فتحنا عليهم أبواب كل شيء أي لما تركوا ما وعظوا به وخوفوا اسبغنا عليهم النعم وانسيناهم الشكر
فترادفت منهم الذنوب وانسيناهم الاستغفار ثم قال سبحانه وتعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا اي سكنوا الى ذلك
واطمأنوا ولم يعدوا التحويل عنه ولا الاستعتاب منه أخذناهم بغتة اي فجأة في حين أمنهم وقيل بغتة
بعد اربعين سنة فاذا هم مبلسون متحيرون باهتون آيسون من كل خير واعلم ان العبد اذا كان بعد ساعة
شرًا منه قبلها وبعد يوم شرًا منه قبله ثم لم يستعتب ولم يتدارك كانت اوقاته وأيامه كيوم واحد في كلها
الشر ووقت سرمد في السوء فكان كمن فاته عمره كله كفوت وقت واحد منه لأن على هذا الوصف يكون فوت
العمر لمن اجله وقتًا بعد وقت وتنسيه شيئًا بعد شيء ولتربية العبد باوقاته وقتًا وقتًا الا انها في آخر
الحساب بمجمله كيوم واحد اضاعه فكان مثله كما قال الله سبحانه وتعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن
ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا وكمن دامت حاله الغفلة عن الوعد والوعيد فلما كشف عنه الغطاء
حار بصره وبهت واحتد وبرق لمعاينة ما كان عنه غفل وحسرة على ما فيه فرط كقوله تعالى لقد كنت
في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قيل محدد الى أعمالك السيئة التي أوبقتك
وقيل حديد الى لسان الميزان تتوقع النقص والرجحان وكان كمن قال وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي
الأمر وهم في غفلة قيل جاء الموت وهم مشغولون بأمور الدنيا وقيل كانوا متشاغلين في شأن النساء
وبوصف من قيل لهم وغرتكم الأماني يعني اماني الهوى حتى جاء أمر الله اي قدم الموت ولم يقدموا له شيئًا
يقدمون عليه فمثلهم كمن وصفه الله تعالى بالإفلاس واخبر عنه بالإياس في قوله سبحانه وتعالى حتى اذا جاءه
لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه وقد كان ابو محمد رضي الله عنه يقول لا يبلغ العبد حقيقة

من هذا

من هذا الأمر حتى يكون فيه هذه الأربع أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي في الظاهر
والباطن والصبر على ذلك الى الممات وكان الحسن رضي الله عنه يقول والله ما للعمل المؤمن انتهاء دون الموت
والله ما المؤمن الذي يعمل الشهر والشهرين والسنة والسنتين انما المؤمن المداوم على أمر الله عز وجل الخائف
من مكر الله سبحانه وتعالى انما الايمان شدة في لين وعزم في يقين واجتهاد في صبر وعلم في زهد وقد
كان عمر رضي الله عنه اذا تلا قوله سبحانه وتعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا يقول قد قالها الناس
ثم رجعوا فمن استقام على أمر الله في السر والعلانية والعسر واليسر ولم يخف في الله سبحانه وتعالى لومة لائم
وقال مرة استقاموا والله لربهم ولم يروغوا روغان الثعالب وقال بعض العلماء من كان طلب الفضائل
أهم اليه من اداء الفرائض فهو مخدوع ومن شغل بغيره عن نفسه فقد مكر به وقال سفيان وغيره انما
حرموا الوصول بتضييع الأصول فأفضل شيء للعبد معرفته بنفسه ووقوفه على حده واحكامه لحاله
التي أقيم فيها وابتداؤه بالعمل بما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهي عنه بعلم يدبره في جميع ذلك وورع يحجزه
عن الهوى من ذلك ولا يشتغل بطلب فضل حتى يفرغ من فرض لأن الفضل لا يصح الا بعد حوز السلامة
كما لا يخلص الربح للتاجر الا بعد حصول راس المال فمن تعذرت عليه السلامة كان من الفضل ابعد والى الاغترار
اقرب وقد يلتبس الفضائل بالفرائض لدقة معانيها وخفي علومها فيقدم العبد النفل وهو يحسب انه
هو الأوجب من ذلك ان ابا سعيد رافع بن المعلى كان قائمًا يصلي فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه
فظن ان وقوفه بين يدي الله عز وجل بالغيب افضل له فلما سلم جاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
منعك ان تجيبني حين دعوتك فقال كنت أصلي فقال ألم تسمع الله سبحانه وتعالى يقول استجيبوا لله
وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه وهو في الصلاة ليفيده باطن العلم
او لينظر مبلغ علمه كيف يعمل وكان اجابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم افضل له من صلاته لأن صلاته
نافلة له فهو مطيع لله سبحانه وتعالى في الغيب باختياره واجابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فريضة عليه
فهو مطيع لله عز وجل في الشهادة باجابته ففضل استجابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاته لنفسه
كفضل الفرض على النفل وقد قال الله سبحانه وتعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال عز وجل ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله والله سبحانه وتعالى معه في المكانين معًا وهو عند الرسول على يقين
فعبادة الله ههنا ابلغ في مرضاته واثوب له في آخرته وفي هذا الحديث دليل ان الخبر اذا ورد في امر
كان على جملة عمومه وكليته ما يتعلق به حتى تخص السنة او الاجماع بعض شأنه من ذلك ان قول الله سبحانه
وتعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فان ظاهره مقصور على الاستجابة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم

بالإيمان وبالطاعة في أوامر القرآن لا الإجابة له في التصويت به خاصة في الصلاة وهذا هو الذي حمله
أبو سعيد بن المعلى عليه وتأوله من الآية فأشكل عليه ومثل هذا فعل عمار في التيمم لما نزلت آية
الإباحة للتيمم في صلاة الفجر وهم في سفر فقال سبحانه وتعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا
فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ولم يكن سمع من النبي صلى الله عليه وسلم في تخصيص اليد شيئا قال فتيممنا إلى
المناكب فاستوعب جملة اليد لعموم الخطاب حتى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأمرهم بالتيمم إلى المرفقين
وفي خبر إلى الزندين باختلاف روايتين فخص بعض اليد فلذلك اختلف العلماء في تبعيض اليد في المسح
وكذلك العمل فيما ورد مجملا أن يستعمل في الجملة حتى تخصه السنة ومثل هذا ما روي أن رجلين على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم تواخيا على العبادة واعتزلا الناس فقال أحدهما لصاحبه هلم اليوم فلننفرد عن
الناس ونلزم الصمت فلا نتكلم من كلمتين فإنه أبلغ في عبادتنا فاعتزلا في خلوة وصمتا فمر بهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسلم عليهما فلم يردا عليه السلام قالا فسمعناه حين جاوزنا يقول هلك المتعمقون هلك
المتنطعون فاعتذرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابا من ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ومثل ذلك ما روي
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعس ذات ليلة فنظر إلى مصباح يبص في خلل باب فاطلع فإذا قوم
على شراب لهم فلم يدر كيف يصنع فدخل المسجد فأخرج عبد الرحمن بن عوف فجاء به إلى الباب فنظر وقال
له كيف ترى أن نعمل فقال أرى والله إنا قد أتينا ما نهانا الله سبحانه وتعالى عنه لأنا تجسسنا على عورة
فاطلعنا عليها وقد ستروها دوننا وما كان لنا أن نكشف ستر الله عز وجل فقال ما أراك إلا قد صدقت
ابعد عنك فانصرفا وفي لفظ آخر أنه قال إنا قد عصينا الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم نهانا
الله سبحانه وتعالى عن التجسس ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التجسس فقال صدقت فأخذ بيده
وانصرف وروينا نحو هذا أن عمر رضي الله عنه كان يعس ليلة مع ابن مسعود فاطلع من خلل باب
فإذا شيخ بين يديه زق خمر وقينة تغنيه فتسور عليه وقال ما أقبح بشيخ مثلك أن يكون على هذه
الحال فقام إليه الرجل فقال يا أمير المؤمنين أنشدك الله إلا أنصفتني حتى أتكلم فقال له قل فقال
إن كنت عصيت الله عز وجل في واحدة فقد عصيته أنت في ثلاث قال وما هن قال تجسست وقد نهاك
الله سبحانه وتعالى عن ذلك وتسورت وقد قال الله عز وجل وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها
ودخلت بغير إذن وقد قال الله سبحانه وتعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على
أهلها فقال عمر صدقت فهل أنت غافر لي ذلك فقال غفر الله لك فخرج عمر وهو يبكي حتى علا نشيجه
ويقول ويل لعمر إن لم يغفر الله عز وجل له تجد الرجل كان يتخفى عن ولده وجاره فالآن يقول لي

أمير المؤمنين

أمير المؤمنين ونحو ذلك ما جاء في الخبر إذا دعي أحدكم إلى الطعام فإن كان مفطرا فليجب وإن كان صائما فليقل
إني صائم فأمره بإظهار عمله وهو يعلم أن الإخفاء أفضل ولكن إظهار عمله من حيث لا يؤثر في قلب أخيه
وجدا أفضل من إخفائه عمله لنفسه مع تأثير ذلك في قلب أخيه لتفضيل المؤمن وحرمته على الأعمال
إذ الأعمال موقوفة على العامل فإنما يعطى الثواب على قدر العامل لا على قدر العمل لتضعيف الجزاء لمن
يشاء على غيره في العمل الواحد فدل ذلك أن المؤمن أفضل من العمل فقيل له ادفع التأثير والكراهية عن قلب
أخيك بإظهار عملك فهو خير لك من إخفاء العمل مع وجد أخيك عليك لأن أخاك إذا دعاك إلى الطعام صنعه
لك فلم تجبه ولم تعتذر إليه عذرا بينا يقبله منك ويعرفه فيك شق ذلك عليه إن كان صادقا في دعائك
ويعني هذا من خفي الأعمال ما حكي عن بعض السلف أنه كان يكون في الجماعة فيقرأ في نفسه سرا لئلا يطلع
على أعماله أحد فإذا مر بآية فيها سجدة سجد بين الملأ والوا فكنا نعرف بسجوده أنه يقرأ فتعجل فادعا
قليل الفقه يقول إن هذا قد أظهر عمله إذ فعل ما يدل عليه فلو ترك السجود ليخفي عمله كان أفضل
لأنه قد أظهر فيما أخفاه فهذا يدل على جهله بالمعاملة وقد سمعت بعض العلماء يطعن على هذا بفعله
بمعنى ما ذكرناه من القول وهكذا يكون علم المريدين القصير في العلم وليس الأمر كما قدر هذا المنكر لسجوده
بل القائل المنكر لفعله قليل الفقه بدقائق الإخلاص جاهل بطريقة العاملين من العارفين والعامل الذي
نقل عنه هذا الفعل فقيه مخلص وذلك قد حاز الفضيلتين معا لأنه كان فاضلا فيما أخفى إذ ابتدأ عمله
بالخفية فلما جاء السجود الذي لا يكون إلا ظاهرا لم يصلح أن يترك قربة إلى الله عز وجل لأجل الناس
فكان يسجد كما أمر به ويقرأ كما ندب إليه فصار فاضلا في الحال الثاني لأنه أظهر لأجل الله عز وجل كما أخفى
لأجله سبحانه وتعالى ولأنه ترك مراقبة الناس ولم يترك عمله لأجلهم ولو كان الفضل في ترك السجود
لإخفاء العمل كان الأفضل لمن دخل عليه منزله وهو يصلي أن يقعد لأجلهم وقد وردت السنة
في ذلك أن له أجرين أجر السر وأجر العلانية كيف وقد كانوا يعدون أن الرياء ترك العمل لأجل الناس
فأما العمل لأجلهم فشرك وقد قيل لا يعمل للرياء ولا يترك العمل للحياء والحياء من الخلق شرك كما أن الحياء من
الخالق إيمان وأيضا لو أنه أطاع العدو في ترك العمل لأجل الناس أطاعه مرة أخرى في العمل لأجلهم ومثل
هذا مثل من كان يصوم ويصلي في موضع في منزله لا يعلم به مخلوق فلما نوى الاعتكاف ليضمه إلى الصوم
خرج إلى المسجد فكان يصلي مقيما فيه فظهر الناس على عمله فلم يكن ليدع ما نواه من العكوف في المسجد
لأجل نظرهم إليه ولم يضره ظهور عمله لثباته على نيته ولمزيد الاعتكاف إذا كان عالما متمكنا وأيضا
فإن الإمام المقتدى به لا يضره ظهور الناس على أعماله إذا لم يقصد ذلك ولم يحب مدحهم وربما كان له

اجرا في ذلك لتنبيه الغافلين على الذكر وتشويق العاملين الى البر كيف وعند بعض العلماء ان سجود
القرآن فرض وان على من سمع آية سجدة او تلاها وكان على غير وضوء ان يسجد لها اذا توضأ ونحو هذه المعاني
مما هو حال العبد واولى به من حال غيره ما روى ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال
قد عزمت على الحج فهل تامر بشيء فقال له بشر كم اعددت للنفقة قال الفي درهم قال بشر فاي شيء تبتغي
بحجك نزهة او اشتياقا الى البيت او ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان اصبت
مرضاة الله وانت في منزلك وتنفق الفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله اتفعل ذلك قال نعم قال
اذهب فاعطها عشرة انفس مديون تقضي دينه وفقير ترم شعثه ومعيل تحيي عياله ومربي يتيم
تفرحه وان قوي قلبك ان تعطيها لواحد فافعل فان ادخالك السرور على قلب امرئ مسلم وتغيث لهفان
وتكشف ضر محتاج وتعين رجلا ضعيف اليقين افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما امرناك
والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا نصر سفري اقوى في قلبي فتبسم بشر رضي الله عنه واقبل عليه وقال
له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان تقضي به وطرا تسرع اليه بظاهر نسخ
اعمال الصالحات وقد آلى الله سبحانه وتعالى على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين وفي نحو ايضا
قيل لبشر ان فلانا الغني كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره انما حال
هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه
مع جمعه الدنيا ومنعه للفقراء وقد يكون خفاء الاوجب من الفرائض والتباسه بالفضائل محنة من الله سبحانه
وتعالى للعباد وحكمة له فيهم فيركبون التاويل للسعة ويتركون الضيق لخفائه عليهم لينفذ فيهم العلم
ويجري عليهم الحكم ويكون ذلك تاديبا لهم وتعريفا ومزيدا في التسليم وتوقيفا وقد قال الله سبحانه وتعالى
فيما عتب عليه نبيه صلى الله عليه وسلم ووعظه وزجره في قوله سبحانه وتعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى يقال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يغتنم في عمره كغمه حين انزلت عليه سورة عبس لان فيها عتابا شديدا
على مثله لانه الحبيب الرشيد ومع ذلك فلم يقصده في الخطاب فيكون ايسر للعتاب بل كشف ذلك للمؤمنين
ونبه على فعله عباده المتقين لان معنى قوله سبحانه وتعالى عبس وتولى اي انظروا ايها المؤمنون واعجبوا الى الذي
عبس وتولى ان جاءه الاعمى وكذلك روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه ان بعض المنافقين يؤم قومه
فكان لا يقرأ بهم الا سورة عبس فارسل فضرب عنقه استدل بذلك على كفره ليضع من الرسول صلى الله
عليه وسلم بذلك عنده وعند قومه ومثله قوله سبحانه وتعالى عاتبا على رسوله عفا الله عنك لم اذنت
لهم ونحو لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضاة ازواجك بمعناه قوله سبحانه وتعالى وتخفي في نفسك

ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حتى قالت عايشة عليها السلام لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا من القرآن لكتم هذه الآية ومن اعجب ما سمعت في هذا المعنى ما حدثونا في الاسرائيليات عن وهب بن
منبه اليماني ان سليمان بن داود لما قبضه الله سبحانه وتعالى اليه خلف بعده رجال من ولده يعمرون بيت
المقدس ويعظمونه برهة من الدهر حتى خلف بعدهم رجل من ولد سليمان يخالف طريقة آبائه وترك شريعتهم
وتكبر في الارض وطغى وقال بنا جدي داود وابي سليمان مسجدا فما بالي لا ابني مسجدا مثلما بنوا وادعو الناس
الى شريعتي كما دعوا فبنى مسجدا ايضا يباهي به مسجد بيت المقدس وادعى على الله سبحانه وتعالى انه امره بذلك فصرف
الناس اليه وبذل لهم الاموال واخرب مسجد بيت المقدس وهجره فدخل الناس في دينه رغبة ورهبة قال
فابتعث الله سبحانه وتعالى نبيا من بعض القرى فقال له اركب اتانك هذه وائت هؤلاء القوم احفل ما يكونون
فناد في مسجدهم ومجمعهم باعلى صوتك يا مسجد الضرار ان الله سبحانه قد حلف باسمه ليوحشنك من عمارك
وليقتلن اهلك فيك وليشدخنهم بخشبك وحجارتك ولتبلغن الدماء بناءك ثم ولتاكلن لحومهم وناد
في المدينة باعلى صوتك بمثل ذلك ولا تاكل ولا تشرب ولا تستظل ولا تنزل عن اتانك هذه حتى ترجع الى
قريتك التي خرجت منها قال ففعل ذلك فثار اليه الناس يضربونه بالخشب ويشجونه بالحجارة وهو على
اتانه لا ينزل عنها فناله على ذلك اذى كثير وضرب عظيم ثم كر راجعا في آخر النهار الى قريته التي خرج
منها وقد ادى الرسالة وصبر على الضرب والبلاء لله سبحانه وتعالى فلما كان ببعض الطرق سمع به نبي آخر
كان في بعض القرى فاستقبله وسلم عليه وقال انك قد اديت رسالة ربك وامضيت امره وانك قد نصبت
ولقيت عنتا من هؤلاء القوم وانت جايع عطشان يسيل دماؤك على جسدك وثيابك فاعدل الى منزلي
فكل واشرب واسترح واغسل جسدك وثيابك فقال ان الله سبحانه وتعالى لما ارسلني عهد الي ان لا آكل
ولا اشرب ولا استظل حتى ارجع الى اهلي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فاني من اهلك لاني نبي مثلك
واخوك في الدين ولا ارى الله سبحانه وتعالى عنى بذلك الا القوم الذين بعثك اليهم لانهم اعداؤه فنهاك ان
تاكل من طعامهم وتستظل عندهم ولا احسبه حرم عليك دخولك منزلي ولا الاكل من طعامي لاني شريكك
في الاخوة والنبوة قال فصدقه وانصرف معه الى منزله فلما وضع الطعام بين يديه واهوى ليأكل عن
جوع شديد قد اضر به اوحى الله سبحانه وتعالى الى ذلك النبي الذي دعاه الى منزله قل له آثرت شهوتك
وبطنك على امري الم اعهد اليك ان لا تنزل ولا تستظل ولا تاكل حتى ترجع الى قريتك التي خرجت منها ولولا انك
اجتهدت رايك ودلت بمبلغ علمك لعممتكما العقاب وهو اقل عندي عذرا منك لاني عهدت اليه فآثر
هواه وشهوته وترك عهدي فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما امر به فوثب مذعورا يجر ازاره

وجعل يرحل اتانه ويعجل ولا يعقل ما هو فيه وركبها طاردًا على وجهه بجوعه وعطشه ودماؤه على ثيابه
وجسده فلما هبط من عقبة تحتها غيضة عارضه سبع فافترسه وانتصب السبع مقعيًا على قارعة
الطريق يزبر يحرس اتانه ورحله حتى اقبل انسان زار الاسد حتى يطرده فسمع بخبره ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فاقبل نحوه فلما نظر اليه الاسد انصرف عنه وخلى بينه وبينه قال فكفنه وواراه وانصرف
باتانه ورحله الى اهله فقال يا رب عبدك هذا ادى رسالتك وامضى امرك وقد كان اجتهد البلاء خالف ما
اردت ولم يعلم فعاقبته بهذه العقوبة فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه ليست هذه عقوبة ولم افعل ذلك به
لهوانه علي ولكن هذه مغفرة ورحمة انه كان خالف امري وكان قد قرب اجله فكرهت له ان يلقاني على
المخالفة فالقاه بما يكره فقيضت له كلبًا من كلابي فطهره للقائي فكان ذلك له عندي شهادة ودرجة
فوق توبته فقال سبحانك وبحمدك احكم الحاكمين وارحم الراحمين فالعالم عند العلماء من علم خير الخيرين
فسبق اليه قبل فوته وعلم شر الخيرين فاعرض عنه لئلا يشغله عن الاخير منه وعلم ايضًا خير الشرين
فيفعله اذا اضطر اليه وابتلي به وعلم شر الشرين فامعن في الهرب منه واحتجب بحجاب بينه عنه وفي هذه
المعاني دقائق العلوم وغرائب الفهوم وادلة للسائلين وعبر وآيات للعالمين فاما شر الشرين ومعرفة
الخير من الشر فهو معروف بادلة العقول وظاهر العلوم

كتاب اساس المريدين

قال بعض العلماء الخلق محجوبون بثلاثة حب الدرهم وطلب الرياسة وطاعة النساء وقال بعض العارفين
الذي قطع العباد عن الله سبحانه وتعالى ثلاثة اشياء قلة الصدق في الارادة والجهل بالطريق ونطق علماء
السوء بالهوى وقال بعض علمائنا اذا كان المطلوب محجوبًا والدليل مفقودًا والاختلاف موجودًا لم
ينكشف الحق واذا لم ينكشف الحق تحير المريد واعلم ان المريد لا بد له من خصال سبع الصدق في الارادة
وعلامته اعداد العدة ولا بد له من التسبب الى الطاعات وعلامة ذلك هجر قرناء السوء ولا بد له
من المعرفة بحال نفسه وعلامة ذلك استكشاف آفات النفس ولا بد له من مجالسة عالم بالله سبحانه وتعالى
وعلامة ذلك ايثاره على ما سواه ولا بد له من توبة نصوح فبذلك يجد حلاوة الطاعة ويثبت على المداومة
وعلامة التوبة قطع اسباب الهوى والزهد فيما كانت النفس راغبة فيه ولا بد له من طعمة حلال لا
يذمها العلم وعلامة ذلك انحلال المطالبة عنه وحلول العلم فيه بكون سبب مباح وافق فيه حكم الشرع
ولا بد له من قرين صالح يوازره على حاله وعلامة القرين الصالح معاونته على البر والتقوى ونهيه اياه عن
الاثم والعدوان فهذه الخصال السبع قوت الارادة لا قوام لها الا بها ويستعين على هذه السبع باربع
هن اساس بنيانه وبهن قوة اركانه اولها الجوع ثم السهر ثم الصمت ثم الخلوة فهذه الاربع يحجز النفس

وضيقها

وضيقها وضرب النفس وتقييدها بهن تضعف صفاتها وعليهن تحسن معاملاتها ولكل واحدة من الاربع
صبغة في القلب حسنة فاما الجوع فانه ينقص من دم القلب فيبيض وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد
وفي ذوبه رقته ورقته مفتاح كل خير لان في القسوة مفتاح كل شر واذا نقص دم القلب ضاق مسلك العدو
منه لان دم القلب مكانه فاذا رق القلب ضعف سلطان العدو فيه لان في غلظ القلب سلطانه والفلاسفة
يقولون ان النفس كلية الدم وحجتهم في ذلك ان الانسان اذا مات لم يفقد من جسمه الا الدم مع الروح والعلماء
منهم من يقول الدم هو مكان النفس وهذا هو الصحيح لانه مواطئ لما في التوراة سمعنا ان في التوراة مكتوبًا
يا موسى لا تاكل العروق فانها ماوى كل نفس وهذا مصداق للحديث الذي روي ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى
الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وقد عبر علماء الكوفة عن الدم بالنفس فقالوا اذا ماتت في الماء من الهوام
ما ليس له نفس سائلة لم ينجس يعنون الخنافس والصراصر والعناكب ففي الجوع نقصان الدم وفي نقصانه
ضيق مسالك العدو وضعف مسكن النفس لسقوط مكانها وفي خبر عن عيسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم
يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم وعطشوا اكبادكم واعروا اجسامكم لعل قلوبكم ترى الله سبحانه وتعالى يعني
بحقيقة الزهد وصفاء القلب فالجوع مفتاح الزهد وباب الآخرة وفيه ذل النفس واستكانتها وضعفها
وانكسارها وفي ذلك حياة القلب وصلاحه واقل ما في الجوع ايثار الصمت وفي الصمت السلامة وهي غاية العقلاء
وقال سهل رحمه الله اجتمع الخير كله في هذه الاربع الخصال وبها صار الابدال ابدالًا اخماص البطون والصمت
والسهر والخلوة وقال من لم يصبر على الجوع والضر لم يتحقق بهذا الامر وكان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله
عز وجل ما تحول الصديقون صديقين الا بالجوع والسهر فانه ينير القلب ويجلوه وفي استنارته معاينة
الغيب وفي جلائه صفاء اليقين فيدخل الاستنارة والجلاء على البياض والرقة فيصير القلب كانه كوكب
دري في مرآة مجلوة فيشهد الغيب بالغيب فيزهد في الفاني لما عاين من الباقي ويقل رغبته في عاجل عن
حظوظ هواه لما ابصر من وبال العاقبة ويرغب في الطاعات لمشاهدة الآخرة ورفيع الدرجات فيصير الآجل
عاجلًا ويكون العاجل غائبًا ويصير الغائب حاضرًا والحاضر آفلًا فلا يحب الآفل ولا يتبعه ويطلب الآجل
ويرغب فيه وينكشف له غوار الدار وتظهر له بواطن الاسرار ويزول عنه كامن الاغترار فهناك
صار العبد مستحقًا بوصف حارثة الانصاري اذ يقول عزفت نفسي عن الدنيا فكاني انظر الى عرش
ربي بارزًا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون والى اهل النار يتعاوون وبذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلب المؤمن في قوله القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن واجراد القلب بالزهد في الدنيا
وتجرده من الهوى وسراجه الذي يزهر فيه هو نور اليقين به يبصر الغيب وقال بعض العلماء من سهر اربعين

ليلةً خالصًا كوشف بملكوت السماء وكان يقول اجتمع الخير كله في اربع ذكر منها سهر الليل واعلم ان نوم العلماء
عن غلبة المنام بعد طول السهر بالقيام مكاشفة لهم وشهود وتقريب لهم منه وورود ومن صفة الابدال ان
يكون اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة ومن سهر بالليل لاجل الحبيب لم يخالفه بالنهار ومن راقب
الرقيب بالنهار اسهره في خدمته بالليل ودخل الحسن رضي الله عنه ذات يوم الى السوق فسمع لغطهم وكثرة كلامهم
فقال اظن ليل هؤلاء ليل سوء اما يقيلون وفي الخبر قيلوا فان الشياطين لا تقيل واستعينوا على قيام الليل
بقائلة بالنهار وقد قيل في قوله سبحانه وتعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قيل بالصوم على قيام الليل وقيل استعينوا
بالجوع وصلاة الليل على مجاهدة النفس وقيل استعينوا بالصبر والصلاة على اجتناب النهي واما الصمت
فانه يلقح العقل ويعلم الورع ويجلب التقوى ويجعل الله سبحانه وتعالى به للعبد بالتاويل الصحيح والعلم الرجيح
مخرجًا ويوفقه بايثار الصمت للقول السديد والعمل الرشيد وقال بعض السلف تعلمت الصمت بحصاة
جعلتها في فمي ثلثين سنة كنت اذا هممت بالكلمة تلجلج بها لساني فسكت وقال بعضهم جعلت على نفسي
بكل كلمة اتكلم بها فيما لا يعنيني صلاة ركعتين فسهل ذلك علي فجعلت على نفسي بكل كلمة صوم يوم فلم
انته حتى جعلت على نفسي بكل كلمة ان اتصدق بدرهم فصعب ذلك علي فانتهيت وقال عقبة بن عامر يا رسول الله
فيما النجاة فقال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم في الخبر الجامع
المختصر من سره ان يسلم فليلزم الصمت واوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذًا بالصلاة والصيام وغير
ذلك ثم قال في آخر وصيته الا ادلك على ما هو املك بك من ذلك كله هذا واومأ بيده الى لسانه قلت
يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم به السنتنا فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم
في جهنم الا حصائد السنتهم انك ما سكت فانت سالم فاذا تكلمت فانما هو لك او عليك وقال عبد الله بن
سفيان عن ابيه قلت يا رسول الله اوصني بشيء في الاسلام لا اسأل عنه احدًا بعدك فقال قل ربي الله ثم
استقم قلت فما اتقي بعد ذلك وفي لفظ آخر فاخبرني باضر شيء علي فقال هذا واومأ الى لسانه وفي الخبر
لا يتقي العبد ربه حق تقاته حتى يخزن من لسانه وفي الحديث لا يصلح العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم
قلبه حتى يستقيم لسانه وقال ابن مسعود رضي الله عنه ليس شيء احق بطول سجن من لسان وقال بعض السلف
تتبعت الورع فما وجدته في شيء اقل منه في اللسان وقال بعض العلماء ما استقام لسان عبد الا عرفت
الصلاح في سائر عمله وما اختلف لسانه الا عرفت الفساد في سائر عمله وقال بعض الحكماء اذا كثر العقل
قل الكلام واذا قل العقل كثر الكلام وقال احمد بن حنبل رحمه الله علماء اهل الكلام زنادقة وقال بعض اهل
الطائفة من تكلم فاحسن كثير ولكن الشأن فيمن يحسن فيسكت وقال ذو النون المصري رضي الله عنه

الخوف يقلق والشوق يزعج والحيا يسكت وقال بعض العارفين هذا العلم على قسمين نصفه سكوت ونصفه
تدري اين تضعه وقال الضحاك بن مزاحم ادركتهم وما يتعلمون الا الصمت والورع وهم اليوم يتعلمون الكلام
وقال الحسن عن انس بن مالك رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع لا يصبن الا بعجب الصمت وهو
اول العبادة والتواضع وذكر الله عز وجل وقلة الشيء فقدم الصمت وجعله اول العبادة وقال حماد بن زيد
قلت لايوب العلم اليوم اكثر او فيما مضى فقال يا بني الكلام اليوم اكثر والعلم فيما مضى كان اكثر وقيل
كانوا ينتفعون بصمت العالم مثل ما ينتفعون بكلامه وقد قيل من لم ينتفع بسكوت المتكلم لم ينتفع بكلامه
وقيل لبعض العلماء فلان اعلم ام فلان فقال فلان اعلم وفلان اكثر كلامًا ففرق بين العلم والكلام وقيل لبعض
علماء خراسان عندو فاته دلنا على رجل نجلس اليه بعدك فقال فلان فذكر لهم رجلًا صموتًا متعبدًا لا
يعرف كثير علم فقيل له ان فلانًا ليس عنده من العلم ما يجيب عن كل ما يسأل عنه من العلم فقال قد علمت
ولكن عنده من الورع ما لا يتكلم الا بعلم وكان الاعمش يقول من الكلام كلام جوابه السكوت وقال غيره
الصمت جواب وفي الخبر عن بعض السلف الصمت زين العالم وشين الجاهل وقال بعضهم ليس على الشيطان وستر خ
شيء اشد من عالم حليم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان انظروا اليه سكوته اشد علي
من كلامه وقال بعض السلف تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فان يكن الكلام يهديك فان الصمت يقيك
ولك في الصمت خصلتان تدفع به جهل من هو اجهل منك وتعلم به علم من هو اعلم منك وقال بعض العلماء
تعلم لا ادري ولا تتعلم ادري فانك ان قلت لا ادري علموك حتى تدري وان قلت ادري سألوك حتى لا تدري وقد قالت
العلماء اذا اخطأ العالم قول لا ادري اصيبت مقاتله وقال عيسى صلى الله على نبينا وعليه الخير كله في ثلاث
في الصمت والكلام والنظر فمن لم يكن صمته تفكرًا فهو سهو ومن لم يكن كلامه ذكرًا فهو لغو ومن لم يكن
نظره عبرة فهو لهو وقال بعضهم يأتي على الناس زمان يكون افضل اعمالهم النوم وافضل علومهم الصمت
يعني لفساد الاعمال ولاشتباه العلم وتقول النصائح ذلك وافضل احوالهم الجوع لانتشار الحرام وغموض
الحلال وقال بعض الحكماء الصمت نوم العقل والنطق يقظته وكل يقظة يحتاج الى نوم وما صمت عاقل
قط الا اجتمع عقله وحضر لبه وفي وصية ابن عباس مجاهدًا لا تكلمن فيما لا يعنيك فانه اسلم ولا آمن
عليك الخطأ ولا تكلمن فيما يعنيك حتى ترى له موضعًا فرب متكلم فيما يعنيه قد وضعه في غير موضعه
فعيب وقال بعض العلماء يستبين ورع الرجل في منطقه وفي الخبر من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر
سقطه مات قلبه ويقال اذا قل الكلام كثر الصواب وعن جماعة من السلف ان تسعة اعشار السلامة
في الصمت ويقال لكل كلمة من هزل او مدح يوافق عليها العبد خمس مواقفات توبيخ وتقرير اولها ان يقال له

لم قلت كلمة كذى اكانت مما يعنيك والثانية هل نفعتك اذ قلتها والثالثة هل ضرتك لو لم تقلها والرابعة
الا سكت فربحت السلامة من عاقبتها واي خاسة بلا جعلت مكانها سبحان الله والحمد لله فغنمت ثوابها
ويقال ما من كلمة الا وينشر لها ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن فان نجا من
الثلاث والا طال وقوفه للحساب وقال الحسن رضي الله عنه لسان المؤمن من وراء قلبه اذا اراد ان يتكلم
تفكر فان كان له تكلم وان كان عليه امسك وقلب المنافق على طرف لسانه اي شي خطر بقلبه تكلم به
لا يتوقف ولا يتثبت وفي الخبر من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الصمت وفي الكلام تنميق وزيادة
وفي الصمت سلامة وعلم وفي موعظة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق الفضل
من ماله وامسك الفضل من قوله والاخبار في الصمت في جميع ما ذكرناه من المعاني تكثر ولم نقصد جمعها
واما الخلوة فانها تفرغ القلب من الخلق وتجمع الهم بامر الله سبحانه وتعالى وتقوي العزم على الثبات اذ
في مخالطة الناس وهن العزم وشتات الهم وضعف النية والخلوة تقل الافكار في عاجل حظوظ النفس
لفقد مشاهدتها بالابصار لان العين باب القلب منها تدخل آفاته وعنها توجد شهواته ولذاته وقال
بعض الادباء من كثرت لحظاته دامت حسراته والخلوة تجلب افكار الآخرة وتجدد الاهتمام بها لما تشهد
به الايقان وتنسي اذكار العباد وتواصل ذكر المعبود والخلوة من اكبر العوافي وذلك انه قد جاء في الحديث
سلوا الله العافية فما اعطي عبد بعد اليقين افضل من العافية ثم قد روي في الخبر العزلة عن الناس عافية
فدخل ذلك في معنى ما ندب اليه من السؤال وفيما قصد بعد اليقين على جميع الاحوال ولا يكون المريد صادقا
حتى يجد في الخلوة من اللذة والحلاوة والمزيد ما لا يجد في الجماعة ويجد في السر من النشاط والقوة ما لا يجده
في العلانية ويكون انسه في الوحدة وروحه في الخلوة واحسن اعماله في السر ومثل الخلوة في الاحوال من المخالطة
للناس مثل الخوف في المقامات من المحبة الخوف يصلح لجميع العابدين والمحبة مزيد لاهلها المخصوصين كذلك
الخلوة والانفراد يصلح لجميع المريدين والانس بالناس مزيد لاهله خاصة من ابدال العالمين الا ان الخلوة
تحتاج الى عقل آخر والوحدة والانفراد تحتاج الى ايمان ثان وقد روينا عن سفيان الثوري رضي الله عنه وعن
بشر بن الحارث رحمه الله اذا استوحشت من الوحدة واستانست بالخلق لم آمن عليك الرياء وكان ابو محمد رحمه الله
يقول اجتمع الخير كله في هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت واعتزال الناس
وسهر الليل وحدثت عن عبد العزيز عن سهل رحمه الله قال مخالطة الولي للناس ذل وتفرده عز
وقل ما رايت وليا لله سبحانه وتعالى الا منفردا وقال بعض العباد قرب الانس بالوحدة علامة وجود الطريق
من علامة صدق الارادة بعد صحة التوبة وقوة العزم على الاستقامة ايثار هذه الاربع التي ذكرناها

على اضدادها ووجود القلب عندها وانشراح الصدر لها وحسن الخلق معها لان ضدها من ابواب الدنيا ومفاتيح
الغفلة وطرقات الهوى من ذلك لان في الشبع قسوة القلب وظلمته وفي ذلك قوة صفات النفس وانتشار حظوظها
وفي قوتها وبسطها ضعف الايمان وخمود انواره وفي ضعف النفس وخمود طبعها قوة الايمان واتساع شعاع
انوار اليقين وفي ذلك قرب العبد من القريب ومجالسة الحبيب والشبع مفتاح الرغبة في الدنيا وقال بعض الصحابة
اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم شهواتهم
وروي عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يجوعون من غير عوز اي مختارين
لذلك وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما شبعت منذ قتل عثمان رضي الله عنه وقال هذا في زمان الحجاج وفي
حديث ابي جحيفة لما تجشى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اكفف عنا جشاءك فان اطولكم شبعا
في الدنيا اكثركم جوعا في الآخرة قال فوالله ما تملأت طعاما منذ يومئذ الى يومي هذا وارجو ان يعصمني الله
عز وجل فيما بقي فيستحب على هذا ان يكون جوع العبد في الدنيا اكثر من شبعه وهي علامة الاولياء فمن
كان له اكلتان بين جوعتين الى منتهاهما فجوعه حينئذ اكثر من شبعه ومن كان له بعد جوعة بالغة شبعة
متوسطة فقد اعتدل شبعه وجوعه ومن اكل في كل يوم مرتين او اكل عن غير جوع ثم شبع فشبعه اكثر من
جوعه وهذا مكروه وكل من اكل بعد الجوع ورفع يده قبل الشبع فجوعه اكثر من شبعه وهذا اوسط الامور
وقال هشام عن الحسن والله لقد ادركت اقواما كانوا يشبعون باكل احدهم حتى اذا رد نفسه امسك ذا ابتا
نحيلا مقبلا على شانه يعيش عمره كله ما طوي له ثوب قط ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض
شيئا قط وقال جعفر بن حيان عن الحسن رضي الله عنهما المؤمن لا ياكل في كل بطنه ولا تزال وصيته تحت جنبه
وروينا عن الثوري خصلتان تقسيان القلب طول الشبع وكثرة الكلام وروينا عن يحيى ثلاث يحبها الله
عز وجل وثلاث يبغضها الله تعالى فاما اللاتي يحب فقلة الاكل وقلة النوم وقلة الكلام واما اللاتي يبغض
فكثرة الاكل وكثرة الكلام وكثرة النوم واما النوم فان في مداومته طول الغفلة وبله العقل ونقصان
الفطنة وسهو القلب وفي هذه الاشياء الفوت وفي الفوت الحسرة بعد الموت وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قالت ام سليمان بن داود لابنها يا بني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم تترك العبد فقيرا يوم القيامة
وقيل كان شباب يتعبدون في بني اسرائيل فكان اذا حضر عشاؤهم قام فيهم عالمهم فقال يا معشر المريدين
لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وكان بعض السلف يقول ادنى احوال المؤمن الاكل
والنوم وافضل احوال المنافق الاكل والنوم وقال بعض الناس لفيلسوف من الحكماء صف لي شيئا استعمله
اكون انام بالنهار فقال يا هذا ما اضعف عقلك ان نصف عمرك نوم والنوم من الموت تريد ان تجعل ثلثه ارباعه

نوماً وبعد حياة قال وكيف قال لأنك اذا عشت اربعين سنة فانما هي عشرون سنة افتريد ان تجعلها عشر سنين
وان كثرة الكلام فان فيه قلة الورع وعدم التقوى وطول الحساب وكثرة الطالبين وكثرة تعلق المظلومين وكثرة
الاشهاد من الملائكة الكرام الكاتبين ودوام الاعراض من الملك الكريم سبحانه وتعالى لان الكلام مفتاح كباير اللسان
فيه الكذب والنميمة والغيبة والبهتان وشهادة الزور وقذف المحصن والافترا على الله سبحانه وتعالى والايمان
وفيه القول فيما لا يعني والخوض فيما لا ينفع وقد جا في الخبر اكثر خطايا ابن آدم في لسانه واكثر الناس ذنوبا يوم القيامه
اكثرهم خوضا فيما لا يعنيه وفي اللسان التزين والتصنع للخلق والتحريف والاحالة لمعاني الصدق وفيه المداهنة
والموازبة والتملق لاهل الهوى وفي اجتماع هذا على العبد شتات قلبه وفي شتاته تفرق همه وفي تفرق
همه سقوطه من مقام المقربين وفي وصية ابن عباس لمجاهد لا تمارين حليما ولا سفيها فان الحليم يقلاك
وان السفيه يوذيك وفي الخبر ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها ابعد مما بين السماء والارض
وفي لفظ آخر يتكلم بها فيهوي في جهنم سبعين خريفا وقال لقمان لابنه يا بني لان تعيش اخرس بسيل لعابك
على صدرك خير لك من ان تنطق في نادي القوم بما لا يعنيك وفي الخبر من افتتح بكلمة سوء ثم خاض الناس في مثلها
كان عليه مثل اوزارهم وفي الخبر لا ياتي بخبر السوء الا الرجل السوء وحدثونا عن ابراهيم بن ادهم انه كان
اذا صحبه رجل فجا بخبر السوء فارقه وروينا في الحديث من حدث بما سمعت اذناه ورات عيناه كتبه الله
سبحانه وتعالى من الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وروينا عن علي عليه السلم مذيع الفاحشه
في الناس كفاعلها وفي الخبر ان بعض فقراء اهل الصفه استشهد في سبيل الله عز وجل فقالت امه هنيئا لك
الجنة جاهدت في سبيل الله وهاجرت الى رسول الله وقتلت شهيدا طوبى لك الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
وما يدريك انه في الجنة فلعله كان يتكلم فيما لا ينفعه او يبخل بما لا يضره وفي لفظ آخر فلعله كان يتكلم
فيما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وفي الخبر ان بعض الصحابة قال لرجل انه لنؤوم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اغتبتم اخاكم سلوه ان يستغفر لكم وفي خبر آخر انهم قالوا ما اعجز فلانا فقال اكلتموه
وفي حديث عايشة انها قالت لامراة ما اطول ذيلها وفي لفظ آخر قالت انها لقصيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اغتبتيها وفي خبر آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها قد تكلمت بكلمة لو مزج بها ما البحر لامتزج
فهذا من وصف المبالغة في الشدة وفي الخبر الجامع لهذه المعاني في وصف الغيبة ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قال في اخيه ما فيه فقد اغتابه وفي حديث ابان عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد من ذلك
انه قال الغيبة ما ان قلت في اخيك لم تزكه به فهذه نهاية القول من الشدة وغاية التشديد في الغيبة
والغيبة اسم لغوي معناه شرعي مشتق من غيب الانسان وفسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم انها

ان يقول العبد في اخيه ما فيه وعظمها بقوله هي اشد من الزنا فمتى قال العبد لاخيه في غيبته ما يعلمه
فيه يقينا مما لا يقوله بحضرته او مما ينقصه به او لا يزكيه فيه فقد اغتابه فلو لم يكن في الصمت
الا السلامة من الغيبة لكان ذلك غنيمة موفورة كيف وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم
عليه لا له الا ثلاث امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله سبحانه وتعالى وان مخالطة الناس فانها
تضعف العزم الذي كان قويا في اعمال البر وتحل العقد المبرم الذي استوطنه العبد في الخلوة لقلة المتعاونين
على البر والتقوى وكثرة المتعاونين على الاثم والعدوان وفي مخالطة الناس قوة الطلب والحرص على عاجل الدنيا
لما يعاين من اقبال اهلها عليها وفيه الفتور عن الخدمة بالنظر الى اهل الغفلة والملل للطاعة لمجالسة
اهل البطالة ونقصان حلاوة المعاملة وذهاب نور العلم وسرعة خروج الوجد بالفهم لاستماع كلام اهل
الجهالة والنظر الى الموتى من ابناء الدنيا كما روي عن عيسى صلى الله عليه وعلى ساير الانبياء وسلم لا تجالسوا الموتى
فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وقد كان الحسن رضي الله عنه يقول في قوله سبحانه
وتعالى وما يستوي الاحيا ولا الاموات فقال الفقرا والاغنيا كان الفقرا احيوا بذكر الله والاغنيا ماتوا
على الدنيا واعظم ما في مخالطة الناس ومجالسة اهل بطالتهم وذوي غفلتهم ضعف اليقين وتيهم واضر
ما ابتلي به العبد واعمله في هلاكه واشده لحجبه وابعاده ضعف يقينه بما وعد بالغيب وتوعد عليه في
الشهادة وهذا اخوف ما خافه رسول الله صلى الله عليه وسلم على امته فيما روينا عنه انه قال اخوف ما اخاف
على امتي ضعف اليقين وذلك ان ضعف اليقين مواصل الرغبة في الدنيا والحرص على التكاثر منها والتضرع
الى ابنايها والطمع فيهم كما قال ابن مسعود ان الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه فيرجع الى بيته وما معه من
دينه شي يلقى هذا فيقول انك كيت وكيت ويلقى هذا فيقول انت كيت وكيت ولعله لا يحلى منهم بشي
ويرجع وقد اسخط الله سبحانه وتعالى عليه واقل ما في ملاحظة الناس ضعف اليقين وضعف اليقين هلاك
الدين وقال بعض التابعين ان العبد ليقعد في الخلوة على خصال من الخير فيخرج الى الناس فيحلون
ما عقد عقدة عقدة حتى يرجع وقد انحلت العقد كلها وقوة اليقين اصل كل عمل صالح لان في قوة يقينه
بسرعة منقلبه وطول مثواه في دار اقامته ايثار التقلل من الفاني وتقدمة الباقي وضعف حرصه وقلة طلبه
وفقد طمعه وفراغه من الاشتغال بعاجله واقباله وشغله بما يرد اليه من مستقره وفي جميع ذلك اخلاصه
في اعماله وحقيقة زهده في تصرف احواله وفي قصر امله وتحسين عمله الم تسمع الى وصف من اخبر الله سبحانه وتعالى
عنه بالتكاثر الذي الهاه حتى زار برزخه ومثواه كيف تهدده حتى يعلم يقينا وتوعده اذا راى آخرته
عيانا فقال سبحانه وتعالى الهاكم التكاثر اي شغلكم الجمع للتكاثر حتى زرتم المقابر ثم قال عز وجل كلا لو تعلمون

علم اليقين لشغلكم العمل الصالح للآخرة عن اللعب واللهو الذي هو مقتضى الشك اذ هو ضد اليقين كما
شغلكم التكاثر باللهو واللعب لعدم علم اليقين كما قال ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون بعد
ان قال بل هم في شك يلعبون ثم توعدهم على ذلك مرتين وتهددهم بالسؤال عن النعيم الذي شغلهم وهو
التكاثر من فضول العاجل وقيل هو الجمع والمنع واعلم ان الذي قطع العباد عن التوبة وعرج بالتائبين
عن الاستقامة ثلثة اشياء الكسب والانفاق والجمع وهذه الاسباب متعلقة بالخلق وموجودة بوجودهم
ومفقودة بالانفراد عنهم فمن زهد في هذه الثلاث فقد زهد في الخلق ومن رغب في الخلق فقد رغب في
هذه الثلاث وقال الثوري رضي الله عنه من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا
فهلك كما هلكوا وقد قال بعض هذه الطائفة من السائحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف
الطريق الى التحقيق وقال مرة قلت له دلني على عمل اجد فيه قلبي مع الله عز وجل في كل وقت على الدوام فقال
لي لا تنظر اليهم فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي
من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن
اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله قال لي يا هذا تنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين
وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله سبحانه وتعالى على الدوام هذا ما لا يكون وقد جاء في فضل العزلة
والانفراد والصمت وفي جميع ما ذكرناه من الجوع والسهر ما يكثر جمعه وفيما نبهنا عليه واشرنا اليه بلاغ
وغنية لمن اراد الآخرة ولمن اريد بالمعاملة والمتاجرة ولا قوة الا بالله

باب

مراقبة المقربين ومقامات المؤمنين العبد اذا قوي يقينه علم علم يقين ان اوقاته هذه التي وكلت بربه
اليها وجعل سبب نمائه وحياته منها هي مكرورة عليه في البرزخ ومردودة اليه يوم القيامة ومعادة عليه في
الجنة ان دخلها ليس يجازى هناك الا بمقدار ما اعطي من المعاملة ههنا ولا يعطى ثم الا بمقدار ما وفق
هنا لا يسأل الا عن اوقاته ولا يحاسب الا بساعاته ولا يجازى الا عليها ولا يرد عليه اوقات غيره كما لا
يعاد هو في صورة غيره ولا يعطى جزاء سواه كما لم يعامل ههنا معاملة سواه ولكن الله يبدي ويعيد
فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى كما بداكم تعودون وقال سبحانه وتعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين كتاب انزلناه
اليك مبارك ليدبروا آياته من تدبره ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل
المتقين كالفجار اي تدبروا آياته هل ترون جزاء هؤلاء لوصف هؤلاء ام هل تجدون وصف هؤلاء لجزاء هؤلاء
ومثله قوله سبحانه وتعالى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب فنفى امانيهم بليس واثبت حكمه بلكن وهي مضمرة
في الكلام المعنى لكن من يعمل سوءا يجز به وفسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المؤمن يجزى بسيئته في الدنيا

من المصائب والجوع والعري والمنافق تبقى ذنوبه عليه حتى يوافي يوم القيامة كانه حمار فيجازى بها في الآخرة
وكان الحسن رضي الله عنه يقول عباد الله اتقوا هذه الاماني فانها اودية النوكى يحلون فيها والله ما اتى
الله عبدا بامنيته خيرا من دنيا ولا آخرة وقال بعض العلماء كلما قل العقل كثرت الاماني وكتب بعض
السلف الى بعض اخوانه من ابناء الدنيا يعظه اخبرني عن هذا الامر الذي تكدح فيه وتحرص عليه من امر الدنيا
هل بلغت منها ما تريد وادركت ما تتمنى فقال لا والله قال افرايتك هذا الذي انت حريص عليه لم تنل
منه ما تريد فكيف تنال من الآخرة وقد اعرضت وصدفت عنها فما اراك تضرب الا في حديد بارد وقال
بعض العلماء من ظن انه يدخل الجنة بغير عمل فهو متمن ومن قال ادخلها بعمل فهو متعن وقال بعضهم الاماني
تنقص العقل وفي الخبر ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ومن هذا
قوله سبحانه وتعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال في ضده من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها وقال
في معناه ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وكذلك قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقال في مثله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين
آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال ساء ما يحكمون فابطل حسبانهم وادحض حكمهم ثم احكم ما عنده بقوله سواء
محياهم ومماتهم اي هم كما كانوا في المحيا محسنين يعملون الصالحات كان لهم الحسنى في الممات وكما كانوا في
المحيا مفسدين يعملون السيئات كان لهم السوءى والمكروهات وقيل كانت هذه الآية مبكاة للعابدين
انها محكمة غير متشابهة وكذلك جميع ما ذكرناه من نظايرها هو من المحكم الذي هو ام الكتاب غير منسوخ
ولا متشابه وهذه الآي من غرائب القرآن ومن احسن ما انزل الينا من ربنا الذي امر الله سبحانه وتعالى باتباعه
ووصف اهل الهدى واولي الالباب باستماعه في قوله سبحانه وتعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
قبل غرائمه ووعيده وقد قيل في قوله سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل الرجاء الخائب
بالاغترار والظن الكاذب وقيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فوجدوها عند الحساب سيئات
فالصحيح ما صح بعد الحساب والحق ما ثقل عند الميزان كما قال سبحانه وتعالى والوزن يومئذ الحق قيل
العلم والعمل كما قال الله سبحانه وتعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ثم قال فلنقصن عليهم بعلم
ثم قال سبحانه وتعالى وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون قيل كانوا يقدمون
الذنب ويؤخرون التوبة ويسوفون بالمغفرة وكانت هذه الآية محزنة للخائفين ومخافة للعاملين
وقد اخبر الله سبحانه وتعالى انه اعد النار للكفار ثم امر المؤمنين باتقائها ثم وصف الكافرين
فيها وخوف عباده بها فقال سبحانه وتعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال سبحانه وتعالى

لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ويقال ان العبد
يستحق النار باول معصية عصى مولاه بها بعد المعرفة ثم هو بعد ذلك في المشية وان كان في كل عبد
خصلة كريهة يخاف عليه منها وكان عبد الواحد بن زيد يقول ما صح خوف خائف قط ظن انه لا يدخل النار وما
صدق خوف من ظن انه يدخل النار فظن انه يخرج منها اى ان حقيقة الخوف خشية دخول النار ثم الخلود
فيها وقد روينا مثل ذلك عن الحسن رضي الله عنه وقد ذكر له الرجل الذي يخرج من النار بعد الف عام فبكا
ثم قال يا ليتني ذلك الرجل وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اني في الجنة فهو في النار ومن قال اني عالم
فهو جاهل وروي عنه صلى الله عليه وسلم من اراد ان يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله من
قلبه فان الله سبحانه وتعالى ينزل العبد منه حسب ما انزله من نفسه ذكر المقام الثاني من المراقبة
ثم يعلم العبد يقينا ان لكل عمل صالح نعيما في الجنة وروحا في البرزخ ولكل عمل حسن ومعرفة خالصة مقاما
من الجنة قد قسم جزا هناك لعطا معاملة ها هنا وان لكل عمل سيء وجهل قبيح عذابا في الآخرة وكربا
في البرزخ ومقاما من النار قد قسم جزا هناك لعمل ها هنا ثم قد اخفى الله سبحانه وتعالى ذلك الجزا من الخير
والشر واظهر اعمالهما للمكلفين وابان لهما طريقين يخرجان الى دارين حكمة منه ثم قدم المعاملات من العقوبات
واخر المثوبات من النوعين احكاما منه للافعال واستتباعا للعبيد في الاعمال ابتلاء منه لتجزي كل نفس
بما تسعى منة منه ورحمة وقدرة منه وحكمة لا يسأل عما يفعل لانه ملك قهار عزيز جبار وهم يسألون
لانهم عبيد مقهورون اذلة مجبورون ولا يضرب له الامثال لانه قد جاوز الاحتجاج والاعتلال ولا يستوي
بالعبيد لانه قد فات التقدير والتحديد فله الحجة البالغة والقدرة في كل شي ليس كمثله شي في جميع ذلك
كله وقد احكم الله سبحانه وتعالى ما ذكرناه من توحيد نفسه بالمشية والافعال ونهيه عن الشرك به وضرب الامثال
وعجب ممن سوى بينه وبين خلقه في الاحكام وجعل ذلك جحود النعمة وشركا في ملكه واخبر عن المشركين
واضلالهم اتباعهم بعد ضلالهم بتسويتهم بينه وبين عباده في الاحكام شوا الجحيم في قوله سبحانه وتعالى
قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون
قيل انزلت في القدرية لانهم اضافوا الحول والقوة في الشر الى الخلق فسووا بينهم وبين الخالق سبحانه
وتعالى وقد قال والله خلقكم وما تعملون فاضاف الاعمال الى انه خلقها لخلقه اياهم فهم المجرمون الذي
انزلت فيهم هذه الآية التي ذكر فيها القدر فوصفوا بانكاره في قوله سبحانه وتعالى ان المجرمين في ضلال وسعر
يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شي خلقناه بقدر هم المجرمون الذين اضلوا
اتباعهم وهم الغاوون الذين كبكبوا في النار مع اشياعهم وقد احكم الله سبحانه وتعالى تفصيل ما ذكرناه آنفا

في خمس آيات محكمات ينتظم جمل معاني ما شرحناه تركنا شرح ذلك وبسطه خشية الاطالة ولانا لم نقصد
الاحتجاج والاستدلال من ذلك قوله سبحانه وتعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق يعني فضل
الموالي على العبيد فما الذين فضلوا يعني الموالي برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سوا افبنعمة الله
يجحدون والآية الثانية قوله سبحانه وتعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء
فيما رزقناكم فانتم فيه سوا اي فكذلك انا لا شريك لي من عبيدي فلا تجعلوا لي ما لم اجعل لكم اي لم اسو بينكم
وبين عبيدكم فلا تشركوا عبيدي في ملكي والثالثة قوله سبحانه وتعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر
على شي يعني الانفاق ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا فجعلهما على وصفين
احدهما بخيل لم يقدر على الانفاق ثم ذمه بالبخل والعجز وهو اعجزه ومنعه وجعل الآخر جوادا اذ اقدره
واعطاه الانفاق ثم مدحه بالجود وقال سبحانه وتعالى في الآية الرابعة وضرب الله مثلا رجلين احدهما
ابكم لا يقدر على شي الشي هو الحكمة والعلم ثم قال هل يستوي هو ومن يامر بالعدل فجعل له عبدين احدهما
سفيه جاهل ابكم عن الحكمة ولم يقدر على علم ولم يعطه استقامة ثم ذمه بوصفه ومقته لمنعه
وجعل الآخر آمرا بالعدل على وفق امره مستقيما على صراط المستقيم الذي هو عليه وهو اقامه كما قال سبحانه وتعالى
هذا صراط علي مستقيم فهل يسلك احد طريقه الا به وهل يجوز عبد سبيله الا بحوله ثم مدحه باعطائه
اياه ووصفه بوصفه ثم علم سبحانه وتعالى ان للعقل في هذا تشبيها وتمثيلا لخلقه وتجويزا وتظليما من
خالقه على قياس المعقول ان من فعل بعبدين له مثل هذا ثم مدح احدهما وهو اعطاه واقدره وذم الآخر
وهو الذي منعه واعجزه انه قد ظلمه فحسم ذلك سبحانه وتعالى بنهيه واحكم النهي عن التمثيل به في الآية
الخامسة الفاصلة القاضية التي نهانا فيها ان نضرب له بنا الامثال مثل ما اجرى علينا من الافعال
فقال سبحانه فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون فوكد ذلك بتحقيق علمه وغاية
جهلنا ثم ايد ذلك بقوله سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فسلم الراسخون في العلم الاحكام
كلها للحاكم فسلموا من عذابه وآمن المومنون بجميع الاقدار انها عدل وحكمة من عالم عادل حكيم فامنوا
من عقابه لانهم آمنوا بالمتشابه فاعطاهم بفضله من فضله جزيل ثوابه وهلك الزايغون بالاقاويل
تتبعا للمتشابهات وابتغا التاويل فوقعوا في الضلال وهلكوا غدا في المآل وقد روى الضحاك عن ابن عباس
رضي الله عنهما تصديق ما ذكرناه في قوله سبحانه وتعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم قال ابن عباس
رضي الله عنه طبق اسفل من طبق سبع دركات على قدر اعمالهم كذلك يقتسمون الدركات بقدر ما اجترموا
كما اقتسم اهل الجنة الدرجات بالفضائل لكل باب منهم جزء مقسوم يعني نصيبا معلوما مفروضا

لكل طبقة سكان وقال بعض العلماء بالله ما في الجنة قصر ولا نهر ولا نعيم الا عليه اسم صاحبه مكتوب واسم ذلك العمل الذي هذا جزاؤه مكتوب وكذلك جهنم ما فيها غل ولا قيد ولا شعب ولا عذاب الا عليه وصف ذلك العمل الذي هذا جزاؤه واسم صاحبه مكتوب عليه وقال ايضا قد ادخلهم الجنة قبل ان يطيعوه وادخلهم النار قبل ان يعصوه وقال بعض العارفين ايضا الخلق اهون من ان يعصوه عز وجل وعلا بما لم يرد والله سبحانه وتعالى اعز من ان يرضيه الا ما احب ولكنه سبحانه وتعالى غضب على قوم في القدم فلما اظهرهم استعملهم باعمال اهل الغضب ليحلهم دار الغضب ورضي عن قوم في القدم فلما اظهرهم استعملهم باعمال اهل الرضى ليحلهم دار الرضى وقال بعض اهل المعرفة اظهر الخلق في القدم فاوجدهم اقتدارا ثم اظهر لهم اعمالهم وخيرهم الاعمال منه اختيارا فاختار كل عبد منهم عملا بعينه ثم طوى الاعمال فيهم وطواهم في الغيب فلما اظهرهم الآن في الوجود حجبهم بالعقول واجرى على كل عبد منهم اختيارا لنفسه فبذلك وقعت الحجة عليهم اذا كشف لهم غدا ما حجبه عنهم اليوم وحدثت عن بعض هذه الطائفة قال كان قد بقي في نفسي شيء من القدر فكنت استكشفه من العلماء فلا ينكشف حتى قيض الله تعالى لي بعض الابدال فاستكشفته اياه فقال ويحك ما تصنع بالاحتجاج نحن يكشف لنا عن سر الملكوت فننظر الى الطاعات تنزل صورا من السماء حتى تقع على جوارح قوم فتتحرك بها الجوارح وننظر الى المعاصي صورا مصورة تنزل من السماء فتقع على جوارح قوم فتتحرك بها قال فكشف الله سبحانه وتعالى عن قلبي القدر واوقع لي العلم بمشاهدة القدرة وكنت اياما خاطبت بعض اخواننا في شيء من الاستطاعة مع الفعل لا انها قبله ولا بعده فتكلمت في ذلك بمذهب المثبتة من اهل الكلام قبل ان ينكشف لي مشاهدة علم اليقين فرايت في النوم كان قائلا يقول القدر من القدرة والقدرة صفة القادر سبحانه وتعالى فيقع القدر على الحركة والتبيين فتظهر الافعال من الجوارح او قال فتتحرك الجوارح بالافعال والتبيين فكيف تتكلم في شيء لا يتبين فجعلت على نفسي ان لا اناظر احدا منهم بعد ذلك في شيء من هذا الباب وقد حدثونا عن بعض العابدين قال صليت ركعتين من السحر ثم غفوت بعدهما فرايت قصرا عاليا ذا شرفات بيض كانها الكواكب فاستحسنته فقلت لمن هذا القصر فقيل هذا ثواب هاتين الركعتين ففرحت وجعلت اطوف حوله فرايت شرفة من ركنه قد وقعت فشانه ذلك فاغتممت فقلت لو كانت هذه الشرفة في اعلاه في هذا الموضع لتم حسن هذا القصر فان ثلمها قد شانه فقال لي غلام هناك قد كانت هذه الشرفة في مكانها من القصر الا انك التفت في صلاتك فسقطت وحدثونا عن بعض الزهاد انه كوشف بمقامه من الجنة فرأى الحور العين وقلن نحن ازواجك فلما خرجت تعلق بي الحور وقلن نشكر الله الا احسنت اعمالك فانك كلما احسنتها ازددنا لك حسنا وازددت بنا نعيما وحدثونا عن

رابعة العدوية رضي الله عنها قالت سجدت ذات ليلة بتسبيحات من السحر ثم نمت فرايت شجرة خضرة نضرة لا يوصف حسنها وعظمها واذا عليها ثلاثة انواع من الثمر لا اعرفه من ثمار الدنيا كثدي الابكار ثمرة بيضاء وثمرة حمراء وثمرة صفراء وهن يلمعن كالاقمار والشموس في خلال خضرة الشجرة قالت فاستحسنتها فقلت لمن هذه فقال لي قائل هذه لك بتسبيحاتك آنفا قالت فجعلت اطوف حولها فاذا تحتها ثمرة منتثرة على الارض في لون الذهب فقلت لو كانت هذه الثمرة مع هذه الثمار على هذه الشجرة كان احسن فقال لي الشخص قد كانت هناك ثابتة الا انك حين سجدت تفكرت هل اختمر العجين ام لا فانتثرت هذه الثمرة فهذه عبرة لاولي الابصار ومواعظ لاهل التقوى والاذكار

ذكر المقام الثالث من المراقبة روي ان كعب الاحبار رضي الله عنه قال لعمر بن الخطاب عليه السلام لو لقيت الله عز وجل بعمل سبعين نبيا لخشيت انك لا تنجو من هول ذلك اليوم وقال بعض السلف لو ان العبد كان يخر على وجهه من اول الدنيا الى قيام الساعة في طاعة الله عز وجل وعبادته لاحتقرها يوم القيامة لما يرى من الزلازل والاهوال وفي الحديث معالجة ملك الموت اشد من الف ضربة بالسيف وان الم شعرة من الموت لو وضع على جميع الخلائق لماتوا وان بين الموت وبين دخول الجنة مائة الف هول كل هول منها يزيد على الم الموت مائة الف ضعف لا ينجو العبد من كل هول منها الا برحمة فيحتاج العبد الى مائة الف رحمة تنجيه من تلك الاهوال يكون ذلك العدد من الرحمة مقسوما على مائة الف حسنة اعطيها من حسناته في الدنيا التي احسن بها اليه يكون مكانا لظهور الرحمة وظرفا لعطائها غدا حكمة من الحكيم وقسما مدبرا من الرحيم لان الصالحات ظروف الجزاء والحسنات دلها عن الرحمة الواجدة التي سبقت لهم بها النجاة ثم قسطت في طرقات الاعمال اماكن الثواب فيعطي ذلك هاهنا اليوم وهو العطاء الاول بحسن توفيقه ولطيف عنايته ويعطي الجزاء هنالك غدا بفضل رحمته وتمام نعمته ذلك تقدير العزيز العليم كما قال الله سبحانه وتعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان قيل في التفسير هل جزاء من انعمنا عليه بالتوحيد الا الجنة وقال بعض العلماء ليس لقول لا اله الا الله جزاء الا النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى والجنة جزاء الاعمال الم تر انه لو حرم التوحيد اليوم يحرم الجنة غدا ولو منع الاسلام اليوم لم يغفر له ابدا كما قال سبحانه وتعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وقال عز وجل ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فهذا مما لا حيلة فيه ولا سبيل اليه وقد قال عز وجل هو اهل التقوى واهل المغفرة قيل هو اهل ان يعطي التقوى ومن اعطاه التقوى فهو اهل ان يعطيه المغفرة لقوله سبحانه وتعالى والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وقال سبحانه وتعالى واتقوا الله لعلكم ترحمون وقال سبحانه وتعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال عز وجل تماما على الذي احسن وقال تعالى سنزيد المحسنين الى قوله عز وجل ما على المحسنين من سبيل

وقال سبحانه وتعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا فمن كانت اعماله الحسنات فهو من المحسنين
ومن كانت اعماله السيئات فهو من المسيئين واشتقاق الحسنة من الحسن وجزاؤها الحسنى وهي الجنة
واشتقاق السيئة من السوء وجزاؤها السوأى وهي النار وقد سبق خلقهما قبل خلق الخلائق وفرغ
من نصيب العباد من الجنة ومن النار وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال أن تعبد الله
سبحانه وتعالى كأنك تراه فهذا أول المراقبة لانها عن المشاهدة ترى الرقيب ثم تراقب وقد خص الله سبحانه
وتعالى بالطيبات من الاعمال الطيبين من العمال وابتلى بالخبيثات من الاعمال الخبيثين من العمال وفرغ
من ذلك بعلمه وقدّره بحكمته واخفاه بلطفه فقال سبحانه وتعالى الخبيثات للخبيثين قيل الخبيثات
من الاقوال والافعال للخبيثين من الرجال وقال والطيبات للطيبين قيل الطيبات من الاعمال والاقوال
للطيبين من الرجال ثم اخبر سبحانه وتعالى بحسن خاتمة اوليائه وسوء خاتمة اعدائه فقال عز وجل الذين
تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قيل طابت حياتهم فطابت
وفاتهم وطابت اعمالهم فطاب الموت لهم وقال عز وجل في وصف الظالمين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم
قالوا فيم كنتم الى قوله سبحانه وتعالى فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا اظلمت حياتهم واعمالهم فاظلمت
قبورهم ومثواهم فمن شهد ما ذكرناه يقينا دامت مراقبته وحسنت معاملته واتصلت ارادته وكثر
من الخير ازدياده ونفذت مشاهدته لصفاء يقينه ودوام مزيده فكان ممن نعته الله سبحانه وتعالى في قوله
عز وجل لمثل هذا فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وكان ممن وصفه اذ يقول سبحانه وتعالى
اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون اي يسارعون الموت يسابقون الفوت يسارعون الغافلين
ويسابقون البطالين ولعل بطالا من الشياطين جاهلا بحكمة الحكيم يتوهم علينا بظنه انا نقول انه لا
يعطي شيئا بشيء ولسنا نقول ذلك بل نقول انه يعطي شيئين بلا شيء فهو المعطي الاول للشيء الذي هو الظرف
والمكان من العبادة والايمان وهو الذي يعطي الشيء الثاني الذي هو النعيم والجنان الا انه اجرى ذلك بتقدير
في مجاري حكمته كما سبق ذلك في علمه ثم انشأه في معلومه انه حكيم عليم ذكر المقام الرابع من مراقبة
الموقنين ثم يعلم العبد يقينا انه تنشر له سنوه في الآخرة شهورا وتبسط شهوره اياما وتفرش
اياما ساعات وتكشف ساعاته انفاسا ثم يسأل عن كل نفس وينشر له بكل فعلة فعلها وان صغرت
ثلثة دواوين الديوان الاول لم فعلت وهذا مكان الابتلاء بالاحكام فان سلم له ينشر له الديوان الثاني وهو
كيف فعلت وهذا موضع المطالبة بصحة العلم فان صح له هذا نشر عليه الديوان الثالث وهو لمن فعلت
وهذا مكان المطالبة بالاخلاص فان اعتل بكيف او بلم او بلمن خيف عليه الهلاك الا ان يتعطف عليه

الثاني بحيث لا يحتسب فيستنقذه ويسمح له وقد قال سبحانه وتعالى وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وكفى بنا حاسبين اي جئنا بها يعني احضرناها وقرئ بالمد آتينا بها يعني جازينا بها وقال عز وجل
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قيل هذه احكم آية في كتاب الله عز وجل وهي محكمة
مبهمة عامة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئل عن شيء لم يوح اليه فيه بشيء يقول ما عندي فيه الا هذه
الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة الآية ولما تعلم صعصعة جد الفرزدق من اسفل القرآن
الى هذه السورة قال حسبي قد عرفت الخير والشر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل فقيها
وقيل الذرة نشر الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس مثل رؤوس الابر وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
اذا وضعت كفك على التراب ثم نفضتها فكل شيء تعلق بها من التراب فهو ذرة وقد قيل اربع ذرات خردلة
وذكر بعض العلماء ان الذرة جزء من الف جزء من شعيرة ففي الاعمال ما يزن هذا السنج وما يثقل به هذا الخفا
فلذلك اخبر به الخبير سبحانه وتعالى وحذر منه الرؤوف وفي معنى ما ذكرناه آنفا من حسب انه يدخل الجنة
كل بعمل فهو متعن ومن حسب انه يدخلها بغير عمل فهو متمن يعني انه ينبغي ان يعمل ما عليه ولا ينظر اليه ثم يثق
في ذلك على الله سبحانه وتعالى ويرجو قبوله بكرمه ويخاف رده بعدله ولذلك مدح الله سبحانه وتعالى عماله الصابرين
المتوكلين في اعمالهم عليه فانعم اجرهم فقال نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون فالمزيد في الجنة
بفضل الله سبحانه وتعالى ورحمته موتابيد جزاء المعاملة الموهوبة اليوم ودوام خلود العامل في تأبيد
جزائه الم تسمع قوله سبحانه وتعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا مع قوله للذين احسنوا الحسنى
وزيادة الى قوله سبحانه وتعالى فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ومثله ولكل درجات مما عملوا ونحو
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة اي وبما يدرؤن بالحسنة الحديثة السيئة
القديمة فلما استعملهم في الدنيا بعملين بالصبر وبدفع السيئة الماضية بالحسنة المستأنفة
اعطاهم في الآخرة اجرين وهذا من الكلام المحذوف الموجز لمحذوفه وبما يدرؤن اي وبما يدفعون ايضا
فلما حذفت بما اشكل الكلام واشبهت الواو واو النسق وموجزه السيئة والمعنى ويدفعون السيئة التي
تقدمت منهم بالحسنة التي يعملونها بعدها فتكون الحسنة المستقبلة دافعة لعقاب السيئة الفارطة
منهم ومن احسن الصبر الصبر عن المعصية ومن احسن الحسنات التوبة النصوح بعدما سلف من الذنوب
والفضوح فكأنهم قد عملوا عملين صبروا عن الشهوة ودفعوا بالتوبة ما سلف من السيئة
فاعطاهم اجرين لما استعملهم بعملين اذ لا صبر الا به ولا توبة لهم الا منه كما قال سبحانه وتعالى وما
صبرك الا بالله وقال توبة من الله وليس من العبد اولية فيها من الله والا كان شريكا في الاسم الاول

ومن احسن الحسنات مراقبة الرقيب عند خطرات القلوب ومن افضل القربات محاسبة النفس للحسيب
واستجابتها بطاعة الحبيب وكذلك حكمته في مزيد اهل النار ودرجات بعضهم على بعض في العتو والفساد
فقال سبحانه وتعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب اي زدناهم عذابا
فوق عذاب الذين كفروا ولم يصدوا عن سبيل الله وبمعناه قوله سبحانه وتعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا فلم يغفر لهم بكفرهم ولم ينور لهم طريق الهداية بظلمهم وكذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة ومثله قوله سبحانه وتعالى ان الذين فتنوا المومنين والمومنات
ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق فصار عليهم عذابان عذاب جهنم بما لم يتوبوا وعذاب الحريق
بما فتنوا المومنين ومثله قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا (الحياة)
وتزهق انفسهم وهم كافرون اي يريد ان يعذبهم بها في الدنيا ويريد ايضا ان تزهق انفسهم على الكفر ليعذبهم
في الآخرة وهذا نص صريح ان الله يريد الكفر من الكافرين لان تزهق انتصب بالعطف على يريد الاول
والواو فيه للجمع وقد قيل ان في الآية تقديما وتاخيرا فيكون المعنى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الدنيا
انما يريد الله سبحانه وتعالى ليعذبهم بها في الآخرة فاراد ان يجمع العذابين عليهم في جهنم احدهما للاموال
والاولاد والثاني لارادته سبحانه وتعالى ان تخرج نفوسهم على الكفر فمن لا ولد له ولا مال منهم كان عليه عذاب
واحد في جهنم لاجل قوله بها اي بسببها وهذا مواطئ للخبر الذي جا ان فقراء الكفار يدخلون النار بعد
اغنيائهم بخمسمائة عام لاجل الفقر الذي كانوا عليه في الدنيا كما ان الفقرا من المومنين يدخلون الجنة قبل
الاغنياء بخمسمائة عام لاجل غنى الاغنيا وفي الخبر ايضا يدخلون الجنة قبل الاصحاء [المرضى] باربعين خريفا ويدخل
قبل المقتول في سبيل الله تعالى مدبرا باربعين خريفا ويدخل المماليك قبل الموالي باربعين خريفا ويدخل سليمان بن
داود بعد الانبياء باربعين خريفا لمكان ملكه فالحسرة العظمى والفوت الاكبر الذي لا دركه هو حرمان ما اعطى
غيرك من المزيد هناك لفوت اوقاتك في الدنيا هاهنا ثم درك ذلك باوقاته العامرة هنا تابيد مزيد جزائه ثم
وهذا هو التغابن غبن العاملون البطالين وغبن السابقون المخلفين وغبن المسارعون المتثبطين ثم
خلود العبد المغبون البطال في الدنيا في تابيد حرمان مزيد الغابن العامل ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم ما من
ساعة تاتي على ابن آدم لا يذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة وان دخل الجنة وفي لفظ آخر وهو اشد الا كانت
عليه ترة يوم القيامة اي مطالبة ومواخذة فالحسرة في الجنة بعد دخولها والظفر بنعيمها هو ما ذكرناه من
حرمان مزيد العاملين فيها ثم دوام الحرمان موبدا بها وهو كون العبد في نقصان درجة غيره ثم هو مخلد
في النقصان سرمدا ومع ذلك لا يابه له ولا يفطن به كيلا يتنغص عليه نعيمه واللطف والنفس اذا خلتا

من اليقظة

من اليقظة والذكر فهما بمنزلة الساعة الخالية الا ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على الساعة ولم يذكر
ما دونها لان اسم الساعة اقل الزمان المستعمل عند العرب لمواطئ بقوله قول الله سبحانه وتعالى اذا جا اجلهم
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ومعلوم انهم اذا جا الاجل لا يستاخرون نفسا ولا طرفة وكذلك
لا يستقدمون طرفة ولا نفسا فذكرت الساعة دون ما نقص منها لئلا يخرج الكلام عن حد استعمالهم
وعرفهم وليستدل بها على ما دونها في القلة من النفس والطرفة كذلك دل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصه
على الساعة على ما دونها لان حكمته من حكمة مولاه ودلالته على معاني كلامه وقد خلت الساعة على ما دونها في
الايام التي قال الله سبحانه وتعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية قيل هي والله ايامكم هذه
وستخلو فاشغلوها بالاعمال الصالحة قبل خلوها منكم وانفصالها عنكم وكان الحسن رضي الله عنه يقول
يا ابن آدم انما انت مراحل كلما مضى يوم او ليلة قطعت مرحلة فاذا فنيت المراحل بلغت المنزل الى الجنة
او الى نار وقال ساعات تنقلنا والايام تطوينا كما قال بعض الحكماء مثل العبد في عمره مثل رجل في سفينة
تسير وهو قاعد كذلك العبد يدنو من الآخرة وهو غافل ويقال ان العبد تعرض عليه ساعات من اليوم
والليلة فيراها خزائن مصفوفة اربعة وعشرين خزانة ويرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطا جزا لما كان اودع
خزائنه من ساعاته في الدنيا من الحسنات فيسر بذلك ويغتبط به فاذا مرت به في الدنيا ساعة لم يذكر
الله سبحانه وتعالى فيها رآها في الآخرة خزانة فرغا لا عطا فيها ولا جزا عليها فيسوءه ذلك ويتحسر كيف
فاته ولم يدخر فيها شيا فيرى جزاءه مدحورا ثم يلقى في نفسه الرضى والسكون فلو لم يتحسر العبد الا على فوت
الفضائل والمندوب اليه من الخيرات لكان في فوت المسابقة والمسارعة خسران فكيف بمن فاتته اوقاته
في السيئات وفرطت منه بالخسارات ولو لم يشتغل العبد في عمره الا بالحلال والمباحات لكان ذلك نقصانا
له من الدرجات فكيف بمن اشتغل بالمحظورات فسبحان الله ما اعظم الخطر واصعب الامر واقل المشاهدين
واغفل البطالين وقال بعض العلماء هب ان المسيء قد غفر له اليس قد فاته ثواب المحسنين وقد جا في
الاثر ان اهل الجنة بينا هم في نعيمهم اذ سطع لهم نور اضات منه منازلهم كما تضيء الشمس لاهل الدنيا
فنظروا الى رجال من فوقهم اهل عليين يرونهم كما يرى الكوكب الدري في افق السماء قد فضلوا عليهم في
الانوار والنعيم والجمال كما فضل القمر على سائر الكواكب فينظرون اليهم يطيرون على نجب تسرح بهم في
الهوا يزورون ذا الجلال والاكرام فينادون هولاء يا اخواننا ما انصفتمونا كنا نصلي كما تصلون ونصوم
كما تصومون فما هذا الذي فضلتم به علينا قال فاذا النداء من قبل الله سبحانه وتعالى انهم كانوا يجوعون
حين تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين تكتسون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين

تنامون وتخافون حين تأمنون فلذلك فضلوا عليكم اليوم فتلك قوله سبحانه وتعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقد جاء في الخبر اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب

ذكر المقام الخامس من مراقبة الموقنين من المقربين قال الله سبحانه وتعالى مخبرا عن الكافر حتى اذا جاء احدهم الموت
قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم اجابه سبحانه وتعالى فقال كلا وحقق قوله عز وجل فقال
انها كلمة هو قائلها ثم نهى المؤمنين نهيا صريحا عن مثل هذه الحال واخبر بخسران من فعل ذلك فقال عز وجل
يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اي لا تشغلكم عن الطاعة لله ثم قال سبحانه وتعالى
ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون اي المغبونون المنقوصون في الآخرة لانهم آثروا المال والولد على الخالق
الرازق سبحانه وتعالى ثم امر عز وجل بالانفاق مما رزق وقرنه بالايمان واخبر انه استخلفنا في ملكه
اختبارا لنا فقال عز وجل آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فسمع الغافلون نصف الكلام
فآمنوا ولم ينفقوا وعقل العالمون كل الكلام فآمنوا وانفقوا وما يعقلها الا العالمون وقال سبحانه وتعالى
وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت الى قوله فاصدق اي بالمال واكون من الصالحين اي بالاعمال
وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول هذه الآية من اشد شيء على اهل التوحيد لانه لا يتمنى التاخير والرجوع
الى الدنيا احد له عند الله عز وجل خير في الآخرة ومثل هذا قوله سبحانه وتعالى ان تقول نفس يا حسرتى على ما
فرطت في جنب الله الحسرة هي اعظم الندامة وهي اسم لفوت شيء لا تدارك فيه فرطت اي ضيعت وفوتت
وفرط مني اي ذهب وفات في جنب الله قيل ما فاتني من الجزاء في الآخرة وقيل ما فات من النصيب في ايام الدنيا
الى قوله عز وجل او تقول لو ان لي كرة يعني الى الدنيا عودة اخرى فاكون من المحسنين وقوله عز وجل ان
تقول نفس من الكلام المضمر المعطوف ومضمره من قبل ان تقول او خشية ان تقول ومعطوفه هو قوله سبحانه
وتعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له اي اقبلوا عليه وتوبوا واستسلموا وسلموا قلوبكم ونفوسكم واموالكم
في طاعته وعبادته واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم اي اتبعوا العزائم من الامور والفواضل من
الاعمال فهي احسن من الرخص والمباحات مثل الزهد والورع والخوف والانفاق فهذا من احسن ما انزل
الينا من ربنا ثم قال ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله فلما طال الكلام واضمر معطوفه وبعد
عاطفه للاختصار اشكل فهمه وفي القرآن ما هو اشد اختصارا وابعد من هذا اضمارا كقوله سبحانه وتعالى
فما يكذبك بعد بالدين المعنى فما الذي يحملك على التكذيب ايها الانسان الذي خلقناه في احسن تقويم بعد
هذا البيان والبرهان بالدين بالغائبات والكائنات من امور الدين والحساب والجزاء ثم احكم ذلك برده
اليه فقال اليس الله باحكم الحاكمين وكذلك قوله عز وجل ولا تنس نصيبك من الدنيا المعنى لا تترك ان تعمل

في الدنيا بالباقية بما يلحقك هناك فتدرك نصيبك غدا من الآخرة في الدنيا فانك لا تدركه الا فيها ثم احكمه بقوله واحسن
كما احسن الله اليك اي احسن الى نفسك والى اخوانك الفقراء كالذي احسن الله اليك به من المال والغنى فبذلك
تدرك نصيبك من الدنيا في الآخرة ثم اخبر الله سبحانه وتعالى الكل وحذرهم فقال حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة
قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها اي يا ندامتنا على ما ضيعنا في الدنيا وفاتنا من الآخرة وفي الخبر لا يموت
احد الا بحسرة وندامة ان كان مسيئا كيف لم يحسن وان كان محسنا كيف لم يزدد وذلك ان الله سبحانه وتعالى
جعل اهل السلامة والنجاة طبقتين بعضهم اعلى من بعض وجعل اهل الهلكة طبقة واحدة بعضهم اسفل من
بعض فكان صاحب الشمال يتحسر كيف لم يكن من اصحاب اليمين لقوله سبحانه وتعالى كل نفس بما كسبت رهينة
الا اصحاب اليمين وصاحب اليمين يتحسر كيف لم يكن من المقربين والصالح من المقربين يتمنى ان يكون من الشهداء
والشهيد يود انه من الصديقين فهو يوم الحسرة الذي انذر به اهل الغفلة فكيف بهم في ذلك اليوم اذا كانوا
اليوم امواتا ولم تكن لهم حسنة فانى لهم الذكرى والتذكرة كما قال الله سبحانه وتعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي
الامر وهم في غفلة وقد قال لينذر من كان حيا كما قال الله عز وجل انما انت منذر من يخشاها انما تنذر
من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وقال فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد يعني لما قدمت
وقيل حديد الى لسان الميزان تخاف النقصان وقال الله سبحانه وتعالى وجاءت سكرة الموت بالحق قيل بالسابقة
لهم وعليهم فهو الحق سبقت لهم منا الحسنى حقت عليهم كلمة ربك فسقط ما دونها وقد قيل انما يوزن من الاعمال
خواتيمها والخواتيم هي السوابق وما بينهما زاهق والوزن يومئذ الحق ما سبق من العدل والصدق وتمت كلمة
ربك صدقا لاوليائه وعدلا على اعدائه الا له الخلق والامر

ذكر المقام السادس من مشاهدة المقربين
الخيرات هي من ثمرات الايمان والصالحات هي مقتضى اليقين واللعب مقتضى الشك والسمع والبصر وصفان لليقين
والعمى والصمم وصفان للشك ينتظم هذه المعاني قول الله سبحانه وتعالى قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم
مؤمنين فدل ان الايمان يامر المؤمنين بالبر والتقوى وقال او كسبت في ايمانها خيرا فالعدل والخير كسب التوبة
والايمان وقال تعالى مخبرا عمن ايقن وسمع وابصر فسال العمل الصالح ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل
صالحا انا موقنون وقال سبحانه وتعالى في وصف اللاعبين بل هم في شك يلعبون ثم ذكر حالهم لعدم اليقين
فقال عز وجل ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اي لانهم لم يكونوا موقنين فلما جاءهم اليقين
وهو المعاينة ابصروا وسمعوا فقالوا وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين فوصفهم بشدة السمع
والبصر حينئذ لما ايقنوا فقال الله سبحانه وتعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا اي ما اسمعهم وابصرهم اليوم
لما جاءونا فراوا ما عندنا وهذا للمبالغة في الوصف كما تقول اكرم به واعظم به ما اكرمه وما اعظمه وكذلك

إذا أتيته اليوم وأنت موقن سمعت ما لم تسمع وأبصرت ما لم تر قبل ذلك ولكن شغلك الأزواج إلى خلق والأشكال
والأشباه التي أظهرها فالتفت إليها ووقفت معها ولو فررت منها إلى الله سبحانه وتعالى لقربت إلى خير مقر ولآواك
عنده في أحسن مقر وقد أمرك بالفرار منها إليه لو قبلت ونهاك عن التألّه إليها لو سمعت وبيّن لك التذكار
لو فهمت وجعل ما خلق من الأزواج تذكرة به لو عرفت وزيادة إليه لو أنك للذكرى تبعت ومشوقة إليه لو أنك
لقربه أجبت أما سمعته سبحانه وتعالى يقول ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون أي مثلين وشكلين
لعلكم تذكرون الله عز وجل بها وتشتاقون إليه منها ثم قال عز وجل ففروا إلى الله أي عنها بالزهد فيها ثم قال
سبحانه وتعالى ولا تجعلوا مع الله إلها آخر أي لا تألهوا معه الأشياء ولا تشركوا بتألهكم إليها إياها فهذا اخر
فهم المقربين عن سمعهم بشهادة أبصار قلوبهم فعندها كان استجابتهم له كما قال سبحانه وتعالى إنما يستجيب
الذين يسمعون وقال عز وجل ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ولكن كيف يسمع
من ينادى من مكان بعيد وكيف يبصر من القفل على قلبه عتيد وكيف يستجيب من لا يسمع وكيف يشهد من
لا يبصر وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم فالهوى يعمي عن الحق والشهوة تصم عن النصح
والصدق كذلك لو أحببته لنظرت إليه ولو نظرت إليه لعميت عما سواه ولو أقبلت عليه لاستمعت إليه
ولو سمعته لصممت عن غيره ولو أحبك لكان سمعك وبصرك وقلبك ويدك وناصرك ومؤيدك تدعوه فيجيبك
وتسأله فيعطيك وتنصح له فينصح لك كذلك جاء الخبر بذلك فيشغلك به عنك ويفرغك له منك فكنت
تسمع عنه وتنظر إليه وتتقلب عنده وتتحرك به لا بنفسك وهواك ولا بشهوتك ودنياك فهذا وصف حبيب
عن تقليب حبيب وخبر محبوب عن تثبيت محبوب فإذا أيقن العبد بقرب عين اليقين سمع بما ذكرناه
من سرعة فوت الوقت وفوت دركه شغله الهم والحزن على ما فات عن مثل ما سلف مما ندم عليه في مستقبل الأوقات
فلم يضم إلى الفوت الأول فوتا ثانيا يحزنه ويندمه عليه فكيف يردفه في الحال بما يشبه ما ندم عليه من سوء
الأفعال مما لا يحمد عاقبته ولا يغتبط به في المآل فمثل العبد المتيقظ في آخر غفلته مثل عبد كان عليه
عمل لا بد أن يعمله في يومه ذلك إلا أنه لها عنه لغفلة ملهية أو نومة منسية فلم يفق لعمله ذلك الذي لا بد
منه إلا بعد العصر فلا تسأل عن حرصه وانكماشه وتشميره وبداره في بقية نهاره ليدرك به ما فاته من
أول النهار فهو يود أن وقته ذلك إلى الليل مد له أضعافه أو رد إلى أول النهار ليدرك به ما فاته فهذا
حال التائب المتيقظ من رقدته وهذا لا يستبين له إلا عند الموت لمعاينة تقضي الأوقات ولليقين
بعدم درك ما فات فهنالك وقعت الندامة الكبرى وحينئذ حلت الحسرة العظمى فالحزم عند العقلاء الموقنين
هو الانكماش والتشمير فيما بقي من العمر القصير لأن الاشتغال بما فات في وقت درك مثله في المستقبل

مواضعة ما نبه لما هو آت فحرص هذا المتيقظ واجتهاده أن يكون له في كل وقت وفي كل ساعة نصيب
فأودع في كل خزانة من ساعاته التي هي خزائن أعماله شيئا شيئا لأن لا يرى خزانة بعد فارغة غدا فيتحسر على
فراغه منها وهذا طريق أهل الرجاء الذين تمنوا زيادة الأعمال ورغبوا في طول البقاء لحرمة المولى وهو مقام
التائب المستقيم ليتدارك بحديث الأوقات ما فرط منه من الغفلة في القديم فهذا هو الحزم والاحتياط عند
العلماء فإن يكن الأمر صعبا شديدا كما يحدث عنه كان قد سلم بحسن توفيق الله من صعوبته وإن كان الأمر
سهلا قريبا كما يرجوه كانت الأعمال درجات والفضائل مقامات **ذكر** المقام السابع من مشاهدة الموقنين
اعلم أن ما ذكرناه من تدارك الأوقات خوف فوتها ليس هو بتمني مكان دون مكان ولا بانتظار وقت ثان
غير الوقت الذي هو فيه ولا بتوقع حال سوى الحال التي تليه إنما هو صيام يوم أو قيام ليلة أو ذكر في ساعة
أو جمع همّ عن شتات قلب أو قطع لأثر في خطوة ويكون كذلك أيضا غض طرفه وصون سمعه وكف يده
وحبس قدمه وصمتا عن كلمة دنية وترك لقمة شهية ونقصانا من قوت وزيادة في جوع للمقيت وأمرا
بكلمة رشيدة ونهيا عن فعلة دنية وعقد نية حميدة وحل نية ذميمة وتجديد توبة وإعمال قلب في
فكرة وإخراج سوء ظن واعتقاد حسن ظن ونية لاستقامة وصحة عزم في قصد وتسببا إلى ما يقوي العزم
ومعاونة على بر وتقوى وهذا كله يكون في الوقت بحدثه في الحال لا يسوّف به ولا ينتظر منه ولا يتوقعه
في وقت ثان ولا يؤخره إلى زمان دون وقته ولا يتربص به في مكان دون مكان فهذا هو التدارك للأوقات
في وقتك الذي أنت فيه خشية فوت الوقت فتحصل على التسويف والتمني أو في الانتظار والتراخي فهذه من
جنود إبليس قطع بها المريدين وهي مقامات المغترين وأحوال البطالين الذين وكلوا إلى نفوسهم وتركوا مع
أهوائهم ولم يتداركوا في أحوالهم ولم يقدموا لغدهم نسوا الله فنسيهم والوقت إذا انقضى فقد مضى
ولم يوجد إلى يوم القضاء والساعة إذا انقضت طويت فلم تنشر إلى يوم النشور وإنما ينشأ مثلها ويخلق شبهها
فإذا أيقن العبد علم أن عمره كله يوم وأن يومه كله ساعة وأن ساعته وقته الآن وأن وقته حاله وأن حاله
قلبه فليأخذ من حاله لقلبه ما يقربه إلى مقلبه بنهاية عمله فيعمل أفضل ما دل علمه عليه مما ندبه مولاه علمه
إليه ومما يحب أن يفجأه الموت عليه فيكون ذلك خاتمة عمله الذي يلقى مولاه به ثم أخذ من وقته لحاله
ما يصلح حاله لقلبه ويقوي قلبه ويخلصه لربه وأخذ من ساعته لوقته ما يزين به حاله عند ربه وأخذ من
يومه لساعته ما صلاحه فيه وحاجته إليه وأخذ من شهره ليومه فكان شهره يومه وكان يومه ساعته
تشغله وقته عن ساعته وشغله حاله عن وقته فكان على هذا مراعيا لوقته محافظا على حاله قائما على
قلبه جامعا لهمه محصيا لأنفاسه مراقبا لرقيبه مجالسا لحبيبه لا يخرج عنه نفس في أدنى وقت إلا

في ذكر المذكور او شكر على نعمة المنعم او صبر في محنة مبيدة او رضى عند شدة شديدة ويكون في ذلك كله ناظرا الى الرقيب مصغيا الى القريب سائحا الى الحبيب لا ينظر الا اليه ولا يعكف الا عليه قد جعل العمر يوما واليوم ساعة والساعة وقتا والوقت حالا والحال نفسا والنفس مراقبة والرقبة مواجهة فتوجه في وجهته فلم ينثن وساح في قربه فلم يبن وكان من الايمان على مزيد ومن اليقين في تجديد واعطي من الحقوق الطيبة بغير حساب في كشف له عن قلبه الحجاب وكانت المعرفة مقامه وقصرت عليه ايامه فكان وقته وقتا واحدا لواحد وقلبه واجدا للموجد وهمه منفردا للمنفرد وهذا حال الابدال الذين هم للرسل امثال وعددهم في الموقنين قليل ونصيبهم من اليقين وافر جليل وهم المقربون والصديقون ومن علم ما ذكرناه علم يقين فهو من الصالحين ومن آمن به ولم يشكك فيه ايمان تصديق فهو من الموقنين ومن شهد منه شهادة يكون له منها مطالعات وزيادة فهو من الشاهدين وجميع ما ذكرناه من مراقبة الموقنين ومشاهدة المقربين يدرك بالصدق مقامين من اقيم في احدهما جمع له ذلك استقامة في توبته وعمل بعلم فمن كان مقامه التوبة وحاله الاستقامة دفع الى شهادة المحسنين ومن كان مقامه العلم وحاله العمل بعلمه تحقق بنعت الخائفين وهما حالا العارف الدائم الوجد بقرب القريب القائم بالشهادة لحضور الشهيد فانفاسه وطرقاته صالحات وتصرفه وآثاره حسنات وافكاره واذكاره مشاهدات فهو حاضر في تصرفه متيقظ في تقلبه

وحدثت عن بعض هذه الطائفة انه دخل على بعض المنقطعين الى الله عز وجل من اهل المراقبة فقال له احصيت من نعم الله عز وجل علي في نوع واحد اربعة وعشرين الف نعمة قلت وكيف ذلك قال حسبت انفاسي في اليوم والليلة فوجدتها اربعة وعشرين الف نفس ويقال ان الطرقات ضعف ذلك لان لكل نفس طرقتين وسمعت ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى بعض الانبياء كيف تؤدي شكر نعمتي عليك ولي في كل شعرة نعمتان ان لينت اصلها وان طمنت راسها وقال بعض العلماء وروي ذلك ايضا عن علي عليه السلم ليس شيء اعز من الكبريت الاحمر الا ما بقي من عمر العبد قال ولا يعرف مقدار ما بقي من عمره الا نبي او صديق وقال بعضهم لا يعرف مقدار ما بقي من عمره في العزة الا من عرف ينبوع الكبريت الاحمر فانه يقال انه عيون تنبع في الظلمات لا يعرفها الا الابدال والكبريت الاحمر هو كيميا الذهب الذي يعمل منه الذهب الخالص واذا القي منه اليسير على كيميا الذهب المستعمل ثبت على حاله ولا استحال وتغير بعد سنين ولا اعلم انه ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم الكبريت الاحمر الا في حديث علي عليه السلم الذي وصف فيه الابدال فذكر عددهم ووصفهم وقال في آخر وصفهم هم في امتي اعز من الكبريت الاحمر ولا ذكر الذهب الابريز الا في حديث الابتلاء ان الله سبحانه وتعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم من يخرج اسود محترقا ومنهم من يخرج بين ذلك

باب ذكر فضل اهل المقامات من المقربين وتمييز اهل الغفلة المبعدين

فاذا كان العبد بوصف ما ذكرنا كان كما قال الله سبحانه وتعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال بعض العارفين عمر العبد امانة الله عنده يسأله عنه عند موته فان كان فرط فيه ضيع امانة الله عز وجل وترك عهده وان راعى اوقاته فلم يخرج ساعة الا في طاعة حفظ امانته ووفى بعهده فله الوفاء من الله عز وجل على الوفاء كما قال سبحانه وتعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون اي في تضييع العهد وفي ترك الوفاء وكما قال الله سبحانه وتعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه اي شهد مقام الله منه بالبيان فقام له بشهادة الايقان فليس هذا كمن زين له سوء عمله واتبع هواه فآثر على طاعة مولاه بل هذا قائم بشهادته متبع لشهيده مستقيم على محجة معبوده وكان كمن وصف في قوله سبحانه وتعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكمن مدحه سبحانه وتعالى بحقيقة الايمان فقال عز وجل واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا اي علامة ودلالة وعلى ربهم يتوكلون اي به يثقون واليه ينظرون وعليه في كل حال يعتمدون ولديه من كل شيء يطمئنون وعنده دون كل شيء يوجدون ثم قال سبحانه وتعالى اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم الآية فليس اهل الحقائق من المتوكلين الذين مدحهم الحق واعد لهم الدرجات العلى والكريم من الرزق كمن ذكر بعدهم فقال سبحانه وتعالى وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين مع قوله سبحانه وتعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فجعل حال هؤلاء وصفا مشبها لمقام اعدائه لما بقي عليهم من اهوائهم وجعل مقام الصالحين معنى من وصف الآية بحقيقة زهدهم فقال سبحانه وتعالى ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى فهو العلي واحباؤه اعلون وانما كانوا اعلين لان الاعلى معهم وكنا نحن الادنين لان الدنيا عندنا قال الله سبحانه وتعالى في وصف من اعرض عن ذكره ولم يرد الا الحياة الدنيا اذ امر الحبيب بالاعراض عنه لانه طلب الادنى عاجلا وسوف بالمغفرة آجلا لقوة جهله وضعف يقينه فقال سبحانه وتعالى ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا فقال عز وجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وقال سبحانه وتعالى في وصف الصادقين من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال في نعت غيرهم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون فشتان بين من وصف بصدق العهد وبين من ذكر بالخلف في عرض للمقت وقال في وصف طائفة ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين فخص اولياءه بترك اتباعه وادخل بعض المؤمنين في تصديق ظنه واتباعه الا فريقا فهم الصديقون والشهداء والصالحون

وحسن اولئك رفيقا وهم المتوكلون المؤمنون حقا الذين قال الله سبحانه انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون وليس من باع ماله ونفسه محبة لمولاه كمن لم يسأله مولاه ماله دون نفسه لئلا يحفيه فيخرج
ضغنه عليه كما قال لطائفة من المؤمنين يؤتكم اجوركم ولا يسألكم اموالكم الى قوله عز وجل ويخرج اضغانكم
الاحفاء الاستقصاء اي ان سألكم سؤال الجملة كلها واحب منكم الزهد في نفوسكم بعدها والاضغان
جمع ضغن وهو الحقد يقول فلستم في مكان سؤال اذ لا يكون البخيل زاهدا لان اول الزهد الجود فمن لم يجد
لم يزهد ومن لم يزهد في الدنيا لم يحبه المولى لانه محب لما يبغض ومبغض لما يحب فلم يعامل مولاه باخلاقه
ولم يوافقه في مرضاته فباعده وحجبه عن مشاهدة اوصافه كما قال الله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا
والله يريد الآخرة وكما قال الرسول عليه السلام المبلغ عن المأمول ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا ولا
تقدر ان تصف حشو قلوب هذه الطائفة من المؤمنين الذين وصفهم المؤمن ان لو سألهم اموالهم ظهرت
عليهم اضغانهم لانهم من الله عز وجل في اعتزاز بما ألبسهم من الاظهار فاذا اجلهم فان الله كان بعباده
بصيرا الا ان الله سبحانه وتعالى لا يسأل الا من يحبه اكراما له ممن يعلم انه يسارع اليه بجملة ما سأله لانه
كريم جواد لا يكثر عنده شيء ان سأل سأل الكلية وهو المال والنفس الا انه لا يسأل الا من خلقه بخلق من
اخلاقه فمتى لم يكثر على العبد سواه شيء سأله محبوبه كل شيء ومتى عظم في قلبه العرض الفاني وهو صغير شيء لم
يسأله شيئا فاذا لم يبق للعبد من نفسه نفس ولا من ماله ملك كان اجود عوضا لمن لم له وكان الجبار عوضا
له من نفسه الا ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر اياه في العوض من النفس وذكر الجنة في البدل عن المال لئلا
يدخل عز وجل تحت حكم وهو الحاكم وكيلا ينضم سبحانه وتعالى الى عوض فيكون شفعا وهو الفرد فاخفى
نفسه وهو الدليل وذكر خلقه وهو السبيل لهذا فهم اولياؤه عنه وهذه علامة المحبة الخالصة التي
لا شريك فيها لسواه ولا دخل عليها من غيره اياه ولا يصلح ايضا ان يكشف وصف هؤلاء المحبين لان حالهم
تجل عن الوصف ومقامهم يجاوز علوم العقل والوقت الا ان الله سبحانه وتعالى قد اجمل ذلك بقوله سبحانه
وتعالى وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وبقوله سبحانه وتعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام مع قوله جل وعلا
ولهم فيها ما يدعون نزلا من غفور رحيم الى قوله سبحانه وتعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم والحكم سبحانه وتعالى في ذلك بقوله عز وجل وهو وليهم بما كانوا يعملون وبقوله تبارك وتعالى
هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ففيه وصف لاهل الولايات والحب ومدح لاهل الدرجات
والقرب بقوله سبحانه وتعالى بصير بما يعملون اي لذلك جعلهم درجات عنده وبقوله سبحانه وتعالى وليهم
بما كانوا يعملون بما تولاهم به من قربهم منه وفيه ايضا ذم للناقصين على القراءة الاخرى والله بصير

بما تعملون

بما تعملون اي قد ابصر اعمالكم انتم فلم يجعلكم مثلهم اذ لم تكن اعمالكم كاعمالهم لان قلوبكم ليست كقلوبهم
فتكون اعمالكم كاعمالهم لهذا كما قال سبحانه وتعالى فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا
قريبا ثم قال سبحانه وتعالى في وصف قلوبنا والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما ثم قال في فصل من
القول ليس بهزل كلمة سوى بين هؤلاء وهؤلاء ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا ثم قال عز وجل في ضد
ذلك كلاما فاصلا لمفصل مفسرا لمجمل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم يعني بعد ان لم يجعل فيهم
خيرا لتولوا وهم معرضون اي ليس له فيهم شيء ولا لهم منه نصيب لانه لم يجعل عندهم مكانا للخير فيوجد
فيه خيرا فكان هذا فصل الخطاب وبلاغا لاولي الالباب يشهد لهم بذلك اذ قال افلم ييأس الذين آمنوا ان لو
يشاء الله لهدى الناس جميعا فايس المؤمنون من هداية هؤلاء ولم يرجوا منهم محابهم فيه ابدا لان الله سبحانه
وتعالى لا يهدي من يضل وقيل ييأس لغة بمعنى يعلم اي فقد علموا بما اعلمهم ويشهد لهذا المعنى الحرف الآخر
لانه بمعناه افلم يتبين الذين آمنوا فتبين لهم بما بين المبين فسلموا اليه ما قبلوا عليه واعرضوا عنهم
فسلموا منهم فكذلك قال المولى المجيد سبحانه وتعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وقال تشابهت
قلوبهم فيتبعون ما تشابه منه فكم بين من ثبت قلبه فرسخ العلم فيه وبين من زاغ فمال الى فتنة التأويل
بابتغائه وشتان بين من تولاه بنفسه اذ صلح له وبين من ولاه نفسه اذ اعرض عنه فهذه مقامات
المبعدين كما تلك مقامات المقربين فقد دخلوا تحت حكمين لم يخرجوا عنهما اعلاهم دخل تحت فضله
وادناهم لم يخرج من عدله وقد اجمل سبحانه وتعالى وصفهم بقوله ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
من فضله وقال في ذكر العموم ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط فخص اولياءه بالفضل
وعم خلقه بالعدل فمن قلب لا يشهد الا الله ولا يسمع الا منه ولا يتأله الا اليه والله هو الاغلب
على همته والاقرب الى قلبه ومن قلب حشوه الخلق وهمه الرزق لا ينظر الا اليهم ولا يطمع الا فيهم الخلق
اغلب شيء عليه والخلق اقرب شيء اليه فهذا من المبعدين لان البعد صفتهم بظهور النفس عليه وتحكم
سلطانها فيه مكان البعد الذي يوجد البعد معه والاول من المقربين لان القرب صفته وخنوس نفسه
عنه وتسخيرها له مكان القرب الذي يوجد القرب عنده فهو مع الله باقين الادب والمبعد مشتط نفسه
عن ربه وقد قال سبحانه وتعالى فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين فالبعد حجاب والمبعد
في عذاب والقرب نعيم والمقرب على مزيد الم تسمع الى قوله سبحانه وتعالى في تعذيب المحجوب كلا انهم عن
ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم وقال عز وجل في ترويح المقربين فاما ان كان من المقربين
فروح وريحان وجنة نعيم اروح بقريب وريحان من حبيب وجنة نعيم بقرب منعم وقد قال المروح

بالقرب المحبا بالحضور فروحي وريحاني اذا كنت حاضرا وان غبت فالدنيا علي مجالس اذا لم انافس في هواك ولم اغر عليك ففيمن ليت شعري انافس وقال المحجوب بالبعد المغصص بالفقد فكيف يصنع من اقصاه مالكه فليس ينفعه طب الاطباء من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يصنع من قد غص بالماء وشتان بين عبد منقطع الى ربه بحرمه وآخر منقطع بحرمه الخلق بعبدهم وكم بين عبد منقطع عن الناس وبين عبد موصول بالوسواس وشتان بين عبد منقطع بالشوق الى المولى وبين عبد منقطع بالهوى معانق للدنيا فهذه مقامات المقربين الحسنى واضدادها مقامات المبعدين السوءى فاذا كان العبد على وصف من الحقيقة وفي مقام من التقوى استحق الثناء من المولى لتحققه بالوصف ونال القرب من القريب لبعده عن حظوظ النفس وفي حسن الثناء من العظيم الاعظم غاية الطالبين ونهاية رغبة الراغبين ولا يكون ذلك الا لاوليائه المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين وهم اهل القلوب السليمة الطاهرة وذوو الجوارح الخاشعة الذاكرة واولو الالباب الراجحة الفاخرة وهم ثلاث طبقات من مقربي اصحاب اليمين اهل العلم بالله سبحانه وتعالى واهل الحب لله واهل الخوف من الله عز وجل فهولاء خصوص اولياء المقربين استحضرهم فحضروا واستحفظهم العلم فحفظوا واستشهدهم عليه به فشهدوا وافهم الادلة منه عليه وهو دليلهم اليه وهم جامعوا العبادة لديه وهو جامعهم عنده ابدال الانبياء والربانيون العلماء ائمة المتقين واركان الدين واولو القوة والتمكين الذين كشف لهم الكتاب المستبين وهداهم اليه الصراط المستقيم وهم المنظور الى قلوبهم كفاحا والمقصودون بالمزيد والتحف مساء وصباحا ومن سواهم من عموم المؤمنين من القراء والعباد واهل المجاهدة والاوراد قد اعطاهم الولايات وفرقهم في الاعمال والسياحات واظهر لهم الآيات تسكينا لقلوبهم بها وطمانينة منهم اليها لئلا تدخل عليهم الشبهات فيهلكوا او تجتذبهم الشهوات فيرجعوا فشغلوا بالاظهار عن الظاهر وحجبوا بالظاهر عن الباطن واغتبطوا بالحجاب وسكنوا الى الاسباب وعكفوا على المقامات واستتروا بالملكوت والآيات فهم مغبوطو الاموات من اهل الدنيا وهم مرحومو الاحياء من اهل العلي الاعلى لان قربهم بعد عند المقربين وكشفهم حجب عند المشاهدين وعطاءهم رد عند المواجهين الا ان الله سبحانه وتعالى نظر اليهم لما نظروا لنفوسهم حلما منه فيهم ورحمة منه لهم فسكنهم في حالهم ورضاهم بمقامهم كيلا تتشتت قلوبهم ولا تتحير عقولهم والسابقون الاولون هم الوجهة العليا والمتمسكون بالعروة الوثقى نظروا اليه به ونظر اليهم منه فهم كما وصفهم الله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله لا يرجعون الى مال ولا ينظرون الى حال يحبهم ويحبونه رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فهم كما وصفوا في الكتب السالفة

قال الحواريون يا روح الله صف لنا اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال هم الذين نطق بهم الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها وعاينوا آجل الدنيا حين عاين الناس عاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا ان سيتركهم فصار دركهم منها فواتا وفرحهم بها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما اشرف لهم بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت في صدورهم فلم يحيوها قدموها فبنوا بها آخرتهم احيوا ذكر الموت واماتوا ذكر الحيوة يحبون الله تعالى ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب وقد قال الله سبحانه وتعالى في وصفهم والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء وقال سبحانه وتعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط وفيها مقرا غريب بمعنى الجمع للشهداء فكانه وصف ما تقدم من ذكرهم في قوله عز وجل الصابرين والصادقين الى قوله سبحانه وتعالى والمستغفرين بالاسحار شهداء الله انه لا اله الا هو وقال كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب فهذا وصف يزيد على كل وصف ويستغرق نعت الواصفين ويجمع هذه المقامات السبعة من المراقبة والمشاهدة حرفان عن مقامين مدار المقامات عليهما ومستخرج المزيد من الكرامات منهما احدهما الخوف عن مقام العلم والحال الثاني الرجاء عن مقام العمل فمن كان مقامه العلم بالله كان حاله الخوف منه ومن كان حاله الرجاء له كان مقامه المعاملة له الم تسمع قوله سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا

كتاب ذكر تفصيل الخواطر لاهل القلوب وصفة القلب وتمثيله بالانوار والجواهر

قال الله سبحانه وتعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها اي القى فيها وقذف فيها وقال سبحانه وتعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه وقال عز وجل فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله وقال سبحانه وتعالى من شر الوسواس الخناس الآية وقال سبحانه وتعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه وقال عز وجل استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء وقال سبحانه وتعالى مخبرا عن العدو لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم الى آخر الآية وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان اخزاه الله قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر ارضك ومنشاك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة وقد أخبر الله
عز وجل عنه أنه قال ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم إلى آخر الآية وروينا أن عثمان بن أبي العاص
قال يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب إذا أحسسته
فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله سبحانه وتعالى عني وفي الخبر أن
للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه وقد روينا في خبر أن الشيطان يجري من ابن آدم
مجرى الدم والحديث المشهور ما منكم من أحد إلا وله شيطان قيل وأنت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله
عز وجل أعانني عليه فأسلم وقال ابن مسعود وقد رويناه من طريق مسند في القلب لمتان لمة من الملك
إيعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وروينا عن
الحسن رضي الله عنه أنه قال إنما هما همان يجولان في القلب هم من الله سبحانه وتعالى وهم من العدو فرحم
الله عبدا وقف عند همه فما كان لله عز وجل أمضاه وما كان من عدوه جاهده وقال مجاهد في قوله سبحانه وتعالى
من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الإنسان فإذا ذكر الله سبحانه وتعالى خنس وانقبض
وإذا غفل انبسط على قلبه وقال عكرمة الوسواس محله من الرجل في فؤاده وعينيه ومحله من المرأة
في عينيها إذا أقبلت وفي عجيزتها إذا أدبرت وقال جرير بن عبد الله العدوي شكوت إلى العلاء بن زياد
ما أجد في صدري من الوسوسة فقال إنما مثل ذلك مثل البيت الذي تمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه
وإلا مضوا وتركوه وقد روى أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن العبد
إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل وإن عاد زيد فيها حتى
تعلو قلبه فهو الران الذي ذكره الله سبحانه وتعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروينا عن كعب
ابن برقان قال سمعت ميمون بن مهران يقول إن العبد إذا أذنب ذنبا نكت في قلبه بذلك الذنب نكتة
سوداء فإن تاب محيت من قلبه فترى قلب المؤمن مجلوا مثل المرآة ما يأتيه الشيطان من ناحية إلا أبصره
وأما الذي يتتابع في الذنوب فكلما أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء فلا يزال ينكت في قلبه حتى يسود قلبه
فلا يبصر الشيطان من حيث يأتيه وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر
في تقسيم القلوب وروينا عن أبي سعيد الخدري وأبي كبشة الأنماري وبعضه أيضا عن حذيفة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس ٢٠
فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق
فمثل الإيمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد

فأي المدتين غلبت عليه حكم له بها وفي لفظ بعضهم غلبت عليه ذهبت به وقال الله سبحانه وتعالى
ومن أصدق من الله قيلا إن الذين اتقوا إذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون
فأخبر أن جلاء القلوب التذكر به يبصر القلب وأن باب التذكر التقوى به يتذكر العبد فالتقوى باب الآخرة
كما أن الهوى باب الدنيا وأمر الله سبحانه وتعالى بالذكر وأخبر أنه مفتاح التقوى لأنه سبب الاتقاء وهو الاجتناب
والورع فقال سبحانه وتعالى واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وأخبر أنه أظهر البيان للتقوى في قوله سبحانه
كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون وقال سبحانه وتعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم
الذي خلقك فسواك فعدلك وقال سبحانه وتعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وقال سبحانه وتعالى
ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون فمن التسوية والتعديل والازدواج والتقويم أدوات الظاهر
وأعراض الباطن وهي حواس الجسم والقلب فأدوات الجسم هي الصفات الظاهرة وأعراض القلب هي المعاني
الباطنة قد عدلها الله سبحانه وتعالى بحكمته وسواها على مشيئته وقومها إتقانا لصنعه وإحكاما
ملقيان خ لصنعته أولها النفس والروح وهما مكانان للإلقاء والعدو والملك وهما شخصان ملقنان للفجور
والتقوى ومنها عرضان متمكنان في كائنين وهما العقل والهوى عن حكمين من مشيئة حاكم وهما
التوفيق والإغواء ومنها نوران ساطعان في القلب عن تخصيص من حمد راحم وهما العلم والإيمان فهذه
أدوات القلب وحواسه ومعانيه الغائبة وآلاته والقلب في وسط هذه الأدوات كالملك وهذه جنوده
تؤدي إليه أو كالمرآة المجلوة وهذه الآلات حوله تظهر فيها وتنقدح فيه فيجدها وتفصيل ذلك على الإيجاز
أن جمل الخواطر ستة هي حدود القلب وقوادحه من ورائها خزائن الغيب وملكوت القدرة وهي جنود
لله سبحانه وتعالى عتيدة وسلطان منه مبين والقلب خزانة من خزائن الملكوت قد أودعه مقلبه من
لطائف الرغبوت والرهبوت وشعشع فيه من أنوار العظمة والجبروت ما شاء لأهل الرفيق الأعلى وذوي
الملكوت الأدنى فأول التفصيل خاطر النفس وخاطر العدو وهذان لا يعدمهما عموم المؤمنين وهما مذمومان
محكوم لهما بالسوء لا يردان إلا بالهوى وضد العلم وخاطر الروح وخاطر الملك وهذان لا يعدمهما خصوص
المؤمنين وهما محمودان لا يردان إلا بحق وبما دل عليه العلم وخاطر العقل متوسط بين هذه الأربعة يصلح
للمذمومين فيكون حجة على العبد لمكان تمييز العقل وتقسيم المعقول لأن العبد يدخل في هواه بشهوة
جعلت له واختيار لا بقسر عليه من حيث لا يعقل ولا اختار ويصلح أيضا للمحمودين فيكون شاهدا للملك
ومؤيدا لخاطر الروح ولإثبات العبد في حسن النية وصدق القصد وإنما كان خاطر العقل تارة مع النفس
والعدو وتارة مع الروح والملك حكمة من الله عز وجل لصنعته وإتقانا منه لصنعه ليدخل العبد

في الخير والشر بوجود معقول وصحة شهوة وتمييز فيكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائداً اليه وعليه
اذ قد جعل سبحانه وتعالى هذا الجسم مكاناً لجريان احكامه ومحلاً لنفاذ مشيئته في مباني حكمته كذلك
جعل الله سبحانه وتعالى العقل مطية للخير والشر يجري بهما في خزانة الجسم اذ كان مكاناً للتكليف وموضعاً
للتصريف وسبباً للتعريف لعائد من معاني ذلك على صورة العبد من لذة النعيم او عذاب اليم فلم يكن العقل
غايباً فيكون العبد عن الفعل ذاهباً ولم تكن الشهوة عازبة فتكون النفس مفقودة اذ في ذلك تضعيف
لحجة الله سبحانه وتعالى ووهن لبرهانه لان العقل شاهد الحجة والشهوة في النفس مكان البلوى والنية
في القلب طريق المحجة وذلك سبب عود جزاء الامر والنهي فالعقل مطبوع على التمييز مجبول على التحسين
والتقبيح والنفس مجبولة على الشهوة مطبوعة على الامر بالهوى وهذا نصيبهما من عطائه وهداه لهما
الى رشاده واغوائه وحظهما من الكتاب وقسمهما من ولي الاسباب كما قال في احكام ما ذكرناه جملة
لما اخبرنا عما سبق في علمه بقوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال سبحانه وتعالى اولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب وقال عز من قائل كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير
والخاطر السادس هو خاطر اليقين وهو روح الايمان ومزيد العلم يردان اليه ويصدران عنه وهذا الخاطر
مخصوص لا يجده الا الموقنون وهم الشهداء والصديقون لا يرد الا بالحق وان خفي وروده ودق ولا يقدح
الا بعلم الخيار المراد مختار وان لطفت اداته وبطن وجه الاستدلال به ولكن ليس يخفى هذا الخاطر
على مقصود به مراد له وهم الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بالذكرى ورد الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم
الفتيا فقال سبحانه وتعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي من تولى الله عز وجل حفظ قلبه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاك في صدرك فدعه والاثم حواز القلوب يعني ما يؤثر فيها فيحز بها لرقتها
وصفائها ولينها ولطفها وقال للرجل الذي سأله عن البر والاثم وهما اصلا اعمال الخير والشر استفت
قلبك وان افتاك المفتون اي ان المفتين يعلمون معاني التاويل والرخصة من علمهم العلانية وانت على علم
وتقين فوقهم مطالب بالتحقيق والعزيمة عن علمك السر واهل الظاهر ايضاً يعلمون حكم الله سبحانه وتعالى
الظاهر عن علم اللسان الظاهر الذي هو حجة على اهل العلم الظاهر وقلبك فقيه منور بالايمان ينظر به حكم
الله سبحانه وتعالى الباطن عن علم الغيب الباطن الذي هو حقيقة الايمان ومنفعة لاهل العلم الباطن
ولا يصلح ان يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم سائلاً الا الى فقيه فلولا ان علم القلب هو حقيقة الفقه
ما رد صاحبه من فتيا اهل الظاهر اليه ولا حكم على المفتين به فقد صار علم القلب هو علم العلم اذ جعله الرسول
صلى الله عليه وسلم قاضياً على المفتين بالحكم وصار عالم الباطن هو عالم العلماء اذ لم يسعه تقليد العلماء

وفي الحديث الآخر العلم ما اطمأن اليه القلب وسكنت اليه النفس وان افتوك وافتوك فهذا وصف قلب مكاشف
بالذكر ونعت نفس ساكنة لمزيد السكينة والبر كما وصف من قلوب المؤمنين في صريح الكلام وفي دليل
الخطاب فاما صريحه فقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب
وقوله سبحانه وتعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم واما
دليل الكلام الذي يشهد بالتدبر فقوله عز وجل في صفة قلوب اعدائه المحجوبين كانت اعينهم في غطاء عن
ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً ومثله اعنده علم الغيب فهو يرى ففي تدبر معناه ان اولياءه
المستجيبين له سامعون منه مكاشفون بذكره ناظرون الى غيبه وقال سبحانه وتعالى في مثله مثل الفريقين
كالاعمى والاصم هذا فريق المتبعين للسبل المتفرقة بهم الضالين عن سواء الصراط والبصير والسميع
هو فريق المهتدين المتبعين للصراط المستقيم وقال صلى الله عليه وسلم في مجمل صفة القلب التقوى ههنا واشار
الى القلب وقال الله سبحانه وتعالى في ذكر القلوب المقفلة بالذنوب لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع
على قلوبهم فهم لا يسمعون وقال في ضد طابعها بالتقوى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله
وفي الخبر اذا اراد الله بعبد خيراً جعل له زاجراً من نفسه وواعظاً من قلبه وفي الخبر الآخر من كان له
من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ ورويناه في تفسير قوله سبحانه وتعالى اننا سمعنا منادياً
ينادي للايمان قال سمعناه من قلوبنا وقال عز وجل في ضده لاعدائه اولئك ينادون من مكان بعيد
اي بعيد من قلوبهم وقال في التوبة من ميل القلوب وهمها ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وقال
وهموا بما لم ينالوا فان يتوبوا يك خيراً لهم وقال في تحقيق العمى للقلب فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور فاهل القلوب يتعظون بلا واعظ من خلق ويزدجرون بلا زاجر من ظاهر
وسائر ما ذكرناه من الخواطر لا يعدمه المؤمنون والقلب خزانة لله سبحانه وتعالى من خزائن الغيب وهذه
المعاني جنود لله عز وجل مقيمة حول القلب يخرج منها ما يشاء ويظهر ويبدي منها ما يريد ليعمل ويبسط
القلب بما شاء منها ويقبضه فيما شاء عنها وكل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم يفارقه خاطر اليقين ولكن
تضعف الخواطر وتخفى لضعف المعاني ودقتها وتقوى النفس ويظهر تقواها لان هذه الثلاثة مكان اليقين
احدها الايمان وموضعه من اليقين مكان حجر النار والثاني العلم ومكانه موضع الزناد والثالث العقل وهو
مكان الحراق فاذا اجتمعت هذه الاسباب قدح خاطر اليقين في القلب ومثل القلب في قوته بقوة مدده وفي
صفائه بجودة عدده مثل المصباح في القنديل آلة مكان العقل منه والزيت موضع العلم به هو روح المصباح
وبمدده يكون ظهور اليقين ويدوم بروح منه والفتيلة مكان الايمان منه هي اصله وقوامه الذي يظهر بها

فعلى قدر قوة الفتيلة وجودة جوهرها يقوى اليقين وهو مثل الايمان في قوته بالورع وكماله بالخوف
وعلى مقدار صفاء الزيت ورقته واتساعه تضيء النار التي هي اليقين وهو مثل العلم في مدد الزهد وفقد
الهوى فصار العلم مكانا للتوحيد فتمكن الموحد في التوحيد على قدر المكان وقد قال الله سبحانه وتعالى
فاعلم انه لا اله الا الله وقال فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فقدم العلم على التوحيد فصار
اوله فكلما اتسع القلب بالعلم بالله وزهد في الدنيا ازداد ايمانا وعلا لانه يرى في علوه ما لا يراه غيره
ويعلم في اتساعه ما لا يعلمه سواه فيكثر المؤمن به فيكون ذلك مزيد ايمانه وقوته ثم يشهد كل ما آمن به
فيكون بذلك قوة يقينه وسعة مشاهدته وكلما قصر علم القلب بالله وبمعاني صفاته واحكام ملكوته
قلت المؤمنات فقل ايمان هذا العبد ثم اشهد ما آمن به من وراء حجاب لما غلب عليه من حب الاسباب وسمع
الكلام من خلف ستر يعجز عن المسارعة الى البر فيضعف بذلك ايمانه وتخييل مشاهدته ولا تحقق
فليس من علم من صفات الله سبحانه وتعالى وقدره واياته مائة الف معنى ثم شهدها كلها من قرب عن كشف
مثل من علم منها عشرة معان ثم شهدها من بعد عن حجاب وهما مؤمنان معا لكن بين ايمانهما في القرب
والعلو والزيادة والنقصان كما بين العشرة الى المائة الف فيكون ايمان قلب المسلم معشار عشر ايمان قلب
الموقن والمعشار هو عشر العشر جزء من مائة جزء ويكون ايمان قلب المؤمن فيما بين ذلك من الزيادة على العشرة
والنقصان من الف على قدر قسمه مثال ذلك فيما نعقله مثل رجل قال لك ان عندي فلانا فقد حصل لك
علم انه عنده غير ان هذا العلم غير يقين لانه يجوز ان يكون قد اشتبه عليه او يكون قد كان عنده ثم خرج وليس
هو الان عنده فهذا مثل ايمان المسلم هو على علم خبر لا على خبر ويقين ثم انك تاتي لتراه وتسمع كلامه من وراء
حجاب فقد علمت الان انه عنده لانك سمعت كلامه واستدللت به على كونه عنده الا ان هذا العلم ايضا غير حقيق
لان الاصوات تشتبه والاجرام تتقارب ولو قلت بعد ذلك لم يكن عندي وانما كان ذلك غيره واشتبه عليك
صوته لشككت فيه لاحتمال ذلك ولم يكن عندك يقين عين تدفع به قوله ولا شهادة نظر تنكر بها عليه وهذا
مثل ايمان عموم المؤمنين فهو ايمان خبر لعمري وفيه يقين استدلال يقتضي الظن الا انه غير مشاهدة العارفين
لانه قد يدخل عليهم التخييل والتشبيه فلابد فقوته بشهادة يقين ثم انك تدخل الان بعد ان قيل لك هو
عندي او بعد ان سمعت كلامه فتشهده جالسا لا حجاب بينك وبينه فهذا هو يقين المعرفة وهو مشاهدة
الموقن وعندها انتفى كل شك وتحقق خبر العلم وهذا مثل ايمان الموقنين الذي قد اندرج فيه ايمان عموم المؤمنين
من علم الخبر المخيل ومن سمع الكلام المشتبه من وراء حجاب واسم الايمان واقع على جميعهم ولكن الاول
علم بما قيل له فصدق والثاني علم بما سمع فاستدل لم يشهد فيقطع والثالث هو الذي عاين فقطع وقد شهد

زد وقال

له الرسول صلى الله عليه وسلم بالمزيد فقال صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة وقال ليس المخبر كالمعاين
ومثل هذا ايضا ان ترى الشيء بالنهار فتعرفه معرفة عين وتعرف مكانه بنظر لا تخطئه ثم انك تحتاج اليه ليلا
فلست تعرفه كانه راي عين وانما تقصده بمعرفة استدلال عليه وبحسن ظن انه موجود على حاله او تعرف
معهودا انه لا يتحول وكذلك الادلة هي للغائبات وسقوطها مع المشاهدات ويمعنا مشاهدة الشيء بنور القمر
فانه يشتبه ويلوح المشكلات ورؤيته في ضياء الشمس فانها تكشف الامر على ما هو به فهذا مثل لنور اليقين الى نور
الايمان ومثل رابع في تفاوت المؤمنين في حقيقة الكمال ودخولهم في الاسم والمعنى مثل صلاة رباعية اقيمت
فجاء رجل فادرك الركوع ثم جاء آخر فادرك الركعة الثانية ثم جاء ثالث فادرك الركعة الثالثة ثم جاء رابع فادرك
الركعة الرابعة فكلهم قد صلى وقد ادرك الصلاة في جماعة ونال فضلها لقوله صلى الله عليه وسلم من ادرك من الصلاة
ركعة فقد ادرك الصلاة ولكن ليس من ادرك الركعة الاولى في كمال الصلاة وادرك حقيقتها كمن ادرك
الثالثة او الرابعة ولا يكون ايضا من ادرك التكبير للاحرام في الفضل كمن لم يدرك شيئا من القيام وهما مدركان
معا فكذلك المؤمنون في كمال الايمان وحقائقه لا يستوون وان دخلوا في الاسم والمعنى وكذلك تفاوتهم
في الاخرة فقد جاء في الخبر يقال اخرجوا من في قلبه مثقال من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة
وذرة من ايمان فقد حصلوا متفاوتين في الايمان ما بين الذرة والمثقال وكلهم قد دخل النار الا انهم على
مقامات فيها وفيه دليل ان من كان في قلبه وزن دينار من ايمان لم يمنعه ذلك من دخول النار لعظم ما اقترف
فيه من الاوزار وان من كان في قلبه وزن ذرة من ايمان لم يحق عليه الخلود في دار الهوان لتعلقه بيسير
الايقان وان من زاد ايمانه على زنة الدينار لم يكن للنار عليه سلطان وكان من الابرار وان من نقص
ايمانه عن ذرة لم يخرج من النار وان كان سماه وكان اسمه في الظاهر في المؤمنين لانه من المنافقين في علم الله
سبحانه وتعالى الفجار وقد قال الله سبحانه وتعالى في وصفهم وان الفجار لفي جحيم ثم قال عز وجل وما هم عنها
بغائبين ثم صار صاحب المثقال والذرة في الجنة على تفاوت درجات فكان الزايد ايمانه على مثقال
في اعلى عليين على هؤلاء وارتفع اهل الدرجات العلى على اهل عليين ارتفاع الكوكب الدري في افق السماء وكلهم
قد اجتمع في الجنة على تفاوت مقامات وتعالي درجات وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شيء خيرا
من الف مثله الا الانسان فلعمري ان قلب موقن خير من الف قلب مسلم لان ايمانه فوق ايمان مائة مؤمن
وعلمه بالله عز وجل اضعاف علم مائة مسلم ويقال ان واحدا من الابدال الثلثمائة قيمته قيمة ثلثمائة مؤمن
وكان ابو محمد رضي الله عنه يقول يعطي الله سبحانه وتعالى بعض المؤمنين من الايمان بوزن جبل احد ويعطي
بعضهم مثل ذرة وقد قال الله سبحانه وتعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين فوصف المؤمنين بالعلو

ولا نهاية لعلو الإيمان فصار علو كل قلب بقدر إيمانه وكذلك رفع العلماء على المؤمنين درجات في قوله سبحانه
وتعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ففسرها ابن عباس رضي الله عنه فقال الذين
أوتوا العلم درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وفي الخبر أكثر
أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل
القمر على سائر الكواكب ورويناه في لفظ أبلغ من هذا كفضلي على أمتي فالموقنون من المؤمنين أعلى إيمانا
والعالمون من الموقنين أرفع مقاما ثم على قدر بياض الماء يستبين من القنديل حسنه وصفاؤه وهذا
مثل العقل في صحته من الاعتلال وصفائه من كدر الأهوال ويجمع ذلك كله القنديل وهو القلب فعلى قدر
رقة القلب ولطف جوهره وصفائه من كدره وحسن طهارته عن الأقذار يكون نور العلوم فيه والأنوار
وجوهر الزجاجة في الصفاء يحتاج إلى صفاء الماء كما أن صفاء الماء يحتاج إلى صفاء الجوهر وبصفائهما يكون
القلب والعقل ووقود النار يحتاج إلى قوة الفتيلة ومدد الزيت فبموضعهما في القوة والمدد يكون
العلم بالله سبحانه وتعالى واليقين ذلك تقدير العزيز العليم وكل قلب يجتمع فيه ثلاثة معان لم يفارقه مطلب
خواطر الهوى الجهل والطمع وحب الدنيا ثم تضعف خواطر الهوى وتقوى على قدر ضعف هذه الثلاثة وقوتها
ويظهر الهوى في القلب ويخفى على قدر تمكن هذه الثلاثة من النفس وخفائها على مثال ما ذكرناه من تمكن
خواطر اليقين وضعفها لوجود مكانها وهو العلم والإيمان والعقل وفي القلب يظهر سلطان ذي بينك لجميع
فأي جند كانت المشيئة معه غلب ورويناه عن علي عليه السلام أن لله عز وجل في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها
إليه أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسرها فقال أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الإخوان
فمثل القلوب كمثل الأواني في تفاوت جوهرها أرقها وأصفاها أعلاها يصلح للملك وللوجه والطيب وأكثفها
وأردأها يصلح للأدناس وما بين ذلك يصلح لما بينهما ومثلها أيضا مثل الموازين اللطيف منها الطيار
يصلح للذهب بالتحرير والكثيف الجافي يصلح للنفط والحطب وما بينهما يصلح لما بين ذلك فيوزن كل شيء
بميزان ما يصلح له من كل شيء موزون كما يجعل في كل إناء ما يليق به من كل شيء مرذول مصون كذلك الحكم
والحكمة في الملكوت الباطن والحكم والحكمة في الملك الظاهر بتعديل الظاهر والباطن وفي تفسير قوله سبحانه وتعالى
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة فسرها أبي بن كعب قال مثل نور المؤمن وكذلك كان يقرأ
قال فقلب المؤمن هو المشكاة فيها المصباح كلامه نور وعمله نور ويتقلب في نور ثم قال في قوله سبحانه
وتعالى أو كظلمات في بحر لجي قال قلب المنافق فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ويتقلب في ظلمة وكان زيد بن أسلم
يقول في قوله سبحانه وتعالى في لوح محفوظ قال قلب المؤمن وقد قال أبو محمد سهل رضي الله عنه مثل القلب والصدر

مثل العرش والكرسي ورويناه في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل يا رسول الله أين الله في الأرض
قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر المأثور عن الله سبحانه وتعالى لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب
عبدي المؤمن وفي بعضها اللين الوادع اللين يعني السهل الرفيق القريب والوادع يعني الساكن المطمئن وفي
الخبر ما لبس عبد لبسة أحسن من خشوع في سكينة فهذه لبسة المتقين وصبغة الله عز وجل للعارفين
وفي الحديث قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب ثم فسره صلى الله عليه وسلم فقال هو
التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد وقال بعض العارفين في معنى قوله سبحانه وتعالى إلا
من أتى الله بقلب سليم قال سليم مما سوى الله عز وجل ليس فيه غير الله سبحانه وتعالى وفي قول أهل التفسير
سليم من الشرك والنفاق وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل وهذا
لا يعلمه المؤمنون إلا الصديقون وقال صلى الله عليه وسلم أكثر منافقي أمتي قراؤها وهذا لا يعلمه العابدون
إلا العارفون ومن خواطر اليقين ما يرد بشيء لا تظهر دلائله في الظاهر لخفائه وغموض شواهده فليس
يعلم إلا بباطن العلم وغامض الفهم والغوص على لطائف معاني السر وباطن الاستنباط من فهم التنزيل
وتعليم التأويل كما قال الحبيب الخليل لابن عباس رضي الله عنه اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
وكما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما عندنا شيء أسره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله
إلا أن يؤتي الله عز وجل عبدا فهما في كتابه وكما جاء في تفسير قوله عز وجل يؤتي الحكمة من يشاء قال الفهم
في كتاب الله عز وجل وقال الله تعالى وهو أصدق القائلين ففهمناها سليمان فخصه بفهم منه زاده به فوق
الحكم والعلم الذي شرك فيه أباه فزاد على قضايا أبيه ورويناه عن علي عليه السلام في الحديث الطويل
الذي يقول فيه واليقين على أربع شعب على تبصرة الفطنة وتأويل الحكمة وموعظة العبرة وسنة
الأولين فمن تبصر الفطنة تأول الحكمة ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة فكأنما
كان في الأولين إلا أن أهل اليقين المرادين به العارفين بأحكام الله عز وجل الباطنة يعلمون تفصيل خواطر
اليقين ومقتضاها من حيث أشهدوا واطلعها من الغيب وبحيث عرفوا موجبها من الوصف بنور الله عز وجل
الثاقب وقربه الحاضر وسلطانه النافذ كما جاء في الخبر اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله سبحانه وتعالى
أي باليقين وفي لفظ آخر اتقوا فراسة العالم فكأنه مفسر له ومنه قوله تعالى جده لآيات للمتوسمين
وقوله عز وجل قد بينا الآيات لقوم يوقنون أي بنور اليقين وكان أبو الدرداء يقول المؤمن ينظر إلى الغيب
من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال بعض السلف
ظن المؤمن كهانة أي كأنه سحر من نفاذه وصحة وقوعه وقال بعض العلماء يد الله عز وجل على أفواه الحكماء

ربنطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله يطلع الخاشعين على بعض سره
وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم تتجلى لهم امور
صادقة وقال الله تعالى ومن اصدق من الله قيلا يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا
تفرقون به بين الشبهات وتعرفون به المشكلات ومن هذا قوله سبحانه وتعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب قيل يجعل له مخرجا من كل امر ضاق على الناس ويعلمه علما بغير تعلم ويفطنه بغير
تجربة اي بالشاهد الصحيح والحق الصريح ومثله قوله سبحانه وتعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قيل
الذين يعملون بما يعلمون نوفقهم ونهديهم الى ما لا يعلمون حتى يكونوا علماء حكماء وقال بعض السلف
نزلت هذه الآية في المتعبدين المنقطعين الى الله عز وجل المستوحشين من الناس يسوق الله عز وجل اليهم من
يعلمهم ويلهمهم التوفيق والعصمة وفي خبر من عمل بما يعلم ورثه الله سبحانه وتعالى علم ما لم يعلم ووفقه
فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار فمعنى
يورثه علم ما لم يعلم اي من علوم المعارف التي هي موارث اعمال القلوب مثل الفرق بين الاختبار والاختيار
والابتلاء والاجتباء والمثوبة والعقوبة ومعرفة النقص من المزيد والقبض من البسط والحل والعقد
والجمع والتفرقة الى غير ذلك من علوم العارفين بعد حسن التفقد والادب عن مشاهدة الرقيب والقرب بصحة
المواجيد وصفاء القلوب وقال بعض التابعين من عمل بعشر ما يعلمه علمه الله عز وجل ما يجهل وقد قال حذيفة
رحمه الله انتم اليوم في زمان من ترك عشر ما يعلم هلك وسياتي زمان من عمل بعشر ما يعلم نجا وقال بعضهم
كلما ازداد العبد عبادة واجتهادا ازداد القلب قوة ونشاطا وكلما مل العبد وفتر ازداد القلب ضعفا
ووهنا وليس يكاد علم اليقين يقدح من معدن العقل لان علوم العقل مخلوقاته لا يكاد ينتجه الفكر ولا
يخرجه التدبر فما انتجته الافكار واستخرجته الفطن من الخواطر والعلوم فتلك علوم العقل وهي كشوف
المؤمنين وموجودات لاهل الدين واما خاطر اليقين فانه يظهر من عين اليقين يبادي به العبد مباداة ويبغته
مفاجاة لانه مخصوص به مراد مقصود به محبوب متولى به مطلوب لا يجده الا عارف او خائف او محب
ومن سوى هولاء فحاله محجوب وبعادته مطلوب والى مقامه ناظر وفي طريقه بمعقوله سائر فاما العارفون
المواجهون بعين اليقين المكاشفون بعلم الصديقين فانهم مسيرون محمولون سابقون مستهترون قد وضعت
الاذكار عنهم الاوزار كما جاء في الخبر سيروا سبق المفردون قيل المفردون فهم منفردون لله سبحانه وتعالى
بما افردهم الله عز وجل كما قال سبحانه وتعالى حافظات للغيب بما حفظ الله قيل ومن المفردون قال المستهترون
بذكر الله سبحانه وتعالى وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا فلما افردهم ممن سواهم له افردوه عن

سواء

سواه به فذكرهم فاستولى عليهم ذكره واصطلم قلوبهم نوره فاندرج ذكرهم في ذكره وكان هو الذاكر لهم وكانوا
هم المكان لمجاري قدرته فلا يوزن مقدار هذا الذكر ولا تكيف كيفية هذا البر فلو وضعت السموات والارض
في كفة لرجح ذكره لهم بها وهم الذين قال عز وجل لهم فترى من واجهته بوجهي يعلم احد اي شيء اريد ان اعطيه
لو كانت السموات والارض في موازينهم لاستقللتها لهم اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون
عني كما اخبر عنهم وهذا هو ظاهر اوصافهم واول عطاياهم فطلب هولاء لا ينتهي في نصيبهم لا يكيف ومطلوبهم
كنه قدرة لا توصف عطاؤهم غير مخلوق ومشاهدتهم وصف التحقيق بعين اليقين الحق اليقين فاول نصيبهم
من مطلوبهم علم اليقين وهو صفا المعرفة بالله عز وجل واخر علم الايمان اول عين اليقين وهو مشاهدة وصف معروف
وهذه وجهة التوحيد ولا آخر لاول عين اليقين ولا انقطاع لآخر نصيبهم من شهادتهم وظاهر التوحيد
توحيد الله سبحانه وتعالى في كل شيء وتوحيده بكل شيء ومشاهدة انفراده قبل كل شيء ولا نهاية لعلم التوحيد
ولا غاية لمزيد عطاء الموحدين ولكن لهم نهايات يوقفون تحتها وغايات يصدرون عنها فتجعل اماكن لمزيدهم
ويزادون في وسعها ويمدون بعلوم يطلبون بها ما يكاشفون به لما وراءها ابد الابد بلا آخر ولا امد ولا يصل
العبد الى مشاهدة علم التوحيد الا بعلم المعرفة وهو نور اليقين ولا يعطى نور اليقين حتى تمخض الجوارح باعمال
الصالحات كما يمخض الزق باللبن حتى تظهر الزبدة وهذه مثل علوم القلب فينقل العبد الى اعمال القلوب
اذا ظهرت الزبدة وهي علم اليقين وليست هذه الزبدة غاية الطالبين ولا بغية الصديقين لان وراءها صفوها
وخالصتها ثم تذاب هذه الزبدة حتى يخلص منها وهو صفوها وهو نهايتها وهذا مثل لعين اليقين بعد علمه وبعد سمنها
مشاهدة الوجد بمرآة القرب وهي نور فحينئذ لا يفارقه وجل حضوره فيرفع العبد من خواطر اليقين الى
مشاهدة الصفات بعد ذهاب علوم الخواطر بتجوهر نور شعاع الذات وهذا مقام الاحسان وان الله لمع المحسنين
بعد مجاهدتهم النفوس فيه وبيعها مع الاموال منه فاحسن اليهم باشترائهما منهم فكان معهم كما قال الله سبحانه وتعالى
بنجريهم وصفهم وانما كانوا محسنين لان المحسن معهم كما كانوا الاعلين اذ الاعلى سبحانه وتعالى معهم فقد قال
عز وجل وانتم الاعلون والله معكم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه
وينقل العبد من اعمال الجوارح وهي المجاهدة التي طرح عليه ثقلها فحملها فتحمل فيما حمل ويحفظ له ما استحفظ
الى علم اليقين وهو الروح والرضى وهذا هو هداية السبيل واول هدايته ان يدخل العبد بعد التوبة النصوح
في احوال المريدين واعمال المجاهدين للنفس والعدو ثم ينقل الى خواطر اليقين فهذا ميراث المجاهدين كما قال الله سبحانه
وتعالى والذين جاهدوا فينا يعني بنفوسهم وباموالهم جاهدوا عدوهم اذ يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشاء فصابروه
فغلبوه فباعوا النفوس والاموال فاعتقوا من رق الهوى ونجوا من الحساب والاهوال لنهدينهم سبلنا

اى لنظرفنهم الى مكاشفات العلوم ولنسمعنهم غرائب الفهوم ولنوصلنهم الى اقرب الطرق الينا لحسن
مجاهدتهم فينا ثم ختم الامر بقوله سبحانه وتعالى وان الله لمع المحسنين هذا مقام مشاهدة الصفات فكان
المجاهد فيه معهم اولا بالتوفيق فيه صبروا وابالتاييد وكان المحسن معهم آخر اليوم فيه لحسنوا الى نفوسهم غدا
وروينا عن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم علمان فعلم باطن فى القلب وهو العلم النافع وسئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن معنى قوله سبحانه وتعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ما هذا الشرح
قال هو التوسعة ان النور اذا قذف فى القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال بعض العارفين يا قلب ان انا
عصيته عصيت الله يعنى انه لا يقدح فيه الا طاعة ولا يقر فيه الا حق فقد صار رسوله اليه فاذا عصاه
فقد عصى المرسل يعنى الخبر الايمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل وبقوله المؤمن ينظر بنور الله فمن نظر بنور الله
كان على بصيرة من الله سبحانه وتعالى وكان عمله بنور طلعة الله سبحانه وتعالى وقال بعض العارفين منذ عشرين
سنة ما سكن قلبى الى نفسى ساعة وما ساكنته طرفة عين وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن اى شى هو
قال سر من سر الله عز وجل يقذفه فى قلوب احبائه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد روينا فيه خبرا مسندا
غنينا ان نسنده وقد جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال علمنى من غرائب العلم فقال هل عرفت الرب
سبحانه وتعالى فاخبر ان غرائب العلوم فى المعرفة وقد امر صلى الله عليه وسلم باصل العلوم الذى فيه غرائب الفهوم
فقال صلى الله عليه وسلم اقروا القرآن والتمسوا غرائبه يعنى تدبر معانيه واستنباط بواطنه اذ بكلامه عرفه
اولياؤه وقد قيل تكلموا تعرفوا فمن عرف معانى الكلام ووجوه الخطاب عرف بها معانى الصفات وغرائب
علوم اسماء الذات وقال ابن مسعود رضى الله عنه من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وقال اهل المعرفة
فى فهم هذه الآية ان الله يامر بالعدل والاحسان قال العدل تدبر القرآن وفهمه والاحسان مشاهدة الفهم
وفى تاويل قول على عليه السلم فى صفة العدل شاهد لقوله هذا فى حديثه الذى وصف به شعب الايمان فقال
الايمان على اربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد ثم قال والعدل على اربع شعب غائص الفهم وزهرة
العلم وروضة الحلم وشرائع الحكم فمن فهم فسر جمل العلم ومن علم عرف شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط امره
وعاش فى الناس حميدا وقال بعض المكاشفين ظهر لى الملك فسالنى ان املى عليه شيا من ذكرى الخفى عن
مشاهدى من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل نتقرب به الى الله سبحانه وتعالى
فقلت اليس تكتبان الفرائض قالا بلى قلت يكفيكما ذلك وحدثنا بعض العارفين قال سالت بعض الابدال
عن مسالة من مشاهدة علم اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول
رحمك الله ثم اطرق الى صدره فقال ما تقول رحمك الله ثم اجابنى اغرب جواب سمعته ولحلاه فقلت رايتك

التفت عن شمالك ويمينك ثم اقبلت على صدرك فما ذاك فقال سالتنى عن مسالة لم يكن عندى فيها علم عتيد
فالتفت الى صاحب الشمال فسالته عنها وظننت ان عنده منها علما فقال لا ادرى فسالت صاحب اليمين وهو اعلم
منه فقال لا ادرى فنظرت الى قلبى فسالته فحدثنى بما اجبتك فاذا هو اعلم منهما وقد كان ابو يزيد وغيره
رضى الله عنهم يقولون ليس العالم الذى يحفظ من كتاب فاذا نسى ما حفظ صار جاهلا انما العالم الذى ياخذ
علمه عن ربه عز وجل اى وقت شا بلا تحفظ ولا درس فهذا العمرى لا ينسى علمه وهو ذاكر ابدا لا يحتاج الى كتاب
وهو العالم الربانى وهذا هو وصف قلوب الابدال من الموقنين ليسوا واقفين مع حفظ انما هم قائمين بحافظ
وقد روينا فى الخبر ان من امتى محدثين ومكلمين وقرا ابن عباس وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث
يعنى الصديقين وهذا كان طريق السلف من الصحابة وخيار التابعين اذا سئلوا وقفوا او الهموا الصواب لقربهم
من حسن التوفيق وسلوكهم حقيقة محجة الطريق فخاطر اليقين اذا ورد على قلب موقن اضطره مشاهدته الى
القيام به وان خفى على غيره وحكم عليه بيانه وبرهانه بصحة دليله وان التبس على سواه وقد قال الله سبحانه وتعالى
فى تخصيص الموقنين قد بينا الآيات لقوم يوقنون هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون وقال سبحانه وتعالى
فى نعت المتقين وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
وقال عز وجل فى فضل العلماء بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم وقال سبحانه وتعالى قد فصلنا
الآيات لقوم يعلمون وقال عز وجل ولنبينه لقوم يعلمون فحقيقة العلم انما هو من التقوى واليقين وهذا
هو علم المعرفة المخصوص به المقربون وهب لهم الآيات وخصهم بالبيان والدلالات بما استحفظوا من
كتاب الله وكانوا عليه شهداء فهذه الخواطر تبدو فى القلب عن هذه الوسائط التى هى خزائن الله عز وجل
من خزائن الارض ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون والفقه صفة للقلب لا للسان
والعرب تقول فقهت بمعنى فهمت وابن عباس تفسير قوله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها يقول لا يفهمون بها
فجعل الفقه الفهم فخاطر اليقين والروح والملك من خزائن السموات وخاطر العقل والنفس والعدو من خزائن
الارض كما قيل النفس ترابية خلقت من الارض فهى تميل الى التراب والروح روحانى خلق من الملكوت فهو
يرتاح الى العلو والقلب خزانة من خزائن الملكوت مثله كالمراة تقدح هذه الخواطر عن اوساطها من خزائن الغيب
فتؤثر فى القلب فيتلالا فيه التاثير فمنها ما يقع فى سمع القلب فيكون فهما ومنها ما يقع فى بصر القلب فيكون نظرا
وهو لمشاهدة ومنها ما يقع فى لسان القلب فيكون كلاما وهو الذوق ومنها ما يقع فى سهم القلب فيكون علما
وهو الفكر وهو العقل المكتسب بتلقيح العقل الغريزى وهذا اقلها لبثا وايسرها غنا وما وقع فى باطن
القلب وحبته فخرق شغافه ووصل الى سويدائه وهو المباشرة كان وجدا وهذا هو الحال عن مقام المشاهدة

وان عثمن منهم

مطلب فى الفقه

ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم اسألك ايمانا يباشر قلبي وقال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب
كان العبد محبا للآخرة وللدنيا وكان مرة مع الله سبحانه وتعالى ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن
القلب ابغض العبد الدنيا وهجر هواه وقد قال عالمنا ابو محمد سهل رحمه الله للقلب تجويفان احدهما باطن
وفيه السمع والبصر وكان يسمى هذا قلب القلب والتجويف الآخر ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل في القلب
مثل النظر في العين هو صقال الموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد العين فاذا كانت هذه
الخواطر عن وسائط الهداة وهي الملك والروح كانت تقوى وهدى ورشدا وكانت من خزائن الخير ومفاتح الرحمة
قدحت في قلب العبد نورا وطيبا ادركه الحفظة وهم املاك اليمين فاثبتوها حسنات وان كانت الخواطر عن وسائط
الغواة وهم العدو والنفس كانت فجورا وضلالا وهي من خزائن الشر ومغاليق الاغراض قدحت في القلب ظلمة
ونتنا ادرك ذلك الحفظة من املاك الشمال فكتبوها سيئات وكان ذلك الهاما والقا من خالق النفس
ومسويها وجبار القلوب ومقلبها حكمة منه وعدلا لمن شاء ومنة منه وفضلا لمن احب كما قال الله سبحانه وتعالى
وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اي بالهداية صدقا لاوليائه ما وعدهم من ثوابه وبالاضلال عدلا على اعدائه
ما اعدلهم من عقابه ثم قال الله عز وجل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فهن جنوده منقادة لامره
وهو ملك جبار عزيز قهار تعالى منقاد الاشياء اذ كانت عن مباشرة لمشيئته وتطوع لقدرته فتنفذ
قدرته ارادته وتظهر حكمته افعاله اذا اراد شيئا قال له كن تخفى قدرته فكان بظاهر حكمته والرب
سبحانه وتعالى قادر على كل شيء بيده ملكوت كل شيء حكيم في كل شيء والعبد ضعيف عاجز جاهل ساكن
لا يقدر على شيء قد ابتلي بالاسباب ووقع عليه الحجاب وجعل مكانا للاحكام بالعقاب والثواب والاسباب
وسائط البلا والعبد موضع للابتلا والاول سبحانه هو المبتلي المريد المبدئ المعيد ويبتليكم فيما
تعلمون وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وليس يشهد العبد الا ما اشهد فلذلك تفاوت العباد في المشاهدة
ولا تستبين له الا ما ابين له واريد به فلذلك اختلفوا في الادلة فاذا اراد الله سبحانه وتعالى اظهار شيء
من خزائن الغيب حرك النفس بلطيف القدرة فتحركت باذنه فقدح من جوهرها بحركتها ظلمة نكتت في القلب
همة سوء فينظر العقل الى القلب وهو مراصد ينظر والقلوب له مبسوطة والنفوس لديه منشورة يرى
ما فيها مما كان من عمله المبتلى به المصرف فيه فاذا راى همة قد قدحت من النفس فاثرت ظلمة في القلب
طهر مكانه فنفى بذلك سلطانه والهمة ترد عن احد ثلاثة معان لا تحصى فروعها لان همة كل عبد
على قدر نعيته احدها هوى وهو عاجل حظ النفس او امنية وهذا عن الجهل الغريزي او دعوى حركة او
سكون وهو آفة العقل ومحنة القلب فاي هذه الثلاثة قدح في القلب فهو وسوسة نفس وخطور عدو

منسوب اليهما محكوم عليه بالذم ليست تصدر الا باحد ثلاثة اصول بجهل او غفلة او طلب فضول دنيا
وهي مما لا يعني ومضافات الى الدنيا واعمالها والافضل مجاهدة النفس والعدو عن امضائها وحبس
الجوارح عن السعي فيها ان كن من فضول الدنيا المباحات وان كن من هذه الثلاث وردن بمحرمات ففرض
عليه كف الجوارح عن السعي فيها فان امرج قلبه في ذكرها او نشر خطواته في طلبها كن حجابا بين قلبه وبين اليقين
وان كن وردن بمباحات ففضل له نفيها عن قلبه كيلا يكون قلبه وطنا للغفلات واصلهن
الابتلا من الله سبحانه وتعالى بالتقليب والامتحان منه في التصريف ولذلك خلق النفس والروح والموت
والحيوة وجعل ما على الارض زينة لها ليظهر احسن العمل بالزهد فيها وينظر كيف تعملون فان اراد الله سبحانه
وتعالى سلامة هذا العبد بعد ان اشفى على الهلاك والبعد بتسليط العدو عليه وتسويل النفس له نظر
القلب عند الابتلاء لهوى النفس بنور ايمانه الى الله سبحانه وتعالى فاسرع الالتجاء اليه والخفي التوكل عليه
عائذا لائذا به واضطر مخلصا له فهنالك توكل عليه فكان حسبه وعندما فوض اليه فوقاه مكر عدوه
وحينئذ اضطر اليه واتقاه فجعل له مخرجا ونجاه فينظر الله سبحانه وتعالى الى القلب نظرة تخمد النفس
وتمحى الهمة ويخنس العدو لسقوط مكانه ويذهب تخنسه شدة سلطانه فيصفو القلب من التاثير
بنور السراج المنير ويلبس من التحرز بقوة القهار العزيز فيخاف العبد مقام الرب سبحانه وتعالى
لصفا القلب عن نظر الرب عز وجل فيفزع من الخطيئة ويهرب او يستغفر منها ويتوب فيظهر عليه
شعار تقواه وان اراد الله عز وجل تبعيد هلكه وكان قد حكم عليه بوقوع الشر نظر القلب بعد الهمة
لهوى النفس الى العقل فرجع العقل الى النفس فسولت وطوعت فسكن العقل واطمأن الى تسويل النفس
وتطويعها فانشرح الصدر بالهوى لسكون العقل وانتشر الهوى في القلب لشرح الصدر وتوسعته فقوي
سلطان العدو لاتساع مكانه فاقبل بتزيينه وغروره وامانيه ووعده يوحي بذلك زخرفا من
القول غرورا فضعف سلطان الايمان لقوة سلطان العدو وخبا نور اليقين لاثارة ظلمة الهوى
فتقويت صفات النفس لضعف القلب واشتعلت نيران الشهوة بخبو نور الايمان فغلب الهوى لقوة الشهوة
فاحرقت الشهوة العلم والبيان فارتفع الحيا واستتر الايمان فظهرت المعصية لغلبة الهوى وارتفاع
الحيا وهذان المعنيان من ظهور الخير والشر والطاعة والمعصية لهذه الاسباب يوجدان في طرفة عين
فتصير اجزاء العبد جزءا واحدا ومفصلاته تعود بالمراد منه وصلا واحدا كالبرقة في السرعة بتقليب
القدرة عن المشيئة اذ قال له كن فيكون وان اراد الله سبحانه وتعالى اظهار خير والهام تقوى من خزائن الملكوت
حرك الروح بخفي اللطف فتحركت بامره فقدح من جوهرها نورا يسطع في القلب همة عالية وهمة الخير

توحد بالله معانٍ لا تحصى فروعها لأن كل عبدٍ همّته في الخير مبلغ علمه ومنتهى مقامه فأحد الأصول
مسارعة إلى أمرٍ بفرضٍ أو ندبٍ لفضلٍ يكون عن علم حال العبد أو علمٍ يكون فطنة له أظهره عليه
عن مكاشفة غيبٍ من ملكٍ أو ملكوتٍ والمعنى الثالث عمل مباحٍ من تصرّفٍ فيما يعني مما يعود صلاحه الثالث
عليه أو استراحة للنفس مما أبيح له يكون نفعه لغيره أو ترويحات من الأذكار لغلبة الغائص في البحار
يكون حملاً لكربه وتخفيفاً لثقله فهذه مرافق للعبيد وللأحرار من العبيد وحكمة من الحكيم وفي جملتها
رضاه وإمضاؤه إلا أن أفضل للعبيد وبعضها أفضل من بعض وهذه الأصول الستة من الخير والشر هي الفرق
بين لمّة الملك وبين لمّة العدو وبين إلهام التقوى وإلهام الفجور التي هي النية أو الوسوسة وهما الاختبار
أو الاختيار وقد يكون هذه المعاني مكاشفات مزيدٍ للعبد ينظر إلى الله سبحانه وتعالى منها ويجد الله عز وجل
بما أوجده عندها ويكون تعريفاً من الله سبحانه وتعالى يتعرّف إليه بها ويفتح له باب الأنس والشوق منها
ثم يتفاوت العباد في مشاهداتها على حسب علومهم في اليقين وعلى قدر قوتهم ومكانهم من التمكين إلا أن
أصول معاني الخير وأوسطها إلهام الملك والإلقاء في الروع وقوادح الأنوار في كتب الإيمان وفروعها الأخر
والعلم مما أمر به أو ندب إليه والمباح وأصول معاني الشر أضدادها ووسائطها النفس والعدو وأسبابها
الشهوة والهوى يظهرن عن الجهل ويوقعن الحجاب ويصدرن إلى العقاب فإذا أراد الله سبحانه وتعالى
لطفاً بخيرٍ من خزانة الروح حركها فسطعت نوراً في القلب فأثّرت فينظر الملك إلى القلب فيرى بالحدث
الله عز وجل فيه فيظهر مكانه فيتمكن على مثال فعل العدو في خزانة الشر وهي النفس والملك مجبول على
الهداية مطبوع على حب الطاعة كما العدو مجبول على الغواية مطبوع على حب المعصية فيلقي الملك
الإلهام وهو خطوره على القلب فيقدح خواطره بأمرٍ بتنفيذ ذلك ويحسّنه له ويحثه عليه وهذا
هو إلهام التقوى والرشد وينظر الملك إلى اليقين كما نظر العدو إلى النفس فيشهد اليقين للملك بذلك
فتطمئن العقل ويسكن إلى شهادة اليقين ويصير العقل الآن بإذن الله سبحانه وتعالى مع الملك بتأييد الله
عز وجل كما كان مع النفس أول مرة مطمئناً إليها فينشرح الصدر لطمأنينة العقل فيظهر أدلة العلم
لانشراح الصدر فيقوى سلطان اليقين بصفاء الإيمان وتندرج ظلمة الهوى في نور اليقين وتنطفي
شعلة الشهوة لظهور نور الإيمان وتزيّن الإيمان بزينته أيضاً فتضعف صفات النفس لسقوط الشهوة
ويقوى القلب لضعف النفس ويزيد الإيمان بقوة اليقين وظهور أدلة العلم فتغلب الهداية لمزيد الإيمان
ويلبسه أيضاً فتظهر الطاعة لغلبة الحق والله غالب على أمره ذكر نوع آخر من البيان
وقد يختلف اللمتان من الملك والعدو فيتفق وقت الإلهام والوسوسة في المعاني من الخير والشر فربما تقدمت

لمّة العدو بالأمر بالشر ويقدح بعدها لمّة الملك نصرة للعبد وتثبيتاً على الخير عناية من الرب
سبحانه وتعالى فينهى عن ذلك فعلى العبد أن يعصي الخاطر الأول ويطيع الثاني وقد يتقدم إلهام الملك بالأمر
بالخير ثم يقدح بعده خاطر العدو بالنهي عنه والتثبيط والإبطاء فيه بالتأخير محنة من الله عز وجل للعبد
لينظر كيف يعمل وحسداً من العدو فعليه أن يطيع الخاطر الأول ويعصي الخاطر الثاني ثم تدق الخواطر
من إلهام الملك بالخير ومن وسوسة العدو بالشر وقد يتفاوت ذلك من ضعف خاطر الخير لقوة الرغبة في
الدنيا ومن قوة خاطر الشر لقوة الشهوة والهوى وفي المزيد والنقص منهما والتقديم والتأخير لهما لتفاوت
الأحكام والإرادة من الحاكم ومن قبل تقليب القدرة وغرائب الأحكام بالمشيئة لأن له في خزانة الخير خزائن شر
إذا شاء وله في خزانة الشر خزائن خير إن الحب لمن يحب لئلا يسكن إلى سواه ولا يذل العبد بما منه أبداً فإذا
شهد العارف ذلك لم يقطع بخير ولم يذل به أبداً إلا أنه لا يأمن مكر الله سبحانه وتعالى بتقليب خزائن الخير من
خزائن الشر عليه أبداً ولم ييأس من شر أبداً لأنه يرجو بتقليب خزائن الشر من خزائن الخير فيكون بين الخوف والرجاء
ولا يدرك ذلك إلا بدقائق العلوم ولطائف الفهوم وغوامض الفطن وصفاء الأنوار من تعليم الرحيم الجبار
عز وجل فما كان العبد يجد بعد خطرة الشر خطرة خير ينهاه عنها فهو منظور إليه متدارك وهذا هو
الواعظ القائم في القلب والزاجر المؤيد للعقل وقد تترادف خواطر الشر من النفس والهوى ولا ينفعها خاطر
خير من الملك وهذا علامة البعد ونهاية قسوة القلب وقد تتتابع خواطر الخير والبر من الروح والملك ويعافى
العبد من خاطر الهوى والنفس وهذا علامة القرب وهو حال المقربين وقد ترد خواطر العدو ووساوسه
بالخير ابتلاء من الله سبحانه وتعالى لعبده وحيلة من العدو ومكراً من النفس يريد العدو بذلك الشر أو يخرجه
آخره إلى الإثم أو ليقطعه بذلك عن واجب أو يشغله به عن الأفضل في الحال فيكون ظاهره براً وباطنه إثماً
ويكون أوله خيراً وآخره شراً وبغية العدو من ذلك باطنه وآخره وشهوة النفس في ذلك هواها ومناها
قد لبّسا ظاهره بالخير تزييناً وموّها أوله بالبر تحسيناً وهذا من أدق ما يبتلى به العاملون ولا يعرف
بواطنه وسرائره إلا العالمون فأما خاطر الملك فلا يرد إلا بخيرٍ صريح وبرٍّ محض على كل حال إذا ورد
لأن الخداع والحيلة ليس من وصف الملائكة ولكن قد تنقطع خواطر الملك من القلب إذا اشتدت قسوته
ودامت معصيته من المبعدين فيخلى بين القلب وبين نوازغ العدو اللعين ويتخلى العدو بهوى النفس
فيستحوذ ويفتن بالعبد نعوذ بالله من إبعاده ومن عدم خيره وإرشاده ولا يزال العبد مع إلهام الملك
في مقام الإيمان فإذا رفع إلى مقامات اليقين تولاه الله سبحانه وتعالى بواسطة أنوار الروح فكان الروح
مكان إلقاء الحق سبحانه وتعالى حتى يرد عليه من الله عز وجل من الزوائد ما لا يطلع عليه الملك ولا يكون ذلك

حتى تفنى خواطر النفس بالهوى فلا يبقى منها باقية وتطوى النفس فتندرج في الروح فلا يظهر منها داعية
ثم يتولاه الله سبحانه وتعالى بنور اليقين فيسطع له نور اليقين من خزانة الغيب عما شفه الجبروت
فيشهد العبد شهادة الحق بالحق معاينة الغيب بفقد كونه ووجود كينونة المحجوب ولا يصلح بعد ذلك
كشفه إلا لأهله ولمن سأل عنه وهذا يكون في مقام التوحيد وهو أنصبة المقربين **ذكر** بيان آخر
من تفصيل المعاني وكل عمل وإن قل لا بد فيه من ثلاثة معان قد استأثر الله سبحانه وتعالى بتولها أولها
توفيق وهو الاتفاق أن يجمع بينك وبين الشيء ثم القوة وهو اسم لثبات الحركة التي هي أول الفعل ثم الصبر
وهو تمام الفعل الذي به يتم فقد رد الله سبحانه وتعالى هذه الأصول التي تظهر عنها كل عمل إليه فقال
سبحانه وتعالى وما توفيقي إلا بالله وقال عز وجل ما شاء الله لا قوة إلا بالله وقال جل وعلا واصبر وما صبرك
إلا بالله وقد أجمل الله سبحانه وتعالى ذكر تقليب الكون بمشيئته في قوله سبحانه وتعالى يقلب الله الليل والنهار
المعنى بما فيهما لأنهما ظرفان للأشياء فعبر عنهما بهما كقوله سبحانه وتعالى بل مكر الليل والنهار والمعنى
بل مكركم في الليل والنهار فعبر بهما عن مكرهم لأنهما مكانان لمكرهم وكذلك قوله سبحانه وتعالى وله ما سكن
في الليل والنهار فيها وجهان أحدهما أي ما أقام من السكنى والثاني ما سكن من السكون وإنما ذكر السكون
دون الحركة لأنه هو الأصل حتى يحرك وهو الأقرب إلى العجز والعدم والتحريك حادث جار بإحداث الله سبحانه
وتعالى وإجرائه ويجوز أيضا ذكر السكون ليستدل به على الحركة لأنه ضدها كما قال الله سبحانه وتعالى
سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم وهي أيضا تقي البرد فذكر أحد الوصفين ليستدل به على الآخر
وقال الله سبحانه وتعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم وكان قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ومقلب القلوب
لما شهد من عظيم القدرة ولطيف الصنع في التقليب ولما رأى من سرعة نفاذ القدرة بالمراد في التقلبات
مما لم يشهده سواه فجعله قسما له تعظيما لقدرة المحلوف به وخوفا من سابق العلم بالتقليب فكان صلى الله
عليه وسلم يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا وتخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلوب
بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وفي لفظ حديث آخر إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن
يزيغه أزاغه وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وفي خبر آخر
مثل القلب في تقلبه مثل القدر إذا استجمعت غليانا وفي الخبر المشهور مثل القلب كمثل ريشة
بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن فالقلب مكان للتقليب بما فيه من خزائن الغيب كالليل والنهار
مكان للأحكام بالتصريف من اختلاف الأزمان في الأوقات والإيمان بتقليب القلوب وبأن المقلب
يحول بين القلب وصاحبه واجب وقد قرنه الله سبحانه وتعالى بالإيمان بالبعث والأمر بهما في قوله سبحانه وتعالى

واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون وفسره ابن عباس رضي الله عنه فقال يحول بين
المؤمن وبين الكفر ويحول بين الكافر وبين الإيمان وقيل يحول بين العبد وبين الاستجابة لله وللرسول
وقيل يحول بين المؤمن وبين سوء الخاتمة وبين الكافر وبين حسن الخاتمة وقيل يحول بين المؤمن وبين أن
يلقيه في كبيرة يهلك فيها وبين المنافق وبين أن يوفقه لطاعة ينجو بها ويحول بين الموحد وبين الخاتمة
بالتوحيد وهذه مخاوف للمؤمنين بتحقيق الوعيد وكذلك الكون بأسره عند الموحدين في القدرة بالتقليب
كمثل ريشة في ريح عاصف تقلبه القدرة على مشيئة القادر وليس في القدرة ترتيب ولا مسافة ولا بعد ولا
يحتاج إلى زمان ولا مكان فما ظهر من الملك وثبت للعيون بمكان وزمان فلأجل الحكمة والصنع والإتقان
وما خفي من الملكوت وتقلب ببصائر القلوب فبلطيف القدرة وقهر السلطان ونصيب كل عبد من
مشاهدة القدرة بقدر نصيبه من التوحيد ونصيبه من التوحيد حسب قسمه من اليقين وقسمه من اليقين
على قدر قربه من القريب وقربه على حسب قرب الله سبحانه وتعالى من قلبه وقرب الله تعالى منه بقدر علمه بالله
عز وجل واتساعه في العلم بالله عز وجل على نحو مكانه من مزيد الإيمان ومزيد إيمانه على قدر إحسان الله
سبحانه وتعالى إليه وإحسانه إليه على قدر عنايته به وإيثاره له وعلم الله سبحانه وتعالى من وراء ذلك
وذاك سر القدر المحجوب المخزون ونصيب كل عبد من الجهل بقدر نصيبه من الغفلة ونصيبه من الغفلة
على حسب حبه للدنيا وحبه للدنيا على قدر قوة الهوى وقوته في الهوى على قدر غلبة سلطان النفس
ونشر صفاتها عليه وقوة صفات النفس على قدر ضعف اليقين وضعف يقينه عن ذائقة الحجاب وبعد
البعد بينه وبين الله سبحانه وتعالى والحجاب والبعد ميراثه الكبر وقسوة القلب والقسوة تورث الانهماك
في المعاصي وإدمان المعاصي عن الإعراض والمقت والإعراض من قلة عناية المولى سبحانه وتعالى بعبده
وسوء نظره له ومن وراء ذلك سر القدر الذي به عز الخلق قد استأثر فهذه الأوصاف المذمومة
العبد مبتلى بها على تضاد تلك الصفات المحمودة التي هي من المنعم سبحانه وتعالى بها ولكل وجهة هو
موليها ومكان الهوى من القلب على قدر تزيين الشيطان له وتسلطه عليه فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره
للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن
ذا الذي ينصركم من بعده وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله
فإذا كان الهادي هو المضل فمن يهدي وقد قال الله سبحانه وتعالى فإن الله لا يهدي من يضل أي فإن
الله عز وجل من شأنه أن أحدا لا يهدي من أضله ومن كان أضله الله سبحانه وتعالى في سابق علمه فكيف
يهديه الآن لذلك قال في الحرف الآخر فإن الله لا يهدي من يضل فإذا كان المعطي هو المانع فمن يعطي

ولو كان الخير كله في قلب عبد ما قدر أن يوصل إلى قلبه من قلبه ذرة ولا استطاع أن ينفع نفسه بنفسه خردلة لأن قلبه وإن كان جارحته فهو خزانته وله فيه ما لا يعلمه هو فهو لا يطلع على ما فيه كما قال معجبا لمن جهله وضلله أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا فكيف به أن يملك ما فيه فيصرفه بما يحب وقد قال صلى الله عليه وسلم سبحان مصرف القلوب وقد خاطب الله سبحانه وتعالى سيد البشر وأمره أن يخبر فقال قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ثم قال بعد ذلك قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا فإذا كان المالك عزيزا جبارا وكان كل شيء بيده لم يوصل إلى ما عنده بقوة ولا حيلة فليس الطريق إليه إلا الصدق والإخلاص والذل والافتقار وقد حجب العقل المكيد عن النظر إلى المبدئ المعيد بما أظهر له من صورته وحركته فستره ذلك عن الأول المصور وعن القادر المحرك فادعى عن نظره إلى حركته وسكونه التي هي حجبه عن المحرك الغيب إذ ادعى الحركة والسكون بنفسه لوقوف نظره على نفسه إذ كان مشهودا وعمي عن النظر إلى الشاهد المحرك المسكن لبعد مقامه لأنه غيب من وراء الحركة والغيب لا يشهد إلا بغيب وهو اليقين كما لا تدرك الشهادة إلا بشهادة وهي العين فمن عمي بصره لم ير من الملك شيئا كذلك من حجب قلبه لم ير من الملكوت شيئا فلعدم اليقين عمي عن المشاهدة ولا يقاع الحجبة والحجاب أدرك بالمعقول الشهادة ولو كان من أولي الأبصار اعتبر الحركة الغيبية بالمتحرك المشاهد فيها لأن الحركة غيب في الجسم ظهر عنها المتحرك فأظهر سبحانه وتعالى المتحرك وأخفى الحركة فيه وأظهر الصنعة وأخفى الصنع فيها لتفصيل حكمته كذلك الصانع ذو الصنعة الأول والحاكم الأعلى ذو الحكم الأغلب غيب الحركة التي أخفاها هو من ورائها بلطائف القدرة فشهد المعقول منها ما أشهد مما أظهر له ووجه به لأنه معقول عليه محدود له وعمي عما غيب عنه لفقد اليقين منه فعندها ادعى الحركة والسكون للشاهد فحجبه ذلك عن الشهيد وشهد الموحد شهادة التوحيد فوحد لما كشف له الملكوت بنور اليقين فأفرد وقد قال بعض العارفين من نظر في توحيده إلى عقله لم ينجه توحيده من النار ومن كان توحيده في الدنيا معلقا بمعقوله لم يحمل توحيده معه إلى القبر أحسب هذا الإيمان الذي يقال أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فما زاد على هذا المقدار فهو متصل باليقين وهو مؤيد بالروح يمده روح الثابت فلا ينطفي فهو المزحزح عن النار وقد قال بعض علمائنا من ظن أنه يصل إلى الله بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله عز وجل بنفسه وكل إلى نفسه ثم إن الخلق محجوبون بعد هذا الحجاب بثلاثة حجب بعضها أكثف من بعض أولها وسائط وأسباب معترضة وشهوات جاذبة وعادات راجحة صادة فالأسباب توقفهم والشهوات تجذبهم والعادات تردهم فأي هذه الحجب ظهر في القلب وبعضها أشد من بعض فهو

في مكان العدو أوسع من مكان فتمكن سلطانه على قدر سعة مكانه فقوة النفس تزيين العدو وسؤالات بتأميله فملكت العبد ملكا أشد ملك فإذا ملكت النفس العبد كان مملوكها وأسيرها وكان الهوى أميره فاستهواه الشيطان حينئذ بالغواية والإضلال واستحوذ عليه بمعاني المشاركة في الأولاد والأموال فشغله بذلك عن الله سبحانه وتعالى وأنساه ذكر الله وهذا هو الاقتران الذي ذمه الله سبحانه وتعالى في قوله ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وهو فوق النزغ والهمز والخاطر بعد الهمة هو خطور العدو على القلب بوسوسة تزيين الهمة وتملي للعبد ترجيه وتفسح له في أمله وتمنيه التوبة حتى يهون عليه المعصية ويعدها بعدة المغفرة حتى يجسر على الخطيئة وهذا هو الوعد بالغرور ويعده الهلاك والثبور كما قال يعدهم أي التوبة ويمنيهم المغفرة وما يعدهم الشيطان إلا غرورا وهذا كله تصديق ظن العدو بالعبد واتباع العبد له بالهوى عن مقام البعد وكشف لعلم الله عز وجل بإظهار الحكم وإنفاذ المشيئة وهو الابتلاء بالأسباب فصار العدو سببا لقوله عز وجل ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ثم أحكم ذلك بسابق علمه سبحانه وتعالى فقال عز وجل وما كان له عليهم من سلطان يعني بحوله وقوته ولا قهر ولا مشيئة إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك أي لنرى وقيل لنعلم العلم الذي نجازي عليه بالثواب والعقاب وقيل لنختبر ونكشف وقيل ليعلم المؤمنون ذلك فيستبين لهم ويعلم من عمل تلك الأعمال التي ظهرت منه فوقع عليه بذلك الحجة وتبين له كذبه كما قال الله عز وجل فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فعلى هذه المعاني مجاز كل ما في كتاب الله سبحانه وتعالى من قوله لنعلم وحتى نعلم إذ كان علمه قد سبق المعلومات وإذ كانت الأشياء عن علمه بعلمه جاريات فجعل تسليط العدو وسلطانه كشفا وإظهارا لما أخفاه من سابق علمه كما جعل أفعال العباد ظاهرة كشفا وإظهارا لما أخفاه من إرادته الباطنة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق العلم وجف القلم وقضي القضاء وتم القدر بالسعادة من الله عز وجل لأهل طاعته والشقاء من الله عز وجل لأهل معصيته

ذكر تقسيم الخواطر وتفصيل أسمائها

فأما تسمية جمل الخواطر فما وقع في القلب من عمل الخير فهو إلهام وما وقع من عمل الشر فهو وسواس وما وقع في القلب من المخاوف فهو إيجاس وما كان من تقدير الخير وتأميله فهو نية وما كان من تدبير الأمور المباحات وترجيها والطمع فيها فهو أمل وأمنية وما كان من تذكر الآخرة والوعد والوعيد فهو ذكر وفكر وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو مشاهدة وما كان من تحدث النفس بمعاشها وتصريف أحوالها فهو هم وما كان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو لمم ويسمى جميع ذلك خواطر لأنه خطور همة نفس أو خطور عدو بحديث أو خطرة ملك بهمس.

ثم ان ترتيب الخواطر المنتشئة من خزائن الغيب القادحة في القلب على ستة معان هي حدود الشيء
المظهر الثلاثة منها معفوة وثلاثة مطالب بها فاول ذلك الهمة وهو ما يبدو من وسوسة النفس بالشيء
يجده العبد بالحس كالبرقة فان صرفها بالذكر امتحت وان تركها بالغفلة كانت خطرة وهو خطور
العدو بالشيء من وان نفى الخاطر ذهب وان ونى عنه قوي فصار وسوسة وهذا محادثة النفس للعدو
واصغاؤها اليه فان نفى العبد هذه الوسوسة بذكر الله عز وجل خنس العدو وضعفت النفس وهذه الثلاثة
معفوة برحمة الله عز وجل غير مواخذ بها العبد فان امرج العبد النفس في محادثة العدو وطاولت النفس
العدو بالاصغاء والمحادثة قويت الوسوسة فصارت نية فان ابدل العبد هذه النية بنية خير او
استغفر منها وتاب والا قويت فصارت عقدا فان حل هذا العقد بالتوبة وهو الاصرار والا قوي
فصار عزما وهو القصد وهذه الثلاثة من اعمال القلوب ماخوذ بها العبد ومسؤول عنها فان تداركه الله
عز وجل برحمته بعد العزم والا تمكن العزم فصار طلبا وسعيا وظهر الحمل على الجوارح من خزائن الغيب
والملكوت فصار من اعمال الجسم في خزائن الملك والشهادة فهذه المعاني توجد من اعمال البر والاثم
فما كان منها من البر همة ونية وعزما كان محسوبا للعبد في باب النيات مكتوبا له في ديوان الارادات
له به حسنات وما كان منها من الشر نية وعقدا وعزما فعلى العبد فيه مواخذة من باب اعمال القلوب
ونيات السوء وعقود المعاصي وليس شيء مجانسا للعدو ومواخيا له الا النفس جمع الله سبحانه وتعالى
بينهما في الوسوسة بقوله عز وجل الوسواس الخناس وقوله عز وجل ونعلم ما توسوس به نفسه وكل شيء
خلقه الله سبحانه فله مثل وضد فمثل النفس الشيطان وضدهما الروح ثم ان اعمال الجوارح من
النوعين الطاعة والمعصية اعظم في الاجر والوزر منها الا ما ياتي ان يعمله بظاهر الجسم من شهادة
التوحيد او وجود شك او كفر او اعتقاد بدعة

باب آخر من البيان والتفصيل

فاما ما كان من زاجر يلوح في القلب من معصية ثم ينقلب فلا يلبث فهذا نزغ من قبل العدو وما
كان في القلب من هوى ثابت او حال مزعج دائم لابث فهو من قبل النفس الامارة بطبعها او مطالبة
منها بسوء عاداتها وما ورد على العبد من همة بخطيئة ووجد العبد فيه كراهتها فالورود من قبل
العدو والكراهة من قبل الايمان وما وجد العبد وجدا بهوى او معصية ثم ورد عليه المنع من
ذلك فالوجد من النفس والوارد بالمنع من الملك وما وجده العبد من فكرة في عاقبة دنيا او تدبير
للحال او نظر المعهود فهذا من قبل العقل وما وجد من خوف او رجاء او ورع او زهد او من شان
الآخرة فهذا عن الايمان وما شهده القلب من تعظيم او هيبة او اجلال او قرب فهذا من اليقين

وهو مزيد من الايمان واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه كما قال صاحبنا الامر اعوذ بك منك وانما
هو في تفصيل الحدود واظهار الاحكام واحكام العلم كما قال سبحانه وتعالى وكل شيء فصلناه تفصيلا
وقال عز وجل قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وليس في التوحيد تفصيل ولا في المشاهدة تفكر ولا في
الاشارة عبارة ولا في القدرة ترتيب ولكن لا بد من علم التفصيل لانه عن التوحيد وهو التفرقة بلسان
الشرع عن غير الجمع لاظهار الطرق واستبانة السبل وتطريق السالكين وترتيب العاملين ليهلك من هلك غير
عن بينة ويحيى من حي عن بينة والله غالب على امره وقد فصل بعض العلماء اعمال العباد وفرق بين
الامر والارادة فقال ان اعمال العباد لا تخلو من ثلاثة انواع فرض وفضل ومعصية قال فنقول ان الفرض
بامر الله عز وجل ومحبة الله ومشيئة الله تجتمع هذه المعاني الثلاثة في الفرائض قال ونقول ان النفل
لا بامر الله به لانه لم يوجبه ولا يعاقب على تركه ولكن بمحبة الله ومشيئته سبحانه وتعالى قال ونقول ان
المعصية لا بامر الله لانه لم يشرعها على السنة الرسل ولا بمحبة الله لانه قد كرهها اذ لم يامر بها ولم
يندب اليها ولكن بمشيئة الله عز وجل اذ لا يخرج شيء من ارادته كما لا يخرج شيء من علمه والارادة
والمشيئة اسمان لمعنى واحد فقد دخل كل شيء فيها كما دخل كل شيء في العلم والله عز وجل عالم بما اراده
قد سبق علمه به كذلك هو مريد لما علمه اظهرت ارادته سابق علمه وكشف علمه الغيب بظهور ارادته
الشهادة فهو عالم الغيب والشهادة فالغيب علمه والشهادة معلومه فكيف يخالف المعلوم العلم
وهو اجراه والارادة تنفذ العلم في معلومات الخلق وهذا فرض التوحيد فخرجت النوافل عن الامر
وخرجت المعاصي عن المحبة في تفصيل الاحكام وتبيين الحلال والحرام ولم تخرج معصية عن مشيئته مشيئته
وقد قال الله سبحانه وتعالى وكل صغير وكبير مستطر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقضاء
وقدر حتى العجز والكيس فذكر عرضين لطيفين هما سبب المنع والعطاء وقد فرق علماؤنا بين الامر
والارادة فرقا لطيفا فحدثني بعض اصحابنا انه سئل عن الله سبحانه وتعالى لما امر ابليس بالسجود لآدم
اراد منه ذلك ام لا فقال اراده له ولم يرده منه يعني اراده له شرعا وعليه ايجابا ولم يرده منه
وقوعا ولا كونا اذ لو اراد كونه لكان ولو اراده فعلا لوقع لقوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون فلما لم يكن علمت انه لم يرده فقد كان الامر منه ارادته بالتكليف والتعبد
وارادته بان لا يسجد فلم يقدر ان يمتنع من ان لا يسجد كما لم يقدر ان يمتنع من ان يؤمر وكذلك
القول في نهيه آدم صلى الله عليه وسلم عن اكل الشجرة انما اراد الاكل منه ولم يرده له اي اراده وقوعا
وكونا لانه قد وجد وكان لقوله اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فلما كان علمت انه اراده ولم يرده
شرعا

ولا امرا لانه لم يأمره به ولا شرعه له فقد كان الامران جميعا ارادة ان يكون العبد مكلفا مأمورا او ارادة
الاكل لانه قد كان وكذلك القول في كل ما امر به او اراده انه اراد الامر والنهي لهم ليكونوا مكلفين متعبدين
ولم يرده منهم اذ لم يكن منه الائتمار والانتهاء انه قال الله سبحانه وتعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون فاخبر انه اذا اراد شيئا كونه كما انه اذا كون شيئا فقد اراده بدلالة كونه فلما لم يكن الامر
من العاصين علمنا انه لم يرده اذ لو اراده كان ولما كان النهي من المأمورين علمنا ارادة كونه اذ لو لم يرده
لم يكن فصار كون الشيء دليلا على ارادته وقد وقعت ارادته بالامر والنهي فكان الكل مأمورين منهيين ولم
يقع الفعل من الكل لانه لم يرد وقوعه اذ لو اراده كان وهذا اصل الابتلاء وارادة ظهور الابتلاء يأمر الله سبحانه
وتعالى بالشيء ويريد كون ضده وقد اراد الامر به حسب وينهى عن الشيء ويريد كونه وقد اراد النهي
عنه فقط وقد كان عالمنا ابو الحسن رضي الله عنه يتكلم في علم الامر والجبر وفي علم الابتلاء والقهر بمعان
لا يهتدي اليها اهل اليوم ولا يسأل عنها احد اي يظهر الامر بالقول ويظهر النهي بالفعل ويظهر الاحكام لوقوع
البلاء ويقهر الجوارح بالجبر على ارادته للابتلاء وقد فرق الحسن البصري رضي الله عنه قبله وهو امامنا في
هذا العلم بين التعذيب على جريان العلم ومخالفة الامر لما بلغه ان عمرو بن عبيد وهو امام المعتزلة اليوم واليه
نسبوا لما اعتزل الحسن بعد ان صحبه ولم يختم له بصحبته بلغه انه يقول ان الله سبحانه وتعالى لا يقضي
بالشيء ثم يعذب عليه فقال ويلك ان الله عز وجل لا يعذب على جريان حكمه وانما يعذب على مخالفة امره
تفسير ذلك ان ما حكم الله عز وجل منفردا به لم يجعل فيه امرا ولا نهيا لا يعذب عليه لانه لم يجعل للعبد
مدخلا فيه بشهوة ولا فعل وان ما قضاه على العبد مما ادخله فيه بقصده وشهوته عذبه عليه وهذا من
شؤم النفس وتكدير الخلق انها اذا دخلت في شيء انقلب عليها شرا والامة مجمعة على قول ما شاء الله كان وما
لم يشأ لم يكن واجمعت على قول لا حول ولا قوة الا بالله وهذا عام في كل شيء ليس في بعض الاشياء دون بعض
والحول في اللغة هو الحركة والعرب تقول للشخص يبدو من بعيد تظن انه انسان او صخرة او شجرة انظر
اليه فان كان يحول فهو انسان اي تحرك والقوة هي الثبات بعد الحركة وهو اول الصبر حتى يظهر الفعل بقوة
الله سبحانه وتعالى وقد روينا في تفسير ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حول عن معصية الله الا بعصمة
الله عز وجل ولا قوة على طاعة الله سبحانه وتعالى الا بعون الله وهذا التفصيل في هذه المعاني من الاحكام
هو ظاهر العلم وفرض القدر وفحوى التنزيل والشرع والجبر للملك الجبار سبحانه وتعالى يجبر خلقه على ما شاء
كما خلقهم لما شاء ويردهم الى ما شاء كما ينشئهم فيما شاء فالحكم لله العلي الكبير الواحد القهار يقهر عباده
كيف شاء ويجري عليهم ما شاء وله الحجة البالغة والعزة القاهرة والقدرة النافذة والمشيئة السابقة

بوصف

بوصف الربوبية وبحكم الجبرية وعليهم الاستسلام والانقياد والطاعة والاجتهاد طوعا وكرها
بوصف العبودية وبحق المملكة ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم ان تعذبهم فانهم عبادك وعلى الله
قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين لله الامر من قبل ومن بعد

كتاب العلم وتفصيله واوصاف العلماء والفرق بين العلم الظاهر والباطن وبين علماء الدنيا وعلماء الآخرة وفضل اهل المعرفة على علماء الظاهر

ذكر معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم طلب
العلم فريضة على كل مسلم وفي الحديث الآخر اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة قال عالمنا
ابو محمد سهل رحمه الله اراد بذلك علم الحال يعني علم حال العبد في مقامه الذي اقيم فيه بان يعلم حكم حاله الذي
بينه وبين الله سبحانه وتعالى في دنياه وآخرته خاصة فيقوم باحكام الله سبحانه وتعالى عليه في ذلك وقال
بعض العارفين معناه طلب علم الوقت وقيام العبد بحكم ساعته وما يقتضي منه في كل ساعة من نهار وقال
بعض علماء الشام انما عنى به طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس ووساوسها ومعرفة مكائد العدو
وخدعه وغروره ومكره وما يصلح الاعمال ويفسدها فريضة كله من حيث كان الاخلاص في الاعمال فريضة
ومن حيث اعلم بعداوة ابليس ثم امر بمعاداته وذهب الى هذا القول عبد الرحيم بن يحيى ومن تابعه وقال
بعض البصريين معناه طلب علم القلب ومعرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لانها رسل الله عز وجل الى العبد
ووساوس العدو والنفس فيستجيب لله بتنفيذ ما منه ومنها ابتلاء من الله سبحانه وتعالى للعبد واختبار
يقتضيه مجاهدة نفسه في نفيها ولانها اول النية التي هي اول كل عمل وعنها تظهر الافعال وعلى قدرها
تضاعف الاعمال فيحتاج ان نفرق بين لمة الملك ولمة العدو وبين خاطر الروح ووسوسة النفس وبين
علم اليقين وقوادح العقل ليميز بذلك الاحكام وهذا عند هؤلاء فريضة وهو مذهب مالك بن دينار
وفرقد السبخي وعبد الواحد بن زيد واتباعهم من النساك رضي الله عنهم وقد كان استاذهم الحسن
البصري رضي الله عنه يتكلم في ذلك وعنه حملوا علوم القلب وقال عباد اهل الشام معناه طلب الحلال علم
فريضة اذ قد امر الله سبحانه وتعالى به واجمع المسلمون على تفسيق آكل الحرام وقد جاء في خبر مفسر طلب
الحلال فريضة بعد الفريضة ومال الى هذا القول ابراهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط ووهيب بن الورد
وشعيب بن حرب رضي الله عنهم وقال بعض هذه الطائفة من اهل المعرفة معناه طلب علم الباطن فريضة
على اهله وقال بعض هذه الطائفة من اهل المعرفة وهذا مخصوص لاهل القلوب ممن استعمل به واقتضى
منه دون غيرهم من عوام المسلمين ولانه قد جاء في لفظ الحديث الآخر تعلموا اليقين فمعناه اطلبوا علم اليقين
وعلم اليقين لا يوجد الا عند الموقنين وهو من اعمال الموقنين مخصوص في قلوب العارفين وهو العلم النافع

الذي هو حال العبد عند الله سبحانه وتعالى ومقامه من الله عز وجل كما شهد له الخبر الآخر في قوله وعلم باطن
في القلب وهو العلم النافع فهذا تفسير ما اجمل في غيره وقال جندب كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمنا
الايمان ثم تعلمنا القران فازددنا ايمانا وسياتي قوم يتعلمون القرآن قبل الايمان يعني تعلمنا علم الايمان
وهذا مذهب نساك البصرة وقال بعض السلف انما معناه طلب علم ما لا يسع جهله من علم التوحيد
واصول الامر والنهي والفرق بين الحلال والحرام اذ لا غاية لسائر العلوم بعد ذلك وكلها يقع عليه اسم العلم
من حيث هي معلومات ثم قد اجمعوا ان ليس تعلم ما زاد على ما ذكرناه فرضا وانما فيه فضل او ندب وقال
بعض فقهاء الكوفة معناه طلب علم البيع والشرى والنكاح والطلاق اذا اراد الدخول فيه افترض عليه مع
دخوله فيه طلب علمه لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يتجر في سوقنا هذه الا من تفقه والا اكل
الربا شاء ام ابى وكما قيل تفقه ثم اتجر وقال بهذا سفيان الثوري وابو حنيفة واصحابهما وقال بعض المتقدمين
من علماء خراسان هو ان يكون الرجل في منزله فيريد ان يعمل شيئا من امور الدين او يخطر على قلبه مسلة فيها
لله سبحانه وتعالى حكم او تعبد وعلى العبد في ذلك اعتقاد او عمل فلا يسعه ان يسكت على ذلك ولا يجوز
له ان يعمل فيه برايه ولا يحكم بهواه فعليه ان يلبس نعله ويخرج فيسال عن اعلم اهل بلده فيساله عن ذلك
عند النازلة فهذا فريضة وحكي هذا القول عن ابن المبارك وبعض اصحاب الحديث وقال آخرون يعني طلب
علم التوحيد فرض وانما اختلفوا في كيفية الطلب وماهية الاصابة فمنهم من قال من طريق الاستدلال
والاعتبار ومنهم من قال من طريق البحث والنظر ومنهم من قال من طريق التوقيف والاثر وقالت طائفة من
هولاء انما اراد طلب علم الشبهات والمشكلات اذا سمعها العبد وابتلي بها وقد كان يسعه ترك الطلب
اذا كان غافلا عنها على اصل التسليم ومعتقد جميع المسلمين لا يقع في وهمه ولا يحيك في صدره شي من
الشبهات فيسعه ترك البحث فاذا وقع في سمعه شي من ذلك وقر في قلبه ولم يكن عنده تفصيل ذلك
وقطعه ومعرفة تمييز حقه من باطله لم يحل له ان يسكت عليه لئلا يعتقد باطلا او ينفي حقا فافترض
عليه طلب علم ذلك من العلماء به فيستكشفه حتى يكون على يقين من امره فيعتقد من ذلك الحق وينفي
الباطل ولا يقعد عن الطلب فيكون مقيما على شبهة فيتبع الهوى او يكون شاكا في الدين فيعدل
عن طريق المومنين او يعتقد بدعة فيخرج بذلك عن السنة ومذهب الجماعة وهو لا يعلم ولهذا المعنى
كان ابو بكر رضي الله عنه يقول في دعائه اللهم ارنا الحق حقا فنتبعه وارنا الباطل باطلا فنجتنبه
ولا تجعل ذلك متشابها علينا فنتبع الهوى وهذا مذهب ابي ثور وابرهيم بن خالد الكلبي وداود بن علي
والحسين الكرابيسي والحارث بن اسد المحاسبي ومن تابعهم من المتكلمين فهذه اقوال العلماء في معنى هذا

الخبر

الخبر حكينا ذلك عن علمائنا بمذهبهم على معنى مذهب كل طائفة واحتججنا لكل قول في الالفاظ لنا والمعنى
لهم وهذا كله حسن ومحتمل وهولاء كلهم وان اختلفوا في تفسير الحديث بالالفاظ فانهم متقاربون في المعنى
الا اهل الظاهر منهم فانهم حملوه على ما يعلمون واهل الباطن تاولوه على علمهم ولعمري ان الظاهر والباطن
علمان لا يستغني احدهما عن صاحبه بمنزلة الاسلام والايمان مرتبط كل واحد منهما بالآخر وكالجسم والقلب
لا ينفك احدهما من صاحبه وهولاء المختلفون في الاقوال مجمعون انه صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك طلب
علم الاقضية والفتاوي ولا علم الاختلاف والمذاهب ولا كتب الاحاديث مما لا يتعين فرضه وان كان الله سبحانه
وتعالى لا يخلي من ذلك من يقيمه ويحفظه والذي عندي في حقيقة معنى هذا الخبر والله اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم
طلب العلم فريضة يعني علم الفرائض الخمس التي بني الاسلام عليها من حيث لم تفترض على المسلمين غيرها ثم ان
العمل لا يصح الا بعلمه فاول العمل العلم به فصار علم العمل فرضا من حيث افترض العمل فلما لم يكن على المسلم
فرض من الاعمال الا هذه الخمس صار طلب علم هذه الخمس فرضا لانه فرض الفرض وعلم التوحيد داخل فيها
لانه في اولها من قوله شهادة ان لا اله الا الله باثبات صفاته المتصلة بذاته ونفي صفات سواه المنفصلة
عنه كله داخل في علم شهادة ان لا اله الا الله وعلم الاخلاص داخل في صحة الاسلام اذ لا يكون مسلما الا باخلاص
العمل لقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله سبحانه وتعالى فقبل به واشترطه
للاسلام والاصل في هذا انه لم يرد صلى الله عليه وسلم علم كل ما جاز ان يكون معلوما باجماع الامة انه لم يعن
بذلك علم الطب والنجوم ولا علم النحو والشعر والمقادير وهذه تسمى علوما لانها تكون معلومة ولاربابها
علما بها الا ان الشرع لم يرد بالامر بمقتضاها والامة مجمعة ايضا انه لم يرد بذلك علم الفتيا والقضاء
ولا علم افتراق المذاهب واختلاف الآراء وهذه تسمى علوما عند اهلها وبعضها فرض على الكفاية وكلها
ساقطة عن الاعيان واخرجها بلفظ العموم بذكر الكلية وبمعنى الاسم فقال طلب العلم فريضة ثم قال على كل مسلم
بعد قوله طلب العلم فكان هذا على الاعيان فكانه على ما وقع عليه اسم العلم ومعناه المعهود المعروف بادخال حرف
التعريف عليه فاشير بالالف واللام اليه فاذا بطلت هذه الوجوه صح ان قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة
على كل مسلم اي طلب علم ما بني الاسلام عليه وافترض على المسلمين عمله فريضة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي
حين ساله اخبرني ماذا افترض الله سبحانه وتعالى علي وفي لفظ آخر اخبرنا بالذي ارسلك الله سبحانه وتعالى الينا
فاخبره بالشهادة والصلوات الخمس والزكوة وصوم شهر رمضان وحج البيت فقال هل علي غير هذا فقال لا
الا ان تطوع فقال والله لا ازيد عليه شيئا ولا انقص منه شيئا فقال افلح ودخل الجنة ان صدق فكان
علم هذه الخمس المفترضة فريضة من حيث كان عمله فريضة اذ لا عمل الا بعلم وقد قال الله سبحانه وتعالى

الا من شهد بالحق وهم يعلمون وقال في مثله حتى تعلموا ما تقولون وقال هل عندكم من علم فتخرجوه لنا
ان تتبعون الا الظن وقال بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وقال سبحانه وتعالى
ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وقال سبحانه وتعالى فاعلموا انما
انزل بعلم الله وان لا اله الا هو وقال عز وجل فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فهذه الآي افترض
الله سبحانه وتعالى فيها طلب العلم وذلك الخبر الذي جا في ابنية الاسلام الخمسة افترض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه هذه الاعمال ثم قال مجملا طلب العلم فريضة ثم وكده بقوله على كل مسلم فكان تفسير ذلك وتفصيله
ان علم هذه الخمس التي هي ابنية الاسلام فرض اجل فرضها وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق
انه مر برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر والانساب
وايام العرب فقال هذا علم لا يضر جهله وفي لفظ آخر قال علم لا ينفع وجهل لا يضر وروينا في
خبر ان من العلم جهلا وان من القول عيالا وفي خبر آخر قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وفي خبر
غريب كل شي يحتاج الى علم والعلم يحتاج الى التوفيق والخبر المشهور اعوذ بك من علم لا ينفع فسماه علما
اذ له معلوم واذا صحابه علما عند اصحابهم ثم ذم المنفعة عنه واستعاذ منه وقد روينا في
خبر ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم قلنا يا رسول الله كيف يسبقنا بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل
حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل ففي هذا الخبر دليلان احدهما انه اريد
به طلب فضول العلم الذي لا نفع فيه في الآخرة ولا قربة في طلبه من الله سبحانه وتعالى والثاني ان العلم
المفضل المندوب اليه انما هو الذي يقتضي العمل لان النبي صلى الله عليه وسلم لا يامر بعمل بغير علم ولا يكره
طلب علم للعمل به الا تسمع الى قوله صلى الله عليه وسلم في الخبر الآخر فضل من علم احب الي من فضل من عمل
وخير دينكم الورع ذكر فضل علم المعرفة واليقين على سائر العلوم وكشف طرائق علما السلف
الصالح م قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوف من صحابته كلهم علما بالله فقها عن الله سبحانه
وتعالى اهل رضوان من الله عز وجل ولم ينصب نفسه للفتيا ولا حملت عنه الاحكام والقضايا الا بضعة عشر
رجلا وكان ابن عمر رضي الله عنهما اذا سئل عن الفتيا قال اذهب الى الامير الذي تقلد امور الناس
فضعها في عنقه وروي ذلك عن انس ثم عن جماعة من الصحابة والتابعين باحسان وكان ابن مسعود
رضي الله عنه يقول ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسال
عن عشر مسائل فيجيب عن مسالة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنه على ضد ذلك كان يسال
عن عشرة فيجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان من الفقها من يقول لا ادري اكثر مما يقول

ادري منهم سفيان الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث وكانوا في
مجالسهم يجيبون عن بعض ويسكتون في بعض ولم يكونوا يجيبون عن كل ما يسالون عنه وروينا
عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما منهم من احد يسال عن حديث او فتيا الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ آخر كانت المسالة تعرض
على احدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر الى الآخر حتى ترجع الى الذي سئل عنها وروي عن ابن مسعود وابن عمر
وعن غيرهما وقد رويناه مسندا لا يفتي الناس الا ثلثة امير او مامور او متكلف فتفصيل ذلك ان
الامير هو الذي يتكلم في علم الفتيا والاحكام كذلك كان الامرا يسالون ويفتون والمامور الذي يامره الامير
بذلك ويقيمه مقامه يستعين به لشغله بالرعية والمتكلف هو القاص الذي يتكلم في القصص
السالفة ويقص اخبار من مضى لان ذلك لا يحتاج اليه في الحال ولم يندب اليه من العلوم وقد يدخله
الزيادة والنقصان والاختلاف فلذلك كره القصص فصار القاص من المتكلفين وقد جا في لفظ الحديث
الآخر بتاويل معناه لا يتكلم على الناس الا ثلثة امير او مامور او مراء فكان قوله امير هو المفتي في الاقضية
والاحكام كما ذكرنا آنفا ومعنى مامور هو العالم بالله سبحانه وتعالى الزاهد في الدنيا يتكلم في علم الايمان
واليقين وفي علم القرآن والحث على صالح اعمال الدين بامر من الله سبحانه وتعالى اذن الله عز وجل له في ذلك بقوله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقد كان ابو هريرة رضي الله عنه
وغيره يقولون لولا آيتان في كتاب الله عز وجل ما حدثتكم بحديث ابدا ثم يتلو هذه الآية والآية التي
تليها ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اتى الله عز وجل عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ على
النبيين ان يبينه ولا يكتمه واما المرائي فهو المتكلم في علوم الدنيا الناطق عن الهوى يستميل بذلك
قلوب الناس ويجتلب بكلامه المزيد من الدنيا والرفعة فيها وقال بعض العلماء كان الصحابة والتابعون
باحسان يتدافعون اربعة اشيا الامامة والوديعة والوصية والفتيا وقال بعضهم كان اسرعهم الى
الفتيا اقلهم علما واشدهم دفعا لها وتوقفا عنها اورعهم وقال بعض السلف كان شغل الصحابة والتابعين
باحسان في خمسة اشيا قراة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله سبحانه وتعالى والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم عليه لا له الا ثلاث امر بمعروف
او نهي عن منكر او ذكر الله سبحانه وتعالى وقال الله اصدق القائلين لا خير في كثير من نجواهم الا من امر
بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وراى بعض اصحاب الحديث بعض فقها الكوفة من اهل الراي
بعد موته في المنام قال فقلت له ما فعلت فيما كنت عليه من الفتيا والراي قال فكره وجهه واعرض عني

وقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته وحدثونا عن علي بن نصر بن علي الجهضمي عن ابيه قال رأيت
الخليل بن احمد في النوم بعد موته فقلت ما احد اعقل من الخليل لاسالنه فقال لي ارأيت ما كنا فيه فاني
لم ار شيئا ما رأيت انفع من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وحدثونا عن بعض الاشياخ
قال رأيت بعض العلماء في المنام فقلت ما فعلت تلك العلوم التي كنا نجادل فيها ونناظر عليها قال
فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل
وحدثت عن ابي داود السجستاني قال كان بعض اصحابنا كثير الطلب للحديث حسن المعرفة به فمات فرأيته
في النوم فقلت ما فعل الله بك فسكت فاعدت عليه فسكت فقلت غفر الله لك فقال لا قلت لم قال الذنوب
كثيرة والمناقشة دقيقة ولكن قد وعدت بخير وانا ارجو خيرا قلت اي الاعمال وجدتها فيما هنالك
افضل قال قراءة القرآن والصلوة في جوف الليل قلت فأيما افضل ما كنت تقرأ او تقرئ فقال ما كنت اقرأ
قلت فكيف وجدت قولنا فلان ثقة وفلان ضعيف فقال ان خلصت فيه النية لم يجز لك ولا عليك
وحدثت عن بعض الشيوخ قال حدثني احمد بن عمر الخلقاني قال رأيت في منامي كاني في طريق امضي اذ
صادفني رجل فاقبل علي وهو يقول وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله فقلت له لي تعني
فقال لك ولذاك الذي خلفك فالتفت فاذا سري رحمة الله عليه فاعرضت عن الرجل واقبلت على سري وقلت
هذا استاذنا ومؤدبنا الذي كان يؤدبنا في الدنيا ثم قلت له يا ابا الحسن انك قد صرت الى الله سبحانه وتعالى
فاخبرنا باي عمل تقبله الله سبحانه وتعالى فاخذ بيدي ثم قال تعال فجئت انا وهو الى بنية مثل الكعبة
فوقفنا الى جانبها اذا اشرف علينا من البنية شخص فاضاء ذلك الموضع منه فاومأ سري اليه واشار لي
نحوه وكان سري قصيرا وانا ايضا قصير فمد ذلك الشخص الذي كان فوق البنية يده فاخذني بيده
واشالني اليه فلم اقدر ان افتح عيني من الانوار التي كانت في ذلك المكان ثم قال لي قد سمعت كلامك
مع الشيخ كل خلق في القرآن محمود تفعله وكل خلق في القرآن مذموم تنتهي عنه وحسبك هذا وقد حدثونا
عن سري السقطي رحمه الله قال كان شاب يطلب علم الظاهر ويواظب عليه ثم ترك ذلك وانفرد واشتغل
بالعبادة فسألت عنه فاذا هو قد اعتزل الناس وقعد في بيته يتعبد فقلت له كنت حريصا على
الطلب لعلم الظاهر فما بالك انقطعت فقال رأيت في النوم قائلا يقول لي كم تضيع العلم ضيعك الله
فقلت اني لاحفظ فقال ان حفظ العلم العمل به فتركت الطلب واقبلت على النظر فيه للعمل وقد كان
ابن مسعود رضي الله عنه يقول ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال غيره من الفقهاء انما العلم
نور يقذفه الله سبحانه وتعالى في القلب وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول اعلموا ما شئتم ان تعلموا

فوالله

فوالله لا يأجركم الله سبحانه وتعالى عليه حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية وان العلماء همتهم الرعاية
وروينا عنه ايضا ان الله عز وجل لا يعبأ بذي قول ورواية انما يعبأ بذي فهم ودراية وقال ابو حصين
ان احدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر وقال غيره يسأل احدهم
عن الشيء فيسرع الفتيا ولو سئل اهل بدر عنها لاعضلتهم وقال عبد الرحيم بن يحيى الاسود وغيره من العلماء
ان علم الاحكام والفتاوى كان الامراء والولاة يقومون به ويرجع العامة اليهم فيه ثم ضعف الامراء وعجزت
الولاة عن ذلك لميلهم الى الدنيا وشغلهم بالحروب عنها فصاروا يستعينون على ذلك بعلماء الظاهر وبالمفتين
في الجوامع وكان الامير اذا جلس للمظالم قعد عن يمينه وشماله مفتيان يرجع اليهما في القضاء والاحكام
ويأمر الشرط بمثل ذلك فكان من الناس من تعلم علم الفتيا والقضاء ليستعين بهم الولاة على الاحكام
والقضاء حتى كثر المفتون رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة ثم اخلق الامر بعد ذلك حتى ترك الولاة
الاستعانة بالعلماء ومما يدلك على ذلك حديث عمر رضي الله عنه حين كتب الى ابي مسعود عقبة بن عمرو
الم اخبر انك تفتي الناس ولست بامير ولا مأمور وحديث ابي عامر الهروي قال حججت مع معاوية رحمه الله
فلما قدمنا مكة حدثت عن رجل يقص ويفتي الناس مولى لبني مخزوم فارسل اليه فقال أمرت بهذا
فقال لا قال فما حملك عليه قال نفتي وننشر علما عندنا فقال معاوية لو تقدمت اليك قبل مرتي هذه
لقطعت منك طائفا ثم نهاه ولم يكونوا يقولون ذلك في علم القلوب ولا علم الايمان واليقين بل قد كتب
عمر الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم تتجلى لهم امور صادقة وقد كان عمر رضي الله عنه
يجلس الى المريدين فيستمع اليهم وفي الخبر اذا رأيتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقى
الحكمة وقال بعض اصحاب الحديث رأيت سفيان الثوري حزينا فسألته فقال وهو يرثم ما صرنا الا
متجرا لابناء الدنيا قلت وكيف قال يلزمنا احدهم حتى اذا عرف بنا وحمل عنا جعل عاملا او حاجبا
او قهرمانا وكان الحسن رضي الله عنه يقول يتعلم هذا العلم قوم لا نصيب لهم منه في الآخرة يحفظ
الله بهم العلم على الامة لئلا يضيع وقال المأمون لولا الملوك لخربت الدنيا ولولا الشهوة لانقطع النسل
ولولا حب الجمع لبطلت المعايش ولولا طلب الرياسة لذهب العلم فهذا حاله وصف علماء الدنيا واهل علم
اللسنة فاما علماء الآخرة واهل المعرفة واليقين فانهم كانوا يهربون من الامراء ومن اتباعهم واشياعهم
من اهل الدنيا وكانوا ينتقصون علماء الدنيا ويطعنون عليهم ويتركون مجالستهم وقال ابن ابي ليلى
ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من الصحابة ما سئل احدهم عن حديث ولا استفتي في فتيا الا ود
ان صاحبه قد كفاه ذلك وقال مرة ادركت ثلثمائة يسأل احدهم عن الفتيا او الحديث فيرد ذلك

إلى الآخر ويحيل الآخر على صاحبه وكانوا يتدافعون الفتيا ما بينهم ولم يكونوا إذا سئل أحدهم عن مسألة
من علم القرآن أو علم اليقين والإيمان يحيل على صاحبه ولا يسكت عن الجواب وقد قال الله سبحانه وتعالى فاسألوا
أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون فهم أهل الذكر لله سبحانه وتعالى وأهل التوحيد والعقل عن الله ولم يكونوا
يتلقنون هذا العلم دراسة من الكتب ولا يتلقاه بعضهم من بعض بالألسنة إنما كانوا أهل عمل وحسن
معاملات فكان أحدهم وقد انقطع إلى الله سبحانه وتعالى واشتغل به واستعمله بخدمته بأعمال القلوب فكانوا
عنده في الخلوة بين يديه لا يذكرون سواه ولا يشتغلون بغيره فإذا ظهروا للناس فسألوهم ألهمهم الله
سبحانه وتعالى رشدهم ووفقهم لسديد قولهم وآتاهم الحكمة ميراثا لأعمالهم الباطنة عن قلوبهم الصافية
وعقولهم الزاكية وهممهم العالية فأثابهم بحسن توفيقه أن ألهمهم حقيقة العلم وأطلعهم على مكنون
السر حين آثروه بالخدمة وانقطعوا إليه بحسن المعاملة وكانوا يجيبون عما عنه يسألون بحسن أثرة الله
سبحانه وتعالى لهم وجميل أثره عندهم فتكلموا بعلم القدرة وأظهروا وصف الحكمة ونطقوا بعلوم الإيمان
وكشفوا بواطن القرآن وهذا هو العلم النافع الذي بين العبد وبين الله سبحانه وتعالى وهو الذي
يلقاه به ويسأله عنه ويثيبه عليه وهو ميزان جميع الأعمال على قدر علم العبد بربه سبحانه وتعالى
ترجح أعماله وتضاعف حسناته وبه يكون عند الله عز وجل من المقربين لأنه لديه من الموقنين فهم أهل
الحقائق الذين وصفهم علي عليه السلام وفضلهم على الخلائق فقال في وصفهم القلوب أوعية وخيرها
أوعاها والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون
مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت
تحرس المال والعلم يزكيه العمل والمال تنقصه النفقة محبة العلم دين يدان الله سبحانه وتعالى به
يكسبه الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال
تزول بزواله مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء فقال
ها إن هاهنا علما جما لو أجد له حملة بلى أجد لقنا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل
بنعم الله عز وجل على أوليائه ويستظهر بحجة الله سبحانه وتعالى على خلقه أو منقادا لأهل الحق ينزرع
الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له ليسا من دعاة الدين في شيء ألا لا ذا ولا ذاك
أو منهوم باللذة سلس القياد في طلب الشهوات أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقادا للهوى أقرب
شبها بهم الأنعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه بلى لا تخلو الأرض من قائم لله سبحانه
وتعالى بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله سبحانه وتعالى وبيناته

وكم وأين أولئك الأقلون عددا الأعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة
يحفظ الله عز وجل بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم
على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه
الغافلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وعماله
في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال واشوقاه إلى رؤيتهم فهذه كلها أوصاف علماء الآخرة
وهذه نعوت علم الباطن وعلم القلوب لا علم الألسنة وكذلك وصفهم معاذ بن جبل رضي الله عنه
في وصف العلم بالله عز وجل فيما رويناه من حديث رجاء بن حيوة عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ
قال تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه
لمن لا يعلم صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والضراء
والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله عز وجل به أقواما فيجعلهم في
الخير قادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتص آثارهم وترمق أعمالهم ويقتدى بفعالهم وينتهى
إلى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم حتى كل رطب ويابس لهم مستغفر حتى حيتان
البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار
من الظلم وقوة الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل
بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الأرحام
العلم إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء هذه أوصاف علماء الآخرة ونعت العلم
الباطن وقد كان من أفضل الأمراء بعد الخلفاء الأربعة عمر بن عبد العزيز رحمه الله فحدثونا عن زكريا
ابن يحيى الطائي قال حدثني عمي زحر بن حصن أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الحسن رحمهما الله أما بعد فأشر
علي بقوم أستعين بهم على أمر الله عز وجل فكتب إليه أما أهل الدين فلن يريدوك وأما أهل الدنيا فلن
تريدهم ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة وكان الحسن رحمه الله
يتكلم في بعض علماء البصرة ويذمهم وكان أبو حازم وربيعة المدنيان يذمان علماء بني مروان
وقد كان الثوري وابن المبارك رحمهما الله وأيوب بن عون يتكلمون في بعض علماء الدنيا من أهل الكوفة
وكان الفضيل وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط رحمهم الله يتكلمون في بعض علماء الدنيا من أهل مكة
والشام كرهنا تسمية المتكلم فيهم لأن السكوت أقرب إلى السلامة وكان بشر بن الحارث يقول حدثنا
باب من أبواب الدنيا وإذا سمعت الرجل يقول حدثنا فإنما يقول أوسعوا لي وقد كان سفيان الثوري

معلقة صح

امامة من قبله يقول لاهل علم الظاهر طلب هذا ليس من زاد الآخرة وقال ابن وهب ذكر طلب العلم عند
مالك فقال ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح
الى حين تمسي ومن حين تمسي الى حين تصبح فلا تؤثرن عليه شيئا وقال ابو سليمان الداراني اذا طلب الرجل
الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا فاما علم الايمان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين
فهو مع كل مومن موقن حسن الاسلام وهو مقامه من الله سبحانه وتعالى وحاله بين يدي الله سبحانه وتعالى
ونصيبه منه في درجات الجنة به يكون من المقربين عنده فالعلم بالله عز وجل والايمان به قرينان لا يفترقان
العلم بالله هو ميزان الايمان به يستبين المزيد من النقصان لان العلم ظاهر الايمان يكشفه ويظهره والايمان
باطن العلم يهيجه ويشعله فالايمان مدد العلم وبصره والعلم قوة الايمان ولسانه وضعف الايمان
وقوته ونقصه ومزيده بمزيد العلم بالله عز وجل وبنقصه وبقوته وضعفه وفي وصية لقمان الحكيم
لابنه يا بني كما لا يصلح الزرع الا بالماء والتراب كذلك لا يصلح الايمان الا بالعلم والعمل ومثل المشاهدة
من المعرفة من اليقين من الايمان كمثل النشا من الدقيق من السويق من الحنطة الحنطة تجمع ذلك كله
كذلك الايمان اصل ذلك كله والمشاهدة اعلى فروعه كما الحنطة اصل هذه المعاني والنشا اعلى فروعها
فهذه المقامات موجودة في انوار الايمان يمدها علم اليقين ثم ان المعرفة على مقامين معرفة سمع
ومعرفة عيان فمعرفة السمع في الاسلام وهو انهم سمعوا به فعرفوه وهذا هو التصديق من الايمان ومعرفة العيان
في المشاهدة وهي عين اليقين والمشاهدة ايضا على مقامين مشاهدة استدلال ومشاهدة دليل
فمشاهدة الاستدلال قبل المعرفة وهي معرفة الخبر وهو في السمع لسانها القول والواجد بها واجد
بعلم وعنها علم اليقين من قوله عز وجل بنبأ يقين اي وجدت فهذا العلم قبل الوجد وهو علم السمع
وقد يكون سببه التعليم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا علم اليقين اي جالسوا الموقنين واسمعوا
منهم اليقين لانهم علماؤه واما مشاهدة الدليل فهي بعد المعرفة التي هي العيان وهو اليقين لسانه
الوجد والواجد بها واجد برب بعد هذا الوجد علم من عين اليقين وهذا يتولاه الله عز وجل بنور
عزيز بقدرته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فوجدت بردها فعلمت فهذا العلم بعد الوجد من عين اليقين
باليقين وهذا من اعمال القلوب وهؤلاء هم علماء الآخرة واهل الملكوت وارباب القلوب وهم المقربون
من اصحاب اليمين وعلم الظاهر من علم الملك وهو من اعمال اللسان والعلماء به موصوفون بالدنيا وصالحوهم
اصحاب اليمين وجاء رجل الى معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال اخبرني عن رجلين احدهما مجتهد في
العبادة كثير العمل قليل الذنوب الا انه ضعيف اليقين يعتوره الشك في امور فقال معاذ

ليحبطن

ليحبطن شكه اعماله قال فاخبرني عن رجل قليل العمل الا انه قوي اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب
فسكت معاذ فقال الرجل والله لئن احبط شك الاول اعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فاخذ
معاذ بيده وقام قائما ثم قال ما رايت الذي هو افقه من هذا وقد روينا معناه مسندا قيل يا رسول الله
رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي الا وله ذنوب
ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم
فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وروينا في حديث ابي امامة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبل ما فاته من
قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا
بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقد يكون العمل الضعيف اذا كان صاحبه مستيقنا افضل
من عمل القوي الضعيف في يقينه ومن يضعف يقينه تغلبه المحقرات من الاثم وقد كان يحيى بن معاذ
رضي الله عنه يقول ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد احرق لسيئات الموحدين من نار الشرك
لحسنات المشركين واليقين على ثلاث مقامات يقين معاينة وهذا لا تختلف خبره فالعالم به خبير وهو
للصديقين والشهداء ويقين تصديق واستسلام وهذا في الخبر فالعالم به مخبر مسلم وهذا يقين المومنين
وهم الابرار منهم الصالحون ومنهم دون ذلك لقوله سبحانه وتعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقد
يضعف هؤلاء بعدم الاسباب في نقصان المعتاد ويقوون بوجودها وجريان العادة ويخرجون بنظرهم
الى الاواسط ويتشوفون ويجعل مزيدهم وانسهم بالخلق ويكون نقصهم ووحشتهم بفقدهم ويكون
من هؤلاء الاختلاف ويتلونون بالاختلاف لتلوين الاشياء وتغيرها عليهم المقام الثالث من اليقين ألوف
هو يقين ظن يقوى بدلائل العلم والخبر واقوال العلماء ويجد هؤلاء المزيد من الله سبحانه وتعالى والنصيب
منه لهم ويضعف بفقد الادلة وصمت القائلين وهذا يقين الاستدلال وعلوم هذا في المعقول وهو
يقين المتكلمين من عموم المسلمين اهل الراي وعلوم العقل والقياس والنظر وكل موقن بالله عز وجل فهو على
علم من التوحيد والمعرفة ولكن علمه ومعرفته على قدر يقينه ويقينه من نحو صفاء ايمانه وقوته
وايمانه على معنى معاملته ورعايته فاعلى العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين وهذا مخصوص للمقربين
في مقامات قربهم ومحادثات مجالستهم ومأوى انسهم ولطيف تملقهم وادنى العلوم علم التسليم والقبول
بعدم الانكار وفقد المشكوك وهذا لعموم المومنين وهو من علم الايمان من مزيد التصديق وهذا لاصحاب
اليمين وبين هذين مقامات لطيفات من اعلى طبقات المقربين الى اوسط المقامات وعن ادنى طبقات

اصحاب اليمين الى اعالي اواسط الاعلين ذكر بيان تفصيل علوم الصمت وطريق الورعين في العلم
روينا في الخبر العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قايمة ولا ادري وعن الشعبي انه قال لا ادري نصف
العلم يعني انه الورع وكان الثوري رحمه الله يقول انما العلم الرخصة من ثقة فاما التشديد فكل احد
يحسنه يعني ان التورع والتوقف في الامور هو سيرة المومنين وان لم يكونوا علما لان الورع هو التحرز عن
الاقدام والهجوم على الشبهات والوقوف عند المشكلات بسكون او سكوت واليقين هو الاقدام على
الاشياء ببصيرة وتمكين والقطع بالامر على علم وخبر فهذا صنعة العلما الموثوق بعلمهم لا يحسنه سواهم
كما قال علي بن ابي طالب عليه السلم لابنه محمد بن الحنفية وقدمه امامه يوم الجمل وجعل يقول له اقدم اقدم ومحمد
يتاخر وهو يحركه بقايم الرمح فالتفت اليه محمد ابنه فقال هذه والله الفتنة المظلمة العميا فوكزه
علي برمحه ثم قال تقدم لا ام لك اتكون فتنة ابوك قايدها وسايقها والمرء اذا قال لا ادري فقد
عمل بعلمه وقام بحاله فله من الثواب بمنزلة من درى فقام بحاله وعمل بعلمه فاظهره فلذلك كان قول
لا ادري نصف العلم ولان حسن من سكت لاجل الله عز وجل تورعا كحسن من نطق لاجله بالعلم تبرعا
وقال علي بن الحسين ومحمد بن عجلان رحمهما الله اذا اخطا العالم قول لا ادري اصيبت مقاتله وقاله
مالك والشافعي رحمهما الله بعدهما واعلم ان مثل الجهل والعلم في تفاوت الناس فيهما مثل الجنون
والعقل فالمجانين طبقات كالعقلا طبقات وكذلك الجهال طبقات كالعلما فخصوص الجهال يشبهون
عموم العلما فهم يشتبهون على العامة حتى يحسبونهم علما وهم مكشوفون عند العلما بالله سبحانه وتعالى
وكذلك العارفون يشتبهون على عموم العلما وهم ظاهرون للموقنين وقال بعض العلما العلم علمان علم
الامرا وعلم المتقين فاما علم الامرا فهو علم القضايا واما علم المتقين فهو علم اليقين والمعرفة وقد قال
الله سبحانه وتعالى في وصف علم المومنين وذكر علم الايمان يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات فجعل المومنين علما فدل ان العلم والايمان لا يفترقان فالواو ههنا عند اهل اللغة للمدح
لا للجمع والعرب اذا مدحت بالاوصاف ادخلت الواو للمبالغة فقالوا فلان العاقل والعالم والاديب ومثل
هذا قوله سبحانه وتعالى لكن الراسخون في العلم منهم والمومنون والمقيمين الصلاة والموتون الزكوة كله نعت
فالمومنون هم الراسخون في العلم وهم المقيمون والموتون ايضا وكله وصف الراسخين في العلم ولذلك انتصب
قوله والمقيمين لانه مدح والعرب تنصب وترفع بالمدح وبمعناه قوله سبحانه وتعالى والراسخون في العلم
يقولون امنا به فوصف العلما بالايمان كما وصف المومنين بالعلم وكذلك قوله سبحانه وتعالى وقال الذين
اوتوا العلم والايمان ومن حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم امتي خمس طبقات كل طبقة اربعون

عاما فطبقتي وطبقة اصحابي اهل العلم والايمان والذين يلونهم الى الثمانين اهل البر والتقوى والذين يلونهم
الى المائة والعشرين اهل التواصل والتراحم فقرن العلم بالايمان وقدمهما على ساير الطبقات وقد قرن الله سبحانه
وتعالى الايمان بالقرآن وهو علم كما قرن القرآن بالايمان فقال الله سبحانه وتعالى كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح
منه قبل القرآن ويكون الهاء عايدة الى الله سبحانه وتعالى في اكثر الوجوه كما قال عز وجل ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ولكن جعلناه نورا فاهل الايمان هم اهل القرآن واهل القرآن اهل الله عز وجل وخاصته وقال
المهدي لسفيان بن الحسين لما دخل عليه وكان احد العلما اعالم انت فسكت فاعاد عليه فسكت فقيل
الا تجيب امير المومنين فقال سالني عن مسلة لا جواب لها ان قلت لست بعالم وقد قرات كتاب الله عز وجل
كنت كاذبا وان قلت اني عالم كنت جاهلا وروى ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس في قوله عز وجل انما يخشى الله
من عباده العلما قال من لم يخش الله فليس بعالم الا ترى ان داود صلى الله عليه وسلم قال ذلك بانك جعلت العلم
خشيتك والحكمة الايمان بك فما علم من لم يخشك وما حكم من لم يومن بك وقد سمى عبد الله بن رواحة العلم
ايمانا فكان يقول لاصحابه اقعدوا بنا نومن ساعة فيتذاكرون علم الايمان وقد جعل الله عز وجل للمومنين
سمعا وبصرا وقلبا وهذه طرايق العلم التي يوخذ العلم منها وهي اصول العلوم والنعم التي انعم الله سبحانه وتعالى
على الخلق بها وطالبهم بالشكر عليها فقال سبحانه وتعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا
وجعل لكم السمع والابصار والافدة لعلكم تشكرون فاثبت العلم بها بعد النفي له وقال سبحانه وتعالى
في وصف من لم يكن مومنا ونفى الغيبة بالعلم بها فقال وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافدة فما اغنى
عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افدتهم من شي اذ كانوا يجحدون بايات الله فمن امن بايات الله سبحانه وتعالى
اغنى عنه سمعه وبصره وقلبه وكانت طرق العلوم اليه وقال عز وجل في معنى ذلك ايضا ولا تقف ما ليس لك
به علم ان السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسولا فلولا ان العلم يقع بالسمع والبصر والقلب ما نهى
عما لا تعلم بهذه الاشيا ففي النهي عن قفو ما لا تعلم بهذه الاواسط وتتبعه اثبات العلم بها فكل مومن هو
ذو سمع وبصر وقلب وكل ذي سمع وبصر وقلب فهو عالم بفضل الله عز وجل ورحمته ومما فضل الله سبحانه
وتعالى به هذه الامة على ساير الامم وخصها به ثلثة اشيا بتقية الاسناد فيهم باثر خلف عن سلف
متصلا الى نبينا صلى الله عليه وسلم والى من خلا من علماينا رحمهم الله وانما كانوا يستنسخون الصحف كلما
اخلقت صحيفة جددت فكان ذلك اثرة العلم فيهم والثانية حفظ كتاب الله عز وجل المنزل عن ظهر غيب
وانما كانوا يقرءون كتبهم نظرا ولم يحفظ جميع كتاب انزله سبحانه وتعالى قط غير كتابنا هذا الا ما الهمه
الله سبحانه وتعالى عزيرا من التوراة بعد ان كان بخت نصر احرق جميعها عند اخراب بيت المقدس فلذلك

قال سبط من اليهود لعنهم الله تعالى إنه ابن الله تعالى الله عز وجل لما خصه به وأفرده من حفظ جميع
التوراة والثالثة أن رجل مؤمن من هذه الأمة يسأل عن علم الإيمان ويسمع قوله ويؤخذ من رأيه وعلمه
مع حداثة سنه ولم يكونوا فيما مضى يسمعون العلم إلا من الأحبار والقسيسين والرهبان لا غيرهم من الناس
وزادها رابعة على أمة موسى صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم ثبات الإيمان في قلوبهم لا يعتوره الشك
ولا يخلجه الشرك مع تقليب القلوب والجوارح في المعاصي وكان أمة موسى عليه السلام تتقلب قلوبهم في الشك
والشرك كما تتقلب جوارحهم في المعاصي فلذلك قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة بعد أن رأوا
الآية العظيمة من انفلاق البحر وسلوكهم فيه طرائق وإنجائهم من الغرق وإهلاك فرعون وروينا في بعض
الأخبار أن في بعض الكتب المنزلة يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الأرض
من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب
الروحانيين وتخلقوا إلي بأخلاق الصديقين أظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وفي الإنجيل
مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم وفي أخبارنا من عمل بما يعلم ورثه الله سبحانه
وتعالى علم ما لم يعلم حتى قيل من عمل بعشر ما يعلم ورثه الله عز وجل علم ما يجهل وقد روينا عن حذيفة
ابن اليمان إنكم اليوم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك ويأتي بعدكم زمان من عمل منهم بعشر ما يعلم
نجا من قلة العاملين وكثرة البطالين وفي كتابنا المجمل المختصر واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا
الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا واعلم أن من عمل بعلم أو نطق به فأصاب الحقيقة عند الله عز وجل فله أجران
أجر التوفيق وأجر العمل وهذا مقام العارفين ومن نطق بجهل أو عمل به وأخطأ الحقيقة فعليه وزران
وهذا مقام الجهال ومن قال أو عمل بعلم وأخطأ الحقيقة فله أجر لأجل العلم وهو مقام علماء الظاهر
ومن قال بجهل أو عمل عملاً وأصاب الحقيقة فعليه وزر لتركه طلب العلم وهذا مقام جهلة العابدين
ومثل العالم مثل الحاكم وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم الحكام ثلاثة أقسام فقال القضاة ثلاثة قاض
قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو قضى بالجور وهو لا يعلم فهما في النار
ومن أحسن ما سمعت في قوله عز وجل يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم قيل العلم وريشاً
قيل اليقين ولباس التقوى أي الحياء وروينا عن وهب بن منبه اليماني في معناه الإيمان عريان ولباسه
التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقد أسنده حمزة الخراساني عن الثوري فرفعه إلى عبد الله عن النبي
صلى الله عليه وسلم وقال مسعر عن سعد بن إبراهيم وسأله سائل أي أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم
لله عز وجل وقال بعض العلماء لو قال لي قائل أي الناس أعلم لقلت أورعهم ولو قال لي قائل أي أهل هذه
المدينة

خير لقلت تعرفون أنصحهم لهم فإذا قالوا نعم قلت هو خيرهم وقال آخر لو قيل لي من أحمق الناس لأخذت
بيد القاضي فقلت هذا وقد جعل الله سبحانه وتعالى مفتاح القول السديد والعلم الرشيد والسمع
المكين التقوى وهي وصية الله سبحانه وتعالى لمن قبلنا وإيانا إذ يقول عز وجل ولقد وصينا الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وهذه الآية قطب القرآن مداره عليها كمدار الرحا
على القطب وروينا عن عيسى صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم كيف يكون من أهل العلم من مسيره
إلى آخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به ولا يطلبه ليعمل به
وقد قال الضحاك بن مزاحم رحمه الله أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم يتعلمون
الكلام وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك إلا جدلاً
بل هم قوم خصمون وفي الحديث فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية هم أهل الجدل الذي عنى الله عز وجل فاحذروهم
وعن بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عنهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل وفي بعض
الأخبار إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل وعن ابن مسعود أنتم في زمان خيركم
فيه المسارع ويأتي بعدكم زمان خيرهم فيه المتثبت يعني لبيان الحق واليقين في القرن الأول وبعد ذلك
في زماننا لكثرة الشبهات والالتباس ودخول المحدثات مداخل الليل في السير فأشكل الأمر إلا على الفرد
الذي يعرف طرائق السلف فيجتنب الحدث كله وروينا عن بعض العلماء إذا أراد الله عز وجل بعبد
خيراً فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الجدل وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب
الجدل وفي الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الخلق إلى الله سبحانه وتعالى الألد الخصم
وقد روينا في خبر الحياء والعي شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي بعضها
مفسراً والعي عي اللسان لا عي القلب والخبر الآخر ما أوتي قوم المنطق إلا منعوا العمل وفي الحديث
إن الله سبحانه وتعالى ليبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل الكلام بلسانه كما تتخلل الباقرة الخلا
بلسانها الخلا هو الحشيش الرطب وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول العلم إنما هو ما جاء من فوق يعني
الهاماً من غير تعليم وقال أيضاً علماء أهل الكلام زنادقة وقال قبله أبو يوسف من طلب العلم بالكلام
تزندق بيان آخر في فضل علم الباطن على علم الظاهر بما يدلك أن العلم الذي فضله العلماء
وأعظموا خطره ووصفوا العالم ومدحوه به وجاءت بفضله الآثار وندب إليه وفضل في الأخبار
أهله وإنما هو العلم بالله سبحانه وتعالى الدال على الله سبحانه وتعالى الراد إليه اثبت هدى بالتوحيد
من علم الإيمان واليقين وعلم المعرفة والمعاملة دون سائر علوم الفتيا والأحكام إنهم يقولون من

العمل

السنن

من عمل بعلمه ويذكرون العمل بالعلم ويصفون حملته بالخشية والخشوع فهذا انما هو علم القلوب لا علم اللسان الذي يكون به العمل وتتأتى عنه المعاملات من أعمال الإيمان مثل أعمال القلوب التي هي مقامات اليقين وصفات المتقين ومثل أعمال الجوارح من الصالحات التي هي مزيد الإيمان والدين أربابها أهل الفقر والزهد وذوو التوكل والخوف وأصحاب الشوق والمحبة وليس يعنون أن يكون الانسان إذا علم علم الأحكام والقضايا عمل بها والتزم الدخول في أحكامها ليعامل بها مثل أن يطلب القضاء فيقضي بين الناس إذا كان عالماً به أو يقتني المال ويدخل في البيع والشرى إذا كان عالماً بالزكوات والبياعات أو يتزوج النساء ويطلق لأنه عالم بالنكاح والطلاق ليكون بهذه الأشياء عاملاً بعلمه بهذا ما قال أحد بل قد روي في كراهة ذلك وذمه ما يكثر ذكره وأهل هذه العلوم موصوفون بالرغبة في الدنيا والحرص على جمعها ومطالبون للأمراء متعاملون لهم فبطل أنهم هم المعنيون بالعلم الموصوفون بالخشوع والزهد ومثل ذلك أيضاً تفضيل الجمهور من السلف العلم على العمل وقولهم ذرة من علم أفضل من كذا من العمل وركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من عابد وحديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي والخبر المشهور كفضل القمر على سائر الكواكب وقول ابن عباس وسعيد رضي الله عنهم وقد رويناه مسنداً عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وكذلك قيل في موته أحب إليه من موت ألف عابد إنما يعنون بذلك العلم بالله سبحانه وتعالى أفضل من العمل لأن العلم بالله عز وجل وصف من الإيمان ومعنى من اليقين الذي لم ينزل من السماء أعز منه فهو لا يعادله شيء ولا يصح عمل ولا يتقبل إلا به ولأنه معيار الأعمال كلها على وزنه تتقبل الأعمال قبولاً حسناً بعضه أحسن من بعض وتثقل في الميزان ثقلاً فوق ثقل ويرفع بها العاملون في درجات عليين بعضهم أعلى من بعض وقد قال الله سبحانه وتعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ثم قال عز وجل فلنقصن عليهم بعلم وقال جل وعلا والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فما كان العابد منه إلى الربوبية كان أفضل والعمل وصف العامل وحكم العبودية لا أنهم يعنون أن العلم بالفتيا والأحكام والقضايا التي هي أماكن الخلق عائدة عليهم أفضل من معاملات الله سبحانه وتعالى بالقلوب عن مقامات التوكل والرضى والمحبة التي هي عن معاينة اليقين الذي هو مقام المقربين هذا لا يقوله عالم وقد روينا عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل رحمهما الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد فأما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل عليهم السلام وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل عليهم السلام ألا ترى كيف جعل العلم دالاً على الله سبحانه وتعالى كالجهاد

وكذلك جاء في الخبر أول من يشفع الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وفي الخبر الآخر للأنبياء على العلماء فضل درجة وللعلماء على الشهداء فضل درجتين قال ابن عباس رضي الله عنه في معنى قوله عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال للعلماء درجات فوق الذين آمنوا منكم بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال ابن مسعود رضي الله عنه لما مات عمر رضي الله عنه إني لأحسب أنه ذهب بتسعة أعشار العلم فقيل له تقول هذا وفينا جلة الصحابة فقال ليس أعني العلم الذي تريدون إنما أعني العلم بالله سبحانه وتعالى فجعل العلم بالمعلومات غير حقيقة العلم وفضل العلم بالله عز وجل بتسعة أعشار وليس يريد علم الظاهر على الأعمال كثير زيادة إذ هو من الأعمال الظاهرة لأنه صفة اللسان ولأنه للعموم من المسلمين فأعلى مقاماته الإخلاص فإن فاته فهو دنيا كسائر الشهوات والإخلاص هو أول حال العالم بالله عز وجل بالعلم الباطن ولا نهاية لمقاماتهم إلى أعلى مقامات العارفين درجات الصديقين

باب من الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة وذم علماء السوء الآكلين بعلومهم الدنيا

قد فرق العلماء بين العلم بالله عز وجل وبين العلم بأمر الله عز وجل وفرقوا بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة فقال سفيان العلماء ثلاثة عالم بالله وبأمر الله سبحانه وتعالى فذلك العالم الكامل وعالم بالله عز وجل غير عالم بأمر الله سبحانه وتعالى فذلك التقي الخائف وعالم بأمر الله عز وجل غير عالم بالله سبحانه وتعالى فذلك العالم الفاجر وقيل أيضاً عالم بالله وهو العامل العالم بعلمه وعالم بأيام الله عز وجل وهو الخائف الراجي وسئل سفيان رحمه الله عن العلم ما هو فقال هو الورع قيل وما الورع قال طلب العلم الذي يعرف به الورع وهو عند قوم طول الصمت وقلة الكلام وما هو عندنا كذلك إنما المتكلم العالم عندنا أفضل من الصامت وروينا عن لقمان في وصيته للعلم ثلاث علامات العلم بالله عز وجل وبما يحب الله سبحانه وتعالى وبما يكره جل وعلا فجعل حقيقة العلم ودليل وجوده بهذه الثلاث ومما يدلك على الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة أن كل عالم بعلم إذا رآه من لا يعرفه لم يتبين عليه أثر علمه ولا عرف أنه عالم إلا العلماء بالله عز وجل فإنهم يعرفون بسيماهم للخشوع والسكينة والتواضع والذلة فهذه صبغة الله سبحانه وتعالى لأوليائه ولبسته للعلماء به ومن أحسن من الله صبغة فمثلهم في ذلك كمثل الصناع إذ كل صانع لو ظهر لمن لا يعرفه لم يعرف صنعته دون سائر الصنائع ولم يفرق بينه وبين الصناع إلا الصباغ فإنه يعرف بصنعته لأنها ظاهرة عليه إذ صارت له لبسة وصفة لملابسته بمعاملته فكانت سيماه كما قيل ألبس الله عز وجل عبداً لبسة أحسن من خشوع في سكينة هي لبسة الأنبياء وسيما الصديقين

والعلماء فاعلم الناس اعلمهم بلطيف ما يحب الله سبحانه وتعالى ويخشى ما يكره وهم أهل القلوب الفقهاء عن الله عز وجل
وهم العارفون به وقد كان سهل رحمه الله يقول العلماء ثلاثة عالم بالله عز وجل وعالم لله سبحانه وتعالى وعالم
بحكم الله جل وعلا يعني العالم بالله عز وجل العارف الموقن والعالم لله سبحانه وتعالى هو العالم بعلم الاخلاص
والاحوال والمعاملات والعالم بحكم الله جل وعلا هو العالم بتفصيل الحلال والحرام فسّر ذلك على معان في
معرفة مذهبه وقد قال مرة في كلام ابسط من هذا عالم بالله عز وجل لا بامر الله جل وعلا ولا بايام الله سبحانه
وتعالى وهم المؤمنون وعالم بامر الله عز وجل لا بايام الله سبحانه وتعالى وهم المفتون في الحلال والحرام وعالم بالله
عز وجل عالم بايام الله جل وعلا وهم الصديقون يعني قوله بايام الله عز وجل اي نعمه الباطنة وعقوباته
الغامضة ثم قال الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء نيام الا الخائفين والخائفون منقطعون
الا المحبين والمحبون احياء شهداء وهم المؤثرون لله عز وجل على كل حال وقد كان يقول طلاب العلم ثلاثة
واحد يطلبه للعمل به وآخر يطلبه ليعرف الاختلاف فيتورع ويأخذ بالاحتياط وآخر يطلبه ليعرف التاويل
فيتأول الحرام فيجعله حلالا فهذا يكون هلاك الخلق على يديه وقد حدثت عن ابي يوسف أنه كان
اذا صار رأس الحول وهب ماله لامرأته واستوهبها مالها فسقط عنهما الزكاة فذكر ذلك لابي حنيفة رحمه الله
فقال ذلك من فقهه فانما يطلب العلم لمعرفة الورع والاحتياط للدين فهذا هو العلم النافع فاذا طلب
لمثل هذا ولتأويل الهوى كان الجهل خيرا منه وصار هذا العلم هو الضار الذي استعاذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم منه وروينا عن عمر وغيره كم من عالم فاجر وعابد جاهل فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل
من المتعبدين وعن عمر رضي الله عنه ايضا وقد رويناه مسندا اتقوا كل منافق عليم اللسان
يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون وروينا عنه ايضا تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا
لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من تعلم منكم ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم وروينا
عن علي وابن عباس وعن كعب الاحبار رضي الله عنهم يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس
في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ولا ينتهون يؤثرون الدنيا
على الآخرة ويأكلون الدنيا بالسنتهم الا يقربون الاغنياء ويباعدون الفقراء يتغايرون على العلم
كما تتغاير النساء على الرجال يغضب احدهم على جليسه اذا جالس غيره ذلك حظهم من العلم وفي حديث
علي عليه السلم علماؤهم شر الخليقة منهم بدت الفتنة وفيهم تعود وفي حديث ابن عباس اولئك الجبارون
اعداء الرحمن وروينا عن علي عليه السلم ما قطع ظهري في الاسلام الا رجلان عالم فاجر ومبتدع
ناسك فالعالم الفاجر يزهد الناس في علمه لما يرون من فجوره والمبتدع الناسك يرغب الناس في بدعته

يزهد الناس   يرغب الناس

لما يرون من نسكه وقال صالح بن حسان البصري رحمه الله ادركت المشيخة وهم يتعوذون بالله عز وجل
من الفاجر العالم بالسنة وقال الفضيل بن عياض انما هما عالمان عالم دنيا وعالم آخرة فعالم الدنيا
علمه منشور وعالم الآخرة علمه مستور فاطلب عالم الآخرة واحذر عالم الدنيا لا يصدنك بسكره ثم قرأ
إن كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله قال فالاحبار
هم العلماء والرهبان هم الزهاد وقال سهل بن عبد الله طلاب العلم ثلاثة فواحد يطلب علم الورع مخافة دخول
الشبهة عليه فيدع الحلال خوف الحرام فهذا ناج متق ثان وآخر يطلب علم الاختلاف والتأويل فيدع ما عليه
ويدخل فيما اباح الله عز وجل بالسعة ويأخذ بالرخصة وآخر يسأل عن الشيء فيقال هذا لا يجوز فيقول
كيف اصنع حتى يجوز فيسأل العلماء فيجيزونه بالاختلاف والشبهة فهذا يكون هلاك الخلق على يديه
فيجيزونه
وقد اهلك نفسه وهم علماء السوء واعلم ان كل محب للدنيا ناطق بعلم فانه آكل للمال بالباطل
وكل من اكل اموال الناس بالباطل فانه يصد عن سبيل الله عز وجل لا محالة وان لم يظهر ذلك لمتعرف له
ولكنك تعرفه في لحن معناه بعلائق الصد عن مجالسة غيره وبلطائف المنع من طرقات الآخرة لان حب
الدنيا وغلبة الهوى يحكمان عليه بذلك شاء او ابى وقال بعض العلماء ان الله سبحانه وتعالى يحب العالم
المتواضع ويبغض الجبابرة من العلماء ومن تواضع ورثه الله عز وجل الحكمة وفي الخبر عن ابن مسعود
ان الله سبحانه وتعالى ليمقت الحبر السمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمالك بن الضيف حبر من
احبار اليهود فقال نشدتك الله أما تجد فيما انزل الله عز وجل على موسى ان الله يبغض الحبر السمين
وكان ابن الضيف سمينا فغضب عندها قال ما انزل الله على بشر من شيء ففيه نزلت الآية تعريفا
لبهته قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى فقال له اصحابه ويحك لم اذا قلت جحدت كتاب موسى فقال انه
حكني فقلت ذلك ويقال ما آتى الله عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا
فذلك علامة العلم النافع وقد روينا معناه في الاثر من آتاه الله عز وجل زهدا وتواضعا وحسن خلق
فهو امام المتقين وكان الحسن رحمه الله يقول الحلم وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وفي اخبار
داود صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اوحى اليه يا داود لا تسألن عني عالما قد اسكرته الدنيا
فيصدك عن طريق محبتي اولئك قطاع طريق عبادي المريدين يا داود ان ادنى ما اصنع بالعالم
اذا آثر شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي يا داود من رد الي هاربا كتبته عندي جهبذا
ومن كتبته عندي جهبذا لم اعذبه ابدا وروينا عن عيسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء وسلم
مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا تترك الماء يخلص الى الزرع كذلك

علماء الدنيا فقعدوا على طريق الآخرة فلا هم نفذوا ولا تركوا العباد يسلكون إلى الله عز وجل وقال ومثل
علماء السوء كمثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور المشيدة ظاهرها عامر وباطنها
عظام الموتى وقال الحسن البصري رضي الله عنه من طلب الرياسة من العلماء فتقربوا إلى الله عز وجل ببغضه
فإنه مقيت في السماء والأرض وكان الأوزاعي يروي عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أحدكم إلى
الشرطي والعون فيستعيذ بالله سبحانه وتعالى من حاله ويمقته وينظر إلى العالم الدنيا قد تصنع للخلق
وتشوف للطمع والرياسة فلا يمقته وهذا العالم أحق بالمقت من ذلك الشرطي وقد كان أبو محمد رحمه الله
يقول لا تقطعوا أمرًا من أمور الدين والدنيا إلا بمشورة العلماء تحمدوا العاقبة عند الله عز وجل قيل
يا أبا محمد من العلماء قال الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله سبحانه وتعالى على نفوسهم وقال عمر
رضي الله عنه في وصيته وشاور في أمورك الذين يخشون الله عز وجل وروينا في الإسرائيليات
أن حكيمًا من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفًا في الحكمة حتى وصف بالحكمة فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم
قل لفلان قد ملأت الأرض نفاقًا ولم تردني من ذلك بشيء وإني لا أقبل من نفاقك شيئًا قال فسقط
الرجل في يديه وحزن فترك ذلك وخالط العامة ومشى في الأسواق وأكل مع بني إسرائيل وتواضع في نفسه
فأوحى الله عز وجل قل له الآن وافقت رضاي وقال بعض العلماء كان أهل العلم على ضربين عالم عامة
وعالم خاصة فأما عالم العامة فهو المفتي في الحلال والحرام وهؤلاء أصحاب الأساطين وأما عالم الخاصة
فهو العالم بعلم التوحيد والمعرفة وهؤلاء أهل الزوايا وهم المنفردون وقد كانوا يقولون مثل أحمد بن
حنبل رضي الله عنه مثل دجلة كل أحد يغترف منها ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا
واحد بعد واحد وقال حماد بن زيد قيل لأيوب العلم اليوم أكثر أو فيما مضى فقال العلم فيما مضى كان
أكثر والكلام اليوم أكثر ففرق بين العلم والكلام وقد كانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلامًا
وفلان أكثر علمًا وكان أبو سليمان رحمه الله يقول المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام وقال بعض
هذه الطائفة هذا العلم على قسمين نصفه صمت ونصفه تدري أين تضعه وزاد آخر ونصفه وجده ونصفه
نظر يعني تفكرًا واعتبارًا وسئل سفيان رحمه الله عن العالم من هو فقال من يضع العلم في مواضعه
ويوفي كل شيء حقه وقال بعض الحكماء إذا كثر العلم قل الكلام وقد كان إبراهيم رحمه الله يقول الصوفي
كلما ازداد علمه نقصت طيبته وقال بعض شيوخنا قلت للجنيد يا أبا القاسم يكون لسان بلا قلب
قال كثير قلت فيكون قلب بلا لسان قال نعم قد يكون ولكن لسان بلا قلب بلاء وقلب بلا لسان نعمة
قلت فإذا كان لسان وقلب قال فذاك الزهد بالتبيان وقد روينا حديثًا مقطوعًا عن سفيان عن

بلال

مالك بن مغول قال قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبًا من ذكر الله
عز وجل قيل يا رسول الله فأي الأصحاب خير قال صاحب إن ذكرت أعانك وإن نسيت ذكرك قيل فأي
الأصحاب شر قال صاحب إن سكت لم يذكرك وإن ذكرت لم يعنك قيل فأي الناس أعلم قال أشدهم لله
خشية قالوا فأخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل قالوا فأي الناس شر يا رسول الله
قال اللهم غفرًا قالوا أخبرنا يا رسول الله قال العلماء إذا فسدوا وقد وصف علي عليه السلام علماء الدنيا
الناطقين عن الرأي والهوى بوصف غريب رويناه عن خالد بن طليق عن أبيه عن جده عن عمران بن حصين
قال خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام فقال ذمتي رهينة وأنا به زعيم لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا
يظمأ على الهدى سنخ أصل وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره وكفى بالمرء جهلًا أن لا يعرف قدره وإن
أبغض الخلق إلى الله عز وجل رجل قمش علمًا أغار في أغباش الفتنة عمي عما في غيب الهدنة سماه أشباه
الناس عالمًا ولم يغن في العلم يومًا سالمًا ذكر فاستكثر فما قل منه خير مما كثر حتى إذا ارتوى
من آجن واكتنز من غير طائل جلس للناس مفتيًا لتخليص ما التبس على غيره فإن نزلت به إحدى المهمات
هيأ حشو الرأي من رأيه فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب ركاب
جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لم يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكي
منه الدماء وتصرخ منه المواريث ويستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملي هو والله بإصدار ما ورد عليه
ولا هو أهل لما فرط به أولئك الذين حلت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا ووصف علي
عليه السلام علماء الآخرة في حديث كميل بن زياد الذي يقول فيه الناس ثلاثة عالم رباني يعني عالم بالربوبية
فنسبه إلى الرب كما سماهم الله سبحانه وتعالى في قوله كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب فسمى العالم
بكتابه ربانيًا والدارس له فهذا قد جمع العلم والعمل وكذلك يقال العالم الرباني هو الذي يعلم
ويعمل ويعلم الناس الخير قال فذاك يدعى عظيمًا في ملكوت السماء وقال سبحانه وتعالى في تقديمهم
لولا ينهاهم الربانيون والأحبار فقدم الربانيين على الأحبار وهم علماء الكتب وكذلك روينا
عن مجاهد قال الربانيون فوق الأحبار درجة وقال غيره والأحبار فوق الرهبان درجة يعني علماء
القلوب أرفع من علماء الألسنة والعلماء بالكتب أفضل من العباد درجة وقد ضمهم الله سبحانه
وتعالى إلى أنبيائه في النصرة له والصبر معه في قوله عز وجل وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير
ثم وصفهم بالثبات لأمره والقوة في دينه والصبر لحكمه في تمام الآية والربيون جمع ربي يقال
ربي ورباني فجمع ربي ربيون وجمع رباني ربانيون وكذلك جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فقدّم العلماء على الشهداء لأن العالم إمام أمته فله
مثل أجور أمته والشهيد عمله لنفسه وفي خبر آخر حبر العلماء يوزن بدم الشهداء فأعلى حال الشهيد
دمه وأدنى وصف العالم حبره فسوّى بينهما وزاد العالم على الشهيد بأعلاء مقامه وكان علي عليه السلام
يقول العالم أفضل من الصائم القائم والمجاهد في سبيل الله عز وجل وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة
لا يسدها إلا خلف منه وقد روينا معناه مسندا إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء ما
طرد الليل والنهار وموت العالم نجم طمس وموت قبيلة أيسر من موت عالم ثم قال علي رضي الله عنه في حديث
كميل ومتعلم على سبيل نجاة يعني مريدا طالبا للعلم متعلما من العلماء بالله على طريق معاملة وإخلاص
يطلب السلامة وأن ينجو من الجهل في الدنيا ومن العذاب في الآخرة ثم قال وهمج رعاع الهمج الفراش الذي
يتهافت في النار بجهله واحدته همجة رعاع خفيف طياش لا عقل له يستفزه الطمع ويستخفه الغضب
ويزدهيه العجب ويستطيله الكبر ثم بكى علي عليه السلام وقال هكذا يموت العلم بموت حامليه ثم تنفس
عند وصف الربانيين فقال واشوقاه إلى رؤيتهم وقد ذكرنا الحديث بطوله في الباب الذي قبل هذا فهؤلاء
الذين حنّ إليهم شوقا هم الذين اشتاق رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم قبله فقال واشوقاه إلى إخواني
وددت أني قد رأيتهم ثم قال هم قوم يجيئون بعدكم ثم وصفهم فإنما كانوا إخوانه لأن قلوبهم على قلوب
الأنبياء وأخلاقهم بمعاني صفات الإيمان وهم أبدال هذه الأمة جاء في وصفهم ما يجل عن الوصف وهم على
طبقات صديقون وشهداء وصالحون منهم من قلبه على قلب إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ومنهم من
قلبه على قلب موسى الكليم وعيسى الروح ومحمد الحبيب عليه وعلى سائر الأنبياء السلام ومنهم من قلبه على
قلب جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام والأخوة تقع بين اثنين بالمجانسة وقرب الشبه في الأفعال
والأخلاق كما قال سبحانه وتعالى ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لما
كانوا على أوصافهم في القلوب من إسرار الكفر واعتقاد الشك جعلهم إخوانا وكذلك قال إن المبذرين كانوا
إخوان الشياطين وليسوا أمثالهم في الخلقة ولا بينهم أبوة ولا أمومة إن الشياطين ولد إبليس
لعنه الله والمبذرين أولاد آدم ولكن تشابهت قلوبهم في المواجيد والأخلاق والأفعال فآخى بينهم
للتشابه فمن كان من علماء الآخرة فعقله يستضيء من أنوار قلبه وفهمه ينبئ عن استنباط علمه
ومشاهدته وأخلاقه على معاني يقينه وقوته وطريقه وسلوكه في منهاج سنته وسبيله فهو من إخوانه
وإخوان النبيين الذين اشتاق إليهم وهم الرسول صلى الله عليه وسلم وهم الغرباء بين الملأ الذين قال بدأ
الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون إذا فسد الناس

يصلحون

وفي لفظ آخر الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي والذين يحيون ما أمات الناس من سنتي يعني أنهم
يظهرون طريقته التي تركها الناس وجهلوها وفي خبر آخر هم المتمسكون بسنتي وما أنتم عليه اليوم وفي
حديث آخر الغرباء ناس قليلون بين ناس سوء كثير من يبغضهم أكثر ممن يحبهم فهؤلاء الغرباء الذين
أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم بمرافقة النبيين في أعلى عليين فقال سبحانه وتعالى مع الذين أنعم الله عليهم من
النبيين إلى قوله عز وجل رفيقا وقد كان الثوري يقول إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط
وقال أيضا إذا رأيت الرجل محببا إلى إخوانه محمودا في جيرانه فاعلم أنه مراء وقد وصف الله سبحانه وتعالى
علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا وإذ أخذ الله
ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس إلى قوله ثمنا قليلا وقال في نعت علماء الآخرة وإن من أهل
الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم إلى قوله أجرهم عند ربهم وقد روينا عن الضحاك عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم علماء هذه الأمة رجلان فرجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا
ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم
على الله سبحانه وتعالى يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله سبحانه وتعالى علما
في الدنيا فضن به على عباد الله عز وجل وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا يأتي يوم القيامة ملجما بلجام
من نار ينادي مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله عز وجل علما في الدنيا فضن به عن عباد الله
عز وجل وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ الله تعالى من حساب الناس ومن أغلظ ما
سمعت فيمن أكل الدنيا بالعلم ما حدثونا عن عبيد بن واقد عن عثمان بن أبي سليمان قال كان رجل يخدم
موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى صفي الله عز وجل حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله سبحانه
وتعالى حتى أثرى وكثر ماله ففقده موسى صلى الله عليه وسلم فجعل يسأل عنه فلا يحس له أثر حتى جاءه
رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل أسود فقال له موسى أتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير
فقال موسى يا رب أسألك أن ترده إلى حاله حتى أسأله فيم أصابه هذا فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه لو
دعوتني يا موسى بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكني أخبرك لم صنعت هذا به لأنه كان يطلب
الدنيا بالدين وروينا عن الحسن رضي الله عنه أنه انصرف يوما من مجلسه فاستأذن عليه رجل من خراسان
فوضع بين يديه كيسا فيه خمسة آلاف درهم وأخرج من حضنه رزمة فيها عشرة أثواب من دقيق
بز خراسان فقال الحسن رضي الله عنه ما هذا فقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال له
عافاك الله ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس

صفة [illegible]

مثل هذا لقي الله عز وجل يوم يلقاه ولا خلاق له وفي خبر ان العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب
وما يزن عند الله جناح بعوضة وعلماء الدنيا الطالبون لها بالعلم الآكلون لها بالدين المتخذون الأخلاء
والأصدقاء من أبنائها المكرمون المحبوبون لهم المقبلون بالبشر والبشاشة عليهم هم معروفون في
كل زمان بأوصافهم ولحن قولهم وسيماهم وقد روينا في مقامات علماء السوء حديثا شديدا نعوذ
بالله العظيم من أهله ونسأله أن لا يبلونا بمقام منه قد رويناه مرة مسندا من طريق ورويناه
موقوفا على معاذ بن جبل رضي الله عنه وأنا أذكره موقوفا أحب إلي حدثونا عن مندل بن علي عن أبي نعيم
الشامي عن محمد بن زياد عن معاذ بن جبل يقول فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفته أنا
على معاذ قال من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن
على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك
في الدرك الأول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان فإن رد عليه شيء من علمه أو تهون
بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل حديثه وغرائب علمه لأهل الشرف
واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا
فيفتي بالخطأ والله سبحانه وتعالى يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم
بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة
ونبلا وذكرا في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فإن
وعظ عنف وإن وعظ أنف فذلك في الدرك السابع من النار عليك بالصمت فيه تغلب الشيطان وإياك
أن تضحك من غير عجب أو تمشي في غير أرب وقد روينا حديثا يدل على أوصاف علماء الآخرة وفيه أصول
ما يدعون الخلق إليه من مقامات الإيمان وأسباب الدين والإيقان رويناه عن شقيق بن إبراهيم البلخي عن
عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفته أنا على جابر بن عبد الله
قال لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالما يدعوكم من خمس إلى خمس من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الإخلاص
ومن الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى النصيحة ومما يدلك أن علم اليقين
والتقوى وعلم المعرفة والهدى هو العلم المذكور المقصود عند السلف أن الصحابة والتابعين كانوا يشفقون
من فقد ذلك ويخافون عدمه ويخبرون عن رفعه وقلته في آخر الزمان وإنما يعنون بذلك علم القلوب والمشاهدات
التي هي نتيجة التقوى وعلم المعرفة واليقين التي هي مزيد الإيمان وثمرة الهدى فإذا فقد المتقون وقل
الخائفون وعدم الزاهدون ذهب هذه العلوم لأنها قائمة بهم موجودة عندهم هم أربابها والناطقون بها

ومن أحوالهم وطريقهم هم السالكون لها والقائمون بها فلأجل معرفة الصحابة والتابعين بعز ذلك كانوا يبكون
على فقده وقد وصف الله سبحانه وتعالى العلماء بالزهد في الدنيا والاستصغار لها وبعمل الصالحات للإيمان
بها كما وصف أبناء الدنيا بالرغبة فيها والاستعظام لها فقال الله سبحانه وتعالى في معنى ذلك فخرج على
قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين
أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ثم قال عز من قائل ولا يلقاها إلا الصابرون أي لا يلقى
هذه الحكمة إلا الصابرون عن زينة الدنيا التي خرج فيها قارون ورويناه عن جندب بن عبد الله البجلي
قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غلمانا حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل القرآن ثم تعلمنا القرآن
فازددنا إيمانا وعن ابن مسعود رحمه الله قال أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يثقفونه
تثقيف القنا ليسوا بخياركم وفي لفظ آخر يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه ورويناه
عن عمر وغيره رضي الله عنهم لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة
فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن ولقد
رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وما
ينبغي أن يقف عنده وينثره نثر الدقل وفي الخبر الآخر بمعناه كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا
الإيمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده يقولون
قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم منه وفي لفظ آخر أولئك شرار هذه الأمة فأما العلم
المأثور الذي نقله خلف عن سلف والمرسوم في الكتب المستودع في الصحف الذي سمعه من غبر عمن
قدم فهذا علم الأحكام والفتيا وعلم الإسلام والقضايا طريقه السمع ومفتاحه الاستدلال وخزانته العقل
وهو مدون في الكتب ومحبر في الورق يتلقاه الصغير عن الكبير بالألسنة وهو باق ببقاء الإسلام
وموجود بوجود المسلمين لأنه حجة الله سبحانه وتعالى على عباده ومحجة العموم من خلقه فضمن إظهاره
فلم يكن ليظهر إلا بحملة نظمه ونقلة حمله فقال عز وجل ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وكما قال
الرسول صلى الله عليه وسلم بمعناه وعلم ظاهر على اللسان فذلك حجة الله عز وجل على خلقه وقال صلى الله عليه وسلم
لأصحابه رضي الله عنهم تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم فأخبر صلى الله عليه وسلم بالعلم العتيد
المستودع ظهور الكتب الذي هو ظاهر الدين وفي حمله وعلمه وجود الشرك كما ضمن الله سبحانه وتعالى
ببقية الإسلام على كره المشركين وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله من سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه فرب
حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه فقد أخبر أن حامل الفقه قد يكون غير فقيه القلب

اذا لم يعمل بعلمه وانه قد يحمله الى من هو افقه منه اذا عمل به كما قال فى الخبر الآخر رب مبلغ اوعى من
سامع فمدحه بالعمل به اذا وعاه فتذكر به وتفكر فيه وان لم يكن سمعه منه صلى الله عليه وسلم وقال سبحانه
وتعالى وتعيها اذن واعية يعنى اذن القلب الحافظة لما سمعت الذاكرة لما وعت كما قال سبحانه وتعالى
ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد يعنى اصغى بسمعه الى سامعه وشهد بقلبه
ما سمعه من شاهده وقد جاء فى تفسير وتعيها اذن واعية قال اذن عقلت عن الله عز وجل امره ونهيه فوعته
وعملت به كما وصف الله سبحانه وتعالى المومنين الذين اشترى انفسهم بقوله فى تمام وصفهم والحافظون لحدود
الله وقد روينا عن على عليه السلم اطلبوا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من اهله وقال ايضا اذا سمعتم
العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج مجة من العلم
وقال الخليل بن احمد رحمه الله ليس العلم ما حواه القمطر انما العلم ما وعاه الصدر واذا جمع العالم ثلاثا تمت به
النعمة على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت به النعمة على العالم العقل
والادب وحسن الفهم **ذكر** وصف العلم وطريقة السلف وذم ما احدث المتاخرون من القصص والكلام
لانه لابد للعالم بالله عز وجل من خمس هن علامة علماء الآخرة الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق
والزهد قال الله سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال عز وجل خاشعين لله لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا الآية ولابد له من التواضع وحسن الخلق قال الله عز وجل واخفض جناحك للمومنين وقل انى انا النذير
المبين وقال عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب الآية وقال سبحانه وتعالى فى الزهد
وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن الآية فمن وجد فيه هذه الخلال فهو من العلماء بالله عز وجل
واعلم انه انما يستبين العالم عند المشكلات فى الدين ويحتاج الى العارف عند شبهات حيك الصدر
كما روينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود اى الناس اعلم فقال الله ورسوله اعلم فقال اعلمهم
بالحق اذا اختلف الناس وان كان فى عمله تقصير وان يزحف على استه فلذلك كان ابن مسعود رضى الله عنه
يقول لا تزالون بخير اذا حاك فى صدر احدكم شى وجد من يخبره به ويشفيه منه وايم الله اوشك ان لا
تجدوه ورويناه فى حديث عمران بن حصين ان الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل
عند هجوم الشهوات ويحب السماحة ولو على تمرات ويحب الشجاعة ولو على قتل الحيات فقد حصلنا
فى زماننا هذا فى مثل مخافة ابن مسعود رضى الله عنه لان مشكلة لو وردت فى معانى التوحيد او اختلجت
فى صدر موقن من معانى صفات الموحد اردت كشف ذلك على حقيقة الامر بما يشهد القلب الموقن ويثلج
له الصدر المشروح بالهدى لكان ذلك عزيزا ولكنت فى استكشاف ذلك بين خمسة نفر مبتدع ضال

تجبر برايه عن هواه فيزيدك حيرة او متخلف يفتنك بقصور علمه عن شهادة الموقنين وبقياس معقوله
على ظاهر الدين وهذا شبهة فكيف تنكشف به شبهة او صوفى شاطح غالط تايه يجاوز بك الكتاب
والسنة ولا يبالى بهما او يخالف بقوله الايمة لا يحاشاهم يتجيبك بالظن والوسواس والتمويه والتبابس
ويمحو الكون والمكان ويسقط العلم والاحكام ويذهب الاسما والرسوم وهو لا تايهون فى مفاوز التيه
لم يقفوا على المحجة قد غرقوا فى بحر التوحيد لم يجعلوا ايمة للمتقين ولا حجة وهذا ساقط القول اذ ليس
معه حجة ولا هو على سنن محجة او مفت موسوم بالفقه عند اصحابه عالم عند نفسه يقول لك هذا من
احكام الآخرة ومن علم الغيب لا نتكلم فيه لانا لم نكلفه وهو فى اكثر مناظرته يتكلم فيما لم يكلف ويجادل
فيما لم ينطق به السلف ويتعلم ويعلم ما علمه تكلف ولا يعلم المسكين انه كلف علم الايمان وحقيقة التوحيد
ومعرفة الاخلاص للمعاملة وعلم ما يقدح فى الاخلاص ويخرج من جملته قبل ما هو فيه وانه متكلف لبعض ما
هو بسبيله لان علم الايمان وصحة التوحيد واخلاص العبودية للربوبية واخلاص الاعمال من الهوى الدنيوى
وما يتعلق بذلك من اعمال القلوب هو من الفقه فى الدين ونعت اوصاف المومنين اذ مقتضاه الانذار
والتحذير لقول الله عز وجل ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين فانى متعلم معكم ولقول الصحابة تعلمنا الايمان ثم
تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا فهذا مزيد الهداية بالايقان وهو زيادة للمومنين فى الايمان كما قال الله سبحانه
وتعالى فزادتهم ايمانا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ولا يشعر ان حسن الادب فى المعاملة بمعرفة ويقين
هو من صفات الموقنين وذلك حال العبد من مقامه بينه وبين ربه وهو نصيبه من ربه وحظه من مزيد آخرته
فهو معقود بشهادة التوحيد الخالصة المقترنة بالايمان من خفايا الشرك وشعب النفاق وهو مقترن
بالفرائض وفرض فرضها الاخلاص للمعاملة وان علم ما سوى هذا مما قد اشرب قلبه وحبب اليه من فضول
العلم وغرايب الفهوم انما هو حجاب عن هذا وشغل عنه لانه نوازل الناس وحوايجهم فاثر هذا الغافل
بقلة معرفته بحقيقة العلم النافع ما زين له طلبه وحبب اليه قصده فاثر حوايج الناس واحوالهم على حاجته
وحاله وعمل فى انصبتهم منه فى عاجل دنياهم من نوازل طوارقهم وفتياهم ولم يعمل فى نصيبه الاوفر
من رتبة الاعلى اجل آخرته التى هى خير وابقى اذ مرجعه اليها ومثواه المويد فيها فاثر التقرب منهم على القربة
من ربه عز وجل وترك الشغل بهم حظه من الله سبحانه وتعالى الاجزل وقدم التفرغ لهم على فراغ قلبه لما
قدم لغده من تقواه بالشغل بخدمة مولاه وطلب رضاه واشتغل بصلاح السنتهم عن صلاح قلبه وظواهر
احوالهم عن باطن حاله وكان سبب ما بلى به حب الرياسة وطلب الجاه عند الناس والمنزلة بموجب السياسة

والرغبة في عاجل الدنيا وعجزها بقلة الهمة وضعف النية في آجل الآخرة وذخرها فأفنى أيامه آباؤهم
وأذهب عمره في شهواتهم ليسميه الجاهلون بالعلم عالماً وليكون في قلوب البطالين عندهم فاضلاً فيرد القيامة
مفلساً وعند ما يراه من أنصبة المقربين مبلساً إذ درج الراضون العاملون وفاز بالقرب العاملون ولكن
أنى له وكيف بنصيب غيره وقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل عمل عاملاً ولكل علم عالماً أولئك ينالهم نصيبهم
من الكتاب كل ميسر لما خلق له بهذا فصل الخطاب وأيضاً فإن الأمة لم تختلف أن علم التوحيد فريضة
لا سيما إذ وقعت الشبهات وأدخلت فيه المشكلات وإنما اختلفوا في مسألتين أي شيء هو التوحيد
وفي كيفية طلبه والتواصل إليه فمنهم من قال بالبحث والطلب ومنهم من قال بالاستدلال والنظر
ومنهم من قال بالسمع والأثر وقال بعضهم بالتوقيف والتسليم وقال بعض الناس يدرك ذكره بالعجز
والتقصير عن بلوغ دركه والرجل الخامس من العلماء هو صاحب حديث وآثار وتأويل ورواية أخبار
يقول لك إذا سألته اعتقد التسليم وأمر الأحاديث كما جاءت بلا تفسير وهذا يتلو المفتي في السلامة وهو
أحسنهم طريقة وأشبههم بسلف العامة خليقة ليس عنده شهادة يقين ولا معرفة تحقيقه ما رواه
ولا هو شاهد واصف لمعنى ما نقله إنما هو للعلم راوية وللأثر والخبر ناقله عن غير خبره ولا فقه
في نقله فهو على بينة من ربه عز وجل وليس يتلوه شاهد منه وقد كان الزهري رحمه الله يقول حدثني
فلان وكان من أوعية العلم ولا يقول وكان عالماً وكان مالك بن أنس رضي الله عنه يقول أدركت سبعين
شيخاً من التابعين منهم عباد ومنهم من يستسقى به ما حملت عنهم علماً قط قيل ولم ذلك قال لم
يكونوا من أهل هذا الشأن وفي رواية لم يكونوا يدرون ما يحدثون به ولم يكن لهم فقه فيما يسألون عنه
قال مالك وتقدم علينا ابن شهاب الزهري وهو حدث السن فنزدحم حتى لا نصل إليه لأنه كان عالماً
بما يحدث به فهذا يعني ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه
إلى من هو أفقه منه وقال بعض السلف يقول ما كانوا يعدون علم من لا يعرف اختلاف العلماء علماً وقال كان
آخر من لم يعرف اختلاف العلماء لم يحل له أن يفتي ولم يسم عالماً وقال قتادة وسعيد بن جبير أيضاً أعلم
الناس أعرفهم باختلاف الناس وقيل لأحمد بن حنبل رضي الله عنه إذا كتب الرجل مائة ألف حديث له أن يفتي
قال لا قيل فمائتي ألف قال لا قيل فثلثمائة ألف قال أرجو وفي التوراة مكتوب الطبيب الحاذق للعلة الباطنة
يصلح وكتب سلمان رضي الله عنه من المدائن إلى أبي الدرداء وكان قد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما
فيمن آخى يا أخي بلغني أنك قعدت طبيباً تداوي المرضى فانظر فإن كنت طبيباً فتكلم فإن كلامك شفاء
وإن كنت متطبباً فالله الله لا تقتل مسلماً وكان أبو الدرداء رحمه الله يتوقف بعد ذلك إذا سئل عن شيء

وسأل

وسأله إنسان فأجابه ثم قال ردوه فقال له أعد علي فأعاد فقال متطبب والله فرجع في جوابه ولعمري
إنه قد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطبب ولم يعلم منه طب فقتل فهو ضامن وكان ابن عباس
يقول سلوا جابر بن زيد فلو نزل أهل البصرة على فتياه لوسعهم وكان من صالحي التابعين وكان ابن عمر رضي
الله عنهما إذا سئل عن شيء يقول سلوا سعيد بن المسيب وكان أنس بن مالك يقول سلوا مولانا الحسن رضي الله عنهم
فإنه قد حفظ ونسينا وقال بعض البصريين قدم علينا رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتينا
الحسن رضي الله عنه فقلنا ألا تنهض إلى هذا الصحابي فنسأله عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجيء
معنا قال نعم فاذهبوا قالوا فجعلنا نسأله عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يحدثنا حتى
حدثنا عشرين حديثاً قال والحسن ساكت يستمع إليه ثم جثا الحسن رضي الله عنه على ركبتيه وقال
يا صاحب رسول الله أخبرنا بتفسير ما رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نتفقه فيه فسكت الصحابي
وقال ما عندي إلا ما سمعت قال فابتدأ الحسن رضي الله عنه بتفسير ما رواه فقال أما الحديث الأول الذي
حدثتنا به فإن تفسيره كيت وكيت والحديث الثاني تفسيره كذا وكذا حتى سرد عليه الأحاديث كلها كما
حدثنا بها وأخبرنا بتفسيرها قال فلا تدري أنعجب من حسن حفظه وأدائه للحديث أو من علمه وتفسيره
قال فأخذ الصحابي كفاً من حصى وحصبنا به ثم قال تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم فهذا أن
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يردون الأمور في الفتيا وعلم اللسان إلى من هو دونهم في القدر والمنزلة
وهم في علم التوحيد والمعرفة والإيمان فوقهم درجات ولا يرجعون إليهم في الشبهات ولا يردون إليهم في
علم اليقين والمعرفة فهذا كما قيل إنما العلم نور يقذفه الله سبحانه وتعالى في قلوب أوليائه فقد يكون ذلك
تفضيلاً للنظراء بعضهم على بعض وقد يكون تخصيصاً للشباب على الشيوخ ولمن جاء بعد السلف من التابعين
وربما كان تكرمة للخاملين المتواضعين لينبه عليهم وتعرف شأنهم ليعظموا ويرفعوا كما قال الله سبحانه وتعالى
ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة والنور إذا جعل في الصدر انشرح
القلب بالعلم ونظر باليقين فنطق اللسان بحقيقة البيان وهو الحكمة التي يودعها الله سبحانه وتعالى
قلوب أوليائه كما جاء في تفسير قوله عز وجل وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قيل الإصابة في القول
فكأنه يوفقه للحقيقة عنده وقال سبحانه وتعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي يوفقه
خيراً كثيراً قيل الفهم والفطنة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الهداية حين تلا قوله
سبحانه وتعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام فقيل يا رسول الله ما هذا الشرح فقال
إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور

والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فذلك سبيبه الزهد في الدنيا والاقبال على
خدمة المولى بحسن التوفيق والاصابة في العلم مواهب من الله سبحانه وتعالى واثرة يخص بها من يشا كما سئل
ابو موسى الاشعري وهو امير الكوفة عن رجل قتل في سبيل الله عز وجل مقبلا غير مدبر اين هو قال
في الجنة فقال ابن مسعود رحمه الله للسائل اعد على الامير فلعله لم يفهم قال السائل قلت ايها
الامير ما قولك في رجل قاتل في سبيل الله عز وجل فقتل مقبلا غير مدبر اين هو فقال ابو موسى في الجنة
فقال ابن مسعود اعد على الامير فلعله لم يفهم فاعاد عليه ثلاثا كل ذلك يقول ابو موسى في الجنة ثم قال ما
عندي غير هذا فما تقول انت فقال ابن مسعود رضي الله عنه لكني لا اقول هكذا قال فما قولك فقال اقول
ان قتل في سبيل الله عز وجل فاصاب الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى رحمه الله صدق لا تسالوني عن شي
ما دام هذا الحبر بين اظهركم والقول في تسليم اخبار الصفات والسكوت عن تفسيرها كما قال اصحاب الحديث
الا ان معرفة معاني الاسماء والصفات تنفي الظن والوسواس فيها وترك التشبيه والتمثيل بها والطمانينة
الى اليقين بالمعرفة لمشاهدتها هو مقام الموقنين واعتقاد انها صفات الله عز وجل يتجلى بها وبما شاء
من غيرها بلا حد ولا عدد ويظهر بصفة صفة كيف شاء غير موقوف على صفة ولا محكوم عليه بصورة
بلا اظهار غيرية بل هو هو كيف ظهر وباي وصف تجلى مع نفي الكيفية والمثلية لفقد الجنس والجوهرية
هو مقام المقربين من الشهداء وهولاء هم الصديقون وخصوص الموقنين فمن عدل به عن وجهة هو اي ولم
يواجه بشهادتهم عدل الى التسليم والتصديق فوقف عنده فكان معقله واستراحته وليس بعد هو الا مقام
مدح ولا وصف يذكر فمن فتش ذلك بعقله وفسره برايه دخل عليه التشبيه او خرج الى النفي والابطال
ومن الدليل على فضل هذا العلم على ساير العلوم ما جاء في الاخبار المتفرقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن الصحابة والتابعين في فضل مجالس الذكر وفضل الذاكرين انما يعنون به علم الايمان والمعرفة وعلوم
المعاملات والتفقه في بصاير القلوب والنظر بعين اليقين الى سراير الغيوب ليس يريدون به مجالس القصص
ولا يعنون بذلك القصاص لانهم كانوا يرون القصص بدعة ويقولون لم يقص في زمن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا في زمن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة فلما وقعت الفتنة ظهر القصاص
ولما دخل علي عليه السلم البصرة جعل يخرج القصاص من المسجد ويقول لا يقص في مسجدنا حتى انتهى
الى الحسن وهو يتكلم في هذا العلم فاستمع اليه ثم انصرف ولم يخرجه وجاء ابن عمر رضي الله عنهما الى مجلسه
من المسجد فوجد قاصا يقص فوجه الى صاحب الشرطة ان اخرجه من المسجد فاخرجه فلو كان القصص
من مجالس الذكر والقصاص علماء لما اخرجهم ابن عمر من المسجد هذا مع ورعه وزهده وقد روينا

عن ابن شوذب عن ابي التياح قال قلت للحسن امامنا يقص فيجتمع الرجال والنساء فيرفعون اصواتهم
بالدعاء ويمدون ايديهم فقال الحسن رحمه الله رفع الصوت بالدعاء بدعة ومد الايدي بالدعاء بدعة
وروى ابو الاشهب عن الحسن القصص بدعة وقيل لابن سيرين لو قصصت على اخوانك فقال قد قيل
لا يتكلم على الناس الا احد ثلاثة امير او مامور او احمق ولست باميرٍ ولا مامور واكره ان اكون الثالث وروينا
عن عون بن موسى عن معوية بن قرة قال سالت الحسن البصري رحمه الله قلت اعود مريضا احب اليك او
اجلس الى قاص فقال عد مريضك قلت اشيع جنازة احب اليك او اجلس الى قاص قال شيع جنازتك
قلت استعان بي رجل في حاجة اعينه او اجلس الى قاص قال اذهب في حاجتك حتى جعله اخر من مجالس الفراغ
فلو كانت مجالس الذكر عندهم هي مجالس القصاص ولو كان القصص هي الذكر لما وسع الحسن رحمه الله ان يثبط
عنه ولا ان يوثر عليه كثيرا من الاعمال لانه قد كان يدعو الى الله عز وجل بالتوحيد ويتكلم في علم المعرفة واليقين
والذاكرون لله عز وجل وحضور مجالس الذكر من مزيد الايمان وقد رفع الله سبحانه وتعالى مقام الذاكرين
فوق مقامات المومنين في قوله ان المسلمين والمسلمات فجعل الذاكرين والذاكرات اعلى المقامات وقد روينا
في حديث ابي ذر حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة الف مريض
وحضور مجلس علم افضل من شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة
القرآن الا بعلم وقال بعض السلف حضور مجلس ذكر يكفر عشرة مجالس من مجالس الباطل واما عطا فانه قال
مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وحدثونا عن معاذ الاعلم قال راني يونس بن عبيد وانا
في حلقة المعتزلة فقال تعال الى الحسن فقال ان كنت فاعلا فعليك بحلقة القصاص وكان الحسن رحمه الله
احد المذكرين وكانت مجالسه مجالس الذكر يخلو فيها مع اخوانه واتباعه من النساك والعباد في بيته
مثل مالك بن دينار وثابت البناني وايوب السختياني ومحمد بن واسع وفرقد السبخي وعبد الواحد بن
زيد فيقول هاتوا انشروا النور فيتكلم عليهم في هذا العلم من علم اليقين والقدرة وفي خواطر القلوب
وفساد الاعمال ووساوس النفوس فربما قنع بعض اصحاب الحديث راسه فاختفى من ورائهم ليسمع
ذلك فاذا راه الحسن قال له يا لكع وانت ما تصنع ها هنا انما خلونا مع اخواننا نتذاكر وكان الحسن رحمه الله
هو امامنا في هذا العلم الذي نتكلم به اثره نقفو وسبيله نتبع ومن مشكاته نستضيء اخذنا ذلك باذن
الله عز وجل اماما عن امام الى ان ينتهي ذلك اليه وكان من خيار التابعين باحسان قيل ما زال يعي
الحكمة اربعين سنة حتى نطق بها ولقي سبعين بدريا وراى ثلثماية من الصحابة وولد لسنتين بقيتا
من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة عشرين من الهجرة وولد بالمدينة وكانت امه مولاة لام سلمة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم

ويقال إنها ألقمته ثديها تعلّله حين بكى فدرّ ثديها عليه وكان كلامه يشبه بكلام رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورأى عثمان وعليًا رضي الله عنهما وممن بقي في وقته من العشرة ثم رأى من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من عهد عثمان ومن سنة نيف وعشرين من التاريخ إلى سنة نيف وتسعين ومن آخر من مات
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبصرة أنس بن مالك رحمه الله وبالمدينة سهل بن سعد الساعدي رحمه الله
وبمكة أبو الطفيل رحمه الله وباليمن أبيض بن حمّال المازني رحمه الله وبالكوفة عبد الله بن أبي أوفى وبالشام
أبو قرصافة وبخراسان بريدة الأسلمي رحمه الله ودخلت سنة مائة من التاريخ ولم يبق على وجه الأرض عين
تطرف رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أطراف الأرض ثم توفي الحسن رحمه الله في سنة عشر ومائة وكان أبو قتادة
العدوي يقول عليكم بهذا الشيخ فوالله ما رأينا أحدًا لم يصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه بأصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وكانوا يقولون كنا نشبّهه بهدي إبراهيم الخليل صلى الله عليه وعلى نبينا
وسلم في حلمه ووقاره وسكينته وكان على شمائله ونذرت امرأة بالبصرة نذرًا إن فعل الله عز وجل ذلك بها
أن تنسج ثوبًا من غزلها وصفته وتكسوه خير أهل البصرة فرأت تمام نذرها فوفت بما نذرت ثم سألت
من خير أهل البصرة فقالوا الحسن رحمة الله عليه وكان الحسن أول من نهج سبيل هذا العلم وفتق الألسنة
به ونطق بمعانيه وأظهر أنواره وكشف قناعه وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من إخوانه
فقيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك فممن أخذت هذا قال من حذيفة
ابن اليمان وقيل وقالوا لحذيفة نراك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمن أين أخذته فقال خصّني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت
أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف
الخير وفي لفظ حديث آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا فيسألونه عن فضائل الأعمال
وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني صلى الله عليه وسلم أسأل عن آفات الأعمال خصّني
بهذا العلم وكان حذيفة رضي الله عنه قد خصّ بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وسرائر العلم
ودقائق الفهم وخفايا الفتن من بين الصحابة فكان عمر وعثمان رضي الله عنهما وأكابر أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسألونه عن الفتن العامة والفتن الخاصة ويرجعون إليه في العلم الذي خصّ به ويسألونه عن المنافقين
وهل بقي منهم من ذكر الله سبحانه وتعالى وأخبر عنهم أحد فكان يخبر بأعدادهم ولا يذكر أسماءهم وكان
عمر رضي الله عنه يستكشفه عن نفسه هل يعلم فيه شيئًا من النفاق فبرّأه منه ثم يسأله عن علامات النفاق
وآية المنافق فيخبره من ذلك بما يصلح مما أذن له فيه ويستعفي عما لا يجوز أن يخبر به فيعذره في ذلك وكان

وكان عمر رضي الله عنه إذا دعي إلى جنازة ليصلي عليها نظر فإن حضر حذيفة رضي الله عنه صلى عليها وإن لم
يحضر حذيفة لم يصلّ عليها وكان حذيفة رحمه الله يسمّى صاحب السرّ كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
سئلوا عن علم يقول أحدهم تسألوني عن هذا وصاحب السرّ فيكم يعني حذيفة وروينا عن أنس بن مالك أنه
لما حدّث عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل مجالس الذكر لأن أقعد مع قوم يذكرون الله سبحانه وتعالى من
غدوة إلى طلوع الشمس أحبّ إليّ من أن أعتق أربع رقاب قال فالتفت إلى يزيد الرقاشي وزياد النميري فقال
لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقصّ أحدكم ويخطب على أصحابه ويسرد الحديث سردًا إنما كنا
نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعدّد نعم الله سبحانه وتعالى علينا وقد كان
عبد الله بن رواحة يقول لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالوا حتى نؤمن ساعة فيجلسون إليه فيذكرهم
العلم بالله عز وجل والتوحيد والآخرة وكان يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قيامه فيجتمع الناس
إليه ويذكرهم الله عز وجل وأيامه ويفقّههم فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فربما خرج عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم مجتمعون عنده فيسكتون فيقعد إليهم ويأمرهم أن يأخذوا فيما كانوا فيه ويقول
بهذا أمرت وإلى هذا دعوت وروي نحو هذا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وقد كان يتكلم في هذا العلم
وقد روينا هذا مفسّرًا في حديث جندب كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نتعلّم الإيمان قبل أن نتعلّم
القرآن فسمّى علم الإيمان إيمانًا كما سمّاه ابن رواحة لأن علم الإيمان وصف الإيمان والعرب تسمّي الشيء بوصفه
وتسمّيه بأصله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثله تعلّموا اليقين أي علم اليقين وكما قال الله سبحانه وتعالى
وابيضّت عيناه من الحزن أي من البكاء فسمّاه بأصله لأن الحزن أصل البكاء وروينا عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه خرج ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه والآخر يفقّهون
في الدين ويعلّمون الناس فوقف بينهما ثم قال أمّا هؤلاء فيسألون الله سبحانه وتعالى فإن شاء أعطاهم وإن
شاء منعهم وأمّا هؤلاء فيعلّمون الناس ويفقّهون في الدين وإنما بعثت معلّمًا ثم عدل إلى الذين يفقّهون
الناس في الدين ويذكرون الله عز وجل فجلس معهم وحكي عن بعض السلف قال دخلت المسجد ذات يوم فإذا
بحلقتين إحداهما يقصّون ويدعون والأخرى يتكلّمون في العلم وفقه الأعمال قال فملت إلى حلقة الدعاء
فجلست إليهم فحملتني عيناي فنمت فهتف بي هاتف أو قال لي شخص جلست إلى هؤلاء وتركت العلم أما لو مجلس
جلست إليهم لوجدت جبريل عليه السلام عندهم وحقيقة الذكر هو العلم بالله عز وجل ألا تسمع إلى ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا إله إلا الله وقال الله سبحانه وتعالى في تصديقه فاعلم أنه لا إله إلا الله
وقال في مثله فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو ثم إن العلم من الذكر علم المشاهدة والمشاهدة

صفة عين اليقين فإذا انكشف غطاء العين شهدت معاني الصفات بأنوارها وهو مزيد نور اليقين الذي هو كمال
الإيمان وحقيقته فهناك ذكرت الموصوف بمشاهدة المذكور بنور وصفه ألم تر إلى قوله سبحانه وتعالى
كانت أعينهم في غطاء عن ذكري فمن كانت عينه في كشف من ذكره شهد المذكور فعندها ذكره ثم وجد
حقيقة العلم بعد نسيان الخلق كقوله عز وجل واذكر ربك إذا نسيت فحق الذكر نسيان سواه كما حقيقة
الإيمان الكفر بكل ما سواه لقوله سبحانه وتعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله وقال بعض أهل الحديث
جاءني رجل من إخواني من أهل المعرفة فقال قد وجدت من قلبي غفلة فأريد أن تحملني إلى مجلس من مجالس
الذكر فقلت نعم فسمى له مذكرا يتكلم في علوم العامة قال فحضرنا عنده واجتمع الخلق فأخذ في شيء من القصص
وذكر الجنة والنار فنظر إلي صاحبي فقال أليس زعمت أن هذا يذكر الله عز وجل ويذكر به فقلت نعم هكذا
هو عندنا فقال ما أسمع إلا ذكر الخلق فأين ذكر الله عز وجل قال ثم توقف ساعة ينتظر منه ما يريد من
علم المعرفة ومما سمعه من شيوخه الصوفية قال فليس إلا القصص والحكايات فالتفت إلي وقال قم بنا
فإنه لا ينبغي الجلوس لأنه لا نية لي في ذلك فقلت أما أنا فأستحيي أن أتخطى الناس فاصنع أنت ما ترى
فقام يتخطى الناس حتى خرج وقد روى الزهري رحمه الله عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه خرج من
المسجد وقال ما أخرجني إلا القاص ولولاه ما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري نستقبل القاص بوجوهنا
فقال رحمه الله ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون رحمه الله دخلت على ابن سيرين رضي الله عنه فقال ما
كان اليوم من خبر فقلت نهى الأمير القصاص أن يقصوا وحدثنا عن أبي معمر عن خلف بن خليفة
قال رأيت سيارا أبا الحكم يستاك على باب المسجد وقاص يقص في المسجد فجاءه رجل فقال يا أبا الحكم
إن الناس ينظرونك فقال إني في خير مما هم فيه أنا في سنة وهم في بدعة وقد فعل الأعمش رضي الله عنه
أبلغ من ذلك دخل البصرة وكان فيها غريبا فنظر إلى قاص في الجامع وهو يقول حدثنا الأعمش عن
أبي إسحق وحدثنا الأعمش عن أبي وائل قال فتوسط الأعمش الحلقة ورفع يديه وجعل ينتف
شعر إبطه فبصر به القاص فقال يا شيخ ألا تستحيي نحن في علم وأنت تفعل هذا فقال له الأعمش
الذي أنا فيه أفضل من الذي أنت فيه قال كيف قال لأني في سنة وأنت في كذب أنا الأعمش وما حدثتك
مما تقول شيئا قال فلما سمع الناس ذكر الأعمش انفضوا عن القاص واجتمعوا حوله وقالوا حدثنا
يا أبا محمد وأخبرنا عن محمد بن أبي هارون أن إسحق حدثه قال صليت مع أحمد بن حنبل صلاة العيد
فإذا قاص يقص يلعن المبتدعة ويذكر السنة فلما قضينا الصلاة ومررنا ببعض الطريق ذكر
أبو عبد الله القاص فقال ما أنفعهم للعامة وإن كان عامة ما يحدثون به كذبا وأخبرت عن محمد بن جعفر

أن أبا الحارث رحمه الله حدثه أنه سمع أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول أكذب الناس القصاص والسؤال
وحدثونا عن أحمد أيضا أنه قال ما أحوج الناس إلى قاص صدوق لأنهم يذكرون الميزان وعذاب القبر
قلت له كنت أنت تحضر مجالسهم قال لا ورويناه عن حبيب بن أبي ثابت عن زياد النميري رحمهم الله
قال أتيت أنس بن مالك رضي الله عنه وهو بالزاوية فقال لي قص فقلت كيف والناس يقولون إنه بدعة
فقال ليس شيء من ذكر الله عز وجل بدعة قال فقصصت فجعلت أكثر قصصي دعاء رجاء أن يؤمن
قال فجعلت أقص وهو يؤمن فقد كانوا يجعلون الدعاء قصصا وحدثت عن يوسف بن عطية عن محمد بن
عبد الرحمن الخراز قال فقد الحسن رحمه الله عامر بن عبد الله العنبري فقال اذهبوا بنا إلى أبي عبد الله
فأتاه الحسن رحمه الله فإذا عامر في بيت قد لف رأسه وليس في البيت إلا رمل فقال له الحسن يا أبا عبد الله
لم نرك منذ أيام فقال إني كنت أجلس هذه المجالس فأسمع تخليطا وتغليطا وإني كنت أسمع مشيختنا
فيما يروون عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إن أصفى الناس إيمانا يوم القيامة أكثرهم فكرة
في الدنيا وأكثر الناس ضحكا في الجنة أكثرهم بكاء في الدنيا وأشد الناس فرحا في الآخرة أطولهم حزنا
في الدنيا فوجدت البيت أخلى لقلبي وأقدر لي من نفسي على ما أريد منها قال الحسن رحمه الله أما إنه لم يعن
مجالسنا هذه إنما عنى مجالس القصاص في الطرق الذين يخلطون ويغلطون ويقدمون ويؤخرون
وقد قسم بعض العلماء المتكلمين ثلاثة أقسام فوصفهم بأماكنهم فقال المتكلمون ثلاثة أصحاب الكراسي
وهم القصاص وأصحاب الأساطين وهم المفتون وأصحاب الزوايا وهم أهل المعرفة فمجالس أهل العلم بالله
عز وجل وأهل التوحيد والمعرفة هي مجالس الذكر وهي التي جاءت فيها الآثار وفي الخبر إذا مررتم برياض
الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث إن لله سبحانه وتعالى ملائكة سياحين
في الهواء فضلا عن كتاب الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا ألا هلموا إلى بغيتكم
فيأتونهم حتى يجلسوا إليهم فيحفون بهم ويستمعون منهم ألا فاذكروا الله سبحانه وتعالى وذكروا
بأنفسكم وقال وهب بن منبه اليماني مجلس يتنازع فيه العلم أحب إلي من قدره صلاة لعل
أحدهم يسمع الكلمة فينتفع بها السنة أو ما بقي من عمره وسئل أحمد رحمه الله عن مجالس الذكر
ففضلها ورغب فيها وقال وأي شيء أحسن من أن يجتمع الناس فيذكرون الله عز وجل ويعددون
نعمه عليهم كما قالت الأنصار ورويناه عن علي عليه السلام ما يسرني أن الله تعالى أماتني طفلا وأدخلني
الدرجات العلى من الجنة قيل ولم قال لأنه أحياني حتى عرفته وقال مالك بن دينار رضي الله عنه
خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها قيل وما هو قال المعرفة وأنشد

ان عرفان ذي الجلال لعز وضيا وبهجة وسرور وعلى العارفين ايضا بهاء وعليهم من المحبة نور
فهنيئا لمن عرفك الهي هو والله دهره مسرور   وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله في الدنيا جنة
من دخلها لم يشتق الى الجنة قيل وما هي قال معرفة الله عز وجل   وقال بعضهم لن يخطيك من العارف احدى
ثلاث خلال تدل عليه هيبة او حلاوة او انس   وقال عالمنا ابو محمد سهل رحمه الله خرج العلماء والعباد
والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو يعني مقفلة عن مفاتح المعرفة وشهادة عين التوحيد فمجالس الذكر هذه قديما كانت
لاهل المعرفة واصحاب معاملات القلوب وعلم الباطن وهم علماء الآخرة واهل الفقه في الدين وقد قال الله سبحانه وتعالى
اصدق القائلين فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
لعلهم يحذرون فذكر الفقه الذي هو من صفة القلب والخوف الذي هو من موجب الفقه وعلم العقل داخل في
علم الظاهر والعلم بالله عز وجل داخل في اليقين كما روي في الخبر اليقين الايمان كله وقال سبحانه وتعالى وما يعقلها
الا العالمون فجعل العقل وصفا من العلم وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم اليقين كما امر بطلب
العلم فكان هذا الحديث مخصوصا من ذلك فيكون قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين للخصوص لان اليقين
مقام فوق العلم ويكون قوله طلب العلم فريضة للعموم وفي قوله تعلموا اليقين امر بمجالسة الموقنين
لان اليقين لا يظهر بذاته وانما يوجد عند الموقنين فقد امرهم ولم يقل تعلموا علم المعقول ولا علم الفتاوى
وكان علماء الظاهر قديما يسمون المفتون ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان افتاك
المفتون فرده الى فقه القلب وصرفه عن فتيا المفتين فلولا ان القلب فقيه وعلم ان الباطن حاكم
على العلم الظاهر ما دفعه من علوم اهل الظاهر وهم علماء الالسنة الى علم الباطن وهو علم اهل القلوب
ولا يجوز ان يرده صلى الله عليه وسلم الى غير فقيه ولا من فقيه الى فقيه دونه وقد جاء هذا الحديث بلفظة
مؤكدة بالتكرير والمبالغة فقال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وهذا مخصوص لمن كان له قلب
والقى سمعه وشهد قيام شاهده وعري من هواه وعادته لان الفقه ليس من وصف اللسان الم تسمع قوله
سبحانه وتعالى لهم قلوب لا يفقهون بها فمن كان له قلب سميع بسمع شهيد يشهد فقه به الخطاب
فاستجاب لما سمع واناب   وذكر عز وجل في قوله ليتفقهوا في الدين وصفين ظهرا عن الفقه احدهما النذارة
وهو مقام في الدعوة الى الله سبحانه وتعالى ولا يكون المنذر الا مخوفا ولا يكون المخوف الا خائفا والخائف
عالم والثاني الحذر وهو حال من المعرفة بالله عز وجل وهو الخشية له والفقه والفهم اسمان لمعنى واحد
العرب تقول فقهت بمعنى فهمت وقد فضل الله سبحانه وتعالى الفهم عنه على العلم والحكمة ودفع الافهام

على القضاء والاحكام فقال سبحانه وتعالى ففهمناها سليمان فافرده بالفهم عنه وهو الذي فضله به
على حكم ابيه في القضية بعد ان اشركهما في الحكم والعلم   وقد فضل الحسن بن علي عليهما السلام علماء الهداية
الى الله الدالين على الله سبحانه وتعالى وسماهم العلماء وحققهم بالعلم في كلام روي لنا عنه منظوما وقد روينا
ايضا عن علي عليه السلام   ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء   وقدر كل امرئ
ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء   فمن كان عالما بعلم معلوم الله سبحانه وتعالى فمن افضل منه
واي قيمة تعرف له اذ كل على قيمة معلومه وقدر كل عالم علمه   وقد قال عبد الواحد بن زيد امام الزاهدين
كلاما في هذا المعنى تفرد به العلماء بالله عز وجل وترفع طريقهم فوق كل طريق انشدونا عنه في اخبار
الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق افراد لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد   وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول
المتقون سادة والعلماء قادة ومجالستهم زيادة   يعني المتقين سادة الناس كما قال الله سبحانه وتعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم والعلماء قادة المتقين اي ائمتهم يقتفون آثارهم لانه قال واجعلنا للمتقين
اماما ففضل العلماء على المتقين وجعلهم ائمة لهم فصار المتقون اصحابهم واخبر بالمزيد في مجالستهم
اي مجالستهم زيادة على مجالسة المتقين غير العلماء لان كل عالم متق وليس كل متق عالما كما روي عنه
بمعناه العلماء كثير والحكماء من العلماء قليل والصالحون كثير والصادقون من الصالحين قليل   وسئل
ابن المبارك من الناس قال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال من ياكل بدينه
وقال مرة في رواية الذين يتلبسون ويتطيلسون ويطلبون الشهادات   وقال فرقد السبخي للحسن
رحمهما الله في شيء ساله عنه فاجابه يا ابا سعيد ان الفقهاء يخالفونك فقال ثكلتك امك فرقد
وهل رايت بعينك فقيها انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة
ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم   جمعنا قوله في ثلاث
روايات عنه مختلفات فهذه صفات العلماء بالله سبحانه وتعالى وهم العارفون   وحدثت عن عبد الله
بن احمد بن حنبل رحمه الله قال قلت لابي بلغني انك كنت تختلف الى معروف اكان عنده حديث فقال
يا بني كان عنده راس الامر تقوى الله عز وجل وقيل لاحمد رحمه الله باي شيء ذكر هؤلاء الائمة ووصفوا
فقال ما هو الا الصدق الذي كان فيهم قيل له وما الصدق قال هو الاخلاص قيل له فالاخلاص ما هو
قال الزهد قيل فما الزهد فاطرق ثم قال سلوا الزهاد سلوا بشر بن الحارث   وقد حدثت عن بشر رحمه الله
في منصور بن عمار حكاية ظريفة كان منصور بن عمار من الواعظين المذكورين فلم يكن العلماء في وقته مثل

بشر واحمد وابي ثور رحمهم الله يعرفونه عالما كان عندهم من القصاص وكانت العامة تسميه عالما فحدثت
عن نصر بن علي الجهضمي انه مزح ذات يوم مزاحا افرط فيه فقيل له تقول هذا وانت من العلماء فقال
ما رايت احدا من العلماء الا وهو يمزح فقيل له قد رايت بشر بن الحارث فهل سمعته يمزح قال نعم كنت جالسا
معه ذات يوم في بعض الدروب فجاء منصور بن عمار يعدو فقال يا ابا نصر الامير قد امر بجمع العلماء الصالحين
فترى لي ان اختفي فدفعه بشر وقال نح عنا لا يمر جمل شوك فيلقيك علينا فيخرق فهذا كان
محل القصاص فيما سلف حتى ذهب اهل هذا العلم وجهلت مجالس الذكر وعلوم اليقين والمعاملات الا من عرف
سيرة المتقدمين وطريقة السالفين الذين كانوا يفرقون بين مجالس الذكر وبين القصص ويميزون بين العلماء
وبين المتكلمين وبين علم اللسان وفقه القلب وبين علم اليقين وعلم العقل لان الفرق بين العالم والقاص
ان العالم يسكت حتى يسال فاذا سئل اجاب فيما يعلم بما هيا الله له وكشف وينطق فيما اجراه الله سبحانه
وتعالى عليه وعرف فان كان الصمت افضل اثر السكوت لعلمه الافضل فان لم ير اهله تربص حتى يضعه في
اهله واهله من عرفه وكان له نصيب من وجده ومشاهدته وقد قال الله سبحانه وتعالى فسلوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون ففي ذلك معنيان احدهما ان اهل الذكر هم العلماء بالله عز وجل لقوله سبحانه وتعالى
ان كنتم لا تعلمون ولا يجوز ان تقول سلوا من لا يعلم وهم جاهلون فيزدادوا جهلا والمعنى الثاني يدل على ان العلماء
سكوت حتى يسلوا فاذا سئلوا وجب عليهم ان يجيبوا لقوله عز وجل لمن لا يعلم فسلوا ودل ان مجالس الذكر
هي مجالس العلماء التي وردت الاخبار بفضائلها وفي تدبره ان اهل الذكر هؤلاء المسؤلون هم الذين وصل
لهم القول لعلهم يتذكرون فلما وصل لهم القول الفصل تذكروا كما وعد فلما تذكروا علموا فعندها امر ان
يسالوا وكذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا ينبغي للعالم
ان يسكت عن علمه وقد قال الله سبحانه وتعالى فسلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وفي الخبر الذي رويناه من
طريق اهل البيت العلم خزائن مفاتحه السؤال فسلوا فانه يوجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب
لهم وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال الاعمش رحمه الله
من الكلام كلام جوابه السكوت وقال ذو النون المصري رحمه الله عليه حسن سؤال الصادقين مفاتح قلوب العارفين
فاما القاص فهو الذي يبتدئ فيقص الاخبار ويذكر القصص والاثار ولذلك سمي قاصا اي يتتبع قصة
من سلف ومنه قوله عز وجل وقالت لاخته قصيه اي تتبعي اثر موسى وتعرفي قصته واخبري بخبره وقال
مالك بن انس رحمه الله من اذالة العلم ان ينطق به قبل ان يسال عنه وقال مرة من اذالة العالم ان يجيب عن
كل ما سئل عنه اي عن اهانته ووضعه يقال اذل هذا واذل هذا اي ارفع وضع ويقال اذا تكلم بالعلم

قبل ان يسال عنه ذهب ثلثا نوره وقال ابراهيم بن ادهم وغيره رضي الله عنهم ليس شيء اشد على الشيطان
من عالم يتكلم بعلم ويسكت بحلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد علي من كلامه وكذلك يقال الصمت
زين العالم وستر الجاهل وعن القاسم بن محمد قال من اكرام المرء نفسه ان يسكت على ما عنده حتى يسال عنه
وكذلك هو لعمري لانه اذا تكلم بعد السؤال فهو لحاجة وربما كان فرضا وليس الحاجة ولا القيام بالفرض من
الشهوات لقوله سبحانه وتعالى فاسلوا اهل الذكر فاوجب ان يجيبوا من حيث امر ان يسالوا وقال صلى الله عليه وسلم
من سئل عن علم فكتمه الجم بلجام من نار فتوعد عليه العقاب وقد يكون الابتدا بالشيء من خفايا الشهوات
والشهوات من الدنيا ووصف رجل لمالك بن انس فقال لا باس به لولا انه يتكلم بالشيء قبل ان يسال عنه
وفي رواية لا باس به الا انه يتكلم بكلام شهر في يوم وقد قيل في معنى ما ذكر ان الكلام من الشهوات قال هو الذي
يبتدئ به قبل ان يسال عنه ووصف بعضهم الابدال فقال في وصفهم اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة وكانهم

لا يتكلمون حتى يسلوا عن شيء فيجيبوا ومن لم يتكلم حتى يسال فليس يعد لاغيا ولا متكلما فيما لا يعنيه
لان الجواب بعد السؤال كالفرض بمنزلة رد السلام وكما قال ابن عباس رضي الله عنه اني لارى رد الجواب كرد
السلام وقد قال ابو موسى وابن مسعود وروينا عن ابن عباس رضي الله عنهم ايضا من علم علما فليقل به ومن لا
فليسكت والا كتب من المتكلفين ومرق من الدين وقد كانوا يخافون من دخول التكلف عليهم في كل
شيء وقد قال ابو موسى رحمه الله الابتدا بالكلام من غير حاجة تدعو اليه او قبل سؤال عنه ومن غير ان
يرى له موضعا ويجد له اهلا يعدونه من التكلف وفي وصية ابن عباس رضي الله عنهما لمجاهد لا تتكلم فيما
لا يعنيك فانه افضل ولا امن عليك الخطا ولا تتكلم فيما يعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما يعنيه
قد وضعه في غير موضعه فعيب وروينا في حديث الانصاري الذي قالت له امه عند موته هنيا لك
الجنة جاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يدريك انه في الجنة فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه ومن اظهر علما من غير ان
يسال عنه او نشره في غير اهله فانكروا ذلك عليه فانه يسال عنه وكان عليه في ذلك مطالبة لانه قد تكلف
اظهاره فان كان سئل عنه ثم تكلم فيه لم يكن عليه فيه مطالبة فيمن انكره لانه خرج جوابا على سؤال ومن
هذا كان السلف المتكلمون في هذا العلم يسكتون حتى يسالوا وكان ابو محمد رحمه الله يقول العالم يقعد
فيسكت ويرفع قلبه الى مولاه فيفتقر اليه في حسن توفيقه ويساله ان يلهمه الصواب فاي شيء سئل عنه
تكلم بما فتح له مولاه فيجعل العالم في حال سكوته ونظره الى سيده ملتجئا الى التوكل منتظرا للوكيل في اي
شيء يجريه وقال بعضهم انما العالم الذي اذا سئل عن المسالة كانما يقلع ضرسه وقال ربيعة بن مصقلة

وغيره ليس العالم الذي يجمع الناس فيقص عليهم انما العالم الذي اذا سئل عن العلم كأنما يسقط الخردل وقد روينا انه قال الاعمش وكان محمد بن سوقة يسأله عن الحديث فيعرض عنه ولا يجيبه فالتفت الاعمش الى رفقته فقال له هو ذا احمق مثلك ان كان يدع فائدته لسوء خلقي فقال ابن سوقة لرفقته ويحك انما اجعله بمنزلة الدواء اصبر على مرارته لما ارجو من منفعته وقد روينا عن علي عليه السلام وعبد الله انه مر برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وحدثني بعض علماء خراسان عن شيخ له عن ابي حفص النيسابوري الكبير رحمه الله وكان هذا هناك نظير الجنيد هاهنا انه قال انما العالم الذي يسأل عن مسألة في الدين فيغتم حتى لو جرح لم يخرج منه دم من الفزع يخاف ان يسأل في الآخرة عما يسأل عنه في الدنيا ويفزع ان يتخلص من السؤال الا ان يرى انه قد افترض عليه الجواب لفقد العلماء ومن هاهنا كان ابن عمر رضي الله عنه يسكت عن تسع مسائل ويجيب في واحدة ويقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا في جهنم تقولون افتانا ابن عمر بهذا وكان ابرهيم التيمي رحمه الله اذا سئل عن مسألة يبكي ويقول لم تجد من تسأله غيري او احتجتم اليّ وجهدنا بابرهيم النخعي رحمه الله ان نسنده الى سارية فأبى وكان اذا سئل عن شيء جا وقال قد احتاج الناس اليّ وقد كان سفيان بن عيينة رحمه الله تفرد في زمانه بعلوم انفرد بها في وقته وكان مع ذلك يضرب المثل لنفسه فيقول خلت الديار فسدت غير مسوّد ومن الشقاء تفرّدي بالسودد

وكان ابو العالية الرياحي يتكلم على الاثنين والثلاثة فاذا صاروا اربعة قام وكذلك كان ابرهيم بن ادهم والثوري وابرهيم النخعي رحمهم الله يتكلمون على النفر فاذا كثر الناس انصرفوا وكان ابو محمد سهل رحمه الله يجلس اليه خمسة او ستة الى العشرة وقال لي بعض الشيوخ كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضع عشرة قال وما تم اهل مجلسه عشرين وقد حدثت عن ابي الحسن بن سالم شيخنا رحمه الله ان قوما اجتمعوا في مسجده فارسل اليه بعضهم ان اخوانك قد حضروا ويحبون لقاءك والاستماع منك فان رأيت ان تخرج اليهم فعلت وكان المسجد على باب بيته ولم يكن يدخل عليه في منزله فقال للرسول بعد ان خرج اليه من هم فقال فلان وفلان وسماهم فقال ليس هؤلاء من اصحابي هؤلاء اصحاب المجلس ولم يخرج كانه رآهم عموما لا يصلحون لتخصيص علمه فلم يذهب وقته بوقتهم وكذلك العالم وقته في خلوته اعز عليه فان كان من خصوص اخوانه آثرهم على نفسه فكان ذلك مزيدا لهم وان لم يوافق لم يؤثر على خلوته ووقته غيره فيكون مناخا للبطالين وقد كان ابو الحسن رحمه الله يخرج الى اخوانه ممن يراه اهلا لمكان علمه فيجلس اليهم ويذاكرهم وربما ادخلهم اليه نهارا وليلا ولعمري ان المذاكرة تكون بين النظراء والمحادثة مع الاخوان والجلوس للعلم يكون للاصحاب والجواب عن المسائل نصيب العموم وكان عند اهل هذا العلم ان علمهم مخصوص لا يصلح الا للخصوص والخصوص

قليل فلم يكونوا ينطقون به الا عند اهله ويرون ان ذلك من حقه وانه واجب عليهم كما وصفهم علي عليه السلام في قوله حتى يودعوه امثالهم ويزرعوه في قلوب اشباههم وكذلك جاءت بذلك الآثار عن نبينا صلى الله عليه وسلم وعن عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق الذي يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير اهلها جهل ومن منعها اهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه وفي حديث عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجوهر في اعناق الخنازير وان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير وقال بعض العارفين من كلم الناس بمبلغ علمه وبمقدار عقله ولم يخاطبهم بقدر حدودهم فقد بخسهم حقهم ولم يقم بحق الله عز وجل فيهم وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول اغرف لكل واحد من نهره واسقه بكاسه ونحن نقول معناه كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وحدثني بعض اشياخنا من هذه الطايفة عن ابي عمران وهو المزين الكبير المكي قال سمعته يقول لابي بكر الكتاني وكان سمحا لهذا العلم بذولا له لجميع الفقراء فجعل ابو عمران يعاتبه وينهاه عن بذله له وكثرة كلامه فيه الى ان قال انا منذ عشرين سنة اسأل الله عز وجل ان ينسيني هذا العلم قال ولم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فسمعته يقول ان لكل شيء عند الله عز وجل حرمة ومن اعظم الاشياء حرمة الحكمة فمن وضعها في غير اهلها طالبه سبحانه وتعالى بحقها ومن طالبه خصمه وقد كان بعض السلف يقول اذا استند الرجل الى سارية او احتبى ان يسأل فلا تجلس اليه ولا ينبغي ان يسأل ولم نر في مجالس اهل هذا العلم فيما سلف ثلثين رجلا ولا عشرين الا نادرا غير لزام ولا دوام وانما كانوا من الاربعة والعشرة وبضع عشرة وقد كان يجتمع في مجالس القصاص والمذكرين والواعظ مئون من عهد الحسن الى وقتنا هذا فهذا ايضا من الفرق بينهما ان العلم مخصوص لقليل وان القصص عام للكثير وقد قال بعض علمائنا كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الذكر والوعظ ولم يكن يتكلم في علم المعرفة واليقين والمقامات والاحوال الا ستة منهم ابو محمد سهل والصبيحي وعبد الرحيم رحمهم الله وقد قيل من لم ينتفع بسكوت العالم لم ينتفع بكلامه اي ينبغي ان يتأدب بصمته وخشوعه وورعه ويقتدي بتقيته في ذلك كما يتأدب بنطقه ويقتدي بكلامه على انهم كانوا يقولون علم الظاهر من علم الملك وعلم الباطن من علم الملكوت يعنون ان ذلك من علم الدنيا لانه يحتاج اليه في امور الدنيا وهذا من علم الآخرة لانه من زادها وهذا كما قالوه لان اللسان ظاهر فهو من الملك وهو خزانة العلم الظاهر والقلب خزانة الملكوت وهو باب العلم الباطن فقد صار فضل العلم الباطن على الظاهر كفضل الملكوت على الملك وهو الملك الباطن الخفي وكفضل القلب على اللسان

وهو النظر من الجلي وقد كان بشر بن الحارث رحمه الله يقول حدثنا واخبرنا باب من ابواب الدنيا وقال مرة
الحديث ليس من زاد الآخرة وحدثنا بعض اشياخنا عن بعض شيوخه قال دفنا له بضعة عشر
ما بين قمطر وقوصرة كتبا لم يحدث منها بشيء الا ما سمع منه نادرا في الفرد وكان رحمه الله يقول انا اشتهي
ان احدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت ثم قال انا اجاهد نفسي منذ اربعين سنة وقال اذا سمعت
الرجل يقول حدثنا واخبرنا فانما يقول اوسعوا لي وقال هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث
واذا لم تشته ان تحدث فحدث وقد كان الثوري رحمه الله قبله يقول فتنة الحديث اشد من فتنة الاهل
والمال والولد وكانت رابعة العدوية تقول نعم الرجل سفيان لولا انه يحب الحديث وقالت مرة لولا انه يحب
الدنيا تعني اجتماع الناس حوله للحديث وقال ابو سليمان الداراني من تزوج او كتب الحديث او طلب معاشا
فقد ركن الى الدنيا وقال بعض هذه الطائفة كل من ادرك العلوم غير العلم بالله عز وجل فقد استدرك
والذي ادرك العلم بالله عز وجل فقد تدورك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ
بالعراء وهو مذموم اي تدورك بعلم المعرفة لطرح في بعد الهوى والعراء البعد وعلم المعقول بعد الى حجب
اليقين وقال ايضا في فهم قوله عز وجل ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اي ثبتناك بالمعرفة لقد كدت
تسكن الى علوم العقل وكان ابو محمد سهل بن عبد الله يقول في قوله عز وجل واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
قال لسانا ينطق عنك لا ينطق عن سواك وفضل العلم بالله عز وجل والعلم بالايمان وعلم اليقين على العلم
بالاحكام والقضايا كفضل المشاهدة على الخبر وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة وفي
لفظ آخر ليس المخبر كالمعاين وقد روى عياض بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير الهاكم التكاثر
علم اليقين كراي العين وفي هذا الخبر ان من خيار امتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون
سرا من خوف عذابه اقدامهم في الارض وقلوبهم في السماء ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون
بالسكينة ويتقربون بالوسيلة فالفتيا هي الاخبار والاستفتاء هو الاستخبار ومنه قوله عز وجل
فاستفتهم وقوله عز وجل يستفتونك اي يستخبرونك فعلم الخبر قد يدخله الظن والشك والمشاهدة
ترفع الظن وتزيل الشك كما قال سبحانه وتعالى ما كذب الفؤاد ما راى فاثبت الرؤية للقلب بالعين فرؤية
القلب هو اليقين وذو القلب هو الموقن وقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى باليقين غنى ففي علم اليقين غنية
عن جميع العلوم لانه حقيقة العلم وخالصه وليس في جميع العلوم غنى عن علم اليقين ولان الفقر بالشك
والحاجة الى اليقين في علوم التوحيد وعلم الايمان اشد من الفقر والحاجة الى علم الفتيا وغيرها فلذلك صار
الغنى باليقين اعظم من الاستغناء بسائر العلوم ففي هذا العلم مثل من فاتحة الكتاب الى سائر القرآن كما روينا

في الخبر فاتحة الكتاب تجزي من كل القرآن وليس القرآن كله يجزي من فاتحة الكتاب فكذلك مثل العلم بالله عز وجل
الى العلوم بما سواه ففي العلم بالله عز وجل عوض من كل العلوم وليس في سائر العلوم عوض من العلم بالله عز وجل
من حيث كان في الله سبحانه وتعالى عوض من سواه وكل علم موقوف على معلومه فعلم اليقين معلومه الله سبحانه
وتعالى ففضله كفضل الله عز وجل على ما سواه وقد قال بعض الحكماء في معنى ما ذكرناه من عرف الله فما ذا جهل ومن جهل
الله سبحانه وتعالى فما ذا عرف فالعلماء بالله عز وجل هم ورثة الانبياء لانهم ورثوا عنهم الدلالة على الله سبحانه
وتعالى والدعوة اليه والاقتداء بهم في اعمال القلوب وقد قال سبحانه وتعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
وعمل صالحا كما قال عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة وكما امره بالدعوة وشرك معه اتباعه الابدال
في البصيرة فقال هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني ويحشرون يوم القيامة مع الانبياء كما
قال عز وجل فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين وكما قال عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء ثم فسرهم
فقال سبحانه وتعالى بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء وقد روينا معناه عن معاذ بن جبل
رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم واهل الجهاد اما
اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الانبياء واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل
وعلماء الدنيا يحشرون مع الولاة والسلاطين وقد قال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة
يحشرون في زمرة السلاطين وكان اسمعيل بن اسحق القاضي من علماء ابناء الدنيا ومن سادة القضاة وعقلائهم
وكان مواخيا لابي الحسن بن ابي الورد وكان هذا من اهل المعرفة فلما ولي اسمعيل القضاء هجره ابن ابي الورد
ثم انه اضطر الى ان دخل عليه في شهادة فضرب ابن ابي الورد يده على كتف اسمعيل القاضي وقال يا اسمعيل
علم اجلسك هذا المجلس لقد كان الجهل خيرا منه فوضع اسمعيل رداءه على وجهه وجعل يبكي حتى بله وعلماء
الظاهر هم زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء وزينة الملكوت وعلماء الظاهر اهل الخبر واللسان
وعلماء الباطن ارباب القلوب والعيان وقال بعض العلماء لما خلق الله سبحانه وتعالى اللسان قال هذا معقل
خبري ان صدقني نجيته ولما خلق الله سبحانه وتعالى القلب قال هذا موضع نظري ان صفا لي صافيته
وقال بعض الخلف الجاهل ينجو بالعلم والعالم ينجو بالجنة والعارف ينجو بالجاد وقال بعض العارفين علم
الظاهر حكم وعلم الباطن حاكم والحكم موقوف حتى يجيء الحاكم يحكم فيه وقد كان علماء الظاهر اذا اشكل
عليهم في مسالة لاختلاف الادلة سالوا اهل العلم بالله عز وجل لانهم اقرب الى التوفيق عندهم وابعد من الهوى
والعصبية منهم الشافعي رحمه الله كان اذا اشتبهت عليه المسالة لاختلاف اقوال العلماء فيها وتكافؤ الاستدلال
عليها نحو العلماء اهل المعرفة فسالهم قال وكان يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي بين

يدي المكتب ويسأله كيف يفعل في كذى وكذى وكيف يصنع في كذا وكذا فيقال له مثلك يا ابا عبد الله في
علمك وفقهك يسأل هذا البدوي فيقول ان هذا وفّق لما علمناه وقد كان الشافعي رحمه الله اعتلّ علة
شديدة وكان يقول اللهم ان كان في هذا رضاك فزدني منه فكتب اليه المعافري من سواد مصر يا ابا عبد الله
لست واياك من رجال البلاء فنسأل الرضى الاولى بنا ان نسأل الرفق والعافية فرجع الشافعي رحمه الله
عن قوله هذا وقال استغفر الله واتوب اليه فكان بعد ذلك يقول اللهم اجعل خيرتي فيما احب وقد كان احمد بن
حنبل رحمه الله ويحيى بن معين يختلفان الى معروف بن فيروز الكرخي رحمه الله ولم يكن يحسن من العلم والسنن
ما يحسنانه وكانا يسألانه وقد روينا في خبر قيل يا رسول الله كيف نصنع اذا جاءنا امر لم نجده في كتاب الله
ولا في سنة رسول الله فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولا تقضوا فيه برأي دونهم وفي حديث معاذ
رحمه الله قال فان جاءك ما ليس في كتاب الله عز وجل ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقضي فيه بما قضى الصالحون
فقال الحمد لله الذي وفّق رسول رسوله وفي بعضها اجتهد رأيي وحدثونا عن الجنيد رحمه الله قال كنت اذا
قمت من عند سري السقطي قال لي اذا فارقتني من تجالس فقلت الحارث المحاسبي فقال نعم خذ من علمه
وادبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين قال فلما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث
صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث يعني انك اذا ابتدأت بعلم الحديث والاثر ومعرفة الاصول والسنن
ثم تزهدت وتعبدت تقدمت في علم الصوفية وكنت صوفيا عارفا واذا ابتدأت بالتعبد والتقوى والحال
شغلت به عن العلم والسنن فخرجت اما شاطحا او غالطا بجهلك بالاصول والسنن فاحسن احوالك ان ترجع
الى العلم الظاهر وكتب الحديث لانه هو الاصل الذي تفرع عنه العبادة والعلم وانت تختلد بحديث بالفرع قبل
الاصل وقد قيل انما حرموا الوصول بتضييع الاصول وهو كتب الحديث ومعرفة الآثار والسنن فاذا انت
رددت الى الاصل فقد انحططت عن مرتبة النافذين ونزلت من درجة العارفين وفاتك مزيد الايمان واليقين
وقال سفيان الثوري رحمة الله عليه كان الناس اذا طلبوا العلم عملوا فاذا عملوا اخلصوا فاذا اخلصوا هربوا
وقال آخر العالم اذا هرب من الناس فاطلبه واذا طلب الناس فاهرب منه وقال ابو محمد سهل رحمه الله العلم
يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل هباء الا الاخلاص
وقال من الناس موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص
على وجل حتى يختم له به وكان ذو النون رحمه الله يقول جالس من تكلمك صفته ولا تجالس من يكلمك لسانه
وقد كان الحسن رحمه الله قبله يقول اجلس الى من تكلمك افعاله ولا تجلس الى من يخاطبك مقاله وقد كان
طائفة يصحبون كثيرا من اهل المعرفة للتأدب بهم والنظر الى هديهم واخلاقهم وانهم يكونوا علماء الا ان

التأدب يكون بالافعال والتعلم يكون بالمقال وقد قال بعض الحكماء وعظ واحد الف بفعل انفع من وعظ
الف لواحد بقول ولم يكن العالم عند العلماء من كان عالما بعلم غيره والحافظ لفقه سواه هذا كان اسمه
راوية وواعيا وحاملا وناقلا وقد كان ابو حازم الزاهد رحمه الله يقول ذهب العلماء وبقيت علوم في اوعية
سوء وكان الزهري يقول كان فلان وعاء للعلم وحدثني فلان وكان من اوعية العلم ولا يقول وكان عالما ولذلك
جاء الخبر رب حامل فقه غير فقيه وكانوا يقولون حماد الراوية يعنون انه كان راويا ودخول الهاء في الاسم للمبالغة
في الوصف كما يقال علامة ونسابة وانما كان العالم عندهم الغني بعلمه لا بعلم غيره وكان الفقيه فيهم
هو الفقيه بفقه علمه وقلبه لا بحديث سواه كما جاء في الاثر اي الناس اغنى قال العالم الغني بعلمه ان احتيج
اليه نفع والا اكتفى عن الناس بعلمه لان كل عالم بعلم غيره فانما صار عالما بمجموعه فمجموعه هم العلماء
وكل فاضل بوصف سواه فموصوفه هم الفضلاء فاذا تركهم وانفرد سكت فلم يرجع الى علم لنفسه يختص به
فصار في الحقيقة موصوفا بالجهل واصفا لطريق اهل الفضل موسوما بعلم السمع والنقل فمثل العالم بعلم
غيره مثل الواصف لاحوال الصالحين العارف بمقامات الصديقين ولا حال له ولا مقام فليس يعود عليه من
وصفه الا الحجة بالعلم والكلام وسبق العلماء بالله عز وجل في المحجة بالاعمال والمقام فمثله كما قال الله
سبحانه وتعالى ولكم الويل مما تصفون وكقوله عز وجل كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا لا
يرجع الى بصيرة في طريقه بما اشتبه عليه من ظلمات الشبه بما اختلف فيه العلماء ولا بتحقيق يوجد منه
يحجزه عن حال التبسها بوجده وانما هو متواجد بوجد غيره فغيره هو الواجد وشاهد على شهادة سواه
فالسوي هو الشاهد وقد كان الحسن رحمه الله يقول ان الله عز وجل لا يعبأ بصاحب رواية انما يعبأ بذي
فهم ودراية وقال ايضا من لم يكن له عقل يسوسه لم تنفعه كثرة رواية الحديث وقد انشدنا لبعض الحكماء
في معنى ذلك العلم علمان مصنوع ومجموع ولا ينفع مجموع اذا لم يك مصنوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع
وكان الجنيد رحمه الله كثيرا ينشد علم التصوف علم ليس يعرفه الا اخو فطنة بالحق معروف
وليس يبصره من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف الا ان الكتب والمجموعات محدثة
والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد من الناس واتخاذ قوله والحكاية له في كل شيء والتفقه
على مذهبه كله محدث لم يكن الناس قديما على ذلك في القرن الاول والثاني وهذه المصنفات من الكتب
حادثة بعد سنة عشرين ومائة من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وعلية التابعين يقال ان اول
كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف من التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب
ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا منثورة مبوبة ثم كتاب الموطا

بالمدينة لمالك بن أنس في الفقه ثم جامع سفيان الثوري رحمه الله ثم جمع ابن عيينة كتاب الجامع في السنن
والأبواب في كتاب التفسير في أحرف من علم القرآن فهذه من أول ما صنف ووضع من الكتب بعد وفاة سعيد بن
المسيب والحسن وخيار التابعين وبعد سنة عشرين ومائة من التاريخ وكان العلماء الذين هم أئمة هؤلاء العلماء
من طبقات الصحابة الأربعة ومن بعد موت الطبقة الأولى من خيار التابعين قبل وضع الكتب كانوا يكرهون
كتب الحديث وتصنيف الكتب لئلا تشتغل بها عن القرآن وعن التذكر والتفكر وقالوا احفظوا كما كنا
نحفظ ولئلا يشتغل عن الله عز وجل برسم ولا وسم كما كره أبو بكر الصديق وجلة الصحابة رضي الله عنهم
تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشوا اشتغال
الناس بالصحف واتكالهم على المصاحف فقالوا نترك القرآن يتلقاه الناس بعضهم من بعض تلقينا بالتلقين
والإقراء ليكون هو شغلهم ومهمهم وكذلك حتى أشار عليه عمر وبقية الصحابة أن يجمع القرآن في المصاحف
لينه لحفظ له وليرجع الناس إلى المصحف لما يأمن من الاشتغال بأسباب الدنيا عنه فشرح الله عز وجل
صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك فجمع القرآن من الصحف المتفرقة في المصحف الواحد وكذلك كانوا يتلقون
العلم بعضهم من بعض ويحفظونه حفظا هذا لطهارة القلوب من الريب وفراغها من أسباب الدنيا وقوة
الإيمان وصفاء اليقين وعلو الهمة وحسن النية وقوة العزيمة ثم ظهر بعد سنة مائتين وبعد تقضي ثلاث
قرون في القرن الرابع المرفوض مصنفات الكلام وكتب المتكلمين بالرأي والمعقول والقياس وذهب علم المتقين
وغابت معرفة الموقنين من علم التقوى وإلهام الرشد واليقين فخلف من بعدهم خلف فلم يزل في الخلوف
إلى هذا الوقت ثم اختلط الأمر بعد ذلك في زمانك هذا فصار المتكلمون يدعون علماء والقصاص يسمون
عارفين والرواة النقلة يقال علماء من غير فقه في دين ولا بصيرة من يقين رُوينا عن ابن أبي عبلة
قال كنا نجلس إلى عطاء الخراساني رحمه الله بعد الصبح فيتكلم علينا فاحتبس ذات غداة فتكلم رجل
من المؤذنين لا بأس به بمثل ما كان يتكلم به عطاء فأنكر صوته رجاء بن حيوة فقال من هذا المتكلم فقال أنا
فلان فقال اسكت فإنا نكره أن نسمع العلم إلا من أهله وكذلك كانوا يقولون أبى أهل العلم بالله سبحانه
وتعالى أن يسمعوا هذا العلم إلا من أهله الزاهدين في الدنيا وكرهوا أن يسمعوه من أبناء الدنيا وزعموا
أنه لا يليق بهم واعلم أن العبد إذا كاشفه الله سبحانه وتعالى بالمعرفة وعلم اليقين لم يسعه تقليد
أحد من العلماء وكذلك كان المتقدمون إذا أقيموا هذا المقام خالفوا من حملوا عنه العلم لمزيد اليقين والإفهام
وقال ابن عباس رضي الله عنه ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان
تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالف زيدا في العلم وأبيا في المقرأ وقال بعض الفقهاء

من السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ
ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال قالوا ونقول ولأجل ذلك كان العلماء يكرهون التقليد
ويقولون لا ينبغي للرجل أن يفتي حتى يعرف اختلاف العلماء أي فيختار منها على علمه الأحوط للدين
والأقوى باليقين فلو كانوا يستحبون أن يفتي العالم بمذهب غيره لم يحتج أن يعرف الاختلاف ولكان إذا عرف
مذهب صاحبه كفاه ومن هذا قيل إن العبد يسأل غدا فيقال ماذا عملت فيما علمت ولا يقال له فيما
علم غيرك وقد قال الله عز وجل وقال الذين أوتوا العلم والإيمان فقرن بينهما يدل به أن من أوتي إيمانا
ويقينا أوتي علما كما أن من أوتي علما نافعا أوتي إيمانا وهذا أحد الوجوه في معنى قوله سبحانه وتعالى
كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه أي قواهم بعلم الإيمان فعلم الإيمان هو روحه وتكون الهاء عائدة
على الإيمان فهذا الآن للعالم الذي هو من أهل الاستنباط والاستدلال من الكتاب والسنة لأنه ذو تمييز
وبصيرة ومن أهل التدبر والعبرة فأما الجاهل والعامي الغافل فله أن يقلد العلماء ولعالم عموم أيضا
أن يقلد عالم خصوص وللعالم بالعلم الظاهر أن يقلد من فوقه ممن جعل على علم باطن من أهل القلوب
لأن النبي صلى الله عليه وسلم رد من علم الألسنة والفتيا إلى علم القلوب ولم يرد أهل القلوب في علمهم الذي
يختصون به إلى المفتين لأنهم يأخذون من المفتين فتياهم ثم يجدون في قلوبهم حسيكا وحزازة فيلزمهم
فتيا القلب لقوله استفت قلبك بعد قوله وإن أفتاك المفتون مع قوله الإثم حواز القلوب إلى قوله ما حاك
في صدرك فدعه وإن أفتوك وأفتوك ثم درس معرفة هذا أيضا الجهل فصار كل من نطق بكلام وصفه غرب
على السامعين لا يعرف حقه من باطله سمي عالما وكل كلام مستحسن زخرف ونفقه لا أصل له يسمى
علما لجهل العامة بالعلم أي شيء هو ولقلة معرفة السامع بوصف من سلف من العلماء كيف كانوا فصار
كثير من متكلمي الزمان فتنة للمفتونين وصار كثير من كلام الرأي والمعقول الذي حقيقته جهل كأنه علم عند
الجاهلين فلا يفرقون بين المتكلمين والعلماء ولا يميزون بين العلم والكلام وقد قلنا إن خصوص الجهال
يشبهون العلماء فيشتبهون على مجانسيهم في الحال فأعلم الناس في زمانك هذا أعرفهم بسيرة المتقدمين
وأعلمهم بطرائق السالفين ثم أعلمهم بالعلم أي شيء هو وبالعالم من هو ومن المتعلم والمتعالم وهذا كالفرض
على طالبي العلم أن يعرفوه لأنه لما قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة وجب عليهم أن يعرفوا أي شيء هو العلم
حتى يطلبوه إذ لا يصح طلب ما لا يعرف ثم وجب عليهم من هذا أن يعرفوا العالم من هو ليطلبوا من عنده
العلم إذ العلم عرض لا يقوم إلا بجسم فلا يوجد إلا عند أهله وقيل لعلي عليه السلام إنك خالفت فلانا
في كذا فقال خيرنا أتبعنا لهذا الدين وكما قيل لسعيد بن المسيب تقرأ ما ننسخ من آية أو ننساها

فقال ان القرآن لم ينزل على المسيّب ولا على ابنه ثم قرأ او ننسها فأعلم الناس في هذا الوقت واقربهم من التوفيق
والرشد اتبعهم لمن سلف واشبههم بشمائل صالحي الخلف كيف وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سئل من اعلم الناس فقال اعرفهم بالحق اذا اشتبهت الامور وقال بعض السلف اعلم الناس اعرفهم
باختلاف الناس وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول محدثان احدثا في الاسلام رجل ذو رأي سوء زعم
ان الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار
اعرفوا انكارهم لربهم باعمالهم ان رجلا اصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعو
الى هواه قد عصمه الله عز وجل منهما يحن الى السلف الصالح يسأل عن افعالهم ويقتص آثارهم ليعوض
اجرا عظيما فكذلك كونوا وكما روينا عن ابن مسعود وقد جاء مسندا انما هما اثنان الكلام والهدى
فاحسن الكلام كلام الله سبحانه وتعالى واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات الامور
فان شر الامور محدثاتها ان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم
الا كل ما هو آت قريب الا ان البعيد ما ليس بآت وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم التي رويناها طوبى
لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط اهل الفقه والحكمة
طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق
الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وقال بعض الادباء
كلاما منظوما في وصف زماننا هذا كانك شاهده ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل امر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم بعضا ليدفع معور عن معور ابني ان من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله فاذا اصيب بدينه لم يشعر فسل الفقيه تكن فقيها مثله من يسع في امر بفقه يظفر
وقد كان ابن مسعود رحمه الله يقول حسن الهدي في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال في وصف زمانه
باليقين وفي وصف زماننا بالشك انتم في زمان خيركم فيه المسارع وياتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت
المتوقف يعني لكثرة الشبهات وقال حذيفة اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان
منكركم معروف زمان ياتي وانكم لن تزالوا بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف وكان
يقول ايضا ياتي على الناس زمان يكون العالم بينهم بمنزلة الحمار الميت لا يلتفتون اليه يستخفي المؤمن
فيهم كما يستخفي المنافق فينا اليوم المؤمن فيه اذل من الامة وفي حديث علي عليه السلم ياتي على الناس زمان
ينكر الحق تسعة اعشارهم لا ينجو منه يومئذ الا كل مؤمن نومة يعني صموتا متغافلا اولئك مصابيح
العلم وائمة الهدى ليسوا بالمذاييع البذر يعني المتكلمين كثيرا النطق هرين بالكلام افتخارا وفي الخبر ياتي على الناس

وزمان

زمان من عرف الحق فيه نجا قيل فاين العمل قال لا عمل يومئذ لا ينجو فيه الا من هرب بدينه من شاهق الى شاهق
وفي حديث ابي هريرة ياتي على الناس زمان من عمل منهم بعشر ما امر به نجا وفي بعضها بعشر ما يعلم وقال بعض الخلف
افضل العلم في آخر الزمان الصمت وافضل العمل النوم لكثرة الناطقين بالشبهات فصار الصمت للجاهل علما
ولكثرة العاملين بالشبهات صار النوم عبادة البطال ولعمري ان الصمت والنوم ادنى احوال العالم وهما اعلى حال
الجاهل وكان يونس بن عبيد رحمه الله يقول اصبح اليوم من يعرف السنة غريبا واغرب منه من يعرفها يعني
طريقة السلف يقول فمن عرف طريق من مضى فهو غريب ايضا لانه قد عرف غريبا وقال حذيفة المرعشي رحمه الله (من عرف)
كتب الي يوسف بن اسباط ذهبت الطاعة ومن يعرفها وكان ايضا يقول ما بقي من يونس به وقال ما ظنك
بزمان صار العلم فيه معصية قيل ولم ذلك قال لانه لا يجد اهله وقد كان ابو الدرداء يقول انكم لن تزالوا
بخير ما احببتم خياركم وقيل فيكم الحق يعرف وويل لكم اذا كان العالم فيكم كالشاة النطيح وقد كان
للمتقدمين علوم يجتمعون عليها ويتفاوضونها بينهم قد درست في زماننا وكان للصالحين معان
وطرائق يسلكونها ويتساءلون عنها قد خفيت في وقتنا هذا وكان في علم اليقين والمعرفة مقامات واحوال
يتذاكرها اهلها ويطلبون اربابها قد عفت آثارها عندنا لقلة الطالبين لها وعدم الراغبين فيها وفقد
العلماء بها وذهاب السالكين طرقها منها علم طلب الحلال وعلم الورع في المكاسب والمعاملات وعلم الاخلاص
وعلم آفات النفوس وفساد الاعمال وعلم نفاق العلم والعمل والفرق بين نفاق القلب ونفاق النفس وبين
اظهار النفس شهوتها واخفائها تلك والفرق بين سكون القلب بالله سبحانه وتعالى وبين سكون النفس بالاسباب
والفرق بين خواطر الروح والنفس وبين خاطر الايمان واليقين والعقل وعلم اخلاق الاحوال واحوال طرائق العمال ل
وتفاوت مشاهدات العارفين وتلوينات الشواهد على المريدين وعلم القبض والبسط والتحقق بصفات
العبودية والتخلق باخلاق الربوبية وتباين مقامات العلماء الى غير ذلك مما لا نذكره من علم التوحيد ومعرفة
معاني الصفات وعلوم المكاشفة بتجلي الذات واظهار الافعال الدالة على معاني الاوصاف الباطنة وظهور
المعاني الدالة على النظر والاعراض والتقريب والابعاد والنقص والمزيد والمثوبة والعقوبة والاختيار
والاختبار وقد ذكرنا من جميع هذه المعاني فصولا ورسمنا جملا واصولا تنبه على فروعها وتدل
على اشكالها لمن وفق لتدبرها واريد بتذكيرها وجعل له نصيب منها وقال بعض علمائنا اعرف
للمتقدمين سبعين علما كانوا يتناجون بها ويتعارفونها في هذا العلم لم يبق منها اليوم علم واحد يعرف
قال واعرف في زماننا علوما كثيرة من الاباطيل والدعاوي والغرور قد ظهرت وسميت علوما لم تكن فيما
مضى تعرف فهذا كالسراب الذي وصفه الله سبحانه وتعالى فقال يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا

مطلب العلوم ما كان فيه

وزمان

وقد كان الجنيد رحمه الله قبله يقول علمنا هذا الذي نتكلم فيه قد طوي بساطه منذ عشرين سنة وانما نتكلم في حواشيه وكان ايضا يقول رحمه الله قد كنت اجالس قوما سنين يتحاورون في علوم لا افهمها ولا ادري ما هي وما بليت بالانكار قط كنت اتقبلها واجلها من غير ان اعرفها وكان ايضا يقول كنا نتجارى مع اخواننا قديما في علوم كثيرة ما نعرف في وقتنا هذا ولا يسألني عنها احد وهذا باب قد اغلق وردم ولما صنف شيخنا ابو سعيد بن الاعرابي كتاب طبقات النساك ووصف اول من تكلم في هذا العلم واظهره ثم من بعده من البصريين والشاميين واهل خراسان الى ان كان آخرهم البغداديين فقال وآخر من تكلم في هذا العلم صاحبنا جنيد القواريري رحمه الله وكان له فيه بصيرة ومنه حقيقة وحسن عبارة وما بقي من بعده الا من مجالسته غيظ وقال في موضع آخر ما بقي بعد الجنيد الا من يستحيي من ذكره وقد كان امامنا ابو محمد سهل رحمه الله يقول بعد سنة ثلثمائة لا يحل ان يتكلم بعلمنا هذا لانه يحدث قوم يتصنعون للخلق ويتزينون بالكلام تكون مواجيدهم لباسهم ومعبودهم بطونهم وحليتهم كلامهم وقد كان حذيفة رحمه الله يقول اذا سئل اي الفتن اشد فقال ان يعرض عليك الخير والشر فلا تدري ايهما تاخذ يعني لكثرة الشبهات كما كان سهل رحمه الله يقول بعد سنة ثلثمائة لا يكاد يصح لاحد توبة لانه يفسد خبزهم وهم لا يبصرون عن الخبز يعني ان اول التوبة اكل الحلال وقد روينا في الخبر يأتي على الناس زمان يضلون فيه دينهم فلا يعرفونه يصبح الرجل على دين ويمسي على دين يظل من امره على غير يقين تسلب عقول اكثر اهل ذلك الزمان واول ما يرفع منهم الخشوع ثم الامانة ثم الورع ويقال اول ما يرفع من الناس الالفة

باب في ذكر ما احدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف

كان الناس قديما اذا التقوا يقول احدهم لصاحبه ما خبرك وما حالك يعنون بذلك ما خبر نفسك في مجاهدتها وصبرها وما حال قلبك من مزيد الايمان وعلم اليقين ويريدون ايضا ما خبرك في المعاملة لمولاك وما حالك في امور الدين والآخرة هل ازددت ام انتقصت فيتذاكرون احوال قلوبهم ويصفون اعمال قلوبهم ويذكرون ما وهب الله عز وجل لهم من حسن المعاملة وما فتح لهم من غرائب الفهوم فكان هذا من تعديد نعم الله سبحانه وتعالى عليهم ومن جميل شكرهم ويكون مزيدا لهم في المعرفة والمعاملة وقد كان بعضهم يقول اكثر علومنا ومواجيدنا ما يعرفه بعضنا من بعض وما يخبر به احدنا اخاه اذا التقينا فقد جهل هذا اليوم وترك فهم اذا التقوا تساءلوا عن الخبر والحال انما يريدون امور الدنيا واسباب الهوى ثم يشكو كل واحد مولاه الجليل سبحانه وتعالى الى عبده الذليل ويتسخط احكامه ويتبرم بقضائه وينسى نفسه وما قدمت يداه فمثله كما قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذكر

بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه وكما قال سبحانه وتعالى ان الانسان لربه لكنود قيل كفور بنعمه يعدد المصائب وينسى النعم كل ذلك جهالة بالله سبحانه وتعالى وغفلة عنه ومنه قولهم الآن كيف اصبحت كيف امسيت هذا محدث انما كانوا اذا التقوا قالوا السلام عليكم ورحمة الله وفي الخبر من بدأكم بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه وانما احدث هذا زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع كان الرجل يلقى اخاه غدوة فيقول كيف اصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف امسيت منه لان احدهم كان اذا اصبح لم يمس واذا امسى لم يصبح فبقي هذا الى اليوم ونسي سببه وكان من عرف حدوثه من المتقدمين يكرهه حدثونا عن احمد بن ابي الحواري قال قال رجل لابي بكر بن عياش كيف اصبحت او كيف امسيت فلم يكلمه وقال دعونا من هذه البدعة قال وقلت لبعض السلف كيف اصبحت فاعرض عني وقال ما كيف اصبحت قل السلام وروى ابو معشر عن الحسن رضي الله عنهما انما كانوا يقولون السلام عليكم سلمت والله القلوب فاما اليوم كيف اصبحت اصلحك الله كيف امسيت عافاك الله فان اخذنا بقولهم كانت بدعة الاول لا كرامة فان شاءوا غضبوا علينا ومن ذلك ابتداء الرجل في عنوان الكتاب باسم المكتوب اليه وانما السنة ان يبتدئ بنفسه فيكتب من فلان الى فلان قال ابن سيرين رحمه الله غبت غيبة فكتبت الى ابي فابتدأت باسمه فكتب الي يا بني اذا كتبت الي فابدأ باسمك في الكتاب فان بدأت باسمي قبل اسمك لا اقرأ لك كتابا ولا ارد اليك جوابا وكتب العلاء بن الحضرمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه فكتب من العلاء بن الحضرمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال اول من احدثه زياد فعابه العلماء عليه وعدوه من احداث بني امية وقد بقي هذا سنة في كتب الخلفاء والامر الى اليوم على نحو ما مضى فهم يقدمون اسماءهم في كتبهم ومن الاحداث قول الرجل اذا جاء منزل اخيه يا غلام او يا جارية فيه مخالفة لامر الله عز وجل وامر رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه وتعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها وقال اهل التفسير الاستئناس الدق والتنحنح والحركة حتى يؤذن بذلك ان وراءها انسانا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء احدكم منزل اخيه فليسلم ثلاثا فان اذن له فليدخل والا فليرجع فكان السلف يقرع احدهم باب اخيه ثم يسلم ثلاثا يقف بعد كل تسليمة هنيهة فان اذن له دخل وقد لا يحب صاحب المنزل ان يدخل عليه في ذلك الوقت لسبب او عذر فيقول وعليكم السلام ورحمه الله ارجع عافاك الله فاني على شغل فيرجع غير كاره لرجوعه ولا يؤثر ذلك عليه في نفسه فقد يكون قوله ارجع احب اليه لانه افضل له من الاجابة والتزكية لقول الله سبحانه وتعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم فربما رجع في اليوم مرتين او ثلاثة بعد رد صاحبه له وهو يعود لان ذلك لم يؤثر في قلبه شيئا

في

ولو فعل بعض الناس من اهل عصرنا هذا لكرهه ولعله ان لا يعود بوم ذلك فاما العلماء فقد كان من
الناس من لا يستاذن عليهم الا لمهم لا بد منه بل كانوا يقعدون على ابوابهم او في مساجدهم ينتظرون
خروجهم لاوقات الصلوات اجلالا للعلم وهيبة للعلماء حدثونا عن ابي عبيد قال ما قرعت على عالم قط
بابه كنت اجي المنزل فاقعد على بابه انتظر خروجه من قبل نفسه اتاولت قول الله عز وجل ولو انهم صبروا
حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم وقد روينا مثل هذا عن ابن عباس رضي الله عنه في موضعه من العلم والشرف انه لما
كان يمر به وهو نائم على باب منزل الرجل من الانصار تسفي عليه الرياح فيقول ما يجلسك ها هنا يا ابن عم رسول الله
فيقول انتظر خروج صاحب المنزل فيخرج الرجل فيقول يا ابن عم رسول الله لو ارسلت الي جئتك فيقول لا انا
كنت احق ان اتيك فيساله عما يريد من حديث بلغه انه يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن هو
سمعه منه ومن ذلك استقصاؤهم في المسالة عن حال الرجل وخبره وقد كره ذلك ثم تزوج سلمان الفارسي
رحمه الله فلما دخل على اهله خرج الى الناس من الغد فقال له رجل كيف انت يا ابا عبد الله قال بخير احمد الله عز وجل
قال كيف حالك وكيف بت البارحة وفي لفظ اخر كيف وجدت اهلك فغضب سلمان وقال لم يسال احدكم
فيحفي المسالة ويسال عما وارت البيوت يكفي احدكم ان يسال عن ظاهر الامر وان سليمان بن مهران الاعمش
قال رجلا قال له في منزله كيف انت يا ابا محمد قال بخير قال كيف حالك قال في عافية قال كيف بت البارحة
فصاح يا جارية ايتني بالفراش والمخاد فنزلت بذلك قال افرشي واضطجعي حتى اضطجع الى جنبك فان اخانا
احب ان يعلم كيف بت البارحة وكان يقول يلقى احدهم اخاه فيساله عن كل شي حتى عن الدجاج في البيت
ولو ساله درهما ما اعطاه وكان من مضى من السلف اذا لقي اخاه لا يزيد على قوله كيف انتم او حياكم الله
بالسلام ولو ساله شطر ماله قاسمه ومن ذلك قول الرجل لاخيه اذا لقيه ذاهبا في الطريق الى اين تريد
ومن اين جئت فقد كره هذا وليس من السنة ولا من الادب وهو داخل في التجسس والتحسس لان التحسس
في الاثار والتجسس في الاخبار وهذا السوال عن ذلك يجمعهما وقد لا يحب الرجل ان يعلم صاحبه اين يذهب
ولا من اين جا وقد كره ذلك مجاهد وعطا قال اذا لقيت اخاك في الطريق فلا تساله من اين جئت ولا اين تذهب
فلعله ان يصدقك فتكره ذلك او لعله ان يكذبك فتكون قد حملته عليه وقد كانوا يكرهون بيع المصاحف
وشراها وكان بعضهم لبيعها اكره منه لاشتراها وقد ابتدع الناس علوما لم تكن تعرف فيما سلف منها
علم الكلام والجدل وعلوم المقاييس والنظر والاستدلال على سنن الرسول صلى الله عليه وسلم بادلة الراي
والمعقول ومنها ايثار علم العقل والراي والقياس على ظواهر القران وعلى الاخبار ومنها اظهار الاشارات
بالمواجيد من غير علومها ولا بيان تفصيلها وفي ذلك تحيير للسامعين واضلال للعاملين وانما كان العلماء

بهذا العلم يظهرون علوم المواجيد ويخفون الاشارة بالوجد فيظهرون للناس ما ينفع ويخفون ما يضر
ولان المواجيد احوال قلوبهم فكتمها افضل وعلومها انصبة المريدين والعاملين فاظهارها هو البغية لهم
فاظهروه واخفوا وجدهم لانه سر لهم فسلموا من التصنع والدعوى واعطوا السامعين نصيبهم ومنعوهم
ما ليس لهم فعدلوا في الوصفين معا وفضلوا في الحالين جميعا فجهل هذا الان فاظهروا ضده فكان الى الضرر
اقرب ومن السلامة ابعد فمن لم يحسن التفصيل ولم يرزق العبارة فانه يحسن الصمت فهو واسع لان من لم
يتكلم بعلم على سنة فسكوته اقرب له الى الله سبحانه وتعالى ومثله في ذلك كما قال الله عز وجل ومن قدر عليه
رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها ومما ظهر اظهار علوم المعرفة بمعاني
الرغبة ليتميزوا عن الفقرا تجرا فلا يجعلون مجعلهم وليصرف اليهم من الاسباب على مقدار كبرهم
واحوالهم وهذا من اكبر ابواب الدنيا واضرها على مريدي الاخرة والطفها تمويها في الدين ومنها الكلام
في التوحيد بمخالفة علم الشرع وان الحقيقة تخالف العلم والحقيقة هي علم وهي احد طرقات الشريعة وعلم
الشريعة عنها فكيف ينافيها وهي التي اوجبته وانما هي عن يمنه وضيقه وعلم الظاهر هو الرخصة والسعة
فمن تكلم في العلم الباطن على غير قواعد العلم الظاهر واصوله فمن الملحد في الشريعة وليحتج بالكتاب والسنة
وقد قال بعض العارفين نظرت الى هولا الشاطحين فما وجدت الا جاهلا مغرورا او خاسئا حسيرا
او مستظهرا بلا شي ومنها الكلام في الدين بالوساوس والخطرات من غير رد مواجيدها الى الكتاب والسنة
والواجب معرفة تفصيلها ونفي ما لم يشهد له الكتاب والسنة منها اذ في المواجيد ضلال وغرور وفي المشاهدات
باطل وزور مع دعواهم المحبة بانكارهم الاوصاف التي جات بها السنة ومن غير شهادة موصوف وادعا
المعرفة من غير تعرف معروف ومما احدثوا السجع في الدعا والتغريب فيه وما لم يرد الكتاب به ولا نقل
عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة بل قد كانوا ينزعون عن الاعتدا في الدعا ويجتنبون مجاوزة
ما اخبر الله عز وجل به عن اوليائه من الادعية الجامعة المختصرة المعروفة وروينا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اياكم والسجع في الدعا بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل
واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفي الخبر سياتي قوم يعتدون في الدعا والطهور وسمع
عبد الله بن مغفل ابنه يدعو بدعا يعمق فيه فقال يا بني اياك والحدث واياك والاعتدا في الدعا
وفي قوله عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قيل في الدعا والاعتدا في الدعا
هو ترك ما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه من ادعية اوليائه الصالحين من الدعا بالمغفرة والرحمة والتوبة
ومعنى ذلك من الدعا المعروف والقول المشهور الى التنطع والتعمق والتغريب والتدقيق ويقال ان العلما

والأبدال لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع كلمات ووجدت تصديق ذلك في الكتاب أن الله سبحانه وتعالى ما أخبر عن عباده من الدعاء في مكان واحد أكثر من سبع دعوات وهي التي في آخر سورة البقرة وإنما أخبر عنهم بالدعوتين والثلاث والأربع إلى الخمس في مواضع من الكتاب متفرقة ومر بعض السلف بقاص يدعو فيسجع في دعائه ويتمعق فقال له ويلك أعلى الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية قال وكنا نتعرف إجابة دعائه وبركته وكان أبو يزيد البسطامي رحمه الله يقول سله بلسان الحاجة لا بلسان الحكمة وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ومما أحدثوا أخذ القرآن بالإدارة وتنازع الاثنين الآية أو تلقي الرجلين الاثنين في مكان واحد بمنزلة الاختلاس والنهبة من غير خشوع للقرآن ولا هيبة وقراءة القرآن تحتاج الخشوع وحزن وسكون ومن ذلك أخذ المقرئ على الاثنين وليس ثم بقراءة الواحد ليسهو القلب كما قيل لإبراهيم النخعي إن فلانا يأخذ على اثنين فقال هاه تحتاج اثنان أن يأخذا على واحد ومن البدع التلحين في القراءة حتى لا تفهم التلاوة حتى يجاوز إعراب الكلمة بمد المقصور وقصر الممدود وإدغام المظهر وإظهار المدغم ليستوي بذلك الألحان ولا يبالي باعوجاج الكلم وإحالتها عن حقيقتها فهذا بدعة ومكروه استماعه قال بشر بن الحارث سألت عبد الله بن داود الخريبي أمر بالرجل يقرأ فأجلس إليه قال يقول يطرب قلت نعم قال لا هذا قد أظهر بدعته ومن ذلك التلحين في الأذان وهو من البغي فيه والاعتداء قال رجل من المؤذنين لابن عمر رضي الله عنهما إني لأحبك في الله فقال له لكني أبغضك في الله عز وجل قال ولم يا أبا عبد الرحمن قال لأنك تبغي في أذانك وتأخذ عليه أجرا وكان أبو بكر الآجري رحمه الله يقول خرجت من بغداد وما يحل المقام بها قد ابتدعوا في كل شيء حتى في قراءة القرآن وفي الأذان يعني الإدارة والتلحين وقدم علينا مكة في سنة بلشر وثلثمه ومن جملة ما أحدث الخلف فخالفوا به سنن السلف أنهم شددوا في أشياء كان السلف يتساهلون فيها وتساهلوا في أشياء كان السلف يشددون فيها فمثلهم في ذلك كالخوارج شددوا في الصغائر من الذنوب وتساهلوا في الآثار والسنن وفي ترك مذهب الجماعة حتى فارقوهم فمما شدد فيه الخلف مما كان السلف يتساهلون كتب الأحاديث من أنواع طرقها وتتبع الغرائب من طرقاتها وتحري الألفاظ فيها وقد قال ابن عون أدركت ثلاثة يرخصون في المعاني إبراهيم والشعبي والحسن رحمهم الله وعن جماعة من علماء السلف والصحابة التوسعة في معاني الأحاديث وإن لم يؤدوا ألفاظها ومن ذلك تجريد الحروف وتحري مقرأ الواحد في جميع اختياره حتى كأنه نص عليه ومن ذلك التدقيق في القياس والنظر والتبحر والتقعر في علوم العربية والنحو كما قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله أعربنا في الكلام فلم نلحن ولحنا في الأعمال فلم نعرب فيا ليتنا لحنا في الكلام وأعربنا في الأعمال وذكرت العربية عند القاسم بن مخيمرة فقال أولها كبر وآخرها بغي وقال بعض السلف النحو يذهب الخشوع من القلب وقال بعضهم من أراد أن يزدري الناس كلهم فليتعلم النحو وشددوا في الطهارة بالماء وتنظيف الثياب وكثرة غسلها من عرق الجنب ولبس الحائض ومن أبوال ما يؤكل لحمه وغسل يسير الدم ونحو ذلك وكان السلف يرخصون في كل هذا ومما تساهلوا مما كان القدماء يشددون فيه أمر المكاسب وترك التحري فيها والكلام فيما لا يعني والخوض في الباطل والغيبة والنميمة والاستماع إليهما وهو اشتراك في الغيبة والنميمة والعقد على البلاغات وسوء الظن لأجلها وكل بلاغة تزيد وتنقص إن كان شرا زادت فيه وإن كان خيرا انتقصت منه وتساهلوا في النظر إلى الزور واللهو ومجالسة البطالين وفي المشي في الهوى والتعصب وشدة الحرص على الدنيا وهذا كله كان السلف يشددون فيه ومما أحدثوا دخول النساء الحمام من غير ضرورة ودخول الرجل بغير مئزر وهو فسوق سئل إبراهيم بن إسحاق الحربي رحمه الله عمن يشرب النبيذ أيصلى خلفه قال نعم قيل فمن دخل الحمام بغير مئزر فقال لا يصلى خلفه هذا لأن شرب النبيذ إذا لم يسكر منه مختلف فيه ودخول الحمام بغير مئزر محرم بالإجماع وكان بعض العلماء يقول يحتاج داخل الحمام إلى مئزرين مئزر لوجهه ومئزر لعورته وإلا لم يسلم في دخوله وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول الحمام من النعيم الذي أحدثوه ومن المنكر في الحمام تولي القيم لعورة الرجل المسلم في الاطلاء بالنورة وقد كان من هدي العلماء في قعودهم أن يجمع أحدهم في جلسته فينصب ركبتيه ومنهم من يقعد على قدميه ويضع مرفقيه على ركبتيه كذلك كان شمائل من تكلم في هذا العلم خاصة من عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعد الحسن البصري رحمه الله وهو أول من أظهر هذا العلم وفتق الألسن به إلى وفاة أبي القاسم الجنيد قبل أن تظهر الكراسي وكذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان قد يقعد القرفصاء ويحتبي بيديه وفي رواية أخرى أنه كان يقعد على قدميه ويجعل مرفقيه على ركبتيه وأول من قعد على كرسي من أهل هذا العلم يحيى بن معاذ الرازي بمصر وتبعه أبو حمزة ببغداد فعاب الأشياخ عليهما ذلك وأنكروا ذلك من سيرة العارفين الذين يتكلمون في علم المعرفة واليقين إنما كان يجلس متربعا النحويون وأهل اللغة وأبناء الدنيا من العلماء المفتين وهي جلسة المتكبرين ومن التواضع الاجتماع في الجلسة ٢

ذكر تفصيل العلوم معروفها وقديمها ومحدثها ومنكرها

اعلم أن العلوم تسعة أربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين وخمسة محدثة لم تكن تعرف فيما سلف فأما الأربعة المعروفة فعلم الإيمان وعلم القرآن وعلم السنن والآثار وعلم الفتاوى والأحكام وأما الخمسة المحدثة فالنحو والعروض وعلم المقاييس والجدال في الفقه

وعلم المعقول بالنظر وعلم علل الحديث وتطريق الطرقات فيه وتعليل الضعفاء وتضعيف النقلة للآثار
فهذا العلم من المحدث إلا أنه علم لا بأس به يسمعه أصحابه منهم وقد كانوا يرون القصص بدعة وينهون عنه
ويكرهون مجالسة القصاص قال بعض العلماء نعم الرجل فلان لولا أنه يقص وقال بعض من لقيناه مثل
أصحاب الحكايات في أهل المعرفة مثل القصاص في الفقهاء وقال آخر مثل القصاص في العلماء مثل أهل السواد
في أهل المدن فأما أكل الدنيا بالدين وأخذها على الصلاح وبيع العلم بالدنيا والتصنع والتزين للعموم فمن قبيح
ما أحدث وهو أعظم وأظهر من أن يدل على فساده عند من عرف ظاهر العلم وقد سمي هؤلاء في زماننا هذا
الجاهلون بالعلم علماء وجعلهم الناقصون عن الفضل فضلاء لقلة معرفتهم بطرائق المتقدمين وعدم بصيرتهم مطلب أقسام العلم
بحقيقة علم الدين واعلم أن الكلام ينقسم سبعة أقسام العلم منها قسم واحد وسائر الستة لغو مطرح
يلتقطه من لا يعرفه ولا يفرق بين العلم والجهل والعرب تقول لكل ساقطة لاقطة ولكل نافلة ناقلة فالستة
إفك وسفه وخطأ وظن وزخرف ووسوسة هذه أسماؤها عند العلماء يفصلون ذلك بما فصل الله
عز وجل لهم من بيانه واستحفظهم من كتابه وجعلهم شهداء على دينه وعباده فالقسم السابع من الكلام
هو ما عدا هذه الستة ولم يقع عليه اسم منها مذموم فهو علم وهو نص القرآن والسنة أو ما دل عليه أو استنبط
منهما أو وجد فيهما اسمه ومعناه من قول وفعل والتأويل إذا لم يخرج من الإجماع داخل في العلم والاستنباط
إذا كان مستودعا في الكتاب ويشهد له المحكم ولا ينافيه النص فهو علم وقد كان ابن مسعود رحمه الله يقول
أنتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد جمع الله سبحانه
وتعالى بين رونق القول ومتعة الدنيا بتسميته الزخرف فقال ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون
وزخرفا كما قال سبحانه وتعالى زخرف القول غرورا فذهاب الجاهل بالاستحسان لزخرف القول المموه
من علماء الدنيا كمتعة الجاهل من أبناء الدنيا بزخرف الذهب ذهابا عن حقيقة الأمر والزخرف ما يموه
على الذهب فيشبهه يحسبه الجاهل والصبي عين الذهب كذلك الزخرف من القول يموه ويشبه على
العلم يحسبه المستمع من الجهال علما فلذلك جمع بينهما بتسمية الزخرف وقد قيل إن الزخرف هو الذهب
فعلى هذا شبه قول الغرور بالذهب الذي يذهب بقاؤه وتقل حقيقته عند الديانين وأهل الحقيقة الزاهدين
إذ شبهه الأنبياء والصديقون بل رأوه كالحجر والمدر وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول تركوا العلم
وأقبلوا على الغرائب ما أقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن أنس لم يكن الناس فيما مضى يسألون
عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام وحلال في أكثر الأمور أدركتهم
يقولون مكروه ومستحب وقد كان مالك رضي الله عنه كثير التوقف في الأجوبة إذا سئل ويكثر أن يقول

لا أدري سل غيري وقال رجل لعبد الرحمن بن مهدي ألا ترى إلى قول فلان في العلم حلال وحرام وقطعه
في الأمور يعني رجلا من أهل الرأي وإلى قول مالك إذا سئل أحسب أحسب فقال عبد الرحمن ويحك قول مالك
أحسب أحسب أحب إلي من قول فلان أشهد أشهد وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما أحدثوا
فإنهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنن فإنهم لا يعرفونها وكان الشعبي رحمه الله إذا نظر إلى
ما أحدث الناس من الرأي والهوى يقول لقد كان القعود في هذا المسجد أحب إلي مما يعدل به فقد صار
فيه هؤلاء الرائيون فقد بغضوا إلي الجلوس فيه ولأن أقعد على مزبلة أحب إلي من أن أجلس فيه
وكان يقول ما حدثوك عن السنن والآثار فخذ به وما حدثوك عما أحدثوا من رأيهم فامخط عليه
وقد قال مرة فبل عليه وقد كان السلف يستحبون العي والبله عن علوم المعقول وقد جعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الإيمان وقرنه بالحياء فقال الحياء والعي شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان
من النفاق وقال أبغض الخلق إلى الله عز وجل البليغ الذي يتخلل الكلام بلسانه كما تتخلل الباقرة
الخلا بلسانها يعني الحشيش الرطب وفي حديث آخر والعي عي اللسان لا عي القلب وقال إن الله
عز وجل كره لكم البيان كل البيان فصار الفقه إنما هو فقه القلب عن الرب عز وجل وصار فقه اللسان
بالبيان إنما هو عي القلب عن الشهادة والإيقان وعي اللسان بطول الصمت الذي كان يستحبه
السلف هو اليوم عيب ومن المتكلمين لا يعرف وكلام البدع وعلم المنافير الذي ذمه القدماء هو اليوم
سنة وأهل المنطق به هم العلماء فقد صار المعروف منكرا والمنكر معروفا وصارت السنة بدعة
والبدع سنة وكذلك جاءت به الأخبار في وصف آخر الزمان وقد كان أبو سليمان الداراني رحمه الله
يقول لا ينبغي لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمله حتى يسمع به في الأثر فيحمد الله عز وجل إذ وافق ما في
نفسه وقال بعض العارفين ربما قبلت خاطرا من قلبي حتى يفتح لي شاهدي عدل من كتاب وسنة وكان
إمامنا أبو محمد رحمه الله يقول لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه هذه الأربع أداء الفرائض بالسنة
وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الممات وقد كانوا يعيبون
على من يتكلم بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس بغير ذكر الله عز وجل وكانوا يخرجون المتحدثين من المساجد
فلا يبقى فيه إلا ذاكر أو مصل لله سبحانه وتعالى وقد كان السلف يستعظمون يسير الحدث في الدين
ودقائق البدع في الإسلام لعظم الإيمان والسنة في قلوبهم ولمعرفتهم بحقيقة المعروف قال عبد الله
بن مغفل لابنه وقد سمعه يقرأ خلف الإمام يا بني إياك والحدث إياك والحدث وقال سعد بن أبي وقاص
لابنه عمر رحمهما الله وقد سمعه يسجع في كلامه هذا الذي يبغضك إلي لا قضيت حاجتك أبدا وكان

قد جاء نبيا لحاجة له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوتي امرؤ شرا من طلاقة في لسانه وقد قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة حين سجع فوالى بين ثلاث كلمات وقال إياك والسجع يا ابن رواحة
فكان السجع ما زاد على كلمتين وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي أمره بدية الجنين لما قال
كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل هذا يطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجع
كسجع الأعراب وروينا أن مروان لما أحدث المنبر في صلوة العيد عند المصلى قام إليه أبو سعيد الخدري
رضي الله عنه فقال يا مروان ما هذه البدعة فقال إنها ليست ببدعة هي خير مما تعلم إن الناس قد كثروا
فأردت أن يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بخير مما أعلم أبدا والله لا صليت وراءك
اليوم ولم يصل معه صلاة العيد فالخطبة على منبر في صلوة العيد وخطبة الاستسقاء بدعة كان النبي
صلى الله عليه وسلم يخطب فيهما متوكئا على قوس أو عصى وروينا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أخر صلوة المغرب ذات ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة وفعله عمر بن عبد العزيز أيضا فأعتق رقبة
استنانا بعمر وهو جده لأمه وروينا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أخر صلوة المغرب حتى طلع كوكبان
فأعتق رقبتين وفي الخبر لا تزال أمتي على مسكة من دينها ما لم يؤخروا صلوة المغرب إلى اشتباك النجوم
تشبها باليهودية ولم يؤخروا صلوة الصبح إلى افتراق النجوم تشبها بالنصرانية وقال سفيان الثوري
ويوسف بن أسباط لا تقلد دينك من لا دين له وقال وكيع رحمه الله لأن أزني أحب إلي من أن أسأل
مبتدعا عن ديني وكان أحمد بن حنبل رحمه الله قد اكتتب عن عبيد الله بن موسى العبسي ثم بلغه عنه
أدنى بدعة قيل إنه كان يقدم عليا على عثمان عليهما السلام وقيل بل ذكر معاوية بسوء فانصرف أحمد
رحمه الله ومزق جميع ما حمل عنه ولم يحدث عنه شيئا وقيل له مرة يا أبا عبد الله أوكيع أشبه بالسلف
أم عبيد الله فقال بل وكيع ولو زنا وحدثونا عن إبرهيم الحربي قال كتبت عن علي بن المديني حملا
لله علي أن لا أحدث عنه بحرف قيل ولم يا أبا إسحق قال لأنه صلى خلف مبتدع وكان رحمه الله يقول
صحبت الفقهاء وأصحاب الحديث وأهل العربية واللغة سبعين سنة ما سمعت هذه المسائل التي أحدثت
في هذا الوقت من أحد منهم قط يعني الاسم والمسمى ونحو ذلك وقال أحرج على من كان من أهل الكلام والجدل
أن يحضر مجلسي أو يسألني عن شيء فإنه لا علم لي بالكلام ولا أحسنه ولا أقول بأهله ولو عرفت أحدا منهم
ما كلمته ولا أجبته عن شيء وحدث زيد بن أخزم عن وهب بن جرير قال سمعت شعبة يقول أتيت الحارث
العكلي فقلت ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا تبع أحدكم جنازة فلا يجلس حتى توضع قال
أرأيت إن جئنا ولم يحفر له ينبغي لنا أن نقوم قياما فلبثت قال لي أرأيت تركته وروى محمود بن غيلان

عن وهب أيضا عن شعبة قال أتيت المنهال بن عمرو أسأله عن حديث فسمعت من منزله صوت طنبور فرجعت
ولم أسأله ثم ندمت بعد ذلك فقلت هلا سألته فعسى كان لا يعلم به وهجر أحمد بن حنبل رحمه الله أبا ثور
صاحب الشافعي رحمهما الله لما سئل عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم
على صورته فقال إن الهاء عائدة على آدم فغضب وقال ويله وأي صورة كانت لآدم يخلقه عليها ويله يقول
إن الله عز وجل خلق على مثال فكيف يصنع في الخبر المفسر إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم على صورة الرحمن
فبلغ ذلك أبا ثور فجاءه فاعتذر إليه وحلف أنه ما قاله عن اعتقاد وإنما هو رأي رآه فقال القول
ما قلت وهو اعتقادي وهجر أيضا الحارث المحاسبي في رده على المبتدعة وكان من أهل السنة فقال
إلا أن ترد عليهم قد حكيت قولهم وأيضا فإنك تحملهم على التفكر والرأي فيما قلت فتكون سببا لرد
الحق بالباطل وهجر أيضا يحيى بن معين في كلمة تكلم بها وهو قوله لو أعطاني السلطان شيئا أخذته
وقيل لعبد الرحمن بن مهدي إن فلانا يرد على المبتدعة فقال بكتاب الله وسنة رسوله قالوا لا بل
بالمعقول فقال بئس ما صنع رد بدعة ببدعة وقال مالك بن أنس رضي الله عنه ليس من السنة أن تجادل
عن السنة ولكن تخبر بها فإن قبل منك وإلا فاسكت ومما أحدثوا البيع والشرى على الطريق وكان
الورعون لا يشترون شيئا ممن قعد يبيعه على الطريق وكذلك إخراج الرواشن من البيوت وتقديم
العضائد بين يدي الحوانيت إلى الطريق مكروه ومما كرهه أهل الورع البيع والشرى من الصبيان لأنهم
لا يملكون وكلامهم غير مقبول وحدثت عن أبي بكر المروزي رحمه الله أن شيخا كان يجالس أحمد بن حنبل
ذو هيبة وكان أحمد رحمه الله يقبل عليه ويكرمه فبلغه أنه طين حائط داره من خارج فأعرض عنه
في المجلس فاستنكر الشيخ ذلك فقال يا أبا عبد الله هل بلغك عني حدث أحدثته قال نعم طينت حائط
دارك من خارج قال لا يجوز قال لا لأنك قد أخذت من طريق المسلمين أنملة قال فكيف أصنع قال إما
أن تكشط ما طينته وإما أن تهدم الحائط وتؤخره إلى الوراء مقدار أصبع ثم تطينه من خارج قال
فهدم الرجل الحائط وأخره إصبعا ثم طينه من خارج قال فأقبل عليه أبو عبد الله كما كان ومما كرهه
السلف طرح السنور والدابة الميتة على المزابل في الطرقات فيتأذى المسلمون بروائح ذلك وكان
شريح وغيره إذا مات لهم سنور دفنوها في دورهم ومثله إخراج الميازيب وصبها إلى الطرقات كان أحمد بن
حنبل رحمه الله وأهل الورع يجعلون ميازيبهم إلى داخل بيوتهم وقال إبرهيم النخعي رحمه الله أحسبهم
يكذب مرتين ولا يشعر بقوله لا شيء إلا شيئا ليس بشيء يعني قول الناس للشيء اليسير الذي لا يوصف
بكثير شيء فاستعظم هذا ورآه كذبا مرتين وروينا عن عمر رضي الله عنه أنه قال للعوانة كنت أرى لك

من العمى فصرت الآن أغبطك به قال وكيف قال صرت لا ترى أبا الصعلي يعنيك مبتدع كان بالمدينة
وقيل لقتادة تودّ أنك بصير فقال لا على من كنت أفتح عيني بلى لو كان في وقت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كنت أنظر إليهم وحدثونا عن الفضل بن مهران قال قلت ليحيى بن معين أخ لي يقعد إلى القصاص فقال
انهه قلت لا يقبل قال عظه قلت لا يقبل قال اهجره قال نعم قال فأتيت أحمد بن حنبل رحمه الله فذكرت له نحو
ذلك فقال قل له يقرأ في المصحف ويذكر الله سبحانه وتعالى في نفسه ويطلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلت فإن لم يفعل قال بلى إن شاء الله فإن هذا الاجتماع محدث قلت فإن لم يقبل أهجره فتبسم وسكت ه
وسأل رجل بشر بن الحارث عن مسئلة من علم القلوب فتوقف ثم أجابه ثم سأله عن أخرى عن علم المعاملات
فسكت ونظر إليه ثم قال من تجالس من الناس فقال منصور بن عمار وابن السماك فقال ألا تستحي تسألنا
عن علم القلوب ثم تجالس القصاص وأعرض عنه حتى قلنا يا أبا نصر إنه لا بأس به إنه من أهل السنة وقد كانوا
يكرهون الصلاة في المقصورة ويرونها أول بدعة أحدثت في المساجد ويكرهون تزويق المساجد وتلوين
القبلة بالزخرف وتحلية المصاحف وهذا من البدع وفي الخبر إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدبار
عليكم وقد كانوا يكرهون كثرة المساجد في المحلة الواحدة روي أن أنس بن مالك رضي الله عنه لما دخل
البصرة جعل كلما خطا خطوتين رأى مسجدا فقال ما هذه البدعة لما كثرت المساجد قل المصلون
أشهد لقد كان القبيلة بأسرها ليس فيها إلا مسجد واحد وكان أهل القبائل ينتابون المسجد الواحد في الحي
من الأحياء واختلفوا في أيهما يصلي إذا اتفق مسجدان في محلته فمنهم من قال في أقدمهما وإليه ذهب أنس
ابن مالك وغيره من الصحابة قال وكانوا يجاوزون المساجد المحدثة إلى المساجد العتق وكان الحسن يقول
يصلي في أقربهما منه ويقال أول ما أحدث من البدع أربع الموائد والمناخل والأشنان والشبع وكانوا
يكرهون أن تكون أواني البيت غير الخزف ولا يتوضأ أهل الورع في أواني الصفر قال الجنيد قال لي سري
السقطي اجهد أن لا تستعمل من آنية بيتك إلا جنسك يعني من الطين ويقال لا حساب عليه ومما كرهه
السلف تشييد البناء بالجص والآجر يقال أول من طبخ الطين هامان أمره به فرعون ويقال هو بناء الجبابرة
وكرهوا النقوش والتزويق في السقوف والأبواب وكانوا يغضون من النظر إلى ذلك غاب الأحنف بن قيس
غيبة فرجع وقد خضروا سقف بيته وصفروه فلما نظر إليه خرج من منزله وحلف أن لا يدخله حتى يقلعوا
ذلك ويعيدوه كما كان وقال يحيى بن يمان كنت أمشي مع الثوري في طريق فمررنا بباب منقوش مزوق
فنظرت إليه فجذبني سفيان حتى جزت فقلت أتكره من النظر فقال إنما بنوه لينظر إليه ولو كان
كل من مر به لا ينظر إليه ما بنوه فكأنه خشي أن يكون بنظره إليه معاونا له على بنائه ومما أحدث

الناس مما كانوا يكرهونه الثياب الرقاق مثل القصب ودقيق مصر كانوا يقولون الثياب الرقاق
لباس الفساق ومن رق ثوبه رق دينه ويقال أول النسك الزي وقال ابن مسعود رحمه الله لا يشبه
الزي الزي حتى يشبه القلب القلب وخطب بشر بن مروان وعليه ثوب رقيق فجعل رافع بن خديج يهزأ به
ويقول انظروا إلى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق ولما جاء عبد الله بن عامر بن ربيعة في بزته
إلى أبي ذر وسأله عن الزهد وأخذ يتكلم فيه فجعل أبو ذر رحمه الله يضرط به في كفه ثم أعرض عنه ولم
يكلمه فغضب ابن عامر وكان قرشيا شريفا فذهب إلى ابن عمر يشكوه فقال له أنت فعلت بنفسك
تأتي أبا ذر في هذه الثياب وتسأله عن الزهد وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وصف نساء يكن
في آخر الزمان فقال كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن أمثال أسنمة البقر يعني المعاجر
والأكوار لا يجدن رائحة الجنة فالثياب الرقاق للنساء أكره وأغلظ كان ابن عباس رضي الله عنهما
يفسر التبرج أن منه لبس ما رق من الثياب وقال في قوله سبحانه وتعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الأولى قال كانت المرأة تلبس ثيابا فيه كذي وكذي لا تواري لها عورة مما لا تجوز فيه الصلوة لأنه يصف
أو يشف فكرهوا لبسه وإنما كانت ثياب السلف رضي الله عنهم السنبلاني والقطواني وعصب اليمن ومعافري
مصر والقباطي مثل كسوة الكعبة والثياب السحولية اليمانية والكرابيس والحضرمية وهذه غلاظ
كلها كثيفة أثمان خمسة دراهم إلى العشرة دراهم فما بين ذلك ثم أحدثوا الثياب الرقاق من كتان مصر وقطن
خراسان وكان طول مئزر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ونصف وثمنه إلى الأربعة والخمسة وكانت
أثمان ثيابهم القمص من الخمسة إلى العشرة فما بينهما من الثمن ولكن قد جاء في الخبر لا تقوم الساعة
حتى يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول لا يأتي على الناس عام إلا
أماتوا فيه سنة وأحيوا فيه بدعة حتى تموت السنن وتحيى البدع وإنما قيل منكر لأنه لا يعرف فإذا
خفي الحق فلم يعرف وقع عليه اسم المنكر وكذلك قيل معروف لأنه مشهور مألوف فإذا فشا الباطل وكثر
الجهل حتى ألف وعرف وقع عليه اسم المعروف وكذلك قيل يكثر الجور حتى يولد فيه من لا يعرف العدل
وكان الشعبي رحمه الله يقول يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج وهذا قد أتى منذ زمان
لأن الحجاج ابتدع أشياء أنكرها الناس عليه في زمانه هي اليوم سنن معروفة وأعمال مستحسنة
يترحم الناس ويغبطون من أحدثها ويحسبون أنه مأجور عليها مشكور سعيه فيها إلا أنهم لا يعرفون
أنه أحدثها فهم وإن لم يفوهوا بالصلاة قولا فإن استعمالهم لما أحدث واستحسانهم لما ابتدع ترحم عليه
عليه منهم والترحم صلوة وأيضا فإنه ابتدع أشياء من الخير وداخلة في أبواب الآخرة ثم ظهرت بعده

ولاة احدثوا احداثا من الجور وابتدعوا بدعا من الفسوق صارت سننا بعدهم فوجد بذلك الصلاة على
الحجاج لجنب ما اظهره وابتدعه فمما احدث هذه المحامل والقباب التى خالف بها هدى السلف بالتنعم والرفاهية
وانما كان الناس يخرجون على الرواحل والزوامل فيضحون للشمس وينصبون فى سبيل الله عز وجل ويشعثون
ويغبرون ويقل احمالهم ونومهم وتكثر رفاهية الابل وتقل المشقة والحمل عليها فيكون ذلك اثوب لهم وازكى
لحجهم وادنى الى السلامة لابلهم واوفق لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخرجهم من جميع ذلك ما ادخلهم فيه من
بدعته فصاروا يخرجون فى بيوت ظليلة مع الحمل على الابل ما لا تطيق فيكون سبب تلفها ويشركون فيه ويشركهم
بسنته وابتدع ايضا هذه الاخماس والعواشر ورؤس الآى وحمرة السواد وخضرة وصفرة فادخل فى المصحف
ما ليس فيه من الزخرف وكان السلف يقولون جردوا القرآن كما انزله الله عز وجل ولا تخلطوا به غيره فانكر العلماء
ذلك عليه حتى قال ابو رزين يأتى على الناس زمان ينشؤ فيه نشؤ يحسبون انها احدثها الحجاج فى المصاحف كذا
انزله الله عز وجل يذمه بذلك وحتى نقل الاختلاف ان بعضهم كان يقرأ فى مصحف منقوط بحمرة لان بعضا
كان لا يرى القراءة فى مصحف منقوط كما نقل ان بعضهم كان يرى شرى المصحف ويكره بيعه اى فكذلك اذا لم
تنقط انت فلا باس ان تقرأ فيما نقطه غيرك وقد كانوا يكرهون اخذ الاجر على تنقيط القرآن لانه مبتدع
قال ابو بكر الهذلى رحمه الله سألت الحسن رضى الله عنه عن تنقيط المصاحف بالاجر قال وما تنقيطها قلت
يعربون الكلم بالعربية فقال اما اعراب القرآن فلا باس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين رحمه الله
فرأيته يقرأ فى مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقال فراس بن يحيى وجدت ورقا منقوطا بالنحو
فى سجن الحجاج فعجبت منه وكان اول نقط رايته فاتيت به الشعبى رحمه الله فقال لا اقرأ عليه ولا
تنقط انت بيدك ومنها انه جمع القراء بالبصرة فكانوا يعدون حروف المصحف ويعدون كلمه شهرا
ولو رآهم عمر او عثمان او على رضى الله عنهم يصنعون هذا بالقرآن يعدون كلمه وحروفه من كل سورة لاوجع
رؤسهم ضربا وهذا الذى كرهه الصحابة رضى الله عنهم ووصفوا به قراء آخر الزمان انهم يحفظون حروفه
ويضيعون حدوده فكان الحجاج اقرأ القراء واحفظهم لحروف القرآن كان يختم فى كل ثلاث وكان اضيع
الناس لحدوده ومنها انه ابتدع اخراج الحصى والرمل من المساجد وفرشها بالبوارى كما روى ان قتادة سجد
فدخلت فى عينه قصبة وكان ضريرا فقال لعن الله الحجاج ابتدع هذه البوارى يؤذى بها المصلين وقد كانوا
يستحبون السجود على الارض والتراب تواضعا لله عز وجل وتخشعا وذلا الى غير ذلك من بدعه التى لم
نقصد تعديدها عليه ولا جمعها فهى اليوم سنن معروفة وشرائع مألوفة مع ما احدث غيره مما يكثر عدده
منكر كله عند من عرف المعروف من سيرة المتقدمين وشمائل السالفين وقد قال ابن مسعود يظهر المنكر

والبدع حتى اذا غير منها قيل غيرت السنة وقال فى آخر حديثه اكيسهم فى ذلك الزمان الذى يروغ بدينه
روغان الثعالب وقد كان انس بن مالك رحمه الله فى سنة ثمانين فى ايام الحجاج يقول ما اعرف اليوم شيئا
كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وقد غير الا شهادة ان لا اله الا الله قيل فالصلاة يا ابا حمزة قال
اوليس قد احدثوا فى الصلوة ما علمتم يعنى تاخيرها والتثويب قبلها يعنى السلام على الامراء يضاهون به الاقامة
فجعلوه كالسنة وكان يقول للقراء اذا دخلوا عليه مثل يزيد الرقاشى وزياد النميرى وفرقد السبخى
ما اشبهكم باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيفرحون ثم يقول نعم رؤسكم ولحاكم فهذا كما قال المجنون
اما الخيام فانها كخيامهم وارى نساء الحى غير نسائها   وعن جماعة من الصحابة لو نشر اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وراوكم لما عرفوا شيئا مما انتم عليه الا الصلوة فى جماعة وفى لفظ آخر الا انكم تصلون
جميعا وقد كان الحسن رحمه الله يقول صحبت طوائف لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو راوا خياركم لقالوا
ما لهؤلاء من خلاق وقال ابو حازم ادركت القراء وهم القراء حقا لو كان حامل القرآن فى مائة رجل لعرف
بشدة تواضعه وحسن سمته وخشوعه قد وقر القرآن وخشعه فاما هؤلاء فما هم بالقراء ولكنهم التجار
وكذلك وصف بعضهم السلف قال كنا نشهد الجنازة فلا نعرف صاحب المصيبة ولا ندرى من نعزى
من شدة حزن القوم قال وكان يبقى لحزنهم بعد شهود الجنازة ثلاثا لا ينتفع به وكان الفضيل رضى الله عنه
يحذر من قراء زمانه فقال اياك وصحبة هؤلاء القراء فانك ان خالفتهم فى شىء كفروك وقال الثورى
رضى الله عنه ما من شىء احب الى من صحبة فتى ولا شىء ابغض الى من صحبة قارى وكان بشر يقول
من لم يحسن يتفتى لم يحسن يتقرى وكان بشر بن الحارث رضى الله عنه يقول لئن اصحب فتى احب الى من
ان اصحب قاريا واياك وصحبة القراء فانهم يذمون غير مذموم وان تركت الصلوة معهم فى جماعة تشاهدوا
عليك كل ذلك لانهم يجاوزون الحد فى الشىء ويسرعون الانكار الى كل شىء لغلبة الجهل عليهم وقلة مجالستهم
للعلماء ومعاناتهم للعلم وانهم موصوفون بدقائق الرياء والتصنع للعامة فينكرون غير منكر ويتعصبون
بالبغضة والهجر فى اليسير الذى مثله يغتفر وهم غير موصوفين بمحاسن الاخلاق ولا موسومين بالبشاشة
والانطلاق اذ فيهم كزازة وتغيظ على الناس ولزازة وحنق على الاغنياء حتى كانهم يأكلون ارزاقهم
او كانهم يمنون بالعبادة لهم وفيهم كثرة مقت لاهل الطلاقة والبشر حتى قال بعضهم الشريف اذا تقرأ
تواضع والوضيع اذا تقرأ تكبر وقال آخر السفلة اذا تقرأ اكثر الامر بالمعروف واعترض على جيرانه
فى كل شىء يعنى اكثر الامر بالمعروف ليعرف به فمن اجل ذلك رفضهم العلماء وذمهم الحكماء لان العلم
يبسط ويوسع وتكون منه الاخلاق الحسنة والآداب والمروات الواسعة والعالم يضع الاشياء فى مواضعها

من الناس والجاه وزينها ولابهم المقادير وتستخرج لهم المعاذير ومن صفة العالم الانقباض في بسط خلق
وقد قال الشافعي رضي الله عنه الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم فكن بين المنقبض والمنبسط وفي
الخبر انكم لا تسعون الناس باموالكم فليسعهم منكم وجه طلق وخلق حسن وفي لفظ آخر وبشر وبشاشة
وهذا خلق من القراء معدوم لا يعرفونه وقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل شيء قدرا فمن تعدى حد الشيء
فقد افسده وقال بعض السلف قليل التواضع يكفي من كثير العمل وقليل الورع يكفي من كثير العلم ومن اخلاق
السلف مما تهاون به الخلف انهم كانوا يعدون من النفاق ان يتكلم الرجل فيمن يكلمه او يكلم من تكلم فيه
لانهم كانوا اذا كلموا احدا او سلموا عليه سلمت له قلوبهم ولم يتكلموا فيه واذا تكلموا في احد لبدعة او
ظهور فسقه وظلمه لم يكلموه وكانوا اذا مدحوا احدا بقول لم يذموه بفعل واذا ذموا احدا بفعل لم يمدحوه
بقول لان في ذلك اختلاف لسانين ووجهين واختلاف سر وعلانية وكانوا يقولون معنى سلام عليك اذا لقيته
اي سلمت مني ان اغتابك او اذمك وكان اختلاف هذا عندهم من ابواب النفاق وروينا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه وفي حديث آخر من كان ذا لسانين
في الدنيا جعل له يوم القيامة لسانان من نار وكان بعضهم يقول ما ذكر عندي انسان قط الا مثلته جالسا
فقلت في غيبته ما يحب ان يسمع وقال آخر ما ذكر عندي رجل الا تصورت نفسي في مثاله فقلت ما احب
ان يقال لي قلته له فهذه كانت صفات المسلمين الذين يسلم الناس من ايديهم ومن قلوبهم كان احدهم
اذا ذكر عنده غيره بسوء وقف وتذكر في شان نفسه فان كان فيه مثل ذلك السوء قطعه الحياء عن الكلام
في اخيه فيسكت وان لم يكن فيه ذلك حمد الله عز وجل ورحم اخاه فشغله الشكر لمولاه عز وجل اذ عافاه
فهذه كانت سيرة السلف ويقال في بعض كتب الله عز وجل عجبا لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف
يفرح ولمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب واعجب من ذلك من احب نفسه على اليقين وابغض الناس
على الظن ومن طريقة السلف مما كانوا يتشددون فيه حب المدح وطلب الحمد حتى قال بعضهم من احب المدح
وكره الذم فهو منافق وقال عمر رضي الله عنه لرجل من سيد قومك قال انا قال لو كنت كذلك لم
تقل وكتب محمد بن كعب رحمه الله فانتسب فقال القرظي فقيل له قل الانصاري فقال اكره ان امن على
الله عز وجل بما لم افعل وقال الثوري ان كنت اذا قيل لك بئس الرجل انت تغضب فانت بئس الرجل وقال
آخر لا يزال فيك خير ما لم تر ان فيك خيرا وسئل بعض العلماء ما علامة المنافق فقال الذي اذا مدح بما
ليس فيه ارتاح لذلك قلبه وكان سفيان رحمه الله يقول اذا رايت الرجل يحب ان يحبه الناس
كلهم ويكره ان يذكره احد بسوء فاعلم انه منافق وهذا داخل في وصف الله سبحانه وتعالى المنافقين

بقوله

بقوله عز وجل ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم فينبغي لمن امن في اهل السنة ان
يخاف في اهل البدع وهذا مما دخل على القراء الذين ذمهم العلماء مداخل الليل في النهار ولعل مغرورا جاهلا
يتاول الحديث الذي جاء اذا مدح المومن ربا الايمان في قلبه على غير تاويله ويحمله على غير محمله
فانما قال ربا الايمان ولم يقل ربا المومن فربا الايمان زيادته وزيادته بالخوف والاشفاق من المكر به
والاستدراج وفيه طريق العارفين بان يعلو الايمان العالي الى المومن الاعلى فيفرح بذلك لمولاه عز وجل
ويضيفه الى ~~مولاه~~ سيده الذي به تولاه فيرد الصنعة الى صانعها ويشهد في الفطرة فاطرها فيكون
ذلك مدحا للصانع ووصفا للفاطر لا ينظر الى نفسه ولا يعجب بوصفه ومن طرقات قد درست
وانقطع سبلها الا من رحم ربك

باب من تفضيل هذا العلم على سائر العلوم والتحذير من الزلل فيه وبيان ما ذكرناه

اعلم ان كل علم من العلوم قد يتاتى حفظه ونشره لمنافق او مبتدع او مشرك
اذا رغب فيه وحرص عليه لانه نتيجة الذهن وثمرة العقل الا علم الايمان واليقين فانه لا يتاتى ظهور
مشاهدته والكلام في حقائقه الا لمومن موقن من قبل ان ذلك مزيد الايمان وحقيقة العلم والايقان
فهو آيات الله عز وجل وعهده عن مكاشفة قدرته وعظمته وآيات الله لا تكون للفاسقين وعهده لا ينال
الظالمين وعظمته وقدرته لا تكون شهادة الزائغين ولا وجدا للمبطلين اذ في ذلك توهين آيات الله
عز وجل وحججه وانتقاض براهينه وقدره ودخول الشك في اليقين الذي هو محجة المخلصين والذين
هم بقية الله عز وجل من عباده واشتباه الباطل بالحق الذي هو وصف اهل الصدق الذين هم ادلته
عليه من اهل وداده وهذا من ادل دليل على فضل علم المعرفة على غيره قال الله سبحانه وتعالى اولم يكن
لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل وقال سبحانه وتعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
وقال عز وجل ان في ذلك لآيات للمتوسمين قد بينا الآيات لقوم يوقنون ولنبينه لقوم يعلمون
فهولاء العلماء بالله عز وجل الناطقون عن الله سبحانه وتعالى جعل لهم عز وجل انصبة منه وحظا عنده
ولا يكون ذلك لمن ليس اهلا له ولا حقيقا به لانهم آيات الله عز وجل وبيناته وشهوده وبصائره
وكاشفوا طريقه ومظهروا بيانه اذ يقول عز وجل ثم ان علينا بيانه ثم قال جل وعلا خلق الانسان
علمه البيان بعد قوله عز وجل وكان حقا علينا نصر المومنين مع قوله سبحانه وتعالى وكانوا احق
بها واهلها فنصروه بما نصرهم به وتحققوا بما حققهم منه وشهدوا له بما شهد لهم عنه فكانوا
للمتقين اماما والى الهداية اعلاما وقال بعض اهل المعرفة من لم يكن له مشاهدة من هذا العلم لم يعر
من شرك او نفاق لانه عار من علم اليقين ومن عري من اليقين وجد فيه دقائق الشك وقال

بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق
به وتسليمه لأهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له من هذا العلم شيء بدعة أو كبر وقال
طائفة من أهله من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وكان أبو محمد سهل رضي الله عنه
يقول أقل عقوبة من أنكر هذا العلم أن لا يرزق منه شيئا أبدا واتفقوا على أنه علم الصديقين
وأن من كان له نصيب فهو من المقربين فوق درجة أصحاب اليمين واعلم أن علم التوحيد ومعرفة الصفات
مباين لسائر العلوم فالاختلاف في علم الظاهر رحمة والاختلاف في علم التوحيد ضلال وبدعة والخطأ
في علم الظاهر مغفور وربما كان حسنة إذا اجتهد والخطأ في علم التوحيد وشهادة اليقين كفر من قبل
أن العباد لم يكلفوا حقيقة العلم عند الله سبحانه وتعالى في طلب علم الظاهر وعليهم موافقة الحقيقة
عند الله سبحانه وتعالى في التوحيد ومن ابتدع شيئا ردت عليه بدعته وكان مسؤولا عنه ولم يكن حجة
الله عز وجل على عباده ولا غيثا نافعا في بلاده بل كان موصوفا بالدنيا وفيها من الراغبين ولم يكن دليلا
على الله عز وجل ولا من دعاة الدين ولا إماما للمتقين كما جاء في الخبر العلماء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في
الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم والخبر المشهور من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد
وقد روينا في حديث غريب من غش أمتي فعليه لعنة الله عز وجل والملائكة والناس أجمعين قيل يا رسول الله
وما غش أمتك قال أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وروينا عن عيسى صلوات الله عليه وعلى سائر
الأنبياء وسلامه أنه قيل له من أشد الناس فتنة فقال زلة العالم إذا زل زل بزلته عالم
وقد روينا معناه عن نبينا صلى الله عليه وسلم مما أخاف على أمتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن
وكان بعض السلف يقول مثل العالم إذا زل مثل السفينة إذا غرقت يغرق معها خلق كثير ومثل
كسوف الشمس يصيح الناس يا غافلين الصلاة أي أنها عند العامة آية يفزع منها وكان ابن عباس رضي الله عنه
يقول ويل للعالم من الأتباع وويل للأتباع من العالم يزل العالم زلة فيتبعه عليها فئام من
الناس وتبلغ الآفاق ولا أعلم أحدا أعظم جرما ممن ابتدع في دين الله عز وجل فنطق في كتاب الله سبحانه وتعالى
وفي علم المعرفة بما لم يأذن به الله سبحانه وتعالى ثم لم يعبأ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو حجة الله
سبحانه وتعالى على جميع خلقه وطريق أوليائه من عباده فأضل بذلك عباد الله عز وجل فإن مثل من ابتدع
في الدين واتخذ وليجة دون الكتاب والسنة وبيان طريق المؤمنين إلى جنب من تكاثر في أمور الدنيا وارتكب
فيها شهوات الأهواء كمثل من اجترح المظالم بين الناس في الأموال والدماء إلى جنب من ظلم نفسه بكسب
الذنوب بينه وبين ربه سبحانه وتعالى إن مظالم العباد داء عظيم وهو الديوان الذي لا يترك كذلك

التمويه

التمويه في الدين أعظم لأنها مظالم الآخرة وقطع طرقات المؤمنين ومحو شريعة المرسلين ومثله أيضا مثل
من أذنب فجحد ذنبه واحتج لنفسه إلى من أذنب واعترف بذنبه واعتذر من نفسه فهو إلى العفو أقرب
وللرحمة أرجى كذلك من اعتل بالتقصير والتفريط في العمل ولم ينصح لنفسه إلا أنه أظهر حقيقة العلم ونصح
لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ببيان كتابه وذكر سننه أقرب إلى حسن الخاتمة وأولى بالتدارك
في العاقبة ممن شرع في دين الله عز وجل وابتدع في الأمة ما يخالف به الكتاب والسنة بهذا كأنه قد قلب ملة
وبدل شريعة فهذا يولد النفاق في قلبه حتى يختم له به ومثل من ابتدع في الملة مخالفا لطريق
الأئمة إلى من أساء بالذنوب إلى نفسه مثل من عصى الملك في قلب دولته وتظاهر عليه في ملكه بالإزالة إلى
جنب من عصى أمره وقصر في حقه من الرعية وقد قالت الحكماء ثلاث لا يحسن من الملك أن يغتفرها
من قلب دولته من رعيته أو عمل فيما يوهن الملك أو أفسد حرمة من حرمه وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم
إن لله عز وجل ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال علي عليه السلام الهوى شريك العمى وقال سبحانه وتعالى ومن أصدق من الله قيلا ومن
أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم وقال أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال
سأنزل مثل ما أنزل الله فسوى بين الكذب في الفرية على الله عز وجل وبين المتشبه المضاهي للربوبية
وكذلك من أعظم المنكر بعد هذا إنكار الحق من أهله ورده عليهم بالتكذيب فقد سوى الله سبحانه وتعالى
بين التكذيب بالحق وبين ابتداء الكذب على الخالق في قوله عز وجل ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا
أو كذب بالحق لما جاءه وقال في مثله فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه كما سوى بين
الصادق بالصدق والمصدق به فقال والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم العالم والمتعلم شريكان في الأجر وقال عيسى عليه السلام بمعناه المستمع شريك القائل ولكن الله
سبحانه وتعالى قد جعل هذه الطائفة من العلماء بالله ترد على جميع الطوائف من الشاطحين والمبتدعين
أهل الجهالة بالدين الحيدة عن سبيل المؤمنين بما أراهم الله سبحانه وتعالى من علم اليقين وبما شهد لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والتعديل في قوله يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه
تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين فالغالون هم الشاطحون لأنهم قد جاوزوا العلم ومحوا
الرسم وأسقطوا الحكم والمبطلون هم المدعون المبتدعون لأنهم جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
وافتروا بالدعوى وابتدعوا بالرأي والهوى والجاهلون هم المنكرون لغرائب العلم المغترون بما عرفوا من
ظاهر العقل كما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله
سبحانه وتعالى

فاذا نطقوا به لم يحمله الا اهل الاغترار بالله عز وجل فلا تحتقروا عالماً آتاه الله سبحانه وتعالى علماً فان الله
عز وجل لم يحقره اذ آتاه وكل من تأول السنن بالرأي والمعقول او نطق بما لم يسبق اليه السلف من القول
او بمعناه فهو متكلف مبطل فاهل العلم بالله سبحانه وتعالى يردون علم المعقول بعلم اليقين وعلم الرأي
بعلم السنة ويثبتون اهل الآثار ويؤيدون نقلة الاخبار بما يفصلون من اخبارهم ويفسرون من
حديثهم مما لم يجعل للنقلة طريق اليه ولم يهتد الرواة الى كشف منه بما اشهدهم الله سبحانه وتعالى واستودعهم
ونور به قلوبهم ونطقهم فهم ينطقون عن الله عز وجل فيما يخبرون عنه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف
فالسكوت عنه جفا وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال آخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم
ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال علي عليه السلم عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه
الغالي ويرتفع عنه القالي ومما احدث الناس ايضاً الرد على المبتدعة بعلم الرأي والمعقول وقد كان
هذا فيما سلف بدعة وكان المتكلمون به مبتدعين فقد صار في زماننا هذا علماً وجعل الجهال اصحاب
المنطق علماء ولم يكن من سيرة القدماء الرد على المبتدعين الا بالسنن والآثار لا بعلم الكلام والقياس
والنظر والجدال قيل لعبد الرحمن بن مهدي ان فلاناً صنف كتاباً يرد فيه على المبتدعة قال باي شيء
بالكتاب والسنة قيل لا ولكن بعلم المعقول والنظر فقال اخطأ السنة رد بدعة ببدعة وكان من
سنة السلف ان لا يستمع الى المبتدع لانه منكر ولا يرد عليه بالجدال والنظر لانه بدعة ولكن يخبر
بالسنة ويحتج بالاثر فان قبل فهو اخوك وحجة عليك هو لا له وان رد وانكر بغض لانكاره وعرف عليه
ببدعته وحقت عداوته وهذا طريق لا يسلكه في وقتنا هذا الا من عرف فضله وطريقة السلف فيه
حدثت عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال لهم ما شأنكم فقالوا
ما رأينا مثل هؤلاء القوم ما نصيب منهم شيئاً قد اتعبونا فيقول انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم
وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فيهم
فرجعوا اليه منكسين فقال لهم ما شأنكم قالوا ما رأينا اعجب من هؤلاء القوم نصيب منهم الشيء بعد الشيء من
الذنوب فاذا كان من آخر النهار اخذوا في الاستغفار فتبدل سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا
من هؤلاء شيئاً لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون
بهم لعباً وتقودونهم بازمة اهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فتبدل سيئاتهم
حسنات فجاء قوم بعد القرن الاول فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها ديناً

لا يستغفرون منها ولا يتوبون الى الله قال فتسلطت عليهم الاعداء وقادوهم اين شاؤوا وقد قال ابن عباس
رضي الله عنه ان للضلالة حلاوة في قلوب اهلها وقال الله سبحانه وتعالى اتخذوا دينهم لعباً ولهواً
وقال عز من قائل افمن زين له سوء عمله فرآه حسناً كما قال افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد
منه فالعالم رحمك الله هو الذي كان عليه السلف الصالح المقتفي آثارهم والخلف التابع المقتدي
بهديهم وهم الصحابة اهل السكينة والرضى ثم التابعون لهم باحسان من اهل الزهد والنهى والعالم
هو الذي يدعو الناس الى مثل حاله حتى يكونوا امثاله فاذا نظروا اليه زهدوا في الدنيا لزهده فيها
كما كان ذو النون رحمه الله يقول جالس من يكلمك عمله لا من يكلمك لسانه وقال الحسن رحمه الله قبله
عظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك وكان ابو محمد سهل رحمه الله يقول العلم يهتف بالعمل فان اجابه
والا ارتحل وقد روينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم معنى ذلك كله انه قيل له اي جلسائنا خير فقال
من ذكركم بالله رؤيته وزاد في علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله فاما الذي يطلب دنياهم حتى
يكون مثلهم فاذا رأوه اغتبطوا بحالهم فهذا شر منهم لانه يدعو الى نفسه لا الى مولاه ولانه طامع فيهم
وهم زاهدون فيه فالعلماء الذين هم ورثة الانبياء هم الورعون في دين الله الزاهدون في فضول الدنيا
الناطقون بعلم اليقين والقدرة لا بعلم الرأي والهوى والصامتون عن الشبهات والآراء لا تختلف هذا
الى يوم القيامة عند العلماء الشهداء على الله سبحانه وتعالى برأي قائل ولا بقول مبطل جاهل كما روى برأي قائل
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم صلح اول هذه الامة بالزهد واليقين ويهلك آخرها
بالبخل والامل وقال يوسف بن اسباط كتب الي حذيفة المرعشي ما ظنك بمن قد بقي لا يجد احداً
يذكر الله عز وجل معه الا كان آثماً وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله قلت ليوسف يا ابا محمد
تعرفهم قال وهل يخفون علينا ويقال ان الابدال انما انقطعوا في اطراف الارض واستتروا عن اعين
الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء هذا الوقت ولا يصبرون على استماع كلامهم لانهم عندهم جهال بالله
عز وجل وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء فقد صاروا من اهل الجهل واهل الجهل بالجهل على الوصف الذي
قال سهل رحمه الله ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة ايسر
عندهم لانهم لا يعدمون ذلك حيث كانوا من اطراف الارض ولان العامة لا يموهون في الدين ولا يغرون
المؤمنين ولا يدعون انهم علماء لانهم متعلمون وبالجهالة معترفون فهم الى الرحمة اقرب ومن المقت ابعد
بالعلم وكان ابو محمد رحمه الله ايضاً يقول قسوة القلب بالجهل اشد من القسوة بالمعاصي لان الجاهل بالعلم تارك
مبتدع والعاصي بالفعل مقر بالعلم ويقول ايضاً لان العلم دواء به تصلح الادواء فهو يزيل فساد الاعمال

بالتدارك والجهل داء يفسد الأعمال بعد صلاحها فهو يزيل الحسنات فيجعلها سيئات وكم بين ما يصلح الفاسد
وبين ما يفسد الصالحات وقد قال سبحانه وتعالى إن الله لا يصلح عمل المفسدين وقال عز وجل إنا لا نضيع أجر
المصلحين فهذا من أدل دليل على فضل العالم المقتصر على العابد المجتهد واعلم أن العبد إذا باين الناس
في كل شيء من أعمالهم انفرد عن جميعهم ولم يألف أحداً منهم وإن باينهم في أكثر أحوالهم اعتزل عن الأكثر
منهم فإن فارقهم في بعض الأحوال ووافقهم في بعض حاله خالط الأكثر وفارق أهل الشر ۞

باب تفضيل الأخبار وبيان طرائق الآثار وذكر الرخصة والسعة في النقل والرواية

جميع ما ذكرنا في هذا الكتاب من الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن الصحابة وعن التابعين وتابعيهم
رسمناه حفظاً وسقناه على المعنى إلا يسيراً اتفق وجوده في أيدينا وقرب تناوله منا من أخبار فيها
طول فإنا نقلناها من مواضعها وما بعد علينا فلم نفقهه ولم نشتغل ههنا به فما كان فيه من صواب وبيان
وتثبت فمن الله عز وجل بحسن توفيقه وقوة تأييده وما كان من خطإ وعجلة وسهو فمنا بالسهو والغفلة
ومن عمل الشيطان بالعجلة والنسيان كذلك روينا عن ابن مسعود رضي الله عنه في قضيته التي قضاها برأيه
وقولنا الرأي تبع ورويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم البيان والتثبت من الله سبحانه والعجلة والنسيان
من الشيطان يعني بواسطته وبغلبة التوفيق لم أعتبر ألفاظ الأخبار في أكثره ولم آل عن سياق المعنى
في كله إذ ليس تجريد الألفاظ عندي واجباً إذا أثبت المعنى بعد أن تكون عالماً بتصريف الكلام وبتفاوت
وجوه المعاني مجتنباً لما يكون به تحريفاً وإحالة بين اللفظتين وقد رخص في سوق الحديث على المعنى
دون سياقه على اللفظ جماعة من الصحابة منهم علي وابن عباس وأنس بن مالك وأبو الدرداء وواثلة
ابن الأسقع وأبو هريرة رضي الله عنهم ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم منهم إمام الأئمة الحسن البصري
ثم الشعبي وعمرو بن دينار وإبراهيم النخعي ومجاهد وعكرمة رضي الله عنهم نقلنا ذلك عنهم في كتب سيرهم
بأخبار مختلفة الألفاظ وقال ابن سيرين رحمه الله كنت أسمع الحديث من عشرة المعنى واحد والألفاظ
مختلفة ولذلك اختلفت ألفاظ الصحابة في رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من يرويه
تاماً ومنهم من يأتي بالمعنى ومنهم من يورده مختصراً وبعضهم يغاير بين اللفظتين ويراه واسعاً إذا
لم يخالف المعنى وكلهم لا يتعمد الكذب وجميعهم يقصد الصدق ومعنى ما سمع ولا يحيل البغية فلذلك وسعهم
وكانوا يقولون إنما الكذب على من تعمده وقد روينا عن عمران بن مسلم قال قال رجل للحسن رحمه الله يا أبا سعيد
إنك تحدث بالحديث أنت أحسن له سياقاً وأجود تحبيراً وأفصح به لساناً منا إذا حدثنا به فقال
إذا أصبت المعنى فلا بأس بذلك وقد قال النضر بن شميل كان هشيم لحاناً فكسوت لكم حديثه كسوة

حسنة يعني بالإعراب وكان النضر نحوياً ونحن قائلون في جميع ما رويناه أو كما قيل أو نحوه وشبهه ومعناه
كذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه في حديثه وكان سليمان التيمي يقوله في كل ما يحدث به وقد كان سفيان يقول إذا رأيت
الرجل يتشدد في ألفاظ الحديث في المجلس فاعلم أنه يقول اعرفوني قال وجعل رجل يسأل يحيى بن سعيد القطان
عن حروف في الحديث على لفظه فقال له يحيى يا هذا ليس في أيدينا أجل من كتاب الله وقد رخص القراءة فيه بالكلمة
على سبعة أحرف فلا تشدد وفي بعض ما رويناه مراسيل ومقاطيع ومنها ما في سنده مقال وربما كان
المقطوع والمرسل أصح من بعض المسند إذا رواه الأئمة وجاز لنا رسم ذلك في الورع لمعان أحدها أنا
لسنا على يقين من باطلها والثاني أن معناها حجة بذلك وهو روايتنا له وأنا قد سمعنا فإن أخطأنا الحقيقة
عند الله سبحانه وتعالى فذلك ساقط عنا كما قال الأسباط وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب
حافظين في قولهم إن ابنك سرق فأخطؤوا الحقيقة عند الله سبحانه وتعالى إلا أنهم كانوا معذورين لوجود
الدليل وهو شهادتهم للصاع مستخرجاً من رحل أخيهم والثالث أن الأخبار الضعاف غير مخالفة للكتاب
والسنة فيلزمنا ردها بل فيهما ما يدل عليها والرابع أنا متعبدون بحسن الظن منهيون عن كثير من
الظن مذمومون بظن السوء والخبر ليس أنه لا يتوصل الحقيقة ذلك إلا من طريق المعاينة ولا سبيل
إليها فاضطررنا إلى التقليد والتصديق بحسن الظن بالنقلة مع ما تسكن إليه قلوبنا وتلين له أبشارنا
ونرى أنه حق كما جاء في الخبر وأيضاً فإنه ينبغي أن نعتقد في سلفنا المؤمنين أنهم خير منا ثم نحن لا نكذب
على رسول الله صلى الله عليه ولا على التابعين فكيف نظن بهم أن يكذبوا وهم فوقنا على أنه قد جاءت أحاديث ضعاف
بأسانيد صحاح فكذلك يصلح أن ترد أحاديث صحاح بسند ضعيف لاحتمال أن يكون قد روي من وجه صحيح
إذ لم نحط بجملة العلم ولأن بعض ما يضعف به رواة الحديث ويعلل به أحاديثهم لا يكون تعليلاً ولا جرحاً
عند الفقهاء ولا عند العلماء بالله سبحانه وتعالى مثل أن يكون الراوي مجهولاً لإيثاره الخمول وقد ندب
إليه أو لقلة الأتباع له إذ لم تقسم لهم الآثرة عنه أو ينفرد بلفظه أو حديث حفظه أو خص به دون غيره
من الثقات أو يكون غيرها أتى بالحديث على لفظه أو لا يكون معتنياً بدرسه وحفظه أو رأى عليه لباس
أو سمع منه كلام لا يجرحه عند الفقهاء عابه به بعض القراء من الرواة وإذ بعض من يضعفه أصحاب
الحديث هو من علماء الآخرة ومن أهل المعرفة بالله سبحانه وتعالى وله في الرواية والحديث مذهب غير طريقة
بعض أصحاب الحديث فيعمل في روايته بمذهبه فلا يكون لأصحاب الحديث حجة عليه إلا كان هو حجة عليهم
إذ ليس هو عند أصحابه من العلماء دون أصحاب الحديث ممن ضعفه إذ رأى غير رأيه وقد يتكلم بعض الحفاظ
بالإقدام والجرأة فيجاوز الحد في الجرح ويتعدى في اللفظ ويكون المتكلم فيه أفضل منه وعند العلماء

بالله عز وجل اعلى درجة فيعود الجرح على الجارح واذ بعض من يضعفه اهل الحديث يقويه بعضهم وبعض من يجرحه ويذمه واخر يعدله ويمدحه فصار مختلفا فيه فلم يرد حديثه بقول واحد دون من فوقه او مثله وقال بعض العلماء الحديث وان كان شهادة فقد وسع فيه بحسن الظن كما جوز فيه قبول شاهد واحد اى للضرورة كشهادة القابلة ونحوها وروينا معناه عن احمد بن حنبل رحمه الله والحديث اذا لم ينافيه كتاب او سنة وان لم يشهدا له او لم يخرج تاويله عن اجماع الامة فانه يوجب القبول والعمل لقوله صلى الله عليه وسلم كيف وقد قيل والحديث الضعيف عندي اثر من الراي والقياس وهذا مذهب ابى عبد الله احمد بن حنبل رحمه الله الحديث اذا تداولته عصران او رواه القرون الثلاثة او دار فى العصر الواحد ولم ينكره علماؤه او كان مشهورا لا ينكره الطبقة من المسلمين احتمل ودفع به حجة وان كان فى سنده قول الا ما خالف الكتاب والسنة الصحيحة او اجماع الامة او ظهر كذب ناقليه بشهادة الصادقين من الائمة وذكر رجل عند الزهرى حديثا فقال ما سمعنا بهذا فقال اكل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت به قال لا قال فثلثاه قال لا قال فنصفه فسكت فقال عد هذا من النصف الذى لم تسمعه قال وكيع ما ينبغى لاحد ان يقول هذا الحديث باطل لان الحديث اكثر من ذلك وقال ابو داود قال ابو زرعة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الف عين تطرف كل واحد قد روى عنه ولو حديثا ولو كلمة ولو رويته فحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من ان يحصى وقال احمد بن حنبل رحمه الله كان يزيد بن هارون يكتب عن الرجل وهو يعلم انه ضعيف وكان له ذكاء وعلم بالحديث وقال اسحق بن راهويه قيل لاحمد بن حنبل رحمه الله هذه الفوائد التى فيها المناكير ترى ان تكتب الجيد منها فقال المنكر ابدا منكر قيل له فالضعف قال قد يحتاج اليهم فى وقت كانه لم ير بالكتابة عنهم باسا وقال ابو بكر المروزى عنه ان الحديث عن الضعفاء قد يحتاج اليه ومما يدلك على مذهبه فى التوسعة انه اخرج حديثه كله فى المسند المأثور عنه الذى رويناه عن اشياخنا عن عبد الله ابنه عنه ولم يعتبر الصحيح منه وفيه احاديث كثيرة يعلم النقاد انها ضعيفة وهو اعلم بضعفها منهم ثم ادخلها فى مسنده لانه اراد تخريج المسند ولم يقصد صحيح السند فاجاز روايتها كما سمعها وقد كان قطع ان يحدث الناس فى سنة ثمان وعشرين وتوفى سنة احدى واربعين فلم يسمع منه احد فى هذه المدة الا ابنه عبد الله وابن منيع جزءا واحدا بعد شفاعة جده احمد بن منيع وحدثونا عنه قال كان عبد الرحمن ينكر الحديث ثم يخرج الينا بعد وقت فيقول هو صحيح قد وجدته قال وانا وكيع فلم يكن ينكره ولكن كان يقول اذا سئل عنه لا احفظه وحدثونا عن ابن اخت عبد الرحمن بن مهدى قال كان خالى رحمه الله قد خط على احاديث ثم صحح عليها بعد ذلك وقرأتها عليه فقلت قد كنت خططت عليها فقال نعم ثم تفكرت فاذا انى ضعفتها

اذ

اسقطت عدالة ناقلها فان حاجّنى بين يدى الله عز وجل وقال لم اسقطت عدالتى وانتى سمعت كلامى لم يكن لى حجة هذا كان مذهب الورعين من السلف وقد كان بعضهم يقول تعال نترك مجالسة شعبة رحمه الله لانه كان يدخلنا فى الغيبة وانما كان كلامه فى التضعيف وقال بعضهم فى تضعيف الرواة ان خلصت نيتك يعنى ان اردت الله سبحانه وتعالى والدين بذلك لم يكن لك ولا عليك فهذه الفصول التى ذكرناها هى اصول فى معرفة الحديث وهو علم لاهله وطريق لهم سلكوه ثم حدث قوم لم يكن لهم علم يختصون به ولا حال من علم يوصفون به ولا شغل من عبادة تقطعهم فجعلوا لنفوسهم علما تشاغلوا به وشغلوا من استمع اليهم فصنفوا كتبا واخذوا يتكلمون فى نقلة الاثار بالتعليل وتتبع العثار فطرقوا لاهل البدع الى رد السنن بالراى والمعقول لما يرون من طعنهم فيها واغتبطوا بالقياس والنظر لما وجدوا من زهدهم فى السنة والخبر لا سيما فى زماننا هذا والاحاديث فى الترغيب فى الاخرة والتزهيد فى الدنيا والترهيب لوعيد الله عز وجل وفى فضائل الاعمال وتفضيل الصحابة متقبلة محتملة على كل حال مقاطيعها ومراسيلها لا تعارض ولا ترد وكذلك فى اهوال القيامة ووصف زلازلها وعظائمها تسلم وتتقبل بالتصديق ولا تنكر لاجل معقول بل تتقبل بالتصديق والتسليم كذلك كان السلف يفعلون لان العلم قد دل على ذلك والاصول قد وردت به وقد روينا من بلغه عن الله سبحانه وتعالى فضيلة او عن رسوله فعمل بها اعطاه الله عز وجل ثواب ذلك وان لم يكن قاله والخبر الاخر من روى عنى حقا فانا اقوله وان لم اكن قلته ومن روى عنى باطلا فانى لا اقول الباطل وفى كل ما رسمناه من هذا الكتاب نقول الله اعلم واحكم وعلمه المقدم عند حقايق العلوم واليه ترجع الامور وما شا كان وهو المستعان ولا قوة الا به

شرح مقامات اليقين واحوال الموقنين

اصول مقامات اليقين التى ترد اليها فروع احوال المتقين تسعة اولها التوبة والصبر والشكر والرجا والخوف والزهد والتوكل والرضى والمحبة وهى محبة الخصوص وهى محبة المحبوب

ذكر فرض

التوبة وشرح فضائلها ووصف التوابين قال الله الكبير المتعالى فى البيان الاول من خطاب العموم وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون معناه ارجعوا اليه من هوى نفوسكم ومن وقوفكم مع شهواتكم عسى ان تظفروا ببغيتكم فى المعاد وكى تبقوا ببقاء الله الباقى عز وجل فى نعيم لا زوال له ولا انفاد وكى تفوزوا وتسعدوا بدخول الجنة وتنجوا من النار فهذا هو الفلاح وقال سبحانه وتعالى فى البيان الثانى من مخاطبة الخصوص يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار فنصوحا من النصح جا على وزن فعول للمبالغة فى النصح وقد قرئت نصوحا بضم النون فيكون حينئذ مصدر نصحت له نصحا ونصوحا فمعناه خالصة لله عز وجل وقيل اشتقاقه

من النصاح وهو الخيط اى مجردة لا تعلق بشي ولا يتعلق بها شي وهو الاستقامة على الطاعة من
غير روغان الى معصية كما يروغ الثعالب وان لا يحدث نفسه بعود الى ذنب متى قدر عليه وان يترك الذنب
من اجل الله سبحانه وتعالى خالصا لوجهه كما ارتكبه لاجل هواه مجمعا عليه بقلبه وشهوته فمتى لقي الله سبحانه
وتعالى بقلب سليم من الهوى وعمل صالح خالص مستقيم على السنة فقد ختم له بحسن الخاتمة وحينئذ ادركته
الحسنى السابقة وهذا هو التوبة النصوح وهذا العبد هو التواب المتطهر وهو اخبار عن من سبقت له من الله
سبحانه وتعالى الحسنى ومن تداركه نعمة من ربه عز وجل رحمه بها من نار السوءى فهو وصف لمن قصد بخطابه
اذ يقول سبحانه وتعالى في كتابه ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وسئل الحسن رحمه الله عن التوبة النصوح فقال ندم
بالقلب واستغفار باللسان وترك بالجوارح واضمار ان لا يعود وقال ابو محمد رحمه الله ليس من الاشياء اوجب
على هذا الخلق من التوبة ولا عقوبة اشد عليهم من فقد علم التوبة وقد جهل الناس علم التوبة وقال من
يقول ان التوبة ليس بفرض فهو كافر ومن رضي بقوله فهو كافر وقد قال التائب الذي يتوب من غفلته في
الطاعات في كل طرفة ونفس وقد جعل علي عليه السلم ترك التوبة مقاما في العمى وقرنه باتباع الظن ونسيان
الذكر وقال في الحديث الطويل ومن عمي نسي الذكر واتبع الظن وطلب المغفرة بلا توبة ولا استكانة تفويت
التوبة التي لا بد للتائب منه ولا يكون التائب محققا صادقا الا به الاقرار بالذنب والاعتراف بالظلم
ومقت النفس على الهوى وحل الاصرار الذي كان عقده على اعمال السيئات واطابة الغذاء بغاية ما يقدر
عليه لان الطعمة اساس الصالحات ثم الندم على ما فات من الجنايات وحقيقة الندم ان كان حقا اذ لكل
حق حقيقة ان لا يعاود الى مثل ما وقع الندم عليه ثم اعتقاد الاستقامة على الامر ومجانبة النهي
وحقيقة الاستقامة ان لا يقابل ما يستقبل من عمره بمثل ما وقع الاعوجاج به وان لا يصحب جاهلا
فيرديه وان يتبع طريق من اناب الى الله ثم الاشتغال باصلاح ما افسد في ايام بطالته ليكون من المصلحين
الذين تابوا واصلحوا ما افسدوا فان الله لا يصلح عمل المفسدين كما لا يضيع اجر المصلحين ثم استبدال
الطاعات من السيئات بالصالحات من الحسنات ليكون ممن تبدل سيئاته حسنات لتحققه
بالتوبة وحسن الانابة لان التبديل يكون في الدنيا تبدل الاعمال السوءى بالاعمال الحسنى بدليل قوله عز وجل
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فاذا غيروا ما بهم من سيء حسنا بدل سياتهم حسنات
ثم الندم ودوام الحزن على الفوت ان لا يفرط ولا يني في وقت ذكره ولا يرجع ولا ينثني حتى استبدل له
فيفوت نفسه وقتا ثانيا اذ كان يعمل في درك ما فات فلا يفوت ما ادرك في حال تيقظه فتكون يقظته

شبهة بما مضى من غفلته اذ لا يدرك الفوت بالفوت ولا ينال النعيم بالنعيم ليكون ممن وصف الله عز وجل
وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا قيل الاعتراف الندم وقال ابو سليمان الداراني
لو لم يبك الغافل فيما بقي من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات
فكيف بمن يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وقال ابو محمد التائب لا يقبل شي يكون قلبه
معلقا بالعرش حتى يفارق النفس ولا يعيش له الا الضرورة للقوام ويغتنم على ما مضى ويجد في الامر
ومتابعة النهي فيما يجي ولا يتم له ذلك الا باستعمال علم اليقين في كل شي ثم المتابعة بالاعمال الصالحات
ليكون ممن قال الله عز وجل ويدرءون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار اي يدفعون ما سلف من
السيئات بما يعملون من الحسنات وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر رضي الله عنه واذا
عملت سيئة فاعمل بعدها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية وفي وصية معاذ رضي الله عنه اتبع السيئة
الحسنة تمحها فجمل ما على العبد في التوبة وما يتعلق بها عشرة خصال اولها فرض عليه ان لا يعصي
الله عز وجل والثانية ان ابتلي بمعصية ان لا يصر عليها والثالثة التوبة الى الله سبحانه وتعالى منها والرابعة
الندم على ما فرط منه والخامسة عقد الاستقامة على الطاعة الى الموت والسادسة خوف العقوبة والسابعة
رجا المغفرة والثامنة الاعتراف بالظلم والتاسعة اعتقاد ان الله سبحانه وتعالى قدر ذلك عليه وانه عدل
منه والعاشرة متابعة الاعمال الصالحة فيعمل في الكفارات لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة
تمحها وفي جميع هذه الخصال لجمل آثار رويناها عن الصحابة والتابعين يكثر ذكرها ويقال ان
ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستاخر عنها طرفة عين قال فيبدو للعبد
من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا من اولها الى آخرها لخرج منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة
اخرى يستعتب فيها او يستدرك بها فلا يجد الى ذلك سبيلا وهذا اول قوله سبحانه وتعالى وحيل بينهم
وبين ما يشتهون قيل التوبة وقيل الزيادة في العمر وقيل حسن الخاتمة حيل بينهم وبين ذلك كما فعل
باشياعهم من قبل اي بنظرائهم واهل فرقتهم قال فاذا كل ساعة تمضي على العبد هي بمنزلة هذه الساعة
قيمتها الدنيا كلها اذا عرف قيمة ذلك فلذلك قيل ليس لما بقي من عمر العبد قيمة اذا عرف وجه التقدير
من الله سبحانه وتعالى بالتصريف والحكمة وقيل في معنى قوله سبحانه وتعالى من قبل ان ياتي احدكم
الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب قال الوقت القريب ان يقول العبد عند كشف الغطاء يا
ملك الموت اخرني يوما اعتب فيه ربي واتزود فيه صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول
اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة قال فتبلغ الروح الحلقوم فيوخذ بكظمه عند الغرغرة

فيغلق باب التوبة ويحجب عنه وتنقطع الاعمال وتذهب الاوقات ويبقى عدد الانفاس يشهد فيها المعاينة
عند كشف الغطاء فيحتد بصره فاذا كان في آخر نفس زهقت نفسه فيدركه ما سبق له من السعادة فتخرج
روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة او يدركه ما سبق له من الشقوة فتخرج روحه على الشك فهذا الذي قال
الله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن فهذا سوء الخاتمة
وقيل هذا هو المنافق ويقال المدمن على المعاصي المصر وقد قال سبحانه وتعالى انما التوبة على الله للذين يعملون
السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قيل قبل الموت وقبل ظهور آيات الآخرة وقبل الغرغرة وهي ان تغرغر
النفس في الحلقوم ولانه سبحانه وتعالى قد حكم ان التوبة بعد ظهور اعلام الآخرة لا تنفع ومنه قوله عز وجل
يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل يعني معاينة الآيات او كسبت في
ايمانها خيرا قيل التوبة هي كسب الايمان واصول الخيرات وقيل الاعمال الصالحة هي من مزيد الايمان وعلامة الايقان
وقد قيل ثم يتوبون من قريب اي عن قريب عهد بالخطيئة لا يتمادى فيها ولا يتباعد عن التوبة وتوبته من
قريب ان يعقب الذنب عملا صالحا ولا يردفه ذنبا آخر وان يخرج من السيئة الى الحسنة ولا يدخل في سيئة
اخرى وقيل اول من يسأل الرجعة من هذه الامة من لم يكن ادى زكوة ماله او لم يكن حج بيت الله فذلك
تاويل قوله عز وجل فأصدق واكون من الصالحين وكان ابن عباس يقول هذه الآية من اشد شيء على اهل التوحيد
هذا لقوله عز وجل في اولها يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقد قيل لا يسأل
عبد الرجعة عند الموت وله عند الله عز وجل مثقال ذرة من خير ويروى بمعناه من كان له في الآخرة
مثقال ذرة من خير لو ان له الدنيا بما فيها لم يحب ان يعود اليها وقال بعض العارفين ان لله عز وجل
الى عبده سرين يسرهما اليه يوجده ذلك الهاما يلهمه احدهما اذا ولد وخرج من بطن امه يقول
له عبدي قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك ائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ
الامانة وانظر كيف تلقاني كما اخرجتك وسر عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي
عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد والرعاية فالقاك بالوفاء والجزاء او اضعتها فالقاك بالمطالبة
والعقاب فهذا داخل في قوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وفي قوله سبحانه وتعالى واوفوا
بعهدي اوف بعهدكم فعمر العبد امانة عنده ان حفظه فقد ادى الامانة وان ضيعه فقد خان
ان الله لا يحب الخائنين وفي خبر ابن عباس من ضيع فرائض الله خرج من امانة الله وعند التوبة النصوح
تكفير السيئات ودخول الجنات وكان بعضهم يقول قد علمت متى يغفر الله سبحانه وتعالى لي قيل ومتى
قال اذا تاب علي وقال آخر انا من ان احرم التوبة اخوف مني ان احرم المغفرة وقال سبحانه وتعالى ومن

اصدق من الله حديثا فتاب عليكم وعفا عنكم وقال في مثله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيئات وقال بعض العلماء لا تصح التوبة لعبد حتى ينسى شهواته ويكون ذاكرا للحزن لا يفارق قلبه ذاهبا
عن الذنب لا يخالج سره وقال بعض علماء الشام لا يكون المريد تائبا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال معصية
عشرين سنة وقال بعض السلف من علامة صدق التائب في توبته ان يستبدل بحلاوة الهوى حلاوة الطاعة
ويفرح دكوب الذنب بالحزن عليه والسرور بحسن الانابة وقال بعض العلماء في معناه لا يكون تائبا حتى تدخل مرارة
مخالفة النفس مكان حلاوة موافقتها وحدثنا في الاسرائيليات ان الله سبحانه وتعالى قال لبعض انبيائه
وقد سأله قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة ولم ير قبول توبته فقال له وعزتي لو شفع فيه
اهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه ومن بقيت حلاوة المعصية
في قلبه او نظر اليها اذا ذكرها بفكره خيف عليه العود فيها الا بشدة مجاهدة وكراهية لها ونفي خاطره عن
سره اذا ذكرها الا بالخوف والاشفاق منها وقال ابو محمد سهل اول ما يؤمر به المبتدي المريد بالتوبة هو
تحويل الحركات المذمومة الى الحركات محمودة ويلزم نفسه الخلوة والصمت ولا تصح له توبة الا باكل الحلال
ولا يقدر على الحلال حتى يؤدي حق الله سبحانه وتعالى في الخلق وحق الله سبحانه وتعالى في نفسه ولا يصح له
هذا حتى يتبرأ من كل حركة وسكون الا بالله وحتى لا يأمن الاستدراج باعمال الصالحات وحقيقة التوبة
ان يدع ما له حتى لا يدخل فيما عليه ولا يكون مسوفا ابدا انما يلزم نفسه ادب الوقت وحدثونا عن سري
السقطي رحمه الله انه قال من شرط التوبة ينبغي للتائب المنيب ان يبدأ بمباينة اهل المعاصي ثم بنفسه
التي كان يعصي الله جل وعلا بها فلا يبقيها الا ما لا بد منه ثم الاعتزام على ان لا يعود في معصية ابدا
ويلقى عن الناس مؤونته ويدع كل ما يخطره الى جريرة ولا يطيع هوى ويتبع من مضى وينبغي لاهل التوبة
ان يحاسبوا انفسهم في كل طرفة ويدعوا كل شهوة ويتركوا الفضول وهي ستة اشياء ترك فضول الكلام
وترك فضول النظر وترك فضول المشي وترك فضول الطعام والشراب واللباس قال ولا يقوى على ترك الشبهات
الا من ترك الشهوات وسئل يحيى بن معاذ كيف يصنع التائب فقال هو من عمره بين يومين يوم مضى
ويوم بقي فيصلحهما بثلاث اما ما مضى فبالندم والاستغفار واما ما بقي فبترك التخليط واهله
ولزوم المريدين ومجالسة الذاكرين والثالثة لزوم تصفية الغذاء والدؤوب على العمل ومن علامة صدق
التوبة رقة القلب وغزارة الدمعة وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم ارق شيء افئدة ومن التحقق
بالتوبة ان يستعظم ذنوبه فانه يقال ان الذنب كلما استعظمه العبد صغر عند الله عز وجل ويقال
ان استصغار الذنب كبيرة كما جاء في الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق

يرى ذنبه كذباب مرّ على أنفه فأطاره وقد روينا في خبر مرسل ليتّق أحدكم أن يؤخذ عند أدنى ذنوبه
في نفسه وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا وهذا كما قال بلال بن سعد
لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر من عصيت وقد حدثنا عن الله سبحانه وتعالى أنه أوحى إلى بعض أوليائه لا
تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظمة مهديها ولا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى كبرياء من واجهته
بها فإنما عظمت الذنوب عن تعظيم المواجه بها وكبرت في القلوب لمشاهدة ذي الكبرياء ومخالفة أمره فيها
فلم يصغر ذنب عند ذلك فكانت الصغائر عند الخائفين كبائر وهو أحد الوجهين في قوله عز وجل ذلك ومن
يعظم حرمات الله ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب قيل الحرمات تعظم في قلبه فلا ينتهكها
ومن هذا قول الصحابة رضي الله عنهم للتابعين رحمهم الله إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر
كنا نعدها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الموبقات ليس يعنون أن الكبائر التي كانت على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم صارت بعده صغائر ولكن كانوا يستعظمون الصغائر لعظمة الله سبحانه وتعالى في قلوبهم
لعظيم نور الإيمان ولم يكن ذلك في قلوب من بعدهم وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى بعض أوليائه كم من ذنب رأيته
منك قد أهلكت في دونه أمة من الأمم وقد روينا عن إسمعيل عن أبان عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أهلك الله سبحانه وتعالى أمة من الأمم كانوا يعيشون بذنوبهم فأما نسيان الذنوب وذكرها فقد اختلف
قول العارفين في ذلك فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك وقال آخر حقيقة التوبة أن
تنسى ذنبك وهذان طريقان لطائفتين وحالان لأهل مقامين فأما ذكر الذنوب فطريق المريدين وحال
الخائفين يستخرج منهم بتذكرها الحزن الدائم والخوف اللازم وأما نسيان الذنوب شغلا عنها بالأذكار
وما يستقبل من مزيد الأعمال فطريق العارفين وحال المحبين ووجهة هؤلاء شهادة التوحيد وهو مقام
في التعرف ووجهة الأولين مشاهدة التوقيف والتحديد وهي مقام في التعريف ففي أي المقامين أقيم عبد
قام بشهادة وجهته وعمل بحكم حاله ومقام شهادة التوحيد أفضل عند العارفين من مقام مشاهدة التعريف
وإن كانت هذه أوسع وأكثر إلا أنها في أصحاب اليمين وفي عموم المقربين وشهادة التوحيد أضيق وأقل وأهلها
أعلى وأفضل وهي في المقربين وخصوص العارفين وقد يعترض المريد بقصة داود صلى الله عليه وسلم في تذكره
ونوحه على خطيئته فإن الأنبياء عليهم السلام لا يقاس عليهم المحبون وذنوبهم حدود من دونهم وقد ينقلبون
في أحوال المريدين ويسلك بهم سبيل المتعلمين وذلك لأجل الأمة ليكون طريقا للأئمة واعلم أنه لا يؤمن على
ضعيف اليقين قوي النفس عند تذكر الذنوب نظر القلب إليها بشهوة أو ميل النفس معها بحلاوة فيكون
ذلك سبب فتنته فيفسد من حيث صلح كما لا يؤمن على معتاد خطيئة بالنظر إلى سببها حركة النفس إليها

وإن كان

وإن كان الأفضل الإيقاف معها ما لم يكن الإيقاف معصية لأجل مجاهدة النفس بالصبر عنها إلا أن ذلك
غرر وفيه خطر فترك الاجتماع وقطع الأسباب حينئذ أسلم وما كان أسلم للمريد فهو أفضل وفي نسيان
الذنوب الذكر لما يستقبل والانكماش على ما يفوت من الوقت خوف فوت وقت ثان وقد كان بعض العارفين
يكره للمريد أن تكون وساوسه الجنة أو يتذكر ما فيها من النعيم والملابس والأزواج وقال أستحب للمريد أن تكون
وساوسه ذكر الله سبحانه وتعالى وخواطره وهمه متعلقة بالله عز وجل لا سواه قال لأن المريد حديث عهد
بتوبة غير معتاد لطول الاستقامة والعصمة فإذا تذكر نعيم الجنة لم آمن عليه لضعف قلبه أن يشتهي
مثله مما يشاهد في الدنيا من اللباس والطيبات والنساء لأن هذا عاجل وذاك آجل فتطلب نفسه مثل ما
تذكرت من نعيم الآخرة معجلا في الدنيا قال فإذا كان همه الله عز وجل كان أبعد له من زينة الدنيا وشهواتها
ولم يجترئ العدو بتمثيل ذلك له من العاجل إلى أن يقوى يقينه وتنتقل عادته وتدوم عصمته والمعنى
لقائله وقد اختلف مذهب العلماء أيضا في عبد ترك ذنبا وعمل في الاستقامة ونفسه تنازع إليه وهو
يجاهدها وفي آخر ترك الذنب وانكمش في الإصلاح فلم تكن نفسه تطالبه ولا تنازعه إلى الذنب ولم يكن على
قلبه منه ثقل ولا مجاهدة أي هذين أفضل فقال بعض علماء الشام الذي تنازعه نفسه إلى الذنب وهو
يجاهدها أفضل لأن عليه منازعة وله فضل مجاهدة ومال إلى هذا القول أحمد بن أبي الحواري وأصحاب أبي سليمان
الداراني وقال علماء البصرة الذي سكنت نفسه عن المنازعة بشاهد من شواهد اليقين والطمأنينة فلم
يبق فيه فضل لعود ولا طلب لمعتاد أفضل ومال إلى هذا رباح بن عمرو القيسي وهو من كبار علماء البصريين
وقال لو فترا لكان هذا أقرب إلى السلامة ولم يؤمن على الأول الرجوع وهذا كما قال وقد اختلف العلماء أيضا
في عبدين سئل أحدهما شيئا من بذل ماله في سبيل الله عز وجل فتأبت نفسه عليه وثقل ذلك عليها فجاهدها
وأخرج ماله وسئل آخر بذل ماله فبذله مع السؤال طوعا من غير منازعة نفس ولا ثقل عليها ولا مجاهدة منه
لها أيهما أفضل فقال قوم المجاهد لنفسه أفضل لأنه اجتمع له الإكراه والمجاهدة فحصل له عملان وذهب إلى
هذا القول ابن عطاء وأصحابه وقال آخرون الذي سمحت نفسه بالبذل طوعا من غير اعتراض ولا إكراه أفضل
قال لأن مقام هذا في سخاوة النفس والتحقق بالزهد أفضل من جميع أعمال الأول من الإكراه والمجاهدة ومن بذل
ماله على ذلك وإن الأول وإن غلب نفسه في هذه الكرة لا يأمن غلبتها له في كرة ثانية أو ثالثة إذ ليس السخاء
من مقامها لأنها كانت محمولة عليه وإلى هذا ذهب الجنيد وهو عندي كما قال اللفظ لنا وسئل أبو محمد
سهل رحمه الله عن الرجل يتوب من الشيء ويتركه ثم يخطر ذلك الشيء بقلبه أو يراه أو يسمع به فيجد حلاوة
فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حيلة إلا أن يرفع قلبه إلى مولاه بالشكوى وينكر

[illegible]

بقلبه ويلزم نفسه الانكار ولا يفارقه ويدعو الله سبحانه وتعالى ان ينسيه ذكره ذلك ويشغله بغيره من
ذكره وطاعته وقال فان هو غفل عن الانكار طرفة عين اخاف عليه ان لا يسلم وتعمل الحلاوة في قلبه ولكن مع
وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار ويحزن فانه لا يضره وهذا عندي هكذا ان التوبة تصح مع بقاء الشهوة
ويكون العبد مرادا بالمجاهدة وهذا حال المريدين ومحو الشهوة من القلب وصف العارفين بدوام التولي وربما تعلق
بالذنب ذنوب كثيرة هي اعظم منه مثل الاصرار عليه والاغتباط به وتسويف التوبة بعده ووجدان حلاوة
الظفر بمثله او وجدان الحزن والكراهة على فوته والسرور بحمله او حمل غيره عليه ان كان ذنبا بين اثنين او انفاق
مال الله تعالى فيه فهو كفر النعمة به وقد قيل من انفق درهما في حرام فهو مسرف ومن ذلك ان يستصغر الذنب
ويحتقره فيكون اعظم من اجترائه او يتهاون بستر الله سبحانه وتعالى عليه ويستخف بحلم الله سبحانه وتعالى عنه
فيكون ذلك من الاغترار والامن او يجهل نعمة الله عز وجل عليه في ستره واظهار ضده كما قال في الدعاء المأثور
الذي يمدح الله عز وجل به يا من اظهر الجميل وستر القبيح يا من لم يهتك الستر ويقال كل عاص تحت كنف الرحمن
جل وعلا فاذا رفع عنه يده انهتك ستره ومن ذلك المجاهرة بالذنب والصولة به والنطق به وهذا من الطغيان
وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرون يبيت احدهم على ذنب قد ستره الله عز وجل عليه فيصبح فيكشف
ستر الله سبحانه وتعالى ويتحدث بذنبه وربما سن العاصي بالذنب سنة اتبع عليها فتبقى سيئات ذنبه
عليه ما دام يعمل به وقد قيل طوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه ولم يؤاخذ بها بعده وطوبى لمن لم يعد ذنبه
غيره وقال بعضهم لا تذنب فان كان لا بد فلا تحمل غيرك على الذنب فتكتسب ذنبين وقد جعل الله سبحانه
وتعالى هذا المعنى وصفا من اوصاف المنافقين في قوله عز وجل المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف فمن حمل اخاه على ذنب معه فقد امر بالمنكر ونهى عن المعروف وقال
بعض السلف ما انتهك المؤمن من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصية او يهونها عليه وقد قال
يعيش العبد اربعين سنة ثم يموت فتبقى ذنوبه بعده مائة سنة يعاقب عليها في قبره اذا كان قد سنها
سننا واتبع عليها الى ان تندرس او يموت كل من عمل بها ثم تسقط عنه ويستريح منها ويقال اعظم الذنوب
من ظلم من لا يعرفه ولم يره من المتقدمين مثل ان يتكلم فيمن سلف من اهل الدين وائمة المتقين فهذه المعاني
كلها تدخل على الذنب الواحد هي اعظم منه ومن ذلك قوله عز وجل ونكتب ما قدموا وآثارهم قيل سننهم
التي عمل بها بعدهم وفي الخبر من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده فان عليه مثل وزر من عمل بها لا ينقص
من اوزارهم شيء وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها
ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق

ويغرق

ويغرق اهلها معها وفي خبر اسرائيلي ان عالما كان يضل الناس بالبدع ثم ادركته توبة فرجع الى الله سبحانه
وتعالى وعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله عز وجل الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته
لك بالغا ما بلغ ولكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار واما استحلال المعصية واحلالها
للغير فليس من هذه الابواب في شيء انما ذلك خروج عن الملة وتبديل للشريعة وهو الكفر بالله عز وجل كما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما آمن بالقرآن من استحل محارمه وقد سمى الله عز وجل عمل السوء جهالة فقال
سبحانه وتعالى انه من عمل منكم سوءا بجهالة وقال عز وجل بل انتم قوم تجهلون وقال بل انتم قوم مسرفون
ويقال ان العرش يهتز ويغضب الرب عز وجل لثلاثة اعمال لقتل النفس بغير نفس واتيان الذكر الذكر وركوب
الانثى الانثى وفي الخبر لو اغتسل اللوطي بالبحار لم يطهره الا التوبة ولو لم يكن في المعصية من الشؤم
الا حرمان الطاعة وفقد حلاوة الخدمة ومقت المولى لكان هذا من اعظم العقوبات كما قال وهيب بن الورد
وقد سئل هل يجد العاصي حلاوة الطاعة فقال لا ولا من هم بمعصية ولهذا سمى الله عز وجل يحيى عليه السلام
سيدا لانه لم يهم بمعصية فصار من لا يهم بالمعصية سيدا وفي خبر من لبس ثوب شهرة وفي بعضها من
نظر الى عطفيه فاختال اعرض الله سبحانه وتعالى عنه وان كان عنده حبيبا كيف وفي المخالفة وجود البعد
والوحشة والانقطاع من المعاملة وروينا في خبر ان آدم عليه السلام لما اكل من الشجرة تطايرت الحلل
عن جسده وبدت عورته قال فاستحيى التاج والاكليل من وجهه ان يرتفعا عنه فجاء جبريل فاخذ التاج
عن راسه وحل ميكائيل الاكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش اهبطا من جواري فانه لا يجاورني
من عصاني فالتفت آدم الى حواء باكيا وقال هذا اول شؤم المعصية اخرجنا من جوار الحبيب وروينا
ان سليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء لما عوقب على خطيئته من اجل التمثال الذي عبد
في داره اربعين يوما وقيل ان المراة سألته ان يحكم لابيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل احب بقلبه ان يكون
الحكم لابيها على خصمه لمكانها فسلب ملكه اربعين يوما فهرب تائها على وجهه وكان يسأل بكفه فلا يطعم
فاذا قال اطعموني فاني سليمان بن داود شج وضرب ولقد بلغني انه استطعم من بيت فطرد وبزقت
امراة في وجهه وفي رواية قال فاخرجت عجوز جرة فيها بول فصبته على راسه الى ان اخرج له الخاتم
من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين ايام العقوبة قال فجاءت الطير فعكفت عليه وجاءت
الجن والشياطين والوحوش واجتمعت حوله فلما عرفه الصيادون عقروا بين يديه واعتذروا بما كانوا
طردوه وشجوه فقال لا الومكم قبل فيما صنعتم ولا احمدكم الآن فيما تصنعون هذا امر من السماء ولا بد منه
ولقد بلغني انه كان في مسيره والريح تحمله في جنوده اذ نظر الى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد

فكأنه أعجبه فوضعته الريح بالأرض فقال لها لم فعلت ولم آمرك قالت إنما نطيعك إذا أطعت الله وقد
قال بعض العلماء في معنى هذا من خاف الله عز وجل خافه كل شيء ومن خاف غير الله سبحانه وتعالى أخافه الله
من كل شيء فكذلك من أطاع الله عز وجل سخر له كل شيء ومن عصاه سخره لكل شيء أو سلط عليه كل شيء
ولو لم يكن في الإصرار على المعصية من الشؤم إلا أن كل ما يصيب العبد يكون له عقوبة إن كان سعة عوقب
بذلك ولم يؤمن بها الاستدراج وإن كان ضيقا كان عقوبة له وفي الخبر إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه
وقد قيل الرزق من الآخرة من قلة التوفيق للأعمال الصالحة وكان ابن مسعود رحمه الله يقول إني لأحسب
أن العبد ينسى العلم بالذنب يصيبه ولو لم يكن من بركة التوبة والاستقامة على الطاعة إلا أن كل ما يصيب
العبد فهو خير له إن كان سعة فهو رفق من الله عز وجل به ولطف منه له وإن كان ضيقا فهو اختيار من الله
عز وجل وخيرة للعبد ويوجده حلاوة ذلك ولذته لأنه في سبيله وقد أصابه وهو مقيم على طاعته
ولو لم يكن من شؤم الناس ووجدان النقص بمخالطتهم إلا أن المعصية معهم أشد وهي بهم أعظم لتعلق الظالم
في أمر الدنيا وشأن الدين وكل من قلت معارفه قلت خطاياه وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا
في الوجه ونقصا في المال إنما اللعنة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله أو شر منه وذلك أن اللعنة هي
الطرد والبعد فإذا طرد عن الطاعات فلم تتيسر له وأبعد عن القربات فلم يوفق لها فقد لعن وقد
قيل في معنى الخبر الذي رويناه آنفا إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه قيل يحرم الحلال ولا يوفق له
بوقوعه في المعصية وقيل يحرم مجالسة العلماء ولا ينشرح قلبه لصحبة أهل الخير وقيل يمقته الصالحون
وأهل العلم بالله عز وجل فيعرضوا عنه ويحرم العلم الذي لا صلاح للعمل إلا به لأجل إقامته على الجهل
ولا تنكشف له الشبهات بإقامته على الشهوات بل تلتبس عليه الأمور فيتحير فيها بغير عصمة من الله عز وجل
ولا يوفق للأصوب والأفضل وقد كان الفضيل رحمه الله يقول ما أنكرت من تغير الزمان وجفاء الإخوان
فذنوبك ورثتك ذلك وقال بعضهم إني لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال آخر أعرف العقوبة
حتى في فأر بيتي ويقال نسيان القرآن بعد حفظه من أشد العقوبات والمنع من تلاوته وضيق الصدر
بقراءته والاشتغال عنه بضده عقوبة الإصرار وقال بعض صوفية أهل الشام نظرت إلى غلام نصراني
حسن الوجه فوقفت أنظر إليه فمر بي ابن الجلاء الدمشقي فأخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا أبا عبد الله
سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي وقال
لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بعد ثلاثين سنة بأن نسيت القرآن وحدثني بعض الأشياخ
عن منصور الفقيه قال رأيت أبا عبد الله السكري في النوم فقلت ما فعل الله عز وجل بك قال أوقفني

في العرق حتى سقط لحم خدي قلت ولم ذاك قال نظرت إلى غلام مقبلا ومدبرا والعقوبة موضوعها البشرة
والمشقة فعقوبة كل عبد من حيث يشتد عليه فأهل الدنيا يعاقبون بحرمان رزق الدنيا من تعذر
الاكتساب وتلاف الأموال وأهل الآخرة يعاقبون بحرمان رزق الآخرة من قلة التوفيق للأعمال الصالحة
وتعذر فتوح العلوم الصادقة ذلك تقدير العزيز العليم وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول الاحتلام عقوبة
وقال لا يفوت أحدا صلاة في جماعة إلا بذنب يحدثه فدقائق العقوبات على قدر جلائل الدرجات وقد
جاء في الخبر ما أنكرتم من زمانكم فبما غيرتم من أعمالكم وفي الخبر يقول الله عز وجل إن أدنى ما أصنع بالعبد
إذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي فهذه عقوبة أهل المعاملات ولو ظهر تغير القلب
بعد المعصية على وجه العاصي لاسود وجهه ولكن الله سبحانه وتعالى ستر بحلمه وستره فغطى ذلك في القلب
مع تأثيره فيه وحجابه لصاحبه وقسوته عن الذكر وعن طلب البر والمسارعة إلى الخيرات وذلك من أكبر
العقوبات ويقال إن العبد إذا عصى أظلم قلبه ظلمة تشهد على العقل منها دخان تشهد الإيمان فهو
كان حزن العبد الذي يسوءه سيئته ويكون ذلك الدخان حجابا له عن العلم والبيان كما تحجب السحابة
الشمس فلا ترى وتصير ذلك يجلى في نفسه للخلق فإذا تاب العبد وأصلح انكشف الحجاب فيظهر الإيمان
فيأمر بالعلم كما تبرز الشمس من تحت السحاب ومن هذا قوله سبحانه وتعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب فلا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا فعندها ينكس أعلاه أسفله
إذا استكمل سواده فحينئذ مرد على النفاق فاملس فيه واطمأن به وثبت إلى أن ينظر الله تعالى إليه
ويعطف بفضله عليه وقد كان الحسن رحمه الله يقول إن بين العبد وبين الله سبحانه وتعالى حدا من المعاصي
معلوما إذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفقه بعدها للخير وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما الطابع
معلق بقائم العرش فإذا انتهكت المحارم أرسل الله سبحانه الطابع فطبع على القلوب بما فيها وفي حديث
مجاهد رضي الله عنه القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب ذنبا انقبضت أصبع حتى تنقبض الأصابع
كلها فيشد على القلب فذلك هو القفل ويقال لكل ذنب نبات ينبت على القلب فإذا كثرت الذنوب
تنام النبات حول القلب مثل الكم للثمرة فانضم على القلب فذلك هو الغلاف ويقال الكنان واحد
الأكنة التي ذكر الله عز وجل إن القلب لا يسمع معها ولا يفقه وقد حدثني بعض من أطايبه عن
أبي عمرو بن علوان في قصة تطول قال فيها فكنت قائما أصلي ذات يوم فخطر في قلبي هوى فطاولته
بفكري حتى تولد منه شهوة الرجل قال فوقعت على الأرض واسود جسدي كله فاستترت في البيت فلم
أخرج ثلاثة أيام وكنت أعالج غسله في الحمام بالصابون والألوان الغاسلة فلا يزداد إلا سوادا

قال ثم انكشف عني بعد ثلاث فرجعت الى لوني البياض قال فلقيت ابا القسم الجنيد رحمه الله وكان وجّه
الي واشخصني من الرقة فلما اتيته قال لي اما استحييت من الله عز وجل كنت قائما بين يديه فساررت
نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة فاخرجتك من بين يدي الله عز وجل لولا اني دعوت الله سبحانه
وتعالى لك وتبت اليه عنك للقيت الله سبحانه وتعالى بذلك اللون قال فعجبت كيف علم ذلك وهو ببغداد
وانا بالرقة ولم يطلع عليه الا الله سبحانه وتعالى فذكرت هذه الحكاية لبعض الاولياء فقال هذا كان رفقا
من الله عز وجل به وخبرة له اذ لم يسود قلبه وظهر السواد على جسده ولو نظر في قلبه لاهلكه ثم قال ما من
ذنب يرتكبه العبد يصر عليه الا اسود القلب منه ثم سواد الجسم الذي ذكر لا يجلوه الا التوبة ولكن
ليس كل عبد يصنع له صنع ابن علوان ولا يجد من لطف له به مثل ابي القاسم الجنيد رحمة الله عليهما
ولكل ذنب عقوبة الا ان يعفو الله عز وجل والعقوبة ليست على قدر الذنب الا من حيث يعلم العبد
لكنها على تقدير المشيئة وعن سابق علم الربوبية فربما كانت في قلبه من امراض القلوب وربما كانت في الجسد
وقد تكون في الاموال والاهل وتكون في سقوط الجاه والمنزلة من عيون المؤمنين وقد تكون مؤجلة في
الآخرة ومن اعظم العقوبات وهي لاهل الكبائر في الموبقات الذين ماتوا عن غير توبة ولاهل الاصرار
والغرة والاستكبار لانها اذا كانت في الدنيا ذنبا كانت يسيرة على قدر الدنيا واذا تأخرت كانت عظيمة
على قدر الآخرة وفي الخبر اذا اراد الله عز وجل بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه واذا اراد الله به شرا
اخره حتى يوافي به يوم القيامة واعلم ان الغم على ما يفوت من الدنيا والهم بالحرص عليها من العقوبات
والفرح والسرور بما نال من الدنيا مع ما لا يبالي ما خرج من دينه من العقوبات وقد يكون عقوبة الذنب
ذنبا مثله او اعظم منه كما يكون ثواب الطاعة طاعة مثلها او افضل منها وقد يكون دوام العوافي واتساع
الغنى من عقوبات الذنوب اذا كانا سببين الى المعاصي وفي احد الوجوه من معنى قوله عز وجل وعصيتم من
بعد ما اراكم ما تحبون قال الغنى والعافية فقد صار الفقر والمرض رحمة من الله عز وجل اذا كانا سببا
للعصمة وهما امهات المعاصي اذا كانا سببين لها ومطرقين اليها واعلم ان الحلم لا يرفع العقوبة ولكن
يؤخرها ومن شأن الحليم ان لا يعجل بالعقوبة وقد يعاقب بعد حين ورويناه في قوله سبحانه وتعالى فلما
نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي من الرخص والرغد حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم
بغتة قيل بعد ستين سنة وفي الخبر من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وفي لفظ آخر
لا يكفرها الا الهموم والاحزان فالاهتمام بالمباحات من حاجات الدنيا للفقراء كفارات وهو على ما يفوت
من قربات الآخرة للمؤمنين درجات وهو على حب الدنيا والجمع منها والحرص عليها عقوبات وقال بعض السلف

كفى به ذنبا لا يستغفر منه حب الدنيا وقال آخر لو لم يكن للعبد من الذنوب الا انه يغتم بمصائب الدنيا
وما يفوته منها ما لا يغتم بفوت نصيبه من الآخرة والتزود لها لكفاه وفي حديث عائشة رضي الله عنها اذا كثرت
ذنوب العبد ولم يكن له من الاعمال ما يكفرها ادخل الله عليه الغموم والهموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال
ان الهم الذي يعرض للقلب في وقت لا يعرف العبد سببه هو كفارات الهم بالخطايا ويقال هو حزن العقل
عند تذكره الوقوف والمحاسبة لاجل جنايات الجسد فيلزم العقل ذلك الهم فيظهر على العبد منه
كآبة لا يعرف سبب غمه وفي اخبار يعقوب صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اوحى اليه لولا ما سبق لك
في علمي من عنايتي بك لجعلت نفسي عندك ابخل الباخلين لكثرة ترددك الي وطول سؤالك لي في تأخير
اجابتك ولكن من عنايتي بك ان جعلت نفسي في قلبك ارحم الراحمين واحكم الحاكمين وقد سبق لك عندي
منزلة لم تكن تنالها بشيء من عملك الا بحزنك على يوسف فاردت ان ابلغك تلك المنزلة وكذلك
روينا ان جبريل عليه السلام لما دخل على يوسف صلى الله عليه وسلم في السجن قال له كيف تركت الشيخ الكئيب قال
قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما ذا له عند الله سبحانه وتعالى قال اجر مائة شهيد وفي خبر ما من عبد
يعصي الا استأذن مكانه من الارض ان يخسف به واستأذن سقفه من السماء ان يسقط عليه كسفا
فيقول الله سبحانه وتعالى للارض والسماء كفا عن عبدي وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه
لعله يتوب الي فاغفر له لعله يستبدل صالحا فابدله له حسنات فذلك معنى قوله سبحانه وتعالى ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا اي عن معاصي العباد ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان
حليما اي عن معاصيهم غفورا لمساويهم وقيل في تفسير ذلك ان الله عز وجل اذا نظر الى معاصي العباد
غضب فترجف الارض وتضطرب السماء فتنزل ملائكة السماء فتمسك اطراف الارضين وتصعد ملائكة
الارضين فتمسك اطراف السموات ولا يزالون يقرؤون قل هو الله احد حتى يسكن غضبه عز وجل فذلك
قوله سبحانه وتعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وقال بعض السلف اذا ضرب الناقوس
في الارض ودعي بدعوى الجاهلية اشتد غضب الرب عز وجل فاذا نظر الى الصبيان في الكتاب ورأى عمار
المساجد وسمع اصوات المؤذنين وقيل نظر الى المتحابين في الله عز وجل والمتزاورين فيه حلم وغفر
فذلك قوله عز وجل انه كان حليما غفورا فاذا اتبع العبد الذنب الذنب بعد علم يجعل من الذنب توبة
خيف عليه الهلكة لان هذا حال المصر ولانه قد شرد عن مولاه وبعد رجوعه اليه ودوام مقامه مع النفس
على هواه وهذا مقام المقت في البعد فافضل ما يعمله العبد قطع شهوات النفس احلى ما تكون عنده الهوى
اذ ليس لشهواتها آخر ينتظر كما ليس لبدايتها اول مرتسم فان لم يقطع ذلك لم تكن له نهاية فان شغل بما

يستأنف من مزيد الطاعة ووجد حلاوة العبادة وإلا أخذ نفسه بالتصبر والمجاهدة وهذا طريق
الصادقين من المريدين وقد قيل في قوله عز وجل استعينوا بالله واصبروا أي استعينوا به على الطاعة
واصبروا على المجاهدة في المعصية وقال علي عليه السلم أعمال البر كلها إلى جنب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
كتفلة إلى جنب البحر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى جنب الجهاد في سبيل الله عز وجل كتفلة إلى جنب
بحر والجهاد في سبيل الله عز وجل إلى جنب مجاهدة النفس عن هواها في اجتناب النهي كتفلة إلى جنب بحر
لجي وهذا على معنى الخبر الوارد رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر مجاهدة النفس وكان سهل رحمه الله
يقول الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة صبر عن معصية ثم الصبر على الطاعة وقد
روينا في الإسرائيليات أن رجلا تزوج امرأة من بلدة وأرسل عبده يحملها إليه فراودته نفسه فطالبته
لها فجاهدها واستعصم بالله تعالى قال فنبأه الله عز وجل فكان نبيا في بني إسرائيل وفي بعض قصص
موسى صلى الله عليه وسلم أنه قال للخضر بأي شيء أطلعك الله عز وجل على علم الغيب فقال بترك المعاصي
لأجل الله عز وجل فما جزاء إليه عز وجل أيضا يجعله غاية العطاء لا على قدر العمل لكن إذا عمل له عبده
شيئا لأجله أعطاه أجره بغير حساب ثم أن لا يتخذ التائب عادة من ذنب فيتعذر لها توبته فإن
العادة جند من جنود الله عز وجل لولاها لكان الناس كلهم تائبين ولولا الابتلاء لكان التائبون مستقيمين
ثم أن يعمل في قطع معتاد إن كان ثم ليصبر على مجاهدة النفس في هوى إن ابتلي به فهذه الخصال من أفضل
أعمال المريدين وأزكاها وبها تلهم النفس المطمئنة رشدها وتقواها وبها تخرج من وصف الأمارة بالسوء
إلى وصف المطمئنة إلى أخلاق الإيمان وهذا أحد المعاني في الخبر المروي أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس
لأن النفس تكره خلاف الهوى والهوى هو ضد الحق والله عز وجل يحب الحق فصار إجبار النفس على خلاف
الهوى وعلى وفاق الحق لأنه محبته الحق من أفضل الأعمال كما قال سبحانه وتعالى والوزن يومئذ الحق فمن
ثقلت موازينه الآية واستثنى من أهل الخسر الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وهذا أول اليقين
حدثت عن بعض أهل الاعتبار أنه كان يمشي في الوحل فكان يتقي ويشمر ثيابه عن ساقيه ويمشي في
جوانب الطريق إلى أن زلقت رجله في الوحل فأدخل رجليه في وسط الوحل وجعل يمشي في المحجة قال
فبكى فقيل له ما يبكيك فقال هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب
منها أو ذنبين فعندها يخوض الذنوب خوضا وعلى العبد أن يتوب من الغفلة التي هي كائنة فإذا
عرف هذا لم تنقطع أبدا توبته وقد جعل الله سبحانه وتعالى أهل الغفلة في الدنيا هم أهل الخسران في العقبى
فقال سبحانه وتعالى أولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ولكن غفلة دون غفلة

وخسران دون خسران ولا يستحقرن الغفلة فإنها أول المعاصي وهي عند الموقنين أصل الكبائر وقد
جعل علي رضي الله عنه الغفلة أحد مقامات الكفر وقرنها بالعمى وبالشك وأحال صاحبها عن الرشد ووصفه
بالحمق فقال في الحديث الذي يروى من طريق أهل البيت فقام عمار بن ياسر فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا
عن الكفر على ما بني فقال على أربع دعائم على الجفا والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر
بالباطل ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الأماني فأخذته الحسرة والندامة
وبدا له من الله ما لم يحتسب وقال بعض العلماء من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله عز وجل سبع مرات
لم يبتل بها وقال آخر من تاب من ذنب واستقام سبع سنين لم يرجع إليه أبدا وقد قال بعض العلماء كفارة
الذنب أن تقدر عليه عدد ما أتيته ثم لا تقع فيه فيكون كل ترك كفارة لفعل وهذا حال الأقوياء من
التوابين وليس هو طريق الضعفاء من المريدين بل حال الضعفاء الهرب والبعد ومن حدث نفسه بمعصية
في غيرها لم يملك نفسه عند وجودها فليعمل المريد في قطع وساوس النفس بالخطايا وإلا وقع فيها لأن الخواطر
تقوى فتكون وسوسة فإذا كثرت الوساوس صارت طرقا للعدو بالتزيين والتسويل فأضر شيء على التائب
تمكينه خاطر السوء من قلبه بالإصغاء إليه فإنه يدب في هلكته وكل سبب يدعو إلى معصية أو يذكر
معصية فهو معصية وكل سبب يؤول إلى ذنب أو يؤدي إليه فهو ذنب وإن كان مباحا فقطعه طاعة
وهذا من دقائق الأعمال وكان يقال من أتى عليه أربعون وهو العمر وكان مقيما على ذنب لم يكد يتوب
منه إلا القليل من المتداركين وقد روينا في الخبر المؤمن مفتن تواب وأن المؤمن خرج تائبا قد اعتاده
الفينة بعد الفينة يعني الحين بعد الحين وفي الحديث كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون
وفي خبر آخر المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه أي واه بالذنوب راقع بالتوبة والاستغفار
وقد وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بترك متابعة الذنوب وبدرء السيئة بالحسنة في قوله عز وجل
ويدرءون بالحسنة السيئة وقد جعل هذا من نعوت العاملين الذين صبروا فقال سبحانه وتعالى
أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة فجعل لهم صبرين عن الذنب وعلى التوبة على
فأثابهم به أجرين وقد اشترط الله عز وجل على التائبين من المؤمنين شرطين وشرط على التائبين من المنافقين
أربعة لأنهم اعتلوا بالخلق في الأعمال فأشركوهم بالخالق في الإخلاص فضعف عليهم الشرط لشدة الشدة
دخولهم كان في المقت واعتل غيرهم بوصفه فخفف عنهم شرطين فقال سبحانه وتعالى إلا الذين تابوا وأصلحوا شرطا
وبينوا قوله تابوا رجعوا إلى الحق من أهوائهم وأصلحوا يعني ما أفسدوا بنفوسهم وبينوا فيها وجهان
أحدهما بينوا ما كانوا كتموا من الحق وأخفوا من حقيقة العلم وهذا لمن عصى بكتم العلم ولبس الحق بالباطل

وقيل بينوا توبتهم حتى تبين ذلك فيهم وظهرت احكام التوبة عليهم وقال في الشرطين الآخرين ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم
لله لانهم كانوا يعتصمون بالناس وبالاموال وكانوا يراءون بالاعمال فلذلك اشترط عليهم الاعتصام بالله
سبحانه وتعالى والاخلاص لله عز وجل فينبغي ان يكون توبة كل عبد على ضد معاصيه قليلا فقليل
او كثيرا فكثير ويكون التائب على ضد ما كان افسد يكون كما قال الله عز وجل انا لا نضيع اجر المصلحين
ولا يكون العبد تائبا حتى يكون مصلحا ولا يكون مصلحا حتى يعمل الصالحات ثم يدخل في الصالحين وقد قال
الله سبحانه وتعالى وهو يتولى الصالحين وهذا وصف للتواب وهو المتحقق بالتوبة الحبيب لله عز وجل
كما قال عز وجل يحب التوابين اي يتولى الراجعين اليه من اهوائهم المتطهرين لهم من الكبائر كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله وسئل ابو محمد سهل رحمه الله متى يكون التائب حبيب الله عز وجل
قال حتى يكون كما قال الله عز وجل التائبون العابدون الحامدون السائحون الآية ثم قال الحبيب لا يدخل في
شيء لا يحب الحبيب وقال لا تصح التوبة حتى يتوب من الحسنات وقد قال غيره من العارفين العامة يتوبون
من سيئاتهم والصوفية يتوبون من حسناتهم يعني من تقصيرهم في ادائها العظيم ما يشهدون من حق
الملك العزيز المقابل بها ومن نظرهم اليها او نظرهم الى نفوسهم بها وهي منة اليهم واصلة وكان ابو محمد
رحمه الله يقول التوبة من افضل الاعمال لان الاعمال لا تصح الا بها ولا تصح التوبة الا بترك كثير من
الحلال مخافة ان تخرجهم الى غيره والاستغفار قوت التوابين ومفزع الخاطئين قال الله عز وجل اصدق
القائلين استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقال جل وعلا افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه فابتدأ
التوبة بالاستغفار وعقب الاستغفار بالتوبة فالاستغفار مع الذنب سؤال الستر من الله عز وجل
ومغفرة الله جل وعلا لعبده في حال ذنبه ستره عليه وحلمه عنه ويقال ما من ذنب ستره الله عز وجل
على عبد في الدنيا الا غفره له في الآخرة ان الله سبحانه وتعالى اكرم من ان يكشف ذنبا كان قد ستره وما من
ذنب كشفه الله جل وعلا في الدنيا الا جعل ذلك عقوبته في الآخرة فالله عز وجل اكرم من ان يثني عقوبته
على عبده وروي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم نحو ذلك وقد اسندناه من طريق والاستغفار بعد التوبة
هو سؤال العبد مولاه العفو عن المؤاخذة ومغفرة الله عز وجل لعبده بعد التوبة تكفيره لسيئاته
وتجاوزه عنها بالعفو الكريم وهو تبديل السيئات حسنات كما جاء في الخبر ان تفسير قول العبد
يا كريم العفو قال هو ان عفا عن السيئات برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وقد احكم الله سبحانه وتعالى
ذلك بقوله فاستقيموا اليه واستغفروه بعد قوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا

تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا اي وحدوا الله تعالى ثم استقاموا على التوحيد فلم يشركوا ١
وقيل استقاموا على السنة فلم يحدثوا ويقال استقاموا على التوبة فلم يرجعوا عنها ان لا تخافوا
عقاب الذنوب فقد كفرها عنكم بالتوحيد ولا تحزنوا على ما فاتكم من الاعمال فقد تداركها عز وجل لكم
بالتوبة وبلغكم منازل المحسنين بالاستقامة ثم قال عز وجل وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون في
السابق نحن اولياؤكم اي نليكم ونتقرب منكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة بالتثبيت لكم على الايمان ولكم فيها
ما تشتهي انفسكم اي لاجسامكم من النعيم المقيم ولكم فيها ما تدعون اي ما تتمنون لقلوبكم من النظر الى
الملك الرحيم وفي الخبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ
بآيات الله عز وجل وقد كان بعضهم يقول استغفر الله من قول استغفر الله سبحانه وتعالى اي من
غير توبة وندم بالقلب وقد قيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وكانت رابعة العدوية رضي الله عنها
تقول استغفارنا هذا يحتاج الى استغفار فكم من توبة تحتاج الى توبة في صحتها واخلاصها من
النظر اليها والسكون والادلال بها فمن عقب السيئات بحسنات وخلط الصالحات بالطالحات طمع
له في النجاة ورجي له الاستقامة قبل الوفاة قال الله سبحانه وتعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا
عسى الله ان يتوب عليهم اي يعطف عليهم وينظر اليهم وقيل خلطوا عملا صالحا هو الاعتراف بالذنوب
والتوبة المستانفة وآخر سيئا ما سلف من الغفلة والجهالة وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول غفور
لمن تاب رحيم حيث رخص في التوبة فلم يرد الله عز وجل المخلطين الا الى ما رد اليه المنافقين وهو
التوبة وكذلك رد اليها المشركين اذ لا طريق للكل الا منها ولا وصول الى المحبة والرضى الا بها
فقال عز وجل في شان الكافرين فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم كما قال
عز وجل في وصف المنافقين وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم اي مع الاصرار واما يتوب عليهم
اي بالاستغفار واحكم ذلك وفصله بما شرط له فقال عز وجل واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل
صالحا ثم اهتدى اي من تاب من الشرك وآمن بالتوحيد وعمل صالحا ادى الفرائض واجتنب المحارم
ثم اهتدى كان على السنة وقيل استقام على التوبة فهذه صفات المومنين وقد قرن الله عز وجل
الاستغفار للعباد ببقاء الرسول فيهم ورفع العذاب عنهم بوجوده فضلا منه ورحمة فقال عز وجل
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقد كان بعض السلف
يقول كان لنا امانان ذهب احدهما وبقي الآخر فان ذهب الآخر هلكنا يعني الذي ذهب الرسول
صلى الله عليه وسلم والذي بقي الاستغفار وسئل سهل رحمه الله عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب

فقال اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال
القلوب والتوبة اقباله على مولاه عز وجل وترك الخلق ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن
الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده ماواه ثم ينتقل الى الانفراد ثم الثبات
ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر
هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضى زاده والتفويض مراده والتوكل صاحبه
ثم ينظر الله عز وجل اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وكان يقول العبد لا بد له
من مولاه على كل حال واحسن حاله ان يرجع اليه في كل شيء اذا عصى يقول يا رب استر علي فاذا فرغ من
المعصية يقول يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل قال يا رب تقبل مني ومن
احسن ما يتعقب الذنب من الاعمال بعد التوبة وحل الاصرار فيرجى به كفارة الخطيئة ثمانية اعمال اربعة
من اعمال الجوارح واربعة من اعمال القلوب فاعمال الجوارح ان يصلي العبد ركعتين ثم يستغفر سبعين مرة
ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ويصوم يوما واعمال القلوب هي التوبة اعتقاد
منه وحب الاقلاع عنه وخوف العقاب عليه ورجا المغفرة له ثم يحتسب على الله عز وجل بحسن ظنه
وصدق يقينه كفارة ذنبه فهذه الاعمال قد وردت بها الآثار انها مكفرة للزلل والعثار وقد
يشترط في بعضها فيتوضا فيسبغ الوضوء ويدخل المسجد فيصلي ركعتين وفي بعض الاخبار فيصلي اربع
ركعات ويقال اذا اذنب العبد امر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو اميره عليه ان يرفع القلم عنه ست
ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها ويقال صدقة الليل تكفر ذنوب
النهار وصدقة السر تكفر ذنوب الليل وفي بعض الاخبار اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر
بالسر والعلانية بالعلانية وفي اخبار متفرقة جمعناها ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها
الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر ويا ليتهم
اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ويقول الآخر ويا ليتهم اذ لم يعلموا لما خلقوا عملوا بما علموا وفي بعضها
تجالسوا فتذاكروا ما عملوا ويقول الآخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا فاول ما يجب
لله عز وجل على عبده ان لا يعصيه بنعمه لئلا تكون معصيته كفرا بالنعمة وجوارح العبد ما له من نعم الله
عز وجل عليه لان قوام الانسان بجوارحه وثبات جوارحه بالحركة ومنافع الحركة بالعافية فاذا عصاه بالنعم
فقد بدلها كفرا كما قال عز وجل بدلوا نعمة الله كفرا قيل استعانوا بها على معاصيه ثم توعد
على التبديل بالعقاب الشديد فقال عز وجل ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب

فقد يكون العقاب على تبديل النعمة بالمعصية معجلا في الدنيا ويكون مؤجلا في الآخرة وقد يكون العقاب
في اسباب الدنيا وقد يكون في جرح من اسباب الآخرة لانها مآله ومثواه وقد يكون فيهما معا وقد تكون نفس
المعصية بالنعمة عقوبة والجهل بالنعمة وتضييع الشكر عليها واستصغارهما والسكون اليها والتطاول
والتكاثر والتفاخر بها كل هذه الاسباب عقوبات ثم يفترض على العبد اذا عصاه الرجوع الى مولاه وهو
التوبة عقيب ذنوبه مع نفسه وهو موافقة الهوى للخطيئة فتاخيره للتوبة واصراره على الذنب ذنبان
مضافان الى الخطيئة فاذا تاب من ذنبه واحكم التوبة منه اعتقد الاستقامة على الطاعة ودوام الافتقار
الى الله عز وجل في العصمة ثم يتوب ابدا من الصغائر الى الهم والتمني ومن الخوف والطمع في المخلوق وهي ذنوب
الخصوص الى الطرفة والنفس والسكون الى الشيء والراحة بشيء وهذه ذنوب المقربين حتى لا يبقى على العبد
فيما يعلم مخالفة وحتى يشهد له العلم بالوفاء فتبقى حينئذ ذنوبه من مطالعة علم الله عز وجل فيه بما استاثر
به عنه من علم غيبه بما يكاشفه به ومن معنى نفس العبودية وكون الخليقة عن تسلط الربوبية بوصفها
وكبرها فيكون هذا الخوف مشوبة له لما فرغ من علم نفسه الى ما لا يمكن ذكره ولا يعرف نشره من ذنوب المقربين
التي هي صالحات اصحاب اليمين لفقد مشاهداتها والجهل بمعرفة مقاماتها عند العموم فيكون حال هذا المقرب
الاشفاق من البعد في كل طرفة ونفس الى وقت اللقاء والخوف من الاعراض والحجب في كل همة وحركة في هذه
الدار الى دار البقاء وقد روينا في خبر غريب ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى يعقوب عليه السلم اتدري لم فرقت
بينك وبين يوسف قال لا قال لقولك لاخوته اخاف ان ياكله الذئب لم خفت عليه الذيب ولم ترجني له
ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له فهذا على معنى قول يوسف للساقي اذكرني عند ربك
قال الله عز وجل فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين فهذا انما يعتب على الخصوص
من خفي سكونهم ولمح نظرهم الى ما سوى الله عز وجل وانما حرم بعض التائبين المزيد ولم يجدوا فيه حلاوة
التوبة لانهم نهم بمحال الرعاية وتسامحهم بترك حسن القيام بشاهد المراقبة وذلك يكون من قلة احكام
امر التوبة ولو قاموا بحكم التوبة من الذنب الواحد واحكموا احكام التواب من الصادقين في التوبة لم يعدموا
من الله عز وجل المزيد لانهم محسنون فهم في تجديد قال الله عز وجل سنزيد المحسنين فاذا رايتك
مستقيما على التوبة عاملا بالصالحات ولم تجد لك على مزيد من ميراث بوجد حلاوة او حسن خليقة او عزوف
زهد او خاصية معرفة فارجع الى باب المراقبة او موقف الرعاية فتفقدهما واحكم حالهما فمن قبلهما
اتيت وقد قال بعض العلماء من تاب من تسعة وتسعين ذنبا ولم يتب من ذنب واحد لم يكن عندنا من
التائبين فلا تغفل عن التفقد وتجديد التوبة ادبار الصلوات فانما دخل الخسران على العمال

من حيث لا يعلمون من ترك التفقد ومحاسبة النفس لمسامحتها بما يعلمون واعلم ان حقيقة توبة كل
ذنب عشرة اعمال لا يكون العبد توابا بمحبة الله سبحانه وتعالى ولا تكون توبته نصوحا التي شرطها الله
عز وجل وشرط بها التوبة الا ان يحكم العبد عشر توبات من كل ذنب اولها ترك العود الى فعل الذنب
ثم يتوب من القول به ثم يتوب من الاجتماع مع سبب الذنب ثم التوبة من السعي في مثله ثم التوبة من النظر اليه
ثم التوبة من الاستماع الى القائلين به ثم التوبة من الهمة به ثم التوبة من التقصير في حق التوبة ثم
التوبة من ان لا يكون اراد الله عز وجل خالصا بجميع ما تركه لاجله ثم التوبة من النظر الى التوبة والسكون
اليها والادلال بها وهذا في مطالعة التوحيد وعلو الاشراف بالمزيد ثم يشهد بعد ذلك كله تقصيره
عن القيام بحق الربوبية لعظيم ما يشهد من كنه جلاله وعظمة كبريائه فتكون توبته بعد ذلك من
تقصيره عن القيام بحقيقة شهادته ويكون استغفاره لما ضعف قلبه ونقص همته عن معاينة شاهده
لعلو مقامه ودوام مزيده واعلامه ولا نهاية لتوبة العارف ولا غاية وصفه لما هو عليه عاكف
ولا وصف يحمل ذكر دقيق بلائه ولا يخبر عن التوبة نبي فمن دونه ولكل مقام توبة ولكل حال من
مقام توبة ولكل مشاهدة ومكاشفة توبة فهذا حال التائب المنيب الذي هو من الله عز وجل مقرب
وعنده حبيب وهذا مقام مفتن تواب اي مختبر بالاشياء مبتلى بها تواب الى الله سبحانه وتعالى منها
لينظر مولاه اينظر بقلبه اليه او اليها او يتشكك بهمه عليه او عليها او يطمئن اليه بوجده او اليها
او يطلب اياه هربا منها او اياها بما فعله من كل شاهد لسواه ذنب وعليه في كل سكون الى سواه عتب
كما في كل شهادة علم ومن كل اظهار في الكون حكم فذنوبه لا تحصى وتوباته الى الله عز وجل لا تنقضي فهذه
حقيقة التوبة النصوح وصاحبها مسلم وجهه الى الله عز وجل محسن من نفسه مشرح ودينه عند الله
عز وجل مستقيم ومقامه وحاله من الله عز وجل سليم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب
كل مفتن تواب ثم ان الذنوب على سبعة ضروب بعضها اعظم من بعض لكل ضرب منها مراتب في كل مرتبة
من المذنبين طبقة منها معاص يتصل بها العبد من معاني صفات الربوبية مثل الكبر والفخر والجبرية وحب
الحمد والمدح ووصف العز والغنى فهذه مهلكات وفيها من العموم طبقات ومعاص تكون من معاني
اخلاق الشياطين مثل الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالافساد فهذه موبقة وفيها من اهل الدنيا
طبقات ومعاص تكون من ضد السنة وهو ما خالفها الى بدعة والاحداث المبتدعة وهذه كبائر منها
ما يذهب الايمان ويثبت النفاق وستة من كبائر البدع وهي تنقل عن الملة القدرية والمرجئة والرافضة
والاباضية والجهمية والشاطحون من الغالطين وهم الذين يقولون لا خلق ولا رسم يسقطون الاحكام

ويتعدون الحدود بالاستحلال ويجاوزون العلم فهم زنادقة هذه الامة ومعاص متعلقة بالخلق من
طرق المظالم في الدين والالحاد بهم عن طريق المؤمنين وهو ما اضل به عن الهدى وازاغ به عن السنن وحرفه من الكتاب
وتاوله من السنة ثم اظهر ذلك ودعا اليه فقبل منه واتبع عليه وقد قال بعض العلماء لا توبة لهذه المعاصي
كما قال بعضهم في القاتل لا توبة له للاخبار بثبوت الوعيد وحق القول عليه والضرب الخامس من المعاصي
ما تعلق بمظالم العباد في امر الدنيا مثل ضرب الانسان وشتم الاعراض واخذ الاموال والكذب والبهتان
فهذه موبقات ولا بد فيها من القصاص والموافقة بين يدي الحاكم العادل والقطع منه بقضاء فاصل الا ان
يقع استحلال او يستوهبها الله عز وجل من اربابها في المآل بكرمه ويعوض المظلومين عليها من خزائنه بجوده
وقد جاء في الخبر الدواوين ثلثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فاما الديوان الذي يغفر فذنوب
العباد بينهم وبين الله سبحانه وتعالى واما الديوان الذي لا يغفر فالشرك بالله عز وجل واما الديوان الذي لا

يترك فمظالم العباد اي لا يترك المطالبة به والضرب السادس من الذنوب ما كان بين العبد وبين مولاه
عز وجل من نفسه الى نفسه متعلق بالشهوات والجري في العادات وهذه اخفها والى العفو اقربها وهي على
ضربين كبائر وصغائر فالكبائر ما نص عليه بالوعيد وما وجبت فيه الحدود والصغائر دون ذلك الى
نظرة وخطرة والتوبة النصوح تاتي على جميع ذلك بعموم قوله سبحانه وتعالى فتاب عليكم وعفا عنكم
وللجبار عن حكمه اذ يقول ثم تاب عليهم ليتوبوا وبظاهر قوله عز وجل ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
ثم لم يتوبوا ومثله قوله عز وجل ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك
من بعدها لغفور رحيم هكذا في قراءة اهل الشام بنصب الفاء والتاء ولان البغية من التوبة اذا كانت
غفران الذنوب والزحزحة عن النار ونحن لا نرى ابدية الوعيد على اهل الكبائر بل نجعلهم في مشية
الله عز وجل ونجوز لهم عفو الله عز وجل كما جاء في الخبر في تفسير قوله عز وجل فجزاؤه جهنم ان جازاه وكما
روينا عن الرسول صلى الله عليه وسلم من وعده الله عز وجل على عمل ثوابا فهو منجزه له لا محالة ومن وعده
على عمل عقابا فهو فيه بالخيار ان شاء عفا عنه وكما قال ابن عباس رضي الله عنه يغفر لمن يشاء الذنب العظيم
ويعذب من يشاء على الذنب الصغير وقد قال الله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فلم يجد للمغفرة ذنبا غير الشرك وترك المسلمين في سائر الذنوب الى مشيئته وقد يحتج محتج
بالخبر الماثور في ترك قبول توبة المبتدع ان الله عز وجل احتجر التوبة عن كل صاحب بدعة فهذا مخصوص
لمن لم يتب ممن حكم عليه بدرك الشقاء الا ترى انه لم يقل ان الله عز وجل احتجر قبول التوبة عمن تاب
انما اخبر عن حكم الله عز وجل في من لم يتب بان الله عز وجل حجب التوبة عنه فهكذا نقول ايضا ان القاتل

اذا كان قد سبق له سوء الخاتمة فانه يموت على غير توحيد وكذلك المبتدع اذ جعل اسمه في اصحاب النار ثم كان القتل والبدعة علامة ذلك وسببه انهما جميعا ممنوعان من التوبة وانها محتجزة عنهما وكذلك القول فيمن حقت عليه كلمة العذاب يسبق خاتمة السوء فلو انه تاب سبعين توبة لم تنقذه من النار كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من اهلها ولا يبقى بينه وبينها الا شبر ثم يدركه الشقاء وفي لفظ آخر ثم يسبق عليه الكتاب بعمل اهل النار فيدخلها فقد دخلت التوبات في صالح اعماله من الحسنات ثم احبطها عنه في جملة عمله سبق الكتاب بالشقاء له فاما من لم يسبق له سوء الخاتمة ووهبت له التوبة النصوح لم يدركه الشقاء فان توبته لم تحتجز عنه وان الله عز وجل يعفو عنه بما وهب له من التوبة كقوله عز وجل في المنافقين اما يعذبهم واما يتوب عليهم وليست البدعة فوق النفاق ولا كل المنافقين تاب عليه ولا جميعهم ايضا ختم له به ولعموم قوله عز وجل فتاب عليكم وعفا عنكم الى قوله عز وجل عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم مع قوله عز وجل ثم تاب عليهم ليتوبوا فهذا عام فيمن تاب والخبر مخصوص فيمن لم يتب ثم ان التائبين في التوبة على اربعة اقسام في كل قسم طائفة لكل طائفة مقام منهم تائب من الذنب مستقيم على الانابة لا يحدث نفسه بالعود الى المعصية ايام حياته مستبدل بعمل سيئاته صالح حسناته فهذا اول السابق بالخيرات وهذه هي التوبة النصوح ونفس هذا هي المطمئنة المرضية والخبر المروي في مثل هذا سيروا سبق المفردون المستهترون بذكر الله عز وجل وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا والذي يلي هذا في القرب عبد عقد التوبة ونية الاستقامة لا يسعى في معصية ولا يهتم بها وقد تدخل عليه الذنوب عن غير قصد منه اليها ويبتلى بالهم واللمم فهذا من صفات المومنين يرجى له الاستقامة لانه في طريقها وهو ممن قال الله عز وجل يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة وداخل في وصف المتقين الذين قال فيهم والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الاية ونفس هذا هي اللوامة التي اقسم الله عز وجل بها وهو من المقتصدين وهذه الذنوب تدخل على النفوس من معاني صفاتها ودواعي جبلتها واوائل انشائها من نبات الارض وتركيب الاطوار في الارحام خلقا من بعد خلق ومن اختلاط الامشاج بعضها ببعض ولذلك عقبه سبحانه وتعالى بقوله عز وجل هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم ولذلك نهى عن تزكية النفس المنشاة من الارض والمركبة في الارحام بالامشاج للاعوجاج فقال فلا تزكوا انفسكم اي فهذا وصفها عند بدء انشائها وكذلك وصف مشيج خليقته بالابتلاء في قوله عز وجل امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا وشرح هذا يطول ويخرج الى علم تركيبات النفوس ومجبول فطرها وقد ذكرنا اصوله في بعض الابواب من هذا الكتاب

وفي مثل هذا العبد معنى الخبر الذي جاء المومن مفتن تواب والمومن كالسنبلة تفيء احيانا وتميل احيانا فازدراء هذا العبد بنفسه ومقته لها وترك نظره اليها وسكونه الى خير ان ظهر عليها يكون من كفارات ذنوبه لانه من تدبر الخطاب في قوله عز وجل فلا تزكوا انفسكم والعبد الثالث هو الذي يقرب من هذا الثاني في الحال عبد يذنب ثم يتوب ثم يعود الى الذنب ثم يحزن عليه بالقصد له والسعي فيه وايثاره اياه على الطاعة الا انه يسوف بالتوبة ويحدث نفسه بالاستقامة ويحب منازل التوابين ويرتاح قلبه الى مقامات الصديقين ولم يان حينه ولا ظهر مقامه لان الهوى يحركه والعادة تجذبه والغفلة تغمره الا انه يتوب خلال الذنوب دائبا ودليل تقدم المعتاد فتوبة هذا فوت من وقت الى وقت ومثله يرجى له الاستقامة بمحاسن عمله وتكفيرها لسالف سيئاته وقد يخاف عليه الانقلاب لمداومة خطاياه ونفس هذا هي المسولة وهو ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليه فيستقيم فيلحق بالسابقين فهذا من خائف ان يغلب عليه وصف النفس فيحق عليه ما سبق من القول وممن ان ينظر اليه مولاه نظرة يجبر له كل كسر ويغني كل فقر فتتداركه منه سابقة فتلحقه بمنازل المقربين لانه قد سلك طريقهم ونيته الآخرة والعبد الرابع اسوء العبيد حالا واعظمهم على نفسه وبالا واقلهم من الله تبارك وتعالى نوالا عبد يذنب ثم يتبع الذنب مثله او اعظم منه ويقيم على الاصرار ويحدث نفسه به متى قدر عليه ولا ينوي توبة ولا يعقد استقامة ولا يرجو وعدا بحسن ظنه ولا يخاف وعيدا لتمكن امنه فهذا هو حقيقة الاصرار ومقام من العتو والاستكبار وفي مثل هذا جاء الخبر هلك المصرون قدما الى النار ونفس هذا هي الامارة ودروجه ابدا من الخير فار ويخاف عليه سوء الخاتمة لانه في مقدمتها وسالك طريقها ولا يبعد منه سوء القضاء ودرك الشقاء ولمثل هذا قيل من سوف الله عز وجل بالتوبة اكذبه وان اللعنة خروج من ذنب الى اعظم منه وهذه الطائفة في عموم المسلمين وهم في مشية الله عز وجل من الفاسقين كما قال الله عز وجل مرجون لامر الله اي موخرون الحكم اما يعذبهم بالاصرار واما يتوب عليهم بما سبق من حسن الاختيار نعوذ بالله العظيم من عذابه ونسأله من فضله وثوابه آخر شرح مقام التوبة

شرح مقام الصبر

ووصف الصابرين وهو الثاني من مقامات اليقين قد جعل الله سبحانه وتعالى الصابرين ايمة المتقين وتمم كلمته الحسنى عليهم في الدين فقال عز وجل وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال عز وجل وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وقال المسيح عليه وعلى سائر الانبياء السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال بعض الصحابة ما ذا جعل الله عز وجل من الشفاء والفضل في التقى والصبر وقال ابن مسعود رحمه الله الصبر نصف الايمان وقد جعل علي عليه السلم

الصبر ثانيا من أركان الإيمان وقرنه بالجهاد والعدل والإيقان فقال بني الإسلام على أربع دعائم على اليقين
والصبر والجهاد والعدل وقال علي عليه السلم أيضا الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد لا جسد لمن لا
رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبر في العلو والفضل إلى مقام اليقين
وقرنه به وكذلك قال الله عز وجل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وأخبر
صلى الله عليه وسلم أن من أوتي نصيبه منهما لم يبال ما فاته وأخبر أن بالصبر كمال العمل والأجر فقال في حديث
يرويه شهر بن حوشب الأشعري عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أقل ما
أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولئن تصبروا
على مثل ما أنتم عليه أحب إلي من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكن أخاف أن تفتح عليكم
الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه
ثم قرأ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وفي حديث ابن
المنكدر عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال الصبر والسماحة وقد قال الله أصدق
القائلين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقال عز وجل إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فضاعف
أجر الصابرين على كل عمل ثم رفع جزاء الصبر فوق كل جزاء فجعله بلا نهاية ولا حد فدل ذلك أنه أفضل
المقامات وجمع للصابرين ثلاثا فرقها على جميع أهل العبادات الصلاة والرحمة والهدى بعد البشارة في الآخرة
والعقبى وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة
وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يعلى به فوق العدلين على البعير فيكون كعدل ثالث وقد أخبر الله عز وجل
أنه مع الصابرين ومن كان الله عز وجل معه غلب كما من كان معه علا فقال عز وجل إن الله مع الصابرين
كما قال عز وجل وأنتم الأعلون والله معكم واشترط الصبر لإمداده بجنده ولنصره وتأييده في قوله
سبحانه وتعالى بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة وكان
سهل رحمه الله يقول الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة الصبر عن المعصية ثم الصبر على
الطاعة وقال في معنى قوله عز وجل استعينوا بالله واصبروا أي استعينوا بالله عز وجل على أمر الله
واصبروا على أدب الله عز وجل وقال لم يمدح الله سبحانه وتعالى أحدا إلا من صبر على البلاء والشدة
فبذلك يثني عليه وكان يقول الصالحون في المؤمنين قليل والصادقون في الصالحين قليل والصابرون
في الصادقين قليل فجعل الصبر خاصة الصدق وجعل الصابرين خصوص الصادقين وكذلك الله (خاصة)
عز وجل أصدق القائلين قد رفع الصابرين على الصادقين في ترتيب المقامات فجعل الصبر مقاما

في الصدق وإن كانت الأوصاف المنسوقة نعتا واحدا للمسلمين وكانت الواو للمدح وإن كانت مقامات
والواو للترتيب فقد جعل سبحانه وتعالى الصابرين فوق الصادقين والقانتين أعني في قوله عز وجل إن
المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الأنصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر رضي الله عنه نعم يا رسول الله قال وما علامة إيمانكم
قال نشكر في الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء قال مؤمنون ورب الكعبة والصبر ينقسم على عملين
أحدهما لا صلاح للدين إلا به والثاني هو أصل فساد الدين ثم يتنوع الصبر فيكون صابرا على الذي
فيه صلاح الدين فيكمل به إيمانه ويكون صابرا عن الذي فيه فساد الدين فيحسن به يقينه وروينا
معنى هذا عن علي عليه السلم أنه لما دخل البصرة واستقام له الأمر دخل جامعها فجعل يخرج القصاص
ويقول القصص بدعة فانتهى إلى حلقة شاب يتكلم على جماعة فاستمع إليه فأعجبه كلامه فقال يا
فتى أسألك عن شيئين فإن خرجت منهما تركتك تتكلم على الناس وإلا أخرجتك كما أخرجت أصحابك
فقال سل يا أمير المؤمنين فقال أخبرني ما صلاح الدين وما فساده قال صلاحه الورع وفساده الطمع
قال صدقت تكلم فمثلك يصلح أن يتكلم على الناس فيقال إن هذا الشاب هو إمامنا في هذا العلم وهو
إمام الأئمة الحسن بن يسار مولى الأنصار البصري وكان ميمون بن مهران يقول الإيمان والتصديق والمعرفة
والصبر واحد وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضى بالقدر واعلم أن الورع
أول الزهد وهو باب من أبواب الآخرة والطمع أول الرغبة وهو باب كبير من أبواب الدنيا واستشعار الطمع
من حب الدنيا وحب الدنيا أصل كل خطيئة ويقال أول معصية عصي الله عز وجل بها الطمع وهو
أن آدم عليه السلم طمع في الخلود فأكل من الشجرة التي نهي عنها وإبليس لعنه الله طمع في إخراج آدم عليه السلم
فوسوس إليه فاتفقا في اسم المعصية لربهما عز وجل بالطمع ثم افترقا في المطموع فيه وفي الحكم فتدارك
آدم عليه السلم بحسن سابقته من الله عز وجل وهلك إبليس لعنه الله بما سبق عليه من الشقوة والطمع
هو تصديق الظن ولذلك وصف الله عز وجل به عدوه في قوله سبحانه وتعالى ولقد صدق عليهم
إبليس ظنه والظن ضد اليقين ولا يغني من الحق شيئا وقال في وصف المشركين إن نظن إلا ظنا وما
نحن بمستيقنين فمن صبر عن الطمع في الخلق أخرجه الصبر إلى الورع ومن صبر على الورع في الدين
أدخله الصبر في الزهد ومن طمع في تصديق الظن الكاذب أدخله الطمع في حب الدنيا ومن استشعر
حب الدنيا أخرجه حبها من حقيقة الدين وقد قال بعض العلماء ما كنا نعد إيمان من لم يؤذ
فيحتمل الأذى ويصبر عليه إيمانا وقد فعل الله عز وجل ذلك بالمؤمنين اختبارا أخبر أن ذلك

ليس منه عذابا وانما هو فتنة لمن اراد فتنته وبلاؤه من الناس فصار ذلك فتنة عليهم وابتلاء لهم
وصار رحمة للمؤذى وخيرا في قوله عز وجل ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة
الناس كعذاب الله يعني فتنة الناس به كعذاب الله له سبحانه وتعالى اى ليس ذلك عذابا مني انما هو
رحمة باطنة فهو كقوله عز وجل واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا اى لم اهنك
بالفقر كما لم اكرم الآخر بالاكرام والتنعيم وعلى معنى هذا خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر الذي امره
به فقال عز وجل واصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود فسلاه به وفضله عليه وقد روينا في خبر
يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى
ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله عز وجل كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك
فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين وكتب ابن ابي نجيح يعزي بعض
الخلفاء فقال في كتابه ان احق من عرف حق الله عز وجل فيما اخذ منه من عظم حق الله عز وجل عنده
فيما ابقى واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو الماجور فيك واعلم ان اجر الصابرين
فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه وفي الاخبار ما من عبد الا يعطى اجره بحساب
وحد الا الصابرين فانهم يجازفون مجازفة بغير ميزان ولا حد وجاء في الاثر ان ابواب الجنة مصراعان
ياتي عليها زحام كثير الا باب الصبر فانه مصراع واحد ولا يدخل منه الا الصابرون اهل البلاء في الدنيا
واحدا بعد واحد وقد قال الله عز وجل في جزاء المخلصين اولئك لهم رزق معلوم وقال في جزاء الصابرين انما حتى
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قيل في التفسير نغرف لهم غرفا والمعنى في ذلك ان الصبر اشق شيء
على النفس واكرهه وامره على الطبع واصعبه فيه الالم والكظم وعنه الذل والحلم ومنه التواضع والكتم
وفيه الادب وحسن الخلق وبه يكون كف الاذى عن الخلق واحتمال الاذى من الخلق وهو من عزائم الامور
التي تضيق منها اكثر الصدور وفيه اكراه النفوس وحملها على الشدة والبوس وقد جاء افضل الاعمال
ما اكرهت عليه النفوس ولاجل ذلك اشترط الله عز وجل على المتقين والصادقين الصبر في الشدائد والمكاره
وحقق بالصبر صدقهم وتقواهم واكمل به وصفهم واعمال برهم فقال سبحانه وتعالى والصابرين في
البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فمعنى الصبر حبس النفس عن السعي
في هواها وحبسها ايضا على المجاهدة لها بمرضاة مولاها بمثل ما تجب المجاهدة على قدر ما يبتلى به العبد
لان المجاهدة على قدر البلاء والحبس عن نحو التردد وحبسها على الدوام على الطاعة وصبرها عن شره
الطمع الذي يظهر والادب بين يدي الرب عز وجل وصبرها على حسن الادب في المعاملة ثم يتنوع

الصبر الى معان شتى من الصبر عن تفاوت الاهواء والصبر على الثبات في خدمة المولى فمن ذلك ما يوجب
المجاهدة صرف الهم عنه وتطهير القلب منه من خطرات الهوى ونزغات الاعداء وتزيين الدنيا ومن آفات
ما يوجب الصبر كف الجوارح عنها وحبس النفس عن المشي فيها ومن الصبر حبس النفس على الحق وعكوفها عليه
بمعاملة اللسان والقلب والجسم وبذلك وصف الله عز وجل المؤمنين الذين يعملون الصالحات واشترط لصلاح
اعمالهم الصبر واخبر ان الناس كلهم في خسران الا من كان من اهل الحق والصبر وعظم الصبر فافرده باعادة
التواصي به ومن الصبر حبس النفس على عبادة الخالق وصبرها على القناعة وعلى منع الرزق ومن الصبر
كف الاذى عن الخلق وهو مقام العادلين دخل في قوله عز وجل ان الله يامر بالعدل ثم احتمال الاذى من
الخلق وهو مقام المحسنين يدخل في قوله عز وجل والاحسان ومن الصبر الصبر على الانفاق واعطاء اهل
الحقوق حقوقهم الاقرب فالاقرب وهذا مقام المنفقين يدخل في قوله عز وجل وايتاء ذي القربى ومنه
الصبر عن الفحشاء وهو الامر الفاحش في العلم والايمان والصبر عن المنكر وهو ما انكره العلماء والصبر
عن البغي وهو التطاول والعلو ومجاوزة الحد بالبحر والاسراف في امور الدنيا فهذه الآية كلها جامعة
لمعنى الصبر وهي قطب القرآن ثلاث منها وهي الاول الصبر على العدل والاحسان والاعطاء وثلاث منها
الصبر عن الفحشاء والمنكر والبغي وكان ابن مسعود رحمه الله يقول هذه الآية اجمع آية في كتاب الله عز وجل
حتى للامر والنهي وقال الله عز وجل نعم اجر العاملين الذين صبروا فما انعم اجرهم حين وصفهم بالصبر وما اكرم رزقهم
ووصفهم حين مدحهم بالصبر والصبر يحتاج اليه قبل العمل ومعه وبعده يحتاج في اول العمل ان يصبر على
تصحيح النية وعزم العقود والوفاء بها حتى تصح الاعمال لان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال
بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال الله عز وجل وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وحقيقة
النية الاخلاص ولان الله عز وجل قدم الصبر على العمل فقال سبحانه وتعالى الا الذين صبروا وعملوا
الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير والصبر الثاني في العمل حتى يتم ويعمل لقوله عز وجل نعم اجر
العاملين الذين صبروا والصبر بعد العمل هو الصبر على كتمه وترك التظاهر به والنظر اليه ليتخلص من
السمعة والعجب فيكمل ثوابه كما خلص من الرياء لقوله عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا
تبطلوا اعمالكم وقال عز وجل في مثله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال بعض السلف لا يتم
المعروف الا بثلاث تعجيله وتصغيره وكتمه ومن الصبر حبس النفس عن المكافاة على الاذى
توكلا على المولى ومنه قوله تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وهذا صبر
الخصوص وقد قال بعض اهل المعرفة لا يثبت لعبد مقام في التوكل حتى يؤذى فيصبر على الاذى وقد

ذكر الله عز وجل ذلك في قوله سبحانه وتعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون
وفي قوله عز وجل ودع أذاهم وتوكل على الله وفي قوله سبحانه وتعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون
وهذا هو أول الرضى والمقام الثاني من الرضى هو الصبر على الأحكام وهو صبر أهل البلاء الأمثل فالأمثل
بالأنبياء لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل ولقوله سبحانه وتعالى
في المجمل ولربك فاصبر ثم فسر في الكلام المفسر فقال واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ومن الصبر حبس
النفس على التقوى والتقوى اسم جامع لكل خير فالصبر معنى داخل في كل بر فإذا جمعها العبد فهو من
المحسنين وقال عز وجل لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور أي تصبروا على الأذى وعن المكافاة وتتقوا
عند الابتلاء والمكاره فلا تجاوزوا فإنه أفضل كما قال عز وجل وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين وكقوله عز وجل ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ثم قال عز وجل
ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور فالأول أعني المكافاة والانتصار بالحق من العدل والعدل حسن
والثاني هو الصبر والعفو من الإحسان والفضل وهو أحسن فهذا مجاز قوله عز وجل الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب فاستماع القول هو العدل واتباع
الأحسن هو العفو وفيه المدح بالهداية والعقل وهذا هو مقام المخبتين قيل هم الذين لا يظلمون وإذا
ظلموا لم ينتصروا والوصف لأهل هذا المقام بالإخبات وهو الخشوع والطمأنينة إلى الجزاء من الله عز وجل
في الآخرة أمدح وقد قال عز وجل وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل والتقوى والصبر معنيان
أحدهما منوط بالآخر لا يتم كل واحد إلا بصاحبه فمن كان التقوى مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر
أفضل الأحوال من حيث كان التقوى أعلى المقامات إذ الأتقى هو الأكرم عند الله والأكرم على الله عز وجل
هو الأفضل وقد شرف الله عز وجل الصبر بأن أضافه إليه بعد الأمر به فقال عز وجل واصبر وما صبرك إلا بالله
وقال سبحانه وتعالى ولربك فاصبر وإن كان كل شيء به وكل عمل صالح له ولا يصف الله عز وجل عبدا ولا يثني
عليه حتى يبتليه فإن صبر وخرج من البلاء سليما مدحه ووصفه وإلا بين له كذبه ودعواه وقيل
لسفيان الثوري رضي الله عنه ما أفضل الأعمال قال الصبر عند الابتلاء وقال بعض العلماء وأي شيء أفضل
من الصبر وقد ذكره الله عز وجل في كتابه في نيف وتسعين موضعا ولا نعلم شيئا ذكره الله عز وجل هذا العدد
إلا الصبر فلا يطمعن طامع في مدح الله عز وجل له وحسن ثنائه عليه قبل أن يبتليه فيصبر له ولا يطمعن
أحد في حقيقة الإيمان وحسن اليقين قبل أن يمدحه الله عز وجل ويثني عليه ولو أظهر الله عز وجل على جوارحه

سائر الأعمال ثم لم يمدحه بوصف ولم يثن عليه بخير لم يؤمن عليه سوء الخاتمة وذلك أن من أخلاق الله عز وجل
أنه إذا أحب عبدا ورضي عمله مدحه ووصفه فمن ابتلاه بكراهة ومشقة أو بهوى وشهوة فصبر لذلك
أو عن ذلك فإن الله سبحانه وتعالى يمدحه ويثني عليه بكرمه وجوده فيدخل هذا العبد في أسماء الموصوفين ويصير
واحدا من الممدوحين فيغفر بما يثبت قدمه من الزلل ويختم له بما سبق من صالح العمل ومن الصبر صبره على العوافي
أن لا يجريها في مخالفة والصبر على الغنى أن لا يبذله في هوى والصبر على النعمة أن لا يستعين بها على معصية
فحاجة العبد إلى هذه المعاني ومطالبته بالصبر عليها كحاجته ومطالبته بالصبر على المكاره والفقر وعلى الشدائد
والضر ويقال إن البلاء والفقر يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها إلا صديق وقد كان سهل رحمه الله
يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء وكذلك قالت الصحابة لما فتحت الدنيا فنالوا من العيش
واتسعوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر فعظموا الاختبار بالسراء
وهو ما سر على الاختبار بالضراء وهو ما ضر وقد قال الله عز وجل الذين ينفقون في السراء والضراء فمدحهم
عز وجل بوصف واحد في الحالين المختلفين لحسن يقينهم وسخاوة نفوسهم وحقيقة زهدهم ومن هذا المعنى
قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله لأن فيهما ما يسر فيشغل
عن الذكر ثم قال عز وجل إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم لأن في الأزواج والأولاد ما يفرح به
فيوافق فيهما الهوى ويخالف بوجودهما المولى فصارا عدوين في العقبى لما يؤول إليه من شأنهما ومن
هذا الخبر الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نظر إلى ابنه الحسن يتعثر في قميصه فنزل عن المنبر
واحتضنه ثم قال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة إني لما رأيت ابني هذا لم أملك نفسي أن أخذته ففي
هذا عبرة لأولي الأبصار وروي عنه في هذا الحديث أيضا الولد محزنة مبخلة مجبنة فهذه مصادر الحزن
والبخل والجبن أي يحمل حب الأولاد والأموال على ذلك فمن صبر على السراء وهي العوافي والغنى والأولاد وغير
ذلك وأخذ الأشياء من حقها ووضعها في حقها فهو من الصابرين الشاكرين لا يزيد عليه أهل البلاء والفقر
إلا بحقيقة الرضى والشكر وقد جمع الله عز وجل بين ما سر وضر وجعلهما من وصف المتقين ومدحهم بالإحسان
معهما فقال عز وجل أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين ومن الصبر كتمان المصائب والأوجاع وترك الاستراحة إلى الشكوى بهما
فذلك هو الصبر الجميل قيل هو الذي لا شكوى فيه ولا إظهار وروينا عن ابن عباس رضي الله عنه الصبر في
القرآن على ثلاثة أوجه صبر على أداء فرائض الله سبحانه وتعالى وصبر عن محارم الله وصبر في المصيبة عند
الصدمة الأولى فمن صبر على أداء فرائض الله فله ثلثمائة درجة ومن صبر عن محارم الله سبحانه وتعالى

فله ستمائة درجة ومن صبر في المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة وهذا يحتاج إلى تفسير
لم يفضّل ابن عباس رضي الله عنه الصبر على المصيبة لأنه أفضل من الصبر عن المحارم وعلى الفرائض بل لأن الصبر
على ذينك من أحوال المسلمين والصبر على المصيبة من مقامات اليقين فإنما فضّل المقام في اليقين على مقام الإسلام
ومن ذلك ما روي من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أسألك من اليقين ما تهوّن به عليّ مصائب الدنيا فأحسن
الناس صبرًا عند المصائب أكثرهم يقينًا وأكثر الناس جزعًا وسخطًا في المصائب أقلهم يقينًا ومثل هذا
الخبر الذي رويناه عن سلمة بن وردان عن أنس بن مالك رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك المراء
وهو محق بني له في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له في وسط الجنة ومن ترك الكذب بني له في
ربض الجنة فقد علمت أن ترك الكذب وترك المراء مبطلًا فرض واجب فينبغي أن يكونا أفضل ولكن المعنى فيه
أن الكذب والمراء بالباطل يتركه المسلمون فأما المراء والعبد محق صادق ثم لا يماري زهدًا في التظاهر ورغبة
في الصمت والسلامة فلا يصبر على هذا إلا الموقنون وهم خصوص المؤمنين لمقامهم من اليقين والزهد في التظاهر
وإيثار الخمول والصمت على الكلام والشهرة به فضل وهو من اليقين فصار هذا الموقن بمقامه أفضل من عموم
المؤمنين الذين يتركون الكذب والمماراة وإن كانا فرضًا واجبًا فهذا بيان ذلك ومعناه ومن الصبر إخفاء
أعمال البر ومنع النفس الفكاهة والتمتع بذكرها وإخفاء المعروف والصدقات فإن كتمه من الأدب مع أن السلامة
في الإعلان وبر الساحة في الإظهار ولكن إخفاءه أفضل وأزكى وأحب إلى الله عز وجل وقيل هو من كنوز البر
أعني هذه الثلاث إخفاء الأوجاع والمصائب والصدقة أي من ذخائره النفيسة عند الله عز وجل ومن الصبر
صون الفقر وإخفاؤه والصبر على بلاء الله عز وجل في طوارق الفاقات وهذا حال الزاهدين الراضين وأفضل
الصبر الصبر على الله عز وجل بالمجالسة له والإصغاء إليه وعكوف الهمة عليه وقوة الوجد به وهذا خصوص المقربين
حبًا منه أو حبًا له وتسليمًا وتفويضًا إليه وهو السكون تحت جريان الأقدار وشهود بها من الإنعام
ومن حسن تدبير الأقسام وشهود المشيئة له والحكمة فيها والقصد بالابتلاء بها وهو داخل في قوله عز وجل
ولربك فاصبر وفي قوله عز وجل واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وقال سهل رحمه الله في تأويل قول علي
عليه السلام إن الله يحب كل عبد نؤمة قال هو الساكن تحت جريان الأحكام عن الكراهة والاعتراض وقال عمر بن
عبد العزيز وغيره من الأئمة أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القدر وروي أيضًا إلا انتظار القضاء
ويقال من علامات اليقين تسليم القضاء بحسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين فأما اشتراط الصبر في
المصيبة عند الصدمة الأولى في قول النبي صلى الله عليه وسلم إنما الصبر عند الصدمة الأولى فلأنه يقال
إن كل شيء يبدو صغيرًا ثم يكبر إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر فاشترط عظم الثواب لها عند أول

كبرها قبل صغرها وهي صدمة القلب أول ما يبغته الشيء فينظر إلى نظر الله عز وجل فيستحيي ويحسن
الصبر كما قال عز وجل فإنك بأعيننا وهذا مقام المتوكلين على الله عز وجل والصبر أيضًا عن إظهار الكرامات
وعن الإخبار بكشف القدرة والآيات داخل في حسن الأدب من المعاملات وهو من معنى الحياء من الله عز وجل وهذا
طريق المحبين لله عز وجل وهو حقيقة الزهد ومن فضائل الصبر حبس النفس عن حب المدح والحمد والرياسة
وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثًا مقطوعًا الصبر في ثلاث الصبر عن تزكية النفس والصبر عن شكوى
المصيبة والصبر على الرضا بقضاء الله عز وجل خيره وشره ومن الصبر حبس النفس على الخمول والتواضع والذلة
إيثارًا للآخرة على الدنيا وتقربًا إلى الله عز وجل وتحققًا بوصف العبودية وترك المنازعة والتشبه بمعاني أوصاف
الربوبية تسليمًا للإلهية واستسلامًا للأحدية فلا يخرجنك قلة الصبر عن ذلك إلى الطلب لشيء منه فتزل
قدم بعد ثبوتها ومن الصبر صبر على العيال في الكسب لهم والإنفاق عليهم والاحتمال للأذى منهم فإن في العيال
طرقات إلى الله عز وجل أدناها الاهتمام بهم وأعلاها الرضا عن الله عز وجل والتوكل عليه فيهم وأوسطها الإنفاق
وحبس النفس عليهم واعلم أن أكثر معاصي العباد في شيئين قلة الصبر عما يحبون أو قلة الصبر على ما يكرهون
وقد قرن الله عز وجل الكراهة بالخير والمحبة بالشر في قوله سبحانه وتعالى فعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسى
أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم وحد الصبر هو أوله فريضة بمثل أول الإخلاص والصبر أيضًا حيلة من لا حيلة له
لأن الأمر إذا كان بيد غيرك لم يكن إلا الصبر عليه ولأن الشيء إذا كان لا يأتيك إلا قليلًا قليلًا وأنت محتاج إليه
لم يكن إلا الصبر عليه وإلا انقطع ذلك القليل وأصل قلة الصبر ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرت له لأنه لو
قوي يقينه كان الآجل من الوعد عاجلًا إذ كان الواعد صادقًا فيحسن صبره لقوة الثقة بالعطاء ولا يصبر العبد
إلا بأحد معنيين مشاهدة العوض وهو أدناهما وهذا حال المؤمنين ومقام أصحاب اليمين أو النظر إلى المعوض
وهو حال الموقنين ومقام المقربين فمن شهد العوض غني بالصبر ومن نظر إلى المعوض حمله النظر وقد جعل بعض
العارفين الصبر على ثلاثة معانٍ وأنه في ثلاث مقامات فقال أوله ترك الشكوى قال وهذه درجة التائبين
والثاني الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالث المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصادقين وقد
نوّع القدماء من السلف الصبر على ثلاثة أنواع فروينا عن الحسن وغيره الصبر على ثلاثة معانٍ صبر عن المعصية
وهو أفضلها وصبر على الطاعة وصبر في المصائب وهذا داخل في جمل ما فرقناه من معاني الصبر ومجمل
ذلك أن الصبر فرض وفضل يعرف ذلك بمعرفة الأحكام فما كان أمرًا وإيجابًا فالصبر عليه أو عنه فرض وما كان
حثًا وندبًا فالصبر عليه أو عنه فضل والتصبر غير الصبر وهو مجاهدة النفس وحملها على الصبر وترغيبها
فيه وهو التحمل للصبر والتصنع للصبور بمنزلة التزهد وهو أن يعمل في أسباب الزهد لتحصيل الزهد

والزهد والصبر هو التحقق بالوصف وذلك هو المقام ولا يخرج العبد من الصبر كراهة النفس ولا وجد المرارة
والألم بل يكون مع ذلك صابرا لأن هذا وصف البشرية لما بنا في طبعها ولكن يكون حاله الكظم عن الشكوى
ونفي السخط لحكم المولى لأن علمه ذلك وفقده هو الرضى وحقيقة التوكل وهذان من أعالي مقامات اليقين
وفقد مراتب اليقين لا يخرج عن حد الصبر والذي يخرج عن حد الصبر ضده وهو الجزع ومجاوزة الحد من
العلم وإظهار السخط وكثرة الشكوى وظهور الذم والتبرم ومن رياضة النفس حملها على التصبر وهو
مقام المتصبرين وحال ضعفاء المريدين أن النفس الأمارة إذا جنحت بك إلى فضول الشهوات أو نازعتك إلى
مطالبة تقديم العادات أن تمنعها حاجتها من كل شيء فيشغلها منع الحاجة ووجود الفاقة مما
لا بد منه عن طلب فضول الشهوات فإذا رضتها بالمنع ومنعتها محبوبها بالصبر عن الحلال انقادت لك بالتصبر
عن فضول الشهوات فيكون تاركا بعض عاجل من مباح وتكون صابرة عن فضل شهوة لما منعتها من نيل
الفاقة وتاركة للهوى طمعا في نوال الحاجة من الغذا وهذا من أدق أبواب الرياضات للنفوس الطامحات وفيه
فضل الأقوياء من المتصبرين الذين لم تستجب لهم نفوسهم بالصبر والصلاة ولم تنقد بالجوع والطي فأما
الضعفاء من أهل الطبقة الثالثة لا من الأولين أهل الصوم والصلاة ولا من هؤلاء فإنهم لا يصبرون على تصبر
النفس عن الحاجة كما لا تصبر نفوسهم عن الشهوة فرياضة هؤلاء لنفوسهم أن يعطوها من كل حرام معناه من
الحلال من كل شهوة مهلكة وصفها من شهوة مقتصدة لتسكن نفوسهم بذلك في حبسها عن المحرمات
وتنقطع شهوتها عما وراء ذلك من الموبقات فهذا نظير نفوس الضعفاء وقد اختلف الناس في الصبر
والشكر أيهما أفضل وليس يمكن الترجيح بين مقامين لأن في كل مقام طبقة متفاوتين والمحققون من
أهل المعرفة يقولون إنه لا يجتمع عبدان في مقام بالسواء لا بد أن يكون أحدهما أعلى بعلم أو عمل أو وجد
أو مشاهدة لتفاوت الوجه وإن كان الصواب والقصد واحدا وقد قال سبحانه وتعالى ولكل وجهة هو
موليها وقد قال سبحانه وتعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا قيل أقصد
وأقرب طريقا وظاهر الكتاب والسنة يدلان على تفضيل الصبر لقوله سبحانه وتعالى يؤتون أجرهم مرتين
بما صبروا والشاكر يؤتى أجره مرة فأشبه مقام الصبر مقام الخوف وأشبه مقام الشكر مقام الرجا
وقد قال الله عز وجل ولمن خاف مقام ربه جنتان وقد اتفق أهل المعرفة على تفضيل الخوف على الرجا
من حيث اتفقوا على فضل العلم على العمل فالصبر حال من مقامه الخوف لقرب حال الصابر في الفضل من
مقامه والشكر حال من مقامه الرجا كذلك لقرب حال الشاكر من مقامه ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم
في الخبر الذي ذكرناه قبل من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال

ما فاته وذكر الحديث فقرن الصبر باليقين الذي لا شيء أعز منه ولا أجل وارتفاع الأعمال وعلو العلوم به
وفي مناجاة أيوب صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم أن الله سبحانه وتعالى أوحى إليه يا أيوب بي آليت على
نفسي لا نشرت للصابرين ديوان توبيخ ولا نظروا إلى حد الصراط ولا روعهم نقص الميزان دارهم دار السلام
بيان آخر من تفضيل الصبر الصبر حال البلاء والشكر حال النعمة والبلاء أفضل لأنه على
النفس أشق مع قول الله سبحانه وتعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب والشاكر يؤتى أجره
بحساب لأن إنما تحقيق للوصف ونفي لما عداه وقد رفع علي رضي الله عنه الصبر على أربع مقامات اليقين
وجعلها دعائمه التي بها يستثبت وجعله فيه فوقها فقال في حديثه الطويل الذي وصف فيه شعب
الإيمان والصبر على أربع دعائم على الشوق والشفق والزهد والترقب فمن أشفق من النار رجع عن
المحرمات ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ومن ارتقب
الموت سارع في الخيرات فجعل هذه المقامات أركان الصبر لأنها تولد عنه ويحتاج إليه في جميعها وجعل الزهد
أحد أركانه وقد جعل الله سبحانه وتعالى الصبر حال التقوى ورفع المتقين في الإكرام درجات فقال
عز وجل إنه من يتق ويصبر وقال جل وعلا إن أكرمكم عند الله أتقاكم فالأكرم والأتقى فوق أن يقال
كرامكم المتقون لأن أكرم وأتقى يدل على تفاوت فمن كان أتقى كان أكرم عند الله سبحانه وتعالى ومن كان
أصبر على ما يوجب التقوى كان أتقى واعلم أن الصبر سبب دخول الجنة وسبب النجاة من النار لأنه جاء في
الخبر حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فيحتاج المؤمن إلى الصبر على المكاره ليدخل الجنة ويحتاج
إلى الصبر عن الشهوات لينجو من النار فأما تفصيل التفضيل فعلى ثلاثة أوجه أحدها أن المقامات
أعلى من الأحوال وقد يكون الصبر والشكر حالين وقد يكونان مقامين فمن كان مقامه الصبر كان حاله الشكر
عليه فهو أفضل لأنه صاحب مقام ومن كان مقامه الشكر كان حاله الصبر عليه فحاله مزيد لمقامه فقد
صار الصبر مزيدا للشاكر في مقامه والوجه الثاني في التفضيل المقربون أعلى من أصحاب اليمين
فالصابرون من المقربين أفضل من الشاكرين من أصحاب اليمين والشاكرون من المقربين أفضل من الصابرين
من أصحاب اليمين فإن قيل فإن كان الشاكر والصابر من المقربين فأيهما أفضل فقد قلنا إن اثنين
لا يتفقان في مقام من كل وجه لانفراد الوجه بمعاني لطائف اللطيف بمثل ما انفردت الوجوه بلطائف
الصنعة مع تشابه الصفات واستواء الأدوات فأفضلهما حينئذ أعرفهما لأنه أحبهما إلى الله
سبحانه وتعالى وأقربهما منه وأحسنهما يقينا لأن اليقين أعز ما أنزل الله سبحانه وتعالى
وجه آخر من بيان التفضيل نقول إن الصبر عما يوجب الشكر أفضل وإن الشكر على ما يوجب

الصبر افضل فهذا يختلف باختلاف الاحوال تفسيره ان الصبر عن حظ النفس وعن التنعم والرفه افضل
ان كان عبدا حاله النعمة والصبر عن النعيم والغنى مقام في المعرفة وهو افضل لان فيه الزهد المجمع على تفضيله
ونقول ان الشكر على الفقر والبلاء والمصائب افضل ان كان عبدا حاله الجهد والبلا والشكر عليه مقام له
في المعرفة فهو حينئذ افضل لان فيه الرضى المتفق على فضله **نوع آخر** من الاستدلال على فضل الصابر
وتفضيل الصبر جملة الصابر العارف افضل من العارف الشاكر لان الصبر حال الفقر والشكر حال الغنى
فمن فضل الشكر على الصبر في المعنى فكانه قد فضل الغنى على الفقر وليس هذا مذهب احد من القدما انما هو
طريقة علما الدنيا طرقوا لنفوسهم بذلك وطرقوا للخلق الى نفوسهم من ذلك لان من فضل الغنى على الفقر
فقد فضل الرغبة على الزهد والعز على الذل والكبر على التواضع وفي هذا تفضيل الراغبين والاغنيا
على الزاهدين والفقرا ويخرج ذلك الى تفضيل ابنا الدنيا على ابنا الاخرة وانما فضلنا الصبر على الشكر
في الجملة والمعنى لان الصبر حال من مقامه البلا واهل البلا هم الامثل فالامثل بالانبياء ولان الصبر ابعد
من اهوا النفوس واقرب الى الضراء والبوس واشد في كراهة النفوس وانفر لطباعها واشد مباينة لما
يلايمها فاذا سكنت معه ووجد عندها كان اعجز لوصفها واعجب في طمانينتها فمدحت بالسكون
والطمانينة وكانت راضية مرضية وايضا فان الله سبحانه وتعالى امر بالصبر وبالغ فيه بالمصابرة وكرمهما
بالمرابطة في قوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا قيل في احد الوجوه رابطوا
عليها فهذه ثلثة اوامر في معنى واحد يعني الصبر فهذا يدل على تعظيمه للصبر ومحبته له فمن وجد
منه ذلك كان اشد تعظيما لشعاير الله عز وجل ومن عظم شعاير الله عز وجل فهو اتقى لله عز وجل
ومن كان اتقى فهو اكرم على الله سبحانه وتعالى كما قال عز وجل ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى
القلوب ثم قال عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقاكم والصبر ايضا مقام اولي العزم من الرسل الذين امر
الرسول صلى الله عليه وسلم بالقدوة بهم وباهى الله عز وجل بهم عنده فقال جل وعلا فاصبر كما صبر اولو العزم
من الرسل وايضا فان العزايم في الدين اعلى من الرخص ورويناه عن سفيان الثوري عن حبيب بن ابي ثابت
رضي الله عنهما قال سيل مسلم البطين رحمه الله عليه ايما افضل الصبر ام الشكر فقال الصبر والشكر
والعافية احب الينا وقد قيل في معنى قوله عز وجل الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه قيل شدايده
وعزايمه لان الاخذ بالحلال من الدنيا حسن والزهد فيه احسن وقد جعل الله سبحانه وتعالى الصبر من العزايم
في قوله عز وجل وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقد شرك الله سبحانه وتعالى عباده في الشكر
وافرد لنفسه الصبر فينبغي ان يكون المفرد للفرد اعلى من المشترك بالعبد فقال عز وجل ان اشكر لي

ولوالديك وقال عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل ولم يشرك
في الصبر من خلقه احدا فقال عز وجل ولربك فاصبر واصبر لحكم ربك واعلم ان الشكر داخل في الصبر والصبر
جامع للشكر لان من صبر ان لا يعصي الله عز وجل بنعمه فقد شكرها ومن صبر نفسه على طاعة الله عز وجل فقد
شكر نعمته وقد سيل الجنيد رضي الله عنه عن غني شاكر وفقير صابر ايهما افضل فقال ليس مدح الغني
بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه
اشيا تلايم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه اشيا تولم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا
كان الاثنان قايمين لله عز وجل بشرط ما عليهما كان الذي الم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع نفسه
ونعمها هذا نقل كلام الجنيد رحمه الله وكان ابو العباس بن عطا رحمه الله قد خالفه في ذلك فيقال
ان الجنيد رحمه الله دعا عليه فلحقه ما اصابه من البلا منه قتل اولاده وتلاف ماله وزوال عقله اربع عشرة
سنة فكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع عن قوله في تفضيل الغني على الفقير فصار يفضل الفقير
ويشرفه فاما المسلة التي سيل عنها بعض العلما القدما عن عبدين ابتلي احدهما فصبر وانعم على الاخر فشكر
فقال كلاهما سوا قال لان الله عز وجل اثنى على عبدين احدهما صابر والاخر شاكر ثناء واحدا فقال جل وعلا
في وصف ايوب صلى الله عليه وعلى ساير الانبيا وسلم نعم العبد انه اواب وقال في وصف سليمان صلى الله عليه وعلى
ساير الانبيا وسلم نعم العبد انه اواب ففي قول هذا غفلة عن لطايف الافهام وذهاب عن حقيقة تدبر
الكلام اذ عندنا بين ثناء الله عز وجل على ايوب عليه وعلى ساير الانبيا السلام في الفضل على ثنايه على سليمان
عليه وعلى ساير الانبيا السلام ثلثة عشر معنى وشركه سليمان عليه وعلى ساير الانبيا السلام بعد ذلك في
وصفين آخرين وافرد ايوب صلى الله عليه وعلى ساير الانبيا وسلم بفضل ثنا ثلثة عشر اول ذلك قوله عز وجل
في اول مدحه واذكر فهذه كلمة مباهاة باهى بايوب عليه السلم عند رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرفه
وفضله بقوله عز وجل واذكر يا محمد فامره بذكره والاقتدا به كقوله عز وجل فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل
قيل هم اهل الشدايد والبلا منهم ايوب صلى الله عليه وسلم قرضوا بالمقاريض ونشروا بالمناشير وكانوا سبعين
نبيا وقيل هم ابرهيم واسحق ويعقوب عليهم وعلى ساير الانبيا السلام وهولا ابا الانبيا وافاضلهم
كقوله عز وجل واذكر في الكتاب ابرهيم وكقوله سبحانه وتعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي
والابصار يعني اصحاب القوة والتمكن واهل البصاير واليقين ثم رفع ايوب صلى الله عليه وعلى ساير الانبيا
وسلم الى مقامهم فضمه اليهم وجعله سلوة له صلى الله عليه وسلم ثم ذكره اياه وذكره به ثم قال عز وجل
عبدنا فاضافه اليه اضافة تخصيص وتقريب ولم يدخل بينه وبينه لام الملك فيقول عبدا لنا فالحقه

ينظر اليه من اهل البلاء في قوله عز وجل واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب وهم اهل الابتلا الذين بالهمي
بهم الانبياء عليهم السلم وجعل من ذريتهم الاصفيا فاضاف ايوب عليه السلم اليهم في حسن الثناء وفي لفظ
التذكرة به في الثنا ثم قال سبحانه وتعالى نادى ربه فافرده بنفسه لنفسه وانفرد له في الخطاب بوصفه
وقال مسني الضر وانت ارحم الراحمين فوصفه عز وجل بمواجهة التملق له ولطيف المناجاة وظهر له بوصف
الرحمة فاستراح اليه به فناداه فشكا اليه واستغاث به فاشبه مقامه مقام موسى ويونس صلى الله عليهما
وعلى سائر الانبياء وسلم في قولهما سبحانك تبت اليك وفي قول الآخر لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
ومن خطاب المشاهدة ونظر المواجهة ثم وصفه بالاستجابة فوا هله لكشف الضر عنه وجعل دلاله سببا
لتنفيذ قدرته ومكانا لمجاري حكمته ومفتاحا لفتح اجابته ثم قال بعد ذلك ذلك ووهبنا له اهله فزاد
على سليمان صلى الله عليهما وعلى سائر الانبياء وسلم في الوصف اذ كان بين من وهب لاهله وبين من وهب
له اهله فضل في المدح لانه قال سبحانه وتعالى في وصف سليمان عليه وعلى سائر الانبياء السلام ووهبنا لداود
سليمان فاشبه فضل ايوب عليه وعلى سائر الانبياء السلام في ذلك على سليمان كفضل موسى على هارون
صلوات الله عليهما اجمعين لانه قال عز وجل في مدح موسى صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء وتفضيله على
هرون عليه وعلى سائر الانبياء السلام ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا وكذلك قال في مدح داود
ووهبنا لداود سليمان فوهب لموسى اخاه كما وهب لداود ابنه واشبه مقام ايوب في المباهاة والتذكرة
به مقام داود لانه قال سبحانه وتعالى ايضا في وصف داود صلى الله عليهم اجمعين لنبيه صلى الله عليه وسلم
اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود وكذلك قال في نعت ايوب عليه السلم واذكر عبدنا ايوب فقد
شبه ايوب بداود وموسى في المعنى ورفعه اليهما في المقام وهما عندنا افضل من سليمان فاشبه ان يكون
حال ايوب اعلى من حال سليمان عليهم السلم وعلم الله عز وجل المقدم ولكن هكذا يلقى في قلوبنا والله اعلم ثم قال
عز وجل بعد ذلك رحمة منا فذكر نفسه ووصفه عند عبده تشريفا له وتعظيما ثم قال عز وجل وذكرى
لاولي الالباب فجعله اماما للعقلاء وقدوة لاهل الصبر والبلاء وتذكرة وسلوة من الكرب للاصفياء
ثم قال سبحانه وتعالى انا وجدناه صابرا فذكر نفسه سبحانه وتعالى ذكرا ثانيا لعبده ووصل اسمه باسمه
حبا له وقربا منه لان النون والالف في وجدنا اسمه عز وجل والها اسم عبده ايوب عليه وعلى سائر الانبياء
السلم ثم قال عز وجل صابرا فوصفه بالصبر فاظهر مكانه في القوة خلقه بخلقه ثم قال عز وجل في آخر
اوصافه نعم العبد انه اواب فهذان اثنان وصف سليمان عليه وعلى سائر الانبياء السلم وآخره هاهنا شركه
في الثناء وزاد ايوب عليه وعلى سائر الانبياء السلام بما تقدم من المدح والوصف الذي لا يقوم له شيء

ثم قوله تعالى واذكر عبدنا ايوب الى قوله عز وجل نعم العبد انه اواب عظم من الفرقان عند اهل الفهم والتبيان
وجعل في اول وصف سليمان عليه وعلى سائر الانبياء السلام بانه وهبه لابيه داود صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء
وسلامه فصار حسنة من حسنات داود صلى الله عليه وعلى سائر الانبيا وسلم واشتمل قوله جل وعلا نعم العبد
انه اواب على اول وصفه واوسطه وهو آخر وصف ايوب عليه وعلى سائر الانبيا السلم وقد روينا في الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما وعلى سائر الانبيا السلام لمكان ملكه
وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لمكان غناه وفي لفظ آخر يدخل سليمان بن داود
الجنة بعد الانبياء عليهم السلم باربعين خريفا وقد جا في الآثار ان اول من يدخل الجنة اهل البلاء اولهم ايوب
عليه وعلى جميع الانبياء السلام وان ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله
اهل البلاء امامهم ايوب صلى الله عليه وعلى جميع الانبياء وسلم فقد زاد ايوب على سليمان عليهما وعلى الانبياء
السلام بعموم هذه الآثار لانه سيد اهل البلاء وتذكرة وعبرة لاولي النهى وامام اهل الصبر والضر والابتلا
ولم نقصد بما ذكرناه التفضيل بين الانبياء عليهم السلام لانا قد نهينا عن ذلك فيما روينا عن نبينا صلى
الله عليه وسلم لا تفضلوا بين الانبياء عليهم السلام ولكن الله سبحانه وتعالى قد اخبرنا ان بعضهم مفضل على بعض
في قوله سبحانه وتعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وانما اظهرنا فضل الثناء المستودع في الكتاب
واستنبطنا باطن الوصف المكرر في الخطاب في قصة ايوب على قصة سليمان صلى الله عليهما وعلى جميع الانبيا
وسلم بما ظهر لنا من فهم الخطاب في تدبر معاني الكلام وقد ندبنا الى الاستنباط في قول الرسول صلى الله عليه وسلم
اقروا القران والتمسوا غرايبه ولان في ذلك عزاء لاهل الضر والبلاء وتقوية لقلوبهم وتعريفا لسوابغ
نعم الله عز وجل عليهم واظهارا لبواطن النعم وتنبيها على لطايف الحكم وتزهيدا في الدنيا والنفس وترغيبا في
الآخرة والصبر وتفضيلا لطرايق اهل البلاء الذين هم الامثل فالامثل بالانبياء عليهم السلم فجا من ذلك
تفضيل المبتلى الصابر على بلايه رضي بحكم مولاه عز وجل وتسليما لمر قضايه على المنعم عليه الشاكر على نعمايه
اذ النعم ملايمة للنفس لا تحتاج معها الى مجاهدتها ولا حملها على المشقة فيها بالرضى بها والبلاء مباين للطبع
نافرة منه النفس تحتاج الى حملها عليه ومشقة فيه وما كرهته النفس فهو خير وافضل ولا سبيل اليه الا بسكينة
من الله عز وجل وتصبر عليه بقوة به وعناية منه عز وجل وايضا فقد جا في خبر اعرفكم بنفسه اعرفكم
بما ابتلاه به منها وما ابتلاها به منه فاعظم ما ابتلانا به محبتنا لها وابتلاؤها بعداوتنا فمن افضل ممن
صبر على مجاهدة عدوه على انه مع ذلك عدو لله منازع لصفات الربوبية ومن اشد بلاء ممن ابتلي بعداوتك
وابتليت بمحبته وانت في ذلك تترك محبته لمحبة الله عز وجل وتصبر على عداوته بدوام مجاهدته لمرضاة الله سبحانه وتعالى

فهذا اعزاز العدل وافضل الفضل ولا قوة الا بالله وما صبرك الا بالله جل وعلا آخر مقام الصبر

شرح مقام الشكر

وأوصاف الشاكرين قال الله جل جلاله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فقرن سبحانه وتعالى الشكر بالايمان ورفع بوجودهما العذاب وقال عز وجل وسنجزي الشاكرين وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وقال ابن مسعود رضي الله عنه الشكر نصف الايمان وقد امر الله سبحانه وتعالى بالشكر وقرنه الى الذكر في قوله سبحانه وتعالى فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقد عظم الله تعالى الذكر بقوله ولذكر الله اكبر فصار الشكر اكبر لاقترانه به ورضي بالشكر مجازاة من عباده لفرط كرمه الا ان قوله عز وجل فاذكروني اذكركم واشكروا لي خرج في لفظ المجازاة لتحقيق الامر وتعظيم الشكر لان الفاء للشرط والجزاء والكاف المنفردة للتمثيل فقوله عز وجل فاذكروني متصل بقوله عز وجل كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني واشكروا لي والمعنى كمثل ما ارسلت فيكم رسولا منكم فاشكروا لي والعرب تكتفي من مثل بالكاف كما اكتفت من سوف بالسين في قوله عز وجل سنؤتيهم وسنشد رحمهم فهذا تفضيل للشكر عظيم لا يعلمه الا العلماء بالله سبحانه وتعالى وقد روينا في اخبار ايوب صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء وسلامه ان الله سبحانه وتعالى اوحى اليه اني رضيت بالشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل وفي احد الوجوه من قوله سبحانه وتعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل طريق الشكر فلولا ان الشكر طريق قريب يوصل الى الله سبحانه وتعالى لما عول العدو على قطعه ولولا ان الشاكر حبيب رب العالمين عز وجل لما نقصه اللعين في قوله ولا تجد اكثرهم شاكرين ولذلك قال عز وجل وقليل من عبادي الشكور كما قال جل وعلا ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وقد قطع الله جل وعلا بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فيه واستثنى في خمسة اشياء في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال عز وجل فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال سبحانه وتعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال جل وعلا يرزق من يشاء وقال تعالى يغفر لمن يشاء وقال تعالى جده ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وحتم سبحانه وتعالى بالمزيد عند الشكر من غير استثناء فقال سبحانه وتعالى لئن شكرتم لازيدنكم فالشاكر على مزيد والشكور في نهاية المزيد وهو الذي يكثر شكره على القليل من العطاء ويتكرر منه الشكر والثناء على الشيء الواحد من النعم وهذا خلق من اخلاق الربوبية لانه سماه باسم من اسمائه والمزيد هو الى المنعم يجعله ما شاء فافضل المزيد حسن اليقين ومشاهدة الصفات واول المزيد شهود النعمة انها من المنعم عز وجل بها عن غير حول ولا قوة الا به عز وجل واوسط المزيد دوام الحال ومتابعة الخدمة والاستعمال وقد يكون المزيد اخلاقا ويكون علوما وقد يكون في الآخرة وتثبيتا عند فراق الدنيا وقد جعل الله

سبحانه وتعالى الشكر مفتاح كلام اهل الجنة وختام تمنيهم في قوله عز وجل الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال سبحانه وتعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فلولا انه احب الاعمال اليه ما بقاه عليهم لديه وروينا في مناجاة ايوب صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم ان الله سبحانه وتعالى اوحى اليه في صفة الصابرين دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الي ازيدهم وهذا غاية الفضل فاول الشكر معرفة النعم انها من المولى وحده لا شريك له فيها ولا ظهير له عليها اذ قد نفى ذلك عن نفسه لانه هو الاول في كل شيء لا شيء معه ولا ظهير له في شيء اذ قد جعل الضراء والسراء منه واليه جاريين على عباده فقال سبحانه وتعالى وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير الشرك الخليط والظهير المعين ثم قال عز وجل وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون وقال عز وجل ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وقال في جمل النعم بعد اضافتها اليه وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وقال جل وعلا واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فالاسباب مع صحتها والوسائط مع ثبوتها انما هي حكمة النعم ولحكامه وظروف العطاء وآثار المعطي لا يؤثر في الحكم بها ولا يجعل لها حكما ولا اجلا يعني لا تحكم ولا تجعل لانها مخلوقات فكيف تحكم ومجعولات فكيف تجعل لا حاكم الا الله وحده ولا يشرك في حكمه احدا وهذا الحرف في مقرا اهل الشام ابلغ واوكد لانه يخرج على الامر لانهم قرءوه بالتاء وجزم الكاف ولا تشرك في حكمه احدا فالاسباب احكام حق ووسائط حكمة فمشاهدة المنعم في النعمة وظهور المعطي عند العطاء حتى ترى النعمة منه والعطاء عنه هو شكر القلب ان الشكر عند الشاكرين معرفة القلب ووصفه لا وصف اللسان وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وامر باقتناء الشكر واتخاذه مالا في الآخرة عوضا من اقتناء الاموال في الدنيا فقال في حديث ثوبان وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما حين نزل في الكنوز ما نزل ساله عمر رضي الله عنه اي المال نتخذ فقال ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وروينا في اخبار موسى وداود صلى الله عليهما وعلى سائر الانبياء وسلم يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة اخرى منك توجب علي الشكر لك فاوحى الله عز وجل اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت ان النعم مني فقد رضيت منك بذلك شكرا وشكر اللسان حسن الثناء على الله سبحانه وتعالى وكثرة الحمد والمدح له واظهار انعامه واكرامه ونشر اياديه واحسانه وان لا يشكو المالك عز وجل الى المملوك ولا المعبود الجليل الى العبد الذليل وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم السؤال ثانية كيف انت فقال بخير فاعاد عليه الثالثة كيف انت فقال بخير

احمد الله واشكره فقال عليه السلام هذا الذي اردت منك يعني اظهار الشكر والثناء وانما كان السلف يتساءلون
عن احوالهم اذا التقوا ليستخرجوا بذلك حمد الله عز وجل وشكره فيكونوا شركاء في ذلك لانهم سبب ذكر
الله عز وجل فمن علمت انه يشكو مولاه عز وجل ويتسخط عند قضائه اذا سألته عن حاله فلا تسأله
فتكون انت سبب شكواه وشريكه في جهله وما اقبح بالعبد ان يشكو المولى الذي ليس كمثله شيء والذي بيده
ملكوت كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء ومثله كل شيء ومن الشكر ان يشكر الله سبحانه وتعالى على
اليسير لان القليل من الحبيب كثير وان الله سبحانه وتعالى حكيم فمنعه حكمة وقدرة فاذا عرف وجه الحكمة
في المنع مع القدرة على العطاء علم انه منعه ليعطيه فصار المنع عطاء وكان اليسير منه كثيرا ويعلم ان الذل
والصبر عند المنع عز وشرف وهو افضل وانفس عند العلماء من التعزز بالعبيد والتشرف بهم فان الطمع
والتذلل اليهم والاستشراف الى عبد مملوك مثلك ذل ذليل وحسن الذل للعزيز كحسن الذل للحبيب وقبح
الذل للذليل كقبح الذل للعدو وقد قال سبحانه وتعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا
عند الله الرزق واعبدوه وقد قال سبحانه وتعالى في معناه ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم
والعبادة هي الخدمة والطاعة عنه بذل ولا يحسن بالعبد المقبل ان يظهر فقره وفاقته الى غير مولاه الذي يلي
تدبيره ويتولاه لانه عليم خبير بحاله يسمعه ويراه فهو اعلم بما يصلحه منه وقد قال عز وجل في معناه ولو
بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى الموقن ان يشكر في القبض والمنع كما يشكر في العطاء والبسط
ثم يشهد الشاكر بقلبه شهادة يقين يعلم ان وصفه وصف العبودية وحكمه احكام العبيد محكوم عليه
باحكام الربوبية وانه لا يستحق على الله شيئا وان الله سبحانه وتعالى يستحق عليه كل شيء فالعبد خلقه وصنعته عز وجل
والرب عز وجل صانعه ومالكه فاذا شهد العبد هذه المشاهدة رأى لله سبحانه وتعالى عليه كل شيء فرضي منه
بادنى شيء ولم ير له على الله عز وجل شيئا فلم يقنع لله عز وجل منه بشيء ولم يطالب مولاه عز وجل بشيء فكثرة
الذكر وحسن الثناء وجميل النشر للنعماء وتعديد النعم والالاء هو شكر اللسان لان معنى الشكر في اللغة
هو الكشف والاظهار يقال كشر وشكر بمعنى اذا كشف عن ثغره واظهره فيكون اظهار الشكر وكشفه
باللسان ما ذكرناه كما جاء في الخبر ليس شيء من الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد وفي الحديث من قال سبحان الله
فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله كتب له ثلاثون حسنة ليس ان الحمد اعلى
من التوحيد ولكن لفضل مقام الشكر ولان الله عز وجل افتتح به كلامه في كتابه وفي الخبر الحمد رداء الرحمن
عز وجل وفي الحديث افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله ويكون ايضا ظهور الشكر
وغلبته في القلب شكر القلب ويكون شكر الله جل وعلا لعبده كشفه له ما ستر عنه واظهاره له ما حجبه منه

من العلوم والقدر وهو المزيد فيفيده ذلك حسن معرفة به وعلو مشاهدة منه وكله يرجع الى معنى الكشف
والاظهار واما شكر الجوارح للمنعم المفضل فهو ان لا يعصيه بنعمة من نعمه وان يستعين بنعمته على
طاعته ولا يستعين بها على معصيته فيكون قد كفرها كما قال سبحانه وتعالى بدلوا نعمة الله كفرا قيل استعانوا
بنعمه على معاصيه فالخلق لا يقدرون على تبديل نعم الله عز وجل ولكن معناه بدلوا شكر نعمة الله كفرا
وهذا من المضمر لظهور دليله عليه لانه عز وجل امرهم بالطاعة بالنعم فخالفوه فعصوه بها فكان ذلك
تبديلهم لما امر ومثله قوله عز وجل وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والمعنى شكر رزقكم تجعلونه تكذيبكم
برسل الله عز وجل وهذا من المحذوف ايضا وهي في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم مظهرة مفسرة روينا عنه انه
صلى الله عليه وسلم قرأ وتجعلون شكركم فهذا ظاهر وبمعناه ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد
العقاب اي يعاقب من كفر بالنعمة فضيع شكرها بمعصيته بها يعاقبه بزوالها وكذلك قوله عز وجل ولئن كفرتم
ان عذابي لشديد قيل ان كفرتم النعمة فقد يكون العذاب في الدنيا تبديل النعمة عقوبات وتغييرها هوانا
ومذلات وقد يكون العذاب مؤجلا كقوله عز وجل ان عذابها كان غراما قال طالبهم على النعم بالشكر فلم يكن عندهم
فاغرمهم ثمن النعم فحبسهم في جهنم وقد قال سبحانه وتعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال سبحانه وتعالى
وذروا ظاهر الاثم وباطنه ففيه تنبيه لاولي الالباب الذين وصل لهم القول ليتذكروا ان يذروا ظاهر الاثم
شكرا لظاهر النعم ويذروا باطن الاثم شكرا لباطن النعم وظاهر النعم عوافي الاجسام ووجود الكفايات
من الاموال وظاهر الاثم اعمال الجوارح من معاني حظوظ النفس وباطن النعم معافاة القلوب وسلامة العقود
وباطن الاثم اعمال القلوب السيئة مثل الاصرار وسوء الظن ونيات السوء وقال مطرف بن عبد الله
رضي الله عنه لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر لان مقام العوافي اقرب الى السلامة فلذلك
اختار حال الشكر على الصبر لان الصبر حال اهل البلاء الم تسمع الى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه
لقد سألت الله عز وجل البلاء فسله العافية حيث سمعه يقول في مرضه اللهم اني اسألك الصبر وقد روينا
عن الحسن البصري رضي الله عنه الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر والصبر عند المصيبة فكم من منعم عليه
غير شاكر وكم من مبتلى غير صابر وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى هذا في قوله وعافيتك
احب الي ومن الشكر الاعمال الصالحة فبالعمل فسر الله عز وجل وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشكر للنعم
فقال جل وعلا اعملوا آل داود شكرا اي للشكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عوتب في اجتهاده
وقيامه حتى تورمت قدماه افلا اكون عبدا شكورا فلجزاء المجاهدة حسن المعاملة شكرا المستعمل وجزاء
المنعم وقد قال بعض العلماء شكر القلب المعرفة بان النعم من المنعم لا غيره وشكر العمل كلما وهب الله عز وجل

كل عملاً أحدثت له عملاً ثانياً شكراً منك للعمل الأول فعلى هذا يتصل الشكر بدوام المعاملة وأول
الشكر عند العارفين أن لا يعصيه بنعمة من نعمه فيجعلها في طاعة الهوى فأما شكر الشاكرين فهو أن
يطيعه بكل نعمة فيجعلها في سبيل المولى عز وجل وهذا شكر جملة العبد وحقيقة الشكر التقوى وهو
اسم يستوعب جمل العبادة التي أمر الله سبحانه وتعالى بها عباده في قوله عز وجل يا أيها الناس اعبدوا
ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ثم عبر سبحانه وتعالى عن حقيقة شكره بتقواه وأخبر
أن التقوى هو الشكر فقال سبحانه وتعالى واتقوا الله لعلكم تشكرون وفي الشكر مقامان عن مشاهدتين
أعلاهما مقام الشكور وهو الذي يشكر على المكاره والبلاء والشدائد واللأواء ولا يكون كذلك حتى يشهد
ذلك نعماً توجب عليه الشكر لصدق يقينه وحقيقة زهده وهذا مقام في الرضى وحال من المحبة وبهذا
الوصف ذكر الله سبحانه وتعالى نبيه نوحاً صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم في قوله عز وجل إنه
كان عبداً شكوراً في التفسير أنه كان يشكر الله عز وجل على كل حال من خير أو شر أو نفع أو ضر وروينا
في الخبر ينادي يوم القيامة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون
قال الذين يشكرون الله عز وجل على كل حال وفي لفظ آخر على السراء والضراء وقال بعض العلماء في قوله عز وجل
وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال ظاهرة العوافي والغنى وباطنة البلاوي والفقر فهذه نعم الآخرة
كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لا عيش إلا عيش الآخرة والمقام الثاني من الشكر أن ينظر العبد إلى من
هو دونه ممن فضل هو عليه في أمور الدنيا وفي أحوال الدين فتعظم نعمة الله عز وجل عليه بسلامة قلبه ودينه
مما ابتلي الآخر به وتعظم نعمة الدنيا عليه بما أغناه الله سبحانه وتعالى وكفاه فيما أحوج الآخر إليه وألجأه
فيشكر على ذلك ثم ينظر إلى من فوقه في الدين ممن فضل عليه بعلم الإيمان وبحسن اليقين فيمقت نفسه
ويزري عليها ويتنافس في مثل ما رأى من أحوال من هو فوقه ويرغب فيها فإذا كان كذلك كان من الشاكرين
ودخل تحت اسم المهجير وقد روينا معنى ذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من نظر
في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله سبحانه وتعالى صابراً شاكراً ومن
نظر في الدنيا إلى من هو فوقه ونظر في الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله جل وعلا لا صابراً ولا شاكراً وقد
شرحنا هذا في مقام الرضى فكرهنا إعادته ههنا وكل وصف يكون العبد شاكراً به ويكون الشكر
مقاماً له فيه فإن كفر النعمة تلزمه بضده لأن الكفر ضد الشكر ومن كبائر النعم ثلاث من جهلها
أضاع الشكر عليها ومعرفتها شكر العارفين أولها استتار الله عز وجل بقدرته وعزته عن الأبصار
ولو ظهر للعيان لكانت معاصيهم كفراً لأنهم لم يكونوا ينقصون من المعاصي المكتوبة عليهم جناح بعوضة

ولأنه سبحانه وتعالى كان يظهر بوصف لا يمتنعون معه من المعاصي وراء هذا سرائر الغيوب إلا أنهم كانوا
يكفرون بالمواجهة لأنها كالحرمة الشاهدة وأيضاً لما كان لهم في الإيمان به من عظيم الدرجات ما لهم الآن
لأنهم حينئذ يؤمنون بالشهادة وهم اليوم يؤمنون بالغيب فرفعت لهم الدرجات بحسن اليقين ولذلك مدحهم
الله سبحانه وتعالى ووصفهم والنعمة الثانية إخفاء القدر والآيات عن عموم الخلق لأنها من سر الغيب
وصلاح العبيد واستقامة الدنيا والدين فلو ظهرت لهم لكانت خطاياهم الصغائر كبائر مع معاينة الآيات
ولما ضوعفت لهم على أعمالهم الحسنات كما ضاعفتها الآن للإيمان بالغيب والنعمة الثالثة تغييب
الآجال عنهم إذ لو علموا بها لما كانوا يزدادون ولا ينتقصون من أعمالهم الخير والشر ذرة فكان ذلك مع
علمهم بالأجل أشد مطالبة لهم وأوقع للهمة عليهم فأخفى ذلك عنهم معذرة لهم من حيث لا يعلمون ولطفاً
بهم ونظراً لهم من حيث لا يحتسبون ثم بعد ذلك من لطائف النعم شمول ستره لهم بعضهم عن بعض
وستره عند العلماء والصالحين ولولا ذلك لما نظروا إليهم ثم حجب عز وجل الصالحين عنهم ولو أظهر عليهم
آيات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية الله عز وجل لهم وقربهم منه لبطل ثواب المحسنين
إليهم ونحوهم قبول إحسانهم عليهم ولحبطت أعمال المسيئين إليهم ففي حجب ذلك وستره عما عمل العاملون لهم
في الخير والشر على الرجاء وحسن الظن بالغيب من وراء حجاب اليقين وتأخرت عقوبات المؤذين لهم عن المعاجلة
لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله سبحانه وتعالى وجليل قدرهم ففي ستر هذا نعم عظيمة على الصالحين
في نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة على المنتهكين لحرمتهم المصغرين لشعائر الله عز وجل
من جهلهم إذ كانوا أساءوا إليهم من وراء الحجاب فهذا هو لطف خفي من لطائف المنعم اللطيف الوهاب
عز وجل كما جاء في الخبر يقول سبحانه وتعالى من آذى لي ولياً من أوليائي فقد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر
لوليي فيكون مثل ذلك مثل من آذى نبياً وهو لا يعلم بنبوته قبل أن يخبره أنه رسول الله وأن الله
سبحانه وتعالى نبأه فلا يكون وزره كوزر من انتهك حرمة نبي قد كان علمه أنه نبي الله لعظيم حرمة النبوة
روينا عن جعفر الصادق وغيره من السلف رضي الله عنهم في معنى هذه النعم التي أوجبنا الشكر في
إخفائها قال إن الله عز وجل خبأ ثلاثاً في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئاً لعل رضاه
فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئاً لعل غضبه فيه وخبأ ولايته في عباده المؤمنين
فلا تحقروا منهم أحداً لعله ولي لله عز وجل وللشاكرين طريقان أحدهما أعلى من الآخر أولهما شكر الراجين
وهو حسن المعاملة لما أملوه ورجوه من ظواهر النعم فعملوا رجاء إتمامها فكان حالهم المسارعة والمسابقة
إلى الأعمال الصالحة شكراً لما ابتدأهم به خصهم دون سائر خلقه وأعلاهما شكر الخائفين وهو خوف

سوء الخاتمة والاشفاق من درك الشقا لحكم السابقة فكان خوفهم دليلاً على اغتباطهم بموهبة
الايمان وكان اغتباطهم يدل على عظيم قدر الاسلام في قلوبهم ونفيس مكانه عندهم فعظمت النعمة به عليهم
فعرفتهم بذلك هو شكر منهم فصار الخوف والاشفاق طريقا لهم في الشكر للرزاق وقد جعل سبحانه
وتعالى ذلك نعمة ودل نعمة تقتضي شكراً في قوله عز وجل قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما قال
بعض المفسرين انعم الله عز وجل عليهما بالخوف وهذا احد وجهي الكلام ولو لم يشكر العبد مولاه عز وجل
الا انه سبحانه وتعالى على هذه الاوصاف والاخلاق التي هي صفاته واخلاقه من نهاية الكرم والجود الذي
لا غاية له ومن غاية التفضل والحلم الذي لا نهاية له فلما كان سبحانه وتعالى لهذه الاخلاق الموجودة
والصفات الحسنى وجب ان يشكره العبيد لاجله سبحانه وتعالى لا لاجل نعمه وافعاله وهذا شكر
المحبين اذ لو كان سبحانه وتعالى على غير هذه الصفات والاخلاق التي عرفه بها العارفون لا بد لهم منه
اي شيء كان يصنع العباد واي حيلة كانت لهم تكون فله الحمد كله وله الشكر كله كما هو مستحقه واهله بحمده
لنفسه ولا ينبغي ذلك الا له سبحانه سبحانه كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله اذ كان لم يزل على
ما هو الآن ولا يزال ابدا على ما كان من الاوصاف الكاملات والنعوت التامات والاسماء الحسنى والامثال
العلى ومعرفة هذا هو شكر العارفين ومشاهدته هو مقام المقربين فشكر هولاء لله عز وجل لاجل الله
عز وجل ودعا هولاء التمجيد والتقديس واعمالهم الاجلال والتعظيم للاجل العظيم وسؤالهم تجلي الصفات
والنصيب من مشاهدة معاني الذات ووصف هذا لا يوصف وشرحه بالمعقول لا يعرف وهذا داخل في
مشاهدة قوله تعالى لمن شهد سر الكلام اذ يقول عز وجل ليس كمثله شيء وعن هذه المشاهدة اغتبط
موسى صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء وسلامه بالربوبية وانس بالتقرب وانبسط بالتمكين فقال لي
ما ليس لك فقال الله سبحانه وتعالى وما هو قال لي مثلك وليس لك مثل نفسك قال صدقت يعني لي انت
على هذه الاوصاف التي هي غاية الطالبين ولا مزيد عليها للراغبين وليس لك كانت اذ ليس كمثلك شيء اذ
لا اله الا انت ومن غامض النعم الشكر على هذه المعاني ما زوى عنك وصرفه من فضول الدنيا فانه اقل
للشغل والاهتمام وايسر للحساب ثم ما ابتلى به غيرك من الدنيا مما شغله به عنه وقطعه دونه ففي
صرف الدنيا عنك وابتلاء غيرك بها نعمتان عليهما شكران وكذلك اذا رايت مبتلى في دينه بصفات
المنافقين او مبتلى في نفسه باخلاق المتكبرين او منهمكا فيما عليه من افعال الفاسقين عد جميع ذلك
نعما من الله سبحانه وتعالى عليك اذ لم يجعلك كذلك لانك قد كنت انت ذاك لولا فضل الله عليك
ورحمته فتحسب كل ما وجهه الى غيرك من الشر او صرف عنك من الخير نعما عليك بمثل ما وجهه من الخير اليك

وصرف من الشر عنك لان النفوس كنفس واحدة في الامر بالسوء والمشية والقدرة واحدة فقد رحمك
بما صرف من السوء عنك فذلك من فضل نعمة الله سبحانه وتعالى عليك فمعرفتك بذلك شكر منك لله
سبحانه وتعالى واكثر عقوبات الخلق من قلة الشكر على النعم واصل قلة الشكر الجهل بالنعمة وسبب الجهل
بالنعمة قصور العلم بالله سبحانه وتعالى وطول الغفلة عن المنعم وترك التفكر في نعمه والتذكر لآلائه
ومننه وقد امر بذلك سبحانه وتعالى في قوله عز وجل واذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قيل نعمه وقال
عز وجل في المفسر واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة فاذا جهل العبد النعمة لم
يعرفها واذا لم يعرفها لم يشكر عليها واذا لم يشكر انقطع مزيده ومن انقطع عنه المزيد فهو في نقصان
ما ادعا وايضا فان لم يشكر النعم لجهله بها لم يؤمن عليه كفرها فان كفرها ادركه العذاب الشديد
للوعيد الا ان تداركه نعمة من ربه ومن افضل النعم واجلها نعمة الايمان به ثم نعمة الرسول صلى الله
عليه وسلم ثم نعمة القرآن ثم ان جعلنا من خير امة اخرجت للناس وقبل ذلك هي اول نعمة عقلناها
ان جعلنا موجودين دون سائر المعدومات ثم جعلنا حيوانا دون سائر الموات ثم جعلنا بشرا دون
سائر الحيوان ثم ان جعلنا ذكورا دون الاناث ثم تصويرنا في احسن تقويم ثم عوافي القلوب من الزيغ
عن السنة ومن الميل الى دواعي النفوس الامارة ثم صحة الاجسام ثم كثيف الستر ثم حسن الكفاية
للحاجات ثم صنوف ما اظهر من الازواج للاقوات واصول نعم المرافق اربعة اولها النطفة التي اثمرت
في خزانة الارحام جميع البهائم والانام ثم الحرث الذي اخرج من خزانة الارض جميع الثمر ثم الماء الذي لنا
منه شراب ومنه شجر ثم النار التي فيها ضياء ومصالح الاطعمة وبها لاهل البصائر تذكرة وهذه النعم هي
التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في آخر سورة الواقعة واضافها الى نفسه ولم يجعل فيها شريكا معه ثم
تسخير الصنعة لنا مما بين الارض والسماء فهذه امهات النعم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فلما كثرت
النعم حسنت كثرة الشكر عليها وعظم وكان ابو محمد رحمه الله يقول خص بمعرفة النعم وبمعرفة عظيم
حلم الله عز وجل وستره الصديقون وقد قال الله احسن الواصفين وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله
لغفور رحيم فختم النعمة بوصفيه اللذين هو لهما اهل من المغفرة والرحمة ثم قال ايضا عز وجل في مثله
ان الانسان لظلوم كفار فكان اعظم للنعمة واوسع في الكرم والمنة على وصفي الانسان اللذين هو
لهما اهل من الظلم والكفر فهو سبحانه وتعالى اهل التقوى واهل المغفرة والعبد اهل لما وصفه به مولاه
عز وجل الا ان يجود عليه بتقديم ما به تولاه فبنعمته اطاعه العاملون ومن نعمته حلمه عليهم وبنعمته
عصاه الجاهلون ومن نعمته ستره وحلمه عنهم ومن النعم اظهار الجميل وستر القبيح فلا ندري اي النعمتين

أعظم وقد تمدح الله سبحانه وتعالى بهما في الدعاء المأثور يا من أظهر الجميل وستر القبيح ومن النعم
الصحة والفراغ هما أول نعيم الدنيا وأصول أعمال الآخرة وبهما تكون المغابنات كما قال الرسول
صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وكان الفضيل رضي الله عنه
يقول عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم وقال بعض السلف النعم وحشية
فقيدوها بالشكر وقد روي في الخبر ما عظمت نعمة الله سبحانه وتعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه
فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقد قال الله سبحانه وتعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
قيل لا يغير نعمة عليهم حتى يغيروا ما بتضييع الشكر فيعاقبهم بالغير والوجه الآخر لا يغير ما بهم من
عقوبة حتى يغيروا معاصيهم بالتوبة فقد تبين بذلك السبب الأول من حكمه ثم ذكر السبب الثاني من حكمته
ومن سبب الأسباب بمشيئته وحكمته ويقال إن تحت كل شعرة في جسم العبد نعمة وبكل عرق في جسده
نعمتان في تسكينه وتحريكه وفي كل عظم أربع نعم وبكل مفصل سبع نعم وفي جسم الإنسان ثلثمائة وستون
مفصلا وكذلك العظام وفي كل طرفة نعمتان وفي كل نفس نعمتان وفي كل دقيقة يأتي عليه من عمره نعم
لا تحصى والدقيقة جزء من اثني عشر جزءا من شعيرة والشعيرة جزء من اثني عشر جزءا من ساعة والأنفاس
أربعة وعشرون ألف نفس في اليوم والليلة وروينا في أخبار موسى صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم يا رب
كيف أشكرك وأنت في كل شعرة من جسدي نعمتان أن لينت أصلها وأن طمست رأسها وقد روينا
في الأثر من لم يعرف نعم الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه هذا مع سوابغ النعم
من العوافي والكفايات والوقايات ويقال إن في باطن الجسم من النعم سبعة أضعاف النعم التي في ظاهره
وإن في القلب من النعم أضعاف ما في الجسم كله من النعم وإن نعم الإيمان بالله عز وجل والعلم واليقين أضعاف
نعم الأجسام والقلوب فهذه كلها نعم مضاعفة على نعم مترادفة لا يحصيها إلا من أنعم بها ولا يعلمها
إلا من خلقها ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير سوى نعم المطعم والمشرب والملبس والمنكح من دخول
ذلك وخروجه وكثرة تكريره وتزايده بأن أدخل مهناه وأخرج أذاه وبقى في الجسم قواه وبان طيب
مدخله ويسر مخرجه وبقى منفعته وأحاله من صورته وغير من صفته والتزهيد والذلة والاعتبار
والتذكرة وتلك أيضا نعم ويقال إن الرغيف لا يستدير حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صنعة من
السماء والأرض وما بينهما من الأجسام والأعراض والأفلاك والرياح والليل والنهار ودورانهما وأنهارهما ثم
ومعادن الأرض أولها ميكائيل الذي يكيل الماء من الخزائن فيفرغه على السحاب ثم السحاب الذي يحمله ثم يرسله
ثم الرياح التي تحمل السحاب ثم الرعد والبرق الملكان اللذان يسوقان السحاب وآخرها الخباز فإذا استدار

رغيفا طلبه سبعة آلاف صانع وكل صانع أصل من أصول الصنائع فهذه كلها نعم في حضور رغيف
فكيف بما زاد عليه مما وراءه فعلى العبد في كل نعمة شكر إن طولب بشكر نعمة واحدة على حقيقتها هلك
إلا أن يتغمده رحمة من ربه فيغمسه لتمام النعمة وروينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا
يقول اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وقيل لبعض الحكماء
ما النعيم قال الغنى فإني رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال العافية فإني رأيت السقيم لا عيش له قيل زدنا
قال الأمن فإني رأيت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فإني رأيت الهرم لا عيش له قيل زدنا قال لا
أجد مزيدا وبعض ما ذكرناه مواصل الوجوه في قوله عز وجل أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قيل الشباب وقيل
الفراغ وقيل الأمن والصحة وفي قوله سبحانه وتعالى وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون قيل العوافي والغنى
وبمعناه في قوله عز وجل وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافي وباطنة البلاوي لأنها سبب
نعيم الآخرة ومزيدها لقوله عز وجل ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين وقد جاء في الخبر
من أصبح معافى في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وأنشدت في معناه
لبعض أهل القناعة
إذا القوت يأتي لك والصحة والأمن ... وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن
وأنشدت لآخر في نحوه
كسرة وفلقة خبز وكوز ماء وأمن ... ألذ من كل عيش يحويه سحب وسجن
وحدثونا أن عابدا عبد الله عز وجل سبعين عاما فأرسل الله سبحانه وتعالى ملكا يبشره بدخوله الجنة
برحمة الله عز وجل فتجسس في نفسه بل بعملي فأطلع الله سبحانه وتعالى على ذلك منه فأوحى إلى عرق ساكن
من عروقه أن تحرك عليه قال فاضطرب لذلك وقلق وانقطعت عبادته وذهبت أعماله شغلا منه
بنفسه ثم أوحى الله عز وجل إلى العرق أن اسكن فسكن فرجع العبد إلى عبادته فأوحى الله عز وجل إليه إنما
قيمة عبادتك عرق واحد سكن من عروقك فاعترف وروينا معناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوصف آخر أن رجلا عبد الله عز وجل سبعين عاما قال فيأمر الله عز وجل به إلى الجنة برحمته فيقول
بل بعملي فيقول الله سبحانه وتعالى أدخلوا عبدي الجنة بعمله قال فيمكث في الجنة سبعين عاما فيأمر الله
عز وجل به أن يخرج ويقال له قد استوفيت ثواب عملك قال فيسقط في يديه ويندم فينظر أقوى
شيء كان في نفسه بينه وبين ربه عز وجل فإذا هو الرجاء وحسن الظن فيقول يا رب أدخلني في الجنة
برحمتك لا بعملي قال فيقول الله سبحانه وتعالى ردوا عبدي في جنتي برحمتي وحدثت عن رجل شكا
إلى بعض أهل المدينة فقره وأظهر لذلك غمه فقال له الرجل أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف قال لا
قال فيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف قال لا قال فيسرك أنك أقطع اليدين أو الرجلين ولك عشرة آلاف

قال لا قال فيسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف قال لا قال أفما تستحيي أن تشكو مولاك عز وجل وله
عندك عروض بخمسين ألفاً وهذا كما قال لأن في الإنسان قيم هذه الأشياء من الجوارح وزيادة من المال
لأنها ديات جوارحه لو قطعت وحدثني بعض الشيوخ في معناه أن بعض القراء المقربين اشتد به الفقر
حتى أحزنه وضاق به ذرعاً قال فرأى في المنام كأن قائلاً يقول له تود أنا أنسيناك سورة الأنعام
وأن لك ألف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيم مائة ألف وأنت
تشكو الفقر فأصبح وقد سري عنه غمه وهو الذي جاء في الخبر تغنوا بالقرآن أي استغنوا به ومن لم يستغن
بآيات الله عز وجل فلا أغناه الله عز وجل وإن القرآن هو الغنى الذي لا فقر معه ولا غنى بعده ومن آتاه الله عز وجل
القرآن فظن أن أحداً أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله عز وجل وفي لفظ آخر فقد استخف بما أنزل الله
عز وجل وفي الحديث المشهور ليس منا من لم يتغن بالقرآن وفي الخبر المجمل كفى باليقين غنى والقرآن هو
حق اليقين وروينا عن بعض السلف يقول الله عز وجل إن عبداً أغنيته عن ثلاث لقد تمت عليه نعمتي
عن سلطان يأتيه وطبيب يداويه وعما في يد أخيه وروينا في مناجاة أيوب عليه وعلى سائر الأنبياء
السلام أن الله سبحانه وتعالى أوحى إليه ما من عبد لي من الآدميين إلا ومعه ملكان فإذا شكر على نعمائي
قال الملكان اللهم زده نعماً على نعم فإنك أهل الشكر والحمد فكن من الشاكرين قريباً وزدهم شكراً وزدهم
من النعماء وكفى بالشاكرين يا أيوب علو الرتبة عندي وعند ملائكتي فأنا أشكر شكرهم وملائكتي يدعون
لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكي عليهم فكن يا أيوب شاكراً ولآلائي ذاكراً ولا تذكرني حتى أذكرك
ولا تشكرني حتى أشكر أعمالك أنا أوفق أوليائي لصالح الأعمال وأشكرهم على ما وفقتهم واقتضيتهم الشكر
ورضيت به مكافاة فرضيت بالقليل على الكثير وتقبلت القليل وجازيت عليه بالجزيل وشر العبيد عندي
من لم يشكرني إلا في وقت حاجته ولم يتضرع بين يدي إلا في وقت عقوبته وذكر الكلام وقد جعل الله سبحانه
وتعالى الشاكرين بوصف الصابرين والمقربين والعالمين وهذه الأوصاف الثلاثة من أعالي مقامات الموقنين
فقال سبحانه وتعالى وقليل من عبادي الشكور كما قال عز وجل إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل
ما هم وكما قال في وصف المقربين ثلة من الأولين وقليل من الآخرين وقال عز وجل ما يعلمهم إلا قليل وفي
حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم سلوا الله عز وجل العافية فما أعطي عبد أفضل
من العافية إلا اليقين ففضل العافية على كل عطاء ورفع اليقين فوق العافية لأن بالعافية يتم نعيم
الدنيا واليقين معه وجود نعيم الآخرة فلليقين فضل على العافية كفضل الدوام على الانتقال والعافية
سلامة الأبدان من العلل والأسقام واليقين سلامة الأديان من الزيغ والأهواء فهاتان نعمتان تستوعبان

عظيم الشكر من العبد كما استوعب القلب والجسم جميع النعم من الملك ومن أقوى المعاني في قوله سبحانه وتعالى
يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم قيل سالم من الشك والشرك والسالم الصحيح المعافى
وبوجود عافية اليقين في القلوب عدم الشك والنفاق وهي أمراض القلوب كما قال عز وجل في قلوبهم مرض
قيل شك ونفاق وعافية القلب أيضاً من الكبائر كما قال عز وجل فيطمع الذي في قلبه مرض يعني الزنا ويقال
ما من مصيبة إلا ولله عز وجل فيها خمس نعم أولها أنها لم تكن في الدين ويقال إن كل مصيبة في غير الدين
فهي طريق لك في الدين والثانية أنها لم تكن أكبر منها والثالثة أنها كانت عليه لا محالة فقد نفذت واستراح
منها والرابعة أنها عجلت في الدنيا ولم تؤجل إلى الآخرة فتعظم على مقدار عذاب الآخرة الخامسة أن ثوابها خير
منها فإن المصيبة إذا كانت في أمر الدنيا فهي طريق إلى الآخرة وحدثت أن العباس رضي الله عنه لما توفي
قعد عبد الله للتعزية فدخل الناس أفواجاً يعزونه فكان فيمن دخل أعرابي فأنشأ يقول
اصبر نكن بك صابرين فإنما صبر الرعية بعد صبر الراس خير من العباس أجرك بعده والله خير منك للعباس
فقال ابن عباس رضي الله عنهما ما عزاني أحد تعزية الأعرابي واستحسن ذلك وعندنا في قول الله عز وجل
إن الإنسان لظلوم كفار قيل ظلوم بالتسخط كفار بالنعم وفي قوله عز وجل إن الإنسان لربه لكنود
قيل هو الذي يشكو المصائب وينسى النعم ولو علم أن مع كل مصيبة عشر نعم بحذائها وزيادة قلت شكواه
وبدلها شكراً ثم إن المصائب لا تخلو من ثلاثة أقسام كلها نعم من الله عز وجل إما أن تكون درجة وهذا للمقربين
والمحسنين أو تكون كفارة وهذا خصوص أصحاب اليمين وللأبرار أو تكون عقوبة وهذا للكافة من المسلمين
فتعجيل العقوبة في الدنيا رحمة ونعمة ومعرفة هذه النعم طريق الشاكرين ومن أفضل النعم عند العلماء
نعمة الإيمان ثم دوامه لأن دوام الشيء نعمة ثانية لأنه يحكم بأن عن مشيئة ثانية لأن الإرادة منه تبارك
وتعالى بحكم الإظهار لا توجد دوام المظهر فكان الشيء يظهر بإرادته ثم يتلاشى كما لم يكن إلا أن
يحكم الله عز وجل حكماً ثانياً بنعمة ثانية بالثبات والدوام إذ لم يرد دوام السموات والأرض ما داما ولو
لم يرد دوام ثبات الجبال ما ثبتت كذلك لو لم يرد دوام الإيمان وثباته في القلوب بعد الكتب لظهر بالكتب
ثم امحى ورجع القلب إلى الكفر ولكنه عز وجل أنعم نعماً لا تحصى بدوامه وثبوته فثبت في القلب ومنه
قوله عز وجل يمحو الله ما يشاء ويثبت أي يمحو ما لا يشاء ثبوته ويثبت ما يحب ولا يستطيع العبد
شكر نعمة الإيمان ومعرفة بداية التفضل به وتقديم الإحسان من غير تقديم من العبد ولا استحقاق بل
بفضل الله سبحانه وتعالى برحمته وهذا أحد الوجوه في قول الله تبارك وتعالى كلا لما يقض ما أمره أي لا
يقضي العبد أبداً شكر ما أمره الله تبارك وتعالى من نعمة الإسلام التي هي أصول النعم في الدنيا والآخرة

وهي سبب النجاة من النار ومفتاح دخول الجنة ولا اول للعبد فيها ولا شفيع كان لولا الله سبحانه
وتعالى بها ثم دوام ذلك وثباته مع الطرف في الانفاس بمدد منه نعم مترادفة ومن هذا قوله عز وجل
كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه اي قواهم بمدد يثبتهم ويقويهم وهو معنى قوله عز وجل يثبت
الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ومن هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم يا مقلب
القلوب اي عن الايمان ومقلبها في الشك والشرك ثبت قلبي على طاعتك ومعرفة هذه النعمة اللطيفة
العظيمة تستخرج من القلب خوف سوء الخاتمة لمشاهدة سرعة تقليب القلب بالمشية وذلك مزيد شكرها
وهذا داخل في معنى قوله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما اسدى اليكم من نعمه ولما يغذوكم به ايضا من افضل
ما غذانا به من نعمة الايمان له والمعرفة به وغذاؤه لنا من دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتنا عليه
في تصريف الاحوال اذ هو اصل الاعمال التي هي مكان النوال فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا
في الذنوب او قلب قلوبنا في الشك والضلال كما يقلب نياتنا في الاعمال اي شي كنا نصنع وعلى اي شي
كنا نعول وباي شي كنا نطمئن ونرجو فهذا من جبائر النعم ومعرفته من معرفة شكر نعمة الايمان والجهل
بهذا غفلة عن نعمة الايمان يوجب العقوبة وادعاء الايمان انه عن كسب معقول او استطاعة بقوة وحول
مكفر بنعمة الايمان واخاف على من توهم ذلك ان يسلب الايمان لانه بدل نعمة الله كفرا وقد جعل
الله تبارك وتعالى الخيرات من كسب الايمان وليس لنا فيما يكسبنا الخيرات مكان بل الله عز وجل من علينا
ان هدانا للايمان وجعله سببا يكسب لنا باحسانه الاحسان كما قال عز وجل او كسبت في ايمانها خيرا
قبل التوبة وقبل الصالحات كلها كسب الايمان ومن النعم بعد الايمان توفيقنا للحسنى وتيسيرنا لليسرى
ثم صرف الكفر ولخلاق الكفرة واعمالهم عنا ثم تزيين الايمان وتحبيبه الينا وتكريه الفسوق والعصيان
فضلا منه ونعمة الى ما لا يحصى من نعمه فشكر ذلك لا يقام به الا بما وهب ايضا وانعم به من المعرفة بذلك
والمعونة عليه والحيا من تتابع النعم من الشكر والمعرفة بالتقصير عن الشكر شكر والاعتذار من قلة
الشكر شكر والمعرفة بعظيم الحلم وكثيف الستر شكر والاعتراف بان اعطى من حسن الثناء وجميل النشر
انه من النعم عن غير استحقاق من العبد بل يضاف الى نعمه من الشكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل
فيها شكر وشكر الخلق بالدعاء لهم وحسن الثناء عليهم لانهم ظروف العطاء واسباب المعطي يخلف
بالخلاق المولى من الشكر وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول
وتكبير صغيرها وتعظيم حقيرها من الشكر لان طائفة هلكت باستصغار الاشياء واستحقار وجود
المنافع بها جهلا بحكمة الله عز وجل واستصغارا لنعمه فكان ذلك كفرا بالنعم ومن الناس من يقول

ان الصبر افضل من الشكر وليس يمكن بينهما تفضيل عند اهل التحصيل من قبل ان الشكر مقام بجملة
من المؤمنين والترجيح بين جماعة على جماعة لا يصح من قبل تفاوتهم في اليقين والمشاهدات لان بعض الصابرين
افضل من بعض الشاكرين لفضل معرفته وحسن صبره وخصوص الشاكرين افضل من عموم الصابرين
لحسن يقينه وعلو شهادته ولكن تفصيل ذلك من طريق الاحوال والمقامات انا نقول والله اعلم ان الصبر
عن النعيم افضل لان فيه الزهد والخوف وهما اعلى المقامات وان الشكر على المكاره افضل لان فيه البلا والرضى
وان الصبر على الشدائد والضراء افضل من الشكر على النعم والسراء من قبل انه اشق على النفس وان
الصبر مع حال الغنى والمقدرة ان يعصى بذلك افضل من الشكر على النعم من قبل ان الصبر عن المعاصي بالنعم
افضل من الطاعة بها لمن جاهد نفسه فيها فاذا شكر على ما يصبر عليه فقد صار البلا عنده نعمة وهذا
افضل لانها مشاهدة المقربين واذا صبر عما يشكر عليه من النعم كان افضل لانها حال الزاهدين وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلا ثم الامثل فالامثل يعني الاقرب شبها بنا
فالاقرب فرفع اهل البلاء اليه ووصف نفسه به وجعلهم الامثل فالامثل منه فمن كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم
امثل كان هو الافضل فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شاكرا على شدة بلائه كذلك الشاكرين
الصابرين يكون افضل لشكره على البلاء اذ هو الامثل والاقرب الى وصف الانبياء وكل مقام من مقامات
اليقين يحتاج الى الصبر والى الشكر واحدهما لا يتم الا بالآخر لان الصبر يحتاج الى الشكر عليه ليكمل والشكر
يحتاج الى الصبر فيه ليستوجب المزيد وقد قرن الله عز وجل بينهما ووصف المؤمنين بهما فقال عز وجل ان في
ذلك لآيات لكل صبار شكور فذكر الشكر بلفظ المبالغة في الوصف على وزن فعول كما ذكر الصبر على لفظ
فعال وهو وصف للمبالغة ايضا ولذلك اقتسما الايمان نصفين كما جا في الخبر الصبر نصف الايمان
والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله لانه اصلهما ومما ثمرناه عنه يوجد ان الشاكر ايقن
بالنعمة انها من المنعم وايقن بانجاز وعده من المزيد فشكر كما ايقن الصابر بمسببه بالبلاء انه
هو المبلي وايقن بثواب الصابرين وحسن ثناء المبتلى فصبر فهما حالا الموقن اذ لا يخلو في ادنى وقت
من احد اثنين بلية او نعمة اذ في كل شي له آية فحاله في البلية الصبر وحاله في النعمة الشكر والله
يحب الصابرين والله يحب الشاكرين ولا قوة الا بالله آخر مقام الشكر **شرح مقام الرجا** قال الله سبحانه وتعالى
الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وقال سبحانه وتعالى وكان بالمؤمنين رحيما وقال عز وجل قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وروينا في قراءة النبي صلى الله
عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر فقبض قبضة فقال هولاء في الجنة ولا ابالي المعنى والله اعلم

ان رحمتي وسعت كل شيء وليس يضيق هؤلاء عنها فلا ابالي بدخولهم فيها ويلون ايضا هؤلاء في الجنة
ولا ابالي باعمالهم السيئة كلها وقال سبحانه وتعالى في وصف المتقين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا
انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله وقال عز وجل في وصف المحسنين
يعني المتوكلين الا اللهم ان ربك واسع المغفرة وقال عز وجل مخبرا عن الملائكة الحافين حول عرشه والملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر جل وعلا ان النار اعدها لاعدائه وانه خوف بها اولياءه
فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ومثله قوله عز وجل واتقوا النار
التي اعدت للكافرين وقوله عز وجل فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال
سبحانه وتعالى في عفوه عن الظالمين وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يزل يسال في امته حتى قيل له اما ترضى وقد انزلت عليك هذه الاية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
وفي تفسير قوله عز وجل ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد صلى الله عليه وسلم واحد من امته في النار
وكان ابو جعفر محمد بن علي رضي الله عنهم يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى اية في كتاب الله عز وجل قوله سبحانه وتعالى
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ونحن اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله عز وجل
قوله سبحانه وتعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وعن ربه تبارك وتعالى ان يرضيه في امته وروينا
في حديث ابي بردة عن ابيه عن ابي موسى رضي الله عنهم يرفعه الى النبي عليه السلام امتي امة مرحومة لا عذاب عليها
في الاخرة جعل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من امتي رجل من
اهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار وروينا في لفظ آخر ياتي كل رجل من هذه الامة بيهودي او نصراني
الى جهنم فيقول هذا فداءي من النار فيلقى فيها وفي الخبر الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار
وروينا في تفسير قوله عز وجل يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى نبيه
صلى الله عليه وسلم تريد ان اجعل حساب امتك اليك فقال لا يا رب انت خير لهم مني فقال اذا لا اخزيك فيهم
وقال سفيان الثوري ما احب ان يجعل حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله سبحانه وتعالى ارحم بي منهما
وروينا في خبر سلمة بن وردان عن انس بن مالك رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ربه
عز وجل في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم الي لئلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله عز وجل
اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيري لئلا ينظر الى مساويهم انت ولا
غيرك وروينا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال حياتي خير لكم وموتي خير لكم اما حياتي فاسن لكم السنن
واشرع الشرايع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا حمدت الله عز وجل وما رايت منها

سيئا استغفرت الله عز وجل لكم ورويناه في الاثر اذا تاب العبد من ذنوبه انسى الله سبحانه وتعالى الملائكة
وبقاع الارض معاصيه وبدلها حسنات حتى يرد القيامة وليس شيء يشهد عليه وكذلك يقال ان المؤمن
اذا عصاه ستره الله سبحانه وتعالى عن ابصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم يا كريم العفو فقال له جبريل عليه وعلى سائر الملائكة السلام تدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفا عن السيئات
برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني اسالك تمام النعمة
فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وقد اخبرنا الله سبحانه وتعالى انه قد اتم نعمته علينا
برضاه الاسلام لنا فهذا دليل على دخول الجنة فقال سبحانه وتعالى واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا فقد اشركنا في ذلك مع رسوله صلى الله عليه وسلم فنحن نرجو المغفرة لذنوبنا بفضله فقال عز وجل ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك وفي خبر علي رضي الله عنه من اذنب ذنبا فستره الله
عز وجل عليه في الدنيا فالله سبحانه وتعالى اكرم ان يكشف ستره في الاخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا
فالله سبحانه وتعالى اعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الاخرة وفي لفظ آخر لا يذنب عبد في الدنيا فيستره
عليه الا غفره له في الاخرة وعن بعض السلف كل عاص فانه يعصي تحت كنف الرحمن عز وجل والكنف من الانسان
حضنه ما بين يديه وصدره قال فمن القى عليه كنفه ستر عورته ومن رفع عنه كنفه افتضح ويقال ان من فضح
في الدنيا بذنب فهو كفارته لا يفضح به في الاخرة وفي الخبر اذا اذنب العبد فاستغفر يقول الله عز وجل للملائكة
عليهم السلام انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب وياخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له وحدثت
عن محمد بن مصعب رحمه الله قال كتب الي اسود بن سالم رضي الله عنه بخطه ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه
يرفع يديه يدعو يقول يا رب فاذا قال يا رب حجبت الملائكة عليهم السلام صوته فاذا قال الثانية يا رب حجبت
الملائكة صوته فاذا قال الثالثة يا رب حجبت الملائكة صوته فاذا قال الرابعة يا رب يقول الله سبحانه وتعالى
حتى متى تحجبوا صوت عبدي عني قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري اشهدكم اني قد غفرت له
وفي الحديث لو اذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرني ورجاني وفي خبر آخر لو لقيني
عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة ما لم يشرك بي شيئا وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن
العبد اذا اذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ آخر فاذا
كتبها عليه وعمل حسنة قال لصاحب الشمال وهو امير عليه الق هذه السيئة حتى القي من حسناته واحدة من
تضعيف العشرة وارفع تسع حسنات فيلقي عنه هذه السيئة ويقال ان الله سبحانه وتعالى جعل في قلب
صاحب اليمين من الرحمة للعبد اضعاف ما جعل في قلب صاحب الشمال مع انه امره عليه فاذا عمل العبد حسنة

فرح بها ملك اليمين ويقال فرح بها الملائكة عليهم السلام فيكتب للعبد بفرحهم حسنات ورويناه في حديث
انس بن مالك رضي الله عنه الطويل اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته
قال فان عاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال
الى متى يا رسول الله قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله عز وجل ان الله سبحانه وتعالى لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد
من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتب عشر حسنات
ثم ضاعفها الله عز وجل الى سبعمائة ضعف واذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت خطيئة واحدة
ووراءها حسن عفو الله عز وجل وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لا اصوم الا الشهر
لا ازيد عليه ولا اصلي الا الخمس لا ازيد عليهن وليس لله سبحانه وتعالى في مالي صدقة ولا حج ولا انطوع
اين انا اذا مت فقال النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة قال يا رسول الله معك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال نعم معي ان حفظت قلبك من اثنين الغل والحسد ولسانك من اثنين الغيبة والكذب وعينك من اثنين
النظر الى ما حرم الله عز وجل وان تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين، ورويناه في حديث
انس رضي الله عنه الطويل ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى قال
هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي رحمه الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابي فقال ان
الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الا ولا كريم اكرم من الله عز وجل
هو اكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي وفيه ايضا ان الله سبحانه وتعالى شرف الكعبة وميزها وعظمها
ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله عز وجل قال الاعرابي
ومن اولياء الله عز وجل قال المؤمنون كلهم اولياء الله عز وجل اما سمعت الله عز وجل يقول الله ولي الذين
آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفي الخبر المنفرد المؤمن افضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن
اكرم على الله عز وجل من الملائكة وفي الخبر المشهور عن عبد الله بن عمر وابي هريرة وكعب الحبر رضي الله عنهم
انه نظر الى الكعبة فقال ما اشرفك واعظمك وللمؤمن اعظم حرمة عند الله منك وقد امر الله سبحانه وتعالى
انبياءه بتطهير بيته لاوليائه اجلالا لهم فشرف البيت بهم وفي الحديث عن الله سبحانه وتعالى
من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وانا الثائر لاوليائي في الدنيا والآخرة وفي اخبار يعقوب
عليه وعلى سائر الانبياء السلام ان الله سبحانه وتعالى اوحى اليه تدري لم فرقت بينك وبين يوسف عليه
وعلى سائر الانبياء السلام هذه المدة قال لا قال لقولك لاخوته اخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون
لم خفت الذئب عليه ولم ترجني له ولم نظرت الى غفلة اخوته عنه ولم تنظر الى حفظي له وفي رواية عن الله
سبحانه وتعالى

انه اوحى اليه من سبق عنايتي بك ان جعلت نفسي عندك ارحم الراحمين فرجوتني ولولا ذلك لكنت اجعل نفسي
عندك ابخل الباخلين، والرجاء هو اسم لقوة الطمع في الشيء بمنزلة الخوف اسم لقوة الحذر من الشيء، ولذلك اقام
الله سبحانه وتعالى الطمع مقام الرجاء في التسمية واقام الحذر مقام الخوف فقال سبحانه وتعالى يدعون ربهم
خوفا وطمعا وقال عز وجل يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهو وصف من اوصاف المؤمنين وخلق من
اخلاق الايمان لا يصح الا به كما لا يصح الايمان الا بالخوف فالرجاء بمنزلة احد جناحي الطائر لا يطير الا بجناحيه
كذلك لا يؤمن من آمن به من لا يرجوه ويخافه وهو ايضا مقام من حسن الظن بالله عز وجل وجميل التامل له
ولذلك وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته فقال لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى لانه قال
عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكان ابن مسعود رضي الله عنه يحلف بالله
عز وجل ما احسن عبد ظنه بالله عز وجل الا اعطاه ذلك لان الخير كله بيده اي فاذا اعطاه حسن الظن به فقد
اعطاه ما يظنه لان الذي حسن ظنه هو الذي اراد ان يحققه له ورويناه عن يوسف بن اسباط رضي الله عنه
قال سمعت سفيان الثوري يقول في قول الله عز وجل واحسنوا ان الله يحب المحسنين اي احسنوا بالله الظن
وكذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرجل وهو في سياق الموت فقال كيف تجدك فقال اجدني اخاف
ذنوبي وارجو رحمة ربي عز وجل فقال ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه سبحانه وتعالى ما رجا
وآمنه مما يخاف وكذلك قال علي رضي الله عنه للرجل الذي اطار الخوف عقله حتى اخرجه الى القنوط فقال
له يا هذا اياسك من رحمة الله عز وجل اعظم من ذنوبك صدق رضي الله عنه لان الاياس من روح الله عز وجل
الذي يستريح اليه المكروب من الذنوب والقنوط من رحمة الله عز وجل التي يرجوها المبتلى بالعيوب اعظم من ذنوبه
وهو اشد من جميع عيوبه لا يصح الخوف الا لاهل الرجاء وقال مرة العلماء مقطوعون الا الخائفين
والخائفون مقطوعون الا الراجين وكان يجعل الرجاء مقاما في المحبة وهو عند العلماء اول مقامات المحبة
ثم يعلو في الحب على قدر ارتفاعه في الرجاء وحسن الظن وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث في
الرجاء لا يمكن ذكرها لعموم الناس ولكن نذكر من ذلك ما ظهر خلق الله سبحانه وتعالى جهنم من فضل رحمته
سوطا يسوق الله عز وجل به عباده الى الجنة وفي خبر آخر يقول الله عز وجل انما خلقت الخلق ليربحوا علي
ولم اخلقهم لاربح عليهم وفي حديث عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم ما خلق الله سبحانه وتعالى شيئا الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه والخبر المشهور
ان الله عز وجل كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي والاخبار المشهورة عن معاذ بن
جبل وانس بن مالك رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه قول لا اله الا الله

لم تمسّه النار ومن لقي الله عز وجل لا يشرك به شيئاً حرمت عليه النار ولا يدخل النار من في قلبه وزن ذرة
من إيمان وفي خبر آخر لو يعلم الكافر سعة رحمة الله عز وجل ما أيس من جنته أحد وقد قال الله سبحانه وتعالى
في حسن عفوه عن أكبر الكبائر بعد ظهور الآيات ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك
وقال عز وجل في لطيف الخطاب لأوليائه يعرفهم نفاذ أحكامه فيهم وجريان مشيئته عليهم فإن زللتم
من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم عزيز لا يوصل إليه إلا به حكيم حكم بمشيئته على عباده ثم يغفر
الذنوب جميعاً ولا يبالي كما أجرى على من فضّله على العالمين مقالة الكافرين فلم يضرهم مع تفضيله لهم إذ قالوا
لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فقال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين وبهذا المعنى عارض
علي رضي الله عنه رأس الجالوت لما قال له لم تلبثوا بعد نبيكم إلا ثلثين سنة حتى ضرب بعضكم وجه بعض
بالسيف فقال له علي عليه السلام فأنتم لم تجف أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم لموسى صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم
اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم
بما يفزعهم وينفرهم وقال في حديث آخر بشّروا ولا تنفّروا ويسّروا ولا تعسّروا ولما وعظهم النبي صلى
الله عليه وسلم فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم
وتجأرون إلى ربكم عز وجل فهبط جبريل عليه وعلى سائر الملائكة السلام فقال إن ربك عز وجل يقول لم تقنط
عبادي قال فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فرجّاهم وشوقهم ولما تلا صلى الله عليه وسلم هذه الآية إن زلزلة
الساعة شيء عظيم فقال أتدرون أي يوم هذا يوم يقال لآدم عليه السلام قم فابعث نصيب النار من ذريتك
فقال كم قيل من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحداً إلى الجنة قال فأبلس القوم وجعلوا يبكون
يومهم وتعطلوا عن الأشغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لكم لا تعملون ولا تصنعون
فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم أنتم في الأمم أين تاويل وتاريس وثبت ومنسك ويأجوج
ومأجوج أمم لا يحصيها إلا الله عز وجل إنما أنتم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو
كالرقمة في ذراع الدابة وفي الخبر المشهور لو لم تذنبوا لخلق الله تبارك وتعالى خلقاً يذنبون ليغفر لهم
وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق يذنبون فيغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم أي إن وصفه المغفرة والرحمة
ولا بد أن يخلق ما يقتضي وصفه حتى يحق وصفه عليه هذا كما نقول في علم المعرفة إن له سبحانه وتعالى من
كل اسم وصفاً ومن كل وصف فعلاً وفي هذا سر المعرفة ومنه معرفة الخصوص وحكي لنا معناه عن إبراهيم بن
أدهم رضي الله عنه قال خلي لي الطواف ذات ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب
فقلت يا رب اعصمني حتى لا أعصيك أبداً فهتف بي هاتف من البيت يا إبراهيم أنت تسألني العصمة

الترجية في

وكل عبادي من المؤمنين يطلبون ذلك فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر وكان الحسن رضي الله عنه
يقول لأنه قطع بشهواته على صفات الله عز وجل المرجوة وحكم على كرم الله عز وجل بصفته المذمومة فكان
ذلك من أكبر الكبائر وإن كانت ذنوبه كبائر وهكذا جاء في التفسير ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قال هو العبد
يذنب الكبائر ثم يلقي بيديه ولا يتوب يقول قد هلكت لا ينفعني عمل فنهوا عن ذلك ألا إن الرجاء مقام
جليل وحال شريف نبيل لا يصلح إلا للكبراء من أهل العلم والحياء وهو حال يحول عليهم بعد مقام الخوف
يروحون به من الكرب ويستريحون إليه من مقارفة الذنب ومن لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء ومن لم يقم
في مقامات الخوف لم يرفع إلى المقامات أهل الرجاء على صحة وصفاء ورجاء كل عبد من حيث خوفه وما كشفه
عن الخلاق مرجوه من معنى ما كان كوشف به من صفات مخوفه فإن كان أقيم مقام المخوفات من المخلوقات
مثل العيوب والذنوب والأسباب دفع من حيث تلك المقامات إلى المقامات الرجاء بتحقيق الوعد وغفران الذنب
وتشويق الجنان وما فيها من الأوصاف الحسان وهذه مواجهات أصحاب اليمين وإن كان أقيم مقام مخاوف الصفات
عن مشاهدة معاني الذات مثل سابق العلم وسوء الخاتمة وخفي المكر وباطن الاستدراج وبطش القدرة
وحكم الكبر والجبرية رفع من حيث هذه المقامات إلى مقام المحبة والرضى فرجا من معاني الأخلاق والأسماء
الكرم والإحسان والفضل والعطف واللطف والامتنان وليس يصلح أن نخبر بكل ما نعلم من شهادة أهل
الرجاء في مقامات الرجاء من قبل أنه لا يصلح لعموم المؤمنين وهو يفسد من لم يرزقه أشد الفساد فليس
يصلح إلا لخصوصه ولا يحرّكه ولا يستجيب له ولا يستخرجه إلا من المحبين ولا محبة إلا بعد نصح القلب
من المخافة وأكثر النفوس لا تصلح إلا على الخوف كعبيد السوء لا يستقيمون إلا بالسوط والعصا
ويواجهون بالسيف صلتاً ومن علامة صحة الرجاء في العبد كون الخوف باطناً في رجائه لأنه لما تحقق
برجاء شيء خاف من فوته لعظم المرجو في قلبه وشدة اغتباطه به فهو لا ينفك في حال رجائه من خوف
فوت الرجاء والرجاء هو ترويح الخائفين ولذلك سمت العرب الرجاء خوفاً لأنهما وصفان لا ينفك
أحدهما عن الآخر ومن مذهبهم أن الشيء إذا كان لازماً للشيء أو وصفاً له أو سبباً منه أن يعبّروا عنه
به فقالوا ما لك لا ترجو كذا وهم يريدون ما لك لا تخاف وعلى هذه اللغة جاء قول الله عز وجل ما لكم لا ترجون
لله وقاراً أجمعوا على تفسيره ما لكم لا تخافون لله عظمة وهو أيضاً أحد وجهي تفسير قوله عز وجل فمن
كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً أي يخاف من لقائه ومثل الخوف من الرجاء مثل اليوم من الليلة
ما لم ينفك أحدهما عن الآخر جاز أن يعبّر بأحدهما عن المدة فيقال ثلاثة أيام ويقال ثلاث ليال ومنه قول
الله عز وجل مخبراً عن قصة واحدة فقال عز وجل آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً ثم قال عز وجل

ثلثة ايام الا رمزا فلما لم يكن اليوم ينفك عن ليلته والليلة لا تنفك عن يومها اخبر عن احدهما بالآخر
لان احدهما متصل بصاحبه فصارا كشيء واحد كيف وان الليل والنهار احدهما لبسة الآخر مندرج فيه
لا يظهر الا احدهما بحكمة الله عز وجل وقدرته لتفاوت احكامه فيهما وافتراق انعامه بهما فاذا ظهر
النهار اندرج الليل فيه بقدرة الله عز وجل واذا ظهر الليل استتر النهار به بحكمة الله عز وجل وهو حقيقة ايلاج
احدهما في الآخر وتحقيق تكويره احدهما على صاحبه فكذلك حقيقة الرجاء من الخوف في معاني الملكوت اذا
ظهر الخوف كان العبد خايفا وظهرت عليه احكام الخوف عن مشاهدة التجلي بوصف مخوف فسمي العبد خايفا لغلبته
عليه وبطن الرجا في خوفه واذا ظهر الرجا كان العبد راجيا وظهرت منه احكام الرجا عن مشاهدة تجلي الربوبية
بوصف مرجو فوصف العبد به لانه هو الاغلب عليه وبطن الخوف في رجائه لانهما وصفان للايمان كالجناحين
للطير فالمومن بين الخوف والرجاء كالطاير بين جناحيه وكلسان الميزان بين كفتيه ومنه قول مطرف
رضي الله عنه لو وزن خوف المومن ورجاؤه لاعتدلا فهذا اصل في معرفة حقيقة الرجا وصدق الطمع في المرجو
فللمومن في اعتدال الخوف والرجا مقامان اعلاهما مقام المقربين وهو ما حال عليهم من مقام مشاهدة الصفات
المخوفة والاخلاق المرجوة والثاني مقام اصحاب اليمين وهو ما عرفوه من بدايع الاحكام وتفاوت الاقسام من
ذلك انه عز وجل انعم على الخلق بفضله عن كرمه اختيارا لا اجبارا فلما اعلمهم ذلك رجوا تمام النعمة من
حيث ابتداها ومن ههنا طمع السحرة في المغفرة لما ابتدأوا بالايمان فقالوا انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا
ان كنا اول المومنين اي من حيث جعلنا اول المومنين من هذا المكان نرجو ان يغفر لنا بان جعلنا مومنين به
فرجوه منه وقد ذم الله سبحانه وتعالى عبدا اوجده نعمة ثم سلبها فايس من عودها عليه فقال عز وجل ولئن اذقنا
الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور ثم استثنى عباده الصابرين عليه الصالحين له فقال
سبحانه وتعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات وروي ان لقمان عليه السلم قال لابنه خف الله عز وجل خوفا
لا تأمن فيه مكره وارجه رجا اشد من خوفك قال وكيف استطيع ذلك وانما لي قلب واحد قال اما
علمت ان المومن كذي قلبين يخاف باحدهما ويرجو بالآخر المعنى ان الخوف والرجا وصفا الايمان لا يخلو منهما
قلب مومن فصار حينئذ كذي قلبين ثم ان الخلق خلقوا على اربع طبقات في كل طبقة طايفة فمنهم
من يعيش مومنا ويموت مومنا فمن ههنا رجاهم لانفسهم ولغيرهم من المومنين اذ قد اعطاهم فرجوا
ان يتم عليهم نعمته وان لا يسلبهم تفضل ما به بداهم ومن الناس من يعيش مومنا ويموت كافرا فهذا
موضع خوفهم عليهم وعلى غيرهم لمكان عليهم هذا الحكم ولغيب علم الله عز وجل بعلمه السابق فيهم ومن الناس
من يعيش كافرا ويموت مومنا ومنهم من يعيش كافرا ويموت كافرا فهذان الحكمان اوجبا رجاهم الثاني للمشرك

اذا راوه فلم يقطعوا الظاهره ايضا خوف هذا الرجا خوفا ثانيا ان يموت على تلك الحالة وان كان ذلك هو
حقيقة عند الله عز وجل فعلم المومن لهذه الاحكام الاربعة وزن خوفه ورجائه معا فاعتدل حاله بذلك لاعتدال
ايمانه به وحكم على الخلق بالظاهر ووكل الى علام الغيوب السرائر ولم يقطع على عبد بظاهر من الشر بل يرجو له
ما بطن عند الله من الخير ولم يشهد لنفسه ولا لغيره بظاهر الخير بل يخاف ان يكون قد استتر عند الله عز وجل
باطن شر الا ان حال التمام ان يخاف العبد على نفسه ويرجو لغيره لان ذلك وجد المومنين من قبل انهم متعبدون
بحسن الظن فهم يحسنون الظن بالناس ويخرجون لهم المعاذير بسلامة الصدور وتسليم ما غاب الى من اليه
تصير الامور ثم هم في ذلك يسيئون الظن بنفوسهم لمعرفتهم بصفاتها ويوقعون الملاوم عليها ولا يحتجون
لها لباطن الاشفاق منهم عليها ولخوف التزكية منهم لها فمن قلب عليه هذان المعنيان فقد مكر به حتى
يحسن الظن بنفسه ويسيء ظنه بغيره فيكون خايفا على الناس راجيا لنفسه عاذرا لنفسه محتجا لها لايما
للناس ذاما لهم فهذه من اخلاق المنافقين ثم ان للراجي حالا من مقامه وللحالة علامة من رجائه فمن علامة الرجا
عن مشاهدة المرجو دوام المعاملة وحسن التقرب اليه وكثرة التحبب بالنوافل بحسن ظنه به وجميل امله منه
وانه يتقبل صالح ما امر به تفضلا منه من حيث كرمه لا من حيث الواجب عليه ولا الاستحقاق منا وانه
ايضا يكفر سيئ ما عمله احسانا منه ورحمة من حيث لطفه عز وجل بنا وعطفه علينا لاخلاقه السنية
والطافه الخفية لا من حيث اللزوم له بل من حيث حسن الظن به كما قال سفيان رضي الله عنه من اذنب ذنبا
فعلم ان الله سبحانه وتعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله سبحانه وتعالى له ذنبه قال لان الله عز وجل
عير قوما فقال عز وجل وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقد قال سبحانه وتعالى في مثله وظننتم ظن
السوء وكنتم قوما بورا اي هلكى ففي دليل خطابه ان من ظن ظنا حسنا كان من اهل النجاة وقد جا في الاثر
من اذنب ذنبا فاحزنه ذلك غفر له ذنبه وان لم يستغفر ومقام الرجاء كساير مقامات اليقين منها فرض وفضل
فعلى العبد فرض ان يرجو مولاه وخالقه ومعبوده ورازقه عز وجل من حيث كرمه وفضله لا من حيث نظره
الى الصفات نفسه ولومه وقد كان سهل رضي الله عنه يقول من سال الله عز وجل شيا فنظر الى نفسه والى اعماله
لا يرى الاجابة حتى يكون ناظرا الى الله سبحانه وتعالى وحده والى لطفه وكرمه ويكون موقنا بالاجابة ولعمري
ان من سال الله عز وجل ورغب اليه في شيء ورجاه ناظرا الى نفسه وعمله فانه غير مخلص في الرجاء له عز وجل
لشركه في النظر اليه واذا لم يكن مخلصا لم يكن موقنا ولا يقبل الله عز وجل عملا ولا دعاء الا من موقن مخلص
فاذا شهد التوحيد ونظر الى الوحدانية فقد اخلص وايقن وكذا جا في الخبر اذا دعوتم فكونوا موقنين بالاجابة
فان الله سبحانه وتعالى لا يقبل الا من موقن ومن داع دعا ثبتا له من قلبه لان من استعمله الله عز وجل

بالدعاء له فقد فتح له بابا من العبادة وفي الخبر الدعاء نصف العبادة ولا يقبل الله عز وجل من الدعاء الا
الناخلة بمعنى المنخول وهو الخالص فاقل ما يعطيه من دعائه ان يكون في ذلك حسنة منه تضعفه الله عز وجل
له عشرا الى سبعمائة ضعف واعلاه ان يدخر له عنده في الآخرة ما هو خير له من جميع الدنيا وما فيها مما لم
يخطر على قلبه قط ويكون في ذلك حسن نظر من الله عز وجل له واختيارا واوسط ذلك ان يصرف عنه من البلاء الذي
هو لو كان عليه كان صرفه اهم عليه واحب اليه مما سال فيه وقد روينا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من داع دعا موقنا بالاجابة في غير معصية ولا قطيعة رحم الا اعطاه الله عز وجل احدى ثلاث اما
ان يجيب دعوته فيما سال او يصرف عنه من السوء مثله او يدخر له في الآخرة ما هو خير له وفي اخبار موسى
عليه وعلى سائر الانبياء السلم يا رب اي خلقك انت عليه اشد تسخطا فقال عز وجل من لم يرض بقضائي
ومن يستخيرني في امر فاذا قضيت له كره ذلك وفي الخبر الآخر انه قال يا رب اي الاشياء احب اليك
وايها ابغض فقال احب الاشياء الي الرضى بقضائي وابغضها الي ان تظن في نفسك وروينا عن نبينا
صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل الذي قال اوصني فقال لا تتهم الله عز وجل في شيء قضاه عليك وفي الخبر الآخر
انه نظر الى السماء وضحك فسئل عن ذلك فقال عجبت لقضاء الله عز وجل للمؤمن في كل قضائه له خير
ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى عليه بالضراء ما رضي وكان خيرا له ومن حسن الظن بالله
عز وجل لطف التملق له وهو من قوة الطمع فيه وفي الخبر حسن الظن بالله عز وجل من حسن عبادة الله عز وجل
كما روينا في تفسير قوله عز وجل فتلقى آدم من ربه كلمات ان الكلمات قوله يا رب هذا الذنب الذي اصبته
كان من قبل نفسي او من شيء سبق في علمك قبل ان تخلقني قضيته علي فقال عز وجل بل شيء سبق
في علمي كتبته عليك قال يا رب فكما قضيته علي فاغفره لي قال فهي الكلمات التي لقاه الله عز وجل
اياها وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رايت
المنكر ان تنكره قال فان لقاه الله عز وجل حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال فقد غفرته
لك وفي الخبر المشهور ان رجلا كان يداين الناس فيسمح عليهم ويتجاوز عن المعسر فلقي الله عز وجل
ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل نحن احق بذلك منك قال فغفر له برجائه وظنه ثم يتفاوت الراجون
في فضائل الرجاء فالمقربون منهم رجوا النصيب الاعلى من القرب والمجالسة والتجلي بمعاني الصفات
مما عرفوه وهذا اعز عليهم به واصحاب اليمين من الراجين رجوا النصيب الاوفر من مزيده والفضل الاجزل
من عطائه يقينا بما وعد ومن الرجاء انشراح الصدر باعمال البر وسرعة السبق والمبادرة بها
خوف فوتها ورجاء قبولها ثم مهاجرة السوء ومجاهدة النفس رجاء انجاز الموعود وتقربا الى الرحيم الودود

ومنه قول الصدق القائلين ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله
ونسر رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرة والمجاهدة فقال المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد نفسه
في الله عز وجل ومن الرجاء كثرة التلاوة لكلام الله عز وجل واقام الصلوة التي هي خدمة المعبود عز وجل
وبذل المال سرا وعلانية وقليلا وكثيرا وان لا تشغل عن ذلك تجارة الدنيا كما وصف سبحانه وتعالى المحققين
من الراجين اذ يقول سبحانه وتعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ومن الرجاء القنوت في ساعات الليل وهو طول القيام للتهجد والدعاء
عند تجافي الجنوب عن المضاجع لما وقر في القلوب من المخاوف ولذلك وصف الله تعالى الراجين بهذا في قوله
عز وجل امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون فسمى عز وجل اهل الرجاء والحذر واهل التهجد آناء الليل علماء وحصل من دليل الكلام ان من
لم يخف ولم يرج غير عالم لنفيه المساواة بينهما وهذا مما حذف خبره اكتفاء بالحد ووصفه اذ في الكلام
دليل عليه فالرجاء هو اول مقام من اليقين عند المقربين وهو ظاهر اوصاف الصديقين ولا يحمل في قلب عبد
ولا يتحقق به صاحبه حتى تجتمع فيه هذه الاوصاف الايمان بالله عز وجل والمهاجرة اليه والمجاهدة فيه
وتلاوة القرآن واقام الصلاة والانفاق في سبيل الله سبحانه وتعالى ثم السجود آناء الليل والقيام والحذر
مع ذلك كله فهذه جملة صفات الراجين وهو اول احوال الموقنين ثم تتزايد الاعمال في ذلك ظاهرا وباطنا باحوال درج
القلوب عن تزايد الانوار والعلوم ومكاشفات الغيوب بالاوصاف المرجوة وفصل الخطاب ان الخوف
والرجاء طريقان الى المقامين فالخوف طريق العلماء الى مقام العلم والرجاء طريق العمال الى مقام العمل وقد
وصف الله سبحانه وتعالى الراجين مع الاعمال الصالحة لقوة رجائهم بالخوف تكملة لصدق الرجاء وتتمة
لعظيم الغبطة به فقال سبحانه وتعالى يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة وقال سبحانه وتعالى مخبرا عنهم
في حال خوفهم واعمال برهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا وقال جل وعلا يوفون بالنذر ويخافون
يوما من قبل ان الخوف مرتبط بالرجاء فمن تحقق بالرجاء صار معه الخوف ان يقطع به دون ما رجا وقال
اهل العربية في معنى قوله سبحانه وتعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي لا يخافون
عقوبات الله فاذا كان هذا امره بالمغفرة لمن لا يرجو فكيف يكون غفره وفضله على من يرجوه عز وجل
وبعضهم يقول في معنى قوله عز وجل وترجون من الله ما لا يرجون اي تخافون منه ما لا يخافون فلولا
انهما عند العلماء كشيء واحد ما فسر احدهما بالآخر ومن الرجاء الانس بالله عز وجل في الخلوات ومن الانس
به الانس بالعلماء والتقرب من الاولياء وارتفاع الوحشة بمجالسة اهل الخير وسعة الصدر والروح
عنهم

ومن الرجاء سقوط ثقل المعاونة على البر والتقوى لوجود حلاوة الأعمال والمسارعة إليها والحث لأجلها
عليها والحزن على فوتها والفرح بإدراكها ومن ذلك الخبر المشهور من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن
وفي الخبر الآخر خيار أمتي الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساؤوا استغفروا لأن المؤمن على يقين من
أمره وبصيرة من دينه والخوف والرجاء وصف الموقن بالله سبحانه وتعالى فهو إذا عمل حسنة أيقن بثوابها
بصدق الوعد وكرم الموعد وإذا عمل سيئة أيقن بالكراهة لها وخاف المقت عليها بخوف الوعيد وعظمة المتوعد
من قبل أن دخوله في الطاعة دخول في محبة الله عز وجل ومرضاته لما دل العلم عليه فهذا رضي الله عز وجل
في الدنيا فكيف لا يسره رضاه ومن قبل أن دخوله في المعصية دخول في غضب الله عز وجل ومكارهه بما
دل العلم عليه فذلك الذي يسوؤه لأن مقت الله عز وجل اليوم معاصيه وسخطه وغدا تعذيبه ومن هذا
قوله سبحانه وتعالى ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم قال لما نظروا إلى نفوسهم بتشويه خلقهم
في النار مقتوها فنودوا لمقت الله عز وجل لكم في الدنيا على معاصيه أكبر من مقتكم اليوم في العذاب كذلك رضاه
اليوم بطاعته كرضاه غدا بالنعيم في جنته وهذا وصف عبد مراد مكاشف بعلم اليقين ومن هذا حديث
زيد الخيل إذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم جئتك أسألك عن علامة الله عز وجل فيمن يريده وعلامته فيمن لا يريد
فقال أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأيقنت بثوابه وإذا كيف
فاتني شيء منه حزنت عليه وحننت إليه فقال صلى الله عليه وسلم هذه علامة الله عز وجل فيمن يريد ولو أرادك
بالأخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي أوديتها هلكت ومن الرجاء التلذذ بدوام حسن الإقبال والتنعم بمناجاة
ذي الجلال وحسن الإصغاء إلى محادثة القريب والتلطف في التملق للحبيب وحسن الظن به في العفو
الجميل ونائل الفضل الجزيل وقال بعض العارفين للتوحيد نور وللشرك نار ونور التوحيد أحرق لسيئات
الموحدين من نار الشرك لحسنات المشرك ولما احتضر سليمان التيمي رضي الله عنه قال لابنه رحمه الله يا بني
حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله عز وجل على حسن الظن به وكذلك لما حضر سفيان الثوري رضي الله عنه
الوفاة جعل العلماء حوله يرجونه وحدثنا عن أحمد بن حنبل رحمة الله عليه أيضا أنه قال لابنه عند الموت
اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن فلولا أن الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء
في آخر الأوقات عند فراق العمر ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسألون الله عز وجل حسن الخاتمة طول
الحياة وكذلك قيل إن الخوف أفضل ما دام حيا فإذا حضر الموت فالرجاء أفضل وقد كان يحيى بن معاذ رضي الله عنه
يقول في مقامات الرجاء إذا كان توحيد ساعة يحبط ذنوب خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة ماذا يصنع
بالذنوب وقد كان أبو محمد رضي الله عنه يقول لو لم يذنب العبد لكان بطر بطرا ولكن الله سبحانه وتعالى

قمعه بالذنوب وفي الخبر مثله لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل ما هو قال العجب
ولعمري إن العجب من صفات النفس المتكبرة وهو يحبط الأعمال وهو من كبائر أعمال القلوب والذنوب
من أخلاق النفس الشهوانية ولأن يبتلى العبد بعشر شهوات من شهوات النفس خير له من أن يبتلى
بصفة من صفات النفس مثل الكبر والعجب والبغي والحسد وحب المدح وطلب الذكر لأن هذه منها معاني
صفات الربوبية ومنها أخلاق الأبالسة وبها هلك إبليس وشهوات النفس من وصف الخلقة بها
عصى آدم ربه عز وجل فاجتباه سبحانه وتعالى بعدها وهدى وقد قال بشر بن الحارث رضي الله عنه
سكون النفس إلى المدح أضر عليها من المعاصي ورأى يوسف بن الحسين رضي الله عنه مخنثا فأعرض
عنه ازدراء به فالتفت إليه المخنث فقال وأنت أيضا يكفيك ما بك ففزع من قوله فقال وأي شيء تعلم
بي قال لأن عندك أنك خير مني فاعترف يوسف بقوله وتاب واستغفر وكان بعض الراجين من العارفين
إذا تلا هذه الآية آية الدين في سورة البقرة يسر بذلك ويستبشر بها ويعظم رجاؤه عندها فقيل له
في ذلك إنه ليس فيها رجاء وإنما يوجب الاستبشار فقال بلى فيها رجاء عظيم قيل وكيف ذلك فقال إن الدنيا
كلها قليل ورزق الإنسان فيها قليل من قليل وهذا الدين من رزقه فقليل من قليل من قليل ثم إن الله
سبحانه وتعالى احتاط لي في ذلك ودقق النظر لي بأن وكد ديني بالشهود والكتاب وأنزل فيه
أطول آية في كتابه ولو فاتني ذلك لم أبال به فكيف يكون فعله بي في الآخرة التي لا عوض لي من نفسي
فيها وكذلك كان بعض الراجين يفهم من قوله عز وجل إذ تلا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
يرجو من ذلك بوادي الجود والكرم والإحسان مما لم يحتسبه في الدنيا قط وقد كان الجنيد رضي الله عنه
يقول إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين وعلى ذلك جاء في الخبر ليغفرن الله عز وجل
يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى إن إبليس ليتطاول رجاء أن تصيبه وفي الخبر
إن لله تسعا وتسعين رحمة أظهر منها في الدنيا رحمة واحدة بها يتراحم الخلائق فتحن الوالدة إلى ولدها
وتعطف البهيمة على ولدها فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى تلك التسع والتسعين ثم بسطها
على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السماوات والأرض قال فلا يهلك على الله عز وجل إلا هالك وقد
قال بعض العلماء إن الله عز وجل إذا غفر لعبد في موقف القيامة ذنبا غفر ذلك الذنب لكل من عمله
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجيه عمله وفي الخبر الآخر ما منكم
من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني
الله سبحانه وتعالى برحمته وفضله وروي عنه صلى الله عليه وسلم إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر

من اثنى اثروها للمصفين المتقين بل هي للمخلطين الملوثين فعلم المومنين بكرم الله عز وجل وخفي
لطفه ولطيف منته لا يقطعهم عن تاميله ولا يقصر بهم عن رجائه ولا عن حسن ظنهم به ولا يقوى
عليهم الخوف فيخرجهم الى الاياس من رحمته اجل عليهم بجبريته وكبريائه من قبل ان المهوب هو
المحبوب فمحبته تونسهم وترجيهم وهيبته تزعجهم وتخيفهم فخوفهم في لذاذة ونعيمهم بالحب
في مهابة فهم في مقام الخوف والمحبة معتدلون وبقوة العلم بهما متمكنون وفي مشاهدة المخوف
والمحبوب مستقيمون وهذا المقام هو وصف العارفين من الموقنين وهم اهل كمال الايمان وصفوة خصوص
ذوي الايقان اذ قد عرفوا ان الله سبحانه وتعالى كامل في صفاته لا يعتوره نقصان في وصف دون
وصف وان الرحمة بسعة العلم كما العلم بسعة القدرة لما شهدوا من وصفه بما سمعوا من كلامه
انه كان عليما قديرا كذلك قال وسعت كل شي رحمة وعلما وكذلك فهموا من قوله عز وجل ورحمتي وسعت
كل شي فدخلت جهنم وغيرها في توسعة الرحمة من حيث هي شي وقوله سبحانه وتعالى فسأكتبها
للذين يتقون معناه خصوص الرحمة وصفوها لا كنهها اذ لا نهاية للرحمة لانها صفة الراحم
الذي لا حد له ولانه لم يخرج من رحمته شي كما لم يخرج من حكمته وقدرته شي لان جهنم والنار الكبرى
وغيرهما ليس كنه عذابه ولا كلية تعذيبه فمن ظن ذلك به فلم يعرفه ولانه عز وجل انما اظهر من عذابه
بمقدار طاقة الخلق كما انه اظهر من ملكه ونعيمه بمقدار مصالح الخلق ولا يصلح للخلق ولا يطيقون اظهار
اكثر مما اظهر من النعيم والعذاب بل لا ينبغي لهم ان يعرفوا فوق ما ابدى لان نهاية تعذيبه وتنعيمه من
نهاية ملكه الذي هو قايم به وملكه عن غاية قدرته وسلطانه ولا نهاية لذلك ولا يطيق الخلق حمل اظهار
ذلك وذلك ايضا عن تعالي صفاته وبها معاني اسمائه الحسنى بها تبدو ولا سبيل الى كشفه لكن من الغيوب
فسبحان من لا نهاية لقدرته ولا حد لعظمته ولا امد لسلطانه وكذلك شهدوا ما سمعوا من قوله عز وجل
انه كان حليما غفورا وكان الله عليما حليما فعلموا ان المغفرة لسعة الحلم كما الحلم لسعة العلم فلما راوا
عظيم حلمه رجوا عظيم مغفرته ولما شهدوا كثيف ستره املوا جميل عفوه وكذلك يقال ان حملة العرش
عليهم السلم يتجاوبون باصوات سبحانك على حلمك بعد علمك سبحانك على عفوك بعد قدرتك فللراجين من
العارفين فهوم من السمع للكلام نحو علو نظرهم عن سمو علوهم بمعاني الصفات فكل صاحب مقام يشهد
من مقامه ويسمع من حيث شهادته فاعلاهم شهادة الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون ثم خصوص
المومنين فيه تبارك وتعالى استدلوا عليه ومنه نظروا اليه هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون
وكان سهل رحمه الله عليه يقول المحسن يعيش في سعة الرحمة والمسي يعيش في سعة الحلم فصفاته سبحانه

وتعالى كاملات فمن شهد ترجح بعضها على بعض دخل عليه النقص من مشاهدته لقصور علمه عن تمام علم من
فوقه من الشهداء ولاجل مقامه المراد به دون طريق الصديقين من الاقوياء فعاد ذلك على العبد فصار مقاما
له في القرب والبعد تعالى وصف المشهود عن النقصان والحد ومثل الرجاء من الخوف مثل الرخصة في الدين
من العزايم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحب ان يوخذ برخصه كما يحب ان يوخذ بعزايمه
وفي لفظ ابلغ من هذا واوكد ان الله عز وجل يحب ان يقبل رخصه كما يكره ان توتى معصيته ورويناعن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله عز وجل وخير
الدين ايسره وقال صلى الله عليه وسلم هلك المتعمقون هلك المتنطعون وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية
السهلة السمحة وقال صلى الله عليه وسلم احب ان يعلم اهل الكتابين ان في ديننا سماحة وقال الله عز وجل
ومن احسن من الله قيلا ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم واستجاب للمومنين في قولهم ربنا ولا
تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا فقال قد فعلت فهذه العلوم هي اسباب قوة الرجا في اولي الالباب
كيف وقد جا ما يغلب حكم الرجاء من غير اغترار ما روي عن الله سبحانه وتعالى انا الى الرحمة والعفو اقرب مني الى
العقوبة وفي الخبر ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى داود وغيره من الانبياء عليهم السلام احبني واحب من يحبني
وحببني الى خلقي فقال يا رب هذا احبك واحب من يحبك فكيف احببك الى خلقك فقال اذكرني بالحسن الجميل
واذكر الايي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل ورويناف اخبار داود عليه السلم وعلى ساير
الانبياء ان الله سبحانه وتعالى نظر اليه منتبذا وحدانيا فقال ما لك وحدانيا فقال عاديت الخلق فيك
قال او ما علمت ان محبتي ان تعطف على عبادي وتاخذ عليهم بالفضل هنالك اكتبك من اوليائي واحبائي
فلا تنظر الى عبدي نظرة جفاء ولا قسوة فاذا انت قد ابطلت اجرك احفظ عني بلاثا خالص حبيبي مخالطة
وخالط اهل الدنيا مخالقة ودينك فقلده بنيه وقد روينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم معنى ذلك حدث يزيد
الرقاشي عن انس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم عن اقوام ليسوا بانبياء ولا شهدا يغبطهم
الانبياء والشهداء بمنازلهم من الله عز وجل على منابر من نور يعرفون عليها قالوا من هم قال الذين يحببون عباد
الله عز وجل الى الله عز وجل ويحببون الله عز وجل الى العباده ويمشون في الارض نصحا فقلنا هذا حببوا
الله عز وجل الى العباده فكيف يحببون عباد الله عز وجل الى الله عز وجل قال يامرونهم بما يحب الله عز وجل وينهونهم
٢٦ عما حرم الله سبحانه وتعالى فاذا اطاعوهم احبهم الله عز وجل ورويناعن علي رضي الله عنه في كلام له انما
العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله عز وجل ولا يومنهم مكر الله سبحانه وتعالى وروي ابان بن ابي عياش
رحمه الله في النوم بعد موته وكان من اكثر الناس حديثا بالرخص وابواب الرجاء فقال اوقفني ربي سبحانه وتعالى

بين يديه فقال ما حملك على أن حدثت عني بما حدثت به من الرخص قال فقلت يا رب أردت أن أحببك إلى خلقك
قال قد غفرت لك وحدثنا أن مالك بن دينار رضي الله عنه لقي أبان رحمه الله فقال إلى كم تحدث الناس
بالرخص فقال يا أبا يحيى إني أرجو أن ترى من عفو الله عز وجل يوم القيامة ما تخرق له كساك هذا من الفرح وفي
حديث ربعي بن حراش عن أخيه رضي الله عنهما وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات أخي
سجي بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا فقال إني لقيت ربي عز وجل فحياني
بروح وريحان ورب غير غضبان وإني رأيت الأمر أيسر مما تظنون ولا تغتروا وإن محمدا صلى الله عليه وسلم
ينتظرني وأصحابه رضي الله عنهم حتى أرجع إليهم قال ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصاة وقعت في طست
فحملناه ودفناه وروي يحيى بن أكثم رضي الله عنه في النوم فقيل له ما فعل الله عز وجل بك فقال أوقفني بين يديه
وقال يا شيخ السوء فعلت وفعلت قال فلحقني من الرعب والفزع ما يعلم الله عز وجل ثم قلت يا رب ما هكذا
حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس رضي الله عنهم عن نبيك
صلى الله عليه وسلم عنك أنك قلت تباركت وتعاليت أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وقد كنت أظن
بك أن لا تعذبني فقال عز وجل صدق نبيي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق
وصدقت قال فخلعت وألبست ومشى بين يدي الولدان إلى الجنة فقلت يا لها من فرحة وفي الخبر أن رجلا
من بني إسرائيل كان يشدد على الناس ويقنطهم فيقول الله سبحانه وتعالى له يوم القيامة اليوم أويسك من رحمتي
كما كنت تقنط عبادي منها وفي الحديث أن رجلين تواخيا في الله عز وجل من بني إسرائيل وكان أحدهما عابدا
وكان الآخر مسرفا على نفسه فكان هذا العابد ينهاه ويزجره فيقول له دعني وربي أبعثت علي رقيبا
حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك فيقول الله عز وجل له يوم القيامة أتستطيع
أن تحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت لك ثم قال للعابد وأنت فقد أوجبت لك النار قال فوالذي
نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته وروينا في معناه أن لصا كان يقطع الطريق في بني
إسرائيل أربعين سنة فمر عليه عيسى عليه وعلى سائر الأنبياء السلام وخلفه عابد من عباد بني إسرائيل من الحواريين
فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل عز وجل
يريد أن يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي إلى جنب هذا العابد
قال وأحس به الحواري فقال في نفسه هذا يمشي إلى جنبي قال فضم نفسه وتقدم إلى عيسى عليه وعلى سائر
الأنبياء السلام فمشى إلى جانبه فبقي اللص خلفه قال فأوحى الله عز وجل إلى عيسى صلوات الله عليه وعلى
سائر الأنبياء وسلامه قل لهما يستأنفا العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما أما الحواري فقد أحبطت

حسناته لعجبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما أزرى على نفسه قال فأخبرهما بذلك وضم اللص
إليه في سياحته وجعله من حوارييه وروينا عن مسروق بن الأجدع أن نبيا من الأنبياء عليهم السلام كان
ساجدا فوطئ بعض العتاة على عنقه حتى ألزق الحصى بجبهته قال فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه
مغضبا وقال اذهب فلن يغفر الله عز وجل لك قال فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه تتألى علي في عبادي
فإني قد غفرت له وقال ابن عباس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت على المشركين ويلعنهم
في صلاته فنزلت ليقطع طرفا من الذين كفروا إلى قوله جل وعلا ليس لك من الأمر شيء فترك الدعاء عليهم قال
وهدى الله عز وجل عامتهم إلى الإسلام والأخبار فيما يوجب الرجاء وحسن الظن أكثر من أن نجمع
ولم نقصد جمعها وإنما دللنا بقليل من كثير ونبهنا عقول ذوي التبصير وقد قال الله سبحانه وتعالى يا
أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم فنبه العبد مع غرته على كرمه وذكره مع جهله حسن تسويته إياه بتعديله
يدله على نعمه وروينا عن الضحاك رضي الله عنه أن العبد ليدنو من ربه عز وجل عند العرض فيقول له
عبدي أتحصي عملك فيقول إلهي كيف أحصيه من دونك وأنت الحافظ للأشياء فيذكره الله سبحانه وتعالى
جميع ذنوبه في الدنيا في ساعاتها فيقول أنت عبدي فيقر بما عرفناك وذكرناك فيقول نعم سيدي
فيقول الله سبحانه وتعالى أنا الذي سترتها عليك في الدنيا فلم أجعل للذنوب رائحة توجد منك ولم
أجعل في وجهك شينها وأنا أغفرها لك على ما كان منك بإيمانك بي وتصديقك المرسلين وروينا عن
محمد بن الحنفية عن أبيه علي رضي الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصفح
الصفح الجميل قال يا محمد إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل
الله سبحانه وتعالى مع كرمه أولى أن لا يعاتب من عفا عنه قال فبكى جبرئيل عليه السلام وبكى النبي صلى الله عليه وسلم
فبعث الله عز وجل إليهما ميكائيل عليه السلام فقال إن ربكما يقرئكما السلام ويقول لكما كيف أعاتب من
عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي ومن الرجاء شدة الشوق إلى ما شوق إليه الكريم وسرعة التنافس في كل
نفيس ندب إليه الرحيم فأما الرجاء الذي يتوهمه جملة الناس من الإقامة على المعاصي والانهماك
في الخطايا وهو يرجو المغفرة وينتظر الكرامة فليس هذا رجاء عند العلماء لأن الرجاء مقام من اليقين
وليس هذا من وصف الموقنين لكن هذا اسمه اغترار بالله عز وجل وغفلة عن الله سبحانه وتعالى وجهل
بأحكام الله عز وجل وقد نقد الله قوما ظنوا مثل هذا وأصروا على حب الدنيا والرضى بها وتمنوا عز وجل
المغفرة على ذلك فسماهم خلفا والخلف الردي من الناس وتوعدهم بتشديد البأس في قوله عز وجل
فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا والأخبار

في حقيقة الرجاء تزيد المغترين اغترارا وتزيد المستدرجين بالستر والنعم خسارا وهو مزيد للتوابين الصادقين وقرة عين للمحبين المخلصين وسرور لأهل الكرم والحياء وروح وارتياح لذوي العصمة والوفاء يتضع به كل منهم ويشتد عنده حياؤهم وتروح به قلوبهم وترتاح اليه عقولهم فيستخرج منهم الرجاء وحسن الظن من العبادات ما لا يستخرجه الخوف اذ المخاوف تقطع عن اكثر المعاملات فصار الرجاء طريقا لأهله وصاروا واجدين به كما قال عمر رضي الله عنه رحم الله صهيبا لو لم يخف الله عز وجل لم يعصه اي يترك المعاصي للرجاء لا للخوف فصار الرجاء طريقه فهؤلاء هم الراجون حقا ومن علامتهم ولمثل هؤلاء ذكرنا الاسباب التي توجب الرجاء وتولد حسن الظن في قلوب اهل الصفاء المعصومين من الهوى الموقنين بحسن خدمة المولى ومن الرجاء تحسين الاخلاق مع الخلق وجميل الصبر عليهم وحسن الصفح عنهم ولطيف المداراة لهم تقربا الى الله عز وجل بذلك وتخلقا باخلاقه رجاء ثوابه وطمعا في تنجز وعده واتباعا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن الرجاء ترك الاهواء المردية والشهوات المطغية وتحتسب في ذلك على الله عز وجل نفيس الذخائر العالية فقد روينا عن حميد عن انس رضي الله عنهما قال ان مقابل عرش الرحمن سبحانه وتعالى غرفة يرسل اليها جبريل عليه وعلى سائر الملائكة السلام فاذا انتهى اليها خر لله عز وجل ساجدا ثم يقول يا رب لمن خلقت هذه لأي نبي لأي صديق لأي شهيد قال فيرد عليه سبحانه وتعالى لمن آثر هواي على هواه ومن الرجاء افتعال الطاعات وحسن الموافقات ينوي بها ويسأل مولاه الكريم عظيم الرغائب وجليل المواهب لما وهب له من حسن الظن به كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله عز وجل فاعظموا الرغبة وسلوه الفردوس الاعلى فان الله عز وجل لا يتعاظمه شيء وفي حديث آخر فاكثروا وسلوا الدرجات العلى فانما تسألون جوادا كريما وفي الاثر ان رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة فاذا ادخلا الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول الآخر يا رب ما كان هذا في الدنيا باكثر عبادة لك مني فرفعته علي في عليين فيقول الله سبحانه وتعالى انه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى وكنت انت تسألني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله وروينا في الاخبار المشهورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا يخرج من النار فيوقف بين يدي الله سبحانه وتعالى فيقول له كيف وجدت مكانك فيقول يا رب شر مكان فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله سبحانه وتعالى الى اي شيء تلتفت فيقول يا رب لقد رجوت ان لا تعيدني اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول سبحانه وتعالى اذهبوا به الى الجنة فقد صار الرجاء طريقه الى الجنة كما كان الخوف طريق صاحبه اليها كما روينا ان الآخر سعى مبادرا الى النار لما قال ردوه فقال له في ذلك فقال لقد ذقت من وبال معصيتك في الدنيا ما خفت

من عذابك في الآخرة فيقال اصرفوه الى الجنة وقال الله سبحانه وتعالى في وصف قوم أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه فطرق عز وجل لاوليائه الى القرب والوسيلة الرجاء له كما طرق الخوف منه اليها وهذا احد الوجهين في الآية لمن لم يجعله وصفا للاصنام لأنها قرئت بالتاء تدعون قرأها طلحة بن مصرف وكذلك ندب المؤمنين الى طلب القرب منه في قوله عز وجل اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة فهذه جمل احكام الرجاء واوصاف الراجين فمن تحقق بجميعها فقد استحق درجات اهل الدرجات وهو عند الله عز وجل من المقربين ومن كان فيه وصف من هذه الاوصاف فله مقام من الرجاء واعلم ان مقامات اليقين لا يزيل بعضها بعضا ولكن يندرج بعضها في بعض فمن غلب عليه حال منها عن وجد مشاهدته وصف بما غلب عليه واستجن ما سوى ذلك من المقامات فيه ومن عمل بشرط مقام منها وقام بحكم الله عز وجل فيه نقل الى ما سواه وكان المقام الاول له علما والثاني الذي اقيم فيه له وجدا فكتم الوجد لانه سره وعبر عن العلم لانه قد جاوزه فصار علانية والرجاء هو جند من جنود الله سبحانه وتعالى يستخرج من اهله ما لا يستخرج من غيره لان بعض القلوب تلين وتستجيب عن مشاهدة الكرم والاحسان وتقبل وتطمئن بمعاملة النعم والامتنان ما لا يوجد ذلك منها عند التخويف والترهيب بل قد يقطعها ذلك ويوحشها اذ قد جعل الرجاء طريقها فوجدت فيه قلوبها ومثل الرجاء في الاحوال مثل العوافي والغنى في الانسان من الناس من يقبل قلبه ويجتمع همه عندهما ويوجد نشاطه ويحسن معاملته بهما كما روينا عن الله سبحانه وتعالى ان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك ومن عبادي من لا يصلحه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك اني ادبر عبادي بعلمي اني بهم عليم خبير فكذلك من عباده من لا يصلحه الا الرجاء ولا يستقيم قلبه الا عليه ولا تحسن معاملته الا بوجود حسن الظن به فهو طريقه اليه ومقامه منه ومنه علمه به وعنده يجد قلبه معه الا انه وان كان طريقا يخرج الى الله تعالى فان الخوف اقرب منه وما قرب فهو اعلى كما الغنى والعوافي طريقان الى الله عز وجل الا ان الفقر والبلاء في عندي اقرب منهما واعلى والله غالب على امره

شرح مقام الخوف

ووصف الخائف وهو الخامس من مقامات اليقين قال الله جل ثناؤه وصدقت انباؤه وما يعقلها الا العالمون فرفع عز وجل العلم على العقل وجعله مقاما فيه وقال سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فجعل الخشية مقاما في العلم حققه بها والخشية حال من مقامات الخوف والخوف اسم لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع للعبادة وهو وصية الله عز وجل للاولين والآخرين بنظم هذين المعنيين قوله سبحانه وتعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون وقوله سبحانه وتعالى ولقد وصينا الذين

اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وهذه الآية قطب القرآن مداره عليها والتقوى سبب اضافه
الله سبحانه وتعالى اليه تشريفا له ومعنى وصله به واكرم عباده عليه تعظيما له فقال في بدن المعتنين
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقاكم وفي الخبر
اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع اقصاهم كما يسمع ادناهم فيقول
يا ايها الناس اني قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الي اليوم فانما هي اعمالكم ترد عليكم
ايها الناس اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت لكم ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وابيتم الا فلان بن فلان وفلان اغنى من فلان فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون
قال فينصب للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فدخلوا الجنة بغير حساب، والخوف حال من مقامه
العلم، وقد جمع الله سبحانه وتعالى للخائفين ما فرقه على المومنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان
وهذه جمل مقامات اهل الجنان فقال سبحانه وتعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال سبحانه وتعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء وقال عز وجل رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وفي خبر موسى
عليه وعلى سائر الانبياء السلام واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فافردهم بغير مشاركة
بالرفيق كما حققهم اليوم بشهادة التصديق وهذا مقام من النبوة فهم مع الانبياء في الرتبة من قبل انهم
ورثة الانبياء لانهم هم العلماء قال الله سبحانه وتعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين ثم
قال عز وجل في اجتماع منازلهم وحسن اولئك رفيقا يكون رفيقا بمعنى رفقاء عبر عن جماعتهم بالواحد لانهم
كانهم واحد وقد يكون رفيقا مقاما في الجنة من علو عليين كقول الرسول صلى الله عليه وسلم عند موته وقد خير
بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله عز وجل فقال اسالك الرفيق الاعلى ثم جاء في خبر موسى صلى الله
عليه وعلى سائر الانبياء وسلم فاولئك لهم الرفيق الاعلى فدل انهم مع الانبياء بتفسير النبي صلى الله عليه وسلم لذلك
وشرف مقامهم فوق كل مقام لطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فالخوف اسم جامع لحقيقة الايمان
وهو علم لوجود الايقان وهو سبب اجتناب كل نهي ومفتاح كل امر وليس يحرق شهوات النفوس
ويزيل آثار آفاتها الا مقام الخوف، وقال ابو محمد سهل رضي الله عنه كمال الايمان بالعلم وكمال العلم بالخوف
وقال مرة العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة وقال ابو الفيض المصري لا يسقى المحب كاس
المحبة الا من بعد ان ينضج الخوف قلبه وقال خوف النار عند خوف الفراق بمنزلة قطرة قطرت
في بحر لجي وكل مومن بالله عز وجل خائف منه ولكن خوفه على قدر قربه فخوف الاسلام اعتقاد العزة
والجبرية لله عز وجل وتسليم القدرة والسطوة له والتصديق لما اخبر به من عذابه وما شدد به من

عقابه، وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه اذا قيل لك تخاف الله عز وجل فاسكت فانك ان قلت لا كفرت
وان قلت نعم فليس وصفك وصف من يخاف، وشكى واعظ الى بعض الحكماء فقال الا ترى هؤلاء اعظهم
واذكرهم فلا يرقون فقال وكيف ينتفع بالوعظ من لم يكن في قلبه من الله عز وجل مخافة وقد قال الله
سبحانه وتعالى في تصديق ذلك سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى اي يتجنب التذكرة الشقي فجعل
من عدم الخوف شقيا وحرمه التذكرة، فخوف عموم المومنين بظاهر القلب عن ظاهر العلم بالعقد وخوف
خصوصهم وهم الموقنون بباطن القلب عن باطن العلم بالوجد فاما خوف اليقين فهو للصديقين من شهداء
العارفين عن مشاهدة من آمن به من الصفات المخوفة وقد جاء في خبر اذا دخل العبد في قبره لم يبق شي
كان يخافه دون الله عز وجل الا مثل له يفزعه ويرعبه الى يوم القيامة فاول خوف اليقين الموصوف
الذي هو نعت الموصوفين من المومنين المحاسبة للنفس في كل وقت والمراقبة للرقيب في كل حين والورع عن
الاقدام على الشبهات من كل شي من العلوم بغير يقين بها ومن الاعمال بغير فقه فيها، وفي خبر موسى
صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم واما الورعون فانه لا يبقى احد الا ناقشته الحساب وفتشت عما في الورع
في يديه الا الورعين فاني استحييهم واجلهم ان اوقفهم للحساب والورع حال من الخوف ثم كف الجوارح
عن الشبهات وفضول الحلال من كل شي بخشوع قلب ووجود اخبات وقال علي رضي الله عنه من اشتاق
الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ثم سجن اللسان وخزن الكلام وان
لا يدخل في دين الله عز وجل ولا في العلم ما لم يشرعه الله عز وجل في كتابه او لم يذكره رسوله صلى الله عليه وسلم في
سنته او لم ينطق به الايمة من السلف في سيرتهم مما لم يكن اصله موجودا في الكتاب والسنة وشبهه
واضحة في العلم فيجتنب ذلك كله ولا يقف ما ليس له به علم خوفا من المسالة عنه ولا يدخل فيه لدقيق
هوى يدخل عليه ولا لعظيم حظ دنيا يدخل فيه وان ينصح نفسه لله عز وجل لانها اول الخلق ثم ينصح
الخلق في الله عز وجل فيبتدي بالنصح في امور الدين والآخرة ثم بعقبه في اسباب الدنيا لان امور الدين
والآخرة اهم والغش في الدين اعظم والتزود للمنقلب آثر، وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
غش امتي فعليه لعنة الله قلنا وما غش امتك قال ان يبتدع لهم بدعة فيتبع عليها فاذا فعل ذلك فقد
غشهم، وثمرة الخوف العلم بالله عز وجل والحياء منه وهو اعلى مثوبات المزيد يستبين احكام ذلك في معنيين
فاما جملة العبد ان يحفظ راسه وما حواه من السمع والبصر واللسان وان يحفظ بطنه وما وعاه وهو القلب
والفرج واليد والرجل وهذا خوف العموم وهو اول الحياء، واما خوف الخصوص فهو ان لا يجمع ما لا ياكل ولا
يبني ما لا يسكن ولا يكاثر فيما عنه ينتقل ولا يغفل ولا يفرط عما اليه يرتحل وهذا هو الزهد وهو حياء اهل

مزيد الحياء من مقربي أصحاب اليمين وقد روينا معنى ما ذكرناه في حديثين أحدهما عام والآخر خاص
وكل من استعمل قلبه في بدايته وجعل الخوف حشو إرادته لم يتحجب في خاتمته ولم يكن إماماً للمتقين
عند علو معرفته وأعلى الخوف أن يكون قلبه معلقاً بخوف الخاتمة لا يسكن إلى علم ولا عمل ولا يقطع على
النجاة بشيء من العلوم وإن علت ولا بسبب من الأعمال وإن جلت لعلمه بتحقيق الخواتم فقد قيل إنما
يوزن من الأعمال خواتمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى يقال
إنه من أهل الجنة وفي خبر حتى ما يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار
ولا يتأتى في هذا المقدار من الوقت شيء من عمل الجسم بالجوارح إنما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول
وهو شرك التوحيد الذي لم يكن قد تحقق به وشك في اليقين الذي لم يكن في الحياة مشاهداً له ظهر له بيان
ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه وبدت فيه حالة كما تظهر له أعماله السيئة فيستحليها قلبه
أو ينطق بها لسانه أو يخالطها وجده فتكون هي خاتمته التي يخرج عليها روحه وذلك هو سابقته التي
سبقت له من الكتاب كما قال سبحانه وتعالى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يكون عند مفارقة الروح الجسد
وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص وقد جاء في خبر حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فواق ناقة فيختم له بعمل
أهل النار وهذا يكون عند بلوغ الروح التراقي وتكون النفس قد خرجت من جميع الجسد واجتمعت في القلب
إلى الحلقوم وهذا هو شبر وفواق ناقة هو ما بين الحلبتين وقيل هو شوط من عدو ما بين سريتين وهذا
من تقليبات القلوب عن حقيقة وجهة التوحيد إلى وجهة الضلال والشرك عند ما يبدو له من زوال عقل
الدنيا وذهاب علم المعقول فيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب وأكثر ما يقع سوء الخاتمة بثلاث طوائف من الناس
أهل البدع والزيغ في الدين لأن إيمانهم مرتبط بالمعقول فأول آية تظهر لهم من قدرة الله عز وجل
أن يطيح عقله عند معاينتها فيذهب إيمانه ولا يثبت لشهادتها كما تحترق الفتيلة فيسقط المصباح
والطبقة الثانية أهل الكبر والإنكار لآيات الله عز وجل وكراماته لأوليائه في الحياة الدنيا لأنه لم يكن لهم يقين
بحمل القدرة ويمده الإيمان فيعثون بهم الشك يقوى عليهم لفقد اليقين والطبقة الثالثة ثلاثة أصناف
متفرقون متفاوتون في سوء الخاتمة وجميعهم دون تلك الطائفتين في سوء الخاتمة لأن سوء الختم على مقامات
أيضاً لمقامات الكفر والشرك في عمر الحياة منهم المدعي المتظاهر الذي لم يزل إلى نفسه وعمله ناظراً والفاسق
المعلن والمصر المدمن يتصل بهم المعاصي إلى آخر العمر ويدوم تقلبهم فيها إلى حين كشف الغطاء فإذا
رأوا الآيات تابوا إلى الله عز وجل بقلوبهم وقد انقطعت أعمال الجوارح فليس يتأتى منهم ولا تقبل توبتهم
ولا تقال عثرتهم ولا ترحم عبرتهم وهم من أهل هذه الآية وليست التوبة للذين يعملون السيئات

حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن وهم مقصودون بقوله عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون
ومعنيون بقوله جل وعلا فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده فنصوص الآية للكافرين ومعناها
ومقام منها لأهل الكبائر وذوي الإصرار من الفاسقين الزائغين من حيث اشتركوا في سوء الخاتمة ثم
تفاوتوا في مقامات منها تظهر لهم شهوات معاصيهم ويعاد عليهم تذكرها تخلق قلوبهم من الذكر والخوف
حتى يختم لهم بمشاهدتها فهذه الأسباب تجلب الخوف وتقطع قلوب ذوي الألباب وقد كان أبو محمد رحمه الله
يقول المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر وكذلك قال أبو يزيد رضي الله عنه
قبله إذا توجهت إلى المسجد كأن في وسطي زناراً أخاف أن يذهب بي إلى البيعة وبيت النار حتى
أدخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي في كل يوم خمس مرات هذا لعلمهم بسرعة تقلب القلوب في قدرة
الغيوب وقد روينا معنى ذلك عن عيسى صلوات الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلامه أنه قال يا معشر الحواريين
أنتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر وروينا في أخبار الأنبياء عليهم السلام
أن نبياً شكى إلى ربه عز وجل الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف فأوحى الله عز وجل إليه
عبدي أما رضيت أن عصمت قلبك أن يكفر بي حتى تسألني الدنيا قال فأخذ التراب فوضعه على رأسه
وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فلم يذكر نعمته عليه بنبوته وعرضه للكفر وجوز دخوله
عليه بعد النبوة فاعترف النبي عليه وعلى سائر الأنبياء السلام بذلك ورضي واستعصم وكان عبد الواحد
ابن زيد رضي الله عنه إمام الزاهدين يقول ما صدق خائف قط ظن أنه لا يدخل النار وما ظن أحد أنه
يدخل النار إلا خاف أن لا يخرج منها أبداً وقد قال الحسن البصري إمام العلماء قبلهم يخرج من النار رجل
بعد ألف عام ويا ليتني ذلك الرجل هذا لشدة خوفه من الخلود في الأبدية وقال فبعد أن أخرج منها بوقت
لا أبالي والعدو يدخل على العارفين من طريق الجاحد في التوحيد والتشبيه في اليقين والوسوسة في
صفات الذات ويدخل على المريدين من طريق الآفات والشهوات فلذلك كان خوف العارفين أعظم ومن قبل
أن العدو يدخل على كل عبد من معنى همه فيشككه في اليقين كما يزين له الشهوات فأرواح الصديقين
متعلقة بالسابقة ماذا سبق لهم من الكلمة هناك مشاهدتهم ومن ثم فزعهم لا يدرون أسبق لهم قدم
صدق عند ربهم فيختم لهم بمقعد صدق فيكونون ممن قال الله عز وجل إن الذين سبقت لهم منا الحسنى
أولئك عنها مبعدون ويخافون أن يكونوا ممن حقت عليهم الكلمة فيكونون ممن قال الرسول صلى الله عليه وسلم
يقول الله سبحانه وتعالى هؤلاء في النار ولا أبالي فلا تنفعهم شفاعة شافع ولا ينقذهم من النار دافع
كما قال مولاهم أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار وكقوله جل وعلا ولكن حق القول

حتى لا املأن جهنم فهذه الآي ومعناها تخويف لأولي الأبصار وقال علماؤنا رحمهم الله في قوله عز وجل وإياي
فاتقون عموم أي فيما نهيت عنه وقوله عز وجل وإياي فارهبون أي في اكتساب بقيه وهذا خصوص
وقد نوّع بعض العارفين خوف المؤمنين على مقامين فقال قلوب الأبرار معلقة بالخاتمة يقولون
ليت شعري بماذا يختم لنا وقلوب المقربين معلقة بالسابقة يقولون ترى ماذا سبق لنا منه وهذان
المقامان عن مشاهدتين احداهما اعلى وانفذ من الاخرى كما ان احداهما اتم واكمل فهذا كما قيل ذنوب
المقربين حسنات الأبرار اي ما يرغب فيه الابرار وهو عندهم فضائل زهد فيه المقربون فهو عندهم حجاب
ومن حقت عليه كلمة العذاب وسبق له من مولاه الختم بسوء الاكتساب لم ينفعه شيء فهو يعمل في بطالة
لا اجر له ولا عاقبة من قبل ان سوء الخاتمة قد يكون في وسط العمر فلا ينتظر بها آخره يوافق معصية
يكون سببها بعد الخاتمة اذ هما في سبق العلم سواء فالحال ثمة حينئذ فاتحة والوقتان واحد قد نظر
اليه نظرة بعد فهو يزداد باعماله بعدا فاذا انقطعت الآجال وانتهت الاعمال تناهى في الابعاد فحل في
دار البعد فهذا كما قال الحكيم: من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يصنع من قد غص بالماء
بل كيف يصنع من اقصاه مالكه فليس ينفعه طب الاطباء وقد روينا في الخبر والله لا يقبل من مبتدع
عملا لانه رد على الله عز وجل سنته فرد الله عليه عمله كلما ازداد اجتهادا ازداد من الله بعدا وعن
هذه المشاهدة كان خوف الحسن البصري رضي الله عنه وحزنه لعلمه بانه عز وجل لا يبالي ما فعل بوصف
الجبرية فخاف ان يقع في ترك المبالاة وان يجعله نكالا لأهل طبقته وموعظة لاصحابه يقال انه ما
ضحك اربعين سنة وكنت اذا رايته قاعدا كانه اسير قدم ليضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الآخرة فيخبر
عن مشاهدتها واذا سكت كأن النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما يؤمنني ان يكون قد
اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فانا اعمل في غير معمل فيحق لهذا من الحسن
رضي الله عنه ولكن ليس الخوف يكون لكثرة الذنوب ولو كان كذلك لكنا اكثر خوفا منه انما يكون لصفاء
القلب منها وشدة التعظيم لله سبحانه وتعالى وقد بشر العلاء بن زياد العدوي رحمه الله بالجنة وكان من العباد
فغلق عليه بابه سبعا فلم يذق طعاما وجعل يبكي ويقول أنا في قصة طويلة حتى دخل عليه الحسن رحمه الله
فجعل يعذله في شدة خوفه وكثرة بكائه وقال اخي من اهل الجنة ان شاء الله اتقاتل نفسك فما ظنك
برجل يعذله الحسن البصري في الخوف وقد كان من فوقهم من علية الصحابة يتمنون انهم لم يخلقوا بشرا
وقد كانوا بشروا بالجنة يقينا في غير خبر من ذلك قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ليتني مثلك يا طير
واني لم اخلق بشرا وقول عمر رضي الله عنه وددت اني كنت كبشا ذبحني اهلي لضيفهم وقول طلحة

رحمه الله كذلك وددت اني لم اخلق وابو ذر رحمه الله يقول وددت اني شجرة تعضد وعثمان رضي الله عنه
يقول وددت اني اذا مت لم ابعث وعائشة رضي الله عنها تقول وددت اني كنت حيضة ونسيا
منسيا وابن مسعود رضي الله عنه يقول ليت اني اكون رمادا وفي رواية ليت كنت بعرة ليتني لم اك شيئا
في طبقة بجة عددهم ونحن في ارتكاب الكبائر وتحدث نفوسنا بالدرجات العلى والقرب من سدرة المنتهى
ونسينا ان ابانا آدم صلى الله عليه وسلم اخرج من الجنة بعد ان دخلها بذنب واحد ونحن لم نزل فانما نضرب
في حديد بارد وروينا في خبر ان رجلا من اهل الصفة استشهد فقالت امه هنيئا لك عصفور من عصافير
الجنة هاجرت الى سبيل الله وقتلت في سبيل الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك فلعله كان
يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر بمثل هذه القصة انه دخل على بعض اصحابه وهو عليل
فسمع امه تقول هنيئا لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله عز وجل فقال الرجل هي امي
يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وروينا بمثل هذا المعنى
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى على طفل منفوس وفي رواية انه سمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب
النار وفي رواية ثانية انه سمع قائلة تقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال وما يدريك
انه كذلك والله اني رسول الله وما ادري ما يصنع بي ان الله عز وجل خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار
وخلق لها اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة عثمان بن مظعون
رحمه الله وكان من المهاجرين الأولين ومن الشهداء لما مات قالت له ذلك ام سلمة وكانت ام سلمة رضي الله عنها
تقول والله لا ازكي احدا بعد عثمان واعجب من ذلك عن محمد بن خولة الحنفية انه قال والله لا ازكي احدا
غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابي الذي ولدني قال فثارت الشيعة فاخذ يذكر من فضائل علي رضي الله عنه
ومناقبه فهذه المعاني احرقت قلوب الخائفين ولعل ذكر البعد في الابعاد الذي شيب الحبيب القريب
في قوله صلى الله عليه وسلم شيبتني هود واخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون لان في
سورة هود الا بعدا لثمود الا بعدا لعاد الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وفي سورة الواقعة ليس
لوقعتها كاذبة اي وقعت الواقعة بمن سبقت له الباقية وحقت الحاقة بمن حقت عليه الفاقة
خافضة رافعة خفضت قوما في الآخرة كانوا مرفوعين في الدنيا حين ظهرت الحقائق وكشفت عواقب
الخلائق الى اسفل السافلين واما سورة التكوير ففيها خواتم المصير وهي صفة القيامة لمن ايقن وفيها
تجلي معاني الغضب لمن عاين آخر ذلك واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت
هذا فصل الخطاب اي عند تسعير الميزان واقتراب الجنان حينئذ تتبين النفس ما احضرت من شر

يصلح له الجحيم او خير يصلح للنعيم ويعلم اذ ذاك من اي اهل الدارين نكون وفي اي المنزلتين نحل فكم من
قلوب قد تقطعت حسرات على الابعاد من الجنان بعد اقترابها وكم من نفوس تصاعدت زفرات على تيقنها
بمعاينة النيران انها تصيبها وكم من ابصار ذليلة خاشعة لمشاهدة الاهوال وكم من عقول طايشة
لمعاينة الزلزال وحدثت عن ابي محمد سهل رضي الله عنه قال رايت كاني ادخلت الجنة فلقيت فيها ثلثمائة
نبي عليهم السلام فسالتهم ما اخوف ما كنتم تخافون في الدنيا فقالوا سوء الخاتمة فلاجل ثمة شي من
مكر الله عز وجل الذي لا يوصف ولا يفطن له ولا عليه يوقف ولا نهاية لمكره لان مشيئته واحكامه لا غاية لها
ومن ذلك الخبر المشهور ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلم بكيا خوفا من الله عز وجل فاوحى سبحانه وتعالى
اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا ومن يامن مكرك فلولا انهما علما ان مكره لا نهاية له لان حكمه
لا غاية له لم يقولا ومن يامن مكرك مع قوله عز وجل قد امنتكما ولكان قد انتهى مكره لقوله عز وجل ولكانا
قد وقفا على آخر مكره ولكن خافا من بقية المكر الذي هو غيب عنهما وعلما انهما لا يقفان على كنه
غيب الله عز وجل اذ هو علام الغيوب ولا نهاية لعلام في علم ولا غاية للغيوب بوصف فلم يحكم عليهما
القول لغايته بهما وفضل نظرهما لهما ولانهما على مزيد من معرفة الصفات اذ المكر عن الوصف وباطن
القول لا يقضي على باطن الوصف فهما خافا ان يكون قوله عز وجل قد امنتكما مكرا من مكره ايضا
بالقول على وصف مخصوص عن حكمه قد استاثر بعلمها يختبر بذلك حالهما وينظر كيف يعملان بعد امنه
لهما به اذ الابتلا وصفه من قبل ان يبلينا اسمه فلا يترك مقتضى وصفه لتحقيق اسمه ولا يبدل
سنته التي قد خلت في عباده كما اختبر خليله عليه السلم لما اهوى به المنجنيق فهو في الهوا فقال حسبي الله
فعارضه جبرئيل عليه السلم فقال الك حاجة قال لا وفا بقوله حسبي الله وصدق القول بالعمل فقال
الله عز وجل وابرهيم الذي وفى اي بقوله حسبي الله ولان الله عز وجل لا يدخل تحت الاحكام ولا يلزمه
ما حكم به على الانام ولا نختبر صدقه سبحانه وتعالى ولا يجوز ان يوصف بضد ان يبدل الكلم هو تبديل
منه لان كلامه قايم به فله ان يبدل منه ما شا بما شا وهو الصادق في الكلامين العادل في الحكمين
الحاكم في الحالين لانه حاكم عليه ولا حكم يلزمه فيه لانه قد جاوز العلوم والعقول التي هي اماكن للحدود
من الامر والنهي وفات الرسوم والعقول التي هي اوساط الاحكام والاقدار ففي مشاهدة ما ذكرناه
علم دقيق من علوم التوحيد ومقام رفيع من احوال الموحد ولمثل هذا المعنى وصف صفيه موسى
صلى الله عليه وعلى ساير الانبيا وسلم في قوله عز وجل فاوجس في نفسه خيفة موسى بعد قوله عز وجل لا تخافا
انني معكما فلم يامن موسى عليه السلم ان يكون قد استتر عنه في غيبه واستثنى في نفسه سبحانه وتعالى

ما لم يظهره له في القول لمعرفة موسى صلى الله عليه وعلى ساير الانبيا وسلم بخفي المكر وباطن الوصف ولعلمه
انه لم يعطه الحكم اذ هو محكوم عليه مقهور فخاف خوفا ثانيا حتى آمنه امنا ثانيا بحكم ثان فقال
عز وجل لا تخف انك انت الاعلى فاطمان الى القايل ولم يسكن الى الاظهار الاول لعلمه بسعة علمه انه هو
علام الغيوب التي لا نهاية لها ولان القول احكام والحاكم لا يحكم عليه الاحكام كما لا تعود عليه الاحكام
وانما يفصل الاحكام من الحاكم العلام ثم تعود على المحكومات ابدا ولانه جلت قدرته لا يلزمه ما الزم الخلق
الذين تحت الحكم ولا يدخل تحت معيار العقل والعلم تعالى عن ذلك علوا كبيرا عند من عرفه فاجله وعظمه
عن معارف من جهله ومن هذا قول عيسى عليه وعلى جميع الانبيا السلام ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما
في نفسي ولا اعلم ما في نفسك لما قال له اانت قلت للناس ومثل هذا قوله في يوم القيامة ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فجعلهم في مشيئته وحكمته ولا يصلح ان نكشف حقيقة
ما فصلناه في كتاب ولا ينبغي ان نرسم ما رمزناه من الخطاب خشية الانكار وكراهة تفاوت علم اهل المعقو ل
والمعيار الا ان يسال عنه من اتهم فيه واريد به من ذوي القوة والابصار فينتقل من قلب الى قلب حينئذ
يتلوه شاهد منه او يكشف علام الغيوب في سراير القلوب بوحي الالهام ويقذفه بنور الهدى للاعلام
والله عز وجل الموفق من شا من اوليايه للحيطة بشي من علمه اذا شا بتوليه وهو الفتاح العليم
اذا فتح القلب علمه واذا نوره باليقين الهمه ومن خوف العارفين علمهم بان الله عز وجل يخوف عباده الادنين
بمن شا من عباده الاعلين يجعلهم نكالا للادنين ويخوف العموم من خلقه بالتنكيل ببعض الخصوص
من عباده حكمة له وحكما منه نعتقد للخائفين في علمهم ان الله عز وجل قد اخرج طايفة من الصالحين
نكالا خوف بهم المومنين ونكل بطايفة من الشهدا خوف بهم الصالحين واخرج جماعة من الصديقين
خوف بهم الشهدا والله اعلم بما وراء ذلك وقد روينا في بعض تفسير قوله عز وجل آتيناه آياتنا فانسلخ
منها قال بعض اهل التفسير في اخبار بلعم بن باعور انه اوتي النبوة والمشهور انه اوتي الاسم الاكبر
وكان ذلك سبب هلاكه وقد اخرج جماعة من الملايكة وعظ بهم النبيين وخوف بهم الملايكة المقربين
فصار من اهل كل مقام عبرة لمن دونهم وموعظة لمن فوقهم وتخويف وتهدد لاصحابهم وهذا
داخل في وصف من اوصافه وهو ترك المبالاة بما اظهر من العلوم والاعمال فلم يسكن عند ذلك احد من
اهل المقامات في مقام ولا انظر احد من اهل الاحوال الى حال ولا امن مكر الله عز وجل عالم به في كل حال
كيف وقد سمعوه عز وجل يقول ان عذاب ربهم غير مامون واعلمهم من خاف في الامن حتى يخرج من دار
الخوف الى مقام امين فهذا خوف لا يقوم له شي وكرب لا يوازيه مقام ولا عمل لولا ان الله سبحانه وتعالى

عدّله بالرجاء أخرج إلى القنوط ولولا أنه عز وجل روّحه بحسن الظن لأدخل في الإياس ولكن إذا كان
هو المعدِّل وهو المروِّح كيف لا يعتدل الخوف والرجا ولم لا يمتزج الكرب بالروح والرضى حكمةً بالغةً
حسنًا نافذًا بعلم سابق وقدر جار حقيقته ما شاء الله عز وجل لا قوة إلا بالله وفي شهود ما ذكرناه
علم عن مشاهدة توحيد لمن أشهده فأقل ما يفيد علم هذا الخائفين ترك النظر إلى أعمالهم ورفع السكون
إلى علومهم وصدق الافتقار في كل حال ودوام الانقطاع بكل همّ والإزراء على النفس في كل وصف
وهذه مقامات لقوم فيكون هذا الخوف سبب نجاتهم من هذه الوقائع إذ قد جعل الله عز وجل التخوف أمنةً
من الأخذ بالمفاجأة وسببًا للرأفة والرحمة لمن ألبسه إياه وهو أحد الوجهين في قوله عز وجل أفأمن الذين
مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب ثم قال أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم
لرؤوف رحيم وليس يصلح أيضًا أن يكشف سر المخاوف من الخاتمة والسابقة لأن ذلك يكون عن حقائق
معاني الصفات التي ظهرت عن حقيقة الذات فأظهرت بدائع الأفعال وغرائب الأمثال وأعادت الأحكام
على من أظهرها وجعل لها من حقت عليه الكلمات وجعل نصيبه من معاني هذه الشريعة من الصفات
فيؤدي ذلك منا إلى الكشف بباطن الأوصاف وهو من سر القدر وقد نهي عن إفشائه في غير خبر ولو لم
يطلع الأولياء عليه لما قيل فلا تفشوه وكان غير مأمور به ولا مأذون فيه لأنه لا يجب فلم يؤمر به ولأنه
لم يبح فلم يؤذن فيه فإن أقام الله عز وجل عبدًا مقام هذه المشاهدة أغناه بالمعاينة عن الخبر
واحتسبه بالمحادثة عن الأثر وذلك هو العلم النافع الذي يكون العلام معلّمه وهو الأثر اللازم الذي
يكون الجاعل مؤثره والكتب الذي لا يمحى إلا من نوره والمدد الذي لا ينقطع إذ هو من وجه كما قال
كتبه أبدًا وكل كتب بيد مخلوق فغير محفوظ وقد يضيع وكل أبد بغير وجه فمقطوع وما كتبه الصانع
بصنعه في قلب حفيظ فثبت عتيد وقد روينا عن زيد بن أسلم رحمه الله عن قوله عز وجل في لوح
محفوظ قال قلب المؤمن وكان أبو محمد رحمه الله يقول الصدر هو الكرسي والقلب هو العرش والله سبحانه
وتعالى عليه ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه
ولا يحل للعلماء أيضًا كشف علامات سوء الخاتمة فيمن رأوها فيه من العمال لأن لها علامات جلية
عند المكاشفين بها وأدلة عند العارفين خفية المشرف بهم عليها ولكنها من سر المعبود في العباد
وخبئه في خزائن النفوس لم يطلع عليها إلا الأفراد وقد ستر ذلك وغطاه بسعة رحمته وحلمه
وكثيف ستره وفضله وسيخرج ذلك الخبء يوم تبلى السرائر عند غضبه وعظيم سطوته فما له من
قوة من عمل ولا ناصر من علم لا قوة له فينتصر بها والناصر هو الخاذل فما أسوأ حال من لا ينصر نفسه

وليست له من مولاه صحبة ولو صحبه لنصره كما قال عز وجل لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا
يصحبون وقد قال عز وجل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورًا رحيمًا فمن حكمته
عفوه ومن رحمته ستره وقال عز وجل يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون
فهذه العلوم التي ذكرناها توجب حقائق المخاوف وهي من سر الملك وخبء الملكوت على أن للعبد عند
الموت علامات ليس تخفى على الخائف سوء الخاتمة بها المشاهدين لها وللأحياء علامات عند المكاشفين
على الاطلاع يعرفون بها سوء الخاتمة منهم وهذا علم مخصوص به من أقيم مقام المكاشفات عند مشاهدة
حقيقة من ذات وهو من سر علام الغيوب عند من أطلعه عليه من أهل القلوب لأن الكشوف تتنوع أنواعًا
من المعاني فمنه كشف معاني الآخرة ومنه كشف بواطن الأشياء المستورة بظواهر الأحكام فهذا
من سر الملكوت وهو من معاني كشوف الجبروت وقد جاء في الخبر القدر سر الله عز وجل فلا تفشوه فهذا خطاب
لمن كوشف به وجاء في الخبر الآخر القدر سر الله عز وجل فلا تفتشوه فهذا خطاب لمن لم يكاشف به
ونهي عن السؤال عنه وهو داخل في قوله عز وجل ولا تقف ما ليس لك به علم أي لا تتبع نفسك علم ما لم
تكلف ولا تسأل عما لم نجعل من علمك ولم نوكل إليك ولأنه إذا علمه لم ينفعه علمه شيئًا وإنما ينفعه
علم الأحكام والأسباب لأنها طرقات وبمثل مخاطبة المؤمنين خاطب أنبياءه في هذا المعنى في قوله عز وجل
لنوح صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم حين قال إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق لأنه قد كان وعده نجاة
أهله فقال سبحانه وتعالى إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم أي دعاءك
وما لم تكل لي ما لم أجعله من علمك ولم أوكله إليك عمل غير صالح فعندها استغفر ربه عز وجل واسترحمه
وإن العبد عند موته في آخر ساعة من عمره يكشف له عند كشف الغطاء عن بعض وجوه كثيرة قد اتخذت
آلهةً من دون الله عز وجل أو أشرك بها مع الله عز وجل وكلها تزيين وغرور فإن وقف القلب مع أحدها
أو زين له بعضها أو تقلب قلبه في شيء منها عند آخر أنفاسه ختم له بذلك فخرجت روحه على الشك
أو الشرك وهذا هو سوء الخاتمة وهو نصيب العبد من الكتاب في السابقة عند خلق الأرواح معدومة
لها في الأشباح في الآباد والآزال قبل إظهار الأكوار والأدوار فشهدتها الأرواح هناك غرورًا ووقفت
معها وقد زورت لها زورًا رسوم القلوب في التخطيط قبل خلق الأجسام لها وقبل حجبها بكثيف الهباء كل
عند ظهورها في الوجود وقبل إقامتها بشاهد العقل لكن بشاهد الأولية بذات وبمعنى القيومية
وجدت وبوصف الجامع جمعت ثم فرقت ههنا فظهرت الآن عند الفراق بما كانت شهدت في الملاق
واعترفت في الآخر بما كانت نطقت في الأول وخرجت الروح على ما شهدت وهذا كان خبر السابقة التي

أدركت الأرواح في الأجسام عند الخاتمة ومن ذلك ما جاء في الأثر يأخذ ملك الأرحام النطفة في يده فيقول يا رب
أذكر أم أنثى أسوي أو معوج ما رزقه ما عمله ما أثره ما خلقه قال ثم يخلق الله عز وجل على يده ما شاء فإذا
صوره قال يا رب أنفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاء فلذلك خرجت الروح بما دخلت به فأما إن كان من
المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان
من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة
كما بدأنا أول خلق نعيده ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني إن الذين سبقت لهم
منا الحسنى إن الذين حقت عليهم كلمة ربك ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ولهم أعمال من
دون ذلك هم لها عاملون وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين فهذه الآي
ونظائرها وردت في السوابق الأول والخواتم الأخر وفيها سرائر الغيوب وغرائب الفهوم وهن من آي المطلع
لأهل الإشراف على شرفات العرش والأعراف وقال بعض العارفين لو علمت أحدا على التوحيد خمسين سنة ثم
حالت بيني وبينه أسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لأني لا أدري ما ظهر له من التقليب وكان أبو محمد رضي الله عنه
يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل حركة وكل خطرة وهمة يخافون البعد من الله عز وجل وهم
الذين مدح الله عز وجل بقوله وقلوبهم وجلة وقال لا يصح خوفه حتى يخاف من الحسنات كما يخاف من
السيئات وقال أيضا أعلى الخوف أن يخاف سابق علم الله عز وجل فيه ويحذر أن يكون منه حدث خلاف السنة
يجره إلى الكفر وقال خوف التعظيم ميراث خوف السابقة وكان بعض العارفين يقول لو كانت الشهادة على
باب الدار والموت على الإسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الشهادة قيل ولم قال لأني لا أدري ما يعرض
سانح من المشاهدة فيما بين باب الحجرة وباب الدار فيغير التوحيد ورويناه عن زهير بن نعيم البابي رحمه الله قال
ما أكثر همي ذنوبي إنما أخاف ما هو أعظم علي من الذنوب أن أسلب التوحيد وأموت على غيره وروى
ابن المبارك عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة رضي الله عنهم قال كان رجل يعتزل الناس إنما كان يكون وحده
فجاءه أبو الدرداء فقال أنشدك الله عز وجل ما يحملك على أن تعتزل الناس قال إني أخشى أن أسلب
ديني وأنا لا أشعر قال أترى في الحي مائة يخافون ما تخاف فلم يزل ينقص حتى بلغ عشرة قال فحدثت بذلك
رجلا من أهل الشام قال ذاك شرحبيل بن السمط رضي الله عنه وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
كان أبو الدرداء رضي الله عنه يحلف بالله عز وجل ما أحد أمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه
وقد كان بعض علمائنا يقول من أعطي التوحيد أعطيه بكماله ومن منعه منعه بكماله إذ كان التوحيد في
نفسه لا يتبعض ولما احتضر سفيان الثوري رحمه الله جعل يبكي ويجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك

بالرجاء فإن عفو الله عز وجل أعظم من ذنوبك فقال أو على ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال
أن ألقى الله عز وجل بأمثال الجبال من الخطايا وقد كان بعض العلماء يقول لو أني أيقنت أن يختم لي بالسعادة
كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس في حياتي أجعله في سبيل الله عز وجل وقال بعض هذه الطائفة في معنى
قول الله عز وجل خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا قال يبلوكم بتقليب القلوب في حال الحياة بخواطر
الذنوب وفي حال الموت بالحياد عن التوحيد فمن خرجت روحه على التوحيد وجاوزت البلاوي كلها إلى المبلي
فهو المؤمن وذلك هو البلاء الحسن كما قال عز وجل وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وحدثني بعض إخواني
عن بعض الصادقين وكان خائفا أنه أوصى بعض إخوانه فقال إذا حضرتني الوفاة فاقعد عند رأسي فإذا
عاينت فانظر إلي فإن رأيتني مت على التوحيد فاعمد إلى جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره
على صبيان أهل البلد وقل هذا عرس المنفلت وإن رأيتني مت على غير التوحيد فأعلم الناس أني مت على غير
التوحيد حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد
الوفاة فأكون قد خدعت المسلمين فقلت ومن أين أعلم أنك قد مت على التوحيد فذكر له علامة تظهر من
بعض الأموات خفيناها من ذكرها قال فكنت عند رأسه أنظر إليه كما أمر حتى عاين فرأيت علامة حسن الخاتمة
وأمارة الموت على التوحيد قد ظهرت وفاضت نفسه رحمه الله قال فنفذت وصيته كما أمر ولم أحدث
بذلك إلا خصوص إخواني من العلماء وذلك أن العبد مهما عمل في حياته من سوء أعيد ذكره عليه عند فراق
الحياة ووقفت مشاهدته فيه عند آخر ساعة من عمره فإن استحل ذلك بقلبه أو استهواه بنفسه وقف
معه فإذا وقف معه حسب عليه عملا له وإن قل فكان ذلك خاتمته وكذلك ما عمل من خير أعيد ذكره وشاهده
عليه فإن عقد عليه بقلبه أو اجتباه ووقف معه فحسب عملا له فكان ذلك حسن خاتمته هذه المعاني من
العلوم أوجبت خوف الخائفين من علم الله عز وجل فيهم فلم ينظروا معها إلى محاسن أعمالهم لكيفية معرفتهم
بربهم عز وجل وهذا الخوف هو ثواب لعملهم بما يعلمون فلما سلموا من مطالبة ما يعلمون وصحوا على العلم
كشف لهم خوف علم الله عز وجل فيهم نعمة من الله سبحانه وتعالى عليهم فكان ذلك مقاما لهم كما قال عز وجل
قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما قيل أنعم عليهما بالخوف والمقام الآخر لأصحاب اليمين
دون هؤلاء خوف الجنايات والاكتساب وخوف الوعيد وسوء العقاب وخوف التقصير عن الأمر وخوف
مجاوزة الحد وخوف سلب المزيد وخوف حجاب اليقظة بالغفلة وخوف حدوث الفترة بعد النشرة وخوف
وهن العزم بعد القوة وخوف نكث العهد بعد التوبة وخوف الوقوع في الابتلاء بالسبب الذي جرت به
العادة وخوف الاعوجاج عن الاستقامة وخوف عود العادة بالشهوة وخوف الحور بعد الكور

وهو الرجوع عن المحجة الى طريق الهوى وحرث الدنيا وخوف اطلاع الله عز وجل عليهم عند ما سلف من
ذنوبهم ونظره اليهم على قبيح اعمالهم فيعرض عنهم ويمقتهم هذه كلها مخاوف وطرقات اهل المعارف
وبعضها اعلى من بعض وبعضهم اشد خوفا من بعض ويقال ان العرش جوهرة يتلألأ الكون
فلا يكون العبد على حال من الاحوال الا طبع مثاله في العرش على الصورة التي يكون عليها فاذا كان يوم
القيامة ووقف للمحاسبة كشف له صورته من العرش فرأى نفسه على هيئته التي كانت في الدنيا فذكر
فعله بمشاهدة نفسه فيأخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف ويقال ان الله سبحانه وتعالى
اذا اعطى عبدا معرفة ثم لم يعامله بها لم يسلبه اياها بل يبقيها عليه ليحاسبه على مقدارها ولكن يرفع
منه البركة ويقطع عنه المزيد وقد ذم الله عز وجل عبدا اوجده نعمة استعمله بها صالحا بعد ان كان
قد ابتلاه بهواه فنخر الآن بعمله ونسي ما قدمت يداه ولم يخف ان يعيده فيما قد كان جناه في قوله عز وجل
ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور ، ومن المخاوف
خوف النفاق وقد كان السلف الصالح من الصحابة وخيار التابعين رضي الله عنهم يخافون ذلك كان حذيفة
رضي الله عنه يقول ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا اني
لأسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وكان يقول يأتي على القلب ساعة يمتلي بالايمان حتى لا يكون للنفاق
فيه مغرز ابرة ويأتي عليه ساعة يمتلي بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة ، وكان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الكبائر وفي لفظ آخر من الموبقات ، وقد كان الحسن رضي الله عنه يقول لو اني اعلم اني بريء
من النفاق كان احب الي مما طلعت عليه الشمس ، وقيل لا يبرى من النفاق الا ثلاث طبقات من المؤمنين
الصديقون والشهداء والصالحون وهؤلاء الذين وصفهم الله عز وجل بكمال النعمة عليهم والحقهم بمقامات
انبيائه لكمال الايمان وحقيقة اليقين فيهم ، وقيل من امن النفاق فهو منافق ، وكان بعضهم يقول
علامة المنافق ان يكره من الناس ما يأتي مثله وان يحب على شيء من الجور وان يبغض على شيء من الحق
وقيل من النفاق من اذا مدح بما ليس فيه اعجبه ذلك وعلامات النفاق اكثر من ان تحصى يقال
هي سبعون علامة والحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في اربع هن اصولها يتشعب منهن الفروع فقال
عليه السلام اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن
ففيه شعبة من نفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم
فجر وفي لفظ آخر واذا عاهد غدر فصارت خمسا ، وقال رجل لابن عمر رضي الله عنهما انا ندخل على

هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ورويناه عنه من طريق آخر انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال له ارأيت لو كان
الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشد من ذلك ما ذكر ان نفرا قعدوا على باب حذيفة رضي الله عنه ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من
شانه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا
نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واعظم من هذا ما كان الحسن رضي الله عنه يذهب اليه كان يقول
ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج فدقائق النفاق
وخفايا الشرك عن نقصان التوحيد وضعف اليقين اوجبت المخاوف على المؤمنين خشية مقت الله عز وجل
وخوف حبوط الاعمال ومن ذلك ما كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان الرجل ليخرج من منزله ومعه دينه
فيرجع الى منزله وليس معه من دينه شيء يلقى الرجل فيقول انك لذيت وذيت ويلقى الآخر فيقول
انك لانت وانت ولعله لا يحلى منهم بشيء وقد اسخط الله عز وجل عليه يعني به التزكية لما لا يعلم والمدح
لمن يستحق الذم ولاختلاف قلبه ولسانه ففي هذا مقت من الله سبحانه وتعالى وفوق هذه المخاوف
خوف سلب الايمان الذي هو عندك في خزانة المؤمن يظهره كيف شاء ويأخذه متى شاء لا تدري اهبة
وهبه لك فيبقيه عليك لكرمه او وديعة وعارية اودعك اياه واعارك فيأخذه اذا لا محالة بعدله
وحكمته وقد اخفى عنك حقيقة ذلك واستأثر بعاقبته وقال بعض العارفين انما قطع بالقوم عند الوصول
مع الخاتمة وقال آخر واخطراه كما قال ابو الدرداء رحمة الله عليه وحلف ما احد امن ان يسلب ايمانه
الا سلبه افرأيت الوقت الذي قال حذيفة رحمه الله انه يأتي على القلب فيمتلي نفاقا حتى لا يكون فيه للايمان
مغرز ابرة ان صادف الموت ذلك الوقت وكان هو آخر وقت اليس يخرج روحه على النفاق وكذلك
تقليبات القلوب في معاني الشرك وتلويحات الشك ان وافق ذلك وقت الوفاة كان خاتمته عند لقاء
مولاه عز وجل وانما سميت الخاتمة لانها آخر عمله وآخر ساعة من العمر وخاتم الشيء آخره ومن ذلك قوله
عز وجل وخاتم النبيين اي آخرهم ليس بعده نبي ومثله ختامه مسك وختامه ايضا ان آخر الكاس بدلا
من الثفل يكون مسكا ومن المخاوف خوف قطع المزيد من علم الايمان مع تبقية المعرفة المبتدأة
ويكون مستدرجا بها ممنوعا من المزيد منها وقد يقسي قلبه ويجري عينه وذلك من النقصان الذي يعرفه
اهل التمام لان عين الوجه من الملك للدنيا وعين القلب من الملكوت للآخرة فيمنعه ما ينفعه عنده ويعطيه
ما يغره به ويفتتن عند الخلق ، وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة اذا استحل العبد النفاق ملك عينيه

فيبكي متى شاء وقد كانوا يستعيذون بالله عز وجل من بكاء النفاق وهو أن تفتح للعبد أبواب البكاء وتغلق
عنه باب الذل والخشوع وقد قال الله عز وجل وجاءوا أباهم عشاء يبكون وكان السلف أيضا يقولون استعيذوا
بالله من خشوع النفاق قيل وما هو قال أن تبكي العين والقلب قاس فلأن يعطى الإنسان رقة قلب
في جمود عين خير من أن يعطى دموع عين في قسوة قلب ورقة القلوب عند أهل المعرفة هو خشوع القلب
وانكساره وذله وإخباته فمن أعطاه هذا في قلبه لم يضره ما منعه من بكاء عينه فإن رجح له بفيض العين
فهو فضل ومن أعطاه بكاء عين وحرمه خشوع القلب وذله وخضوعه وإخباته فقد مكر به وهذا هو
حقيقة المنع وعدم النفع وجملة بكاء العين إنما هو في علم العقل فأما علم التوحيد ومشاهدة اليقين
فلا بكاء فيه لأنه يظهر بشاهد الوحدانية فيحمله علم القدرة فتغيض الدموع بانكشاف القوة وقد
وصف الله البكائين بأن البكاء يزيدهم خشوعا في قوله سبحانه وتعالى يبكون ويزيدهم خشوعا فإذا
زادنا البكاء كبرا أو فخرا أعلمنا بذلك عدم الخشوع في القلب وكان تصنعا وعجبا لخفايا آفات النفوس
فأما على المخاوف خوف السوابق والخواتم كما كان بعض العارفين يقول يا بكائي وغمي من ذنوبي وشهواتي
لأنها أخلاقي وصفاتي لا يليق بي غيرها إنما حزني وحسرتي كيف كان هذا قسمي منه ونصيبي حين قسم الأقسام
وفرق العطايا بين العباد فكيف كان قسمي منه البعد فهذا الذي ذكرناه هو جمل خوف العلماء الذين
هم ورثة الأنبياء عليهم السلام وهم أبدال النبيين وأئمة المتقين أولو القوة والتمكين وسئل أبو محمد
رضي الله عنه هل يعطي الله عز وجل أحدا من المؤمنين من الخوف شيئا فقال من المؤمنين من يعطى من الخوف
وزن جبل فقيل فكيف يكون حالهم يأكلون وينامون وينكحون قال نعم يفعلون ذلك داخله والمشاهدة
لانفرادهم والمأوى يظلهم قيل فأين الخوف قال يحمله حجاب القدرة بلطيف الحكمة ويسر القلب تحت
الحجاب في التصريف بصفات البشرية فيكون مثل هذا العبد مثل المرسلين وهذا كما قال لأن شهادة
التوحيد بالتصريف والحكمة تقسيمه بالقيام بالأحكام وذلك أن نور الإيمان في القلب عظيم لو ظهر للقلب
لاحترق الجسم وما اتصل به من الملك إلا أنه مستور بالعقل مغطى بالعلم لإيقاع الأحكام وإيجاب التصريف
فيها والقيام بجري ذلك مجرى الغايبات من معاني القدرة والصفات إلا أن الأنوار محجوبة بالأسماء
والأسماء محجوبة بالأفعال والأفعال محجوبة بالحركات فتظهر الحركة بالقدرة وهي غيب من ورائها
كذلك يظهر التصريف بالحكمة عن نور الإيمان وأنوار الإيمان مستورة من ورائه وقال بعض العارفين لو كشف
وجه المؤمن للخلق عند الله عز وجل لعبد من دون الله عز وجل ولو ظهر نور قلبه للدنيا لم يثبت له شيء
على وجه الأرض فسبحان من ستر القدرة وغيبها بالحكمة وأسبابها حكمة منه ورحمة وتطريقا للخلق إليه

للمنفعة وهي في قراءة أبي بن كعب رحمه الله مثل نور المؤمن فلولا أن نوره من نوره ما استجاز أبي أن يعرف
بغير معناه وقد كان أبو محمد رحمه الله يقول الخوف مباينة النهي والخشية الورع والإشفاق الزهد وكان
يقول دخول الخوف على الجاهل يدعوه إلى العلم ودخوله على العالم يدعوه إلى الزهد ودخوله على العامل يدعوه
إلى الإخلاص وقال أيضا الإخلاص فريضة لا ينال إلا بالخوف ولا ينال الخوف إلا بالزهد لأن من خاف
ترك وقال أيضا من أحب أن يرى خوف الله عز وجل في قلبه فلا يأكل إلا حلالا ولا يصح علم الرجاء
إلا للخائف وقال الخوف ذكر والمحبة أنثى الا ترى أن أكثر النساء يدعون المحبة يريد بهذا أن فضل
الخوف على الرجاء كفضل الذكر على الأنثى وهذا كما قال لأن الخوف حال العلماء والرجاء حال العمال
وفضل العالم على العابد كفضل القمر على الكواكب وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل من علم
أحب إلي من فضل من عمل وخير دينكم الورع واعلم أن الخوف عند العلماء على غير ما يتصور في أوهام العموم
وبخلاف ما يعتقدونه من القلق والاحتراق أو الوله والانزعاج لأن هذه خطرات ومواجيد وأحوال الوالهين
ليست من حقيقة العلم في شيء بمنزلة مواجيد بعض الصوفية من العارفين في أحوال المحبة من احتراقهم ووله‍هم
والخوف عند العلماء إنما هو اسم لصحيح العلم وصدق المشاهدة فإذا أعطي عبد حقيقة العلم وصدق
اليقين سمي هذا خائفا فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم من أخوف الخلق لأنه كان على حقيقة العلم ومن
أشدهم حبا لله عز وجل لأنه كان في نهاية القرب وقد كان حاله السكينة والوقار في المقامين معا
والتمكين والتثبيت في الأحوال كلها ولم يكن وصفه القلق والانزعاج ولا الوله والاستهتار قد أعطي
أضعاف عقول الخليقة وعلومهم ووسع قلبه لهم وشرح صدره للصبر عليهم فكان صلى الله عليه وسلم مع
الأعرابي كأنه أعرابي ومع الصبي بمعناه ومع المرأة في نحوها يقاربهم في علومهم ويخاطبهم بعقولهم ويظهر
منه مثل وجدهم ليعطيهم نصيبهم من الأنس به ويوفيهم حقوقهم من الدرك منه ولئلا تعظم هيبته
في صدورهم فينقطعون عن السؤال له والأنس به حكمة منه لا يفطنون لها ورحمة منه قد جبل عليها
قد ألبس مواجيدهم لبسة وأدخل ذلك عليه صنعة بغير تصنع ولا تكلف ذلك تعليم الحكيم العليم فلذلك
وصفه يتحجب من وصفه فقال عز وجل وإنك لعلى خلق عظيم قيل على أخلاق الربوبية وقرنت بالإضافة يتحجب
فيكون عظيم اسم الله عز وجل لا يظهر من حاله ونصيبه شيئا لقوة التمكين وفضل العقل ولا يبخس من نصيبهم
منه شيئا لحقيقة العدل ولا يتظاهر بشيء لحقيقة الزهد ونهاية التواضع والفضل ولا يظهر عليه شيء
لمكانه القوة ورسوخ العلم والحكمة وعلى مناهجه وسنته وصف العارفين من أهل البلاء الذين هم الأمثل
فالأمثل بالأنبياء وقد قال لي بعض أهل المعرفة من طالب الخلق بعلمه وخاطبهم بعقله فقد بخسهم حقوقهم منه

ولم يقم بحق الله عز وجل فيهم وقال بعض العلماء لا يكون اماما من حدث الناس بكل علمه واظهر لهم نصيبه وكان
يحيى بن معاذ رضي الله عنه يقول لا تخرج احدا من طريقه ولا تخاطبه بغير علمه فتتعب ولكن اغرف له من نهره
واسقه بكاسه وسئل بعض العلماء عن العارف هل يستوحش من الخلق فقال لا يستوحش ولكن قد يكون
نفورا قيل فهل يستوحش منه فقال العارف لا يستوحش منه ولكن قد يهاب ومما يدلك ان الخوف
اسم لحقيقة العلم ان في قراءة ابي بن كعب رضي الله عنه في قوله عز وجل فخشينا ان يرهقهما فخاف ربك وقال
يحيى بن زياد النحوي رحمه الله معناه فعلم ربك وقال الخوف من اسماء العلم بيان آخر في معنى الخوف والخوف
ايضا من اسماء المعاني يوجد بانتفاء ضده فاذا عدم من القلب الامن من كل وجه من احوال الدنيا وامور الآخرة
فلم يامن مكر الله عز وجل في كل الاحوال في تصريف احكام الدنيا وتقليب حركات القلوب في النفوس وجواذب الشهوات
واثارة طبايع العادات ولم يسكن الى عرف ولا اعتياد ولم يقطع بسلامته وبراءته في شي كان هذا خوفا وسمي العبد
بفقد الامن من جميع ذلك خايفا فهذا مستعمل فاش في كلام العرب ومذهبهم يقول احدهم اخاف من كذى
اذا لم يامنه واخاف ان يكون كذا يحقق علمه وقيل لبعض العلماء ما بال العارف يخاف في كل حال فقال لعلمه
ان الله عز وجل قد ياخذ في جميع الحوال ثم ان للخايف بعد هذا طرقا ووجها من قبل ان الخوف المقلق
والازعاج المحرق والاشفاق المولّه هي مجاورات للطرق السابلة التي هي فجاج الايمة الفاضلة وفيها
متاه ومهالك يتنكب عنها العلماء السادة والصفوة المختارة الا انه قد سلك بعض الزهاد والعباد
فيها واريد بعض العابدين بها ليست بمفضلة كل ذلك عند العلماء ولا بنافس فيها مغبوط عليها عند العارفين
لانها قد تخرج من طرقات السالك الى معاوز المهالك وانما اريد ببعضهم التعريف لها والاطلاع عليها ومنهم
من اريد منه التيه والوله فيها الا انها اشهر في اسماع العامة واعجب واهول عند العموم ○ ذكر
تفصيل بين المخاوف ان للخوف سبع معاني تفيض اليها من القلب فالى اي معنى فاض من القلب
اليه اتلف صاحبه به الا ما تستثنيه قد تفيض الخوف من القلب الى المرارة وهي ارق صفات الادمة وهي
باطن البشرة فتحرقها فيقتل العبد وهولاء هم الذين يموتون من الغشي والصعق وبدوات الوجد وهم ضعفا
العمال وقد يطير الخوف من القلب الى الدماغ فتحرق العقل فيتيه العبد فيذهب الحال ويسقط المقام
وقد يحل الخوف السحر وهو الرية فيشقها فيذهب الاكل والشرب حتى يسل الجسم وينشف الدم وهذا
لاهل الجوع والظما والاصفرار وقد تسكن الخوف الكبد فيورث الكمد اللازم والحزن الدايم ويحدث الفكر
الطويل والسهر الذاهب وفي هذا المقام يذهب النوم ويدوم السهر وهذا من افضلها وفي هذا الخوف العلم
والشهادة وهو من خوف العالمين وقد يقدح الخوف في الفرايص والفريصة هي اللحمة التي تكون على الكتف

يقال

يقال للحمتين الكتفين الفريصتان وجمعها فرايص ومنه الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان [illegible]
الفريصتان من اللحم وهو ارق لحم الحيوان واغذيه فمن هذا الخوف يكون الاضطراب والارتعاش واختلاف الحركة وقد
يبدو الخوف من القلب فيغشى العقل فيمحى سلطانه لقهر سلطان القدرة محو الشمس اذا برزت ضوء القمر
البادي الذي يبدو على البصر من خزاين الملكوت فيضعف محله العقل فيضطرب لضعفه الجسم فلا يتمكن العبد
من القرار لضعف صفته وذلك ان اجزاء الانسان وان كانت متفرقة في العيان للحكمة والاتقان فهي كشي
واحد يجمعها لطيف القدرة باطنها والمشيئة فاسفل البنية منوط باعلاها فاذا اضطرب اعلاها مال اسفلها
واذا وصل الداء والدواء الى عضو منها تداعى له سايرها وهذه الطايفة اشبه بالفضل وادخل في وصف
العلم وقد سلك في هذا الطريق اكابر العلماء وافاضل اهل القلوب وقد كان هولاء في التابعين كثيرا منهم الربيع
ابن خثيم واويس القرني وزرارة بن اوفى ونظراوهم من الاخيار رحمهم الله ولم ينكر هذا عليه الصحابة
ممن عرفه مثل عمر وابن مسعود وحذيفة رحمهم الله وقد كان عمر رضي الله عنه يغشى عليه حتى يقع من ذي
قيام ويضطرب كالبعير وقد كان ذلك يلحق سعيد بن خذيم رحمه الله وكان من زهاد اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن امراء الاجناد بعثه عمر رضي الله عنه واليا على اهل الشام فكان يوصف له من شدة
فقره وفاقته ما يعاتبه عمر رضي الله عنه في ذلك وبعث اليه مرة باربعمائة دينار وعزم عليه ليستنفقها
على اهله وعياله ففرق ذلك على الغزاة في قصة طويلة فكتب اليه اهل الشام يذكرون شانه وكان يغشى
عليه في مجلسه فخشوا من دخيلة في عقله ولم يعرف ذلك اهل الشام فسأله عمر رضي الله عنه لما لقيه عن
الذي يصيبه اذا تحدث فاخبره بما يجد من شاهد منه وهو وجد الصوفية من العارفين يعرف ذلك عمر
رحمه الله وعذره قال وما زاده ذلك عنده الا خيرا فكان يكرمه ويعرف له فضله وكتب الى اهل الشا م
ان لا تعنفوه في امر ودعوه وقد كان اقوى الاقوياء وهادي الهداة رسول الله صلى الله عليه وسلم يغشى
عليه عند نزول الوحي اذا لبسه لبسة ازال ترتيب العقل منه ودفع مكان الكون عنه حتى يغط ويتربد
وجهه ويتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي صلى الله عليه وسلم الا ان هذا كان نصيبه في ضرب
من الوحي اذا تغشاه ونزل عليه روح القدس في روحه واستبطن قلبه لان الوحي على اربعة اضرب ضربان
متصلان هذا احدهما وضربان منفصلان وعن كل واحد يلحق العلماء بالله سبحانه وتعالى اهل القلوب ٥
الناظرة والشهادة الحاضرة وصف الا ان ذلك في اهل ثلاث مقامات من المقربين مقام المعرفة ومقام
المحبة ومقام الخوف وكل ضروب الوحي بعد هذه الاربعة وهي عشرة لاهل هذه المقامات الثلاث منه نصيب
شهادة ووجد وحال وخواطر ومقام الا ضربين من انواع الوحي فانهما ممتنع مخصوص بهما المرسلون

منها ظهور ملك في صورته ومنها سمع كلام الله سبحانه وتعالى بصفته وشرح هذا وتفصيله يطول وليس
يعرفه علم يقين إلا من سلك طريقه ولا يشهده شهود تحقيق إلا من ذاق حقيقته ومن آمن به تصديقا
وتسليما فله منه نصيب وقد نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل عليه السلم في صورته بالأبطح فصعق
وروينا عن حمزة الزيات عن حمران بن أعين رحمهما الله عليهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ آية في سورة
الحاقة فصعق وقال الله سبحانه وتعالى وخر موسى صعقا وقد يفيض الخوف من القلب إلى النفس
فيحرق الشهوات ويمحو العادات ويخمد الطمع ويطفي شعل الهوى وهذا أحمد المخاوف وأعلاها عند أهل
المعارف وهؤلاء أفضل الخائفين وأرفعهم مقاما وهو خوف الأنبياء والصديقين وخصوص الشهداء وليس فوق
هذا وصف يغبط عليه خائف ولا يفرح به عارف فإن جاوز الخوف هذه الأوصاف فقد خرج عن حده وجاوز
قدره لأنه إذا أحرق الشهوات ومحى الأهواء فلم يترك شهوة ولا هوى ثم إن لم يعصم العبد من مجاوزة حد الخوف
خرج بالخوف إلى حد ثلثة معان أخر إما أن يرجع إلى النفس فيتلف العبد فيكون له شهادة وليس هذا
محمودا عند علماء الخائفين في باب العلوم والمشاهدات إلا أنه قد قال بعض العلماء ما شهداء بدر بأعظم أجرا
ممن مات وجدا وهذه صفات ضعاف المريدين إذ للعلماء الموقنين بكل شهادة من اليقين أجر شهيد وأوسطها
أن يعلو إلى الدماغ فيذ بذ فتنحل عقدة العقل لذوبه فتضطرب الطبايع لانحلال عقدة العقل ثم تختلط
المزاجات لاضطرابها فتحترق الصفراء فتحول سوداء فيكون من هذا الوسواس والهذيان والتاوه والوله
وذلك أن الدماغ جامد وهو مكان العقل فهو مركب عليه معقود فإذا اختلطت المزاجات اشتعلت فتلهب
شعلها إلى الدماغ فأحرقته وإذا به تحل معقل العقل الذي مكانه مخ الدماغ وسلطانه صقال القلب
الطاهر كصقال الحدقة وهو بمنزلة الشمس الطالعة محلها الفلك العلوي وشعاعها على الأرض كذلك
العقل محله الدماغ وسلطانه في القلب وفي هذا المقام الطيش والهيمان وهذا مكروه عند العلماء
وقد أصاب ذلك بعض المحبين في مقام المحبة فانطبق عليهم فولهوا بوجده ومنهم من فرغ ذلك عن
قلبه فسري عنهم فنطقوا بعلمه وقد كان أبو محمد رضي الله عنه يقول لأهل التقلل الطاوين المتقشفين
احفظوا عقولكم فإنه لم يكن لله عز وجل ولي ناقص العقل والمعنى الثالث وهو شرها في مجاوزة الخوف هو أن
يعظم الخوف ويقوى فيذهب الرجاء إذا لم يواجه بعلم الأخلاق من الجود والكرم والإحسان التي تعدل المقام
وتروح كرب الحال فيخرجه ذلك إلى القنوط من رحمة الله عز وجل والإياس من روح الله عز وجل دخلت
هذه المشاهدة عليهم من قبل العدل والإنصاف بمعيار العقل فجاوزت بهم علم وصفه سبحانه وتعالى
بالكرم وخفي الألطاف فتعدت بهم الحدود من قبل قوة نظرهم إلى الاكتساب ثم تحكم شهادة الأسباب

ورجوعهم إلى نفوسهم في الحول والاستطاعة وإثباتهم التحقيق الوعيد عليهم خاصة لا محالة والحكم على
الحاكم الراحم بعقولهم وعلومهم عن غير تفويض منهم إلى مشيئته ولا استسلام لقدرته ولا تأميل لأحد
معاني صفاته الحسنى التي تعم جميع صفاتهم السوى فظهرت إسآتهم الثواني أمامهم فحجبتهم عن
المحسن الأول ولم يعلموا أنهم بإحسانه إليهم أساؤوا وبسبق علمه فيهم نفذوا وأن قلمه لم يكن بأيديهم أجرى
بما عليهم وأن قهر قدرته وسلطان جبره أظهر منهم من خزائنه ما فيهم يدلك على صحة ما ذكرناه أن أكثر
هذه المخاوف كانت في البصريين وأهل عبادان والعسكريين وكان مذهبهم القدر والقول باللطف وتقديم
الاستطاعة وتفويض المشيئة منهم العمرية أصحاب عمرو بن عبيد والعبادية شيعة عباد والفوطية
والعطوية أصحاب هشام الفوطي وعطاء الغزال ومنهم السمنية أصحاب المنزلة بين المنزلتين والقول بمقدورين
من قادرين وفعل بين فاعلين فابتلوا بالاعتماد على الأسباب وبالنظر إلى الولاية الاكتساب فحجبهم ذلك
عن المقدر الوهاب فهرب هؤلاء من الأمن والاغترار فوقعوا في أعظم منه من القنوط والإياس فصاروا
في كباير المعاصي من خوفهم منها فمثلهم مثل الخوارج خرجوا على الأئمة بالسيف لإنكار المنكر فوقعوا في أنكر
المنكر من تكفير الأئمة وإنكارهم السلطان وتكفيرهم الأمة بالصغائر وهذا من أبدع البدع وهؤلاء
كلاب أهل النار ومثلهم أيضا مثل المعتزلة هربوا من طريق المرجية أن الموحدين لا يدخلون النار فحققوا
الوعيد على أهل التوحيد وخلدوا الفاسقين في النار فجاوزوا حد المرجية وزادوا عليهم كما جاوزت
المرجية طريق أهل السنه وقصرت عنهم وكان إمامنا أبو محمد رضي الله عنه يقول أهل البدع كلهم يرون الخروج
على السلطان ويكفرون الأئمة ويرون السيف على الأمة فهذا أضر الوجوه في مجاوزة الخوف عن قدره
وهو من التعدي لحدود الله عز وجل وأمره وقد جعل الله لكل شيء قدرا ومن يتعد حدود الله فقد
ظلم نفسه فصدق الرجاء واعتدال الخوف به من حقيقة العلم بالله عز وجل ومجاوزة الشيء كالتقصير عنه
والمؤمن حقا هو المعتدل بين الخوف والرجاء فالخوف المتلف للنفس بالموت أو المزيل للعقل بالفوت خير
من هذا الوصف الذي هو القنوط لأن هذا مزيل للعلم ومسقط للمقام وموقع في الكباير على أن هذين المقامين
من الخوف ليس فيهما علم ولا مشاهدة على الكشف وإنما هو قوة وجد يصطلم مرارته إتلاف النفس ومحو
العقل من عبد يمن له خوف الكرب بين خاصة من الأملاك والقلق لأنهم لا ينقلون في المقامات التي يعدلون
لها كمقربي الروحانيين بلغني أن منهم جيلا يخرج كل يوم من تحت العرش بعدد البشر قد أقلقه الشوق
وحفزه الكرب يريد النظر إلى وجه العلي الأعلى فيحرقه شعاع سبحات وجهه فيحترقون احتراق الفراش
من المصباح ثم يعود مثلهم كالغد فهذا دأبهم إلى قيام الساعة كل ملك منهم لو جعل السموات والأرض في كفه

ثم قبضها الغايتنا فيه ولعمري ان سائر الملائكة لا ينتقلون في المقامات كمؤمني المؤمنين انما لكل ملك مقام معلوم
لا ينتقل الى غيره الا انهم يمدون من ذلك المقام بمدد لا نهاية له الى يوم القيامة باكثر ما يزاد جملة البشر
ولكن الملائكة يحمل خوفهم قواهم ويثبت بمشاهدة وصف المخوف خوفهم وصفاتهم فلا يؤودهم ولا يثقلهم
لانهم يمدون بالقوى ويعصمون من الموت بحفظ الآجال الى وقتها في الآخرة على ان منهم من يطيش عقله
ويوله قلبه ومنهم من يسبح في تيهه ومنهم من يتيه فلا يرد وجهه شيء الى يوم القيامة ومنهم من تفزع
الفزعة فلا يرتد اليه طرفه ولا يرجع عقله الى يوم الحشر ومنهم من تصعق صعقة فلا يزال في صرخة واحدة
الى نفخ الصور وكثير منهم يصعقون عند سمع كلام الجبار حتى اذا فزع عن قلوبهم سالوا الروحانيين من المقربين
ذوي الحجب القريبة والرتب العلية منهم جبريل وميكائيل واسرافيل ماذا قال ربكم فهؤلاء الحاضرون من الناظرين
والممكنون من الشاهدين بحجبة القدس اولو المحبة والانس قالوا الحق وهو العلي الكبير فمثل هؤلاء
الخائفين مثل المخلصين من المؤمنين الذين قال اولئك لهم رزق معلوم ومثل الاقوياء من العالمين الى البصائر
والتمكين مثل الصابرين الذين يوتون اجرهم بغير حساب فعلماء الموقنين ينتقلون في مقامات اليقين
بمقتضى احكامها من مقامات خوف الى مقام رجاء مثله فاذا عملوا في هذه المقامات بما تقتضيهم رفعوا
الى ما فوقها من مقام رجاء الى مقام رجاء اعلى منه ومن حال خوف الى حال خوف اشرف منه ثم ينقلون من مقامات
الاشفاق الى حال الاشتياق ومن احوال الوجل والاحتراق الى مقام التملق والطمانينة ومن حال الفزع
الى مقام الانس ومن الوحشة والابعاد والتهويل الى الرضى والمحبة والتاميل فهذا مكان فضلهم على من
وقف في مقامه من العموم فلم يجاوزه ومن استقر بحاله وقام في ظله فلم يقطعه الظل فوقه ممدود ويعلو
بعلو شهادته ومزيد استوائه الى الوجود فمثل الخائفين من المؤمنين مثل الكروبيين من الملائكة ومثل
الراجين من المحبين كمثل الروحانيين من المقربين واصل الرجاء وتفصيله ان عند العلماء بالله عز وجل
من عظيم الرجاء ما يضاهي عظيم الخوف فيعدل البنية ويحكم بين المقامين بالسوية فلا يبدو على قلوبهم
باد من الخوف عن مشاهدة وصف من الصفات المخوفة يحركهم الا طلع طالع وراءه من عظيم الرجاء
اشهد خلقا من الاخلاق اللطيفة يروحهم ولا يطرى على قلوبهم طارد من الخوف يرهبون منه به الا بدا
عليهم باد من الرجاء يانسون به اليه فتعتدل صفاتهم وتستوي مقاماتهم عن معاينة معنى من معاني صفاته
لاستواء كمال ذاته فيكون قلوبهم كلسان الميزان بين الخوف والرجاء ويكونون كالطائر مقوما بين جناحيه
عن شهود وصف وخلق اقتضى ظهور البلاء والنعماء فيحمل الخوف الرجاء ويستولي الرجاء على الخوف ويفضان
معا في سعة القلب وقوته فيغيبان فيه لانه قوي بقوي وواسع بواسع وقادر بمقتدر وينفرد الهم

عن المعنيين فيقف بمشاهدة منفرد فيحكم عليه به افرده ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم بك
احول وبك اصول وبك اقول ومن ذلك قوله في علو شهادته وتعاذ عليه من كونه بشاهده اعوذ بك
منك ومن هذا الاثر المشتهر عن الله سبحانه وتعالى لم تسعني سمائي ولا ارضي ووسعني قلب عبدي المومن
الساكن اللين الوادع ومن ذلك قول المحق الفاضل الا كل شيء ما خلا الله باطل فهذا نطق عن وجد
في مقام البقاء بعد فقد حال الفناء هنالك سمع قول الباقي المغني كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ولا
يصلح تفصيل ما اجملناه ولا شرح ما رمزناه وقال بعض السلف ما البس المومن لبسة احسن من خشوع
في سكينة وخضوع في ذلة هذه لبسة الانبياء وسيما علماء الاولياء وهي طواهر الخائفين وقال
لقمان عليه السلام لابنه يا بني خف الله عز وجل خوفا لا تايس فيه من رحمته وارجه رجاء لا تامن فيه مكره
ثم فسره مجملا فقال المومن كذي قلبين يخاف باحدهما ويرجو بالآخر معنى ذلك ان المومن ذو وصفين عن مشاهدتين
لان المومن الاول والشاهد الاعلى ذو وصف مخوف مثل البطش والسطوة والعزة والنقمة فاذا شهد العبد
ما آمن به من هذه الصفات خاف اذا عرفه بها وتجلى له بشاهدها والمعروف ايضا هو المالوف ذو اخلاق
مرجوة من الكرم والرفق والرحمة واللطف فاذا شهد القلب ما آمن به من هذه الاخلاق رجا من شهده بها
فصار العبد لوصفيه الرجاء والخوف عن معنى شهادتيه المخوفة والمرجية عن وصفي مخوفه ومرجوه صار
كذي قلبين كانه يرجو بقلب ويخاف بآخر وانما هما شهادتان في قلب واحد لانهما مقامان لقلب واحد عن
شهود مخوف ومرجو واحد فهذا تفسير قول لقمان عليه السلام ومعنى وصفه المومن ذي الايقان الا ان الخائف
يوصف بما غلب عليه من الحال عما قوي عليه من المشاهدة ويندرج الرجاء في مقامه ويوصف الراجي بما قوي
عليه من الحال عن غلبة شهادته وينطوي الخوف في مقامه ولا كنه للمخوف تعالى ولا نهاية للمرجو سبحانه
وتعالى فاما الشهيد الموقن العالم المقرب فله الحالان جميعا يوصف مع اعتدالهما وبالوصفين جميعا
يعرف مع استوائهما ثم يغلب عليه الوصف التام والحال الكامل فاذا عرف به اندرج الوصفان فيه فيقال
صديق لانه قد تحقق بالصدق فاغنى عن ان يقال مخلص ثم يقال عارف لانه قد رسخ في العلم فكفى
ان يقال صادق ثم يقال مقرب لانه قد اشهد القرب فاقترب ولم يحتج ان يقال عامل وهذه اسماء الكمال
والاحوال التمام لا يفتقر الى ذكر حال دونها ولا يوصف بوصف يوصف خائفا وراجيا لوجودهما فيه واعتدا لهما
عنده لان الخوف والرجاء قد فاضا عليه ثم غاضا فيه فاذا قلت عارف او مقرب او صديق فقد دخل
فيه وصف محب خائف راج عامل لا محالة كما اذا قلت فلان هاشمي استغنيت ان تقول عربي او قرشي
لان كل هاشمي عربي قرشي لا محالة ثم تصفه بوصف التمام ايضا فيندرج الوصفان فيه فتقول

فلان حسني او حسيني فاكتفيت أن تقول قرشي او هاشمي او علوي وان كان قرشيا هاشميا علويا لانه
قد عرف أن كل حسني فهو قرشي هاشمي علوي لا محالة فاما ان تقول فلان عربي او هاشمي او قرشي او
علوي فلا يعرف الا بما وسمته به لانه قد يكون علويا وهو الغاية في النسب ولا يكون حسنيا وقد يكون هاشميا
غير علوي وقرشيا غير هاشمي وقد يكون عربيا غير قرشي فيلزمه وصف ما عرفته حسب فكذلك قولك عارف
او محب او مقرب او صديق هو اسم التمام والكمال في المقامات التي تحتوي على جميع الاسباب كقولك حسني هو
اسم التمام وشرف الكمال الذي يحتوي على الانساب ولا يصح مقام المعرفة الا بعين اليقين في شاهد التوحيد بعد
أن لا يبقى من النفس بقية في مقام اليقين ولا من الخلق روية في شاهد التوحيد فيكون روحانيا بعد فناء النفس
باليقين ربانيا عند شهود الخالق بسبق منه التوحيد لان العارف لا يرسم بحال دون حال اذ قد استغرق الاحوال
ولا يوسم بمقام دون مقام اذ قد جاوز المقامات فحقيقة معناه عارف بالمعروف الذي هو بكل نهاية وفضل
موصوف وغموض غربته عند غير ابناء جنسه أن ينكروه فان تعرف اليهم او عرفوه فليس بعارف وقال بعضهم
في صفة العارف أن يعرف كل شي ولا يتعرف اليه شي وقيل حقيقته أن يعرف ولا يعرف عن مقتضى وصف من
اوصاف الربوبية لانه روحاني رباني وثلاث مقامات لا يقاس عليها ولا يتمثل بها فمن قاس عليها اخطا
ومن تمثل بها ادعى مقام النبوة ومقام المعرفة ومقام محبوب وقد ذكرناه في شرح مقام المحبة
ولا يصح هذا المقام الا بعين اليقين في شاهد قيومية التوحيد بعد ان لا يبقى من النفس بقية في مقام
اليقين ولا يبقى من الخلق روية في شاهد التوحيد عندها كان العارف روحانيا بعد فناء النفس باليقين
ربانيا عند شهود الخالق بقيومية التوحيد فهذه طرائق الخائفين وجمل صفات العارفين لانهم متفاوتون
في القرب والاقتراب متعالون في التقرب والتقريب مترافعون في التعرف والتعريف فالموقنون من الشهداء
وهم المقربون من الصديقين بشهادتهم قائمون لهم من القرب الاقتراب ومن التقرب التقريب ومن التعرف
التعريف ومن الايلاف التاليف لان مقامهم في القرب العالي الطريق الاقرب والوجهة العليا وهم السابقون
ولاهل مقامات اليقين الى القرب والتقريب والى الحب والتحبيب ولهم التالف والتعريف وهولاء الابرار
ومن افضل طرقات الخائفين ما سرى خوفه الى النفس فاطفا شعل الهوى واخمد نار الشهوات فسقطت
له اثقال المجاهدة وخفت عنه مؤونة المكابدة ووجدت معه حلاوة الطاعة لفقد حلاوة المعصية
فاجتمع الهم بالحق عند زوال التشتت بالهوى والخلق وسكنت النفس بالطمانينة لمعاينة القلب للشهادة
فظهر نعيم الزهد والرضى لباطن الصدق والاخلاص ثم سكن الخوف في القلب بعد ذلك فلم يجاوزه
فيتعدى احد الى بعض المقامات التي ذكرناها بل كان منه الحزن الدائم والهم اللازم والخشوع القائم وهذا

وصف القلب المنكسر وحال العبد المنجبر الذي [illegible] الجبار فجبره بعد كسره فصلح له بعد أن عطل
من غيره وصار مريد العالم الخائف من الله كشوف اليقين وتقلبه لديه في شهادة المقربين فكان القريب
لديه موجودا وصار الحبيب عنده مطلوبا لانه من المنكسرة قلوبهم من اجله وبانه قد صار عنده من اهله
واعلم أن الذي قطع الخلق عن الله تعالى حلاوة الهوى ولا يخرجها الا احد شيئين تخرج من الخوف فتغلب
حلاوة الهوى فتخرجه او غلبة حلاوة المحبة فيستغرق حلاوة الهوى فيغمره فان عدم احد هذين الوجهين
فهو من المنبذين من ذلك وروينا ان عليا رضي الله عنه قال لبعض الخائفين وقد تاه عقله واخرجه الخوف
الى القنوط ما الذي اصارك الى ما ارى فقال ذنوبي العظيمة فقال ويحك ان رحمة الله عز وجل اعظم من
ذنوبك فقال ان ذنوبي اعظم من ان يكفرها شي فقال ان قنوطك من رحمة الله عز وجل اعظم من ذنوبك
والخوف جند من جنود الله عز وجل قد يستخرج من قلوب المريدين والعابدين ما لا يستخرجه الرجاء ويستجيب
له القلوب المرادة به بنهايات الزهد وحقائق التوبة وشدة المراقبة وقد يفعل الله عز وجل جميع ذلك
باهل الرجاء والمحبة في مقامات الرجاء يستخرجه منهم الكرم والحياء والخوف اسم جامع لمقامات الخائفين ثم
يشتمل على خمس طبقات في كل طبقة ثلاث مقامات فالمقام الاول من الخوف هو التقوى وفي هذا المقام المتقون
والصالحون والعاملون والمقام الثاني هو الحذر وفي هذا المقام الزاهدون والورعون والخاشعون والمقام الثالث
هو الخشية وفي هذا طبقات العالمين والعابدين والمحسنين والمقام الرابع هو الوجل وهو للذاكرين والمخبتين
والعارفين والمقام الخامس هو الاشفاق وهو للصديقين وهم الشهداء والمحبون وخصوص المقربين وخوف
هولاء عن معرفة الصفات لاجل الموصوف لا عن مشاهدة الاكتساب لاجل العقوبات كما جاء في الخبر اوحى الله
عز وجل الى داود صلى الله عليه وسلم يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري فالسبع انما يخاف لوصفه بالبطش
والسطوة ولما التبس وجهه من الكبر والهيبة لا لاجل ذنب كان من الانسان اليه وكذلك لهولاء من الرجاء العظيم
والنصيب الاوفر على معنى خوفهم ما لا يسع للعموم ان يذكر كشفه فطلبهم برجائهم وحسن ظنهم بما هو لهم لا يصفه
الا هو ولا يعرفه سواهم جمل ذلك انصبة القرب ونعيم الانس وروح اللقاء وسرور التملق وحلاوة الخدمة
وفرح المناجاة وروح الخلوة وارتياح المجاورة ولطف المجالسة وسر الملاحظة فلهم منه تجلي معاني الصفات
وظهور محاسن الاوصاف فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ولاصحاب اليمين اظهار نعيم الافعال ومواهب
العطاء والافضال وقد كان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول من عبد الله سبحانه وتعالى بالخوف دون الرجاء غرق
في بحار الافكار ومن عبد الله عز وجل بالرجاء دون الخوف تاه في مفاوز الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء
استقام في محجة الادكار وقال مكحول النسفي رحمه الله في معناه الا انه افرط فيه من عبد الله عز وجل

بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء
والمحبة فهو موحد آخر شرح مقام الخوف والحمد لله وحده

شرح مقام الزهد واحوال الزاهدين

وهو المقام السادس من مقامات اليقين قد سمى الله عز وجل اهل الزهد علماء بقوله عز وجل اذ وصف قارون
فخرج على قومه في زينته الى قوله عز وجل وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قيل هم الزاهدون في الدنيا
وقال عز وجل اولئك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا جا في التفسير على الزهد في الدنيا وقال عز وجل والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم قيل على الفقر ويشهد للصبر عن الدنيا في هاتين الآيتين
قوله عز وجل في وصف العلماء الزاهدين لما قال وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قال عقيب ذلك
في بقية ثنائه عليهم ولا يلقاها الا الصابرون اي عن الدنيا ثم قال عز وجل في مدحهم بوصف آخر يوتون
اجرهم مرتين بما صبروا فقد حصل للزاهد اجران بصبره على الفقر وبوجود زهده وللفقير المعدم اجر واحد
على الغني لوجود فقره وعدم زهده وعلى ذلك تاويل الخبرين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في احدهما يدخل
فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا وقال في الخبر الآخر يدخل فقراء المومنين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة
عام بان الفقير الزاهد يدخل الجنة قبل الغني المصلح بخمسمائة عام وهولاء خصوص الفقراء وان الفقير غير
الزاهد يدخل الجنة قبل الاغنياء باربعين خريفا لاجل فقره فقط وهم عموم الفقراء فصار الاغنياء مفضولين
في الحالين معا وان جملة الفقراء يدخلون الجنة قبلهم لمكان غناهم كان في الدنيا وان عموم الاغنياء من اهل
الدنيا موقوفون للحساب ومطالبون بالانفاق والاكتساب بالخبر الثالث اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها
الفقراء واطلعت في النار فرايت اكثر اهلها الاغنياء وفي لفظ آخر فقلت اين الاغنياء قال حبسهم الجد
وقد سمى الله سبحانه وتعالى الفقراء الزاهدين محسنين ووضع عنهم السبيل فقال عز وجل ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون حرج ثم قال ما على المحسنين من سبيل ثم نص على ذكر من عليه الحجة والمطالبة فقال عز وجل انما السبيل
على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف يعني النساء وعلى هذا جا تاويل قوله عز وجل
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل الزهد في الدنيا فصار الاحسان مقام الزاهدين
وهو وصف اليقين كذلك فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل ما الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه
يعني على اليقين وهو المشاهدة ولعمري ان الزهد حال الموقن لانه مقتضى يقينه وقد يحتج متوهم لفضل الاغنياء
على الفقرا عنده بقوله سبحانه وتعالى مخبرا عن الفقراء تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون
ولا يعلم ان هذا عند اهل التدبر للقرآن مزيد للفقراء لتمام حالهم لما كانوا محسنين كما قال عز وجل وسنزيد
المحسنين فكان من مزيدهم الحزن والاشفاق وخوف التقصير لمشاهدة عظيم حق الربوبية عليهم حتى كانهم مسيئون

حتى بشرهم الله سبحانه وتعالى بانهم محسنون لما قال عز وجل ما على المحسنين من سبيل لانه ضمهم اليهم في
الوصف وعطفهم عليهم في المعنى وايضا فلم يكن بكاوهم على فوت الدنيا ولا على طلب الغنى والله سبحانه وتعالى يمدحهم
بصبرهم عن الدنيا ويذم الدنيا اليهم لكن كان حزنهم على طلب المزيد من الفقر ليجدوا الانفاق فيخرجوه
فيفتقروا منه فيزدادوا فقرا ببذله الى فقرهم فعلى الانفاق وحقيقة الفقر من الدنيا كان حزنهم فهذا
فضل ثان للفقرا لا على الجمع والادخار والموضع الاعلى الذي فضل به الفقرا من هذه الآية عند اهل الاستنباط
والتفكر هو مشاركتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حاله ووصف الله عز وجل رسوله عليه السلام بمثل حالهم في قوله
سبحانه وتعالى قلت لا اجد ما احملكم عليه ثم نعتهم بمثله لانهم هم الامثل فالامثل به فقال عز وجل الا يجدوا
ما ينفقون فمن كان برسول الله صلى الله عليه امثل فهو الافضل كيف وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم تحفة
المومن في الدنيا الفقر فجعل الفقر تحفة له من ذي التحيات المباركات مع الخبر المشهور الفقر على المومن
ازين من العذار الحسن على خد الفرس الجواد والفقر اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعار الانبياء
عليهم السلام وطريق علية الصحابة والتابعين باحسان رحمهم الله وقد روينا في الخبر آخر الانبياء دخولا
الجنة سليمان بن داود عليهما السلام وعلى سائر الانبياء لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن
عوف رضي الله عنه لاجل غناه في الدنيا وفي حديث آخر رايته دخل الجنة زحفا ولا نعلم من الامة افضل من
طائفتين المهاجرين واهل الصفة وجميعا مدح الله عز وجل بالفقر فقال عز وجل للفقراء المهاجرين الذين
احصروا في سبيل الله فقدم وصفهم بالفقر على اعمالهم الهجرة والحصر والله سبحانه وتعالى لا يمدح من يحب
الا بما يحب ولا يصف حتى يحبه وروينا في قوله عز وجل وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا قيل
عن الدنيا وروينا في الخبر معناه العلماء امناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم
على دينكم وجا في الاثر لا يزال لا اله الا الله يدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم
وفي لفظ آخر ما لم يوثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله سبحانه وتعالى مطلب
كذبتم لستم بها صادقين وقد روينا في خبر عن اهل البيت رضي الله عنهم اذا احب الله عز وجل عبدا
ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وفي اخبار عن
الكتب السالفة ان الله عز وجل اوحى الى بعض اوليائه احذر ان امقتك فتسقط من عيني فاصب عليك
الدنيا صبا ويقال ليس عمل من اعمال البر يجمع الطاعات كلها الا الزهد في الدنيا وعن بعض الصحابة
قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر ابلغ في امر الآخرة من الزهد في الدنيا وعن بعض الصحابة لصدر التابعين انتم
اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذاك قال لانهم

كانوا أزهد منكم في الدنيا وفي وصية لقمان عليه السلام لابنه واعلم أن أعون الأشياء على الدين زهادة في الدنيا ويقال من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله عز وجل ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وفي خبر آخر إذا رأيتم العبد قد أعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة وقد قال الله سبحانه وتعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وروينا في الآثار جملة من الأخبار من أصبح وهمه الدنيا شتت الله سبحانه وتعالى عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله عز وجل له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة. وقال سبحانه وتعالى في معنى ذلك من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقد روينا في خبر قلنا يا رسول الله أي الناس خير قال كل مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة والشيء يعرف بضده كما يعرف بمثله وضد الشنآن المحبة وضد الزهد الرغبة وفي دليل خطابه أن شر الناس الذي يحب الدنيا وأن الراغب فيها هو المحب لها والاستكثار منها علامة الرغبة فيها كيف وقد روينا نصا إن أردت أن يحبك الله عز وجل فازهد في الدنيا فجعل الزهد سبب محبة الله عز وجل فينبغي أن يكون الزهد من أفضل الأحوال إذ المحبة من أعلى المقامات فصار الزاهد حبيب الله عز وجل وفي دليل الكلام أن من رغب في الدنيا فقد تعرض لبغض الله عز وجل الذي لا شيء أعظم منه وأن الراغب مبغوض عند الله عز وجل وكان أبو محمد سهل رحمه الله يقول تجعل أعمال البر كلها في موازين الزهاد ويكون ثواب زهدهم زيادة لهم وقال أيضا العباد في موازين العلماء والعلماء في موازين الزهاد يوم القيامة فلا يطمعن طامع في محبة الله عز وجل له وهو محب للدنيا لأن الله عز وجل مقتها وفي خبر ما نظر إليها منذ خلقها يقول لها اسكني يا لا شيء أنت وأهلك إلى النار وفي الخبر يقول الله عز وجل يوم القيامة للدنيا ميزوا ما كان منها لي وألقوا سائرها في النار وكذلك روينا في الآثار الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله عز وجل وما والاه وفي لفظ آخر وما أوى إليه فمثل الدنيا مثل إبليس لعنه الله جعله الله عز وجل للبعد واللعنة ليبتليه ويبتلي به ويهلكه ويهلك به وقد شهد ذلك بعض المكاشفين قال رأيت الدنيا في صورة جيفة ورأيت إبليس في صورة كلب وهو جاثم عليها ومناد ينادي من فوق أنت كلب من كلابي والدنيا جيفة من خلقي وقد جعلتها نصيبك مني فمن نازعك شيئا منها فقد سلطتك عليه فجاء من هذا أنها كأنه فمن تمكن في شيء منها سلط العدو بالمكانة منه بقدر ما أصاب منها وقد كوشف بها بعض الأولياء في صورة امرأة ورأى أكف الخلق ممدودة

إليها وهي تجعل في أيديهم شيئا قال فقلت له ما هو قال شيء ييبس وطانفة تمر عليها مكتوفي الأيدي لا تعطيهم شيئا وكوشف بها مورق العجلي رحمة الله عليه في صورة عجوز شمطاء دندانية سمجة عليها ألوان المصبغات وأنواع الزينة قال فقلت أعوذ بالله عز وجل منك فقالت إن أردت أن يعيذك الله عز وجل مني فابغض الدرهم وكذلك جاء في الخبر الدنيا موقوفة منذ خلقها الله عز وجل بين السماء والأرض لا ينظر إليها فتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لأدنى أوليائك نصيبا اليوم فيقول عز وجل اسكتي يا لا شيء إني لم أرضك لهم في الدنيا أرضاك لهم اليوم وقال بعض السلف الدنيا دنية وأدنى منها قلب من يحبها وروي عن علي رضي الله عنه الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مزاحمة الكلاب وفي أخبار موسى عليه السلام وعلى سائر الأنبياء إن لم تلق الفقير بمثل ما تلقى به الغني فاجعل كل علم علمتك تحت التراب وإذا رأيت الفقر مقبلا عليك فقل مرحبا بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال إمامنا أبو محمد رحمة الله عليه في أخبار داود عليه وعلى سائر الأنبياء السلام إني خلقت محمدا لأجلي وخلقت آدم لأجل محمد وخلقت ما خلقت لأجل ولد آدم فمن اشتغل منهم بما خلقته لأجله حجبته عني ومن اشتغل منهم بي سقت إليه ما خلقته لأجله وكان يقول الصديقون في بدايتهم طلبوا الدنيا من الله عز وجل فمنعهم فلما تمكنوا من أحوالهم عرضها عليهم فامتنعوا منها وكان عيسى صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم يقول للدنيا إليك عني يا خنزيرة وقد روينا هذا القول عن زيد بن ميسرة وكان من علماء أهل الشام قال كان أشياخنا يسمون الدنيا خنزيرة ولو وجدوا لها اسما شرا من هذا سموها به وكانت إذا أقبلت إليهم قالوا لها إليك عني يا خنزيرة لا حاجة لنا بك إنا قد عرفنا إلهنا عز وجل معناه قد عرفناه بالابتلاء بك لينظر كيف نعمل في الزهد فيك والإثرة له وعرفناه أيضا بالمقت لك فوافقناه في ذلك وعرفناه أيضا فتنا لما شغلونا إليه فأجبناه وأعرضنا عما سواه وكذلك كان الحسن البصري رضي الله عنه يصف أشياخه يقول كان أحدهم يعرض عليه المال الحلال فيقال خذه فاستعن به فيقول لا حاجة لي فيه أخاف أن يفسد علي قلبي فهذا كان له قلب صالح راعاه فخاف تغيره كذلك روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مر بجدي ميت أجرب فقال أترون هذا هانا على أهله قلنا يا رسول الله من هوانه ألقوه فقال الدنيا أهون على الله عز وجل من هذا على أهله وفي لفظ آخر قال أيكم يحب أن هذا له بدرهم قلنا لا أينا وأي شيء يساوي هذا فقال الدنيا أهون على الله عز وجل من هذا عليكم وكذلك أخبر بالغاية في قلتها وعدم قيمتها بقوله لو كانت الدنيا تزن عند الله عز وجل جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة من ماء وضرب صلى الله عليه وسلم المثل في نتنها وانقلابها على أهلها بقوله للأعرابي أرأيتم ما تأكلون وتشربون الستم تنظفون وتبردون قال بلى

قال فالى اى شئ يصير قال الى ما علمت يا رسول الله قال ابليس يقعد لاحدكم خلف بيته فيجعل يده على انفه
من نتن ريحه قال نعم قال فان الله عز وجل جعل الدنيا مثلا لما يخرج من ابن آدم وكذلك روينا فى تاويل
قول الله عز وجل وفى انفسكم افلا تبصرون قيل مواضع الغائط والبول وقال عز وجل وما الحيوة الدنيا الا
متاع قال بعض اهل اللغة متاع يعنى جيفة سمعت عن الاصمعى رحمه الله قال بعض العرب يقول متع اللحم
اذا تغير وانتن وقد كان الحسن رضى الله عنه يقول لما اهبط آدم عليه السلم الى الدنيا كان اول شئ عمل
فيها انه احدث وروينا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال انه نظر الى ما خرج منه فاذاه ريحه فاغتم لذلك
فقال له جبريل عليه السلم هذه رايحة خطيئتك فشهد العقلاء عن الله عز وجل الدنيا فى صورة كنيف فلم يدخلوا
فيها الا ضرورة فكلما استغنيت عن دخولك الكنيف كان اجود وشهدها بعضهم جيفة فلم ينالوا منها
الا بلغة فكلما تقللت من الجيفة كان خيرا وقال وهب بن منبه قرأت فى بعض الكتب ابن آدم تريد نى
اترك الدنيا تريد الدنيا طال عناؤك فيها وفى بعض كتب الله عز وجل ابن آدم انا بدك اللازم فلا تؤثر على
ما منه بد وقال بعض المخبرين عن الله عز وجل انه اوحى الى الدنيا اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك
وقال آخر وقد روينا مسندا ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى الدنيا تمررى لاوليائى حتى يكونوا رغبتهم
فيما عندى واحلولى لاعدائى حتى يكرهوا لقائى وفى حديث عائشة رضى الله عنها من احب لقاء الله عز وجل
احب الله عز وجل لقاءه ومن كره لقاء الله عز وجل كره الله سبحانه وتعالى لقاءه فهذه الآثار وامثالها
قاصمة ظهور ابناء الدنيا مسخنة لعين محبيها واضدادها من الاخبار الحسنى فى فضل الزهد وشرف
الفقر رافعة لرؤوس الفقراء الصادقين وقرة عين الزاهدين واصل الرغبة فى الدنيا من ضعف اليقين
لان العبد لو قوى يقينه نظر بنوره الى الآجل فغاب فى نظره العاجل فزهد فيما غاب واحب الحاضر فآثر ما هو
اعود عليه وابقى وانفع له ولمولاه ارضى وقدم ما يفنى وينقطع الى ما يدوم ويتصل وهذا هو صورة الزهد
وشهادة الموقن ان الحاضر لا يحب ما غاب وانتقل المثل الى وصفه عز وجل لابرهيم عليه وعلى سائر الانبياء
السلام فى قوله تعالى وليكون من الموقنين قال لا احب الآفلين فالموقن مامور باتباع ملة ابرهيم بقوله تعالى
ملة ابيكم ابرهيم اى عليكم ملة ابيكم ابرهيم اتبعوا ملته وليس يشهد الوعد والوعيد بنور العقل
انما يشهد بنور اليقين على انا نقول ان الانوار اربعة والقلب موجه جهات اربعة الى الملك والملكوت
والى العزة والجبروت فبنور العقل يشهد الملك وبنور الايمان يشهد الملكوت وهو الآخرة وبنور اليقين
يشهد العزة وهى الصفات وبنور المعرفة يشهد الجبروت وهو الوحدانية والجبار جل جلاله فوق
القلب محيط به يكاشفه بما شاء فيغلب عليه وجد ما اشهده وضعف اليقين قد يدخل فى كل شئ

وقوة اليقين

وقوة اليقين يحتاج اليه فى كل عمل والا فهو دنيا يهتدى اليه بنور العقل فمن لم يعط نور اليقين لم ير
الملك الكبير فاستهواه الملك الصغير واحب الاشياء فلم يكن له همة فى العلو ولا عند الاعلى شئ

باب ذكر ماهية الزهد اى شئ هو ليس يمكن عبدا ان يعرف الزهد حتى يعرف
الدنيا اى شئ هى فقد قال الناس فى الزهد اشياء كثيرة ونحن غير محتاجين الى ذكر اقاويلهم بما بين الله سبحانه
وتعالى واغنى بكتابه الذى جعل فيه الشفاء والغناء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحبل المتين والصراط
المستقيم من طلب الهدى فى غيره اضله الله وقد قال الله سبحانه وتعالى وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه
الى الله وقال الله عز وجل فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فقد ذكر الله عز وجل اسمه فى
كتابه ان الدنيا سبعة اشياء وهو قوله عز وجل زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ثم قال ذلك متاع الحيوة الدنيا فوصف
حب الشهوات بالتزيين ثم نسق الاوصاف السبعة على الحب لها ثم اشار اليها بقوله عز وجل ذلك فذا اشارة
الى الكاف كناية عن المذكور المتقدم المنسوق واللام بين ذا والكاف للتمكين والتوكيد فحصل من تدبر الخطاب
ان هذه السبعة جملة الدنيا وان الدنيا هى هذه الاوصاف السبعة وما تفرع من الشهوات يرد الى اصل
من هذه الجمل فمن احب جميعها فقد احب جملة الدنيا نهاية الحب ومن احب اصلا منها او فرعا من اصل
فقد احب بعض الدنيا فعلمنا بنص الكلام ان الشهوة دنيا وفهمنا من دليله ان الحاجات ليست بدنيا
لانها تقع ضرورات فاذا لم تكن الحاجة دنيا دل انها لا تسمى شهوة وان كانت قد تشتهى لان الشهوة كما
قلنا دنيا ولمعرفة الاسماء لايقاع الاحكام عليها واستند ذلك الخبر روينا عن الله عز وجل فى الاسرائيليات
ان ابرهيم صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرض منه شيئا فلم
يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه لو سألت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك
للدنيا فخشيت ان اسالك منها شيئا فتمقتنى فاوحى الله عز وجل اليه ليس الحاجة من الدنيا ثم جمعناه
عز وجل قد ذكر هذه السبعة الاوصاف فى مكان آخر الى خمسة معان فقال عز وجل اعلموا انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد فهذه الخمسة هى وصف من احب تلك السبعة
ثم اختصر عز وجل الخمسة فى معنيين منهما لما جامعان للسبعة فقال عز وجل وما الحيوة الدنيا الا لعب
ولهو ثم رد الاثنين الى وصف واحد وعبر عنه بمعنيين فصارت الدنيا ترجع الى شيئين جامعين مختصرين
يصلح ان يكون كل واحد منهما هو الدنيا فالوصف الواحد الذى رد الاثنين اليه اللذين هما اللعب واللهو
هو الهوى فاندرجت السبعة فيه فقال عز وجل ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى فصارت الدنيا

طاعة النفس للهوى بدليل قوله عز وجل فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلما كانت
الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو الدنيا لان النهي عنه ضد الايثار له فمن نهى نفسه عن الهوى فانه لم يؤثر
الدنيا واذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزهد كانت له الجنة التي هي ضد الجحيم التي هي لمن لم ينه نفسه عن الهوى
بايثاره الدنيا فصارت الدنيا هي طاعة الهوى وايثاره في كل شيء فينبغي ان يكون الزهد مخالفة الهوى في كل
شيء واما المعنى الآخر الذي عبر به عن هذا الوصف الذي هو الهوى فجعله دنيا ايضا فهو حب البقا للمتعة
النفس استنبطنا ذلك من قوله عز وجل وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب
فالقتال هو فراق الحيوة لانه المشي بالسيف الى السيف والقنا بين السيفين فقالوا هلا بقيتنا الى وقت آخر
ويكون اجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء ففسر حب البقاء بانه هو الدنيا فقال قل متاع الدنيا قليل
والآخرة خير لمن اتقى فانكشف الناس فافتضح المنافقون وابتلي هنالك المؤمنون عند فرض القتال وظهر المحبون
الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وعندها ربح الذين هم لانفسهم واموالهم بايعون وخسر
الذين هم للحياة بالآخرة مشترون لما قال عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما
اشتراها باعوها وقال في المشترين الخاسرين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة يعني رغبوا في البقاء الادنى لما اشتروه
ببيع البقاء الآخر اذ باعوه فمن اشترى بلبث سنة اربعين سنة بالف الف وبابد الابد فما ربحت تجارته ولا
هدي سبيله فهذه تجارة من رغب في حيوة دنية فاشتراها ببقاء الابد فقد صار بايعا للحيوة العالية بما
استبدل به من اشترى ضدها فهذا تدبر قوله عز وجل اشتروا الحيوة الدنيا اي باعوا الحيوة العليا وذاك
الاول تجارة من باع حيوة نفسه وفرق مجموع حاله فاشتراه الله عز وجل منه فعوضه داره واسكنه
عنده جواره فقد ربحت تجارته واهتدى سبيله لما باع حيوة عشرين سنة بلبث سنة بحيوة ابد الابد فهذا
ربح تجارة الآخرة والزاهدين في الدنيا وذاك خسر تجارة الدنيا الراغبين في الهوى فشتان بين التجارتين
فما اعظم حسرة الفوت على من خسر ما ربحه الزاهدون بعد الموت وقد كان الناس مستورين باظهار الزهد
في البقاء ومظنونا بهم حب الباقي الاعلى حتى نزلت الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة وآتوا
الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله الآية وحتى نزلت يا ايها الذين
آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كانوا قالوا انا نحب ربنا ولو علمنا في اي شيء محبته لفعلناه فلذلك
قال عز وجل كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
ولذلك قال ابن مسعود رحمه الله ما كنت احسب ان فينا احدا يريد الدنيا حتى نزلت منكم من يريد الدنيا
ومنكم من يريد الآخرة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا

انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
انت منهم اي من القليل الذي كان يفعل ذلك فاذا كان حب البقاء هو الدنيا فينبغي ان يكون حب لقاء الباقي
هو الزهد فصار الزهد في الدنيا هو الزهد في البقاء فمن زهد في الحيوة الفانية وفي مآله المجموع بالجهاد للنفس
والانفاق في سبيل الله عز وجل فقد زهد في الدنيا ومن زهد فيها احبه الله عز وجل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولذلك صار الجهاد افضل الاعمال لانه حقيقة الزهد في الدنيا ولان الله عز وجل يحب من زهد في الدنيا ثم كان
مخالفة الهوى افضل الجهاد لانه هو حقيقة الرغبة في الدنيا وقد عبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد
في الدنيا اذ قال في الحديث الاول ان اردت ان يحبك الله عز وجل فازهد في الدنيا ثم قال في الخبر الثاني بمعناه
اجتنب المحارم يحبك الله عز وجل فصار اجتنابها زهدا في الدنيا والزاهد في الدنيا نفسه حبيب لله عز وجل
والراغب في حب البقاء لنفسه منافق في دين ربه عز وجل ومنه الخبر الذي جاء من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه
بغزو مات على شعبة من نفاق وبه كشف الله عز وجل الكاذبين ووصفهم بمرض القلوب فقال سبحانه وتعالى
فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض يعني نفاقا ينظرون اليك نظر
المغشي عليه من الموت فاولى لهم تهدد ووعيد اي وليهم العذاب وقرب منهم ثم قال عز وجل طاعة وقول
معروف اي يظهر منهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر حقت الحقائق كذبوا ونكثوا فلو صدقوا
الله اي في الوفاء لكان خيرا لهم وهذا من الكلام المضمر فلذلك اشكل والبقاء والحيوة اسمان بمعنى ولذلك جعل الله
سبحانه وتعالى الدنيا وصفا للحيوة فتكون الدنيا هي الحياة ونعتها بالدنيا مؤنث لدخول الهاء في الاسم التي هي احدى
علامات التانيث فصارت الحيوة هي الدنيا وصار قوله الدنيا نعتها بالدناءة ولو كان الاسم مذكرا مثل البقاء لنعته
بمذكر فقال الادنى وقد قال عز وجل في مثله ياخذون عرض هذا الادنى فالادنى تذكير دنيا والدنيا تانيث ادنى
كالاعين والعينا والاشعث تذكير شعثا وشعثا والعرض اسم لما يعرض ويقل بقاؤه فمن احب ذلك فقد
احب الدنيا لحبه الادنى وهذا يرجع الى اصل حب الحيوة لانه انما يريد العرض الادنى لاجل الحياة فصار حب البقاء
الذي لاجله يريد عرض الادنى هو الدنيا وصار حب العرض لاجل العرض لاجل البقاء من الدنيا فتبين من هذا الذي
ذكرناه ان حقيقة الدنيا حب البقاء لطاعة الهوى وموافقة الهوى فحب العرض لاجل البقا فدخل احد
هذين في الآخر ان حب البقاء لاجل المتعة هو من الهوى الذي هو صفة النفس الامارة بالسوء وطاعة الهوى
التي هو عيش النفس انما يكون بحب البقاء لان العبد لو ايقن بالموت ساعة لا آثر الحق على الهوى ولو ايس
من البقاء لما رغب في العرض الادنى فصار حب البقاء من الهوى وصار ايثار الهوى هو حب البقاء فكان ذلك حقيقة
الدنيا وكان اقصر الناس بقاء ازهدهم في الدنيا حتى لا يدخر شيئا لغده لانه عنده غير باق الى الغد وصار ارغب

الناس

في الدنيا الطول املها لأن رغبته اشتدت فيها وحرصه كثر عليها لامتداد امله للحياة فيها اذ لو قصر امله
لعفي لاختار الفقر حينئذ واختيار الفقر هو الزهد **بيان آخر من الزهد اي شيء هو**
قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين فهذه تسمية اياهم بالزهد لتحققهم
بالمعنى نحتاج ان نكشفه ليكون من تحقق ذلك بمعنى ذلك زاهدا قوله عز وجل وشروه يعني باعوه العرب تقول
شريت بمعنى بعت لانهم يقولون ابتعت بمعنى اشتريت فلما باعوه وخرج من ايديهم صاروا زاهدين كذلك العبد
اذا باع ماله ونفسه من الله عز وجل وخرجا من هواه الى سبيل مولاه فهو من الزاهدين ولذلك قال الله عز وجل اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة كما قال جل وعلا ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فاذا كان
العوض واحدا وهو الجنة ذكر في المعنيين كان بيع النفس والمال واخراجهما لله عز وجل بمعنى النهي عن الهوى فيهما
الذي هو الحياة الدنيا وهو اقتناء للنفس وحبس النفس عليه اعني المال فاستبدال ذلك بضده من اخراج الهوى
من النفس وادخال الفقر على المال هو الزهد في الدنيا وليس ذلك من امر النفس الامارة بالسوء لان هذا نهاية الخير
فصار نهيا لها عن الهوى الذي هو اقتناء المال للجمع والمنع وهذا هو الدنيا بوصف النفس الامارة بالسوء لان هذا
حينئذ سوء كله فمن كان هذا الوصف فنفسه غير مرحومة لامرها بالسوء واذا لم تكن مرحومة لم يكن صاحبها
بايعها واذا لم يبعها لم تكن مشتراة فلا يكون صاحب هذه النفس الا جامعا للمال مانعا له راغبا في الدنيا محبا
لها وليس هذا صفة المؤمن **وصف آخر من البيان والتفصيل** لما حقق الله سبحانه وتعالى الزهد
بفناء النفس واخراج المال في ذكر المبيع والمشترى في قوله سبحانه وتعالى يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
وكان الزهد هو ترك طاعة الهوى وبيع النفس بنهيها عنه من المولى وكان العوض من ذلك هو الجنة كان الزاهد
هو الخائف مقام ربه البايع نفسه منه طوعا قبل ان يخرج اليه نفسه كرها وكان الله عز وجل هو المحبوب له
القريب منه فصار العبد محبا له فجعله من المقربين عنده واذا كانت الدنيا في طاعة الهوى وحب الحياة الدنية
لمتعة النفس الشهوانية كان الراغب في ذلك آمنا لمكر الله عز وجل مشتريا للحياة الدنيا بايعا بذلك الحياة
العليا فلم يكن محبا له وكان من المبعدين عنه بسوء اختياره وحق عليه الخسران والجحيم في الآخرة لانه ضد
الزاهد المقرب الظافر بدار القرب في جوار الحبيب القريب **ذكر** بيان حقيقة الزهد وتفصيل احكامه
ووصف الزاهد • اعلم يا اخي ان الزهد يكون بمعنيين ان كان الشيء موجودا فالزهد فيه اخراجه وخروج
القلب منه وهذا زهد الاغنياء ولا يصح الزهد فيه مع تبقيته للنفس لان ذلك دليل الرغبة فيه وان لم يكن
موجودا وكان العدم هو الحال فالزهد هو الرضى به والغبطة بالفقر وهذا زهد الفقراء وكذلك القول في الزهد
في القدرة على الهوى لا يصح الا مع وجود الابتلاء به الم تر ان اخوة يوسف عليهم السلام هموا بالزهد فيه بقولهم

ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ولم يسمهم الله تعالى زاهدين وتحققوا بالزهد فيه بقولهم اقتلوا
يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم ولم يسموا زاهدين وارادوا الزهد فيه بقولهم ارسله معنا
غدا نرتع ونلعب ولم يتحققوا بالزهد فيه وعزموا على الزهد فيه واجمعوا عليه ولم يسمهم الله عز وجل زاهدين
مع قوله عز وجل مخبرا عنهم فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب لان هذا كله من اسباب
الزهد ومقدماته قد يلتبس ويشكل على من لا يعرف حقيقة الزهد فيظنه زهدا وليس هو زهدا لانه
في ايديهم فلما خرج من ايديهم واعتاضوا منه سواه حقق زهدهم فيه فقال عز وجل مخبرا عن حقيقتهم
وشروه اي باعوه وكانوا فيه من الزاهدين وكذلك الثوب تهم ببيعه وتريد بيعه ويغلب عليك بيعه
فلا تكون زاهدا فيه ولكن تكون موصوفا بالارادة للزهد حتى تبيعه وتعتاض عنه فحينئذ تحقق زهدك
فيه وعلى دليل الخطاب من قوله عز وجل وكانوا فيه من الزاهدين ان من اخرج الشيء من يده طوعا ونفسه
تتبعه فله مقام في الزهد بالمجاهدة ومن امسك الشيء واظهرت نفسه الزهد فيه بالارادة والهمة فلا
مقام له في الزهد لان الامساك علامة الرغبة والرغبة ضد الزهد فكيف يوصف بالشيء وضده في حال
قائمة فالممسك للشيء المتوهم للزهد فيه باظهار نفسه ذلك بالصفة مغرور اما ان لا يعرف الزهد او لا يعرف
خفي شهوة النفس هذا ان لم يموه على الراغبين والمخرج للشيء عن يده المخرج لقلبه عنه هو المتحقق
بالزهد فيه وهذا هو الذي وصف الله عز وجل به اخوة يوسف عليهم السلام والممسك للشيء المغتبط به الذي
همته فيه وقلبه عاكف عليه هو المتحقق بالرغبة فيه وهذا وصف عزيز مصر في يوسف عليه السلام لما اشتراه
فحققه الله عز وجل بالرغبة فيه لاقتنائه فقال مخبرا عنه بعد اشترائه اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او
نتخذه ولدا وكذلك وصف امراة فرعون في رغبتها في موسى صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلامه بقولها
قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك كل من امسك شيئا وادخره لنفسه
لا يكون فيه زاهدا ابدا **بيان آخر مستنبط من الكتاب** اعلم ان زهد اخوة يوسف
عليه السلم في اخيه قد كان يقارب زهدهم في يوسف عليه السلم لانه كان نظيره عند ابيه وقد كانوا هموا
بالزهد فيه ايضا ليخلو لهم وجه ابيهم منهما الم تسمع الى قولهم ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وكذلك
جا في الخبر انهم ارادوا ان يلقوا اخاه معه في الجب حتى القى نفسه على يهوذا فشفع فيه ورحمه ومنعهم
منه وكان شديدا منهم مهيبا فيهم وقد قيل انه استوهبه منهم وقال دعوه يكون فيه سلوة للشيخ
الكبير لا تفجعوه بهما ولا تفقدوه اياهما معا فوهبوه له ثم ان الله عز وجل لم يقل مع ارادتهم لذلك
وهمهم به وكانوا فيهما من الزاهدين من قبل انهم لم يتحققوا بالزهد فيه كالزهد في يوسف اذ لم يخرجوه

من ايديهم وكذلك ان اذا كان الشيء موجودا عندك وانت ممسكه لنفسك ثم توهمت انك زاهد فيه بخاطر الارادة او لارادة الزهد فقد كذبت على نفسك بتسميتك اياها زاهدا او كذبتك نفسك بوجودها جهلا منها بالعلم او موهت على من لا يعرف الزهد رغبة منك ايضا في الدنيا وزهدا في الزهد حتى تخرج الشيء الذي تظن انك زهدت فيه وتعتاض منه محبة الله عز وجل وطلب مرضاته او ما عنده من ثوابه فحينئذ يصح زهدك فيه على العلم وعند العلماء فتكون زاهدا صادقا فهنالك وصفك الزهاد بالزهد وسماك الزاهدون زاهدا فاما اذا لم يكن الشيء موجودا لك فان زهدك فيما لا تملك لا يصح والزهد في معدوم باطل من قبل ان تصرفك فيما لا تملك لا يصح فلذلك لم يصح زهدك فيه ولعله لو كان موجودا لتغير قلبك به وتقلب فيه اذ ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر قد يشبه ويوهم والمعاينة تكشف الحقيقة وتحكم ولان النفس ذات بدوات لما طبعت عليه من حب المتعة بالرفاهية فلذلك لا يحمل ظن معدوم كيقين موجود ولكن قد يكون لك مقام من الزهد في المعدوم لتنال بشرطه وهو ان لا تحب وجود الشيء ولا تاسى على فقده او تكون مغتبطا بعدمك مسرورا بفقرك يعلم الله عز وجل ذلك من غيبك ويطلع على سرك انك لا تفرح بوجوده لو وجدته وتخرجه ان دخل عليك لان قلبك قانع بالله عز وجل راض عن الله عز وجل بحالك التي هي العدم من الدنيا غير محب للاستبدال بها من الغنى لصدق يقينك بفضيلة الزهد فاذا كنت بهذا الوصف حسب لك جميع ذلك زهدا وكان لك باحد هذه المعاني ثواب الزاهدين وان لم تكن للدنيا من الواجدين وهذا زهد الفقراء الصادقين وهو التحقق بالفقر وقال بعضهم حقيقة الفقر ان يكون مغتبطا بفقره خائفا ان يسلب الفقر كما يكون الغني مغتبطا بغناه يخاف الفقر وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول اذا قيل له انك زاهد قال انما الزاهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه جاءته الدنيا وملكها فزهد فيها فاما انا ففي اي شيء زهدت وقد يصح الزهد للعارف في الشيء مع وجوده عنده اذا لم يقتنه لمتعة النفس ولم يتملكه ولم يسكن اليه بل كان موقوفا في خزانة الله تعالى التي هي يده منتظرا حكم الله عز وجل فيه ومحبته ذلك استوا وجوده وعدمه والمسارعة اذا رأى حكم الله عز وجل الى تنفيذه فيكون في ذلك كانه كغيره من عيلته او اخوانه او سبيل من سبل الله عز وجل وهذا المقام زايد على الزهد فلذلك لم يخرج منه بل كان مخصوصا فيه بخصوص وهو ايضا مقام من التوكل

بيان آخر مستنبط من السنة في ماهية الزهد

الزهد ايضا تقليل الدنيا وتقريبها واحتقارها بالقلب واستصغارها من ذلك الخبر الذي جاء في ساعة يوم الجمعة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هي في آخر ساعة قال وجعل يزهدها ويقللها اي يقرب وقتها ويدنيه من الغروب والمعنى الآخر في الخبر الثاني

من قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام لما نزلت آية الامر بالصدقة لمناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له كم ترى ان نجعل عليهم من الصدقة مقدمة للمناجاة فقال شعيرة من ذهب فقال انك لزهيد اي مقلل مصغر للدنيا ولكن نجعل عليهم دينارا وزهيد كانه معدول من زاهد للمبالغة في الوصف بالزهد كما عدل شهيد من شاهد ومجيد من ماجد وكما عدل عليم وقدير ورحيم من عالم وقادر وراحم للمبالغة في العلم والقدرة والرحمة

ذكر وصف الزاهد وفضل الزهد

قوت الزهد الذي لا بد منه وبه يظهر صفة الزاهد وينفصل به عن الراغب هو ان لا يفرح بعاجل موجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود من ذلك وان ياخذ الحاجة من كل شيء عند الحاجة الى الشيء ولا يتناول عند الحاجة الا سد الفاقة ولا يطلب الشيء قبل الحاجة واول الزهد دخول غم الآخرة في القلب ثم وجود حلاوة المعاملة للرب عز وجل ولا يدخل غم الآخرة حتى يخرج هم الدنيا ولا تدخل حلاوة المعاملة حتى تخرج حلاوة الهوى وكل من ترك المعصية ولم يجد حلاوة الطاعة رجع اليها وكل من ترك الدنيا ولم يذق حلاوة الزهد رجع فيها وخالص الزهد اخراج الموجود من الدنيا من القلب ثم اخراج ما خرج من القلب عن اليد وهو عدم الموجود على الاستصغار له والاحتقار والتقالل لهوان الدنيا عنده وصغرها في عينه فبهذا يتم الزهد ثم ينسى زهده في زهده فيكون حينئذ زاهدا في زهده لرغبته في مزيده وبهذا يكمل الزهد وهذا لبه وحقيقته وهو اعز الاحوال في مقامات اليقين وهو الزهد في النفس لا الزهد لاجل النفس ولا الرغبة في الزهد للزهد وهذه مشاهدة الصديقين وزهد المقربين ودون هذا مقامات اخراج المرغوب فيه عن اليد مع نظره اليه وعلى مجاهدة النفس فيه وهو زهد المومنين وذلك لان العمل بالزهد عقد وعمل اذ كان الزهد عن الايمان فالايمان قول وعمل كذلك الزهد عقد وعمل نعتقده خروج حب الدنيا من القلب بدخول حب الآخرة في القلب والعمل بالزهد اخراجه عن اليد في سبيل الله عز وجل معتاضا منه ما عند الله عز وجل من وجهه او قرب جواره في داره فان لم تكن الدنيا موجودة فان ترك الاسف عليها وقلة الحرص فيها وترك الطلب والتمني لها وسكون القلب مع العدم ورضاه بيسير القسم يحسب للعبد زهدا لان ذلك حال الفقير فاذا قام بحكمه لم يجب عليه اكثر من القيام والورع هو من الزهد كما الزهد من الايمان والحيا والايمان في قرن واحد كما جا في الخبر اذا نزع احدهما اتبعه الآخر وروينا في ذلك حديثا من طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحيا اقاما فيه والا ارتحلا والقناعة باب من الزهد ايضا والرضى باليسير من الاشياء حال من الزهد والتقلل من الاشياء مفتاح الزهد قال ابرهيم بن ادهم رحمه الله

قد حجبت قلوبنا بثلاثة اغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص والحريص محروم واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والعجب يحبط وقال الله سبحانه وتعالى ومن اصدق من الله قيلا لكيلا تاسوا على ما فاتكم يعني من الدنيا ولا تفرحوا بما اتاكم اي منها وهذان الوصفان هما اتم حال في الزهد من اعطي احدهما تبعه الآخر لان الذي لا ياسى على ما فاته من الدنيا هو الذي لا يفرح بما اتاه منها والذي لا يفرح بما اتاه منها هو الذي لا يحزن على ما فاته وهذا وصف عبد غير متملك لا سيما عبد قائم بحكم ربه ونعت عبد موقن محب قد شغلته مشاهدة الآخرة عن التفرغ لمتعة الدنيا وقد فرغته معاينة الآخرة من الاشتغال بما يفنى وفي احد الوجوه من قوله عز وجل وانه هو اغنى واقنى قيل اغنى اهل الآخرة بالله عز وجل واغناهم عن الدنيا بالآخرة واقنى اهل الدنيا من الدنيا اي جعل لهم قنية ومدخرا وعدة كما وصف الله من ذمه من قوله عز وجل جمع مالا وعدده اي قال هذا عدة لكذا وهذا عدة لكذا فتهدده بالويل فقد حصل من ذلك ان الزاهد في المال عدته الله عز وجل وهو كنزه وذخره فطوبى له وحسن مآب وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا وكفى بالموت واعظا وهذا جملة وصف الزاهد الموقن الذي هو للموت مرتقب مع الخبر المشهور ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الزهد في الدنيا علامة لحقيقة الايمان وقرنه بمشاهدة الايقان في قوله صلى الله عليه وسلم لحارثة رضي الله عنه عرفت فالزم عبد نور الله عز وجل قلبه لما قال انا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك فابتدا بالزهد فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني بالجنة والنار وكاني بعرش ربي بارزا واشد من هذا الخبر الآخر الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم الزهد من علامة شرح الصدر بالنور وهو نور التصديق الذي هو وصف عموم المؤمنين لانه هو التحقيق بالاسلام ففسر قوله عز وجل فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قيل يا رسول الله ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فهذا هو الزهد جعله شرطا لحقيقة الاسلام واشد من هذين الخبرين الثالث الذي فسر الحياء من الله سبحانه وتعالى بالزهد في الدنيا فقال استحيوا من الله جل وعلا حق الحياء قلنا انا نستحيي فقال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون وبمعنى هذا تمم ايمان الوفد الذين سالهم ما انتم فقالوا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر على البلاء والشكر عند الرخا

والرضى بمواقع القضا وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فهذا هو الزهد جعله تكملة ايمانهم وعلو مقامهم واعظم من هذه كلها الخبر الرابع الذي جعل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهد من شرط اخلاص التوحيد في حديث رويناه عن ابن المنكدر عن جابر رضي الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جا بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام علي رضي الله عنه فقال بابي انت وامي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا وطلب لها واتباع لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون اعمال الجبابرة فمن جا بلا اله الا الله ليس فيها شي من هذا وجبت له الجنة فلذلك كان علي رضي الله عنه يجعل الزهد مقاما في الصبر ويجعل الصبر عمدة الايمان في حديثين رويناهما عنه اولهما قوله رضي الله عنه في الحديث الطويل الذي رواه عنه عكرمة وعتبة بن حميد والحارث الاعور وقبيصة بن جابر الاسدي رضي الله عنهم في مباني الايمان انه قال الايمان على اربع دعايم على الصبر واليقين والعدل والجهاد قال والصبر منها على اربع شعب على الشوق والشفق والزهادة والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار سارع في الخيرات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ومن ترقب الموت سارع في الخيرات والخبر الآخر في الصبر الذي جعله عمود الايمان ينهدم الايمان بعدمه قوله رضي الله عنه والصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد لا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وروينا في خبر مقطوع السخا من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك فكان هذا الخبر مفسرا للخبر المجمل السخي قريب من الله قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله عز وجل بعيد من الناس قريب من النار فسر ذلك في الخبر الثاني باي معنى يكون السخي قريبا من الله عز وجل قريبا من الجنة لان السخا من اليقين وباي معنى يكون البخيل بعيدا من الله عز وجل قريبا من النار لان البخل في الشك فالسخا وصف الزاهد لا يكون الزاهد الا سخيا والبخل وصف الراغب لا يكون الحريص الا بخيلا ولا يكون البخيل زاهدا لان الزهد يدعو الى اخراج الشي والبخل يدعو الى امساكه فنفس السخاء زهد وعين البخل رغبة فلذلك ذم البخل لانه رغبة في الدنيا ثم ان الحرص علامة البخل لانه دليل الرغبة والقناعة علامة السخاء لانها باب الزهد فلذلك قيل سخا النفس عما في ايدي الناس افضل من سخاء البذل ثم يفترقان في الحكم بعد اجتماعهما في الاسم فمن جاد بملكه لله عز وجل كان زاهدا فيه لوجه الله سبحانه وتعالى ووقع اجره على الله عز وجل ومن جاد بماله لاجل الناس كان ايضا زاهدا في ذلك موصوفا بالسخاء ولكن ذلك لاجل نفسه وهواه ولا اجر له عند الله عز وجل اذ لم يكن من عمال الله عز وجل فبطل اجره في

الآخرة

لانه عمل لنفسه وحصل شكره وذكره في الدنيا لانه عمل لاجل الناس كما قال ابن المبارك رحمه الله ما رايت بين الفتوة والقراء فرقا الا في شيء واحد لما حظرت القراءة شيئا الا فتحته الفتوة وانما يفترقان في ان القراءة يراد بها وجه الله عز وجل والفتوة يراد بها وجوه الناس ومدحهم وقد كان استاذه سفيان الثوري رضي الله عنه يقول من لم يحسن يتفتى لم يحسن يتقرى اي من لم يعرف احكام الفتوة فيقوم بها حتى يستحق وصف الفتى لم يحسن اوصاف التقرى حتى يوصف بانه قارئ ثم ان العبد قد يجاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى وكما يجاهدها في الصبر على الحق بان يخرج المرغوب وينفق المحبوب على كراهة من النفس ويحمل الزهد عليها فيكون له مقام في الزهد ينال به البر ويستوجب به مدحا من البر والمتزهد غير الزاهد وهو الذي يتصنع للزهد ويعمل في اسبابه من التقلل ورثاثة الحال في كل شيء فمثله مثل المتصبر من الصابر الذي يحمل على نفسه بالصبر ويصابرها على العمل فيكون له مقام من الصبر وصفوة الزهد انتظار الموت وقصر الامل لان فيهما ترك الادخار وتخيير الاعمال وقال ابن عيينة رحمه الله عليه حد الزهد ان يكون شاكرا عند الرخاء صابرا عند البلاء وقال بشر بن الحارث رضي الله عنه الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس فمن زهد فيهم فقد زهد في الدنيا وكذلك قال بعض الحكماء اذا طلب الزاهد الناس فاهرب منه واذا هرب من الناس فاطلبه وقيل ليحيى بن معاذ رضي الله عنه متى يكون الرجل زاهدا فقال اذا بلغ حرصه في ترك الدنيا حرص الطالب لها كان زاهدا وقال قاسم الجوعي رحمه الله الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف بقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد فكان الدنيا عنده الشبع واول الشهوات وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه الزهد هو القناعة فكانت الدنيا عنده هي الحرص وقال الثوري رضي الله عنه الزهد هو قصر الامل فكانت الدنيا عنده طول الامل وكان ابو سليمان الداراني رضي الله عنه يقول الدنيا كل ما شغل عن الله عز وجل فكان الزهد عنده التفرغ لله سبحانه وتعالى وقد قال انما الزاهد من تخلى من الدنيا واشتغل بالعبادة والاجتهاد فاما من تركها وتبطل فانما طلب الراحة لنفسه وكان داود الطائي رحمه الله يقول كلما شغلك عن الله عز وجل من اهل او مال فهو عليك مشوم وقد قال ابو سليمان رحمه الله من تزوج او كتب الحديث او طلب معاشا فقد ركن الى الدنيا وقرا ابو سليمان رحمه الله قوله عز وجل الا من اتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله عز وجل وقال انما زهدوا في الدنيا لتتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة وقد قال اويس القرني رضي الله عنه اذا خرجت تطلب ذهب الزهد وكان امامنا وشيخنا ابو محمد سهل رضي الله عنه يقول اول الزهد التوكل واوسطها القدرة وقال لا يزهد العبد زهدا حقيقيا لا رجعة بعده الا بعد مشاهدة قدرة فاول القدرة عندي ان يشهد ما سمع من كلام القادر المزهد اذ يقول ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله فالحلية الذهب والفضة ومما يقيم الاشياء

اللذان ملكا النفوس وتحنا الرؤوس والمتاع ما سواهما من معادن الارض فاذا شهد العبد الذهب الذي هو سبب الدنيا ولاجله اشرك من اشرك وبحبائله ارتبك من ارتبك لوقوع حلاوته في القلوب ووقع من وقع فاذا شهد جوهر الذهب والفضة زبدا طافيا على وجه الماء لا نفع فيه ولا غنيمة به ولا قيمة له زهد فيه حينئذ زهدا صادقا فكان زهده معاينة الاخرة وكان من المؤمنين حقا الذين وصفهم الحق بالحق في قوله عز وجل اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فالزهد من مزيد الايمان ثم قال عز وجل وعلى ربهم يتوكلون فالزهد يدخل في التوكل ثم قال عز وجل فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون فالتوكل موقوف على الصبر وكان هذا قد سمع كلام الله عز وجل فعقله فابلغه الله عز وجل مأمنه في المقام الامين في جنات وعيون واستحق وصف الله عز وجل بالايمان اذا تلا القرآن بحقيقة الايقان فقال عز وجل الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به وذلك ان هذا الزبد تشبيه من الله عز وجل لمثل ضربه للحق والباطل فالمثل هو الماء والزبد فمثل الحق في نفعه وبقائه بالماء ومثل الباطل في ذهابه وقلة نفعه بالزبد ثم شبه الذهب لذهابه عن حقيقته بالزبد تشبيه مماثلة لا تشبيه مجاز لقوله زبد مثله والمماثلة مستقصاة ثم قال عز وجل كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى اي الجنة والبقاء وقال للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ثم المريدون للحياة الدنيا وزينتها الراضون المطمئنون بها ليس لهم في الآخرة الا النار فسبحان من نفذ بصر الابصار وسبحان مقلب الليل والنهار وسبحان من كل شيء عنده بمقدار بصرهم ما لا يبصر كما يقدر على ما لا يقدر خص الشاهدين بمعنى من مشاهدته كما خصهم بالاحاطة بشيء من علمه فاحاط علمهم بما شاء لما احاط لهم ما شاء وكان الذهب والفضة عندهم زبدا طافيا تفرقه الرياح فيكون فوق الماء متجافيا وهما من معادن الجبال وكانت الجبال عندهم امواجا ثابتة باثبات وساكنة بتسكين تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء وصارت الارض بحرا عجاجا يضرب بالامواج فيظهر منهما من الذوب والقفار والاستواء والاعوجاج من كل شيء موزون بمقدار كالحيتان في الماء وكالغثاء على السيل ذلك لظهور حكمته وخفي قدرته ولطيف صنعته ذلك لشهود نعمته والقيام بشكره جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ان ربي لطيف لما يشاء فاجتمع الغرق وارتتق الفتق وغاب كل متفرق ونطق وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فهذه مشاهدة ابناء الآخرة هي اعلى من زهدهم في الدنيا وافترق الجمع وانفتق الرتق وظهر من الماء كل شيء ظاهر واتسع الفضا واستتر الغطا ووجد التفصيل وحكم الحسبان بالتحصيل كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون فهذه مشاهدة ابناء الدنيا هي اعظم عليهم اذا تيقظوا من رقدتهم وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك

اليوم حديد والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا من مشاهدة العموم عند الموت فيعظم
بالحسرة الفوت وقد فرغ للخصوص من نصيبهم بمشاهدته فهم ناظرون الى مستقبل المزيد مشغولون به عن
العبيد قائمون بشاهد الحق لهم متصرفون بما شهادة اياهم ظاهرا وباطنا ولطيفا مستترا ومعروفا منكرا
والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون فمن غلب عليه لم يظهر وما غلبه عليهم اياهم قهر وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر الا كل شيء ما خلا الله باطل وقال الحق والحق يقول خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل
شيء علما وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول لو فسرت لكم هذه الآية لكفرتم قيل وكيف قال كنتم تنكرونها
وانكاركم لها كفر بها وفي لفظ آخر لو فسرتها لكم الآية التي في سورة النساء القصرى لرجمتموني بالحجارة
معناه لكفر تموني لانهم لا يقتلون الا كافرا عندهم وروينا عنه في قوله سبحانه وتعالى جميعا منه
قال في كل اسم حرف من اسمائه فاسم كل شيء من اسمه فانما انت من اسمائه وصفاته وافعاله باطنا بقدرته
وظاهرا بحكمته وبمعناه كان ابو محمد رضي الله عنه يتأول قوله عليه السلم ما نزل من السماء اعز من اليقين
فغابت السبع والسبع في السبع العلى والسبع السفلى لما طوى نفس الهوى وغابت العليا والسفلى في ملكوت
العرش والثرى لما طوى طي النفس وغاب العرش والثرى في جبروت الاعلى لما محي طي الطي وحضر الازلي الاول
اذا غاب الحدثان الثاني وظهر الباطن الآخر حين بطن الظاهر الساتر فصار العبد شهيدا لقول الرسول
صلى الله عليه وسلم الا كل شيء ما خلا الله باطل واراه الآيات في الآفاق فتبين الحق بقول الحق عز وجل
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد
الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الذي
قال اللهم ارني الدنيا كما تراها فقال لا تقل هكذا فان الله سبحانه وتعالى لا يرى الدنيا كما تراها ولكن قل
ارني الدنيا كما يراها الصالح من عبادك فهذه شهادة اهل الله عز وجل غابت فيها الشهادة الاولى كما غيبت
تلك الاولى مشاهدة ابناء الدنيا وكشف هذا المقام واظهار هذه الشهادة لا يحل الا لشهيد ذي مقام في
الصديقين عتيد وقد قال الحكيم رحمة الله عليه لقد عزت معاينه فغابت عن الابصار الا للشهيد
فليس يراه مفتون بخلق وخص برؤيته قلب الفريد وهم اولو المطلع في القرآن الذين سموا من هول
المطلع في العيان وافشا سر الربوبية معصية واعلان سر السر كفر ولكن يحتاج هذا الزاهد ان يشهد
المزهود فيه بمنزلة الزبد ان لم يبلغ نظره شهادة الشاهد الاحد ليكون من اهل السمع والشهادة
فينسى بذكر قلبه معارفه والعادة ويكون عند الله عز وجل شهيدا له اجره ونوره كما قال الشاهد الاعلى

والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم فكيف يكون شهيدا من لم يشهد على شهادته بل كيف يشهد وصف
الاولية بغير نورها ام كيف يقوم بشهادته من لم يشهد قيوميته بل كيف يرى قيوميته بغير نور وحدانيته
فان لم يقرب في هذا المكان فمما قال الله عز وجل او القى السمع وهو شهيد فيسمع من مكان هو الى الجنب القرب
بعيد ويكون من اهل البيان والفكر كقول الحق المبين كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا
والآخرة اي تتفكرون في فناء الدنيا وزوالها وفي بقاء الآخرة ودوامها فتؤثرون الباقي الدائم وترغبون
فيه على الزائل الفاني وتزهدون فيه لان ما يكون آخره فناء يشبه اوله امره وان اوله لم يكن وما يكون آخره بقاء
فانه لم يزل فاشبه اوله آخره في البقاء ولذلك قال العليم الحكيم والآخرة خير وابقى فوصفها لبقائها في
المآل بوصف من صفاته كما قال عز وجل والله خير وابقى ولانه قال عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق
فنسب الدنيا الينا ليذلنا بها لانا اهل الفناء وليزهدنا فيها واضاف الآخرة اليه ليعزها به لانه عز وجل
اهل البقاء وليرغبنا فيها فمثل ابن آدم المغتر بها الجاهل بعاقبتها مثل دود القز لا يزال ينسج على نفسه
حتى يقتلها فيروم الخروج فلا يجد له مخلصا فيموت في نسجه فصار عمله وكده لغيره متنعما به فكذلك من
جمع مالا لورثته كان نعيمه لهم وشقاءه عليه تنعموا فيه بعده وهلك هو به قبلهم فاذا شهد العبد بعين
قلبه وبقين ايمانه ما صدق به عقله الذي هو فهم سمعه وادراك خبره ان ما يفنى آخره كانه لم يكن وما يبقى
آخره كانه لم يزل كان من المتفكرين في هذه الآية المشاهدين لها وممن يتلوها حق تلاوتها فآمن حقيقة الايمان
وزهد في الدنيا حقيقة الزهد ورغب في الآخرة حق الرغبة وكان من اولي الايدي والابصار اي من ذوي القوة
في الدين والبصائر في اليقين فلما ابصر بقواه عبر الدنيا الى الله عز وجل فكان زاده تقواه كما قال عز وجل ومن
كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون اي تذكرون الفرد ففروا الى الله اي من الاشكال والاضداد كما قال عز وجل
فاعتبروا يا اولي الابصار فعبر لما ابصر عندهما كان ممن اخذ الكتاب بقوة قيل بعمل به وقيل بيقين فيه
ويقال بجد واجتهاد وكان من المحسنين الذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة وتلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض الآية فقال
عليه السلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها ويل لمن تلاها ومسح بها سبلته وذلك ان السموات والارض عبر
بهما عما وراءهما من درجات الجنان ودركات النيران وهو الملكوت اي الملك الباطن والملك الباطن هو
الملك الكبير فكشف هذان ما علا وسفل واحاط بهما من العرش والثرى لمن تفكر فيهما ثم كشف ذلك ما وراءه
من العزة فجاوزت الافكار الملكوت لما سرحت القلوب بانوار اليقين الى الافق الاعلى والجبروت فنفذت
ابصار المتفكرين بقواها الى مشاهدة ذلك وبقيت انوار يقينهم معاينة ما احاط بذلك وهو ما قدمنا

ذكره آنفا مما لم يظهر كشفه كنحو ما نبه الله سبحانه وتعالى العباد بما يشهدون الى ما وراءه مما به أيقنوا
وللمؤمنين مشاهدة للدنيا قريبة دون هذه من طريق العقول تشهدون انها عقوبة كما قيل ما فتحت الدنيا
على عبد الا مكرا به ولا زويت عنه الا نظرا له وقد روينا في زبور داود صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء
وسلامه ان الله عز وجل قال تدري لم قضيت المعصية على آدم عليه السلم لاني جعلت معصيته سببا لعمارة
الدنيا فينبغي في دليل الخطاب ان تكون الطاعة سبب خرابها وهو الزهد فيها فصح بذلك الخبر المشهور
حب الدنيا راس كل خطيئة لانه كان اساسها ولكن لا يسع ذلك العامة لانهم مرادون بالعمارة وصلح ذلك
لنفر من الخاصة لان نقصان عددهم من الكافة لا ينقص عمارة الدنيا اذ المراد عمارتها باهلها وروينا
في اخبار آدم عليه السلم انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من
اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهي عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله عز وجل ملكا يخاطبه
فقال قل له اي شيء تريد فقال له آدم اريد ان اضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في اي مكان
تضعه اعلى الفرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن
اهبط الى الدنيا قال فمن لطف الله عز وجل له بهذا المعنى فاهبط الى الارض وقد نغص الله عز وجل فاكهة الدنيا
وغيرها بحشو العجم والثفل ليزهد فيها واخبارها منقطعة ممنوعة ليرغب في الدائم الموهوب وكان
بعض العلماء يقول ما سطع لي زينة من زخرف الدنيا الا كشف لي باطنه فظهر لي عزوف عنه فهذه
عناية من الله عز وجل لمن وليه من اوليائه المقربين منه فمن شهد الدنيا باول وصفها لم يغتر باخرها
ومن عرفها بباطن حقيقتها لم يعجب بظاهرها ومن كوشف بعاقبتها لم يستهوه زخرفها ولا استماله
رونقها وكان عيسى صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلامه يقول ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة
حش ظاهرها جص وباطنها نتن وقال مالك بن دينار رضي الله عنه اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء
يعني الدنيا فمن حرص على الدنيا بالباطل فقد قتل نفسه فان قوي حرصه عليها واشتد عشقه لها قتل غيره
قال الله عز وجل لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا انفسكم وقال في قتل غيره بصده اياه عن
سبيل الله عز وجل ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله
وروينا في اخبار عيسى عليه وعلى سائر الانبيا السلام انه مر في سياحته ومعه طائفة من الحواريين بذهب
مصبوب على الارض فوقف عليه ثم قال هذا القاتل فاحذروه ثم جاز هو واصحابه فتخلف ثلثة لاجل
الذهب فاقام اثنان ودفعا الى احد شيئا منه ليشتري لهم من الطيبات من اقرب الامصار اليهم فوسوس
اليهما العدو اترضيان ان يكون هذا المال بينكم اثلاثا اقتلا هذا فيكون المال بينكما نصفين فاجمعا

على قتله اذا رجع اليهما قال وجاء الشيطان الى الثالث فوسوس اليه ارضيت لنفسك ان تاخذ ثلث المال
اقتلهما فيكون المال كله لك قال فاشترى سما فجعله في الطعام فلما جاءهما به وثبا عليه فقتلاه ثم قعدا
ياكلان الطعام فلما فرغا ماتا فرجع عيسى عليه وعلى سائر الانبياء السلام من سياحته فنظر اليهم صرعى
حول الذهب والذهب بحاله فتعجب اصحابه من ذلك وقالوا ما شان هؤلاء فاخبرهم بهذه القصة وقيل لابن المبارك
رضي الله عنه من الناس قال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد وروينا عن ابن المسيب عن ابي ذر رحمه الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زهد في الدنيا ادخل الله عز وجل الحكمة قلبه وانطق بها لسانه وبصره
داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام وروينا في الخبر الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال
له ولها يجمع من لا عقل له وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول رايت سبعين بدريا كانوا والله فيما احل الله
عز وجل لهم ازهد منكم فيما حرم الله سبحانه وتعالى عليكم وفي حديث آخر كانوا بالبلاء والشدة تصيبهم اشد
فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رايتموهم قلتم مجانين ولو راوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو راوا شراركم
قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب قال وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا ياخذه يقول اخاف ان يفسد يفسد
علي قلبي فمن كان له قلب حفظه من فساده وخاف من تغيره وابعاده وعمل في صلاحه وارشاده ومن
لم يكن له قلب فهو يتقلب في ظلمات الهوى فربما انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة او يكون من اهل الرضى
بالدنيا واهل الغفلة عن آيات الله عز وجل فيكون قد رضي بلا شيء وآثره على من ليس كمثله شيء كوصف
من اخبر الله عز وجل عنه في قوله سبحانه وتعالى ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون
فيستحق الاعراض من الحبيب ويستوجب المقت من القريب ويمتثل من امر الله سبحانه وتعالى بالاعراض عنهم
وترك القبول منهم اذ يقول فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وقال
عز وجل ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا اي متجاوزا لما نهى الله عز وجل عنه
مقصرا عما امر به وقيل مقدما على الهلاك وقد نهى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ان يوسع نظره
الى ابناء الدنيا مقتا لهم واخبر ان ما اظهره من زهرة الدنيا فتنة لهم واعلمه ان القناعة والزهد خير وابقى
ينتظم بهذه المعاني قوله سبحانه وتعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى قيل القناعة وقيل قوت يوم بيوم ويقال الزهد في الدنيا وهذا
الوجه اشبه بكتاب الله عز وجل بدليل قوله سبحانه وتعالى والآخرة خير وابقى وقال ايضا في مثله بقية الله
خير لكم يعني القناعة وقيل الحلال وفي خبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في اصحابه بعشار من النوق
حفل وهي الحوامل وكانت من احب اموالهم اليهم وانفسها عندهم لانها تجمع الظهر واللحم والولد والوبر واللبن

وهي الرواحل التي ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بها المثل لخيار الناس فقال الناس كابل مائة لا تكاد
تجد فيها راحلة اي الابل كثيرة والراحلة التي تجمع هذه الاوصاف الحمسة من الابل قليل وهي
العشار التي ذكرها الله عز وجل في قوله سبحانه وتعالى واذا العشار عطلت اي تركها اهلها ومن هول
قيام الساعة شغلا بنفوسهم عنها قال فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له
يا رسول الله هذه انفس اموال الناس لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله عز وجل عن ذلك ثم تلا هذه الآية
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الآية وفي حديث عمر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية والذين
يكنزون الذهب والفضة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم قال فقلنا نهانا
الله عز وجل عن كنز الذهب والفضة فاي شيء ندخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا
وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر آخرته وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله عز وجل بثلاث هم لا يفارق قلبه ابدا وفقر لا يستغني ابدا وحرص
لا يشبع ابدا وروينا حديثا مرسلا عن علي بن معبد عن علي بن ابي طلحة رضي الله عنهم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء
احب اليه من كثرته وروينا عن عيسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم الدنيا قنطرة خلق يعبر
عليها الى الآخرة فاعبروها ولا تعمروها وقال له رجل احملني معك في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني
قال لا استطيع فقال عيسى عليه وعلى سائر الانبياء السلام بشدة يدخل الغني الجنة او قال بعجب وقالوا له
لو امرتنا يا نبي الله ان نبني بيتا نعبد الله عز وجل فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء قالوا وكيف
يستقيم بنيان على الماء قال فكيف يستقيم عبادة على حب الدنيا وقال لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى
لا يحب ان يحمد بعبادة الله عز وجل ولا يبالي من اكل الدنيا وقد كان بشر بن الحارث رحمه الله يقول الحسن
التقوى الا بزهد وقال مرة العبادة لا تليق بالاغنياء مثل العبادة على الغنى مثل روضة على مزبلة ومثل
العبادة على الفقر مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء وقد استنبطنا ذلك من كتاب الله عز وجل لمعنى وصف
الفقراء بالعبادة في قوله عز وجل للفقراء الذين احصروا في سبيل الله ثم قال عز وجل في وصفهم تراهم
ركعا سجدا الخشنت لبسة الصلاة عليهم بحسن سيماهم بالفقر وروينا في وصية لقمان عليه السلم لابنه
وهو يحذره مداخل العدو قال واذا جاءك من قبل الفقر فاخبره ان الغني من اطاع الله عز وجل والفقير
من انتهك معصيته واذا شهى اليك الغنى فاخبره انه لا يحسن جمع الغنى والقراءة وقال بعض السلف ابى اهل
العلم بالله عز وجل ان يسمعوا الحكمة والوعظ الا من الزاهدين في الدنيا وقالوا ليس اهل الدنيا لذلك

اهلا ولا يليق بهم وروينا عن عيسى عليه وعلى سائر الانبياء السلام فيما اوحى الله سبحانه وتعالى اليه
يا ابن مريم ابك ايام الحيوة بكاء من ودع الدنيا وارتفعت رغبته الى ما عند الله عز وجل اكتف بالبلغة من الدنيا
ليكفك منها الخشب الخشن بحق اقول لك انما انت بيومك وساعتك مكتوب عليك ما اخذت من الدنيا وفيما
انفقته فاعمل على حسب هذا فانك مسئول عنه لو رايت ما اعدت للصالحين لزهقت نفسك وكان عيسى
صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم يقول حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وجودة الثياب خيلاء القلب يعني اعجابه وكبره الدنيا
وملء البطن حمام النفس يعني قوتها واجتماعها بحق اقول لكم كما لا يلذ المريض بطيب الطعام كذلك لا يجد
حلاوة العبادة من احب الدنيا فمن الزهد في الدنيا ترك الملبس الناعم المنظور اليه المرتفع واجتناب الترهات
من لطائف الطعام والتنقيق في الشهوات التي يرغب فيها المتنعمون وترك الزينة والتفاخر من الآلة والاثاث
التي يتنافس فيها المترفون ومن الزهد ان يكون الشيء الواحد يستعمل في اشياء كثيرة كذلك كان سيرة
السلف في الاثاث وهو من التقلل كما ان ابناء الدنيا يستعملون للشيء الواحد اشياء كثيرة وهو وصف من
التكاثر وذلك من ابواب الدنيا قال بعض السلف اول النسك الزي وقال بعض العلماء من رق ثوبه رق
دينه وقال ابن مسعود رحمه الله لا يشبه الزي الزي حتى يشبه القلب القلب وفي الخبر البذاذة من
الايمان قيل هي التقارب في اللباس وفي الحديث المفسر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا
لله عز وجل حبره الله تعالى من حلل الجنة ابهاشا وفي لفظ آخر من ترك زينة لله عز وجل ووضع ثيابا
حسنة تواضعا لله عز وجل وابتغاء وجهه كان حقا على الله سبحانه وتعالى ان يتخير له من عبقري الجنة
في تخات الياقوت ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قباء اتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل
فوضع القدح من يده وقال اما اني لست احرمه ولكني اتركه تواضعا لله عز وجل واتى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها واوحى سبحانه وتعالى
الى نبي من انبيائه عليه السلم قل لاوليائي لا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يدخلوا مداخل اعدائي فيكونوا اعدائي
كما هم اعدائي ولما خطب بشر بن مروان رحمه الله على منبر الكوفة قال رافع بن خديج رضي الله عنه انظروا
الى اميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق فقلت وما كان عليه قال ثياب رقاق وجاء عبيد الله بن
عامر بن ربيعة رحمه الله الى ابي ذر رضي الله عنه في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع ابو ذر راحته على فيه
وجعل يضرطه به فغضب ابن عامر فاتى ابن عمر رضي الله عنهما فقال الم تر الى ما لقيت من اخيك ابي ذر
قال وما ذاك قال جعلت اقول في الزهد فاخذ يهزا بي فقال ابن عمر انت صنعت بنفسك تاتي ابا ذر في
هذه البزة وتتكلم في الزهد وقال علي رضي الله عنه ان الله عز وجل اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل

ادنى احوال الناس ليقتدى بهم الغنى ولا يزدرى بالفقير فقره وقد عوتب رضي الله عنه في لباسه وكان يلبس الخشن من القطن قيمة قميصه ثلثة دراهم وخمسة دراهم ويقطع ما فضل من اطراف اصابعه فقال هذا ادنى الى التواضع واجدر ان يقتدى بي المسلم واتت برود من اليمن الى عمر رضي الله عنه فقسمها في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا بردا ثم صعد المنبر يوم جمعة فخطب الناس في حلة منها والحلة عند العرب ثوبان من جنس واحد وكان ذلك من احسن زيهم فقال الا اسمعوا الا اسمعوا ثم وعظ فقال سلمان رضي الله عنه والله لا نسمع والله لا نسمع قال وماذاك قال لانك قد اعطيتنا ثوبا ثوبا ورحت في حلة فقد تفضلت علينا بالدنيا فتبسم عمر رضي الله عنه ثم قال عجلت يا ابا عبد الله رحمك الله اني كنت غسلت ثوبي الخلق فاستعرت برد عبد الله بن عمر فلبسته مع بردي فقال سلمان قل الآن حتى نسمع ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ان عباد الله عز وجل ليسوا بالمتنعمين وروي فضالة بن عبيد رحمه الله وهو والي مصر اشعث حافيا فقيل له انت الامير وانت هكذا فقال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وامرنا ان نحتفي احيانا وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان اردت ان تلحق بصاحبيك فارفع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وروينا ان عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال انشد الله عز وجل رجلا علم في عيبا الا اخبرني به فقام فتى شاب فقال يا امير المؤمنين فيك عيبان اثنان قال وما هما رحمك الله قال تذيل بين البردين وتجمع بين الادمين قال فما اذال بين بردين ولا اجمع بين ادمين حتى لقي الله سبحانه وتعالى هكذا حدثناه قال الشيخ رضي الله عنه تذيل بالذال فمعناه عندي تجمع بين ذيليهما فيتفق ذيل البرد الاعلى مع ذيل البرد الاسفل لطوله ويحتمل وجها آخر ان تذيل اي تجمع بين ثوبين تضعهما عندك وانما كان للفقراء رحمهم الله ثوب واحد العرب تقول اذل واشل اي ضع وارفع وانا احسب انه تديل بالدال اي تبدل بردا ببرد دولة ذا ودولة ذا وقد كان عمر رضي الله عنه يقول اخلولقوا واخشوشنوا وتمعددوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي رضي الله عنه من تزيا بزي قوم فهو منهم وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد من هذا ان من شرار امتي الذين غذوا بالنعيم الذين يطلبون الوان الطعام والوان الثياب ويتشدقون في الكلام ولما قدم عمير بن سعد رحمه الله امير حمص على عمر رضي الله عنه قال له ما معك من الدنيا يا عمير قال معي عصاي اتوكا عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها واغسل فيها راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي للصلاة يعني السطيحة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال له عمر رضي الله عنه صدقت رحمك الله وكان عمر رضي الله عنه قد كتب الى اهل حمص ان عدوا لي فقراءكم فسموا له في الكتاب نفرا وذكروا فيهم سعيد بن جديم رحمه الله ويقال بل عمير بن سعيد رحمه الله

فقال عمر رضي الله عنه من سعيد بن جديم قالوا اميرنا يا امير المؤمنين قال او فقير هو قالوا ما فينا اهل بيت افقر منه قال فما فعل عطاؤه قالوا يخرجه كله لا يترك لنفسه ولا لاهله منه شيئا فوجه اليه عمر رضي الله عنه باربعمائة دينار وسأله ان ينفقها على نفسه واهله فلما وصلت اليه دخل على زوجته وهو يبكي فقالت ما شأنك مات امير المؤمنين قال اعظم من ذلك قالت فتق فتق في المسلمين فقال اشد من ذلك قالت فما هو قال اتتني الدنيا قد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تفتح الدنيا علي وكنت في ايام ابي بكر رضي الله عنه فلم تفتح الدنيا علي وخلفت الى ايام عمر رضي الله عنه الا وشر ايامي ايام عمر ثم حدثها فقالت نفسي فداؤك فاصنع بها ما بدا لك قال اوتساعديني على ما اريد قالت نعم قال اعطيني خلق ذلك البرد فجعل يفرقه ويصرها صرورا ما بين العشرة والخمسة والثلاثة حتى افناها ثم جعلها في مخلاة وتابطها وخرج فاعترض جيشا من المسلمين يريدون الغزو فجعل يدفع اليهم صرة صرة على ما يرى من حالهم ثم رجع ولم يترك لاهله منها دينارا فهذه كانت شمائل جملة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان وروينا في حديث عياض بن غنم رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الاخيار ان من خيار امتي فيما انباني الملأ الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم عز وجل ويبكون سرا من خوف عذاب ربهم عز وجل مؤونتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم في الارض وافئدتهم عند العرش وفي حديث ابي الدرداء رحمه الله لما وصف الابدال قال فقلت له كيف لي ان اكون بهذا الوصف واني لي ان اكون مثلهم فقال يا ابن اخي ما بينك وبين ان تكون في اول ذلك او وسطه الا ان تزهد في الدنيا فتعاين الآخرة بقلبك فتعمل لها وروينا في الخبر ان الله سبحانه وتعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال الثوري وفضيل رحمة الله عليهما جعل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه الرغبة في الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا وهذا موجود في ظاهر الخبر المنقول عن عيسى صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلامه ورويناه عن نبينا صلوات الله عليه وسلامه حب الدنيا راس كل خطيئة ففي تدبره ان بغضها راس كل طاعة وكذلك كان بعض السلف يقول كفى به ذنبا لا يستغفر منه حب الدنيا واشد من ذلك ما رواه سفيان عن يحيى بن سليم الطائفي رحمهما الله رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان عبدا عبد الله عز وجل عبادة اهل السموات والارض ولقيه محبا للدنيا لاقامه الله سبحانه وتعالى في الموقف غدا مقاما شهره به بين الخلائق الا ان فلان بن فلان قد احب ما ابغض الله عز وجل وقال يحيى بن جابر الطائي رحمه الله قال عمرو بن الاسود العنسي رضي الله عنه لا البس مشهورا ابدا ولا انام بليل على دثار ابدا ولا اركب على مثور ابدا ولا املا جوفي من طعام ابدا وقال عمر رضي الله عنه من سره ان ينظر الى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى عمرو بن الاسود

رحمه الله وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على بابها سترًا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع رضي الله عنه وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال عليه السلم من اجل الستر والسوارين فهتكت الستر ونزعت السوارين فارسلت بهما مع بلال رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت به فضعه حيث ترى فقال صلى الله عليه وسلم اذهب فبعه وادفعه الى اهل الصفه فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق به عليهم فدخل عليها وقال بابي انت قد احسنت وفي الخبر من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله سبحانه وتعالى عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيبا وقال الثوري وغيره رحمهم الله البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي وانا اصلي فادعه يجوز ويمر بعض هولاء من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة فامقته ولا ادعه يجوز وقال بعضهم ما رايت الغني في مجلس قط اذل منه في مجلس الثوري رحمه الله وقال آخر كنا اذا جلسنا الى سفيان رحمه الله تمنينا انا فقراء لما نرى من اقباله عليهم واعظامه لهم وقال بعضهم انما العالم هو الذي يقوم الفقير من عنده غنيا ويقوم الغني من عنده فقيرا وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم واربعة دوانيق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك قال وعددنا في قميص عمر رضي الله عنه اربع عشرة رقعة بعضها من ادم وكان بعض العلماء يقول كثرة الثياب على ظهر ابن آدم عقوبة من الله عز وجل له وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه الثياب ثلثة ثوب لله سبحانه وتعالى وثوب للنفس وثوب للناس فالذي لله عز وجل ما ستر العورة وادّيت فيه الفرض والذي للنفس ما طلبت لينه ونقاءه والذي للناس ما طلبت جوهره وحسنه ثم قال وقد يكون الثوب الواحد لله عز وجل وللنفس وقد كان بعض العلماء يكره ان يكون على الرجل من الثياب ما يجاوز قيمته اربعين درهما ويعده سرفا فيما جاوز المائة وكان جمهور العلماء وخيار التابعين رحمهم الله قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلثين وكان المتقدمون من الصحابة رضي الله عنهم اثمان ازرهم اثني عشر درهما وكانوا يلبسون ثوبين قيمتهما نيف وعشرون درهما واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا باربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة الى دينار وكان طول ازاره اربعة اذرع ونصف واشترى صلى الله عليه وسلم سراويل بثلثة دراهم وكان عليه السلم يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما لبس بردين يمانيين او سحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم

كانه قميص زيات وقد لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيرا من سندس قيمته مائتا درهم وكان اصحابه رضي الله عنهم يلمسونه ويقولون يا رسول الله انزل عليك هذا من الجنة تعجبا منه وكان قد اهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية رحمه الله فاراد صلى الله عليه وسلم ان يكرمه بقبول هديته ويلبسه ثم نزعه وارسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وقد يكون لبسه اياه توكيدا للتحريم بعده كما لبس خاتما من ذهب يوما واحدا ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة رضي الله عنها في شان بريرة رحمها الله اشترطي لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد صلى الله عليه وسلم المنبر فحرمه فهذا يكون موكدا للتحريم وكما اباح المتعة ثلاثا ثم حرمها لتوكيد امر النكاح وقد يحتج بمثل هذا علماء الدنيا ويطرقون لنفوسهم ويدعون الناس منه اليهم ويظهرون الدعوة الى الله عز وجل تاويلا لمتشابه الاحاديث كما تاول اهل الزيغ متشابه القرآن على اهوائهم ابتغاء الفتنة وطلبا للدنيا ان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاني كلام الله عز وجل فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام فعدل علماء الدنيا واهل الاهواء عن المحكم الثابت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الى مثل ما ذكرناه وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم واتوني بانبجانيته يعني كساءه فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وراى على باب عائشة رضي الله عنها سترا فهتكه وقال كلما رايته ذكرت الدنيا ارسلي به الى آل فلان وفرشت له عائشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان ينام صلى الله عليه وسلم على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال لها اعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني قد اسهرني الليلة وكذلك اتته عليه السلم دنانير خمسة او ستة عشاء فبيتها ليلته حتى اخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله عز وجل وهذه عنده وكان شراك نعله العربي قد اخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال اعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلوة ولبس خاتما فنظر اليه وهو على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وقال الله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احبني فليستن بسنتي وقال عليه السلم في الخبر المشهور عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وقد كان ابو محمد سهل رحمه الله يقول من علامة حب الله عز وجل حب النبي صلى الله عليه وسلم ومن علامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة ومن علامة حب السنة بغض الدنيا وعلامة بغضها ان لا ياخذ منها الا زادا وبلغة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة

رضي الله عنها

إن أردت اللحوق بي فإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى
نعلين جديدين فأعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال أعجبني حسنهما فتواضعت لربي عز وجل خشية أن
يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما إلى أول مسكين رآه وأمر عليا رضي الله عنه فاشترى له نعلين سبتيتين فرآه
وقد لبسهما يعني جرداوين أي معطوفتين وقال صلى الله عليه وسلم إن أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة من
كان على مثل ما أنا عليه من الدنيا وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وقال عليه السلام
لا يعذب الله عز وجل عبدا رزقه في الدنيا قوت يوم بيوم وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي إلى الإسلام
وكان رزقه في الدنيا قوتا وقنع به وفي لفظ آخر وصبر عليه وقال ما من أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة
أن رزقه كان في الدنيا قوتا ورويناه عنه صلى الله عليه وسلم اللهم من أحبني وأجاب دعوتي فأقلل ماله وولده
ومن أبغضني ولم يجب دعوتي فأكثر ماله وولده وأوطئ عقبه يعني كثرة الأتباع وكانت هذه دعوة
الصحابة رضي الله عنهم على من مقتوه ورويناه في الخبر نقصان الدنيا زيادة الآخرة وزيادة الدنيا نقصان
الآخرة وفي الأثر ما من أحد أعطي من الدنيا شيئا إلا نقص من درجته وإن كان على الله كريما وقال
إبرهيم الخواص رضي الله عنه في وصف المدعين وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون
بذلك على الناس ليهدى إليهم مثل لباسهم لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا
كما يعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وأنهم على السنة وأن الأشياء داخلة عليهم وهم خارجون
منها وإنما يأخذون بعلة غيرهم هذا إذا طولبوا بالحقائق وألجئوا إلى المضايق وكل هؤلاء أكلة الدنيا
بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها
حالا لهم مائلون إلى الدنيا متبعون للهوى وكان الخواص رضي الله عنه لا يلبس أكثر من قطعتين إزار
أو قميص ومئزر تحته ويعطف ذيل قميصه على رأسه ويحله من وسطه فيغطي به رأسه وكذلك استحب بيزره
للفقير وهو حد اللباس والأخبار في فضائل الفقر وفضل الفقراء وفي ذم الدنيا ونقص الأغنياء
أكثر من أن تذكر ولم نقصد جمعها ولا كثرة الاستدلال بها ومن الزهد ترك فضول البنيان وأن لا يبني
عاليا ولا مشيدا ولا من الطين إلا ما يحتاج إليه وقيل أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
المناخل والموائد وأول شيء ظهر من طول الأمل التدريز والتشييد يعني درز الثياب وإنما كانت تشل
شلا والبنيان بالجص والآجر وهو التشييد وإنما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد جاء في الأثر
يأتي على الناس زمان يوشون بنيانهم كما يوشى البرود اليمانية ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام
الصرح قد بني بجص وآجر فكبر وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني بنيان هامان

لفرعون لعنهما الله يعني قول فرعون فأوقد لي يا هامان على الطين يعني به الآجر يقال أول من بنى بالجص
والآجر فرعون وأول من عمله هامان لعنهما الله ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف وذكر بعض السلف
جامعا في بعض الأمصار فقال أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيته مبنيا من رهوص
ثم رأيته الآن مبنيا باللبن قال وكان أصحاب السعف خيرا من أصحاب الرهوص وكان أصحاب الرهوص خيرا
من أصحاب اللبن وقد كان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنيانه وقصر أمله ولزهده
في إتقان البنيان وكان منهم إذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه فإذا رجع أعاده وكانت بيوتهم
من الحشيش والثمام والجلود وعلى ذلك العرب ببلاد اليمن إلى اليوم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس
رضي الله عنه أن يهدم علية كان قد علا بها ومر عليه السلام بجنبذة معلاة فقال لمن هذه قالوا لفلان
فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل أصحابه عن تغير وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فسأل عنها فأخبر بأنه
هدمها فدعا له بخير وكان سمك بناء السلف قامة وبسطة وقال الحسن رضي الله عنه كنت إذا دخلت
بيوت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي إلى السقف وقال عمرو بن دينار رحمه الله إذا أعلى العبد
البناء فوق ستة أذرع ناداه ملك إلى أين يا أفسق الفاسقين وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما
يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة يؤجر عليها العبد إلا ما أنفقه في الماء والطين
ورويناه عن بعض السلف إذا مقت الله سبحانه وتعالى عبدا سلط عليه الماء والطين وقال بعضهم كنت
أمشي مع الثوري رحمه الله في طريق فنظرت إلى باب مشيد فقال لا تنظر إليه فقلت يا أبا عبد الله ما تكره من
النظر فقال إذا نظرت إليه كنت عونا له على بنائه لأنه إنما بناه لينظر إليه ولو كان كل من مر به لم
ينظر إليه ما عمله وفي قوله عز وجل تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا
قيل حب الكثرة والرياسة والتطاول في البنيان ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال
على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن من حر أو برد وقال للرجل الذي شكا إليه ضيق منزله اتسع في
السماء أي في الجنة وهو أحد التأويلين واعلم أن الزهد لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد في الصبر ويديم
الجوع والفقر فيكون هذا رزقا للزاهد من الآخرة على هذا الوصف من حرمان نصيبه من الدنيا وحمايته
عن التكثر منها والتوسع فيها ويكون الزهد سببه فيكون ما صرف عنه ومنعه من الدنيا من الغنى والتوسع
رزقه من الآخرة من الدرجات العلى بحسن اختيار من الله عز وجل وحسن نظر كما حدثونا عن بعض العلماء
أن بقالا جاءه فقال إني كنت أبيع في محلة لا بقال فيها غيري فكنت أبيع الكثير ثم قد فتح علي بقال

آخر فهل ينقص ذلك من رزقي شيئاً فقال لا ولكن يزيد في بطالتك عن البيع ولعل بطالته لا غنى يحتج
لتوسعة هواه وتمويه على أبناء الدنيا ممن يتولاه فيقول بأن الزهد في الدنيا لما لم ينقص من رزقي شيئاً
قد صح مقاماً لي مع التوسع والاستكثار وعلى التنعم والرفاهية والاستبشار لأني إنما آكل رزقي وآخذ قسمي
فلي في الزهد مقام ومن الرضى والتوكل حال أو يقول إن الزهد قد يصح مع التكاثر والزينة يزخرف بقوله
على من لا يعرف الزهد ويغتر بمقاله من لا يعلم طرائق الزاهدين ولعله ممن أكل الدنيا بالدين أو يزخرف
القول ويشبه العلم على الغافلين فمثله كما قال علي رضي الله عنه للخوارج حين قالوا لا حكم إلا لله عز وجل فقال
عليه السلام كلمة حق أريد بها باطل وصدق رضي الله عنه لأنهم أرادوا بذلك إسقاط حكم الأئمة وترك الطاعة
للإمام العادل كما أراد القائل إنما آكل رزقي وآخذ من الأشياء قسمي للاحتجاج لنفسه بهواه وللاعتذار
عند الجاهلين خيفة لومهم إياه ولا يعلم المغرور بدار الغرور أنه وإن كان يأكل رزقه من الدنيا ويأخذ
قسمه من العطاء فبحكم النقص والبعد وبوصف الرغبة والحرص لأن السارق والغاصب أيضاً يأكل رزقه
ويأخذ قسمه ولكن بحكم المقت وسوء الاختيار إذ كان الله سبحانه وتعالى يرزق الحرام للظالمين كما يرزق
الحلال للمتقين وإنما بينهما سوء القضاء للأعداء وحسن التوفيق والاختيار للأولياء فقد حرم المدعي
لذلك رزقه من الزهد وبخس نصيبه الأوفر من حب الفقر ونقص حظه الأفضل من الآخرة إذ كانت
الدنيا ضدها وجعل ما صرف إليه سبباً لنقصان مرتبته من طرائق الزاهدين وأنه قد اختبر بالدنيا
وبما فتح عليه من السراء ليظهر صدقه من كذبه فوقع في الفتنة ولم يفطن للابتلاء وصارت مشاهدته
إن كان صادقاً فيها غير كاذب على وجده حجاباً له عن علوم العارفين المعصومين واستدرج بعلمه هذا لأنه
علم من علوم الدنيا يفنى بفنائها لا ثمرة له في الباقية مكر به فيه وعدل به إليه عن علوم الخائفين
ومشاهدة الورعين الزاهدين الذين نظروا من الحلال في الدقيق وصدقوا القول في ترك الرغبة بالعمل بالزهد
للتحقيق وإن كان كاذباً في مشاهدته ظالماً لنفسه بما ادعاه من وجده فهو من أولياء الشياطين
قيض للاعبين وسيق إليهم فتنة لهم ليس إماماً للمتقين بل من أئمة المضلين جعل نصيباً للمحرومين
من أبناء الدنيا الغافلين رغبة في الدنيا وزهداً في طرائق السلف لوجود الطمع وعدم اليقين فقد مكر بهذا
المعدول به من علوم الموقنين وحقائق مشاهدتهم على هذا الوصف الذي أريد به بالذي تقلب فيه وهو
لا يشعر بالمكر ولا يعرف الاستدراج بالنعم وأنى له بعلم ذلك والله سبحانه وتعالى يقول سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون وقال عز وجل ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون فهيهات هيهات أن يفطن الممكور لما مكر به
أو يعلم المستدرج ما درج فيه لأن الماكر ألطف الماكرين والمدرج أحكم الحاكمين نعوذ بالله عز وجل

من الاغترار بعلم الإظهار ونسأله حسن التوفيق لمشاهدة علم التحقيق وبمثل ما قلناه جاءت الآثار
وكثرت الأخبار أن مثل الدنيا والآخرة كضرتين يرضي إحداهما في سخط الأخرى وأنهما بمنزلة المشرق والمغرب
من استقبل أحدهما استدبر الآخر وأنهما بمنزلة كفتي الميزان رجحان إحداهما بنقصان الأخرى
وكان عمر رضي الله عنه يقول والله إن هما إلا بمنزلة قدحين لكيل أحدهما فامتلأ إلا أن تفرغ أحدهما
في الآخر يعني أنك إن امتلأت من الدنيا تفرغت من الآخرة وإن امتلأت من الآخرة تفرغت من الدنيا وإن كان
لك ثلث قدح الآخرة أدركت ثلثي قدح الدنيا وإن كان لك ثلثا قدح الآخرة يكون لك ثلثه من الدنيا وهذا
تمثيل حسن إلا أن فيه شدة وتدقيقاً وقال بعض السلف مثل من زهد في الدنيا مع التنعم فيها كمثل
من يغسل يده من الغمر بسمك وقال آخر من تعبد وهو يطلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالحلفاء
وكان بعض الزاهدين من أهل الشام يتكلم عليهم وكان رجاء بن حيوة رحمه الله فقيه أهل الشام يحضر
مجلسه فاحتبس عليهم يوماً وقد اجتمعوا فتكلم عليهم مؤذن الجامع فأنكر صوته رجاء بن حيوة فقال من
هذا فقال أنا فلان قال اسكت عافاك الله فإنا نكره أن نسمع الزهد إلا من أهله وفي لفظ آخر
إنا نكره أن نسمع الوعظ إلا من أهل الزهد وقال عيسى صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم لا تنظروا إلى أموال
أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم وقال بعض العلماء تقليب الأموال يمص حلاوة الإيمان
وروينا في الخبر لكل أمة عجل وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم وكان أصل العجل من الحلية وقال
الله عز وجل ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله فكان فهم هذه التشبيه عن سمع هذه الآية ويقال ما من يوم
ذر شارقه إلا وأربعة أملاك يتنادون في الآفاق بأربعة أصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول
أحدهم من المشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر ويقول الآخر اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط
ممسكاً تلفاً ويقول اللذان في المغرب لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا لطول
الحساب وقال بعض العلماء إن الله سبحانه وتعالى وسم الدنيا بالوحشة ليجعل أنس المطيعين به وبلغنا
أن من دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه اللهم إني أسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز
الكفاف وقال بعض العارفين ما من شيء إلا وهو مطروح في الخزائن إلا الفقر مع المعرفة فإنه مخزون
مختوم عليه لا يعطاه إلا من طبع بطابع الشهداء وقد يحتج بعض علماء الدنيا لأنفسهم بتفضيل
الغنى على الفقر بتأويل الخبر من قوله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا عند أولي الألباب
في تدبر الخطاب معنى الفقراء لأنه قيل لهم في أول الكلام إن فعلتم كذا لم يسبقكم أحد قبلكم ولم يدرككم
أحد بعدكم فثبت هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح لأنه معصوم في قوله كما هو معصوم في فعله

في فعله فاجابه بعده يكون محولا عليه فلم يسغ ان ينقض اول الكلام آخره ولم يصح ان ينقلب لانه اخبار عن
شيء ولا يجوز الرجوع عنه فلما فعل الاغنياء ما امر به الفقراء وقف الفقراء رضي الله عنهم في قول الرسول لنظرهم
المزيد الاغنياء عليهم بالقول فرجعوا اليه يستفتون منه عليه السلام ما اخبر به فقال لا تعجبوا فان الذي قلت
لكم كما قلت هو فضل الله عز وجل لكم يؤتيه من يشاء وانتم ممن شاء ان يؤتيه فضله فصح تاويلنا هذا وبطل تاويلهم
بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم الاول فكان قوله الثاني موطئا لقوله الاول ولم يناقض الاول بالآخر كيف
وقد جاء دليل ما قلناه مكشوفا في الحديث المفسر الذي رويناه عن زيد بن اسلم عن انس بن مالك رحمة الله عليهما قال
بعث الفقراء رضي الله عنهم رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رسول الفقراء اليك فقال
مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون
ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء اما خصلة واحدة فان في الجنة غرفا
ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير والثانية
يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك
اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على صحة تاويلنا وقد روينا ايضا معنى هذا مجملا
في الخبر الذي رويناه عن اسمعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه اي الناس خير قالوا موسر من المال يعطي حق الله عز وجل في نفسه وماله قال نعم الرجل هذا
وليس به قالوا فمن يا رسول الله قال مؤمن فقير يعطي جهده فوقف القوم مع علم العقل فردهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى علم اليقين وكذلك من فضل حال الغني على حال الفقر فانه ينظر في العلم بعين العقل وانما تشهد الآخرة
والحقيقة بعين اليقين وهذا نص في تفضيل حال الفقر فمن فضل الغني بعده فقد عاند السنة ثم ان كان عالما
فاحسن احواله الجهل بالآثار وفي الخبر الآخر خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال
عليه السلام لبلال رحمه الله الق الله عز وجل فقيرا ولا تلقه غنيا قال وكيف بذلك قال اذا سئلت فلا تمنع
واذا اعطيت فلا تخبأ فاشبه الفقر في الاحوال كاليقين في الايمان كما قال صلى الله عليه وسلم لابن عمر رضي الله عنهما
اعمل لله عز وجل بالرضى في اليقين فان لم يكن فان في الصبر خيرا كثيرا فرفعه عليه السلام الى اليقين لفضله كما رفع بلالا
الى الفقر لشرفه فلم يكن صلى الله عليه وسلم يرضى لبلال الا ما يرضى لنفسه كذلك روينا في حديث عطاء عن ابي سعيد
رحمهما الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا ولم يكن ليأمر بلالا

رحمه الله بادنى الحالين فيقول الق الله سبحانه وتعالى فقيرا كما لم يندب ابن عمر الى اخفض المقامين لقوله عليه السلام
اعمل لله عز وجل بالرضى في اليقين فصار الفقر حال الموقن لانه لكشف الآخرة وصار الشكر في الغنى حال المؤمن لانه
يشهد الدنيا ففضل الفقير الزاهد على الغني الشاكر كفضل الموقن الشاهد على المؤمن المجاهد وكذلك جاء الخبر
الآخر المشتهر الذي دعا فيه صلى الله عليه وسلم لنفسه ان يحييه الله عز وجل مسكينا ويتوفاه مسكينا ويحشره
في زمرة المساكين كل ذلك تفضيل للفقر وتشريف للفقراء مع قوله صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء امتي الجنة قبل
اغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام وروينا عن عيسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم انه قال اني لاحب
المسكنة وابغض الغنى وان في المال داء كثيرا قيل يا روح الله وان كان يكتسبه من حلال قال يشغله كسبه
عن ذكر الله عز وجل وقال وهب بن منبه لابن عباس رضي الله عنهما انا نجد في التوراة ان الفقير المصلح خير من
الغني المصلح فقال ابن عباس اما علمت انه لا شيء احب الى الله عز وجل من الفقير اذا كان مصلحا وقيل كان احب
شيء الى عيسى صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلامه ان يقال له يا مسكين وكان يقول من شر الغنى ان العبد
يعصي ليستغني ولا يعصي ليفتقر وقد ذكر ذلك بعض حكماء امتنا في كلام منظوم
يا عائبا للفقر تبغي الغنى عيب الغنى اعظم لو تعتبر انك تعصي لتنال الغنى ولست تعصي الله كي تفتقر
وروينا في حديث عطاء عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنهما يا ايها الناس لا تحملنكم العسرة والفاقة على ان
تطلبوا الرزق من غير حله فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا
واحشرني في زمرة المساكين وقال لقمان لابنه يا بني ان من اعون الاخلاق على صلاح الدين زهدا في الدنيا من
يزهد في الدنيا يرغب فيما عند الله عز وجل ومن يرغب فيما عند الله عز وجل يعمل لله عز وجل ومن يعمل لله عز وجل
ياجره الله عز وجل وقال الحواريون يا روح الله نحن نصلي كما تصلي ونصوم كما تصوم ونذكر الله عز وجل كما امرتنا
ولا نقدر نمشي على الماء كما تمشي انت فقال اخبروني كيف حبكم الدنيا قالوا انا لنحبها فقال ان حبها يفسد
الدين لكنها عندي بمنزلة الحجر والمدر وفي خبر آخر انه رفع حجرا فقال ايهما احب اليكم هذا او الدينار والدرهم
فقالوا الدينار والدرهم قال فانهما عندي سواء ويقال ان من صح زهده في الدنيا حتى يستوي عنده الذهب
والحجر مشى على الماء وقد اشتهر ذلك في العامة حتى قال الشاعر لو كان زهدك في الدنيا كزهدك في وصلي
مشيت بلا شك على الماء وروينا عن عيسى عليه وعلى سائر الانبياء السلام انه مر في سياحته برجل نائم ملتف
في عباءة فايقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله عز وجل فقال ما تريد مني اني تركت الدنيا لاهلها فقال له عيسى
عليه السلام فنم اذا حبيبي نم وروينا عن موسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم انه مر برجل نائم على التراب
وتحت راسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بشمل عباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع

فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه يا موسى أما علمت أني إذا نظرت إلى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها
وأوحى الله سبحانه إلى نبيه اسمعيل عليه وعلى سائر الأنبياء السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال يا رب ومن هم
قال الفقراء الصادقون هذا كأنه مفسر لخبر موسى صلوات الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلامه في قوله أين أجدك
قال عند المنكسرة قلوبهم وقد كان أحمد بن عطاء رحمه الله وهو من المتأخرين يفضل حال الغني على الفقر لشبهة
دخلت عليه وهو أن بعض الشيوخ سأله عن الوصفين أيهما أفضل فقال الغنى لأنه صفة الحق فقال له الشيخ
فالحق عز وجل غني بالأعراض والأسباب فانقطع ولم ينطق بحرف وهذا كما قال الشيخ رحمه الله لأن الحق سبحانه
وتعالى غني بوصفه فالفقر أحق بهذا المعنى لأنه غني بوصفه بالإيمان لا بالأسباب لانفراده عنها فهو الأفضل
فأما الغني فإنه متشبث مجتمع بالأسباب فهو مفضول وقد خالفه الخواص رحمه الله وكان فوقه في المعرفة
فقال في كتابه شرف الفقر فالفقر صفة للحق يصف به الفقراء فوافقنا في التأويل يعني أنه سبحانه وتعالى
متخلّ من الأشياء منفرد عنها ووجه آخر من الغلط الذي دخل عليه من جهة المعنى الذي ذكره لأنه إن كان
فضل الغني على الفقير لأنه صفة الحق عز وجل فينبغي أن يفضل المتكبر الجبار ومن أحب المدح والعز والحمد
لأن ذلك كله صفة الحق عز وجل فلما أجمع أهل القبلة على ذم من كان ذلك وصفه كان من وصف بالغنى في
معناه لأن الغنى صفة الحق عز وجل مقترن بالعز والكبر وينبغي أن نسلم صفات الحق للحق عز وجل
ولا ننازع إياها ولا نشارك فيها فبطل قول ابن عطاء رحمه الله لصحة قول الرسول صلى الله عليه وسلم يقول
الله عز وجل العز إزاري والكبرياء ردائي من نازعني أحدهما قصمته في النار وقد خالفه أيضا ووافقنا
من لا نشكل الخاص والعام في فضل معرفته عليه أبو محمد سهل بن عبد الله رحمه الله فقال من أحب الغنى والبقاء
والعز فقد نازع الله عز وجل صفاته وهي من صفات الربوبية يخاف عليه الهلكة فإذا ثبت ذلك كان
الفقر أفضل لأنه وصف العبودية فمن جعل وصفه فقد تحقق بالعبودية وأوصاف العبودية هي أخلاق
الإيمان وهي التي أحبها الله عز وجل من المؤمنين مثل الخوف والذل والتواضع والفقر فالفقر مضاف إليها وأوصاف
الربوبية ابتلى بها قلوب أعدائه الجبارين والمتكبرين مثل العز والكبر والبقاء فالغنى مضموم إليها وكان الحسن
رضي الله عنه يقول رأيت الله عز وجل جعل البقاء إلا لأبغض خلقه إليه وهو إبليس وكذلك العلماء يقولون
لا ترغبوا في البقاء في هذه الدنيا فإن شرار الخلق أطولهم بقاء وهم الشياطين والغنى إنما يراد للبقاء ويقال
إن الجنيد رحمه الله باهل ابن عطاء في هذه المسألة ودعا عليه لأنه أنكر قوله أشد الإنكار وكان يقول
الفقير الصابر أفضل وإن تساويا في القيام بحكم حالهما لأن الغني التقي يتمتع بنفسه وينعم صفته والفقير
الصابر قد أدخل على صفته الآلام والمكاره فقد زاد عليه بذلك وهذا كما قال وكذلك كان أحمد بن حنبل

رضي الله عنه يقول ما أعدل بالفقر شيئا وكان يفضل حال الفقر ويعظم شأن الفقير الصابر قال المروذي
رحمه الله وذكر بعض الفقراء فجعل يمدحه ويكثر السؤال عنه قال فقلت له يحتاج إلى علم فقال ويحك اسكت
صبره على الفقر ومقاساته للضر خير من كثير من العلم ثم قال هو آه خبرنا وأقول إن من فضل حال
الغني على الفقر فإنه لم يذق مرارة الفقر ولا حلاوته فهو غر بشدته فافق حلاوته لأنه لو ذاق مرارته
من الضر والهم لفضله ولو أذيق حلاوته من الزهد والرضى لما فضل عليه ذكر ماهية الدنيا وكيفية
الزهد وتفاوت الزهاد في مقامه ثم إن الدنيا هي نصيب كل عبد من الهوى وما دنا من قلبه من
الشهوات فمن زهد في نصيبه وملكه من هواه المذموم فهذا هو الزهد المفترض ومن زهد في نصيبه
من المباح فهو فضل الحاجات من كل شيء فهذا هو الزهد المفضل يرجع ذلك إلى الحظوظ جوارح التي
هي أبواب الدنيا وطرقها إليه فالزهد في حرامها زهد المسلمين به يحسن إسلامهم والزهد في شبهاتها زهد
الورعين به يكمل إيمانهم والزهد في حلالها من فضل حاجات النفس زهد الزاهدين به يصفو يقينهم
وروينا في حديث عمرو بن ميمون عن الزبير بن العوام رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا زبير
أجهد نفسك عند نزول الشهوات والشبهات بالورع الصادق عن المحارم وادخل الجنة بغير حساب وكان
سهل رحمه الله يقول في فضائل الزهد وأعالي مقاماته لا يتم زهد عبد حتى يزهد في هذه الثلاث في الدرهم
الذي يريد أن ينفقه في أبواب البر يتقرب بذلك إلى الله عز وجل ويزهد في الثياب التي تستر بدنه في الطاعات
ويزهد في قوته الذي يستعين به على العبادة وإنما قال هذا لأن عنده حقيقة الزهد من أفضل المقامات كلها
لأنه كان يقول يعطى الزاهد جميع ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب أعماله وقال لا يوافي
القيامة أحد أفضل من ذي زهد عالم بورع وقال أيضا لا ينال الزهد إلا بالخوف لأن من خاف ترك فجعل
الزهد مقاما في الخوف رفعه عليه وقد روى مسروق عن ابن مسعود رحمهما الله ركعتان من زاهد قلبه خير له
وأحب إلى الله عز وجل من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدا ولا نهاية للزهد عند طائفة
من العارفين لأنه يقع عن نهايات معاد فهم بدقائق أبواب الدنيا وخفايا لوائح الهوى وقال بعضهم
نهاية الزهد أن يزهد في كل شيء ويتورع عن كل شيء للنفس فيه راحة وبه متعة وبه راحة فهذا
كما روي عن عيسى صلوات الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلامه أنه وضع تحت رأسه حجرا فإنه لما ارتفع رأسه
عن الأرض استراح بذلك فعارضه إبليس لعنه الله وأخزاه فقال يا ابن مريم ألست تزعم أنك قد زهدت
في الدنيا قال نعم قال فهذا الذي وطأته تحت رأسك من أي شيء هو قال فرمى عيسى عليه وعلى سائر الأنبياء
السلام بالحجر وقال هذا لك مع ما تركت ومثله روينا عن يحيى بن زكريا عليه وعلى سائر الأنبياء السلام أنه

لبس المسوح حتى نقب جلده فسألته أمه أن ينزع مدرعة الشعر ويلبس مكانها جبة من صوف ففعل فأوحى الله عز وجل إليه يا يحيى آثرت علي الدنيا قال فبكى ونزع الصوف ورد مدرعة الشعر على جسده وكان الحسن رضي الله عنه يقول أدركت سبعين من الأخيار ما لأحدهم إلا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوبا قط كان إذا أراد النوم باشر الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه واعلم أني رأيت جملة النعم ملاكها وتمامها بالزهد وذلك أن أصل النعم كلها الإسلام لأن من ورائه مقالات كثيرة أخطؤوا فيها حقيقة التوحيد ثم النعمة الثانية السنة إذ من ورائها بدع كثيرة كلهم أخطؤوا حقيقة السنة والنعمة الثالثة العلم بالله عز وجل لأن من ورائه جهلا كثيرا بعظمة الله وقدرته ثم الزهد في الدنيا لأن من ورائه حرصا كثيرا على الشبهات ورغبة عظيمة على الشهوات فمن أعطيه مع الثلاث تمت عليه النعم وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أي تمت نعمة الله عز وجل عليهم لأن من ورائه حرصا كثيرا على الشبهات ورغبة عظيمة في الشهوات وقد كان سهل رحمه الله يجعل الزهد من شرط السنة والاتباع لقوله عز وجل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله قال فمن السنة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كان الزهاد ثم تفاوت الزاهدون لأي شيء زهدوا مقامات على نحو علو المشاهدات فمنهم من زهد إجلالا لله عز وجل ومنهم من زهد حياء من الله عز وجل ومنهم من زهد خوفا من الله عز وجل ومنهم من زهد رجاء موعود الله عز وجل ومنهم من زهد مسارعة منه لأمر الله عز وجل ومنهم من زهد حبا لله عز وجل وهو أعلاهم وأدناهم من زهد مخافة طول الوقوف ومناقشة الحساب كما قيل ذو الدرهمين يوم القيامة أشد حسابا من ذي الدرهم وإن طريق المقربين لا يسلكه من ملك من الدنيا زوجين من شيء وما أحد يعطى من الدنيا شيئا إلا قيل خذه على ثلاثة أثلاث ثلث هم وثلث شغل وثلث حساب وإن الرجل من الأغنياء ليوقف للحساب ما لو ورد مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرن رواء وإنه ليرى منازله من الجنة فلمثل هذا في قلوب الورعين أشفقوا من طول الحساب فزهدوا في الجمع والمنع وفارقوا فضول الأموال طلبا لخفة السؤال وسرعة الوقوف في الأهوال ومن الزهد في الدنيا حب الفقر وأهله ومجالسة المساكين في أوطانهم والتذلل لهم كما كان مطرف رحمه الله يجالس المساكين في بزته يتقرب بذلك إلى ربه عز وجل وكان محمد بن يوسف الأصبهاني رحمه الله عالما زاهدا ومن الناس من كان يفضله على الثوري رحمه الله إلا أنه كان يؤثر الخمول فلم يكن يعرفه إلا العلماء وكان من حسن رعايته وشدة يقظته يعمل في كل وقت أفضل ما يقدر عليه في ذلك الوقت فلما طلبه ابن المبارك رحمه الله بالمصيصة قال له بعض من يعرف حاله إنه لا يكون في المصر إلا في أفضل موضع فيه قال فهو إذا في الجامع فطلبه فقيل له إنه لا يقعد إلا في أفضل مكان

قال فطلبه عند الفقراء فإذا هو قد دس رأسه وأخمل نفسه مع المساكين فكان عنده أن أفضل وطن في المصر الجامع لأنه يقال إن الصلاة فيه خمسون صلاة وأن أفضل الأماكن موضع الفقراء من الجامع وأن أفضل الأحوال الخمول فلذلك أخمل نفسه فيما بين الفقراء في الجامع ليحوز فضائل الأعمال ومن الزهد أن يكون بفقره مغتبطا مشاهدا لعظيم نعمة الله عز وجل عليه به يخاف أن يسلب فقره ويحول عن زهده كما يكون الغني مغتبطا بغناه يخاف الفقر ثم وجود حلاوة الزهد حتى يعلم الله من قلبه أن القلة أحب إليه من الكثرة وأن الذل أحب إليه من العز وأن الوحدة آثر عنده من الجماعة وأن الخمول أعجب إليه من الاشتهار فهذا من إخلاصه في زهده وروينا عن عيسى وعن نبينا أيضا صلى الله عليهما وسلم أربع لا يدركن إلا بعجب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء وقال الثوري رحمه الله لا يكون الرجل عالما حتى يعد البلاء نعمة والرخاء عقوبة وقال بعض السلف لا يفقه العبد كل الفقه حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى والذل عنده آثر من العز وقد روينا خبرا مقطوعا لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون لأن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته وكان السلف الصالح يقولون نعمة الله عز وجل علينا فيما صرف عنا من الدنيا أعظم من نعمته فيما صرف إلينا وكان الثوري رحمه الله يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ومنزل ترح لا منزل فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء وكان سهل بن عبد الله رحمة الله عليه يقول لا يصح التعبد لأحد ولا يخلص له عمله حتى لا يجزع ولا يفر من أربعة أشياء الجوع والعري والفقر والذل كما روينا أن إبراهيم التيمي رحمه الله دفع إليه خمسون ألف درهم فردها فقيل له لم رددتها فقال أكره أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بخمسين ألفا ومن الزهد عند الزاهدين ترك فضول العلوم التي يعملونها تؤول إلى الدنيا وتدعو إلى الجاه والمنزلة عند أبنائها وفيما لا نفع فيه في الآخرة ولا قربة عند الله عز وجل وقد تشغل عن عبادة الله عز وجل وتفرق الهم عن اجتماع بين يدي الله وتقسي القلب عن ذكر الله وتحجب عن التفكر في آياته وعظمته وقد أحدثت علوم كثيرة لم تكن تعرف فيما سلف اتخذها الغافلون علما وجعلها البطالون شغلا انقطعوا بها عن الله عز وجل وحجبوا بها عن مشاهدة علم الحقيقة لا نستطيع ذكرها لكثرة أهلها إلا أن نسأل عن شيء منها أعلم هو أم كلام أو حق أو تشبيه أو صدق وحكمة أم زخرف وغرور أسنة هو أم عتيق أم محدث وتشديق فحينئذ نخبر بصواب ذلك ومن أفضل الزهد الزهد في الرياسة على الناس وفي المنزلة والجاه عندهم والزهد في حب الثناء والمدح منهم لأن هذه المعاني هي من أكبر أبواب الدنيا عند العلماء فالزهد فيها هو زهد العلماء كان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدينار والدرهم قال لأن الدينار والدرهم قد يبذلان في طلب ذلك وكان يقول هذا باب غامض لا يبصره إلا سماسرة العلماء وقال الفضيل رحمه الله يقول

نقل الصخور من الجبال أيسر من إزالة رياسة قد ثبتت في قلب جاهل وذهب أويس القرني رحمه الله إلى أن الزهد هو ترك الطلب للمضمون قال هرم بن حيان رحمه الله لقيته على شاطئ الفرات يغسل كسرا وخرقا قد التقطها من المنبوذ وكان ذلك أكله ولبسه قال فسألته عن الزهد أي شيء هو فقال في أي شيء خرجت قلت أطلب المعاش فقال إذا وقع الطلب ذهب الزهد وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يقول لا زهد إلا زهد أويس رحمه الله بلغ به العري حتى قعد في قوصرة وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول الزهد في النساء أن تختار المرأة الدون واليتيمة على المرأة الجميلة والمرأة الشريفة وذهب إلى ذلك مالك بن دينار رحمه الله وقال سهل بن عبد الله رحمه الله لا يصح الزهد في النساء لأنه قد حبب إلى سيد الزاهدين ووافقه ابن عيينة رحمه الله فقال ليس في كثرة النساء دنيا لأن أزهد الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان له أربع نسوة وبضع عشرة سرية وكان الجنيد رحمه الله يقول أحب للمريد المبتدي أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج وقال أحب للصوفي أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه وفي الخبر إنما الزهد أن تكون بما في يد الله عز وجل أوثق منك بما في يديك هذا مقام التوكل وذهب قوم إلى أن الزهد ترك الادخار فكان الدنيا عندهم هي الجمع وقال بعضهم الدنيا هو ما شغل القلب واهتم به فجعلوا الزهد ترك الاهتمام وطرح النفس تحت تصريف الأحكام وهذا هو التفويض والرضى وقال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله قلت لأبي سليمان الداراني إن مالك بن دينار قال للمغيرة رضي الله عنهم اذهب إلى البيت فخذ الركوة التي كنت أهديتها إلي فإن العدو يوسوس إلي أن اللص قد أخذها فقال أبو سليمان رحمه الله هذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد زهد في الدنيا ما عليه من أخذها فأراد أبو سليمان منه حقيقة الرضى بمجاري الأحكام وأراد مالك من نفسه حقيقة الزهد بأن يصرف عن قلبه الاهتمام وقال بعض العلماء الدنيا هو العمل بالرأي والمعقول والزهد إنما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذه طريقة أهل الحديث وهذا القول من الظواهر يشبه قول علماء الظاهر كما روينا عن سفيان رحمه الله قال قالوا للزهري رضي الله عنه ما الزهد قال ما لا يغلب الحرام صبره ولا يمنع الحلال شكره يعني أن يكون العبد صابرا عن الحرام حتى لا تغلبه شهوة الحرام ويكون شاكرا في الحلال حتى لا يغلبه الحلال فيشغله عن الشكر وأما الحسن رحمه الله فإنه قال الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال هذا أفضل مني فذهب إلى أن الزهد هو التواضع وكان الفضيل رحمه الله يقول القناعة هي الزهد وقال أبو سليمان رحمه الله الورع أول الزهد وقال أحمد بن أبي الحواري قلت لأبي هشام المغازلي رحمهما الله أي شيء هو الزهد قال قطع الآمال وإعطاء المجهود وخلع الراحة وقال يوسف بن أسباط رحمه الله من صبر على الأذى وترك الشهوات وأكل الخبز من حلاله فقد أخذ بأصل الزهد وقال الجنيد رحمه الله قلت

لأبي صفوان الرعيني رحمه الله الدنيا التي ذمها الله عز وجل في القرآن ينبغي للعاقل أن يجتنبها ما هي قال كل ما عملت في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم وكل ما أصبت فيها تريد به الآخرة فليس منها فحدثت به مروان رحمه الله فقال الفقيه ما قال أبو صفوان إنما قال لا ذلك لأن الدنيا كل شيء إلا الإخلاص فما وافق العلم فهو مباح وما خالفه فهو هوى والهوى حظ النفس والإخلاص حق الرب عز وجل فالمخلصون بينة الله عز وجل من عباده على عدوه وهم أهل الآخرة في الدنيا وكان ابن السماك رحمه الله يقول الزاهد قد خرجت الأفراح والأحزان من قلبه فهو لا يفرح بشيء من الدنيا أتاه ولا يحزن على شيء منها فاته لا يبالي أعلى عسر أصبح أم على يسر وقال أبو سعيد الأعرابي عن أشياخه الصوفية رضي الله عنهم إنما الزهد عندهم خروج قدر الدنيا من القلب إذ هي لا شيء ولا يكون في نفسه زاهدا لأنه لم يترك شيئا إذ كانت لا شيء وهذا لعمري هو الزهد في الزهد لأنه زهد ثم لم ينظر إلى زهده فزهد فيه إذ لم يره شيئا لأنه زهد في لا شيء وهذا يشبه ما نقول إن حقيقة الزهد هو الزهد في النفس لأنه قد زهد في الدنيا لنفسه طلبا للعوض فيكون ذلك رغبة على صفته فإذا زهد في النفس التي يريد بها الأعواض على الزهد فهو حقيقة الزهد وهذا يشبه قول من قال إن حقيقة الزهد في الغنى هو الزهد في البقاء لأن العبد ربما زهد في الغنى ولم يزهد في البقاء فيكون فيه بقية من الرغبة فإذا زهد في البقاء فهو حقيقة الزهد في الغنى إذ كان الغنى يراد للبقاء

فصل آخر إن الرغبة في الهوى هو حقيقة الدنيا وإن كان العبد زاهدا في المال من قبل أنه قد يعطى الزهد في شيء دون شيء كمن زهد في البنيان ولا يزهد في اللباس ولا يعطى الزهد في الأطعمة وقد يعطى الزهد في المال ولا يعطى الزهد في منصبه لغلبة الهوى فإذا أعطي الزهد في الهوى كما بينا ما كان فقد أعطي حقيقة الزهد في الدنيا وهذا هو الزهد في النفس لأن النفس عين الرغبة والهوى روح النفس فاعرف هذا وكان يونس بن ميسرة الجيلاني رحمه الله يقول ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله عز وجل أوثق منك بما في يديك وأن تكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء وأن يكون ذامك ومادحك في الحق سواء وقال سلام بن أبي مطيع رحمه الله الزهد على ثلاثة أوجه أحدها أن تخلص العمل لله عز وجل والقول ولا يراد بشيء منه الدنيا والثاني ترك ما لا يصلح والعمل بما يصلح والثالث الحلال أن تزهد فيه وهو تطوع وكان إمامنا في هذا العلم إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه يقول الزهد ثلاثة أصناف زهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فالزهد الفرض في الحرام والفضل الزهد في الحلال والسلامة الزهد في الشبهات وأما أيوب السختياني رحمه الله فكان يقول الزهد أن يقعد أحدكم في منزله فإن كان قعوده لله عز وجل رضى وإلا خرج ويخرج فإن كان خروجه لله عز وجل رضى وإلا رجع ويرجع فإن كان رجوعه لله عز وجل رضى وإلا ساح ويخرج درهمه فإن كان إخراجه لله عز وجل رضى وإلا حبسه ويحبسه فإن كان حبسه لله عز وجل

رضي وإلا رمى به ويتكلم فإن كان كلامه لله عز وجل رضي وإلا سكت فإن كان سكوته لله عز وجل رضي وإلا
تكلم فقيل هذا صعب فقال هذا الطريق إلى الله عز وجل وإلا فلا تلعبوا فهذا ذهب إلى أن الزهد هو المراقبة
والإخلاص وسئل حاتم الأصم صاحب شقيق البلخي رضي الله عنهما عن الزهد فقال أوله الثقة وأوسطه
الصبر وآخره الإخلاص فإذا كان الإخلاص عندهم هو آخر الزهد فكيف يصح لعبد آخر الزهد قبل أوله أو كيف
يجاوز الإخلاص إلى مقامات المعرفة فقد صار آخر الزهد عندهم أول المعرفة وذهبت طائفة إلى أن الزهد في
الدنيا فريضة على المؤمنين لأن حقيقة الإخلاص عندهم هو الزهد فأوجبوه من حيث وجب على المؤمنين الإخلاص
ومال إلى هذا القول عبد الرحيم بن يحيى الأسود رحمه الله وقد روينا معناه عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه قيل لأحمد
بأي شيء ذكر القوم وصاروا أئمة قال بالصدق قالوا وما الصدق قال الإخلاص قالوا وما الإخلاص قال هو الزهد
قالوا وما الزهد يا أبا عبد الله فأطرق ثم قال سلوا الزهاد سلوا بشر بن الحارث رضي الله عنه وقال قوم
الزهد في الدنيا طلب الحلال وإنه واجب مفترض في مثل زماننا هذا لاختلاط الأشياء وغلبة الشبهات
قالوا فقد تعين فرض الزهد وهذا مذهب إبراهيم بن أدهم ووهيب بن الورد وسليمان الخواص وجماعة من أهل
الشام وقد كان سهل رحمه الله يقول أزهد الناس في الدنيا أصفاهم مطعما وقال أقصى مقام من الورع
أدنى مقام من الزهد وقد روينا عن يوسف بن أسباط ووكيع رحمة الله عليهما قالا لو زهد عبد في زماننا
هذا حتى يكون كأبي ذر وأبي الدرداء رضي الله عنهما ما سميناه زاهدا إن الزهد عندنا إنما هو في الحلال المحض
ولا يعرف الحلال المحض اليوم وكذلك كان الحسن البصري إمام الأئمة رحمه الله يقول لا شيء أفضل من رفض الدنيا
وقال الفضيل بن ثور رحمه الله قلت للحسن رضي الله عنه يا أبا سعيد رجلان طلب أحدهما الدنيا بحلالها
فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه ورجل رفض الدنيا قال أحبهما إلي الذي رفض الدنيا
قلت يا أبا سعيد هذا طلبها بحلالها فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه قال سبحان الله ما
اعتدل الرجلان أحبهما إلي الذي جانب الدنيا فإنما شرف الحسن رضي الله عنه رافض الدنيا لأن مقام
الزهد يجمع التوكل والرضى ألا تسمع إلى الخبر الذي جاء الزهد أن تكون بما في يد الله عز وجل أوثق منك بما
في يدك فهذا هو التوكل ثم قال وأن تكون بثواب المصيبة أفرح منك لو أنها بقيت لك وهذا هو الرضى
ثم إن المعرفة والمحبة بعد الزهد داخلان عليه فأي مقام أعلى من مقام جمع هذه الأربعة وهي غاية
الطالبين ولعمري إنه هكذا لأنه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما حديث فيه شدة قال يؤتى بالدنيا
يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوهة خلقها فتشرف على الخلائق فيقال
أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله عز وجل من معرفة هذه فيقال هي الدنيا التي تفاخرتم عليها

وبها تقاطعتم الأرحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي أي رب أين أتباعي
وأشياعي فيقول الله عز وجل ألحقوا بها أتباعها وأشياعها وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا
أشد من هذا حدثنا عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن أنس رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجيئن
أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون
ويصومون ويأخذون هنة من الليل فإذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه فلذلك كان الحارث بن أسد المحاسبي
رحمه الله يقول إنما الزهد إسقاط قيمة الدنيا من القلب وأن لا يكون لشيء من عاجل الدنيا في القلب وزن فإذا
سقطت قيم الأشياء واستوت في القلب فهو الزهد فأما أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه فإنه كان يقول
ليس الزاهد من لا يملك شيئا إنما الزاهد من لا يملكه شيء وقال عالم مثله في معناه الزاهد من لم يتملك الأشياء
ولم يسكن إليها وكان يقول الزاهد قوته ما وجد وثوبه ما ستر وبيته ما آواه وحاله وقته وقال بعض العارفين
الزهد إنما هو ترك التدبير والاختيار والرضى والتسليم والاختيار شدة كان أو رخاء وهذا طريق الخواص والثوري
وذي النون المصري رضي الله عنهم وقد قال أبو يزيد رحمه الله مرة إنما الزاهد من لا يملك شيئا ولا يملكه شيء وقال
حقيقة الزهد لا يكون إلا عند ظهور القدرة والعاجز لا يصح زهده هو أن يعطيه كن ويطلعه على الاسم ويقدره
على الأشياء بإظهار الكون فيزهد في ذلك حياء من الله عز وجل ويتركه حبا لله عز وجل وكان يستعيذ بالله عز وجل
من أربعة وعشرين مقاما من إظهار القدرة وقال أبو موسى عبد الرحيم رحمه الله في أي شيء تتكلم قلت في الزهد
قال في أي شيء قلت في الدنيا فنفض يده وقال ظننت أنك تتكلم في الزهد في شيء الدنيا لا شيء أيش تزهد
فيه وذهب إلى هذا المعنى سهل وغيره رحمهم الله وقال سبعة عشر مقاما في المعرفة أدناها المشي على الماء وفي
الهواء وظهور كنوز الأرض وهذا كله من زخرف الدنيا وقد حكي لنا معنى هذا القول عن الجنيد رحمه الله قال
اجتمع أربعة من الأبدال في جامع المنصور ليلة العيد فلما أسحروا قال أحدهم أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد
في بيت المقدس وقال الآخر أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد بطرسوس وقال الثالث أما أنا فقد نويت أن أصلي
العيد بمكة وسكت الرابع وكان أعرفهم فقيل له أنت أي شيء نويت فقال أما أنا فقد نويت اليوم ترك الشهوات
لا أصلي إلا في هذا المسجد الذي بت فيه فقالوا أنت أعلمنا فقعدوا معه فصار عند هؤلاء أن هذه آيات
من الشهوات إذ ليست مقامات والشهوة من الدنيا لأنها عن الهوى وأيضا ففيها تدبير واختيار وعند هؤلاء
العارفين والمحبين أن هذه مكر وخدع يبتلون بها ويقتطعون لينظر كيف يعملون إذ ابتلاء كل عبد
على قدر مرتبته وحاله فيلزمه الزهد فيه فيقال هي في المقام السابع عشر من المعرفة فمن سلك به ذلك الطريق
زاهدا فيه وفوقها نيف وسبعون مقاما أفضل من ذلك وسئل الجنيد رحمه الله عن الزهد فقال نعتان ظاهر وباطن

فالظاهر بغض ما في الأيدي من الأملاك وترك طلب المفقود والباطن زوال الرغبة عن القلب ووجود العزوف والانصراف عن ذلك فإذا تحقق بذلك رزقه الله عز وجل الإشراف على الآخرة والنظر إليها بقلبه فحينئذ يجد في العمل بتقصير الأمل وتقريب الأجل لأن الأسباب عن قلبه منقطعة والقلب منفرد بالآخرة وحقيقة الزهد قد خلصت إلى قلبه فامتلأ من الذكر الخالص لربه فالزهد عن حقيقة الإيمان والمشاهدة بعد الزهد واستواء الأشياء فيكون عدمها كوجودها بعد المشاهدة لاستواء القلب ومعه يستوي المدح والذم لسقوط النفس وذهاب رؤية الخلق فعندها خلص الإخلاص لصفاء الزهد وثبت الزهد لسقوط النفس دليل ذلك الخبر الذي رويناه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل هلا استويت قال وكيف أستوي قال يستوي عندك المدح والذم وقول حارثة رحمه الله لما سأله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة الإيمان عزفت نفسي عن الدنيا فابتدأ بالزهد ثم ذكر الاستواء بحجرها وذهبها ثم ذكر المشاهدة بعد ذلك الحديث وهذه كلها مقامات في الزهد وكل من جعل الدنيا شيئاً مبلغ علمه وعلو مشاهدته جعل الزهد ضده وقد نوّع أهل المعرفة الإيمان في القلب على مقامين فجعلوا لهما بينين فقالوا إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب العبد الدنيا والآخرة وعمل لهما فإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباشره أبغض العبد الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لها وكان أبو سليمان رحمه الله يقول من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين ولهذين المقامين دليل من السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الناس خير فقال من يشنأ الدنيا ويحب الآخرة فأوقع الشنآن للدنيا لوجود ضده من حب الآخرة والمقام الأعلى دليله من جعل الهم هماً واحداً كفاه الله عز وجل أمر آخرته ودنياه فالهم الواحد بوجد واحد لرب أحد هو وصف عبد متوحد بوجده من خلقه فهو منفرد الهم بجمع القلب وانفراد الهم يكون بعد محو الهوى ومحوه بعد امتحان القلب للتقوى واجتماع القلب يكون مع طيب النفس لطيب وطمأنينتها بالإيمان وفلاحها بالتزكية والرضى كما قال الرسول عليه السلام طيب النفس من النعيم وقال الله عز وجل قد أفلح من زكاها وقال عز وجل مطمئنة راضية فيكون متوحداً بالروح متخلقاً بأخلاق الإيمان مواطئة للقلب بمشاهدة اليقين وقال وهب بن منبه رحمه الله وجدت فيما أنزل الله عز وجل على موسى عليه وعلى سائر الأنبياء السلام من أحب الدنيا أبغضه الله عز وجل ومن أبغضها أحبه الله عز وجل ومن أكرم الدنيا أهانه الله عز وجل ومن أهانها أكرمه الله عز وجل وأما علماء الظاهر فقالوا الزهد في الدنيا هو موافقة العلم والقيام بأحكام الشرع وأخذ الشيء من وجهه ووضعه في حقه وما خالف العلم فهو هوى كله فذكروا فرض الزهد وظاهره ولم يعرفوا دقائقه وباطنه وقد روينا عن سفيان بن عيينة رحمه الله والثوري رضي الله عنه معنى هذا قيل له يكون الرجل زاهداً وله مال قال نعم إذا كان إذا ابتلي صبر

وإذا أنعم عليه شكر قال ابن أبي الحواري رحمه الله فقلت لابن عيينة يا أبا محمد قد أنعم عليه فشكر وابتلي فصبر وحبس النعمة كيف يكون زاهداً فضربني بيده وقال اسكت من لم تمنعه النعماء من الشكر ولا البلوى عن الصبر فذلك الزاهد ووافقهما الزهري رحمه الله فقال ذلك وقد فصّل ذلك أبو سليمان رحمه الله فقال ابن أبي الحواري قلت له أكان داود الطائي رحمه الله زاهداً قال نعم قلت بلغني أنه ورث من أبيه عشرين ديناراً فأنفقها في عشرين سنة فكيف يكون زاهداً وهو يمسك الدنانير فقال أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد ولعمري إنا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعما بالمال الصالح للرجل الصالح والمال الصالح هو الحلال والرجل الصالح هو المنفق ماله بالليل والنهار سراً وعلانية في سبيل الله عز وجل ابتغاء مرضاته كما وصفه الله عز وجل ومدحه وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من يحب والذي يحبه الله عز وجل ممن أعطاه الدنيا لا يخالف حبيبه إلى هواه إذ قد تولاه فيما أعطاه ولا يؤثر نفسه على محبة مولاه وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر والطاعم الشاكر هو الذي يستعين بطعمته على خدمة مولاه عز وجل ويعبده شكراً لما أولاه وقد قالوا في الزهد وصفان جامعان لأحوال القلوب قال مضى عيسى رحمه الله قلت لسباع الموصلي رضي الله عنه يا أبا محمد إلى أي شيء أفضى بهم الزهد قال إلى الأنس بالله عز وجل وقال عثمان بن عمارة رحمه الله كان يقال الورع يبلغ بالعبد إلى الزهد والزهد يبلغ به حب الله عز وجل فهذان أحوال غاية الطالبين الحب للجليل والأنس باللطيف فمن لم يتحقق بالزهد لم يبلغ مقام الحب ولم يدرك حال الأنس ثم إن سرائر الغيوب في مقام الحب والخلة وفي حال الأنس والقربة وفقنا الله عز وجل وإياكم لما يحب وبلغنا ما نؤمل منه بفضله ورحمته ولا قوة إلا به آخر مقام الزهد والحمد لله رب العالمين

شرح مقام التوكل

ووصف أحكام المتوكلين وهو المقام السابع من مقامات اليقين التوكل من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين قال الله الحق المبين إن الله يحب المتوكلين فجعل المتوكل حبيبه وألقى عليه محبته وقال عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون فرفع المتوكلين إليه وجعل مزيدهم منه وقال جلت قدرته ومن يتوكل على الله فهو حسبه فحسبه من الله حسبه أي كافيه مما سواه فمن كان الله تبارك وتعالى كافيه فهو شافيه ومعافيه ولا يسأل عما هو فيه فقد صار المتوكل على الله سبحانه وتعالى من عباد الرحمن الذين أضافهم إلى وصف الرحمة ومن عباد التخصيص الذين ضمن لهم الكفاية وهم الذين وصفهم في الكتاب بقوله سبحانه وتعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً إلى آخر أوصافهم وهم الذين كفاهم في هذه الدار المهمات ووقاهم بتفويضهم أمورهم إليه السيئات بقوله عز وجل

أليس الله بكاف عبده وقوله جل جلاله وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات
ما مكروا وليس هو إلا من عبيد العدد فقط الذي قال الله عز وجل إن كل من في السموات والأرض إلا آتي
الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وقال بعض الصحابة وغيره من التابعين التوكل نظام التوحيد
وجماع الأمر وحدثونا عن بعض السلف قال رأيت بعض العباد من أهل البصرة في المنام فقلت له
ما فعل الله عز وجل بك فقال غفر لي وأدخلني الجنة قلت فأي الأعمال وجدت هناك أفضل قال التوكل
وقصر الأمل فعليك بهما وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ذروة الإيمان الإخلاص للتوكل والاستسلام
للرب عز وجل وكان أبو محمد سهل رحمه الله يقول ليس في المقامات أعز من التوكل وقد ذهب الأنبياء عليهم السلم
بحقيقته وبقيت منه صبابة انتشفها الصديقون والشهداء فمن تعلق بشيء منه فهو صديق أو شهيد
وقال أبو سليمان رضي الله عنه في كل المقامات لي قدم إلا في هذا التوكل المبارك فما لي منه إلا مشام الريح
وقال لقمان لابنه عليه السلم في وصيته لابنه ومن الإيمان بالله عز وجل التوكل على الله عز وجل فإن التوكل
على الله عز وجل يحبب العبد إلى الله عز وجل وإن التفويض إلى الله عز وجل من هدى الله عز وجل وبهدى
الله عز وجل يوافق العبد رضوان الله تعالى وبموافقة رضوان الله يستوجب العبد كرامة الله وقال لقمان
عليه السلم أيضا ومن يتوكل على الله عز وجل ويسلم لقضاء الله عز وجل ويفوض إلى الله ويرضى بقدر الله عز وجل
فقد أقام الإيمان وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير وأقام الأخلاق الصالحة التي تصلح للعبد أمره وقال
بعض علماء الأبدال العلم كله باب من التعبد والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد
كله باب من التوكل وقال ليس للتوكل حد ولا غاية ينتهي إليه وقال أيضا في قوله عز وجل ليبلوكم
أيكم أحسن عملا قال أصدق توكلا وقال التقوى واليقين مثل كفتي الميزان والتوكل لسانه به يعرف
الزيادة والنقصان وسئل عن قوله عز وجل اتقوا الله حق تقاته فقال اعبدوه بالتوكل وسئل عن
قوله فاتقوا الله ما استطعتم قال بإظهار الفقر والفاقة إليه وقال أبو يعقوب السوسي رحمه الله لا تطعنوا
على أهل التوكل فإنهم خاصة الله عز وجل خصوا بخصوصيته فسكنوا إلى الله عز وجل واكتفوا به واستراحوا
من هموم الدنيا والآخرة وقال من طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان لأنه مقرون به ومن أحب أهل
التوكل فقد أحب الله عز وجل فأول التوكل المعرفة بالوكيل وأنه عزيز حكيم يعطي بعزته ويمنع بحكمته
فيعتز العبد بعزه ويرضى بحكمه كذلك أخبر عز وجل عن نفسه ونبه المتوكلين عليه في قوله عز وجل
ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم يعز بعزه العبد فيعتز به ويعلمه من حكمته فيغنيه عن التعلم
من خلقه فإذا شهد العبد الذليل الملك الجليل قائما بالقسط والتدبير قيوما بالتصريف في المقادير

عنده خزائن كل شيء وكل شيء عنده بمقدار لا ينزله إلا بقدر معلوم وشهد الوكيل قابضا على نواصي المماليك
الموكلين بالأسباب ورأى عنده خزائن السموات من الأحكام والأقدار الغائبات وله خزائن الأرض من
الأيدي والقلوب والأسباب المشاهدات فخزائن السموات ما قسمه من الرزق وخزائن الأرض ما جعله على أيدي
الخلق وفي السماء رزقكم وما توعدون وفي الأرض آيات للموقنين ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين
لا يفقهون فأيقن العبد أن بيده ملكوت كل شيء وأنه يملك كل شيء السمع والأبصار وتقليب القلوب والأيدي
بتقليب الليل والنهار وأنه حسن التدبير والأحكام للموقنين وأنه أحكم الحاكمين وخير الرازقين ومن أحسن من الله
حكما لقوم يوقنون ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه عندها نظر العبد الذليل
إلى سيده العزيز فقوي بنظره إليه وعز بقوته واستغنى بقربه منه وشرف بحضوره عنده وكذلك جاء في الخبر
كفى باليقين غنى حينئذ نظر إليه في كل شيء ووثق به واعتمد عليه دون كل شيء وقنع منه بأدنى شيء
وصبر عليه ورضي عنه إذ لا بد له منه فثم لا يطمع في سواه ولا يرجو إلا إياه ولا يشهد في العطاء إلا يده
ولا يرى في المنع إلا حكمته ولا يعاين في القبض والبسط إلا قدرته هنالك حققت عبادته وخلص توحيده
تعرف الخلق من معرفة خالقه وطلب الرزق عند معبوده ورازقه وقام بشهادة ما قال إن الذين تدعون من
دون الله عباد أمثالكم إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه
فعندها لم يحمد خلقا ولم يذمه ولم يمدحه ولم يشكره لأجل أنه منعه أو أنه أعطاه إذ كان الله عز وجل هو
المعطي الأول ولم يشكره إلا لأن مولاه عز وجل مدحه وأمره بالشكر له تخلقا بأخلاقه واتباعا لسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم وإن ذمه ومقته فلأجل مخالفته مولاه بموافقته هواه لأنه قد مدح عز وجل المنفقين
وذم الباخلين والفرق بين الحمد والشكر أن الحمد مفرد لا ينبغي إلا لله عز وجل وهو الاعتراف بأن النعمة
من الله عز وجل مع حسن المعاملة بها لوجه الله عز وجل سبحانه لا شريك له فيها ولذلك قال الحمد لله رب
العالمين أي الحمد كله لا يكون ولا ينبغي إلا لله وحده لأنه رب العالمين وفي الخبر الحمد رداء والشكر
إظهار الثناء وإسرار الدعاء للأوساط فهذا معنى مشترك يدخل فيه الوالدان وهو أيضا مخصوص
لمن هو أهل أن يشكر من الناس حدثونا عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال قال لي الثوري رضي الله عنه
لا تشكر إلا من عرف موضع الشكر قلت وكيف ذلك قال إذا أوليتك معروفا فكنت أسر به منك وكنت
منك أشد استحياء فاشكر وإلا فلا وسأل إبراهيم رحمه الله رجلا من أصحابه درهمين فلم يكن معه
فأخرج فتى في مجلسه كيسا فيه مائتا درهم فعرضه عليه فلم يقبل وقال أو كل من بذل لنا شيئا قبلناه
منه لا نقبل إلا ممن يرى نعمة الله عز وجل عليه فيما أعطى أعظم من نعمته علينا فيما نأخذ وحدثونا

عن الحسن رضي الله عنه في قصة طويلة أن رجلاً بذل له جملة من المال فردّه فلما انصرف قال له هاشم
الأوقص رحمه الله عجبت منك يا أبا سعيد رددت على الرجل كرامته فانصرف حزيناً وأنت تأخذ من
مالك بن دينار ومحمد بن واسع رحمهما الله الشيء بعد الشيء فقال له الحسن رحمه الله ويحك إن مالكاً وابن واسع
ينظران إلى الله عز وجل فيما نأخذ منهما فعلينا أن نقبل وإن هذا المسكين ينظر إلينا فيما يعطي فرددنا
عليه صلته وعندها لا نذمّ أحداً ولا نبغضه لأجل أنه كان سبباً لمنعه إذ الله عز وجل هو المانع الأول
وإذ له في المنع من الحكمة مثل ما في العطاء من النعمة ولكن نذمّه ونبغضه إذا كان استوجب ذلك من مولاه
فنكون موافقاً له والله سبحانه وتعالى يشهد بيده في العطاء ويمدح المنفقين نهاية في كرمه ويشهد في
المنع والمكروه مشيئته ويذمّ الباخلين والعاصين قدرة من حكمته وحكماً من تقديره لإظهار الأحكام وتفصيل
الحلال والحرام وعود الثواب والعقاب على الأنام فقد أظهر الأمر واستأثر بسر القدر فعمل المؤمن بما أمر
وسلّم له ما استأثر وروى بعض العلماء أن رجلاً قال للجنيد رحمه الله إن أصحابك إذا أكرمناهم وأعطيناهم
أكرمونا ومدحونا وإذا منعناهم قصّروا في ذلك وأعرضوا عنا فقال إن من أصحابي قالوا فلان وفلان
فسمّوا أنبل أصحابه فقال قد أحسنوا قال كيف قال لأنكم إذا بررتموهم خالفتم هواكم ووافقتم
مولاكم فوجب عليهم أن يكرموكم وإذا جفوتموهم وافقتم هواكم وخالفتم مولاكم فوجب عليهم أن يعرضوا ذلك
عنكم فسأل من يعقل من أصحابه يستطلع المراتب إذ في أصحابه عموم وخصوص فلما وثق بهم ورضيهم أخبر
عن مقامهم إذ علم أن ذلك مزيد لهم لما صحّ عنده من زهدهم وتمكين معرفتهم وروينا عن الله عز وجل
لو أن ابن آدم لم يخف غيري ما أخفته من غيري ولو أن ابن آدم لم يرج غيري ما وكلته إلى غيري وروي
أعظم من هذا قال إذا وضع العبد في قبره مثّل له كل شيء كان يخافه من دون الله عز وجل يفزعه في قبره
إلى يوم القيامة وقال الفضيل بن عياض رحمه الله من خاف الله عز وجل خاف منه كل شيء ومن خاف غير الله عز وجل
أخافه الله عز وجل من كل شيء ويقال إن الخوف من المخلوقات عقوبة نقصان الخوف من الله عز وجل فإن
ذلك من قلة الفقه عن الله عز وجل وقد قال الله عز وجل في معناه لأنتم أشدّ رهبة في صدورهم من الله الآية
فكان العبد إذا تمّ خوفه من الله أزال ذلك الخوف خوف المخلوقين عن قلبه وحوّل ذلك في قلوب المخلوقات
فصارت هي تخافه إذ لم يخفها هو كما إذا كملت مشاهدة العبد وقام بشهادته غيّبت تلك المشاهدة
وجود الكون مع الله عز وجل فلم يرها وقام له القيوم عز وجل بنصيبه من الملك لما تفرغ قلبه لمعاينة
الملك وهذا هو اليقين لأنه هو الأول الظاهر وقال سعيد عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله مكتوب في التوراة
ملعون من ثقته إنسان مثله قال سعيد يعني أن تقول لولا فلان هلكت لولا كذا ما كان كذى

فقوله ثقته هو عندي اعتماده عليه وسكونه إليه لأن ذلك شرك في التوحيد إذ لا ينبغي إلا للواحد
وهو داخل في قوله الشرك الخفي ويقال إن قول العبد لولا كذا لكان كذا أو لم يكن كذا من الشرك وفي الخبر
إياكم ولو فإنه يفتح عمل الشيطان وقال بعض العلماء سوف جند من جنود إبليس لعنه الله وقد جاء في تفسير
قوله عز وجل فلما نجّاهم إلى البر إذا هم يشركون قالوا كان الملاح فارهاً ومثله وما يؤمن أكثرهم بالله إلا
وهم مشركون قيل قالوا لولا نباح الكلاب وزقاء الديك لأخذنا السرق وروينا عن عمر رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من اعتز بالعبيد أذله الله عز وجل وقد جاء في الخبر لو توكلتم على الله عز وجل
حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً ولزالت بدعائكم الجبال وقد جاء هذا الوصف
في قوله صلى الله عليه وسلم لو عرفتم الله عز وجل حق معرفته ولو أعطيتم اليقين فدل أن حقيقة التوكل في
المعرفة وصدق اليقين وقد كان عيسى عليه وعلى سائر الأنبياء السلام يقول انظروا إلى الطير لا تزرع ولا
تحصد ولا تدخر والله سبحانه وتعالى يرزقها يوماً بيوم فإن قلتم نحن أكبر بطوناً فانظروا إلى الأنعام
كيف قيّض الله عز وجل لها هذا الخلق ويقال لا يدخر من الدواب إلا ثلاثة النملة والفأرة وابن آدم
وقال أبو يعقوب السوسي رحمه الله المتوكلون على الله عز وجل تجري أرزاقهم بعلمه واختياره سبحانه وتعالى
على يد خصوص عباده بلا شغل ولا تعب وغيرهم مشغولون مكدودون وقال أيضاً المتوكل إذا رأى السبب
أو ذمّ أو مدح فهو مدّع لا يصلح له التوكل فأول التوكل ترك الاختيار والمتوكل على صحة قد رفع أذاه عن
الخلق لا يشكو ما به إليهم ولا يذمّ أحداً منهم لأنه يرى المنع والعطاء من واحد فقد شغله عما سواه وقيل
لسهل رحمه الله ما أدنى التوكل قال ترك الأماني قيل وأوسطه قال ترك الاختيار قيل فما أعلاه قال لا يعرفه
إلا من توسط التوكل وترك الاختيار أعطي مذكر دلالاً وقال بعض هذه الطائفة العبيد كلهم يأكلون
أرزاقهم من المولى عز وجل ثم يفترقون في المشاهدات فمنهم من يأكل رزقه بذل ومنهم من يأكل رزقه بامتهان
ومنهم من يأكل رزقه بانتظار ومنهم من يأكل رزقه بعز بلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فأما الذين يأكلون
رزقهم بذل فالسؤال يشهدون أيدي الخلق فيذلون لهم والذين يأكلون رزقهم بانتظار فالتجار
ينتظر أحدهم نفاق سلعته فهو متعوب القلب معذب بانتظاره والذين يأكلون رزقهم بامتهان
فالصناع يأكل أحدهم رزقه بمهنته وكدّه والذين يأكلون رزقهم بعز من غير مهنة فالصوفية حرسهم الله
يشهدون العزيز فيأخذون قسمهم من يده سبحانه وتعالى بعزة وسئل بعض العلماء عن معنى الخبر المأثور
الخلق عيال الله عز وجل فأحبهم إلى الله عز وجل أنفعهم لعياله فقال هذا مخصوص وعيال الله خاصته
فقيل كيف قال لأن الناس أربعة أقسام تجار وتجارة وصناع وزراعة فمن لم يكن منهم فهو من

عيال الله عز وجل فأحب الخلق إلى الله عز وجل أنفعهم لهؤلاء وهذا كما قال لأن الله عز وجل أوجب الزكاة
في الأموال لهؤلاء إذ جعل من عباده من لا تجارة له ولا صنعة له ألا ترى أن الزكاة لا تجوز للتاجر والصانع
لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لقوي مكتسب فأقام الاكتساب مقام الغنى وقال عامر بن
عبد الله قرأت ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل استغنيت بهن على ما أنا فيه قوله عز وجل وإن يمسسك الله
بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله فقلت إن أراد أن يضرني لم يقدر أحد أن ينفعني
وإن أعطاني لم يقدر أحد أن يمنعني وقوله عز وجل فاذكروني أذكركم فاشتغلت بذكره عن ذكر من سواه
وقوله سبحانه وتعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها فوالله ما اهتممت برزق منذ قرأتها فاسترحت
وقد كان سهل بن عبد الله رضي الله عنه يقول المتوكل إذا رأى السبب فهو مدعٍ وقال ليس مع الإيمان أسباب
إنما الأسباب في الإسلام معناه ليس في حقيقة الإيمان رؤية الأسباب والسكون إليها إنما رؤيتها والطمع في
الخلق يوجد في مقام الإسلام ومن ذلك ما قال لقمان عليه السلام لابنه للإيمان أربعة أركان لا يصلح إلا بهن
كما لا يصلح الجسد إلا باليدين والرجلين التوكل على الله عز وجل والتسليم لقضائه والتفويض إلى الله عز وجل
والرضى بقدره فحال المتوكل سكون القلب عن الاستشراف إلى العبيد والتطلع وقطع الهم عن الفكر
فيما بأيديهم من الطمع عاكف القلب على المقلب المدبر مشغول الفكر بقدرة المصرف المقدر لا تحمله عدم
الأسباب على ما حظره العلم عليه وذمه ولا يمنعه أن يقول الحق وأن يعمل به أو يوالي في الله عز وجل
ويعادي فيه جريان الأسباب على أيدي الخلق فيترك الحق حياءً منهم أو طمعاً فيهم أو خشية قطع المنافع
المعتادة ولا تدخله نوازل الحاجات وطوارق الفاقات في الاختلاط في أهواء الناس والميل إلى الباطل
أو الصمت عن حق لزمه أو يوالي ملقاً أو يعادي رياءً ليربّ حاله بذلك عندهم أو يشكر بذلك ما أسدوه
إليه بالكف عنهم ولا يربّ الصنعة التي قد عرف بها لنظره إلى الصانع ولا يتصنع للمصنوع دخله لعلمه
بسبق الصنع له ودوام مشاهدته ولا يسكن إلى العادة من خلق ولا يثق بمعتاد من مخلوق إذ قد أيقن
برزقه ونفعه وضره من واحد فهذه المعاني من فرض التوكل فإن وجدت في عبد خرج بها من حد التوكل
دون فضائله ويدخله في ضعف اليقين وقد كان الأقوياء إذا دخل عليهم شيء من هذه الأهواء المفسدة
لتوكلهم قطعوا تلك الأسباب وحسموا أصولها واعتقدوا تركها وعملوا في مفارقة الأمصار والتغرب
عن الأوطان وترك الآلاف فأخرجوا ذلك من حيث دخل عليهم ووضعوا عليه دواءه وضده من حيث تطرق
إليهم حتى ربما فارقوا ظاهر العلم وخالفوا علماء الظاهر إلى العلوم الباطن وحكم مشاهدتهم وقيامهم بحق
أحوالهم إذ ليس أهل الظاهر حجة عليهم في شيء إلا وهم حجة عليهم في مثله لأن الإيمان ظاهر وباطن والعلم

محكم ومتشابه ولأن أهل الحق أقرب إلى التوفيق وأوفق لإصابة الحقيقة دل ذلك على أنه لصحة توكلهم ووفاء
لحسن عهدهم وعملاً بأحكام حالهم لئلا تسكن قلوبهم إلى غير الله عز وجل ولا تقف هممهم مع سوى الله عز وجل
ولا تطمئن نفوسهم إلى غيره ولا يتخذوا سكناً سواه ولا يسكنوا إلى أهواء النفوس فيتخدعوا بسكونها عن
سكون القلب فينسي ذلك يقينهم ويوهن إيمانهم الذي هو الأصل وتستأسر قلوبهم التي هي المكان للكشف
والشهادة فيخسروا رأس المال وتفوتهم حقيقة الحال فماذا يربحون وبأي شهادة يقومون وهذا لا يفطن له
إلا العاقلون ولا يشهده العمون وقد قال بعض المقربين في حقيقة التوكل لما سئل عنه فقال هو الفرار من
التوكل أي يتوكل ولا ينظر إلى توكله أنه لأجله يكفى أو يعافى أو يوقى فيجعل نظره إلى توكله علة في توكله
بل يهرب الفرار منها حتى يدوم نظره إلى الوكيل وحده بلا خلل ويقوم له بشهادة منه بلا سبب ولا يكون بينه وبين الوكيل
شيء ينظر إليه أو يعول عليه أو يدل به حتى التوكل أيضاً الذي هو طريقه كذلك قال قبله بعض العارفين في معنى قوله
سبحانه وتعالى أمّن يجيب المضطر إذا دعاه فقال المضطر الذي يقف بين يدي مولاه فيرفع إليه يديه بالمسألة
فلا يرى بينه وبين الله عز وجل حسنة يستحق بها شيئاً فيقول هب لي مولاي شيئاً بلا شيء فيكون بضاعته
عند مولاه الإفلاس ويصير حاله مع كل الأعمال الإياس فهذا هو المضطر فهؤلاء القوم من الذين وصفهم الله عز وجل
بالتقوى والمخافة وجعلهم أهلاً للدعوة والنذارة وأخبر أنهم لا يرون بينهم وبينه سبباً يليهم ولا شفاعة
فقال عز وجل يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بإنذارهم بكلامه فجعلهم وجهة لخلقه وكان الكلمة كما جعل رسوله
صلى الله عليه وسلم وجهة لهم وكان المتكلم فقال عز وجل وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس
لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون وقال سبحانه وتعالى في وصف أمثالنا من أهل اللعب واللهو والغرة
والسهو متهدداً لنا متوعداً وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وقيل لبعض علمائنا
ما التوكل قال التبري من الحول والقوة والحول أشد من القوة يعني بالحول الحركة وبالقوة الثبات على الحركة
وهو أول الفعل يعني بهذا أن لا تنظر إلى حركتك مع المحرك إذ هو الأول ولا إلى ثباتك أيضاً بعد الحركة في تثبيته
إذ هو المثبت الآخر فيكون الأولية والآخرية حقيقة شهادتك له بأنه أول آخر بعين اليقين فتخرج من خفي
الشرك بحقيقة التوحيد وهذا هو شهادة اليقين باليقين فعندها صح توكلك بشهادة الوكيل وقال مرة أخرى
التوكل ترك التدبير وأصل كل تدبير من الرغبة وأصل كل رغبة من طول الأمل وطول الأمل من حب البقاء وهذا
هو الشرك يعني أنك شاركت الربوبية في وصف البقاء وقال إن الله عز وجل خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه
وإنما حجابهم تدبيرهم فقد كثر قوله رحمه الله في ترك التدبير وينبغي أن يعرف معناه ليس يعني بترك
التدبير ترك التصرف فيما أوجه العبد فيه وأبيح له كيف هو يقول من طعن على التكسب فقد طعن على السنة

ومن طعن في ترك التكسب فقد طعن على التوحيد انما يعني بترك التدبير ترك الاماني وقول لو كان كذا
اذا وقع ولم لا يكون كذا او لو كان كذا فيما لم يقع لان ذلك اعتراض وجهل بسابق العلم وذهاب عن نفاذ
القدرة وشهادة الحكمة وغفلة عن رؤية المشيئة وعن جريان الحكم بها ويعني ترك التدبير فيما بقي وما ياتي بعد
لان فيه مثل هذا يقول فلا تشتغل بالفكر فيه والتدبير له بعقلك وعلمك فيقطعك عن حالك في الوقت الذي
هو الزم لك واوجب عليك حتى تكون فيما ياتي من الاحكام والتصريف في ترك التدبير والتقدير لها بالزيادة فيها
والنقصان او نقلها من وقت الى غيره او من عبد الى آخر بالتقديم والتاخير تكون في ذلك كما كنت فيما قد مضى
الا ترى ان الانسان لا يدبر ما قد مضى قال فينبغي ان يكون فيما يستقبل تاركا للتدبير تاركا للاماني فيه بمعاني
ما ذكرنا كتركه اياه فيما مضى فيستوي عنده الحالان لان الله سبحانه وتعالى احكم الحاكمين ولان العبد مسلم
للاحكام والافعال راض عن مولاه عز وجل في الاقدار مع جهله بعواقب المآل فترك التدبير بهذه المعاني هو اليقين
واليقين هو مكان المعرفة اذ جعل الله سبحانه وتعالى قلب المومن مكانا مكن فيه على قدر المكان ما يليق به وكان
يقول يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم قلت انا وانا كنت فيما انت الآن كما لم تكن
فانه هو اليوم كما كان وقد كان يقول ايضا الزهد انما هو ترك التدبير فهذا يعني به ترك الاسباب التي توجب
التدبير واخراج الاسباب التي يجب تدبيرها لانه يكون متسببا للاسباب وهو يترك تدبيرها لان التدبير في
هذا الموضع انما هو التمييز والقيام بالاحكام ووضع الاشيا مواضعها وكيف لا يكون العبد كذلك مع وجود
الاشياء وهو عاقل مميز متعبد بالعلم مطالب بالاحكام مع امساكه للاسباب وانما يقول اترك
الاشيا المدبرة وازهد في الاسباب المميزة حتى يسقط عنك التدبير والتقدير فتكون بتركها تاركا للتدبير
لسقوط احكامها عنك واستراحتك من القيام بها والنظر فيها فهذا هو تفصيل جملة قوله في ترك التدبير
وهذا هو حال المتوكلين والمتوكل لا يهتم بما قد كفي كما لا يهتم الصحيح بالدواء اذا عوفي ولكن قد يخشى قبل
النزول كما يخشى المعافى قبل ورود العلل قال الله سبحانه وتعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وكاي
من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم فالمتوكل قد علم بيقينه ان كل ما ينال من العطاء من ذرة فما فوقها
ان ذلك رزقه من خالقه عز وجل هو له وان ماله واصل اليه لا محالة على اي حال كان وان ما له لا يكون لغيره ابدا
وكذلك ما لغيره من القسم والعطا لا يكون له فقد نظر الى قسمه ونصيبه من مولاه بعين يقينه الذي به تولاه
من احدى ثلاث مشاهدات ان دنت مشاهدته نظر الى قسمه من العطا في الصحيفة التي كتبت له عند تصوير
خلقه فكتب فيها رزقه واجله واثره وشقي او سعيد فكما لا يقدر احد من الخلق ان يجعله سعيدا ان كان
قسمه شقيا ولا يقدر ان يجعله شقيا ان كان قسمه سعيدا كذلك لا يقدر احد ان يمنعه ما اعطاه مولاه عز وجل

من القسم فيجعله محروما ولا يعطيه ما منعه من الحكم فيجعله مرزوقا لان ذلك قد كتب كتابا واحدا وجعل
بمجلا سوا وان ارتفعت مشاهدته نظر الى هذا في اللوح المحفوظ مفروغا منه وهو ام الكتاب الذي استنسخ
منه هذه الصحيفة فكان يقينه بكتب رزقه في اللوح وانه لا يزاد فيه بحول ولا حيلة ولا ينقص منه لعجز ولا سكينة
كيقينه بما كتب فيه من انه من اهل الجنة فهو داخلها لا محالة وان عمل اي عمل بعد ان يكون قد كتب اسمه في اللوح
وجعل له فيه اثره لقوله عز وجل ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون فقد كتب
الآثار والارزاق من كل شي كتابا واحدا في ثلاثة مواضع توكيدا للعلم وتسكينا للقلب في القسم كتب
ذلك في الذكر الاول وهو اللوح المحفوظ ثم في الزبر الاول وهي الصحف ثم انزل ذلك في كتابنا وهو الذي به عرفنا
ما سلف من ذلك وان علت مشاهدته الى العلي الاعلى لعلو مرتبته ونفوذ علمه وقوة يقينه اذ مشاهدة كل
عبد عن مقامه من معبوده ومن مكانه في دنوه وعلوه شهد هذا الذي ذكرناه معلوما في علم الله عز وجل قبل خلق
اللوح فسكن قلبه واطمان الى علم الله عز وجل وما سبق له منه ولهذا جا في الاثر ان الزهد في الدنيا ان تكون بما في
يد الله عز وجل اوثق منك بما في يديك وان تكون في ثواب المصيبة ارغب منك فيها لو انها بقيت لك اي فيقل
حرصك لنفاذ شهادتك ويذهب في الخلق طمعك فهذا هو الزهد والرضى فقد جمع التوكل المقامين معا فما في
يد الله سبحانه وتعالى هو رزقك الواصل اليك لا شك فيه على اي حال وهو الذي لك عند الله عز وجل وهو معلوم علم الله
عز وجل الذي لا ينقلب وذلك الحد ثلاثة اشيا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت فهذا
هو الذي لك في الدنيا والآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي فتعجب من جهل ابن آدم وغفلته
ثم قال انما لك من مالك فذكر هذه الثلاث واشترط مع كل واحدة آخر غايتها فقال ما اكلت فافنيت او لبست
فابليت او تصدقت فامضيت فاشترط الافناء والابلاء والامضاء ثم قال بعد ذلك وما سوى ذلك فهو مال
الوارث فهذه الثلاث على هذه الاوصاف هي رزق العبد وهي التي في يد الله عز وجل له الواصلة اليه فاما ما جعل
في يد العبد فقد لا يكون له انما هو مستودع اياه ومستخلف فيه وان تملكه وحازه حمير سنه وانما للعبد
ما فرغ منه العبد وهو الذي فرغ له منه لما سبق له به فان تملك سوى هذا او ادعاه لاجل انه في خزانته او
قبض يده فذلك لجهله بالله عز وجل وقلة فقهه عن الله عز وجل وغفلته عن حكمة الله عز وجل لانه لو عرف
حكمة الله عز وجل وقدرته علم ان صندوقه وخزانته ويده من خزائن الله عز وجل في ارضه يودعها ما يشا الى
الوقت الذي يشا حتى يستقر الى من هي له كيف شا فقد قال عز وجل فمستقر ومستودع وقال عز وجل
لكل نبا مستقر وقال سبحانه وتعالى ولله خزائن السموات والارض وهكذا روينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم
ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه اجله وقال صلى الله عليه وسلم لكل عبد رزق هو آتيه لا محالة فمن قنع به

ورضي بورك له فيه ووسعه ومن لم يقنع به ولم يرض لم يبارك له فيه ولم يسعه ويقال لو هرب العبد
من رزقه لأدركه في وقته كما لو هرب من الموت لأدركه وفي وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما
إذا سألت فسل الله عز وجل وإذا استعنت فاستعن بالله عز وجل واعلم أن الخلائق لو جهدوا أن ينفعوك بما
لم يكتبه الله عز وجل لك ما قدروا على ذلك ولو جهدوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله سبحانه وتعالى عليك لم
يقدروا على ذلك طويت الصحف وجفت الأقلام فمن كانت هذه مشاهدته في القسم المعلوم سقط عنه جملة من
الهموم واستراح الخلق من أذاه وشغل عنهم بخدمة مولاه وكان قد فهم شيئا في الخطاب وممن أقبل على الله الكريم
بصالح ما دعاه إليه واستجاب كما روي أن رجلا لزم باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه كل غداة فشهد منه عمر
رضي الله عنه محنة لأجل الطلب فقال له يا هذا أهاجرت إلى عمر أم إلى الله عز وجل اذهب فتعلم القرآن فإنه
سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل فغاب زمانا حتى افتقده عمر رضي الله عنه فسأل عنه فدل عليه فأتاه
فإذا هو قد اعتزل الناس وأقبل على العبادة فقال له عمر رضي الله عنه إني قد افتقدتك حتى اشتقت إليك
فما الذي شغلك عنا فقال إني قرأت القرآن فأغناني عن عمر وعن آل عمر فقال له عمر رضي الله عنه رحمك الله فما
ذا وجدت فيه قال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض
فبكى عمر رضي الله عنه وكانت موعظة له منه وكان عمر بعد ذلك يأتيه في الأحيان فيجلس إليه ويستمع منه فهذه
علامة مراد مطلوب والطالب المردود إذا تعلم القرآن افتقر إلى الناس وازداد بخلا وطغى بالقرآن واستعلى
فالقرآن محنة يكشف المرادين والمردودين فهو غنى للموقنين وهو فقر للطامعين ، جاء رجل إلى بشر بن
الحارث رضي الله عنه فقال إني قد عزمت على سفر الشام وليس عندي زاد فما ترى قال يا هذا اخرج فيما
قصدت له فإن لم يعطك ما ليس لك لم يمنعك ما لك وشكا رجل إلى الفضيل رحمه الله حاله فقال يا هذا أمدبرا
غير الله عز وجل تريد وكان الحسن رضي الله عنه يقول التوكل هو الرضى وفي تفسير قوله عز وجل وقدر فيها أقواتها
قال خلق الأرزاق قبل الأجسام بألفي عام فالمتوكل لا يطالب مولاه عز وجل برزق غد كما لا يطالبه مولاه بعمل
غد فأما التوكل في المضمون من الرزق والمعلوم من القسم فهو توكل العموم يستحي الخصوص من ذكره ويتكرمون
عن نشره إذ كان الله عز وجل قد أقسم بنفسه أن الرزق في السماء حق كما أقسم بنفسه أن كلامه حق فجمع
بينهما في الحقيقة فالقسم بالذات دون سائر الأفعال لتسكن بذلك نفوس الخليقة عن النظر إلى الأدوات
ولئلا يقع الشك فيهما ويحصل اليقين بحقيقتهما فقال عز وجل فورب السماء والأرض إنه لحق كما قال
عز وجل ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وليس في القرآن قسم بالذات فيما سبرناه إلا
في خمسة أشياء منها هذان القسمان وآخران في سورة التغابن وسورة الواقع لمعنى واحد على بعث الكافرين

وأبنائهم بما يعملون وفي تبديل الخلق خلقا خيرا منهم والخامس في سورة النساء في نفي الإيمان عمن لم يرض
بالحكم وينشرح صدره للتحكيم عليه ويسلم تسليما للأمر وسائر الأقسام بالأفعال والمتوكل قد أيقن أنه
قد وكل برزقه من يقوم له به من الخلق فإن لم يرزق من كسبه وعن يده رزق من كسب غيره وبيده ولكن
شغل الخصوص بأعمال الآخرة وبما يقربهم من القربات إلى الله عز وجل وبالخدمة للمولى الذي وكل إليهم فإن لم
يقوموا به لم يقم به غيرهم لهم ولم ينب غيره من الدنيا منابه لقوله عز وجل وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ولقوله
سبحانه وتعالى وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية ولقوله جلت قدرته وللآخرة خير وأبقى وقوله جل وعلا
والله يريد الآخرة مع قوله عز وجل من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ولم يقل هذا في أرزاق الدنيا لدناءتها
لأنها طريق إلى الهوى ومعنى الزيادة ههنا أن لا يحاسبه على ما يعطيه من الدنيا لأنه طريق له إلى الآخرة وعون
على الدين إذ لا زيادة في القسم فحسب له ترك المحاسبة عليه مزيدا وقد قيل إن الله عز وجل يعطي الدنيا على نية
الآخرة ولا يعطي الآخرة على نية الدنيا هذا لعلو الآخرة وفضلها ودناءة الدنيا ونقصها وكان علي
عليه السلام يقول ألا إن حرث الدنيا هذا المال وحرث الآخرة العمل الصالح وقد جمعهما الله عز وجل لأقوام
وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول نزد له في حرثه في الآخرة من الدرجات والمنازل لمن كانت نيته وقصده
الآخرة ولما يعمل فيشتغل الخصوص بما وكل إليهم وبما لا يعمله غيرهم لهم عما تكفل به لهم وأقام غيرهم فيه مقامهم
وناب أيضا عنه مثله من أسباب دنياهم فهذه الآي للعاملين الذين صبروا على المعاملة وتواصوا بالحق
وعلى ربهم يتوكلون كما روينا في أخبار داود عليه وعلى سائر الأنبياء السلام إني خلقت محمدا لأجلي وخلقت
آدم لأجل محمد وخلقت ما خلقت لأجل ولد آدم فمن اشتغل منهم بما خلقته لأجله حجبته عني ومن اشتغل
منهم بي سقت إليه ما خلقته لأجله ، وتوكل الخصوص أيضا في الصبر على الأذى من القول والفعل إذ كان
أمر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون مع قول الرسل عليهم السلام
ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وكذلك أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالتأسي بهم في قوله عز وجل
أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال عز وجل ودع أذاهم وتوكل على الله وقال عز وجل ما يقال لك
إلا ما قد قيل للرسل من قبلك قيل من التكذيب والأذى مع قوله عز وجل فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل
وقال بعض العارفين لا يثبت لأحد مقام في التوكل حتى يستوي عنده المدح والذم من الخلق فيسقطان
وحتى يؤذى فيصبر على الأذى يستخرج بذلك منه دفع السكون إلى الخلق والنظر إلى علم الخالق الذي سبق عز وجل
ثم التوكل في الصبر على حسن المعاملة وترك الطلب للمعاوضة حياء من الله عز وجل وإجلالا له وخوفا منه
وحبا له وقد وصفهم بذلك ظاهرا وباطنا فالظاهر قوله عز وجل نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون

فلما عملوا اصبروا على عملهم ثم توكلوا عليه في جميع ذلك فاتم اجرهم واجزل ذخرهم والباطن فيما اخبر عنهم
انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فقطعهم الخوف عن الطلب وفي قوله عز وجل منكم وجه حسن غريب
وهو باطن الآية قد يكون بمعنى لا نريد بدلاً منكم عوضاً منكم كقوله عز وجل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض
يخلفون ليس انه يجعل من البشر ملائكة ولكن المعنى بدلاً منكم وهذا احد الوجهين في الآية والوجه الظاهر
ان يكون الكاف والميم اسما للمطيعين اي لا نريد من عندكم جزاء اي مكافاة ولا شكورا احسن ثناء فلما لم يطلبوا
العوض من اجلهم ولا المكافاة من عندهم وقالوا انا نخاف من ربنا جزاهم افضل الجزاء واحسن لهم غاية العطاء
فقال عز وجل وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا اذ لم يطلبوا اجرا ولا
شكورا اجعل جزاءهم شرابا طهورا وجعل سعيهم لديه مشكورا في التوكل عليه في تسليم الحكم والرضى به ومنه
قول يعقوب عليه وعلى سائر الانبياء السلام حين سلم الحكم توكلا على الوكيل الحاكم ان الحكم الا لله عليه توكلت
لان العبد اذا كان مريدا المراد نفسه من الاشياء وقد لا يوجد في كل شيء ارادته ثم هو على يقين من ارادة مولاه
عز وجل لكل شيء وان كل شيء مراد لوكيله فينبغي ان يريد ما يريد مولاه عز وجل اذا لم يتفق له ما يريد بل ينبغي
ان يكون مراد مولاه احب اليه وآثر عنده لان ما اراده مولاه عز وجل مما لا عقوبة على العبد فيه ولا سخطة
لمولاه به فانه محبوب لله عز وجل مختار له فلتكن محبة الله عز وجل مقرونة لديه على محبته هو واختياره
اذ لله عاقبة الامور وقد شرف المتقين ونزههم عن امور العاجلة الدنية بقوله عز وجل والعاقبة
للمتقين وكما روي في اخبار موسى عليه وعلى سائر الانبياء السلام اذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون فان ابيت
الا ما تريد اتعبتك فيما تريد ولا يكون الا ما اريد وروينا عن الحسن البصري رحمه الله وددت ان اهل
البصرة في عيالي وان حبة بدينار وهذا من نهاية التوكل وليس ذلك الا في تسليم الاحكام والرضى بها
كيف جرت بهم لان هذا كلام قد جاوز المعقول فلعله يطعمهم الموت وقد كان وهيب بن الورد المكي
رحمه الله يقول لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا ثم اهتممت برزقي لظننت اني مشرك ويقال
من اهتم برزق غد فهي خطيئة تكتب عليه وقال سفيان رضي الله عنه الصائم اذا اهتم في اول النهار
بعشائه كتبت عليه خطيئة وقد كان سهل رضي الله عنه يقول ان ذلك ينقص من صومه وقال رحمه الله
اعرف في البصرة مقبرة عظيمة يغدى على موتاهم برزقهم من الجنة بكرة وعشيا يرون منازلهم من الجنان
وعليهم من النعيم والكروب ما لو قسم على اهل البصرة لماتوا قيل ولم قال كانوا اذا تغدوا قالوا باي شيء
نتعشى واذا تعشوا قالوا باي شيء نتغدى وقال مرة اخرى لم يكن لهم من التوكل والرضى نصيب
وهذه المعاملات من فضائل التوكل وفوقها ما لا يصلح رسمه في كتاب في مكاشفات الصديقين ومشاهدات
العارفين

منها انه عز وجل اعطاهم كن باطلاعه اياهم على الاسم فزهدوا في كون كن لاجل كان توكلا عليه وحياء منه
ان يعارضوه عز وجل في قدرته او رغبوا عن تقديره او ينضاهوه في تكوينه لان تدبيره عندهم احكم
واتقن وهو بالعواقب اعلم واخير وهم له اشد اجلالا واعظاما مما نقدر نحن ونعلم فاما التوكل عليه في
القوت فانه عندهم من فرض التوكل يستحيون من ذكره مع الوكيل وكذلك التوكل عليه في تسليم الاقدار
حلوها ومرها وخيرها وشرها من الله عز وجل حكمة وعدلا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقضاء
وقدر حتى العجز والكيس وكما قال ان تعلم ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك
وكذلك قال الجليل جل جلاله وكل صغير وكبير مستطر فالعلم بهذه الاشياء وطمانينة القلب بها وسكينة
العقل عند ورودها وان لا يضطرب بالرأي والمعقول ولا ينازع بالتشبيه والتمثيل فان هذا عندهم من
فرائض الايمان لا يصلح ايمان عبد حتى يسلم ذلك كله وليس هذا من التوكل في شيء ومن هذا قول ابن عباس
رضي الله عنهما القدر نظام التوحيد فمن وحد الله عز وجل وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقضا لتوحيده
فجعل الايمان بالاقدار كلها انها من الله عز وجل مشيئة وحكما بمنزلة الخيط الذي ينتظم عليه الحب فان التوحيد
منتظم فيه يقول فاذا انقطع الخيط سقط الحب كذلك اذا كذب بالقدر ذهب الايمان فالتوكل فرض
وفضل ففرضه منوط بالايمان وهو تسليم الاقدار كلها للقادر واعتقاد ان جميعها قضاؤه وقدره
الم تر الى ربك عز وجل كيف اقسم بنفسه على نفي الايمان عن من لم يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اختلف
عليه من حاله فقال عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى تسليما فكيف بالحاكم الاول
والقاضي الاجل فاما فضل التوكل فانه يكون عن مشاهدة الوكيل لانه في مقام المعرفة بنظر عين اليقين
كما قال العبد الصالح فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله فظهرت منه قوة عظيمة واخبر
عن عز عزيز فكانه قيل ولم ذلك وانما انت بشر مثلنا ضعيف فقال اني توكلت على الله ربي وربكم
وكانه سئل عن تفسير توكله كيف سببه واخبر بمشاهدته بيد الوكيل اخذه بنواصي دواب الارض فقال
ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ثم اخبر عن عدله في فعله وقيام حكمته وانه وان كان آخذ بنواصي
العباد في الخير والشر والنفع والضر لاقتداره فان ذلك مستقيم من عدله وصواب من حكمته فقال
ان ربي على صراط مستقيم وقال الله عز وجل في فرض التوكل وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
وقال عز وجل في مثله ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال في فضله وعلى الله
فليتوكل المتوكلون وقال جل وعلا ان الله يحب المتوكلين ذكر اثبات الاسباب والاوساط
للمعاني الحكمة ونفي انها تحكم وتجعل لثبوت الحكم والقدرة للحاكم الاول عز وجل اعلم ان الله سبحانه وتعالى

ذو قدرة وحكمة فاظهر اشياء عن وصف القدرة واجرى اشياء على معاني الحكمة فلا يسقط المتوكل الاشياء
حاكمة جاعلة نافعة ضارة فيشرك في توحيده من قبل ان الله عز وجل قادر وللقادر صفته وانه حاكم جاعل
نافع ضار لا شريك له في اسمائه ولا ظهير له في احكامه كما قال عز وجل ان الحكم الا لله ولا يشرك في حكمه احدا
وكما قال عز وجل وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير الشرك الخلط بالشيء والظهير المعين على الشيء
فالمتوكل مع مشاهدته قدرة الله عز وجل على الاشياء وانه منفرد بالتقدير والتدبير قائم بالملك والملكوت
هو ايضا عالم بوجوه الحكمة في التصريف والتقليب باظهار الاسباب والاوساط لاظهار الاشخاص والاشباح
لايقاع الاحكام على المحكوم وعود الثواب والعقاب على المرسوم من حيث كان المتوكل قائما باحكام الشريعة
ملتزما للمطالبات العلم مع تسليمه الحكم الاول لله عز وجل واعترافه ان كلا بقدر الله عز وجل اذ سمع الله عز وجل
يقول لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولان الله عز وجل في جميع ما اظهر اخفى قدرته في حكمته فظهرت حكمته
في الاشياء لعود الاحكام على المظهرين لها وبطنت قدرته في الاشياء لرجوع الامر كله اليه ولاتقان الصنعة
الظاهرة بالصنع الباطن فلذلك قال صنع الله الذي اتقن كل شيء اي صنعه الباطن اتقن صنعته الظاهرة
ثم قال واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه اي في جميع ذلك فللعارف المتوكل من الصنع الباطن شهادة
هو قائم بها وله الحكمة الظاهرة علم شرع وتسليم اسم ورسم هو عامل به وهذا هو شهادة التوحيد
في عبادة التفصيل وهو مقام رباني للعلماء وكل مؤمن بالله عز وجل متوكل على الله عز وجل ولكن توكل
كل عبد على قدر يقينه فتوكل الخصوص ما قدمناه من ذكر المشاهدة ومعاني الرضى وتوكل العموم ما
عقبناه من الايمان بالاقدار خيرها وشرها وقد اخبر الله عز وجل انه هو الرزاق كما هو الخالق كما هو
المحيي المميت فقرن بين هذه الاربع في قرن واحد مع ترتيب الحكمة والقدرة فكيف يختلف حكمها او يتبعض
وصفها لظهور الاسباب ووجود الاوساط فقال سبحانه وتعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم
ثم يحييكم فكما ليس في الثلاث الاخر جاعل ولا مظهر الا الواحد فكذلك ليس في الرابعة من الرزق الا هو
الا ترى انك لا تقول ابي خلقني وان كان هو سبب خلقك لا تقول احياني ولا اماتني فلان وان كانوا اوساطا
في الاحياء والقتل لان هذا شرك ظاهر اشترك قبحه فترك لذلك قال عز وجل افرايتم ما تمنون انتم تخلقونه اشتهر
ام نحن الخالقون وكذلك افرايتم ما تحرثون انتم تزرعونه ام نحن الزارعون فاضاف الامناء والحرث الينا
لانها اعمال لنا ونحن عبيد عمال ولانها صفاتنا واحكامها عائدة علينا واضاف الخلق والزرع اليه
لانها ايات ابانت عن قدرته وحكمته وهو القادر الحكيم وكذلك كل ما ذكر في الكتاب من الاعمال والاكساب
اضيف الى الجوارح المجترحة ونسب الى الادوات المكتسبة وما كان من القدرة والارادة وصف نفسه به

لانه سبحانه وتعالى المريد الاول والقادر الاعلى فافهم عن الله عز وجل خطابه كيلا يزيغ قلبك فيما تشابه
ثم قد يقول العبد اعطاني ومنعني فلان لان هذا شرك خفي ولان الاسباب تظهر على ايديهم وتجري باوساطهم
فيحجبوا بها عن المسبب واستتر عنهم المعطي المانع فقبح هذا ايضا عند الموقنين كقبح ذلك لان الله سبحانه
وتعالى نفى الرزق عن سواه كما نفى الخلق فقال هل من خالق غير الله يرزقكم ولم يرد اللفظ على اللفظ وان
حسن فيقول يخلقكم لانه اراد سبحانه وتعالى ان يفيدنا فضل بيان ويعلمنا اقتران الرزق بالخلقة وانهما
سيان عن القدرة فالمتوكل قد ايقن انه لم يكن على الله عز وجل ان يخلقه فلما خلقه كان عليه ان يرزقه ويكفى
روي عن الله عز وجل الا خلق خلقا ولا ارزقه وكما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو هرب احدكم من
رزقه لادركه كما لو هرب من الموت لادركه اجله فسوى بين درك الرزق ودرك الاجل فكما على الله عز وجل بعد
ان خلقه ان يميته لعزته وقهره كذلك عليه ان يرزقه بعد ان خلقه بكرمه وفضله وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ردا عليهم حين قالوا جد بني فلان كذا وجدي
في كذا يعنون صنوف الاسباب فنفى ذلك بقوله هذا في صلاته واسمعهم اياه خشية دخول الشرك عليهم
اي جد العبد لا ينفعه منك شيئا وهذا كما قال الله عز وجل ان الظن لا يغني من الحق شيئا وقال ابو محمد
سهل رحمه الله في معنى ذلك من جد في الطلب وحرص وجد منك المنع لم ينفعه جده في طلبه وحرصه شيئا
٥ وقال ايضا في معنى قول الله عز وجل يمحو الله ما يشاء ويثبت قال يمحو الاسباب من قلوب العارفين ويثبت
القدرة ويمحو المشاهدة من قلوب الغافلين ويثبت الاسباب في صدورهم وقال هذا العارف ايضا خلق
الله عز وجل النفس متحركة ثم امرها بالسكون هذا هو الابتلاء فان تداركها بالعصمة سكنت وهذا خصوص
وان تركها تحركت بطبعها وجبلتها وهذا هو الخذلان منه وفي وصية لقمان عليه السلام يا بني وارد دعتك
الى الله عز وجل ان شاء اعطاك وان شاء منعك فان حيلتك لن تزيدك ولن تنقصك من قسم الله عز وجل
التي قسم لك واعتبر رزقك بخلقك فان استطعت ان تزيد في خلقك بحيلتك فانك اذا تزيد في رزقك
والا فاعلم ان الله سبحانه وتعالى هو الذي عدل الخلق وقسم الرزق فلن تستطيع ان تزيد في واحد منهما
فان منهم المحتال الجلد البطوش ولا يزداد الا فقرا ومنهم الضعيف الغبي الواهن المهين يزداد مالا
الاكثر ولو كان من الحيلة لسبق القوي الضعيف الى كل شيء ولكن الله سبحانه وتعالى يخلق ويرزق
ولا يملك العباد من ذلك شيئا ويحكى ان بعض الاكاسرة سال حكيما في زمانه فقال ما بال العاقل
محروما والاحمق مرزوقا فقال اراد الصانع سبحانه وتعالى ان يدل على نفسه ولو كان كل عاقل
مرزوقا وكل احمق محروما لوقع في العقول ان العقل يرزق صاحبه وان الاحمق حرم نفسه فلما راوا
الامر

٦

بخلاف هذا علموا ان الصانع هو الرازق سبحانه وتعالى وروينا عن ابن مسعود رضي الله عنه ان في اعطاء
هذا المال فتنة وفي منعه فتنة ان اعطيه عبد مدح غير الذي اعطاه وان منعه عبد ذم غير الذي منعه
وقد روينا معناه في حديث مطرف رضي الله عنه عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه خطب فقال الا ان في اعطاء هذا المال فتنة وفي منعه فتنة يغدو الرجل الى ابن عمه فيسأله الحاجة
التي قد كتبها الله عز وجل له فلا يملك منعه فيعطيه ما كتب له فيظل يشكره ويثني عليه بها خيرا ثم
يعود اليه العام المقبل فيسأله الحاجة التي لم يكتبها الله سبحانه وتعالى له فلا يملك ان يعطيه كما لم يملك
في العام الاول ان يمنعه فيمنعه ما لم يكتب له فيرجع يحتقبها عليه ذنبا ويثني عليه بها شرا الا فان
في اعطاء هذا المال فتنة وفي منعه فتنة واللفظ للخبر ولم يزل يعني بالفتنة الاختبار وصدق صلى الله عليه وسلم
يختبر بذلك الموقنين والغافلين لينظر كيف يعملون فاما اهل اليقين فيعتبرون بالاسباب ويعجبون من
التسبيب فيزدادون بذلك هدى وايمانا لشهودهم المعطي المانع واحدا في العطاء والمنع ولمعرفتهم بجريان
الحكمة فيما جاءت به الشريعة فيثبت لهم مقامان الشكر له والصبر عليه واما الغافلون فيضطربون لذلك
ويتشتتون لنظرهم الى الاسباب والايدي فيمدحون المعطين ويذمون عندهم المانعين فينقصون بذلك فقد
صار المال فتنة للفريقين معا يكشف ايمانهم ويمتحن للتقوى قلوبهم وكذلك قد جاء في الخبر ان العبد ليهم من
الليل بالامر من امور الدنيا من التجارة وغيرها الذي لو فعله كان فيه هلكته فينظر الله سبحانه وتعالى اليه
من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن عمه من سبقني من دهاني وما هو
الا رحمة رحمه الله تعالى بها وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان من الاخلاص ان لا تحب ان يحمدك الناس
على عبادة الله عز وجل وان لا تمدحهم على ما رزقك الله سبحانه وتعالى وقد روينا عن عيسى عليه وعلى سائر
الانبياء السلم وعن ابن مسعود ايضا وغيره رضي الله عنهم ان من اليقين ان لا تحمد احدا على ما اعطاك الله
سبحانه وتعالى ولا تذمه على ما لم يؤتك الله عز وجل وقال الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان
واليقين الايمان كله وفي حديث الافك الذي رواه معمر بن ابان عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنهم
قالت فقام الي ابواي فقبلاني في صدريهما فقلت بغير حمدكما ولا احمد صاحبكما احمد الله الذي عذرني
وبرأني وفي حديث غيره فقال لها ابو بكر رضي الله عنه قومي فقبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
والله لا افعل ولا احمد الا الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا بكر هذه المعاني التي قدمناها
تكون من ضعف اليقين ونقصان المعرفة فاذا اعترضت في سر عبد وخلده وكثرت من قوله وفعله
اذهبت حقيقة الايمان كما قال عبد الله رضي الله عنه ان العبد ليخرج من منزله ومعه ايمانه فيرجع الى

منزله وليس معه من ايمانه شيء يلقى الرجل لا يملك له ضرا ولا نفعا فيقول انك لذيت وذيت ويلقى الآخر
كذلك حتى يرجع الى منزله ولعله لم يحل منهم بشيء وقد اسخط الله سبحانه وتعالى عليه وسئل عالم
رضي الله عنه عن معنى الخبر المنقول من التوراة من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه فقال لان الايمان عقد
وفعل وقول فاذا تواضع للغني لاجل دنياه بالثناء والحركة اليه ذهب ثلثا ايمانه وبقي الثلث وهو العقد
فان جعلت الاوساط في الرزق اولا في الاجل لثبوتها فان الله سبحانه وتعالى قد اظهرها اسبابا واثبت
نفسه فيها فقال عز وجل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم رفعها واظهر نفسه فقال سبحانه وتعالى
الله يتوفى الانفس حين موتها وكذلك قال عز وجل افرأيتم ما تحرثون فذكر الاوساط ثم قال انا صببنا
الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وقال عز وجل في التفصيل فارسلنا اليها روحنا ثم قال في التوحيد
فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل عليه السلم كما قال عز وجل فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال اهل التفسير
فاذا قرأه عليك جبريل فخذه عنه بعد قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به وكذلك قال جبريل عليه السلم لاهب
لك غلاما زكيا وهو يشهد ربه عز وجل ثم قال في الحرف الآخر ليهب لك يعني الله عز وجل ومثله قول موسى
عليه وعلى سائر الانبياء السلام لا املك الا نفسي واخي لاجل ان الله سبحانه وتعالى قال ووهبنا له من رحمتنا
اخاه وهو في الحقيقة لا يملك نفسه ولا اخاه اذ لا مالك اصلا الا الله عز وجل وهذا على احد الوجهين اذا
كان اخي في موضع نصب والوجه الآخر ان يكون قوله واخي في موضع رفع فيكون المعنى واخي ايضا لا يملك الا نفسه
وكذلك قال الله عز وجل في التفصيل والامر فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وفي مثله من ذكر الواسطة لاجل الامر
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ثم قال عز وجل في التوحيد فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال عز وجل في اثبات
الاسباب ورفع حقيقتها وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقال عز وجل في ذكر الاوساط فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها وقال عز وجل في مثله الذي علم بالقلم ثم قال الرحمن علم
القرآن وقال سبحانه وتعالى علمه البيان ثم قال ان علينا بيانه وقال عز وجل في تثبيت الاملاك وبيعها
منه بالاعواض كرما منه وفضلا ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم فجاز ذلك لما ملكهم بقوله عز وجل
الا ما ملكت ايمانكم وعند اهل المعرفة لا فاعل حقيقة الا الله عز وجل لان حقيقة الفاعل هو الذي لا يستعين
بغيره من آلة ولا سبب وعندهم ان فعلا لا يأتي من فاعلين والا كان شركا لان الفاعل الثاني المظهر الذي
فعل بيده واجرى الفعل بواسطته هو ثان ومحدث والاول القديم هو الفاعل الاصل كما ان عندهم
ان حقيقة المالك هو خالق الشيء ومن جعل في يده فهو مملك لانه لم يخلق ما في يده كما المجرى على يده ٥
الفعل مفعول لان الله سبحانه وتعالى هو الاول القيوم بنفسه لا يستعين بغيره وقد جعل الله سبحانه وتعالى

ايضاً بحكمته وعزته عن مباشرة الاشياء بنفسه للخلقة والحياة واسطة وهو ملك الارحام في الخبر
انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده ثم يصورها جسداً فيقول يا رب اذكر ام انثى اسوي ام معوج
فيقول الله سبحانه وتعالى ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ آخر ويصور الملك ثم ينفخ فيها الروح بالسعادة
او بالشقاء ويقال ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وقيل انه يتنفس
بوصفيه فيكون كل نفس من انفاسه روحاً تلج في جسم ولذلك سمي الروح وقد قال الله سبحانه وتعالى في وصف
نفسه البارئ المصور كما قال عز وجل الخالق وقال خلق الموت والحيوة وقد جعل للاحياء واسطة كما جعل
للموت وهو اسرافيل صاحب الصور ينفخ فيه النفخة الثانية فيحيي كل ميت ثم رفعه الله سبحانه وتعالى فقال
يوم ينفخ في الصور ووصف نفسه سبحانه وتعالى بانه هو المحيي المميت وفي بعض الاخبار ان ملك الموت وملك
الحيوة عليهما السلام تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحياء وقال ملك الحيوة انا احيي كل ميت فاوحى الله
عز وجل اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع وانا المميت وانا المحيي لا مميت ولا محيي سواي
وكذلك ايضاً قيل عن الله عز وجل انا الدليل على نفسي لا دليل ادل علي من نفسي ولم يمنع وجود هذه الاوساط
ان يكون الله سبحانه وتعالى هو الاول في كل شيء والفاعل لكل شيء وحده لا شريك له في شيء وان الكون كله كان
بجريان الافعال والارادة اوله والقدرة من ورائه ولم يقل احد من المسلمين الملك خلقني ولا عزرائيل اماتني
ولا اسرافيل احياني كذلك ايضاً لا يصلح ان يقول الموقن المشاهد للتوحيد فلان اعطاني او منعني كما لا يقول
فلان رزقني ولا فلان قدر علي وان جعل واسطة في الرزق وسبباً للتقدير والا كان عندهم مشركاً
في اسماء الله عز وجل غيره اذ كان سبحانه وتعالى هو المعطي المانع الضار النافع كما هو المحيي المميت لا شريك
له في ملكه ولا ظهير له من عباده في خلقه ورزقه وهذا عندهم يقدح في حقيقة توحيد العبد وهو من
الشرك الخفي الذي جاء في الاثر الشرك في امتي اخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء وقد قال بعضهم
في معنى قوله عز وجل وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال يؤمن بالاقرار ان الله عز وجل هو المقدر
المدبر ويشرك في الاعتماد على الاسباب ورد الافعال اليها ومن الاخلاص عند المخلصين بلا اله الا الله
التي هي اصل التوحيد ان يشهدوا كذلك لا نافع ولا ضار الا الله عز وجل ولا معطي ولا مانع الا الله عز وجل
ولا هادي ولا مضل الا الله عز وجل كما لا اله الا الله وحده لا شريك له هذا عندهم في قرن واحد مشاهدة
واحدة وهو اول التوحيد وان كان قد جعل هادين ومضلين ومعطين ومانعين ولكن من بعد اذنه ومشيئته
وحكمه وقدره كما قال الحسن اي الخالق خير الرازقين لانه خلقهم وخلق خلقهم ورزقهم ورزق رزقهم كذلك هو
هداهم وهدى بهم واضلهم واضل بهم فمن هدايته واضلاله هدوا واضلوا كما قال عز وجل لو هدانا الله

لهديناكم وقال عز وجل في مثله فاغويناكم انا كنا غاوين فمشاهدة ما ذكرناه يخرج العبد من الشرك
الجلي وهو تحقيق قول لا اله الا الله بعد التصديق اي ليس من يأله القلوب وتأله اليه القلوب الا الله سبحانه وتعالى
ثم يقول معها وحده لا شريك له اي وحده في قدرته وتوحيده لا شريك له في ملكه وخلقه ثم وكد ذلك بقوله
له الملك اي جميع ما ظهر وله الحمد اي في جميع ما اعطى ومنع يستحق الحمد كله فهو له لا يستحقه غيره وهو على
كل شيء قدير اي من الخلق والامر والقدرة كلها له يحكم في خلقه بامره ما شاء كيف شاء ومثل الاواسط من الاول
مثل الالة بيد الصانع الا ترى انه لا يقال الشفرة حذت النعل ولا السوط ضرب العبد انما يقال الحذاء
حذى النعل وفلان ضرب عبده بالسوط وان كانت هذه الاوساط مباشرة للافعال الا انها آلة بيد صانعها
كذلك الخليقة يباشرون الاسباب في ظاهر العيان والله سبحانه وتعالى من ورائهم محيط القادر الفاعل بلطائف
القدرة وخفايا المشيئة الم تر الى قولهم الامير اعطاني كذا وخلع علي كذى وان لم يناوله بيده ولا يصلح ان
يقول خادم الامير اعطاني لاجل انه جرى على يده وان كان باشر العطا بنفسه اذ قد علم ان الخادم لا يملك ولا يتصرف
في ملك الامير الا بامره الا ان يسال الانسان بيد من اعطاك الامير وعلى يد من وجه اليك بالعطاء لبغية
تكون للسائل في معرفة اي عبد جاء به فيجوز ان يقول حينئذ بيد عبده فلان فاما ان يبتدي المعطي من غير ان
يسال اذا اراد ان يظهر العطا فيقول الامير اعطاني على يد عبده فلان فان هذا لغو لا يحتاج الى ذكر العبد مع ذكر
الملك لان البغية اظهار العطاء من الملك فلا معنى لذكر العبد الذي جرى العطا على يده ومن ذلك قول النبي
صلى الله عليه وسلم للرجل الذي ناوله التمرة خذها لو لم تاتها لاتتك والتمرة لا تاتي ولم يقل لجاءك بها رجل اذ لا بغية
في ذكر ذلك ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قال اتوب الى الله عز وجل ولا اتوب الى محمد فقال عرف
الحق لاهله وانما ذكر الله عز وجل الاسباب لان الاسماء متعلقة بها والاحكام عائدة على الاسماء بالثواب
والعقاب فلم يصح ان لا يذكر فتعود الاحكام على الحاكم تعالى عن ذلك انه هو يبدئ ويعيد فيبدي الاحكام
من الحاكم ويعيدها على المحكوم وهذا سبب اظهار المكان من الهوان والحوان لئلا يكون تعالى محكوماً وهو الجليل الحاكم
ولا يكون مأموراً وهو العزيز الآمر فعادت الاحكام منه على المحكومين وتوجهت الاوامر منه قبل المامورات
ومن هذا قوله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق وجميعاً عنده في خزائنه الا انه عز وجل اضاف
الدنيا الينا لرجوع الاحكام علينا وليزهدنا فيها واضاف الآخرة اليه تخصيصاً لها وتفضيلاً ليرغبنا
فيها وقد قال سبحانه وتعالى مخبراً عن عيسى عليه وعلى سائر الانبياء السلام واذ تخلق من الطين الآية مثله
فارزقوهم منه فسماه خالقاً اذ خلق الله عز وجل على يده وسماهم رازقين لما اجرى على ايديهم رزق اهليهم
فهو عندي كقوله عز وجل لمريم عليها السلام وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً وقد

علمت أن الرطب لا يساقط بهزها ولا فعل ولا جعل لهزها في الرطب ولكن أراد أن يظهر كرامتها ويجعل
الآية بيدها ومثله قوله عز وجل لأيوب عليه وعلى سائر الأنبياء السلام اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب
فركض برجله فنبعت عينان أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل فشرب من إحداهما فغسل ما في جوفه وباطنه
من البلاء واغتسل من الأخرى فأزالت ما في جسمه من السقم والأذى ولا فعل لرجله في إظهار العينين ولكن الله
سبحانه وتعالى الخالق ذلك على يده وأجراه بواسطته تكرمة له وآية وهبها له وقد نفى لبيد ما سوى الله
عز وجل في قوله ألا كل شيء ما خلا الله باطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنشد ذلك صدق وفي
لفظ آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وهو صلى الله عليه وسلم يعلم أن في الأشياء أواسط حق وأسباب صدق ثم لم يمنعه ذلك أن قال أصدق
بيت قاله الشاعر لأن فيه إشارة للتوحيد وتوحيدا للموحد هذا مع قرب عهدهم بتكذيب الرسل وإبطال
الكتب ولكن لما كانت الأشياء بعد أن لم تكن ولا تكون بعد أن كانت أشبهت الباطل الذي لا حقيقة له
أولية ولا إثبات له آخرية وكان الله سبحانه وتعالى الأول الأزلي والآخر الأبدي فهو الحق والممكن سواه
ومثل الأسباب أيضا في ثوانيها وأواسطها إلى الجنب الأول المسبب مثل ما نقول في القرآن قال الله عز وجل
كذا ولك أن تقول قال نوح وقال يوسف كذا وكل صواب فإن قلت قال الله عز وجل فهو القائل الأول
قبل القائلين متكلما بوصفه مخبرا عن علمه بغير وقت لموقت ولا حد لمحدود وإن قلت قال صالح أو قال
شعيب فقد قالوا بأنهم ثواني في القول وأواسط به قالوا ذلك عند حدوث أوقات وظهور أسباب
كذلك في أواسطها هي ثواني عن الأول المبدي بعدها هنا وفي مثله دخلت الشبهة على المبتدعين
فقالوا بخلق القرآن فلو لم تدخل عليهم إلا أنهم جعلوا قول القائلين قبل قول الله تعالى فأثبتوا قبل قوله
قبلا وهو القول منهم لنفيهم قدم الكلام فوقعوا بجهلهم في أعظم مما هربوا منه لأنهم هربوا من إثبات
قديم آخر بزعمهم فوقعوا في إثبات محدث أولا وإثبات قديم ثانيا تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا
كبيرا ولم يعلموا بجهلهم أنهم إنما قالوه بعد قوله فصار قولهم عن قوله وكان هو عز وجل الأول في
القول من حيث كان هو الأول في القدم والسابق بالعلم وصاروا هم ثواني في المقال من حيث كانوا
حوادث في الأفعال فكذلك أيضا تدخل الشبهة على الغافلين من ضعفاء اليقين لشهود المانعين
والمنفقين أوائل في الفعل من قبل أن الله سبحانه وتعالى أظهر العطاء والمنع بأيديهم فشهدوهم معطين
مانعين لنقصان توحيدهم فأشركوا في أسماء الله عز وجل كما أشركت المبتدعة في صفات الله عز وجل إذ
حجبوا عن شهادة سبق علم الله عز وجل كما حجب الرائين عن حقيقة توحيد الله عز وجل إلا أن

شرك الرائين ضلال ينقل عن الملة وهو شرك جلي وشرك ضعفاء اليقين غفلة وجهل لا ينقل عن الملة
لأنه شرك خفي حكي أن بعض العلماء صلى خلف رجل فلما انفتل الإمام نظر إليه في زي غير متكسب
فقال يا شيخ من أين تأكل فقال اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك وحدثونا في
معناه عن آخر أنه لزم العكوف في مسجد ولم يكن ذا معلوم من عيش فقال له الإمام الذي يصلي بالناس
لو تكسبت وتعيشت كان أفضل لك فلم يجبه فأعاد عليه ثلاثا مثل ذلك فقال يهودي في جوار المسجد
قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقنعت بذلك وتركت التكسب فقال الإمام إن كان صادقا في ضمانه فإن
عكوفك في المسجد خير لك فقال له الرجل يا هذا أنت لو لم تكن إماما للمسلمين تقوم بينهم وبين الله عز وجل
لنقص توحيدك كان خيرا لك وحدثت أن الله عز وجل أوحى إلى بعض الصديقين أدرك لي لطف الفطنة
وخفي اللطف فإني أحب ذلك قال يا رب وما لطف الفطنة قال إن وقعت عليك ذبابة فاعلم أني أوقعتها
فسلني أرفعها قال وما خفي اللطف قال إن أتتك فولة مسوسة فاعلم أني ذكرتك بها وهذا الذي
ذكرناه من أن الله سبحانه وتعالى هو المعطي المانع الضار النافع من حيث كان هو الخالق الرازق كيف شاء
ومتى شاء ولمن شاء هو في عقود عموم المؤمنين وفي علمهم إلا أن فيهم جهلا بالحكمة وغفلة عن الأحكام يحيلون
ذلك إلى عاداتهم ويريدون أن يكون رزقهم من حيث معتادهم أو من حيث معقولهم واختيارهم وبالعز
والفخر والتطاول والأنفة لا على الذل والتواضع والفقر والمسكنة ولا يكلون أمورهم إلى الله عز وجل
فيرضون بتدبيره وتقديره أن يرزقهم كيف شاء وبيد من شاء فيؤثرون أخلاق الجبابرة على أخلاق المؤمنين
لبعدهم من شهادة اليقين ولاستيلاء أخلاق النفس عليهم ثم إن نفوسهم مع علمهم أن الخلق والأمر لله
عز وجل وأن الملك والحمد له قد تطمع في غير الله عز وجل وترجو سواه وقد تضطرب بجبلتها عند انتقال الحقائق
في عزائم الصبر فقلوبهم لا تطمئن بل تنزعج عند الابتلاء بالمصائب في الفاقات ولا تصبر للخالق وإن ألسنتهم
وقلوبهم قد تسبق بالمدح والفرح مع رؤية الأوساط أو بالذم والأسى على فوت العطاء لوجود الغفلة
وذهابهم عن مشاهدة ما يعملون فهذا دليل نقص توحيدهم وعلامة ضعف يقينهم وأن معرفتهم معرفة
سمع وخبر لا معرفة شهادة وخبر وقد شركهم الموقنون بتسليم ذلك لله عز وجل في القدرة والعلم وإثبات
الأواسط والأسباب لمجاري الحكمة وعود الثواب والعقاب على الخليقة ولكن زادوا عليهم بحسن
اليقين وقوة المشاهدة وجميل الصبر وحقيقة الرضى فسكنت القلوب واطمأنت النفوس عند النوازل
والبؤس وثبتوا في الابتلاء لشهود المبتلي يدبر الخلق كيف يشاء فحصل لهم مقام في اليقين وحال
من التوكل ونصيبه من الرضى وخرج الأولون من حقائق هذه المعاني ودخلوا في عمومها ودخل عموم المؤمنين

مع الموقنين في فرض التوكل ثم جاوزهم الموقنون وارتفعوا عليهم وعلوا في فضله ووقف العموم ونكصوا
عن العلو لقعود اليقين بهم وحجب الاسباب لهم وسبق المقربون الى الفضل ويؤت كل ذي فضل فضله
هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون قال بعض العلماء احتجب عن العموم بالاسباب فهم يرونها
ولا يرونه وحجب الاسباب بنفسه عن الخصوص فهم يرونه ولا يرونها وحدثونا عن سري السقطي
رحمه الله قال ثلاث يستبين بهن اليقين القيام بالحق في موطن الهلكة والتسليم لامر الله عند نزول
البلاء والرضى بالقضاء عند زوال النعمة وقال يوسف بن اسباط رحمه الله قبله كان يقال ثلاث من
كن فيه استكمل ايمانه من اذا رضي لم يخرجه رضاه الى باطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق واذا
قدر لم يتناول ما ليس له وقد رويناه من طريق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **ذكر** تفصيل التكسب
والتصرف في المعايش والحركة ه ولا يضر التصرف والتكسب من صح توكله ولا يقدح في مقامه ولا ينقص
من حاله اذا احكم فيه معنيين النظر الى الوكيل في اول الحركة فيكون متحركا به والرضى بالحكم بعد التصرف
فيكون مطمئنا اليه قال الله عز وجل وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وقال عز وجل وجعلنا
لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم احل ما اكل العبد من كسب يده وكل
بيع مبرور وقد كان الصانع بيده احب اليهم من التاجر والتاجر احب اليهم من البطال وقال ابن مسعود
رضي الله عنه اني لاكره ان يكون الرجل بطالا لا ليس في عمل دنيا ولا في عمل آخرة ولان التوكل من شرط
الايمان ووصف الاسلام قال الله سبحانه وتعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فاشترط
للايمان به وللاسلام التوكل عليه فان كان حال المتوكل التصرف فيما قد وجه فيه ودخل في الاسباب
وهو ناظر الى المسبب في تصريفه معتمد عليه واثق به في حركته متسبب فيما يقلبه فيه مولاه متعيش
فيما يسببه له ويوجهه فيه مولاه عالم بان الله سبحانه وتعالى قد اودع الاشياء منافع خلقه وجعلها
خزائن حكمته ومفاتيح رزقه ويكون ايضا متبعا للسنة والاثر تاركا للترفه والتنعم فهو في تكسبه
وتصرفه افضل ممن دخلت عليه العلل في توكله فساكنها وقد ذكر لنا عن بعض العلماء انه يطحن
برجله وكان قد ترك العمل اربعين سنة فقيل له دخلت في التكسب بعد ان كنت قد تركته فقال يا هذا
اذا عدمنا عز التوكل لم نصبر على ذل الاستشراف وكذلك الامر فمن دخلت عليه الآفة في ترك التكسب
فليخرج منها الى الاحتراف ومن دخل عليه اليقين فانقطع فليقعد عن الاكتساب فالتكسب خير من
التشرف الى الخلق واعتياد المسألة وسالكه على طريق فهو يصل وان كان في طريقه بعد والتوكل لمن اقعد به
ناظرا الى الوكيل افضل لمن صح له لفراغ قلبه من الخلق وشغله بالخالق وهو طريق قريب وصاحبه

متقرب والتارك للتكسب طمعا في الخلق وترفها للنفس وحبا للمسألة واتباعا للهوى سالك على غير طريق
لا قريب ولا بعيد هو عن المحجة جائر وعن المقصد حائر كما روي عن النبي عليه السلام لان يأخذ احدكم فاسه
وحبله فيذهب الى الجبل فيحتطب فيأكل ويتصدق خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه وقال صلى الله
عليه وسلم استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك يعني بمضغه وقال عليه السلام من يضمن لي خصلة واحدة
اضمن له الجنة لا يسأل الناس شيئا وقد كان ابو محمد رحمه الله يقول من انكر التكسب فقد طعن في السنة
ومن انكر القعود عن التكسب فقد طعن في التوحيد وقال بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى الخلق وهم اصناف
كما هم اليوم منهم التاجر والصانع والقاعد ومن يسأل الناس فما قال للتاجر اترك تجارتك ولا قال للقاعد
اكتسب واصنع بل جاءهم بالايمان واليقين في جميع احوالهم وتوكلهم مع الله عز وجل في التدبير فعمل كل واحد
بعمله في حاله وقد كان بعض المتوكلين يقول من لم يصبر على جوع ثلاثة ايام اخاف ان لا يسعه ترك العمل
اذا وجده وقال ايضا من فقد الاسباب فضعف قلبه او كان وجودها اسكن لقلبه من عدمها لم يصح له
القعود عن المكاسب لان فيه انتظارا لغير الله عز وجل وقال بعض العلماء من طرقته فاقة سبعة ايام
فتصور في قلبه طمع في خلق او استشراف الى عبد فالسوق افضل له من المسجد وقال ابو سليمان الداراني
رحمه الله الخير في عبد لزم القعود في البيت وقلبه معلق بقرع الباب متى يطرق بسبب وقال بعض علمائنا
اذا استوى عنده وجود السبب وعدمه وكان قلبه ساكنا مطمئنا عند العدم لم يشغله ذلك عن الله عز وجل
ولم يتفرق همه فترك التكسب والقعود لهذا افضل لشغله بحاله وتزوده لمعاده وقد صح له مقام
التوكل وقال سهل رحمه الله وقد سئل متى يصح للعبد التوكل فقال اذا دخل عليه الضر في جسده
والنقص في ماله فلم يلتفت اليه ولم يحزن عليه شغلا بحاله وبنظره الى قيام الله عز وجل عليه وقال
ابراهيم الخواص وهو امام المتوكلين من المتأخرين رحمه الله ثلاثة مواطن حمل الزاد فيهن من ادب التوكل القعود
في مسجد والركوب في سفينة وصحبة القافلة وقال سفيان الثوري رحمه الله العالم اذا لم تكن له معيشة
كان وكيلا للظلمة والعابد اذا لم تكن له معيشة اكل بدينه والجاهل اذا لم يكن له معاش كان سفيرا للفساق
وقال بعض اهل المعرفة الناس ثلاثة رجل شغله معاده عن معاشه فهذه درجة الفائزين ورجل شغله
معاشه لمعاده فتلك حال الناجين وآخر شغله معاشه عن معاده فهذه صفة الهالكين وروينا عن علي
عليه السلام الرزق رزقان رزق يطلبك ورزق تطلبه ففسره بعض العلماء فقال الرزق الذي يطلبك
هو رزق الغذاء والرزق الذي تطلبه هو رزق التمليك وهو طلب فضول القوت وقال ابو يعقوب
السوسي وقد كان له مقام مكين في التوكل رحمه الله التوكل على ثلاث مقامات عام وخاص وخاص خاص

فمن دخل في الاسباب واستعمل العلم وتوكل على الله عز وجل ولم يتحقق باليقين فهو عام ومن ترك الاسباب
وتوكل على الله وحقق في اليقين فهو خاص عام ومن خرج من الاسباب على حقيقة بوجود اليقين ثم دخل في
الاسباب فتصرف لغيره فهذا خاص خاص والى هذا وصف الطبقة العليا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
العشرة وغيرهم جردهم اليقين من الدنيا وادخلهم العلم في الاسباب لغيرهم واتسعوا بالعلم على حقيقة اليقين
ولذلك كان الخواص رحمه الله يقول دخول الخصوص في الاسباب لغيرهم ردت عليهم احوال الغير وجعلوا اذ قبل
لم يتصرفوا فيها لاجلهم فهم بريئون من التعلق بها وقد كان ابو جعفر الحداد رحمه الله شيخ الجنيد رضي الله عنه
احد المتوكلين وقال اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق اكتسب كل يوم دينارا او عشرة دراهم
ولا ابيت منه دانقا ولا استريح فيه الى قيراط ادخل به الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد رحمه الله
لا يتكلم في التوكل بحضرة ابي جعفر رحمه الله يقول استحيي من الله عز وجل ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي
وقد شرط النبي صلى الله عليه وسلم للعطا ترك المسألة والاستشراف تنزيها للفقرا او ردا لهم الى الله عز وجل
لان في مسألة العبد الفقير ذلا وحرصا على الدنيا جليلا وفي الاستشراف الى العبيد طمع في غير مطمع
ونظر الى غير الله عز وجل واتيان البيوت من غير ابوابها وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم مسألة الناس
من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها وقال صلى الله عليه وسلم من استغنى اغناه الله عز وجل ومن استعف
اعفه الله عز وجل ومن فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عز وجل عليه باب فقر وكان الفقرا الصادقين جعل لهم
اخذ العطا بل ندبوا الى قبوله عوضا لهم من ذلك لما منعوا من الاستشراف والسؤال تنزيها لهم وتفضيلا
فشابهم في ذلك مثل اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم جعل لهم خمس الخمس من الغنايم لما حرمت عليهم الصدقة
تفضيلا لهم وتشريفا وقد كان احمد بن حنبل رحمه الله امر ابا بكر المروذي رحمه الله ان يعطي بعض الفقرا شيا
فضلا عما كان استاجره عليه فرده فلما ولى قال له احمد رحمه الله الحقه فادفعه اليه فانه يأخذه قال
فلحقه المروذي رحمه الله فدفعه اليه فاخذه فسال احمد رحمه الله عن ذلك كيف رد في الاول واخذ في الثاني فقال
انه كان قد استشرف لذلك فرده وقد احسن فلما انصرف ايست نفسه منه فلذلك قبل وقد كان الخواص
رضي الله عنه اذا نظر الى العبد في العطا او خاف اعتياد النفس له لم يقبل منه شيا وكان يقول صوفي لا يكون
بحيف وهذا كله يحسن في حال المنفرد فاما ذو العيال فالامر عليه اوسع من ذلك ولا باس ان ياخذ لاجل سوى ذى العيال
عياله كما يأخذ لغيره من الفقرا لان عياله عيال الله عنده قد وكله بهم واجرى رزقهم على يده فان طلب
لهم وحث على استخراج حقهم مما اوجب الله عز وجل لهم لم ينقص ذلك حاله وفي الخبر ما من عمل افضل من ان
يأمر العبد بصدقة في ذوي رحمه اقامهم مقام عيال المسلمين فقد كان من سيرة السلف ان يقوم ذو السعة

منهم باهل بيت من المسلمين واكثر فكانه قد قام باهل بيتين من الفقرا الا انهم قد وجبوا عليه وقد آخى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فقال له سعد اشاطرك
مالي واهلي فقال عبد الرحمن بارك الله لك في اهلك ومالك دلوني على السوق فعمل يومه ذلك فراح بشي من
سمن واقط فلو كان التكسب في الاسواق ينقص التوكل لم يختر عبد الرحمن رضي الله عنه وهو امام الايمة
ما ينقص توكله ولكنه احب ادخال المشقة على نفسه وكره التنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين كما
قال فضالة بن عبيد رحمه الله وقد رؤي اشعث اغبر حافيا وهو امير مصر فقيل له لم انت هكذا فقال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن الارفاه وامرنا ان نحتفي احيانا ثم اختار عبد الرحمن رضي الله عنه
ايضا ايثار اخيه بما آثره به رعاية لحق اخوته ولان الله سبحانه وتعالى قد ندب الى الايثار ووصف به الاحباب
واعلى من عبد الرحمن مقاما امام الايمة ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اخذ الاثواب تحت
حضنه ودخل السوق ينادي هذا في اتم احواله حين اهل للخلافة واقيم مقام النبوة حتى اجتمع المسلمون
فكرهوا له ذلك فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت
اهل بيت من المسلمين لا وكس ولا شطط فلما رضوا جميعا بذلك واتفقوا عليه ترك السوق لشغله بامورهم
الا تراه كيف آثر القيام بحكم حاله وما اوجب الله عز وجل عليه لاهله وتواضع لله عز وجل في حال رفعته
واسقط الخلق عن عينه حتى كره الصحابة ذلك فرد بحكم ثان وكذلك المتوكل لا يزال مع الحكم الاول حتى
ينهج الله سبحانه وتعالى له طريقا آخر فيسلكه بحكم ثان وقد كان بعض السلف يجمع اليه الناس للكلام
عليهم فكان يقول لو اعلم ان اهلي يحتاجون الى باقة بقل ما تكلمت عليكم ففي هذا بيان وبرهان لمن لم
تستهوه الاهوا في انكار التكسب على اهل التكسب احتجاجا لنفسه واعتذارا من بطالته والابتداع العلما
في الدين لا البيان وكشف حقيقة العلم بالبرهان فالتكسب والاكتساب ظروف اودعها الله سبحانه وتعالى
العطا والارزاق لا بي تعطى وتذوق بمنزلة الاواسط من الاشخاص فالمتوكل المتسبب موقن ان الله سبحانه وتعالى
هو المعطي والمانع وانه هو المسبب الرازق وانه هو الاول في التصريف والآخر في التقليب فقلبه ناظر الى القسام
ونفسه ساكنة الى القسم وقلبه قانع راض بالمقسوم وجسمه متحرك في المعلوم الذي وجه فيه وسبب له وهو
عارف بمقامه والمراد منه راض بحاله وما قد استسعي فيه والزم اياه والذي ينقض التوكل ويخرجه من حد
التوكل اكتساب الشبهات للاستكثار والسعي بالتكسب للجمع والافتخار والحرص على طلب ما حظره
العلم عليه او الطلب لما يكرهه الناس منه او التسخط للاقدار اذا لم تواته على ما قدر او ترك النصح لمن عامله
بان يحتال عليه او يدبر او التشرف الى الخلق والطمع في سبب فهذا كله لا يصح معه التوكل وقد قال بعض العلما

العبد اذا دخل السوق للتكسب وكان درهمه احب اليه من درهم غيره لم ينصح للمسلمين في المبايعة وهذا عنده
يخرجه من التوكل ودخول الآفات ومساكنتها لقصور علم او غلبة هوى يخرج العبد من التوكل وهو ان يكون
متوكلا على الناس بان يطمع فيهم او يتصدى لهم بالتعرض والتصنع او يكون متوكلا على صحة جسمه ودوام
عوافيه وانه لا يرزق الا من كده او يكون متوكلا على ماله بان يثق به ويطمئن اليه ويحسب انه ان افتقر
انقطع رزقه وعلامة ذلك ضنته به واعداده له عدة لكذى وعدة لكذى كما ذم الله عز وجل من جمع
مالا وعدده فهذه المعاني تخرج من التوكل وقد تخفى دقائقها وتدق خفاياها الا على جهابذة العلماء الراسخين
في العلم المتضلعين باليقين القائمين على الدوام بالشهادة التاركين عن مألوف النفس والعادة فمن نظر الى من
المعاني من الاسباب والاشخاص او سكن اليها سكون انس فيقوى قلبه بوجودها فانه يضطرب ويستوحش
او يضعف قلبه لفقدها فهي علة في توكله وروينا عن بشر بن الحارث رضي الله عنه قال ان العبد ليقرأ
اياك نعبد واياك نستعين فيقول الله كذبت ما اياي تعبد ولا بي تستعين لو كنت تعبد اياي لم تؤثر
هواك على رضاي ولو كنت تستعين بي لم تسكن الى جلدك وقوتك ولا الى مالك والتارك للتكسب والتصرف
في الاسواق اذا كان في ادنى كفاية واعين بالصبر والقناعة في مثل زماننا هذا افضل واتم حالا من المتكسب
اذا خاف ان لا ينال المعيشة الا بمعصية الله عز وجل من دخول في شبهة عيانا او خيانة لاخوانه من المسلمين
ولانه قد تعذر القيام بشرط العلم مع مباشرة الاسباب وكثرة دخول الآفات والفساد في الاكتساب فترك
ملابسة اهل الاسواق ومخالطتهم على هذا الوصف المكروه اقرب الى السلامة لبعده من رؤية الاسباب وفقد
مباشرتها لان الحكم متعلق بالرؤية ومثل الحرام مثل المنكر اذا لم تره سقط عنك حكمه وليس الخبر كالمعاينة
ولا المجاورة كالمباشرة ولا المعاين كالمخبر وذلك كمثل من زال عن حقيقة الكعبة على البعد الا انه
متوجه الى الشطر فصلاته جائزة ولو زاغ عنها انملة مع المعاينة لها بطلت صلاته والتكسب ليس بفرض
وقد يفترض باحد معنيين بوجود العيال مع عدم كفايتهم من وجه من الوجوه او بان يقطع عدمه عن فرض
ويضعف عنه مع فقد ما يقام به الفرض مما لا بد منه وقد كان بشر الحارث رحمه الله ترك التكسب وكان
يتكلم في الحلال ويشدد فيه فقيل له يا ابا نصر فانت من اين تاكل فقال من حيث تاكلون ولكن ليس من ياكل
وهو يبكي مثل من ياكل وهو يضحك وقال مرة ولكن يد اقصر من يد ولقمة اصغر من لقمة وكان سبب تركه
للصنعة ان العلوي رحمه الله كاتبه بلغني انك استعنت على رزقك بالمغازل ارايت ان اخذ الله سمعك
وبصرك الرزق على من فوقر ذلك في قلبه بشا بر منه فاخرج آلة المغازل ويقال بل تركها لما نوهت
باسمه وقصد لاجلها وطلبت لاجله واي هذين كان فقد نهج له به طريق الى الله عز وجل فسلكه بعد الطريق

الأول وقد كان للثوري رضي الله عنه خمسون دينارا يتجر له بها ثم اخذها في آخر امره ففرقها على اخوانه وترك
التكسب ويقال انه فعل ذلك لما مات عياله وليس للعبد ان يحمل حال عياله على حاله الا ان يكون اختيارهم
كاختياره وصبرهم على فقرهم كصبره ومعرفتهم بفضله كمعرفته فحينئذ ان يسيرهم سيرته
ويسقط عنه التكسب لاجلهم لانهم كهو في الحال مع سقوط المطالبة منهم له بحقوقهم عليه وقد فعل ذلك جماعة من
السلف وبعض العارفين يفضلون من لا معلوم له على من له معلوم وهؤلاء يرون ترك التكسب افضل لانه معلوم
وبعد هؤلاء سكون القلب مع وجود المعلوم علة ولكن اذا سكن قلبه مع غير معلوم واجتمع همه وانقطع
طمعه في حال العدم فهذا هو المقام وتفصيل هذا في التوسط في المقال عندي ان العبد لا يفضل بنفس عدم
المعلوم كما لا يفضل بنفس القعود عن المكاسب وكما لا يفضل بفقد الغنى بمقام من زهد او رضي وانما يوصف
بالفقر لكن يفضل بحاله من مقامه في جميعه فاذا كان ذو المعلوم احسن معرفة واقوى يقينا فضل على من لا معلوم
له ولا يكون سكون القلب وطمانينة النفس ايضا مع وجود المعلوم علة في الحال على قدر المقام ولكن لا يكون
مقاما يرفع به ولا حالا يفضل فيه الا ان الطمع في الخلق وتشتت القلب مع وجود معلوم الكفاية نقصان
عند الكل وعندي وقطع الطمع في الخلق واجتماع القلب مع العدم افضل واعلى عند الجماعة فاما سكون القلب
واجتماع الهم وفقد التشرف الى الخلق مع العيال فهو افضل اتفقوا عليه وهذا حال الاقوياء وطريق الانبياء
عليهم السلام واما اضطراب القلب وتفرق الهم مع وجود العيال فان كان لاجلهم وللقيام بحكم الله عز وجل
فيهم فلا نقص فيه وقد يوجر ضعاف اليقين عليه واما شتات القلب مع الوحدة فنصيب من الرغبة موفور
الا عند الحاجة فمعذور وفي حديث حبة وسواء ابني خالد رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهما
لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما فان ابن آدم تلده امه احمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله سبحانه وتعالى
بعد وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي ناوله التمرة لو لم تاتها لاتتك والرزق لا ينقطع عن العبد حتى
يظهر له ملك الموت فحينئذ ينقطع عنه رزق الدنيا ويدخل في رزق الآخرة فيكون اول رزق الآخرة آخر رزق
الدنيا ولا آخر لهذا الرزق لقوله تعالى فلهم اجر غير ممنون وقوله تعالى عطاء غير مجذوذ وقوله تعالى اكلها دائم
وقال سهل رحمه الله لو ان العبد سال الله عز وجل ان لا يرزقه لم يستجب له ولقال يا جاهل انا خلقتك
ولا بد ان ارزقك وقال وقد سئل عن القوت فقال هو الحي الذي لا يموت فقيل انما سالناك عن القوام فقال
القوام هو العلم قيل سالناك عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر قيل سالناك عن طعمة الجسد فقال ما لك وللجسد
دع من تولاه اولا يتولاه آخرا اذا دخلت عليه علة فرده الى صانعه اوما رايت الصنعة اذا عابت ردوها
الى صانعها حتى يصلحها وقال الخواص رحمه الله وقد روينا ايضا عن سهل رضي الله عنه ان الله سبحانه وتعالى

يلقى على الخصوص الفاقة ويحوجهم إلى الخلق بالطمع فيهم ويلقي في قلوب الخلق المنع لهم يحرمهم ما في أيديهم ليردهم إليه فإذا رجعوا آيسين ساقه بين رزقهم من حيث لا يحتسبون ومن علامة الخصوص أنهم إذا استشرفوا إلى الشيء حرموا ذلك الشيء وإذا سكنوا إلى عبد سلط عليهم أو فرق بينه وبينهم كيلا يطمئنوا إليه ويأنسوا به وليرفع سكونهم إليه وقد كان بعضهم إذا جاءه السبب بعد تطلع إليه رده ومنهم من كان يخرجه ولا يتناول منه عقوبة لنفسه وكان ذو النون رضي الله عنه يتكلم على إخوانه في علم التوحيد والمعرفة فسأله غلام شاب عن الخبز من أين فقال خذوا بيده واذهبوا به إلى الصوفية حرسهم الله حتى يعلموه الأدب وقد كان يحكى عن معروف الكرخي رحمه الله عليه أنه ذكر له انقباض بشر بن الحارث رحمه الله عن الأسباب التي تفتح عليه فقال إن أخي بشرا رحمه الله قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة إلا أن معروفا رحمه الله كان لا يأخذ السبب إلا عند الحاجة ويأخذ منه ما لا بد له منه ويعمل في ذلك وقته بحكم ما يوجبه الوقت وكان رحمه الله لا يدخر وكان قصير الأمل لم يكن يأمل البقاء من وقت صلاة إلى وقت صلاة أخرى وكان إذا صلى صلاة الظهر يقول للجيران اطلبوا لكم من يصلي بكم العصر وكان يقول إنما أنا ضيف في دار مولاي عز وجل إن أطعمني أكلت متى ما أطعمني وإن أجاعني صبرت حتى يطعمني وقد كان سهل رضي الله عنه يقول المتوكل لا يسأل ولا يرد ولا يحتكر

ذكر الادخار مع التوكل

ولا يضر الادخار مع صحة التوكل إذا كان مدخرا لله عز وجل وفيه وكان ماله موقوفا على رضى مولاه عز وجل لا مدخرا لحظ نفسه وهواه فهو حينئذ متجر بحقوق الله عز وجل التي أوجبها الله عز وجل عليه فإذا رآها بذل ماله فيها والقيام بحقوق الله عز وجل لا ينقص مقامات العبد بل يزيدها علوا وحدثونا عن حسين المغازلي بعض أصحاب بشر بن الحارث رضي الله عنهما قال كنت عنده ضحوة من النهار فدخل كهل أسمر خفيف العارضين فقام إليه بشر رحمه الله قال وما رأيته قام لأحد غيره قال ودفع إلي كفا من دراهم فقال اشتر لنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب قال وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته بين يديه فأكل معه وما رأيته أكل مع غيره قال فأكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فأخذه الرجل وجمعه في ثوبه وجعله تحت يده وانصرف قال فعجبت من فعله ذلك وكرهته له إذ لم يأمره بشر رحمه الله بذلك ولا هو استأذنه فيه فقال لي بشر رحمه الله بعد وقت لعلك أنكرت فعله ذاك قلت نعم أخذ بقية الطعام عن غير إذن قال تعرفه قلت لا قال ذاك أخونا فتح الموصلي رضي الله عنه زارنا اليوم من الموصل وإنما أراد أن يعلمنا أن التوكل إذا صح لم يضر معه الادخار وترك الادخار إنما هو حال من مقامه قصر الأمل وقد يصح التوكل مع تأميل البقاء فإن كان أمله الحياة لطاعة مولاه عز وجل وخدمته والجهاد في سبيله وليستعتب

وليستقبل ويصلح بالعلم والطاعة ما أفسده بالجهل والهوى فضل بذلك وهذا طريق طائفة من الراجين والمحبين والحسني الظن والمستأنسين وإن كان أمله الحياة لأجل متعة النفس وأخذ حظوظها من دنياه نقص ذلك من زهده في الدنيا فسرى النقص إلى التوكل وما نقص من الزهد نقص من التوكل وليس ما زاد في الزهد يزيد في التوكل ولا ما نقص من التوكل نقص من الزهد لأن الزهد من شرط خصوص التوكل وليس التوكل من شرط عموم الزهد وكل متوكل ذي مقام زاهد لا محالة وليس كل زاهد في مقام متوكلا لأن التوكل مقام في الزهد والزهد حال والمقامات للمقربين والأحوال في أصحاب اليمين إلا أن من أعطي حقيقة الزهد فإنه يعطى التوكل لا محالة لأن حقائق الأحوال وثبوتها ودوام استقامة أهلها فيها ولزومها لقلوبهم هي مقامات فإذا جاز للمتوكل تأميل البقاء شهرا أو شهرين جاز له الادخار لذلك إلا أن طول الأمل يخرج من حقيقة التوكل وتأميل أكثر من أربعين يوما يخرج من حد التوكل عند إبراهيم الخواص ولا يخرجه من حده عندي ولكن للمتوكل الادخار أكثر من أربعين يوما كما يكره له تأميل البقاء الأكثر من أربعين يوما ومن ادخر لصلاح قلبه وتسكين نفسه وقطع تشوفه إلى الناس إذ كان مقامه السكون مع المعلوم فالادخار له أفضل ومن قوي يقينه وحسن ظنه وصبره وصح زهده فترك الادخار له أفضل ويخرجه الادخار من حقيقة التوكل عند أبي محمد وعند إبراهيم الخواص رضي الله عنهما ولا يخرجه عندي من مقام فيه فأما من ادخر لعياله ليسكن بذلك قلوبهم ولوجود رضاهم عن الله عز وجل ولسقوط حكمهم عنه ليتفرغ لعبادة ربه عز وجل فهو فاضل في ادخاره أنفقوا عليه ولأنه في ذلك قائم بحكم ربه عز وجل راع لرعيته التي هو مسؤول عنها وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ليسن ذلك وقد نهى أم أيمن وغيرها رضي الله عنهم أن تدخر له شيئا لغد ونهى بلالا رضي الله عنه أيضا عن الادخار ليقتدي به أهل المقامات وقال له إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخبأ فهو إمام المنفردين وذكرى للمتوكلين روي أنه قبض صلى الله عليه وسلم وله بردان في الجف ينسجان وقد كان صلى الله عليه وسلم أقصر أملا من ذلك كان يبول فيتيمم قبل أن يصل إلى الماء فيقال له في ذلك إن الماء منك قريب فيقول وما يدريني لعلي لا أبلغه ولكن فعله كيلا يهلك من طال أمله من أمته فجعل فعله نجاة له فهذا يدلك على أن الادخار يتسع ويضيق على قدر مشاهدات العارفين من قبل أن الشريعة جاءت بالرخصة والعزيمة فالعزائم من الدين للأقوياء الكاملين والرخص من الدنيا للضعفاء المحمولين وقد كان أبو محمد رحمه الله يقول في تأويل الخبر إن الله سبحانه وتعالى يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه قال ما كان من أمر يؤخذ بالأوسع وما كان من نهي يؤخذ بالأشق فيه وكان الخواص رضي الله عنه يدقق في أحوال المتوكلين ويذكر أن الادخار يخرج من حد التوكل ولم يكن يفارقه أربعة أشياء كان يقول ادخارها من تمام حال المتوكل

لانها من امر الدين الركوة والحبل والابرة والخيوط والمقراض وكان شيخنا ابو محمد رضي الله عنه يضرب للادخار
مثلا في قصر الامل وطوله فيقول مثل من ترك الادخار مثل رجل يقول اريد ان اخرج الى الابلة فيقال
له خذ رغيفا فان قال اريد ان اخرج الى عبادان قيل له خذ رغيفين فان قال اريد ان اخرج الى العسكر قيل
له خذ اربعة ارغفة قال فكذلك ترك الادخار على قدر قصر الامل وطوله وعلى ذلك فان الادخار ينقص
من فضائل الزاهدين بمقدار ما يمنع من حقيقة الزهد الا لزهاد العارفين لانهم على حقيقة من اليقين
اقيموا بشهادة عين التوحيد ينظرون بنور الاولية الاخرية فالموجودات عندهم عنده اذ كانت بيديهم بيده
سبحانه وتعالى وقبضهم قبضه فهو وكيلهم وهم وكلاؤه فهو مزيدهم لانه فوق الزهد قد جاوزه فكيف يعتبر به
وهولاء لا يوصفون برغبة فيكون الزهد معيارا عليهم وفي حديث شهر بن حوشب رحمه الله عليه عن ابي امامة
في ذكر الفقير الذي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا واسامة رضي الله عنهما فغسلاه وكفناه ببرديه
فلما دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث
ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وما هي يا رسول الله قال انه كان لصواما قواما كثيرا لذكر الله عز وجل غير انه
كان اذا جاءه الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاءه الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم
قال عليه السلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل
وصيام النهار وحدثت عن بعض العارفين قال رايت في النوم كان القيامة قد قامت وكان الناس يساقون
زمرة زمرة الى الجنة على طبقات فنظرت الى طبقة احسن الناس هيئة واعلام طريقا واسرعهم سبقا فقلت
من افضلهم اكون فيهم فذهبت اخطو اليهم وادخل معهم في طريقهم فاذا الملائكة حوالهم قد منعوني
وقالوا قف مكانك حتى يجيء اصحابك فتدخل معهم فقلت تمنعوني ان اكون مع هولاء السابقين فقالوا
هذا طريق لا يسلكه الا من لم يكن له الا قميص واحد ومن كل شيء واحد وانت لك قميصان ومن الاشياء
اثنان قال فانتبهت باكيا حزينا فجعلت على نفسي ان لا املك من كل شيء الا واحدا وقد كان حذيفة
المرعشي رحمه الله يقول منذ اربعين سنة لم املك الا قميصا واحدا وكان كثير من السلف اذا استجد
ثوبا او شيا اخرج الاول منهما وكانوا يستعملون الشي الواحد في الاشياء الكثيرة وهذا كله داخل
في التحقق بالزهد وهو من فضائل المتوكلين وقد روينا في الخبر المشهور زيادة وصف من طريق ابي امامة
الباهلي رضي الله عنه ان رجلا من اهل الصفة توفي فما وجد له كفن فقال النبي صلى الله عليه وسلم فتشوا
ثوبه قال فوجدنا في داخل ازاره دينارين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيتان وقد كان غيره من المسلمين
يموت ويخلف عدة ولا يقول ذلك له لان هذا كان حاله الزهد واظهار الفقر وصفة التوكل وترك الادخار

ذكر التداوي وتركه للمتوكل وتفصيل ذلك ولا ينقص التداوي ايضا توكل العبد لان النبي
صلى الله عليه وسلم امر به وفعله واخبر عن حكمة الله عز وجل فيه فقال صلى الله عليه وسلم ما من داء الا وله دواء
عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت وقال صلوات الله عليه وسلامه تداووا عباد الله
وسئل عن الدوا والرقى هل ترد من قدر الله عز وجل فقال هي من قدر الله عز وجل وفي الخبر المشهور ما
مررت بملا من الملائكة الا قالوا مر امتك بالحجامة وفي الخبر انه امر بها وقال احتجموا السبع عشرة
والتسع عشرة والاحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم وفي ذكر تبيغ الدم دليل على توقيت هذا
العدد من الايام للحجامة لا انه اريد به هذه الايام من الشهر وفيه وصف الاسباب التي جعلت حتوفا
وسببا للموت واحسب هذا القدر من العدد لاهل الحجاز خاصة لشدة حر البلد كقول عمر رضي الله عنه
في الماء المشمس انه يورث البرص سمعت ان ذلك في ارض الحجاز خاصة وقد كان من سيرة السلف ان يحتجموا
في كل شهر مرة الى ان يجاوز الرجل الاربعين وكانوا يستحبون الحجامة في نقصان الشهر وقد روي في خبر
مقطوع من احتجم يوم الثلثا لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة وقد روينا حديثا من طريق
اهل البيت عليهم السلام ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل
سنة فالتداوي رخصة وسعة وتركه ضيق وعزيمة والله سبحانه وتعالى يحب ان يوخذ برخصه كما
يحب ان يوتى عزائمه وقد قال سبحانه وتعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق وربما كان
التداوي فاضلا في ذلك لمعنيين احدهما ان ينوي اتباع السنة الاخذ برخصة الله عز وجل وقبول
والآخر
ما جات به الحنيفية السمحة وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم غير واحد من اصحابه بالتداوي والحمية وقطع
لسعد بن معاذ رحمه الله عرقا اي فصده وكوى سعد بن زرارة رحمه الله وقال لعلي رضي الله عنه وكان
رمد العين لا تاكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق شعير
وقال لصهيب رحمه الله وراه ياكل تمرا وهو وجع العين تاكل تمرا وانت رمد فقال اني اكل من الجانب
الاخر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقد تداوى صلى الله عليه وسلم في غير خبر من العقرب وغيرها وروي انه كان
اذا نزل عليه الوحي صدع راسه فكان يغلفه بالحناء وفي خبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها
حناء وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا وهو اعلى المتوكلين واقوى الاتقياء فان قيل انه تداوى
لغيره وليسن ذلك قلنا فلا نرغب عن سنته ولا نزهد في بغيته اذ كان صلى الله عليه وسلم فعل ذلك
لنا فلا نرده عليه لئلا يكون فعله لغوا والرغبة عن سنته الى توهم حقيقة التوكل طعن في الشرع
وقد كان صلى الله عليه وسلم ظاهرا للخلق ليقتفوا آثاره من ذلك انه صام في السفر في شدة الحر وكان

يصب على رأسه الماء ويستظل بالشجر ليبين بذلك الرخصة في التبرد بالماء للصائم فقيل له ان قوما صاموا
وقد شق عليهم فدعا بقدح فيه ماء فشرب فافطر الناس فترك صلى الله عليه وسلم حاله لاجلهم فقيل له ان قوما
لم يفطروا فقال اولئك العصاة والمعنى الثاني الذي يفضل به المتداوي ان يحب سرعة البرء للطاعة
ولخدمة مولاه عز وجل والسعي في اوامره اذ كانت العلل قاطعة عن التصرف في العمل وشاغلة للنفس
عن الشغل بالآخرة وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات ان موسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم اعتل علة
فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرئت فقال لا اتداوى حتى يعافيني هو
سبحانه من غير دواء فطالت علته فقالوا له ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرأ فقال
لا اتداوى فدامت علته فاوحى الله اليه وعزتي لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما
ذكرتم فداووه فبرأ فاوجس في نفسه من ذلك شيئا فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك
علي من اودع العقاقير منافع الاشياء غيري وروينا في بعض الاخبار شكى نبي من الانبياء الى الله عز وجل
علة يجدها فقال كل البيض وفي خبر آخر ان نبيا من الانبياء شكى الى الله عز وجل الضعف فاوحى الله اليه
كل اللحم باللبن فان فيهما القوة احسبه الضعف عن الجماع وذكر وهب بن منبه رحمه الله ان ملكا من الملوك
اعتل علة وكان حسن السيرة في رعيته فاوحى الله سبحانه وتعالى الى اشعيا النبي عليه وعلى سائر الانبياء السلام
قل له اشرب ماء التين فان فيه شفاء من علتك وقد روينا اعجب من ذلك ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم
فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد وقد كانوا يطعمون
الحبلى السفرجل والنفساء الرطب وهذا والله اعلم يكون في الشهر الثالث والرابع من حملها لان الولد يصور
فيهما وعلى ذلك فان ترك التداوي افضل للاقوياء وهو من عزائم الدين وطريق الى العزم من الصديقين
لان في الدين طريقين طريق تبتل وعزيمة وطريق توسع ورخصة فمن قوي سلك الطريق الاشد فهو اقرب
واعلى ولكن بعد ان يكون معه زاد ذلك الطريق وهو للمقربين وهم السابقون ومن ضعف سلك الطريق الارفق
وهو الاوسط الا انه ابعد لان معه زاد طريقه وهؤلاء اصحاب اليمين وهؤلاء المقتصدون ففي المؤمنين اقوياء
وضعفا ولينون واشدا وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي احب الى الله عز وجل من المؤمن الضعيف
وفي كل خير وروينا عنه عليه السلام في المؤمنين من هو اشد في الله عز وجل من الحجارة وفيهم من هو الين من اللبن
وقال عليه السلام في وصف الاقوياء مثل المؤمن كمثل النخلة لا يسقط ورقها وقال الله عز وجل في معنى ذلك
اصلها ثابت وفرعها في السماء وقال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل السنبلة يفيئها الريح يمينا وشمالا
وقال صلى الله عليه وسلم في وصف المؤمن المطيع مثل المؤمن كمثل النحلة اكلت طيبا ووضعت طيبا وقال

في وصف المؤمن المستطيع مثل المؤمن كمثل النملة تجمع في صيفها لشتائها فاوصاف المؤمنين متفاوتة في
الضعف والقوة والجبن والشجاعة وفي الصبر والجزع فشتان بين من شبه في القوة والعلو بالنخلة
قلبه ثابت وهمته في السماء يطعم جناه ولا يدخر وبين من شبه بالنملة في الضعف والدنو يستطيع ويحتكر
وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما ومدحهم انهم لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون
ثم سأل عكاشة رحمه الله ان يدعو الله عز وجل ان يجعله منهم ففعل لانه رأى ذلك طريقه ورأى معه زاد الطريق
وشهد فيه القوة والتحقيق فاهله لذلك فلما قال له الآخر ادع الله سبحانه وتعالى ان يجعلني منهم والمقامات
لا يقتدى بها ولا يتمثل فيها كما لا تدعى لانها مواجيد قلوب بايجاد قريب ومشاهدات غيوب باشهاد حبيب
فلم ير ذلك طريقه ولم يشهد معه زاده ولم يؤهله لذلك فاوقفه على حده وحكم عليه بضعفه فرده صلى الله
عليه وسلم ردا جميلا لانه كان صلى الله عليه وسلم حييا كريما فقال سبقك بها عكاشة فهذا كما يقول الحاكم الحكيم
اذا ضعف احد الشاهدين يدني شاهدا آخر ولا يصرح بجرح الشاهد ولو عدله لقبله ولم يطلب الزيادة
والا فالمقامات لا تضيق عمن سبق اليها والقائم على كل نفس ليس ذلك عليه بعزيز الا انه حاكم حكيم لم يحكم
له بالسبق فلم يجعل فيه مكانا للقوة والرسول صلى الله عليه وسلم غير بخيل مع قوله سبحانه وتعالى شاهدا له وما هو
على الغيب بضنين اي ليس بخيلا ولكن لم ير فيه شاهد ذلك من القوة وتبين الضعف فيه فلم يخاطر به
شفقا عليه وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن الكي في غير حديث وقال لرجل اراد ان يداوي اخاه الا انه مات
من علته فقال اما انه لو برأ لقلت ابرأته لعلمه بما يجري في النفوس ان الشفاء والنفع من فعل الدواء
وذلك من الشرك فكره المتحققون بالتوحيد التداوي خشية دخول ذلك عليهم وروي عن موسى عليه وعلى سائر
الانبياء السلام يا رب ممن الداء والشفاء قال مني قال فما يصنع الاطباء قال يأكلون ارزاقهم ويطيبون
نفوس عبادي حتى يأتي شفائي او قبضي وقد كان احمد بن حنبل رضي الله عنه يقول احب لمن اعتقد
التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وكانت تكون به علل فلا يخبر المتطبب ايضا
اذا سأله واعتل عمران بن حصين رحمه الله فاشاروا عليه ان يكتوي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير
حتى اكتوى فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا وتسلم علي الملائكة عليهم السلام فلما اكتويت
انقطع ذلك عني وفي خبر آخر كانت الملائكة تزوره فيأنس بها حتى اكتوى وكان يقول اكتوينا
كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من ذلك واناب الى الله عز وجل فرد الله سبحانه وتعالى عليه ما كان
يجد من امر الملائكة عليهم السلام وقال المطرف بن عبد الله رحمه الله الم تر الى الكرامة التي كان اكرمني الله عز وجل
بها قد ردها علي بعد ان كان اخره بفقدها فلولا ان ذلك كان عنده ذنبا لما ندم عليه وتاب منه

ولولا أن ذلك كان نقصاً ما صرفت الملائكة عنه ومرض أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقيل له لو دعونا لك طبيباً
فقال قد نظر إلي الطبيب فقال إني فعال لما أريد وقيل لأبي الدرداء رحمه الله في مرضه ما تشتكي قال
ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قالوا ألا ندعو لك طبيباً قال الطبيب أمرضني وقيل لأبي ذر رحمه الله
وقد رمدت عيناه لو داويتهما فقال إني عنهما لمشغول قيل فلو سألت الله عز وجل أن يعافيك فقال أسأله
فيما هو أهم علي منهما وقيل لأبي محمد رحمه الله متى يصح للعبد التوكل قال إذا دخل عليه الضر في جسمه
والنقص في ماله فلم يلتفت إليه شغلاً بحاله وينظر إلى قيام الله عز وجل عليه وقد كان أصاب الربيع بن خثيم
رحمه الله الفالج فقيل له لو تداويت قال قد هممت ثم ذكرت عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً كان فيهم
الأوجاع وكان فيهم الأطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيئاً وكان أصاب عبد الواحد بن زيد
رحمه الله الفالج فعطل عن القيام فسأل الله عز وجل أن يطلقه في أوقات الصلوات ثم يرده إلى حاله بعد ذلك
فكان إذا جاء وقت الصلاة كأنما نشط من عقال فإذا قضى صلاته رجع إليه الفالج كما كان قبل ذلك ومن
لم يتداو من الصديقين والسلف الصالح أكثر من أن يذكر إلا أنه مخصوص لمخصوصين وطريق الخصوص الأقوياء
لا يسلكه العموم الضعفاء كما أن طريق العموم قد تنكبه الخصوص وأعجب ما سمعت في تفاوت المقامات
عن اختلاف مواجيد العارفين ما حكي لنا أن موسى والخضر عليهما وعلى سائر الأنبياء السلام اجتمعا في فلاة من الأرض
فشكى موسى إلى الخضر عليهما وعلى سائر الأنبياء السلام الجوع فقال له الخضر اجلس بنا حتى ندعو فتكلم الخضر
بشيء فأقبل ظبي حتى وقف بينهما فوقع نصفه إلى الخضر مشوياً ونصفه إلى موسى عليه وعلى سائر الأنبياء السلم
نيّاً فقال له الخضر قم فأوقد ناراً واشو نصيبك فقدح موسى عليه وعلى سائر الأنبياء السلام وأشعل
حطباً وشوى نصيبه فلما فرغ قال للخضر كيف وقع نصفه إليك مشوياً قال إنه لم يبق لي في الدنيا أمل
وقيل عنه أيضاً مرة أخرى إنه ليس لي في هذا الخلق حاجة وقد كان مذهب أبي محمد سهل رحمه الله أن ترك
التداوي وإن أضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداوي لأجل الطاعات وكانت به علة
عظيمة فلم يكن يتداوى منها وقد كان يداوي الناس منها وكان إذا رأى العبد يصلي من قعود أو لا يستطيع
أعمال البر من الأمراض فيتداوى للقيام في الصلاة والنهوض إلى الطاعة يعجب من ذلك ويقول صلاته من
قعود مع رضاه بحاله أفضل له من التداوي للقوة ويصلي من قيام وسئل عن شرب الدواء فقال كل
من دخل في شيء من الدواء فإنما هو سعة من الله عز وجل لأهل الضعف ومن لم يدخل في شيء منه فهو أفضل
لأنه إن أخذ شيئاً من الدواء ولو كان الماء البارد سئل عنه لم أخذت ومن لم يأخذ فليس عليه سؤال وقال
من لم يأخذ الماء البارد على سبيل الدواء سئل عنه وأصله رحمه الله في هذا أن عنده من أفضل الأعمال أن

يضعف العبد قوته حتى لا يكون لنفسه حراك لأجل الله عز وجل وأن ذرة من أعمال القلوب مثل التوكل والرضى
والصبر أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح وكان مذهب البصريين في إسقاط القوة بالتجويع الطويل والطي
الكثير لتضعف النفس لأن عندهم أن في قوة النفس قوة الشهوات وغلبة الصفات وفي ذلك وجود المعاصي
وكثرة الهوى وطول الرغبة والحرص على الدنيا وحب البقاء يقول فإذا أدخل الله سبحانه وتعالى عليها الأمراض
من حيث لا يحتسب فلا يتعالج لرفع الأمراض عنها فإن المرض نهاية الضعف ومن أبلغ ما ينقص الشهوة وكان يقول
علل الأجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة وقال مرة أمراض الجسم للصديقين وقد كان ابن مسعود رحمه الله
يقول تجد المؤمن أصح شيء قلباً وأمرضه جسماً وتجد المنافق أصح شيء جسماً وأمرضه قلباً وعن النبي صلى الله
عليه وسلم تحبون أن تكونوا كالحمر الصيالة لا تمرضون ولا تسقمون وفي الخبر لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى
يمشي في الأرض كالبردة ما عليه خطيئة ويقال لا يخلو المؤمن من علة في جسمه أو قلة في ماله وقيل لا يخلو من
عيلة أو ذلة وللعبد إن لم يتداو أعمال حسنة منها أن ينوي الصبر على بلاء الله عز وجل والرضى بقضائه
والتسليم لحكمه إذ قد حسن عنده لأنه موقن وإذ قد عرف الحكمة في ذلك والخيرة في العاقبة لأنه حليم ومنها
أن مولاه عز وجل أعلم به منه وأحسن نظراً واختياراً وقد حبسه وقيده بالأمراض عن المعاصي كما روي عن الله سبحانه وتعالى
الفقر سجني والمرض قيدي أحبس بذلك من أحب من خلقي فلا يأمن إن تداوى فعوفي أن تقوى النفس فينتشر
هواها لأن المعاصي في العوافي وعلة سنة خير من معصية واحدة لقي بعض الناس بعض العارفين فقال له العارف
كيف كنت بعدي قال في عافية فقال إن كنت لم تعص الله عز وجل فأنت في عافية وإن كنت قد عصيته فأي
داء أدوى من المعصية ما عوفي من عصى وقال علي رضي الله عنه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيدهم ما
هذا الذي أظهروه قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصي الله عز وجل فيه فهو لنا عيد وقال
أصدق القائلين وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون قيل العوافي والغنى وقال بعضهم إنما قال فرعون لعنه الله
أنا ربكم الأعلى لطول العوافي لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق
فادعى الربوبية ولو أخذته الشقيقة والمليلة في كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية واعلم أن الإنسان
قد يطغى بالعوافي كما يطغى بالمال لأنه قد يستغني بالعافية كما يستغني بالمال وقد قال الله عز وجل كلا إن
الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وكل فيه فتنة واختبار وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون
فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ فالعصمة في حال العافية نعمة ثانية كالعصمة في الغنى نعمة النعمة
وهذا أحد الوجوه في قوله عز وجل أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ومنها أن الأمراض مكفرة للسيئات فإذا
كره الأمراض بقيت ذنوبه عليه موفورة وفي الخبر حمى يوم كفارة سنة وأحسن ما سمعت في معناه قال

ان حمى يوم تهدم قوة سنة وقيل في الانسان ثلثمائة وستون مفصلا يدخل حمى يوم في جميع المفاصل فيكون لكل مفصل كفارة يوم ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت رحمه الله ربه عز وجل ان لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله وسأل ذلك طايفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم وكذلك لما ذكر صلى الله عليه وسلم من اذهب الله عز وجل كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة فلقد رايت الانصار رضي الله عنهم يتمنون العمى ولما جاءت الحمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستاذن عليه قال اذهبي الى اهل قبا وهذا احد الوجهين في قوله عز وجل فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين اي من الآثام والذنوب بالحمى والامراض ورويناه عن عيسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصايب والامراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه فالصديقون يبتلون بعلل الجوارح والمنافقون يبتلون بامراض القلوب لان في امراض الاجسام ضعفها عن الآثام والطغيان وفي امراض القلوب ضعفها عن اعمال الآخرة والايقان وفي قوله عز وجل واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافي وباطنة البلاوي لانها نعم الآخرة وروي ان موسى عليه وعلى سائر الانبياء السلم نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يا رب ارحمه فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه كيف ارحمه مما به ارحمه وقد قال الله سبحانه وتعالى في تصديق هذا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون فاخبر عز وجل ان في ترك الرحمة لهم لطفا ورحمة ورويناه عن عبد الواحد بن زيد رحمه الله انه خرج في نفر من اصحابه الى بعض نواحي البصرة فآواهم المسير الى كهف جبل فاذا فيه عبد متقطع بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا لا طباخ به فقالوا يا هذا لو دخلت البصرة فتعالجت من هذا الداء الذي بك فرفع طرفه الى السماء وقال سيدي باي ذنب سلطت هولاء علي يسخطوني عليك ويكرهون الي قضاءك سيدي استغفرك من ذلك الذنب لك العتبى اني لا اعود فيه ابدا قال ثم اعرض عنا بوجهه فانصرفنا وتركناه وفي الخبر نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان في ايمانه ضعف خفف عنه البلاء وفي خبر آخر ان الله عز وجل يجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا وقد روينا حديثا من طريق اهل البيت عليهم السلم اذا احب الله عز وجل عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه ومنها ان الملك يكتب له مثل اعماله الصالحة التي كان يعملها في صحته وانه يجري له من الحسنات ما كان يجري له على اعماله فتكتب الملك له اعمالا صالحة خيرا له من اعماله لانه قد يدخلها الفساد واختيار الله عز وجل له ان يستعمله بالاوجاع خير له من اختياره لنفسه

ان يتنفل الى الله عز وجل بالاعمال الصالحة وهذا احد المعنيين في معنى الخبر افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس قيل هو ما دخل عليها من المصايب في الانفس والاموال فهي تكره ذلك وهو خير لها ومن هذا المعنى قوله عز وجل وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له في الآخرة واحمد للعاقبة وقد يحب الغنى والعوافي والشهرة وهو شر له عند الله عز وجل واسوأ عاقبة وفي الخبر ايضا يقول الله عز وجل للملايكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمل فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي فابدال صفته بحسن اختيار الله عز وجل خير له في الدنيا والآخرة من شهوته والاصل في التداوي وتركه ان المتوكل قد علم في توكله ان للعلة وقتا اذا انتهت اليه برأ العليل باذن الله لا محالة ولكن الله عز وجل قد يحكم انه ان تداوى شفاه في عشرة ايام وان لم يتداو براه في عشرين يوما فيترخص العليل باباحة الله عز وجل له فيطمع في تعجيل البرء في عشرة ايام ليكون اسرع لشفايه واقرب للعافية على انه معتقد ان الدوا لا يشفي وان التداوي لعينه لا ينفع لان الله عز وجل هو الشافي وهو النافع والشفا والنفع فعله بعبده وجعله في الدواء من لطايف حكمته لا يجعله سواه ولا يفعله الا اياه اذ كانت العقاقير مطوعة مجعولة مجبولة على خلقها فجاعل الاسباب فيها هو جاعلها لا ان الجعل فيها وانما صنعته منها ليس من عمل المتطبب وان كان يعمل بها ويجمع بينها وبين العليل لانه اظهر على يديه سببا لرزقه والله عز وجل خالق جميع ذلك وفاعله وكذلك قال سبحانه وتعالى والله خلقكم وما تعملون وكذلك ايضا عند العارفين ان الخبز لا يشبع وان الما لا يروي كما ان المال لا يغني والعدم لا يفقر لان الله عز وجل هو المطعم المسقي وهو المشبع المروي كما هو المغني المفقر لما شا كيف شا وهو جاعل الشبع والري في المطعوم والمشروب وفي النفس بالغنى والفقر بحكمته ورحمته كما ان الله عز وجل هو المجيع المظمي فيدخل الطعام والشراب على الجوع والعطش اللذين خلقهما فيذهبهما بما ادخل عليهما كما يدخل الليل على النهار ويدخل النهار على الليل فيغلب سلطان كل واحد على الآخر فيذهبه فسوا هذا عند الموحدين من صفة الليل والنهار ومن العلل والادوية بتسليط الشي على ضده فيزيله بغلبة قهره باذنه والشرك في هذه الاشياء في العموم اخفى من دبيب النمل على الصفا والموقنون الصحيحو التوحيد من جميع ذلك برآء وعلى هذا المعنى احد الوجهين في قوله عز وجل الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى اي اعطى كل لون وجنس خلقته وطبعه اي صورة الشي ووصفه للضر والنفع فان تعجل العليل البرء بالتداوي فبرا كان ذلك بقضا الله عز وجل وقدره على وصف الرخصة من المعافاة فان كان ناويا في تداويه استعجال شفايه الطاعة لمولاه

عزوجل والقيام بين يديه للخدمة كان مثابا على ذلك فاضلا فيه غير منقوص في مقام توكله وان اراد
بذلك صحة جسمه لنفسه والتنعم بالعوافي كان ذلك بابا من ابواب الدنيا ودخولا فيما ابيح له منها وهو
يخرجه من فضيلة التوكل وحقيقته بمقدار ما نقصه من الزهد في الحياة والنعيم وان اراد باستعجال العوافي
قوة النفس لاجل الهوى وليسعى في مخالفة المولى عزوجل كان مأزورا بسوء نيته وفجور عزيمته وخرج
من المباح الى المحظور وهو يخرجه عن حد التوكل واوله وهذا من مذموم ابواب الدنيا وممقوتها وان كانت
نيته في تعجيل العوافي التصرف في المعايش والتكسب للانفاق او اجمع نظر في شانه فان كان يسعى في
كفاف وعلى عيلة ضعاف وعن حاجة واجحاف الحق هذا بالطبقة الاولى وهذا باب من ابواب الآخرة هو ماجور
عليه ولا يخرجه من التوكل وان كان يسعى في تكاثر وتفاخر ولا يبالي من اين كسب ولا فيما انفق الحق هذا
بالطبقة الثالثة من العاصين وهذا من اكبر ابواب الدنيا المبعدة عن الله عزوجل فهذه نيات الناس في
التداوي المحمودة والمذمومة فان لم يتداوى المتوكل تسليما للوكيل وسكونا تحت حكمه ورضى باختياره
وصنعه اذ قد ايقن ان للعلة وقتا اذا جاء برأ باذن الله عزوجل الا انه بعد عشرين يوما فيصبر ويرضى
ويحمل على نفسه الم عشرة ايام رضى بقضاء الله عزوجل وصبرا على بلائه وحسن ظن باختياره له ولا يتهمه
في قضائه عليه فهذا هو احد الوجوه في حسن الظن بالله عزوجل ان لا يتهم الله عزوجل في قضائه كيف وقد
روي فيه نص ان رجلا قال يا رسول الله اوصني قال لا تتهم الله عزوجل في شيء قضاه عليك وقد روي في
معنى هذا خبر فيه شدة يقول الله عزوجل من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سوائي
وهذا باب من الزهد في الدنيا بمقدار ما نقص من الرغبة في نعيم النفس لان الجسم من الملك فما نقص منه نقص
من الدنيا والقلب من الملكوت فما زاد فيه زاد في الآخرة وهو باب من الصبر بقدر ما صبر عليه من النقص
كما قال سبحانه وتعالى ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ونقص الانفس امراضها
واسقامها ونقص الاموال اقلالها واذهابها فلذلك جعلناه زهدا لاقترانه بالمال ومع هذا فهو لا يأمن
في تعجيل العوافي من المعاصي فاذا انتهى وقت العلة برأ من غير دواء باذن الله عزوجل وله في الامراض تجديد
التوبة والحزن على الذنوب وكثرة الاستغفار والاستعتاب منها وحسن التذكرة وقصر الامل وكثرة ذكر
الموت وفي الخبر اكثروا من ذكر هادم اللذات ومن ابلغ ما يذكر به الموت ويتوقع نزوله الامراض
فقد قيل الحمى بريد الموت وفي قول الله عزوجل او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم
لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يختبرون بالامراض والاسقام يختبرون بها ويقال ان العبد اذا
مرض مرتين ثم لم يتب قال ملك الموت عليه السلام يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب وقد كانوا

يستوحشون اذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس او مال ويقال لا يخلو المؤمن في كل اربعين يوما
ان يروع روعة او يصاب بنكبة فكانوا يكرهون فقد ذلك في ذهاب هذا العدد من غير ان يصابوا فيه
بشيء وروينا ان عمار بن ياسر رحمه الله تزوج امراة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبي صلى الله عليه وسلم عرضت
عليه امراة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل له وانها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاوجاع من الصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا لان في الخبر ان الحمى حظ
المؤمن من نار جهنم وفي حديث انس وعائشة رضي الله عنهما يا رسول الله يكون مع الشهداء يوم القيمة غيرهم
فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة وفي لفظ الحديث الآخر الذي يذكر ذنوبه فيحزنه فان
ترك التداوي وبرأ بغير دواء كان هذا من قضاء الله عزوجل وقدره على وصف الابطاء وقد اختلف راي الصحابة
مطلب رضي الله عنهم في مثل هذا المعنى عام خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهم الى الشام انهم لما بلغوا الجابية انتهى
اليهم خبر الشام ان به وباء عظيما وموتا ذريعا فوقف الناس وافترقوا فرقتين فمنهم من قال لا ندخل
على الوباء فنلقي بايدينا الى التهلكة فنكون سببا لاهلاك انفسنا وقالت الطائفة الاخرى بل ندخل ونتو كل
على الله عزوجل ولا نهرب من قدره ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله عزوجل فيهم الم تر الى الذين خرجوا
من ديارهم وهم الوف حذر الموت فرجع الجميع الى عمر رضي الله عنه فسألوه عن رايه فوافق عمر رضي الله عنه
الذين قالوا نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له الآخرون انفر من قدر الله عزوجل فقال عمر رضي الله عنه نعم
نفر من قدر الله الى قدر الله عزوجل ثم ضرب لهم مثلا فقال ارايتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان
احداهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله عزوجل وان رعى المجدبة رعاها
بقدر الله عزوجل فسكتوا ثم دعا عمر بعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يساله عن رايه فقيل هو غائب
قد تاخر في المنزل الذي نزلنا فيه فثبت عمر رضي الله عنه واصحابه على ذلك الراي وعلى ان يسال عبد الرحمن
عوف رضي الله عنه عن رايه فلما اصبحوا جاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فساله عمر رضي الله عنه عن ذلك
فقال عندي فيه يا امير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه الله اكبر
فقال عبد الرحمن رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم بالوباء في ارض فلا تقدموا
عليه واذا وقع في ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر رضي الله عنه بذلك وحمد الله عزوجل
اذ وافق رايه راي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع بالناس من الجابية بيان آخر من التمثيل
في التداوي وتركه مثل التداوي وتركه في انهما مباحان وان احدهما طريق الاقوياء الصابرين

وهو تركه مثل التكسب وتركه أن التكسب عند الجوع الذي هو علة الجسم ليستعجل العبد الدواء بالخبز جائز
له لا يقدح في توكله لأنه مباح مأمور به فإن نوى بالتكسب القوة على الطاعة والسعي في سبيل الله عز وجل
والمعاونة على البر والتقوى كان فاضلاً فيه وإن نوى بالتكسب الأكل للشهوات والقيام بحظوظ النفس
من الرفاهيات نقص ذلك توكله وأخرجه من حقيقته وكان طريقاً من طرقات الدنيا إلا أنه مباح وإن قصد
بكسبه التكاثر والحرص للجمع والمنع كان عاصياً بكسبه مخالفاً لربه عز وجل وهذا من أكبر طرق الهوى ثم
إن لم يتكسب وصبر على الجوع ورضي بالقلة والفقر فإن رزقه يأتيه لا محالة بمجيء وقته وإن كان قليلاً
دون وسعه ولكنه يحتاج إلى فضل صبر وحسن رضى وسكون نفس وطمأنينة قلب فإن وجد هذه المعاني
فهذا هو المتوكل وكان فاضلاً في ترك التكسب لحسن يقينه وثقته برازقه وشغله بما هو أفضل وأنفع له
في عاقبته وإن تشتت همه واضطربت نفسه وتكره قضاء ربه عز وجل فأخرجه ذلك إلى الجزع والهلع
والتبرم والشكوى فالكسب لهذا أفضل وهو منقوص بتركه كذلك من أكثر الشكوى من علته وتسخط
حكم ربه عز وجل وتبرم وضجر وسطا على الناس وساء خلقه بمرضه فإن الأفضل لهذا أن يتداوى وهو ناقص
بتركه روينا عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم إن من ضعف
اليقين أن ترضي الناس بسخط الله عز وجل وأن تحمدهم على رزق الله عز وجل وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله
عز وجل إن رزق الله تعالى لا يجره حرص حريص ولا يرده كره كاره إن الله عز وجل بحكمته وجلاله جعل الروح
والفرح في الرضى واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط ذكر استواء شهادة المتوكلين
مع اختلاف ظهور الأسباب فيستوي عند الخصوص بعين يقينهم ما جاءهم بواسطة أيديهم وأسباب
كسبهم وما جاءهم بأيدي غيرهم وبغير كسبهم إذ كان المعطي عندهم واحداً والعطاء كله رزقاً وإذ كانت
الأيدي ظروف العطاء فسواء كان الظرف يدك أو يد غيرك وسواء كان السبب كسبك أو كسب غيرك لك
إذ جميعه رزقك ولأن لكل شيء حكماً وفي كل شيء حكمة وبكل شيء نعمة قال الله عز وجل إرم ذات العماد
التي لم يخلق مثلها في البلاد فأضافها إليه في الخلق بعد أن بنوها بأيديهم وفرغوا منها ومثل هذين أيضاً
يستوي عندهم ما ظهر بيد القدرة لا خلق فيه ولا واسطة له وما ظهر بأيديهم عن الحكمة وترتيب العرف
والعادة لأن القدرة أيضاً بمنزلة ظرف العطاء أظهر العطاء بها فهي كأيدي العباد من يد الإنسان نفسه
أو يد غيره إذ القدرة والحكمة خزانتان من خزائن الملك والملكوت فهذه المعاني الثلاثة أعني ما ظهر عن يدك
وبكسبك وما ظهر بيد غيرك عن كسبه لك وما ظهر به القدرة عن غير عرف معتاد ولا واسطة مرئية
هذا كله عند الموقنين سواء لا يترجح بعضه على بعض لرجحان إيمانهم وقوة يقينهم ونفاذ مشاهدتهم إذ

كله حكمة بالغة وقدرة نافذة عن حكيم واحد وقادر واحد ومما يدلك على استواء ما ظهر بيد الوسائط
وما أظهرته القدرة عند العلماء أن من جمع كرامات الأولياء وإجابات الصديقين ذكر فيها ما ظهر لهم عن القدرة
وما أظهر لهم على أيدي الخلق من الإرفاق عند وقت الفاقات عن غير مسألة ولا إشراف نفس فسووا بينهما
في الكرامات وجعلوهما واحداً من الإجابات وحسبوا كل ذلك من آيات على أن العارفين يشهدون ما يوصل العبيد
إليهم من أقسام رزقهم أنها ودائع لهم عندهم وأنه حق لهم بأيديهم يؤدونه إليهم قليلاً قليلاً ويوفونهم
إياه شيئاً شيئاً إلا أنهم لا يسألونهم إياه ولا يطالبونهم به وإن كان لهم عندهم وذلك لحسن أدب فيهم
وحسن اقتضاء لأن من حسن الاقتضاء ترك الطلب ولقوة يقينهم برازقهم أنه يوفيهم نصيبهم غير منقوص
فقد سكنوا إلى قيم وعده كما نظروا إلى بسط يده وكذلك مشاهدة العالمين من الموصلين إليهم قسمهم الدافعين
إليهم حقوقهم يشهدون أنهم قد أخرجوا إليهم من حقوقهم وأدوا إليهم ودائعهم فيستريحون إلى إخراج ذلك
ويفرحون بأدائه إلى أربابه ويشكرون الله عز وجل على حسن توفيقه وإعانتهم على سقوط ذلك عنهم كما
يفرح من عليه الدين الثقيل إذا أداه فسقط عنه حمله وقضاه وهذا مقام للموصلين في المعرفة وحال
لهم من اليقين حسنة وهو مشاهدة عالية للآخذين من المتوكلين ذكر تشبيه التوكل بالزهد
اعلم أن التوكل لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد في الزهد ويزيد في الصبر وكذلك الزهد في الدنيا لا ينقص من
الرزق شيئاً ولكنه يزيد في الفقر ويزيد في الجوع والفاقة فيكون هذا رزق المتوكل ورزق الزاهد من الآخرة
على هذا الوصف المخصوص من حرمان نصيب الدنيا وحمايته عن التكثر منها والتوسع فيها ويكون التوكل
والزهد سبب ذلك فيكون ما صرف عنه من الدنيا زيادة له في الآخرة من الدرجات وكذلك روينا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم نقصان الدنيا زيادة الآخرة وزيادة الدنيا نقصان الآخرة ومن أعطي من الدنيا شيئاً
نقص ذلك من منزلته في الآخرة وإن كان على الله سبحانه وتعالى كريماً وقيل إن الدنيا والآخرة مثل ضرتين
من أرضى إحداهما أسخط الأخرى وقال رجل لبعض العلماء كنت في محلة ليس فيها بقال غيري ففتح
إلى جنبي بقال آخر فخفت أن ينقص ذلك من رزقي شيئاً فقال ليس ينقص من رزقك شيئاً ولكن يزيد
في بطالتك تقعد كثيراً لا تبيع شيئاً وقد غلط في هذا الطريق قوم فادعوا التوكل والزهد واتسعوا
في المآكل والملابس فموهوا على من دونهم ممن لا يعرف طريق التوكل والزهد ذكر كتم الأمراض وجواز
إظهارها الأفضل لمن لا يتداوى أن يخفي علته لأن ذلك من كنوز البر ولأنها معاملات بينه وبين
خالقه فسترها أفضل وأسلم له إلا أن يكون له نية في الإظهار أو يكون إماماً يستمع إليه ويقتبس منه
الآثار ويكون متمكناً في المعرفة يخبر بعلته وقلبه راض عن الله عز وجل فيما قدره أو يكون ممن يشهد

البلاء نعمة فيكون اخباره بمثابة التحدث بنعم الله عز وجل والا فاظهار العلل لمن لا يتداوى نقص لحاله
وهو داخل في الشكاية لمولاه عز وجل لان في الشكوى استراحة للنفس من البلوى كالاستراحة بالدوا وهذا
لا يفعله عالم لان استراحته بالدوا الذي اباحه له المولى خير له من استراحته الى العبيد بالشكوى على انه لا يامن
دخول الآفات عليه في الاخبار من التصنع او التزيد في العلة وغير ذلك وقد قيل في قوله عز وجل فصبر جميل
اي لا شكوى فيه وقال بعضهم من بث لم يصبر وقيل ليعقوب صلى الله عليه وسلم ما الذي اذهب بصرك قال مر الزمان
وطول الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه تفرغت تشكوني الى الخلق فقال يا رب اتوب اليك وروينا عن طاوس
ومجاهد يكتب على المريض انينه في مرضه قال وكانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار معنى يدل على شكوى
حتى قيل ما اصاب ابليس من ايوب الا بانينه في مرضه فجعل الانين حظه منه وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله
عز وجل الى الملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله سبحانه وتعالى واثنى عليه بخير دعوا له وان شكا وذكر شرا
قالا كذلك تكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في القول بان يخبر
عن العلة باكثر منها فيكون في ذلك كفر لنعمة من البلاء وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل
عليه احد حتى يبرا فيخرج اليهم منهم فضيل ووهيب وبشر وكان يقول اشتهي ان امرض بلا عواد وقال
فضيل ما اكره العلة الا لاجل العواد وقد رأينا من الصالحين من فعل ذلك ممن هو امام وقدوة ولا
ينقص توكل المتوكل اخباره بعلته على معنى التحدث بها مع فقد آفات النفس اذا كان قلبه شاكرا راضيا
بقضائه او يكون بذلك مظهرا للافتقار والعجز بين يدي مولاه او راغبا في دعاء اخوانه المؤمنين او تشهد ذلك
نعمة يتحدث بها نشرا للشكر وقد حكي ان بشر بن الحارث كان يخبر عبد الرحمن المتطبب باوجاعه
فيصف له اشيا وقيل عن احمد بن حنبل رحمه الله انه كان يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف قدرة
الله سبحانه وتعالى في وروي عن الحسن البصري رحمه الله اذا حمد المريض الله عز وجل وشكره ثم ذكر اوجاعه
لم يكن ذلك شكوى وروي انه قيل لعلي عليه السلام في مرضه كيف انت فقال بشر فنظر بعضهم الى بعض
كانهم كرهوا ذلك فقال اتجلد على الله عز وجل كانه احب ان يظهر افتقاره واراد ايضا ان يعلمهم انه
لا باس بذلك لان من يقول بخير اذا سئل كثير كما قال الثوري رحمه الله انما العلم الرخصة من ثقة فاما
التشديد فكل احد يحسنه وكان عليا عليه السلام اراد ان يتحقق بتاديب النبي عليه السلام له ونهيه اياه عن
اظهار القوة لانا روينا انه كان مرض فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم صبرني على البلاء فقال
لقد سالت الله عز وجل البلاء ولكن سل الله العافية ومن هذا قال مطرف لان اعافى فاشكر الله عز وجل
احب الي من ان ابتلى فاصبر لان البلاء طريق الانبياء وكره اهل الاشفاق والخشية اظهار الجلد

والقوة بين يدي القوي العزيز وقد حكي ان الشافعي رحمه الله مرض مرضا شديدا بمصر فكان يقول اللهم
ان كان في هذا رضاك فزدني منه فكتب اليه ادريس بن يحيى المعافري من القفص يا ابا عبد الله لست من رجال
البلاء فسل الله سبحانه وتعالى العافية فرجع عن قوله هذا واستغفر منه فبعد هذا والله اعلم ما حكي عنه انه
كان يقول اللهم اجعل خيرتي فيما احب

ذكر فضل التارك للتكسب

قد يفضل التارك
للتكسب شغلا بالعبادة على المتكسب من حيث فضل المتقدمون الزاهد في الدنيا على كاسب المال حلالا
ومنفقه في سبيل الله عز وجل وسئل الحسن رحمه الله عن رجلين احدهما محترف والآخر مشغول بالتعبد
ايهما افضل فقال سبحان الله ما اعتدل الرجلان المتفرغ للعبادة افضلهما وقد روينا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال كفى بالموت واعظا وباليقين غنى وبالعبادة شغلا وقد علم التارك للتكسب توكلا
على الله عز وجل وثقة به ورعاية لمقامه وصبرا على فقره وشغلا بعبادته عن معايشه ومقاساة الفتنة
ان الله مولاه سبحانه وتعالى قد تكفل له برزقه في الدنيا وقد وكل اليه عمل الآخرة وانه ان اشتغل بما وكله
اليه من عمل آخرته اقام له من يقوم بكفايته من دنياه فان لم يتصرف المتوكل تصرف له غيره وان عمل آخرته
التي وكله اليه ان لم يعمله هو لم يعمله له سواه من قبل ان الله سبحانه وتعالى وكل اليه هذا فلم يقم غيره
مقامه وان الله عز وجل تكفل له بعمل الدنيا فان لم يعمل اعمل له سواه كيف شا فهذا هو الفرق بين ما تكفل
له به من عمل الدنيا وبين ما وكله به من عمل الآخرة قال الله عز وجل في رزق الدنيا الذي تكفل به وكاين من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وقال عز وجل في رزق الآخرة الذي وكله الله سبحانه به وان ليس للانسان الا
ما سعى ثم قد علم المتوكل بعقد توحيده ان هذه الاربعة الاشيا منتظمة في سلك واحد كشي واحد يقع دفعة
واحدة رزق مقسوم لا يزاد فيه في وقت معلوم لا يتقدم ولا يتاخر بسبب محكوم لا ينقلب عند اثر مكتوب
لا يتغير فالرزق بفضل الرازق والوقت الذي يظهر فيه ظرف العطاء لا يقع الا في ظرف والسبب حكمة القاسم
والاثر حد المرزوق فلما ايقن المتوكل بهذا كان ان تصرف تصرف بحكم وان قعد قعد بعلم فاستوى تصرفه
وقعوده لانه قائم بحكم ما يقتضي منه في علم حاله عارف بحكم متصرفه ومقعده فان شغله مولاه عز وجل
بخدمته عن خدمة من سواه فصرفه في معاملته دون معاملة العبيد ساق اليه رزقه كيف شاء من الوجوه
وبيد من شاء من العبيد يحفظه له عن تعدي الحدود كما قال عز وجل حافظات للغيب بما حفظ الله وبتوليه
له وعصمته اياه عن التورط في محظور كما اخبر عز وجل عن اوليائه في قوله سبحانه وتعالى وهو يتولى الصالحين
وكان العبد فاضلا في قعوده لشغله عن العبيد بمعبوده وبانقطاعه الى معاملة المليك دون ما يقطعه
عنه من معاملة الملوك وبهمه الآخرة عن الدنيا فكان داخلا في وصف ما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم

عن اهل الكفاية الله عز وجل فيما روي عنه من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله عز وجل هم آخرته ودنياه
وخارجاً عن وصف من قطعه الله عز وجل عنه بهمة غيره وعرضه للهلكة في أودية الهموم في قوله عليه السلم
من اصبح وهمه غير الله فليس من الله في شيء وفي قوله من تشعبت به الهموم لم يبال الله سبحانه وتعالى في اي
وادٍ هلك فان كان حال المتوكل ان يجري رزقه على يد نفسه بكسب جارحته فهو خزانة من خزائن الملك
وهو عبد من عبيد الملك يوصل اليه عن يد نفسه كما يوصله اليه عن يد غيره كما سوا ساق اليه الرزق او
ساقه الى الرزق بعد ان يرزقه لان ما لقيته فقد لقيك والعبد متوكل على الله سبحانه وتعالى في الحالين
ناظر اليه بالعينين قائم بحكم حاله في الامرين عارف بحسن اختيار الله عز وجل له في الحكمين ومن ترك التكسب
لاجل الله سبحانه وتعالى ثقة به وسكوناً اليه اولدخول الآثام وتعذر القيام بالاحكام فحسنه لحسن من
عمل شيئاً لاجل الله عز وجل لان الترك عمل يحتاج الى نية صالحة وافضل الناس عند الله سبحانه وتعالى اتقاهم له
واعرفهم به متصرفاً كان او قاعداً هذا فصل الخطاب وقد روينا في حديث عبد الله بن دينار عن عمرو بن
ميمون عن النبي صلى الله عليه وسلم اتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال حين استوى على عرشه
ونظر الى خلقه عبادي انتم خلقي وانا ربكم ارزاقكم بيدي فلا تتعبوا انفسكم فيما تكفلت لكم به فاطلبوا
ارزاقكم مني وانصبوا انفسكم لي وارفعوا حوائجكم الي اصب عليكم ارزاقكم صباً اتدرون ماذا قال ربكم
عز وجل قالوا الله ورسوله اعلم قال سبحانه وتعالى عبدي انفق انفق عليك ووسع اوسع عليك ولا تضيق فاضيق
عليك ان ابواب الرزق بالعرش لا تغلق ليلاً ولا نهاراً فانزل الرزق منها لكل عبد على قدر نيته وعطيته وصدقته
ونفقته فمن اكثر اكثر له ومن قلل قلل له ومن امسك امسك عليه يا زبير ان الله سبحانه وتعالى يحب الانفاق
ويبغض الاقتار فكل واطعم ولا تقتر فيقتر عليك ولا تعسر فيعسر عليك اطعم الاخوان ووقر الاخيار
وصل الجار ولا تماش الفجار وادخل الجنة بغير حساب فهذه وصية الله سبحانه وتعالى لي ووصيتي لك يا
زبير بن العوام والاسواق موائد الله في يطعم المولى منها من اتى من خدمته ومن هرب من مجالسته ودهن عن
معاملته وجبن عن متاجرته قال الله سبحانه وتعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم
من رزق وما اريد ان يطعمون قال بعض اهل العربية من القدماء ما اريد ان يرزقوا خلقي ان الله هو الرزاق
اي لا يطالبهم ان يرزقوا نفوسهم اذا خدموه فذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية الوجوه الثلاثة من تصرف العبيد
التي اباحها للموالي ثم اختار لنفسه احدها وهي الخدمة وعليه الكفاية واختار من العبيد احدهم فجعله عابده
ونزه عن احدها وتعالى عنه وهو الاطعام من العبيد له عز وجل وصرف عموم العبيد في الوجه الثالث من
الاطعام لانفسهم وهو التكسب وضرب هذا مثلاً بينه وبين خلقه في الارض وله المثل الاعلى في السموات

والارض فبقي العبيد مع الله سبحانه وتعالى بحكمين احدهما ما اختاره لنفسه من العبادة وهي المعاملة وعليه
الرزق كيف شاء متى شاء وهؤلاء عبيد الرحمن لا عبيد الدنيا والثاني ما صرف العبيد فيه من التكسب لانفسهم
جعل ذلك رزقاً منه لهم بجوارحهم وكدحهم على هذا الوصف وهؤلاء عموم العبيد منهم عبيد الدنيا وعبيد
الهوى وبقي المولى مع العبيد على الاحكام الثلاثة التي اباحها عز وجل لهم وضرب بها المثل بينه وبينهم ايها
اختاروه كان ذلك لهم وتفسير ذلك ان للمولى من الخلق ان يقول لعبده اذهب فاطعمني لانك عبدي وملك يدي
فانا املك كسبك كما املك نفسك وهذا هو الوجه الذي ذكرنا ان الله عز وجل تنزه عنه وتعالى علواً كبيراً
فقال وما اريد ان يطعمون كما يريد الموالي من عبيدهم هذا ثم يقول المولى منا لعبده اذهب فاطعم نفسك واسع
في قوتك فقد ابحت لك ذلك ووهبت لك كسبك فهو رزق مني لك وتفضل عليك وبهذا صار المكاتب لعبده
في فكاك رقبته كالمعتق بان كان له الولاء وقد يكون له الميراث في حال لانه منعم عليه بالكتابة له كالمعتق وان
كان العبد هو الذي يسعى في فكاك رقبة نفسه بكسبه من قبل ان المولى يستحق عليه كسبه ويملك رقبته
فلما ملك عبده ذلك صار محسناً اليه فهذا حال عموم العبيد مع الله تعالى لانه مولاهم الحق وهم عبيده فمن
فقال اذهبوا فتكسبوا فاطعموا انفسكم فقد رزقتكم ذلك ووهبته لكم وهذا هو الوجه الثاني الذي نزه
الخصوص عنه تفضلاً عليهم وتفضيلاً لهم فلم يستسعهم واقتطعهم فشغلهم بخدمته عن خدمة نفوسهم وخليقته
وتوكل لهم بكفايتهم ولم يوكلهم فيها كما وكل غيرهم بل وكل بارزاقهم من شاء من عباده وهو معنى قوله عز وجل
ما اريد منهم من رزق اي لنفوسهم بدليل قوله سبحانه وتعالى ان الله هو الرزاق اي لهم باقامة غيرهم وبظهور
قوله عز وجل وما اريد ان يطعمون فكانت هذه الياء اسمه مكنياً بها وهذه ارادة مخصوصة لا عامة
لكل مراد فهي ارادة ابتلاء ومحنة بمعنى ما احب مخصوصة لمخصوصين من عباده كما كان قوله عز وجل
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون كانت هذه آية مخصوصة لمن عبده منهم معناها مؤمني الجن والانس
لا عامة لجميع الخلق والوجه الثالث ان يقول المولى منا لعبده اخدمني على طعمتك بقوم خدمتك في مقام
كسبك لنفسك وهذا هو الوجه الاعلى الذي اختاره الله عز وجل واحبه لمن يحب واختار له من عبد من
العبيد من خصوص العاملين له وهم العالمون به دون من صرفه في رزق نفسه بنفسه وهو قوله عز وجل
الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق اي ان يرزقوا نفوسهم بكسبهم الذي ابحته لهم فيكونوا كغيرهم ممن قلت
له اذهب فتكسب فقد اذنت لك الرزق لنفسك بكسبك وقد وهبته لك اي انا اريد من هؤلاء العبادة
ولها خلقتهم فكل ميسر لما خلق له فمن كانت صنعته العبادة وخلق لها يسرت له ومن كانت صنعته
الدنيا وخلق لها يسرت له وفي الخبر ان الله سبحانه وتعالى خلق كل صانع وصنعته ويقال ان الله سبحانه وتعالى

عبد

لمّا أظهر الخلق في العدم أظهر لهم الصنائع كلها ثم خيّرهم فاختار كل واحد صنعته فلما أبداهم في الوجود
أجرى على كل واحد ما اختاره لنفسه قال وانفردت طائفة فلم تختر شيئاً فقال لها اختاري فقالت ما
أعجبنا شيء رأيناه فنختاره قال فأظهر عز وجل مقامات العبادات فقالت قد اخترنا خدمتك فقال
وعزتي وجلالي لأخدمنّكم إياهم ولأسخرنّهم لكم وفي الخبر أوحى الله عز وجل إلى الدنيا اخدمي من خدمني
وأتعبي من خدمك فالعبادة هي الخدمة ومن ذلك قولهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد
أي إليك نعمل ونخدم ومثل قوله تعالى بنين وحفدة أي خدماً والعبادة هي الخدمة بذلّ وتواضع والعرب
تقول طريق معبّد إذا كان مذللاً ممهّداً موطّأً بالأقدام وتقول بعير معبّد إذا كان ممتهناً بالكدّ
نضواً من السير والحمل عليه ومن هذا قول القبط أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون يعنون بني
إسرائيل هم خدمنا نستذلهم ونمتهنهم بالكدّ والعمل وقال بعض العارفين إن الله عز وجل اطّلع على قلوب
طائفة من عباده فلم يرها تصلح لمعرفته ولا موضعاً لمشاهدته فرحمها فوهب لهم العبادات والأعمال الصالحات
ثم اطّلع على قلوب طائفة أخرى من خلقه فلم ير جوارحهم تصلح لخدمته ولا موضعاً لمعاملته فمقتهم فاستعملهم
بالدنيا وعبّدهم لأهلها ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم تعس عبد الزوجة
تعس عبد الخميصة أي الذين يذلّون لهذه الأشياء ويسعون لها وروينا في أخبار داود عليه السلام إني خلقت
محمداً صلى الله عليه وسلم لأجلي وخلقت آدم لأجل محمد وخلقت جميع ما خلقت لأجل ولد آدم فمن اشتغل
منهم بما خلقته لأجله حجبته عني ومن اشتغل منهم بي سقت إليه ما خلقته لأجله **ذكر** حكم المتوكل
إذا كان ذا بيت فإن كان المتوكل ذا بيت فليغلقه إذا خرج احترازاً له لأجل الأمر بالحذر ولاتباع
السنة والأثر قال الله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم وقال عز وجل واحذرهم أن يفتنوك
وقد روي في خبر اعقلها وتوكل ولا ينقض ذلك توكله إذا كان ساكن القلب إلى الله عز وجل لا إلى إغلاقه
ناظراً إلى حسن تدبيره في تبقيته رحله وإذهابه لا إلى إحرازه غير مختار لبقاء ما في بيته على اختيار الله
عز وجل له يحسن أحكامه عنده لأن الله سبحانه وتعالى إذا رفع عبداً إلى مقام التوكل عليه في شيء أعطاه التوكل
في كل شيء ولا يكون العبد متحققاً بالتوكل على التمام حتى يتوكل على الله عز وجل في كل شيء كما لا يكون تواباً
يحبه الله عز وجل حتى يتوب من كل شيء ويتوب إلى الله عز وجل بكل شيء وفي كل شيء أي يرجع إليه
بالأشياء وفيها فلذلك قال الله سبحانه وتعالى إن الله يحب المتوكلين كما قال إن الله يحب التوابين
مع قوله عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون أي ليتوكل عليه في كل شيء من توكل عليه في شيء هذا أحد
الوجهين والوجه الآخر وعليه فليتوكل في توكله من توكل عليه في الأشياء لأن الوكيل في كل شيء واحد

فينبغي أن يكون المتوكل عليه واحداً في كل شيء فالتوكل مقام رفيع من مقامات الأنبياء وأعالي درج الصديقين
والشهداء من تحقق به فقد تحقق بالتوحيد وكمل إيمانه وكان على مزيد وانتفى عنه دقائق الشرك وخفايا
تولّي العدو وانقطع سلطانه عنه قال الله عز وجل إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
إنما سلطانه على الذين يتولونه يعني العدو والذين هم به مشركون يعني الله سبحانه وتعالى فلم يشترط نفي
سلطان العدو بالإيمان مجرداً حتى يقيمه في مقام التوكل في اليقين فلذلك فصّلنا شرحه وأطلنا تفصيله
لأن من أعطي مقاماً من التوكل على حقيقة مشاهدة الوكيل انتظم له جميل مقامات اليقين وأحوال المتقين
كما قال ابن مسعود رضي الله عنه التوكل جماع الإيمان وقد يبتلى المتوكل في توكله بالأسباب والأشخاص
والأعراض وضروب المعاني كما يبتلى سائر أهل المقامات ويبقى عليه من العدو نزغ وطيف لا يغر دون
الأقران والاستحواذ ليختبر بذلك صدقه في توكله ويردّ في جميع ذلك نظره إلى وكيله ليجزي جزاء الصادقين
المعترفين أو لينكشف له دعواه فيعلم كذب نفسه فيكون مردوداً إلى التوبة كما قال عز وجل ليجزي الصادقين
بصدقهم وحسب جزاء المتوكلين أن يكون الصادق حسبهم وأن يكون خلعة الصدق شعارهم ثم قال سبحانه
وتعالى ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ولحسن أحوال المدعين التوبة أنهم يخرجون عن ظلمهم
وقال سبحانه وتعالى أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا الآية ثم أخبر سبحانه وتعالى بسنته التي قد
خلت في عباده فقال ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولن
تجد لسنة الله تبديلاً فليقل المتوكل عند خروجه من منزله معتقداً لذلك بعد إغلاق بابه للأمر والسنة
اللهم إن جميع ما في منزلي إن سلطت عليه من يأخذه فهو في سبيلك صدقة مني على من يأخذه فإن أخذ ما
في منزله كان له في ذلك سبع معاملات أحدها قبول توكله على الله عز وجل بتدبير الله سبحانه وتعالى أمره
كيف شاء واختيار الله عز وجل له نقصان الدنيا وإذهاب ما لعله يفتتن بتبقيته والثانية اختيار الله
عز وجل لفقده وابتلاؤه إياه بفقد محبوبه ليظهر صدقه ومسالمته أو ليستبين للعبد كذبه فإن
حمد الله عز وجل وشكره على حسن بلائه ولم تضطرب نفسه أعطي ثواب الشاكرين الراضين كما جاء في العلم
قيل يا رب من أولياؤك من خلقك قال الذي إذا أخذت منه المحبوب سالمني والثالثة إن اضطربت نفسه
وجزعت جاهدها بالصبر والصمت وحسن الثناء على الله عز وجل وترك الشكاية إلى عبيده فأعطي ثواب الصابرين
المجاهدين والرابعة إن لم يكن في هذا المقام ولا في المقام الأول انكشف له بطلان دعواه وظهر له خفي
كذبه في جنايته فاعترف بذلك واعتذر إلى الله سبحانه وتعالى واستكان وخضع فيكون هذا أيضاً مزيد
مثله على معنى الإعلام والبيان فيعلم أنه كذاب لكراهته ما قضى الله عز وجل ولقلة صبره لحكم الله عز وجل

ولسخطه ما حوّل الله عز وجل من خزانته التي هي بيده الى خزانته التي هي بيد غيره اذ قد علم ان بيد خزانة مولاه
من دنياه وان ما خوّله منها لم يكن له وانما كان قد استودعه لغيره فحزن وساءه حين استرجع منه ما اودعه
وردّه اليه واودعه غيره او دفعها الى من هي رزقه ومن كانت له وصار ذلك رزقا للمتوكل في اخرته فاثر لضعف
يقينه رزق دنياه على رزق آخرته ليس ذلك الا للطمع فيه وفضل الرغبة والشره وقلة زهده اذ قد علم
لما اخذ منه انه كان وديعة لغيره عنده فهذه كلها ذنوب عند المتوكلين وموجبات التوبة والاستغفار
عند الموقنين من قبل ان المتوكل قد علم ان الله سبحانه وتعالى اذا وهب شيئا من الملك في الدنيا للاجسام او
شيئا من ملكوت الآخرة في القلوب لم ياخذه ابدا فما كان في الدنيا بقي لصاحبه الى آخر اثره حتى يفنيه ويبليه
وما وهبه من الآخرة من العلم والايمان لم ياخذه ابدا حتى يوفيه ويزيد له فيه ابد الابد ولكن قد يعير ويستودع
من امور الدنيا وامور الآخرة فهذا النوع لا بد ان يسترده ويسترجعه في الدنيا لان حكمته اوجبت ردّه
كما اوجب كرمه تبقية ما وهبه فلا ينبغي للمتوكل الموقن بما ذكرناه ان يحزنه ما حوّل الله عز وجل من قبضته
ومن خزانته الى خزانته الاخرى التي هي بيد غيره مما لعله يهبه له فيكون رزقه او يبتليه باحكامه فيخرج
ايضا من يده لانه ما خرج من الدار شيء ولله سبحانه وتعالى حكمة وابتلاء في كل شيء فالحزن والاسف
على فوت مثل هذا عند العارفين جناية ومن المومنين جناية يستغفرون الله سبحانه وتعالى ويتوبون اليه منه
كما يتوبون من المعاصي لانهم قد شهدوا ما بيناه ولانه عز وجل قد امرهم بترك الاسى على ما فاتهم من الدنيا وقلة
الفرح بما اتى منها اذ لا بد من كونها لانه قد علمه بعد علمه كتبه وبعد كتبه قد اعلم به فكشف لهم اليقين
عن الكتاب المستبين ان ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها فما
ظهر من المصائب في الاموال والانفس فقد سبق قبل خلق الخلق وهو قوله عز وجل من قبل ان نبراها قيل
من قبل ان نخلق الخليقة وقيل من قبل ان نبرا الارض ومن قبل ان نبرا النفس ومن قبل ان نبرا
المصيبة فجميع ذلك قد سبق ثم قال عز وجل لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم فالاسى على فقد
الشيء على قدر الفرح بوجوده افلا يستحيي العبد ان يكون على ضد ما امر به او بخلاف ما يحبه منه مولاه
عز وجل فياسى على ما ليس له ويحزن على ما استودعه لما اخذ منه او يفرح بما ليس له لانه لا يعلم هل وهب
له فيبقى عليه او اعيره فيوخذ منه فلما استرجعه من يده التي هي بيده تعالى وقبضه ايقن انه لم يكن له
وانه كان وديعة عنده فحزن وساءه فهذا لما ايقن شك ولما علم جهل ورغب فاي شرك في الملك
اظهر من هذا ثم في ذلك يتوهم المتوكل التوكل على الله عز وجل ويفقد حسن اليقين به ويدعي منازل
الاقوياء الاغنياء بالله عز وجل المشاهدين المجاري قدرة الله سبحانه وتعالى في تصريف حكمته فاذا علم العبد

انه كاذب بالتشكان استكانة الكاذبين وتاب توبة المدعين ولم ينطق بكلام الصادقين ولا يدل ادلال
المحبين فيكون تعريف الله عز وجل اياه بهذه المعاني تاديبا له ومزيد مثله وهذا مزيد الناقصين والمعاملة
الخامسة ان يكون له رجل درهم تلف له سبعمائة درهم كانه قد انفقه في سبيل الله عز وجل يحسب له ذلك
لانه قد كان نواه وكذلك انه لم يوخذ ما في بيته استنباطا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ترك العزل
واقر النطفة قرارها ان له اجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله عز وجل وان كان لم يولد
له فقال انت تخلقه انت ترزقه اليك محياه اليك مماته اقرها قرارها ولك ذلك والسادسة ان لا ياثم اخوه
الذي اخذ حله اذ قد جعله صدقة عليه فيوجر اجرا ثانيا لاشفاقه على اخيه وحسن نظره للعصاة من
حيث لا يعلمون تخلقا باخلاق مولاه عز وجل وينال بعفوه عن ظالمه درجة المحسنين ويتحقق بمقام
المتقين ويكون ممن وقع اجره على الله عز وجل فيخفى له ما لا تعلم نفس من قرة العين ولانه قد علم كيف
جرى الامر وان الآخذ مبتلى بسوء القضاء وانه قد عوفي اذ لم يكن هو ذلك العبد فيرحم اهل البلاء ويحمد
الله عز وجل على ما عافاه فيشغله الشكر لله عز وجل عن الدعاء على ظالمه وقال بعض العارفين
لبعض اصحابه لم اسقط اهل المعرفة اللائمة عن الظالمين فقال لا ادري فقال لعلمهم ان الله عز وجل قصد هم
بذلك وابتلى الظالمين بهم فرحموهم وذلك داخل في نصر اخيه الظالم لنفسه وطاعة لامر رسوله صلى الله عليه وسلم
في قوله انصر اخاك ظالما او مظلوما اي تمنعه من الظلم فاذا عفى عنه فقد منعه من الظلم لانه لو اراده
منعه من اخذه او وهبه له فيقوم عفوه عنه مقام دونه والمعاملة السابعة تحققه بالزهد فيما
ذهب قال ابو سليمان الداراني لما بلغه عن مالك بن دينار انه قال للمغيرة اذهب فخذ تلك الركوة
من البيت فلا حاجة لي بها وقد كان اهداها اليه فقال ولم ذلك قال يوسوس الي العدو ان اللص قد اخذها
وكان مالك لا يغلق بابه انما يشده بشريط ويقول لولا الكلاب ما شددته ايضا فقال ابو سليمان
رحمه الله هذا من ضعف قلوب الصوفيين هو قد زهد في الدنيا فما عليه من اخذها وهذا كما قال ابو سليمان
لان الزهد اذا حقق دخل الرضى فيه ولقول مالك ايضا وجه كانه كره ان يعصى الله عز وجل به فيكون
هو سببا لمعصيته ولكن قول ابي سليمان رحمه الله اعلى لاجل مقام التوكل والرضى وهذا الذي ذكرناه
من نحو باب ما في البيت هو لكل من ذهب له مال في سفر او حضر ولكل من اصيب بمصيبة في نفس او
اهل هذه المعاملات كلها اذا اعتقدها بقلبه وكانت في خلده ووجده وان لم ينطق بها او يظهرها
فاكثر الناس ايمانا واحسنهم يقينا اقلهم غما وايسرهم اسى على ما فات من الدنيا واحسنهم رضى
وانفذهم شهادة من راى ان ذلك نعمة اوجبت عليه شكرا واقل الناس ايمانا واضعفهم يقينا

أشدهم أسىً وأكثرهم غمًّا على ما فات وأطولهم شكوى أقلهم شكرًا فإذا أصابته محنة تكشف الزهد
في الدنيا والرغبة ألم تسمع إلى الدعاء الذي جاء به الخبر وارزقنا من اليقين ما تهون علينا به مصائب الدنيا
وشدة الغم على فوت الدنيا دليل على حبها وعلامة ضعف اليقين بمحبوبه وسهولة الغم على فوتها
علامة الزهد فيها وقوة اليقين بربه عز وجل فإن وجد المتوكل رحله بحاله لم يضره تبقيته شيئًا وكان له
أجر لما نواه من المعاملات ولا أعلم أن هذا القول واعتقاده عند خروجه من منزله أو تركه لرحله أو خروجه
إلى سفره ينقصه شيئًا ولا يضره ولا يقدم ضياع شيء علم الله عز وجل ببقائه له ولا يؤخر ترك العقد
لهذا تبقية ما حكم الله عز وجل بذهابه ومع ذلك فيكون لحال من التوكل ومقامات في معاملات الأشياء
واحدًا من باب نقصان الدنيا وهو من طريق الورع فإنه ينقصه وهو أنه إن أخذ ما توكل على الله سبحانه وتعالى
فيه وفوض الأمر به إليه ثم رد عليه لم يستحب له في الورع أن يتملكه ولا أن يرجع فيه في حسن الأدب
لأنه قد كان جعله صدقة في سبيل الله فإن رجع فيه لم ينقص ذلك توكله لأنه قد صح تفويضه إلى الوكيل
في الحالين فيكون رده إياه عليه لأنه قد كان قد وهبه له بمنزلة ابتداء عطاء منه ولكن قد روينا أن ابن
عمر رضي الله عنهما سرقت ناقته فطلبها حتى أعيى ثم قال في سبيل الله سبحانه وتعالى فدخل المسجد فصلى
ركعتين فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن إن ناقتك في مكان كذا فلبس نعله وقام ثم نزعها وقال
أستغفر الله تعالى وجلس فقيل له ألا تذهب فتأخذها فقال إني قد كنت قلت في سبيل الله عز وجل
وحدثت عن بعضهم قال رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله عز وجل بك فقال غفر لي
وأدخلني الجنة وعرضت علي منازلي فيها فرأيتها قال وهو في ذلك كئيب حزين فقلت قد أدخلت الجنة
وغفر لك وأنت حزين فتنفس صعداء ثم قال نعم إني لا أزال حزينًا إلى يوم القيامة قلت ولم ذاك قال
إني لما رأيت منازلي من الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت ففرحت بها فلما هممت
بدخولها نادى منادٍ من فوقها اصرفوه عنها فليست هي له إنما هذه لمن أمضى السبيل فقلت وما إمضاء
السبيل قيل لي قد كنت تقول للشيء في سبيل الله عز وجل ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل
لأمضينا لك وقد حدثونا أن الربيع بن خثيم سرق فرسه وكان ثمنه عشرين ألفًا وكان قائمًا يصلي
فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه الناس يعزونه فقال أما إني قد كنت رأيته وهو يحله
قيل وما منعك أن تزجره قال كنت فيما هو أحب إلي من ذلك يعني الصلاة قال فجعلوا يدعون عليه
فقال لا تفعلوا وقولوا خيرًا فإني قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم في شيء كان سرق له ألا
تدعو على ظالمك فقال ما أحب أن أكون عونًا للشيطان عليه قيل أفرأيت لو ردت عليك سرقتك

أكنت تأخذها قال ولا كنت أنظر إليها إني كنت قد أحللته منها وقيل لآخر ادع الله عز وجل على من ظلمك
فقال ما ظلمني أحد ثم قال إنما ظلم نفسه أفلا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى أزيده شرًّا وذهب لبعض
المسلمين مال فجاء قوم يعزونه عليه فقال علام تعزوني أعلى أمر الدنيا فوالله ما حزنت على ذهابه قيل ولم
قال شغلني الشكر عليه عن الحزن وقد كانوا يقولون إذا ظلموا من الغصب والسرقة وغيرهما هي نعمة الله
سبحانه وتعالى علينا إذ لم يجعلنا ظالمين وجعلنا مظلومين أعظم مما قد فاتنا من الظلامة وقد كانوا
يخافون أن يذكروا الظالم بالسب له والدعاء عليه فيكون ذلك زيادة على مظلمتهم وفي الخبر من دعا على
ظالمه فقد انتصر وأكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف فقال له لا تغرق في شتمه فإن الله سبحانه
وتعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله وفي الخبر إن العبد ليظلم
المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم مطالبة عليه بما زاد
عليه يقتص له من المظلوم وقال بعض العلماء لرجل وقد شكى إليه قطع الطريق وأخذ ماله فقال إن لم يكن
غمك أنه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما نصحت المسلمين وسرقت من
علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكي ويحزن فقال أعلى الدنيا تبكي فقال لا والله
ولكن على المسكين أنه يسأل يوم القيامة ولا يكون له حجة وقيل لبعضهم في معنى هذا ادع على من ظلمك
فقال إني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء فإن رد على المتوكل ما أخذ منه فالأفضل له أن لا يتملكه إن كان
قد جعله في سبيل الله عز وجل وليمض السبيل فإن كان قد جعله صدقة على الآخذ نظر في ذلك فإن كان فقيرًا
حمله على السرق أو الخيانة الحاجة أمضى صدقته عليه وإن كان غير ذلك صرفه إلى فقير وقد كان بعضهم
إذا أخذ له الشيء يشترط فيقول إن كان فقيرًا فهو صدقة عليه وإن كان محتاجًا فهو منه في حل وقد
أخبرني بعض الأشياخ عن شيخ كان بمكة حرسها الله تعالى من العباد اتهمه بعض الحجاج بسرقة هميانه
لأنه كان نائمًا إلى جنبه فقال له كم كان فيه فأخبره فحمله إلى منزله فوزن له المال ثم إن أصحابه أعلموه
أنهم مزحوا معه وحلوا هميانه من وسطه وهو نائم فجاء هو وأصحابه إليه فردوا عليه ماله فقال ما كانت
لتعود في مالي بعد إذ خرجت بي لكم فقلنا لا حاجة لنا فيها فقال خذوها حلالًا قال فأبينا فقال يا
بني ودعا ابنًا له فجعل يصر بها صررًا ويبعث بها إلى القوم حتى فرغ منها فهذا كانت نيته إخراجها
لله عز وجل فلم يعد فيما أخرجه كما تقول فيمن أخرج رغيفًا إلى سائل أو أعد درهمًا لفقير فلم يصادفه
أنا نستحب أن لا يرجع إلى ملكه بل يعزله لسائل آخر وفقير آخر ولم يزل هذا من أخلاق المؤمنين وقد رأينا
من كان بهذا الوصف وهذا طريق قد عفا أثره ودرس خبره فمن عمل به فقد أحياه وأظهره وقد كان قديمًا

طريقا الى الله عز وجل عليه السابلة من الاولياء بيان آخر من احكام التوكل اعلم ان التوكل
على الله عز وجل في الاسباب لا يوجب بقاءها للعبد ولا ايثاره بها ولا حفظها عليه ولا يقدم شيئا عن
شيء ولا يؤخره لصلاح دنيا او اختيار عبد بل هو الى الاذهاب والاتلاف اقرب لان التوكل قرين
الزهد هكذا هو عند الخصوص ولاجل اختبار العبد وتحقيق صدقه محنة له ولاجل ان بقاء الشيء
نمو من الدنيا قال الله عز وجل وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا فان ذهب ماله فصبر او شكر
او رضي كان صادقا في توكله وهذه احوال المتوكلين ان كانوا صادقين وان جزع واضطرب كان كاذبا
في توهمه للتوكل ويلزمه من مجاهدة النفس عند اضطرابها بعد عدم الاشياء ما يلزمه من مجاهدتها
ونفي الآفات في سائر الاعمال فان حفظ عليه ماله فقد رفق به في ذلك وستر عليه عن كشف حقيقة حاله
بتلف ذلك وجعلت كرامة من الدنيا له ليطمئن بذلك في حاله ويسكن به قلبه في طريقه وهذا مقام الضعفاء
وان نقص من الدنيا فقد اقيم مقام اهل البلاء الامثل فالامثل بالانبياء ولولا الامتحان لكثر الصادقون
وكذلك التوكل على الله عز وجل في ترك الدواء لا يجلب العوافي ولا يعجلها ولا ينقص من الامراض ولا
يذهبها بل هو منها الى الازدياد اقرب للتمحيص والابتلاء ومنه قوله عز وجل وليمحص الله الذين آمنوا
ويمحق الكافرين فمن لم يشهد نقصان الدنيا من النفس والمال نعمة توجب عليه الشكر ويرى المنع عطاء
فقد جهل تلك النعمة باضاعة شكرها فما فاته من جهل النعمة وترك الشكر اعظم مما يدرك من جميع الدنيا
واخاف عليه لطيفة من المحق والمحق نقصان الشيء الى الذهاب جملة عند الكفر بنعمته لقوله عز وجل ويمحق
الكافرين والله اعلم اي شيء يمحقه وينقصه بمقدار ما كفر شكر نعمته وقد قال سبحانه وتعالى ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم ونعلم الصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال
والانفس والثمرات وبشر الصابرين فهذا النقص من هذه الخمس التي المزيد منها هو جملة الدنيا هو
المزيد من الآخرة لانها ضد الدنيا كما قال سبحانه وتعالى وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون بعد قوله وبشر الصابرين الى قوله عز وجل الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون فصبروا على مصائبهم
توكلا على ربهم بحسن ظنهم به وصبروا على توكلهم ليتم بذلك حالهم ويعلو فيه مقامهم فالصبر اول
مقام في التوكل وهو عند مشاهدة القضاء بلاء والشكر اعلى من ذلك وهو شهود البلاء نعمة والرضى
فوق ذلك كله وهو اعلى من التوكل وهو مقام المحبين من المتوكلين واهل العقل عن الله عز وجل والمتقون
لهم المتوكلون عليه قد ذهلهم فيما يفنى عن غيبه اياهم فيما يبقى حين فهموا الخطاب اذ هم اولو
الالباب وذلك انه اضاف ما عنده اليه ووصفه بالبقاء ليرغبوا فيه لانهم قد توكلوا عليه واضاف

ما عندهم اليهم ليزهدوا فيه ووصفه بالفناء لانهم قد زهدوا في نفوسهم اذ باعوها منه فكيف يتملكون
ما عندها والعبد وما له لسيده وهو سبحانه وتعالى قد اشتراهما منهم لرغبتهم فيه وعوضهم منهما ما
يبقى لهم فقال عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق بيان آخر في فضيلة المتوكل
اعلم يقينا ان الله سبحانه وتعالى لو جعل الخلائق كلهم من اهل السموات والارضين على علم اعلمهم به وعقل
اعقلهم عنه وحلم احكمهم عنده ثم زاد كل واحد من الخلائق مثل عدد جميعهم واضعافه علما وحكمة
وعقلا ثم كشف لهم العواقب واطلعهم على السرائر واعلمهم بواطن النعم وعرفهم دقائق العقوبات واوقفهم
على خفايا اللطف في الدنيا والآخرة ثم قال لهم دبروا الملك بما اعطيتكم من العلوم والعقول عن مشاهدتكم
عواقب الامور ثم اعانهم على ذلك وقواهم له لما زاد تدبيرهم على ما تراه من تدبير الله سبحانه وتعالى من الخير
والشر والنفع والضر جناح بعوضة ولا انقص جناح بعوضة ولا اوجبت العقول المكاشفات ولا العلوم
المشاهدات غير هذا التدبير ولا قضت بغير هذا التقدير الذي تعاينه وتتقلب فيه ولكن لا يبصرون
لانه عز وجل اجراه على ترتيب العقول وعلى معاني العرف والمعتاد من الامور وبالاسباب المعروفة والاوساط المشهورة
على معيار ما طبع العقول فيه وجبل المعقول عليه ثم غيب مع ذلك العواقب وحجب السرائر واخفى المثاوب
فغاب بغيبها حسن التدبير وجميل التقدير فجهل اكثر الناس الحكم الا المتوكلين وما يعقلها الا العالمون
بمثقال اصغر ما خلق الله عز وجل من الحيوان والموات البعوضة والخردلة وفي كل واحد منهما ثلثمائة وستون
حكمة ثم تتزايد الحكم في المخلوقات على قدر تفاوتها في العظم والمنافع مزيد آخر من البيان
لو تمنى اهل النهى من اولي الالباب نهاية الاماني فكونت امانيهم على ما تمنوا لكان رضاهم عن الله عز وجل
في تدبيره ومعرفتهم بحسن تقديره خيرا لهم من كون امانيهم وافضل لهم عند الله سبحانه وتعالى من قبل ان الله
عز وجل احكم الحاكمين وقد قال سبحانه وتعالى موبخا للانسان مجهلا للمتمني لقلة الايقان ام للانسان
ما تمنى فلله الآخرة والاولى ان يحكم فيهما بترك الاماني لانه قال عز وجل ولو اتبع الحق اهواءهم يعني امانيهم
لفسدت السموات والارض ومن فيهن فالمتوكل محب لله عز وجل فهو مسرور به فرح له بملكه بان له الآخرة
والاولى يحكم فيهما كيف يشاء والعبد عاجز لا يقدر على شيء فهذا اول مقام من المحبة فقد كفى
الخلائق هذا كله حسن تدبير الخالق العالم الخبير البصير وانما يحتاجون المعرفة بالحكمة ومشاهدة
الحكم والرحمة والى بصيرة ويقين يسكن معه قلوبهم ولا يختلف هذا الذي ذكرناه عند الموقنين وسيطلع
العموم على سر ما ذكرناه من لطيف التدبير وباطن التقدير وهو سر القدر ولطائف المقدر في الآخرة
عند المعاينة ووقت كشف الغطاء وظهور ما تحته من عجائب الحجب في السموات والارض وقد اطلع الله

على ذلك العلماء به في الدنيا وهو محمود مشكور على ما أظهر ولما أخفى ففي كل واحد منهما نعمة ومع كل وصف
منهما حكمة ورحمة ولكن قد خلق العلماء بأخلاقه فليس يكشفون من علمه إلا بقدر ما كشف عز وجل ولا يعرفون
من سر قدرته إلا بمعيار ما عرّف سبحانه وتعالى وقد سمعوا قوله عز وجل وإن من شيء إلا عندنا خزائنه
وما ننزله إلا بقدر معلوم فقد تأدبوا بهذا الخطاب ووقفوا عنده وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله
إذا أحطت الأشياء من فوق وجدت لها طعمًا آخر وقال بعض العباد من أخذ الأشياء كلها كشيء
واحد من معدن واحد رأيت ما لم تر قبل ذلك وسمعت ما لم تسمع وفهمت ما لم يفهم الخلق وقال بعضهم لا
ترى العجب حتى لا ترى عجبًا فإذا لم تر عجبًا رأيت العجب

بيان آخر من وصف المتوكلين

اعلم أن العلماء بالله سبحانه وتعالى لم يتوكلوا عليه لأجل أن يحفظ لهم دنياهم ولا لأجل تبليغهم مرادهم
ولا ليشترطوا عليه حسن القضاء بما يحبون ولا ليبدل لهم جريان أحكامه عما يكرهون ولا ليغير لهم
سابق مشيئته إلى ما يعقلون ولا ليحول عنهم سنته التي قد خلت في عباده من الابتلاء والاختبار
ولو اختلج في قلوبهم من ذلك وهم أعقل عنه وأعرف به من هذا لو اعتقد عارف بالله سبحانه وتعالى أحد هذه
المعاني مع الله سبحانه وتعالى في توكله كان كبيرة توجب عليه التوبة وكان توكله معصية وإنما أخذوا نفوسهم
بالصبر على أحكامه كيف جرت وطالبوا قلوبهم بالرضى عنه كيف أجرى قال رجل لمالك يا أبا عبد الله إني
تعلقت بأستار الكعبة فتبت من كل ذنب وحلفت أن لا أعصي الله عز وجل فيما أستقبل فقال له ويحك
ومن أعظم معصية منك تتألى على الله عز وجل أن لا ينفذ حكمه فيك وأنشدنا بعض العلماء لبعض
الحكماء ولما رأيت القضاء جاريًا بلا شك فيه ولا مرية توكلت حقًا على خالقي وألقيت نفسي مع جريه
وإنما كرهوا ما كره الله عز وجل طاعة لله عز وجل وحبًا له والتزامًا لحكمه عليهم لا كراهة ما قضى إذ ليس لهم
أن يقولوا لم قضيت ما تكره ولم كرهت ما قضيته هو أجل وأعظم وفي نفوسهم أخوف وأهيب أن يواجهوه
بهذا الخطاب في قول أو عقد كيف وقد سمعوه يقول وقوله الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون بل عرفوا
حكمته فيه وصبروا على حكمه به وإنما توكل العلماء عليه لأجل أنه يحب المتوكلين ولأجل أنه يستحق التفويض
إليه ويستوجب التسليم له إذ كان هو الوكيل الأول والكفيل الأجل حين سمعوه سبحانه وتعالى يقول والله على
كل شيء وكيل ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه وحين فهموا قوله عز وجل ومن أحسن
من الله حكمًا لقوم يوقنون ولما عقلوا من خطابه أليس الله بأحكم الحاكمين ولأجل أنه أمر بالتوكل وندب إليه
وحقق الإيمان به إذ سمعوه عز وجل يقول أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أمن يملك السمع والأبصار ومن
يدبر الأمر وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وفي السماء رزقكم وما توعدون ثم أقسم سبحانه وتعالى

عليه بنفسه أنه حق فتوكلوا عليه استحياء منه ولوجود اليقين الذي دفع خفايا الشك وحذرًا من التهمة له
وقوة ثقة بالاعتماد عليه فمنهم من توكل عليه لأجل هذه المعاني كلها ومنهم من توكل عليه لمشاهدة بعضها
فكل عبد توكله على الوصف الذي به عرفه وكل عرفه عن التجلي الذي عرّفه وكل يطيعه على قدر قربه منه
وكل يقرب على قدر علمه بقربه إليه وكل يعلم قربه منه بقدر ما يعرف من كيفية كينونته من كون كان له
وكل يعرفه ذلك بقدر عنايته به ومن وراء سر القدر فثم يرده كل عبد من مقامه وحاله عن لبسة
شهادته وجزاؤه نحو معاملته والله يضاعف لمن يشاء هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لهم دار
السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون فدار السلام جامعة لهم وهم متفاوتون في درجاتها كدار الدنيا
تجمعهم وهم لديه يرفعهم في ملكوتها بتخصيص التولي وحسن الولايات عن تخيير المعاملات الله يجتبي إليه من
يشاء ويهدي إليه من ينيب ومن الخصوص من توكل عليه تعظيمًا له وإجلالًا ومنهم من توكل عليه ثقة به
وتنزيهًا له عن سوء الظن تعالى ومنهم من توكل عليه يقينًا بوعده لتحقق صدقه كأنه قد أخذ الموعود
بيده إذ يقول ومن أوفى بعهده من الله إنه كان وعده مأتيًا ومنهم من توكل عليه حبًا له ومنهم من توكل
عليه استسلامًا لما شهد من قهر عزه وعظيم قدره ومنهم من توكل عليه خوفًا منه ومنهم من توكل
عليه لحسن ظنه به وصدق رجائه له ومنهم من توكل عليه ليحفظه فيما استحفظه ويعصمه فيما له عليه
ومنهم من توكل عليه لقيامه بمشاهدته عن حسن معرفته ومنهم من توكل عليه تسليمًا له عن جميل معاملته
ومنهم من فوض إليه لحسن تدبيره عنده ومحكم تقديره وكلهم توكل عليه لأن توحيده له وشهادة توحيده
يقتضي ذلك فهذه كانت مواجيد أوليائه ومناهج أحبائه عن مشاهدة القرب ومعرفة القريب وبعضها
أعلى مقامًا من بعض وبعض هذه المشاهدات أقرب وأرفع فأعلاها من توكل عليه للإجلال والتعظيم وأوسطها
من توكل عليه للمحبة والخوف وأدناها من توكل عليه تسليمًا له وتحببًا إليه وقد ذكرنا أيضًا من توكل
العموم ما يستحيي العارفون من ذكره وينزهون قلوبهم عن فكره وهو التوكل عليه في القوت وقد طوينا
ذكر توكل خصوص الخصوص من صديقي المقربين لأنه لا يحتمله عقل عاقل ولا يسع أن يستودع في كتاب
ناقل إذ ربما نظر فيه منكر جاهل والله المستعان فدخل من عرفه فيما يحب لأجله ورغب فيما مدح لوصفه
ليحصل لهم وصف يعطيهم به المولى حسن ثناء ينالون بذلك قربة منه ومحبة لديه

بيان آخر في التوكل وما لا ينقص المتوكل

ولا ينقص المتوكل على الله عز وجل مسألته مولاه ما أحب من صالح الدنيا
ومزيد الآخرة إذ لم يقصد غير مطلوبه وكان مفوضًا إلى الله عز وجل الأمور ولكن يحتاج إلى معرفة الإجابة
فقد يكون المنع إجابة وقربًا إذا كان العطاء شغلًا عنه وبعدًا لأن الخيرة فيما لا يعلم العبد

وقد يكون فيما تكره النفس مما يعلم الله عز وجل حسن عاقبته لا فيما يعقل العبد عاجل منفعته فعليه
التسليم لحكم الحاكم والرضى بقسم القاسم فإن سأل شيئا من الدنيا أو ما لا يحتاج إليه أو مما ليس فيه صلاح
قلبه ولا قربه إلى ربه تعالى أخرجه من حقيقة التوكل بمقدار ما يخرجه من الزهد وإن انقطع بالذكر عن
المسألة أعطي فوق عطاء جميع من سأله وإن سكت حياء من الوكيل إذ هو حسبه فشهد الكفاية ورضي
بجميع التصريف فهذا مقام من المواجهة عن مشاهدة القيومية وهو حال المقربين ولا يقدح في التوكل
تشرف المتوكل إلى رزقه لأنه خلق ضعيف ذو فاقة ورزقه معلوم لا بد منه والمعلوم مقسوم فتشرفه إلى القسم
تشرف منه إلى القاسم ومن تشرف إلى المولى شرفه وتولاه ولكن إن تشرف إلى الزيادة وخرج من القناعة
وطلب العادة أو أراد الشيء قبل وقته أو كره تأخره عنه الوقت بمقدوره فإن هذا يقدح في توكله وينقص
من زهده ولو كان التشرف إلى الرزق مبهما والتطلع إلى الرازق مجملا ينقص التوكل لعللنا من باع
واشترى وحملنا من تعالج من علله بالدوا لأن في ذلك تشرفا إلى الرزق وتطلعا إلى البرء فجاء من ذلك
تضعيف المشاعر وطعن على المتداوين من الصحابة والسلف الصالح وإخراجهم بذلك من التوكل والزهد
ولم ينهما مقامات ولا يخرجه من التوكل مطالعته للعوض على معاملته من جزاء الآخرة لأنه قد شوق
إلى ذلك وندب إليه ومن اشتاق إلى ما شوق إليه أو تطلع إلى ما وجه به لم ينقصه في مقامه وقد يكون
مزيدا على قدر حاله إلا أنه لا يدخله في إخلاص المحبين ولا يرفعه في درجات المقربين من العارفين
ولا يصح التوكل إلا بزهد في الدنيا فأول الزهد ترك الرغبة في الحرام وأول أحوال المتوكل التوكل في القوت
ثم الصبر للحي الذي لا يموت وأعلى التوكل التوكل عليه في الاستسلام للأحكام والرضى عنه في السابقة من
الأقدام وهو اطراح النفس ونسيانها شغلا بنفسه وحبا له وحقيقة التوكل بعد مشاهدة يد الوكيل
فإذا ظهرت يده غابت الأيدي فيها فعند ما توكلت عليه بما بيد منه فقيل توكلت واستسلمت إليه فسلمك
فإنه يتجلى لك بوصف يلزمك حكما يضطرك ذلك الحكم إلى الحاكم ويوقفك الوصف على الوكيل كما يضطرك
الحاكم إلى الحكم ويجري لك وعليك ما شاء من القسم فأصل توكلك عليه إشهاده إياك توكله لك بحسن
التدبير فلم يحلك إلى سواه فلم يولك إلا إياه فإما أن يقتضيك صبرا له وإما أن يقتضيك تفويضا إليه
وإما أن يقتضيك رضى عنه أو تسليما له أو استراحة من تدبيرك لنفسك فيسقط عنك اهتمامك
بتقديرك وأمانيك ومن يتوكل على الله فهو حسبه والحسب الحسيب يجعله ما شاء كيف شاء وقد قيل
فهو حسبه أي التوكل حسبه من سائر المقامات ثم قال معرفا للكافة مسليا للجماعة إن الله بالغ
أمره أي منفذ حكمه فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه إلا أن من توكل عليه يكون الله سبحانه وتعالى

حسبه أي تكفيه مهم الآخرة والدنيا وهو أعلى الوجهين ولا يزيد من لم يتوكل عليه جناح بعوضة في قسمه
كما لا ينقص من توكل عليه ذرة من رزقه لكن يزيد من توكل عليه هدى إلى هداه ويرفعه مقاما في اليقين
على تقواه ويعزه بعزه وينقص من لم يتوكل من اليقين ويزيده من التعب والهم ويشتت قلبه ويشغل
فكره والمتوكل عليه يوجب له تكفير السيئات ويلقي عليه رضاه ومحبته في المقامات والكفاية فقد ضمنها
سبحانه وتعالى لمن صدق في توكله عليه والوقاية فقد وهبها لمن أحسن تفويضه إليه إلا أن الاختيار
وعلم الاستيثار إليه في الكفاية والوقاية يجعل ذلك ما شاء كيف شاء وأين شاء ومتى شاء من أمور الآخرة والدنيا
ومن حيث يعلم العبد ومن حيث لا يعلم لأن العبد موجود تجري عليه الأحكام في الدارين وفقير محتاج إلى اللطف
والرحمة والرفق في الكائنين والله هو الغني الحميد وقيل لأبي محمد سهل رحمه الله متى يصح للعبد التوكل
فقال إذا علم أن تدبير مولاه له خير من تدبيره لنفسه وأن نظر مولاه له أحسن من نظره لنفسه فيترك
الفكر فيما كان والتمني لما يكون ويترك التدبير ولله عاقبة الأمور وهو على كل شيء مشكور آخر مقام التوكل

شرح مقام الرضى ووصف الراضين وهو المقام التاسع من مقامات اليقين الرضى عن
الله سبحانه وتعالى من أعلى مقامات اليقين وقد قال الله سبحانه وتعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان
فمن أحسن بالرضى عن الله عز وجل جازاه بالرضى عنه فقابل الرضى بالرضى وهذا غاية الجزاء ونهاية العطا
وهو قوله عز وجل رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد رفع الله عز وجل الرضى على جنات عدن وهي من أعلى الجنان
كما فضل الذكر على الصلاة فقال عز وجل ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر كما قال
إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والذكر عند الذاكرين المشاهدة فمشاهدة المذكور
في الصلاة أكبر من الصلاة وهذا أحد الوجهين من الآية والوجه الثاني ذكر الله عز وجل للعبد أكبر من ذكر العبد
لله سبحانه وتعالى وقال أبو عبد الله النباجي من عباد الله عز وجل خلق يستحيون من الصبر يتلقفون
مواقع أقداره بالرضى تلقفا وقد كان عمر بن عبد العزيز يقول أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القضا
فالراضون عن الله عز وجل هم الذاكرون لله سبحانه وتعالى بما يحب من رضى والرضوان الأكبر جزاء أهل الذكر
الأكبر وهذا أحد المعاني في قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته
أفضل ما أعطي السائلين أي الرضى عنه لأن السائلين سألوه لهم فأعطاهم العفو والذاكرون ذكروه
له فأعطاهم الرضى منه سبحانه وتعالى ويكون أيضا معناه أعطيته النظر إلي لأن الذكر يخرج إلى
النظر فقابل النظر إليه اليوم بالنظر إليه غدا كما واجه الوصف بالوصف في قوله عز وجل وجوه يومئذ
مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى لنا ربنا عز وجل ضاحكا والرضى

هو حال الموقن واليقين هو حقيقة الايمان والى هذا ندب النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس رضي الله عنه في
وصيته اذ قال اعمل لله عز وجل باليقين في الرضى فان لم يكن فان في الصبر خيرا كثيرا فرفعه الى اعلى المقامات
ثم رده الى اوسطها كذلك قال ابن عمر رضي الله عنه اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ندبه
الى المشاهدة وهو الاحسان لانه سئل صلى الله عليه وسلم ما الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه ثم رده
الى الصبر والمجاهدة وهو الايمان وهذا مكان العلم بان الله سبحانه وتعالى يراه وليس بعد هذا مكان يوصف وقد
رفع الله سبحانه وتعالى الرضى منه فوق ما اعطى من النظر ففي الخبر ان الله عز وجل يتجلى للمومنين فيقول
سلوني فيقولون رضاك فسوالهم الرضى بعد النظر تفضيل للرضى عظيم لان بالرضى دام لهم النظر فلما كان
الرضى موجب النظر سالوا دوام الرضى ليدوم القرب والنظر فسالوا تمام النعمة من حيث بدايتها ولا يصلح
ان يظهر معنى قولهم رضاك اكثر من هذا ولا يرسم في كتاب حقيقة الامر لانه عن كشف وصف من صفات
الذاتية موجب على العبد هيبة الربوبية وخوف هذا عن القلوب محجوب وحكمه من سائر الغيوب وهو في
الدنيا ثواب لاهل الخشية عن معرفة خاصية قال الله عز وجل رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه
وقال بعض المفسرين في قوله عز وجل ولدينا مزيد قال ياتي اهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند
رب العالمين سبحانه وتعالى احدها هدية من عند الله عز وجل ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله عز وجل
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فهو قوله سبحانه
وتعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله عز وجل اني عنكم راض فيكون ذلك افضل من
الهدية ومن التسليم فذلك قوله عز وجل ورضوان من الله اكبر اي اكبر من النعيم الذي هم فيه ، وروينا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مومنون فقال ما علامة ايمانكم
قالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضا فقال مومنون ورب الكعبة وفي خبر اخر
قال حكما علما كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء فما شهد لهم بالايمان الا بعد وصف الرضى وكذلك
جعل لقمان الحكيم عليه السلم الرضى من شرط الايمان لا يصلح الا به فقال في وصيته للايمان اربعة اركان
لا يصلح الا بهن كما لا يصلح الجسد الا باليدين والرجلين ذكر منها الرضى بقدر الله عز وجل وحدثونا
في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله عز وجل دهرا طويلا فاري في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة
فسال عنها الى ان وجدها واستضافها ثلاثا لينظر الى عملها فكان يبيت قايما وتبيت نايمة ويظل
صايما وتظل مفطرة فقال لها اما لك عمل غير ما رايت فقالت ما هو والله الا ما رايت لا اعرف غيره
فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصلة واحدة هي في ان كنت في شدة لم اتمن اني في رخاء

وان كنت في مرض لم اتمن اني في صحة وان كنت في الشمس لم اتمن اني في الظل قال فوضع العابد يده
على راسه وقال هذه خصلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد ، وقد روينا عن ابن مسعود
رضي الله عنه من رضي بما نزل من السماء الى الارض دخل الجنة وعن بعض السلف ان الله عز وجل اذا قضى
من السماء قضا احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه وقال ابو الدردا ذروة الايمان الصبر للحكم
والرضى بالقدر وروينا عن محمد بن خويطب عن النبي صلى الله عليه وسلم من خير ما اعطي الرجل الرضى بما قسم
الله عز وجل له وفي الخبر المشهور طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وفي مثله ايضا
من رضي من الله سبحانه وتعالى بالقليل من الرزق رضي الله عز وجل منه بالقليل من العمل وقد روينا
حديثا من طريق اهل البيت اذا احب الله عز وجل عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه
فالرضى عن الله سبحانه وتعالى والرحمة للخلق والنصيحة لهم وسلامة القلب وسخاوة النفس هو مقام الابدال
من الصديقين وقد روينا في اخبار موسى عليه وعلى سائر الانبياء السلام ان بني اسرائيل قالوا سل لنا
ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون
عني حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا الخبر المروي عن نبينا صلى الله عليه وسلم من احب ان يعلم ما له عند
الله عز وجل فلينظر ما لله سبحانه وتعالى عنده فان الله سبحانه وتعالى ينزل العبد منه بحيث انزله
العبد من نفسه قال الاستاذ الفقيه ابو القاسم حدثنا ابو بكر احمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي
لهذا الحديث يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد روينا حديثا حسنا عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني
عن انس يعني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة انبت الله عز وجل لطائفة من امتي
اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاوا فيقول لهم الملائكة هل
رايتم الحساب فيقولون ما راينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما راينا صراطا فيقال لهم
هل رايتم جهنم فيقولون ما راينا شيئا فتقول الملائكة من امة من انتم فيقولون من امة محمد فيقولون
نشدناكم الله حدثونا ما كانت اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله سبحانه وتعالى
هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحي ان نعصيه ونرضى
باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا ، وقد كان عالمنا ابو محمد رحمه الله يقول اعرف في الموتى
مقبرة عظيمة ينظرون الى منازلهم من الجنان في قبورهم ويغدى عليهم ويراح برزقهم من الجنة بكرة
وعشيا وهم في غموم وكروب في البرزخ لو قسمت على اهل البصرة لماتوا جميعا قيل وما كانت اعمالهم قال
كانوا مسلمين الا انه لم يكن لهم من التوكل ولا من الرضى نصيب وقد جا في فرض الرضى فعل الرسول
صلى الله عليه وسلم

أعطوا الله سبحانه وتعالى الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وقرن لقمان عليه السلم الرضى بالتوحيد
فقال في وصيته لابنه أوصيك بخصال تقربك الى الله عز وجل وتباعدك من سخطه الأولى تعبد الله سبحانه وتعالى
ولا تشرك به شيئا والثانية الرضى بقدر الله عز وجل فيما احببت او كرهت وقال في وصيته ومن يفوض
امره الى الله عز وجل ويرضى بقدر الله سبحانه وتعالى فقد اقام الايمان وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير واقام
الاخلاق الصالحة التي تصلح للعبد امره فمن الرضى سرور القلب بالمقدور في جميع الامور وطيب النفس
وسكونها في كل حال وطمانينة القلب عند كل مفزع من امور الدنيا وقناعة العبد بكل شيء واغتباط
بمقامه من ربه عز وجل وفرحه بقيام الله سبحانه وتعالى عليه واستسلام العقل للمولى في كل شيء ورضاه
منه بادنى شيء وتسليمه له الاحكام والقضايا باعتقاد حسن التدبير وكمال التقدير فيها وتسليم العبد
الى مولاه عز وجل ما في يديه رضى بحكمه عليه وان لا يشكو السيد الكريم الى العبد اللئيم ولا يتبرم بفعل
الحبيب سبحانه وتعالى ولا ينتقد في كل شيء احسن صنع القريب جل وعلا ومن الرضى عند اهل الرضى ان لا
يقول العبد هذا يوم شديد الحر ولا هذا يوم شديد البرد ولا يقول الفقر بلا ومحنة ولا العيال هم
وتعب ولا الاحتراف كد ومشقة ولا يعتقد بقلبه من ذلك ما لا يفوه به بل يرضى بالقلب ويسلم ويسكن
العقل ويستسلم بوجود حلاوة التدبير واستحسان محكم التقدير وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول
الفقر والغنى مطيتان ما ابالي ايهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنى فان فيه البذل
وروينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما ابالي على اي حال اصبحت وامسيت من شدة او رخاء وقال
ذات يوم لامراته عاتكة وقد غضبت والله لاسوءنك فقالت اتستطيع ان تصرفني عن الاسلام بعد ان
هداني الله عز وجل له قال لا قالت فباي شيء تسوءني اذا وقال جعفر بن سليمان قال سفيان الثوري
رحمهما الله عند رابعة العدوية اللهم ارض عنا فقالت اما تستحيي من الله عز وجل ان تساله الرضى
وانت عنه غير راض فقال استغفر الله قال جعفر فقلت لها متى يكون العبد راضيا عن الله عز وجل
فقالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول
اذا استوى عنده المنع والعطا فقد رضي عن الله عز وجل وفي اخبار داود صلى الله عليه وعلى سائر الانبيا
ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم وفي لفظ آخر يا داود محبتي من
اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون ايا كان والغم ولا تهتم للخبز وانت تريدني ويقال اكثر
الناس هما بالدنيا اكثرهم هما في الآخرة واقلهم هما بالدنيا اقلهم هما في الآخرة واعلم ان الفرح
بالدنيا يخرج هم الآخرة من القلب والغم على الدنيا يحجب عن الحزن على فوت الآخرة وذكر عند رابعة

رضي الله عنها عابد له عند الله عز وجل منزلة وكان قوته ما يتقمم من مزبلة لبعض ملوكهم فقال رجل عندها
فما يضر هذا اذا كان له منزلة ان يساله فيجعل قوته في غير هذا فقالت له اسكت يا بطال اما علمت ان
اولياء الله عز وجل هم ارضى عنه ان يتخيروا عليه ان ينقلهم من معيشة حتى يكون هو الذي يختار لهم وقد قال
ايضا اويس القرني رضي الله عنه مثل هذه القصة فيما رويناه عنه وقال احمد بن ابي الحواري قال لي ابو سليمان
الداراني رحمهما الله ان الله عز وجل من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذاك
قال اليس مراد العبيد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله عز وجل من عبيده ان يرضوا عنه
وقال الاعمش رحمه الله قال لي ابو وائل رحمه الله يا سليمان نعم الرب ربنا عز وجل لو اطعناه ما عصانا وقال
الله عز وجل في معناه ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يطيعهم ويستجيب لهم والاستجابة الطاعة
لقوله عز وجل فليستجيبوا لي فلما استجابوا له استجاب لهم اطاعوه فيما احب فاطاعهم فيما يحبون وهذا
احد وجهي الآية من قوله سبحانه وتعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وهو على تاويل من قرا هل يستطيع ربك قال
ابن عباس رضي الله عنه كان الحواريون اعلم بالله سبحانه وتعالى ان يشكوا ان الله عز وجل قادر على ذلك وانما معناه
هل يستطيع لك اي يطيعك ورويناه ايضا عن عائشة رضي الله عنها مثله وقد قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه
من اطاع الله عز وجل اطاعه كل شيء ومن خاف من الله عز وجل اخاف منه كل شيء وفي اخبار موسى صلى الله عليه وسلم
يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان رضاي في كرهك وانت لا تصبر على
ما تكره قال يا رب دلني عليه قال فان رضاي في رضاك بقضائي وقد روينا هذا على وجه آخر ان بني اسرائيل
سالوا موسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم فقالوا لو علمنا في اي شيء رضى ربنا عز وجل لفعلناه فاوحى الله
عز وجل اليه قل لهم رضاي ان ترضوا بقضائي وفي مناجاة موسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم اي رب
اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمني قال فاي خلقك انت عليه ساخط قال من يستخيرني
في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي وقد روينا اشد من هذا انه ان الله عز وجل قال انا الله لا اله الا انا
من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سواي ومثله في الشرة يقول الله عز وجل قدرت
المقادير ودبرت التدبير واحكمت الصنع فمن رضي فله الرضى مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني
حتى يلقاني وفي الخبر اول ما كتب الله عز وجل لموسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم اني انا الله لا اله الا انا
من رضي بحكمي واستسلم لقضائي وصبر على بلائي كتبته صديقا وحشرته مع الصديقين يوم القيامة
وروينا في الخبر المشهور بمعناه يقول الله عز وجل خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير
على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وروينا في الاخبار السالفة

مطلب مهم جدا

ان نبياً من الانبياء شكى الى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين كل ذلك لا ينظر في مسألته ثم
اوحى الله عز وجل اليه كم تشكو هكذا كان بدوك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا
سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اغير خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان
ابدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد وعزتي وجلالي لئن تخالج في
صدرك هذا مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة وروينا ان آدم صلى الله عليه وسلم كان بعض اولاده الصغار
يصعدون على جسمه وينزلون يجعل احدهم رجله على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد الى راسه ثم ينزل على اضلاعه
كذلك قال وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع راسه فقال له بعض ولده يا ابه الا ترى ما يصنع هذا بك
لو نهيته عن هذا فقال يا بني اني رايت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار
الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقاء فاخاف ان اتحرك حركة اخرى فيصيبني ما لا اعلم وروينا
في بعض الاخبار انه قال ان الله عز وجل ضمن لي ان حفظت لساني ان يردني الى الدار التي اخرجني منها وقال
ابو محمد سهل رحمه الله حظ الخلق من اليقين على قدر حظهم من الرضى وحظهم من الرضى على قدر عيشهم مع الله
عز وجل وروى عطية عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل بحكمته وجلاله جعل الروح
والفرح في الرضى واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط ومن الرضى ان لا يذم شيئاً مباحاً ولا يعيبه
اذ كان بقضاء مولاه العزيز مشاهداً للصانع في جميع الصنعة ناظراً الى اتقان الصنع والحكمة وان لم يخرج
ذلك على معيار المعقول والعادة وبعض العارفين يجعل هذه الاشياء في باب الحياء ومنهم من يقول هي من
حسن الخلق مع الله عز وجل ومنهم من جعلها من باب الادب بين يدي الله عز وجل واعظم من ذلك انها داخلة
في باب قلة الحياء ويصلح ان يكون هذا احد معاني الخبر الذي جاء قلة الحياء كفر يعني كفر النعمة بان يذم
ويعيب بعض ما انعم الله عز وجل به عليه من الارفاق والالطاف اذ كان فيها تقصير عن تمام مثلها او كانت مخالفة
لهواه فيكون ذلك كفراً للنعمة وقلة حياء العبد من المنعم اذ قد امره بالشكر على ذلك فبدله كفراً لان احداً لو
اصطنع لك طعاماً فعبته وذممته لكره ذلك منك فكذلك الله سبحانه وتعالى يكره ذلك منك وهذا داخل في
معرفة معاني الصفات وفي معنى ما قيل اعرفكم بربه اعرفكم بنفسه لانك اذا عرفت صفات نفسك في معاملة
الخلق عرفت منها صفات خالقك وبعض الراضين يجعل ذم الاشياء وعيبها بمنزلة الغيبة لصانعها لانها
صنعه ونتاج خلقه ونفاذ علمه وحكم تدبيره وهو احكم الحاكمين وخير الرازقين واحسن الخالقين له في كل شيء
حكمة بالغة وفي كل صنعة صنع متقن لانك اذا عبت صنعة احد وذممتها سرى ذلك الى الصانع لانه كذلك
صنعها وعن حكمته اظهرها اذ كانت الصنعة مجعولة لم تصنع نفسها ولا صنع لها في خلقتها وقد كان الورعون

لا يعيبون صنعة عبد كراهة الغيبة وذلك ان الراضي عن الله عز وجل متأدب بين يديه يستحيي ان يعارضه
في داره او يعترض عليه في حكمه فصاحب الدار يصنع في داره بحكمه ما شاء ويامر في خلقه كيف شاء والحاكم يحكم
بامره كيف شاء والعبد راض بصنع سيده مسلم لحكم حاكمه كيف وهو يرى بعين نفسه ان الصنعة بيد صانعها
فهو يقلبها بيده ويصرفها على معاني نظره وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ما عاب طعاماً قط
ان اشتهى اكله والا تركه وقال انس بن مالك رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ليس
كل امري كما يريد صاحبي فما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله الا فعلته ولا قال في شيء كان ليته
لم يكن ولا لشيء لم يكن ليته كان وكان يقول صلى الله عليه وسلم لو قضي شيء لكان وفي بعض اخباره فان خاصمني
مخاصم قال دعه لو قضي شيء لكان هذا لفظ ثلاثة احاديث وهذا وصف الراضي الموقن القائم بشهادته
وقد رويت لفظة مجملة في شيئين متضادين ما بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة قضيت او لم تقض
الا قال لو قضي شيء لكان فهذا اذا كان اللفظ راجعاً على الوصفين فالمعنى فيما قضي ايضاً اي لو قضي ان
لا يقضى لم يقض فاستوى عنده في القضاء ما قضي لانه قد قضي ان يقضى وما لم يقض لانه لم يسبق فيه القضاء
وقد يصلح في هذا الوجه ان لكل حاجة تقديراً في النفس ان تكون على صفة فيها وان قضيت الا انها على
غير ما قدر فقال لو قضي ذلك لكان فان كان اللفظ عائداً على ما لم يقض وحده لان ما قضي قد ظهر وبان
بلا مسالة فيكون هذا بمعنى قوله في قصة ذي اليدين لما قيل له اقصرت الصلاة ام نسيت فقال كل ذلك
لم يكن وقد كان احدهما وهو النسيان وهذا ايضاً فيه لطيفة يحتملها التاويل ان يريد كل ذلك بمجموعهما
لم يكن فهذا يرجع بمعنى قوله فيما قضي او لم يقض لو قضي لكان رفع معنى القضاء عليها ان ما قضي ايضاً كانه
قد قضي ان يقضى اي فلو لم يكن قضي ان يقضى لم يقض وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضى بما قضي
كيف قضي على ما تصوره الوهم او بخلافه ويرضى بما لم يقض لانه لم يقض في علم الله عز وجل فصار القضاء
فيهما سواء فينبغي ان يكون الرضى بهما سواء فالنظر في هذه الدقائق والوقوف عندها رفع القوم عند الله عز وجل
الى مقام المقربين وبالتهاون بها والغفلة ثقلت القلوب ففسدت حتى لم تصلح للمحبة والرضى وهذه المعاني
من الاعراض عنها والتخيير هو تقدم بين يدي الله عز وجل وهو التدبير الذي يشير اليه سهل رحمه الله في قوله
ان تدبير الخلق حجبهم عن الله عز وجل وحكي لنا ان بعضهم صحب بعض العارفين في طريق فعبث بشيء
فنحاه من مكان الى مكان آخر فقال له العارف ما ذا صنعت احدثت في الملك حدثاً عن غير ضرورة ولا سنة
لا تصحبني ابداً فلو لم يكن لنا من الذنوب الا هذه الاشياء لقد كان كافياً وفوق ذلك تهاوننا بها
واعظم من ذلك ترك التوبة والاستغفار منها واعمال طلاب الرضى من الله عز وجل مضاعفة على اعمال

المجاهدين في سبيل الله سبحانه وتعالى لان اعمال المجاهدين تضاعف الى سبعمائة ضعف وتضعيف طالبي الرضى لا يحصى قال الله عز وجل والله يضاعف لمن يشاء وقال سبحانه وتعالى فيضاعفه له اضعافا كثيرة قيل الحسنة الى الفي الف حسنة وقد قال سبحانه وتعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم قال عز وجل وهو اصدق القائلين ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة فكم في هذه الجنة من سنبلة وحبة فهؤلاء هم الذين قال الله عز وجل والله يضاعف لمن يشاء هم اهل الرضى عنه وهم الذين اقرضوا الله قرضا حسنا الجليل فيضاعف لهم اضعافا كثيرة وهم الذين يغفر لهم لا محالة دخلوا في قوله عز وجل يغفر لمن يشاء فمن عقل عن الله تعالى حكمته كان مع الله عز وجل فيما حكم مسلما له ما شهد لانه سبحانه وتعالى باختياره انشا الاشيا وبمشيئته ابتداها وعنه يتصرف المقدور واليه عواقب الامور لا يكون مع نفسه فيما يهوى ولا مع معتاده وعرفه فيما يفعل وقال بعض العارفين قد نلت من كل مقام حالا الا الرضى فما لي منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلائق كلهم الجنة وادخلني النار لكنت بذلك راضيا وقيل لعارف فوقه قد نلت غاية الرضى عنه فقال الغاية لا ولكن مقام من الرضى قد نلته لو جعلني جسرا على جهنم يعبر الخلائق علي الى الجنة ثم ملا بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وحدثونا عن الروذباري رحمه الله قال قلت لابي عبد الله بن الجلا الدمشقي رحمه الله قول فلان وددت ان جسدي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق اطاعوه ما معناه فقال يا هذا ان كان من طريق الاشفاق على الخلق والنصح فاعرف وان كان من طريق التعظيم والاجلال فلا اعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن حصين رحمه الله استسقى بطنه فلبث ملقى على ظهره ثلثين سنة سطيحا لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لغائطه وبوله فدخل عليه مطرف واخو العلا رحمهما الله فجعل يبكي لما يرى من حاله فقال لم تبكي قال لاني اراك على هذه الحال العظيمة قال لا تبك فان احبه الي احبه الى الله سبحانه وتعالى ثم قال احدثك شيئا لعل الله عز وجل ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملائكة عليهم السلام تزورني فانس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها اراد عمران بن حصين رحمه الله بذلك ان يبشرهم انه كان قد حزن عليه واراد ان يعلمه ان هذا البلاء ليس بعقوبة لان فيه مثل هذه الآية انما هو كرامة ورحمة وذلك ان بلاء العقوبات لا يكون معه الآيات ولا توجد عنده الحلاوات ولا مزيد القلوب من نسيم ريحان الغيوب ولا تذكر الطيب ولا اشتياق الحبيب قال ودخلنا على سويد بن شعبة نعوده فراينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شي حتى كشف فقالت له امراته اهلي فداك ما نطعمك

ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقف واصبحت نضوا لا اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما ثم قال ما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر واعتل حذيفة علة الموت فجعل يقول اخنقني خناقك فوعزتك انك لتعلم اني احبك فلما حضره الموت جعل يقول حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم وروي ايضا مثل هذا عن ابي هريرة وقد انشد

من اراد الطبيب سرا اذا اعتل اشتياقا الى لقاء الطبيب ... يا حبيبا بذكره نتداوى وصفوه لكل داء عجيب

من اراد الحبيب سار اليه وجفا الاهل دونه والقريب ... ليس داء المحب داء يداوى انما برؤه لقاء الحبيب

ولما قدم سعد بن ابي وقاص الى مكة وكان قد كف بصره جاء الناس يهرعون اليه كل واحد يساله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال عبد الله بن السائب فاتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال انت قارئ اهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم انت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عز وجل عليك بصرك فتبسم ثم قال يا بني قضاء الله سبحانه وتعالى عندي احسن من بصري ويقال ان بعض هذه الطائفة من الصوفية ضاع ولده وكان صغيرا ثلاثة ايام لا يعرف له خبرا فقيل له لو سالت الله عز وجل ان يرده عليك فقال اعتراضي فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي وقد روينا عن بعض العباد انه قال اذنبت ذنبا عظيما فانا ابكي عليه منذ ثلثين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله عز وجل ليته لم يقضه وحدثونا عن بشر الحافي رحمه الله قال رايت بعبادان رجلا قد قطعه البلاء وقد سالت حدقتاه على خديه وهو في ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله عز وجل قال فاذا هو قد صرع من جنة به قال فوضعت راسه في حجري وجعلت اسال الله عز وجل كشف ما به وادعو له فافاق فسمع دعائي فقال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي ويعترض عليه في نعمه علي قال فنحى راسه عن حجري قال بشر فاعتقدت ان لا اعترض على عبد في نعمة اراها عليه من البلاء وقيل لعبد الواحد بن زيد ها هنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصوم والصلاة قال نعم قال لولا اني استحيي منك اخبرتك ان معاملتك خمسين سنة مدخولة اراد بذلك انه لم يقربك فيجعلك في مقام المقربين فيكون مزيدك لديه اعمال القلوب كما يصنع باوليائه انما انت عنده في طبقة اصحاب اليمين فمزيدك منه مزيد العموم

م

من اعمال الجوارح وقد يكون الرجل مخلصا في مقامه وان كان فوقه فوق وقد روينا عن مجمع بن وكان
من عباد اهل الشام وعلمائهم كلمة غريبة المعنى دقيقة في معنى المخالقة لله عز وجل وان كان قد فسرها
فانه لم يكشف معناها لفهم السامعين منه والحاضرين عنده فيحتاج تفسيرها الى تفسير روينا عنه
انه قال كلكم يلقى الله عز وجل ولعله قد كذبه وذلك ان احدكم لو كان له اصبع من ذهب ظل
يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها يعني بذلك ان الذهب من زينة الدنيا وقد ذم الله عز وجل
الدنيا وان البلاء زينة اهل الآخرة وقد مدح الله عز وجل الآخرة اي فانت اذا اعطاك زينة الدنيا التي
ذمها عندك اظهرتها وفخرت بها واذا اعطاك زينة الآخرة التي مدحها عندك وهو المصائب والبلاء
والفقر كرهتها واخفيتها لئلا تعاب بذلك فتحسب عليه حب الدنيا والغنى والتزين به وكراهة البلاء
والفقر فتكذبا لله تعالى وردا عليه ما وصفه وهذا يدخل في باب الزهد وفي الرضى ويدخل على من اخفى
الفقر والبلاء حيا من الناس لئلا يعاب بذلك فهو من ضعف يقينه بقوة شاهد الخلق ويدخل فيه
من اظهر الغنى من غير نية ولا تحدث بنعمة الله عز وجل فذلك ايضا من قوة شاهد حب الدنيا ومن
الناس من كان يقدم سليمان بن ابي سليمان الداراني على ابيه وكان عارفا فقال من تورع في كل
شي فقد بلغ حد الورع ومن زهد في كل شي فقد بلغ حد الزهد ومن رضي عن الله عز وجل في كل
شي فقد بلغ حد الرضى وانما قال هذا كالرد على ابيه لما قال بلاث مقامات لا حد لها الزهد
والورع والرضى ولا ينقص الراضي في مقام الرضى مسألة مولاه عز وجل مزيد الآخرة وصلاح دنياه
تعبدا لله سبحانه وتعالى بذلك وافتقارا اليه في كل شي الا ان في ذلك رضاه ومقتضى تمدحه بمسألة
الخلايق له فان صرف مسألته الى طلب النصيب من المولى وابتغا القرب منه حبا له واثره على ما سواه
كان فاضلا في ذلك لانه قد رد قلبه اليه وجمع همه بذلك في هذا مقام المقربين وهو على قدر مشاهدة الراضي
عن معرفته ومقتضى حاله لانه يسأل عن عمله بعلمه في وقت من احواله كما يسأل عن جملة اعماله بعلومه
في مدة عمره وهذا اصل فاعرفه فعليه عمل العاملون وهو طريق العارفين من السلف فلم يكن يحضرهم
عندهم خلاف من خالفهم وان كان دعاؤه مجيدا لسيده وثنا عليه شغلا بذكره ونسيانا لغيره ووله
بحبه لا يستوجب ذلك بوصفه ولانه لا يجب عليه فقد استغرقه ووجب عليه عما له فهذا افضل وهو
مقام المحبين وهو من القيام بشهادته وقد دخل فيما ذكرناه من مقتضى حاله بالعمل بعلمه في وقته
وللعلماء مسألة قد اختلفوا فيها في اهل مقامات ثلثة ايهم افضل عبد يحب الموت شوقا الى لقاء الله
عز وجل وعبد يحب البقاء للمعاملة والخدمة للمولى عز وجل وعبد قال لا اختار شيئا بل ارضى بما يختار

لي مولاي عز وجل ان شاء احياني ابدا وان شاء اماتني غدا قال فتحاكموا الى بعض العارفين فقال صاحب الرضى
افضلهم لانه اقلهم فضولا وهذا كما قال في الاعتبار بترك الاعراض والاختيار لانه دخل في الدار بغير اختيار
فكذلك ينبغي ان يكون خروجه منها على معنى دخوله بلا اختيار ولان مقام الرضى اعلى من مقام الشوق ثم الذي
يليه في الفضل الذي يحب الموت شوقا الى اللقاء وهذا المقام في المحبة وهو حقيقة الزهد في الحيوة وقد جاء
في الخبر من احب لقاء الله سبحانه وتعالى احب الله عز وجل لقاه والذي يحب البقاء للخدمة وكثرة المعاملة
هو فاضل بعد هذين مقامه قوة الرجاء وحسن الظن في العصمة وله ايضا مطالعات من الانس وملاحظات
في القرب به طاب مقامه وسكنت نفسه وقصرت عليه ايامه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل
المومنين ايمانا من طال عمره وحسن عمله وهذا لان الاعمال مقتضى الايمان اذ حقيقة الايمان انما هو قول
وعمل وليس بعد هولاء مقام يفرح به ولا يغبط عليه صاحبه ولا يوصف بمدح انما هو حب البقاء لمتعة
النفس وموافقة الهوى وقد تشرف النفس على الضعفاء من اهل هذا الطريق وتخفى فيها علة وهو ان يحب
البقاء لاجل النفس وللمتعة بروح الدنيا وما طبعت عليه من حب الحيوة وتكره الموت لمنافرة الطبع
فتتوهم انه ممن يحب البقاء لاجل الله تعالى ولاجل طاعته ورضى منه وهذا من الشهوة الخفية التي لا
يخرجها الا حقيقة الزهد في الدنيا ولا يفصل في هذا الطريق الثالث الا عارف زاهد دائم المشاهدة باليقين
فاما المعتل بوصفه وهواه فليس يقع به اعتبار في طريق ولا مقام وقد كان اجتمع ذات يوم وهيب
وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط فقال الثوري رحمه الله قد كنت اكره موت الفجاة قبل اليوم
فاما اليوم فوددت اني مت فقال له يوسف بن اسباط ولم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف
لكني لا اكره طول البقاء فقال الثوري ولم تكره الموت قال لعلي اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا
فقيل لوهيب رضي الله عنه اي شي تقول انت فقال انا لا اختار شيئا احب ذلك الي احبه الى الله عز وجل
قال فقبل الثوري بين عينيه فقال روحانية ورب الكعبة يعني مقام الروحانيين وهم المقربون اهل
الروح والريحان فهم ذوو المحبة لله عز وجل والرضوان كما قال عز وجل فاما ان كان من المقربين فروح
وريحان يعني لهم روح من نسيم القرب وريحان من طيب الحب وايضا انه سبحانه وتعالى لما ذكر ان
لاصحاب اليمين من كل شدة وهول سلامة وكان المقربون هم الاعلون كان ايضا فيما دل الفهم عليه
ان للمقربين من كل هول روحا به لشهادتهم القرب وفي كل كرب ريحانا منه لقرب الحبيب فبذلك علوا
ولذلك فضلوا وكان بعض هذه الطايفة يقول سر العارف في الاشياء واقفة مثل الماء في البير لا يختار
المقام وان اخرج خرج ومثل لسان الميزان في وقوفه واعتداله بين كفتين انهما امالته مال به وقال آخر

قلبي مثل الماء يسخن ثم يبرد اي لا يقف على وصف بمعنى ما قيل في صفة العامل صحة اعتبار وتقضي
اوطار فان ذم هذا الراضي ما ذمه الله عز وجل او كره ما كره لم ينقص ذلك رضاه وكان محسنا في فعله
لموافقته مولاه وان لم يرض بحال نقص في الدين والآخرة او كره مزيد الدنيا من الجمع والكثرة لم يقدح ذلك
في رضاه لانه من التحقق بالزهد وهو في جميع ذلك موافق للعلم والله سبحانه وتعالى اعلم باحكامه من العبيد
واغير على نفسه من الغير واعلى شاهد من الخلق له المثل الاعلى فهو على ذلك يشهد احكامه ويتم الحكم
عليه اذا تعدى حدود امره وينفذ علمه بمشيته ويمقت العاصين له بالاجترا نهيه حكمة منه وعدلا
كما انه يشهد يده في العطاء ويمدح المتقين ويمضي ارادته بالقضاء بتوفيقه ويشكر العاملين كرما منه
وفضلا ومحنة منه وابتلاء كذلك الراضي عنه موافق له فيما حكم ومتبع له فيما رسم ومسلم له ما قدر وعارف
به راض بما دبر ومستعمل لما شرع ومواطئ لرسوله فيما سن متخلق باخلاق مولاه عز وجل بما لحظه
به وتولاه سالك منهاج رسوله يذم ما يذمه المولى والرسول ويمدح ما مدحه العلم وقد دل عليه الاصول
وذلك كله لاجل المولى ولانه لرسوله اتبع لا لاجل ما ضر او نفع والتحدث بالاوجاع والاخبار عن المصائب
لا ينقص حال الراضي اذا راى انها نعمة من الله عز وجل عليه وشكر الله عز وجل عليها وكان القلب مسلما غير
متسخط ولا متبرم بمر القضا واول الرضى الصبر ثم القناعة ثم الزهد ثم المحبة ثم التوكل فالرضى
حينئذ حال المتوكل والتوكل هو مقام الراضي والرضى حال المحب والمحبة مقام الراضي وقال الفضيل بن
عياض رحمه الله اذا استوى المنع والعطا عند العبد فهو الرضى وقال غيره اذا لم يختلف قلبه في العدم
والوجود وفي الصحة والسقم فقد رضي وكان الثوري يقول منع الله سبحانه وتعالى عطا لانه يمنع من
غير بخل ولا عدم فمنعه اختيار وحسن نظر وهذا كما قال وهي مشاهدة الراضي لان حقيقة المنع انما
يكون لمن له عنده شي فمنعك او تستحق عليه شيا فلم يعطك فاما من لا تستحق عليه شيا ولا لك
معه شي لانه هو الاول قبل كل شي والمظهر لكل شي والمالك لما اظهر والمختار لما خلق وليس لاحد من
خلقه اختيار ولا في حكمه اشتراك له الخلق والامر لا يشرك في حكمه احدا والعبد لم يكن شيا مذكورا وكل
شي اختاره فهو عطا منه على تفاوت مقادير وضروب احكام وتصاريف تدبير حلو ومر ولطف وعنف
وشدة ورخا موافقة للنفس ومرافق ومخالفة لما تهوى مما لا تطبعها موافق فالصبر على الاحكام مقام
المومنين والرضى بها مقام الموقنين ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون واصبر حتى يحكم الله وهو
خير الحاكمين واعلم ان الرضى من مقامات اليقين واحوال المحبين ومشاهدة المتوكلين وهذا داخل في كل افعال
الله سبحانه وتعالى لانها عن قضائه لا يكون في ملكه الا ما قضاه فعلى العارفين به الرضى بالقضا ثم يرد
ذلك

الى تفصيل العلم وترتيب الاحكام فما كان من خير وبر امر به او ندب اليه رضي به العبد واحبه شرعا
وفعلا ووجب عليه الشكر وما كان من شر نهى عنه وتهدد عليه فعلى العبد ان يرضى به عدلا وقدرا وتسليما
لمولاه حكمة وحكما وعليه ان يصبر عنه ويقر به ذنبا ويعترف به لنفسه ظلما ويرضى بعود الاحكام
عليه بالعقاب وانه اجترحه بجوارحه اكتسابا ويرضى بان لله عز وجل الحجة البالغة عليه وان لا عذر له فيه
ويرضى بانه في مشيئة الله عز وجل من عفو عنه برحمته وكرمه ان شا او عقوبة له بعدله وحقه ان شا
لان الموقنين والمحبين لا يسقطون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا ينكرون انكار المعاصي وكراهتها
بالالسنة والقلوب من قبل ان الايمان فرضها والشرع ورد بها ولان الحبيب كرهها فكانوا معه فيما كره
كما كانوا معه فيما احب ومقام اليقين لا يسقط فرائض الايمان ومشاهدة التوحيد لا تبطل شرائع الرسول
صلى الله عليه وسلم ولا تسقط اتباعه فمن زعم ذلك فقد افترى على الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
وكذب على الموقنين والمحبين الم تر ان الله سبحانه وتعالى ذم قوما رضوا بالدنيا ورضوا بالمعاصي ورضوا
بالتخلف عن السوابق فقال سبحانه وتعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها فذمهم بذلك وقال عز وجل
ولتصغى اليه افئدة الذين لا يومنون بالآخرة وليرضوه فعابهم به وقال عز وجل رضوا بان يكونوا مع الخوالف
وطبع على قلوبهم يعني مع النساء في القعود عن القيام بالجهاد وهو جمع التانيث فمن رضي بالمعاصي والمناكير
منه او من غيره واحب لاجلها ووالى ونصر عليها او ادعى ان ذلك يدخل في مقام الرضى الذي يجازى عليه
بالرضى او انه حال الراضين الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى ومدحهم فهو مع هولاء الذين ذمهم الله
سبحانه وتعالى ومقتهم وفي الخبر من شهد منكرا فرضي به فكانه قد فعله وفي الحديث الدال على الشر
كفاعله وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر فاعله قيل
وكيف ذاك قال يبلغه فيرضى به وقد جا في الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب
كان شريكه في قتله وقد روينا حديثا حسنا عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق مرسل من نظر الى
من فوقه في الدين والى من دونه في الدنيا كتبه الله عز وجل صابرا شاكرا ومن نظر الى من دونه في الدين
ومن فوقه في الدنيا لم يكتبه الله عز وجل صابرا ولا شاكرا ففي هذا الحديث اربعة معان حسان اذا
تدبرها العبد وتفكر فيها لم يعدم ان يرى اهلها لانه لا يخلو ان يرى بعينه او بقلبه عن معرفته
بسيرة المتقدمين فيرى من فوقه في باب الدنيا فيشكر الله سبحانه وتعالى على حاله ويقنع منه برزقه
فيكون صابرا شاكرا بمعرفة ما قنع به ورضي باختياره ما صرف عنه من الفضول وزوى عنه من الحساب
الطويل ولا يخلو ان يرى من فوقه في امر الدين من العاملين والعالمين والزاهدين فيسارع الى ذلك

ويسابق وينافس فيه اذ قد ندب الى ذلك فيكون حضا له وحثا على افتعال الخيرات واعمال الصالحات
واقل ما يفيده ذلك الازرا على نفسه والمقت لها في تقصيره ثم ينظر في الامرين الآخرين من وجه آخر فلا
يخلو ان يرى من هو دونه في امر الدنيا من ذوي الفاقات والحاجات فيحمد الله سبحانه وتعالى على تفضيله
عليه وحسن صونه له ويشكر نعمته لفضل احسانه وكفايته له ويجد ايضا في المعنى الآخر من هو دونه
في امر الدين من الفجرة والظالمين واهل البدع والزائغين فيفرح بفضل الله سبحانه وتعالى ورحمته ويشكر
الله عز وجل على حسن اسلامه وجميل معافاته مما ابتلى به غيره فيكون ايضا صابرا شاكرا فيكون للعبد في
هذه الطبقات من الناس اربع معاملات بما وهب الله عز وجل له من البصيرة والاعتبار ويشهد لما ذكرناه
الخبر الآخر لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل آتاه
الله عز وجل مالا فسلطه على هلكته في الحق ورويناه بلفظ آخر ورجل آتاه الله عز وجل القرآن فهو يقوم
به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله سبحانه وتعالى مثل ما آتى هذا لفعلت كما فعل فندب صلى الله
عليه وسلم الى الحسد في اعمال البر وفضل الحاسد على ذلك لان الله سبحانه وتعالى ندب الى التنافس في اعمال
الخير فمن حسد على هذه الثلاث ونحوها للغبطة بها والطلب لها لم يخرجه ذلك من الرضى وكان له مزيدا بعد
ان لا يحب زوالها عن اهلها ولا نقصهم منها ولا ان لا يذكروا بها ولا يحبها هو ايضا ليذكر كما ذكروا
او يمدح كما مدحوا فهذه المعاني آفات هذه الفضائل ولكل شيء آفة من وقيها حصلت له الفضيلة
ومن وقع فيها فحسبه ما غنم خير له لانه اسلم ولا فضل الا بعد حوز السلامة وقد غلط في باب الرضى بعض
البطالين من المتاخرين ممن لا علم له ولا يقين فحمل الرضى على جميع ما يكون منه من معصية وهوى بجهله
بالتفصيل وقلة فقهه بعلم التاويل واتباعه ما تشابه من التنزيل طلبا للفتنة وغربة الحال وابتداعا
في القول والفعال او هواه في العصيان والفسوق فاراد ان يقيم بذلك عند الجاهلين سوق معذرة له وتطريقا
اليه فلو عصم من الهوى لاستراح ولو زهد في الدنيا لاراح ولو كان علمه التاويل الله الفتاح العليم
لافلح ولعلم الناس من علمه فربح واربح وانى له بذلك والهوى يغلبه والبلا المقصود به يغمره
وانما يعلم التاويل منزل التنزيل الم تسمع الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه
التاويل وبطلان قول هذا عند العلماء اوضح من ان يدل على فساده فيكفونا مناظرته بطرده وابعاده
والاشتغال بالبطالين بطالة لان اوقاته قد ضاعت فيضيع وقت غيره بذكرها وانما الرضى فيما كان
لله عز وجل به رضى من غير مخالفة للامر مثل نقص الدنيا ونقص الاموال والانفس من الاهل والولد وفيما
على النفس فيه مشقة ولها منه كراهة وفيما كان مزيدا في الآخرة مما لا عقوبة فيه من الله سبحانه وتعالى

ولا وعيد عليه ولا ذم لفاعله وفيما انفرد الله سبحانه وتعالى بصنعه به من غير ان تدخل صنعته
فيه او توبخ النفس عليه فيد الله سبحانه وتعالى مباركة اذا اخرجت منها نفوس الخلق المشوهة ثوب عباده
وآخرتهم فان ادخل نفوسهم في حكمه او جعل ايديهم في يده انقلبت الاحكام عليهم وتحول الشر والضر
اليهم فطالبهم بذلك وعاقبهم ثم يغفر بعد ذلك لمن يشا منهم ان هذا لهو البلاء المبين ومحنة المحبين
والراضين فتبينوا ويحتج ايضا بطال لبخله وقلة مواساته وبذله او يعتل لاتساعه في امر الدنيا
واستيثاره على الفقرا ان الذي يمنعه من البذل والايثار او الزهد فيما في يديه والاخراج رضاه بحاله
وقلة اعتراضه على مجريه فيه وان هذا من مقام الرضى خص به عند نفسه فهذا قول لاعب ذي هوى وهو
من خدع النفوس وامانيها ومن غرور العدو ومكايده لان الرضى لا يمنع من اختيار الفقر والضيقة لمعرفة
الراضي بفضل الزهد ولحب مولاه عز وجل الفقر ولمقته على التكاثر فالرضى لا يامر بالاستيثار والاتساع
لما كره من النعمة والاستكثار لان الرضى يامر بما امر الايمان به اذ كان مقاما فيه فهو لا يوقف عما ندب
اليه العبد ولا يدخل فيما كره له من فضول الدنيا انما يوقف عن هذا غلبة الهوى ويدخل فيه حب الدنيا ويامر به
النفس الامارة بالسوء ويوسوس به العدو بالهمز والخطر وهذه مذمومات فاحالها بجهله على الرضى
وهذا اعتذار من النفس لها وتمويه على الخلق ليسلم منهم ولا عذر له بهذا عند مالكه ولا سلامة له فيه من
خالقه عز وجل ولا مقام له في الرضى عند العلما من اهل الرضى وفصل الخطاب لاولي الالباب ان الرضى
لا يصح الا فيما يحسن الصبر عليه او الشكر عليه لان الرضى مقام من الصبر هو فوقه وحال من الشكر
هو يستوفيه فهو مزيد للصابرين والشاكرين الا ان يكون رضى العقود وهو تسليم الاحكام للراضي فيرضى
بالذم والنقص والشر من حكمه ويعترف انه عدل في حكمه فهذا منوط بعروة الايمان وهو من فرض السنة
ليس من رضى المحبين ولا المتوكلين في شيء فاما ان يكون العبد على نقصان من الدين وفي مزيد من الدنيا
ثم يرضى بحاله فرضاه بحاله شر من اعماله المخالفة للامر قال الله سبحانه وتعالى اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة وقال عز وجل يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب وقال سبحانه وتعالى سابقوا الى
مغفرة من ربكم وقال عز وجل سارعوا الى مغفرة من ربكم وقال تبارك وتعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
وقال جلت قدرته يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون فندب الى المسارعة والسباق وذم التخلف
عنها والتثبط بما حبس وعاق فعلى هذا طريق المؤمنين وفيه مقامات الموقنين وانما كان سبب ترك سري
السقطي رحمه الله عليه السوق وزهده في الدنيا قوله الحمد لله لانها كلمة الرضى ظهرت منه في مكان الاسترجاع
للمصيبة وذلك انه بلغه ان الحريق وقع في سوقه فاحترق دكانه فخرج في قطيع من الليل فاستقبله

قوم فقالوا يا ابا الحسين احترقت دكاكين الناس وسلم دكانك فقال الحمد لله ثم تفكر في قوله فقال قلت
الحمد لله في سلامة مالي وهلكة اموال المسلمين فتصدق بجميع ما كان في دكانه من السقط والآلة كفارة
لكلمته هذه وخرج من السوق فشكر الله سبحانه وتعالى له فعله فرفعه في الدنيا ورفعه الى المقام المحبة
واوصله ذلك الرضى الى الرضى وبلغني انه كان يقول قلت كلمة فانا استغفر الله عز وجل منها منذ ثلثين سنة
يعني قوله الحمد لله وقد روينا في الخبر المشهور من لم يهتم بامر المسلمين فليس من المسلمين وفي الخبر السائر
اوثق عرى الايمان الحب في الله عز وجل والبغض فيه فجعل ذلك من اوثق العرى لانه منوط بالايمان
لا يستطيع الشيطان حله ولا سلطان له عليه كما لا سبيل له على حل عقد الايمان لان الله سبحانه وتعالى
يحول بينه وبينه وقد تولى تاييد الايمان بروح منه بعد كتبه في القلب رحمته وفي الحب في الله عز وجل
الموالاة والنصرة بالنفس والمال والفعل والمقال وفي البغض في الله ترك ذلك كله والمنابذة والمباينة فبغض
المبتدع والفاجر المجاهر والظالم المعتدي وترك موالاتهم ونصرتهم واجب على المومنين ولاجل ذلك صارت
الموالاة لاولياء الله عز وجل والمعاداة لاعدائه من اوثق عرى الايمان لانك قد تعصي وتخالف مولاك لتسليط
العدو وغلبة هواك الا انك تبغض العاصين ولا توالهم على المعاصي ولا تحبهم لاجلها من قبل ان العدو
لم يسلط على ذلك منك كما سلط على فعله من نفسك كما انه لم يسلط على حل عقد ايمانك كما سلط على
حل المراقبة والمخافة ولم يسلط عليك ايضا في استحلال المحارم ولا استحسانها ولا التدين بها ولا في
ترك التوبة منها ولا بالرضى بها كما سلط عليك باقترافها فان سلط على مثل هذا منك العدو حتى تحب الفساق
وتواليهم وتنصرهم على فسقهم او تستحل ما يرتكبون من الحرام او ترضى به او تدين به فقد انسلخ منك
الايمان كما انسلخ الليل من النهار فلست منه في كثير ولا قليل لان هذه العقود مرتبطة بعرى الايمان وهي وهو
في قرن واحد مقترنان فهذا من كباير الكباير التي تحل عقد الايمان معها وتنقض عراه بها من قبل ان الموالاة
والمحبة لاعداء الله عز وجل تعمل في اصل الدين وتمحو ثبت اليقين فلا يبقى منه نور الا انه ليس من عصى امامه فيما
امره مثل من قلب دولته وخرج بالسيف عليه وليس من وافق هوى نفسه فيما نهى الله سبحانه وتعالى مثل من فرق
ما وثق الله سبحانه وتعالى فيما كتب وارسل فنبذ كتبه ظهريا ورد يده الى افواه الرسل تشكيكا فان تكن
مقامات هولاء الظالمين والفاسقين توجب عليهم الرضى باحوالهم والشكر عليها فرضوا وشكروا لزمهم ايضا ان يصبروا
ويثبتوا على ما شكروا عليه ورضوا به فيصير ذلك مقاما لهم في الشكر والرضى عند القايل بهواهم ووجب عليه ايضا
لهم ان يحبهم عليها ويواليهم فاذا وجد ذلك عليه لزمه ان يعينهم عليها ويامرهم بها وفي هذا تكذيب الكتب كلها
ورد الرسل كلهم نعوذ بالله تبارك وتعالى من رضى لا ينفع ومن حب لا ينفع كما نعوذ به من علم لا ينفع وعلم

لا ينفع الم تسمع الجليل جل جلاله يقول لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المومنين ومن يفعل ذلك
فليس من الله في شيء او ما سمعته سبحانه وتعالى يقول لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا بعضهم اولياء
بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم وكذلك قال جل وعلا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين
وقال سبحانه وتعالى في مثله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا ثم قال عز وجل ويتبع غير سبيل المومنين
نوله ما تولى ونصله جهنم وقد روينا في الخبر ان الله سبحانه وتعالى اخذ على كل مومن في الميثاق ان يبغض
كل منافق واخذ على كل منافق ان يبغض كل مومن وفي الخبر المشهور المرء مع من احب وله ما اكتسب وفي حديث
الآخر من احب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة وروينا عن عمر بن الخطاب وعن ابنه رضي الله عنهما
دخل لفظ احدهما في الآخر لو ان عبدا صف بين قدميه عند الركن والمقام يعبد الله عز وجل عمره يصوم
نهاره ويقوم ليله ثم لقي الله عز وجل يوم يلقاه وليس في قلبه محبة وموالاة لاولياء الله عز وجل ولا بغض
ومعاداة لاعدائه لما نفعه ذلك شيئا وقد جاء نحوه وبمعناه مسندا وعن عمر رضي الله عنه وغيره ان
احدهم ليشيب في الاسلام ولم يوال في الله سبحانه وتعالى وليا ولم يعاد فيه عدوا وفي ذلك نقص كبير
وفي معنى قوله صلى الله عليه وسلم اوثق عرى الايمان الحب في الله عز وجل والبغض في الله وجه خفي وهو
ان يحبك المومنون ويبغضك المنافقون فيكون ذلك علامة وثيقة عروة ايمانك لان قوله صلى الله عليه وسلم
الحب في الله عز وجل والبغض في الله جل وعلا يصلح ان تحب انت ويصلح ان يحبك المومنون وكذلك البغض
في الله عز وجل يصلح ان يبغضك المنافقون كما تبغضهم انت فكانك تتحبب الى المومنين حتى يحبوك وتتبغض
الى المنافقين حتى يبغضوك باظهار التباعد عنهم وبترك الموالاة لهم وبتصحيح ايمانهم فيدل ذلك على قوة
ايمانك انك لم ياخذك في الله لومة لايم منهم كما وصف سبحانه وتعالى بذلك من يحبهم ويحبونه ويكون
ذلك ابعد لك من المداهنة والنفاق واقرب الى الصدق والاخلاص فاذا فعلت ذلك بهم ابغضوك ومقتوك
فتظفر بما تريد وتدرك ما تحب داخلا عليك بوصفهم فهذا على معنى قوله عز وجل اشداء على الكفار
رحماء بينهم اذلة على المومنين اعزة على الكافرين وكما امر نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وكذلك امر المومنين في قوله سبحانه وتعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
وليجدوا فيكم غلظة وكذا امر رسوله صلى الله عليه وسلم بخفض الجناح ولين الجانب والعفو والمشاورة للاصحاب
فكان صلى الله عليه وسلم لطيف اللسان غير فظ لهم رقيق القلب غير غليظ عليهم كما امره بالشدة والغلاظة
للاعداء فقال جاهد الكفار بيدك واغلظ على المنافقين بلسانك وقلبك فكذلك القول فيمن كان شيعة
من حزبهم وعلى شقة دقيقة وجانب الى شقهم من الفسوق والعصيان الذين قرنهما الله سبحانه وتعالى بالكفر

وجب جهاده باللسان بالفظاظة وجهاده بالقلب بالغلظة كما فعله صاحبنا مع المنافقين دون من جاهده
بالسيف من الكافرين الذين قال يحادون الله بينا قوله يحادون الله اي يكونون في حد وشق والله سبحانه وتعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم في شق آخر وحد فهولاء قد صاروا في شقهم وحدهم اي جنبتهم وناحيتهم فنحن كذلك على سبيل
صاحبنا وبصيرته لانا من اتباعه وشيعته وذلك هو داخل في حبك للاولياء وبغضك للاعداء لا محالة لانك
اذا اظهرت للاولياء المحبة اقتضتك محبتك لهم محبتهم لك في عقودهم ان ذلك لك عليهم كما هو عليك لهم
فكيف بهم اذا راوه منك وكذلك اذا ابغضت الاعداء ابغضوك لا شك لان نفوسهم واهواءهم تقتضيهم ذلك
وروينا عن عيسى صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلامه ان الله سبحانه وتعالى قال احب عبادي الي الذين
يذكروني بالاسحار ويبغضون الي الفجار ومعناه ان يظهر لهم البغض ويناديهم العداوة حتى يبغضوه
فاذا ابغضوه ابغضهم الله عز وجل فيكون قد بغضهم اليه بهذا المعنى من قبل ان الله سبحانه وتعالى يبغض
من ابغض اولياءه كما يوذيه من آذاهم لانه عز وجل يحب من احب اولياءه كما يسره من سرهم كما روينا
عن بعض الجبابرة من العتاة في فرط كرم الله سبحانه وتعالى وغاية حلمه ان جبارا من الملوك قحطت
رعيته سنين فشكوا ذلك اليه فخرج بهم الى الصحراء فرفع راسه الى السماء فقال يا ساكن السماء لتسقينا
الغيث او لتوذينك فقال له اولياؤه كيف توذيه وهو في السماء وانت في الارض فقال اقتل اولياءه
من اهل الارض فيكون ذلك اذى له قال فارسل الله سبحانه وتعالى عليهم السماء بالغيث بكرمه وجوده
وروينا في الاخبار من اكرم مومنا فانما يكرم الله عز وجل ومن سر مومنا فقد سر الله سبحانه وتعالى
ومن اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وكذلك في تدبر الاوصاف ان من اهان عدوا لله عز وجل فقد
والى الله سبحانه وتعالى ومن ضر كافرا فقد تقرب الى الله عز وجل مع قوله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار
ولا ينالون من عدو نيلا الآية وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول اذا رايت الرجل محببا الى جيرانه
فاعلم انه منافق وقال كعب الحبر لابي ادريس الخولاني وكان من علماء اهل الشام كيف انت في قومك مسلم
فقال يحبوني ويكرموني فقال كعب كذبتني التوراة اذا قال وما في التوراة قال اجد في التوراة
ان الرجل العالم لا يحبه جيرانه فقال ابو مسلم بل صدقتك التوراة وكذبتني نفسي لان العالم يامر
جيرانه بالمعروف وينهاهم عن المنكر وينصح لهم فلا يحبون الناصحين وقال بعض المريدين قلت
لبعض اهل المعرفة اني كثير الغفلة قليل المسارعة الى مرضاته فاوصني بشيء اعمله ادرك به ما يفوتني
من هذا فقال يا اخي ان استطعت ان تتحبب الى اولياء الله عز وجل وتتقرب من قلوبهم فافعل لعلهم
يحبونك فان الله سبحانه وتعالى ينظر الى قلوب اوليائه في كل يوم سبعين نظرة فلعله سبحانه وتعالى

ان ينظر اليك في قلوبهم بمحبتهم لك فيجبرك خير الدنيا والآخرة اذ لم تكن ممن ينظر اليه كفاحا وكذلك
يقال ان الله عز وجل ينظر الى قلوب الصديقين والشهداء مواجهة وهم الذين عرفوه به لقربه منهم ولدوام
نظره اليهم فهو وجهتهم ثم ينظر الى القلوب قوم في قلوب قوم والى قلوب قوم من قلوب آخرين فهولاء الذين
عرفوه بهم واحبوه من محبتهم فهم وجهتهم اليه وادلتهم عليه فيعطيهم نصيبا من نصيبهم كما
اعطاهم عز وجل شهادة من شهادتهم ووجدا من علمهم وكذلك عندي من عزائم الدين وسبيل الورعين
ان تتبغض الى اعدائه وتتمقت اليهم من المبتدعين والظالمين والفاسقين ليبغضوك ويمقتوك فيكون
لك من القربة كحب اوليائه لك وحبك لهم فهذا من اسباب ولاية الله سبحانه وتعالى ومن وثائق عرى الدين
وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم لا تجعل للفاجر عندي يدا فيحبه قلبي واهدى
بعض الامراء الى ابي هريرة رضي الله عنه الف دينار وعشرة اثواب فردها عليه وقال ما كان الله سبحانه وتعالى
ليراني اقبلها منه ياخذ المال من غير حله ويضعه في غير حقه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ردوا هدية الفاجر لا يرى انكم ترضون عمله فاقل ما لك في هذا الزهد في باب كبير من ابواب الدنيا
اذ كانت المهاداة والممالاة من اكبر ابواب الدنيا لان بذلك يستوي عيش اهل الدنيا وبهم سلامتها ثم هذا
هو الطريق الآخر معنى من قوله الحب في الله والبغض في الله وهو وجه غامض ومعناه جلي اذا كشف
وهو عتيد عند علماء الآخرة لانه من زاد طريقهم اليها ومفقود عند علماء الدنيا لا يقدرون عليه لما
غلبهم من حبها وقد جعل الله سبحانه وتعالى من اراد ان يحبه الفاسقون ويامن فيهم وجعل من سارع
بالادهان واظهار المتابعة للظالمين خشية دور الدوائر عليه علمين من اعلام النفاق فقال عز وجل
في المعنى الاول ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم الآية وقال في المعنى الثاني فترى الذين
في قلوبهم مرض يسارعون فيهم الآية يعني المنافقين يسارعون في مواطاة الكافرين يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة اي نخاف ان يكون الدولة للكافرين على المومنين قال الله سبحانه وتعالى فعسى الله ان ياتي بالفتح
او امر من عنده فينبغي لمن امن في المومنين وفي اهل السنة او احبوه ان يخاف في المنافقين واهل البدع
او ان يبغضوه وينبغي لمن سارع في مواطاة المومنين ان يني ويبطي في مداهنة الظالمين ومتابعتهم
حتى يخلص له ايمانه من النفاق ويستقيم طريقه من الضلال وقد نفى الله سبحانه وتعالى الايمان عمن
احب من حاده واثبت الايمان والتاييد بروح وهو اليقين لمن ابغض فيه اعداءه فقال سبحانه وتعالى
لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله فاما من قال من الجاهلين
بان الرضى قد يكون بالمعاصي منه او من سواه كما يكون في الطاعات فقد جعل المعاصي والمخالفات من القربات

وسوى بينهما وفي هذا هدم شرائع الانبياء صلى الله عليهم وابطال تفصيل الله عز وجل ما احل لنا مما حرم
علينا وما امرنا به مما نهانا عنه ونحن نتقرب الى الله عز وجل ببغضه وعداوته وبغض من احبه
ووالاه وقد روينا في خبر من شر الناس منزلة عند الله سبحانه وتعالى من يقتدي بسيئة المؤمن
ويترك حسنته وقال بعض العلماء من حمل شاذ العلماء فقد حمل شرا كثيرا ومن حسن الادب
في المعاملة اذا عملت صالحا فقل انت يا سيدي استعملتني وبحولك وقوتك وحسن توفيقك اطعتك
لان جوارحي جندك واذا عملت سيئا فقل ظلمت نفسي وبهواي وشهوتي اجترحت بجوارحي وهي صفاتي
ثم تعتقد في ذلك انه بقدرته ومشيئته كان ما قضى فتكون بالمعنيين قد وافقت مرضاة مولاك عز وجل
وتكون في الحالين عاملا بما يرضيه بالقول والعقد وينتفي عنك العجب في اعمال برك وتصح منك المقت
لنفسك واعترافك بظلمك وقد تنقلب هذه المشاهدة على الجاهل فاذا عمل حسنا شهد نفسه ونظر الى
حوله وقوته واذا عمل سيئا لم يعترف بالذنب ولم يقر على نفسه بالظلم فلم تصح له توبة ولم يرض له
عمل نعوذ بالله عز وجل من مشاهدة الضلال قال ابو محمد سهل رحمه الله اذا عمل العبد حسنة فقال
يا رب انت استعملتني شكر الله سبحانه وتعالى له ذلك فقال انت عملت فاذا نظر الى نفسه فقال انا عملت
يقول الله سبحانه وتعالى بل انا استعملت قال واذا عمل سيئة فقال انت قدرت وانت اردت يقول الله
عز وجل انت ظلمت وانت عصيت بشهوتك وهواك فان قال العبد ظلمت نفسي وعصيت بجهلي استحيى الله
سبحانه وتعالى منه فقال بل انا قدرت وانا قضيت قد غفرت لك باعترافك بالظلم على نفسك فهذه اداب
العاملين وهو داخل في قوله صلى الله عليه وسلم اعرفكم بربه اعرفكم بنفسه فكذلك يحب ابن آدم من
عامله الاعتراف والتواضع وهو ايضا احد المعاني في قوله عز وجل وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا
صالحا وآخر سيئا قيل هو الاعتراف عقيب العمل السيء لانه قد تقدم ذكره فكان الصالح بعده اعترافه
فاما من قلبت عليه هذه المعاني فجهل عواقب الامور وغلبت عليه الغفلة واستحوذت عليه الجهالة فجعل
ينظر الى من فوقه في الدنيا فيغبط على حاله او يتمنى مكانه او يدخله نظره اليه في استصغار نعمة الله
سبحانه وتعالى عليه ويزدري يسير ما قسم له ثم ينظر الى من هو دونه في الدين من عموم المسلمين فيرضى
بنقصان مقامه ويجعل ذلك معذرة له وحجة وتأسيا به فيتثبط عن المسارعة الى القربات او
لعله ان يباطنه العجب والكبر حتى يتفضل عليه بحاله او ينظر الى نفسه باعماله لتقصير غيره عن مثل
فعاله فهذا يكتب اذا جزوعا عن الصبر كفورا للنعمة باضاعة الشكر لانه ليس بصابر ولا شاكر
على ضد الوصف الذي رويناه قبل من نعت الصابر والشاكر وهذا وصف من اوصاف المنافق وهو

مقام الهالكين اذ الصبر والشكر من صفات المؤمنين ومقامات المتقين وفي الخبر المشهور عن ابي ذر الغفاري
رحمه الله قال اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحب المساكين والدنو منهم وان انظر الى من هو دوني
ولا انظر الى من هو فوقي فذلك اجدر ان لا ازدري نعمة الله سبحانه وتعالى علي وقد وصف هذا البلد
الذي نحن فيه بمثل هذه المعاني والله سبحانه وتعالى المستعان وحدثونا عن ابن المبارك انه قال طفت
الشرق والغرب فما رأيت بلدا شرا من بغداد قيل وكيف ذلك يا ابا عبد الرحمن فقال هو بلد تزدرى فيه
النعمة وتستصغر فيه المعصية وحدثونا عنه رحمه الله انه قيل له لما قدم الى خراسان يا ابا عبد الرحمن
كيف رأيت الناس ببغداد فقال ما رأيت بها الا شرطيا غضبان او تاجرا لهفان او قاريا حيران
ويقال انه كان يتصدق في كل يوم بدينار لاجل مقامه ببغداد الى ان يخرج الى مكة قال وكانوا يقيمون
ستة عشر يوما فكان يتصدق بستة عشر دينارا كفارة لمقامه وقد وصفها الشافعي رحمه الله انها
هي الدنيا فروينا عنه انه قال الدنيا كلها بادية حاضرتها بغداد وحدثونا عن يونس بن عبد الاعلى
قال قال الشافعي رحمه الله يا يونس رأيت بغداد قلت لا قال ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس وقد ذم
العراق جماعة منهم عمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار فروينا عن عمر انه قال لمولى له اين تسكن قال العراق
فقال ما تصنع هناك بلغني انه ما من احد يسكن العراق الا قيض له قرين من البلاء وذكر كعب الاحبار
يوما العراق فقال فيه تسعة اعشار الشر وفيه الداء العضال وكان قال ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما
فنهاه عن الخروج اليه وكان يقال ايضا قسم الخير عشرة اجزاء فجعل تسعة اعشاره بالشام وعشره
بالعراق وقسم الشر عشرة اجزاء فجعل تسعة اعشاره بالعراق وعشره بالشام وقال بعض
اصحاب الحديث كنا ذات يوم عند الفضيل بن عياض رحمه الله فجاءه بعض الصوفية متدرعا بعباءة
فسلم عليه الفضيل واجلسه الى جانبه واقبل عليه بوجهه ثم قال اين تسكن اليوم فقال ببغداد فاعرض
عنه فضيل ثم قال يأتينا احدهم في زي الرهبان فاذا سألناه اين تسكن قال في عش الظلمة وقد كان
بشر بن الحارث رحمه الله يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد في الحش وكان يقول لا تقتدوا بي
في المقام ببغداد من اراد ان يخرج فليخرج وكان احمد بن حنبل رحمه الله يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان
بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي قلنا فاين تختار السكنى قال بالثغور فاما معروف الكرخي
رحمه الله وكان يفصح بها فيقول اما انا فاني اموت ان اموت ببغداد فهؤلاء من خيار اهل هذا البلد
وهم من ابدال الصديقين ومن سكن بلدا كثير المنكر ظاهر المعاصي وكان فيه منزعجا غير مطمئن
يرغب الى الله سبحانه وتعالى في اخراجه منه بحسن اختياره له او كان مضطرا الى المقام فيه لعائلة

او قلة ذات يد لا يستطيع حيلة في الخروج ولا يهتدي طريقا لغلبة الفساد في اكثر الامصار فانه
معذور عند الله سبحانه وتعالى بحسن نيته وهو اقرب الى العفو والسلامة ممن اغتبط بمقامه واطمان
به ورضي بحاله او كان مقامه على هوى او لاجتلاب اسباب الفتنة والدنيا قال الله سبحانه وتعالى الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها في التفسير اذا كنت في بلد تعمل فيه بالمعاصي فتحول منه الى غيره وقيل
اذا كان العبد في بلد من يعمل فيه بالمنكر اضعف واقل من اهل المعروف ثم لم ينكروا ذلك فقد وجب
الخروج منه وقد قال الله سبحانه وتعالى في قوم مستضعفين عذرهم والمستضعفين من الرجال والنساء
والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها الآية الا ترى كيف اخبر بترك رضاهم
بالمقام وبان عجزهم وطلبهم الخروج فبذلك عذرهم ولا يصح الرضى الا بعد العصمة من جميع الهوى
واول الرضى القناعة وقال بعض اهل المعرفة لا يكون العبد قانعا حتى لو جا الى باب منزله جميع ما يرغب
فيه اهل الدنيا من الاتساع والنعمة فعرض عليه لم ينظر الى ذلك ولم يفتح بابه قناعة منه بحاله
والعصمة حال الراضي وهي ظاهر الرحمة والرحمة اول الرضى من الله سبحانه وتعالى قال الله ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي وقال عز وجل لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم فالعصمة من الله عز وجل لعبده
دليل الرحمة منه ثم تدخله الرحمة في مقام المحبة وهذه رحمة المحبوبين ثم ترفعه المحبة الى مقام الرضى
فتكون المحبة مقامه عن شهادة محبوبه ويكون الرضى حاله في جميع تصريف النعمة والمطلوب ولا قوة
الا بالله عليه توكلت واليه انيب

ذكر احكام المحبة

ووصف اهلها وهو المقام التاسع من
مقامات اليقين ع المحبة من اعلى مقامات العارفين وهي ايثار الله سبحانه وتعالى لعباده المخلصين
ومعها نهاية الفضل العظيم قال الله جلت قدرته يحبهم ويحبونه ثم قال عز وجل ذلك فضل الله يوتيه
من يشا فهذا الفصل هو متصل بالابتدا في المعنى لان الله سبحانه وتعالى وصف المومنين بفضله عليهم
وما اعترض بينهما من الكلام فهو نعت المحبوبين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان الله ليعذب
حبيبه بالنار وقال الله سبحانه وتعالى مصداق قول نبيه عليه السلام ردا على من ادعى محبته واحتجاجا
عليهم قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقال زيد بن اسلم رضي الله عنه ان الله سبحانه وتعالى ليحب العبد حتى
يبلغ من حبه له ان يقول له اصنع ما شئت فقد غفرت لك وروينا عن اسمعيل بن ابي زياد عن ابان
عن انس رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احب الله سبحانه وتعالى عبدا لم يضره ذنب
والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقد شرط الله سبحانه
وتعالى للمحبة غفران الذنوب بقوله عز وجل يحببكم الله ويغفر لكم فكل مومن بالله سبحانه وتعالى فهو محب

له عز وجل ولكن محبته على قدر ايمانه وكشف مشاهدته وتجلي المحبوب له على وصف من اوصافه ودليل
ذلك استجابتهم له بالتوحيد والتزام امره وتسليم حكمه ثم تفاوتهم في مشاهدات التوحيد وفي التزام
الاوامر وفي حسن تسليم الاحكام فليس ذلك يكون الا عن محبة وان تفاوت المحبون على حسب اقسامهم من
المحبوب وليس يصغر عن المحبة صغير كما لا يصغر عن المعرفة من عرف ولا يكبر عن المحبة كبير ولو كان على كل
العلوم قد اوقف لان الله سبحانه وتعالى وصف المومنين بشدة الحب له فقال سبحانه وتعالى والذين آمنوا
اشد حبا لله وفي قوله عز وجل اشد دليل على تفاوتهم في المحبة لان المعنى اشد فاشد ولم يقل جل وعلا
شديدوا الحب لله فاشبه هذا الخطاب قوله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقاكم فدل على ان تفاوتهم في
الاكرام على قدر تفاضلهم في التقوى ولم يقل ان الكرام المتقون وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله سبحانه وتعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب فالمومنون متزايدون
في الحب لله عز وجل عن تزايدهم في المعرفة به والمشاهدة له وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله
عز وجل من شرط الايمان بالله سبحانه وتعالى في غير خبر عنه وقال ابو رزين العقيلي رحمه الله يا رسول الله
ما الايمان قال ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفي حديث آخر لا يومن احدكم حتى يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما وفي حديث آخر اشد توكيدا وابلغ من هذين قوله صلى الله عليه وسلم والله لا يومن العبد
حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين وفي خبر آخر ومن نفسه وقد امر صلى الله عليه وسلم بالمحبة
لله عز وجل فيما شرعه من الاحكام احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله عز وجل فدل لما اسدي اليكم خ
ذلك على فرض الحب لله عز وجل وان تفاضل المومنون في نهايات فضائله ومن افضل ما اسدى الينا من نعمه
المعرفة به عز وجل فافضل الحب له ما كان عن المشاهدة والمحبون لله عز وجل على مراتب من المحبة
بعضها اعلى من بعض فاشدهم حبا لله عز وجل احسنهم تخلقا باخلاقه مثل العلم والحلم والعفو وحسن
الخلق والستر على الخلق واعرفهم بمعاني صفاته واتركهم منازعة له في معاني الصفات كيلا يشركوه
فيها مثل الكبر والحمد وحب المدح وحب الغنى والعز وطلب الذكر ثم اشدهم حبا لرسوله صلى الله عليه وسلم
اذ كان حبيب الحبيب واتبعهم لآثاره واشبههم هديا بشمائله وقد روي ان رجلا قال يا رسول الله
اني احبك فقال استعد للفقر فقال اني احب الله عز وجل فقال استعد للبلا والفرق بينهما ان
البلا من اخلاق المبتلي وهو الله عز وجل المبتلي فلما ذكر محبته اخبره بالبلا ليصبر على اخلاقه
كما قال عز وجل ولربك فاصبر فدل على احكامه وبلائه والفقر من اوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما ذكر محبته له دله على اتباع اوصافه ليقتفي آثاره لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا

واسقني مسكينًا واحشرني في جملة المساكين، ومن علامة المحبة كثرة ذكر الحبيب وهو دليل محبة المولى سبحانه وتعالى
لعبده وهو من افضل منته على خلقه، وفي الخبر المأثور ان لله عز وجل في خلقه كل يوم صدقة يمن بها
على خلقه وما تصدق على عبد بصدقة افضل من ان يلهمه ذكره، وفي حديث سفيان عن مالك بن مغول
رضي الله عنهما قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله
عز وجل، وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة الذكر لله عز وجل كما امر بمحبته لان الذكر مقتضى المحبة
فقال عليه السلم اكثر من ذكر الله عز وجل حتى يقول الناس انك مجنون، وقد روينا اكثروا من ذكر الله عز وجل
حتى يقول المنافقون انكم مراؤون، وفي حديث ابي سلمة المدني عن ابيه عن جده رضي الله عنهم قال اتانا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى مسجد قبا ذات يوم فذكر حديثا فيه طول وقال في آخره من تواضع لله عز وجل رفعه الله
عز وجل ومن تجبر وضعه الله ومن اكثر ذكر الله عز وجل احبه الله سبحانه وتعالى، وقال ان خير الذاكرين هم السابقون
المفردون ورفعهم الى مقام التوبة في وضع الوزر ورفع الذكر اذ كان موجب الحب في قوله عليه السلم سيروا
سبق المفردون قيل يا رسول الله من المفردون قال المستهترون بذكر الله عز وجل وضع الذكر عنهم اوزارهم
فوردوا القيامة خفافا، ومن اعلام المحبة حب لقاء الحبيب على العيان والكشف في دار السلام ومحل
القرب وهو الاشتياق الى الموت لانه مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المعاينة وفي الحديث من احب
لقاء الله عز وجل احب الله عز وجل لقاءه، وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم
وروي مثل ذلك عن ابي هريرة رضي الله عنه، وقال بعض السلف ما من خصلة احب الى الله عز وجل من خصلة
تكون في العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله عز وجل، وقد شرط الله سبحانه وتعالى
لحقيقة الصدق القتل في سبيله واخبر انه يحب قتل محبوبه في قوله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا بعد قوله عز وجل معيرا لهم لم تقولون ما لا تفعلون حيث قالوا انا نحب الله عز وجل وقتولهم
فجعل القتل محنة محبته وعلامة لاخذه مال محبوبه ونفسه اذ يقول يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل ومع ثقله مري والباطل خفيف وهو مع خفته وبي
فان حفظت وصيتي لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن
غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه، وقد كان الثوري وبشر الحافي رضي الله عنهما يقولان لا يكره
الموت الا مريب وهو كما قالا لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب، وفي الخبر المشهور ان ابرهيم
عليه وعلى سائر الانبياء السلم قال لملك الموت اذ جاءه يقبضه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله
عز وجل اليه فهل رايت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض، وهذا لا يجده الا عبد

يحب الله عز وجل بكل قلبه فعندها يشتاق اليه مولاه عز وجل فينزعج القلب بالشوق الى الحبيب فيحب لقاءه، وقال
البويطي لبعض الزهاد اتحب الموت فكانه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته ثم نزع بهذه الآية
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت فقال
الحول انما قال لضر نزل به وهذا كما قال البويطي رحمه الله لان التائب اذا صدقت توبته طلب الموت خشية الحؤول
عن حاله فاذا كان كذلك كان هو التائب الذي هو حبيب الله عز وجل الا ان مقام الرضى اعلى من مقام تمني
الموت فلذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتمنى احدكم الموت لضر نزل به اي فرضاه بقضائه افضل من

تمني لقائه ليقبض على مقام الرضى، وروي ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس رحمه الله لما زوج
اخته فاطمة بنت عتبة بن ربيعة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك فقالوا انكحت عقيلة من عقائل قريش
لمولى فقال والله لقد انكحته اياها واني لاعلم انه خير منها فكان قوله اشد عليهم فقالوا وكيف وهي اختك وهو
مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله عز وجل بكل قلبه فلينظر الى
سالم، ففي دليله ان من المؤمنين من يحب الله عز وجل ببعض قلبه فيؤثره بعض الايثار ويوجد فيه محبة الاغيار
ومنهم من يحبه بكل قلبه فيؤثره على ما سواه فهذا عابده ومألوهه الذي لا معبود له سواه ولا اله له الا اياه
وفيه دليل على انهم على مقامات في المحبة عن معاني مشاهدات الصفات ما بين البعض في القلوب والكلية، وقد كان
نعيمان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيحده في معصية يرتكبها الى ان اتي به يوما فحده
فلعنه رجل وقال ما اكثر ما يؤتى بك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه
من المحبة مع المخالفة، وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب يعني على الفؤاد كان المؤمن
يحب الله عز وجل حبا متوسطا واذا دخل الايمان في باطن القلب فكان في سويدائه احبه الحب البالغ ومحنة
ذلك ان ينظر فان كان يؤثر الله عز وجل على جميع هواه وتغلب محبته على هوى العبد حتى تصير محبة الله عز وجل
هي محبة العبد من كل شيء فهو محب لله عز وجل حقا كما انه مؤمن به حقا عن مشاهدة اليقين الذي
تغلب رؤيته على رؤية الخلق فيشهده في كل شيء ويكون واجدا به دون كل شيء اذ قد تجلى لمن ايقن بكل شيء،
وان رايت قلبك دون ذلك فلك من ذوق محبته سواه بقدر ما لك من شرب اليقين ممتزجا بشهادة الخلق
والوجد بهم دون الخالق وذلك ايضا عن خالص شهادة التوحيد ومن المحبة بقدر ذلك له في مقامات الخالصين
او مشوبا بالشرك الخفي بالنظر الى الاواسط والثواني في اخلاص عموم المخلصين فاول علامات المحبة الايثار
للمحبوب على ذخائر القلوب ولذلك وصف الله المحبين بالايثار ووصفه العارفون بذلك فقال في وصف
المحبين يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم وقالوا في وصفه تعالى

تالله لقد آثرك الله علينا، وقال بعض العلماء: إن ظاهر القلب محل الاسلام وإن باطنه محل الايمان فمن ههنا
تفاوت المحبون في المحبة لفضل الايمان على الاسلام وفضل الباطن على الظاهر، وفرق بعض علمائنا بين القلب
والفؤاد فقال الفؤاد مقدم القلب وما استدق منه والقلب أصله وما اتسع منه وقال مرة في القلب
تجويفان فالتجويف الظاهر هو الفؤاد وهو مكان العقل والتجويف الباطن هو القلب وفيه السمع والبصر وعنه يكون
الفهم والمشاهدة وهو محل الايمان، وقد قال الله سبحانه وتعالى كتب في قلوبهم الايمان، وقال ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فمحبة الاسلام مفترضة على الخلق وهي متصلة بأداء الفرائض واجتناب
المحارم طاعة لله عز وجل ومحبة له، فأما محبة المقربين فعن مشاهدة معاني الصفات وبعد معرفة أخلاق
الذات فعبادة الأكثر بالعادات وللحاجات وعبادة المحبين للإجلال والحب والتعظيم وهي مخصوصة
للمخصوصين، والأصل في هذا أن المحبة إذا كانت عن المعرفة فإن المعرفة عموم وخصوص فللخصوص العارفين
خاصية المحبة ولعمومهم عموم المحبة، روي في الأخبار أن زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف
صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله عز وجل فكان يدعوها
الى الفراش نهاراً فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلاً سوفته نهاراً فقالت يا يوسف انما كنت أحبك
قبل أن أعرفه فأما إذ عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلاً، حتى قال لها ان الله جل وعلا
أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت أما اذا كان الله عز وجل أمرك بذلك
وجعلني طريقاً اليه فطاعة لأمر الله عز وجل فعندها سكنت اليه، وقال بعض العلماء بالله عز وجل اذا
تم التوحيد تمت المحبة واذا جاء بالمحبة تم التوكل فتمت ايمانه وخلص فرضه وسمي ذلك يقيناً، وقال الفضيل
ابن عياض في فرض المحبة اذا قيل لك تحب الله سبحانه وتعالى فاسكت فان قلت لا كفرت وان قلت نعم
فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت، وقال بعض علمائنا ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة
والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك وقال
عالم فوقه كل أهل المقامات يرجى أن يعفى عنهم ويسمح لهم إلا من ادعى المعرفة والمحبة فانهم يطالبون
بكل شعرة مطالبة وبكل حركة وسكون وكل نظرة وخطرة لله سبحانه وتعالى وفي الله ومع الله سبحانه
واعلم أن المحبة من الله عز وجل لخلقه ليست كمحبة الخلق اذ محبة الخلق تكون حادثة لأحد سبعة معان
بطبع أو بجنس أو لنفع أو لوصف أو لهوى أو لرحم ماسة أو ليتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى فهذه
حدود الشيء الذي يشبه الشيء والله سبحانه يتعالى عن جميع ذلك لا يوصف بشيء منه اذ ليس كمثله
شيء في كل شيء ولأن هذه أسباب محدثة في الخلق لمعان حادثة ومتولدة من المحبين لأسباب عليهم

داخلة وقد تتغير لتغير الأوقات وتنقلب لانقلاب الأوصاف ومحبة الله سبحانه وتعالى سابقة للأسباب
عن كلمة الحسنى قديمة قبل الحادثات عن عنايته العليا لا تتغير أبداً ولا تنقلب لأجل ما بدا لقوله عز وجل إن
الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني الكلمة الحسنى وقيل المنزلة الحسنى فلا يجوز أن يسبقها سبق منهم بل قد سبقت
كل سابقة يكون كقوله عز وجل ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين وكذلك قال عز وجل هو سماكم
المسلمين من قبل وقال عز وجل لهم قدم صدق عند ربهم وقال في آخر بيانه ان المتقين في جنات ونهر في مقعد
صدق عند مليك مقتدر ولا يصلح أن يكون قبل قدمه الصدق منهم قدم كما لا يصلح أن يكون قبل علمه بهم منهم
عمل لأن علمه سبق المعلوم ومحبته لأوليائه سبقت محبتهم اياه ومعاملتهم له ثم هي مع ذلك خاصية حكم
من أحكامه ومزيد من فضل أقسامه خالصة للمخلصين ومؤثرة للمؤثرين بتقدم صدق سابق لحالصين بدول
المقعد صدق عند صادق لسابقين ليس لذلك سبب معقول ولا لأجل عمل معمول بل يجري مجرى سر القدر
ولطف القادر وافشاء سر القدر كفر ولا يعلمه الا نبي أو صديق ولا يطلع عليه من يظهره وما ظهر في الأخبار
من الأسباب فانما هو طرائق الايجاب ومقامات أهل القرب من أولي الألباب وانما هي تبصرة وذكرى للمتبينين
وتزود وبلاغ للعابدين وانما تستبين المحبة وتظهر للعبد بحسن توفيقه وكلايته وعصمته ولطائف
تعليمه من غرائب علمه وخفايا لطفه وفي سرعة ردهم اليه في كل شيء ووقفهم عنده ونظرهم اليه دون
كل شيء وقربه منهم أقرب من كل شيء وكثرة استعمالهم بمحاب مرضاته وكشف اطلاعهم على معاني صفاته
ولطيف تعريفه لهم مكنون أسراره وفتوحه لأفكارهم من بواطن انعامه واستخراجه منهم خالص شكره وحقيقة
ذكره عن عين اليقين فهذه طرقات المحبين له عن كشوف اطلاعه لهم يقال اذا أحب الله سبحانه وتعالى
عبداً استخدمه واذا استخدمه اقتطعه وقيل اذا أحب الله تعالى عبداً نظر اليه واذا نظر الى عبد لم يعذبه
وعلامة من نظر اليه أن لا ينظر الى سواه ولا ينظر الا به عنه وهذه نظرة خاصة عن محبة مخصوصة وروي
بعض هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورويناه في الخبر اذا أحب الله عز وجل عبداً ابتلاه واذا أحبه
الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلاً ولا مالاً لئلا يكون عنده أهله فيميل اليه وينقلب
اليهم سروراً ولئلا يميل قلبه لماله فينقلب على وجهه محسوراً فالمحبة مزيد ابتداء من المحب الأول وهو الله
سبحانه وتعالى لعبده وأحكام تظهر من المحبوب وهو العبد في حسن معاملة أو حقيقة علم يهبه له كما قال
اخوة يوسف حين عرفوا فضل محبة الله سبحانه وتعالى ليوسف عليهم تالله لقد آثرك الله علينا ثم قالوا
وان كنا لخاطئين فذكروا سالف خطاياهم وأنه آثره بما لم يؤثرهم وقال سبحانه وتعالى في وصفه اياه
قال اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم، وقال في موهبته له آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي
المحسنين

فذكر ما سلف من إحسانه لما أثّر به وقال الرسل صلوات الله عليهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله
يمنّ على من يشاء من عباده وقال سبحانه وتعالى الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس وفي الخبر
إذا أحبّ الله عز وجل عبداً ابتلاه يعني اختبره فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه وقال بعض العلماء
إذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم أنه يريد أن يصافيك وقال بعض المريدين لأستاذه قد طولعت
بشيء من المحبة فقال يا بنيّ هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه إياه فقال لا قال فلا تطمع في المحبة
فإنه لا يعطيها عبداً حتى يبلوه ومن دلائل المحبة حب كلام الحبيب وتكريره على الأسماع والقلوب حدثونا
عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في شرح الإرادة فأدمنت على قراءة القرآن ليلاً
ونهاراً ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلاً يقول في المنام

إن كنت تزعم أنك تحبني فلم جفوت كتابي — أما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي

قال فانتبهت وقد أُشرب في قلبي محبة القرآن فعادت الحال الأولى، وقال بعض العارفين لا يكون العبد مريداً حتى يجد في القرآن
كل ما يريد وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لا على أحدكم أن يسأل عن نفسه إلا القرآن فإن كان
يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله سبحانه وتعالى ومن علامة
حب القرآن حب أهل القرآن وكثرة تلاوته آناء الليل والنهار، وقال سهل بن عبد الله رحمه الله علامة
حب الله عز وجل حب القرآن وعلامة حب القرآن وحب الله عز وجل حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة
حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض
الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زاداً ويبلغه إلى الآخرة وقد قال الله أحسن القائلين
يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أي لا يرتدون
لأنهم أبدال من المرتدين ولا ينبغي أن يكونوا أمثالهم كما قال عز وجل ويستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا
أمثالكم فمن علامة محبة المولى تقديم أمور الآخرة في كل ما يقرب إلى الحبيب على أمور الدنيا من كل
ما تهوى النفس والمبادرة بأوامر المحبوب في نوادبه قبل عاجل حظوظ النفس ثم إيثار محبته على هواك
واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما أمرك به ونهاك والذل لأولياء الله عز وجل من العلماء به والعاملين
العابدين
له ثم التعزز على أبناء الدنيا الموصوفين بها المؤثرين لها كما قيل لابن المبارك ما التواضع فقال التكبر
على المتكبرين، وقال الفتح بن شخرف رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم فقلت أنبئني بحرف خير
فقال ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء رجاء ثواب الله عز وجل وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء
ثقة بالله عز وجل وإنما وصف الله سبحانه وتعالى أحباءه بالذل للأولياء والعز على الأعداء لأنه

سبحانه وتعالى يصف من يحبه بأحسن الأوصاف فالذل للحبيب حسن والعز على العدو حسن ومثل الذل
للحبيب في حسنه مثل الذل للعزيز ومثل العز على العدو في حسنه مثل العز على الذليل فلذلك وصف
الله سبحانه وتعالى محبيه بالذل للولي وبالعز على العدو وقبح العز على الحبيب كقبح الذل للعدو والله
سبحانه وتعالى لا يصف أولياءه بقبيح ومن علامة الحب المجاهدة في طريق المحبوب بالمال والنفس ليتقرب منه
ويبلغ مرضاته ويقطع كل قاطع يقطعه عنه بالمسارعة إلى قربه كما قال موسى عليه وعلى سائر الأنبياء السلام
وعجلت إليك رب لترضى وكما أمر حبيبه صلى الله عليه وسلم في قوله سبحانه وتعالى وتبتل إليه تبتيلاً فيه معنيان
أحدهما انقطع إليه انقطاعاً عما سواه بالإخلاص له والأثرة على غيره والآخر اقطع كل ما قطعك عنه
إليه أي اقطع كل قاطع حتى تصل إليه فهذا من أدل الدليل على المحبة ثم أن لا يخاف في حبه لومة لائم
من الخلق لأنه على محبته أو على السلوك إليه بشق النفس وهجر الدار ورفض المال ولا يرجو في محبته مدح مادح
ولا يرغب في حسن ثناء العباد بإيثاره له على الأهل والمال والدار فبذلك فضل المهاجرون والأنصار الذين
تبوءوا الدار والإيمان ابتغاء الفضل والرضوان أولئك لهم عقبى الدار ثم وجود الأنس بالوحدة والروح
بالخلوة ولطف التملق في المناجاة والتنعم بكلامه والرضى بمرّ أحكامه ووجد حلاوة الخدمة ورؤية
البلاء منه نعمة كما قال قائلهم

فلو قطّعتني في الحب إرباً — لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

وكما قال الآخر

فروحي وريحاني إذا كنت حاضراً — وإن غبت فالدنيا عليّ محابس
إذا لم أنافس في هواك ولم أغر — عليك ففي من ليت شعري أنافس
فلا تحقرن نفسي وأنت حبيبها — فكل امرئ يصبو إلى من يجالس

وكما قال الآخر

نحن في مجلس السرور ولكن — ليس إلا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودي — أنكم غيّب ونحن حضور
ما نعيم يغيب عنه حبيب — بنعيم ولا يتم حبور

وقد أحكم ذلك الحكيم منهم بقوله

يا عذابي وراحتي من عذابي — أنت ما بي فكيف أكره ما بي
الإيضاح
لك مني نماذك دابي — ليس مني أذى بحكمك آب

فهذه آيات بينات في قلوب الأحباب وتبصرة وذكرى لأولي الألباب، وقال ثابت البناني رحمه الله
كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة، وقال مرة كابدت الليل عشرين سنة وتنعمت
به عشرين سنة، ومن المحبة ترك السكون إلى غير محبوبه إذ هو السكن، وقال أبو محمد رحمه الله جناية
المحب عند الله سبحانه وتعالى أشد من معصية العامة وهو أن يسكن إلى غير الله عز وجل ويستأنس بسواه
وفي قصة برخ العبد الأسود الذي استسقى به موسى عليه وعلى سائر الأنبياء السلام أن الله سبحانه وتعالى
قال لموسى إن برخاً نعم العبد هو إلا أن فيه عيباً قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الأسحار

فيسكن اليه ومن احتشى لم يسكن الى الشيء فالسكون في هذا الموضع الاستراحة الى الشيء والانس به والطمانينة
اليه والقطع به ذكرت هذه الحكاية لبعض اهل المعرفة فقال لم يرد بهذا برخا انما اراد به موسى عليه
وعلى سائر الانبياء السلام لانه اقامه مقام المحبة فاستحيى ان يواجهه بذلك فعرض له ببرخ وكان هذا
جوابا منه ثم اني سألته لم اخبر موسى بعيبه وهو يحبه دون ان يخبره هو بعيب نفسه فاجاب بهذا فالمقربون
من المحبين انما نعيمهم بالله سبحانه وتعالى في روحهم وراحتهم اليه من حيث كان بلاؤهم منه فاذا وجدوا
ذلك في سواه كانت ذنوبا لهم عن غفلة ادخلت عليهم ليتوبوا منها اليه فيغفر لهم وروينا ان عابدا
عبد الله عز وجل في غيضة دهرا فنظر الى طائر قد عشش في شجرة يأوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت
مسجدي الى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطائر قال ففعل فاوحى الله سبحانه وتعالى الى النبي صلى الله
عليه وسلم قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك ابدا فمن
صدق المحبة وخالصها الانقطاع الى الحبيب بوجود الانس به ومصادفة الاستراحة والروح عنده بمحادثته
في المجالسة ومناجاته في الخلوة والتملق له في السرق ثم ذوق حلاوة النعيم في ترك المخالفة لغلبة حب الموافقة
كما انشدني بعضهم عن بعض المحبين الا ان جميل الصبر عنك الذه واهوى لما اهواه تركا فاتركه
وقال آخر واترك ما اهوى لما قد هويته وارضى بما يرضى وان سخطت نفسي
ثم الطمانينة الى الحبيب وعكوف الهم على القريب لدوام النظر وسياحة الفكر لان من عرفه احبه ومن احبه
نظر اليه ومن نظر اليه عكف عليه اما فهمت هذا من قوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا
ومن فرائض المحبة وفضائلها موافقة الحبيب فيما احب حبا له كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رحم الله
صهيبا لو لم يخف الله سبحانه وتعالى لم يعصه اي ان محبته له تمنعه من مخالفته عن غير خيفة فهو
يطيعه حبا له وكان صهيب رحمه الله يقول انه ليستخرج مني حبي لربي شيئا لا يستخرجه غيره
يعني من معاني الصفات المخوفة والافعال المرجوة وقال ابو محمد سهل رحمه الله الايثار يشهد للمحب
فعلامة حبه ايثاره على نفسك وقال ليس كل من عمل بطاعة الله سبحانه وتعالى صار حبيبا لله عز وجل
ولكن كل من اجتنب النهي صار حبيبا وهذا كما قال لان المحبة تستبين بترك المخالفة ولا تستبين
بكثرة الاعمال كما قيل اعمال البر يعملها البر والفاجر والمعاصي لا يتركها الا الصديق ولان المحبة مقرونة
بالولاية والولاية مقرونة بالنصرة فاذا تولاه نصره على اعدائه واعدى عدو له نفسه فاذا نصره عليها
اخرج الشهوة منها فامتحن قلبه للتقوى ومحص نفسه فخلصها من الهوى كما قال عز وجل وليمحص الله
الذين آمنوا ويمحق الكافرين فذلك حله من النصرة وهو علم الولاية اما سمعت قوله عز وجل كيف ضم النصرة

الى التولي فقال سبحانه وتعالى والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا وقد قيل افضل منازل
الطاعات الصبر عن المعاصي ثم الصبر على الطاعة وان الصبر على الطاعة يضاعف الى سبعين ضعفا والصبر
عن المعصية يضاعف الى سبعمائة ضعف كانه اقيم مقام المجاهدة في سبيل الله عز وجل لان نفسه عدوه
لحب الفتنة بهواها جاهدها لله سبحانه وتعالى وفيه لانه يكون اختيارا لامر الله سبحانه وتعالى وضرورة من
تخلية النفس فاذا ترك هواه فقد ترك نفسه فاقل ما له في ذلك الزهد في الدنيا والجهاد للاعداء فمن اجل
ذلك ضوعفت حسناته الى سبعمائة ومن اجله ثبتت له المحبة بدوام المجاهدة فدخل في اهل هذه الآية
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا واندرج الخوف في وصفه وهو مقام ثان ففضل بفضل
جنة ثانية لترك المخالفة لقوله عز وجل ولمن خاف مقام ربه جنتان وكان امامنا ابو محمد رحمه الله
يقول في قول الله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم قال عيش نفوسهم الفاني وهو عاجل
حظوظهم من الشهوات ومن المحبة وجود الروح بالسكون اليه والاستراحة الى علمه به وحسن الاخلاص
العاملة لوجهه وحسن الادب فيها وهو الاخفاء لها وكتم ما يحكم به من الضيق والشدائد والطها رما ينعم به
من الالطاف والفوائد وكثرة التفكر في نعمائه وخفي الطافه وغرائب صنعته وعجائب قدرته
وحسن الثناء عليه في كل حال ونشر الآلاء منه والافضال والصبر على بلائه لانه قد صار من اهله واوليائه
وقد يعسف بالاولياء ويعنف بالاحباب لتمكنه منهم ومكانتهم عنده ولعلمه انهم لا يريدون به بدلا
ولا يبغون عنه حولا اذ ليست لهم بغية في سواه ولا لهم همة الا اياه وانشدت لقائلهم
يا بلائي ويا بلاء بلائي انت دائي فكيف اكره دائي ولآخر لا تطلبن شفاء عند غيرهم فليس يحييك
الا من توفاكا وقال المحب في معناه ان شئت جودي وان اجبت فامتنعي كلاهما منك منسوب
الى الكرم فانت عندي وان اورثتني سقما احب من غيركم يشفي من السقم فاعتبروا يا اولي الابصار
كما قال الخبير البصير منبها لاوليائه ومعرضا بمعاني بلاء اعدائه واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه
ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او
يضرون فالعكوف على السميع البصير الضار النافع احق وقال عز وجل في معناه وانظر الى الهك
الذي ظلت عليه عاكفا فالنظر الى الاله البصير الحبيب اولى واصدق ومن المحبة المسارعة الى ما
ندب اليه من انواع البر بوجد الحلاوة وشرح الصدر كما جاء في الاثر لا يزال عبدي يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه ثم الرضى بقضائه لانه مستحسن لافعاله ثم اللهج بذكره ومحبة من يذكره
ومجالسة من ذكر به ودوام التشكي والحنين اليه وخلو القلب من الخلق وسبق النظر الى الخالق

عز وجل في كل شيء ونشر عن الرجوع اليه بكل شيء ووجد الانس به عند كل شيء وكثرة الذكر له والذكر
بكل شيء ومن علامة المحبة محبة من يحب الله عز وجل ووجود الانس باهل الانس كما قال سفيان
وغيره رحمهم الله من احب من يحب الله سبحانه وتعالى فانما احب الله ومن اكرم من يكرم الله عز وجل
فانما اكرم الله عز وجل وقال كثير من العارفين الانس باولياء الله سبحانه وتعالى من علامة الانس
بالله عز وجل هذا مع قولهم الاستيحاش من الخلق علامة الانس بالخالق وكذلك التحاب في الله عز وجل
من علامة المحبة لله عز وجل ورويناه عن مبارك بن فضالة عن ثابت البناني رضي الله عنهما قال انا
لوقوف بجبال عرفات اذ اقبل فتيان عليهما العبا القطواني فقال احدهما لصاحبه يا حبيب فاجابه
الآخر لبيك يا محب فقال اترى الذي تحاببنا فيه وتواددنا له معذبنا غدا في القيامة قال ثابت
فسمعنا صايحا يصيح في الهوا نسمعه ولا نراه لا ليس بفاعل ومن وصف المحبين ترك الاسف على كل فايت
سوى الله عز وجل والتاسف على كل ساعة خلت من ذكر الله عز وجل وكثرة الرجوع عند الغفلات الى الله
عز وجل بالاستعطاف والاستعتاب ونسيان حظوظ النفس بتذكار حقوق الرب سبحانه وتعالى وحكى
ابو الفضل الشكلي وغيره عن بعض العارفين انه وصف المحبين فقال ان لله عز وجل عبادا احبوه فاطمانوا
اليه فذهب عنهم التاسف على كل فايت فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء
كان فما كان لهم فهو موصله اليهم من جميع الاشياء فما فات من ادراك غيرهم فبحسن تدبيره لهم وقد يحسن
بالمريد المتحبب ان يكون متاسفا على فوت ساعة او طرفة ذهبت عنه في غير ذكر مولاه فاما المحب المحبوب
فقد لا يحتاج الى الاعلام فقل صبره عن الحبيب ومواصلته وملاطفته فالواجب عليه ان يرجع الى واحده فيساله
لم قطعت بركة عني ولم لم تدم لي ولم تشوبه بالكدر ولم تدخل بيني وبينك الخلق فان كان صادقا في محبته
فسيعلمه محبوبه الخبر فيكون مكان الاستغفار من الغفلة معاتبة يستخرج بها اكثر من الذي فاته من
الذكر فتكون تلك الهفوة بركة اذ كان عاقبتها الاتصال والزيادة في القرب والعبد المحب لله عز وجل
ماسور معلق هنالك لا يدري ما حقيقة التوحيد غير انه اذا اسف على فقد وحدانية التوحيد فزع من
ذلك فرجع في سرعة فوجد بقا الواحد بالوحدانية وانفراده في الصمدية فنسي نفسه وذهب طعم كل
ذكر كان تنعم به ولم ير فوت شيء وذهب استبعاده في هذا الموضع حتى يستعبده المحب في مكان آخر
فيرده الى علم التوحيد والتوحيد والحب بلا كبر والعباد قد الفوا العبادة والذكر الطيب الذي
يعقلونه واول التوحيد عند المحبين ان يعبدوا الله عز وجل لوجهه حبا له لا خوفا من ناره ولا رغبة
في جنته فيكون الحبيب مدنيهم والوصول اليه مناهم ثم يرجع لهم على التعظيم والاجلال فلا يرون نفوسهم

تصلح للقائه فتخنس القلوب فترجع بالهيبة والرهبة فيعبدون الله سبحانه وتعالى لله ويبقى الشوق
والانس فاما الصدق والصبر والاخلاص والزهد فهذه الاخلاق الشريفة كاينة معهم في سرهم ووصفهم
لا تفارقهم ولا يخليهم منها محبوبهم ولو اخلاهم مولاهم عز وجل ما ذاقوا طعم شيء من هذه الخصال ولبطلت
العبادات وانقطعت الطرق ولكانوا مكتفين به ولكنه سبحانه وتعالى يدبرهم بامره ويردهم الى هذه
الاحوال فيذوقون طعمها كما يردهم الى مصالح الجسم ومرافق العقل فلذلك اسمهم الموحدون المشتاقون
المحبون لانهم عبدوه ووحدوه واحبوه دون غيره واشتاقوا اليه لا الى سواه ولم يريدوا منه شيئا اذ
كان الله سبحانه وتعالى هو الغالب على همهم القاهر لقلوبهم الموجود في سرهم المالك لعقولهم فلو وضع من
نعيمهم ذرة على كل خائف وعابد لاحترقوا من نورهم وهم اعلى الخليقة وليس فوقهم احد هذا نقلته من
كلام الشكلي وغيره من العارفين رضي الله عنهم، ومن علامة المحب طول التهجد، ورويناه عن الله سبحانه وتعالى
كذب من ادعى محبتي واذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني
وكذلك رويناه عن كعب الحبر من التوراة وعن ابي الدرداء عن نبينا صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى
من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني، وفي اخبار موسى صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبيا يا رب اين
انت فاقصدك فاوحى الله عز وجل اذا قصدت فقد وصلت حدثت عن ابن ابي الحواري قال دخلت على ابي سليمان
الداراني رحمهما الله وكان احد العارفين المحبين قال فرايته يبكي فقلت ما يبكيك رحمك الله قال ويحك يا احمد
انه اذا جن هذا الليل وافترش اهل المحبة اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم اشرف الجليل جل جلاله فقال
بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الى مناجاتي واني مطلع عليهم في خلواتهم اسمع انينهم وارى بكاءهم يا جبريل
نادِ فيهم ما هذا البكا الذي اراه فيكم هل خبركم عني مخبر ان حبيبا يعذب احباءه بالنار بل كيف يجمل
بي ان اثيب قوما بالعذاب اذ جنهم الليل تملقوا الي فبي حلفت اذا وردوا القيامة على ان اسفر لهم عن
وجهي وابيحهم رياض قدسي الا ان بعضهم جعل سهر الليل في مقام بعينه ذكر له هذا الخبر فقال
ذاك اذا اقامه مقام الشوق فاما اذا انزل عليه السكينة وآواه بالانس في مكان القرب استوى نومه
وسهره ثم قال رايت جماعة من المحبين نومهم اكثر من سهرهم وامام المحبين وسيد المحبوبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان ينام مثل ما يقوم وقد يكون نومه في ليله اكثر من قيامه ولم يكن تاتي عليه ليلة حتى ينام
فيها، ومن المحبة الخروج الى الحبيب من المال بالزهد في الدنيا والخروج اليه من النفس بايثار الحق على جميع
الهوى، وقال الجنيد رحمه الله علامة المحبة دوام النشاط والدءوب بشهوة يفتر بدنه ولا يفتر قلبه،
وقال بعض السلف العمل عن المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلماء والله ما اشفى محب لله عز وجل

من طاعته ولو جاء بمعظم الوسائل ومن المحبة التناصح بالحق والتواصي به والصبر على ذلك كما وصف عز وجل الراجين من الصابرين فقال سبحانه وتعالى إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر لأن المحبين له عز وجل ليسوا كمن وصفه في قوله سبحانه وتعالى يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم الآية يعني إن يسألكم محبوبكم من الأموال التي أمالت قلوبكم يستقصي عليكم فيخرج أحقادكم عليه فهؤلاء المتقون من عموم المؤمنين تقواهم للشرك بالصاحبة والولد وإيمانهم توحيده بالملك عن الأوثان يضاهي الأحد الصمد إلا أنه عز وجل أقامهم مقام الأجراء فهم يعملون للأجر فإن منعهم الأجر تعدوا فهم المسلمون أكثر عبادتهم بالجوارح بلا قلب ولا وجد فهم مخلصون لا مخلصون وهم مخلصون لا خالصون أكثر عبادتهم عادة وحسنها حاجة ونشرها شهوة فهم من عبيد العدد اتخذوا أموالهم دون الله عز وجل عددا فلو لم يدخل على هؤلاء الضعفاء إلا الترك بالأموال في محبته والشغل بها عن ذكر جلاله وعظمته عز وجل لخرجوا مما دخل المخلصون من الأحباب وفاتهم ما أدرك الصادقون من طوبى وحسن مآب كيف وقد ابتلوا بالداء العضال الذي ليس لهم عنه انفصال وهو قيامهم بحق مولاهم عليهم بوجد طلب الآخرة ولأجل النوال والله عز وجل يسأل أحباءه أموالهم وأنفسهم حتى لا يبقى لهم محبوبا سواه ولئلا يعبدوا إلا إياه محبة منه وكشفا لمحبتهم واختبارا لأخبارهم في صدقهم وصبرهم ولأنه سبحانه وتعالى جواد ملك لا يسأل إلا كلية الشيء وجملته وهو عز وجل غيور لا يحب أن يشركه سواه في محبته فلا يصبر عليه إلا من عرفه ولا يملك منه شيئا إلا من صبر عليه ولا يحبه إلا من صبر له ولا يرضى بحكمه فيه إلا من أيقن به إلا أنه سبحانه وتعالى لا يسأل الجملة كلها إلا من أحبه من كل قلبه لأنه يسرع إلى بذل ذلك مسرورا به ولا يغار إلا على من أحب هو المحبة الخاصية فذلك كله من نظام حكمته وخصوص رحمته وغريب حكمه فهؤلاء هم المحبوبون من المحبين الذين لا يعملون للأجر لأنه أقامهم مقام العبيد فهم المخلصون لأنهم الخالصون لا يعبدونه عادة ولا حاجة عبادتهم للمحبة والتعظيم بقلب ووجد مما سواه سليم فمن تعلم ما أخفي لهم من قرة العين عند معاينة العين وقد وصف بعض العارفين صفة أهل المحبة الواصلين فقال جدد لهم الود في كل طرفة بدوام الاتصال وآواهم في كنفه بحقائق السكون إليه حتى أنت القلوب وحنت الأرواح بالأشواق فكان الحب والشوق منهم إشارة من الحق عز وجل إليهم عن حقيقة التوحيد وهو الوجود بالله عز وجل فذهب عنهم وانقطعت آمالهم عندما بان منه لهم فلو أن اى سبحانه وتعالى أمر جميع الأنبياء يسألون لهم ما سألوه بعض ما أعد لهم في قديم وحدانيته ودوام أزليته وسابق علمه فكان بغيتهم معرفتهم به وتوحيدهم له ثم أيد ذلك وحصنه بالسنة

ووهب لهم رجحانا في الرغبة والرهبة وأعطاهم التحبب إليه والتقرب ثم زادهم بعد ذلك إسباغ النعم وإسبال الستر مع دوام حسن الأمل فيه لتمام ذلك ومع هذا كله وقوع هممهم عليه واجتماع أهوائهم فيه فذلك تمام نعمته عليهم ودوام كرامته لهم وغاية الظفر منهم فصار يحسدهم من عبيده العموم إذ رفع عن قلوبهم جميع الهموم ورجحان عطائه إذ أخفاهم في الخفاء وسترهم بأوصافهم عن الأولياء وقد أنشدت في معنى ما وصف شعر

كانت لقلبي أهواء مفرقة ... فاستجمعت إذ رأتك العين أهوائي

فصار يحسدني من كنت أحسده ... وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

وذكر بعض أهل المعرفة أهل القرب فقال إني لأجد الحضور فأقول يا الله أو يا رب فأجد ذلك أثقل علي من الجبال قيل له ولم ذلك قال لأن النداء يكون من وراء حجاب فهل رأيت جليسا ينادي جليسه إنما هي إشارات وملاحظات ومناغاة وملاطفات ثم ذكر ما ذكر إلا أنه مستبعد أن يقول وملحوظ عليه أن يكون فقيها بما يقول ولا يخرج من موضع القرب وإن وقع عليه الحكم بالقول والفعل ولكل مقام مع الله سبحانه وتعالى فقه خفي ولكل عالم بالله عز وجل علم لطيف غريب فلو رأيتها المستمع ما يكون بينه وبينهم في سرهم وما يجالسهم به ويحادثهم في هذه المواطن لكنت تعذرهم في كل قول وفعل فهؤلاء قوم محكوم عليهم في أمورهم قد حيل بينهم وبين كثير من العلم المعقول والرسم المنقول إنما أحدهم ملحوظ بالعلم المجهول عند ذوي المعقول فمراده ساقط وعزمه مفسوخ ومحبته في الأمور منقوضة لا يشبه النساك ولا عليه حلية العباد لما بطن فيه من أنس الوداد علمه باطن ومقامه خفي والخليقة منه في حيرة حار موسى الكليم مع الخضر الحبيب وعطل عليه علم الكتب حين نظر إلى سره وموسى عليه وعلى سائر الأنبياء السلام يكلمه الله سبحانه وتعالى على المشاهدة ويوحي إليه وكان علمه بينه وبين الله عز وجل في سر المحبة والود في الفوائد والألطاف والانبساط والإلهام والخضر عليه السلام ونظراؤه من العارفين أمناء خزائن الحق ومواضع لمجاري الأحكام والقدرة فيهم إذ كانوا وأفعالهم وحركاتهم به ومنه وهم أهل البلاء ولقد قال لي رجل من أهل المعرفة إذا بلغ أحدهم من هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة وقال آخر إذا تناهت معارفهم انتهت إلى دهشة وحيرة وقيل لبعض المحبين وكان قد بلغ المجهود في بذل ماله ونفسه حتى لم يبق منهما بقية ما كان سبب حالك هذا من المحبة فقال كلمة سمعتها من خلق عملت في هذا البلاغ قيل وما هي قال سمعت محبا قد خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبي كله وأنت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب إن كنت تحبني فأيش تنفق علي فقال يا سيدي

امهلك ما املك ثم انفق عليك روحي حتى تهلك فعلت من الخلق لخلق وعبد العبد فكيف تخلق لخالق
وعبد لمعبود فكان ذلك سببه وقد خلت الاموال في الانفس ودخلت الانفس تحت البشرى وقربا عوده
نفوسهم فادونها لمحبتهم اياه وقد اشتراها منهم لنفاستها عنده فعلامة محبته لها اشتراءها منهم
وعلامة شراءها طيبها عنهم فاذا طووها فلم يكن عليهم منها بقية هوى في سواه فقد اشتريها واعلم ان
آفات النفوس هي ادواءها وطهرة النفس من الادواء هي دواؤها كما قال الله تعالى سبحانه قد افلح من زكاها
فاذا اصفاها من الآفات فقد صافاها واذا امتحنها بالتمحيص والبلوى فقد اشتراها فاما الاموال فانهم
قد يحبسوا بها فاذا اعطاهموها نقصوا وان اخذها منهم طهروا وزكوا كانك لم تسمع قوله عز وجل
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فانما طهرهم وزكاهم الاخذ كذلك يحبسهم وينقصهم العطاء
فهذا هو العافية من البلاء فصار الاخذ دواء العطاء ولكل داء من النفس والمال دوا على قدر صغره
وكبره فضع الدواء على الداء من حيث دخل عليك بادخال ضده عليه او بقطع اصله عنه فعلامة النفس
المشتراة وهي المحبوبة المجتباة التوبة الى الحبيب عز وجل بالخدمة له وكثرة الحمد له بالسياحة اليه ودوام
الصلاة بحسن الادب بين يديه والامر بما يحب والنهي عما يكره والحفظ لحدوده التي حدها وترتيب
العلم على مدارج العقل باخفاء حقيقة التوحيد واسرار فهومه القادر من المحافظة لان العقل حد
وذلك من كتمان علم المحبة فهو عند المحبين لحفظ حدوده على الجوارح التي شرعها بالسنة الرسل ومن
يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
والله يحب المتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد ان يحبه الله سبحانه وتعالى فليزهد
في الدنيا ولا يطمعن طامع في محبة الله عز وجل قبل الزهد فهذه جمل اوصاف المحبين ووصف
بعض العارفين سيلة المحبين فقال لو رايت ارواح اهل خالصته اذا احتثها بالسير اليه للتنعم
فيما هناك لاشرفت على الملك الكبير والنعيم العظيم ومطايا بما سعادف البابها بلطايف ادها فلو
رايت تخللها الستور الالهية والحجب العزيزة وهي تطلب الوصول من مولاها بالوصال موصوله
لكي يريها من سنا ملكه ونهايات بسط ما يزيد في يقينها ويقوي معرفتها ويزيد في بهجتها وضياها
ما تقر به اعينها فلذلك اسري بمحمد صلى الله عليه وسلم ليقرب منزلته عنده ويريه معرفة كرامته عليه
الا ما اكرمه به ووعدا وعده اياه لما تضمنته تلك الغيوب ليزداد به علما يسلو به عن كل من سواه
فلا يكون بقية لغيره الا ما ادخله فيه بحكمه عليه وبحسن تدبيره له ولطيف ادفاقه بالاسباب في
الاشياء وهو في ذلك محفوظ من النقصان فكذلك صنعه بمحبيه ولطفه بهم ورفقه لهم في رده

اياهم الى الازواج والاولاد والماكل والملابس اللذين قهم طعوم ما به انعم ويوجد جسومهم بنعيم ما به نعم فلو ترك
محمدا صلى الله عليه وسلم وهو الغاية في الحب والنهاية في الود بعدما اراه من العجائب والآيات في الارضين والسموات
لم يقم بدنه لذلك ولانهدم ولم تثبت صفاته بعد ذلك وتحطم ولكنه علله وادنقه بالنساء ورده الى
سياسة الخلق لما اراده بهم واداهم به وكذلك فعل بموسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وقد بعد كلامه
له في المقامات الرفيعة وما البسه من نوره وكان ينبغي له على القياس ان لا ياوي الى بيته ولا يرجع الى الخلق
ولا ينبسط الى اكل وشرب ولكن ذلك رحمة من الله سبحانه وتعالى وتسكين وكذلك على منهاجهم العارفون واعلم
ان الله غني كريم انما خلق اولياءه كرما وعرفهم نفسه تفضلا فاهل خالصته انما خلقهم لكرامته والنعيم
في الدنيا والآخرة فاذا صاروا في حد القوة والتمكن اذاقهم طعم محبته فكانوا بها ناعمين كانهم في الجنة
قد غطى عورات الدنيا وقبحها عنهم فليس يرون شيئا الا رأوه حسنا بحسن تحسينه له فيه اخذوا الاشياء
وعنه وبا كرامه عجلوا الى الكرامة وعجل لهم التنعم اما سمعت قوله سبحانه وتعالى وعد الله الذين آمنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية فلو رايت وصولها اليه ودنوها
منه واشرافها على قربه في جلال نهايته فادركها منه الهيبة فخرت له ساجدة بالاستكانة له والحنين اليه
فاذن لها بعد ان قضت من ذلك الخضوع وطرا برفع رؤسها ثم آنسها وبسطها فاذن لها بالكلام فتشكت
اليه ما تلاقي من طول حجبها ثم استعتبته من خفي ما يحل بها مما ابتلاها به في هذه الدار من الذي يشغلها
عنه ويحكم به عليها من مداراة الناس من غير شكلها وملاقاة غير نحلتها وملاطفة سوى جنسها ومعاشرة
غير الفها الذي يفهم عنها الامور ويجد بوجدها المستور الذي تضيق به ذرعا فعرف لها صدق ما قالت فاعتبها
وسألها الصبر له والتحمل لذلك لاجله ففعلت فشكر لها صبرها له فزاد في قربها وزادها في النعيم به بلطف
محادثته وحسن مجاورته وعطف قربه فقرت عينا واستلات به سرورا ولو رايت بعد انصرافهم ولا
انصراف وعند صدرهم ولا براح الا انها حالة من حال ومكانة من مكان وقد رتعت في تلك الرياض
الناضرة من حظاير قدسه الزاهرة فتنسمت من ذلك روح الانس الذي روح ارواحها بنسيم القرب
وسقى قلوبها من كل راح شربت فعاشت القلوب بعيشة راضية وارتاحت الارواح بما جرى من شربها
ساقيه وقد انشد بعضهم في معناه   يا نسيم القرب ما اطيبكا   ذاق طعم الانس من حل بكا
اي عيش لاناس قربوا   قد سقوا بالقدس من مشربكا   فهذه صفة عبد مطلوب لا طالب ونعت
شخص محبوب لا متحبب وحال مراد مقرب لا مريد متقرب وصفة عبد حاجب لا محجوب وسيما
ولي رباني لا مربوب وعلامة محب روحاني لا متنفس شهواني   فهذه جمل ما وصف العارف ولو امكن

تفصيل ما أجمل وشرح ما أميل في كتابه سبحانه وتعالى منفسح من تقليب قلب والمستودع بعين الى غير
ومن المحبة الكتم للغيرة والستر لتنفيس الآخرة وقال بعض العارفين ممن نام به من العارفين ورد
على حال من التعظيم أخرسني عن الكلام والتفهيم بما لا أطيقه صفة من الجلال والعظمة فتحكم على فلم أتحكم
وملكني فلم أتملك ولم أتكلم فلو شيء من واجب حق الله عز وجل كان الي وقدرت عليه لم آذن لأحد من أهل
السموات والأرضين من ملك مقرب ولا نبي مرسل أن يقول الله عز وجل إذ كل قائل فيما قوله كل قريب
من حيث قربه وكل عارف فيما عرف وكل الكل محجوب عن كنه القرب وعن حقيقة التوحيد ومن
عظمة التعظيم فلم يكن أحد يستطيع أن يقول الله فمكثت سنة لا أتكلم وسمعت رجفان قلبي في صدري
وزواله عن مستقره الى النحر ويحك كما سمعته سبحانه وتعالى يقول إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت
قلوبهم فهذا وجل القلوب من ذكر غافل سمعوه فكيف بذكر ذاكر ذكروه فما قال التوحيد إلا الواحد وما
قال الله إلا الله ثم ذكر الباقي هذا الذي ذكر حال من مقام بعينه بمشاهدة عين من عظمة منفرد
لمنفرد وقرب عن وصف قريب متحد لموحد والتوحيد والتفريد وراء هذا والاتحاد والأحدية والانفراد
والوحدانية فوق ذلك والآحاد والأفراد المفردون بما أفردوا والموحدون بما وحدوا والذاكرون
بذكره الذي به ذكروا والمسبحون بسبحانه التي بها سبحوا والمعظمون بعظمته التي بها عظموا أنهم حجاب
هذا المقام وخزان هذا المعنى كشفهم لهذا السر يؤمنهم كفر والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس
لا يعلمون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون فوقفوا مع الأمر لغلبة القهر وسكنوا لأجل الحمد فرسموا له الحد
وهذه يحب الحبيب فهم لا يحبون ما لا يحب لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون هذا أنهم عباد
مكرمون وبالتقوى ملجمون وقد قال قائلهم

لقد بطنت فلم تظهر لذي بصر وكيف يبصر من بالعين مستتر
لكن عرفت بما أظهرت من خبر وكيف يعرف من بالخبر مختبر
وكيف أستر ما عاينت مجتهدا لأنني جاحد أستطيع الخبر
وصرت أسعى لآثار لنا رسمت وغابت العين لا رسم ولا خبر

ومن أعلام المحبة أن لا يطلب بخدمته سواه وأن يجتمع في محبته همه وهواه فلا يهوى إلا ما فيه رضى المولى
ولا يقضي عليه مولاه إلا بما يهوى وروينا عن بعض العلماء إذا رأيته يوحشك من خلقه فاعلم أنه
يريد أن يؤنسك به وروينا في أخبار داود صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم أن الله سبحانه وتعالى أوحى
إليه يا داود إن أود الأوداء إلي من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفيما نقل

مطلب

وهب بن منبه من الزبور ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا أن أطاع
وفي أخبار عيسى صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم إذا رأيت الفتى مشغوفا في طلب الرب عز وجل فقد
ألهاه ذلك عما سواه وروينا عنه صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم أنه مر على طائفة من العباد
قد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال ما أنتم فقالوا نحن عباد قال ولأي شيء تعبدتم
قالوا خوفنا الله عز وجل من النار فخفنا منها فقال حقا على الله عز وجل أن يؤمنكم مما خفتم ثم جاوزهم
فمر بآخرين أشد عبادة منهم فقال لأي شيء تعبدتم قالوا شوقنا الله سبحانه وتعالى إلى الجنان وما
أعد فيها لأوليائه فنحن نرجوها فقال حقا على الله عز وجل أن يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم فمر بآخرين
يتعبدون فقال ما أنتم قالوا نحن المحبون لله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته ولكن
حبا له وتعظيما لجلاله فقال أنتم أولياء الله سبحانه وتعالى حقا معكم أمرت أن أقيم وفي لفظ آخر أنه
قال للأولين مخلوقا خفتم ومخلوقا أحببتم وقال لهؤلاء أنتم المقربون وممن روي عنه هذا القول وأقيم
في هذا المقام جماعة من التابعين بإحسان منهم أبو حازم المدني كان يقول إني لأستحيي من ربي عز وجل
أن أعبده خوفا من العقاب فأكون مثل العبد السوء إن لم يخف لم يعمل وأستحيي أن أعبده لأجل الثواب
فأكون كالأجير السوء إن لم يعط أجره لم يعمل ولكن أعبده محبة له وقد روينا معنى هذا الكلام عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط أجرا
لم يعمل وقال بعض إخوان معروف رضي الله عنهما له أخبرني عنك يا أبا محفوظ أي شيء هاجك إلى العبادة
والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكر الموت فقال وأي شيء الموت قلت فذكر القبر والبرزخ فقال
وأي شيء القبر فقلت خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شيء هذا إن ملكا بيده هذا كله إن
أحببته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفيما حدثني بعض الأشياخ
عن منصور الحربي وغيره أنه رأى بشر بن الحارث في النوم قال فقلت له ما فعل أبو نصر التمار وعبد الوهاب
الوراق قال تركتهما الساعة بين يدي الله عز وجل يأكلان ويشربان قلت فأنت قال علم الله عز وجل
قلة رغبتي في الأكل والشرب فأعطاني النظر إليه وحدثت عن عبد الوهاب الحجبي قال رأيت أحمد بن نصر
الخزاعي فقلت ما فعل الله بك فقال أدخلني عليه في داره وبسط لي حصيرا من لؤلؤ رطب عن يمينه
وقال يا أحمد قتلت في وصبرت لي فقلت نعم يا رب فقال ها أنا ذا أنزل إليك حتى تنظر إلى وجهي
وحدثت عن علي بن الموفق قال رأيت في النوم كأني دخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان
عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه

قوم فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما إلى حضرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد
شخص ببصره ينظر إلى الله عز وجل لا يطرف فقلت لرضوان عليه وعلى سائر الملائكة السلام من هذا فقال
هذا معروف الكرخي عبد الله عز وجل لا خوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته بل حبا له فقد أباحه النظر
إليه إلى يوم القيامة وذكر أن الآخرين بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما وهذا مقام الأبدال
من الصديقين لا يقاومون مقام أبدال الأنبياء إلا بعد صفاء اليقين وحسن المعرفة فأول نصيبهم من الله
عز وجل نظرهم إليه فيجمع لهم بأول نظرة من النعيم والسرور ما لا يوصف جميع ما فرقه في الجنان كلها
من اللذة والسرور والنعيم والحبور وفي النظرة الثانية فوق ذلك وفي النظرة الثالثة أعلى من ذلك وليس من الله
عز وجل حد ولا عدد ولهم أنصبة من وراء النظر أضعافا مضاعفة لا يعرفها سواهم ولا يسع ذكرها إلا لهم
ولا يطلبها غيرهم ولا يطلب بها الصد دونهم لا يسع ذكرها في كتاب ولا يجوز تسميتها بخطاب إلا لأهلها
السائلين عنها الطالبين لها الراغبين فيها طوبى لهم وحسن مآب هي منتهى الراجين ونهاية الراغبين ولا
يبلغون درج الصديقين ولا يعطون منازل الشهداء حتى تغلب محبة الله عز وجل على قلوبهم في كل حال
فيتألهون إليه ويذهلون به عن غيره وينسون في ذكره من سواه هو مذكورهم بذكره ومأواهم بظله كما
ضرب لنا المثل بوصفهم فقال عز وجل أحبائي من عبادي الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشيء
ويأوون إلى ذكري كما يأوي النسر إلى وكره ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر إذا حرد فإنه لا يبالي قل
الناس أو كثروا فتدبر هذه الأمثال إن الصبي إذا كلف بالشيء لم يفارقه إن نام معه وإن تحرك فبه
وإن ذهب عن يومه نعته وإن فارقه بكى عليه وإن وجده ضحك إليه وأما النسر فلا قرار له دون وكره ولا
سكن يأوي إليه غيره إنما كان من شرق الأرض وغربها وأما النمر فإنه لا يملك نفسه عند الغضب لنفسه
حتى يبلغ من شدة غضبه أن يقتل نفسه وذلك أنه يغيب أغلق عنه حتى نفسه فلا يعقل ما فعل
فلذلك ضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل في قوله عز وجل لا يبالي قل الناس أو كثروا بحقيقة الإخلاص
بعينه بمداراة الناس فالمحبون لله عز وجل المخلصون نفوسهم لوجهه حبا فيعبدونه لأجله صرفا وهم المقربون
ونعيمهم في الجنان صرف ويمزج لأهل المزج بالنفس والخلق وهم أصحاب اليمين كما قال عز وجل في وصف
نعيمهم إن الأبرار لفي نعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك ثم قال سبحانه وتعالى في نعت شراب
المقربين ومزاجه يعني مزاج شراب الأبرار من تسنيم عينا يشرب بها المقربون أي يشربها المقربون
صرفا ويمزج لأصحاب اليمين فما طاب شراب الأبرار إلا بمزاج شراب المقربين فعبر عن حمل نعيم الجنان
بالشراب كما عبر عن العلوم والأعمال بالكتاب فقال تعالى في نعت الأبرار مثله إن كتاب الأبرار لفي عليين

ثم قال عز وجل يشهده المقربون فما حسن علمهم ولا صفت أعمالهم ولا علا كتابهم إلا بشهادة المقربين لما قرب
منهم وحضروه وكذلك كانوا في الدنيا تحسن علومهم بعلمهم وترتفع أعمالهم بمشاهدتهم ويجدون المزيد في
نفوسهم بقربهم منهم كما بدأنا أول خلق نعيده وقال سبحانه وتعالى جزاء وفاقا أي وافق أعمالهم جزاؤهم
وقال عز وجل سيجزيهم وصفهم أي يعطيهم غدا كوصفهم في الدنيا إنه حكيم عليم فمن كان في هذه الدار
اليوم نعيمه طيبات الملك فكذلك يكون الملك نعيمه ومن كان فيها نعيمه ذو روحه بالملك الطيب فهذا غدا غدا
في مقعد صدق عنده كما قال أبو سليمان الداراني من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه
ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقد روينا عن رابعة العدوية رضي الله عنها وكانت
إحدى المحبين وكان الثوري رحمه الله يقعد بين يديها ويقول علمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة
وكانت تقول له نعم الرجل أنت لولا أنك تحب الدنيا وقد كان رحمه الله زاهدا عالما إلا أنها كانت تجعل إيثار
كتب الحديث والإقبال على الناس من أبواب الدنيا وقال لها الثوري رحمه الله يوما لكل عبد شريطة ولكل
إيمان حقيقة فما حقيقة إيمانك فقالت ما عبدت الله عز وجل خوفا من النار فأكون كأجير السوء إن خاف
عمل ولا حبا للجنة فأكون كأجير السوء إن أعطي عمل ولكني عبدته حبا له وشوقا إليه وروى عنها حماد
بن زيد أنها قالت إني لأستحيي أن أسأل الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها وكان هذا جوابا لأنه
قال لها سليني حاجتك وخطبها عبد الواحد بن زيد فحجبته أياما حتى سألت أن يدخل عليها فقالت
له يا شهواني اطلب شهوانية مثلك أي شيء رأيت في من آلة الشهوة وخطبها محمد بن سليمان أمير البصرة
على مائة ألف وقال لي غلة عشرة آلاف في كل شهر أجعلها لك فكتبت إليه ما يسرني أنك لي عبد
وأن كل ما تملكه لي وأنك شغلتني عن الله عز وجل طرفة عين وقد قالت في معنى المحبة أبياتا تحتاج
إلى شرح حملها عنها أهل البصرة وغيرهم منهم سفيان الثوري وجعفر بن سليمان الضبعي وعبد الواحد بن زيد
وحماد بن زيد رحمهم الله وهي هذه   أحبك حبين حب الهوى   وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى   فشغلي بذكرك عمن سواكا   وأما الذي أنت أهل له   فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي   ولكن لك الحمد في ذا وذاكا   فأما قولها حب الهوى وقولها حبا لأنت
أهل له وتفرقتها بين الحبين فإنه يحتاج إلى التفصيل حتى يقف عليه من لا يعرفه ويخبر من لم يشهده
وفي تسميته ونعت وصفه إنكار من ذوي العقول ممن لا ذوق له منه ولا قدم له فيه ولكنا نجمل
ذلك ويدل عليه من عرفه تعني حب الهوى أني رأيتك فأحببتك عن مشاهدة اليقين لا عن خبر وسمع تصديق
من طريق النعم والإحسان فتختلف محبتي إذا تغيرت الأفعال لاختلاف ذلك علي ولكن محبتي من

طريق العيان فقربت منك وهربت اليك فاجتمع لشملك علينا وتفرغت لك كما قال [illegible]
فرغت قلبها اشتغلة لا بذكرى وكونى هل فارغ مشغول وعلى هذا المعنى مجاز قوله واصبح فواد ام موسى
فارغا اي الا من ذكره حتى فاض فكادت ان تظهره فتقول هو ابني فعبر عن ذلك بالفراغ من ضده
لولا ان اوحينا عليه ربطنا فكظمت ولو لم تفعل لاظهرت ولو اظهرت لقتل تقول وانقطعت عما
سواك وقد كانت لي قبل ذلك اهوا متفرقة فلما رايتك اجتمعت كلها فصرت انت حلية القلب وحمل المحبة
فانسيتني ما سواك كما قال المحب

كانت لقلبي اهوا مفرقة فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي

واما الحب الثاني الذي هو اهل له يعني حب التعظيم والاجلال لوجهه العظيم ذي الجلال تقول اني مع ذلك
لا استحق على هذا الحب ولا استاهل ان انظر اليك في الآخرة على الكشف والعيان في محل الرضوان ان حبي
لك لا يوجب عليك جزاء عليه بل يوجب علي كل شيء لك ويستخرج مني كل شيء مما لا اطيقه ولا اقوم
بحقك فيه ابدا اذ كنت قد احببتك فلزمني خوف التقصير ووجب علي الحيا من قلة الوفاء والخوف
لما تعرضت به من حبك اذ ليس كمثلك شيء كما قال المحب

اصبحت صبا ولا اقول بمن خوفا لمن لا يخاف من احد اذا تفكرت في هواي له لمست راسي هل طار عن جسدي

لولا ان الحب ينطق والشوق يقلق والوجد يحرق فالمحب لا يلام لغيبة النفس عنه والانام تقول
تفضلت علي بفضل كرمك وما انت له اهل من تفضلك فاريتني وجهك عندك آخرا كما اريتنيه اليوم
عندي اولا فلك الحمد على ما تفضلت به في ذا عندي في الدنيا ولك الحمد على ما تفضلت به في ذاك عندك
في الآخرة ولا حمد لي في ذا ههنا ولا حمد لي في ذاك هناك اذ كنت انما وصلت اليهما بك فانت المحمود فيهما
انك وصلتني بهما فهذا الذي فسرناه هو وجد المحبين المخفين وقد كانت تتذكر الانس في وجدها
وترتفع الى وصف معنى من الخلة وشيء من تخلل اسرار الغيب في قولها السائر

اني جعلتك في الفواد محدثي وابحت جسمي من اراد جلوسي
فالجسم مني للجليس موانس وحبيب قلبي في الفواد انيسي

ومن قولها النادر في مقام الخلة

وتخللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي واذا ما سكت كنت الغليلا

وقد اهلها لذلك كل من نقله عنها من العلماء ووصفوها به فوصفنا من نعت المحبين بعض ما يصلح
من معاني كلامها لانا ظننت بقولها ذلك اذ كان لها في المحبة قدم ولا يسعنا ان نشرح في كتاب حقيقة
كشف ما اجملناه ولا ان نفصل وصف ما ذكرناه ومن لم يكن من المحبين كذلك حتى لا يريد بمحبته ولا
يقتضي الجزاء عليها من محبوبه ولا يوجب على حبيبه شيئا لاجل محبته فهو مخدوع بالمحبة ومحجوب

بالنظر اليها وانما ذلك بمقام الرجا الذي ضده الخوف لا لبس من المحبة في شيء ولا تصح المحبة الا بخوف
المقت في المحبة وقال بعض العارفين من عرفه من طرائقه عرفه ولا احبه من توهم انه احبه

ذكر مخاوف المحبين ومقاماتهم في الخوف

وللمحب سبع مخاوف ليست لشيء من اهل
المقامات بعضها اشد من بعض اولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واعظم من هذا خوف
البعد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب الحبيب اذ سمع المحبوب يقول الا بعدا لثمود الا بعدا
لمدين كما بعدت ثمود فذكر البعد في البعد شيب اهل القرب في القرب فكيف يعرف البعد من لم يقرب
ام كيف يحن الى القرب من الف البعد بل كيف يبكي في البعد من لم يعهد القرب ثم خوف السلب للمزيد
والايقاف مع التحديد وهذا يكون للخصوص في الاظهار والاخبار منهم فيسلبون المزيد من نوعه ان كان
من الآيات او حقيقة ذلك عقوبة لهم ويكون للعموم عند ايثار الشهوات على اوامر الطاعات كما روينا عنه سبحانه وتعالى
ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي وكما ان العبد ليعمل
عملا في السر فيتحدث به فيمحى من ديوان السر فيكتب علانية فاذا محي من ديوان الكتاب محيت انوار من
قلوب العمال وقد يكون عند الدعوى للمحبة ووصف النفس بحقيقتها وانما معه علمها دون الوجد بها
فينقصون معهم ولا يفطنون لذلك وهو لطيفة من المكر الخفي وقد قرن الله سبحانه وتعالى الدعوى بفرية
الكذب لانها كذب القلب بمنزلة كذب اللسان في قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي
الي ولم يوح اليه شيء ونهى عنها كنهيه عن التولي عنه في قوله عز وجل ولا تولوا عنه ولا تكونوا كالذين
قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ثم خوف الفوت الذي لا درك له سمع ابرهيم بن ادهم وهو احد المحبين
قائلا يقول في سياحته على جبل

كل شيء لك مغفور سوى الاعراض عني
قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات مني

فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وهذا في قصة طويلة كانت له بعد مقامات اقيم فيها ونقل عنها
الى هذا المكان حتى قال في آخر ذلك فسمعت النداء من الجبل يا ابرهيم كن عبدا قال فكنت عبدا فاسترحت
معناه لا يملكك الا واحد تكون عبدا له حرا مما سواه ولا تملك شيئا فان الاشيا في خزانة مليكها
فلا تتملكها فتحجبك عن المالك وتبرك بقدر ما ملكتها وقد ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا بينه وبين
خلقه ان رجلين احدهما فيه شركا متشاكسون متشاحون عليه من اهل ومال وشهوات في كل واحد
يجذبه اليه ويريد نصيبه منه ويشغله به ويحب فراغه له وآخر سالما من الشركا خالصا من
الشرك متوحدا لواحد انهما لا يستويان في قوله عز وجل ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا متشاكسون

ودجلا سالما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله على اتقان صنعه وتحسين خلقه بل اكثرهم لا يعلمون اي الاكثر
ليسوا علماء لهذا الواحد للواحد فمنا فنسوا في واحد ويسلكوا اشكاله لو لحيين لو اشد من الفوت خوف
السلو وهذا الخوف ما يخافون الا من حجبهم لما كان به لا بهم ومنه لا منهم وهو نعمة عظيمة لا يعرف قدرها
فكيف يشكر عليها ولا يقوم لها شي فكذلك سلوهم عنه يكون به كما كان حبهم له به فيدخل عليهم السلو
عنه من حيث لا يشعرون من مكان ما دخل عليهم الحب له من حيث لا يعلمون فيجد السلو به كما كان يجد
الحب له فتكون قد سلوت عنه وانت لا تدري كيف سلوت لانه يدرج لك بما خدعك به من الاستبدال منه
بما يدري الا انك لا تفطن لذلك لتهوينه الامر عليك فتنقفم مع الرجاء وتغتر بحسن الظن الذي كنت
تعهده منه او لغلبة الهوى والشهوة والنسيان فهو من اقوى جنود الارض لانهن يغلبن اضدادهن
من جنود السماء وهو العلم والعقل والبيان فان زللتم من بعد ما جاتكم البينات الآية عزيز لا يوصل اليه الا به
حكيم حكم عليكم بالزلل عنه الا انه يدرج في ذلك استدراجا بلطائف الحكمة على معهود الاسباب ومالوف
المعتاد فكما انك احببته وانت لا تدري كيف احببته لانه عز وجل اشهدك وصفه به باطلاع القدرة
على جنان الرحمة فاستمال الحب له فوجدت نفسك محبا له كذلك ترجع المحبة كما جاءت بمحبك عنه
عن فعل مكروه يبدو لك منه ظهر عن وصف الكبر والجبرية فتجد قلبك ساليا عنه بلا حول ولا قوة منك
ولا اجتلاب ولا حيلة وهذا لا يصفه الا عارف بدقيق بلائه ولا يحذره الا خائف من خفي مكره وابتلائه
فاذا سلوت عنه به كان ذلك دليلا منه انه قد بغضك واطرحك كما انك اذا كنت تحبه انما احببته
به وهذا هو تحقيق المكر الذي تحقق بالممكور وهو درك الشقاء الذي ادرك المغرور واشد من هذا كله
خوف الاستبدال نعوذ بالله العظيم منه لانه لا مثوبة فيه وهذا هو حقيقة الاستدراج يقع عن نهاية
المقت من المحبوب عز وجل وغاية البغض منه والبعد والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب
بداية ذلك كله والقبض عن الذكر وضيق الصدر بالبر ومنع اللسان من تلاوة القرآن ورفع حلاوة
الفهم وغيب شهادة البيان اسباب هذه المعاني المبعدة والمدارج المدرجة اذا قويت تزايدت اخرجت
الى هذا كله واذا تناقصت عبدت بها الصالحات والحسنات ادخلت في مقامات المحبة والقربات كما جاء في الاثر
التائب حبيب الله سبحانه وتعالى كذلك في تدبر الخطاب ان العاكف على هواه مقيت الله عز وجل فوجود هذه
الاوصاف منك دلائل ما غاب عنك من الاستبدال بك والاسقاط لك والخوف من هذه المعاني علامة المعرفة
باخلاقه المكونة المقلبة ولا يصلح شرح هذه المقامات في كتاب ولا تفصيلها برسم خطاب انما تشرح في
قلب بغيته قد شرح وتفصل العبد من نفسه قد فصل فاما قلب مشترك وعبد في هواه مرتبك

فليس لذلك بلاء والله سبحانه وتعالى المستعان وثم خوف ما من غير شهادة حب عالي يقرب اسمه فليس
ويخفى وصفه لقلة اشتهاره في الاسماع فيجهل لم تسميه لانه خفي عن مقام له اسم من المحبة يتشنع
على كثير من سامعيه فينكرونه ويتشنج في اوهام غير مشاهديه فيمثلونه بالخلق فان ذكر ما خوفه ثم
على ذكر مقامه وظهر باطنه فكان طيه افضل من نشره الى ان يسال عنه من ابتلي به ثم صدر عنه
بعد ان شرب منه لان مقامات المحبة كلها الى الحب مقامه كنهر اضيف الى البحر مثله كمثل مشاهدات اليقين
كلها الى الحب شهادة التوحيد بالتوحيد وهو وصف من المحبة يقرب لانه من شوق الحبيب الى المحب وهو معنى
من قول رابعة رضي الله عنها انما احب ومن معنى قول عائشة رضي الله عنها ارى ربك يسارع الى هواك
وقال ابو الدرداء لكعب الحبر رضي الله عنهما اخبرني عن اخص آية في التوراة فقال يقول الله عز وجل طال
شوق اوليائي الي واني اليهم اشوق وال جانبها مكتوب من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال
ابو الدرداء اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي الخبر ان الله سبحانه وتعالى يدنو من
اوليائه في كل يوم وليلة دنوة ولولا ذلك لانخطموا ورويناه في ذلك اخبار داود عليه وعلى سائر الانبياء
السلام من اوصاف المحبة يا داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومونس
لمن انس بذكري وانيس لمن انس بي وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني
ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقي من
طلبني بالحق وجدني ومن طلبني بغير حق او طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من
غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وانسوا بي اوانسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت
طينة احبائي من طينة ابرهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي اني خلقت قلوب المشتاقين من نوري
ونعمتها بجلالي فهذا في مقام خلة وحال مطلوب وهو من وصف مقرب ونعت محبوب ومن صدر عن
مقام محب بعد وروده دفع الى هذا المقام لانه مقام محبوب وقد كان الجنيد رحمة الله عليه ينشد
هذه الابيات سرت باناس في الغيوب قلوبهم فحلوا بقرب الماجد المتفضل عراص بقرب الله في ظل قدسه
تجول بها ارواحهم وتنقل مواردهم فيها على العز والنهى ومصدرهم عنها لما هو اكمل
تروح بعز مفرد من صفاته وفي حلل التوحيد تمشي وترفل ومن بعد هذا ما تدق صفاته وما كتمه اولى لديه واعدل
ساكتم من علمي به ما يصونه وابذل منه ما ارى الحق يبذل واعطي عباد الله منه حقوقهم وامنع منه ما ارى المنع افضل
على ان للرحمن سرا يصونه الى اهله في السر والصون اجمل وقال بعض العلماء من عرف الله
سبحانه وتعالى من طريق المحبة بغير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عرفه من طريق الخوف من

غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عرف الله سبحانه وتعالى من طريق المحبة والخوف
لمحبة الله عز وجل تقريبه ومكنته وعلمه وليس العجب من خوف الخائفين اذ لم يعرفوا الا الصفات المخوفة
والافعال القاصمة وانما العجب من خوف المحبين مما عرفوا من اخلاقه وحنانه وشهدوا من تعطفه
واحسانه ما لم يعرف الخائفون ثم هم مع حبهم له يهابونه وعلى انسهم به يجلونه وفي فرحهم منه يشفقون
اليه وفي بسطه لهم ينقبضون بين يديه وفي اعزازه لهم يذلون له الا من قبض فانقبض فليس بعجب
ولكن من بسط فانقبض فهو العجب ومن اهين فذل فلا عجب ولكن من اعز واكرم فتواضع وذل
فهو عجب فللمحبين الانقباض في البسط وللخائفين الانقباض في القبض وللمحبين الذل مع العز
والكرامة وللخائفين الذلة مع الهيبة والمهنة فهذا يدل على ان معرفة المحبين به اعظم المعارف اذ كانت
اوايل احوالهم المخاوف فكل محب لله عز وجل خائف منه وليس كل خائف محب يعني محبة المقربين لانه لم
يذق طعم الحب لان محبة المسلمين المفترضة لا يقع بها اعتبار في مقامات التخصيص لانه لا يوجد عنها
مواجيد الاحوال ولا يعلى بها في مشاهدات الانتقال لانها قوت الايمان منوطة بصحته وموجودة بوجوده
فاشبهت محبتهم معرفتهم بالله عز وجل التي عنها توحيدهم انهم عرفوه بوصف الازل والقدم والسرمدية
والابدية وهذا مندرج في اسمين من اسمائه اول واخر والعارفون عرفوه بصفات الجبر والقهر والقدرة
والكبر وهذا قد احكمه في الاسمين ظاهر وباطن وليس هذا من معارف المحبين في شي والمحبون عرفوه بصفات
التجلي ومعاني المعاني في نعوت الاخلاق وفي هذا سرائر الغيوب ومشاهدات المحبوب انشد بعضهم
في معنى من المعاني   ابدى شواهده في قلب شاهده وابن شاهده فيما يجليه
من الصفات التي من اجلها عبدوا اهو تجلى بها ام من تجليه الحمد لله لا بون ولا صلة هذا مكان لنا معنى معانيه
وانشدني آخر في معنى من التوحيد   سبحان من قد جل في قدره ان يدرك الا قرب من وصفه
ومن تجلى بصنوف البلا ليشهد الا لطف من لطفه   وانشدني بعضهم في معاني التجلي والحجاب
لقد ظهرت فما تخفى على احد الا على اكمه لا يعرف القمرا   لكن بطنت بما اظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعرف مستترا
فصرت احجب ما عاينت مجتهدا الا انني حاجب استطلع الخبرا   وانشدت في وصف من معنى الوجد
والتعزير بمعناه   لقد بطنت فلم تظهر لذي بصر وكيف يدرك من بالعز مستتر
لكن عرفت بما عرفت من خبر وكيف يعرف من بالعرف مختبر
فصرت اسعى لاثار لنا درست وغابت العين لا رسم ولا اثر
والكلام في التجلي والاحتجاب والجمع والانصال لا ارسمه في كتاب لانه يؤود العقول فتنفر منه

تنطرح وتنبسق عنه العقول فتفيض عليها فتمحى وانما المكلمة من قلب الى قلب واوعيه من عين الى
عين وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم ارني الدنيا كما تراها فقال له
ان الله لا يرى الدنيا كما تراها ولكن قل اللهم ارني الدنيا كما يراها الصالح من عبادك وفي دعا النبي
صلى الله عليه وسلم يا مكون كل شي يا مكنون كل شي فهذه مواجيد العارفين ومشاهدة المحبين وهي
المعرفة الخاصية فاما صفات الابد والازل والدهر والسرمدية والديمومية فهي المعرفة الاصلية مركبة
في الفطرة مكانها العقل مغروزة فيه وعليها الكافة من اهل القبلة من ذوي العقول ولكن العارف المحب
هو المتعرف اليه المقرب منه بصفات التجلي وهو صورة ابينا آدم عليه السلم والوصف الذي تجلى به لصاحبنا
محمد صلى الله عليه وسلم بينهما المعرفة الخاصية يختص برحمته من يشا والمحبة لا تدفع الهيبة فلذلك كان
كل محب لله سبحانه وتعالى خائفا لان المحبوب مهوب والخوف قد يقبض عن المحبة لشغل الخائف بوصفه
السالف وهذا كشف الابرار وهو حجاب المقربين الا ان المحبين لهم من الخوف قرب ومن الحب اتساع
والخائفون لهم من الخوف اتساع ومن المحبة قوام وهذا كما نقول في الرجا والخوف لانهما وصفا الايمان الا
ان الخائف يندرج الرجا في حاله والراجي ينطوي الخوف في رجائه كذلك المحب يصير الخوف في عقده ويظهر
الحب في وجده والخائف يغيب الحب في عقده ويظهر الخوف في وجده ان ربي لطيف لما يشا هذا
لظهور الطرقات ومباني الدرجات اذ كان لا بد من مجموعها في قلب لانها من شرط الايمان وحقيقته
فتلطف سبحانه وتعالى لحكمته بقدرته وفي سبق ترتيب المقامات من الله عز وجل حكم غريب وحكمة
لطيفة لا يعرفها الا من اعطي يقين شهادتها ان سبق الى العبد مقام المحبة كان محبا محبة اصحاب
اليمين فلم يكن له مقامات المحبين المستانسين ولا المشتاقين في مقامات المقربين وكل هولا موقنون
صالحون وان سبق الى العبد مقام الخوف كان محبا حب المقربين العارفين هم درجات عند الله والله بصير
بما يعملون وربما كانت المحبة ثوابا للخوف ومزيدا له وهذا في مقام العاملين وربما كان الخوف مزيدا
للمحبة وثوابا منها وهذا في مقام العالمين فمن كانت المحبة مزيده بعد الخوف كان من المقربين المحبوبين ومن
كان الخوف مزيد محبته فهو من الابرار المحبين وهم اصحاب اليمين وسئل امامنا ابو محمد رحمه الله الحب
افضل او الحيا فقال الحب الذي يورث من الخوف الحيا افضل منه والحب الذي يورث منه الحيا افضل
من الحيا وهو الشوق وقال الجنيد رحمه الله المحبة نفسها قرب القلب من الله عز وجل بالاستنارة والفرح
فاما حجب تجلي الصفات عن الاسماء الباطنة التي رمزنا بها آنفا فانا لم نذكر منه شيئا وانما ذكرنا محبة
الاخلاق والافعال عن الاسماء الظاهرة وقد كان ابو يزيد وابو شعيب المقنع رحمهما الله وسري بن مغلس

وابو عبد الله بن الجلاء والجنيد بعدهم يذكرون العشق في مقامات خليل ومحب وزاد ابو يزيد ذكر العشق
في مقام محبوب وجعله معشوقا وكان يستشهد بذلك ويظهره عن نفسه لتنفسد كانهم يريدون وصفا من المحب
مخصوصا لا عن فعل ولا بسبب بل لوصف تجلى به لهذا لا يزيد بعمل ولا ينقص بذنب بل وصف من وصف
الحق عز وجل يدل على صفات صفات ومعاني معان الا ان هذا ليس من معارف العامة ولا يهتدي اليه
قلوبهم ولا يقدح في جواهر عقولهم وليست صفاتهم مكانا لهذا ولا اخلاقهم مخلقة عليه ولا علومهم نافذة فيه
وقد روينا لفظا من هذا المقام في اخبار داود عليه السلام ان الله سبحانه وتعالى اوحى اليه تزعم انك منقطع الي
وتدعي عشقي وتسيء الظن بي الي كنفك بين يدي اكن اختار لك فان محبتي من عبادي ان يكونوا حائرين
لا يقيمون مصابيح القلوب كن في الدنيا وحدانيا تحبس العباد الي هنا لك ارفع النور لك شاهد المخلوقين
ببدنك وقلبك لا فاذا كنت كذلك قضيت ما عليك وبقي ما علي في كلام نحوه قال في آخره لا تهتم بالخبز
وانت تريدني آثر هواي على هواك واغضب لي اشد مما تغضب لنفسك وما رايتنا احدا رسم مشاهدات العاشقين
ولا مواجيد العارفين في كتاب ولا احسب انه يحل رسمه ولا كشفه للكافة لانه من سر القدرة لا يكاشف
به الا من اطلع عليه ولا يتحدث به الا مع من راى كانه فيه فانما يتلقى من قلوب العلماء اذا تجلت به
مواجيدهم وينسخ من قلب الى قلب وسوى شبه ما كنينا عنه آنفا من الخوف الشامل الذي لم نصفه لمن لا يعرفه
ومما نقل في الاثر من وصف من اذيق منه ولم يفصح بذكر وصفه انا روينا في الاخبار ان بعض الصديقين
ساله بعض الابدال ان يسال الله عز وجل ان يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله
وَوَلِهَ قلبه وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسال له الصديق ربه عز وجل فقال
يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى اليه انما اعطيناه جزءا من مائة الف جزء من ذرة المعرفة وذلك ان
مائة الف عبد سالوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سالني هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما
اجبتك فيما سالت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك
فقال سبحانك احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله سبحانه عنه جملة الاجزاء وبقي فيه عشر معشار
وهو جزء من الف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه وعلمه ورجاؤه وصار كسائر العارفين فهذا النوع من
شان المعرفة وتجلي الوصف بمعنى محبة تليق به لا يسع الخلق ولا يصلح لهم ولا يستقيمون عليه فلذلك كان
طيه احسن من نشره لان العقول تنكره والقلوب تمجه والهمم لا تسري فيه والقلب تجذبه الا محبة
الله سبحانه وتعالى من العموم وقد وصف بعض الصوفيين بعض اهله فقال
ظهرت لمن ابقيت بعد فنائه وكان بلا كون لانك كنته   فمنك بداء عز بحب تمازجا بماء وصال كنت انت وصلته

وابدان وصفها بالعلوم مخبر لفتشت قلبا بالعلوم جمعته وافردت لحبا فيك منك بمشهد بلا علم في العلم حين بسطته
تعززت بالعز المنيع وجل من اشار الى علو فانت خدعته وقد ذكرت هذه الابيات عن ابي القاسم الجنيد
رحمه الله   وانشدت ايضا في وصف العارف المحبوب   قريب الوجد ذو مرمى بعيد على الاحرار منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب كان فؤاده زبر الحديد   لقد عزت معانيه فغابت عن الابصار الا للشهيد
ترى الاعياد في الاوقات تجري له في كل يوم الف عيد   وللاحباب افراح بعيد ولا يجد السرور له بعيد
ومثل هذا المقام في الاحوال مثل اهل الحلال في الآجل لا يريد الله سبحانه وتعالى ان يطعمه الحلال لعمارة
الدار لان الامة كلها لو اكلوا حلالا اربعين يوما خربت الاسواق لزهدهم في الدنيا وليس ذلك من الحكمة ولو
ان العلماء كلهم اكلوا حلالا لم تسمع من هذه العلوم التي نسمعها شيئا لتشغلهم بنفوسهم واعراضهم عن اصحابهم
ففي ترك ذلك حكمة حسنة ورحمة واسعة   ومن علم المحبة سهر الليل بمناجاة الخليل والحنين الى الغروب
شوقا الى الخلوة بالمحبوب ومناجاة القلب بسرائر الوجد ومطالعة الغيب فان المناجاة عند اهل المصافاة
انما هي بالقلوب وهي مطالعاتها بواطن الغيوب وجولانها في سر الملكوت وعلوها في معالي الجبروت بانوار
ارواحها يحملها شعاع انواره فيوقفها على خزائن اسراره والمناجاة علامة رؤية القرب وشاهد وجود الانس
وفيما اخبرنا عن الله سبحانه وتعالى انه قال اليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه فها انا ذا قريب من احبابي
اسمع سرهم ونجواهم واشهد حنينهم وشكواهم   وروينا عن السلف ان الله عز وجل اوحى الى بعض الصديقين
ان لي عبادا من عبيدي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي
وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال
بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا
جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم
وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك وبين
قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ثلاث
اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيهما في موازينهم
لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه
فهؤلاء الذين اقبل الجبار جل جلاله بوجهه عليهم هم الذين وصفناهم قبيل انهم احبوه بكل قلوبهم وكان كما
قال سبحانه وتعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان وكما قال عز وجل جزاء وفاقا فنظروا الى وجهه بنور
وجهه الكريم فتجلى لهم بوصف محبوب فاحبوه   كما روينا عنه في خبر موسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم

اما علمت اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها فالله سبحانه وتعالى لا ينظر الى الاجسام
والنفوس انهما من الدنيا ولا ينظر اليهما بعينه العزيزة المكنونة انما ينظر الى القلوب والاعمال
لانهما من الآخرة فهو ينظر اليهما بعينه فتزداد اشراقا وحسنا عن نوره وحسنه ثم لا ينظر الا الى
قلوب الموقنين واعمال المخلصين فبنوره داوود في نوره تجلى فاما العموم فقلوبهم كاجسادهم واعمالهم
تشبه قلوبهم فالله سبحانه وتعالى ينظر اليهم كنظره الى الدنيا بعين التدبير والتقدير فتنفاد فهم ظاهر التوحيد
عن ظاهر الصفات والاسماء وهو الذي ذكرناه آنفا من انهم عرفوه بالملك والحكم وشهدوه بالقدم والازلية
عن معنى ما نظر به اليهم فسبحان من وسع كل شيء رحمة وعلما وسبحان من نظر الى من يحب بالوصف
الذي يحب فاحبوه عن نظره فاما الشوق فانه مقام رفيع من مقامات المحبة وليس ينبغي الشوق
للعبد راحة ولا نعيما في غير مشوقه والمشتاقون مقربون بما اشهدوا من الشوق وهم المامور بطلبهم
الوجود الحبيب عندهم مشوبة منه لهم لما شوقهم اليه في قوله سبحانه وتعالى لموسى عليه وعلى سائر الانبياء السلام
اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من اجلي هم المشتاقون من المحبين والله اعلم وذلك ان الحبيب سبحانه وتعالى
قرب منهم بوصفه تكرما ففرحوا بقربه وعاشوا بمشاهدته ونعموا بحضورهم عنده ثم احتجب سبحانه
وتعالى عنهم غيرة على نفسه لعزه فانكسرت قلوبهم لاجله فاشتاقوا الى عودهم من قربه فثبتت
لديه حرمتهم فامر اولياءه بطلبهم واوجد نفسه عندهم لمكانهم عنده ففرح هولاء من المحبين بقربه
لا بوصف وانكسارهم وحزنهم لاجله لا يعرف والله سبحانه وتعالى قد يعرض عن محبيه تعززا لئلا يحجبهم
الشوق اليه ويقلقهم الاسف عليه فيستخرج منهم لطيف التملق له ثم ينظر اليهم في اعراضه عنهم
من حيث لا يعلمون لينظروا اليه بحيث يعلمون فيسكنون بالادب بين يديه وحدثونا عن ابرهيم بن ادهم
وكان احد المشتاقين وهو من ابدال هولاء الذين تكلم في علمهم وكشف طريقهم وكانت له رحمه الله
اماكن من المحبة رفيعة ومكاشفات في القرب عالية قال قلت ذات يوم يا رب ان كنت اعطيت
احدا من المحبين لك ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في النوم
انه اوقفني بين يديه فقال يا ابرهيم اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل
لقائي هل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه ام هل يستريح المحب الى غير مشوقه قال فقلت يا رب
تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني كيف اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على
بلائك واوزعني شكر نعمائك هذا كما قال المحب
من اراد الحبيب سار اليه وجفا الاهل دونه والقريب
ليس داء المحب داء يداوى انما برؤه لقاء الحبيب
وكما قال المستهتر المشغوف

[illegible]
سكن اسكن المحبة قلبي لئن شاء دون فهم من شوق ما ان تذكيه فحلى قلوب اولنا ملئه فكل عيون
فمقام الشوق في المحبة يجل عن الوصف ويجاوز في العلو والفضل كل عرف ولا يصلح ان نصف الا انا
نذكر من ذلك ما سمعناه نقلا فلا ننكرن اخبار الله عز وجل واوليائه فضلا ولا نخرجه قدما بالتدبير
والقياس عقلا فقد جاوز مقامهم كل عقل كما اشتمل حالهم ووجدهم بمحبوبهم على كل فضل ورويناه
في اخبار نبي الله داود صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم ان الله سبحانه وتعالى اوحى اليه كم تذكر الجنة ولا
تسالني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك فقال ان المشتاقين الي صفيتهم من كل كدر
ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي
ثم ادعو نجباء ملائكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لاعرض
عليكم قلوب المشتاقين الي واباهي بكم اهل الشوق الي وان قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء
الشمس لاهل ارضي يا داود انه من ذكرني ذكرته ومن انس بي آنسته ومن جلس الي جالسته اني انا اكرم
الكرماء واحلم الحلماء يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي واتخذتهم
لنفسي محدثين وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون
في كل يوم شوقا قال داود يا رب ارني اهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر
نفسا منهم شبان وفيهم كهول ومنهم مشايخ فاذا اتيتهم فاقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم
السلام ويقول لكم الا تسالوني حاجة الا تنادوني اسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبائي واصفيائي واوليائي
افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظرة الوالدة الشفيقة الرفيقة فاتاهم
داود عليه وعلى سائر الانبياء السلام فوجدهم عند عين من الامواه يتفكرون في عظمة الله عز وجل فلما
نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم عز وجل
فاقبلوا عليه والقوا اسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله عز وجل اليكم
يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسالوني حاجة الا تنادوني اسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبائي واصفيائي
واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظرة الوالدة الشفيقة الرفيقة
قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع
قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن
علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك افنجترئ
على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا في شيء من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتمم بذلك المنة علينا

مطلب اخبار داود النبي عليه السلام وعلى نبينا

وقال الآخر نحن مقصرون في طلب رضاك فأعنّا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت
علينا بالتفكر في عظمتك أيجترئ على الكلام من هو مشغول بعظمتك ومتفكر في جلالك وطلبت الدنو
من نورك وقال الآخر كلّت ألسنتنا عن دعائك لعظيم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك
على أهل محبتك وقال الآخر أنت هديت قلوبنا لذكرك وفرّغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا
في شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا إنما هي النظر إلى وجهك وقال الآخر كيف يجترئ العبد على
سيده إذ أمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نوراً نهتدي به في الظلمات من أطباق الأرض والسماوات
وقال الآخر ندعوك أن تقبل علينا وتديمه عندنا وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت
به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر إلى جمال وجهك وقال الآخر
أسألك من بينهم أن تعمي عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر
قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك
فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى داود قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتم فليفارق كل واحد
منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سرباً فإني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري
وجلالي فقال داود يا رب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات
بي ومناجاتهم لي وإن هذا منزل لا يناله إلا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها
وفرّغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بيني
وبينه حتى ينظر إليّ نظر الناظر بعينه إلى الشيء وأريه كرامتي في كل ساعة وأقربه من نور وجهي
إن مرض مرّضته كما تمرّض الوالدة الشفيقة ولدها وإن عطش أرويته وأذيقه طعم ذكري فإذا
فعلت به ذلك يا داود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها فلم أحببها إليه لا يفتر من الاشتغال بي
يستعجلني القدوم إليّ وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا أرى
غيره فلو رأيته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه إذا سمع بذكري جسمه
أباهي به ملائكتي وأهل سماواتي يزداد خوفاً وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لأقعدنّه
في الفردوس ولأشفين صدره من النظر إليّ حتى يرضى وفوق الرضى فهذه مقامات المشتاقين
في مراتب الشوق عن درجات المحبة ومراقي المعارف والوجد فكل مشتاق منهم نطق بحقيقة وجده
وعبّر عن وجهة حبه ودلّ بذلك على حاله وأخبر به عن سره وقد أحببت أن أشرح أحوالهم وأفصّل
مواجيدهم وأكشف أسرار مراتبهم وأبين رفيع مكانهم وأوسع أنصبة تمكينهم ويعز عليّ أن لا
أستطيع

ذلك ولا يصلح رسمه في كتاب لأن الكتاب يتداول والرسم ينتقل فيتعذر ذلك على قلة إمكانه من
قبل السامعين ولقلة أنصبة الواعين وخيفة إنكار ذوي العقول لحجبهم بالعقل إذ هو حجاب المتقين
بأن أخبرناهم بما ليس في وسعهم وكاشفناهم بما قد قصرت عنه أوهامهم ولم يفكروا فيه قط افهامهم
تفاوت الأمر عليهم فأدمن ضبطه وتشتتت به قلوبهم فلم تجتمع على حفظه ولكن الطريق القاصد إلى الله
سبحانه وتعالى الموصل أهله إلى رضاه ومحبته الذي هو سبب هذا الفضل العظيم هو بغض الدنيا
وأبنائها فهو أصل كل مرتبة علية كما أن حبها وحب أبنائها أصل كل نفاق وخطيئة كما روينا
في أخبار داود عليه وعلى سائر الأنبياء السلام أن الله سبحانه وتعالى أوحى إليه تزعم أنك تحبني فإن كنت
تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب يا داود خالص حبيبي مخالصة
وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلّدنيه ولا تقلّد دينك الرجال أما ما استبان لك مما وافق
محبتي فتمسك به وأما ما أشكل عليك فقلّدنيه حقاً عليّ أن أبادر إلى سياستك وتقويمك وأكون قائدك
ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد فإني قد آليت على نفسي أن لا أثيب عبداً إلا
عبداً قد عرفت من طلبته وإرادته إلقاء كنفه بين يدي وأنه لا غنى به عني فإذا كنت كذلك نزعت الذل
والوحشة عنك وأسكنت الغنى قلبك فإني قد حلفت على نفسي أنه لا يطمئن عبد إلى نفسه ينظر إلى أفعالها
إلا وكلته إليها أضف الأشياء إليّ لا تضادّ عملك فتكون متعنتاً ولا ينتفع بك من يصحبك ولا
تجد لمعرفتي حداً فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة أعطيتك ولا تجد للزيادة مني حداً ثم أعلم
بني إسرائيل أنه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وإرادتهم عندي أبح لهم ما لا عين
رأته ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر إليّ بعين قلبك ولا تنظر بعينيك
في رأسك إلى الذين حجبت عقولهم عني فأمرجوها وسخطت بانقطاع ثوابي عنها فإني حلفت بعزتي وجلالي
لا أفتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو
علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضاً يمشون عليها يا داود لأن تخرج مريداً من سكرة
هو فيها تستنقذه منها فأكتبك عندي جهبذاً ومن كتبته جهبذاً لا أكون عليه وحشة ولا فاقة إلى
المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها إلا أحجب محبتي عنك لا تؤيس
عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فإنما أبحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات
فإنها تنقص حلاوة مناجاتي فإنما عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل إليهم أن
أحجب عقولهم عني فإني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزّهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالماً يحجبك

يذكره عن محبتي الأكل فقطاع الطريق على عبادي المريدين الشفيق على ترك الشهوات بإدمان الصوم وإياكم والتجربة في الإفطار فإن محبتي في الصوم إدمانه يا داود تحبب إليّ بمعاداة نفسك وامنعها الشهوات أنظر إليك فترى الحجب بيني وبينك مرفوعة إنما أداريك مداراة لتقوى على ثوابي إذا مننت به عليك وإني أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي ○ واعلم أن كل محب لله عز وجل فعن محبة الله سبحانه وتعالى له لأن وجود العبد بمحبته لله سبحانه وتعالى علامة غيب محبة الله عز وجل له يبين ذلك الغيب من الله سبحانه وتعالى في الشهادة من عبده ثم إن كل عبد أحب الله سبحانه وتعالى فمن حيث أحبه الله عز وجل كما أنه عرفه من حيث واجهه وكل من خدمه وتأدب بين يديه وعبده وتعبد له بمعنى من معاني العبادات فلذلك هو عن معنى ما أحبه وواجهه من معاني صفات لا يمكننا شرح ذلك إلا أنه في الدعاة إلى الله عز وجل والأدلة عليه والمطرقين للعباد إليه أن كل داع ودليل دعا إلى الله عز وجل فمن حيث دعاه الله سبحانه وتعالى إليه ودل على الله عز وجل فمن حيث دله الله عليه وطرق إليه سبيل العبادات وسهل منهاج القربات من حيث طرقه الله عز وجل وسهل له السبيل إليه ومن المحبة كتمان بلاء الحبيب بعد الرضى به لأن ذلك من البر عنده وحسن الأدب لديه وعوتب أبو محمد رحمه الله في العلة التي كانت به وكان يداوي الناس منها ولا يداوي نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع، وكان الجنيد رحمه الله يقول من علامة المحب في المكاره والأسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء إذ هو لطف من مولاه وفيه القربة إلى محبوبه وقلة التأذي بكل بلاء يصيبه لغلبة الحب على قلبه، وقد كان بعض المحبين يقول أصفى ما أكون ذكراً إذا كنت محموماً، وذكر بعض من ينتمي إلى المحبة مقامه في المحبة عند بعض المحبين فقال له أرأيت هذا الذي تذكر محبته أهممت بسواه قال نعم قال فهل رأيته في ليلة مرتين وثلاثاً قال لا قال لولا أني أستحيي لأخبرتك أن محبتك معلولة تهتم بسوى حبيبك ولا تراه في نومك ثم قال لكني أعرف من لا يدعي محبته وعلى ذلك ما اهتم بسواه مذ عرفه ويتمارآه في ليلة سبع مرات ○ وإنما لم يهتم المحب بسواه من قبل أنه لا ينساه فكيف يذكره من ليس ينساه بل هو مذكور بذاكر لا ذاكر ولا متذكر ومتذكَّر وهاهنا افتضح المدعون وانكشف المستور إن اهتم بغيره فقد نسيه والحبيب لا ينسى لأنه لازم للهم مستشعر بالقلب ملاحظ في الغيب وهو الناظر والمنظور وهو السامع والمسموع وهو الشاهد والمشهود وهو الواجد والموجود كما قال بعض المحبين

ليس في القلب والعيان جميعاً موضع فارغ لغير الحبيب
هو سؤلي وصحتي وشفائي ما لدائي سواه لي من طبيب

فمن كان هذا وصفه من العين والقلب والروح والعقل فمحال أن ينسى ومن استحال أن ينسى فكيف يحول ذكره عن القلب أم كيف يحول بغيره الهم كيف وقد روينا في خبر المنافق لا يذكر حتى يوضع وإذا ترك نسي ولا تكونوا كاليهود إذا قرئت عليهم التوراة مادوا لها فإذا رفعت لم يكن وراء ذلك شيء وفي الخبر المجمل من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله سبحانه وتعالى حافظ وفي أخبار داود صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ما ضركم إذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إليّ بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا إذا بسطت ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق إذا التمستم رضاي

ذكر تفصيل علم السماع

للقول ووصف الصحيح من ذلك والمعلول وذكر الواجدين بحق وذم المتواجدين بهوى حدثت عن أحمد بن عيسى الخراز رحمه الله أنه كان مشتهراً بالسماع كثير الحركة والصعق عنده فذكر بعض أصحاب أبي محمد سهل رحمه الله عنه أنه قال رأيته في المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه فقال يا أحمد حملت وصفي على ليلى وسعدى لولا أني نظرت إليك في مقام واحد أردتني به خالصاً لعذبتك قال وأقامني من وراء حجاب الخوف فأرعدت وفزعت ما شاء الله ثم أقامني من وراء حجاب الرضى فقلت يا سيدي لم أجد من يحملني غيرك فطرحت نفسي عليك فقال صدقت من أين تجد من يحملك غيري ○ وكانت هذه الحال كانت في بداية أبي سعيد وفي أول إرادته ثم نقل من ذلك إلى مقامات في التعريف فنفذ بصره وصح سمعه لعلو وجده وقوة علمه وحسن يقينه وفي هذا تخويف للسامعين على الستة الحائدين عن سمع أهل الفهم والتنبيه لأن السماع علم لا يصلح إلا لأهل الصفا فمن سمع على كدر فذلك له محنة وضرر ويدخل عليه فيه الآفات عن نقصان المشاهدات إذا سمع من قبل النغمة والصوت ما يدخل على من نظر إلى الأيدي في العطا لأن الصوت ظرف للمعاني بمنزلة اليد ظرف للأرزاق فالناظر الموقن يأخذ رزقه من اليد ويترك النظر إليها والسامع المحق يأخذ المعاني من الصوت ولا يلتفت إلى التنغيم بها ثم يعتل من معان من قبل الوجد المعلول والعلل تدخل المواجيد كما يدخل الإلحاد في معاني التوحيد فيعتل الواجد بالخلق في السماع من قبل الهوى كما يعتل الآخذ للعطا من أيدي الخلق بالرياء فمن سمع على التشبيه والتمثيل ألحد ومن سمع على الهوى والشهوة فهو لعب ولهو ومن سمع باستخراج الفهم ومشاهدة العلم على معاني صفات حق ونظر قادوا دليلاً على آيات صدق كان سامعاً على مزيد وهذه طرائق أهل التوحيد وفي السماع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس بمشاهدة شهوة وهوى فهو حرام ومن سمعه بمعقوله على صفة مباح من جارية أو زوجة كان شبهة لدخول

اللهو فيه وقد فعل هذا كثير من السلف صحابي وتابعي بالحداني ومن سمعه بقلبه بمشاهدة معان
تدله على الدليل وتشهده طرقات الخليل فهذا مباح ولا يصح إلا لأهله ممن كان له نصيب منه ووجد
في قلبه حالا تأله كعبد أقيم مقام حزن أو شوق أو في مقام خوف أو محبة فيحركه السمع ويخرجه إلى الشهادة
فيكون ذلك له مزيدا من المسمع الشهيد وكان أبو سليمان الداراني وغيره يقولون السماع لا يجعل في
القلب ما ليس فيه إنما يحرك منه ما فيه وكان بعض الصوفية يقول كنا نعرف مواجيد أصحابنا في ثلاثة أشياء
عند المسائل وعند الغضب وعند السماع وحدثني بعض أشياخنا عن أبي القاسم الجنيد رحمه الله قال
تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواطن عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند المذاكرة لأنهم
يتحاورون في مقامات الصديقين وأحوال النبيين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا
وقد كان بعض الواجدين يقتات السماع فيجعله قوة يتقوى به على زيادة طيه كان أحدهم يطوي
اليومين والثلاثة فإذا تاقت نفسه إلى القوت عدل بها إلى السماع فأثار منه مواجيده وهاج فيه أشواقه
فحمله ذلك عن الطعام وأغناه عن الأنام ومنهم من كان يجعله أذكاره فيذكر به أوطانه ويرتاح
به قلبه إلى الحق استطاره وكان مزيدا لأذكارهم وتقوية لحاله وهو جند من جنود الله سبحانه وتعالى
يقوى به قلوب الواجدين ويروح به أرواح الصادقين ويفرج به كرب الخاشعين ويكرب به نفوس
المرتاحين ويطرب به المحزونين ويحزن به الطربين ويشوق به المحبين ويحبب به المريدين إلا أنه لا
يصلح إلا لقلب صاف من الأكدار نقي نظيف من الآثار من شهد فيه خلقا فذلك علامة كدر قلبه
وبعده ومن أدخل فيه لعبا ولهوا فهو دليل نقص لبه وفقده ومن وقف فيه مع نغمة فهو عليه محنة
ونقمة ومن أصغى به إلى الصوت تصور في وهمه المنغم المصوت به كان عليه فتنة ومن ألقى سمعه
وأشهد قلبه وأحضر فهمه فذكره به الذاكر وتعلق به من المذكر وسمع من السميع وعلم من الفتاح العليم
ونظر به إلى الناظر فهذا هو المستمع الذاكر فلمثل هذا يصلح السماع وبسمعه يرجى له الانتفاع وما يعقلها
إلا العالمون حدثني بعض الأشياخ عن شيخ له قال رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت ما تقول
في هذا السماع الذي يختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفا الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء
تقول إنه محنة وكشف للسامعين فهو للصادق المحق عبادة وقربة وهو للمدعي واللاهي شهوة
وفتنة هو الصفا المزلق للأقدام لما فيه من تشبيه الأنام وهو تثبيت للعلماء لشهادتهم به معاني
صفات العالم وحدثت عن أبي علي ممشاد الدينوري قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت
يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة

القرآن ويختمون بعده بالقرآن قلت يا رسول الله إنهم يؤذونني وينبسطون فقال احتملهم يا أبا علي
هم أصحابك فكان ممشاد رحمه الله يفتخر بها ويقول كناني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثني طاهر بن
بلبل الهمذاني الوراق رحمه الله وكان من أهل العلم والفضل قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر
فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا ويسمعون فأنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله
عز وجل يقولون الشعر والقول قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية
وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع
إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا
يسمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع وأبو بكر إلى جنبه يقول فالتفت إلي النبي صلى الله عليه وسلم
وقال هذا حق بحق أو حق من حق أنا أشك فهذا يدلك أن السماع على نوعين ما كان منه عن وجد حق
وشهادة صدق مثل شوق أو حزن أو خوف أو محبة فهو طريق إلى الله عز وجل ودليل منه وما كان عن
وجد لهو وشهادة خلق فهو لعب ولهو فقيامه مقام الشبهات لاختلاف أحوال السامعين والتباس
الآيات فالصادق المحق يسمعه من صادق محق والمتواجد المبطل يسمعه بنغمة من خلق وروينا عن
النبي صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتي الشهوة الخفية والنغمة الملهية فقد تكون النغمة به من
الشهوة الخفية وروينا عن حماد عن إبراهيم قال الغنا ينبت النفاق في القلب ورفعه أبو الزبير
عن جابر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وزاد فيه كما ينبت الماء الزرع والمشهور أنه عن ابن مسعود وروينا
عن ليث عن مجاهد رحمه الله في قوله عز وجل ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله
قال الغنا وذلك أن استماع الغنا حرام وأجور المغنيات وأثمانهن حرام وذلك من عمل الشيطان
لأنا روينا في تفسير قوله سبحانه وتعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك قيل الغنا والمزامير
والفرق بين الأغاني والقصائد أن الأغاني ما شبب به بالنسا وذكر فيه الغزل والهوى وشوق الشهوة
واللعب فمن سمع من حيث قال القائلون لهذه المعاني فالسماع عليه حرام والقصائد هو ما ذكرنا الله
سبحانه وتعالى ودل عليه وشوق إليه وهاج مواجيد المؤمنين وأثار مشاهدة العارفين وذكر به طرقات
الآخرة وعرفت منه أحوال الصادقين فمن سمع من حيث شهد بهذه الشهادة فهو من أهله إذ له نصيب
منه وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن من الشعر حكمة ولم يقل كل الشعر حكمة
وقد روينا أن رجلا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرؤون القرآن وقوم ينشدون الشعر
فقال يا رسول الله قرآن وشعر فقال من هذا مرة ومن هذا مرة وقد دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه

عن عايشة رضي الله عنها وعندها جاريتان تغنيان فانكر ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى
بثوبه فكشف الثوب عن وجهه ثم قال دعهما يا ابا بكر فلو لم يكن شبهة ما انكره ابو بكر رضي الله عنه وقد
حدثني بعض الاشياخ عن الجنيد قال رايت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من اصحابنا بشي او تنال
منهم نصيبا فقال انه ليعسر علي شانهم ويعظم علي ان اصيب منهم شيا الا في وقتين قلت اي وقت
قال وقت السماع وعند النظر فاني استرق منهم فيه وادخل عليهم به قال الجنيد فحدثت بهذا بعض
اشياخنا فقال لو رايته انا لقلت له يا احمق من سمع منه اذا سمع ونظر اليه اذا نظر لم تربح انت عليه شيا
ولم تظفر منه بشي فقال له الجنيد صدقت وقد قال الله سبحانه وتعالى وهو اصدق القايلين ومن كل شي
خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله فالكلام زوجان منظوم ومنثور فالمنثور كلام العامة والمنظوم
كلام الشعرا فما ذكر الله سبحانه وتعالى به وذكر منه فهو طريق اليه ولم يزل الحجازيون عندنا بمكة
حرسها الله يسمعون السماع في افضل ايام السنة وهي الايام المعدودات التي امر الله سبحانه وتعالى
عباده فيها بذكره ايام التشريق في قوله عز وجل واذكروا الله في ايام معدودات وكان لعطا رحمه الله
جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما ولم يزل اهل المدينة مواظبين كاهل مكة حرسها الله
على السماع الى زماننا هذا فادركنا ابا مروان القاضي له جوار يسمعن التلحين قد اعدهن للصوفيين
فكان يجمعهم لهن ويامرهن بالانشاد وكان فاضلا وسيل شيخنا ابو الحسن بن سالم رحمه الله حدثني
بعض اصحابنا عنه بذلك انه قيل له انك تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون
يسمعون فقال كيف انكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني وقد كان عبد الله بن جعفر الطيار
يسمع وانما انكر اللهو واللعب في السماع وهذا كما قال لان القران الذي هو الغاية في الفضل ثم العلم
ومعاني الحق اذا دخل لهو النفس بالهوى فيه ولعب الطبع بالطرب به والمزح صار منكرا ودخلته
الكراهة لخروج الاخرة والعلم منه فكذلك القول في النظر والكلام كالسماع سوا كما قال عيسى عليه
وعلى ساير الانبيا السلام من لم يكن نظره عبرا فهو لهو ومن لم يكن كلامه ذكرا فهو لغو فاما من
نظر ليعتبر او تكلم ليامر او سمع ليذكر فذلك لهولا عبادة ومن نظر بشهوة او نطق بجهل او سمع
لهوى فهو لعب ولهو من زخرف الدنيا وقد كان في الاشياخ من اهل هذا العلم وسلاك هذا الطريق
يسمعون ولكن كان منهم من يسمع في السر دون العلانية ومنهم من كان يسمع مع اخوانه ونظرايه دون
الاتباع والمريدين وكانوا يقولون لا يصلح السماع الا لعارف مكين ولا يصلح لمريد مبتدي وقد كان
الجنيد رحمه الله حسن الهيبة في السماع حدثني بعض من الطايفة عن وقاره وحسن استماعه وقال لي

آخر كانت دموعه تفيض وربما انكسر راسه وقيل لابي القاسم لا نراك تتحرك عند السماع فقرا هذه
الاية وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وبلغني انه ترك السماع في اخر امره فقيل
له قد كنت تسمع فقال مع من فقيل له تسمع انت لنفسك فقال ممن لانهم كانوا لا يسمعون الا مع
اهله او من اهله اذ الشي لا يطيب الا مع اهله كما لا يحسن الا باهله وانما ترك لفقد اخوانه وعدم
نظرايه واشكاله وحدثت عن يحيى بن معاذ رحمه الله قال فقدنا ثلاثة اشيا فما نراها ولا اراها تزداد
الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخا مع الوفا وحدثني بعض
المحدثين قال اجتمعنا في دعوة معنا ابو القاسم بن بنت منيع وابو بكر بن داود وابن مجاهد في نظرايهم
فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن ابي داود في ان يسمع فقال ابن ابي داود حدثني
ابي عن احمد بن حنبل انه كره السماع وكان ابي يكرهه وانا على مذهب ابي فقال ابو القاسم ابن بنت منيع
اما جدي احمد بن منيع فحدثني عن صالح بن احمد ان اباه كان يسمع قول ابن الخبازة قال في دعوة ليلة
وكان ابي في غرفة بينه وبينه باب فجعل يتردد في الممر يذهب ويجي ويستمع من ورا الباب فقال
مجاهد لابن ابي داود دعني من ابيك وقال لابن بنت منيع ودعني من جدك ايش تقول يا ابا بكر فيمن
انشد بيت شعر احرام عليه قال ابن ابي داود لا قال فان كان حسن الصوت به حرم عليه انشاده قال
لا قال فان انشده وطوله وقصر منه فمد المقصور وقصر الممدود يحرم عليه قال يقول ابن ابي داود
انا لم اقو بشيطان واحد اقوى بشيطانين قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيها سماع
فكان من اراد ان يدعوه اعد له سماعا وكان ابن منيع يسمع القول وقد كان من اشياخنا ابو بكر بن
الجلا لا ينكر السماع ويسلمه لاهله الا انه كان يقول ليس لي فيه شي وقد كان ابو محمد بن الراسبي
يحضر مع اصحابه فينفرد ناحية يصلي وهم يسمعون وكان ابو عبد الله بن جابان الهمذاني وابو بكر بن
الطرسوسي لا ينكران على اصحابهما فاذا حضرا سمعا وكان ابو محمد القزويني من الاوليا يسمع
ويبدو له وجود وصعق وكان ابو سعيد بن الاعرابي يسمع ويذكر عن جملة اشياخه اصغرهم الجنيد
وطبقات استاذي الجنيد وشيوخه السماع والحركة عنده وكان ابو عبد الله المغربي وابرهيم بن شيبان
وابو علي بن مشاذ لا ينكرون السماع ويحضرون فيه وربما سمعوا في الاوقات اذا وجدوا به وكان
ابو الخير العسقلاني الاسود من الاوليا يسمع ويجد ويوله عند السماع وصنف في علم السماع
كتابا رد به على منكريه وكذلك ابو علي الروذباري وابن اخيه ابو عبد الله صنفا في السماع
كتبا وحكاياه عن اسلافهما وحدثني بعض الاشياخ عن كثير من الصوفية قال راينا جماعة ممن

يمشي على الماء وفي الهوا يسمعون السماع ويجدون به ويلوهون عنده قال واني كنا على الساحل
فسمع بعض اخواننا فجعل يتقلب على الماء يذهب ويجي كما يتقلب على الارض حتى رجع الى مكانه وحدثني
بعضهم انه شهد من يتقلب في النار عند السماع ولا يحس بها قال وحدثني بعض الاشياخ ان
بعض الصوفية ظهر منه وجود عند السماع فاخذ شمعة مصبحة فجعلها في عينه قال فقربت من عينه
انظر فرايت نارا او قال نورا يخرج من عينه يرد نار الشمعة وذكر لي شيخ من اهل الفضل قال
رايت بعضهم اذا وجد عند السماع ارتفع عن الارض في الهوا اذرعا يمر ويجي فيه وقد سمع من
الصحابة ابن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم ومجمل القول في السماع ان
من سمع فظهرت عليه صفات نفسه وذكرته حظوظ دنياه فالسماع عليه حرام ومن سمع فظهر له
ذكر ربه عز وجل وتذكر به آخرته مما تشوق اليه ورجى او حذر منه وخوف من الوعد والوعيد فهو
له ذكر من الاذكار وقد قال الثوري وغيره ان وضعت البكاة ودارت الاقداح فالنبيذ حرام
وقال بعضهم اذا ما جلسوا على لهو بعد الطعام واختلفوا الى المبال حرم النبيذ وهو عنده [illegible]
حلال على غير هذه الصفات وهو مذهب علماء الكوفة وقد قال ابن عباس وغيره من الصحابة وقد
سئل عن القبلة فقال اكرهها للشاب ولا ارى بها باسا للشيخ ثم قال ابن عباس لان الشيخ
اذا قبل قنع وان الشاب اذا قبل طمع وسال شاب بعض الاكابر من الصحابة عن القبلة فقال
لا تقبل وسأله شيخ فقال لا باس عليك فيها قال فقلت له امر واحد رخصت فيه لواحد ونهيت عنه
آخر فقال ان الشيخ يملك اربه واني خفت على الشاب ان لا يملك نفسه فهذه المعاني تختلف لاختلاف
احوال اصحابها والاشيا تتفاوت لتفاوت معاني العاملين بها ولا قوة الا بالله وانما ذكرنا هذا
الباب في ذكر اوصاف الاحباب لانه كان طريقا لبعض المحبين وحالا لبعض المشتاقين فان انكرناه
مجملا غير مفصل فقد انكرنا على سبعين صديقا ومحونا رسما كان لطايفة طريقا وان كنا نعلم
ان ذلك اقرب الى قلوب القراء ويحبب الى قلوب المريدين والمتعبدين الا انا لا نسلم في ذلك بيننا
وبين الله سبحانه وتعالى لانا نعلم ما لا يعلمون وقد سمعنا عن السلف من الاصحاب والتابعين ما لم
يسمعوا ولكن قد دخل في هذا الطريق غير اهله فاحالوه عن جهته وعدلوا به عن قصده لما ادخلوا
فيه من الهوى فمثلهم كما قال الله سبحانه وتعالى اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كان هذا السماع يتدين
به قوم ويتطرقون به الى الله سبحانه وتعالى وكان لهم منه ذكر وفيه وجد وعلم تنقطع عليه قلوب
الخاشعين وتزهق عنده نفوس الصادقين وتوله به قلوب الذاكرين وتتيه فيه قلوب المشتاقين

وتبكي عنده عيون المحزونين فهو الآن اسم بلا معنى وجسم بلا روح ورسم بلا حقيقة فمثل المتواجدين
به من غير وجد والسامعين له بغير علم والمتشبهين باهله بغير صدق والحاكين لاهل الحقايق بغير
حق كما قال الله عز وجل فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ثم قال الشاعر
اما الخيام فانها كخيامهم وارى نساء الحي غير نسائها وكما قال لي بعض الاشياخ مرة
ما ارخص الصوفية في وقتنا هذا صوفي بدرهمين قلت وكيف قال مرقعة بدرهم وتاسومة ودلوة
بدرهم وانشدني بعض اخواني
اهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخرقه
صار التصوف صيحة وتواجدا ومطبقه
وانشدني بعض اشياخ الصوفية في مثله
لا يغرنك من المرء قميص رقعه وازار فوق عظم الساق منه رفعه
وجبين لاح فيه اثر قد قلعه ولدى الدرهم فانظر حرصه او ورعه
فقد حرم السماع مع اكثرهم وبغض الحضور في
عمومهم لقسوة القلب عند النظر اليهم وكثرة الغيظ منهم لدخولهم في الشره والجهل وخروجهم من الادب
والعلم والمجالسة لا تطيب الا بادب والعاشرة لا تحسن الا بعلم والمواخاة لا تحلو الا للاخرة
والمصافاة والالفة لا تجمل الا للجميل المجمل جل جلاله وحسن وصفه وجماله وقد قال بعض
اشياخنا ذهب اهل الحقايق ولم يبق الا من مجالسته غيظ وقال آخر ذهب العلماء الادباء
فما بقي الا من تستحيي من ذكره فاما الزفن والاضطراب عند السماع فلا يعجبني لان اكثره
تواجد بلا وجود وقد يدخله التكلف والتصنع الا من غلبه امر وملكه قهر فالمغلوب مقهور
والمحبوب معذور فاما الصادق ان طرب لشوق او ارتاح لفرح لغلبة وجد حتى يتلف فلا حرج
لا اثم في ذلك روينا في حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر غلاما في بني
اسرائيل كان على جبل فقال لامه من خلق السماء قالت الله سبحانه وتعالى قال من خلق الارض قالت الله
عز وجل قال من خلق الجبل قالت الله قال من خلق هذه الغنم قالت الله سبحانه فقال اني اسمع لله عز وجل
شانا ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع فهذا كانه وجد الفرح لله عز وجل او الشوق اليه او الطرب لاجله
وفي الزفن اثر ماثور في خبر ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن ابي طالب واخوه جعفر وزيد بن حارثة وكانوا
اخرجوها من مكة وتشاحوا في تربيتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه انت مني
وانا منك فحجل وقال لجعفر رضي الله عنه اشبهت خلقي وخلقي فحجل وراء حجل علي رضي الله عنه وقال
لزيد انت اخونا ومولانا فحجل وراء حجل جعفر رضي الله عنه ثم قال صلى الله عليه وسلم هي لجعفر لان خالتها
تحته والخالة والدة والحجل هو الزفن بالرجل فهذا كانه وجد الفرح والارتياح للصدق وقول الحق

وفي الخبر المشهور ان الحبشة كانوا يزفنون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينظر اليهم وقال
لعايشة رضي الله عنها اتحبين ان تنظري الى زفن الحبشة فوقفت تنظر اليهم من وراء اذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعاتقه وهو قايم امامها وهي مستترة به فكانوا يذكرون الله عز وجل بنعمة الاسلام
ويصفون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويثنون عليه في زفنهم وحركاتهم واعلم ان الصدق لعينه حسن
فالصادق بوصفه في كل شي حسن والتكلف لعينه قبيح فالمتكلف لنفسه مقيت ورويناه
في خبر ان الصديقين اذا سمعوا الذكر طربت قلوبهم الى الاخرة وروينا عن السلف ان في بعض كتب
الله سبحانه وتعالى المنزلة غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا فهذا على ضرب المثل
اي ذكرناكم فلم تجدوا للذكر طربا وشوقناكم فلم ترتاحوا اشتياقا فهذا داخل في احوال المشتاقين

ذكر الشوق ووصف المشتاقين والغيرة

روينا في اخبار وهب بن منبه اليماني قال اوحى الله
سبحانه وتعالى الى داود صلى الله عليه وعلى ساير الانبيا وسلم انك تكثر مسالتي ولا تسالني ان اهب
لك الشوق قال يا رب وما الشوق قال اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني واتممتها بنور وجهي
فجعلت اسرارهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الى عجايب قدرتي
فيزدادون في كل يوم شوقا اني ادعو نجبا ملايكتي فاذا اتوني خروا الي سجدا فاقول اني لم
ادعكم لعبادتي ارفعوا رووسكم اريكم قلوب المشتاقين الي وعزتي وجلالي ان سمواتي لتضي من
نور قلوبهم كما تضي الشمس لاهل الدنيا معنى قوله عز وجل لداود عليه وعلى ساير الانبيا السلام ولا
تسالني الشوق ليس انه يعطي الاولياء ما لم يعط الانبياء كما غلط في هذا بعض التابهين ففضل
العارف على النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه ذكر ذلك لداود صلى الله عليه وعلى ساير الانبيا وسلم ليساله
اياه فيعطيه فلما اخبره به اعطاه مقام الشوق اليه يجاوز به مقامات المشتاقين من العارفين
فكان ذلك عن مسالته لتفضيله وتشرفه بسرعة اجابته وقد كان لداود صلى الله عليه وعلى ساير
الانبياء وسلم في مقام النبوة مقامات من الانس والقرب تجل ومشاهدات يندرج فيها مقام
الشوق فكان الشوق زيادة على الحسنى وتماما على الذي احسن كما ان قول داود صلى الله عليه وسلم
وعلى ساير الانبيا وما الشوق ليس انه لم يعرف الشوق وقد اتاه الله سبحانه وتعالى الحكمة والنبوة
ولكن سكت بين يديه استحيا منه واعترف بالجهل لديه لانه عند علام الغيوب فلم يسبقه بالقول
فيتقدمه بين يديه كرما منه وحلما وليزداد بصمته وادبه علما واراد ان يستمع حقيقة
وصفه منه سبحانه وتعالى لانه اصدق القايلين وامدح الواصفين كذلك ظننا بالصفوح الحليمين

وان الغيرة حال سنية من احوال المحبين لانه قطعهم على نفسه فضنوا بها لما امتلات
لها قلوبهم وحارت فيها عقولهم الا ان هولاء خصوص اصحاب اليمين وهم عموم المحبين الا انهم اذا رقوا
الى مقام التوحيد فاشهدهم الاتحاد بالوحدانية والانفراد بالفردانية نظروا فاذا لم يعطهم
لسواه شيا ولا اظهر من معانيه وصفا فانطوت الغيرة في توحيدهم لما عرفوا بيقين التوحيد انه ما
نظر اليه سواه ولا عرفه الا اياه فسقطت هممهم بالغيرة عليه وعرفوا حكمته بتعريفه انواع ما يظهر
واقسام ما ينشر وانه في غيب غيبه لا يظهر عليه سواه وفي سر سره لا يشهده الا اياه فقام لهم مقام
المعرفة بالتوحيد له مقام الغيرة عليه فهذا اذا طولعوا به مقام الموحدين من الصديقين وقد كان
امامنا ابو محمد رحمه الله يقول في معنى قوله من باب علم الحروف كل يوم هو في شان في شعاعه والايه ونوره
كانه يجعل الوقف في الكلام على قوله عز وجل يساله من في السموات والارض كل يوم ثم يستانف فيقول هو
في شان وقد روينا في دلايل المحب واوصافه ابياتا عن يحيى بن معاذ وابي تراب النخشبي وعن ابي سعيد
الخراز ايضا على قافية واحدة في معان متقاربة وهي جامعة مختصرة في نعت المحبين من المريدين
وفي وصف السايحين المرادين ووصف التايبين الزاهدين والمنقطعين المنفردين فالذي رويناه عن
ابي تراب هذه الابيات لا تخدعن فللمحب دلايل ولديه من تحف الحبيب وسايل
منها تنعمه بمر بلايه وسروره في كل ما هو فاعل فالمنع منه عطية مقبولة والفقر اكرام ولطف عاجل
ومن الدلايل ان يرى من عزمه طوع الحبيب وان الح العاذل ومن الدلايل ان يرى متبسما والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلايل ان يرى متفهما الكلام من يحظى لديه السايل ومن الدلايل ان يرى متقشفا متحفظا من كل ما هو قايل
والذي رويناه عن يحيى بن معاذ الرازي هذا
ومن الدلايل ان تراه مشمرا في خرقتين على شطوط الساحل ومن الدلايل حزنه ونحيبه جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلايل ان تراه مسافرا نحو الجهاد وكل فعل فاضل ومن الدلايل زهده فيما يرى من دار ذل والنعيم الزايل
ومن الدلايل ان تراه باكيا ان قد راه على قبيح فاعل ومن الدلايل ان تراه مسلما كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلايل ان تراه راضيا بمليكه في كل حكم نازل ومن الدلايل ضحكه بين الورى والقلب محزون كقلب الثاكل
والذي رويناه عن ابي سعيد الخراز دخل فيما ذكرناه عنهما واحسبه انه اخذه منهما لانهما اقدم منه
وجميع ما قدمنا ذكره من العلامات والدلالات هي اوصاف المحبين الا ان في المحبة مقامين على ترتيب
هذه الجمل احدهما اعلى من الاخر في كل مقام جملة من الاحباب من قبل ان في المعرفة مقامين مقام تعريف
ومقام تعرف فمقام التعريف هو معرفة العموم وهذا قبل المحبة الخاصية ومقام التعرف معرفة الخصوص

وهذا بعد محبة العموم وهو من مزيد الحب الاول وهذه محبة خصوص كذلك في المحبة مقامان مقام محب واعلى
منه مقام محبوب في هذا كما عبروا عن قولهم مريد ومراد وعلى الحقيقة كل مريد لله عز وجل فهو مراد بذلك
الا انهم جعلوا الاسم مرادا لوصف مخصوص يعرف به فيمتاز معه المبتدي من المباين والمنيب من المجتبى
والطالب من المطلوب والحافظ من المحفوظ وكذلك لعمري ليس الحامل كالمحمول ولا المتوجه كالمواجه ولا
المستكشف كالمكاشف وهذا ايضا كما عبروا بقولهم العارف والمعرفة يريدون عالما وعلما اذ العالم عارف
بما علم والمعرفة هي علم بالله سبحانه وتعالى الا انهم لما خصوا علما فوق علم اذ كان الله سبحانه وتعالى اعلى
المعلومات صار العالم به اعلى العلماء فوقا فخصوه باسم يعرف به فضله على غيره فقالوا عارف وكانت المعرفة
وصفه اذ كان عارف اسمه فقالوا عن هذا عارف فاغنى سامعه ومخبره عن استكشاف علمه وكفاه
تنبيه السؤال ان يقول عالم باي علم وقال ابو موسى الدبيلي عرضت على ابي يزيد البسطامي رحمه الله كتاب
صاحبنا عبد الرحيم في الاخلاص فما اعجبه منه الا حكاية ابي عاصم الشامي في الشوق يعني ان عبد الرحيم
رحمه الله ذكر في كتاب الاخلاص قال قيل لابي عاصم وافد اهل الشام تشتاق الى الله عز وجل فقال لا قيل
ولم قال انما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من تشتاق قلت سقط الشوق وهذا
مقام محجوب عن وجد انس وحال قرب وفي المشاهدة ايضا مقامان مقام الشوق ومقام الانس فالشوق
حال من القلق والانزعاج عن مطالعة العزة ومعاينة الاوصاف الغيبية من وراء حجاب الغيب خفايا
الالطاف في هذا المقام الحزن والانكسار الا انه مزيد الخائف والانس حال من القرب عن مكاشفة
حضور ووجود سرور بلطيف القدرة ففي هذا المقام التملق والتعلق والاستبشار والفرح وهذا
مزيد المحب العارف وكان ضيغم الراسبي رحمه الله يقول عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا وعجبت
لها كيف انست بسواك وقال الجنيد رحمه الله علامة المحب دوام ذكره في القلب بالفرح والسرور والشوق
اليه والانس به واثرة محبته على محبة نفسه والرضى بكل ما يصنع وعلامة انسه بالله سبحانه وتعالى
استلذاذ الخلوة وحلاوة المناجاة واستفراغ العقل كله حتى لا يكاد يعقل الدنيا وما فيها ولا يحمل
هذا على الانس بالخلق فيرتب على مدارج العقل كما لا تحمل المحبة على محبة الخلق بمعاني المعقول لان
الانس حال منها وانما هو طمأنينة وسكون اليه ووجد حلاوة منه واستراحة وروح بما اوجدهم فمن حمله
على الانس بالجنس انكره ومن انكره جحد مقاما من مقامات اليقين وانكر طريقا من طرقات العارفين فاحش
حال الضعف اليقين وسوء الفهم يوصف من الايمان فادنى عقوبته حرمان وجده وفقد شهادته ولا بد
لمن تكلم في المعرفة على ترتيب العقل بشهادة الملك ان ينكر الانس والشوق والوله والغيبة والحضور

اعظمها حبوط
عمله صح

وعلم الفناء والبقاء لان معرفته معرفة الافعال الحكمية لا معرفة الصفات القائمة وذلك يؤدي الى قوله
بخلق الايمان واليقين وخلق انوار القلوب ومشاهدات الغيوب وقد تكلم السلف من اهل العلم الباطن
ومن العارفين في هذه المقامات فاغنانا عن الاحتجاج لها وقد ولى المنكر لها على جهله بها فسقطت
مخاطبته وقد انكر الانس ايضا من المتكلمين من لا مقام له فيه كما انكر المحبة من لا ذوق له منها
لانه تخيل فيها محبة المخلوقين وتمثل معها صفاتهم وشهد بها اجناسهم فقال لا نعرف الا الخوف وممن
ذهب الى هذا القول احمد بن غالب يعرف بغلام خليل انكر على الجنيد وابي سعيد الخراز وابي الحسين النوري
رحمهم الله كلامهم في المحبة فلم يساو انكاره عند العارفين حبة وقد بلغ بقوم بعض هذا المعنى حتى
انكروا الرضى وقالوا ليس الا الصبر ما امر الله سبحانه وتعالى الا به ولا وصف نهاية الجزاء الا معه فجحدوا
مقاما من مقامات اليقين وقطعوا طريقا من طرقات العارفين وابطلوا حالا من احوال المحبين والمتوكلين
والجهل بالله سبحانه وتعالى وضعف اليقين يحمل على اكثر من هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
وليس هذا مذهب السلف ولا طريق العارفين من الخلف كتب عامر بن عبد الله الى بعض اخوانه رضي الله عنهما
آنسك الله بنفسه وقيل لابرهيم بن ادهم رضي الله عنه وقد نزل من الجبل من اين اقبلت قال من الانس
بالله عز وجل وقد روينا في التفسير عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة في قوله سبحانه وتعالى الذين آمنوا
وتطمئن قلوبهم بذكر الله قال هشت اليه واستانست به وجهل هؤلاء اظهر من ان يدل عليه وعلم
المتقدمين بما رسموه في كتبهم ورويناه عنهم اكثر من ان يحتج به والاشتغال بالبطال بطالة ثانية
وقد صنف العلماء كتبا في الانس وذكروا مقامات المستانسين واحوالهم ولكن قد انشدونا لبعض العارفين
الانس بالله لا يحويه بطال وليس يدركه بالحول محتال والآنسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال
وقال بعض العارفين الانس بالله سبحانه وتعالى علامة وجود الطريق وقال آخر اذا رايته يوحشك
من خلقه فاعلم انه يريد ان يؤنسك به وقد يكون في الانس مقام آخر وهو الانس بالاولياء والاخوان من
العلماء بالله سبحانه وتعالى والاصفياء ودخل عابد مسجده الى وكر طير يستانس بصوته فاوحى الله
سبحانه وتعالى اليه استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك وفيما نقلناه
من اخبار داود عليه وعلى سائر الانبياء السلام لا يستوحش الي احد من خلقي فاني انما اقطع عني رجلين
رجلا استبطأ ثوابي فانقطع ورجلا نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان ادعه
في الدنيا حيران ارفضوا يا اهل الدنيا غروركم وهلموا الى مجالستي وانسوا بي اؤنسكم انا جليس من جالسني
وانيس من انس بي قل لمعاشر المتوجهين الي المحبين ما ضركم اذا استوحشتم من خلقي اذ كنت لكم
جليسا

وما ضرّكم ما فاتكم من الأنس بالمخلوقين إذ كنت لكم أنيساً وفي مقام الأنس يكون التملّق والمناجاة
ومعه تكون المحادثة في المجالسة وعنده يوجد معنى البسط في الحضور والقرب ولا يحبّ الله عز وجل
هذا النوع من الإدلال إلا ممن أقامه مقام الأنس ولا يحسن ذلك إلا منهم ولا يليق إلا بهم كنحو قول
موسى عليه السلام والرحمة في مقام الأنس يا ربّ لي ما ليس لك قال وما هو قال لي مثلك وليس لك مثل نفسك
قال صدقت معنى قوله مثلك أي لي أنت كقوله عز وجل ليس كمثله شيء معناه ليس كهو لأنه سبحانه وتعالى
لا مثل له فيكون لمثله مثل إذ لا يكون والعرب تعبّر بالمثل عن نفس الشيء وفوق هذا من البسط ما أخبر الله
عز وجل عنه أنه قال مواجهاً للجليل العظيم إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون الآية وأعظم من هذا
قوله عليه السلام له تعالى جدّه بعد قوله اذهب إلى فرعون فقال مجيباً له فأرسل إلى هارون ولهم عليّ ذنب
ومثله قوله أخاف أن يكذّبون ويضيق صدري فحسن هذا منه لأنه أقامه مقام البسط بين يديه
وأوجده حال الأنس لأن مكانه لديه مكان محبوب يلاطفه بلطيف الكلام ويواجهه بمحاسن الوجد
والإنعام وينظر إليه بعين المحبة ويقرّبه لديه قربه ويوجده منه إليه فلذلك أدلّ به عليه فحمل ذلك له
وهذا من غير موسى صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم في غير هذا المقام من سوء الأدب بين يدي المرسل
ولم يحمل ليونس صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم خاطر من هذا القول لما أقيم مقام القبض والخوف فعوقب
بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ونودي عليه إلى يوم الحشر لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء
وهو مذموم روي عن الحسن رضي الله عنه قال بعراء القيامة ونهى حبيبه المقرّب أن يقتدي به في القول
والفعل فقال سبحانه وتعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم إلا أن هذا
الفعل به وتنقيله في هذه الأحوال منه مزيد له وتعريف وفضل مرتبة وتخويف وفيها طرقات للعارفين
وأحوال تحول على المقرّبين وقد قال سبحانه وتعالى ولقد فضّلنا بعض النبيين على بعض وقال عز وجل منهم
من كلّم الله يعني المكلّمين وقال ورفع بعضهم درجات يعني في القرب فكان من المفضّلين المدلّين
عيسى بن مريم عليه وعلى سائر الأنبياء السلام إذ يقول مادحاً لنفسه بالسلام مع مواجهته للسلام والسلام
عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً فسلّم على نفسه في الحال والمآل مخبراً بذلك عن القدم
والآزال وهذا يوجد الأنس في مقام لطف ولم يكن هذا لأخيه يحيى بن زكريا عليه وعلى سائر الأنبياء السلام
بل سكت لا ينطق ومن الخيفة والحياء نطق حتى أثنى عليه خالقه وكشف عنه سوابقه فقال سبحانه
وتعالى مادحاً له وسلام عليه يوم ولد الآية واحتمل إخوة يوسف ما عزموا عليه واعتقدوه وما فعلوه
وباشروه من قولهم اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم إلى نحو ذلك من الكلام والفعال

ولقد عددت من قولهم ليوسف وأخوه أحبّ إلى أبينا منا إلى رأس العشرين من أخباره سبحانه وتعالى عن
زهدهم فيه نيفاً وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والأربع والخمس
من الخطايا ودون ذلك وفوقه بدقائق الاستخراج ومعرفة خفايا الذنوب فغفر لهم ذلك إذ كانوا في مقام
محبوبين ولم يحتمل لعزير مسألة واحدة سأل عنها في القدر حتى قيل إنه محي من ديوان النبوة وقد قال سبحانه
وتعالى فوق ذلك كله ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك فإن شاء العفو عفا
عن العظائم فلم يعظم عليه شيء وصغر في فضله كل شيء كما إن أعطى أعطى من العلم والإيمان بغير حساب
لا بحدّ ولا بعدّ وإن منع منع قوت الإيمان وقوام العلم الذي لا يصح الإيمان ولا يستقيم الدين إلا به
فذلك تحقيق اسمه معطٍ مانع وكذلك غفار طالب إذا شاء طالب وناقش على الصغائر ولا تصغر الذرّة
ولا الخردلة عن مطالبته وكيف يصغر ذنب من واجه به الملك الجبار فقد كبر لكبريائه وحسن
استخراجه لتحقيق عدله ألا ترى أن من كشف عورته بين يدي نبي كفر لانتهاك حرمة النبوة فكيف
بالعظيم الأكبر منبّئ الأنبياء فسبحان ستّار العورات بفضل فضله وسعة رحمته وفي قوله عز وجل يغفر
لمن يشاء ويعذّب من يشاء قيل يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذّب من يشاء على الذنب اليسير لا يسأل
عما يفعل لأنه عزيز جبار وهم يسألون لأنهم أذلة مجبورون وقد يشترك الجماعة في المعصية فيغفر بها
لبعضهم ويبدّل لها حسنات فلا تضرّه بل تكون عاقبتها بشره ويعذّب البعض بذنبه ولا يغفره له وقد
لا ينفعه معه عمل ولا تكفّره توبة ولا تغني عنه شفاعة له الخلق والأمر يحكم بأمره في خلقه ما
شاء كيف شاء فمن آمن بما ذكرناه لزمه الخوف ووجب عليه الحذر ومن كفر به لزمه الكفر وكان أشدّ شيء
عليه ضرراً وقد احتمل آصف بن برخيا فوق ذلك كله فيقال إنه كان أحد المسرفين لا يصلح أن تذكر ذنوبه
لمكان علمه وحسن عطف الله سبحانه وتعالى عليه بحلمه ثم تداركه مولاه واجتباه وأعطاه العلم والفضل
وأيّد به خليفته ونبيه فجعله وزيره وكاتبه وأطلعه على الاسم الأعظم بعدما كان منه ما يتعاظم لئلا ييأس
محبّ من عطفه وكيلا يقنط منتجب من لطفه ولم يسمح لبلعام بن باعورا بذنب واحد لأن بلعم أدخل
دنياه بدينه وأدخل الهوى على العلم فضلّ بذلك وهلك واشتدّ غضب الله عز وجل عليه وآصف كانت
معاصيه في جوارحه بينه وبين خالقه فكان آصف مستبدلاً به من بلعام لما أوتي تلك الآيات فانسلخ
منها بعد العبادة والزهادة إذ لم يرد بخاتمتها والثبات فيها ويقال كان أوتي الاسم الأعظم المتصل
بكن وقد قيل أوتي فوق ذلك لا أذكره ثم انسلخ من الآيات فسكن إلى الدنيا وهوى في اللذات
ولم ينفعه ما كان منه من العبادات كيلا يأمن عامل مكره ولئلا يدلّ عالم من العلماء عليه بما أظهر له

ولا به مايه شده سابقة

فانه قد يأخذ في ساعة ما أعطى في مائة سنة ويغفر الجناية جادلته عن مائة سنة ولا له سابقة وذلك من
سر المكر ولطيف الحيد وقد يظهر ليمنع ويحسن وينشر الاعلام بالذكر والمدح عند الأنام ويخفي في العاقبة
أليم الانتقام وهذا باب من الاستدراج بالنعم المودية الى عظيم النقم فعن هذه المعرفة فزع العارفون
وبهذا الوصف المدرج المكر داعرفه الشاهدون وكان آصف في كبائر المخالفات فاستنقذ منها ثم
أوتي بعدها الآيات لانه بوصف مراد في مقام محبوب فلم ينقصه في مخالفه الترداد ولم يضره عنده الذنوب
وهذا بحضرة نبي الله عز وجل وخليفته سليمان صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم فذلك من لطف الحنان
وستر ما سبق من الرضوان وأما قصة بلعام فهي أشهر من أن نذكرها ولها مقدمات فيها قصص لا نشتغل
بذكرها ولكن نذكر من شأن آصف آخر أمره وما يحسن من نشره حدثونا أن الله سبحانه وتعالى أوحى الى
سليمان صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم يا ابن داود يا ابن العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني
ابن خالتك آصف وأنا أحلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن أخذته عطفة من عطفاتي عليه لأتركنه
مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده قال فلما دخل آصف على سليمان عليه وعلى سائر الانبياء السلام أخبره
بما أوحى الله سبحانه وتعالى اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال الهي
وسيدي أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب ان لم تتب علي وكيف أستعصم ان لم تعصمني لأعودن ثم لأعودن
فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة الي فقد تبت عليك
وأنا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه ومتملق له منه وناظر اليه به ومفرد
له عنه ومعترف له مسترحم وملتجئ اليه مستعصم فلما بلغ حقيقة الاضطرار في نفي جميع الاختيار
عن حقيقة المعرفة باليقين أنه هو كان لم يزل وأنه هو كان لم يكن بما شهد من نفاذ القدرة لكن رضي
الله عز وجل عنه منه ذلك فنظر اليه فكشف ضره وأغنى فقره وجبر كسره كما فعل بنبيه أيوب عليه
وعلى سائر الانبياء السلام قبله في كشف الضر حين تحقق بحال مضطر وروينا بمعناه أن الله سبحانه
وتعالى أوحى الى عبد تداركه بعد أن كان أشفى على الهلكة لم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد أهلكت
في دونه أمة من الأمم واعلم أن المسامحة من الله عز وجل لأوليائه في ثلاث مقامات أن يقيمه مقام حبيب
صديق بما سبق له من قدم صدق ولا تنقصه الذنوب لانه حبيب المقام الثاني أن يقيمه مقام الحياء
منه بإجلال وتعظيم فيستحي له ويصغر ذنوبه للاجلال والمنزلة ولا يمكن كشف هذا المقام الا ان
روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر طائفة فقال تدفع عنهم مساوي أعمالهم بمحاسن أعمالهم
المقام الثالث أن يقيمه مقام الحزن والانكسار والاعتراف بالذنب والافتقار فاذا نظر حزنه رحمه وداى

اعترافه وغمه غفر له حياء منه ورحمة فان فاتك المقام الأول فلا يفوتنك المقام الثالث وما بينهما معلوم
انه من سرائر العلوم ومن ادلال المحبوب المؤانس مناجاة برخ الأسود الذي أمر الله سبحانه وتعالى كليمه موسى
عليه وعلى سائر الانبياء السلام أن يسأله أن يستسقي لبني اسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين فخرج موسى عليه
وعلى سائر الانبياء السلام يستسقي لهم في سبعين ألفا فأوحى الله عز وجل اليه كيف أستجيب لهم وقد أظلمت
عليهم ذنوبهم وسرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويأمنون مكري ارجع فان عبدا من عبادي يقال له
برخ قل له يخرج حتى أستجيب له فسأل عنه موسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم فلم يعرف فبينا موسى
صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من
أثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم بنور الله سبحانه وتعالى
فسلم عليه وقال ما اسمك قال اسمي برخ قال فأنت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال في
كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك أنقصت عليك عيونك أم عاندت الرياح عن طاعتك
أم نفد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت
بالعطفة فتكون لما ناتم من المخالفين أم ترينا أنك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما
برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وأنبت الله سبحانه وتعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال
فرجع برخ فاستقبله موسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم فقال كيف رأيت حين خاصمت ربي سبحانه وتعالى
كيف أنصفني فهم به موسى صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلامه فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان برخا يضحكني
كل يوم ثلاث مرات ففي هذا ذكرى للزاجرين وأنس للمشتاقين وطمع للعاملين وتحبب الى المطيعين
كما قال بعض العارفين الحبيب لا يحاسب والعدو لا يحتسب له وقد قال الجنيد رحمه الله أهل الأنس يقولون
في تملقهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العموم لكفروهم وهم
يجدون المزيد بذلك في حالهم وذلك يليق بهم ويحسن منهم ويحتمل لهم ويرضى به منهم في كلام أكثر من هذا
حدثني بذلك ابن حبيش المقرئ عنه في كتاب المعرفة فلا عيب على من أنكر ولا عجب وقد أنشدني بعضهم
في وصف المؤانسين من المحبوبين

قوم تخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

أي بقدر ما نظر اليهم وعن نحو ما يظهر به وقد اشترك عبدان في اسم معصية ثم تباينا في الاجتباء والعصمة
آدم عليه السلام وابليس لعنه الله ثم اجتبى آدم وهداه لما سبق له من الاصطفاء والكلمة الحسنى وابليس
أبلس من رحمته وأغواه لما سبق له من الشقوة والكلمة السوأى وقد عاتب الله سبحانه وتعالى

نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاعراض عن عبده وكره له الاقبال على عبيد فقال عز وجل واما من جاءك يسعى
وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال سبحانه وتعالى في الآخر اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى
وهما واحد وبمثله امر بالاقبال والسلام على طائفة وامره بالاعراض وترك القعود مع طائفة فقال
عز وجل واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقال سبحانه وتعالى
واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم ولا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وكلهم عبيد
لواحد، ومثل المحبوب من المحب مثل مقام المصطفى من مقام الكليم صلى الله عليهما وعلى جميع الانبياء وسلم
قال موسى رب اشرح لي صدري وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم الم نشرح لك صدرك وقال موسى واجعل لي وزيرا
من اهلي وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ورفعنا لك ذكرك اي تقرن بي في الشهادة والاذان لا اوزرك بغيري
لانك من اهلي اي فقد وزرتك وقرنتك بذكري فانا ظهيرك ومعينك لا اشد ازرك بغيري ولا اعضدك
بسواي فاشبه هذا بما رويناه عن ليث عن مجاهد في قوله سبحانه وتعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
قال يقعده على العرش فكان العرش مكان العظمة والجلال بمشيئته في الدنيا واختياره وهو مستغن
عنه بقيومية واقتداره فوهبه لحبيبه في الآخرة فجعله مكانا له تفضيلا وتشريفا ليكون هناك
فوق المرسلين في الجلالة كما كان هاهنا خاتمهم في الرسالة وضم المخلوق الى الخالق في الاسم والمكان اعظم تشريفا
واشرف تعظيما من ضمه المخلوق مثله وهو العرش فلا عجب لانه رفع ذكره الى اسمه وجعل اسمه بدلا
من مكانه في قوله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فهو اعجب من الكون
والمكان وانه ليهجس في سري ويتخالج في صدري ان الوسيلة التي قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله عز وجل
لي الوسيلة فانها منزلة عند الله سبحانه وتعالى لا ينبغي ان تكون الا لرجل واحد وارجو ان اكون انا هو
ان ذلك هو القعود على العرش ولكني لا اصرح بذلك اذ لم يصرح به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لكني ارمز
به لمن عرفه، وقال موسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم بعد المقام قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا
عليك مرة اخرى ففي هذا تحديد وقال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد المقامات وقل رب زدني علما فلم يحد
له حدا فهذا غاية المزيد، وقال موسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلم رب ارني انظر اليك اي في محل
العبودية وقال لمحمد صلوات الله عليه وآله ما زاغ البصر وما طغى فكان قاب قوسين او ادنى في مكان
الربوبية فبين المحب والمحبوب في التقليب كما بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما وعلى سائر الانبياء في
التقليب كم بين من راى ما راى عند نفسه في مكانه وبين من راى ربه عند ربه في علو شانه
كم بين من عجل اليه شوقا منه ليرضى عنه وبين من عجل به شوقا اليه لرضاه كم بين من راى ما راى

ثم ثبت ففاضت عليه الانوار لضيقه فقتل الضعفاء بين من سرى ما راى فثبت له وغاضت فيه الانوار
لسعته فحمل الاقويا فقد جاوز المحبوب مقام المحب في التمكين كما جاوز محمد صلى الله عليه وآله وسلم مقام موسى
صلوات الله عليه وعلى الانبياء في المكان المكين، ورويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اتخذ
موسى صفيا واتخذني حبيبا وقد ادخل بينه سبحانه وتعالى وبين موسى صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء الا الملك
واقام محمدا صلوات الله عليه مقامه في الملك فقال لموسى واصطنعتك لنفسي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله فكم بين من صنعه لنفسه وبين من جعله بدلا عن نفسه تفضيلا وتعظيما
كم بين من فضل مدحه من وصفه وبين من وصل مدحه بوصفه فقال في الفصل والقيت عليك محبة مني
ولتصنع على عيني وقال في الوصل لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا وقال
عز وجل في مثله والله ورسوله احق ان يرضوه وقد قيل في قوله سبحانه وتعالى يا موسى اني اصطفيتك
على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك من الكلام قبلا واصطفيتك به على الناس فاشكر عليه وانتظر
فقد خصصت به محمدا صلى الله عليهما وعلى الانبياء وسلم، وعن ابن عباس وكعب رضي الله عنهما ان الله سبحانه وتعالى
قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وعلى الانبياء وسلم فاعطى موسى الكلام وخص محمدا بالرؤية
ومما يؤيد هذا القول ان الذي آتاه الكلام هو الذي ثبت له قدر انه هو الذي ايد به لان الله سبحانه
وتعالى اذا اراد عبدا بشيء ثبته فيه وقواه عليه وقد ثبت محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لما آتاه من الرؤية
وقواه لها ومكنه فيها لانه اراده بها ولان موسى كان مقامه مقام سائل طالب وساع حامل وكان مقام
محمد صلى الله عليه وسلم مقام مطلوب محمول مناجي مستمع، ومن وصف مقام المحبوب ما قيل لعلي عليه السلام
صف لنا اصحابك فقال عن ايهم تسالون قالوا عن سلمان قال ادرك علم الاول والآخر قالوا فعمار قال
مؤمن ملئ ايمانا الى مشاشه قالوا ابو ذر قال جمع الله سبحانه وتعالى له العلم والزهد لا يخاف في الله لومة
لائم ما اظلت الخضراء اصدق لهجة منه قالوا حذيفة قال صاحب السر اعطي علم المنافقين قالوا
فاخبرنا عن نفسك قال اياي اردتم كنت اذا سالت اعطيت واذا سكت ابتديت فهذا مقام
محبوب لانه اذا سال سمع منه فاستجيب له واذا سكت نظر اليه فابتدئ وعطف عليه واعطي فهذا
مقام جمع فيه ما فرق على سواه من الاحوال فاشبه ذلك ما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من انها به
التي اعطى اصحابه بدايتها فقال صلى الله عليه وسلم اقواكم في دين الله سبحانه وتعالى عمر رضي الله عنه
واصدقكم حياء عثمان وافرضكم زيد واقراكم ابي واعلمكم بالحلال والحرام معاذ رضي الله عنهم ثم قال
واقضاكم علي رضي الله عنه فالقاضي جامع من الصفات والقضاء هو الغاية ولذلك كان عنده

من البيان وكشف الشبهات ما لم يكن عند أصحابه رضي الله عنهم فقال ما شككت في قضاء بين اثنين منذ استقضاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى في شبهة باليمين فسئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم وقال ما أعلم فيها إلا ما قاله علي وقال عدي بن حاتم في رجل رآه مقتولا يوم الجمل ويح هذا كان بالأمس مؤمنا وهو اليوم كافر فزجره علي عليه السلام فقال بل كان أمس مؤمنا وهو اليوم مؤمن وقال له عمار رضي الله عنه اقسم بيننا الذرية كما قسمت الأثاث والمال فقال حتى ننظر في سهم من تصير عائشة رضي الله عنها فقال ادع عائشة نقسم فقال فكيف تصنع ببنيها وهم جاؤوا معها فقال صدقت وخطب الناس بعد وقعة الجمل فذكر طلحة وغيره فقال قد كان إخوة يوسف على المحجة يوم عقوا أباهم وباعوا أخاهم فإنما نقصهم بعد الإقرار والتوبة ثم قال في آخر كلامه ما شككت في الحق مذ عرفته فهذا حاله في مقام مراد محبوب مكاشف بالسر مطلوب وقد روينا عنه رضي الله عنه من أحب من لا يعرف فإنما يمازح نفسه أي من لا يعرف صفات حبيبه وأخلاقه وأفعاله وأحكامه فمحبته بعد خبره فيسارع المرضاته ويجانب مكارهه ويعامله بأخلاقه ويجالسه بمعاني صفاته فإنما يمازح نفسه أي يلهو بها ويلعب ليس فيه شيء من جد المحبين ولا حقيقة العارفين إذ لا يأمن انقلاب محبته لتقلب أفعال محبوبه ولا يأمن تغير حبه لابتلاء حبيبه واختلاف أحكامه فإنه كان بإزاء محبة لا محقق به وفي مثل هذا المقام من جهل المحبين بأفعال المحبوب اغترار عظيم ومن المحبة كتمان المحبة إجلالا للحبيب هيبة له وتعززا وتعظيما وحياء منه وهذا وصف المخصوصين من عقلاء المحبين وهو من الوفاء عند أهل الصفاء إذ كانت المحبة سر المحبوب في غيابة القلوب فإظهارها وابتذالها من الخيانة فيها وليس من الأدب ولا الحياء النسبة إليها ولا الإشارة بها لأن في ذلك اشتهارا فتدخل عليه دقائق الدعوى والاستكبار وقال آخر في تعزيز الحبيب مع قربه

وقالوا قربت قلت ما أنا صانع بضوء شعاع الشمس لو كان في حجري
فما لي منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب بالشوق في صدري

إلا أن يغلب فيعذر أو يقهر فلا يلام لأن للحب لوعة تلذع القلب وسكرة تغمر العقل وفيضا يفيض فيه القلب لا يمكن كتمه وزفرة تغلب الوجد لا يستطاع دفعها ونارا تقدح في اللب تسطو بوصفها فذلك حينئذ معذور لأنه هناك مقهور وهو ثم مجبور إذ صار في وثاق الحبيب مأسورا كما أنشد بعض المحبين

ولما رأيت لقهر الهوى أميرا تعزز أن يعزلا
وبث عساكره في النفوس ففصلها مفصلا مفصلا
دفعت إلى الحب حبل القياد وقلت أسيرك مستقتلا

فشد وثاقي بحبل الصدود فها أنا في أسره مبتلا

وأنشد آخر في الإظهار عن غلبة الكتم والإسرار

دل عليه نفس مختلس ودمعة تحت سجال القلس
يخفى فيبدي الدمع أسراره ويظهر الوجد عليه النفس
لو ستر الحب بغض إذا دل عليه نظر مختلس
أو موه الوجد بفقد لما أخفاه فيه علمه المقتبس

وأنشدت في معنى جامع للجملة

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم

وقال الجنيد وغيره ممن فوقه رحمهم الله تعالى إذا تناهت معارفهم انتهت إلى الحيرة وقالوا أعرفهم به أشدهم تحيرا فيه وقد روينا عن الله سبحانه وتعالى إنما تتصل عقول الرجال عند طلب محبتي يستطيبني أحدهم ولو صبر لا أحبه شيئا بعد شيء ولا يبلون ذلك مني حتى أبلوه واعلم عقده عقله ونهل هوى بهم لقوا بدي فإن كان كذلك أدنى ما يصل إليه مني أن تخافه الخليقة ويتنافس أهل الجبلة في سعة نوره وأحبوه بالنظر إلي بلا كلام يا داود قل لعاشر المتوجهين إلى محبتي ما ضركم ما فاتكم من الدنيا إذ كنت لكم حظا وما ضركم من عاداكم إذ كنت لكم سلما ما ضركم مذمة الخلق وعداوتهم إذ كنت لكم حبيبا ما ضركم إذ جعتم من الدنيا وشبعتم بذكر عظمتي ما ضركم الانقطاع من خلقي إذا انقطعتم إلي فهذه نعوت الصادقين من المحبين وهذا عوضهم وجزاؤهم من محبة الدنيا ومحبة الخلق ثم قال بعد هذا في وصف المبعدين من القرب والكذابين يا داود قل للنابذين ما وصفت والراغبين في دار الذل والهوان حلمت عنكم فلم تزدادوا إلا تماديا وسمحت لكم في الأرزاق وكلأتكم بالليل والنهار من غير حاجة مني إليكم وكيف لا أفعل ذلك بكم وما خلقت خلقا هو أكرم علي من أبيكم آدم صفوتي من خلقي ودعيتكم في جواري من تمسك بالمعاصي البستة ثياب الذلة وصرفت عنه وجهي الكريم القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عني وقد قال بعض العارفين أبعد الناس من الله سبحانه وتعالى أكثرهم إشارة به كأنه يكثر التعريض به في كل شيء ويكثر التزين والتصنع بذكره عند كل أحد فهذا ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذو النون المصري رحمه الله على بعض إخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد ألم ضربه فقال الرجل لكن أقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون ولكني أقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل أستغفر الله وأتوب إليه وهذا كما قال ذو النون رحمه الله وهو من علامة الإخلاص في المحبة إذ كانت من أعمال القلوب فوجد الإشفاق والحذر من إظهارها دائما خشية السلب والاستبدال وخوف المكر والاستدراج علامة التحقق بها ودفعها عن النفس وسترها عن أبناء الجنس وترك التظاهر بها علامة الظفر بها لأن المحبوب غيور وغيرته على نفسه على ظهور محبته

اشد من غيرته على الظاهر لمحبته وغيرته على الظاهر رحمة لغيرنا من جنسهم اشد من غيرة جميعهم عليه وقد
انشد بعضهم في الفرق بين الواجد الصادق والمتواجد الناطق عن وجود البكاء

اذا اغرقت دموع في خدود تبين من بكا ممن تباكى فاما من بكى فيذوب وجدا وينطق بالهوى من قد تباكا سالت

وانشدت في وصف بعض الاقوياء المحبين الذين هم للوجد كاتمون خفوق الحشى الابدي وجودا
كان فؤاده زبر الحديد ومن الطف ما سمعت في غيرة المحب على حبيبه حتى من نفسه ثم حتى من حبيبه
على حبيبه لشدة عز المحبة وعظم شانها وجلاله مكانها في قلب محبها انشدني بعضهم

غرت منهم عليه من شدة الوجد به ثم غرت مني عليه ثم فكرت بعد ذاك وهذا في عياني من ناظري اليه
همتي عزه وان دام ذلي اذ حياتي وميتتي في يديه

ففي هذا آية للمحبين وعبرة للعارفين
فلا تنكروا هذا فان اعجب منه ما روينا عنه سبحانه وتعالى في تفسير قوله عز وجل ان الساعة آتية اكاد
اخفيها قيل من نفسي وكان هذا على ضرب المثل في شدة الاخفاء كما نقل لنا الاسرائيليون عن الكتابيين
ان في الانجيل مكتوبا اذا تصدقت فلا تعلم شمالك بما صنعت يمينك فان اباك الذي يرى الخفيات يجزيك
به علانية واذا صليتم فقولوا يا ابانا الذي في السماء تقدس اسمك واذا صمت فاغسل وجهك وادهن
راسك لئلا يعلم بذلك غير ابيك فهذا كله على ضرب المثل والاعتبار في المبالغة في وصف الرافة والحنان
من الخالق اللطيف الحنان يتحبب به الى اوليائه ويتقرب بذلك الى قلوب احبائه ان يكونوا له كما هو لهم
وهذا كلام عالم صاح في مقام صحو مكين وهي محبة العقلاء الربانيين ائمة المتقين فاما السكران
بحاله والولهان بوجده والحيران في توحيده فمغلوب بسكره مقهور باسره ماسور بوجده محجور بفنائه
محجوب عن بقائه ليس يقع به اعتبار لانه ليس بمعيار اذ لم يجعل اماما للمتقين ولا منهاجا للعابدين
والله عز وجل غالب على امره قال رجل لابي محفوظ معروف وقد راى من المحبين شيئا استجهله فيه من بعض المحبين
مقال وفعال فاخبر بذلك معروفا فتبسم ثم قال يا اخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي
رايته من مجانينهم وقد قال صاحب الامر سبحانه وتعالى فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به وقلبه الذي يعقل به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وكنت له يدا ومؤيدا فلذلك
كان صلى الله عليه وسلم يسال من هذا المزيد ويحب به دوام التاييد في قوله صلى الله عليه وسلم اجعل في عيني نورا
وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا اي ادم لي الوجد بك والنظر اليك والقرب منك حتى لا
افقدك مني ولا اشهد نفسي ولا غيرك في وجدي ايدني في ذلك بروح التاييد ونور التوحيد واعصمني
من جميع ذلك عصمة المحبوبين من النبيين وقد انشد منشد في بعض هذا المعنى

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضائع بصري وسمعي في الجنة لانني انا مبصر بك في الجنة وسامع

وفيما ذكرناه من وصف المحب كفاية وغنية لمن وفق لفهمه ورزق نصيبا من علمه يجزي عن وصف
المحبوب وليس يمكننا وصف محبوب كما يعلم ويحب اذ جل جلاله اجل عن الوصف لانه في غيابة الغيب
محجوب ومقامه يعلو عن الكشف وكيف يوصف من يسمع ويبصر من محبه ويبطش ويعقل عن محبوبه بل
هو كاين له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا وقلبا كما روينا في الخبر آنفا ان سالني اعطيته وان سكت ذكرت له
لو قسم نوره على اهل الارض لوسعهم فهذا كله في مقام محبوب يقال ان من الآيات والقدر المبهرات
من سرائر الغيوب وخفايا الملكوت التي تسميها العامة المعجزات والآيات وتسميها العلماء الكرامات والاجابات
وهي آيات الله سبحانه وتعالى في ارضه مودعة وقدر له سبحانه وتعالى في عباده جارية وغيابات له في ملكه
قائمة ليس للعباد منها الا كشفها ونظرهم اليها اذا اقيموا مقام الانس من مقام محبوب ورفعوا الى وصف
خلة في حال مطلوب رفعت عنهم الاسباب والغيوب وظهرت لهم الاسرار فمن سرها هو المحبوب وبعضهم
يقول ان الآيات توجد في المقام السابع عشر من مقامات المعرفة اذا اقيم العبد بهذا المقام في المعرفة نودي
بها فظهرت له وكانت هي كشوفه من الغيب لانها على طريقه فلا يمتنع من رويتها وهي كشوفه ان عرج عنها وحجبه
ان نظر اليها وفوقها ثلاثمائة وثمانون مقاما من مقامات العارفين افضل من ذلك لانها طرقات ابدال المرسلين
من النبيين وذلك في قول بعضهم يكون لابدال النبيين من الصالحين وابدال المرسلين فضلهم على ابدال النبيين
كفضل المرسلين على النبيين وكفضل الصديقين على الشاهدين لان كل بدل يكون على معنى مبدله وابدال
الصديقين ايضا فوق ابدال الشهداء وابدال الشهداء فوق ابدال الصالحين كذلك كل طبقة على معنى مبدلها
كيف وقد قال بعض العلماء ما رايت هذه الكرامات اظهرت الا على ايدي البله من الصديقين وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكثر من يدخل الجنة من امتي البله وعليون لذوي الالباب واولو الالباب هم المواجهون
بالخطاب الشهداء عليهم المستحفظون للكتاب كما قال عز وجل بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه
شهداء والعامة يحسبون انها من اعلى مقامات المعرفة لانها ابهر للعقول واغرب في العلم المعقول وتجلي
انوار محبوب في صفات اليقين بالقلوب وقرب ملاحظات المحب لطائف معاني الحبيب هو سر السر وغريبة
الغربة وعجب العجب والذي هو من ذلك عند العارفين والمحبين اعلى وافضل من اشكال الكون والكائن لان العارف
الكبير ذا القوة الامين ينظر الى الكون ظاهره وباطنه اعني ملكه وملكوته بعين مليكه فهو لا يملكه لقوته ولا يتملكه
لزهده وتوكله فليس يشهد الا فعله وهو ما ظهر ومعناه الحكمة ووصفه وهو ما غاب ومعناه القدرة فله
في كل حركة وسكون كشف ومزيد باخذ من الاشياء قبل ان تاخذ منه وياسرها قبل ان تاسره فهي تاخذ

نصيبها منه وهو يأخذ بها نصيبه من ملكها وهي ترتفع به وتزيد وهو يعلو بها عليه ابدا الى المزيد وجميع الاسرار
من الغيوب التي تكتمها الحجب والاستار ان ظهر عليها الا لمطلوب والمطلوب لا يكون محجوبا وهو عن نفسه
مسلوب فمن تبقيت عليه من نفسه بقية او نظر الى حركة وسكونه نظرة خفية فسترها عليه رحمة له لانه لو كشفها
لها هلك في حيرة الهوى وغرق في بحر الدنيا ونفس حبه لها وعن طلبه اياها هو حجابه عنها واستتارها
عنه حتى يكون كارها لظهورها كراهية ظهور الخلق على معصيته وخائفا منها خيفته من نفسه في تظاهرها
عليه بملكته فهناك حين يبتلى بها ويختبر لينظر كيف يعمل فاذا بقي باق وحيي بحياة حي صرفا له صرفا
منه بلا طلب ولا نظر ولا سبب ولا فكر يودي بعجائبه ويفتح له كنوز غرائبه كما انشد العارف

ظهرت لمن افنيت بعد فنائه فصار بلا كون لانك كنته

وكما قال الواجد

فان ناى عنيتني وان دنا قربني اذا تغيبت بدا وان بدا غيبني

وقال بعض المحبوبين ممن يكشف
عن مشاهدته عبدت الله سبحانه وتعالى ثلثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة
حتى ظننت ان لي عند الله عز وجل شيئا فذكر اشياء من مكاشفات آيات السموات في قصة طويلة قال
في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله سبحانه وتعالى من شيء فقلت ما انتم قالوا نحن المحبون
لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلثمائة الف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت
من اعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنهم في جهنم وقد قال بعض العلماء كل مقام اعبر عنه الا
مقام المحبة قيل ولم قال لان الشيء يعبر عنه الى الطف منه ولا شيء الطف من المحبة وقيل لمعروف
رضي الله عنه اخبرنا عن المحبة اي شيء هي فقال يا اخي ليس المحبة من تعليم الناس المحبة من تعليم الحبيب
يعني اذا تحلى بوصف محبوب بعد ان يحبك ويحببك ان تحبه على معنى الوصف الذي به تجلى لم يمتنع من
محبته لا محالة فاما ان تخبر عنه او يستدل عليه بعلم او عقل فهيهات ان المحبة لا تخبر بخبر ولا تكون
باستدلال انما هي جعل الله سبحانه وتعالى في القلوب بسرائر الغيوب لا يوليه غيره ولا يعلمه سواه ولا
تظهر عليه روح المحب ولا عقله فكيف بغيره وجملة ما اعبر عنه من المحبة انها سر عن وصف
اله فهي تاله القلب بما اله الله سبحانه وتعالى فاستكان هو النور في قلب لتاله بالله سبحانه وتعالى
الى الله هي مكان المحبة ثم يقع التجلي من الحبيب بحسن وجمال ليس كمثله وصف وبذوق حلاوة لا
تشبهها حلاوة فتحدث سرورا وارتياحا ولذة ونعيما يجد القلب بذلك ويحار العقل فيه ويغرق الهم
فيه ويتردد الفكر فيه فهذا ما يمكن لمن عرف وما يصلح لمن اوقف وما وراء هذا فانما هو دونه كيفية
وكيفية قرب ولا العقول والعلوم تعجز عن ذلك هذا الا بحيطة من الله سبحانه وتعالى عن مشيئته فانتظمت

مطلب في كون العقلاء حجبا بالعقل وكون الزهاد حجبا بالهوى

المحبة القرب فكانا سرا وغابا في جبروت العز فالذي يوجد القرب لا يظهر على كيفيته من الارواح والقلوب
والهمم والعقول والعلوم التي هي حجبه وهو الذي يذيق القلوب في العقول وجد المحبة له اذا كشف حجب الغيوب
عنها وذلك ان الخلق محجوبون بحجابين الا الموقنين فالعقلاء محجوبون بحجاب العقل لانه من معانيهم والجهلاء
محجوبون بحجاب الهوى اذ هو من معانيهم فهذان حجابان باطنان فاذا رفعا انكشف عن البصر فابصرت
الغيب بالغيب فصار شهادة ورأت النور بالنور وكان على الحسنى زيادة فمثل ذلك مثل حجب العموم في الدنيا
انهم محجوبون فيها بحجابين ظاهرين حجاب لطيف وهو الفضاء لانه من معنى اللطف وحجاب كثيف وهو الجسم
لانه من معانيهم فاذا سقط الحجابان فهو كشف الغطاء فبصرك اليوم حديد وهذا هو اللقاء للكافة
كذلك اذا انكشف الحجابان الباطنان العقل والهوى عن العارف المحب كان حين اللقاء فهو في الدنيا بجسمه
لعرف بالحق من الارواح بنسبها في مكان البرزخ لا نقدر ان نخبر باكثر من هذا وقال بعض العارفين
كل المقامات عن انوار الافعال والصفات الا المحبة فانها عن نور الذات فلذلك عز وصفها وغرب
وجدها وقل من المؤمنين المتحقق بها قوله عن نور الذات انما يريد وصفا مخصوصا من الذات هو
وجه المحبين وعنه معرفة العارفين والا فالصفات كلها متصلة بالذات ومن ادرك مقام المحبة لله عز وجل
لم يضره فوت شيء من المقامات ومن فاته مقام المحبة لم يغبط بذلك شيء ومثلها في جلالة القدر مثل
العلم بالله عز وجل اي علم اعلى من علم يكون معلومه الله سبحانه وتعالى فكذلك اي قلب اجل من قلب يكون
محبوبه الله سبحانه وتعالى وقد قيل في قوله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الهاء عائدة على التوكل
اي فالتوكل حسبه من جميع المقامات والتوكل حال من مقام المحبة فمن كان الوكيل حبه فهو من التوكل
حسبه وقد قال تعالى ورضوان من الله اكبر والرضى مقام في المحبة فاذا كان الرضى الاكبر محبوبه فاي
شيء يكون معه مطلوبه فقد جلت المحبة ان توصف وعزت في المقامات ان تعرف ودقت على العقل
ان على حقيقتها توقف كما قال

لقد عزت معانيه فغابت عن الافكار الا للشهيد

ولا شهيد الا بشهادة ولا شهادة الا بشاهد وقد قال الشهيد ويتلوه شاهد منه فلان يعطي الموقن
عشر ذرة من المحبة افضل له من ان يعطى امثال الجبال من العبادات لان الجزاء عليها من معاني الصفات
المتصلة بالذات وهذا غاية الطالبين من المقربين عن اول باديه ومن وصف يستغرق كل النهايات
والمزيد من كل احسان وجمع به من الله الى السرور والنعيم والحبور كل ما فرقه في جنات النعيم فليس يعدل
هذا عطاء لانه عن الرضى الاكبر فكيف بالبادي الثاني والزيادي الثالث عن الوصف الثاني والوصف الثالث
ثم نعلم هذا الا من شهده ومن يطلبه الا من عرفه والخلائق عنه محجوبون الا الشهداء والصديقين

وسائر العبادات وأعمال الصالحين تنوب عنها أطراف من معاني المحبة وضمنها الخلقيات فشتان بين ذلك
وبين المعاني الخالقيات ولا يصلح هذا إلا لأهله ولا يصلح له إلا من طلبه ولا يصفه إلا من شهده ولا قوة
إلا بالله المبدي المعيد. ثم قيل إن للقلب حبة هي باطنه عليها تعلق المحبة ومنها سميت محبة كأن اشتقاقها
من حبة القلب وهي التي يقال سويداء والميم في الأسماء قد تزاد للمبالغة في الوصف ومن هذا قوله عز وجل قد
شغفها حبا لما وصفها بنهاية الوصف في الحب أي قد خرق شغاف قلبها فوصل إلى حبة القلب وخرق الشغاف
وهو حجاب القلب وحبا منصوب على التفسير كأنه قيل قد شغفها قيل ماذا حبا وقال بعضهم قلت لعكرمة
ما معنى قوله عز وجل قد شغفها حبا قال يعني بطنها قيل كيف ذاك فقال بلغ سواد القلب قيل ما معنى سواده
قال مثل سواد العسكر إذا بلغ الحرب إليه انكشف العسكر فهكذا الحب إذا وصل إلى هذا الموضع من العبد لم
يملك المحب نفسه وفرغ قلبه له فامتلأ به ولم يجر على ترتيب ما رسمناه وربما خرج إلى الوله والاستهتار
وجاوز معيار العقل في التصريف والأذكار والعرب تقول قد دمغه ورأسه وفاده وركبه إذا خرق
دماغه وضرب رأسه وأصاب فؤاده وركبته فكذلك قولهم قد شغفه إذا أصاب شغاف قلبه فهتك
حجابه وأنشد بعضهم

قالت وقد شغفت قلبي فبحت بها ... قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها ... غطى هواك وما ألقى على بصري

وعلى هذا المعنى مجاز قوله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم أي يعمي ويصم عن سواه ويعمي ويصم
به عن كل شيء ولا يبصر إلا به ولا يسمع إلا منه ويعمي ويصم عن مساويه والبلاوي التي فيه فلا يخاف فيه
لومة لائم ولا يقبل عليه قول قائل ولا يصده عنه عيب عائب وقد قرئت بالعين قد شعفها حبا
معناه بلغ أعلى القلب ونهايته لأن الشعف أعلى كل شيء وشعف الجبال غاياتها والمعنى ذهب بها الحب
أقصى المذاهب وغاياتها فحينئذ يملكه الحب فيكون أسيرا ويغلب عليه الحبيب فيصير أميرا فيحكم عليه فلا
يجاوز لمحكمه ويفرغ له قلبه من كل شيء يتممه ويمتلئ به فلا يبقى فيه شيء يتممه ولا يقدر على الكتم
لظهور سلطان الحب بقهره فحينئذ يكشف قناعه به ويرسل عذاره فيه ويصف الحب بالحبيب وهو
صامت ويبدو عليه الوجد وهو خافت ويخفيه الحبيب إلا لمن يحب وهو ظاهر وقد يكون هذا في مقام
سكر وحال غلبة وقهر فمن لم يعرف هذا المقام أنكر هذا الكلام إلا أن يربط قلبه بتأييده ويحفظ
سره بتمكينه كما قال سبحانه وتعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن
ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين أي من المصدقين أنا نرده إليها ولا تظهر أنه ابنها فيقتل وكما لطف
للفتية الذين آمنوا وهم أصحاب الكهف لما غلب حب الإيمان على قلوبهم فملكها خرجوا من المصر وفارقوا

الأهل فقال في وصفهم وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا الآية لئلا يظهروا إيمانهم لما غلب حبه عليهم
فيقتلوا فهذه لطائف الحكيم وخفي صنع العليم والمحبون لا يحافظون للمحبوب بما حفظ الله ومن يتعد
حدود الله فقد ظلم نفسه. وقال سمنون رضي الله عنه لبعض الفقراء في قصيدة ذكر فيها تفرح بحبه
وتذكر المحبة. وقال بعض الناس في وصف المحبين أقامهم مقام المحبة فلم ير الملك في قلوبهم حبة لمحبة
غير الله سبحانه وتعالى في محبته عز وجل شرك عند المحبين وهي خيانة عند الصادقين وهو من نقض
العهد وقلة الوفاء بالعقد عند المخلصين. وكان أبو محمد رحمه الله يقول من أحب الدرهم لم يحب الآخرة
ومن أحب الخبز لم يحب الله عز وجل ولا يخرج حب الولد والوالد المحبين لله عز وجل من المحبة لأن ذلك
جعله الله عز وجل في القلوب نصيبا لهم ولا يخرجه أيضا حب الزوجة بمعنى الرفق بها والرحمة لها ولا
يخرجه أيضا حب مصالح الدنيا ومرافق الأسباب من حاجات النفوس وما لا بد منه لأنه من عون الزاد
على الطريق وليس ذلك كله يكون في مكان محبة الله عز وجل لأن محبة الله سبحانه وتعالى في أنوار اليقين
ومحبة هذه الأشياء في مكان العقل والطبع ما لم تأخذ بهذه الأشياء منه بمعنى الانحطاط في الهوى ومجاوزة
العلم كما نقول في صفة المقربين من الموقنين إنهم يأخذون من الأشياء قبل أن تأخذ منهم ممكن هو عندي
في الفرق بين محبة الخالق سبحانه وتعالى ومحبة المخلوق ويخرجه جميع ذلك عند الخواص والثوري وطائفة
من المحبين من حقيقة المحبة فأما الإيثار لهذه الأسباب والانحطاط في أهوائها والسكون إليها
والفرح بها والطمأنينة معها والحزن على فقدها فإن ذلك يخرجه من حقيقة المحبة لأنها قد أخذت
منه بجذبته وتمكنت فيه فتسخر لها كذلك هو عندي وعند الكل وقد يوجد بعض المحبة مع وجود بعض
هذه الأشياء عندي وإن كانت علة موجودة ولا يوجد حقيقتها عند الجماعة وعندي وأما بعض الحكماء
فإنه يزعم أن محبة العشق خاصة المتعلقة بالوصف أنها متصلة بالروح منتشئة منه وإن كان سلطانها
موجودا في القلب وحاكمها على الجسم إذ كان القلب ملك الجسد ومكان الحواس كلها وهو الفرق عندهم
بين حب العشق والحب لأجل المعاني والأسباب من المنافع والمرافق إذ ذاك متعلق بالأوصاف وذكر
أن حكيما كان عند بعض الملوك فنظر إلى جارية للملك كان يهواها وقد أشرفت عليه ولم يعلم الملك
بذلك فلما نظر إليها ارتعدت فرائصه وغشي عليه فتعجب الملك من ذلك فسأله عن حاله فاعتذر بوجع
يعارضه في الأوقات فلما خرج سأل الملك الحكيم هل تعرف دواء هذه العلة فقال نعم وأعرف داءها
إن أمرتني أخبرتك فقال قد أحببت ذلك قال إنه نظر إلى من يحبه فلحقه هذا الاضطراب لأنه انفرج
قلبه فتحرك الجسم لانفراج القلب فقال له الملك فإنا نحب أهلينا وأموالنا ولا يصيبنا هذا

فقال ليست هذه تلك المحبة هذه محبة الروح وتلك محبة العقل ومن اعجب ما سمعت في هذا الباب ما حدثني
بعض اخواني عن ابي القاسم الجنيد رحمه الله قال مرض استاذنا سري رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء
ولا علمنا لها سببا قال فوصف لنا طبيب حاذق فاخذنا بوله فجعلناه في قارورة فنظر اليه الطبيب
فقال لقد اعياني وصف هذه العلة ولكن سافكر في هذا الماء قال وجعل ينظر مليا ثم قال لي اراه
بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة ثم رجعت الى سري رحمه الله فاخبرته
فتبسم ثم قال قاتله الله ما ابصره فقلت يا استاذ وتتبين في البول المحبة قال نعم وقد قال
سري رحمه الله مرة لو شئت ان اقول ما ايبس جلدي على عظمي ولا اسل روحي وجسمي الا حبه لقلت
قال ثم غشي عليه وكان يفصح في بعض الاوقات لهذه المعاني

ذكر وصف بعض المحبوبين

من العاشقين وابدال الصديقين من المقربين قيل لبعض العارفين من الابدال ممن يتكلم في علمه
ويكشف عن طريقه ووجده الناس يقولون انك محب فقال لست محبا المحب متعوب ولكني
محبوب وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة وكان هذا
يقول اذا رايتموني فقد رايتم اربعين بدلا قيل وكيف وانت شخص واحد قال لاني قد رايت اربعين بدلا فاخذت
من كل بدل خلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم ثم قال ليس من العجب
ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه فلا يقدر عليه ولعمري ان من كان
عند الله سبحانه وتعالى لم يره بشر كما حدثونا ان الحسن رضي الله عنه اختفى عند حبيب العجمي
رحمه الله وكان من اصحابه وعلى يديه تاب وزهد في الدنيا وخرج من امواله كلها وكان حسن اليسار
كثير التجارات كان له ثلثون مملوكا لكل واحد تجارة فاعتق جميعهم وفرق جميع ماله وكان الحسن رحمه الله
مستترا عنده من الحجاج فسعي به فدخل عليه الشرط ففزع الحسن رحمه الله وذهب ليتسور
الحائط ويهرب فقال له حبيب الفارسي رحمه الله اقعد وراي فانهم لا يرونك فقال ويحك
وما يغني عني وراك فقال اقعد حتى تبصر فدخل الشرط فقالوا اين الحسن قد قيل لنا هو عندك
فقال هل ترون شيئا ففتشوا الدار كلها وخرجوا وهم لا يرونه فقال له الحسن رحمه الله كيف لم ينظروا
الي قال لانك كنت عند الله عز وجل فلم يروك ولو كنت عندي لابصروك قال له الحسن اني قد رايتك
لما دخلوا همست بشيء فهل ذكرت اسم الله الاعظم فقال اما الاسم الاعظم فلا احسنه ولكن قد
قلت اللهم اجعله عندك حتى لا يبصروه وكان حبيب هذا ابو محمد من البله واهل السلامة والغفلة
وله اجابات واظهر كثيرا من الايات والحسن رحمه الله امام الائمة من العلماء وهو فوقه درجات

واحب الينا منه فلم يعط ذلك واحوج اليه وقد حدثت عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثتني نفسي
يوما قط انه لم يبق ولي لله عز وجل الا عرفته الا رايت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه قال ولقد كنت
يوما بصنعا في مجلس عبد الرزاق فنظرت الى شاب منفرد ناحية فقمت اليه فقلت لم لا تحضر مجلس
عبد الرزاق فتسمع منه فقال انا واي شيء اسمع منه فقلت تسمع حديث معمر عن الزهري فقال قد سمعت
من الله عز وجل فاغناني عن عبد الرزاق فقلت وانت ممن يحسن ان تسمع من الله عز وجل قال نعم قلت له
فمن انا قال انت الخضر ثم غاب عني فلم اقدر ان اراه وقيل لابي يزيد البسطامي رحمه الله بلغت جبل قاف
فقال جبل قاف امره قريب الشان في جبل كاف وجبل صاد وجبل عين يقال هذه جبال محيطة بالارض
السفلى حول كل ارض ثانية وثالثة ورابعة جبل محيط بها كحيطة جبل قاف لهذه الارض الدنيا فهو اصغر
الجبال وهذه الارض اصغر الارضين وهو جبل من زمردة خضراء يقال ان السماء الدنيا مقببة عليه
ويقال ليس بينه وبين السماء الا اربعون فرسخا وان خضرة السماء من خضرته والا فهي بيضاء كالفضة
ولكن لشدة صفائها وتلالؤها واخضرار الجبل وقربه منها علق بها خضرته فتلالات واخضرت وقد
كان ابو محمد رحمه الله اماما في هذا العلم يخبر انه صعد قاف وراى سفينة نوح صلى الله عليه وعلى
سائر الانبياء وسلم مطروحة فوقه وكان يصفه ويصفها وقال لله سبحانه وتعالى عبد بالبصرة
يرفع رجله وهو قاعد فيضعها على جبل قاف وقد قيل الدنيا كلها خطوة للولي وان وليا لله
عز وجل خطا خطوة واحدة خمس مائة عام وان بعضهم وضع رجله على جبل قاف والاخرى على جانب
الجبل الاخر فعبر الارض كلها ويقال ان بعض الاولياء احتاج الى مصباح فرفع يده الى القمر فاستصبح
منه نورا اقتبسه منه في جذوة معه وبعضهم كوشف بالهلال في اول ليلة فراه مستديرا كما يرى
ليلة اربع عشرة كانه دفع عنه الفضاء المحجوب به وبعضهم كوشف بالشمس فراها نصف الليل تسير
في عرض الفلك لانها تقطعه ليلا عرضا كما تقطعه طولا نهارا وفوق ذلك ما لا نستطيع ذكره
خيفة الانكار فسبحان الواحد القهار وقيل لبعض المحبين من الاوتاد وهم خصوص الابدال دخلت
ارم ذات العماد فقال دخلت الف مدينة لله عز وجل في ملكه ادناها ذات العماد ثم عدد البلد
وتاويل والمنسك وبارس وجابلق وجابرس ولعل قائلا يقول فقد قال الله سبحانه وتعالى في وصفها
التي لم يخلق مثلها في البلاد قيل فان معناه في بلاد اليمن لانهم خوطبوا بما في بلادهم كما قال عز وجل
او ينفوا من الارض يعني ارض بلدهم فذات العماد مدينة عاد في ارض اليمن بين ابين والشحر يقال
عليها سور له مائة باب بين كل بابين فرسخ مركبة على اعمدة الذهب والفضة والياقوت والزبرجد

فيها الف الف عمود من تلك الجواهر وكانت الجن اصطنعتها لعاد بن شداد بن سام بن نوح صلى الله
على نوح استخرجت الجن هذه الجمة من قطوط البحار وخبأتها في القفار وكان قد سخرت له الجن قبل
سليمان باربعة آلاف عام صنعتها في ثلثمائة سنة وكان عمره خمسمائة سنة ويقال انه يجتمع في هذه المدينة
طائفة من الابدال ليالي الجمع وفي الاعياد ويقال فيها صناديق من حجارة طول كل صندوق عشرة اذرع
وزيادة هي قبور الانبياء عليهم السلام اجسامهم فيها صحيحة باقية الى يومنا هذا وهي محجوبة عن
ابصار العباد وقد كان سهل وغيره رحمهم الله يزورونها في ليالي الجمع والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة
كل ما ذكرناه ما عندنا من ذلك الا تصديق وتسليم آمنا بحقائقه عند الله عز وجل وهذه آيات يسيرة
من قدر الله سبحانه وتعالى الكثيرة ومن عجائب الملك والملك كله مندرج في الملكوت وهو سر الملك
وخزانة الملك وانما اظهر الله سبحانه وتعالى منه بمقدار ذرة بقدر عين العقل وهو فوق العقل والملكوت
باسره منطو في الجبروت وانما اظهر الله سبحانه وتعالى من الملكوت بقدر ذرة وهو فوق الايمان والجبار
سبحانه وتعالى بقهره قابض لجميع ذلك في يديه وقيل لابي يزيد البسطامي رحمه الله حدثنا عن مشاهدتك
من الله سبحانه وتعالى فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك
لنفسك في الله عز وجل فقال وهذا ايضا لا يجوز ان اطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك
في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله عز وجل فتلكأت علي فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا
اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك وحدثت عن يحيى بن معاذ انه رآه رحمهما الله في بعض مشاهداته
من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصهما مع عقبيه عن
الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد
فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان
قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان
قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فانقلبت لهم الاعيان فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك قال
حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فرآني فقال يحيى قلت نعم يا سيدي قال
مذ متى انت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال احدثك بما يصلح
لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي واراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم
ادخلني في الفلك العلوي وطوف بي في السموات واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين
يديه فقال سلني اي شيء رأيت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنه فاسالك

اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشياء قال ابن معاذ فهالني
ذلك وامتلات به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا سألته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني
ما شئت فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني لا احب ان يعرفه سواه فهذا حال عبد
عن نفسه ماخوذ اذ كان لله سبحانه وتعالى له موجودا طال مقامه في المقامات فقصرت عن وصفه الصفات
وحق له اذ نظر الى الحسن الذي حسنت المحاسن كلها عن حسنه وشانت الزينات جميعا بعد النظر شيئت
الى زينته وشهد الجميل الذي تجمل الجمال والمتجملون بجماله ان لا يستحسن سواه فكيف يحب غير ما استحسن
وان لا يزين في عينه الا اياه فكيف ينظر غير اياه ام كيف يطلب غير ما احب او يقف مع غير ما طلب بل
كيف يهتم بغير ما طلب فهذا نعت عبد مطلوب بمعنى ما طلب في وصف شخص محبوب يعز من احب
الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وقد كان ابو تراب النخشبي معجبا ببعض المريدين فكان
يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعباداته ومواجيده فقال له ابو تراب يوما لو رأيت ابا يزيد
فقال المريد اني عنه مشغول فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رأيت ابا يزيد هاج وجد المريد
فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد وقد رأيت الله سبحانه وتعالى فاغناني عن ابي يزيد قال ابو تراب
فهاج طبعي ولم املك نفسي فقلت له ويلك تغتر بالله تعالى لو رأيت ابا يزيد مرة واحدة كان انفع
لك من ان ترى الله سبحانه وتعالى سبعين مرة قال فبهت الفتى من قوله وانكره فقال وكيف ذاك
قال له ويلك انما ترى الله عز وجل عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله سبحانه وتعالى
قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل ننتظره
يخرج الينا من الغيضة وكان ياوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره
فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت قال فتعاونا
على دفنه فقلت لابي يزيد رضي الله عنه نظره اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبك صادقا واستكن
في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام
الضعفاء المريدين فقتله ذلك فهذه جمل من اوصاف محبوب مراد وسعة من رزق بغير
حساب من محب جواد وتيسير من الطالب للمطلوب وعناية من المحب للمحبوب ومقام الحبيب
اعز من ان يظهر واخفى من ان يعرف غيرة منه عليهم سترهم بافعالهم وضنا منه بهم حجبهم
باوصافهم اهل المقامات يشتاقون اليه وهو يشتاق اليهم واهل القرب ينظرون اليه وهو ينظر
اليهم واهل المحبة يحبون ان يسمعوا كلامه وهو يحب ان يسمع كلامهم واهل الاحوال يالونه

وهو حسبهم ولا يحتاجون أن يسألوه وأهل المشاهدة يتزودونه ويبنون في قلوبهم يزورونهم وأهل الآخرة ينظرون اليه
في الآخرة وهم ينظرون اليه في الدنيا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء كما ذكرنا في قصة داود ذا الملك الرسول
إذا أرسل الملك الجليل الى الجماعة الاربعة عشر وليّا أن يسألوه أن يسألوه حاجة فلما رأوه نفروا منه لئلا تشغلهم
عنه فقد ذكرنا ما قبل هذا فلا تنكرنّ شيئا مما ذكرنا فانه يعطي المحبوب في الدنيا أول عطاء أهل الجنة في
الآخرة وهم لكن فيزهدون في ذلك لأجل بقائه ويكرهون ذلك لحجبه فتجاوزوا المعارف من سواهم فاذا أعطاهم
لكن سألهم أن يقولوا كن في أمر الساعة ولا يقولوا كن في كشف الغطاء عن الجنان والنيران وما وراءها للعيان
قبل اللقاء وإن كانت ظاهرة لباطن الا أنها مستورة بالصنع للإتقان مقطوع عنها الوهم راجع عنها الفكر
والهمّ وسألهم أن لا يظهروا ما في الحكمة والعقل إخفاؤه لأن إظهاره لا يصلح للخلائق ولا يستقيم عليه أمر المملكة
ولا ينتظم به التدبير لما سبق من التقدير وفيه سقوط الأحكام ووقوع الهلاك للأنام فاذا رأوا ذلك منه
وما قد استثناه عليهم منها استجابوا له أحسن استجابة وردّوها اليه أسرع مردّ والبلغة في مرضاته وهو
أن يتركوا إظهار شيء لا إظهار ويزهدوا في كل معنى منها لوجهه ورضوا بتصريف قدرته في مجاري حكمته وهذا
غاية الزهد ونهاية الحب فيشكر لهم ذلك أحسن شكر ويدّخر لهم عنده أفضل ذخر ولما دخل الزنج البصرة
فقتلوا الأنفس ونهبوا الأموال اجتمع الى سهل رحمه الله إخوانه فقالوا لو سألت الله عز وجل ولو دعوت
فسكت ثم قال لله عز وجل عباد في هذا البلد لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم الا مات في
ليلته ولكن لا يفعلون قيل له قال لأنهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من إجابة الله تعالى لهم أشياء لا أستطيع
ذكرها حتى قال ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها واعلم أن العبد اذا بلغ من الله عز وجل هذه
المكانة حتى يعطيه كن اقتضته الحال أن يقول وفقني لما تحب واعصمني مما تكره فاني بشر جاهل لا أحسن
التدبير ولا أعرف المقادير ولا علم لي بعواقب الأمور وأخاف أن يكون في قولي تفاوت وفي إرادتي اضطراب
فاذا أجابه الله سبحانه وتعالى الى ذلك سكت فلم ينطق وسلّم ورضي بالتدبير فأطرق لأن النبي يحب الله سبحانه
وتعالى يحب أن تكون الأمور على ما عليه والذي يحرم أن لا يكون يكره أن لا يكون على ما هي عليه لأنها عن تدبيره
تظهر بمعاني الخير والشر لأنه تولى التدبير بنفسه كما استوى على العرش بوصفه ولم يجعل الى العباد
تدبير الملك إنما جعل عليهم الصبر والرضى للملك فرجع العبد الى الصمت والأدب في تقدير المراد كما كان
وربح العبد الفضول والاعتراض وحصل له مقام التوكل والرضى ولذا كان أبو محمد رحمه الله اذا قيل
له ما مراد الله عز وجل من الخلق يقول ما هم عليه فكيف يريد ما لا يريد وهو محبّ لصفاته التي عنها تظهر
المرادات ومنها تبدو الأحكام ولا بدّ مما كان كما لا بدّ من كان فكن منطويا تحت كان ولا كان لم يكن

كن فكان أحبّ إليهم من كن لأن له عز وجل ولهم مثل كن امتثالا ولهم مثل كان مثلا فهو لا مثل له وهم
الذين لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين هم المحبوبون لله سبحانه وتعالى من عباده الزاهدون في ملكوته
لوداده وكذلك صنعوا قبل هذا فيما استخلفهم فيه من الأموال لما سمعوه سبحانه وتعالى يقول وأنفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه فأخرجوا الكلّ لأجله فحاز هو عز وجل خلفا لهم من كل مال بعد أن كانوا
مستخلفيه لما زهدوا فيما سواه وصار هو سبحانه وتعالى وكيلا لهم بعد أن كانوا وكلاءه فاذا قالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل عملوا بما قالوا لأن الإيمان قول وعمل ولا يشوب القول عن العمل واذا قالوا إياك نعبد وإياك
نستعين قال الله سبحانه وتعالى صدقتم لأنهم لا يخدمون ولا يذلون لسواه ولا يعدّون للنوائب ولا يستعينون
بغيره لذلك صاروا صديقين لتصديق الصادق عز وجل لهم كما بلغنا أن العبد ليقرأ قوله عز وجل إياك
نعبد وإياك نستعين فيقول الله سبحانه وتعالى كذبت لو كنت إياي تعبد لم تخف ولم ترج سواي
ولو كنت إياي تستعين لم تسكن الى مالك وجاهك وكذلك بلغنا أن العبد ليقرأ السورة من القرآن
تصلي عليه حتى يفرغ منها اذا عمل بها فهذا صدّيق وإن العبد ليقرأ السورة فتلعنه الى أن يختمها اذا لم
يعمل بما تقول فهذا كذّاب فأين الإيمان ولا إيمان لا يعمل فليس هذا مؤمنا حقا فالأولياء حقّقوا
القول بالعمل وشهدوا الإيمان باليقين فاذا قالوا حسبنا الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر توكلوا
عليه ورضوا عنه وتألهوا اليه ولم يكبر في صدورهم غيره فيقول الله سبحانه وتعالى صدقتم فيكونون صدّيقين
كما يقول للشيء كن فيكون فتدبّروا فاذا قالوا ونعم الوكيل قاموا مقام التوكل فصار لهم في الصدق
مقامات يقول الصادق صدقتم فيكونون صدّيقين فيقول سبحانه وتعالى عبادي أنتم خيرتي من ذوي ودادي
وأنا وكيلكم رضيتم بي وأنا حسبكم فهؤلاء الذين انقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا
رضوان الله فأعطاهم من الجزاء أربعة معان النعمة والفضل والتوكل عليه وصرف السوء واتباع
الرضى برضاهم عنه رضي الله عنهم فالحبيب يعتذر له والعدو لا يقبل عذره والمحبوب لا يحاسب والمبغوض
لا يحسب له وقد قال بعض الأدباء في معناه من لم يكن للوصال أهلا فكل إحسانه ذنوب
وقال آخر في وصف آخر في وجهه شافع يمحو إساءته من القلوب ويأتي بالمعاذير
وأنشدت لبعض المدلّين المتحققين بالوصال إني جعلتك ناظري في مهجتي وجعلت ذكرك لي إليك شفاعه
ولو ان وقتا منك بالدهر كله لكان قليلا ألف عام بساعه فليثق الله سبحانه وتعالى عبد لم يطلعه
عز وجل على ما ذكرناه فيزهد فيه ويعلو همّه عنه بمشاهدة قدرة عظيمة ومعاينة آية كبرى ظاهرا
وباطنا أن يدّعي المعرفة أو يتوهم المحبة وما عنده منها الا أماني وغرور وظنون وزور والله سبحانه وتعالى

يعطي قوما الظنون كما يعطي اولياءه اليقين ويعطي قوما المزورات لعلل القلوب كما يعطي احباءه المخففات
في مقام محبوب بآيات بينات وشواهد من اليقين ثابتات كآيات القرآن وآيات الرسول عليه السلم ولا يظهرهم على
كن حتى ينكشف الكون عن قلوبهم وفي الكون ما فيه من نفيس الملكوت وعظيم الرغبوت مما لا يصلح ذكره واعلم
ان آفات النفوس وزينة الملك حجب قلوب العموم وحظوظ العقل وشهوات الارواح من مرغوب الملكوت حجب
قلوب الخصوص وسمو القلوب الى المعاني الدرجات التي يشاهدها ووقوفها مع خصائص الرحموت والرغبوت
التي يطالع بها حجب قلوب المحبين لانهم اذا جاوزوا شهوات النفوس ورفعت عنهم حجب العقول وقعوا في شهوات
الارواح فلا يواجهون بالوجه ولا ينظرون الى الوصف حتى يجاوزوا ايضا شهوات الارواح وينكشف عنهم حجب
الانوار فيخلفوا الرسم ويعبروا الوسم فاذا انكشف المقامات وانقطع الفضائل وحقق المطالعات وسقطت
المنازل والدرجات اصطلم الغالب وغلب المطلوب وفني الراغب وبقي المرغوب اظهر لهم التعلق بالاسم وهو آخر
الحجب واول القرب يبتليهم به لينظر كيف يعملون في الرسم فعندها حقت كل من عليها فان ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاكرام وهناك صح له هذا المقام ظهرت لمن افنيت بعد بقائه فصار بلا كون لانك كنته
فان كان وجد بموجوده وقيامه بقيومه فبقيته بعد ان كان واجدا بكونه وقائما بقيامه وقد كان ابو يزيد رحمه الله
يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابرهيم صلى الله عليهم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده
فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلا شك لهم في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل
بالانبياء فاذا لم ينظر العبد الى جميع مطلوب ولم يقف في كون مرغوب اقامه حينئذ مقام محبوب فآواه في
ظله وعطف عليه بحنانه ونظر اليه بعينه وواجهه بوجهه فتوجه اليه فلم يلتفت وسارع لقربه فلم يبن فلم
يشهد في وجهه وجها ولا رأى في يده يدا وقام بشهادته لقيوميته مشاهدا فهذا غاية الطالبين من العارفين
وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة
وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما قال ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين
حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر وقلت
اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي في هذا فلم ازل اتضرع حتى صرفهن عني ولله سبحانه وتعالى مثل هذا العبد
في كل قرن وزمان ما يكثر عدده متفرقين في ارضه ومنتشرين في بلاده ومحملين تحت ستره في عباده
لا تستطيع العقول حمل وصفهم لضعفها ولا يثبت في القلوب حق نعتهم لوهنها اقل ما يوصفون به
الاخلاص في الحركة والسكون وهو اجل ما عندنا والاخلاص عند المخلصين اخراج الخلق من معاملة الخالق
سبحانه وتعالى فاذا لم يدخلوا كيف يخرجوا واول الخلق النفس فاذا لم يتكدر القلب بها كيف يصفى منها

والاخلاص عند المحبين ان لا يعمل عملا لاجل نفس ولا يدخل عليه مطالعة العوض والتشوف الى حظ طبع بل
للتعظيم ولا يترك محجوبا في حب ذي الجلال والاكرام ولا يعلق قلبه بما يروق بنظره من جمال لما ملأه من نهاية
الحسن وغاية الجمال ولا سبيل الى هذا الا بعد معرفته ولا معرفة قبل معاينته اذ ليس الخبر كالمعاينة ولا
معاينة الا بنور اليقين ولا حق يقين بوجود هوى النفس فاذا انكشف الحجاب وهو الهوى طلعت عين
اليقين فانوار الصفات من الحسن والجمال والبهاء والكمال في عين اليقين عيانا بعد عين النور فوق نور الى نور النور
والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق من النظر اليهم في الافعال وترك السكون والاستراحة بهم في الاحوال
ومن الاخلاص في الصدق عند الصديقين سؤال الحجبة في قلوب الناس كما قال بشر رضي الله عنه وقد سئل
باي شيء بلغت هذه المنزلة فقال كنت اكاتم الله سبحانه وتعالى حالي معناه اسأله ان يكتم علي ويخفي
امري وحدثت انه رأى الخضر عليه السلم فقال له ادع الله سبحانه وتعالى فقال يسر الله لك طاعته
قلت زدني فقال وسترها عليك فقيل في تاويل ذلك معنيان منهم من قال وسترها عليك اي سترك حتى
لا تعرف بها كما ذكرناه آنفا وقال بعضهم بل اراد وسترها عنك حتى لا تنظر انت اليها وبعضهم يقول
اقلقني الشوق الى الخضر فسألت الله عز وجل مرة ان يريني اياه ليعلمني شيئا كان اهم الاشياء علي
قال فرأيته فما غلب على قلبي ولا اهمني الا ان قلت يا ابا العباس علمني شيئا اذا قلته حجبت في
قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولم يعرفني احد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل علي مطلب
كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني في قلوب خلقك قال
ثم غاب فلم اره ولم اشتق اليه بعد ذلك قال فما تركت ان اقول هذه الكلمات في كل يوم فحدثت ان
هذا كان يستذل ويمتهن حتى كان اهل الذمة يسخرونه في الطريق يحمل الاشيا لهم لسقوطه
عندهم وكان الصبيان يولعون به وكانت راحته في ذلك ووجود قلبه به واستقامة حاله عليه
وهذا من الزهد في النفس وحقيقة التواضع الا انه زهد مجانين الاولياء وتواضع موقني الضعفاء فالتكبر
يكون بثلثة معان تكبر على الناس عجبا بالنفس وتكبر في قلوب الناس عزة من النفس اي يحب
ان يكبر في قلوبهم فيكون ذلك تكبرا منه وتكبر في القلب عن نظره الى صلاحه ودينه فيكبر ذلك عنده
فيدل به ولذلك داء من نفسه لقصور علم اليقين منه وهذا ادق معاني التكبر ولا يتخلص منه الا
صحيحو التوحيد صادقو اليقين ومخلصو الصالحين فاما التكبر الظاهر الذي هو التطاول والفخر
والتظاهر فذلك جلي وهو من اكثف حجب القلب واقوى صفات النفس فلذلك فزع العلماء من
دقائقه لما عرفوه فطلبوا القلة والذلة للنفس ليمتهنوها تحققا بالتواضع لينتفي عنهم

دقايق الكبر لمخلصين لهم الاعمال وليس التواضع عند المتواضعين هو حقيقة الذلة ولا التذلل هو حقيقة
الضعة ولكن حقيقة ذلك ان يكون العبد ذليلا صفته لا متذللا متعمدا للذلة وان يكون عند نفسه
في نفسه وضيعا وعبدا حقيرا اعتقد الصغر وحقارته في نفسه لا متواضعا متكلفا ومحنة ذلك
ان لا يغضب اذا عابه وتنقصه عايب ولا يكره ان يذمه ويقذفه بالجباير ذام وبيان ذلك في وجده
ان لا يجد طعم الذل في ذله ولا يشهد الضعة في تواضعه اذ قد صار ذلك صفة وطبعا فمن ذل ووجد
ذوق ذله فهو متعمل للتواضع ومن تواضع وشهد ضعته فهذا متعزز وهو علامة بقية الانفة في
نفسه لنفسه ومتى غضب او كره ذمه من غيره فهو يفرح ويرضى بمدحه فاذا كانت فيه هذه العلامات
فهو محجوب عن جميع ما ذكرناه من المقامات ومتى ذل عند نفسه واتضع عند نفسه فلم يجد لذله ذوقا
ولا للضعة حسا فقد صار الذل والتواضع كونه فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجد النقص في نفسه
ولا يحب المدح منهم لفقد القدر والمنزلة من نفسه فصارت الذلة والضعة صفة لا تفارقه لازمة
له لزوم الزبالة للزبال والكساحة للكساح هما صفتان لهما كساير الصنايع وربما فخروا بهما لعدم
النظر الى نقصهما فهذه ولاية عظيمة له من نفسه وقدرة على نفسه وملكه عليها فقهرها بعزه وهذا
مقام محبوب وبعده المكاشفات باسرار الغيوب واول ذلك دخول نور الحكمة في القلب وينبوع الحكم
من قلبه كما روينا ان عيسى بن مريم صلى الله عليه وعلى ساير الانبياء وسلم قال يا بني اسرائيل اين ينبت
الزرع قالوا في التراب فقال بحق اقول لكم لا تنبع الحكمة الا في قلب مثل التراب ومن كان حاله
مع الله عز وجل الذل طلبه واستحلاه كما يطلب المتكبر العز ويستحليه اذا وجده فان فارق ذلك
الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما ان المتعزز اذا فارقه العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك
عيش نفسه وممن روينا عنه اختيار الذل واسقاط المنزلة والقدر عند الناس ومحو جاهه
وموضعه من قلوبهم واظهار الوان معاني الذم على نفسه اكثر من ان يحصى وذكرهم يطول وذلك
ان حالهم الصدق يقتضيهم القيام بحكمها فلا بد من قيامهم بمقتضى حالهم حدثني بعض الاشياخ
عن ابي الحسن الكوفي استاذ الجنيد ان رجلا دعاه ثلاث مرات الى طعامه ثم يرده فيرجع اليه بعد ذلك
حتى ادخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت
بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيجي وزاد غيره قال لو رددتني خمسين مرة
ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وحدثني شيخ اخر عن استاذه عنه قال نزلت في محلة فعرفت
فيها بالصلاح فتشتت قلبي فدخلت حماما في الجوار وعمدت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها

ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت امشي قليلا قليلا فلحقوني ونزعوا مرقعتي واستخرجوا الثياب
وصفعوني واوجعوني ضربا فصرت اعرف في الناحية بلص الحمام فسكنت نفسي وحدثت عن بعض
الصوفية انه وقف على رجل ياكل فمد يده فقال ان كان شي لله فقال له اجلس فكل فقال اعطني في ثم
كفي فاعطاه في كفه فقعد في مكانه ياكله فسأله عن امتناعه من الجلوس معه فقال ان حالي مع الله عز وجل
الذل فكرهت ان افارق حالي وكان هذا ربما مد يده الى الهراس فيضع فيها هريسة والعرب تانف
ان يوضع الشي في اكفها لعزة نفوسها حتى روينا عن بعض الصحابة من المهاجرين الاولين في اول النبوة
قال جعت ثلاثا لم اطعم شيئا فبلغني ان انسانا يتصدق بزبيب فسألته فقال هات كفك فقلت اني رجل
من العرب ولا آخذ في كفي فاجعله لي في شي قال فجعله في مكتل ثم ناولنيه فلما فرغته رددته اليه
فكانت فيه عزة نفس لا جرم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انت امرؤ فيك جاهلية فقال على ما انا
عليه من كبر النفس قال نعم وكان قد خاصم رجلا فاربى عليه تعززا وانما نبهنا ببعض ما ذكرنا
العقول المستيقظة وحركنا بما بينا القلوب الحية ليحيى من حي عن بينة بذكر اوصاف الصادقين
وطرقات المخلصين ليستدل باليسير على الكثير وقد كان شاهد من شهود بسطام عظيم القدر
لا يفارق مجلس ابي يزيد رضي الله عنه فقال له يوما يا ابا يزيد انا منذ ثلثين سنة اصوم الدهر
لا افطر واقوم الليل لا انام ولا اجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيا وانا اصدق به واحبه
فقال له ابو يزيد لو صمت ثلثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب
بنفسك قال فلهذا دوا قال نعم قال قل لي حتى اعمله قال لا تقبل قال فاذكره لي قال اذهب
الساعة الى المزين فاحلق راسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة
مملوة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة اعطيته جوزة وادخل الاسواق
كلها عند الشهود ومن يعرفك وانت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال
ابو يزيد رحمه الله قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها فقال
هذا لا افعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل كل شي فقال لا اطيقه قال قد قلت لك
انك لا تقبل هذا لما قال سبحان الله كان مشركا عنده لانه سبحه برسم لنفس وقد كان ابو يزيد
رحمه الله يقول سبحاني ما اعظم شاني وهو موحد لانه وحده باوليته بدءا وهذا الذي ذكره
دوا من اعتل بنظره الى نفسه ثم سقم بنظر الناس اليه ولزم الشكل بنظره الى نظرهم ليس لها من
دون الله كاشفة الا ان هذا من طب المجانين يصلح لضعفا اليقين ولو ادخل الطبيب الاعلى

ذرة من عز القدرة أخرجها من قلبه كل نظرة فاستراح من كل دواء ولكن ليقضي الله أمرا كان
مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ليشهدوا بها الخلق ويحيى من حي عن بينة ليشهدها الحق ويتلوه شاهد
منه فلا تنكرن من جميع ما ذكرناه شيئا فتخسر أقل أنصبة المؤمنين من علم القدرة واليقين
لأن للمؤمنين أنصبة من هذا العلم منها المشاهدة لما وصفناه والإدراك لما رمزناه ومنها الوجد والحال
منه ومنها المعاملة والمنازلة ومنها الذوق والشم منه وآخرها التصديق والقبول فأقل النصيب
من علم المعرفة أن لا يشهد ولا يجحد وإن لم يعرف فليعترف وليكن معقله التسليم لأهله فهو معقل
المسلمين وفيه يسلمون من عدوهم ويأمنون البدع في دينهم وليس وراء هذا مكان وهذه المقامات
التي شرحناها أولها التوبة إلى هذا المقام من المحبة منوط بعضها ببعض إن أعطي العبد حقيقة
من أحدها أعطي من كل مقام حالا ومع كل حال مشاهدة ولكل مشاهدة علم إلا من شهد بالحق وهم
يعلمون وكلها مجموعة في حقيقة الإيمان إن أعطي العبد حقيقة من إيمان ويقين حتى يكون مؤمنا
حقا غير مرتد عنه ولا مستبدل به في علم الله عز وجل وكان إيمانه منة وهبة لا عارية ولا وديعة
فيسترد ومرتد عن ظهاره لبس أو إدراج مكر محنة من الله سبحانه وتعالى وخبرة ويكون مستبدلا لا
بدلا فإذا لم يكن كذلك كان بدلا من مستبدل به أعطي من جميعها حالا حالا وشهادة شهادة
وإن تفاوتوا في العلوم وتعالوا في القرب فذاك هو كمال الإيمان وقد روينا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في وصف كمال الإيمان ثلاثة أحاديث هي أصول هذه الأحوال وأساس هذه الأفعال منها أنه
قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد إيمانه حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرة الشيء وحتى
يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف فهذان حالا الصادق الزاهد وهما أول الطريق المؤدي
إلى التحقيق وأس البنيان الرافع إلى البيان والحديث الثاني قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن
فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله سبحانه وتعالى لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله وإذا عرض له أمران
أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذه أحوال المحب لله عز وجل المخلص
بمعاملة الله سبحانه وتعالى الراغب فيما عند الله عز وجل والحديث الثالث قوله صلى الله عليه وسلم لا يكمل
إيمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال من إذا غضب لم يخرجه غضبه من حق وإذا رضي لم يدخله رضاه
في باطل وإذا قدر لم يتناول ما ليس له فهذه تجمع أحوال العدل والفضل والمراقبة والزهد وهن
أصول المقامات ويشبه هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الرابع ثلاث من أوتيهن فقد
أوتي مثل ما أوتي آل داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله سبحانه وتعالى

في السر والعلانية وتفسير ما ذكرناه قبل من أن هذه المقامات مرتبط بعضها ببعض وأن من أعطي
حقيقة من أحدها أعطي من جميعها حالا أن يجمع ذلك كله الإيمان بالله سبحانه وتعالى فيتوب العبد
إلى من آمن به وإلى ما آمن به من الوعد وعما آمن به من الوعيد ليتحقق إيمانه ويصح يقينه ويستقيم
توحيده كما قال سبحانه وتعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقال عز وجل فاستقم كما أمرت
ومن تاب معك فقال جل وعلا فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي فذهب إلى ما آمن به وهو الرجوع
وهي التوبة ثم يزهد فيما تاب منه من هواه لتصح توبته وتخلص نيته فتكون نصوحا كما قال عز وجل
ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقال سبحانه وتعالى والآخرة خير وأبقى وقال جلت قدرته وشروه بثمن
بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين لما أخرجوه من أيديهم وتركوه وثابوا إلى أبيهم وزهدوا فيه
ثم يصبر عما زهد فيه ليحقق زهده كما قال عز وجل وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقال سبحانه وتعالى
ولربك فاصبر ثم يشكر على ما صبر عنه ليكمل صبره كما قال سبحانه وتعالى لا قوة إلا بالله وما صبرك
إلا بالله وما بكم من نعمة فمن الله واشكروا نعمة الله واذكروا نعمة الله عليكم ثم يرجو من شكره له
أن يزيده من فضله فيعطيه فوق سؤله بحسن ظنه به كما قال سبحانه وتعالى ويرجون رحمته وقد
ذم من أيس من رحمته بقوله عز وجل ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس
كفور ثم يخاف فوت ما رجاه ويخاف من تقصيره في الشكر لما أولي ليحقق غبطته برجائه ويتم إشفاقه
من تبديل الآية ويخاف نقصان المزيد كما قال سبحانه وتعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز وجل
مخبرا عن أوليائه إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا وقد عاب سبحانه وتعالى من فرح
بما أظهر له وفخر بما أوتي فأمن عود البلاء ونسي أنه كان مبتلى في قوله سبحانه وتعالى ولئن أذقناه
نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور ثم يتوكل على من خافه فيسلم
نفسه إليه ويستسلم بين يديه ليحكم فيه ما أحب لقوله سبحانه وتعالى وعلى الله فتوكلوا إن كنتم
مؤمنين وقوله جل وعلا نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ثم يرضى عمن توكل عليه
عن من توكل له لعلمه بحكمته البالغة وتدبيره الحسن لقوله سبحانه وتعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه
ولقوله سبحانه وتعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ثم يحب من رضي به ورضي
عنه إذ كان قد اختاره على ما سواه وإذ صار حسبه لما رآه فصارت هذه المقامات التسع لمقام
واحد إذ بعضها منوط ببعض ودليلها كتاب الله عز وجل الحق اليقين النور المبين الذي لا
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من حيل الأعداء فاشبهت دعائم

الاسلام المحسن في مقام العموم من طريق الاسلام اذ بعضها مرتبط ببعض لهذه في مقام الخصوص من
طريق المقربين ثم يرجع بعد مقام المحبة الى حال الرضى مرة فقوة ثم يتردد في مقام المحبة رتبة رتبة
وليس فوق حال الرضى مقام يعرف ولا فوق مقام المحبة حال يوصف فهما موجب المعرفة منتهاها
المعروف وقرارها المالوف وان الى ربك المنتهى الى ربك يومئذ المستقر وليس للرضى نهاية اذ ليس
للمحبوب غاية ولان الرضى مزيد اهل الجنة في الجنة وليس للحب نهاية لانه عن الوصف ولا غاية للصفات
وليس لطلب المحب حد لانه عن القرب ولا غاية للقرب لانه عن وصف قريب ولا حد لقريب فيترافع
المومنون في الجنة مقامات على نحو تجلي الحبيب بمعاني التقليب ويتزايد الراضون في الرضى درجات بحسب
تعاليهم في علو المشاهدات ويتعالى اهل عليين في السمو غايات على قدر انصبتهم من قوة الايمان
وصفا اليقين قال الله عز وجل اصدق القائلين وانتم الاعلون ان كنتم مومنين فاعطاهم من معاني
وصف العلو ثم وصف نصيبهم بوصفهم فقال ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون فعليون
لا نهاية له في العلو هو من اسماء المبالغة في الوصف وقيل انه اسم لا واحد له من جنسه فهو علي في
علوهم يعلو معهم ابدا في علو علوهم في دار الابد وهم اعلون لان الاعلى معهم فهم يعلون به وعليون
تعلو بهم هذا كله لانه معهم كما قال عز وجل وانتم الاعلون والله معكم فالرضى الاول الذي هو قبل
المحبة مقام التوكل وحال المحب المحبوب والرضى الثاني الذي يكون بعد المحبة مقام المعرفة وحال
المحبوب المتوكل حاله والمحبة من اشرف المقامات ليس فوقها الا مقام الخلة وهو مقام في المعرفة الخاصية
وهي تخلل اسرار الغيب فيطلع على مشاهدة المحبوب بان يعطي حيطة بشيء من علمه بمشيئته على مشيئته
التي لا تنقلب وعلمه القديم الذي لا يتغير وفي هذا المقام الاشراف على بحار الغيوب واسرار ما كان
في القديم وعواقب ما يؤوب ومنه مكاشفة العبد بحاله واشهاده من المحبة مقامه والاشراف على
مقامات العباد في المآل والاطلاع عليهم في تقلبهم في الابد حالا فحالا وقد ذكر ابو يزيد البسطامي
وابو محمد سهل رحمهما الله انهما اقيما في هذا المقام ووصفا حاليهما منه وقد كان لشقيق وابن
ادهم البلخيين رحمهما الله مطالعات من هذه المعاني وقد سلك بابي الفيض رحمه الله في هذا الطريق
فظهر على ما فيه مما يبهر من رأى انقلاب الاعيان وتبصرة بعظيم الاعيان وهذا محجوب عن اوهام القلوب
بعقولها مستور في حجب غيابة الغيوب بارواحها فاذا خرجت النفس من الروح فكان روحانيا
خروج الليل من النهار تنفس المكروب واذا حل العقل عن القلب فكان ربانيا انفرجت الكروب
كما قال العارف . بحياتي يا حياتي لا تبعد قربا بي اخرج النفس من الروح وفرج كرباتي

وقد قال احسن القائلين ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والاستثناء واقع على اعطاء الحيطة بشيء
من شهادة علمه بنور ثاقب من وصفه وشعاع لائح من سبحته اذا شاء وهذا معنى من سر التوحيد لا يكشفه
الا عين اليقين ولا يظهره حتى يظهر لنا منه عارف ما عليه قد اوقف وما منه به كوشف فحينئذ تقع العين
على العين ويضيء الكوكب الدري في جوهر مشكاة القلب وقد كان للشيخ ابي الحسن بن سالم رحمه الله من
هذا الطريق مشاهدات ومطالعات وسياحات في الغيوب وجريان في الاحربات وانقلبت له الاعيان
وظهر له العيان وطوي له المكان ورأى الف ولي لله سبحانه وتعالى وحمل عن كل واحد علما ثم انقطع
الطريق بعد فقده وعفا الاثر ودرس الخبر ثم الله سبحانه وتعالى اعلم ما هو صانع بهذا الطريق
واهله هل ينشئ له اهلا وينهج له طريقا ام يطويهم في طي طريقهم ويخفي طريقهم في خفاء المزج
الغامض في غامضات العلم السابق نقول في ذلك كما قال امام الائمة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
بعد اذ ذكر في خطبته قيام الساعة واستقرار اهل الدارين فيهما قال ثم الله سبحانه وتعالى
اعلم ما هو صانع بالدنيا بعد ذلك فهذا من سر السر الذي اودعه صاحب الامر وليس فوق مقام
الخلة مقام الا درجة النبوة وهو محجوب عن القلوب كحجاب هذا المقام من الخلة في قلوب العموم فهذا
لا فوت فيه لانه لا درك منه ولا حزن عليه لانه لا نصيب عنه ولكن مقام الخلة لا يكون الا في مقام محبوب
على كل حال وما سمعت من احد من اهل العلم الباطن والمعرفة الثاقبة رسما من علم الخلة ولا من وصف محبوب
نفسا في كتاب ولا قرانه الا نتفا في اخبار ولمعا من الآثار اعلم انه كلام محجوب عن مقام خلة ولكنه
الكنوز مستودع في كتاب الله عز وجل وغامض من خطابه المصون ومخبو بقدرته في سر آياته عن القلوب والعيون
يكاشف به الساجدين ويظهر عليه اهل السر من العارفين الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات
والارض انزله الذي يعلم السر في السموات والارض وقد كان الحسن رحمه الله يروي في الخلة اخبارا
منها ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ خليلي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له
غيري ولا يؤثر علي شيئا من خلقي وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير لم
يجد لمس الحديد الما وقد روينا عن الخليل الحبيب صلوات الله عليه وعلى سائر الانبيا اجمعين انه قال تحابوا
في الله عز وجل وتصافوا وتباذلوا وتخاللوا فيه اوليس من كرم الله سبحانه وتعالى ان اتخذ عبدا
من عباده خليلا فنبه ان الخلة من الله سبحانه وتعالى كانت لاوليائه عن فرط كرمه وفضل الائه
الحقهم بكرامته بها واهلهم بفضله لها وعظمهم عن نصيب تعظيمه فيها والله سبحانه وتعالى الواسع
الكريم ذو الفضل العظيم اذا رفع عبدا جاوز به الحدود واذا خفضه وضعه تحت المحدود وقد

تكلم الجنيد رحمه الله في مقام من هذا وقد سُئل عنه فقال هو غاية الحب وهو مقام عزيز يستغرق العقول
وينسي النفوس وهو من أعلى علم المعرفة بالله سبحانه وقال في هذا المقام يعلم العبد أن الله سبحانه وتعالى
يحبه ويقول العبد بحقي عليك وبجاهي عندك ويقول بحبك لي قال وهؤلاء هم المدلون على الله تبارك وتعالى
المستأنسون بالله سبحانه وتعالى وهم جلساء الله عز وجل قد رفع الحشمة بينه وبينهم وزالت الوحشة بينه
وبينهم فهم يتكلمون بأشياء هي عند العامة كفر بالله سبحانه وتعالى لما قد علموا أن الله سبحانه وتعالى يحبهم وأن
لهم عنده جاهًا ومنزلة ثم قال عن بعض العلماء أما أهل الأنس بالله عز وجل فليس إلى معرفتهم سبيل هذا
نقل من كلام الجنيد ونحو معناه حدثني به الخاقاني المقرئ رحمه الله ولولا أنا روينا عنه ما ذكرناه لأنا
لا نشرح حال هؤلاء إشفاقًا على الألباب قال المجلّ غير أني أجلك عن عتاب في كتاب وقد كان شيخنا
أبو بكر الجلاء رحمه الله كتب إلى شيخنا أبي الحسن بن سالم رحمه الله يسأله عن مسائل من معاني السرائر
في كتاب فحدثني من رآه رمى بالكتاب وقال أين صاحب هذا الكتاب فقيل هو غائب بمكة فقال أنا لا أجيب
عن هذا في كتاب قولوا له يحضر إن أراد وقد حدثني الجلاء رحمه الله بهذا إلا أن مقام الخلة هو الذي أخفيناه
وعظمناه لا يعطاه العبد إلا في مقام مع مقام فالمقام الأول هو المعرفة الخاصية بظهور تعرف كشفًا
عن وصف الباطن ثم تدخل عليه المحبة المخصوصة وهو مقام محبوب ثم يرفع من هذا المقام إلى مقام الخلة
وهو الإشراف على سرائر غيوب من شرفات العرش وسرادقات القدس وغير ذلك والأصل فيما ذكرناه أنه سبحانه
وتعالى يعطي مقامات المعرفة في مقام عارف ولا يعطى فيه مقام محبوب وقد يعطي مقامات من المحبة في مقام
محب ولا يعطي شهادة خلة لغير خليل عارف فإذا جمع مقام معرفة تعرف إلى مقام محبة محبوب أعطي معه
مقامًا من الخلة التي وصفناه وهذا من أعز ما أظهر في الكون لمظهر مكنون روينا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه خطب الناس قبل موته بثلاث فقال إن الله سبحانه وتعالى قد اتخذ صاحبكم خليلا
كما اتخذ إبراهيم خليلا فرفع صلى الله عليه وسلم في مقام محبوب إلى درجة خليل كما نقل من مقام محب إلى
حال محبوب كما زيد بالمحبة في مقام الصفوة وقال أيضًا في المقام الأول إن الله سبحانه وتعالى اتخذ موسى
صفيًا واتخذني حبيبًا فأول العطا هو الصفا من الهوى ثم المحبة ثم ارتفع فعلا بعد القوة والاستواء
إلى العلي الأعلى فدنا لما علا فتدلى حتى دنا فكان قاب قوسين أو أدنى وكانت اليد من ورائه والوجه مواجهًا
لوجهه وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرًا ولا تسأل عن الخبر إذ من العلوم علم لا ينبغي
أن يسأل عنه حتى يبدي العالم ذكره فهذا منها ولا يبدي إلا بقدر معلوم بمقدار ما أبدى المبدي
ويعيد منه بقدر ما أعاد المعيد وكان لربه خليلا كما كان عنده قريبًا فصارت الخلة مقامًا في

مقام محبوب وهو نهاية المريد كما كان مقام محبوب زيادة على مقام محب كما رفعه إلى المحبة بعد الصفوة
من كدر الهوى وكذلك أنت أيها السامع الشاهد تجعل لك بعد الصفا نصيبًا من نصيب في شهادة على
شهادة ووجدًا من وجد وفقدًا للنفس من فقد فلا يذهب كبر النبوة منه صغير العطية لك لأنه سبحانه
وتعالى رفع الطائعين له ولرسوله صلى الله عليه وسلم مقامًا إلى النبيين والصديقين والصديقون يأتون إلى نزول
الروح عيسى عليه وعلى سائر الأنبياء السلام وهم الأبدال عددهم في كل الدنيا ثلثمائة وما شاء الله منهم الشهداء والصالحون
فهم ثلاث طبقات وكلهم مقربون سابقون إيمان صديق كإيمان جميع الشهداء وإيمان شهيد كإيمان كل
الصالحين وإيمان كل صالح بمقدار إيمان ألف مؤمن من عموم المسلمين وليس في الخلة شريك لغير الخليل على الخليل
لأنها حال مفردة لفرد موحد لواحد ولو كان يصلح لها نظير أو يورثها وزير كان أحق الأمة بذلك الصديق
رضي الله عنه فقد أعطاه الله تعالى ثلاثًا لم يعطها غيره منها أنا روينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له إن
الله سبحانه وتعالى أعطاك مثل إيمان كل من آمن بي من أمتي وأعطاني مثل إيمان كل من آمن به من ولد
آدم والحديث الثاني أن لله سبحانه وتعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق واحد منها مع التوحيد دخل الجنة
فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله هل فيّ منها خلق واحد فقال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله عز وجل
السخا والحديث الثالث هو المستفيض رأيت ميزانًا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمتي
في كفة فرجحت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بأمتي فوضعت في كفة فرجح بهم وليس بين الصديق
رضي الله عنه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم إلا درجة النبوة والقطب اليوم الذي هو إمام الأوتاد في
الثلاثة والأوتاد السبعة والأبدال الأربعين والسبعين إلى الثلثمائة كلهم في ميزانه وإيمان جميعهم كإيمانه
إنما هو بدل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه والأوتاد في الثلاثة بعده إنما هم أبدال الثلاثة الخلفاء بعده
والسبعة هم أبدال السبعة إلى العشرة ثم الأبدال الثلثمائة وثلاثة عشر إنما هم أبدال البدريين من الأنصار
والمهاجرين من أهل الرحمة والرضوان فمع هذا الفضل العظيم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لم يصلح أن
يشرك الحبيب الرسول المقرب الخليل في مقام الخلة كما صلح أن يشركه في مقام الأخوة وهو المقام الذي
شركه فيه علي رضي الله عنه فقال علي مني بمنزلة هارون من موسى فهذا مقام أخوة كذلك في التفرد
مقام الخلة لو كنت متخذًا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله عز وجل
يعني نفسه صلى الله عليه وسلم لأنه واحد لواحد مفرد لفرد فاعتبروا يا أولي الأبصار بتدبر فهم الخطاب
فمن أعطي من الصفا نصيبًا أعطي من الحب نصيبًا وكان له من المعرفة بقوة محبته ومن المحبة
بقدر معرفته فأما المعرفة الأصلية التي هي أصل المقامات فإن الموقوف بها واحد والمتحقق عنها
واحد

الا انها اعلى واول لخصوص المؤمنين في اعلاها وهي مقامات المقربين وعمومهم في اوّلها وهي مقامات الابرار
وهم اصحاب اليمين ولكلٍّ منهم وجهة من الصفات المخوفة عنها كانوا خائفين والاخلاق المرجوة منها كانوا
راجين او الافعال والاملاك عندها كانوا صابرين شاكرين او معاني اوصاف ذات منها كانوا محبين متوكلين
قال الله سبحانه وتعالى ولكلٍّ وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ويقال من احب شيئا حشر معه
وفي الخبر المرء مع من احب وله ما احتسب وفي الخبر من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة فاما
جمل مقامات المحبين فمذكورة في الكتاب العزيز من الحبيب اثنا عشر مقاما خمسة منها في دليل الخطاب وتنبيه
الالباب وسبعة في صريح الكلام بظاهر الافهام فاما السبعة المصرحة فقوله عز وجل ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين والله يحب الصابرين والله يحب الشاكرين والله يحب المتقين والله يحب المحسنين ان الله
يحب المتوكلين واما الخمسة المدبرة فالموحدون لقوله سبحانه وتعالى لا يحب الكافرين والعادلون لقوله
عز وجل لا يحب الظالمين والمستقيمون لقوله عز وجل لا يحب الفاسقين والمتواضعون لقوله عز وجل انه لا يحب
المستكبرين والموفون لقوله عز وجل لا يحب الخائنين وهؤلاء طبقات المحبوبين تعريضا وتصريحا وشرح
هذه الاوصاف هي مقامات اليقين وفي كل مقام من هذه احوال يكثر عددها كل حال منها طريق الى الله سبحانه
وتعالى في كل طريق طائفة من المحبين محبتهم على قدر معرفتهم عن ذنبه تعرّف المعروف اليهم وعن نحو تعريف
العرف لهم وذلك معنى من معاني فهم على ذنبه نقينهم ويقينهم على حسب صفا ايمانهم وايمانهم على نحو
عناية الله سبحانه وتعالى بهم وتفضله سبحانه وتعالى عليهم وايثاره لهم ومن وراء ذلك سر القدر
المختزن المستاثر وليس فوق المحبة مقام مشهور ولا دون التوبة حال مذكور فاول المقامات التوبة
بها يخرج من الظلم والظلم حال من الشرك قال الله سبحانه وتعالى ان الشرك لظلم عظيم وقال الله عز وجل
الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا وهذا فصل الخطاب
لاضدادهم فاي الفريقين احق بالامن اي الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم هم احق بالامن غدا في المقام
الامين وقال عز وجل ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فآخر الظلم اول التوبة وآخر التوبة اول
المحبة وآخر المحبة اول المعرفة وهي معرفة متعرف وهي الخاصية من بعد المحبة الاولة وآخر نصيب العبد
من المعرفة اول التوحيد وهو توحيد الشاهدين والآخرة واوسط المقامات الزهد واول الزهد
آخر الهوى وآخر الزهد اول العلم وآخر العلم اول الخوف وآخر الخوف اول الحب وهذا حب محبوب
والظالم لا مقام له ومن لا مقام له فلا جاه له ومن لا جاه له فلا شفاعة ومن لا شفاعة فلا شهادة
ومن لا شهادة فلا يقين فلو اعطي مثقالا من الايمان لم ينجه من دخول النار لانه صلى الله عليه وسلم

قال في وصف الداخلين اخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان ثم قال في الخبر الآخر الشيخ
من اليقين ولا يدخل النار موقن وقال سبحانه وتعالى في تفصيل ما وصلناه مما عنه شهدنا لا ينال
عهدي الظالمين ثم قال في البيان الثاني من الخطاب لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
وقال في البيان الثالث ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون
وقال عز وجل في وجد اليقين بعد شهادة العين في الرؤية بعد المكاشفة وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض وليكون من الموقنين ثم قال سبحانه وتعالى بنبأ يقين اني وجدت وكما ان اليقين بعد الشهادة
كذلك الوجد بعد اليقين واليقين هو حقيقة الايمان وكماله كما جاء في الاثر الصبر نصف الايمان والشكر
نصف الايمان واليقين الايمان كله وقد روينا في تفسير قوله سبحانه وتعالى لا ينال عهدي الظالمين
قيل الجاه وقيل الشفاعة وقيل الولاية وقيل الامامة لا يكون الظالم اماما للمتقين لان من يتبعه ائمة
من المؤمنين فهو امام للمتقين والظالم متهدد بالنار متوعد بسوء المنقلب مشفوع فيه فكيف يكون
شفيعا محجوب عنه فكيف يكون شهيدا الم تسمع الى قول الشاهد ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون والى قوله سبحانه وتعالى وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون مع قوله سبحانه وتعالى
فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ثم اجمل ذلك بقوله عز وجل ومن لم يتب فاولئك
هم الظالمون فصغير التوبة لصغير الظلم عن صغائر المظالم وكبير التوبة لكبير الظلم عن كبائر المظالم
وللظلم ظلمة اليوم في القلب وظلمة غدا في القيامة فالتوبة تخرج العبد من الظلم وبخروجه من الظلم
يدخل في منازل المهتدين برعاية العهد يعمل في الاصلاح والله لا يضيع اجر المصلحين كما لا يصلح عمل
المفسدين فاذا كان مصلحا بالتوبة ما افسد بالهوى استعمل بالصالحات لانه قد صلح فاذا عمل بالصالحات
ادخل في الصالحين لانه قد فضل قال الله سبحانه وتعالى ويؤت كل ذي فضل فضله وقال عز وجل في
البيان الاول وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين فمن صلح له تولاه ومن تولاه علمه وحباه
وكاشفه ومن نفسه عافاه واحسبه فكان حسبه وكفاه وجعله تحت كنفه وآواه فيكون ظاهر حاله
العصمة من الهوى واعلاه مشاهدة عين اليقين بالمولى ومن اكتسب المظالم ظلم ومن ظلم ولاه مثله
ومن ولاه تولى ومن تولى عنه افسد ومن افسد قطع ما امر الله به ان يوصل ومن قطع بعد وانقطع
ومن انقطع فبعد لعن وطرد ومن طرد عمي وصم بحب الهوى المعمي المصم ومن عمي لم يشهد البصير
ومن صم لم يسمع من السميع فكيف يتدبر الخطاب وقلبه مقفل وهمه على هواه مقبل والفتاح العليم
عنه معرض فهذا من توصيل القول بمطلع المقول من قوله سبحانه وتعالى وكذلك نولي بعض الظالمين

بعضا بما كانوا يكسبون اني توليتم ان تفسدوا في الارض الاية فتبينوا وللتائب حالا كمن اول المحبة
وللتواب مقام من حقيقة الحب وللناس في التوبة مقامات حسب كونهم في الهوى طبقات وهم في الجنة
درجات نحو مشاهدتهم بمحاسن الصفات فيتجلى لكل وجه بمعنى حسن وجهه بهذا في القلوب عن محاسن
الايمان وفي الاخرة على معاني محاسن الوجوه في العيان فيحكم عليهم المشيئة منه لهم بما يوجدهم به منه
على معاني ما اوجدهم منه به اليوم فسبحان من هذه قدرته عز ارادته وسع كل شي رحمة وعلما ويلزم
كل عبد من المجاهدة على قدر ما ابتلي به من الهوى ويثبت له من المحبة بقدر ما صح له من التوبة ويسقط
عنه من المجاهدة بقوة ما يكشف له من الشهادة فيحمل الاشهاد عنه الام الجهاد فيكون العبد في البلاء
محمولا ويكون بقيته بالشهادة واليقين موصولا وهذا من سوابغ العوافي وتمام النعماء وهولاء الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وهم الذين جاء الخبر فيهم ان الله سبحانه وتعالى ضنائن
من خلقه يغذوهم برحمته ويجعلهم في ظل عافيته يضن بهم عن القتل والبلاء يحييهم في عافية ويميتهم
في عافية ويدخلهم الجنة في عافية الا بل الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها في عافية
فالافضل بعد هذا لكل عبد معرفته بعلم حاله ووقوفه على حده ولزوم الصدق في مقامه وترك
التحلي والدعوى في جميع سكونه وحركته فان هذا ابلغ له فيما يريد واوصل في طلب ما يرجو فان علم
العلماء لا يغني عنه من علمه بنفسه شيئا لانه لا يسال عن علومهم كما لا يسالون عن علمه وهذا طريق
دائر ماله الصدق وزاده الصبر وقوته التقوى فمن عدم الصدق لم يربح ومن لم يتزود الصبر انقطع
ومن لم يقتت التقوى هلك فذرة من صدق انفع من مثقال من عمل وذرة من صبر خير من مثقال
علم وذرة من تقوى انفع من مثقال ايمان فان الظن لا يغني من الحق شيئا ويعطي الله سبحانه وتعالى
العبد باداء الفرائض واجتناب المحارم مقاما من مقامات اليقين يرفعه به الى عليين وربما اعطاه
بهما مثل ثواب الابدال بعد ان يريد بالفعل والترك وجه الله سبحانه وتعالى وحده وان لم يسلك
به طريق الابدال قط ولم يعرف منهم احدا ابدا ومن نقله مولاه سبحانه وتعالى باليقين الذي به تولاه
لم يخف عليه التنقيل لان النقل يضطره الى التنقل في الاحوال والمشاهدة تحكم عليه بالافعال وربما
بلغ الله سبحانه وتعالى العبد بحسن الظن به وقوة الامل والطمع فيه جميع ما ذكرناه بعد ان يكون حسن
اليقين وقد يعطيه مقام الصديقين بخلق من اخلاقه اذا تخلقه به وربما بلغه منازل الشهداء
بشي واحد يتركه له او شي يوثره به لانه غفور شكور واضر شي على العبد قلة معرفته به فلربما
كان العبد على تسع جباير فيترك العاشرة لوجه الله سبحانه وتعالى فتكون تلك الخصلة ذرة الى

جنب تسعة اجبل فينظر الله سبحانه وتعالى اليه بوجهه الذي ترك له نظرة فتمحو تلك الذرة الجبال التسعة
فتصيرها هباء منثورا وربما احسن الله عز وجل وصفا واحدا من العبد حتى يصفه به فيحبط عنه بانه
وصف قبيح يصفه الناس بها فتدبروا فلا ييأس عبد من فضل مولاه سبحانه وتعالى ولا يقطعن من
حبله رجاءه بعد اذ عرفه فان السيد كريم رحيم ولا ينقطعن عبد عن بابه وان قطع بخلافه ولا يبعدن
من فنائه وان بعد باوصافه ولا يستوحشن من التقرب اليه بما يحب بعد ما توحش وتفحش لديه بما يكره
فهكذا يحب الله سبحانه وتعالى من عباده فتبينوا او نحو هذا يحب الله سبحانه وتعالى منهم ان يعرفوا
فيفعلوا بعد المعرفة فان المعروف مفرط الكرم واسع الرحمة فاضل الفضل فان اعطى المعرفة لم يمنع شيئا
ولا يضره ما منع وان منع المعرفة لم يعط شيئا ولم ينفع منه ما اعطي وقد يلتبس المحاب فتدخل محبة النعم
في محبة المنعم وتدخل محبة النفس على محبة الخالق ويشتبه ذلك عند عموم المحبين ممن لم يكشف
له عين اليقين فيكون العبد محبا للنعم وهو يظن بوهمه انه محب للمنعم ويكون محبا لنفسه ويحسب
انه محب لمولاه عز وجل وعلامة ذلك سكونه الى الاشياء وفرحه بالموجودات ووجد راحته ولذته في
هواه فربما اختار الله سبحانه وتعالى ان يكشف له حاله قبل موته وربما ستر عليه حاله ولم يفضحه
حتى يلقاه فيثيبه ثواب مثله وجزاه وليس يظهر فرقان هذا الا في قلب مومن تقي مراد بنور ثاقب
وعلم نافذ ويقين صاف من عين التوحيد ومشاهد القيومية لانه من باب مشاهدة الصفات الغيبية
ومشاهدة الافعال الملكوتية وهو الفرقان الذي وعده الله سبحانه وتعالى المتقين من المومنين
فقال عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا تفرقون به بين الشبهات
وهو المخرج الذي ضمنه الله سبحانه وتعالى لاهل التقوى والمنهج في قوله سبحانه وتعالى ومن يتق الله يجعل
له مخرجا قيل من كل امر ضاق على الناس فتفصيل معاني التوحيد من شواهد الناظرين اضيق الضيق
وشهادة الجمع في التفرقة والبقاء في الفناء اخفى الخفاء وشرح هذا يطول ويدخل في علم مجهول تتخلل
فيه العقول غير العلم العتيد الذي نسميه غريب عن الاسماع ينكره اكثر من سمعه غير ان من له
نصيب منه يشهد ما رمزناه فينكشف له به ما غطيناه الا انه استولى على القلب احد الوجهين فالخصوص
احبوه من طريق مشاهدة الصفات فحب هولاء لا يتقلب بتقلب ووجد لا يتغير ابدا وهم مثبتون
فيه الى لقاء الحبيب وهولاء عبدوه على التعظيم والمحبة والاجلال والكبرياء وفي هولاء المقربون
والمحبوبون والخائفون والعاملون والمتوكلون والراضون وهو المقام الاعلى وهم الاعلون عنده في
المنتهى والعموم احبوه من طريق مشاهدة الافعال وهي النعم والاحسان والايادي والافضال وعمّا

اظهر من العوافي وما اخبر عنه مما اثرو بهم الذين خدموه شهوة وعادة وحاجة واحبوه لما فيه ومرافقه ولاجل ما في يده من ملكه وحب هولاء يتغير لانقلاب الاحكام وهولاء لم يتحققوا بالاخلاص ولا الزهد وقد بقي عليهم من نفوسهم هوى قد حجبهم عن مخالصته وبعدهم من مصافاته وهذه هي اوصافهم عايبة لهم وعليهم نجت هولاء حول قلت لان الافعال التي احبوه لاجلها تحول فيحولون وتختلف عليهم المكاره والمرابر فيختلفون وفي هولاء المريدون والعاملون والراجون والطامعون والتائبون واصحاب اليمين من هولاء وقد قال بعض العارفين كل محبة كانت عن عوض اذا زال العوض زالت المحبة فمنهم من عرف حاله في مقامه فاعترف بنقصان محبته وتقصير شهادته واستغفر منها واناب ومنهم من لبس ذلك عليه لضعف يقينه ونقصان مزيده فكانت محبته محبة الافعال ومحبة النفس في المال وهو يتوهم انها محبة الجلال والجمال عن صفات متصلة بذاته ويخاف على مثل هذا الانقلاب عند كشف الغطا لانه في اغترار وفتنة والتباس ومحنة وفي طريق مكر وهلكة الا ان يتداركه رحمة من ربه فتوقفه في حده من مقامه وترده الى حاله من مكانه فيتوب من محبته ويستغفر من شهادته فحينئذ يرحمه الله عز وجل فيدخله في اهل العفو ويستر عليه في الاخرة كما ستر عليه في الدنيا فيلقيه تحت الستر في الدارين وهذه بعض مخاوف الصادقين من المحبين لانها محبة الظاهر لا ظهور فصاحبها في تقلب وغرور الا ان اهل محبة الافعال ينقسمون قسمين منهم من احبه لاجل افعاله الا انه يشهدها منه فيراه فيها فهو يتصبر له ويتعمل في المجاهدة ويجتهد في تبقية محابه لبقاء حاله فهذا اعلاهما وهذه محبة عموم لاهل الاخرة الذين لا يشهدون سواها ولا يطلبون الا اياها ومنهم من تتغير عليه الافعال وتخرجه من الاعتياد وتتابع عليه البلاء وتنقصه من العوافي في المال والنفس فتخرج صفته وتظهر منه تسخط وتبرم فهذا قد افتضح بدعوى المحبة وقد كشفه بعد ستره فلم يزن في المحبين حبة وهذه محبة اهل الدنيا الذين لها يكدحون واياها يطلبون وقد سئل الجنيد رحمه الله عن المحبة فقال الناس في محبة الله سبحانه وتعالى عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان ارضوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة واسماءه الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه سبحانه وتعالى اهل له ولو ازال عنهم جميع النعم ومن الناس من يكون محبا لهواه او لعدو الله ابليس لعنه الله وهو يدعي لعظيم جهله وطول غرته المحبة لله سبحانه وتعالى قال بعض علمائنا عوتب ابو محمد رحمه الله في قوله لكل احد يا دوست قال وقلت

له قد لا يكون حبيبا كما تقول فقال في اذني سرا لا يخلو ان يكون مومنا او منافقا فان كان مومنا فهو حبيب لله عز وجل وان كان منافقا فهو حبيب ابليس اخزاه الله ومن محبة الهوى ايثار عاجل حظ النفس على اجل ما وعدت به وتقديم محبتها على محبة الله سبحانه وتعالى وهي مطبوعة على محبة الهوى وكراهة الحق امارة بالسوء فيما تسره كذابة فيما تظهره من الخير قال الله سبحانه وتعالى وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم فقرن محبتها بالشر وقرن كراهتها بالخير والعرب تسمي النفس كذابة اي التي يكثر منها الكذب يصفونها بالمبالغة على معنى قوله ويل لكل همزة لمزة اي الذي يكثر همز الناس ولمزهم وكذلك وصفها الله سبحانه وتعالى بالمبالغة في الامر بالسوء فقال امارة اي فعالة التي يكثر منها الامر ويتكرر مرة بعد مرة من وصفها الفعل ومن محبة العدو وطاعته وموافقته لان فيها كراهة الله سبحانه وتعالى ومخالفته وهو مجبول على ضد ما يحب الله والله سبحانه وتعالى يحب ضد ما جبله عليه ابتلا من الله سبحانه وتعالى وابتلاء منه به لنا واعلم ان قليل ما اعطاك الله سبحانه وتعالى من الايمان به وصحة التوحيد له ويسير ما قسم لك من الاخلاص والصدق وحسن المعاملة خير لك وانفع من كثير ما اظهر لك وعرفك وانما لك مما رايته ما طلبته ونلته بيديك وما ملكته وسلطت عليه من منازلتك فاما ما لم تطلبه ولم تنله فهو لغيرك لانك قد ترى السماء ولا تنالها وهي ارض لمن سخرت له وترى ما جعل لغيرك فلا ينفعك ولا يغني عنك وهو نافع مغن لمن سلط عليه فملكه ومن الناس من يتوهم ان الاظهار هبة له وان ما رآه وعرفه ملكه وحازه وتحقق به واعلم ان الخاطر لا يجيء منه حال والحال لا يكون منه مقام والمقام هو ما ثبت ودام فمثل الخواطر في ممرها كالسحاب في سيرها سحابة صيف عن قليل تقشع ومثل الاحوال في حلولها كمثل الازمنة في احوالها في كل سنة اربعة شتاء وصيف وربيع وخريف وانما الهبة من الله عز وجل ما وقر في القلوب من المشاهدات وما حققته الاعمال من المنازلات فيورث ذلك علما خاصيا او خلقا مرضيا او حالا سنيا او وصفا زكيا من اخلاق الصالحين وسيما المتقين وعلوم العارفين وملاحظات المقربين ولا يصلح الكلام لهذا العلم الا لمن له منه مشاهدة ان كان من علوم التوحيد والقدرة او منازلة ان كان من مواريث الاعمال او عن تنقيل الاحوال او عن زهد في الدنيا وسعي في طلب الاخرى ان كان من علم الوعظ والندب الى الفضل فذلك كله بعد التوبة ومع حال الاستقامة وعن كمال علم السنة والجماعة بعد المعرفة بعلم الاصول والسنن من آثار الرسول والا كان متكلفا وفي الدعوى داخلا الا ان يحكي شيا سمعه فيكون به لقائله محاكيا او يضيف حالا الى صاحبها فيكون عنه راويا واما التحلي

وعلى النفس الظاهر والتصنع المتقلل بالاشارات الفارغة فهو من حلية الدنيا وزينة الهوى وكذلك التمني لما ظنه العقل وشهوته النفس وقدره الوهم او من وسوسة العدو الخناس لعنه الله فليس هذا كله من الايمان ولا من علم اليقين في شيء بل هو من همزات الشياطين وخطواتهم وقرب محضرهم لان هذا العلم دوا القلوب من ادوا الذنوب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطبب ولم يعلم منه طب فقتل فهو ضامن فالمتعلم لنفسه بقتلهم يكون قاتلا والاظهار الذي يقع به الاغترار اكثر من ان يحصى والظهور الذي يحق به الحقيقة في تلك وعلوم هذه الخزائن هي العلوم الظاهرة وهي حجج الله سبحانه وتعالى في ارضه وعلى عباده ويظهر من خزائن ملكوته ما يحب وهي القلوب البصاير والكنوز والذخائر فهذه خزائن الملكوت وهي من خزائن السماء وفيها من القدر والآيات كما في السموات وعلوم هذه الخزائن من علم اليقين وهو العلم الباطن النافع يخص به من يحب كما يخصهم اولياؤه المقربون ان الحكم الا لله لا يشرك في حكمه احدا يختص برحمته من يشاء ولا قوة الا بالله آخر شرح مقام المحبة وهو آخر شرح مقامات اليقين التسعة والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه بعده

الفصل الثالث والثلثون فيه شرح دعائم الاسلام الخمس التي بني عليها

اول ذلك فرض شهادة التوحيد للمؤمنين ووصف فضائلها وهي شهادة المقربين ثم شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وفضلها للموقنين قال الله جل ثناؤه وصدقت انباؤه لرسوله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وقال سبحانه وتعالى لعباده يامرهم بمثل ذلك فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو ففرض التوحيد هو اعتقاد القلب ان الله سبحانه وتعالى واحد لا من عدد واول لا ثاني له موجود لا شك فيه حاضر لا يغيب عالم لا يجهل قادر لا يعجز حي لا يموت قيوم لا يغفل حليم لا يسفه سميع بصير ملك لا يزول ملكه قديم بغير وقت آخر بغير حد كائن لم يزل ولا يزال الكينونة صفته لم يحدثها لنفسه دايم ابدا لا نهاية لدوامه الديمومة وصفه غير محدثها لنفسه لا بداية لكونه ولا اولية لقدمه ولا غاية لابديته آخر في اوليته اول في آخريته وان اسماءه وصفاته وانواره غير مخلوقة له ولا منفصلة عنه وانه سبحانه وتعالى امام كل شيء ووراء كل شيء وفوق كل شيء ومع كل شيء واقرب الى كل شيء من نفس الشيء وانه مع ذلك غير محل للاشياء وان الاشياء ليست محلا له وانه على العرش استوى كيف شاء بلا تكييف ولا تشبيه وانه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وبكل شيء محيط الجو دونه والفضا من ورائه والهوا دونه المكان من ورائه والحول دونه البعد من ورائه وخلف كلها حجب مخلوقات من وراء

الارضين والسموات اماكن لما شاء وهي داخلة في قوله عز وجل ومن كل شيء خلقنا زوجين في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد ملء السموات والارض وملء ما شئت من شيء بعد والله جل جلاله وعظم شانه هو ذات منفرد بنفسه متوحد باوصافه باين من جميع خلقه لا يحل الاجسام ولا تحله الاعراض ليس في ذاته سواه ولا في سواه من ذاته شيء ليس في الخلق الا الخلق ولا في الذات الا الخالق فتبارك الله رب العالمين وانه سبحانه وتعالى ذو اسماء وصفات وقدرة وعظمة وكلام ومشيئة وانوار كلها غير مخلوقة ولا محدثة بل لم يزل قائما موجودا بجميع اسمائه وصفاته وكلامه وانواره وارادته وانه سبحانه وتعالى ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له الخلق والامر والسلطان والقهر يحكم بامره في ملكه وخلقه ما شاء كيف شاء لا معقب لحكمه ولا مشيئة لعبيد دون مشيئته اذا شاء شيئا كان ولا يكون الا ما شاء لا حول للعبد عن معصيته الا برحمته ولا قوة لعبد على طاعته الا بمحبته وهو واحد في جميع ذلك لا شريك له ولا معين في شيء من ذلك لا يلزمه اثبات الوعيد بل المشيئة اليه في العفو لا يجب عليه من الاحكام ما اجرى علينا ولا يختبر بالافعال ولا يسبر بالمقال حليم عادل حكمه وعدل مما صفناه لا تشبه حكمته بحكم خلقه ولا يقاس عدله بعدل عباده ولا يلزمه من الاحكام ما الزمهم ولا يعود عليه من الاسماء المذمومة كما يعود عليهم قد جاوز العقول وفات الافهام والاوهام والعقول هو سبحانه وتعالى كما وصف نفسه وفوق ما وصفه خلقه نصفه بما ثبتت به الرواية وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه ليس كمثله شيء في كل شيء باثبات الاسماء والصفات ونفي التمثيل والادوات وانه سبحانه وتعالى لم يزل موجودا بصفاته كلها لم تزل له وان صفاته قائمة به لم تزل كذلك ولا تزال بلا نهاية ولا غاية ولا تكييف ولا تشبيه ولا تثنية بل توحيد هو متوحد به وتفريد هو متفرد به لا يجري عليه القياس ولا يمثل بالناس ولا ينعت بجنس ولا يلمس بحس ولا يجنس من شيء ولا يزدوج الى شيء وان ما سوى اسمائه وصفاته وانواره وكلامه من الملك والملكوت محدث كله ومظهر كان بعد ان لم يكن ولم يكن قديما ولا اولا بل كان باوقات محدثة وازمان موقتة والله سبحانه وتعالى هو الازلي الذي لم يزل الابدي الذي لم يخل القيوم بقيوميته هي صفته الديموم بديموميته هي نعته اول بلا اول ولا عن اول آخر لا الى آخر بكينونته هي حقيقته احد صمد لم يلد ولم يولد ومعنى ذلك لم يتولد هو من شيء ولم يتولد منه شيء ومثل ذلك لم يخلق من ذاته شيء كما لم يخلق ذاته من شيء سبحانه وتعالى عما يقول الملحدون من ذلك علوا كبيرا

ذكر فرض شهادة الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم قال الله الكبير المتعالي واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق

لما نعلم لتؤمنن به ولتنصرنه وقال سبحانه وتعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال عز وجل ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله ففرض شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم أن تشهد ان محمدا رسول الله خاتم الانبياء
لا نبي بعده وكتابه خاتم الكتب لا كتاب بعده وهو مهيمن على كل كتاب مصدق لما سلف من الكتب
وان شريعته ناسخة للشرائع قاضية عليها الا ما اقره كتابه ووافقه وكتابه شاهد على الكتب حاكم
عليها وانه هو النبي بشر به عيسى صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء وسلامه امته وهو النبي اخبر به موسى عليه
وعلى سائر الانبياء السلام امته وهو المذكور في التوراة والانجيل وسائر كتب الله عز وجل المنزلة وهو
النبي اخذ الله سبحانه وتعالى ميثاق النبيين ان يؤمنوا به وينصروه لو ادركوه فاقروا بذلك وشهد الله سبحانه
وتعالى على شهادتهم وهو النبي اخذت الانبياء شهادة الامم على الايمان به وامرتهم بتصديقه واخبرتهم
بظهوره وان موسى وعيسى صلى الله عليهما وعلى سائر الانبياء لو ادركاه لزمهما الدخول في شريعته وان
بقية بني اسرائيل من اليهود والنصارى كفرة بالله بجحودهم رسالته وان ايمانهم به وبكتابه مفترض
عليهم ما مؤمنون به في كتبهم وعلى السنة رسلهم وان طاعته ومحبته فريضة واجبة على الكافة كطاعة
الله عز وجل واتباع امره واجتناب نهيه مفترض على الامة ايجابا اوجبه الله سبحانه وتعالى وفرضا
افترضه على خلقه متصلا بفرائضه **ذكر فضائل شهادة الرسول** صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عز وجل
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين وقال صلى الله عليه وسلم لو ادركني موسى
وعيسى لما وسعهما الا اتباعي ورويناه في لفظ آخر ثم لم يؤمنا بي لكبهما الله سبحانه وتعالى في النار
وحدثونا في الاسرائيليات ان رجلا عصى الله سبحانه وتعالى مائتي سنة في حلها يتمرد ويجترئ عليه
فلما مات اخذ بنو اسرائيل برجله فالقوه على مزبلة فاوحى الله سبحانه وتعالى الى موسى عليه وعلى سائر
الانبياء السلام ان غسله وكفنه وصل عليه في جميع بني اسرائيل ففعل ما امر به فعجبت بنو اسرائيل
من ذلك واخبروه انه لم يكن في بني اسرائيل اعتى على الله سبحانه وتعالى ولا اكثر معاصي منه فقال قد علمت
ولكن الله سبحانه وتعالى امرني بذلك قالوا فسل لنا ربك سبحانه وتعالى فسال موسى صلوات الله عليه وعلى
الانبياء ربه فقال يا رب قد علمت ما قالوا فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان قد صدقوا انه قد عصاني
مائتي سنة الا انه يوما من الايام فتح التوراة فنظر الى اسم محمد صلى الله عليه وعلى الانبياء وسلم مكتوبا فقبله
ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك فغفرت له ذنوب مائتي سنة وحدثنا في معناه عن العباس
ابن عبد المطلب قال كنت مواخيا لابي لهب مصاحبا له منادما له في الجاهلية فلما مات واخبر الله

سبحانه وتعالى عنه بما اخبر حزنت عليه واهمني امره فسالت الله عز وجل حولا ان يريني اياه في المنام
فرايته يلتهب نارا فسالته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح علي الا
ليلة الاثنين في كل الليالي والايام فانه يرفع عني العذاب فقلت وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة
محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتني اميمة فبشرتني بولادة آمنة اياه ففرحت بمولوده واعتقت وليدة لي
فرحا مني به فاثابني الله سبحانه وتعالى بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين لذلك وقال
سبحانه وتعالى في تحقيق المحبة يحبون من هاجر اليهم ثم قال ويؤثرون على انفسهم فمن محبة الرسول
صلى الله عليه وسلم ايثار سنته على الراي والمعقول ونصرته بالمال والنفس والقول وعلامة محبته اتباعه
ظاهرا وباطنا فمن اتباع ظاهره اداء الفرائض واجتناب المحارم والتخلق باخلاقه والتادب
بشمائله وآدابه والاقتفاء لآثاره والتجسس عن اخباره والزهد في الدنيا والاعراض عن ابنائها ومجا نبة
اهل الغفلة والهوى والترك للتفاخر والتكاثر من الدنيا والاقبال على اعمال الآخرة والتقرب من اهلها
والحب للفقراء والتحبب اليهم وتقريبهم وكثرة مجالستهم واعتقاد تفضيلهم على ابناء الدنيا ثم الحب
في الله تعالى للبعيد المبغض وهم العلماء والعباد والزهاد والبغض في الله عز وجل للقريب المحب
وهم الظلمة والمبتدعة والفسقة المعلنة ومن اتباع حاله في الباطن مقامات اليقين ومشاهدات
علوم الايمان مثل الخوف والرضى والشكر وايثار التسليم والتوكل والشوق والمحبة وفراغ القلب لله
عز وجل وافراد الهم بالله عز وجل ووجود الطمانينة بذكر الله تعالى فهذه معاملات الخصوص وبعض معاني
باطن الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا من اتباعه ظاهرا وباطنا فمن تحقق بذلك فله من الآية نصيب
موفور اعني قوله سبحانه وتعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقد كان سهل
رضي الله عنه يقول علامة محبة الله عز وجل اتباع الرسول وعلامة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم الزهد في مجبة
الدنيا وقال ايضا في تفسير قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم قال يطيع
الله عز وجل في فرائضه والرسول في سنته فاذا اجتنب العبد البدع وتخلق باخلاق الرسول صلى
الله عليه وسلم فقد اتبعه وقد احبه الله عز وجل وكان معه صلى الله عليه وسلم غدا مرافقا له في منزلته
ذكر فضائل شهادة التوحيد ووصف توحيد الموقنين قال الله سبحانه وتعالى شهد الله انه لا اله
الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط وقال سبحانه وتعالى والذين هم بشهاداتهم قائمون
فشهادة الموقنين يقينه ان الله سبحانه وتعالى هو الاول في كل شيء واقرب من كل شيء فهو المعطي
المانع الهادي المضل لا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع الا الله سبحانه وتعالى كما لا اله الا الله

ويشهد قرب الله سبحانه وتعالى منه ونظره اليه وقدرته عليه وحيطته به فيسبق نظره وهمه الى
الله عز وجل قبل كل شيء ويذكره في كل شيء ويخلو قلبه له من كل شيء ويرجع اليه بكل شيء ويتألّه اليه
دون كل شيء ويعلم ان الله سبحانه وتعالى اقرب الى القلب من وريده واقرب الى الروح من حياته واقرب الى البصر
من نظره واقرب الى اللسان من ريقه بقرب هو وصفه لا بتقريب ولا بتقرّب وانه سبحانه وتعالى على العرش
في ذلك كله وانه عز وجل رفيع الدرجات من الثرى كهو رفيع الدرجات من العرش وان قربه من الثرى ومن
كل شيء كقربه من العرش وان العرش غير ملامس له بحسّ ولا متفكر فيه بوجس ولا ناظر اليه بعين ولا محيط
به بدرك لانه تعالى محتجب بقدرته عن جميع بريته ولا نصيب للعرش منه الا كنصيب عالم موقن به واجد
بما اوجده منه من ان الله سبحانه وتعالى عليه وان العرش مطمئن به وان الله عز وجل محيط بعرشه فوق
كل شيء وفوق تحت كل شيء فهو فوق الفوق وفوق التحت ولا يوصف بتحت فيكون له فوق لانه عز وجل
هو العلي الاعلى اين كان لا يخلو من علمه وقدرته مكان ولا يحدّ بمكان ولا يفقد من مكان ولا يوجد بمكان
فالتحت للاسفل والفوق للاعلى وهو سبحانه وتعالى فوق كل فوق في العلو وفوق كل تحت في السمو
ووراء كل وراء من كون ومكان بما ظهر وتوارى هو فوق الثرى كهو فوق العرش والاماكن
للممكنات ومكانه مشيئته ووجوده قدرته والعرش والثرى وما بينهما من حد الخلق الاسفل والاعلى
بمنزلة خردلة في قبضته سبحانه وتعالى وهو عز وجل اعلى من ذلك محيط بجميع ذلك بما لا يدركه العقل
ولا يكيفه الوهم ولا نهاية لعلوه ولا فوق لسموه ولا بعد في دنوه ولا حسّ في وجوده ولا مسّ في
شهوده ولا ادراك لحضوره ولا حيطة لحيطته وقد قال سبحانه وتعالى للكل يخافون ربهم من فوقهم
وقال سبحانه وتعالى سبح اسم ربك الاعلى وقال جل وعلا الا انه بكل شيء محيط وان الله جل وعز
لا يحجبه شيء عن شيء ولا يبعد عليه شيء قريب من كل شيء بوصفه وهو القدرة والدرك والاشيا مبعدة
باوصافها وهو البعد والحجبة فالبعد والابعاد حكم مشيئته والحدود والاقطار حجب بريته والمسافة
والتلقا مكان لسواه والنواحي والجهات مواضع للمحدثات والنهار والليل مسكن للمصرفات والبعد
والفضا مكان للمخلوقين والتوسعة والهوا محل للعالمين والاحكام والاقدار واقعة على خلقه
وهو سبحانه وتعالى قد جاوز المقدار والاحكام وفات العقول والاوهام وسبق الاقدار واحتجب
بعزه عن الافكار لا يتصور في الفكر ولا يملكه الوهم حجب العقول عن تشبيح ذاته ولم تحكم العقول
له بدرك صفاته اذ ليس كمثله شيء فيعرف بالتمثيل ولا له جنس فيقاس على التجنيس وهو الله
في السموات وفي الارض ثم استوى على العرش وهو معكم اينما كنتم غير متصل بالخلق ولا مفارق

غير مماسّ للكون ولا متباعد بل منفرد بنفسه متحد بوصفه ولا يزدوج الى شيء ولا يقترن به شيء
هو اقرب من كل شيء بقرب هو وصفه وهو محيط بكل شيء بحيطة هي نعته وهو مع كل شيء وفوق كل
شيء وهو امام كل شيء ووراء كل شيء بعلوه ودنوه هو قربه فهو وراء الحول الذي هو وراء حملة العرش وهو
اقرب من حبل الوريد الذي هو الروح وهو مع ذلك فوق كل شيء ومحيط بكل شيء وليس يحيط به شيء وليس
هو تعالى في كل هذا مكانا لشيء ولا مكانا له شيء وليس كمثله في كل هذا شيء لا شريك له في ملكه ولا معين
له من خلقه ولا نظير له من عباده ولا شبيه له في اتحاده هو اول في آخريته باوليته هي صفته وآخر
في اوليته بآخريته هي نعته وباطن في ظهوره بباطنيته هي قربه وظاهر في باطنيته بظهوره هو علوه
لم يزل كذلك ازلا ولا يزال كذلك ابدا ولا يتوجه عليه التضاد ولا تجري عليه الحوادث والآباد ولا ينتقص
ولا يزداد هو على عرشه باختياره لنفسه فالعرش حد خلقه الاعلى وهو غير محدود بعرشه تعالى
والعرش محتاج الى المكان والرب غير محتاج اليه كما كان الرحمن على العرش استوى الرحمن اسمه والاستواء نعته
متصل بذاته والعرش خلقه منفصل عن صفاته ليس بمضطر الى مكان يسعه ولا حامل يحمله والحيطة
تجمعه والخلق بوجده هو حامل للعرش والحملة بخفي لطفه وجامع للعرش والحفظة بلطيف
صنعه وموجد للحامل بحجب من التجلي بمعاني اسمائه وصفاته بخفي لطفه ولطيف قربه اختصاص
رحمته وهو اظهر الكون من وراء الحول هو ممكن للعرش بسط في توسعة الحول وهو محيط بالعرش
والحول بالقدرة والطول بخفي لطفه ولطيف قدرته وهو لا يسعه غير مشيئته ولا يظهر الا في انوار
صفته ولا يوجد الا في سعة البسطة فاذا قبض اخفى ما ابدى واذا بسط اعاد ما اخفى وكذلك فعله
في كل رسم كون وفعله بكل اسم مكان بما جل فظهر ومما دق فاستتر لا يسعه غير مشيئته بقربه
ولا يعرف الا بشهوده ولا يرى الا بنوره هذا لاوليائه اليوم بالغيب في القلوب وهم ذلك غدا للمشاهدة
في الابصار ولا يعرف الا بمشيئته ان شاء وسعه ادنى شيء وان شاء لم يسعه كل شيء ان اراد عرفه كل
شيء وان لم يرد لم يعرفه شيء ان احب وجد عند كل شيء وان لم يتجل لم يوجد بشيء وقد جاوز
الحدود والمعيار وسبق القبل والاقدار ذو صفات لا تحصى وقدر لا يتناهى ليس محبوسا في
صورة ولا موقوفا بصفة ولا محكوما عليه بكلم ولا موجودا بالهم ولا يتجلى بوصف مرتين ولا يظهر
في صورة لاثنين ولا يرد منه بمعنى واحد كلمتين بل لكل تجل منه صورة ولكل عبد ظهور صفة وعن
كل نظرة كلام وبكل كلمة افهام ولا نهاية لتجليه ولا غاية لاوصافه ولا نفاد لكلمه ولا انقطاع
لافهامه ولا تكييف لمعانيه منه اذ ليس في التوحيد كيف ولا للقدرة ماهية ولا تشبيه لهذه

الأوصاف خلق إذ ليس للذات كفو إذا احتجب عن العيان والأبصار ترفع ذاته عن القلوب في الأفكار
فلم يتخيله عقل ولم يتصوره فكر لئلا يملكه الوهم فيكون مربوبا وهو رب ولا ينظر إليه بفكر
فيكون مقهورا وهو قهار ولا يعقل بعقل لأنه عاقل العقل ولا يدرك بحيطة وهو محيط بكل حيطة
حتى يتجلى آخرا بإحسانه كما تجلى أولا بحنانه فيشهد بحضوره وينظر إليه بنوره وليس هذا لسواه
ولا يعرف هذا إلا إياه وهذا منه لأوليائه اليوم بأنوار اليقين في القلوب وهو تبارك وتعالى لهم منه
غدا بمعاينة الأبصار في دار الحبيب أبد الأبد في الجنان يتجلى لهم بعظائم القدرة ولطائف الجنان
ويحليهم بما لا غاية له من لذيذ المعاني يتجلى بصفات الجلال ويظهر بمعاني الحسن والجمال ويبدو بلبس
البهاء والكمال يجمع لهم بأول معنى من معانيه ما يوجدهم به من النعيم والسرور والفضل والجود بكل
نظرة أو كلمة أو قرب أو لطف أو عطف أو حنان أو إحسان جميع ما فرقه في نعيم الجنان وينظر إلى
ما يحب اختيارا لا تهجم الأشياء عليه في نظره إجبارا ويعرض عمن يشاء اختيارا لا تعترض المنظورات
في نظره اضطرارا يعرض في نظره لكبريائه عزه وينظر في إعراضه بلطائف عطفه الملك في قبضته والخزائن
من كلمته والكون في مشيئته والملكوت كله بيده والجبروت في العظمة سبحان صفته وجود الأشياء
لا يضطره إلى النظر إليها إن أراد الإعراض عنها لأنه مقتدر قهار وعدمها لا يضطره إلى أن لا يراها
لسبق علمه بها لأنها معلوم علمه ذي الإجبار لأنه هو الجبار إذ الموجود يضطر غيره إلى النظر لضعفه
عن الامتناع والعدم يضطر سواه إلى الفقد لعجزه عن الاختراع وهو سبحانه وتعالى مباين لسواه
بعزه غير مماثل لغيره بقهره لأن المعدوم كالمحجوب وهو سبحانه وتعالى يرى المحجوب من الذرة من تحت
الثرى من وراء السموات والأرضين لا تحجب نفاذ نظره إليها ولا يمنع قربه منها ولا تحجزن قدرته
عليها ولا تخلق دون حيطته بها إذ الحجب واقعة على الخلق غير متصلة بالخالق وبواطن الأشياء وغوامضها
منكشفة للخالق وهو أيضا يشهد المآل في الأواخر إلى نهاية نهاياتها في أبد آبدها بشهد ذلك اليوم
أعني من غد وبعد غد وما وراءه إلى يوم القيامة وما فيها وهذا كله عدم لم يخلقه بعد لأن علمه بذلك شهادة
له إذ ليس بينه وبين علمه حجاب فهو سبحانه وتعالى يشهد الكون من أوله إلى آخره من حيث علمه بعلم
هو وصفه ومشاهدة هي نعته ولأن كلامه بذلك يخبر بأنه قد كان دليلا على شهوده المآب لأنه عز وجل
شهد ما علم كما علم ما به يتكلم فلم يتفاوت كلامه وعلمه ولم يختلف علمه ومشاهدته ومع ذلك كله فلا
موجود في الأولية ولا المشاهدة سواه ولا شريك له في القدم ولا قيوم شاهد الآباد إياه قوة كنه
قدرته وقدرته دوام بقائه ودوام بقائه نظره سعة علمه وعلمه مدى نظره يدرك الأشياء

كلها على اختلاف أوصافها بصفة من صفاته ثم يدرك بجميع أوصافه ما أدركه بهذه الصفة فثبت بذلك
أنه سبحانه وتعالى علم ونظر وتكلم لا يدخل الترتيب في صفاته أعني بقبل وبعد ولا يوصف بوقت حد لا يشبه
بالتعقيب بقوته وأحكامه أعني بثم ولم ولزم على ذلك أنه يعلم بنظره وينظر بعلمه فصار بنا الأوائل والأواخر
لديه كشيء واحد فكانت صفاته كلها آحادا كاملات تامات غير محدودة للمحدودات ولا موقتة مرتبة للمرتبات
الموقتات إذ الترتيب في النعوت من وصف الخلق والأدوات لكونها محدثات مظهرات والله سبحانه وتعالى ليس
كمثله شيء في كل الصفات فصفاته قديمة بقدمه وكائنة موجودة بكائنه ووجوده والأفعال محدثات
مظهرات بحدود وترتيب وأوقات بترتيب فلا موجود في الأولية ولا المشاهدة سواه ولا شريك له في القدم
ولا قيوم له في الأبد والأزل سواه قبل وجود الوقت والحدثان ليست صفاته ذوات جهات فيتوجه إلى الجهة
دون جهة فيدرك بصفة دون صفة ولا ذاته ذات ذوات فيقبل على مكان دون مكان ويضطره الترتيب
للمخلوقات ولا يدبر الأمور بأفكار فيشغله شأن عن شأن ولا تدخل عليه الأعراض فيتغير عما كان ولا يخلق
بآلة فيستعين بسواه ولا تعجز قدرته فيحتاج إلى المباشرة بيداه يخلق بيده إذا شاء وعن كلمته إن شاء وبإرادته
متى شاء وبمعاني صفاته كيف شاء لا يضطره التكوين إلى الكلام وكلامه إليه كيف شاء كان جرايته في علمه وقدرته
في مشيئته إذا تكلم أظهر وإن شاء قدر ومتى احتجب ظهر وبأي قدرة شاء استتر هو عزيز في قربه وقريب في علوه
حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال كشف العلم بالإرادة وأظهر الإرادة بالحركات أخفى الصنع بالصنعة
وأظهر الصنعة بالأدوات وهو باطن في غيبه وظاهر بحكمته وقدرته غيب في حكمته وحكمته شهادة لحكوماته
وهو مجاري قدرته وصنعه سر في صنعته وهو علانية مشيئته ليس كمثله شيء في كل صفة ولا كفو له في
ماهيته وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه كلمة مجملة بالغة في وصف التوحيد أنه قال في خطبته
الحمد لله الذي لم يجعل السبيل إلى معرفته إلا بالعجز عن درك معرفته وذكر أحمد بن أبي الحواري رحمه الله عن
بعض علماء أهل المعرفة رأى خلقه قبل أن يخلقهم كما رآهم بعد ما خلقهم وروي أيضا عن أبي سليمان الداراني
رحمه الله أدخلهم الجنان قبل أن يطيعوه وأدخلهم النار قبل أن يعصوه وقال أيضا الله عز وجل أعز
من أن تغضبه أعمال خلقه ولكنه نظر إلى قوم بعين الغضب قبل أن يخلقهم فلما أظهرهم استعملهم بأعمال
الغضب فأسكنهم دار الغضب وهو سبحانه وتعالى أكرم من أن ترضيه أفعال خلقه ولكنه نظر إلى قوم
بعين الرضى قبل أن يخلقهم فلما أظهرهم استعملهم بأعمال الرضى فأسكنهم دار الرضى وروينا عن ابن عباس
رضي الله عنه في قول الله عز وجل هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا يعني كان في علم الله
سبحانه وتعالى أنه يكونه فكأنه علق قوله لم يكن بقوله مذكورا فالله سبحانه وتعالى يخبر بما يكون في الدنيا

وبما يكون في القيامة وبما بعدها بلفظ انه قد كان استواء ذلك في علمه سبحانه وتعالى آخرا كاولا اذ لا
ترتيب في العلم ولا احد ولا مسافة ولا بعد في القدرة وقد قال الله سبحانه وتعالى ومن اصدق من الله قيلا عنده
علم الغيب فهو يرى فنقتصر بذلك وذمة وقال سبحانه وتعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين
اي ويرى تقلبك وبه انتصب التقلب بالعطف على القيام وفي التفسير تقلبك في الاصلاب الزاكية والارحام
الطاهرة لم يلتق ابواك على سفاح قط كذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في اصلاب الانبيا تقلبك
بالتنقيل في صلب نبي بعد نبي حتى اخرجك من ذريته اسمعيل وقال سبحانه وتعالى قد سمع الله قول التي تجادلك
في زوجها فاخبر انه سبحانه وتعالى سمع الاصوات في القدم في علمه قبل خلق المصوتين في الحدث كيف لا
يرى الكون عن آخره في القدم بعلمه قبل ظهورهم له مصورين وقد قال سبحانه وتعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم والخلق والتصوير كان بعد السجود لآدم فاخبر عنه اولا بشهوده له واستوايه
في علمه اذ لا بد من كونه فالله سبحانه وتعالى عالم بالكون قبل الكون وناظر الى علمه لا حجاب بينه وبين
معلومه وسامع لما شهد ومتكلم بما علم فقد سبق النظر والسمع والكلام الكون كله من حيث سبق
العلم والقدرة والارادة فهو ناظر سامع متكلم بنفسه من حيث كان عالما مقتدرا مريدا بنفسه
ثم اظهر الخلق عالما بعد عالم في وقت بعد وقت فجاوا على نظره وسمعه وكلامه كما كانوا في علمه وقدرته
ومشيئته بغير زيادة ذرة ولا نقصان خردلة الا ترى انه بعلمه وقدرته يرى يوم القيامة وما فيها والآخرة
وما يكون منها على حقيقة ما اخبر لا يمنعه عدم الكون ولا يحجبه بعد التاخر كذلك كان يشهد ما قد كان
اليوم في قديمه بعلمه به وقدرته عليه وحيطته به لا يمنعه عدم كونه ولا يحجبه فقد ترك ظهوره
ولا يجوز ان يدرك سبحانه وتعالى اليوم ما لم يكن ادركه في القدم كما لا يجوز ان يستفيد الآن علم ما لم يكن
علمه فيما لم يزل فيكون متحولا بما لم يشهد وهو معلوم منتظم في علمه ويكون مستزيدا بما اظهر حين
ظهر وهو في قبضته وغيبه جل عن ذلك وصفه وعلا عن هذا جلاله وعزه لان نظره سعة علمه وعلمه
حيطة نظره فهو ناظر الى ما علمه بوصفه لا يختلف عليه اوصافه فالكون موجود له بعلمه لسبق علمه به
ولا بيان له في علمه ولا اثر له في وصفه ولا وجود للكون في وجود كينونته ولا قدم له في قدم اوليته
لان العلم ليس محلا للكون ولا هو حال فيه ولان ذاته سبقت الكون والحال فليس لهما في قدمه قدم
كما انه سبحانه وتعالى يشهد الآن ما يكون من العاقبة والمآل الى آخر الاحوال لا يختلف الاواخر والاول
في صفاته ولا تتفاوت صفاته على ترتيبها من نظر وعلم لانها معلومه علمه وموجود ارادته فهو
سبحانه وتعالى واجد الاشيا به لانها وناظر اليها في علمه لا بوجودها لاقتداره عليها واحاطة

علمه بها والكون معدوم لنفسه لئلا شبه لانه خالق العدم كهو خالق الوجود وليس للعدم قدم مع قدمه
فيكون ثابتا معه ولا الكون كاينا موجودا بنفسه فيكون اولا مع اوليته جل الواحد المتوحد بنفسه عن
ثان معه في الازل او شريك له في القدم ثم ظهرت الاشيا لنفوسها وظهر بعضها لبعض باظهاره فوجدت
بايجاده وظهر عليها باظهاره بحد ووقت فلا يجوز ان يساويها سبحانه وتعالى لما ظهرت اذ ليس في صفات
الله عز وجل حد ولا وقت ولا لها اول ولا قبل بل هو الاول الذي لم يزل بلا اول والقديم الابد بلا وقت
ولا امد قايم بصفاته وصفاته موجودة له فمن شهد ما فصلناه بنور اليقين لم يدخل عليه قدم العالم
اذ لا قديم مع الله سبحانه وتعالى في كينونة ازله ومن لم يهتد بما بيناه ويراه بنور العقل دخلت عليه
شبهة قدم العالم فالحد برؤية قدم الحدثان او جحد قدم العلم بنفي وجود الحدث فيه وهذا شرك في
الصفات بين تبينه ايانا بالعقل لان من قال ان شيا قديم مع الله سبحانه وتعالى او موجود بنفسه
لنفسه فقد اشرك في الصفات ومن قال ان الله عز وجل نظر بعد ان لم ينظر او علم بعد ان لم يعلم
او تكلم بعد ان لم يتكلم فقد قال بحدوث الصفات وقدم عليها المعلومات بل المعلومات منطوية في العلم
لا اثر لها فيه والله سبحانه وتعالى قايم بعلمه وواجد بمعلومه بنفسه عن علمه به لقدرته عليه بقهره
وناظر اليه بعلمه لا بعدم معلومه والمعلوم معدوم غير موجود بنفسه حتى احدثه واوجده فظهر حين
اظهره بعضه لبعض فرأى بعضه بعضا اذ قد فرغ منه لعلمه به لا انه قرب له نظره كما لم يحدث به علمه
لنفسه وعلمه صفته لم يزل له وهو سبحانه وتعالى قايم بوصفه لا يجوز ان يحدث له شي لم يعلمه كذلك
لا ينبغي ان يفقد شيا لم يجده ومن اختلف عليه ما ذكرناه دخل عليه مذهب المعتزلة والجهمية لان
المعتزلة مجمعون على اختلافهم ان الله سبحانه وتعالى لا يرى الشي حتى يكون والجهمية مجمعون مع اختلا فهم
ان الله عز وجل لم يتكلم بالشي حتى كان ثم خلق الكلام فقدموا الكون قبل كلامه ونظره وقالوا
بحدوث النظر والكلام لانهم قالوا بحدوث الاسماء بعد حدوث المسميات فاستوى بذلك شركهم وخرجوا
به من التوحيد كذلك كذبت العبادية من القدرية بقدم العلم فقالت ان الله سبحانه وتعالى لا يعلم
الشي حتى يكون فصح بذلك مذهبهم في القدر وهم صنف من القدرية اصحاب عباد يضاهون قول
النظامية والمريسية تشابهت قلوبهم فيتبعون ما تشابه منه والمعتزلة ايضا مجمعة على نفي العلم
والقدرة والمشيئة الا انهم يقولون عالم ولكن لا يضطر علمه الى شي ولا يوجب شيا فجعلوه كالظن
من الخلق فقالوا عالم بلا علم قديم وقادر بلا قدرة ومريد بلا ارادة سابقة وقدم الاستطاعة
من الخلق لئلا يلزمهم سبق المعلومات وكيلا يدخل عليهم تقدم المشيئة من الله سبحانه وتعالى

قبل المعلومات وان الارادة والكلام من نعوت الافعال مخلوقات والجهمية ايضا مجمعة ان الله سبحانه وتعالى
لا يتكلم بوصفه اصلا وانما يظهر في اديم الفضاء الكلام كما يخلق الاعراض في الاجسام فكان هذا عندهم
هو التوحيد لئلا يثبتوا مع الله عز وجل قديما وهذا عند اهل السنة والجماعة هو الالحاد لنفي قدم
الصفات والقول بحدوثها وانفصالها عن الذات فلا يتشبهن لك العقل بالمعقول عن شهود ما ذكرناه
فيعقلك عن النفاذ للشهادة فليس يشهد ما ذكرناه من صفات الشهيد بنور العقل وانما يشهد بنور
اليقين لان خالقا لا يشبه مخلوقا ومن ليس كمثله شيء لا يشبهه الا ما ليس كمثله شيء وهو نور اليقين
من نور القادر ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وليس يختلف اهل اليقين بحمد الله سبحانه وتعالى
في جميع ما ذكرناه كما لا يختلفون في صحة التوحيد وهذه شهادة الموقنين وايمان المقربين وما ذكرناه من
وصفه سبحانه وتعالى فهو ظاهر التوحيد المتصل بفرض الشهادة لا يجري على ترتيب المعقول ولا يمثل بقياس
العقول لان نفي الصفات واثباتها بالمماثلات موجود في راي العقول كما ان الكفر والضلال موجود
في طبائع النفوس بعدم مشاهدة الابصار ولفقد وجود الالهية في تخيل الافكار ولجريان المعتاد والعرف
من ظهور الاسباب كما حدثت ان بعض الصديقين دعا الى الله سبحانه وتعالى بحقيقة التوحيد فلم يستجب
له الا الواحد بعد الواحد فتعجب من ذلك فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه تريد ان تستجيب لك العقول
قال نعم قال احجبني عنهم قال كيف احجبك وانا ادعو اليك قال تكلم في الاسباب وفي اسباب الاسباب
قال فدعا الى الله سبحانه وتعالى من هذا الطريق فاستجاب له الجم الغفير فانما صحة التوحيد باثبات
الصفات واوصاف الذات التي جاءت بها السنة وشريعة الرسول صلى الله عليه وسلم مع نفي التشبيه والامثال
ونفي الجنس والكيفية ثم سكون القلب وطمانينة العقل الى الايمان بهذا والتسليم له لاجل نور اليقين
الموهوب لان هذا انما يشهد بنور اليقين وعلمه لا بعلم العقل ونوره لان خالقا لا يرى بمخلوق فالعقل
مراة الدنيا بنوره يشهد ما فيها والايمان مراة الاخرة به ينظر اليها فيؤمن بما فيها والله سبحانه وتعالى انما
يرى بنور اليقين وفي هذا النور مشاهدة الصفات وهو حقيقة الايمان واعز ما نزل من السموات
وهو السكينة المنزلة في قلوب المؤمنين بمزيد الايمان ولتعريف صفات المؤمن معها بترك ضرب الاخبار
بعضها ببعض او معارضة بعضها ببعض او ترتيب بعضها على بعض بل يؤمن بكل خبر ورد في الصفات
والقدر على حدته كما يسلم جميعها على الجملة باسلامه والا ادى ذلك الى نفي بعضها او ابطال جميعها
لانا اخذنا الايمان بمنة الله سبحانه وتعالى ورحمته من قبل التصديق واليقين والنقل لا من قبل
التقليد وحسن الظن والعقل واربعة اشياء نسلم تسليما ولا نعارض اعتراضا ذكر اخبار الصفات

واصول العبادات وفضائل الصحابة وفضائل الاعمال ولولا ان الله سبحانه وتعالى تولى قلوب
المؤمنين فحبب الايمان اليها وزينه فيها وكره الكفر وشانه عندها لتاهوا في الظلمات وغرقوا في بحار
الهلكات لظهور الاعتياد ومعاينة الاسباب ولتغيب القدرة عن العيان ولما ابتلوا به من الحجب
والاعيان ولكن الله سبحانه وتعالى سلم وحبب الايمان في القلوب وزين وكره الكفر والعصيان
وشين ولذلك مدح المؤمنين بالغيب المستور ومن ذلك سبق المقربون بشهادة النور فقال سبحانه وتعالى
الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فلولا انهم كانوا في ظلمة الطبع ما امتن عليهم باخراجهم
منها الى ما ادخل عليهم من نور اليقين وكذلك جاء الخبر ان الله عز وجل خلق الخلق في ظلمة ثم القى عليهم
من نوره فمن اصابه اهتدى ومن اخطاه ضل وفي احد المعاني من قوله عز وجل يمحو الله ما يشاء ويثبت
قال يمحو الاسباب من قلوب الموحدين ويثبت نفسه ويمحو الوحدانية من قلوب الناظرين ويثبت
الاسباب ولولا ان حقيقة التوحيد لم يرسمه عارف قط في كتاب ولا كشفه عالم في خطاب لعجز علوم
العموم عن درك شهادته ولسبق انكار العقول لضعفها عن حمل مكاشفته لذكرنا من ذلك ما يبهر العقول
ويبهت ذوي المعقول ولكنا كرهنا ان نبتدع ما لم نسبق اليه او نظهر ما تضطرب العقول بالحيرة
فيه وخفنا من عدم النصيب مما نذكره فيعود على السامعين من نفعنا ضرره وحقيقة علم التوحيد
باطن المعرفة وقد سبق المعروف الى من به تعرف بصفة مخصوصة لحبيب مقرب مخصوص لا يسع
معرفة ذلك الكافة وافشاء سر الربوبية كفر وقال بعض العارفين من صرح بالتوحيد وافشى سر
الوحدانية فقتله افضل من احياء عشرة وقال بعضهم للربوبية سر لو اظهر لبطلت النبوة
وللنبوة سر لو كشف بطل العلم وللعلماء بالله عز وجل سر لو اظهر لبطلت الاحكام فقوام الايمان
واستقامة الشرع بكتم السر به وقع التدبير وعليه انتظم النهي والامر والله سبحانه وتعالى غالب على امره
وفوق ذلك علم التوحيد الاسم منه وحدانية فالتوحد بالتوحيد وصفه وفوقه علم الاتحاد فالوصف
منه متحد وفوقهما علم الوحدانية فالاسم منه واحد وفوق ذلك علم الاحدية الاسم منه احد هذه
اسماء لها صفات واوصاف لها انوار وانوار عنها علوم وعلوم لها مشاهدات بعضها اعلى من بعض
وفوق كل ذي علم عليم ثم علم التوحيد اول هذه العلوم وعموم هذه المشاهدات وظاهر هذه الانوار واقربها
الى الخلق فالاسم منه موحد وههنا بان الخلق وظهر فهذا توحيده الذي وحده به الموحدون من جميع
خلقه فعاد ذلك عليهم بفضل رحمته والمشاهدات الاول توحيد الرب سبحانه وتعالى نفسه بنفسه
لنفسه قبل توحيد خلقه فتوحيدهم اياه عن توحيده فيما كنينا عنه واخفيناه فيما اظهرناه

فهو محجوب في خزائن الغيوب عن البصائر والفهوم قد جاوز علم الملكوت كله فهو من ورائها في خزائن
الجبروت وانما ذكرنا من ذلك قوت القلوب من علم التوحيد وما لا بد للايمان منه من المزيد وقال
عالمنا العالم ثلثة علوم علم ظاهر يبذل لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسع اظهاره الا لاهله
وعلم هو سر بين العالم وبين الله سبحانه وتعالى هو حقيقة ايمانه لا يظهره لاهل الظاهر ولا لاهل الباطن
وقال بعض السلف قبله ما من عالم يحدث قوما بعلم لا تبلغه عقولهم الا كانت فتنة عليهم

شرح ثاني ما بني الاسلام عليه وهو الصلاة وذكر احكام الصلاة اول ذلك وصف الطهارة
اولها الاستنجاء وسننه وفرائض الوضوء وسننه وفضائله وفرائض الصلاة وسننها واحكام
المصلي في وقت الصلوة وادراكها وما يتعلق بها وهيئات الصلاة وآداب المصلي فيها ○

ذكر فرائض الاستنجاء قال الله جل جلاله وصدق قائلا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله
يحب المطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة بغير طهور وقال الطهور نصف
الايمان وقال مفتاح الصلاة الطهور فاول الطهارة الاستنجاء وفيه فرضان واربع سنن احد الفرضين
ازالة الحدث والثاني طهارة المزيل وهو ان لا يكون رجيع دابة ولا مستعملا مرة ولا عظم ميتة ويكره
له الاستنجاء بفحمة لانه في ذلك والسنن اربع وتر الاستجمار ثلاثا او خمسا او سبعا والاستنجاء
بالماء ومباشرة الاذى بالشمال ومسح اليد بالتراب فاما كيفية الاستنجاء فان ياخذ الحجر بشماله
ويمره على مقعدته من مقدمها مسحا الى مؤخر المقعدة ثم يرمي به هناك ثم ياخذ الحجر الثاني
فيبتدي به من مؤخر المقعدة فيمسحها مدا الى مقدمها ثم يرمي به ثم ياخذ الحجر الثالث فيديره
حول المسربة ادارة فان احتاج الى حجر آخر فيجعلها خمسا وان اكتفى بحجر واحد فلا بد من ثلثه
وان استجمر بحجر كبير ذي ثلاث شعب اجزاه عن ثلثة احجار وفي الخبر من استجمر فليوتر وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اراد الحاجة ابعد وكان يتبوأ لحاجته كما يتبوأ الرجل المنزل لانه كان لا
يقعد الفضاء بل كان ينصب وراءه شيئا او يقعد الى الحائط او نشز من الارض يستتره او كوم
من حجارة يحجبه ثم يستدبر ذلك وكان صلى الله عليه وسلم لا يستقبل القبلة لغائط ولا بول ولم
يكن يرفع ثوبه للغائط حتى يدنو من الارض فاما من اراد ان يبول قريبا من صاحبه بحيث يراه
او يحسه فلا باس بذلك فانها رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع الحياء منها بفعله لانه
كان صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء وقد كان مع ذلك يبول والى جانبه صاحبه ليسن التوسعة
في ذلك وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه فقال لا احسبك تحسن الخراءة فقال

بلى وابيك اني بها لحاذق قال فصفها لي فقال ابعد الاثر واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر
الريح واقع اقعاء الظبي واجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب الرائحة يكون بالبادية والاقعاء
في هذا الموضع ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه وفي حديث سلمان رضي الله عنه
علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة امرنا ان لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا ان
نستقبل القبلة لغائط او بول وامرنا ان يجلس احدنا على رجله اليسرى وينصب اليمنى فاما
وصف الاستبراء فهو ان يستفرغ الرجل بوله رويدا ولا يحرك ذكره فينتشر البول على الحشفة فاذا
انقطع البول على مهل مد ذكره ثلاثا من اصله الى الحشفة مدا رفيقا لئلا ينتضح البول ثم لينتره
ثلاثا ويتنحنح ثلاثا وان فعل ذلك سبعا سبعا فقد بالغ ثم ياخذ الحجر بيمينه وياخذ ذكره
بشماله ويمره عليه حتى يرى موضعه جافا فهنالك طهر حين انقطعت النداوة ومن مده الى الارض
او الحائط حتى يرى الجفوف عن اثره فمثله وهذا كافيه من الماء ما لم ينتشر البول على الحشفة ويستحب
له البول في ارض دمثة رخوة او على تراب مهيل ويكره له ان يبول مستقبل الريح او على ارض
صلبة كيلا ينتضح البول عليه وقد شبه فقهاء المدينة الذكر بالضرع وقال بعضهم انه لا يزال
يخرج منه الشيء بعد الشيء ما دمت تمره وقيل اذا وقع الماء على الذكر انقطع البول وقد كان اخفهم
استبراء واقلهم استعمالا للماء في الطهور افقههم عندهم وقد يلون ما يظهر من النداوة بعد
غسل الذكر بالماء ان ذلك من تراجع الماء يتردد في الاحليل لضيق المسلك وتلاحم انضمامه عليه
فان خشي الوسواس فلينضح فرجه بعد وضوئه وهو ان ياخذ كفا من ماء فيرشه عليه وفي خبر
ان النبي صلى الله عليه وسلم فعله ويكره مس الذكر باليمين ويخرج من الذكر خمسة اشياء البول
والمذي والودي وهو لزوجة تعقب البول اذا طال حبسه والريح والمني وكلها توجب الوضوء الا
المني وهو الماء الدافق الذي يفتر عنه الذكر وتنقطع الشهوة ومنه يخلق الانسان فانه يوجب الغسل
وما خرج من الذكر غير ذلك من دود او حصى ففيه الوضوء وقد تخفى الريح فلذلك يستحب الوضوء عند كل
صلوة وهو من المراة اظهر ○ ذكر فرائض الوضوء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضا كما
امر وفي لفظ آخر من توضا فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج
من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ آخر فلم يسه فيهما غفر الله سبحانه وتعالى له ما تقدم من ذنبه
وقال صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بما يكفر الله عز وجل به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ
الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ○

وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة فقال هذا وضوء لا يقبل الله سبحانه وتعالى الصلاة الا به ثم توضأ
مرتين مرتين فقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله سبحانه وتعالى اجره مرتين ثم توضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا
وضوءي ووضوء الانبياء قبلي ووضوء ابي ابرهيم صلوات الله عليه وعلى الانبيا اجمعين وفرائض الطهارة
ثمانية طهارة الاناء ثم الما الطاهر والنية والترتيب على نسق الكتاب وغسل الاعضاء الثلاثة المامور
بها ومسح الراس ولا ينفض يديه بالماء عند غسل وجهه وذراعيه فان ذلك يكون مسحا ولا يلطم وجهه
بالماء لطما فانه مكروه ولكن ليحمل الماء بيديه معا الى وجهه ثم تسيله عليه سيا ويغسل وجهه غسلا
من اصول شعر راسه الى ما ظهر من لحيته وعلى ما استرسل منها وليدخل البياض الذي بين اذنيه ولحيته
في غسل وجهه وليدخل مرفقيه في غسل ذراعيه وهذا فرض وينبغي ان يقطر الما من وجهه وذراعيه قطرا
وكيفية مسح الراس ان يمسحه ببل ماء جديد يبتدي بمقدم راسه ثم يمد يديه الى موخره ثم يردهما
الى اليافوخ هذه مرة وليمسح راسه اجمع وهذه الاربعة الاعضاء هي المنصوص عليه فاما ذكر الواو في الترتيب
فاني سمعت بعض فقهاء العرب من اهل اللغة بمكة يقول ان الواو وان كانت للجمع ولا تقتضي الترتيب في الظاهر
فانه اذا لم يرد بها الجمع بين شيئين او استحال ان تجمع بها بين اثنين معا فانها تقوم حينئذ مقام ثم وتكون
للترتيب لا غير ¤ ذكر سنن الوضوء وهي عشرة التسمية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق والاستنثار
وهو اخراج الماء من الانف وتخليل اللحية ومسح الاذنين وغسل كل عضو ثلاثا منها مسح الراس ثلاثا وان
يبدا بالميامن وتخليل اصابع القدمين ¤ ذكر فضائل الطهارة وما يقول عند كل عضو من الاذكار
اول ذلك ان يتوضا قاعدا مستور العورة وان لا يكون الما مشمسا وقد كره ذلك وقيل ان كراهيته
في ارض الحجاز خاصة واسباغ الوضوء سيما في الشتاء فانه من عزائم الدين قال بعض السلف
وضوء المومن في الشتاء بالماء البارد يعدل عبادة الرهبان وان لا يعتدي في الطهور فقد نهي عن
ذلك وهو ان يغسل كل عضو فوق ثلاث والوضوء على الوضوء نور وهو ان يتوضا لكل صلاة وعن غير
حدث فان ذلك مستحب اذا امكن وله بكل وضوء عشر حسنات ويجزيه ان يصلي الخمس بوضوء
واحد فقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والوضوء على حدته قربة الى الله عز وجل اذا نوى به العبد
ذلك من غير ان يصلي به وفي الخبر اذا توضا العبد خرجت ذنوبه من جميع اعضائه وتكون الصلاة
نافلة ويستحب ان يتوضا العبد كلما بال ما لم يشق ذلك عليه وان يصلي ركعتين كلما توضا ثم لا
يتكلم في وضوئه الا بذكر الله تعالى وان يقول عند غسل كل عضو ما يستحب من الدعاء فيقول
عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويقول عند التسمية

اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ويقول عند غسل يده اللهم اني اسالك اليمن
والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة ويقول عند المضمضة اللهم اعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك
ويقول عند الاستنشاق اللهم صل على محمد واوجدني رايحة الجنة وانت عني راض ويقول عند الاستنثار
اللهم اني اعوذ بك من روايح النار ومن سوء الدار ويقول عند غسل وجهه اللهم بيض وجهي يوم تبيض فيه
وجوه اوليايك ولا تسود وجهي يوم تسود فيه وجوه اعدايك وعند غسل يمينه اللهم صل على محمد آتني
كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا وعند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك ان توتيني كتابي بشمالي او من
وراء ظهري وعند مسح الراس اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت عرشك يوم
لا ظل الا ظلك ويقول عند مسح الاذنين اللهم اجعلني ممن يستمع القول فيتبع احسنه اللهم اسمعني منادي
الجنة مع الابرار ثم يمسح عنقه فيقول اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ويقول
عند غسل قدمه اليمنى اللهم ثبت قدمي على الصراط مع اقدام المومنين ويقول عند غسله اليسرى اللهم اني
اعوذ ان تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه اقدام المنافقين وان يبتدي بغسل الذراعين من اصابع الكفين
ويقطع من المرفقين في كل غسلة وان يرفع في غسل الذراعين الى انصاف العضدين وان يبتدي بغسل القدمين
من الاصابع ويخللهما من الميامن فيقطع غسلهما من الكعبين ويرفع غسل الرجلين الى انصاف الساقين
ويبدا من اصابع اليد اليمنى خنصرها ويبدا من اصابع اليسرى ابهامها فاذا فرغ من وضوئه رفع راسه الى السماء ثم
قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا
انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم
اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني شكورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا
يقال انه من قال هذا عند فراغه من الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله
سبحانه وتعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيمة واكره الوضوء في اناء صفر سمعت ان العبد
اذا توضا احتوشته الشياطين توسوس اليه فاذا ذكر الله سبحانه وتعالى خنست عنه وحضرته الملايكة
فان كان وضوءه في اناء صفر او نحاس لم تحضره الملايكة وروي عن ابن عمر وابي هريرة كراهة ذلك وقال
بعضهم سالني شعبة ان اخرج له وضوءا فاخرجته في اناء صفر فلم يتوضا وقال حدثني عبد الله بن دينار
عن ابن عمر انه كره الوضوء في اناء صفر ¤ صفة الغسل من الجنابة يضع الاناء عن يمينه ثم يسمي الله
سبحانه وتعالى ويفرغ على يديه ثلاثا قبل ادخالهما الاناء ثم يغسل ذكره ويستنجي ثم يتوضا وضوءه
للصلاة كاملا الا غسل قدميه ثم يدخل يديه في الاناء بما حملتا من الماء فيصب على شقه الايمن

ثم ... ظهرا وبطنا الى فخذه وساقه ثم يغسل شقه الايسر كذلك ثلاثا ظهره وبطنه الى فخذه وساقه
ويدلك ما اقبل من جسده وما ادبر بيديه معا ثم يدخل يديه مما حملتا من الماء فيفيض على راسه ثلاثا
ويخلل شعر راسه باصابعه ويبل الشعر وينقي البشرة ثم يتنحى من موضعه قليلا قليلا فيغسل
قدميه فان فضل من الاناء ماء افاضه على سائر جسده وامر يديه على ما ادركتا من بدنه فان قدم غسل
رجليه فادخلهما في اول وضوءه فلا باس ولا وضوء عليه بعد الغسل وليتق ان يمس ذكره في تضاعيف
ذلك فيعيد فان مس ذكره فليعد وضوءه وان نسي المضمضة والاستنشاق في غسل الجنابة حتى صلى
اجبت ان يتمضمض ويستنشق ويعيد الصلاة وان نسيهما في الوضوء فلا اعادة عليه وكيف ما اتى
بغسل جسده من الجنابة فجائز بعد ان يعم جميع بدنه غسلا ومن لم يتوضا قبل الغسل اجبت ان يتوضا
بعده ومن انغمس في نهر اجزاه من الغسل واحب ان يتوضا وفرض غسل الميت كغسل الجنابة

كتاب الصلاة

ذكر فرائض الصلاة قبل الدخول فيها وهي سبع اول ذلك طهارة
الجسد وطهارة الثوب وطهارة البقعة وستر العورة وهي من السرة الى الركبة واستقبال القبلة
واصابة الوقت والقيام الا من عذر وهي في صلبها اثنا عشر خصلة روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مفتاح الجنة الصلاة وروي عنه صلى الله عليه وسلم تحريمها التكبير وتحليلها التسليم فاول ذلك النية
وتكبيرة الاحرام بلفظ التكبير وليس للعرب في لفظ التكبير بمعنى الاكبار الا وزن افعل والافعل فيقولون
الله اكبر والله الاكبر وليس يقولون الله كبير وهم يريدون معنى اكبر مما سواه انما يقولون كبير بمعنى عظيم
لان هذه اعجمية عربت وقد يقول العرب الله كبار ولكن ليس بمعنى اكبر انما هو بمعنى كبير والتفخيم
للتعظيم ثم يقرا سورة الحمد اولها بسم الله الرحمن الرحيم والركوع ثم الطمانينة في الركوع والاعتدال
قائما والسجود ثم الطمانينة في السجود والجلسة بين السجدتين والتشهد الاخير والصلاة على محمد صلى الله والسلام الاول
عليه وسلم لا تجزي صلاة لا يقيم فيها الرجل صلبه بين الركوع والسجود وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم
راى رجلا يصلي لا يقيم ظهره في ركوعه وسجوده فقال له ارجع فصل فانك لم تصل ثم راه لا يطمئن
في السجود والركوع فامره ايضا باعادة الصلاة ثم علمه الطمانينة بينهما والقيام فيهما فقال
حتى تطمئن مفاصلك وتسترخي ورأى حذيفة بن مسعود رضي الله عنهما رجلا يصلي ثم لا يتم ركوعه
وسجوده فقال لو مات هذا لمات على غير فطرة ابي القاسم صلى الله عليه وسلم في حديث احدهما منذ كم تصلي
هذه الصلاة فقال منذ اربعين سنة فقال ما صليت منذ اربعين سنة وعن كعب الاحبار قسمت الصلاة
ثلاثة اثلاث ثلث طهور وثلث ركوع وثلث سجود فمن نقص احدهما لم يقبل منه سائرها

ذكر سنن الصلاة وهي اثنا عشر سنة رفع اليدين بتكبيرة الاحرام وصورة الرفع ان تكون كفاه مع منكبيه
وابهاماه عند شحمة اذنيه واطراف اصابعه مع فروع اذنيه فيكون بهذا الوصف من الرفع مواطئا للاخبار
الثلاثة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يرفع يديه الى منكبيه وانه كان يرفعهما الى شحمة اذنيه
وانه رفع الى فروع اذنيه يعني اعاليهما ولفظ التكبير ان يضم الهاء من الاسم بتخفيف الضمة من غير بلوغ واو
ويهمز الالف من اكبر ولا يدخل بين الباء والراء الفا ويجزم الراء لا يجوز غير هذا فيقول الله اكبر ثم لا يدفع
يديه اذا كبر الى قدام دفعا ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما اذا فرغ من التكبير عن يمين
وشمال نفضا ولكن يلصق كفيه بمنكبيه وتكون اصابعه تلقاء اذنيه ثم يكبر ويرسلهما ارسالا
خفيفا رفيقا ويكون ارساله يديه مع آخر التكبير لا يرسلهما قبل انقضاء التكبير ولا يوقفهما بعد فراغه
من التكبير ثم يستانف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
كان اذا كبر ارسل يديه فاذا اراد ان يقرا وضع اليمنى على اليسرى ويقبض على زند كفه الشمال ويجعلهما
تحت صدره ثم التوجه فيقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ثم
يقول ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين ويقول
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك فقد روي جميع ذلك وجمعه حسن الا ان يكون
خلف الامام ولا يكون للامام سكتتان فلا يمكنه ان ياتي بهذا التوجه كله مع قراءة الحمد فلا يشتغل حينئذ
الا بقراءة الحمد يغتنم قراءتها في سكتة الامام واحذر ان تقرا في قراءة الامام او تركع او تسجد او ترفع راسك
قبله ثم الاستعاذة ثم قراءة سورة من القرآن او ثلاث آيات من سورة بعد الحمد والتامين بعد قراءة الحمد
سنة حسنة فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر به ثم رفع اليدين بالتكبير للركوع سنة ايضا ثم التسبيح
للركوع ان اردت عشرا او سبعا ولا اقل من ثلاث وانما قيل ان الثلاث ادنى الكمال لان الكمال عشرة
قال الله سبحانه وتعالى تلك عشرة كاملة ولتكن الثلاث بعد ان يضع يديه على ركبتيه وقبل ان يرفعهما لانه
اذا لم يتحفظ من ذلك وتمهل فيه حصل من التسبيح واحدة بعد الركوع وتكون الاولى والاخرى في الانحطاط
والرفع وهذا مكروه وصورة الركوع ان يفرج بين اصابعه فيملا بهما ركبتيه ويجافي عضديه عن جنبيه
ولا يرفع راسه ولا يخفضه وليمد عنقه مع ظهره سواء ولا يكون ظهره مخفوضا الى اسفل ولا منقبوا
الى فوق ثم رفع اليدين يقول سمع الله لمن حمده سنة ويقول اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات والارض
وما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ثم التسبيح في السجود ان شاء عشرا او سبعا وادناه ثلاثا
ولتكن الثلاث بعد حصول جبينه على الارض وقبل رفعه اياه والا كانت واحدة تذهب الاولى في حال

وضع الوجه والاخرى في حال رفع الراس فتحصل تسبيحة واحدة في كل سجدة ومن اغير مستحب ان ينقص
من ثلاث وقال انس بن مالك رحمه الله ما رايت اشبه صلوة برسول الله صلى الله عليه وسلم من امامكم
هذا يعني عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال كنا نسبح وراءه في الركوع والسجود عشرا عشرا ويجعل
راسه بين كفيه في سجوده مضموما اصابع اليدين مستقبلا بهما القبلة ويفتح عينيه في سجوده فانهما
يسجدان اذا كانتا مفتوحتين ويجافي عضديه عن جنبيه ويمد ظهره ويرفع بطنه عن فخذيه ويستحب
ان يباشر الارض بكفيه فانهما يسجدان مع الوجه ثم التكبير للسجود وللرفع من السجدتين وللقيام بعد
السجود بلسانه من غير رفع يدين ثم يقول رب اغفر لي وارحمني ثلاثا روي ذلك عن ابن عمر وان قال رب اغفر
وارحم وتجاوز عما تعلم فانك انت الاعز الاكرم فجائز روي ذلك عن ابن مسعود وان قال رب اغفر لي وارحمني
واهدني واجرني وانعشني فحسن قد روي ذلك عن علي رضي الله عنه ثم التشهد الاول ثم السلام الاخر
بالالف واللام وضم الميم من السلام من غير تنوين ومد الاسم وجزم الهاء منه فيقول السلام عليكم ورحمة الله
ويلتفت وجهه بالسلام حتى يتبين خداه لمن عن يمينه وشماله ويلوي به عنقه الى منكبيه كذلك
كان يسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان يحول جسمه عن القبلة ولا يرفع فخذه عن الارض

ذكر احكام الصلاة في الفوت والادراك ومن ادرك من صلوة رباعية رابعها او الثالثة من صلاة
المغرب فانما ادرك هو اول صلاته فليبن على ذلك ومن ادرك مع الامام بعض القيام افتتح سورة الحمد
ولم يركع حتى يتمها وان رفع الامام راسه من الركوع ركع بعده ومن لم يدرك مع الامام من القيام شيئا
كبر للاحرام ثم كبر وركع ويعتد له ركعة وان ركع الامام وهو في قراءة سورة غير الحمد فليقطع حيث انتهى
وليركع بعده ومن ادركه في التشهد او في السجود ابتدا التكبير للاحرام قائما ثم جلس وسجد للاتباع
فاذا سلم الامام قام من غير تكبير يحدثه ثانيا وابتدا بقراءة الحمد عند قيامه ولا يعتد بشيء
مما ادرك مع الامام الا بالركوع وهو ان يكون قد وضع يديه على ركبتيه واطمان قبل ان يرفع الامام
راسه فهي له ركعة ومن دخل في صلوة مكتوبة ثم ذكر ان عليه اخرى احببت ان يتمها ثم يصلي التي
ذكر ثم يعيد هذه الصلاه ومن وافق الامام في صلوة العصر ولم يكن صلى الظهر صلى معه ثم صلى الظهر
ثم اعاد بعدها صلاة العصر قاله بعض الصحابة وهو احب الوجوه الي ومن تكلم في صلاته ناسيا او
سلم في ركعتين من صلاة رباعية فليسجد سجدتي السهو بعد التشهد فان كان قد خرج من المسجد او تطاول
ذلك احببت ان يعيد الصلاة ومن تكلم او سلم عامدا او استدبر القبلة او انكشفت عورته او رعف
في صلاته او ذكر انه نسي مسح راسه او غسل عضو من اعضائه اعاد الصلاة ومن فاته جماعة فتطوع

رجل قام يصلي معه واحببت ان يكون هو المصلي به فرضه ليخرج من الخلاف ويدخل في فرض الجماعة ولا
استحب ان يصلي فرضا خلف رجل يتطوع ولا اكره صلاة النوافل جماعة ولا سجود سهو على العبد
فيما جهر فيه مما يخافت ولا فيما خافت فيه مما يجهر ومن شك في ثلاث ركعات او اثنتين فليجعلهما اثنتين
ومن شك في اربع او ثلاث حسبها ثلاثا يبني ابدا على اليقين وهو الاقل ثم يسجد سجدتي السهو قبل
السلام وعليه ان يتشهد ثانيا لسجدتي السهو وصلاته تامة ومن سها عن سجدتي السهو فان ذكر قريبا
او قبل ان يخرج من المسجد فاحب ان يسجدهما وان تطاول الوقت او كان قد خرج من المسجد سقط عنه
ومن شك في القبلة لدخول ظلمة او فقد ادلة تحرى جهده فان تبين له ان القبلة بخلاف ذلك
احببت ان يعيد واستحب سجود السهو فيما زاد بعد التسليم وفيما نقص قبله فان سجدهما في الزيادة
والنقصان قبل السلام فحسن ذلك كله قد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم فان لحقه وهم ليس شكا
ولكنه وهمه في الصلاه احببت ان يجعل سجوده ابدا بعد السلام ومن صلى في حال ضرورة بنقصان
طهارة او نقصان من فرائض الصلاة احببت ان يعيد متى قدر على ذلك ومن صلى في ثوب ثم راى فيه
نجاسة بعد ذلك اعاد ما دام في الوقت قبل ان يدخل وقت صلوة اخرى فان خرج جميع الوقت فلا اعادة
عليه ولو اعاد تلك الصلاة متى راى تلك النجاسة كان احب الي ومن كانت عليه صلوات فرط فيها باضاعة
او نقصان حدود صلاتها احببت الي متوالية صلوة يوم في وقت واحد ان امكن او في الاوقات متفرقة
نسقا وان يكون ذلك في غير الاوقات المنهي فيها عن الصلوة احب الي ومن علم في صلاته ان عليه ثوبا
فيه نجاسة او انه غير مستقبل القبلة فليلق الثوب وليستقبل القبلة وليتم صلاته وان اعادها
فهو احب الي **ذكر** هيئات الصلاة السواك قبل الصلاة من فضائلها روي في الخبر ان الصلاة بسواك
تفضل على صلاة بغير سواك سبعين ضعفا واستحب له ان يقرا قل اعوذ برب الناس قبل دخوله في
الصلاة فانه جنة له من العدو وان يستعيذ في كل ركعة قبل قراءة الحمد لانه يكون قاريا للقران
ولان كل ركعة صلاة وان يضم اصابع كفيه في التكبير وان يراوح بين قدميه في القيام لا يضم كعبيه
ولكن يجعل بين قدميه مقدار اربع اصابع فان ذلك يستحب قال بعضهم كانوا يستحبون الا م
اذا كبر في ضم الاصابع واذا قام في تفرقة الاقدام فيستدلون بذلك على فقهه ونظر ابن مسعود
رضي الله عنه الى رجل قد الزق كعبيه في الصلاة فقال لو راوح بينهما كان قد اصاب السنة ويروى
في خبر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصفن والصفد في الصلاة فاما الصفن فرفع احدى الرجلين
من قوله سبحانه وتعالى الصافنات الجياد اذا عطف الفرس طرف سنبكه واما الصفد فهو اقتران

القدمين معًا ومنه قوله تعالى مُقرّنين في الاصفاد واحدها صَفَد وقد رايت بعض العلماء يُفرّق بين اصابعه
في التكبير ويتاول ان ذلك معنى الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا كبّر نشر اصابعه نشرًا وذلك محتمل لتوكيده
بالمصدر وهو قوله نشرًا فيصلح ان يكون قوله نشرًا يريد به التفرقة وقد يسمّى التفرقة بثًّا ونشرًا الا ان
حقيقة النشر البسط وقد قال سبحانه وتعالى وزرابي مبثوثة فهذا هو التفرقة وقال في معنى البثّ كالفراش
المبثوث ثم قال سبحانه وتعالى كانهم جراد منتشر فاذا كان النشر مثل البث وكان البث هو التفرقة كان قوله
نشر بمعنى فرّق الا ان اسحق بن راهويه سُئل عن معنى قوله نشر اصابعه في الصلوة نشرًا فقال هو فتحها
وضمّها اريد بذلك ان نعلم انه لم يكن يقبض كفّه وهذا وجه حسن لان النشر ضدّ الطيّ في المعنى والقبض طيّ
ورايت ثلاثة من العلماء يفرّقون اصابعهم في التكبير منهم ابو الحسن صاحب الصلوة في المسجد الحرام وكان فقيها
ورايت ثلاثة يضمّون اصابعهم منهم ابو الحسن بن سالم وابو بكر الآجري وقول آمين من فضائل الصلاة روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فانّه من وافق تامينه تامين الملائكة
غفر له ما تقدّم من ذنبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بامين وفي لفظ امين لغتان المدّ والقصر
والميم فيهما مخففة لانك اذا شددت الميم احلت المعنى فيكون قاصدين من قوله سبحانه وتعالى ولا
آمّين البيت الحرام وان ترك احدى يديه على الاخرى قابضًا على الزندين بين السرّة والصدر فان ذلك من الخشوع
وقال بعض العلماء ما احسنه من ذلّ بين يدي عزّ وجلّ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه من سنن المرسلين وفسّر
علي عليه السلام قوله تعالى فصلّ لربك وانحر قال وضع اليمين على الشمال وهذا موضع علم علي رضي الله عنه ولطيف
معرفته لان تحت الصدر عرقًا يقال له الناحر ولا يعلمه الا العلماء فاشتق علي رضي الله عنه قوله وانحر من
لفظ الناحر اي ضع يدك على الناحر وهو هذا العرق كما يقال ادمغ اي اصب الدماغ لم يحمله على نحر البدن لانه
ذكر في الصلاة ومن الناس من يظن ان اشتقاقه من النحر والنحر هو تحت الحلقوم عند ملتقى التراقي
واليد لا توضع هناك الا من قال من اهل اللغة في معناه وانحر اي واجه القبلة بنحرك فهذا المعنى وجه
ولا يقعي في الصلاة وهو ان يجلس على قدميه وينصب ركبتيه هذا مذهب اهل اللغة في الاقعاء او على ركبتيه
واصابع رجليه في الارض هذا مذهب اهل الحديث وليجتنب السدل والكفّ فامّا السدل فان يرخي اطراف
ثيابه على الارض وهو قائم يقال سدل وسدن بمعنى واحد قد تبدل اللام نونًا لقرب المخرجين اذا ارسل
ثيابه ومنه قيل سدنة الكعبة واحدهم سادن وهم قوّامها الذين يسبلون عليها كسوتها وسدانة الكعبة
ثيابها المسبلة وهذا قول اهل اللغة ومذهب اهل الحديث في السدل ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه
من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه

اذا ركع ويسجد ويداه في بدن القميص الا ان يكون واسعًا فلا باس ان يركع ويداه من داخل القميص ويسجد
واحدى يديه في بدن القميص اذا اتسع فامّا ان يدخل يديه في جسد القميص في السجود فمكروه وقد قال بعض
الفقهاء في السدل قولًا ثالثًا قال هو ان يضع وسط ازاره على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير
ان يجعلهما على كتفيه وهذا قول بعض المتاخرين وليس بشيء عندي والاولان احبّ اليّ فهما مذهب القرّاء
وامّا الكفّ فقد نهي عنه في الصلاة ايضًا وهو ان يرفع ثيابه من بين يديه او من خلفه اذا اراد السجود
واكره ان يأتزر فوق القميص فانه من الكفّ وقد روي عن احمد بن حنبل رضي الله عنه كراهية ذلك وروينا
عن بعض اولاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرخصة في ذلك انه صلى باصحابه محتزمًا بعمامته فوق القميص
وقد يكون الكفّ في شعر الراس فلا يصلين وهو عاقص شعره وفي الحديث امرت ان اسجد على سبعة اعضاء ولا
اكفّ شعرًا ولا ثوبًا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاختصار في الصلاة وعن الصلب فامّا الاختصار
فان يضع يده على خاصرته وامّا الصلب فان يضع يديه جميعًا على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في القيام
ولتقع ركبتاه الى الارض قبل يديه ويداه قبل وجهه وان يسجد على جبهته وانفه فانهما عضو واحد
ولينهض على صدور قدميه فان ضعف فليعتمد على الارض بيديه وان لا يلتفت في صلاته يمينًا ولا شمالًا
ولا يلحظ عن يمين وشمال فان لحظ فهو ايسر وليوم ببصره الى موضع سجوده فان لم يفعل فليقابل بوجهه
تلقاء القبلة ولا يعبث بشيء من بدنه في الصلاة وروي ان سعيد بن المسيب رحمه الله نظر الى رجل يعبث
بلحيته في صلاته فقال لو خشع هذا لخشعت جوارحه وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق
ونهى عن المواصلة في الصلاة وهي خمس اثنتان على الامام ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا يصل ركوعه
بقراءته واثنتان على الماموم ان لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما
بتكبير ان لا يصل تسليم الفرائض بتسليم التطوع وليفصل بينهما وقد قيل التسليم جزم والتكبير جزم وقد جاء
في الخبر سبعة اشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاوب والحكاك والالتفات
والعبث بالشيء وزاد بعضهم والسهو والشك وقال بعض السلف اربعة في الصلاة من الجفاء الالتفات
ومسح الوجه وتسوية الحصى وان تصلي بطريق من يمرّ بين يديك وزاد بعضهم وان تصلي في الصف الثاني
وفي الصف الاول فرجة وقد نهي عن صلاة الحاقن والحاقب والحازق فالحاقن من البول والحاقب من وجود
الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فلا يصلي من كان به من الثلاث لانها تشغل القلب واكره صلاة
الغضبان والمهتم بامر ومن عرضت له حاجة حتى يسري عن قلوبهم ذلك ويطمئن القلب ويتفرغون
للصلوة ومن شغل قلبه حضور الطعام وكانت نفسه تائقة اليه فليقدم الاكل لقوله صلى الله عليه وسلم

إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء إلا أن يضيق الوقت، وفي الخبر لا يدخلن أحدكم في الصلاة
وهو مقطب، ولا يصلين أحدكم وهو غضبان، وكان الحسن يقول كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى
العقوبة أسرع **ذكر** فضائل الصلاة وآدابها وما يذكر به أهلها ووصف صلاة الخاشعين قال الله سبحانه
وتعالى ولا تكن من الغافلين وقال لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى
من حب الدنيا وقيل من الاهتمام وقال جل ثناؤه الذين هم على صلاتهم دائمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم إنما
الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتباؤس وتنادم وتقنع بيديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل
فهي خداج وروينا عن الله سبحانه وتعالى في الكتب السالفة أنه قال ليس كل مصل أتقبل صلاته
إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر علي وأطعم الفقير الجائع لوجهي ومن الإقبال على الصلاة
أن لا تعرف من عن يمينك ولا من عن شمالك من حسن القيام بين يدي القائم على كل نفس بما كسبت وكذلك
فسروا قوله عز وجل والذين هم في صلاتهم خاشعون وقال سعيد بن جبير ما عرفت من عن يميني ولا من عن
شمالي في الصلاة منذ أربعين سنة منذ سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول الخشوع في الصلاة أن لا يعرف
المصلي من عن يمينه وشماله وروينا عن بشر بن الحارث رحمه الله قال قال سفيان رضي الله عنه من لم
يخشع فسدت صلاته وروينا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه من عرف من عن يمينه وشماله وهو في الصلاة
متعمداً فلا صلاة له وقد أسنده إسمعيل بن أبي زياد عن بشر بن الحارث عنه والثوري أيضاً من قرأ كلمة
مكتوبة في حائط أو بساط في صلاته فصلاته باطلة قال بشر يعني بذلك لأنه عمل في الصلاة ومن الدوام
في الصلاة السكون فيها وعلى ذلك فسر قوله الذين هم على صلاتهم دائمون قيل هو السكون والطمأنينة
في الصلاة من قولك ماء دائم إذا سكن قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في
الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة ثم إصغاء القلب للفهم وخشوعه للتواضع
وسكون الجوارح للهيبة ثم الترتيل في القراءة والتدبر لمعاني الكلام وحسن الافتقار إلى المتكلم في
الإفهام والإيقاف على المراد وصدق الرغبة في الطلب للاطلاع على المطلع من السر المكنون المستودع
فإن مر بآية رحمة سأل ورغب وآية عذاب فزع واستعاذ أو مر بتسبيح وتعظيم وحمد سبح وعظم
وحمد فإن قال بلسانه خشع وإن أسر في قلبه وفرغ به همه ناب قصده عن المقال وكان فقره
غاية السؤال وهذا أحد الوجهين في قوله عز وجل يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به هكذا كان وصفهم
في التلاوة وينبغي أن يكون قلبه بوصف كل ركن من أركان الصلاة وهمه معلقاً بكل معنى من معاني

المناجاة فإذا قال الله أكبر لا يكون في قلبه أكبر من الله تعالى إن عقل ما يقول لأن معنى قوله الله أكبر أي أكبر
مما سواه ولا يقال أكبر من صغير إنما يقال أكبر من كبير فيقال هذا أكبر وهذا أكبر فإن كان همه الملك الأكبر
كان ذكر الله سبحانه وتعالى الأكبر في قلبه فيواطئ قلبه قول مولاه الكريم في قوله عز وجل ولذكر الله أكبر ويواطئ
لسانه قلبه في مشاهدة الأكبر فيكون يتلو وينظر فإن الله سبحانه وتعالى قدم العين على اللسان في قوله سبحانه
وتعالى ألم نجعل له عينين ولساناً فلا يتقدم لسانه ويؤخر بصره ويكون عقده محققاً لمقاله بالوصف
حتى يكون عاملاً بما يقول في الحال فقد أخذ عليه ذلك لما أمر به حجة عليه وتنبيهاً له ولا يكون بقوله الله أكبر
حاكياً ذلك عن قول غيره ولا مخبراً به عن سواه بل يكون هو المتحقق بالمعنى القائم بالشهادة وهذا عند
أهل المعرفة واجب لأن الإيمان قول وعمل في كل شيء فإذا قلت الله أكبر فإن العمل بالقول أن يكون الله سبحانه
وتعالى أكبر في قلبك من كل شيء وهو من رعاية العهد ليدخل تحت الثناء والمدح في قوله عز وجل والذين هم
لأماناتهم وعهدهم راعون فالعهد ما أعطيت بلسانك والرعاية الوفاء بالقلب ليستحق الأجر العظيم كما قال
السيد الكريم ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ومن كان في قلبه الملك الأصغر الفاني
أكبر من الملك الأكبر فما عمل بقوله الله أكبر وليس هذه حقيقة الإيمان لأنه لم يأت بعمل وقول وإنما جاء بالقول
وهذا قائم بنفس مشاهدة الدنيا فهو عند نفسه فلذلك كانت قرة عينه شهوة نفسه ولو كان عند ربه
عز وجل كانت مشاهدة الآخرة وكانت قرة عينه الآخرة كما قال سبحانه وتعالى ما عندكم ينفد يعني الدنيا
وما عند الله باق يعني الآخرة وقد قال صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عيني في الصلاة لأنه كان عند ربه فجعل
قرة عينه به وقد قال سبحانه وتعالى ولذكر الله أكبر فالمذكور أكبر وأكبر وقد أخبر سبحانه وتعالى أن الصلاة
أريد بها الذكر في قوله سبحانه وتعالى وأقم الصلاة لذكري وروي في معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله سبحانه وتعالى فإذا لم يكن في
قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأنس بن مالك رضي الله عنه وإذا صليت صلاة فصل صلاة مودع أي مودع لنفسه مودع لهواه مودع
لعمره سائر إلى مولاه كما قال يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه وكقوله تعالى واتقوا الله
واعلموا أنكم ملاقوه وقال النبي صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عيني في الصلاة وكان يرى الأكبر فتقر عينه
به وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله سبحانه وتعالى إلا بعداً
كما قال صلى الله عليه وسلم من لم يترك قول الزور والخيانة فليس لله سبحانه وتعالى حاجة في أن يترك طعامه
وشرابه فإنما المراد من الصلاة والقيام المخالفة من الآثام ومن إقامة الصلاة وإتمامها الوضوء لها

قبل دخوله فيها وينبغي ان يكون قلبه في همّه وهمّته مع ربّه ودينه في قلبه فينظر اليه من داخله ويكلّمه بخطابه ويتملّقه بمناجاته ويعرفه من صفاته فانّ كل كلمة عن معنى اسم او وصف او خلق او حكم او ارادة او فعل لانّ الكلم ينبئ عن معاني الاوصاف ويدلّ على الموصوف وكل كلمة من الخطاب يتوجّه عشر جهات للعارف من كل جهة مقام ومشاهدات اوّل الجهات الايمان بها والتسليم لها والشكر عليها والمحبّة لها والتوكّل فيها فهذه المقامات العشر هي مقامات اليقين لانّ الكلمة هي حق اليقين وهذه المعاني كلها منطوية في كل كلمة تشهد بها اهل التملّق والمناجاة ويعرفها اهل العلم والحيوة لانّ كلام المحبوب حيوة القلوب لا ينذر به الا حيّ ولا يحيى به الا مستجيب قال الله سبحانه وتعالى ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيّا وقال سبحانه وتعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولا تشهد هذه العشر مشاهدات الا من يقبل في العشر مقامات المذكورة في سورة الاحزاب اوّلها مقام المسلمين وآخرها مقام الذاكرين وهذا مقام الذاكر لهذه المشاهدات العشر فعندها لا يملّ المناجاة بوجود المصافاة ولا يثقل عليه القيام للذاذة الافهام ويسهل عليه الوقوف لدنوّ العطوف ويتنعّم بالعتاب بحلاوة الاقتراب هنالك يندرج طول القيام في التلاوة فلا يجهله كما يندرج القبلة في الصلاة فلا يشهدها فتكون القبلة من ورائه وهو امامها كذلك القيام يحمله وهو مع حامله حدّثت ان المؤمن اذا توضّا للصلاة تباعدت عنه الشياطين في اقطار الارضين خوفا منه لانه يتاهّب للدخول على الملك فاذا كبّر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر اليه وواجهه الجبار سبحانه وتعالى بوجهه فاذا قال الله اكبر اطّلع الملك في قلبه فاذا ليس في قلبه اكبر من الله سبحانه وتعالى فيقول صدقت الله سبحانه وتعالى في قلبك كما تقول قال فيتشعشع من قلبه نور يلحق ملكوت العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام الى الوضوء احتوشته الشياطين كما يستحوذ الذباب على نقطة العسل فاذا كبّر اطّلع الملك في قلبه فاذا كل شيء في قلبه اكبر من الله سبحانه وتعالى عنده فيقول لقد كذبت ليس الله عزّ وجلّ في قلبك كما تقول قال فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت قال فيزداد ذلك الحجاب صلابة ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس اليه ويزيّن له حتى ينصرف من صلاته لا يعقل ما كان فيه وقد جاء في الخبر لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت السموات وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكّها بعرجون كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ اثرها بزعفران ثم التفت الينا فقال ايّكم يحبّ ان يبزق في وجهه فقلنا لا ايّنا قال فانّ

احدكم اذا دخل في صلاته فانّ الله سبحانه وتعالى بينه وبين القبلة وفي لفظ آخر واجهه الله سبحانه وتعالى بوجهه الكريم فلا يبزقنّ احدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله او تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليقل به هكذا وذلك بعضه ببعض وقد روي اذا قام العبد في صلاته فقال الله اكبر قال الله سبحانه وتعالى للملائكة ارفعوا الحجاب بيني وبين عبدي فاذا سها في صلاته او حدّث نفسه بشيء يقول الله عزّ وجلّ للملائكة ارسلوا الحجاب بيني وبين عبدي فاذا التفت يقول الله سبحانه وتعالى عبدي الى من تلتفت انا خير لك ممن تلتفت اليه ثم اذا قام المقبل على صلاته شهد قلبه قيامه لربّ العالمين في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم شهد وقوفه بالحضرة بين يدي الملك الجبار اذ ليس من الغافلين فياخذه هيبة الحضور ورهبة اجلال الحاضر ويستولي عليه تعظيم القريب ويجمعه خشية الرقيب فاذا تلا وقف همّه مع المتكلم ماذا اراد واشتغل قلبه بالفهم عنه والاستنباط منه فاذا ركع وقف قلبه مع التعظيم للعظيم فلا يكون في قلبه اعظم من الله سبحانه وتعالى وحده واذا رفع شهد الحمد للمحمود فوقف مع الشكر للودود فاستوجب منه المزيد وسكن قلبه بالرضى لانه حقيقة الحمد واذا سجد سما قلبه في العلوّ فقرب من الاعلى لقوله سبحانه وتعالى واسجد واقترب واهل المشاهدة في السجود على ثلاثة مقامات منهم اذا سجد كوشف بالجبروت الاعلى فيسجد امام العرش مواجها للوجه ومجاورا للملا الاعلى تلقاء الافق الاعلى فيعلو الى القريب ويدنو من الحبيب وهذا مقام المقربين من المحبوبين ومنهم اذا سجد كوشف بملكوت العزّة فيسجد على الثرى الاسفل عند وصف من اوصاف القادر الاجل فينكسر قلبه ويخبت تواضعا وذلا للعزيز الاعلى وهذا مقام الخائفين من العابدين ومنهم اذا سجد جال قلبه في ملكوت السموات والارض فثاب بطرائف الفوائد وشهد غرائب الزوائد وهذا مقام الصادقين من الطالبين وهناك قسم رابع لا يذكر بشيء ليس له وصف فيستحق المدح وهم الذين تجول همومهم في اعطية الملك وانصبة الممالك فهم محجوبون بالهمم الدنية عن الشهادة العلية ماسورون بالهوى عن السياحة الى الاعلى فان دعا هذا المصلي نظر الى المدعوّ فكان هو المرجوّ فاخذ في التمجيد والثناء والحمد والآلاء ونسي حاجاته من الدنيا واشتغل عن نفسه بالمولى وعن مسألته بحسن الثناء وان استغفر هذا الداعي تفكّر في اوصاف التوبة واحكام التائب فتذكّر ما سلف من الذنوب فعمل في تصفية الاستغفار واخلاص الانابة والاعتذار وجدّد عقد الاستقامة فيكون له هذا الاستغفار من الله سبحانه وتعالى محبّة وذكرا منه في مثل صلوة هذا العبد وردت الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله سبحانه وتعالى الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلّون بصلاته ويؤمّنون

على دعائه وان المصلي لينتثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق راسه وينادي به منادٍ لو علم المناجي
من يناجي ما انفتل وان ابواب السماء تفتح للمصلين وان الله سبحانه وتعالى يباهي ملائكته بصفوف
المصلين وفي التوراة مكتوب يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت
من قلبك وبالغيب رأيت نوري قال وكنا نرى ان تلك الرقة والبكاء وتلك الفتوح التي يجدها المصلي
في قلبه من دنو الرب سبحانه وتعالى من القلب وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ادع الله عز وجل ان
يرزقني مرافقتك في الجنة فقال صلى الله عليه وسلم اعني بكثرة السجود وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما افترض الله سبحانه وتعالى على خلقه بعد التوحيد احب اليه من الصلاة ولو كان شيء احب اليه من الصلاة
تعبد به ملائكته منهم راكع وساجد وقائم وقاعد وقال بعض العلماء الصلاة خدمة الله سبحانه وتعالى
في ارضه وقال آخرون المصلون خدام الله عز وجل على بساطه ويقال ان المصلين من الملائكة يسمون
في السموات خدام الرحمن ويفتخرون بذلك على سائر المرسلين من الملائكة ويقال ان المؤمن اذا صلى ركعتين
عجب منه عشر صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف وباهى الله سبحانه وتعالى بهم مائة الف ملك
وذلك ان العبد قد جمع فيه اركان الصلاة الاربعة من القيام والقعود والركوع والسجود وفرق ذلك على
اربعين الف ملك فالقائمون لا يركعون الى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون الى يوم القيامة وكذلك الراكعون
والقاعدون ثم قد جمع الله سبحانه وتعالى له الاذكار الصلوة الستة من التلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار
والدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفرق ذلك على ستين الف ملك لان كل صف من الملائكة عبادته
ذكر من الاذكار الستة فاذا رأت الاملاك ما جمع فيه من الاركان الستة والاذكار في ركعتين عجبت منه
وباهاهم الله سبحانه وتعالى به لانه قد فرق تلك الاعمال من الاركان والاذكار على مائة الف ملك وبذلك
فضل المؤمن على الملائكة وقال الله تعالى في وصفه التائبون العابدون الحامدون الآية وكذلك فضل المؤمن
ايضا في مقامات اليقين من اعمال القلوب على الاملاك بالتنقل في المقامات بان جمعت فيه ورفع فيها
والملائكة لا ينتقلون بل كل ملك موقوف في مقام معلوم لا ينقل عنه الى غيره مثل الشكر والخوف والرجا
والشوق والمحبة بل كل ملك له مزيد وعلو من المقام الواحد على قدر قواه ومكانته وجمع ذلك كله في قلب
المؤمن وقال الله اصدق القائلين في صفات اوليائه المؤمنين قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
فنعتهم بالصلاة كما ذكرهم بالايمان ثم مدح صلاتهم بالخشوع كما افتتح بالصلاة اوصافهم ثم قال في آخرها
والذين هم على صلاتهم يحافظون فختم بها نعوتهم وقال في نعت عباده المصلين الذين استثناهم من الجزوع
من المصائب والفقر المنوع للمال والخير الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ثم نسق النعوت

وقال في آخرها والذين هم على صلاتهم يحافظون فلولا انها احب الاعمال اليه ما جعلها مفتاح صفات الجنة
وختامها ولما وصفهم بالدوام والمحافظة عليها ومدحهم بالخشوع فيها والخشوع هو انكسار القلب واخباته
وتواضعه وذلته ثم لين الجانب وكف الجوارح وحسن سمت واقبال والمداومة والمواظبة عليها وسكون
القلب والجوارح فيها والمحافظة هو حضور القلب واصغاؤه وصفاء الفهم وافراده في مراعات الاوقات واكمال
طهارة الادوات ثم قال سبحانه وتعالى في عاقبة المصلين اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس فجعل
اول عطائهم الفلاح وهو الظفر والبقاء وآخره الفردوس وهو خير المستقر والمأوى وقال في اضدادهم من
اهل النار ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين وقال سبحانه وتعالى موبخا آخر مثلهم فلا صدق ولا
صلى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طاعة من نهاه عن الصلاة ثم امره بها واخبر ان فيها القرب والزلفى
في قوله ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى كلا لا تطعه واسجد واقترب فالمصلون بقية الله من خلقه وورثة
جنته من عباده واهل النجاة من دار غضبه وابعاده جعلنا الله سبحانه وتعالى منهم برحمته وعطفه ○

ذكر الحث على المحافظة على الصلاة وطريقة المصلين من الموقنين

قال الله عز وجل محمد رسول الله والذين
معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا الآية فاختار لنفسه رسوله صلى الله عليه وسلم ثم اختار لرسوله
اصحابه صلوات الله عليهم ثم اختار لاصحابه الصلاة فجعلها وصفهم في التوراة والانجيل فهذا يدل على
ان الصلاة افضل الاعمال لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل العمال وسئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي الاعمال افضل قال الصلاة لمواقيتها وعن عمر رضي الله عنه اذا رأيت الرجل حافظا لصلاته
فظن به خيرا واذا رأيته مضيعا لصلاته فهو لما سواها اضيع وكان الحسن يقول ابن آدم ماذا يعز عليك
من دينك اذا هانت عليك صلاتك فهي على الله سبحانه وتعالى اهون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة
عماد الدين فمن تركها فقد كفر وفي حديث آخر بين الكفر والايمان ترك الصلاة وفي الخبر من حافظ على
الصلوات الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشره الله سبحانه
وتعالى مع فرعون وهامان وفي تفسير قوله سبحانه وتعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا قال الصلوات الخمس وعن ابن مسعود وسلمان الصلاة مكيال فمن اوفى اوفي له ومن طفف فقد
علمتم ما قال الله سبحانه وتعالى في المطففين وفي الخبر اسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته لا يتم ركوعها
ولا سجودها وفي الخبر اذا صلى العبد في الملأ فاحسن واساء صلاته في الخلا فتلك استهانة يستهين
بها ربه سبحانه وتعالى واذا احسن العبد صلاته في العلانية واحسنها في السر قال الله سبحانه وتعالى لملائكته
هذا عبدي حقا وعن كعب وغيره من قبلت صلاته قبلت اعماله كلها ومن ردت صلاته ردت عليه اعماله

ويقال من تقبلت منه صلواته الخمس كملا من غير أن تلفق ولا ترقع بعضها ببعض أو بغيرها من النوافل
أطلع على علم الأبدال وكتب صديقا وعلامة قبول الصلوات أن تنهاه في تضاعيفها عن الفحشاء والمنكر
والفحشاء الكبائر والمنكر ما أنكره العلماء فمن انتهى رفعت صلوته إلى سدرة المنتهى ومن تخرقته الأهوا
فقد ردت صلوته لما غوى فهوى وقال مالك بن دينار وإبرهيم بن أدهم إني لأرى الرجل ينسى صلاته فأرحم
عياله وقال الفضيل بن عياض الفرائض رؤوس الأموال والنوافل الأرباح ولا يصح ربح إلا بعد رأس المال
وكان ابن عيينة يقول إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول وقال علي بن الحسين من اهتم بالصلوات
الخمس في مواقيتها وإكمال طهورها لم يكن له في الدنيا عيش وكان عليه السلم إذا توضأ للصلاة تغير لونه
واصفر وارتعد فقيل له في ذلك فقال أتدرون بين يدي من أريد أن أقف وعلى من أدخل ولمن أخاطب
وقال بعض العارفين للصلاة أربع فرائض إجلال المقام وإخلاص التمام ويقين المقال وتسليم الأمر وقال
أبو الدرداء رضي الله عنه خيار عباد الله عز وجل الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله سبحانه وتعالى
وكان وكيع يقول من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها لم يحافظ عليها ومن تهاون بتكبيرة الإحرام فاغسل
يديك منه وروينا في تفسير قوله سبحانه وتعالى سابقوا إلى مغفرة من ربكم قال تكبيرة الإحرام وفي حديث
أبي كاهل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا تفوته منها تكبيرة الإحرام
كتب الله سبحانه وتعالى له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار وقال سعيد بن المسيب منذ أربعين سنة
ما فاتتني تكبيرة الإحرام في جماعة وكان يسمى حمامة المسجد وعن عبد الرزاق رحمه الله قال من عشرين سنة
ما سمعت الأذان إلا في المسجد ويقال إنه إذا كان يوم القيامة أمر بطبقات المصلين إلى الجنة زمرا قال — طبقات أهل الصلوة
فتأتي أول زمرة كأن وجوههم الكوكب الدري فتستقبلهم الملائكة فيقولون ما أنتم فيقولون نحن المصلون
فيقولون وما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة ولا يشغلنا غيرها
عنها فتقول الملائكة يحق لكم ذلك ثم تأتي الزمرة الثانية فوق أولئك في الحسن والجمال كأن وجوههم الأقمار
فتقول الملائكة ما أنتم فيقولون نحن المصلون فيقولون وما كانت صلاتكم فيقولون كنا نتوضأ للصلاة قبل
دخول وقتها فتقول الملائكة يحق لكم ذلك ثم تأتي الزمرة الثالثة فوق هؤلاء في المنزلة والجمال كأن
وجوههم الشمس الضاحية فتقول الملائكة أنتم أحسن وجوها وأعلى مقاما فما أنتم فيقولون نحن المصلون
فيقولون وما كانت صلاتكم فيقولون كنا نسمع الأذان في المسجد فتقول الملائكة يحق لكم ذلك وقال
بعض العلماء سميت صلاة لأنها صلة بين العبد وبين الله عز وجل وهو واصله من الله سبحانه وتعالى لعبده
ولا تكون المواصلة والمنال إلا بالتقى قال الله جل ثناؤه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى

منكم ولا تكون التقى إلا خاشعا فعندها لا يعظم عليه طول الوقوف لقوله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين
ولا يكبر عليه الانتهاء عن المنكر والائتمار للمعروف كما قال سبحانه وتعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
والخاشعون من المؤمنين هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله جزاؤهم البشرى
كما قال سبحانه وتعالى وبشر المؤمنين والخاشعون أيضا هم الخائفون الذاكرون الصابرون المقيمون للصلاة
فإذا كملت هذه الأوصاف فيهم كانوا مخبتين وقد قال سبحانه وتعالى وبشر المخبتين وكان ابن مسعود
إذا نظر إلى الربيع بن خثيم يقول وبشر المخبتين أما والله لو رآك محمد لفرح بك وفي لفظ آخر لأحبك
يقال إنه كان يختلف إلى منزل ابن مسعود رضي الله عنه عشرين سنة لا تحسبه جارية ابن مسعود إلا أنه أعمى
لشدة غض بصره وطول إطراقه إلى الأرض بنظره وكان إذا دق الباب عليه تخرج إليه الجارية فإذا رأته قالت
لعبد الله صديقك ذاك الأعمى قد جاء فكان ابن مسعود يضحك ويقول ذاك الربيع ومشى ذات يوم
مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر إلى الأكوار تنفخ وإلى النيران تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد
ابن مسعود رضي الله عنهما عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره إلى منزله فلم يزل مغشيا
عليه إلى الساعة التي صعق فيها حتى فاتته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول هذا والله هو الخوف
مطلب — وكان هذا يقول ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها إلا ما أقول وما يقال لي وقد كان عامر بن عبد الله من
خاشعي المصلين كان إذا صلى ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك
ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك في الصلاة بشيء قال نعم بوقوفي بين يدي الله عز وجل
ومنصرفي إلى إحدى الدارين قيل فهل تجد شيئا مما نجد من أمور الدنيا فقال لأن تختلف الأسنة في
أحب إلي من أن أجد في الصلاة ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطا ما ازددت يقينا وقد كان مسلم
ابن يسار من العاملين الزاهدين كان إذا دخل في الصلاة يقول لأهله تحدثوا بما تريدون وافشوا سركم
فإني لا أسمع الكلم وكان يقول وما يدريكم أين قلبي وكان يصلي ذات يوم في مسجد البصرة فوقعت خلفه
أسطوانة معقود بناؤها على أربع طاقات فتسامع بها أهل السوق فدخلوا المسجد وهو قائم يصلي كأنه
وتد وما انفتل من صلاته فلما فرغ جاء الناس يهنونه فقال على أي شيء تهنوني قالوا وقعت هذه الأسطوانة
العظيمة وراءك فقال متى وقعت قيل وأنت تصلي قال ما شعرت بها وقال بعض المصلين الصلاة من الآخرة
فإذا دخلت في الصلاة خرجت من الدنيا وقيل لآخر هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من الدنيا فقال
لا لا في الصلوة ولا في غيرها وسئل بعضهم هل تذكر في صلاتك شيئا فقال وهل شيء أحب إلي من الصلاة
فأذكره فيها وكان أبو الدرداء رحمه الله يقول من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة

ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وفي الخبر أن عمار بن ياسر صلى صلاة فخففها فقيل له خففت يا أبا اليقظان
فقال هل رأيتموني نقصت من حدودها شيئا قالوا لا قال إني بادرت سهو الشيطان إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال إن العبد ليصلي الصلاة ولا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها
وكان يقول إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وقد ذكر هذا عبد الواحد بن زيد أنه إجماع فروينا عنه
أنه قال أجمعت العلماء أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل وقال الحسن رحمه الله كل صلاة لا يحضر فيها قلبك فهي
إلى العقوبة أسرع منها إلى الثواب ويقال إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الزبير وطلحة كانوا أخف
الناس صلاة فسئلوا عن ذلك فقالوا نبادر بها وسوسة العدو وروينا أن عمر رضي الله عنه قال على المنبر
إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله سبحانه وتعالى صلاته قيل وكيف ذاك قال لا يتم خشوعها
وتواضعها وإقباله على الله سبحانه وتعالى فيها وقال الله جل ذكره ومن أصدق من الله حديثا حتى تعلموا ما تقولون
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تشعبت به الهموم لم يبال الله سبحانه وتعالى في أي أوديتها هلك وسئل
أبو العالية عن قوله سبحانه وتعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على
كم ينصرف على شفع أم على وتر وسئل الحسن رحمه الله عن ذلك فقال هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج
وكان يقول أما والله لو تركوها لكفروا ولكن سهوا عن الوقت وقال بعض السلف فيها هو الذي إن صلاها في
أول الوقت وفي الجماعة لم يفرح وإن صلاها بعد الوقت لم يحزن وقيل هو الذي لا يرى تعجيلها برا ولا تأخيرها
إثما ويقال إن الصلوات الخمس يلفق بعضها إلى بعض حتى يتم للعبد بها صلاة واحدة وقيل من الناس
من يصلي خمس صلاة فتحمل له بها خمس صلوات وإن الله سبحانه وتعالى يستوفي من العبد ما أمره به كما فرضه
عليه وإلا تممه من سائر أعماله النوافل لأنه ما فرض سبحانه وتعالى على العبد إلا ما يطيقه بعونه إذ لم يكلفه
ما لا طاقة له به برحمته وروينا عن عيسى صلوات الله عليه وعلى الأنبياء أجمعين يقول الله سبحانه وتعالى بالفرائض
نجا مني عبدي وبالنوافل تقرب إلي عبدي وقد جاء في مثله عن نبينا صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه
وتعالى لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما افترضته عليه ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه وفي الخبر
المفسر أول ما يحاسب به العبد الصلوة فإن وجدت كاملة وإلا يقول الله سبحانه وتعالى انظروا هل
لعبدي نوافل فيتمم فرائضه من نوافله ثم يعمل سائر الفرائض كذلك يوفى كل فرض من جنسه من النفل
فإذا كانت النوافل في السهو والتقصير كالفرائض أو لم توجد نوافل فكيف يكون حاله في الحساب وكان ابن عباس
رضي الله عنه يفسر قوله عز وجل كلا لما يقض ما أمره قال يعني به الكافر لأن عنده أن كل موضع من القرآن
يذكر به الإنسان خاصة يعني به الكافر وقد قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها وقال سبحانه وتعالى

أنه

مخبرا عن المؤمنين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به في التفسير قال قد فعلت وفي هذه المسألة اختلاف وشبهة
والصواب من ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يكلف المؤمنين خاصة ما لا طاقة لهم به فهم مخصوصون بذلك فضلا
من الله ونعمة آثرهم به على الكافرين إذ له أن يؤثر بعض عباده على بعض لأن الفضل بيده يؤتيه من يشاء
وهذا مفهوم من دليل الخطاب من قوله تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به أن له سبحانه وتعالى أن يحمل الكافر
ما لا طاقة له به عدلا منه وحكمة كما قال سبحانه وتعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته
قيل صدقا للمؤمنين وعدلا على الكافرين قال الله سبحانه وتعالى مخبرا عن إخوة يوسف تالله لقد آثرك الله
علينا فهذا نص في الإيثار لبعض خلقه على بعض ثم رأيت تصديق ما ذكرته عن ابن عباس رواه إسمعيل بن
جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله سبحانه وتعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا
وسعها يعني إلا طاقتها من العمل لأن الله سبحانه وتعالى افترض على المؤمنين أعمالا يطيقونها ولم يفترض
عليهم ما لا يطيقون هذا نقل لفظ ابن عباس في تخصيص المؤمنين كما ذكرناه آنفا ونقول أيضا في تفصيل
هذه المسألة التي للزائغين فيها تعلق ابتغاء التأويل أن الله سبحانه وتعالى كلف العباد ما لا يطيقونه
إلا به لافتقارهم إليه وعدم استغنائهم عنه في كل حركة وسكون إذ لا مشيئة لهم دون مشيئته ولا استطاعة
إلا بتوفيقه ولا حول ولا قوة إلا بالله ألم تسمع إلى قوله عز وعلا في وصف الكافرين ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون وقال في مثله وكانوا لا يستطيعون سمعا وقال فيمن استطاع به إن أريد إلا
الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى كما أمر
غفر له ما تقدم من ذنبه وقد روي في خبر يقول الله سبحانه وتعالى ليس كل مصل أتقبل صلاته إنما أتقبل
صلاة من تواضع لعظمتي وخشع قلبه لجلالي وكف شهواته عن محارمي وقطع ليله ونهاره بذكري ولم يصر
على معصيتي ولم يتكبر على خلقي ورحم الضعيف وواسى الفقير من أجلي على أن أجعل الجهالة له حلما والظلمة
له نورا يدعوني فألبيه ويسألني فأعطيه ويقسم علي فأبره أكلأه بقوتي وأباهي به ملائكتي لو قسم نوره
عندي على أهل الأرض لوسعهم مثله كمثل الفردوس لا يتسنى ثمرها ولا تتغير حالها وقد كان ابن مسعود
يقول ركعتان من زاهد أفضل من ألف ركعة من راغب الدنيا وفي الخبر كم من قائم حظه من قيامه السهر
والتعب ومن صلى صلاة وراء إمام فلم يدر ماذا قرأ فهو نهاية السهو لأنه تارك للأمر بالاستماع فيخاف
عليه مجانبة الرحمة لأن الله سبحانه وتعالى ضمن الرحمة بشرط الاستماع والإنصات فقال سبحانه وتعالى
في المعنيين فإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون وقال عز وجل فلما حضروه قالوا أنصتوا
وروينا في خبر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فترك فيها قراءة آية فلما انفتل قال ماذا قرأت فسكت
القوم فسأل أبي بن كعب فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما أدري أنسخت أم رفعت فقال أنت لها يا أبي

ثم اقبل على الآخرين فقال ما بال اقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين أيديهم لا يدرون
ما يتلو عليهم من كتاب ربهم ألا إن بني إسرائيل كذلكم فعلوا فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نبيهم أن قل
لقومك تحضرون لي أبدانكم وتعطوني ألسنتكم وتغيبون عني قلوبكم باطلا ما تذهبون وقال بعض علمائنا
إن العبد ليسجد السجدة عنده أنه يتقرب بها إلى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه في سجدته على أهل مدينته
لهلكوا قيل وكيف يكون ذلك يا أبا محمد قال يكون ساجدا عند الله عز وجل وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل
قد استولى عليه وهذا كما قال لأن فيه إثباتا لحرمة القرب وسقوط هيبة الرب سبحانه وتعالى واعلم
أن طول الصلاة عليك غفلة وقصرها سهو لأنها إن طالت عليك دل على عدم الحلاوة ووجود التثقل لها
وكبرها على جوارحك وإذا قصرت عليك وخفت دل على نقصان حدودها ودخول الغفلة والسهو فيها
فالنسيان قصرها والاستقامة في الصلاة أن لا تطول عليك لوجود الحلاوة ولذة المناجاة وحسن الفهم واجتماع
الهم ولا تقصر عليك لتيقظك فيها ورعايتك لحدودها وحسن قيامك بها وهذه مراقبة المصلين ومشاهدة
الخاشعين **ذكر** أحكام الخواطر في الصلاة وما ذكر به العبد في الصلاة من الخير فليبادر إلى فعله
فذلك من أحب الأشياء إلى الله سبحانه وتعالى لأنه أذكره إياه في أحب المواطن إليه وما ذكر به من المكروه
والممقوت عليه من المعتاد والمستأنف فليجتنبه فإنه هو الذي يبعده من قرب الله عز وجل وتذكره
إياه في محل القرب يعد توبيخا له وتعزيرا وقد يكون عتبا وتنبيها فترك ذلك مما يقرب إلى الله
عز وجل ويدل على حسن الاستجابة وهو مسلك طريقه إلى الله عز وجل وما خطر به من خاطر تمن أو هوى
أو ذكر بهمه ما يأتي أو ما قد مضى فإن ذلك وسوسة إليه من عدوه حسدا له ليقطعه بذلك عن وقوف قلبه
عند كل ركن من أركان الصلاة أو ليشغله عن فهم آي المناجاة فيشغله بما يضره عما ينفعه ليحرمه بذلك
أن يشهد عند كل ذكر من أذكار الصلاة ما يوجبه الذكر من تدبر أو تعظيم أو حمد أو دعاء أو استغفار
وإن خطر بقلبه أمر معاشه وتصريف أحواله وتدبير شأنه من المباحات فذلك من قبل النفس وفكرها
بما توسوس به من أمور الدنيا فأما إن خطرت همة محظورة أو فكرة في معصية مأزورة فهذا هو الهلاك
والبعد يكون بوصف النفس الأمارة عن استحواذ العدو المغوي وهو دليل المقت والإبعاد وعلامة الحجاب
والإعراض فإذا ابتلي في صلاته بهذه المعاني فقد اختبر بذلك فعليه أن يعمل في نفيه مع نفس بدوه
ولا يمكنه من الظهور في قلبه فيملكه ولا يصغي إليه بعقله فيستولي عليه ولا يعادته ويطاوله فيخرجه
عن حد الذكر واليقظة إلى مساكنة الجهل والغفلة وكل عمل محظور فالهمة به محظورة وفيها
نقص وكل عمل مباح فالهمة به مباحة ونفيها فضيلة وكلما خطر على قلبه من الخيرات المتأخر
فعلها فليعتقد النية بذلك لأنه قد ذكر به وأريد منه ثم ليمض في صلاته ولا يشتغل بتدبيره كيف

يكون ومتى يكون أو كيف أكون فيه وعنده إذا كان فتفوته الإقبال في الحال بتدبير شأنه في المآل وهذا هو
استراق من العدو عليه وإلقاء من خدعته إليه فإن جاهد هذا المصلي نفسه عن مسامرة الفكر وقابل
عدوه في قطع وسوسة الصدر كان مجاهدا في سبيل الله تعالى مقاتلا لمن يليه من أعداء الله سبحانه وتعالى
له أجران أجر الصلاة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى الكريم وأجر المصابرة والمحاربة لعدوه الرجيم
وقد كان الأقوياء من المؤمنين أهل الغلظة على الأعداء والتمكين إذا ابتلوا بداخل يدخل عليهم في
الصلاة من الأسباب تخرجهم عن حد المشاهدة فيها عملوا في قطع ذلك الشيء وإبعاده من أصله إذ كان
سبب قطعهم وإبعادهم من قربهم فيستخرجوا بإدخال ذلك عليهم إخراجهم من الدنيا وهو الزهد فيها فيكون
ذلك إحسانا من الله سبحانه وتعالى إليهم ومزيدا منه لهم وهذا أحد ما زهد لأجله الزاهدون في الدنيا لتصفو
قلوبهم من الأسباب فتخلص أعمالهم من الوسواس ومن الاكتساب في ذلك ما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه نزع الخميصة التي كانت عليه في الصلاة لما نظر إلى علمها وقال ألهتني هذه في الصلاة يعني شغلتني
ونظر إلى شراك نعله في الصلاة وكان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشراك الخلق الذي كان عليها وكان
قد احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي كيلا يمقتني ثم خرج بها فدفعها إلى أول
سائل لقيه ثم أمر عليا رضي الله عنه أن يشتري له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما وكان الضعفاء
من المؤمنين يعملون في نفيه وترك مساكنته ومحادثته في الحال لقوادح اليقين في إيمانهم ولسرعة
التيقظ من قلوبهم لأن الآفات تدخل من مكان الهوى وتمكن الأعداء من مكان الهوى وقوة العدو لطول
الغفلة وعدم حلاوة الطاعة لاتساع النفس في الشهوات وقوة سلطانها على الصفات واتساع النفس
وقوة صفتها لضيق القلب وضعف اليقين إذ لو قوي يقين العبد لانشرح قلبه ولأطفأ نور يقينه ظلمة
هواه ولاندرجت النفس في القلب اندراج الليل في النهار ولأسقط مكانه من الشهادة تمكن أعدائه والعادة
وليعلم يقينا أن ما هو فيه من الذكر والصلاة أنفع له وأحمد عاقبة مما يفكر فيه من عاجل دنياه فيشتغل حينئذ
بما هو فيه من الذكر عما هو عليه من سوى الذكر وليس بعد هذين المقامين حال يعتقد لا يقدح بشيء وما
قدح في قلبه من فهم الخطاب في تدبر معاني الكلام والإيقاف على المقصد والمراد فهو تعليم من الله سبحانه وتعالى
وتوقيف وتنبيه منه وتعريف وهذا مزيد التلاوة وبركة التدبر وعلامة الإخلاص في المعاملة ودليل القبول
والشكر بحسن الجزاء فليأخذ من ذلك ما عفا ويغترف منه ما صفا ولا ينتظره ولا يتمناه ولا يتبعه بعد
انصرافه بالفكر في معناه فيسترق الشيطان عليه السمع ويلقي إليه الوسوسة ويطمع فيه بالعزة ويدخل
عليه من باب الأمنية لأنه قد قرن الأماني بالإضلال فهي مواعيد الكذب للأبطال ألم تسمع إلى ذكره تعالى
كيف أخبر عنه في قوله سبحانه وتعالى ولأضلنهم ولأمنينهم ثم قال عز وجل في مثله وشاركهم في الأموال

والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ثم استثنى عباده المسلطين عليه بسلطانه الغالبين له
بآياته فلم يصل العدو إليهم لمواصلته لهم وتوكلوا عليه بوكالته وكفالته إياهم ينتظم من المعاني قوله
عز وجل إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وقوله عز وجل ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون
إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون مع قوله تعالى إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون وللعبد في التفكر والتدبر لما يستقبل من كل كلمة شغل عما فات مما كان عمله وله في الشغل
بالحال انقطاع عما قد فهمه وما فهمه من غير ما يتلوه فاستدل به على ما سواه مما يعينه ويحتاج إليه
فهي أبواب من الفطنة تفتح له تكون الكلمة مفتاحها ثم يخرج بالعبد إلى سواها مما هو له أصلح أو عليه
أوجب فليعرف بذلك ما عرف وليقف من ذلك على ما عليه أوقف وما تفكر فيه من غير تدبر التلاوة أو شغل
به من غير فهم المتلو فهو حجاب له عن الفهم وقطع له عن خالص العلم فليقطع ذلك والتمام في التلاوة أن
يتدبر التالي باطن الكلام ويتفكر في غوامض الخطاب ويوقف قلبه على معاني المراد ويعمل فكره في تذكر
الموصل والترداد فإن الكلام عزيز من عزيز ولطيف من لطيف وعلي من علي وحكيم من حكيم ظاهره
سهل قريب وباطنه بحر عميق يقول السامع إذا عقله قد فهمته لتجلي فحواه فإذا شهده كأنه ما سمعه
لدقيق معناه ويحسب الغافل أنه قد عرفه لظهور بيانه وتفصيل حكمته فإذا عرف المتكلم به كأنه ما عقله
لعمق بحاره وسعة أقطاره قد اغتر به قوم لما سمعوا بيانه فادعوا أنهم يحسنونه وخدع به آخرون
لما عقلوا أمثاله فطلبوا غيره وسألوا إبداله وأصغى آخرون إلى سمعه فادعوا فهمه فأكذبهم الصادق
سبحانه وتعالى وعزلهم عن سمعه ثم أخبرنا بجميع ذلك عن جهلهم وعجبنا من جرأتهم فقال عز وجل
في وصف الأولين وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وإذا تتلى عليهم آياتنا
قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت
بقرآن غير هذا أو بدله وقال عز وجل في نعت الآخرين يلقون السمع وأكثرهم كاذبون إنهم عن السمع
لمعزولون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ثم وصف من أسمعه إياه وأفهمه معناه من الجن
الذين هم أشد قوة من الإنس وأعظم وصفا فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فهؤلاء
ممن عقله فمدحهم بفهمه وأخبر عن صاحب الأمر بمثله فقال بل عجبت ويسخرون أي عجبت من تفصيله
وترتيله ويسخر منه الجاهلون فإن فتح للتالي بالتلاوة عن نفس المتلو باب الفكر في معاني العظمة والقدرة
وكشف له بواسطة الكلام من شاهده ما كان علمه من وعد الآخرة ووعيدها فله بذلك أجران من حيث
ما كان منه على أن الفكر والصلاة وهذا كله لعموم المؤمنين منهم وهو للخصوص من المقربين دون ذلك إلا
ما وجهوا به من طوالع الغيوب في أطلعوا عليه من مطلع سرائر المحبوب وكوشفوا به من بوادي اليقين من الغرة

والجبروت والإجلال والرهبوت مما هجم عليهم من غير تفكر منهم ولا تدبر مما استعملهم به واضطرهم
إلى مشاهدة القدير فأخرس ألسنتهم عن المقال وعقم عقولهم عن المجال وأغنى قلوبهم عن الطلب ولم
يوكل إلى فكرهم بنظر إلى سبب بل من غير تعمل منهم لتكييفه ولا درايته ولا اختيار لماهيته ثم يجاوزونه
إذا أخذ منهم حقه وأدركوا به نصيبهم إلى العالم الأكبر فيقفون لديه ويحظون عنده ولا يقفون مع
المشاهدة طرفة عين ولا يسكنون إليها خطرة قلب لئلا يقطعهم البيان عن المبين ولا يشغلهم الخبر
عن اليقين ولا تحجبهم الشهادة عن الشهيد ولا يحبسهم البادي العائد عن المبدي المعيد بل قد أشرف بهم
على المراد فأسقط عنهم التشرف وأذهلهم عن الاعتراف والتعريف بما بادأهم به من التعرف واقتطعهم العيان
فأغناهم عن الانقطاع وتقطعوا بالمفصل فأنساهم الانتفاع وتوصلوا بالموصل فأطلعهم لديه
وكان لهم حاملا إليه ودليلا أمامهم منه عليه وهذه صفة الأقوياء بالقوي الأغنياء بالغني الواجدين
بموجد العاقدين للموحد الذاكرين بذاكر الصابرين بصابر ولا ينبغي للمصلي أن يدخل في صلاته حتى يقضي
همته ويفرغ من حاجته ولا يبقي عليه ما يزعج قلبه ويفرق همه ليفرغ قلبه في صلاته ويجمع همه في
ذوقه ويصحو عقله لفهمه ويواطئ قلبه قيله ويقبل على المقبل عليه بمعقوله وهذا يؤمر به الضعفاء
عن مجاهدة الأعداء والمرضى عن مسابقة الأولياء وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي
أحب إلى الله عز وجل من المؤمن الضعيف وفي كل خير وقد قال الله سبحانه وتعالى لا يستوي القاعدون من
المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله إلى قوله سبحانه وتعالى فضل الله المجاهدين مع قوله عز وجل
وكلا وعد الله الحسنى **كتاب الصدقة** شرح ثالث ما بني الإسلام عليه وهو الزكوة
فأما فرض الزكوة فأربع الحرية وصحة الملك ووجود النصاب وهو مائتا درهم أو عشرون دينارا أو استكمال شرط
الحول وهو من شهر إلى مثله **ذكر** فضائل الصدقة وآداب العطاء وما يزكو به المعروف ويفضل به المنفقون
روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس في المال حق سوى الزكوة وعن جماعة من التابعين كانوا
يذهبون إلى أن في المال حقوقا غير الزكوة منهم إبراهيم النخعي قال كانوا يرون أن في المال حقوقا سوى الزكوة
ومنهم الشعبي سئل أفي المال حق سوى الزكوة قال نعم أما سمعت قوله سبحانه وتعالى وآتى المال على حبه
الآية ومنهم عطاء ومجاهد وقد كان المسلمون يرون المواساة والقرض والقيام بمؤن العجزة عن أنفسهم
وأهليهم من المعروف والبر والإحسان وأن ذلك واجب على المتقين وعلى المحسنين من أهل اليسار والمعروف
وكذلك مذهب جماعة من أهل التفسير أن قوله عز وجل ومما رزقناهم ينفقون وقوله تعالى وأنفقوا مما
رزقناكم مأمور به وأن ذلك غير منسوخ بآية الزكوة وأنه داخل في حق المسلم على المسلمين وواجب بحرمة الإسلام

وجود الحاجة فمن فضائل الزكوة ان يخرجها فى اول ما تجب عليه وان قدمها قبل وجوبها اذا راى لها موضعا
بيّنا فيرى فيه ويغتنم خوف فوته من غاز فى سبيل الله عز وجل او فى دين على مطالب او فى جهاد وغزو او الى
رجل فقير فاضل طرا فى وقته او ابن سبيل غريب كان تقديمها الى هولاء وامثالهم افضل وازكى لانه من المسارعة
الى الخير ومن المعاونة على البر والتقوى وداخل فى التطوع بالخير وفعله الذى امر به ولانه لا يامن الحوادث
اذ فى التاخير آفات وللدنيا نوائب وعوائق وللنفس بدوات وللقلوب تقلّب وان جعل راس الحول احد شهرين
كان افضل فان فيهما خاصية من الفضائل ليست فى غيرهما فاما شهر رمضان فان الله سبحانه وتعالى خصه
بتنزيل القرآن وجعل فيه ليلة القدر التى هى خير من الف شهر وجعله مكانا لاداء فرضه الذى افترضه على
عباده من الصيام وشرّفه بما اظهر فيه من عمارة بيوته بالقيام وقد كان مجاهد رضى الله عنه يقول لا
تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله سبحانه وتعالى ولكن قولوا شهر رمضان وقد رفعه اسمعيل بن ابى زياد
مجاهد مسندا واما ذو الحجة فانا لا نعلم شهرا اجمع خمس فضائل غيره وهو شهر حرام وشهر حج وفيه يوم
الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهى العشر والايام المعدودات وهى ايام التشريق التى امر الله سبحانه وتعالى
بذكره فيها وافضل ايام فى شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام فى شهر ذى الحجة العشر الاول وقد استحب
بعض اهل الورع ان يقدّم فى كل سنة بشهر لئلا يكون مؤخرا عن راس الحول لانه اذا اخرج فى شهر معلوم
ثم اخرج القابل فى مثله فان ذلك الشهر يكون الثالث عشر وهذا تاخير فقالوا اذا اخرج فى رجب فليخرج
من القابل فى جمادى الآخرة لتكون آخر سنته بلا زيادة واذا اخرج فى رمضان فليخرج من قابل فى شعبان
على هذا لئلا يزيد على السنة شيئا وهذا حسن غامض وليتّق ان يكون مخرجا للفرض فى كل شهر ثم ان يخرجها
طيبة بها نفسه مسرورا بها قلبه مخلصا لربه مبتغيا بها وجهه لغير رياء ولا سمعة ولا تزيّن ولا تصنّع
ولا يحب ان يطّلع عليها غير الله سبحانه وتعالى ولا يرجو فى اعطائها ولا يخاف فى منعها سواه وليكن ناظرا
الى نعمة الله سبحانه وتعالى عليه عارفا بحسن توفيقه له وان يعتقد فضل من يعطيه من الفقراء عليه
ولا يتنقّصه بقلبه ولا يزدريه وليعلم ان الفقير خير منه لانه جعل طهرة وزكاة له ورفعة درجة فى
دار المقامة والنجوة وانه هو قد جعل سخرة للفقير وعمارة لدنياه كما حدثنا عن بعض العارفين قال
اريد منى ترك التكسب وكنت ذا صنعة جليلة فحاك فى نفسى من اين المعاش فهتف بى هاتف لا
اراك تنقطع الينا وتتهمنا فلك علينا ان نخدمك وليا من اوليائنا او نسخّر لك منافقا من اعدائنا
وان يسرّ ذلك الى الفقير سرا ولا يذكر ذلك فقد جاء فى تفسير قوله سبحانه وتعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى قال المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها وحدثت عن بشر بن الحارث رضى الله عنه قال قال سفيان

رضى الله عنه من منّ فسدت صدقته قيل كيف المن يا ابا نصر قال ان تذكره او تحدث به وبعضهم يقول
المن ان تستخدمه بالعطاء والاذى ان تعيّره بالفقر وقيل المن ان تتكبر عليه لاجل ان تعطيه والاذى
ان تنتهره او توبخه بالمسألة وفى الحديث افضل الصدقة جهد المقل الى الفقير فى سر وقال بعض العلماء
ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد رويناه مسندا من طريق وذلك اسلم لدينه واقل لآفاته وازكى
لعمله وقد جاء فى الخبر لا يقبل الله سبحانه وتعالى من مسمّع ولا مراء ولا منّان فجمع بين المنة والسمعة كما جمع
بين السمعة والرياء ورد بهن الاعمال فالمسمع الذى تحدث بما صنعه من الاعمال ليسمعه من لم يكن رآه فيقوم
ذلك مقام الرؤية للعمل فهو مشتق من السمع كالرياء مشتق من الرؤية فسوى بينهما فى ابطال العمل لانهما
عن ضعف اليقين اذ لم يكتف المسمع بعلم مولاه كما لم يقتنع المرائى بنظره سبحانه وتعالى فاشركا فيه سواه والحق
المنان بهما لان فى المنة معنا منهما لانه اذا ذكره فقد سمّع غيره به او راى نفسه فى العطاء لما فخر به واراه
غيره فقد راياه وقد روينا فى الخبر ان العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله عز وجل له سرا فان اظهره نقل
من السر وكتب فى العلانية فان تحدث به محى من السر والعلانية فكتب رياء فلو لم يكن فى اظهار الصدقة
مع الاخلاص لها الا فوت ثواب السر لكان فيه نقص عظيم فقد جاء فى الاثر يفضل صدقة السر على صدقة العلانية
بسبعين ضعفا وفى الحديث المشهور سبعة فى ظل عرش الله سبحانه وتعالى يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل
تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما اعطت يمينه وفى لفظ آخر فاخفى عن شماله ما تصدق به يمينه وهذا
من المبالغة فى الوصف وفيه مجاوزة الحد فى الاخفاء اى ان يخفى من نفسه فكيف من غيره وقد تستعمل
العرب المبالغة فى الشى على ضرب المثل والتعجب وان كان فيه مجاوزة الحد من ذلك ان الله سبحانه وتعالى وصف
قوما بالبخل فبالغ فى وصفهم فقال ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا والنقير لا يريده
احد ولا يطلبه ولا يعطاه لانه هو النقطة التى تكون على ظهر النواة منه منبت النخلة وفيه معنى اشد من هذا
واغمض انه لما قال فاخفى عن شماله كان لهذا القول حقيقة من الخفاء وهو ان لا يحدث نفسه بذلك ولا يخطر
على قلبه وليس يكون هذا الا ان لا يرى نفسه فى العطاء اصلا فلا يجرى وهم ذلك على قلبه كما تقول فى سر الملكوت
ان الله سبحانه وتعالى لا يطلع عليه الا من لا يحدث به ويخفيه ليس اعنى عن غيره لكن يخفيه من نفسه ولا
يحدثها به بمعنى انه لا يخطر على قلبه ولا يذكره ولا يشهد نفسه فيه شغلا عنه بما اقتطع به وبائنه
لا يباليه فعندها صلح ان يطهر على السر فان لم يمكنك على الحقيقة ان تخفى صدقتك عن نفسك فاخف
نفسك فيها حتى لا يعلم المعطى انك انت المعطى وهذا مقام فى الاخلاص فان اظهرت يدك فى العطاء فاخفها
سرا الى المعطى هذا حال الصادق فقد كان بعض المخلصين يلقى الدراهم بين يدى الفقير او فى طريقه

أو موضع جلوسه بحيث يراه فيأخذه وهو لا يعلم من صاحبه وبعضهم كان يصرّ ذلك في ثوبه وهو نائم
فلا يعلم من جعله وقد رأيت من يفعل ذلك فأمّا من كان يوصل إلى الفقير على يد غيره ويستكتمه شأنه فلا
يحصي ذلك من المسلمين وفي الخبر صدقة السر وقيل صدقة الليل تطفئ غضب الرب سبحانه وتعالى وقد أخبر
الله سبحانه وتعالى أن الإخفاء أفضل ومعه يكون تكفير السيئات فقال سبحانه وتعالى وإن تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم ونكفر عنكم من سيئاتكم فإن أظهر مسكين نفسه وكشفها للسؤال والتبذّل على الصون
والتعفف فلا بأس أن تظهر معروفك إليه فإن أظهرت زكوتك إرادة السنة والاقتداء بك والتحريض على مثل
ذلك ليتأسّى بك فيه أخوك فيسرع إلى مثله لحسن وذلك من التحاضّ على طعام المسكين وقد ندب الله سبحانه وتعالى
إليه وقد قيل في قوله عز وجل وأنفقوا مما رزقناكم سرًّا وعلانية قيل سرًّا التطوع وعلانية الصدقة المفروضة
وكذلك قوله عز وجل وآتوا الزكوة وأقرضوا الله قرضًا حسنًا قيل القرض الحسن هو التطوع وقيل الحلال
كما قال ورزقني منه رزقًا حسنًا أي حلالا وقد قال سبحانه وتعالى إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي فمدح
المبدي بنعم إلّا أن ذلك لا يحسن إلا إلى من أبدى نفسه كأنه لهذا السائل الذي يسأل بلسانه وكفّه وقوله تعالى
وإن تخفوها الآية كأنه للمستخفي بالمسألة وهي لخصوص الفقراء لا يظهرون نفوسهم بما يمنعهم الحيا والتعفف
فمن أظهر نفسه فأظهره له ومن أخفاها فأخفه له ومثل ذلك كشف عورة الفاسق إنما يحرم عليك
أن تظهر عورة من يخفي نفسه ويستتر فإذا أظهر نفسه بها وأعلن فلا بأس أن تظهره عليه كما جاء في
الخبر من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له وينبغي أن يجعل صدقته من أفضل ما يحبّه من المال ومن جيّد
ما يدّخر وتقتني وتستأثر به النفوس فيؤثر مولاه به كما أمره وضرب المثل له فقال سبحانه وتعالى أنفقوا
من طيبات ما كسبتم ثم قال عز وجل ولا تيمّموا الخبيث منه تنفقون ثم قال في ضرب المثل بالعبيد ولستم
بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه أي لا تقصدوا الرديّ فتجعلونه لله سبحانه وتعالى ولو أعطي أحدكم ذلك
لم يأخذه إلا على إغماض أي كراهة وحياء فلا تجعل لله سبحانه وتعالى دون ما تستجيده لنفسك أو ما
تكره أن تقتنيه لعاقبتك أو تأخذه من غيرك أو لا تستحسن أن تهديه إلى نبيل من العبيد فتكون قد
آثرت نفسك أو عبدًا مثلك على مولاك فإن هذا من سوء الأدب ولا يقوم سوء أدب واحد في معاملة جميع
المعاملات وقد روي في معنى قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا قال طيّبًا وإن الله سبحانه
وتعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا وفي حديث أبان عن أنس في خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لعبد أنفق
من مال اكتسبه من غير معصية وفي خبر سبق درهم مائة ألف درهم وقد تهدّد الله سبحانه وتعالى قومًا
جعلوا له ما يكرهون ولأنفسهم الحسنى وأكذبهم في قولهم فقال ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم

الكذب أن لهم الحسنى ثم قال عز وجل لا جرم أن لهم النار أي حقًّا لهم النار وفي الآية وقف غريب لا يعلمه
إلا الحذّاق من أهل العربية يقف على لا فيكون نفيًا لوصفهم أن لهم الحسنى ثم يستأنف جرم أن لهم
النار أي كسب لهم جعلهم لله سبحانه وتعالى ما يكرهون النار أي بجرمهم واكتسابهم وإذا دعا لك
مسكين عند الصدقة فاردد عليه مثل دعائه حتى يكون ذلك جزاء لقوله وتخلص لك صدقتك وإلّا كان
دعاؤه مكافأة لك على معروفك وقد كان العلماء يتحفظون من ذلك وهو أقرب إلى التواضع وأن لا ترى أنك
مستحق لذلك عليه لما وصلته لأنك عامل في واجب عليك لمعبودك ومؤدّ للمعطي بذلك وما قسم له من تعبّدك
بذلك وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفًا إلى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو
به ثم تردّان عليه مثل قوله وتقولان حتى تخلص لنا صدقتنا وفعل ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابنه
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ولا ينبغي أن تقتضي من الفقير الدعاء لك أو تطالبه بذلك أو تحب منه
الثناء والمدح على ذلك فإنه ينقص الصدقة وإن كثر منك ذلك قوي أن يحبطها وإن كان عليه أن يدعو لك ويثني
به عليك لكنه إنما يعمل فيما تعبّده مولاه به وأمره فلا ترى ذلك من حقك عليه وإذا وصلت إلى فقير
معروفًا فبحسن أدب ولين جانب ولطف كلام وتودّد وتذلل وتواضع وقد كان بعض الأدباء إذا أراد
أن يدفع إلى الفقير شيئًا بسط كفه بالعطاء لتكون يد الفقير هي العليا وبعضهم كان يضعها بين يديه
على الأرض ويسأله قبولها منه ليكون هو السائل ولا يناوله بيده إعظامًا له وهذا يدل على معرفة العبد
بربه سبحانه وتعالى وحسن أدبه في معاملته ولا تحب الثناء والمدح من الفقير على معروفك ولا تطلب منه في
نفسك إكرامه لك فإن فعل الفقير ذلك كان مكافأة منه لبرّك وحبط أجرك وربما كان عليك فضل وزر لمحبتك
الثناء والذكر بما لله سبحانه وتعالى عليك أن تفعله أو في رزق الله عز وجل لعبده الذي أجراه على يديك
فإن تخلصت سواء بسواء فما أحسن حالك واستحبّ للفقير أن يخصّ ذا المعروف إليه بدعوات شكرًا لما
أولاه وتأدّبًا وتخلّقًا بفضل مولاه لأنه قد جعل سببًا للخير وواسطة للبرّ إذ الله سبحانه وتعالى يشهد
نفسه في العطاء ثم قد أثنى على عبده وشكر له في الإعطاء فليقل طهّر الله عز وجل قلبك في قلوب الأبرار وزكّى
عملك في عمل الأخيار وصلّى على روحك في أرواح الشهداء فذلك هو شكر الناس والدعاء لهم وحسن الثناء
عليهم ومن شكرهم أيضًا أن لا يذمّهم في المنع ولا يعيبهم عند القبض فذلك تأويل الخبر من لم يشكر الناس
لم يشكر الله عز وجل فإن فيه إثبات حكم الأوساط واستعمال حسن الأدب في إظهار الإيثار والتخلق
بأخلاق المنعم عز وجل لأنه سبحانه وتعالى أنعم عليهم ثم شكر لهم كرمًا منه فكذلك العبد الموفق يشهد يد
مولاه في العطاء فيحمده ثم يشكر المنفقين إذ جعلهم مولاه سببًا وطرقًا لرزقه وفي الخبر من أسدى إليكم

معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه فاما شكر الله سبحانه وتعالى
على العطا فهو اعتقاد المعرفة انه من الله سبحانه وتعالى لا شريك له فيها والعمل بطاعته بها ومن فضل الصدقة
ان تقصد بها الفقرا الصادقين من اهل التصوف والذين يؤثرون الستر والاخفا ولا يكثرون البث والشكوى
ومن فيه وصف من اوصاف الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا في طريق الآخرة لعيلة او ضيق
معيشة او اصلاح قلب او قصور يد لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوصو الجناح اذ المال للغني
بمنزلة الجناح للطير يطير بما له حيث شا من البلاد وينبسط في شهواته كيف شا من المراد والفقير
محصر عن ذلك لا يستطيعه لضيق يده وقدر رزقه ومن هذا قوله سبحانه وتعالى قد انزلنا عليكم لباسا
يواري سوءاتكم وريشا قيل المال وقيل المعاش يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف فسمى الله سبحانه وتعالى
من لا يعرفهم بالفقر ولا يشهد وصفهم بالتقلل لظهور تعففهم عن المسالة جاهلا بوصف المؤمنين ثم ذكر
وصفهم واظهر للخلق تعريفهم بيانا منه وكشفا لحالهم اذ ستروها بالعفة فقال عز وجل تعرفهم بسيماهم
السيما هي العلامة اللازمة والخليقة الثابتة دون التحلي والالبسة الظاهرة لا يسالون الناس الحافا اي
لهذه العلامة ايضا تعرفهم انهم لا يسالون عفة وقناعة الحافا ولا يلتحفون بالاغنيا
ولا يلاحفون اهل الدنيا تملقا وضراعة اي هم منفردون باحوالهم اغنيا بغنيهم اعزة بصبرهم والالحاف
مشتق من اللحاف الذي يلتحف به فيلزم الجسم فقال ليسوا ممن يفعل ذلك لا يلتحفون الاغنيا كاللحاف
ولا يلتحفون المسالة لزاما كالصنعة كما يلتحف بالثوب فاحرص ان يكون معروفك فيمن فيه هذه الاوصاف
او بعضها فيزكو عملك ويشكر سعيك والافضل في المعروف ان يؤثر الرجل اخوانه من الفقرا على غيرهم
من الاجانب فقد روي عن علي رضي الله عنه لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق
بعشرين درهما ولان اصله بعشرين درهما احب الي من ان اتصدق بمائة ولان اصله بمائة درهم احب الي
من ان اعتق رقبة ولان الله سبحانه وتعالى قد ضم الاصدقا الى الاقارب وكان فضل الصدقة على الصديق
دون البعيد كفضل الصدقة على القرابة دون الاباعد لانه ليس بعد صلة الرحم في معناها افضل من
صلة الاخوان وكان بعض السلف يقول افضل الاعمال صلة الاخوان وليقصد من ان دفع اليه
العطا حمد الله سبحانه وشكره وراى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة في نعمه فان هذا شكر العباد لله
عز وجل لان حقيقة الشكر لله تعالى شهود النعمة منه والاخلاص بحسن المعاملة له وان لا يشهد في
النعمة بالعطا وفي النعمة بالعمل الصالح سواه وفي وصية علي رضي الله عنه لا تجعل بينك وبين الله
سبحانه وتعالى منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما فليعتقد مثل هذا على من ان اعطاه رزقه اثنى عليه

ومدحه وشهده فيه فحمده فيكون قد حمد غير الذي اعطاه ونظر الى سواه وذكر غير الذي ذكره بالعطاء
لان الذي يحمد الله عز وجل ويشكره ويثني عليه برزقه ويذكره يرى ان الله سبحانه وتعالى هو المنعم المعطي
فينظر اليه من قريب فيتيقن هذا بالله سبحانه وتعالى انفع لصاحب المعروف عند الله عز وجل من دعا الآخر
المثني لانه كان سببا للنفع موفقا فيكون واضعا للشي في حقيقته موضعه ومدح الآخر له ودعاؤه لاجل
انه يراه هو المعطي فينظر اليه فيمدحه فضعف يقين هذا بربه سبحانه وتعالى اشد على المنفق من دعائه
له ان كان ناصحا لله سبحانه وتعالى في خلقه ولخلق الله سبحانه وتعالى فيه الا ان لا ينصح لمولاه
لغلبة هواه على تقواه بحمله بعائد النفع له في عقباه فنقص هذا حينئذ بمقامه من التوحيد
اعظم من زيادته بصدقته على انه لا يامن الاستشراف من الآخر اليه والاعتياض منه والطمع فيه
فيتاذى بذلك في عاجلته قبل الآجلة او يضجر فيتبرم به فيتكلم فيه بكلام يحبط عمله وايضا فانه
اذا رآه في العطا فانه يراه عند المنع فيذمه ويقع فيه فيكون هو سبب حمله عليه وهو ابن مطمئن
لهذا كله مع الموقن المشاهد وفي الخبر ان الصدقة تقع بيد الله سبحانه وتعالى قبل ان تقع في يد السا ئل
وهو يضعها في يد السائل فالموقن ياخذ رزقه من يد الله فهو لا يعبد الا الله سبحانه وتعالى ولا يطلب
الا منه كما امره في قوله عز وجل فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى بعض الفقرا بمعروف وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اوصله اليه قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره
ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر الرسول
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فسر به وقال قد علمت انه يقول ذلك وقد يروى هذا عن عمرو عن
ابي الدردا مع خبر وقال صلى الله عليه وسلم لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله وقالت عائشة رضي الله عنها في قصة الافك بحمد الله عز وجل
لا بحمدك فسره ذلك وقال لها ابو بكر لما نزل تحصينها وبراءتها قومي فقبلي راس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت والله لا افعل ولا احمد الا الله سبحانه وتعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا بكر
وفي لفظ آخر انها قالت لابي بكر بحمد الله سبحانه لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلك بل سره وامر اباها بالكف عنها وقد جعل الله عز وجل من وصف الكافرين انهم اذا ذكر
الله سبحانه وتعالى وحده في شي تقبضت قلوبهم واذا ذكر غيره فرحوا وجعل من نعتهم انه اذا
ذكر سبحانه وتعالى بتوحيده وافراده عند شي غطوا ذلك وكرهوه واذا اشرك غيره في ذلك صدقوا به
فقال سبحانه وتعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين

من دونه اذا هم يستبشرون وقال عز وجل ايضا ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به
تومنوا والكفر التغطية والشرك اغلظ وهو ان يخلط بذكره ذكر سواه ثم قال فالحكم لله العلي الكبير
يعني لا شريك خلق في حكمه لانه سبحانه وتعالى العلي في عظمته الكبير في سلطانه لا شريك له في ملكه وعظمته
ولا ظهير له من عباده ففي دليل هذا الكلام وفهمه من الخطاب ان المومنين اذا ذكر الله سبحانه وتعالى
بالتوحيد والافراد في شيء انشرحت صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكر الله عز وجل وتوحيده
واذا ذكرت الاوسائط والاسباب التي دونه كرهوا ذلك واشمازت قلوبهم وهذه علامة صحيحة فاعرفها
من قلبك او من قلب غيرك لتستدل بها على حقيقة التوحيد في القلب او وجود خفي الشرك في النفس
ان كنت عارفا وينبغي ان يجعل صدقته من اجل ما يقدر عليه واطيبه في نفسه وجهده فان الله سبحانه
وتعالى طيب لا يقبل الا طيبا وزكا الصدقة ونماؤها عند الله عز وجل على حسب حلها ووضعها في
الاخص الافضل من اهلها وينبغي ان يستصغر ما يعطي فان الاستكثار من العجب والعجب يحبط
الاعمال قال الله سبحانه وتعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ويقال ان الطاعة كلما استصغرت
كبرت عند الله عز وجل وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله سبحانه وتعالى وعن بعض العلماء
لا يتم المعروف الا بثلاث تصغيره وتعجيله وستره وقد كانوا يدفعون في الزكوات المائين
وفي التطوع الالوف وكانوا يصلون الفقير بما يخرجه عن حد الفقر ومن الحاجة والضر الى حد الكفاية
والغنية ويبقى لهم فضل وعلى هذا تاويل قوله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما ابقت غنى اي تكفي الفقير
لوقته ويبقى له قنية واستغناء لوقت ثان يستقل بها عن المسالة والتشوف فيكون كانه عمل ثان
للمعطي بعد عمله الاول بالعطاء وهذا احد تاويل الخبر وقد وصف الله سبحانه وتعالى اهل الحاجة باوصاف
خمسة فرقها في كتابه فقال تعالى وفي اموالهم حق للسائل والمحروم وقال جل وعلا فكلوا منها واطعموا القانع
والمعتر وقال عز وجل فكلوا منها واطعموا البايس الفقير فاما السائل فهو الذي يسال بكفه ويظهر
السوال بلسانه واما المحروم فهو المحارف الذي حارفه الرزق اي انحرف عنه فقد حرمه وقيل هو الذي لا
معلوم له ولا كسب قد حرم التصرف والتعيش واما القانع فهو الذي يقعد في بيته ويقنع بما اتاه
الله سبحانه وتعالى من غير طلب ولا تعرض وقيل القنوع وصف من اوصاف المسالة من غير الحاف
ولا الحاح وهو اسم من الاضداد يكون القنوع العفة والكف ويكون المسالة واما المعتر فهو
الذي يعرض بالسوال ولا يصرح تحمله الحاجة على التعريض ويوقفه الحياء عن التصريح واما البايس
فهو الذي به بوس وشدة من مرض او برد او غصب او زمانة ثم ان الله سبحانه وتعالى قد فضل بين

الفقراء والمساكين في قوله عز وجل انما الصدقات للفقراء والمساكين فقال اهل العلم الفقير الذي لا يسال
والمسكين هو السائل وقيل الفقير المحارف وهو المحروم والمسكين الذي به زمانة اشتقاقه من السكون
اي قد اسكنه الفقر لما سكنه فقلل حركته وهذا اوصاله يقال قد تمسكن الرجل وتسكن كما يقال
تمدرع الرجل وتدرع اذا لبس مدرعة فكذلك الفقير اذا كانت المسكنة لبسه واهل اللغة يختلفون
فيهما قال بعضهم المسكين اسوا حالا من الفقير لان الله سبحانه وتعالى قال او مسكينا ذا متربة فهو
الذي لا شيء له قد لصق بالتراب من الجهد والى هذا القول ذهب يعقوب بن السكيت وقال اليه يونس بن
حبيب وقال قلت لاعرابي افقير انت قال لا والله بل مسكين اسوا حالا من الفقير وبعضهم يتاوله
على غير هذا فيقول ذا متربة من الغنى يقال قد اترب الرجل اذا استغنى فهو مترب من المال اي قد كان
متربا غنيا من اهل النعم ثم افتقر فهذا افضل من اعطي وقال بعض اهل اللغة في قوله ذا متربة دليل
ان المسكين احسن حالا قال لان الله تعالى لما نعته بهذا خاصة علمت انه ليس كل مسكين بهذا النعت الا
ترى انك اذا قلت اشتريت ثوبا ذا علم نعته بهذا النعت لانه ليس كل ثوب له علم وكذلك المسكين الاغلب عليه
ان يكون له شيء فلما كان هذا المسكين مخالفا لساير المساكين بين الله تعالى نعته ولهذا المعنى استدل
اهل العراق من الفقهاء ان اللمس هو الجماع بقوله سبحانه وتعالى فلمسوه بايديهم اي اللمس يكون بغير اليد
وهو الجماع فلما كان بايديهم خص به هذا المعنى فردوه على من احتج به من علماء الحجاز في قولهم اللمس باليد
وقال آخرون بل الفقير اسوا حالا من المسكين لان المسكين يكون له الشيء والفقير لا شيء له قال الله عز وجل في
اصحاب السفينة وكانت لمساكين يعملون في البحر فاخبر ان لهم سفينة وهي تساوي جملة وقالوا سمي فقيرا
لانه نزعت فقره من ظهره فانقطع صلبه من شدة الفقر فهو ماخوذ من فقار الظهر ومال الى هذا القول
الاصمعي وهو عندي كذلك من قبل ان الله سبحانه وتعالى قدمه على الاصناف الثمانية الذين جعل لهم الصدقة
فبدا به فدل على انه هو الاحوج فالاحوج والافضل فالافضل وقال قوم الفقير هو الذي يعرف بفقره
لظهور امره والمسكين هو الذي لا يفطن له ولا يوبه به لتخفيه وتستره وقد جاءت السنة بوصف هذا في
الخبر المروي ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان انما المسكين المتعفف الذي
لا يسال الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه وقال بعض الحكماء في مثل هذا وقد سيل اي الاشياء اشد
فقال فقير في صورة غني وقيل لحكيم آخر ما اشد الاشياء فقال من ذهب ماله وبقيت عادته
وقال الفقهاء الذي له سبب ويحتاج الى الاكثر منه لضيق مكسب او وجود عيلة فهذا ايضا قد وردت
السنة في فقره وذكر فضله في الحديث الذي جاء ان الله سبحانه وتعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال

وبعض السائل الملحف وفي الخبر الآخر ان الله سبحانه وتعالى يحب عبده المؤمن المحترف وكل هذه اقوال
صحيحة فالافضل ان توضع الزكوة في الاحوج الافضل فالافضل من اهل العلم بالله سبحانه وتعالى واهل
الدين واهل المعاملة لله سبحانه وتعالى المنقطعين الى الله عن اهل الدنيا المشتغلين بتجارة الآخرة عن تجارات
الدنيا ثم في ذوي العيال بقدر عياله وبقدر غناه عن حاجاته فيكون لهم بعددهم اجور امثالهم من المنفردين
اذ هم جماعة وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطي اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكذلك
السنة روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يعطي العطا على قدر العيلة فيعطي المتأهل ضعف
ما يعطي العزب ويعطي صاحب العيال ضعفي ما يعطي المتأهل ويعطي كل رجل على مقدار اهل بيته وحدثت عن
بعض من الطائفة قال صحبنا اقواما كان برهم لنا الالوف من الدراهم انقرضوا وجاء آخرون كان برهم
لنا المئين ونحن بين قوم صلتهم لنا العشرات نخاف ان يجيء قوم شر من هؤلاء وقال بعض السلف رأينا
قوما كانوا يفعلون ولا يقولون ذهب اولئك وجاء قوم يقولون ويفعلون ونخاف ان يجيء قوم يقولون ولا
يفعلون وان انفق ذو دين في عيلة من مساكين فذاك غنيمة وذخيرة للمنفقين والمعروف في مثله واقع في
حقيقته وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن جهد البلاء ما هو فقال كثرة العيال وقلة المال وقد جاء في الخبر
لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي لان التقي يستعين به على البر والتقوى فيشركه في قصده
وفي خبر ايضا اطعموا طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم المؤمنين وفي لفظ آخر اضف بطعامك من يحبه الله
عز وجل وينبغي للمنفق ان يفرح ويسر بقبول من قبل معروفه من الاتقياء لان ذلك عمله ان لم يقبله منه
عارف بالله سبحانه وتعالى ولحكمه فقد ردت عليه اعماله فينبغي ان يحزن بردها عليه اذ كان ذلك ردا
من الله سبحانه وتعالى له ومن وصل فقيرا بمعروف فرده عليه فتعظم الفقير في عينه فذلك يدل على جهل
المعطي بربه لانه لو اخذها فاسقط منزلته عنده ثم اخرجها سرا الى من هو احوج اليها منه كان بذلك فاضلا
ومن رد عليه فقير بره فلم يحزنه ذلك او سره ذلك دل على ضعف نيته في الاخراج وقلة اخلاصه بمعروفه
لان الصادق يسوءه رد معروفه اليه ويحزنه وينبغي ان لا يتملك ذلك ان رده عليه بل يدفعه الى فقير
آخر لانه قد اخرجه لله سبحانه وتعالى فلا يرجع فيه والفقراء شركاء في العطاء يرد عليهم من بعض الى بعض
وكذلك ان اخرج صدقة باسم فقير بعينه ليعطيه اياها فصادف غيره او ذكر من هو احوج منه او افضل
او وافق طالبا اليه في حق عليه فلا بأس ان يدفعها الى الثاني ما لم تخرج عن يده او يكون قد وعده بها
وكذلك ان دفعها الى من يدفعها الى فقير بعينه ثم رأى من هو آثر في قلبه واحوج منه فله ان يسترجعها
من المأمور بدفعها اليه ما لم يكن قد نفذها او اعلمه بها وينبغي ان يستبشر بقبول العارفين معروفه

لان ذلك قبول من الله سبحانه لعمله اذ كان العارف بالله سبحانه وتعالى وانما يتصرف عن الله سبحانه وتعالى
في الافعال كما انه ينطق عنه في المقال وليس قبوله منه كقبول غيره ولا رده عليه كرد غيره اذ كان الشاهد
فيه من الله سبحانه وتعالى اقوى واعلى من الشاهد في غيره ولما هو الى التوفيق والعصمة اقرب ممن سواه من
الفقراء حدثني بعض اخواني ان فقيرا بمكة حرسها الله تعالى رد على بعض الاغنياء معروفه فاخذ يبكي فقيل
له فقال اليس هذا عملي قد رد علي قيل له فان غيره يقبله فقال من ان لي مثل هذه العين وهذا كما قال
ان المؤمن ينظر بعين اليقين وهو نور الله سبحانه وتعالى فرده عن الله سبحانه وتعالى كما قال الله تعالى ويتلوه
شاهد منه والجاهل يتصرف لهواه عن نفس فرده كقبوله لانه يأخذ لنفسه ويرد بنفس والعارف ان
اخذ فبرب وان رد فعن رب سبحانه وتعالى وليزدد في عينه من قبل منه معروفه نبلا وجلالة ويعظم في
قلبه محبة ومهابة لانه قد اعانه على بره وتقواه واكرمه بقبول جدواه فليشهد ذلك نعمة من الله سبحانه وتعالى
عليه واحسانا منه اليه وعلى العبد ان يجتهد في طلب الاتقياء وذوي الحاجة من الفقراء ويبلغ غاية
علمه بذلك فان قصر علمه ولم ينفذ فراسته ومعرفته الخصوص استعان بعلم من هو اعلم منه وانفذ نظرا
واعرف بالصالحين واهل الخير منه ممن يوثق بدينه وامانته من علماء الآخرة لا من علماء الدنيا وعلماء الآخرة
هم الزاهدون في الدنيا الورعون عن التكاثر منها فان حب الدنيا غامض قد هلك فيه خلق كثير لم ينج
من العلماء ويسلم من الدنيا الا المتحققون بالعلم واليقين وهم المتقللون من الدنيا وقد قال سبحانه وتعالى
وتثبيتا من انفسهم اي يقينا يعني انهم يتثبتون في صدقاتهم اي يضعونها في يقين يستروح اليه القلب
وتطمئن به النفس وقد كان بعض العلماء يؤثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك
جميع الفقراء كان افضل فقال لا افعل بل اوثر هؤلاء على غيرهم قيل ولم قال لان هؤلاء قوم هممهم
الله سبحانه وتعالى فاذا طرقتهم فاقة تشتت همّ احدهم فلان ارد همة واحد الى الله سبحانه وتعالى
احب الي من ان اعطي الفا من غيرهم ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام لابي القاسم الجنيد فاستحسنه
وقال هذا ولي من اولياء الله سبحانه وتعالى ثم قال ما سمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا
وبلغني ان هذا الرجل اختل حاله في الدنيا حتى هم بترك الحانوت فوجه اليه الجنيد رحمه الله بمال كان
صره اليه وقال اجعل هذا في بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك ويقال ان هذا
الرجل كان بقالا ولم يكن يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه واما ابن المبارك رحمه الله فانه
كان يجعل معروفه في اهل العلم خاصة فقيل له لو عممت به غيرهم فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة
افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بالحاجة والعيلة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على تعليم

الناس فرأيت أن أكفيهم أمر الدنيا وأفرغهم إلى العلم فهو أفضل والتوفيق من الله سبحانه وتعالى للعبد
في وضع صدقته في الأفضل منه وفي الطعام الحلال الذي في غيبه يوفقه لأوليائه ويستخرجهم من علمه كيف
شاء بقدرته

شرح رابع ما بني الإسلام عليه وهو الصيام

ذكر فرائض الصوم

اعتقاد الصوم إيمانا من الله سبحانه وتعالى وقربة منه إليه وإخلاصا به له وسقوط فرض عنه
وأن يجتنب الأكل والشرب والجماع بعد طلوع الفجر الثاني وأن يتم الصيام إلى سقوط قرص الشمس وأن لا
ينوي في تضاعيف النهار الخروج من الصوم

ذكر فضائل الصوم ووصف الصائمين

صوم الخصوص
حفظ الجوارح الست غض البصر عن الاتساع في النظر وصون السمع عن الإصغاء إلى الوزر والقعود
مع أهل الباطل وحفظ اللسان عن الخوض فيما لا يعني جملة مما إن كتب عنه كان عليه وإن حفظ عليه
لم يكن له ومراعاة القلب بعكوف الهم عليه وقطع الخواطر والأفكار التي كف عن فعلها وترك التمني الذي
لا يجدي وكف اليد عن البطش المحرم من مكسب أو فاحشة وحبس الرجل عن السعي فيما لم يؤمر به ولم يندب
إليه من غير أعمال البر فمن صام تطوعا لهذه الجوارح الست وأفطر بجارحتي الأكل والشرب والجماع
فهو عند الله سبحانه وتعالى من الصائمين في الفضل لأنه من الموقنين الحافظين للحدود ومن أفطر لهذه
الست أو ببعضها وصام بجارحتي البطن والفرج فما ضيع أكثر مما حفظ فهذا مفطر عند العلماء
صائم عند نفسه وقد قال أبو الدرداء رحمه الله يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يعيبون قيام
الحمقى وصومهم ولذرة من ذي تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين ومثل من صام
عن الأكل وأفطر بمخالفة الأمر مثل من مسح كل عضو من أعضائه ثلاثا ثم صلى فقد وافق الفضل
في العدد إلا أنه ترك الفرض من الغسل فصلاته مردودة عليه لجهله ومثل من أفطر بالأكل والجماع
وصام بجوارحه عن النهي مثل من غسل كل عضو مرة واحدة وصلى فهو تارك للفضل في العدد إلا أنه
مكمل للفرض محسن في العمل فصلاته متقبلة لإحكامه الأصل وهو مفطر للسعة صائم في الفضل
ومثل من صام عن الأكل والجماع وصام بجوارحه الست عن الآثام كمثل من غسل كل عضو ثلاثا ثلاثا فقد
جمع الفرض والفضل وأكمل الأمر والندب فهو من المحسنين وعند العلماء من الصائمين وهذا صوم الموصوفين
في الكتاب المعجز بالذكر من أولي الألباب ومن فضائل الصوم أن يجتنب من حظوظ هذه الجوارح
الشبهات من الأشياء وفضول الحلال ويرفض الشهوات الداعية إلى العادات وأن لا يفطر إلا على
حلال متقللا منه فبذلك يزكو الصوم ولا يقبل امرأته في صومه ولا يباشرها بظاهر جسمه فإن ذلك
إن لم يبطل صومه فإنه ينقصه وتركه أفضل إلا لقوي متمكن مالك لإربه وليقل نومه بالنهار

ليعقل صومه بعمارة الأذكار وليجد مس جوعه وعطشه وقد كانوا يتسحرون بالتمرتين والثلاث والحبات
من الزبيب والجرعة من الماء ومنهم من كان يقضم من شعير دابته التماسا لبركة السحور وليكثر ذكر الله
سبحانه وتعالى وليقل ذكر الخلق بلسانه وليسقط الفكر فيهم عن قلبه فذلك أزكى لصومه ولا يجادل
ولا يخاصم وإن شتم أو ضرب لم يكافئ على ذلك لأجل حرمة الصوم ولا يهتم بعشائه قبل محل وقته
وليرض باليسير مما يفطر عليه مما قسم له وليشكر الله سبحانه كثيرا عليه ويقال إن الصائم إذا اهتم
بفطره من أول النهار كتبت عليه خطيئة ومن فضائل الصيام التقلل من الشراب والطعام وتعجيل
الفطر وتأخير السحور وليفطر على رطب إن كان وإلا فعلى تمر إن وجد فإنه بركة أو على شربة من ماء
فإنه طهور هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والإفطار قبل الصلاة سنة كذلك كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من ماء أو مذقة من لبن أو تمرات قبل أن يصلي وفي الخبر كم من صائم
حظه من صيامه الجوع والعطش قيل هو الذي يجوع بالنهار ويفطر على حرام وقيل هو الذي يصوم عن
الحلال من الطعام ويفطر بالغيبة على لحوم الناس ويقال هو الذي لا يغض بصره ولا يحفظ لسانه عن
الآثام ويقال إن العبد إذا كذب أو اغتاب أو سعى في معصية في ساعة من صومه خرق صومه وإن صوم
يوم يلفق له في صيام أيام حتى يتم بها صوم يوم ساعة ساعة وفي الحديث الصوم جنة ما لم يخرقها
بكذب أو غيبة وكانوا يقولون الغيبة تفطر الصائم وكانوا يتوضؤون من أذى المسلم وروي عن جماعة
في الوضوء مما مست النار لأن أتوضأ من كلمة خبيثة أحب إلي من أن أتوضأ من طعام طيب
وروى بشر بن الحارث عن سفيان من اغتاب فسد صومه وروينا عن ليث عن مجاهد خصلتان تفسدان
الصوم الغيبة والكذب وروى جابر عن أنس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم خمس يفطرن
الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظرة بشهوة ويقال إن من الناس من يحمل
لصوم رمضان واحد في عشر رمضان وآخر في عشرين مثل سائر الفرائض من الصلوات والزكوات التي
يحاسب عليها العبد فإن وجدت كاملة وإلا تممت من سائر تطوعه ويقال إن العبد يصح له صوم
يوم في خمسة أيام كما تصح له صلاة واحدة في خمس صلوات بأن ترقع له الأوقات وفي الخبر من اغتاب
خرق صومه فليرقعه بالاستغفار ويقال إن الله سبحانه وتعالى لم يفترض شيئا فرضي بدونه وإنه
سبحانه وتعالى يطالب بما فرضه ويحاسب على الواجب وعفو الله سبحانه وتعالى يأتي على كثير من الذنوب
لأنه الغفار قبل خلق خلقه والمراد من الصيام مجانبة الآثام لا الجوع والعطش كما ذكرناه في أمر الصلاة
أن المراد بها الانتهاء عن الفحشاء والمنكر كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم من لم يترك قول الزور والعمل
به فليس لله سبحانه وتعالى فيه حاجة بأن يترك طعامه وشرابه

شرح خامس من دعائم الإسلام

التي بني عليها وهو الحج **ذكر فرائض الحج**
والحج كمال الشريعة وتمام الملة قال الله سبحانه وتعالى
ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة
بالزاد والراحلة فإذا وجد العبد زادا وراحلة لزمه فرض الحج فإن أخره بعد وجود ذلك كان مكروها له
فإن مات ولم يحج أو مات على عدم الإمكان بعد وجوده كان عاصيا لله سبحانه وتعالى من حين أمكنه إلى يوم
موته ولم يكن كامل الإسلام لأن الله سبحانه وتعالى أكمل الإسلام بالحج لما أنزل هذه الآية في الحج يوم عرفة
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي الآية وفي الخبر من لم يمنعه من الحج مرض قاطع أو سلطان
جائر ومات ولم يحج فلا يبالي مات يهوديا أو نصرانيا وقال عمر رضي الله عنه لقد هممت أن أكتب في
الأمصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا وعن سعيد بن جبير رحمه الله وإبراهيم النخعي
ومجاهد وطاوس رضي الله عنهم لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه
وبعضهم كان له جار موسر فمات قبل أن يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول من مات
ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا وكان يفسر في هذه الآية قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا
فيما تركت قال أحج ومثله فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين قال أزكي
وأحج وكان يقول هذه الآية من أشد شيء على أهل التوحيد ومن كان ذا قوة على المشي أو ممن يصلح له
أن يؤاجر نفسه وأمن التهلكة في خروجه فحج على ذلك كان فاضلا في فعله والحاج الماشي بكل قدم
يخطوها سبعمائة حسنة وللراكب بكل خطوة تخطوها دابته سبعون حسنة والقوة على المشي من الاستطاعة
عند بعض العلماء فأما فرائض الحج عند جملة العلماء فستة اختلفوا منها في ثلاث وهن السعي والبيتوتة
بالمزدلفة عند المشعر الحرام ليلة النحر ورمي جمرة العقبة يوم النحر وأجمعوا على ثلاث وهن الإحرام والوقوف
بعرفة وطواف الزيارة ولم يختلفوا أن ما سوى هذه الستة سنة واستحباب ومذهبي في هذا وهو مذهب الأكثر
من العلماء أن فرائض الحج أربعة أولها الإحرام به والوقوف بعرفة بعد زوال الشمس من يوم عرفة وآخر
حد الوقوف قبل طلوع الفجر من يوم النحر وطواف الزيارة بعد الوقوف بعرفة بعد رمي جمرة العقبة والسعي
بين الصفا والمروة بعد الإحرام بالحج إن شئت قبل الوقوف بعرفة وإن شئت بعده وما سوى ذلك من المناسك
فمسنون ومستحب وبعضه أوكد من بعض وفي ترك بعضه كفارة وبعضه لا حرج فيه وطواف الحج ثلاثة واحد
فريضة إن تركه بطل حجه وهو طواف الزيارة وواحد سنة إن تركه كان عليه دم وحجه تام وهو طواف
الوداع وواحد مستحب إن تركه فلا شيء عليه وهو طواف الورود ولم نذكر من فرائض الحج وأحكامه
وتبيانه في هذا الباب لأن قوت الأعمال مثل ما ذكرنا في سائر الأبواب في هذا الكتاب على ما يليق ببيانه

للمعنى الذي قصدناه فيه وقد أشبعنا أحكام الحج وما يقال في المشاعر في كتاب مناسك الحج المفرد له
ذكر فضائل الحج وآدابه وهيئاته وفضائل الحجاج وطريقة السلف السالكين للمنهاج قال الله سبحانه وتعالى
الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن يعني من أوجبه على نفسه في هذه الأشهر فأحرم وهي شوال وذو القعدة
وتسعة من ذي الحجة فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج الرفث اسم جامع لكل لغو وخنا وفجور
من الكلام ومعاركة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع والفسوق جمع فسق وهو اسم جامع لكل
خروج من طاعة ولكل تعدي حد من حدود الله سبحانه وتعالى والجدال وصف مبالغ للخصومة والمراء
فيما يورث الضغائن وفيما لا ينفع فيه فهذه ثلاثة أسماء جامعة مختصرة لهذه المعاني المبينة أمر الله تعالى
بتنزيه شعائره ومناسكه منها لأنها مشتملة على الآثام ومن أصول الخطايا والأجرام والحج في اللغة
هو القصد إلى من يعظم وكانت العرب تقول حج إلى النعمان أي نقصده تعظيما له وتعزيرا فينبغي
أن يكون الحاج معظما لمن قصده بالحج للتحقيق بمعنى هذا الاسم والحج أيضا سلوك الطريق الواضح الذي
ينهج البغية ويوقف على المنفعة واشتقاقه من المحجة بمنزلة النسك وهو اسم للطريق مشتق من
المنسك وهو من أسماء الطريق وإن كان أصله الذبح ومنه سمي الناسك لأنه سالك لطريق الآخرة فأول
فضائل الحج حقيقة الإخلاص به لوجه الله سبحانه وتعالى وحده لا طلبا لما سواه وأن تكون النفقة حلالا واليد
فارغة من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم ويكون الهم مجردا والقلب ساكنا مطمئنا مملوءا بالذكر
فارغا من الهوى ناظرا أمامه غير ملتفت إلى ورائه وصحة القصد بحسن الصدق ثم طيب النفس
بالبذل والإنفاق والتوسع في النفقة والزاد وبذل ذلك لأن النفقة في الحج بمنزلة النفقة في سبيل الله
سبحانه وتعالى الدرهم بسبعمائة درهم والحج من سبيل الله سبحانه وتعالى روي ذلك عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ابن عمر وغيره رضي الله عنهم من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول أفضل الحجاج
أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا وفي حديث ابن المنكدر عن جابر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة قال وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج قال طيب
الكلام وإطعام الطعام ويقال إنما سمي سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال وبعضهم يقول يسفر عن
صفات النفس وجوهرها إذ ليس كل من حسنت صحبته في الحضر حسنت في السفر وكل من صلح
أن يصحب في السفر صلح في الحضر وفي خبر عمر رضي الله عنه لما سأل عن الرجل من ذكر أنه يعرفه فقال
هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا قال ما أراك تعرفه ولا يجادل ولا يخاصم
ولا يكثر المراء ولا يرفث بلسانه وروينا عن بشر بن الحارث قال قال سفيان من رفث فسد حجه وليتعلم

لحكام المناسك ومعالم الحج وهيأته وآداب المشاهد قبل الخروج وليكن ذلك اهم شيء اليه وليقدمه
على جميع اسباب السفر فان هذا هو المقصود والبغية فلا ينثني عنه وليعد له رفيقا صالحا عالما
محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ساء ظنه وضاق
صدره وسّع صدره وصبّره وحسّن ظنه ولا يخالف رفيقه ولا يكثر الاعراض عليه وليحسن خلقه مع
جميع الناس ويلين جانبه ويخفض جناحه ويكف اذاه عن الخلق ويحتمل اذاهم فبهذه المعاني يفضل الحج
وان يحج على رحل او زاملة فان ذلك حج المتقين وطريق السلف يقال حج الابرار على الرحال وحدّث
سفيان الثوري رحمه الله عن ابيه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج ووافت الرفاق من البلدان
فرايت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل وما رايت في جميعهم الا محملين وقال مجاهد قلت لابن عمر
وقد دخلت القوافل ما اكثر الحاج فقال ما اقلهم ولكن قل ما اكثر الركب وكان ابن عمر رضي الله عنه
اذا نظر الى ما احدث الحجاج من الزي والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى رجل مسكين
رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحاج فينبغي ان يكون الحاج رث الهيئة خفيف المؤنة متقللا
من كل شيء لا يحمل معه من الزاد الا ما لا بد له منه مما يحتاج اليه ولا يسرف في المبالغة والتناهي فيه ولا
يقتر ولا يضيق على نفسه ورفيقه بل يستعمل الاقتصاد في كل شيء والكفاية ويجتنب من الزي
الحمرة فان ذلك مكروه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان في سفر فنزل اصحابه منزلا فرحت
الابل فنظر الى الاكسية حمر على الاقتاب فقال ارى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قال فقمنا نتسارع حتى
نزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل ثم يجتنب من الزي الشهرة وكل منظور اليه من الاثاث
ولا يتشبه بالمترفين ولا باهل الدنيا من اهل التفاخر والتكاثر من المتكبرين ولا يكثر التنعم والرفاهة
فان ذلك غير مستحب في سبيل الله سبحانه وتعالى لان المشقة والظما والمخمصة واللاواء كلما كثرت
في سبيل الله سبحانه وتعالى كان افضل واثوب حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته
رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وليقتدوا
بشمائله وقال خذوا عني مناسككم وكان يقول لبيك اللهم لبيك حجا لا رياء فيه ولا سمعة وقال
لبيك ان العيش عيش الآخرة وامر صلى الله عليه وسلم بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهة
في حديث فضالة بن عبيد وفي الخبر انما الحاج الشعث التفل ويقول الله سبحانه وتعالى للملائكة
انظروا الى زوار بيتي قد جاءوني شعثا غبرا من كل فج عميق وقال الله سبحانه وتعالى ثم ليقضوا
تفثهم التفث الشعث والاغبرار فقضاؤه حلق الراس وقص الاظفار وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الى امراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا اي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة من الاشياء
وبعض اصحاب الحديث يصحف في هذا الحرف فيقول اخلولقوا من الحلق ولا يجوز ان يامرهم باسقاط
سنة كيف وقد قال لصبيغ حين توسم فيه مذهب الخوارج اكشف عن راسك فرآه ذا ضفيرتين فقال لو
كنت محلوقا لضربت عنقك ولينح مثال اهل اليمن في الاثاث والزي فان الاقتداء بهم والاتباع لشمائلهم
في الحج طريقة السلف على الهدي والوصف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه واصحابه وما عدا وصفهم
وخالف هديهم فهو محدث ومبتدع ولهذا المعنى قيل زين الحجيج اهل اليمن لانهم على منهاج الصحابة
وطريقة السلف وقيل في مدحهم بالتقلل والانفراد لا يغلون سعرا ولا يضيقون طريقا وقد كان
العلماء قديما اذا نظروا الى المترفين قد خرجوا الى مكة يقولون لا تقولوا خرج فلان حاجا ولكن قولوا
خرج مسافرا ويقال ان هذه المحامل والقباب احدثها الحجاج بن يوسف فركب الناس سنته وقد
كان العلماء رحمهم الله في وقته ينكرونها ويكرهون الركوب فيها واخاف ان بعض ما يكون من تماوت
الابل يكون ذلك سببه لثقل ما تحمل ولعله عدل اربعة انفس وزيادة مع طول الشقة وقلة الطعم
وينبغي ان يقلل من نومه على الدابة فانه يقال ان النائم يثقل على البعير وقد كان اهل الورع لا ينامون
على الدواب الا من قعود يغفون غفوة بعد غفوة وكانوا ايضا لا يقفون عليها الوقوف الطويل لان ذلك
يشق عليها وفي الخبر لا تتخذوا الدواب كراسي ولا يحمل على الدابة المكتراة الا ما قاضى الجمال
عليه او ما اعلمه به قال رجل لابن المبارك احمل لي هذا الكتاب معك فقال حتى استامر الجمال
فاني قد اكتريت ولينزل عن دابته غدوة وعشيا يروحها بذلك ففيه سنة وآثار عن السلف
وقد كان بعض الناس يكتري لازما ويشترط ان لا ينزل ثم انه ينزل للرواح ليكون ما رفه عن الدابة
من حسناته محتسبا له في ميزانه وبعض علماء الظاهر يقول ان الحج راكبا افضل لما فيه من الانفاق
والمؤونة ولانه ابعد من ضجر النفس واقل لاذاه واقرب الى سلامته وتمام حجه فهذا عندي بمنزلة الافطار
يكون افضل اذا ساء عليه خلقه وضاق به ذرعه وكثر عليه ضجره لان حسن الخلق وانشراح الصدر
افضل فقد يكون كذلك لبعض الناس دون بعض ممن يكون حاله التضجر ووصفه التسخط وقلة الصبر
لم يكن اعتاد المشي وسالت بعض فقهائنا بمكة عن المشي الى العمرة افضل او يكتري حمارا بدرهم
فقال ان كان اخراج الدرهم عليه اشق فالكرا افضل له وان كان المشي عليه اشق فمشيه افضل ثم قال
هذا يختلف باختلاف احوال الناس من اهل الرفاهة والنعمة والمتعودين للمشي وعندي ان الاعتمار
ماشيا افضل وكذلك الحج ماشيا لمن اطاق وصبر عليه للاثر في ذلك وقد روينا في خبر من طريق اهل البيت

إذا كان في آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم
للمسألة وقراؤهم للسمعة ومن فضائل الحج أن لا يقوي أعداء الله سبحانه وتعالى الصادين عن المسجد
الحرام بالمال يضاهي المعونة بالنفس والصد عن المسجد الحرام يكون بالمنع والإحصار ويكون بطلب المال
فليحتل في التخلص من ذلك فإن بعض علمائنا كان يقول ترك التنفل بالحج والرجوع عنه أفضل من تقوية
الظالمين بالمال لأن ذلك عنده دخيلة في الدين ووليجة في طريق المؤمنين وإقامة وإظهار لبدعة
أحدثت من الآخذ والمعطي فهما شريكان في الإثم والعدوان وهذا كما قال لأن جعل بدعة سنة ودخولا
في صغار وذلة ومعاونة على وزر أعظم في الجرم من تخلف حج نافلة قد سقط فرضه كيف وفي ذلك
إدخال ذلة وصغار على الإسلام والمسلمين مضاهيا للجزية وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل واحد من المسلمين على ثغر من ثغور الإسلام فإن ترك المسلمون فاشدد لا يؤتى الإسلام من قبلك وفي الخبر
المشهور المسلمون كرجل واحد ومثل المسلمين كمثل الرأس من الجسد يألم الجسد لما يألم له الرأس ويألم
الرأس لما يألم له الجسد وقد يترخص القائل في ذلك بتأويل أنه مضطر إليه وليس كما يظن لأنه لو رجع
لما أخذ منه شيء لو خرج في غير زي المترفين مما أحدث من المحامل لما أخذ منه شيء فقد زال الاضطرار
وحصل منه بالطوع والشهوة والاختيار ولعل هذا الذنب عقوبة ما حملوا على الإبل فوق طاقتها من البيوت
المسقفة التي علوها عليها كان البعير يحمل الرجل ورحله فجعلوه يحمل مقدار أربعة وزيادة فأدى
ذلك إلى تلفها فهم مطالبون بقتلها لأن من حمل بعيرا فوق طوقه حوسب بذلك وطولب به أو لعله ذنب
ما خرجوا به من التجارات وفضول الأسباب وشبهات الأموال أو لسوء النيات وفساد المقاصد وقد
روينا أن أبا الدرداء قال لبعير له في الموت أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق
طاقتك وقد يعاقب الله سبحانه وتعالى على الذنب بذنب مثله أو فوقه وينبغي أن يكون في المشاعر والمناسك
أشعث أغبر فإنه سنة ويكثر ذكر الله سبحانه وتعالى في طريقه وجميع مناسكه ويذكر به الغافلين ويقل
ذكر الناس ويلزم الصمت فيما لا يعنيه ولا يتكلف ما قد كفي ولا يدخل فيما لم يكلف وإن رأى موضعا
للمعروف أمر به أو منكرا نهى عنه فبهذه المعاني يضاعف أجر الحج ويفضل الحاج واستحب أن يقرن
بين حجة وعمرة من ميقاته لأن فيه إجابة هدي يتقرب به ويكون جامعا بين نسكين من ميقات بلده ويكون
قد أتى بالعمرة أيضا لأنها مقرونة بالحج في الكتاب ولأن مذهب كثير من العلماء أنها فريضة كالحج وكان
جماعة من السلف يستحبون الابتداء بالعمرة ويقدمونها على الحج منهم الحسن وعطاء وابن سيرين والنخعي
رحمة الله عليهم وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بينهما وأهل بهما معا وقد حدثت عن

يتفق

المسلمين أن رجع عن تحكيم الحكمين وكفروا أهل الكبائر بالمعاصي فرأى علي رضي الله عنه ما أراه الله سبحانه
وتعالى وبما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المارقين فقتلهم فهم هؤلاء في النار وقاتلوهم علي
وأصحابه خير أهل الأرض في الجنة وكان رئيسهم في الضلال وقائدهم في القتال عبد الله بن الكواء الأعور
وقد كان علي رضي الله عنه يبغضه ويسبه قبل أن يظهر منه ما ظهر فخرج عليه في ستة آلاف فأرسل
علي رضي الله عنه عبد الله بن عباس يناظرهم ويحاجهم فسبوه وبطشوا به وجرأهم عليه ابن الكواء
فقام خطيبا فيهم فقال أتعرفوني هذا أنا أعرف فكموه بها من القوم الذين قال الله سبحانه وتعالى
فيهم ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ثم تراجع بعضهم إلى ابن عباس فسايله فكشف له عن
الحق واستتاب منهم الفين وقاتل علي رضي الله عنه أربعة آلاف فهذه أول فرقة مرقت من الدين
واتبعت غير سبيل المؤمنين ثم افترقت الفرقة الثانية بالمدائن فرأوا دين الإرجاء وأن الإيمان قول
ولا عمل وأنه لا يزيد ولا ينقص فكتب بذلك إلى أمير الشام فهم بقتالهم ثم شغل عنهم بقتال الروم ثم افترقت
الثالثة بالبصرة وهم القدرية إمامهم معبد الجهني وتابعه عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهم
ثم خرجت الفرقة الرابعة بالكوفة وهم الرافضة سموا بذلك لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين رضوان الله عليهم
حين خرج يقاتل هشاما فقالوا له تبرأ من أبي بكر وعمر فقال هما جداي وإماما عدل لا أتبرأ منهما
فرفضوه ثم افترقت كل فرقة ثماني عشرة فرقة فتمت اثنتين وسبعين فرقة وكلها تنبع بأرض العراق ومنه
طلع قرن الشيطان وظهرت الفتن نعوذ بالله منها ما ظهر وما بطن وقد روينا عن ابن عباس رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى بلاثة أملاك ملك على ظهر بيت الله وملك على مسجد رسول الله ظهر
صلى الله عليه وسلم وملك على ظهر بيت المقدس يناذون في كل يوم يقول الملك الذي على ظهر بيت الله عز وجل
من ضيع فرائض الله عز وجل خرج من أمان الله عز وجل ويقول الملك الذي على ظهر مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول الملك
الذي على ظهر بيت المقدس من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل

شرح معاملة القلب من العلم الظاهر

ذكر مباني الإسلام وأركان الإيمان

قال الله عز وجل وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم
وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا وقال سبحانه وتعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه
الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا وقال جل وعلا وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم
لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين فمباني الإسلام خمسة شهادة أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وهما كواحد لاتصال أحدهما بالأخرى في الوجوب والحكم وإقام الصلوات

الخمس وهي كواحدة منها لتعلق كل واحدة بصاحبتها وايتاء الزكوة وهي كالصلاة لاقترانها بها والاشتراط
لها وصوم شهر رمضان وحج البيت وهما كشيء واحد من الفرض فهذه الخمس كواحدة منهن في ايجاب العقد
واعتقاد الوجوب وان اختلف الحكم في سقوط فعل بعضها بشرط **ذكر** اركان الايمان وهي سبعة
الايمان باسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته والايمان بكتب الله عز وجل وانبيائه والايمان بالملائكة والشياطين
والايمان بالجنة والنار وانهما قد خلقتا قبل آدم صلوات الله عليه والايمان بالبعث من بعد الموت
والايمان بجميع اقدار الله سبحانه وتعالى خيرها وشرها حلوها ومرها انها من الله عز وجل قضاء وقدرا
ومشيئة وحكما وان ذلك عدل منه وحكمة بالغة استأثر بعلم غيبها ومعاني حقائقها لا يسأل عما
يفعل ولا تضرب له الامثال بملزمات العقول وتمثيلات المعقول تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقد شهد الله
سبحانه وتعالى بالضلال على من ضرب لعبده الامثال فقال تعالى جده انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا
فكيف بمن ضرب المثل للسيد الاجل بعد نهيه عن ذلك واخباره بعلم غيب ذلك اذ يقول فلا تضربوا لله الامثال
ان الله يعلم وانتم لا تعلمون والايمان بما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبول جميعه وافتراض
طاعته وامره على العباد والتزام ذلك اذ قد جعل الله سبحانه وتعالى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم من شرط
الايمان وقرنها بطاعته فقال عز وجل واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين واشترط للرحمة طاعة
الرسول كما اشترط لها تقواه فقال عز وجل واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون وحذر من مخالفة امر رسوله
صلى الله عليه وسلم كما حذر من نفسه لانه اقام رسوله في الاستجابة له مقامه وجعله في المبالغة في الوصف
والمدح بدلا عنه فقال سبحانه وتعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب
اليم كما قال سبحانه وتعالى ويحذركم الله نفسه وقال جل وعلا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما
يحييكم لانه قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وهذه امدح اية في كتاب الله عز وجل وابلغ فضيلة
فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه جعله في اللفظ بدلا عنه في الحكم مقامه ولم يدخل بينه وبينه
كاف التشبيه فيقول كانما ولا لام الملك فيقول لله وليس هذا المقام من الربوبية لخلق غير رسول الله
صلى الله عليه وسلم **ذكر** اتصال الايمان بالاسلام في المعنى والحكم وافتراقهما في التفصيل والاسم
وان كل مؤمن مسلم وتحقيق القول بالعمل وابطال مذهب الجهمية والكرامية والحرورية وبيان مذهب
اهل السنة والجماعة وفقنا الله سبحانه وتعالى لذلك قال قائلون الايمان هو الاسلام وهذا قد اذهب
التفاوت في المقامات وهذا يقرب من مذهب المرجئة وقال آخرون ان الاسلام غير الايمان وهؤلاء
قد ادخلوا التضاد والتغاير وهذا قريب من قول الاباضية فهذه مسئلة مشكلة تحتاج الى شرح

وتفصيل اعلم ان مثل الاسلام من الايمان كمثل الشهادتين احداهما من الاخرى في المعنى والحكم فشهادة
الرسول غير شهادة التوحيد فهما شيئان في الاعيان واحداهما مرتبطة بالاخرى في المعنى والحكم كشيء واحد
كذلك الايمان والاسلام احدهما مرتبط بالآخر فهما كشيء واحد لا ايمان لمن لا اسلام له ولا اسلام لمن لا ايمان
له اذ لا يخلو المسلم من ايمان به يصح اسلامه ولا بد للمؤمن من اسلام به يحقق ايمانه من حيث اشترط الله عز وجل
للاعمال الصالحة الايمان واشترط للايمان الاعمال الصالحة فقال سبحانه وتعالى في تحقيق ذلك ومن يعمل
من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وقال في تحقيق الايمان بالعمل ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات
فاولئك لهم الدرجات العلى فمن كان ظاهره اعمال الاسلام ولا يرجع الى عقود الايمان بالغيب فهو منافق
نفاقا ينقل عن الملة ومن كان عقده الايمان بالغيب ولا يعمل باحكام الايمان وشرائع الاسلام فهو كافر
كفرا لا يثبت معه توحيد ومن كان مؤمنا بالغيب مما اخبرت به الرسل عن الله سبحانه وتعالى عاملا بما
امر به فهو مؤمن مسلم ولولا انه كذلك لكان المؤمن يجوز ان لا يسمى مسلما ولجاز ان لا يسمى المسلم مؤمنا
بالله سبحانه وتعالى وقد اجمع اهل القبلة ان كل مؤمن مسلم وان كل مسلم مؤمن بالله تعالى ورسله وكتبه
ومثل الايمان من الاعمال كمثل القلب من الجسم لا ينفك احدهما من الآخر لا يكون ذو جسم حي لا قلب له ولا ذو
قلب بغير جسم فهما شيئان منفردان وفي الحكم والمعنى متصلان ومثلهما ايضا كمثل حبة لها ظاهر وباطن
وهي واحدة لا يقال حبتان لتقارب وصفيهما وكذلك اعمال الاسلام من الايمان الاسلام هو ظاهر الايمان
وهو اعمال الجوارح والايمان باطن الاسلام وهو اعمال القلوب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية
والايمان سر وفي لفظ آخر والايمان في القلب فالاسلام اعمال الايمان والايمان عقود الاسلام فلا
ايمان الا بعمل ولا عمل الا بعقد ومثل ذلك مثل العلم الظاهر والباطن احدهما مرتبط بصاحبه من
اعمال القلوب واعمال الجوارح ومثله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات اي لا عمل الا
بعقد وقصد لان قوله انما تحقيق للشيء ونفي لما سواه فاثبت بذلك اعمال الجوارح من المعاملات واعمال
القلوب من النيات ومثل العمل من الايمان كمثل الشفتين من اللسان لا يصح الكلام الا بهما لان الشفتين
تجمع الحروف واللسان يظهر الكلام وفي سقوط احدهما بطلان الكلام كذلك في سقوط العمل ذهاب الايمان
ولذلك عدد الله سبحانه وتعالى في نعمه على الانسان بالكلام ذكر الشفتين مع اللسان في قوله عز وجل
الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين المعنى الم نجعله ناظرا متكلما فعبر عن الكلام باللسان والشفتين
لانهما مكان له وذكر الشفتين لان الكلام الذي جرت النعمة به لا يتم الا بهما ومثل الايمان والاسلام
ايضا كفسطاط قائم في الارض له ظاهر واطناب وله عمود في باطنه فالفسطاط مثل الاسلام

له اركان من اعمال العلانية والجوارح وهي الاطناب التي تمسك ارجاء الفسطاط والعمود الذي في
باطن الفسطاط مثله كالايمان لا قوام للفسطاط الا به وقد احتاج الفسطاط اليهما اذ لا استقامة له
ولا قوة الا بهما كذلك الاسلام من اعمال الجوارح لا قوام له الا بالايمان والايمان من اعمال القلوب لا ينفع له
الا بالاسلام وهو صالح الاعمال وقد عبر الله سبحانه وتعالى عن الايمان بالاسلام فلولا انهما كشيء واحد
ما عبر عن احدهما بالآخر فقال سبحانه وتعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين ولم يكونا بيتين انما هما اهل بيت واحد لوط وبناته وقال سبحانه وتعالى في مثله ان كنتم آمنتم
بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فعطف قوله عز وجل ان كنتم مسلمين على قوله ان كنتم آمنتم فدل
على انهما اسمان بمعنى واحد وهذا كقوله سبحانه وتعالى فيما عبر عن الايام بالليالي لان اليوم مرتبط بالليلة
وانت تعلم انهما شيئان فقال في قصة واحدة قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا وقال ايضا في ذلك
آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا وايضا فان الله سبحانه وتعالى قد جعل ضد الاسلام والايمان واحدا
فلولا انهما كشيء واحد في الحكم والمعنى ما كان ضدهما واحدا فقال سبحانه وتعالى كيف يهدي الله قوما
كفروا بعد ايمانهم وقال عز وجل ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون فجعل ضدهما الكفر وعلى هذا اخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام بوصف واحد فقال في حديث ابن عمر رضي الله عنهما بني الاسلام
على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت
وقال في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن وفد عبد القيس انهم سالوه عن الايمان فذكر هذه الاوصاف
فدل ذلك على انه لا ايمان باطن الا باسلام ظاهر ولا اسلام علانية الا بايمان سر وان الايمان والعمل
قرينان لا ينفع احدهما بغير صاحبه ولا يصح احدهما الا بالآخر كما لا يصحان ولا يوجدان معا الا بنفي
ضدهما وهو الكفر كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكفر احد الا بجحود ما اقر به واظهر من حديث ابن
عباس رضي الله عنهما آنفا ان في نفس حديث ابن عمر رضي الله عنهما ذكر الايمان بدلا من لفظ الاسلام رواه
جرير عن سالم بن ابي الجعد عن عطية مولى بني عامر عن زيد بن بشير قال اتيت ابن عمر رضي الله عنهما فجاءه
رجل فقال يا عبد الله بن عمر ما لك تحج وتعتمر وقد تركت الغزو فقال ويلك ان الايمان بني على خمس تعبد
الله سبحانه وتعالى وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم شهر رمضان كذلك حدثنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد اشترط الله سبحانه وتعالى للايمان العمل الصالح ونفى النفع بالايمان الا بوجود
العمل كما شرط للايمان الاسلام فقال سبحانه وتعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل
الله سيئاتهم حسنات اجمع اهل التفسير الا من تاب من الشرك كقوله سبحانه وتعالى فان تابوا واقاموا

الصلاة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم بعد قوله سبحانه وتعالى فخذوهم واحصروهم وقال سبحانه وتعالى وما
اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا وقال الذين آمنوا وكانوا يتقون
كما قال الله عز وجل الذين آمنوا باياتنا وكانوا مسلمين فاشترط للايمان الاعمال والتقوى كما اشترط للاعمال
الصالحة الايمان فجمعا لو عمل العبد الصالحات كلها لم تنفعه الا بايمان كذلك لو آمن الايمان كله لم ينفعه
الا باعمال وفي وصية لقمان عليه السلم لابنه يا بني كما لا يصلح الزرع الا بالماء والتراب كذلك لا يصلح
الايمان الا بالعلم والعمل فاما تفرقة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلم لما سأله ما الايمان فقال
ان تؤمن بالله سبحانه وتعالى وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره
ثم قال ما الاسلام فذكر الخصال الخمس فان ذلك تفصيل اعمال القلوب وعقودها على ما توجب هذه المعاني
التي وصفها ان تكون عقودا من تفصيل اعمال الجوارح فيما يوجب الافعال الظاهرة التي وصفها ان تكون
علانية لا ان ذلك يفرق بين الاسلام والايمان في المعنى بالاختلاف والتضاد وليس فيه دليل انهما مختلفان
في الحكم اذ قد يجتمعان في عبد واحد مسلم مؤمن فيكون ما ذكره من عقود القلب في صف قلبه وما ذكره من العلانية
بصف ظاهر جسمه الدليل على ذلك انه جعل وصف الاسمين معنى واحدا في حديث ابن عمر رضي الله عنهما وفي حديث
وفد عبد القيس الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد روي ذلك مفصلا في حديث علي رضي الله عنه
الايمان قول باللسان وعقد بالقلب وعمل بالاركان فادخل اعمال الجوارح في عقود الايمان وايضا فان الامة
مجمعة ان العبد لو آمن بجميع ما ذكره من عقود القلب في حديث جبريل عليه السلام من وصف الايمان ثم لم
يعمل بما ذكره من وصف الاسلام باعمال الجوارح انه لا يسمى مؤمنا وانه لو عمل بجميع ما وصف به الاسلام
ثم لم يعتقد ما وصفه من الايمان انه لا يكون مسلما وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان الامة لا تجتمع على ضلالة وليس
فيه دليل على ان الاسلام غير الايمان او ان المسلمين سوى المؤمنين او ان الايمان ضد الاسلام والوجه الثاني
من تاويل الخبر ان معنى قوله او مسلم يعني به او مستسلم فاذا جمع بين عقود القلب وبين اعمال الجوارح
كان مسلما مؤمنا ومن لم يقل بهذا الذي ذكرناه فقد كفر ابا بكر رضي الله عنه وجهله في قتال اهل الردة
وادعى عليه انه قتل المؤمنين لان القوم قد جاؤوا بعقود الايمان ولم يجحدوا التوحيد ولا اكثر الاعمال
وانما انكروا الزكوة فاستحل قتلهم وواطاه الصحابة على ذلك حتى استتاب من رجع منهم واما الحديث
الآخر الذي جا ظاهره ان النبي صلى الله عليه وسلم فرق بين المؤمن والمسلم في انه اعطى رجلا عطا ولم يعط الآخر
فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه فاعاد رسول الله
صلى الله عليه وسلم او مسلم فانما في هذا دليل على تفرقة الايمان والاسلام في التفاضل والمقامات اي ليس هو

من خصوص المؤمنين ولا أفاضلهم فكشف مقام النبي خفي على سعد كما كشف مقام حارثة عن حقيقة إيمانه
إذ كان خاملاً لا يؤبه له فقال كيف أصبحت فنطق بوجده عن مشاهدته فقال عرفت فالزم وفي لفظ آخر
عبد نوّر الله قلبه بالإيمان فهذا دليل لنا في تفضيل مقام الإيمان على مقام الإسلام وأن المؤمنين متفاضلون
في الإيمان وإن تساووا في أعمال الجوارح من الإسلام وليس فيه دليل على أن الإسلام غير الإيمان أو أن المسلم سوى
المؤمن أو أن الإيمان ضد الإسلام والوجه الثاني في تأويل الخبر أن معنى قوله أو مسلم يعني به أو مستسلم حذر
القتل فآثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي آمن طوعاً على المكره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يعطي
من المؤلفة الرؤساء ومن يؤمن عاديته وجمعه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه المشركين كما أكرم الرجل
بعد أن تكلم فيه فقيل له في ذلك فقال هذا أحمق مطاع أو من تكثر عشيرته وأتباعه فيكون ظهيراً على المؤمنين
أو من فيه غناء للمسلمين ومنفعة وعدة لهم فأما الأتباع والسفلة من المؤلفة فلم يكن يؤثرهم بالعطاء
بل كان يؤثر المؤمنين ويقدمهم على أرذال المؤلفة وضعفائهم كما فعل بالقسم الذي قسمه بين المؤمنين فأعطاهم
الأرذلين من القراء له سجادة محلوق الرأس فإنه لم يعطه فقال إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله سبحانه
وتعالى والله ما عدل فقال صلى الله عليه إن لم أعدل فمن يعدل وكان ذلك أول قرن نبغ من الخوارج ألا
تراه لم يعط هذا شيئاً ولم يبال به لأنه لم يكن من خصوص المؤمنين ولا ممن يتّقى بأسه أو يظهر في الإسلام
غناؤه فيتألّف بالعطاء وهذا مثل قول فرعون حين أدركه الغرق فاضطر إلى الاستسلام للقدرة آمنت
أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين أجمع أهل التفسير أن معناه من المستسلمين فإن قيل
فقد روي في آخر هذا الخبر في بعض الروايات ما يدل على ضد هذا التأويل وأن الرجل كان فاضلاً لا أنه كان
مستسلماً وهو أن في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إني لأعطي قوماً وأمنع آخرين أجلهم إلى ما جعل الله
سبحانه وتعالى في قلوبهم من الإيمان منهم فلان قيل إن هذا الكلام مستأنف من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث بجوامع الكلم وكان يسأل عن الشيء فيخبر به ويزيد عليه للبيان والهداية التي أعطي فكأنه أراد أن
يخبر بتنوع عطائه وبضروب المعطين من الناس هذا للحاجة وهذا للفضل وهذا للتألف لا أن الذي
منعه كان أفضل من الذي أعطاه إذ لو كان الأمر كما قال هذا القائل لكان الإسلام أفضل من الإيمان ولكان
المسلمون أفضل من المؤمنين ولم يقل هذا أحد من العلماء لأن الإيمان خاص فيه التفاوت والمقامات فهو
يشتمل على الإسلام والإسلام داخل فيه والمؤمنون هم خصوص المسلمين منهم المقربون والصديقون
والشهداء والإسلام عام محدود يوصف به عموم المؤمنين ويدخل فيه أهل الجنايات والإجرام ولا يخرج منه
من فارق الكفر ووقع عليه اسم الإيمان كما قال الله سبحانه وتعالى فيمن افترى على الله الكذب وأخبر عنه بالفسوق

ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين فعلى إجماعهم
أن الإيمان أعلى إسقاط وهم من توهم أن الرجل كان أفضل كيف وقد روينا تخصيص الإيمان عن النبي
صلى الله عليه وسلم نصاً أنه سئل أي الأعمال أفضل فقال الإسلام قيل فأي الإسلام أفضل قال الإيمان فجعل
الإيمان مقاماً في الإسلام ففي هذا الحديث أيضاً تخصيص للإيمان على الإسلام لا تفرقة بينهما بمعنى في وصف
الرجل أو مسلم فدل على بطلان ما تأوله القائل لأن هذه اللفظة بألف الاستفهام لا تستعمل في عرف
الكلام إلا في الوصف الأنقص والحال الأدنى فافهم وأما قوله سبحانه وتعالى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا أسلمنا فإن هذا أيضاً من هذا النوع معناه قولوا استسلمنا حذر القتل وهؤلاء ضعفة
المؤلفة وأرذالهم كانوا ينقمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم إيثاره وتقريبه المؤمنين بالعطاء عليهم
وإرجاءه إياهم فقالوا لم لا يعطينا كما يعطي المؤمنين فإنا مؤمنون كهم فأخبر الله تعالى بذلك عنهم
وأكذبهم في دعواهم وهم الذين قص الله تعالى أخبارهم في قوله سبحانه وتعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات
فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ففي هذه الآية دليل أن النبي صلى الله عليه وسلم
لم يكن يعطي هذا الضرب من المؤلفة وليس في الآية تفرقة بين الإسلام والإيمان بدليل قوله تعالى في الآية التي
بعدها يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان فسمى إسلامهم
إيماناً لأنه عطف بعض الكلام على بعض ورد أوله إلى آخره وإنما أسقط المنة به على رسوله وأثبت المن
عليهم بنفسه وعطف آخر الاسم على أوله وغاير بين اللفظين فلم يرد أحدهما على الآخر فيقول أن هداكم
للإسلام لاتساع لسان العرب وليفيدنا فضل بيان وأن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى كما قال هل من
خالق غير الله يرزقكم ولم يقل يخلقكم ليبين أن الرازق هو الخالق وليفيد وصفاً ثانياً وصف به نفسه
تعالى فهو كقوله فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وكذلك قرأها في
مصحف ابن مسعود قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المسلمين فلولا أنهما بمعنى لم يجز أن يقرأ بخلاف المعنى
فأما ما روي عن أبي جعفر محمد بن علي الإيمان مقصور في الإسلام فمعناه هو في باطنه قال وأدار دارة
كبيرة فقال هذا الإسلام ثم أدار في وسطها دارة صغيرة فقال وهذا الإيمان في الإسلام فإذا فعل
وفعل خرج من الإيمان وصار في الإسلام يريد أنه خرج من حقيقة الإيمان وكماله ولم يكن من الموصوفين
المنعوتين بالخوف والورع من المؤمنين لا أنه خرج من الاسم والمعنى حتى لا يكون مؤمناً بالله عز وجل مصدقاً
برسله وكتبه ألا ترى أن الدارة الصغيرة غير خارجة من الدارة الكبيرة التي أدارها حولها فجعلها
فيها وضرب المثل بها لكنها خالصها ولبها ومخصوصة فيها ولو كان أراد أنه يخرج من الإيمان أصلاً

[illegible] ولم يجعل احدهما جوف الاخرى وكذلك جاء في الخبر لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا
يشرب الخمر وهو مؤمن معناه كامل الايمان او مؤمن حقا لان حقيقة الايمان وكماله بالخوف والورع اذ الامة
مجمعة ان اهل الكبائر ليسوا بكافرين واذا فسق بالزنا او بشرب الخمر خرج من حقيقة الايمان وهو الخوف
والورع ولم يخرج من اسمه ومعناه وهو التصديق والتزام الشريعة وفيه معنى لطيف كانه يرتفع منه ايمان
الحياء لان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحياء من الايمان والمستحيي لا يكشف عورته على حرام ويبقى ايمان
الاسلام والتوحيد وايجاب الاحكام وقد روينا عن الحسن بيان ذلك انه قال الايمان حقيقة الاسلام
وقيل لحذيفة من المنافق فقال الذي يتكلم بالاسلام ولا يعمل به فسمى علم الايمان اسلاما وقرن
القول بالعمل وقال الثوري رحمه الله الناس عندنا مؤمنون مسلمون في حدودهم وفرائضهم وفي النكاح
وفي المواريث وفي الصلاة خلفهم والصلاة عليهم لا نحاسب الاحياء ولا نقضي على الاموات ونكل ما لا نعلم من
سرائرهم الى الله عز وجل ونسمع بالتشديد فنخافه ونسمع باللين فنرجوه لاهل القبلة ونتهم راينا الراي
السلف قبلنا وما ذكرناه من ان الاسلام والايمان قرينان لا يفترقان هو مذهب فقهاء اصحاب الحديث
وطريقة ائمة السلف

ذكر تفصيل ما نقل عن المحدثين في التفرقة بينهما وما جاء في معناه

فاما ما حكي عن بعض اصحاب الحديث انه فرق بين الايمان والاسلام فقال الزهري رحمه الله الاسلام الكلمة
والايمان بالعمل وقال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله وقد سئل عن الايمان والاسلام فقال هما شيئان
وقول حماد بن زيد رحمه الله الاسلام عام والايمان خاص فان قول هؤلاء على جملة قولنا وهو دليل له وشاهد
عليه وانهم لم يفرقوا بين الاسلام والايمان تفرقة اختلاف ولا تضاد ولم يريدوا ان احدهما يوجد
ويصح دون الآخر ليواطئوا مذهب المرجئة لانهم ابعد شيء منهم اذ هم اصحاب اثر وتوقيف وانما
فرقوا بينهما تفريق تفاوت وتخصيص اي ان الايمان اخص واعلى لان الزيادة والنقصان فيه والفضائل
والمعاملات عنه والاستثناء واجب فيه وان الاسلام عام لا يخرج منه الا الكافرون اذ ليس وراءه
شيء وعند جماعة من العلماء ان الاستثناء غير واجب في الاسلام لانه محدود معلوم فهذا كان قصد
من فرق بين الايمان والاسلام وهو طريقة بعض السلف في عبارة القدماء وهذا مثل الخبر الذي روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم سئل اي الاعمال افضل قال الاسلام قيل فاي الاسلام خير قال الايمان فلم يفرق بينهما
ولكنه خصص فجعل الايمان حقيقة الاسلام وخالصه لانه اجزائه منه فهذا من قوله من حسن اسلام
المرء تركه ما لا يعنيه اي من تحققه بالاسلام ومن اعلى اسلامه بهذا الوصف وهذا هو نعت المؤمن
الموقن الزاهد وجميع ما شرحناه وذكرناه عن السلف يبطل قول المرجئة والكرامية والاباضية ويدحض

دعاويهم في ان الايمان قول او معرفة وعقد بلا عمل وهذا ايضا رد على المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين
الذين يقولون مؤمن وفاسق وكافر فلا يجعلون الفاسق مؤمنا وهو رد على الحشوية والجهمية والقطعية
والحرورية اصناف من الخوارج يقولون من اتى كبيرة خرج من الايمان وان اهل الكبائر كفار يحل
قتلهم ويقولون ان اهل البغي من الائمة كفرة يجب على الرعية قتالهم وقد ابتلينا بطائفتين مبتدعتين
متضادتين في المقالة المرجئة والمعتزلة قالت المرجئة ان الموحدين لا يدخلون النار وان عملوا بالكبائر
والفسوق جهلا لان ذلك لا ينقص ايمانهم وقالت المعتزلة ان الفاسق ليس بمؤمن وان مات على صغيرة من
الصغائر من غير توبة دخل النار لا محالة ولم يخرج منها خالدا مع الكفار والصواب من ذلك ان الفاسق
مؤمن لا يخرجه فسقه من اسم الايمان وحكمه ولكن لا يدخله في المؤمنين حقا من الصديقين والشهداء وان اهل
الكبائر قد استوجبوا الوعيد ودخول النار وجائز ان يعفو الله سبحانه وتعالى عنهم بكرمه ويسمح
لهم بجوده ويوضح قولنا ويصححه قول الله سبحانه وتعالى اليوم اكملت لكم دينكم اجماع من المفسرين انها نزلت
بعد نزول الفرائض واتمام الشرائع في حجة الوداع وهي آخر حجة حجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
نزول فرض الحج لان سورة المائدة مدنية باجماع من القراء وهي من آخر ما نزلت من القرآن اتفاق
من الفقهاء ولم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية الا ثلاثة اشهر وثلاثة ايام اتفق
عليه اهل التاريخ لانها نزلت يوم التاسع من ذي الحجة في آخر يوم عرفة وقبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاثنتي عشرة خلون من ربيع الاول فقال الله سبحانه وتعالى بعد نزول الاحكام واحكام
الحلال والحرام اليوم اكملت لكم دينكم والاكمال هو اتمام الشيء الذي بعضه متعلق ببعض فلا يقال اكمل
لما كان لم يمنه بعد ولا لما لا بعض له وانما يقال اكمل لما كان بعضه قبل بعض فاذا وجد جميعه قيل قد
اكمل وتم هذا هو حقيقة هذه الكلمة فلما كان الايمان قد تقدم بكله وانزل الله سبحانه وتعالى الفرائض
والدين شيئا بعد شيء وكان الاكمال من الدين دل ان بعضه متعلق ببعض الى يوم كمله فصارت الاعمال
متعلقة بالايمان وهما الدين الكامل وقال بعض السلف من لم يقل من المرجئة ان ابليس مؤمن لانه
قد اقر بالايمان وقال به انكر عليه مذهبه ولعمري ان ابليس لعنه الله موحد لله عز وجل عارف به الا انه
لم يعمل بالتوحيد ولم يطع من عرفه وآمن به فكفر فاما تعلقهم بقول الله عز وجل فاثابهم الله بما قالوا
جنات تجري من تحتها الانهار فان شرط القول للجنات وعلق الجزاء بالقول فانما ذلك اثبات منه
سبحانه وتعالى لتحقيق القول وانه قول ايمان ويقين وانهم غير متعوذين بالقول ولا متخذيه جنة كالمنافقين
اذ المنافقون قد قالوا كقولهم الا انه اخبر عن سرائرهم بضده فقال هم للكفر يومئذ اقرب منهم

الايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فاراد سبحانه وتعالى بان قول هولاء قول المومنين وان قولهم
ايمان من اعمالهم لانهم منفردون بالقول دون العمل وفيه ايضا دليل ان القول بالحق من الايمان وانه
يستحق عليه ثواب لانه من اعمال البر بمنزلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاما ان يكون فيه دليل
ان القول حسب هو الايمان كله وان الايمان يكون قولا لا يحتاج الى العمل فهذا باطل بالادلة التي قدمنا
ذكرها من الآي التي شرط الله سبحانه وتعالى فيها الاعمال ومن قوله في الكفار فان تابوا واقاموا الصلاة
واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم وايضا فان في نفس هذه بطلان دعوى المرجئة لان الله سبحانه وتعالى لم
يقل فلم يثبهم الله سبحانه وتعالى الا بما قالوا وانما قال عز وجل فاثابهم الله بما قالوا فاخبر انه اجرهم
على قولهم بالحق كما قال فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ثم احكم ذلك وقيده وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكوة ولكن هولاء كما قال الله سبحانه وتعالى
فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء تاويله وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
رايتم الذين يتبعون ما تشابه من القرآن فهم الذين عنى الله سبحانه وتعالى بهم فاحذروهم وذلك ان الله
سبحانه وتعالى قرن الاعمال بالايمان في كل المواضع فلم تتفقه المرجئة مع شيء من هذا البيان والاحكام
فلما اجمل القول في موضع لما ذكرناه من السبب تعلقوا به ووقفوا معه وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم صنفان لا نصيب لهما في الاسلام وفي لفظ آخر لا تنالهم شفاعتي القدرية والمرجئة وفي
الحديث الغريب طائفتان لا يدخلون الجنة من قال ان الايمان كلام وروا حذيفة رحمه الله فقال اني اعلم
اهل دينين من اهل النار قوم يقولون ان الايمان كلام وقوم في آخر الزمان يقولون كان اولونا ضلالا نسال الله
عز وجل بان ابصرنا عن فهم آياته وان لا يبتلونا بالكبر وان يرينا سبيل الرشد ويوفقنا لاتخاذه
سبيلا وان يرينا سبيل الغي ويعصمنا من اتخاذه سبيلا كما اخبر بذلك عن اعدائه فقال سبحانه
وتعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يومنوا بها وان يروا
سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا الآية

ذكر الاستثناء في الايمان والاشفاق من النفاق

وطريقة السلف في ذلك فاما الاستثناء في الايمان فانه سنة ماضية وفعل الائمة الراضية على معنى
الخوف والتقصير وكراهة التزكية للنفس لا على وجه الارتياب في اليقين ولا بمعنى الشك في التصديق
اذ الايمان مقامات والمومنون فيه درجات ولذلك قال الله سبحانه وتعالى لقوم موصوفين باعيانهم اولئك
هم المومنون حقا فهذا وصفهم بالكمال لوصفهم بخالص الاعمال ففي دليل خطابه ان ثم مومنين غير
حقا كيف وقد قال وان فريقا من المومنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين وقال سبحانه وتعالى

في وصف آخرين يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وقال في نعت الصادقين انما المومنون الذين آمنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون وقال في
مثل وصفهم ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة الآية فذكر عز وجل عشر اوصاف الى قوله سبحانه وتعالى
اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون منها الايثار بالمال على حبه والوفاء بالعهد والصبر في الامراض
والجوع والشدائد فبعد ذلك شهد لهم بالصدق والتقوى وقال عز وجل في وصف المحبوبين من المومنين
ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم وقال في نعت عموم المومنين وان تومنوا وتتقوا يوتكم اجوركم
ولا يسالكم اموالكم ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم فشتان بين من وصف بالمجاهدة
والصدق وبين من نعت بالخلف وعرض للفتنة وبين من وصف بالحق وبين من يجادل في الحق وكم بين
من قبل منه المال والنفس وبين من رد عليه المال ولم يساله لما علم منه من البخل والضغن واسم
الايمان يجمعهم ومعناه يشتمل عليهم الا ان مقامات الايمان يرفع بعضهم على بعض وتفاوت بين بعضهم
وبعض كما قال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وكقوله لا يستوي منكم من
انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد الفتح وقاتلوا وكلا وعد الله
الحسنى يعني الجنة على تفاوت الدرجات فيها فجمع بينهم في الدرجات علوا في المقامات كما قال هم
درجات عند الله والله بصير بما يعملون وقد روينا في خبر الايمان عريان ولباسه التقوى وحليته
الورع وثمرته العلم ففيه دليل ان من لا تقوى له فلا لباس لايمانه ومن لا ورع له فلا زينة لايمانه
ومن لا علم له فلا ثمرة لايمانه فان اتفق فاسق ظالم جاهل كان بالمنافقين اشبه منه بالمومنين وكان
ايمانه الى النفاق اقرب ويقينه الى الشك اميل ولم نخرجه من اسم الايمان الا ان ايمانه عريان لا لبسة
له معطل لا كسب له كما قال او كسبت في ايمانها خيرا والنفاق مقامات قيل سبعون بابا والشرك
مثل ذلك وهم فيها طبقات وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص
وان صام وصلى وزعم انه مومن من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم
فجر وفي بعض هذا الحديث واذا عاهد غدر فصارت خمسا فان كانت فيه واحدة منهن ففيه شعبة
من نفاق حتى يدعها وفي حديث ابي سعيد الخدري وابي كبشة الانماري رضي الله عنهما القلوب
اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المومن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه
كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المدتين
غلب عليه حكم له بها وفي لفظ آخر ايهما غلب عليه ذهب به وفي الخبر الايمان بضع وسبعون

[illegible] بعض اطلاق الايمان
لـ في وجود دقائق الشرك وشعب النفاق مما يوجب الاستثناء في كمال الايمان بجواز اجتماع الايمان
والنفاق في القلب ولوجود شعب النفاق وعدم بعض شعب الايمان من القلب كيف وقد جاء في الخبر
اكثر منافقي امتي قراؤها والحديث الآخر الشرك اخفى في امتي من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة
رضي الله عنه كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى ان يموت
اني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وفي حديث علي ان الايمان ليبدو لمعة بيضا فاذا عمل العبد الصالحات عليه السلم
نما وزاد حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سودا فاذا انتهك المحرمات نمت وزادت حتى تسود
القلب فيطبع عليه فذلك الختم ثم قرا كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فهذا كله موجب الاستثنا
في الايمان خشية خفايا الشرك ووجود دقائق النفاق وخوفا من الدعوى للحقيقة والكمال
لان من قال اني مومن حقا فقد زكى نفسه وعصى ربه لان الله سبحانه وتعالى نهى عن التزكية للنفس
وعرض المزكي نفسه للكذب في قوله سبحانه وتعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وفي قوله سبحانه وتعالى
الم تر الى الذين يزكون انفسهم ثم قال انظر كيف يفترون على الله الكذب وقد قال ابرهيم صلوات الله عليه
وعلى سائر الانبياء في تفسير احد الوجهين من قوله سبحانه وتعالى ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء
ربي شيا ومثله قال شعيب صلوات الله وعلى الانبيا اجمعين وما يكون لنا ان نعود فيها يعني ملة الكفر
الا ان يشا الله ربنا ثم علل جميعا بسعة العلم وسبق المشية به فلم يامنا ان يكون في سعة علم الله عز وجل
خفي مشيته ضد ما ظهر لهما من حالته فيدركهما ما سبق في علمه لقصور علمهما عن علمه ولانه
لا مشية لهما دون مشيته وهذا هو خوف المكر وحقيقة المكر معنيان احدهما ان يظهر شيا ويخفي
ضده والثاني ان يكشف ما ستره ويغشي ما كان اسره بعد الطمانينة والغرة والانبياء مع فضلهم ومكانهم
يستثنون في الكفر خيفة المكر او لا يستثني الضعيف الجاهل في الايمان ولا يغتر بظاهر امره
بل ينبغي ان يستثني في الاسلام ايضا وفي جميع اعمال البر لان القبول غير العمل والسابقة غير ما ظهر
من المعاملة ولا ينبغي ان يدع الاستثناء في شي من الاحوال وقال بعض العلماء في معنى قوله سبحانه وتعالى
وجاءت سكرة الموت بالحق قال بالسابقة وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان
ابو الدرداء يحلف بالله عز وجل ما احد امن ان يسلب ايمانه الا سلبه ويقال من الذنوب ذنوب
تؤخر عقوبتها الى سوء الخاتمة وهذا من اخوف ما خاف العاملون مع قوله عز وجل ولهم اعمال من دون
ذلك هم لها عاملون وقيل من الذنوب ذنوب لا عقوبة لها الا سلب التوحيد في آخر نفس قيل

وهذا يكون حقيقة [illegible]
يقول من علامة الاولياء انهم يستثنون في كل شي وقال من قال افعل كذا فلم يقل ان شا الله سأله الله عز وجل
عن هذا القول يوم القيامة فان شا عذبه وان شا غفر له وقد نهى الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يقول لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله ثم قال سبحانه وتعالى واذكر ربك اذا نسيت الاستثنا اي
فاستثن اذا ذكرت فتادب صلى الله عليه وسلم بذلك احسن الادب فكان يستثني في الشي يقع لا محالة فروي
انه دخل المقابر فقال السلام عليكم اهل دار قوم مومنين وانا ان شا الله بكم لاحقون وقال سبحانه وتعالى
معلما لعباده الاستثناء ورادا لهم اليه بمشيته وهو اصدق القائلين واعلم العالمين لتدخلن المسجد الحرام
ان شا الله آمنين والاستثناء اصل يرد عليه من عرفه لم ينكر الاستثناء والاصل هو ان الايمان يزيد وينقص
فاما زيادته فقد ثبتت بنص الكتاب من قوله عز وجل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ومن قوله فزادهم ايمانا
الى نظائرها وما يزيد فهو ينقص لان معناه موجود في الكتاب بدليل الخطاب من قوله عز وجل ولا يزيد الظالمين
الا خسارا وقوله عز وجل وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ومن قوله في آذانهم وقر
وفي قوله عز وجل فاما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وما يزيد الظالمين الا خسارا ينقصهم
رجحانا ورجحا وما يزيدهم كفرهم ينقصهم ايمانا وما يكون عليهم عمى ينقصهم بصيرة وما يزيدهم رجسا
يكون لهم من الطهارة نقصا من قبل ان مزيد الشر نقصان الخير وان مزيد الخير نقصان الشر فاذا ثبت ان
الايمان يزيد بالصالحات وينقص بالسيئات وجب الاستثناء فيه لان الصالحات درجات يعلو فيها المومنون
بحسن الولايات والمجاهدات قال الله سبحانه وتعالى في المجمل من الخطاب وانتم الاعلون ان كنتم مومنين
وقال عز وجل والله ولي المومنين ثم قال في المفسر ولكل درجات مما عملوا وقال سبحانه وتعالى في مثله وهو
وليهم بما كانوا يعملون وقال عز وجل لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله
باموالهم وانفسهم الى قوله وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما رويناه في حديث واثلة بن
الاسقع الايمان يزيد وينقص وروي ذلك عن جماعة من الصحابة ومن لا يحصى من التابعين وقيل لاحمد بن
حنبل رحمه الله ما معنى الاستثناء في الايمان قال اليس الايمان قولا وعملا قيل نعم قال فالتصديق بالقول
والاستثناء في العمل وقال بعض العلماء اقرب الناس من النفاق من يرى انه منه بري وقال من آمنهم
له وقال عمر مولى عفرة اقرب الناس من النفاق الذي اذا زكي بما ليس فيه ارتاح لذلك قلبه وابعد
الناس منه من يتخوف ان لا يحيه حقيقة ما هو فيه وقال بشر بن الحارث رضي الله عنه سكون القلب
الى قبول المدح اضر عليه من المعاصي وكان سهل رحمه الله يقول غفلة العالم السكون الى الشي وغفلة

اي اهل الايمان بالشيء ليس عندهم من الدعوى والدعوى من المعاصي وقال حذيفة رحمه الله المنافقون
اليوم اكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مرة شر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا
اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نفاق اليوم فقال يا ابن اخي
لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطرقات وعنه وعن غيره لو نبتت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطأ على
الارض وسمع ابن عمر رجلا يطعن على الحجاج فقال ارايت لو كان حاضرا بين يديك اكنت تتكلم فيه بما تكلمت
الآن قال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين
في الدنيا جعل الله سبحانه وتعالى له لسانين من نار في الآخرة وفي خبر آخر شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي
هولاء بوجه وهولاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لان اكون اعلم
اني بريء من النفاق احب الي من طلاع الارض ذهبا وقال الحسن رضي الله عنه ان من النفاق اختلاف اللسان
والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه اني اخاف ان اكون منافقا
قال لو كنت منافقا لم تخف ان تكون منافقا ان المنافق قد امن النفاق الا ان النفاق على ضربين
نفاق ينقل عن الملة وهو الشك في دين الله عز وجل والرد لشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاق لا ينقل
عن الملة ولا يخرج من الاسلام ولكنه ينقص الايمان ويذهب حقيقته ويطفي انواره ويحرم مزيده ويحبط
الاعمال ويوجب المقت والاعراض وهو الريا والمداهنة والتصنع للخلق والتزين بالحق واختلاف الالسنة
واختلاف القلوب وتفاوت القول والعمل ومخالفة الامر الى ما ينهى عنه واختلاف السر والعلانية وزيادة الظواهر
على السرائر وهذا المعنى من النفاق الذي خافه السلف وكانوا منه على اشفاق وكان سهل رحمه الله يقول
المرائي حقا هو الذي يحسن ظاهره حتى لا ينكر العامة والعلماء من ظاهره شيئا وباطنه خراب وقد كان
الحسن رحمه الله واصحابه يسمون اهل البدع منافقين وكان ابن سيرين رحمه الله واصحابه يسمونهم الخوارج
وقال ابن ابي مليكة رحمه الله ادركت [illegible] وفي رواية خمسمائة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلهم يخاف النفاق على نفسه وقال مرة ما منهم احد يقول انا على ايمان جبريل وميكائيل وقد روينا
عن علي وابي سعيد قالا الارجاء بدعة وقال ايوب رحمه الله انا اكبر من الارجاء اول من احدث الارجاء
رجل من اهل المدينة ذكره وقال قتادة رحمه الله لعن الله دينا انا اكبر منه انما ظهر الارجاء بعد هزيمة
ابن الاشعث يعني ولاية الحجاج وقال سفيان الثوري رحمه الله من قال انا مومن عند الله فهو من
الكذابين ومن قال انا مومن حقا فهي بدعة قيل فما نقول قال قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما
انزل الى ابرهيم الآية وقيل للحسن رضي الله عنه امومن انت فقال ان شاء الله فقيل تستثني يا ابا سعيد

في الايمان فقال اخاف ان اقول نعم فيقول الله سبحانه وتعالى كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول
ما يومنني ان يكون الله سبحانه وتعالى قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا اقبلت لك عملا
ابدا فانا اعمل في غير معمل وكان جماعة من اهل العلم يرون السوال عن قوله امومن انت بدعة ويقول
بعضهم اذا قيل لك امومن انت فقل آمنت بالله وكتبه ورسله وقال ابرهيم رضي الله عنه اذا قيل لك
امومن انت فقل ما اشك في الايمان وسوالك اياي بدعة ورويناه عن الثوري رحمه الله عن الحسن بن عبيد الله
عن ابرهيم النخعي رحمهم الله اذا سئلت امومن انت فقل لا اله الا الله ومنصور عن ابرهيم رحمهما الله
قال سئل علقمة امومن انت قال ارجو ذلك ان شاء الله وكان الثوري رحمه الله يقول نحن مومنون بالله
وملائكته ورسله وما ندري ما نحن عند الله عز وجل وقال بعض العلماء انا موقن بالايمان غير شاك فيه
ولا ادري انا ممن قال الله سبحانه وتعالى اولئك هم المومنون حقا ام لا وقال بعض العارفين لو عرضت
علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على الشهادة قيل ولم
قال اني لا ادري ما يعرض لقلبي من التغيير عن التوحيد من باب الحجرة الى باب الدار وقال ابو سليمان
الداراني رحمه الله سمعت فلانا يعني بعض الامراء يتكلم على المنبر بكلام اردت ان اقوم فانكر عليه فخشيت
ان يامر بقتلي فلم يكن بي ان اموت ولكن خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي
فكففت عن ذلك وقال بعض الخائفين لو عرفت احدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حالت بيني وبينه
سارية ثم مات لم احكم انه مات على التوحيد لعلمي بسرعة تقلب القلوب وقال منصور بن زاذان ان
الرجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لاذا سئل امومن انت قال ان شاء الله وقال ابو وائل قال
رجل لابن مسعود لقيت ركبا فقالوا نحن المومنون فقال الا قالوا نحن من اهل الجنة وقال بعض
اصحاب عبد الله لرجل امومن انت قال نعم فذكروا ذلك لابن مسعود فقال سلوه امن اهل الجنة انت
فقال ارجو قال فالا رجيت الاولى كما رجيت الثانية ونقش ابن لبعض التابعين على خاتمه فلان رجوت
لا يشرك بالله شيئا فقال ابوه هذا اقبح من الشرك وقال بعض السلف اقرب الناس من النفاق من يرى
انه ابعدهم منه عند نفسه وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من اصحابه
فذكروا رجلا ومدحوه واحسنوا الثناء عليه فبينا هم كذلك اذ طلع عليهم الرجل يقطر وجهه ماء من
اثر الوضوء قد علق نعليه بيديه بين عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا هو الرجل الذي
وصفناه لك آنفا فلما نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ارى على وجهه سفعة من الشيطان يعني
ظلمة فجاء الرجل حتى سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس مع القوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

[illegible] أن تثبت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك قال اللهم نعم وفي الحديث
من قال إني مؤمن فهو كافر ومن قال إني عالم فهو جاهل ومن قال إني في الجنة فهو في النار وعلّم رسول الله
صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه دعاء قال فيه اللهم أعوذ بك أن أشرك وأنا أعلم وأستغفرك
لما لا أعلم وجاء في الخبر الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا وكان من دعاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم إني أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم فقيل له أتخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلوب
بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال الله سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
قيل عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فلما كان عند الحساب والميزان وجدوها سيئات وقيل كانت هذه
الآية مبكاة للعابدين وقيل في معنى قوله سبحانه وتعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا قيل صدقا لمن
مات على الإيمان وعدلا لمن مات على الشرك كقوله عز وجل إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم
كل آية وقد قال سبحانه وتعالى ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وقال عز وجل أولئك ينالهم نصيبهم من
الكتاب وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص وقال سبحانه وتعالى ولله عاقبة الأمور وقال لا يعلم من في
السموات والأرض الغيب إلا الله فالاستثناء في الإيمان من الإيمان والاستثناء في كل شيء من علامة
الأولياء والإشفاق من الشرك والنفاق من مزيد الإيمان لئلا يسكن العبد إلى شيء ولا يزكي نفـ
بشيء وقال سري السقطي رحمه الله لو أن رجلا دخل إلى بستان فيه من جميع الأشجار عليها من جميع
الأطيار فخاطبه كل طير منها بلغته فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيرا
في يديها **الفصل** الخامس والثلاثون فيه ذكر فضائل أهل السنة ووصف طريق السلف
من الأئمة • السنة اسم من أسماء الطرق وهي اسم للطريق الأقوم يقال طريق وطريقة وسنن وسنة
وحجج ومحجة فمن فضائل السنة وطريق أهلها التقلل من الدنيا في كل شيء والقناعة من الله سبحانه
وتعالى بأدنى شيء والتواضع لله عز وجل بكل شيء وفي الخبر أفضل العبادة التواضع وروينا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع لا يوجدن إلا بعجب التواضع وهو أول العبادة والصمت وكثرة ذكر الله
سبحانه وتعالى وقلة الشيء واعلم أن التواضع يظهر بمعان خمسة بالقول والفعل والزي والأثاث والمنزل
يكون في المؤمن بعضها ويفقد بعضها فمن كملت فيه فهو متواضع والتكبر ضد التواضع وهو يظهر أيضا
بأضداد هذه الخمس يبتلى المؤمن ببعضها ويعافى من البعض فمن كانت فيه فهو متكبر وحقيقتها
في القلب وظاهرها بالأفعال والأقوال ثم الورع عن الشبهات والمشكلات من العلوم والأعمال إن
تقدم عليها بنطق أو عمل فلا يعتقد نفيها ولا إثباتها خشية أن يكون معتقدا الباطل أو نافيا الحق

بل يكون اعتقاده فيها تسليمها لله سبحانه وتعالى ويقول آمنت بحقائقها عند الله عز وجل [illegible]
من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين فيما تشابه من الأمور أن يسكتوا ويسلموا وبذلك وصف الراسخين
في العلم وأقسم بنفسه على نفي إيمان من لم يسلم تسليما وجعل التسليم مزيد الإيمان في قوله عز وجل وما
زادهم إلا إيمانا وتسليما وفي الخبر إنما الأمور ثلاثة أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه
فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى عالمه وكذلك كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول إن لهذا القرآن
منارا كمنار الطريق فما عرفتم منه فاعملوا به وما لم تعرفوا فكلوه إلى عالمه وكان أيضا يقول أنتم
اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه المتثبت يعني لوضوح الحق في القرن
الأول ولدخول الشبهات في مثل زماننا هذا فصار الحق غامضا فكان خير الناس اليوم المتثبت بالورع
كما كان خيرهم المسارع بالفضل ومما يدلك أن الإسلام هو التسليم كما أن الإيمان هو التصديق أن
في قراءة بعض التابعين منهم جعفر بن محمد رضي الله عنه وقد رويناه عن أبي جعفر محمد بن علي أنهما قرءا واجعلنا
مسلمين لك وقرآ أيضا الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فلولا أنهما بمعنى واحد لم يجز أن يخالفوا
المعنى في المقرأ وكذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم في الأمر المتشابه الذي يشبه الحق من جهة
ويشبه الباطل من جهة لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ولكن قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا
وما أنزل إليكم هذا لأن الله سبحانه وتعالى أنزل التوراة فهي حق ثم أخبر أنهم قد حرفوا فاحتمل أن يكون
ما يخبرون به المؤمنين مما أنزل الله سبحانه وتعالى فلا يحل التكذيب به ولا اعتقاد نفيه واحتمل
أن يكون مما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم أنهم حرفوه فلا يحل قبوله ولا اعتقاد ثبوته فأمرهم
النبي صلى الله عليه وسلم باتقاء ذلك والإيمان بما أنزل الله سبحانه وتعالى جملة فإن كان ما أخبروه حقا
دخل فيه وإن كان باطلا لم يضره فالمسلم هو الذي يسلم ما لم يظهر دليله في العقل لأجل القدرة والسنة
والنقل كما المؤمن هو الذي يصدق بما لم يظهر بمشاهدة العين للإيمان بالغيب
لأن العقل بصر القلب كالعين بصر الجسم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن المجنون حتى
يعقل كما قال الله سبحانه وتعالى ليس على الأعمى حرج ثم ترك ما لا يعني مما قد كفي وما لم يوكل إليه
من القول والفعل لأن الدخول فيما لا يعني هو التكلف المنهي عنه الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن الأتقياء من أمته برآء منه وهو يشغل عما يعني وفيما يعني شغل عما لا يعني لكل فطن عاقل
وهو أصل الحكمة فيما أخبر به لقمان رضي الله عنه لما سئل أنى أوتيت الحكمة قال بشيئين تركي
ما لا يعني لا أتكلف ما كفيت ولا أضيع ما خلفت فهذا شيء لا يضر جهله ولا ينفع فعله ولأنه

شيء إن كتب عليه لم يكن له فيه فضل وإن سمع منه وظهر به لم يكن له فيه مزيد ولا لغيره نفع ثم كف الأذى واحتمال الأذى فإن ذلك من الورع وكان سهل رحمه الله يقول كف الأذى كسب العقل واحتمال الأذى كسب العلم والنصيحة للخلق والرحمة لهم كسب الإيمان ثم العمل في قطع ما قد اعتاد من عاجل حظوظ النفس مما يقطعه عن العمل لأجل الآخرة وإعمال النفس واجتهادها في أن لا يكون لها معتاد من شهوة تعود على النفس منه منازعة فإن العادة جند غالب لأجلها تعذرت التوبة ولغلبتها عجز العبد عن الاستقامة وهي باب من أبواب الهوى إلا فيما أمر به العبد وندب إليه وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله إن قدرت أن لا يكون لك وقت معتاد في الأكل تنازعك نفسك إليه فافعل وقال لأن أترك لقمة من عشائي أحب إلي من قيام ليلة أي لتقصير النفس عن المعتاد والتقلل أيضا وقال أيضا ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها هذا لخشية إيلاف العادات فتنازع النفس إلى الإلف فلا يمكنك ضبطها لغلبة الوصف ثم حسن الصبر عما نهي عنه فإن ذلك من أفضل الأعمال وله فواضل المريد والكمال وفي حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتق المحارم تكن من أعبد الناس وفي لفظ آخر تكن من أورع الناس ومن أحسن ما سمعت من عظيم المثوبة في الصبر عن المعصية ما حدثونا في الإسرائيليات أن رجلا تزوج امرأة من بلدة وكان بينهما مسيرة شهر فأرسل إليها غلاما له من تلك البلدة ليحملها إليه فسار بها نهارا يوما فلما أجنه الليل أتاه الشيطان فقال إن بينك وبين زوجها مسيرة شهر فلو تمتعت بها ليالي هذا الشهر إلى أن تصل إلى زوجها فإنها لا تكره ذلك وتثني عليك عند سيدك فيكون أحظى لك عنده فقام الغلام يصلي فقال يا رب إن عدوك هذا جاءني فسول لي معصيتك وإنه لا طاقة لي به مدة شهر وأنا أستعيذ بك عليه يا رب فأعذني عليه واكفني مؤونته فلم تزل نفسه تراوده ليلة أجمع وهو يجاهدها حتى أسحر فشد على دابة المرأة ثم حملها وسار بها قال فرحمه الله سبحانه وتعالى فطوى له مسيرة شهر فما برق الفجر حتى أشرف على مدينة مولاه قال فشكر الله عز وجل له هربه من معصيته إليه فنبأه فكان نبيا من أنبياء بني إسرائيل ثم إعداد العدة لما يستقبل إذ كان ذلك من علامة مريدي السعي للآخرة والشغل بالنفس والإقبال عليها دون الناس فقد وجب ذلك والزهد في فضول الشهوات واجتناب كثير من الشبهات فقد افترض ذلك وقلة الذكر للناس ولأمور الدنيا فقد حسن ذلك وفيه غفلة وقسوة للقلب وكثرة الذكر لله سبحانه وتعالى والتذكر بعود ذكر آلائه ونعمائه وحسن الثناء عليه والمدح له وقد كان بعض العلماء يقول من جالسنا فليجتنب ذكر ثلاث وليفض فيما شاء يجتنب ذكر الناس فإنهم داء ويجتنب ذكر الدنيا فإنها قسوة

ويجتنب ذكر الطعام فإنه شره وقال عالم آخر من جالسنا فلا يذكر إلا الله عز وجل وحده فإن كان لا بد من ذكر غيره فليذكر الآخرة وليذكر الصالحين وكان سهل رضي الله عنه يقول السنة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليه من القول والعمل وما زاد على ذلك فهو محدث قال وأول السنة الزهد في الدنيا لأنهم كانوا زاهدين وكذلك جاء الخبر في وصف الفرقة الناجية من كان على ما أنا عليه وأصحابي فقد كانوا على هذه الأوصاف التي ذكرناها فمن كان على ذلك فهو على السنة فهذه فضائل السنة وهو مزيد الإيمان وحسن اليقين

الفصل السادس والثلاثون فيه ذكر عرى الإيمان وجمل الشريعة

قال الله جل ثناؤه وصدق أنباؤه ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها فالشريعة اسم من أسماء الطريق وهو اسم للطريق الواضح المستقيم الواسع وهو وصف لطريق جامع بجوامع المحاج كلها كأنه طريق يستوعب ويجمع سائر الطرق وللطريق أسماء كثيرة منها الصراط والسبيل والمنهاج والمحجة والمنسك وجائز اشتقاق هذا اللفظ أربعة أسماء شارع ومشرعة وشرعة وشريعة وهو اسم لأوسعها وأوعبها لجميع الطرق فالشريعة تشتمل على اثني عشر خصلة هي جامعة لأوصاف الإيمان أول ذلك الشهادتان وهي الفطرة والصلوات الخمس وهي الملة والزكاة وهي الطهرة والصيام وهي الجنة والحج وهو الكمال والجهاد وهو النصر والأمر بالمعروف وهو الحجة والنهي عن المنكر وهو الوقاية والجماعة وهي الألفة والاستقامة وهي العصمة وأكل الحلال وهو الورع والحب والبغض في الله سبحانه وتعالى وهو الوثيقة وقد روينا بعض هذه الخصال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء نحوها عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما

ذكر شرط المسلم الذي يكون به مسلما لا يكون معتقدا لبدعة ولا مقيما على كبيرة ولا آكلا لحرام ولا طاعنا على صالحي السلف ويكون كاف اللسان واليد عن أعراض المسلمين وأموالهم ويكون ناصحا لجميع المسلمين مشفقا عليهم يسره ما يسرهم ويسوءه ما يسوءهم لا سيما لأئمتهم داعيا لجملتهم ويكون مخلصا بأعماله كلها لله سبحانه وتعالى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه وروي عنه ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله عز وجل ومناصحة ولاة الأمر ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من ورائهم ومن اجتمعت فيه هذه الخصال في زماننا هذا فهو من أولياء الله عز وجل وهذه أول ولاية وأول نظرة من الله سبحانه وتعالى احاميه عاصمه راحمه كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله اكتب إلي بسيرة عمر رضي الله عنه في الناس فإني أحب أن أسير بها فكتب إليه أما بعد فإنك لست في زمان عمر ولا لك رجال كرجال عمر فإن عملت في زمانك هذا ورجالك هؤلاء بسيرة عمر فأنت خير من عمر رضي الله عنهم

ذكر حسن إسلام المرء وعلامة محبة الله تعالى له يكون محبًا للخير وأهله مجانبًا للشر وأهله مسارعًا
إلى ما أمر به أو ندب إليه إذا قدر عليه حزينًا على ما فات من ذلك إذا أعجزه تاركًا لما لا يعنيه من الأقوال
والأفعال بريئًا من التكلف وهو اجتناب ما لم يؤمر به ولم يندب إليه من ترك وفعل مصليًا للخمس
في جماعة إذا أمن الفتنة وسلم له دينه مجتنبًا للغيبة ولذكر الناس محبًا للكافة ما يحب لنفسه
ويكره لهم ما يكره لنفسه مسارعًا إلى الخيرات مسابقًا إلى أعمال البر والقربات طويل الصمت لين الجانب
ذليلًا للمؤمنين عزيزًا على المتكبرين لا يمالي على الباطل ولا يداهن في الدين ولا يبغض على شيء من الحق وإن
كان عليه أو من أبعد الناس منه ولا يحب على شيء من الباطل وإن كان له أو من أقرب الناس إليه كارهًا للمدح
ممن يحبه قابلًا للنصيح ممن يبغضه يكون المدح والذم يجريان في قلبه مجرى واحدًا صدوقًا فيما يخبره
غير متصنع بما يستعجل نفعه سريرته أفضل من علانيته محتملًا لأذى الخلق صابرًا على بلائهم منفردًا
بحاله عنهم تاركًا لكثير من مجالستهم واجتماعهم خشية دخول الشبهات عليه وخوفًا من تغير قلبه
له ومن اجتمعت فيه هذه الخصال في زماننا هذا فهو من المريدين للآخرة وهذه دلالة بائنة ونظرة ثانية
ويقال إن أبدال كل قرن على قدر زمانهم وفي كل قرن سابقون ومقربون وقال بعض أهل التفسير في
قوله عز وجل لتركبن طبقًا عن طبق قال ليكونن في كل قرن طبقة من الناس على حال ما لم يكونوا عليها
وأكثر ما قيل في القرن مائة سنة وأقل ما قيل فيه أربعون سنة وأوسط ذلك وأعدله وأشبهه بمجمل الأحاديث
والأخبار فيه أن القرن سبعون سنة وهو قول علي رضي الله عنه أن رأس المائتين تمام ثلاثة قرون من المبعث
ونحن الآن في القرن السادس وهو أول سنة أربعين وثلثمائة وآخره سنة عشر وأربعمائة ويقال إن
الشمس تطلع من المغرب بعد القرن السابع وهو رأس ثمانين وأربعمائة وفي الخبر أن ملك الموت إذا جاء لقبض
روح المؤمن قال له ملكاه أنظرنا حتى نملأ مسامعه من الثناء الحسن فيقولان له جزاك الله عنا خيرًا
فإنك كنت ما علمنا سريعًا في طاعة الله عز وجل بطيئًا عن معاصيه تحب الخير وأهله وتعمل ما استطعت
منه فرب كلام حسن قد أسمعتنا ورب مجلس كريم قد أجلستنا فأبشر بالموعود الصدق بيننا وبينك
الوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى بالشهادة لك عنده غدًا ذكر حق المسلم على المسلم وهو وجوب حرمة
الإسلام على المسلمين وذلك عشر خصال مجموعة من سبع أحاديث حديث علي رضي الله عنه للمسلم على المسلم
ست خصال واجبة وحديث أبي أيوب الأنصاري رحمه الله حق المسلم على المسلم خصال ست إن ترك
منها شيئًا ترك حقًا واجبًا عليه وحديث البراء بن عازب رضي الله عنه أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسبع ونهانا عن سبع وحديث ابن مسعود للمسلم على المسلم أربع خلال واجبات وحديث سعد وأبي هريرة

رضي الله عنهما في معنى ذلك وحديث أنس رضي الله عنه أربع من حق المسلم عليك إلا أنه ذكر غير ذلك ولاختلاف
الألفاظ واتفقت المعاني وذكر بعضهم في حديثه ما لم يذكره الآخر فجمعنا الخلاف فيهم وعدد جمل الخصال فكانت
عشرًا إلا ما رواه أنس بن مالك فإنه حديث غريب مؤكد للخصال وزائد عليها في الألفاظ نذكره بعدها
فأما الخصال العشر التي كثرت الأخبار بها فهي أن يسلم عليه إذا لقيه ويجيبه إذا دعاه ويشمته
إذا عطس ويعوده إذا مرض ويشهد جنازته إذا مات ويبر قسمه إذا أقسم عليه وينصح له إذا استنصحه
ويحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنه ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه فأما حديث
أنس رضي الله عنه فروينا عن إسمعيل بن أبي زياد عن أبان بن أبي عياش عن أنس رضي الله عنهم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أربع من حق المسلم عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن
تحب تائبهم فهذه الخصال داخلة في تلك الخصال وجامعة لها في معنى النصيحة لأخيك وفي أن تحب له
ما تحب لنفسك وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يؤكد هذا المعنى خاصة للمسلم على المسلم ويفرضه فرض
الحلال والحرام ويفسر به قوله سبحانه وتعالى رحماء بينهم فحدثناه في رواية جويبر عن الضحاك رضي الله عنهما
عنه في قول الله سبحانه وتعالى رحماء بينهم قال يعني متوادين بينهم يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم
لصالحهم إذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير
وثبته عليه وانفعنا به وإذا نظر الصالح إلى الطالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم اهده وتب
عليه واغفر له قال ابن عباس رضي الله عنه هذه الآية من حلالكم وحرامكم فهذه الخصال المذكورة جامعة
مختصرة في حرمة المسلمين ووجوب حق بعضهم على بعض لا عذر لأحد منهم في تركها إلا من عذرته السنة
وشهد له العلم وبعضها أوكد من بعض فأكمل المؤمنين إيمانًا أقومهم بها وأسرعهم إليها قد كثرت بها الروايات
وقد كان بعض السلف تركوا منها ثلاثًا إجابة الدعوة وعيادة المرضى وشهود الجنائز إلا أن هؤلاء
اعتزلوا الناس أصلًا وكانوا أحلاس بيوتهم ولم يخرجوا إلا إلى الجمعات ومنهم من ترك الجماعات وكان
بعضهم تبوأ الجبال وفارق الأمصار والإخوان وقال سهل ما أعلم شيئًا أشد من حقوق الناس
وكان يقول من كف أذاه عن الخلق مشى على الماء وقال أبو يزيد وغيره بغية العقلاء السلامة من
الله سبحانه وتعالى ومن أراد السلامة من الله فليسلم الناس منه ومن أراد أن يسلم الناس منه
فليبعد عنهم وقد أنشدت لبعضهم في معناه شعر الناس بحر عميق والبعد منهم سلامه وقد نصحتك
فانظر لا يدركنك ندامه وقد روينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لفظة جامعة لحقوق الناس
مخوفة منهم قال ابن سيرين قال عمر رضي الله عنه اتقوا الله واتقوا الناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما

أشد منها لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس وقال مرة لدخلت بلادًا لا أنيس بها وهل يفسد الناس إلا الناس وقال بعض السلف كلما كثرت المعارف كثرت الغرماء وكلما طالت الصحبة توكدت الحقوق وقال بعض العلماء من عرف نفسه استراح ومن عرف الناس تعب وقال بشر بن الحارث في ضده من عرف الناس استراح وقد قيل في معنى قوله عليه السلام مداراة الناس صدقة قال مداراتهم في العلوم ومفارقتهم في العقول وفي أحد الوجوه من قوله سبحانه وتعالى ادفع بالتي هي أحسن قال المداراة وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة

ذكر سنن الجسد وفي الجسد اثنتا عشرة سنة وذلك مأخوذ من ثلاثة أحاديث متفرقة منها حديث جبريل عليه السلام حين استبطأه النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي خمس منها في الرأس وهي المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق شعر الرأس ومنها سبع في الجسد وهي الختان والاستحداد وانتقاص الماء وهو الاستنجاء ونتف الإبط وتقليم الأظفار وغسل البراجم وتنظيف الرواجب فأما البراجم فهي معاطف ظهور الأنامل لم تكن العرب تكثر غسل ذلك لأنها كانت لا تغسل أيديها عقيب الطعام فكان يجتمع في تلك المكاسر الوسخ فأمروا بغسلها قال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة رضي الله عنهم كنا نأكل الشواء ثم تقام الصلاة فندخل أصابعنا في الحصباء ثم نفركها بالتراب ونكبر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا بواطن أرجلنا كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها ويقال أول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع المناخل والأشنان والموائد والشبع فهذه كلها في شأن الجوف وهو شر وعاء مجوف وأما الرواجب فهي جمع راجبة وهي ولصرة الأنامل لم تكن العرب تنقيها الجلمان في كل وقت فيقصون أظفارهم فوقت رسول الله صلى الله عليه وسلم لقص الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أربعين يومًا إلا أنه صلى الله عليه وسلم أمر بتنظيف ما تحت الأظفار لأنه مجمع التفث وهي الرواجب إلى أن يقصوا أظفارهم وجاء في الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له كيف ننزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحًا لا تستاكون مر أمتك بذلك ويقال لما تحت الظفر من الوسخ الأف وهو الذي يقال أف وتف فالأف وسخ الظفر والتف وسخ الأذن وقيل التف كلمة إتباع للمبالغة في التأذي ومن هذا قول الله سبحانه وتعالى فلا تقل لهما أف أي لا تعيبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتأذى بهما تأذيك بما تحت ظفرك من الأذى أو لا تؤذيهما بمقدار ذلك ○

ذكر ما في اللحية من المعاصي والبدع قد ذكر في بعض الأخبار أن لله سبحانه وتعالى ملائكة يحلفون

يقسمون

والذي زين بني آدم باللحى ويقال إن اللحية من تمام خلق الرجل وبها تميز الرجال عن النساء في ظاهر الخلق وفي وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان كث اللحية وكذلك أبو بكر رضي الله عنه وكان عثمان رضي الله عنه طويل اللحية دقيقها وكان علي رضي الله عنه عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه ويقال إن أهل الجنة مرد إلا هارون أخا موسى صلى الله عليهما وعلى الأنبياء فإن له لحية إلى سرته تخصيصًا له وتفضيلًا ووصف بعض بني تميم من رهط الأحنف بن قيس قال وددنا أنا اشترينا للأحنف لحية بعشرين ألفًا فلم يذكر حنفه في رجله ولا عورة في عينه وذكر كراهة عدم لحيته وكان عاقلًا حليمًا وقد روينا من غريب تأويل قوله سبحانه وتعالى يزيد في الخلق ما يشاء قال اللحى وفيه وجوه كثيرة وذكر عن شريح القاضي رحمه الله قال وددت أن لي لحية بعشرة آلاف وقال بعض الأدباء في اللحية خصال نافعة منها تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار ومنها رفعه في المجالس والإقبال عليه ومنها تقديمه على الجماعة وتعقيله وفيها وقاية للعرض يعني إذا أرادوا شتمه عرضوا له بها فوقت عرضه وقال أبو يوسف القاضي رحمه الله من عظمت لحيته جلت معرفته وفي اللحية من خفايا الهوى ودقائق آفات النفوس ومن البدع المحدثة اثنتا عشرة خصلة بعضها أعظم من بعض وكلها مكروهة قد كنا أجملنا ذلك عددًا في باب آفات النفوس فأما تفسيره فإن من ذلك خضابها بالسواد لأجل الهوى وتدليس الشيبة وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبهًا بالصالحين والقراء من أهل السنة وتبييضها بالكبريت وغيره استعجالًا لإظهار علو السن وسترًا لحداثته لأجل الرياسة والتعظيم ليشهد عند الحاكم أو ليستوثق بذلك حديثه ويدعي بالسن مشاهدة من لم يره فعل ذلك بعض المحدثين وبعض الشهود ومن ذلك نتفها أو نتف الشيب منها تغطية للتكهل ومنه تقصيصها كالنعبية طاقة على طاقة للتزين والتصنع ومن ذلك النقصان منها والزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغ وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظمي اللحي وذلك هو صدر اللحية أو ينقص من العظمين إلى نصف الخد وذلك مثله وهو نقصان من اللحية ومن ذلك تسريحها لأجل الناس تصنعًا وتركها شعثة متفتلة مغبرة إظهارًا للزهد والتهاون بالقيام على النفس لأنه قد عرف بذلك ومن ذلك النظر إلى سوادها إعجابًا به وخيلاء غرة بالشباب وفخرًا ومن ذلك النظر إلى بياضها تكبرًا بكبر السن وتطاولًا على الشبان بمجيئه نظره إليها عن النظر لنفسه من تعلم العلم أو تعلم القرآن الذي لا يسعه جهله والسؤال عما يجهله استصغارًا لغيره من الشباب وحياء من شيبته أو استنكافًا منه فيظن بجهله أن كثرة الأيام التي بيضت شعر لحيته أعطته فضلًا أو جعلت فيه علمًا ولا يعلم أن العقل غرائز في القلوب وأن العلم مواهب

من علامات الغيوب ومن كانت غريزته الحمق وطبيعته الجهل كثرت حماقته كلما كبر وعظمت جهالته
إذا أسنّ وقد رأينا جميع ذلك في كثير من الناس وهذا كله محدث وهو بضاعي سنن الجسد الاثني عشرة
في العدد ومما جاء في جمل معاني ما ذكرناه من الكراهة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احفوا الشوارب
واعفوا اللحى قوله احفوا أي اجعلوها حفافا في الشفة أي حولها لأن حفاف الشيء حوله ومن ذلك
قوله سبحانه وتعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش وكان بعض العلماء يكره حلق الشارب حتى تظهر
البشرة ويراه بدعة وقد كان مالك بن انس رضي الله عنه وبعض علماء المدينة يقولون حلق الشارب
مثلة إنما هو الأخذ منه حتى يبدو الإطار والإطار حروف الشفة من فوق وفي هذا الحديث لفظة
أخرى أحفوا الشوارب الإحفا هو الاستيصال والاستقصا وهو أبلغ من قوله حفوا ومن هذا
قوله عز وجل إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا أي يستقصي عليكم وقد كان كثير من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحفي شاربه ونظر بعض التابعين إلى رجل قد أحفى شاربه فقال ذكرتني أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فقلت له هكذى كانوا يحفون شواربهم فقال نعم وأشد من هذا كالحلق وليس الإحفا
حلقا إلا أنه شبيه به وقد روينا في هذا الحديث ثلثة ألفاظ أخر وهو خذوا من الشوارب وأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يأخذ من شاربه وروي قصوا الشوارب وجزوا الشوارب فهذه الثلثة بمعنى واحد وهي
تقتضي أخذ بعضه وترك البعض ليست كالإحفاء وقال المغيرة بن شعبة نظر إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد عفا شاربي فقال تعال فقصه لي على سواك فهذا نص من فعله في أخذ الشارب وقد رويت
لفظة غريبة طروا الشوارب طرا والطر أن يؤخذ من فوق الشارب ومن تحته حتى يستدق والطرر الدقيق
المستطيل المستخرج من شيء أكثر منه حتى يجعل على وصف دونه أو أصغر منه ومن هذا سميت الطرة
كأنها مستخرجة من شيء كثير مجعولة على وصف لطيف وكان بعض السلف يترك سباليه وهما
طرفا الشارب ويحفي وسط شاربه وروي هذا عن عمر وغيره رضي الله عنهم وكذلك رأيت أبا الحسين بن سالم
رحمه الله يفعل فأما قوله واعفوا اللحى يعني كثروها ومن هذا قول الله سبحانه وتعالى حتى عفوا أي كثروا
وفي الخبر أن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن أبي ليلى
قاضي المدينة رضي الله عنه شهادة رجل كان ينتف لحيته ونتف العنفقين بدعة ومما جبنا العنفقة
شهد رجل عند عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بشهادة وكان ينتف نتيكيه فرد شهادته ونهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن ونهى عليه السلام عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب
أهل النار وفي لفظ آخر اجتنبوا الخضاب بالسواد فإنه خضاب الكفار وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

أبا بكر أن يغير شيب أبيه وقال جنبه السواد وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب
بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة إلى عمر فرد نكاحه وأوجعه ضربا وقال غررت
القوم بالسواد ودلست عليهم شيبتك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين
والحمرة خضاب المومن وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة ويقال أول من خضب
بالسواد فرعون لعنه الله وقال سري بن المغلس السقطي في اللحية شر كان تسريحها أجل الناس
وتركها متفتلة لإظهار الزهد وقال أيضا لو دخل علي داخل فمسحت لحيتي لأجله ظننت أني مشرك
وعن كعب وأبي الخلد رضي الله عنهما وصفا قوما يكونون في آخر الزمان يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقفون
نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم وذكر أيضا عن جماعة أن هذا من أشراط الساعة وعن سعيد بن جبير
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون
رايحة الجنة وروى أبو المهزم عن أبي هريرة أن أصحاب الدجال عليهم السيجان شواربهم كالصياصي ونعالهم
مخرطمة يعني شواربهم ملس تلوح وأصل الصياصي القرون وهو جمع صيصية ومنه صيصية الديك وهي
الظفر الناتي الأملس من مؤخر رجله كأنه عظم وقوله عليهم السيجان يعني الطيالسة وهو جمع ساج وقوله
نعالهم مخرطمة أي لها أعناق طوال معرقفة كالخراطيم وهي كمام الأباريق وكان ابن عمر رضي الله عنهما
يقول للحلاق أبلغ العظمين فإنهما منتهى اللحية يعني حدها ولذلك سميت لحية لأن حدها اللحي
فالزيادة على لحي الخد والنقصان منه محدث ذكر ما جاء في فعل بعض ذلك واستحبابه إن من العلماء
من كان يأخذ من لحيته في المناسك وغيرها فإن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما تحت القبضة فلا باس به
قد فعله ابن عمر رضي الله عنهما وجماعة من التابعين رحمهم الله واستحسنه الشعبي وابن سيرين رحمهما الله
وكرهه الحسن وقتادة رحمهما الله وتركها عافية على خلقتها أحب إلي وقد روينا في خبر من سعادة المرء
خفة لحيته إلا أن بعض الرواة رواه على معنى آخر فإن لم يكن صحفه فهو غريب كان يقول فيه خفة
لحييه أي بتلاوة القرآن ولا أراه محفوظا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الصالحون بعده يسرحون
لحاهم لأجل الدين والسنة وتنظفا للطهارة ونزع التفث من القمل وغيره ولإسقاط شعر ميت إن كان
هناك وقد كان من الزهاد من يترك لحيته متفتلة لا يسرحها شغلا عن نفسه والصدق لعينه
حسن والصادق في كل شيء حسن قال بعضهم رأيت داود الطائي متفتل اللحية فقلت يا أبا سليمان
لو سرحت لحيتك فقال إني إذا لفارغ إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدهن شعره ويرجله
غبا وأمر بذلك فقال ادهنوا غبا وقال من كان له شعر فليكرمه ودخل عليه رجل ثائر الرأس

مطلب أخذ ما تحت القبضة من اللحية

أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكّن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان ورُوينا
في خبر غريب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرّح لحيته في كل يوم مرتين وفي خبر أغرب منه قالت عايشة
رضي الله عنها اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأيته يطّلع في الجُبّ يسوّي من رأسه
ولحيته وفي الخبر المشهور أنه كان يمشط لحيته في كل يوم وأن المشط والمدرى لم يكن يفارقه في سفر
ولا حضر فهذه سنة العرب المعروفة فيهم فكان صلى الله عليه وسلم عليها وكانت من أخلاقه وقد كان الشباب
يتشبّهون بالكهول تفضيلا للتكهّل غير عجب بالشباب ولا فخر بالحداثة وفي الخبر خير شبابكم من تشبّه
بشيوخكم وشرّ شيوخكم من تشبّه بشبابكم وفي الحديث إن من إجلال الله سبحانه وتعالى إجلال ذي
الشيبة المسلم وقد كان الشيوخ يقدّمون الشباب ويرون فضلهم بالعلم والدين تواضعا وإجابة
لا تكبّرا بالكبر ولا علوّا كان عمر رضي الله عنه يقدّم ابن عباس رضي الله عنهما وهو حدث السن على أكابر مطلب في الشباب
الصحابة ويسأله دونهم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره ما آتى الله سبحانه وتعالى عبدا العلم
قط إلا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله سبحانه وتعالى إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى
وقوله عز وجل وآتيناه الحكم صبيا وكان أنس بن مالك إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قُبض وليس في
رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضا فقيل ولم يا أبا حمزة وقد أسنّ قال لم يشنه الله سبحانه وتعالى بالشيب
قيل أو شين هو قال كلكم يكرهه وقيل إن يحيى بن أكثم رحمه الله ولي القضاء وسنّه إحدى وعشرون سنة
فقال له رجل ذات يوم وهو في مجلسه يريد أن يخجله بذلك كم سنّ القاضي أيده الله فقال مثل سن
عتّاب بن أسيد حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها فأفحمه ورُوينا عن مالك
ابن مغول رحمه الله قال قرأت في بعض كتب الله عز وجل لا تغرنّكم اللحى فإن التيس له لحية وقال
بعض العلماء كلما طالت اللحية تشمّر العقل وقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيته طويل القامة صغير
الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال معوية رضي الله عنه يتبيّن
حمق الرجل في طول قامته وعظم لحيته وفي كنيته ونقش خاتمه وكان إبرهيم النخعي رحمه الله ومثله من
السلف يقول عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فإن التوسط
في كل شيء حسن وأنشدت لبعض الظرفاء لا تعجبنّ بلحية كثرت منابتها طويله
تهتزّ ما عصف الرياح كأنها ذنب الحسيلة قد يدرك الشرف الفتى يوما ولحيته قليله
وأنشدت لبعض العرب لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندي
ولم يكن الأشياخ يستنكفون أن يتعلموا من الشباب ما جهلوا ولا يزرون عليهم لصغر سنهم إذ

الفضل بيد الله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء لا مانع لما أعطى من صبي وغيره ولا معطي لما منع من كبير
وغيره وقال أيوب السختياني إني أدرك الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه فيقال له
تتعلم من هذا فيقول نعم وأنا عبده ما دمت أتعلم منه وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من سبق
إليه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر سنا منك وقيل لأبي عمرو بن العلاء أيحسن بالشيخ الكبير
أن يتعلم من الصغير فقال إن كانت الحيوة تحسن به فإن التعلم يحسن به وإنه يحتاج إلى العلم ما دام حيا
وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل رحمة الله عليهما وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي رحمه الله يا أبا عبد الله
تترك حديث سفيان بعلوّ وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال له أحمد رضي الله عنه لو عرفت
لكنت تمشي من الجانب الآخر إن علم سفيان رضي الله عنه إن فاتني بعلوّ أدركته بنزول وإن عقل هذا
الشاب إن فاتني لم أدركه بعلوّ ولا نزول وسمعت أبا بكر الآجري يقول إني لأرى الصبي يعمل الشيء
أستحسنه فأقتدي به فيكون إمامي فيه وما رأيت أشد تواضعا منه على علمه وزهده فأما معنى الخبر
لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم فإذا أتاهم عن أصاغرهم هلكوا فإن ابن المبارك رحمه الله سئل
عن معنى ذلك فقال أصاغرهم أهل البدع لأنه لا صغير من أهل السنة عنده علم ثم قال كم من صغير السن
حملنا عنه كبير علم وقد قيل إن قوله عن أكابرهم يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مواطئ للخبر
الآخر لا تزال أمتي بخير ما دام فيهم من رآني وليأتين عليهم زمان يطلب في أقطار الأرض فلا يوجد أحد
رآني كيف وقد جاءت بذلك لفظة ذكرتها لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم عن أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن أكابرهم فإذا أتاهم عن أصاغرهم استعصى الكبير على الصغير فهلكوا أي فذلك خشية أن لا
يتعلم منه لما ذكرناه من الحياء أو التكبر والاستنكاف ووجه آخر هذا يحتمل عندي على الخبر والكون
لا على الذم والعيب لأنه قد جاء في الأثر في وصف هذه الأمة في أول الزمان يتعلم صغارها من كبارها فإذا كان
آخر الزمان تعلم كبارهم من صغارهم فإن كان كذلك فهذا تفضيل للأصاغر وتشريف لهذه الأمة على سالف
الأمم لأنهم لم يكونوا يحملون العلم إلا عن القسيسين والرهبان والأشياخ والعباد والزهاد فأخبر أن
هذه الأمة في آخر الزمان يفضل سالف الأمم في أول الزمان منهم بأن يتعلم الكبير من الصغير لما فضّلهم
الله سبحانه وتعالى به فذلك أشدّ وطأ للخبر الآخر أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أو آخره ومثله من
الشاهد كيف تهلك أمة أنا في أولها والمسيح بن مريم في آخرها وقد روينا في الخبر لا تحقر واحدا آتاه
الله سبحانه وتعالى علما فإن الله عز وجل لم يحقره إن جعل العلم عنده وكان شعبة رحمه الله يقول من
كتبت عنه حديثا وتعلمت منه علما فأنا عبده وقال مرة إذا كتبت عن الرجل سبعة أحاديث فقد استرقني

فقيل الخضاب بالسواد فقد يروى أن بعض العلماء ممن كان يقاتل في سبيل الله عز وجل كان يخضب بالسواد
ولكن لم يكن هذا يخضب به لأجل الهوى ولا لتدليس الشيب انما كان يعدّ هذا من إعداد العدّة لأعداء الله
عز وجل بمعنى قوله عز وجل وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة وإظهار الشباب من القوة وقد رمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم واضطبع هو وأصحابه ليراهم الكفار فيعلمون أن فيهم جلدًا وقوة ومن صنع شيئًا
بنية صالحة يريد بذلك وجه الله سبحانه وتعالى وكان عالمًا بمذهب له ذهب إليه فهو فاضل في فعله وإن كان
ذلك من أدون أعماله لم ينبغ أن يستنّ به فيه لأنا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شر الناس منزلة
عند الله عز وجل من يقتدي بسيئة المؤمن ويترك حسنته فأخبر أن للمؤمن سيئة وأن من شر الناس من
تأسّى بها معذرة لنفسه في هواها

كتاب ذكر من نوافل الركوع وما يكره من النقصان منه

قال الله سبحانه وتعالى ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم روينا عن علي رضوان الله عليه أنه فسّر ركعتا الفجر
وكذلك فسّر قوله ومن الليل فسبحه وأدبار السجود قال ركعتا المغرب وهذا على قراءة من كسر الألف فأما
من نصبها فإن معناه وأدبار الصلوات أي أعقابها وأواخرها والتسبيح اسم للصلاة النافلة لكون التسبيح
فيها وتسمى النافلة سبحة فمن سنن الركوع واستحبابه أدبار الصلوات وقبلها التي لا يستحب ترك
شيء منه وبعضه أوكد من بعض سبع عشرة ركعة مجموع من خمسة أحاديث حديث علي رضي الله عنه أنه سئل
عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهار فقال ست عشرة ركعة وحديث ابن عمر حفظت من رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشر ركعات وحديث أبي أيوب الأنصاري في الصلاة قبل الظهر وحديث أنس بن مالك وعائشة
رضي الله عنها في العشاء الآخرة وفي الوتر وخبر أم حبيبة الوارد بالفضل من العدد من صلى في يوم اثنتي عشرة
ركعة غير المكتوبة بنى الله تعالى له بيتًا في الجنة وخبر غريب رواه أهل البيت مواطئ لضعف ما ذكرناه
أن الله سبحانه وتعالى فرض عليكم في اليوم والليلة سبع عشرة ركعة وسنّ لكم مثلها أول ذلك ركعتا الفجر
وهما سنة مؤكدة وأربع قبل الظهر وهي مستحبات مؤثرة في الاستحباب وركعتان بعدها وهما سنة
مؤكدة وأربع قبل العصر وهي مستحبة مقدمة لقوله صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدًا صلى أربعًا قبل العصر
رجاء أن يدخل في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وركعتان بعد المغرب وهما مؤكدتان وثلاث ركعات
الوتر وهي مؤكدة فأما حديث علي رضي الله عنه فإنه ذكر من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا
لم يذكره غيره ذكر أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات في وقتين إذا أشرقت الشمس وارتفعت
قام فصلى ركعتين وهذا هو الإشراق وهو الورد الثاني من النهار وإذا انبسطت الشمس وكانت في ربع
السماء من المشرق مثلها حين يكون في مثله أرباع السماء من صلاة العصر صلى أربعًا وهذا هو الضحى الأعلى

والورد الثالث من النهار والمواظبة على هذه الصلاة بمراعاة هذين الوقتين من عزائم الأعمال وفي فضله
وذكرت أم هانئ أخت علي رضي الله عنهما أنه صلى الضحى ثماني ركعات أطال فيهن وحسّنهن ولم ينقل هذا
العدد غيرها فأما عائشة رضي الله عنها فإنها ذكرت أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى أربعًا ويزيد ما
شاء الله فلم تحدّ وقد روينا في حديث مفرد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات
وقد روى أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا تفرّد به أنه لم يكن يدع أن يصلي أربعًا
بعد الزوال وقبل صلاة الظهر يقرأ فيهن بمقدار سورة البقرة قال فسألته عن هذه الصلاة فقال
إن أبواب السماء تفتح هذه الساعة ويستجاب الدعاء فأنا أحب أن يرفع لي فيها عمل صالح وقد جاء في حديث
أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم مفسرًا من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة
بنى له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر وأربعًا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد
المغرب ورواه ابن عمر رضي الله عنهما في حديثه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات
فذكرها إلا قوله وركعتين قبل الفجر فإنه قال تلك ساعة لم نكن ندخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
حدثتني أختي حفصة رضي الله عنها أنه كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر
وركعتين بعد العشاء وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الآخرة
أربع ركعات ثم ينام وقال أنس بن مالك رحمه الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء
بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل
هو الله أحد وقد جاء في خبر أنه كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسًا وفي بعضها متربعًا وفي بعض الخبر
إذا أراد أن يدخل في فراشه زحف إليه وصلى فوقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما إذا زلزلت وسورة
ألهاكم التكاثر وفي رواية أخرى قل يا أيها الكافرون وإن أضعف العبد هذه السبعة عشر ركعة فجعلها أربعًا
وثلاثين يداوم عليها ويجعلها ورده من الصلاة فهو أفضل وهذا مذهب أهل البيت واحتجوا فيه بخبر
رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فرض الله سبحانه وتعالى على أمتي في اليوم والليلة سبع عشرة
ركعة وسننت لهم مثلها وإن كان الحفاظ من أهل النقل يضعّفون هذا الحديث إلا أنه قد قال عليه السلام
الصلاة خير موضوع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل وقال بين كل أذان وإقامة صلاة لمن شاء فإن فعل
ذلك وراعاها على هذا الترتيب فهو مقارب لما ذكرناه آنفًا من السنن والاستحباب قبل الصلوات الخمس
وبعدها ركعتان قبل الفجر وأربع من الضحى وأربع قبل الظهر وأربع بعدها وأربع قبل العصر وست
بعد المغرب وأربع قبل العشاء وست بعدها ثم يوتر بواحدة فهذا حينئذ نحو ما سمّيناه وهو

عقبيه لما نقل في الآثار ويسند الى الخبر المأثور والى فعل اهل البيت واكثر ما روي من صلاته صلى
الله عليه وسلم بالنهار ست عشرة ركعة ومن صلاته بين العشائين مما نقل عدده ست ركعات واكثر ما روي
من صلاته الضحى ثماني ركعات ومن صلاته بالليل ثلاث عشرة ركعة الاحديثا مقطوعا موقوفا على طاوس
رواه ابن المبارك رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الليل سبع عشرة ركعة فهو حديث
شاذ وسائر الاخبار المشتهرة عن ابن عباس وعائشة وميمونة وام حبيبة رضي الله عنهم انما هي احدى
عشرة ركعة وثلاث عشرة ركعة واستحب ان يصلي العبد قبل كل صلاة وبعدها اربعا الا ما لا صلاة
قبلها ولا صلاة بعدها ثم يزيد بعد ذلك ما قسم الله سبحانه وتعالى له وان يصلي الضحى ثماني ركعات يواظب
عليهن اذا نشط اطالهن واذا فتر قصرهن فان المداومة على العمل عمل ثان وهو من افضل الاعمال
واحبها الى الله سبحانه وتعالى وان اقتصر على اربع يديمهن ولا اكره ان يصلي قبل المغرب ركعتين بعد غروب
الشمس فقد قال انس بن مالك كان الكبار من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون الركعتين قبل المغرب
وكان ابي بن كعب وعبادة بن الصامت وابو ذر وزيد بن ثابت رضي الله عنهم وغيرهم من اكابر اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلونهما وقال عبادة او غيره كان المؤذن اذا اذن لصلاة المغرب ابتدر اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا قد صلينا
فيسأل اصليتم المغرب وذلك داخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة لمن شاء وقد أذانين
كان احمد بن حنبل رحمه الله يصليهما قال فعابهما الناس علي فتركتهما وقال مرة لم ار الناس يصلونهما فتركتهما
وقال ان صلاهما الرجل في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن وكذلك استحب له

الفصل

الثاني والثلثون فيه كتاب شرح الكبائر التي تحبط الاعمال وتوبق العمال وتفصيل ذلك ومنازل
اهلها فيها ومسألة محاسبة الكفار قال الله الكبير المتعالي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم فاشترط لتكفير الصغائر من السيئات اجتناب الكبائر الموبقات وقال صلى الله عليه وسلم
الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة تكفر ما بينهن لمن اجتنب الكبائر وفي لفظ آخر كفارات لما بينهن
الا الكبائر فاستثنى من كفارات الذنوب الكبائر فاختلف العلماء من الصحابة والتابعين في الكبائر
من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك فكان ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما يقولان الكبائر
تسع وروي عن ابن مسعود انهن اربع وعن ابن عمر انهن سبع وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر
رحمهما الله ان الكبائر سبع يقول هي الى السبعين اقرب منهن الى السبع وقال مرة كل ما نهى الله سبحانه وتعالى
عنه فهو كبيرة وقال هو وغيره كل ما توعد الله سبحانه وتعالى عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف

كل ما اوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة والصغائر عندهم من اللمم وهو ما لا حد فيه وما لم يتهدد بالنار ويروى
هذا عن ابي هريرة وغيره وكان عبد الرزاق رحمه الله يقول الكبائر احدى عشرة وهذا اكثر ما قيل في جملة
عددها مجملا وقيل انها مبهمة لا يعرف حقيقة عددها كابهام ليلة القدر وساعة يوم الجمعة والصلوة
الوسطى ليكون الناس على خوف ورجاء فلا يقطعون بشيء ولا يسكنون الى شيء وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه
فيها قولا حسنا من طريق الاستنباط وقد سئل عن الكبائر فقال اقرأ من اول سورة النساء الى
رأس ثلاثين آية منها عند قوله سبحانه وتعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فكل
ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه من اول السورة الى ههنا فهو من الكبائر فاشبه هذا الاستدلال قول ابن عباس
رضي الله عنهما في استنباط ليلة القدر انها ليلة سبع وعشرين انه عد كلم سورة القدر حتى انتهى الى

قوله عز وجل هي فكان سبعا وعشرين كلمة والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة هذين القولين والذي عندي في
جملة ذلك وتفصيله انها سبع عشرة مستخرجة من احاديث متفرقة جمعنا عددها وهو ما اجتمع عليه من
حديث ابن عباس وابن مسعود وعبد الله بن عمر وغيرهم من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فذكر
في حديث ما لا يذكر في الآخر وكان جملة ذلك مجتمعا من المتفرق سبع عشرة تفصيلها اربعة من اعمال
القلوب وهن الشرك بالله سبحانه وتعالى والاصرار على معصية الله والقنوط من رحمة الله جل وعلا والامن
من مكر الله عز وجل واربعة في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن وهو الحر البالغ المسلم واليمين
الغموس وهي التي يبطل بها حقا او يحق بها باطلا وقيل هي التي يقتطع بها مال مسلم ظلما ولو سواكا من اراك
وسميت غموسا لانها تغمسه في غضب الله عز وجل وقيل لانها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو
ما كان من كلام او فعل يقلب الاعيان او يغير الانسان وينقل المعاني عن موضوعات خلقها والسحرة هم
النفاثات في العقد الذين امر الله سبحانه وتعالى بالاستعاذة منهم وثلاثة في البطن وهن شرب الخمر
والسكر من الاشربة واكل مال اليتيم ظلما واكل الربا وهو يعلم واثنتان في الفرج وهما الزنا وان يعمل
عمل قوم لوط في الادبار واثنتان في اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة في الرجلين وهي الفرار من
الزحف الواحد من الاثنين والعشرة من العشرين غير متحرف الى الامام ولا متحيز الى فئة ولا معتقد
الكرة وواحدة في جميع الجسد وهي عقوق الوالدين وتفسير العقوق جملة ان يقسما عليه في حق فلا
يبر قسمهما وان يسألاه حاجة فلا يعطيهما وان يأتمناه فيخونهما وان يجوعا فيشبع ولا يطعمهما
وان يسباه فيضربهما وذكر وهب بن منبه اليماني اصل البر بالوالدين في التوراة ان تقي مالهما
بمالك وتوفر عليهما مالهما وتطعمهما من مالك واصل العقوق ان تقي مالك بمالهما وتوفر مالك

فاذا قيل ما المها وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث اشراك بالله سبحانه وتعالى وترك السنة ونكث الصفقة قيل ما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف فيقاتله وقد روينا عن العلاء ابن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكباير استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم بغير حق ومن الكباير السبتان بالسبة واما عبادة بن الصامت وابو سعيد الخدري وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم فكانوا يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكباير وفي بعض الالفاظ من الموبقات وقالت طايفة كل عمد فهو كبيرة وقال بعض السلف اربعة اشيا مبهمة لا تعلم حقا ثقها الصلاة الوسطى وليلة القدر وساعة يوم الجمعة المرجو فيها الاجابة والكباير ذلك ليكون الناس على خوف من الوعيد في الاتقاء وعلى رجاء من الموعود في الابتغاء لئلا يقطعوا بشي ولا يسكنوا الى شي ولله عاقبة الامور والذي ذكرناه من الخصايل هو من اوسط الاقوال واعدلها ومما اتفقوا عليه وكثرت الاخبار فيه فهذه الكباير الموبقات من اجتنبها كفرت عنه السيات وثبتت له النوافل مع الفرايض الخمس التي هي بنية الاسلام وذلك ان دعايم الاسلام وهذه الكباير قرينان تعتدلان ويتقاومان في العظم والمعنى بالتضاد فالكباير كبرت فكفر اجتنابها ما دونها من الصغاير والفرايض الخمس التي هي بنية الاسلام اذا تممت كفرت ما بعدها من السيات فتثبت للعبد نوافله وتبدل سياته حسنات فيكون له فضل عظيم ترجى له الجنة ومنازل العاملين وهو السابق بالخيرات قال الله سبحانه وتعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وقال بعد ذكر الكباير الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنب الكباير فالفرايض الاربع التي هي بنية الاسلام منوطة بالصلوات الخمس لا تصح الا بها كالشي الواحد بمنزلة الاربع مع الصلوات مرتبط بالشهادتين ان ترك خصلة منها كان كترك الخمس لانها اس الاسلام وبنية الايمان ومنزلة اجتناب الكباير منوط بالشهادتين لا ينفع جميع ذلك الا بهما فاذا انتهكت الكباير احبطت الاعمال الا الفرايض الخمس فانها عظمت عليها فلم تحبطها واذا اديت الفرايض الخمس احبطت ما بينها من السيات الا الكباير فانها كبرت فلم تكفرها فلا يبقى للعبد يوم القيامة مع ارتكاب الكباير من الاعمال الا الفرايض الخمس وقد احبط ساير نوافله ارتكاب الكباير فيخاف عليه ان يحرم منازل المقربين وهذا هو الظالم لنفسه وهو الذي حذر الله سبحانه وتعالى المومنين منه فقال عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول

ولا تبطلوا اعمالكم ومنه قوله سبحانه وتعالى بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئاته قيل هي الكباير المحيطة بجميع حسناته فتمحقها وهذا على الخيار من هذا الحرف من قرا بها وعلى الوجه الاخر واحاطت به خطيئته قيل هو الذي يموت عن غير توبة وقيل احاطت به خطيئته الاصرار وقيل خطيئته الشرك الذي ختم له به فلم ينفعه عمل كان قبله فان قصر في الفرايض الخمس التي هي مباني الاسلام الا انه كان مجتنبا للكباير كفرت عنه سياته كلها وتممت فرايضه بساير نوافله لانها ثابتة له بعد ان يحصل له صحة التوحيد ويسلم من كباير البدع التي تنقل عن الملة وهذا ممن استوت حسناته وسياته فيطول وقوفه للحساب ويشاهد الزلازل والاهوال ليكون ذلك رجحان حسناته او يجعل من اصحاب الاعراف على اعراف السور وهو شرفه التي بين الجنة والنار وهو الحجاب الذي بين اهل النار واهل الجنة الى ان يتفضل الله سبحانه وتعالى عليه بفضل رحمته فان سمح له مولاه فعفى عنه سقط عنه هذا كله وادخل الجنة في اصحاب اليمين وهذا هو المقتصد المتوسط بين الظالم لنفسه والسابق الى ربه فان لم تكن له نوافل مع نقصان فرايضه لم يبق له من اعماله الا اجتناب الكباير فيوزن ما بقي من عمله وهو اجتنابه الكباير بفرايضه النواقص فان رجح اجتنابه الكباير مثقال ذرة او فضلت له حسنة واحدة ضاعفها الله سبحانه وتعالى له بالمزيد وتجاوز عن سياته في اصحاب الجنة ولم تكن له مقامات المقربين ولا درجات السابقين وهو ممن قال الله سبحانه وتعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما يعني الجنة وان خف اضاعته للفرايض سيئته كان من الموقوفين للحساب الطويل واحتاج الى شفاعة الشافعين فان كانت فرايضه الخمس ناقصة وكان مرتكبا للكباير فهو من الهالكين لانه ممن خفت موازينه في الموضعين وهذا من المسرفين كما قال وان المسرفين هم اصحاب النار فيدخل النار لنقص اسلامه ولوفور سياته عليه اذ لم تمحها حسناته ولبطول نوافله بانتهاكه الكباير ولان ايمان هذا نقص من مثقال دينار الا انه لا يكون مع المخلدين لصحة توحيده وعلى انه اول من يخرج من النار لقوله صلى الله عليه وسلم يقال اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال دينار من ايمان فهو في اول طبقة تخرج وعلى هذا الى زنة شعيرة الى ذرة من ايمان وهو اخر الطبقات خروجا الا ان يبدو لبعضهم من الله سبحانه وتعالى ما لا يحتسبه ويظهر له غدا ما لا يعلمه فيعفى عن البعض ولا يجعل ممن حق عليه الوعيد لما سبق له من الكلمة الحسنى ويتجاوز عن سياتهم في اصحاب الجنة وقد جا في الخبر يوتى بالرجل من هذه الامة فيبر به ركن من اركان جهنم وقد جا في الاثر ان العبد ليوقف بين يدي الله سبحانه وتعالى وله من الحسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة فيقوم مع اصحاب المظالم

فيوجد قد سبب عرض هذا واخذ مال هذا وضرب هذا فيقتص لهم من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول
الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقال القوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا
له صكا الى النار وجاء في العلم ان آخر من يبقى في جهنم من الموحدين سبعة آلاف سنة ورويناه معناه عن
ابي سعيد الخدري وغيره من الصحابة رضي الله عنهم وفيه شدة قال والله لا يخرج عبد من النار بعد ان
دخلها حتى يقيم فيها سبعة آلاف سنة وهذا والله اعلم آخر من يخرج من النار لانهم يخرجون زمرا متفاوتين
من اليوم الى الجمعة والشهر والسنة الى سبعة آلاف سنة فاكثرهم ايمانا اقلهم مقاما واقلهم مكثا واولهم
خروجا اول زمرة تخرج من في قلبه مثقال من ايمان فهذا اقلهم لبثا واسرعهم خروجا الى شعيرة
الى ذرة فهو آخرهم اقلهم ايمانا وانقصهم توحيدا واعظمهم جرما واشدهم على الله عتيا وهم اكثرهم
مقاما وقد اشتهر خبر من يخرج من النار بعد الف عام ينادي يا حنان يا منان فقال الحسن لما روى
هذا الحديث يا ليتني كنت ذلك الرجل لشدة خوفه خاف ان يدخلها ثم عظم خوفه فخاف ان لا يخرج
منها فتمنى ان يخرج منها بعد الف عام وقد جاء في خبر آخر من يخرج من النار وهو ايضا آخر من يدخل
الجنة فلعله والله اعلم بعد سبعة آلاف سنة فيعطى من الجنة مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف رواه ابو سعيد
وابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الحكمة في ادخال البشر النار على ترتيب الكون انهم
خلقوا من ماء ثم خالطه ما امتزج به من الاهوا فلا يستخرج ذلك الا بالنار فانها تخرج الماء من ما مازجه
حتى يخلص وانهم ايضا خلقوا من تراب الارض فهم بمنزلة الخشب المعوج يقوم بالنار حتى يستقيم
ثم تقطع عنه النار فيستقيم بعد ذلك فعندها يصلح لغير النار وموضع الحكمة في تخليد الكافرين
والشياطين في النار ان ارواحهم خلقت من جوهر النار فرجعت الى معدنها وهي ايضا سوداء مظلمة نارية
وانهم ايضا خلقوا لها فلا يصلحون لغيرها بمنزلة الحطب والشوك والحراق الذي لا يصلح الا للنار
فتبارك من حكمته معتدلة في الاشياء وحكمه غامض فيها ينظر بعين التعديل فيقسم بها المقادير
بمعاني التنقيص والتفضيل ومجمل ما ذكرناه ان كل وصف يكون للعبد من الخير يكفر به من سيئاته
فان نوافله تثبت له وكل وصف يكون له من الخير لا يكفر سيئاته فان نوافله ساقطة وكل وصف
يكون له من الشر لا يحبط نوافله فان سيئاته مبدلة حسنات وكل وصف يكون له من الشر يحبط
نوافله فان سيئاته موفورة ثابتة عليه ومن كان عاملا للحسنات وهو في ذلك يرتكب بعض الكبائر
فان اعمال بره وفضائله موقوفة الى التوبة فان تاب واستقام كفرت توبته ما سلف من كبائره
وبدلت استقامته على الطاعة سيئاته حسنات واكثر ما يوبق الناس من الكبائر المظالم واكثر

ما يدخلهم النار ذنوب غيرهم اذا طرحت عليهم وكثير يدخلون الجنة بحسنات غيرهم لانها صحيحة
وقد تبطل حسناتهم بدخول الآفات عليها بلغني عن ابي عبد الله بن الجلاء ان بعض اخوانه اغتابه
ثم ارسل اليه يستحله فقال لا افعل ليس في صحيفتي حسنة افضل منها فكيف امحوها وكان
هو وغيره يقول ذنوب اخواني افضل من حسناتي اريد ان ازين صحيفتي بها وفي الحديث ذنب يغفر
وذنب لا يترك فالذنب الذي يغفر ظلمك نفسك والذنب الذي لا يترك مظالم العباد والتوبة طريق الكل
والرحمة تسعهم وباب التوبة مفتوح للكافر الى طلوع الشمس من مغربها ولكل عبد توبته متقبلة ما لم
تبلغ الروح الحلقوم ولم يعاين الملائكة فاذا بلغت الروح التراقي وعاين الاملاك اغلق عنه باب التوبة
ومات على الاصرار وقيل من راق اي من يرقى بروحه املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وظن انه الفراق
ايقن انه قد فارق الدنيا بمعاينة الآخرة وفارق الناس والاهل بمعاينة الملائكة فان مات عن غير توبة
كان ممن قال الله سبحانه وتعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون قبل التوبة كما فعل باشياعهم من قبل وكما
قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن وحضور
الموت يكون عند معاينة ملك الموت اذا خرجت الروح من جميع الجسد فلم يبق الا ما بين القلب والعينين
وهو الوقت الذي قال الله عز وجل يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين وهو الذي خوف منه في
قوله سبحانه وتعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة يعني عند الموت وهذا لاهل المعاينة او يأتي ربك
يعني يوم القيامة وهذا لاهل البرزخ او يأتي بعض آيات ربك وهو اليأس الذي يقع عنده من الدنيا
اليأس طلوع الشمس من مغربها وهو آخر التوبة ويؤمن معه كل كافر فقال الله سبحانه وتعالى يوم يأتي
بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل من قبل المعاينة او كسبت في ايمانها خيرا
قبل التوبة وهو الوقت الذي قال الله سبحانه وتعالى فلما رأوا بأسنا يعني كشف الغطا قالوا آمنا بالله وحده
وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده
يعني طريقته وشانه الذي قد مضى في الخلق لا تبديل له ولن تجد لسنة الله تبديلا وحكم العباد كلهم
الى المعاد الى الله سبحانه وتعالى ان شاء عذبهم فيما اكتسبوا ويعفو عن كثير وان شاء يغفر لهم وهو الغفور
الرحيم وقد يتفاوت الناس في جميع ما ذكرناه من اداء الفرائض ومن ارتكاب المعاصي فمنهم من يكون
حسن الاداء لفرائضه كثير الندم والاشفاق من معاصيه فيكون هذا احسن حالا ومنهم من يكون سيئ
الاداء لفرائضه قليل الحزن والندم على ذنوبه فيكون هذا اسوأ حالا وليس يجرون في ذلك على قياس
واحد والله يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لما سبق لهما في علمه

وبما نفذ لهما من مشيئته وحكمه وقد يشترك الاثنان في معصية ويتفاوتان في حكم المشيئة ويتوب الله تعالى على من احب ويتقبل ممن يحب والقبول غير العمل على العبد العمل والى المولى القبول يتقبل ما يشاء ممن يحب ويرد ما يشاء ممن يشاء والسابقة غير المعصية السابقة في المشيئة يغفر لمن سبقت له الحسنى جميع معاصيه السوى ويعذب من حقت عليه كلمة العذاب ويحبط اعماله الحسنى والخلق مردودون الى السابقة ومحكوم عليهم بعلم الله تعالى فيهم وفي الخبر هلك المصرون قدما الى النار والاصرار يكون بمعنى ان يعتقد بقلبه متى قدر على الذنب فعله ولا يعتقد الندم عليه ولا التوبة منه واكثر الاصرار السعي في طلب الاوزار وفي الخبر سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا فهؤلاء الذين سبقت لهم منه الحسنى من المقربين اخبر صلى الله عليه وسلم ان لهم اوزارا وضعتها الاذكار وقال الله تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون هذا ما علمناه من ادلة العلوم وتاويل التنزيل وعفو الله تعالى وارادته من وراء ذلك كله وعلمه المقدم ولله عاقبة الامور

مسألة في محاسبة الكفار فاما محاسبة الكفار فهذه مسألة اختلف الناس فيها فمنهم من ذهب الى انهم يحاسبون ومنهم من انكر حسابهم وقد اختلفت الآثار في ذلك فقد جا في بعضها ما يدل على حسابهم وبه تعلق من قال به وجا في كثير منها ما يدل انهم لا يحاسبون وبه احتج من انكر حسابهم وانما يرجع عند الاختلاف الى كتاب الله تعالى ففيه الشفا وبه الغنى فيفصل ما اجمل القائلون ويعدل بالقول السديد فيما تأوله المتأولون فنقول والله اعلم ان الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه آيتين تدلان على المسايلة للكفار عن الشرك الذي ادخلوا في التوحيد وعن اجابة المرسلين وتكذيبهم قال الله تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون ثم قال في الآية الاخرى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فنقول على هذا انهم يسألون عن التوحيد فقط وعن تكذيب الرسل حسب هاتين الآيتين ثم قال في الآيتين الاخريين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون وقال في الآية الاخرى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان ثم قال يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فهذا نص في ترك المسايلة على الذنوب والاعمال فنقول بهاتين الآيتين انهم لا يسألون عن الاعمال وانما يحاسب على العمل من كانت بينه وبين الله معاملة ومن ثبتت له حسنات يقع بها ترجيح وموازنة وقد روينا عن انس بن مالك في قوله عز وجل وقفوهم انهم مسؤولون قال عن قول لا اله الا الله وقد رويناه مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا على معنى ما ذكرناه انهم يسألون عن التوحيد والناس من اهل الجنة والنار يحشرون يوم القيامة على ست طبقات طايفة تدخل الجنة بغير حساب

وهم السابقون المقربون وطايفة تدخل الجنة بعد الحساب اليسير وهم خصوص المؤمنين والصالحين ومنهم من يدخل بعد الحساب الطويل والمناقشة وهم اصحاب اليمين وعموم المؤمنين وكذلك اهل النار ثلاث طبقات طايفة تدخل النار بغير سؤال ولا حساب وهم من لم يرسل اليه عالما من عبدة الاوثان وولد يافث بن نوح وهم ياجوج وماجوج خلق خلقوا للنار وطايفة تدخل النار بعد الحساب الطويل والمناقشة وهم اهل الجباير والمنافقون وطايفة بسؤال وتوقيف من غير محاسبة على الاعمال وهم امم الانبياء المرسل اليهم المرسلون لقوله سبحانه وتعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم الآية وقد روينا في الخبر المشهور من نوقش الحساب عذب فقيل يا رسول الله اليس الله سبحانه وتعالى يقول فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال صلى الله عليه وسلم ذلك العرض ومن نوقش الحساب عذب وقد كان امامنا سهل بن عبد الله رضي الله عنه يقول يسأل الكفار عن التوحيد ولا يسألون عن السنة ويسأل المبتدع (عون) عن السنة ويسأل المسلمون عن الاعمال فاما قوله سبحانه وتعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ففيه وجهان احد الوجهين ان يكون هذا كلاما منفصلا عما قبله يراد به المسلمون لانه ذكر خبر الكفار فختمه بالعذاب وقال في اول الكلام الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر هذا آخر خبرهم ثم استانف مخبرا عن غيرهم فقال سبحانه وتعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم والوجه الآخر ان يكون قوله سبحانه وتعالى ثم ان علينا حسابهم اي جزاءهم فالحساب اين ما ذكر للكفار يكون بمعنى المجازاة على اعمالهم السيئة وكذلك قوله سبحانه وتعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه يعني جزاءه الا ان الفرا وغيره من اهل اللسان خالفونا في هذا واعتبروه بما بعده فجعلوه دليلا على المحاسبة وقالوا احتمل ان يكون قوله فوفاه حسابه ان يكون جزاءه كما قلناه واحتمل ان يريد محاسبته فلما قال عقيبه والله سريع الحساب كشف التنزيل التاويل دل ذلك ان حسابه يعني محاسبته وكذلك قال الزجاج في تاويل ما ذكرناه آنفا من قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فقال انما معناه لا يسألون ليؤخذ العلم من قبلهم او ليرجع اليهم في علم ذلك وسبقه عليهم اي قد فرغ الله تعالى من ذلك فاحكمه لما سبق به من علمه واطاه مقاتل بن سليمان على هذا التاويل بالخلاف معنى صنعة التفسير لانه لم يكن له في اللغة تمكن فقال معنى ذلك ولا يسأل هؤلاء المجرمون عن ذنوب السالفين فجعل الهاء والميم عائدة على من تقدم ذكره من قارون واصحابه والقرون السالفة لان ذكرهم كان سياق هذا الخطاب في قوله تعالى اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون يعني هؤلاء المجرمون يعني مشركي مكة وقال ايضا هو وغيره ان الكفار سالوا فقالوا اترى

هذه الامة

علم الله تعالى بالقرون الأولى الذين يقص علينا نبأهم قال فقرأت هذه الآية فهي بمنزلة قول فرعون
قال فما بال القرون الأولى فقال موسى صلى الله عليه علمها عند ربي إلا أن الله تعالى قد قال في ذكر حساب
بمعنى الجزاء عطاء حسابا يعني مجازاة وقيل كفاية بمعنى كفاهم وأحسبهم ذلك كما قال حسبهم جهنم
أي كافيهم ذلك **الفصل** الثامن والثلاثون فيه كتاب الإخلاص وشرح النيات والأمر
بتحسينها في تصريف الأحوال والتحذير من دخول الآفات عليها في الأفعال قال الله الجبار المتعالي
وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن
قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله وقال إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقد روينا في الحديث من
طريق أهل البيت لا يقبل الله تعالى قولا إلا بعمل ولا قولا ولا عملا إلا بنية وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله
عز وجل وينبغي أن يكون للعبد في كل شيء نية حتى في مطعمه ومشربه وملبسه ونومه ونكاحه فإن ذلك
كله من أعماله التي يسأل عنها فإن كانت لله تعالى وفيه كانت في ميزان حسناته وإن كانت في سبيل الهوى
ولغير المولى كانت في ميزان سيئاته إذ لكل عبد ما نوى وإن كان ذلك غفلا وسهوا من غير نية ولا عقد
طوية ولا حسبة لم يكن له في ذلك شيء ولم يجد عمله في الآخرة شيئا وكان فيه لا له ولا عليه وكان
ذلك في الدنيا على مثال الأنعام التي تصرف عن غير عقول ولا تحليف ولكن بالإلهام والتوقيف فأخاف
أن يدخل في وصف من قال الله تعالى أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا قيل مجاوزة قدما
من غير تمييز وقيل فرطا أي غفلة وسهوا وقيل تفريطا وتضييعا وقيل مقدما إلى الهلاك فالنية
الصالحة هي أول العمل الصالح وأول العطاء من الله تعالى وهي مكان الجزاء وإنما يكون للعبد من
ثواب الأعمال على حسب ما يهب الله تعالى له من النيات فربما اتفق في العمل الواحد نيات كثيرة
على مقدار ما يحتمل العمل من النية وعلى مقدار علم العامل فيكون له بكل نية حسنة ثم يضاعف كل
حسنة عشر أمثالها لأنها أعمال تجتمع في عمل وصورة النية معنيان صحة قصد القلب إلى العمل الخير
التيقظ فيه والإخلاص به لوجه الله تعالى ابتغاء ما عنده من الأجر فكل عمل كان على علم هذه النية فهو
صالح متقبل بفضل الله تعالى ورحمته لأن صاحبه قد اتقى الشرك والجهل والهوى فعمله مرفوع في
الخزائن مذخور له به الجزاء وحقيقة الإخلاص سلامته من وصفين الرياء والهوى ليكون خالصا كما وصف
الله تعالى الخالص من اللبن وكان ذلك تماما لنعمته علينا فقال من بين فرث ودم لبنا خالصا فلو
وجد فيه أحد الوصفين من فرث أو دم لم يكن خالصا ولم تتم النعمة به علينا ولم تقبله نفوسنا

فكذلك معاملتنا الله تعالى إذا شابها رياء الخلق أو هوى من شهوة نفس لم تكن خالصة ولم يتم بها الصدق
والأدب في المعاملة ولم يقبلها الله سبحانه منا فاعتبروا وروينا عن سعيد بن أبي بردة عن كتاب
عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أنه من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين
الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله تعالى منه غير ذلك شانه الله تعالى فما ظنك بثواب الله
وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز اعلم يا عمر أن عون الله تعالى للعبد بقدر النية فمن تمت
نيته تم عون الله تعالى إياه ومن قصرت عنه نيته قصر عنه من عون الله تعالى بقدر ذلك وقد قال
الله سبحانه وتعالى في تصديق ذلك إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما فجعل سبب التوفيق إرادة
الإصلاح فذاك هو أول التوفيق من الموفق المصلح للعامل الصالح وقال بعض السلف رأيت الخير إنما
يجمعه حسن النية وكفاك به خيرا وإن لم تنصب رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره
النية وكتب بعض الأولياء إلى أخيه أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل وقال
داود الطائي البر همه التقوى ولو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما إلى نية صالحة
وكذلك الجاهل بالله تعالى وأيامه همه الدنيا والهوى ولو تعلقت جوارحه بكل أعمال الصالحات لكان
مرجعها إلى إرادة الدنيا وموافقة الهوى لأن سرها كان همة النفس لعاجل عرض الدنيا وقال مجالد بن
الحسين ينبغي للرجل أن تكون نيته بين يدي عمله وقال أيوب السختياني وغيره تخليص النيات
على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال وقال الثوري كانوا يتعلمون النية كما يتعلمون العلم وقال
بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فأنت بخير وقال زيد بن أسلم خصلتان
هما كمال أمرك تصبح ولا تهتم لله تعالى بمعصية وتمسي ولا تهتم لله تعالى بمعصية وكذلك قال بعض
السلف في معناه إن نعمة الله تعالى أكثر من أن تحصوها وإن ذنوبكم أخفى من أن تعلموها ولكن أصبحوا
توابين وأمسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وروينا في الخبر عن بعض المريدين أنه كان يطوف على
العلماء يقول من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فإني أحب أن لا يأتي علي ساعة من
ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله تعالى فقيل له قد وجدت حاجتك اعمل الخير ما استطعت
فإذا فترت أو تركته فهم بعمله فإن الهام بعمل الخير كعامله وروينا عن عيسى صلوات الله عليه
طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت إلى غير إثم وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة وقد جاء
في الخبر المشهور نية المؤمن خير من عمله فيه عشرة أوجه قيل لأن النية سر وأعمال البر تضاعف

وقيل لأنها غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى والظواهر مشتركة وأيضاً فإن الله عز وجل يهبها للعبد
خالصة لا يشوبها شيء إذا وهبها ولا تدخل عليها الآفات فهذا عطاء مهنأ وسائر الأعمال مدخولة
وأيضاً لأنها من شرط العمل حتى لا يصح عمل إلا بها وقد تصح هي بمجردها وكان عبد الرحيم بن
يحيى الأسود يقول معنى قوله نية المؤمن خير من عمله يعني إخلاصه في العمل خير من العمل قال فالإخلاص
بغير عمل خير من عمل غير مخلص والنية عنده هي نفس الإخلاص وعند غيره هي الصدق في الحال باستواء
السريرة والعلانية وقال قال الجنيد رحمه الله في الفرق بين الإخلاص والصدق معنى لطيف لم يفسره يحتاج
إلى تفسير حدثنا الأشياخ عنه قال شهد جماعة على رجل بشهادة فلم تضره وكانوا مخلصين ولو كانوا
صادقين لعوقب يعني إن صدقهم أن لا يعملوا عمله أو مثل عمله الذي شهدوا به عليه فهذا صدق الحال
وهو حقيقة النية وإخلاصها عند المحققين وقد قيل في معنى قوله نية المؤمن خير من عمله أن نية
المؤمن دائمة متصلة والأعمال منقطعة وبالنية خلد أهل التوحيد في الجنة وخلد أهل الشرك في النار
لدوام نياتهم على التوحيد ودوام نية الآخرين على الشرك مدة الدهر فهذه المعاني كلها على هذا الوجه
الذي نقول فيه إن معناه أن النية خير من العمل وفيه وجه آخر يكون الكلام على التقديم والتأخير أي
نية المؤمن هي من عمله خير كأنه قال هي بعض أعماله الخير فهذا كقوله ما ننسخ من آية أو ننسها نأت
بخير منها أي نأت منها بخير وكما قال يسألونك كأنك حفي عنها معناه يسألونك عنها كأنك حفي بهم
فأخر قوله عنها ومعناه التقديم فيكون على هذا التأويل إن النية من أعمال القلوب وإنها من عمل العبد
خير كثير وهذه الأقوال كلها صحيحة وهي موجودة في النية ففضلت النية العمل لأن هذه المعاني
من صفتها وقال بعض التابعين قلوب الأبرار تغلي بالبر وقلوب الفجار تغلي بالفجور والله تعالى
مطلع على نياتهم فيثيبهم بقدر ذلك فانظر ما همك وما نيتك وروينا عن الله سبحانه وتعالى
في بعض الكتب أنه قال ليس كل كلام الحكيم أتقبل ولكني أنظر إلى همه وهواه فمن كان همه وهواه
لي جعلت صمته ذكراً ونظره عبراً وهذا داخل في عموم الخبر الذي رويناه عن نبينا صلى الله عليه وسلم
أن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، وسئل سفيان الثوري
رحمه الله هل يؤاخذ العبد بالنية قال نعم إذا كانت عزماً أخذ بها وفي الخبر إن العبد ليعمل أعمالاً حسنة
فتصعد بها الملائكة عليهم السلام في الصحف مختمة فتلقى بين يدي الله عز وجل فيقول ألقوا هذه الصحيفة
فإنه لم يرد بذلك وجهي ثم ينادي الملائكة عليهم السلام اكتبوا له كذا واكتبوا له كذا فيقولون يا ربنا إنه
لم يعمل شيئاً من ذلك فيقال إنه نواه إنه نواه، وفي حديث أبي كبشة الأنماري الناس أربعة رجل

آتاه الله عز وجل علماً ومالاً فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله ما آتاه لعملت كما يعمل فهما
في الأجر سواء ورجل آتاه مالاً ولم يؤته علماً فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى
مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء ألا ترى كيف شرك حسن النية بنيته في محاسن
عمله وشرك الآخر سيء النية بنيته في مساوي عمله وكذلك في حديث أنس بن مالك لما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال إن بالمدينة أقواماً ما قطعنا وادياً ولا وطئنا موطئاً يغيظ الكفار
ولا أنفقنا نفقة ولا نصبنا نصباً إلا شركونا في ذلك وهم بالمدينة فقالوا وكيف ذلك يا رسول الله
وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية، وقال بعض السلف صلاح الأعمال وفسادها
بصلاح القلب وصلاح القلب بصلاح النية ومن صفى صفي له ومن خلط خلط عليه وكذلك جاء في الخبر
المشهور وهو أصل من أصول الدين قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى فمن كانت
هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فأخبر أن لا عمل إلا بنية ثم جعل لكل
عبد نيته ثم رد طالبي الدنيا والأزواج إلى نياتهم وحكم عليهم بها وجعلها نصيبهم من الله عز وجل
وفي ذلك علم أو لم يوقفه فبطلت هجرتهم بفساد نياتهم وصارت همتهم بدنياهم وهواهم وفي حديث
ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئاً فهو له، وهاجر رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر أم قيس
وقال أبو داود هذا الحديث ربع العلم وذلك أنه قال جمعت السنن الصحاح من حديث النبي صلى الله عليه وسلم
فكانت أربعة آلاف حديث ثم قال قد أعمدتها على أربعة أحاديث كل حديث ربع العلم قال وهذا الحديث
أولها وإنما قال ذلك لأنه فرض الفرض لأنه مع فرض الآية، وكذلك جاء في الخبر أن رجلاً قتل في سبيل
الله عز وجل فكان يدعى قتيل الحمار وذلك أنه قاتل رجلاً ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فأضيف
إلى نيته، وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غزا وهو لا ينوي إلا عقالاً فله ما نوى
وقال إني استعنت رجلاً يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلاً فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى
الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعلت له وقال بعض السلف رضي الله عنهم صلاح
الأعمال وفسادها بصلاح النيات وفسادها وروينا في الإسرائيليات أن رجلاً مر بكثبان من رمل
في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاماً لقسمته بين الناس قال فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم
عليه السلام أن قل له إن الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاماً
فتصدقت به وفي أخبار كثيرة من هم بحسنة لم يعملها كتبت له حسنة وفي حديث عبد الله بن
عمر رضي الله عنه من تكن الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفراقها أرغب ما يكون فيها ومن

يكون الآخرة نيته جعل الله عز وجل غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها وفي حديث أم سلمة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم جيشا يخسف بهم في البيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والأجير قال يحشرون على نياتهم وفي حديث عمر رضي الله عنه مثله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما يقتتل المقتتلون على النيات وفي حديث فضالة رحمه الله من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها وكذلك قال في الخبر اذا التقى الصفان نزلت الملائكة عليهم السلام تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا وفلان يقاتل حمية وفلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل وفي حديث جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه وفي حديث الحنف عن ابي بكرة رضي الله عنهما اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه والنية عند قوم الإخلاص بعينه وعند آخرين الصدق وعند الجملة انها صحة العقد وحسن القصد وهي عند الجماعة من اعمال القلوب مقدمة في الأعمال وأول كل عمل وقد قال الله عز وجل اذكروا الله ذكرا كثيرا قيل في التفسير كثيرا أي خالصا وهو ما خلصت فيه النية لوجه الله عز وجل ووصف تعالى ذكر المنافقين بالقلة فقال يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعني غير خالص وسميت سورة قل هو الله احد الإخلاص لانها خالصة في ذكر صفات الله عز وجل وحده لا تخلط بذكر جنة ولا نار ولا وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهي ولذلك قيل لها سورة التوحيد اذ لا شريك فيها من سواه وأول سلطان العدو على القلب عند فساد النية فاذا تغيرت من العبد طمع فيه فتسلط عليه وأول ارتداد العبد عن الاستقامة ضعف النية فاذا ضعفت النية قويت النفس فتمكن الهوى واذا قويت النية صح العزم وضعفت صفات النفس ولأن ينتقل العبد من معصية الى معصية دونها فيكون تاركا للأولى بنية الترك لأجل الله تعالى كان انفع له وأحمد عاقبة وأصلح لقلبه وأقرب الى توبته من افتعال الطاعات مشوبة بالهوى وفساد النيات لانه يكون حينئذ متقلبا في المعاصي بفساد نيته وخالطا عملا سيئا بسيء مثله ودارئا بالسيئة السيئة مثلها وهذا بخلاف وصف الله تعالى من قوله خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقوله تعالى ويدرؤون بالحسنة السيئة ومخالفا لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله اتبع السيئة الحسنة تمحها وفي حديث ابي هريرة رحمه الله من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم الشهداء فقال ان اكثر شهداء امتي لاصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته

وقال ثابت البناني معنى نية المؤمن ابلغ من عمله ان المؤمن ينوي أن يصوم النهار ويقوم الليل ويخرج من ماله فلا تتابعه نفسه على ذلك فنيته ابلغ من عمله وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثل القلب بالملك والجوارح بالجنود قال فاذا صلح القلب صلح الجسد واذا فسد فسد الجسد معناه اذا صلحت للعبد نيته دامت استقامته واذا خلص وصفا من شوب الكدر والهوى خلصت الاعمال من الرياء وصفت من الشهوات والأهواء واذا فسدت نيته بحب الدنيا فسدت اعمال الجوارح بحب المدح والرياء وحدثونا في الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ها هنا قوما يعبدون شجرة من دون الله عز وجل فغضب لذلك واخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال اين تريد رحمك الله قال اريد ان اقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله قال وما انت وذاك تركت عبادتك والاشتغال بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي قال فاني لا اتركك ان تقطعها قال فقاتله فأخذه العابد فطرحه الى الارض وقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني حتى اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله عز وجل قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك أنبي انت قال لا قال فلا عليك من كان يعبدها فلو اشتغلت بعبادتك وتركتها فان لله عز وجل في ارضه انبياء لو شاء لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها قال العابد لا بد لي من قطعها قال فنابذه ابليس القتال فغلبه العابد فأخذه وصرعه وقعد على صدره فلما رأى ابليس انه لا طاقة له به ولا سلطان له عليه قال يا هذا هل لك في امر فصل بيني وبينك وهو خير لك وانفع من هذا الامر الذي جئت تطلبه قال وما هو قال قم عني حتى اخبرك به فأطلقه العابد فقال له ابليس انت رجل فقير لا شيء لك انما انت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع في حالك وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر الذي جئت له ولك بالله عز وجل علي أن اجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين اذا اصبحت اخذتهما فصنعت بهما ما شئت وانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك افضل لك وانفع للمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مثلها مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك لها قال فتفكر العابد فيما قال له وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله ان اقطعها فأكون قد عصيت الله عز وجل بتركها وانما هو شيء تفضلت به وماذا يضر الموحدين من بقائها وهذا الذي ذكره اكثر منفعة لعموم الناس قال فعاهده على الوفاء له بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات ليلته فأصبح واذا دينارين عند رأسه فأخذهما ثم كذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث فلم ير شيئا

ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً فغضب وأخذ فأسه على راسه وخرج يؤم الشجرة ليقطعها فقال إن
فاتني أمر الدنيا لا أدرك أمر الآخرة قال فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال أين تريد قال أقطع
تلك الشجرة قال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك إليها قال فتناوله العابد ليأخذه
كما فعل أول مرة قال فأخذه إبليس فصرعه فإذا هو كالعصفور بين رجليه قال وقعد إبليس على صدره
وقال لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك فنظر العابد فإذا لا طاقة له به فقال يا هذا قد غلبتني
فخل عني وأخبرني عنك كنت قد غلبتك أول مرة فصرعتك والآن غلبتني أنت فصرعتني فكيف ذلك
فقال له إبليس لأنك غضبت أول مرة لله عز وجل وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله عز وجل لك فغلبتني
وهذه المرة جئت مغاضباً لنفسك وكانت نيتك الدنيا فسلطني الله عز وجل عليك فصرعتك وكذا
حدثونا في قصة تطول أن ملكة من بني إسرائيل راودت عابداً عن نفسه فقال اجعلوا لي ماء في الخلاء أتنظف
قال ثم صعد على موضع في القصر فرمى بنفسه فأوحى الله عز وجل إلى ملك الهواء الزم عبدي قال فلزمه حتى
وضعه بالأرض على قدميه رويداً فقيل لإبليس ألا أغويته فقال ليس لي سلطان على من خالف وبذل (هواه)
نفسه لله عز وجل وحديث معاذ بن جبل رحمه الله إن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن
كحل عينيه وعن فتات الطينة بإصبعه وعن لمسه ثوب أخيه وروينا في خبر مقطوع من تطيب
لله عز وجل جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله عز وجل جاء يوم القيامة وريحه
أنتن من الجيفة وليس الطيب من البر المأمور به ولا من الإثم المنهي عنه وإنما لصاحبه منه نيته
فإن كانت نيته اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإظهار نعمة الله تعالى والتنظف والتطهر
لعبادته كان بذلك مطيعاً وكان له ثواب نيته وإن تطيب لغير ذلك كان به عاصياً لاتباع هواه وعن
بعض السلف الصالح قال كتبت كتاباً فأردت أن أتربه من منزل جاري فتحرجت من ذلك ثم قلت
تراب وما تراب فأتربته من منزل جاري فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غداً من
سوء الحساب وقال بعض العلماء إني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي وشربي ونومي
وحدثت أن رجلاً صلى مع سفيان رحمه الله صلاة العيد وكان قد خرج بغلس فلما أصبح نظر فإذا
إزار سفيان مقلوب فقال له يا أبا محمد قد لبست ثوبك مقلوباً فأصلحه قال فمد سفيان يده ليسوي
إزاره ثم قبضها فلم يسوه فقال له الرجل ما منعك أن تسويه عليك قال إني لبسته لله عز وجل
ولا أريد أن أسويه لغير الله تعالى ونادى رجل امرأته وكان فوق السطح يسرح شعره فقال هاتي
المدرى ليفرق به شعره فقالت امرأته أجيء بالمرآة فسكت هنيهة ثم قال نعم فقال له من سمعه

لأي شيء سكتّ وتوقفت عن المرآة فقال إني قلت لها هاتي المدرى بنية فلما قالت بالمرآة لم تكن
لي في المرآة نية فتوقفت حتى هيأ الله عز وجل لي نية فقلت نعم جيئي بها وحدثونا عن بعض أصحاب
بشر أن فتحاً الموصلي دخل عليه فقام له بشر رحمة الله عليهما قال وما رأيته قام لغيره فقمت فأجلسني
فلما انصرف قلت له قمت أنت إليه فلما قمت أنا أجلستني قال أنا قمت لأجل الله تعالى وأنت قمت لأجلي
فأجلستك وحدثونا عن بعض الفقراء وكان يصحب أبا سعيد الخراز رضي الله عنه وكان يخف بين يديه
في حوائجه ويخدم الفقراء ويسارع في قضاء حوائج أصحاب أبي سعيد قال فتكلم أبو سعيد يوماً في إخلاص
الحركة فوقر ذلك في قلب الشاب فكأنه أخذ في الإخلاص وافتقد حركته وخدمته فترك ما كان يعمله
من قضاء حوائج أبي سعيد والخفة بين يدي إخوانه حتى أضر ذلك بأبي سعيد رحمه الله فقال له يا بني
قد كنت تسعى في حوائج إخوانك ثم قطعت ذلك فما السبب فقال يا أستاذ إنك تكلمت في الإخلاص
وإني خشيت أن تكون أفعالي مدخولة فقال أبو سعيد لا تفعل إن الإخلاص لا يقطع المعاملة ولا ينبغي
للعامل أن يترك العمل للإخلاص فيفوته الإخلاص والعمل ولم أقل لك اترك ما أنت عليه وإنما قلت لك
أخلص فيه وإن طلبك الإخلاص قد قطعك عن عمل البر وقد أضر ذلك بنا فارجع إلى ما كنت عليه
وأخلص فيه لله تعالى فينبغي للعبد أن يكون له نية خالصة في جميع تصرفه من حركته وسكونه وسعيه
وتركه فإن الحركة والسكون اللذين هما أصل الأفعال هما من أعماله التي يسأل عنها فيحتاج إلى النية
والإخلاص فيهما فيجعل جميع ذلك لله تعالى وهو بقصد واحد على مراتب من المقامات إما حباً لله
أو إجلالاً له وإما تخوفاً منه أو رجاء له أو لأجل أنه أمره به فينوي أداء الفرض أو لما ندبه إليه
فينوي المسارعة إلى الخير أو فيما أبيح له فتكون نيته في ذلك صلاح قلبه وإسكان نفسه واستقامة
حاله وذلك كله لأجل الدين وعدة للآخرة وشكراً لربه عز وجل ودخولاً فيما أحل له واعترافاً بما
أنعم عليه ولا يكون واقفاً مع طبع ولا جارياً على عادة وعرف ولا متخلقاً بأخلاق نفس من عادات
أبناء الدنيا وعرف معاشرتهم فيما بينهم فإن ذلك حال الغافلين ومقام الجاهلين غير محمود العاقبة
ولا يترك العمل الصالح أيضاً خشية دخول الآفة عليه ولا يدع عمله إن كان داخلاً فيه لما يعتريه
لأن ذلك بغية عدوه منه ولكن يكون على نيته الأولى من صحة القصد فإن دخلت عليه علة وضع
عليها دواءها فعمل في نفيها وإزالتها وثبت على حسن نيته وصالح معاملته ولا يدع عملاً لأجل
الخلق حياء منهم أو كراهة اعتقادهم فضله فإن العمل لأجل الناس شرك وتركه لأجلهم رياء
وترك العمل خشية دخول الآفة فيه جهل وتركه عند دخول العلة عليه ضعف ووهن فليعمل

العبد في سقوط الخلق عن قلبه وترك مراعاتهم بهمته ولا يصح له ذلك الا باسقاط نفسه عن قلبه
ومحو الوجد بها برؤيته اذ هي مكان ثبوت الانام فكيف يزول المتمكن قبل سقوط المكان ومن دخل في
العمل لله وخرج منه لله لم يضره ما كان من ذلك وقد يضره ما يكون بعد ذلك بان كان سرا فاظهره
بعد زمان وصار علانية فينقل من ديوان السر الى ديوان العلانية ومثل ان ينطق به او يفتخر او
يدل به ويتكبر فيحبط ذلك عمله لانه قد افسده والله لا يصلح عمل المفسدين ومن دخل في عمل الله
عز وجل في وسط عمله فخرج من العمل بها بطل عمله ومن دخل في العمل بآفة وخرج منه بصحة سلم له
عمله وجبر باخره اوله وافضل الاعمال ما دخل في اوله لله عز وجل وخرج منه لله تعالى ولم تطرقه
فيما بينهما آفة فيكون الله تعالى هو الاول والآخر معه وعنده ثم لا يظهره بعد ذلك ولا ينطق به
وافضل النيات ان لا تريد بعملك الا وجه الله تعالى وحده تعظيما لحق الربوبية والزاما للنفس
وصف العبودية فان لم يكن هذان المقامان عن مشاهدة وجه ذي الجلال والاكرام فمشاهدة ما رغب
فيه وشوق اليه من الآخرة عن مقام الرجاء بطلبه عنده فهو خير وابقى او خوفا مما حذر منه
وخوف به من العذاب الاليم عن مقام الخوف ولا ينبغي للعبد ان يدخل في شيء حتى يعلم علمه فيكون
داخلا في كل عمل بعلم مثله لان لله تعالى في كل شيء حكما فما علم من ذلك حمد الله تعالى وعمله وما جهل سال
عنه من هو اعلم منه وما اشكل عليه امسك عنه حتى يستبين له وجهه فيقدم عليه او يتركه وليكن
ما تحرك فيه او سكن عنه او توقف عن الاقدام عليه ابتغاء مرضاة الله عز وجل تقربا اليه تعالى فهذا
اعلى النيات وهو غاية الاخلاص ومن اراد باعماله ما عند الله عز وجل من ثواب الآخرة من حظوظ نفسه
ومعاني شهواته ولذاته من النعيم في الجنان واتخاذ الحور الحسان مما وصفه الله تعالى وندب اليه لم يقدح
ذلك في اخلاصه ولم يغير صحة نيته من قبل ان الله عز وجل مدحه ورغب فيه ووصفه وكان ذلك
تمهيد مثله الا ان هذا نقص في مقام المحبين وعيب عندهم كعيب من عمل العاجل حظه من دنياه
وهو شرك في اخلاص الموحدين الذين اخلصوا في العبودية فعتقوا من اسر الهوى بالحرية فلم يسترقهم
الشهوات ووقفوا مع سوى الوحدانية لما شهدوا من خالص الربوبية واخلاص العبودية للربوبية اشد
من اخلاص المعاملة الا ان من رزق المقام منها دخل في حقيقة اخلاص المعاملة ضرورة بلا تبقية
ولا تصفية ولا عمل ولا مجاهدة وكانوا مخلصين وهذا مقام المحبين وانما تعامل يدون بالتبقية والتصفية
للمعاملة لما بقي عليهم من الشرك الخفي والشهوة الخفية كما اتعب جوارح اهل الدنيا بالجمع لها لما استرقهم
من الهوى فاما الاحرار فهم من خدمة الخلق برا وهذا يذهب الاخلاص ويفسد النية ويدخل الانتقاص

وما تلف له من شيء او ظلم من حقه فلينو بذلك الذخر عند الله عز وجل وليجعله في سبيل الله بحسن
ظنه بالله تعالى وصدق يقينه فان له من ذلك ما نوى، وحدثونا عن رجل رئي بعد وفاته فسئل
كيف رأيت اعمالك فقال كل شيء عملته لله تعالى وجدت ثوابه حتى حبة رمان التقطتها من
طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيت ذلك كله في كفة الحسنات قال وكان في قلنسوتي خيط من حرير
فرأيته في كفة السيئات قال وكان قد نفق لي حمار قيمته مائة دينار فما رأيت له ثوابا فقلت سنور موت
سنور في الحسنات وهذا حمار قيمته مائة دينار لا ارى له ثوابا فقيل انه قد وجه حيث بعثت به لانك
قلت لما قيل لك قد مات الحمار قلت في لعنة الله فبطل اجرك ولو قلت في سبيل الله تعالى لوجدته في حسناتك
ومن اوذي او اغتيب فليحتسب عرضه عند الله عز وجل فلعل ذلك يكون سببا من عمله وسببا لنجاته
فقد روي ان العبد ليحاسب على اعماله كلها فتبطل بدخول الآفات فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر
له اعمال من الحسنات لم يكن عملها فيستوجب بها الجنة فيعجب من ذلك فيقول يا رب هذه اعمال ما
عملتها فيقال هي اعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك جعلت حسنات لك فلا يحقرن شيئا من الاعمال
وان قل فيخليه من النية او يستصغره فربما كان هلاكه وعطبه فيه وهو لا يعلم، وقد روي المبارك
عن الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول بيني وبينك الله عز وجل فيقول والله ما اعرفك
فيقول بلى انت اخذت من حائطي تبنة وان الرجل ليتعلق بالرجل فيقول يا رب هذا اخذ من ثوبي ذبرة
ومات حماد بن ابي سليمان وكان احد علماء الكوفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية
لفعلت، ومات الحسن البصري فلم يحضر ابن سيرين رحمه الله جنازته فسئل عن ذلك فقال لم تكن لي نية
وقد كان العلماء اذا سئلوا عن عمل شيء او سعي فيه يقولون ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا ذلك وقال
يحيى بن ابي كثير حسن النية في العمل ابلغ من العمل وقال بعض السلف كانوا يستحبون ان يكون لهم في كل
شيء نية، وقال الفضيل بن عياض لا تحدث الا بنية وقال بعضهم الخوف على فساد النية وتغيرها
اشد من ترك الاعمال وقال يوسف بن اسباط تخلص النية من فسادها اشد على العاملين من طول
الاجتهاد، وحدثونا عن بعض الصوفية قال كنت قائما مع ابي سعيد التستري وهو يحرث ارضه بعد
العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشيء فقال ابو سعيد لا فمر كالسحاب
يمسح الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي سعيد ما قال لك فقال سالني ان احج معه فقلت لا قلت
فالا فعلت فقال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتمم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت
معه لاجله اتعرض لمقت الله عز وجل لاني ادخل في عمل الله تعالى شيئا غيره فيكون هذا عندي اعظم من سبعين حجة

ومن كان له في مباح نية ولم تكن له نية في فضيلة فالأفضل هو المباح حينئذ وقد انتقل المعنى فصار
المباح هو الفضيلة وصارت الفضيلة هي النقيصة لعدم النية فيها وهذا لا يعلمه إلا العلماء بباطن
العلم وهو من غوامض التصريف مثل أن يكون رجل قد ظلم فله أن ينتصر وإن عفا كان أفضل إلا أن له
نية في الانتصار وليس له نية في العفو فالانتصار هو الأفضل ومثل أن يكون له نية في الأكل والشرب
والنوم ليتقوى بها على الطاعة ويريح بها نفسه لوقت آخر وليس له نية في الصوم ولا في القيام فقد
صار الأكل والنوم حينئذ هو الأصل والفضل وقد كان أبو الدرداء يقول لأستجم نفسي ببعض اللهو
ليكون ذلك عونا لي على الحق وكل عمل مباح للعبد فيه نية فهو مأجور عليه وكل عمل فاضل لا نية
للعبد فيه فأحسن حاله السلامة منه لا له ولا عليه وربما كان مأزورا فيه إذ دخلت عليه نية دنيا وكل
عمل مباح أو فضل ليس للعبد فيه نية فهو عمل لا شيء له فيه ولكنه يسأل عن فراغ وقته وكل عمل
فاضل للعبد فيه نية حسنة فهو فضيلة بالغة وكل عمل مكروه أو شبهة للعبد فيه نية فالعمل باطل
ونيته هوى وإنما وجدت النية فيه لقصور علمه واختفاء شهوته فإن أراد به وجه الله عز وجل سلم
من عاقبته ولا فضيلة له به وإن كان قد خفي عليه الهوى ودق عليه لطيف حب الدنيا بجهله بالعلم فهو
مأثوم عليه لتقصيره عن طلب العلم الذي يعرف به الإخلاص وسكونه على الجهل الذي يدخل منه الانتقاص
وقد جاء في الخبر أن الله تعالى لا يعذر على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا يحل للعالم أن
يسكت عن علمه وقد قال الله سبحانه وتعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وقد كان سهل
رحمه الله يقول ما عصي الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل قيل يا أبا محمد وهل تعرف شيئا أشد من الجهل
قال نعم الجهل بالجهل يعني أن يكون العبد جاهلا وهو لا يعلم أنه جاهل ويحسب بجهله أنه عالم فيسكن
على جهله فلا يتعلم فيضيع فرض الفرائض وأصل الفرائض كلها هو طلب العلم وكذلك ما أطيع الله تعالى
بمثل العلم ومن علم العلم العلم بالعلم بالعمل أي شيء هو وذلك أيضا واجب من حيث كان العلم واجبا
ثم إنه قد دخل مذاهب المتكلفين وأقوال الغالطين في العلم فصار زخرفا من القول غرورا يشبه العلم
وليس بعلم لالتباس المعاني بعضها ببعض ولاشتداد دقائق العلوم فاختلط لذلك القصاص والمتكلمون
بالعلماء فصار معرفة العلم أي شيء هو والعلم بالعالم من هو علما آخر وصار العالم بالعلم ما هو دون الزخرف
من القول كأنه عالم فكان أيضا العلم بالعلم بمنزلة فضل العلم ووجب وجوبه كما كان الجهل بالجهل أعظم
من الجهل وقد كان سهل رحمه الله يقول قسوة القلب بالجهل أشد من قسوته بالمعاصي لأن الجهل ظلمة
لا ينفع البصر فيها شيئا والعلم نور يهتدي به القاصد وإن لم يمش وقد قيل في تفسير قوله تعالى

وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قال عملوا أعمالا بجهلهم ظنوا أنها حسنات فوجدوها سيئات
وقيل ذنوب غيرهم طرحت عليهم فعذبوا بها ولم يكونوا يحتسبونها في الدنيا يعني لهذا مثل ما روي في الخبر
أن العبد ليرى من أعماله الحسنات ما يرجو به المنازل في الجنة فيلقى عليها سيئات لم يعملها فتزحج
بحسناته كلها فيستوجب النار فيقول يا رب هذه سيئات ما عملتها هلكت بها فيقال هذه ذنوب
القوم الذين اغتبتهم وآذيتهم وظلمتهم ألقيت عليك لتخلصوا منها وقد روينا في معناه حديثا
مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم أن العبد ليوافي القيامة بحسنات أمثال الجبال لو خلصت له لدخل
الجنة ويأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى
له حسنة فيقول الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وقد بقي طالبون كثير فيقول الله تعالى ألقوا عليه
سيئاتهم ثم صكوا له صكا إلى النار وينبغي للعبد إذا أراد أن يعمل عملا أن يتثبت فيجدد له
نية حسنة ثم يقف وقفة فيتفقد هل يدخل عليه في ذلك العمل آفة واحدة أو أكثر فيخرج ما دخل
عليه من الآفات بمشاهدة اليقين ثم يعمل ذلك العمل لله عز وجل وحده لا يشرك في قصده ووجده
وطلبه وثوابه سواه ثم يستقيم على ذلك العمل فإن دخلت عليه آفة في خلاله نفاها حتى يكون قائما
بشهادته فهذا هو الإخلاص لأن المخلص يحتاج في إخلاصه إلى شيئين ليس أحدهما أولى به من الآخر
صحة القصد لوجه الله عز وجل طلبا لما عنده من الآخرة ثم إخراج الآفات والحذر على العمل من دخولها
عليه إلى الفراغ منه فبذلك يتم إخلاصه ويصفو من كدر الهوى ويخلص من الشهوة الخفية فيكون
خالصا من الرياء بالإخلاص صافيا من الشهوة بتفقد دخول الآفة كما روي في الخبر أخوف ما أخاف
على أمتي الرياء والشهوة الخفية قيل حب الدنيا وقيل العمل لأجل أن يؤجر العبد ويحمد ثم إذا هم العبد
بعمل وقف قبله وقفة فتدبره وتفكر فيه من نية فربما وجد في العمل الواحد عشر نيات أو خمسا
أو ما بين ذلك لما يحتمل ذلك العمل من وجوه البر ومعاني القربات المندوب إليها فيكون له بكل نية عمل
وبكل عمل أجر وهذا من فضائل الأعمال وتضاعيف الحسنات ولا يعلمه إلا العلماء بالله عز وجل وهو أجور
طريق الأبدال من صالحي أهل الأحوال فبذلك زكت أعمالهم وارتفعت مقاماتهم وكثرت أجورهم وحسنت
حسناتهم لا بكثرة الأعمال لكن بتحسينها ووجود النيات الكثيرة فيها وقد جاء في الأثر من عمل عملا
لا يريد به وجه الله تعالى لا يزال في مقت الله عز وجل حتى يفرغ وقد قال بعض الأدباء من لم يشكر لك حسن
النية فيه لم يك يشكر منك حسن الصنيعة إليه وأنشد في معناه لأشكرنك معروفا هممت به
إن اهتمامك بالمعروف معروف ولا ألومك إن لم يمضه قدر فالشيء بالقدر المكتوب مصروف

ولو لم يكن في تجريد النية الحسنة وتفقد الهمة العالية الا ان صاحبها لا يزال عاملا من عمال الله عز وجل
بقلبه وهمه وان لم يساعده القدر على الافعال بالجوارح فيكون ابدا ماجورا ولو لم يكن في نية الشر
والهمة الدنية الا ان صاحبها في بطالة وخسارة وان لم يساعده المقدور على الافعال السيئة
بالجوارح فيكون ابدا خاسرا مازورا نعوذ بالله تعالى من ذلك ونسأله ان يوفقنا لما يحبه ويرضاه برحمته
وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله

كتاب ترتيب الاقوات والنقصان منها او بزيادة الاوقات

اما الاقوات فقد كان بعض السلف ينقص منها حتى يرد النفس الى اقل قوامها فمن اراد هذا الطريق
فلينقص في كل اكلة ربع سبع رغيف فيكون تاركا لرغيف في كل شهر برياضة وتمهل فلا يؤثر النقصان
عليه شيئا حتى تقف النفس على الاكل في ثلث بطنها وهو ثلث اكله المعتاد وهذا طريق المريدين ومن العلماء
من لم يكن يتعرض للاقوات ولكن يعمل في زيادة الاوقات فيؤخر اكله وقتا بعد وقت حتى ينتهي الى اكثر
طاقة النفس يحمل الجوع بضعف الجسم عن الفرض او خشية اضطراب العقل فمن اراد هذا الطريق اخر فطره
في كل ليلة الى نصف سبع الليل حتى يكون قد طوى ليلة في نصف شهر وهذا طريق من اراد طي السبع والعشر
والخمس عشرة يوما الى الاربعين لانه يعمل في تجويعه على مزيد الايام ولا يعمل في نقصان الطعام فلا يؤثر ذلك
نقصانا في عقله ولا ضعفا في اداء فرضه اذا كان على صحة قصد وحسن نية وصدق عقد فانه يعان
على ذلك ويحفظ فيه ويكون طعمه اذا اكل عند كل وقت يزيد فيه ينقص ضرورة عن غير تعمل للنقصان لان
المعاء تضيق لا محالة فكلما زاد جوعه نقص اكله وعلى هذا الى ان ينتهي في الجوع وينتهي في قلة الاكل ولا
ينال فضيلة الجوع التي وردت بها الاخبار الا بالطي ومن الناس من يقول حد الجوع الاول من الوقت الى
مثله من الغد اربعة وعشرين ساعة وحد الآخر اثنان وسبعون ساعة فهذا حد الجوع من الاوقات فاما
حده في الاقوات فكان بعضهم يقول حد الجوع الا تطلب نفسك الادم فمتى طلبت الادم مع الخبز فلست
جائعا فهذا حده الاول وقيل حد الجوع ان لا تطلب الخبز ولا تميز بينه وبين غيره فمتى تاقت النفس الى
الخبز بعينه فليست بجائعة لان لها شهوة في التخير ومتى لم تميز بين خبز وغيره من ماكول فهذا هو
الجوع وموافقة الحاجة الى الطعام الذي جعله الله عز وجل غذاء الاجسام وهذا يكون في آخر الحد بين
من الاوقات بعد الثلث الى الخمس والسبع ويكون طلب العبد عند هذا الجوع القوام من العيش والضرورة
من القوت وهو ما سد الجوعة واعان على اداء الفريضة وهذا حال الصديقين وقد سمعت بعض هذه الطائفة
يقول حد الجوع ان يبزق العبد فاذا لم يقع على بزاقه الذباب فقد خلت معدته من الطعام يريد ان
بزاقه قد خلا من الدسومة والدهنية وصار صافيا مثل الماء فلا يسقط عليه الذباب مع لطف حاسته

التي ركبت فيه وخفي ادراكه لما يقع عليه فاما اكل العادات والتنقل في الشهوات والاكل حتى يشبع
فهذا عند العلماء مكروه واهله عندهم بمنزلة البهائم واما الاكل على الشبع والامتلاء حتى يتخم فهذا
فسق عند بعض العلماء وقد قاله بعض العارفين ورويناه انه قيل لابي بكرة رحمه الله عليه ان ابنك اكل
البارحة حتى بشم فقال لو مات ما صليت عليه فاما الصوم فليس عندهم الجوع المقصود لاسكان
النفس واخماد الطبع لان الصوم يصير عادة ويرجع الصائم الى قوة طبعه اذا افطر فاما اذا كان
يصوم ويفطر على الشهوات او يمتلي من الاكل فان صومه هذا لا يزيده الا قوة طبع وظهور نفس وتتوق
عليه الشهوات ويدخل عليه الفتور عن الطاعات ويجلب عليه الكسل والشتات وربما قوي طبعه جملة ولكن
ظهرت عليه نفسه بقوة مجمله الا انه لا يجري في نهاره الا فيما اجريت عادته عليه فجعل حاله فيه من
ابواب الدنيا والتنقل في الهوى وان كان ظاهر احواله اسباب الآخرة عنده لقصور علمه فان حشو ما الدنيا
والتقلل من حد البلغة من القوت في الاوقات مع الافطار اصلح للقلب هذا وادوم لعلمه وابلغ في آخرته
من مثل هذا الصوم لان هذا الذي وصفناه هو صوم ابناء الدنيا المترفين ليس بصوم اهل الآخرة الزاهدين
ولكن بالتقلل والطي وترك الشهوات واجتناب الشبهات تنكسر النفس وتذل وتخمد الطبع وتضعف
الصفة عن العادة وتقوى ارادته الآخرة ويعمل المزيد في سعيها ويخرج حلاوة الدنيا من القلب فيصير
العبد مع التجوع والطي وترك الشهوات كانه زاهد وروينا في حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة مطلب
رضي الله عنهما الطويل اختصرته ان اقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه
في الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف
بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه
والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الله عز وجل
على كل بلدة ليس فيها منهم لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا الفلق ولبسوا الخرق
شعثا غبرا يراهم الناس يظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا وذهبت عقولهم وما ذهبت
عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر ذهبت عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا
حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة
لا يعذب الله عز وجل قوما هم فيهم الارض بهم رحيمة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى
ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل تدرك بذلك شرف
المنازل وتحل مع النبيين ويفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار عز وجل ومن اشتهر بالطي

وكثر النقل عنه بذلك الخمس عشر يوما الى العشرين الى شهر جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمر
الغزي رحمه الله وعبد الرحمن بن رحيم وابراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم
ابن سعيد وزهير البابي وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله وابراهيم الخواص رحمهم الله وكان ابو بكر الصديق
رضي الله عنه يطوي ستا وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام وكان ابو الجوزا صاحب ابن عباس
يطوي سبعا وروي ان الثوري وابراهيم بن ادهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا وقد رايت امرءا كان يطوي
تسعا وخمسا وكثيرا ممن كان يطوي ثلاثا وقد قال بعض العلماء من طوى اربعين يوما من الطعام ظهرت
له قدرة من الملكوت وكان يقول لا يزهد العبد حقيقة الزهد الذي لا مشوبة فيه الا بمشاهدة قدرة
من غيب الملكوت وبعضهم يقول لا يوقن العبد يقينا ثابتا يحكم عليه بالاستقامة فيه ولبثه حال الا بعد
علم نافذ في الملكوت الا بمشاهدة قدرة من قدر الغيب براي عين بنظر له بشهادة دائمة يقوم لها
وتضطره فعندها يعرف من الله عز وجل وصفه المخصوص القيوم به ويصح لعبد مراد بهذا الطريق المنهج
له طي اربعين في سنة واربعة اشهر على ما نزلنا من تاخير الاوقات وقتا بعد وقت وقد رتبنا من رياضة النفس
في الاوقات حتى تندرج الليالي في الايام وتدخل الايام في الليالي فيكون الاربعون بمنزلة يوم واحد وليلة
وهذا طريق بعض الابدال من الصديقين لا يقدر عليه الا من اريد به وحمل فيه مطلوب مكاشف بشهادة
تشغله عن نفسه وتقطعه عن طبعه وعادته وتنسيه جوعه وتكشف له حقيقة امر جوعه وقد عرفنا
من كان فعل ذلك وظهرت له آيات من الملكوت وكشف له عن معاني قدرة من الجبروت تجلى الله عز وجل
له بها ومنها كيف شاء وقد وقف بعض هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك
ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح عليه السلام كان يطوي اربعين
يوما وانا معتقد اعجاز هذا وانه لا يكون الا لنبي فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت
عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انما نحن عليه حق وانك على باطل قال نعم فقعد عنده لا يبرح ولا
يذهب الا من حيث يراه الراهب الى ان طوى خمسين يوما فقال ازيدك ايضا فطوى الى ستين يوما فتعجب
الراهب منه واعتقد فضله وفضل دينه وقال ما كنت اظن احدا يجاوز فعل المسيح عليه السلام ولكن
هذه امة تتشبه بالانبياء عليهم السلام في العلم والفضل وكان ذلك سبب اسلامه وممن كان يطوي اربعين
ابراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة فاما الثلاثين والعشرين فقد حكي عن عدد كثير منهم سهل وجماعة
من البصريين رحمهم الله واما من كان ياكل في الشهر اكلتين وثلاثة واربعة فهم كثير من الشاميين والجزريين
فان احب المريد ان يقسم فطوره قسمين فياكل رغيفا عند افطاره في اول الليل فيسكن بذلك جوعه

ويأكل رغيفا عند السحر يستعين به على صومه فحسن وان احب عمل في تاخير الافطار على رياضة ووقف
عند السحر فلم يجاوزه فيكون اكله سحرا فيحصل له بذلك خمسة اشيا جوع النهار للصيام وجوع الليل
للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم لخلو القلب وسكون النفس للمعلوم
فلا تنازعه قبل وقته وهذا اوسط الطرقات واحبها الي وهو طريق السائرين وفي حديث عاصم بن كليب
عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تزلع اجلاه
وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفي حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يواصل الى السحر فان كان المريد يصوم يوما ويفطر يوما وهو اعدل طرقات الصيام ايضا اكل يوم فطره
بعد الظهر وليلة صومه عند الفجر فان لم يفعل فلياكل يوم فطره نصف اكله بالامس فكانه صائم فان لم
يفعل اضطرب جسمه وداخله الفتور في حاله ومن لم يكن له معلوم فلا باس ان ياكل شبعه ثم يتربص
حتى ينتهي جوعه فعلامة جوعه ان لا يختار نفسه الخبز دون غيره من الماكول فان اختارت نفسه الخبز
ففيه بقية من الشبع وعلامة شبعه بعد الجوع ان يكون ياكل الخبز البحت على شهوة فاذا تاقت نفسه
الى الادم فقد ابتدا شبعه واذا تخير الادم فهو شبعان وترك المعلوم في الطعام طريق صوفية البغداديين
والوقوف مع المعلوم طريقة البصريين ولما قدم صوفية البصرة على الجنيد رحمه الله بعد وفاة ابي محمد
سهل رضي الله عنه قال لهم كيف تعملون في الصوم قالوا نصوم النهار فاذا امسينا قمنا الى قفافنا فقال
آه آه لو كنتم تصومون بلا قفاف كان اتم لحالكم اي لا تسكنون الى المعلوم فقالوا لا نقوى على هذا
ولعمري ان طريق البغداديين بترك المعلوم من المطعوم اعلى وهو طريق الاقوياء من المتوكلين وطريقة البصريين
بالمعلوم والتوقيت اسلم من آفات النفوس واقطع للتشوف والتطلع وهو طريق المريدين والعاملين

ذكر رياضة المريدين في الماكول وفضل الجوع وطريقة السلف في التقلل قد كان قوت جماعة من
الصحابة رضي الله عنهم صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا صاعا ونصف وقد كان
ابو ذر يقول كان طعامي في كل جمعة صاعا من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله العظيم لا ازيد
عليه حتى القاه فاني سمعته يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيامة واحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم
وقد كان يقول في بعض انكاره على بعض الصحابة رحمهم الله قد غيرتم نخل لكم الشعير ولم يكن
ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادمين واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في
آخر ولم تكونوا هكذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين
في كل يوم والمد رطل وثلث وكان الحسن يقول المومن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة

من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعاً بلعاً وسرطاً سرطاً لا يطوي بطنه لجاره
ولا يؤثر أخاه بفضله فجحشوا من الفضول أمامكم وقد كان أبو يزيد البسطامي يقول إذا وجد الفقير الماء
سقط عنك فرضه وفي الحديث المشهور العام المؤمن يأكل في معاء واحد والمنافق في سبعة أمعاء وهذا
على التمثيل في الاتساع والكثرة أي يأكل أضعاف أكل المؤمن فكأن المؤمن يأكل سبع أكل المنافق والعرب
توقع ذكر ضعف الشيء وأضعافه إلى السبعة وقد فسر ذلك عالمنا أبو محمد سهل رحمه الله فقال معنى قوله
يأكل في سبعة أمعاء أحدها شره وطبع وشهوة وحرص ورغبة وغفلة وعادة فالمنافق يأكل بهذه
المعاني والمؤمن يأكل بمعنى الفاقة والزهد ولهذا كان يقول لو كانت الدنيا دماً عبيطاً كان قوت المؤمن
منها حلالاً لأن أكل المؤمن عنده ضرورة للقوام ومن الناس من يضيف هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مخطئ في ذلك إنما هو من كلام إمامنا سهل التستري رحمه الله وقد سئل مرة عن قوت المؤمن فقال
قوته الله عز وجل فقيل سألناك عن القوام فقال قوامه الذكر فقيل إنما سألناك عن الغذاء فقال غذاؤه
العلم فقيل إنما سألناك عن طعمة الجسم فقال ما لك وللجسم دع الجسم على من تولاه قديماً يتولاه الآن
ثم قال الجسد صنعة إذا عابت ردها إلى صانعها وسئل أيضاً عن الحلال فقال هو ما لم يعص الله تعالى
في أوله ولم ينس في آخره وذكر مع تناوله وشكر عند فراغه وكان يقول القوت للمؤمنين والقوام للصالحين
والضرورة للصديقين ومن كان ذا معلوم فالمستحب له أن لا يزيد على رغيفين في اليوم والليلة ويجعل
بينهما وقتاً طويلاً مرة وقصيراً مرة على حسب الحاجة وتوقان النفس إلى الغذاء لا على طريق العادة والشهوة
والرغيف ستة وثلاثون لقمة يكون قوام النفس في كل ساعة ثلاث لقمات فإذا أراد أن يأكل الرغيف على
هذا التقسيم فليجرع بعد كل ثلاث لقم جرعة ماء فذلك اثنا عشر جرعة في تضاعيف ستة وثلاثين لقمة
ففي ذلك قوام الجسم وصلاحه في يوم وليلة على هذا الترتيب وفيه بلاغ للعابدين وفيما ذكرناه عن أبي ذر وأصحابه
رحمهم الله أن قوتهم كان صاعاً في كل جمعة وهو خمسة أرطال وثلث أصل لما ذكرناه على التقريب يكون في
كل يوم رطل أو نحوه والمعنى في جمل ما ذكرناه من التقليل في القوت والتقليل منه ما رويناه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه نظر إلى رجل سمين فأومأ إلى بطنه بإصبعه فقال لو كان هذا في غير هذا كان خيراً لك
يعني قلة الطعم خير من كثرته في جوفك ولو قدمته لآخرتك وآثرت به إخوانك كان خيراً لك وتجشأ
أبو جحيفة عند النبي صلى الله عليه وسلم من ثريد ولحم قال كنت أكلته فقال له اكفف عنا جشاءك
فإن أكثرهم شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة قال أبو جحيفة فوالله ما ملأت بطني من طعام
بعد ما إلى يومي هذا وأرجو أن يعصمني الله عز وجل فيما بقي وقد روينا عن الحسن عن أبي هريرة رحمه الله

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت
السماء وروينا عن عيسى عليه السلام أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وقد رواه
عبد الرحيم بن يحيى الأسود رضي الله عنه في كتاب الإخلاص عن طاوس رضي الله عنه ورفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل لأبي يزيد البسطامي رضي الله عنه وهو أعلى هذه الطائفة إشارة بأي شيء نلت هذه المعرفة فقال
ببطن جائع وجسد عار وفي التوراة مكتوب إن الله عز وجل ليبغض الحبر السمين وفي بعض الكتب ويمقت

أهل بيت اللحمين وقد روينا نحوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن الله عز وجل
يبغض القارئ السمين وفي خبر مرسل إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع
والعطش فإذا جعل العبد شبعه بين جوعتين كان جوعه أكثر من شبعه وسلم من خبر أبي جحيفة ومن كانت
له جوعة بعد كل شبعة اعتدل جوعه وشبعه ومن أكل في يوم مرتين فقد تابع الشبع وتحقق بخبر أبي جحيفة
وشبعه حينئذ أكثر من جوعه وليس ذلك من السنة بل هو من فعل المترفين وقد كانوا يعدونه سرفاً
روينا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى
لم يتغد وكان السلف رضي الله عنهم يأكلون في كل يوم أكلة وقد روي في خبر أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لعائشة رضي الله عنها إياك والإسراف فإن أكلتين في يوم من الإسراف وفي حديث آخر الأكل على الشبع
يورث البرص وقد قال الله عز وجل والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فكأن أكلتين في يوم سرف وأكلة
في يومين إقتار وأكلة في كل يوم قوام بين ذلك وربما قلت على هذا المعنى أن أكل أربعة أرغفة في يوم إسراف
ورغيفين إقتار وثلاثة أرغفة قوام حسن وهذا أعدل الأقوات ولا يعجبني أكل أربعة أرغفة في مقام
واحد لأني لا آمن الازدياد فيصير ذلك معتاداً فإن كان عن جوع شديد وعدة لسفر أو غيره فلا بأس
وقال بعض السلف إن من السرف أن يأكل العبد كل ما اشتهاه وقد كان للصحابة أكلتان وشربتان فالأكلتان
الوجبة والغبوق فالوجبة من الوقت إلى الوقت كقولك الوقعة ومن هذا قوله عز وجل فإذا وجبت جنوبها
فكلوا منها يعني إذا وقعت جنوب البدن إلى الأرض والغبوق أن يشرب مذقة من لبن أو يأكل كف تمر عند
النوم أو بعد العتمة أو يكون ذلك سحراً وقد يكون عند الظهيرة والشربتان العلل والنهل والنهل الشربة
الأولى من اللبن بمنزلة الوجبة والعلل الشربة الثانية بمنزلة الغبوق من نقيع تمر أو زبيب أو لبن
يقوم مقام الأكل فهو تمام الري والأولى علالة للنفس من العطش وقد كان من أخلاق السلف ترك
الشبع اختياراً لأنفسهم لخفة الجسم أو مواساة للفقراء أو مساواة لهم في الأكل لئلا يفضلوا عليهم في
حالهم ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع

إن القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى الدنيا وروينا في خبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجوع لا من عوز أي مختاراً له مع الإمكان في وقت وقال بعض العلماء أبغض الأشياء إلى الله عز وجل بطن
ملئ ولو من حلال وقد روينا معناه مسنداً وفي الخبر الإسرائيلي أن يحيى عليه السلام لما ظهر له إبليس فرأى
عليه معاليق من ألوان الأصباغ من كل شيء فقال له ما هذه المعاليق فقال هذه شهوات بني آدم فقال
هل لي فيها شيء قال ربما شبعت فثقلت عن الصلاة والذكر فقال هل غيره قال لا قال لله علي أن لا
أملأ بطني من طعام أبداً قال إبليس ولله علي أن لا أنصح مسلماً أبداً وقد كان من أخلاق التابعين رضي الله عنهم
الصبر عن الطعام إلى الآخر حتى يجوع الأول منهما وهو أربع وعشرون ساعة ولم يكن من أخلاقهم الأكل للعادة
ولا تخيير الأطعمة ولا تمتد الخبز خاصة دون غيره من المأكولات إذا سد الجوعة وقامت به البلغة وكان
أبو سليمان الداراني يقول إذا عرضت لك حاجة من حوائج الآخرة فاقضها قبل أن تأكل فما من أحد شبع إلا
نقص من عقله أو قال تغير عقله عما كان عليه وكان يقول لأن أترك من عشائي لقمة أحب إلي من قيام
ليلة إيثاراً منه للجوع والتقلل على العبادة مع التكثر وروينا عن وهب بن منبه وغيره أن عابداً دعا
بعض إخوانه فقرب إليه رغيفاً فجعل أخوه يقلب الأرغفة ليختار أجودها فقال له العابد مه أي شيء تصنع
أما علمت أن في هذا الرغيف الذي رغبت عنه ولم تقنع به كذا وكذا حكمة وقد عمل فيه كذا وكذا صانعاً وصنعه
منها السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الأرض والرياح والأرض والبهائم وبنو آدم حتى صار إليك ثم أنت
بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وقال آخر زيادة في الخبر إن الرغيف لا يستدير فيوضع بين يديك حتى يعمل
فيه ثلاثمائة وستون صانعاً أولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجر السحاب
والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخر ذلك الخباز وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها والخبر المشهور
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن فدل أن ما نقص من ملء البطن فهو خير ثم قال
حسب ابن آدم لقيمات يشددن صلبه ففي قوله عليه السلام لقيمات معنيان التقليل والتصغير لأن التاء تدخل
للجمع القليل وهو ما دون العشرة من العدد والمعنى الآخر التصغير لأن لقيمة تصغير لقمة ثم قال فإن لم تفعل فثلث
طعام وثلث شراب وثلث للنفس وفي لفظ آخر وثلث للذكر فدل أيضاً أن ملء البطن يمنع من الذكر وما منع
من الذكر فهو شر قال الله سبحانه وتعالى والله خير وأبقى وقال والآخرة خير وأبقى ومعنى قوله ثلث طعام
أن يأكل ثلث شبعه المعتاد فيصير ثلث الشبع قوام الجسم باعتياد ثان كما كان ملء البطن من الشبع
هو العادة الأولى وثلث الشبع هو ثماني أواق فهذا على معنى الخبر الآخر طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام
الاثنين يكفي الأربعة ففي هذا خمسة أقوال قال بعض علماء البصريين طعام الواحد شبعاً يكفي الاثنين قوتاً

وطعام الاثنين شبعاً يكفي الأربعة قوتاً ومنهم من قال طعام المسلم يكفي مؤمنين وطعام المؤمنين يكفي
أربعة من خصوص المؤمنين ويكون أيضاً أن يكون طعام الواحد من المنافقين يكفي مسلمين على معنى قوله المؤمن
يأكل في معاء واحد والمنافق يأكل في سبعة أمعاء ويصلح أن يكون طعام الواحد من الصناع المتصرفين
في المعايش يكفي اثنين ممن هو قاعد لا يتصرف ويصلح أيضاً طعام واحد من المفطرين يكفي صائمين من الخصوص
وفي حديث عمر حين قال لأبي موسى وابن مسعود في قصة المرتد الذي قتلاه قبل أن يستتيباه فهلا
طينتم عليه بيتاً وألقيتم إليه كل يوم رغيفاً ثلاثة أيام فلعله أن يتوب ويرجع إلى الإسلام اللهم إني لم آمر
ولم أعلم ولم أرض حين بلغني فدل هذا أن في رغيف كفاية كل يوم وثلاثة أرغفة عندنا بالحجاز رطل لأن
الرطل المكي عدده ستة أقراص منذ ذاك إلى يومنا هذا فيكون رغيفان ثمان أواق فهذا كما قلناه أن ثمان
أواق ثلث الشبع لقوله صلى الله عليه وسلم ثلث طعام بعد قوله لقيمات جمع لما دون العشرة وهذا مواطئ
لفعل عمر أنه كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم وحدثونا في أخبار الخلفاء أن الرشيد جمع أربعة أطباء
هندي ورومي وعراقي وسوادي فقال لهم ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي
الدواء الذي لا داء فيه عندي الإهليلج الأسود وقال الرومي الدواء الذي لا داء فيه عندي حب الرشاد الأبيض وقال
العراقي الدواء الذي لا داء فيه عندي الماء الحار وقال السوادي وكان أعلمهم إن الإهليلج يعفص المعدة وهذا
داء وحب الرشاد يرق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك قال الدواء الذي لا
داء فيه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه فقالوا صدق وحدثني
بعض العلماء قال ذكرت لبعض الفلاسفة من الأطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث طعام
وثلث شراب وثلث نفس فتعجب منه واستحسنه وقال ما سمعت كلاماً في قلة الأكل أحكم من هذا وإنه لكلام
حكيم ثم قال جهدت الأطباء من الفلاسفة أن يقولوا مثل هذا في التقلل من الأكل فلم يهتدوا إليه فأكثر ما
قالوا لا تقعد على الطعام حتى تشتهيه وارفع يدك عنه وأنت تشتهيه ومنهم من قال تأكل بعد الجوع
وترفع قبل الشبع وبعضهم يقول لا تأكل قبل جوع مفرط ولا تشبع شبعاً مفرطاً وإنما كان مرادهم
هذا المعنى الذي حكى نبيكم صلى الله عليه وسلم وقد كان شيخنا أبو الحسن محمد بن سالم رحمه الله يقول من أكل
خبز الحنطة بحتاً بأدب لم يعتل إلا علة الموت قيل له وما الأدب قال يأكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع
والأصل في هذا أن العلل داخلة على الأجسام من اختلاف نبات الأرض لأن المعدة مركبة على طبائع أربعة
الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وكذلك نبات الأرض على هذه الطبائع الأربع فإذا أكثر من اختلاف
نباتها أمالت الحرارة والبرودة من النبات غرائز الطبائع من الحرارة والبرودة من المعدة وأمالت الرطوبة واليبوسة

من النبات ثم إن الطبائع من الرطوبة واليبوسة تزايد بعض على بعض ويقوى فيه شيء على مثله فيكون الأمراض
من مثل ذلك لأن كل مأكول من نبات الأرض يعمل في وصف من معاني الجسم وإن الحنطة مخالفة لسائر نبات الأرض
فإنها معتدلة في الطبائع الأربع كاعتدال الماء في سائر الأشربة وقد شبهوا لحم الدراج في خفته وقلة دهنه
من سائر اللحوم بطبع الحنطة في سائر الحبوب وقال بعض الأطباء كل من الخبز بحتا ما شئت فإنه لا يضرك وقال
بعضهم أكل الخبز وحده خير من أكله مع الأدم الردي وحدثني بعض العلماء عن بعض الأطباء أنه قال ما
أدخل إنسان في معدته أنفع من الرمان ولا أضر من المالح ولأن يتقلل من المالح خير له من أن يستكثر
من الرمان وقد مثل الأترج من سائر الفواكه على صورة المعدة في الطبائع الأربعة وقد شبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم المؤمن بالأترجة فقال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها
طيب فهذه لطيفة من اللطيف وحكمة من الحكيم تعالى إذا أراد صحة جسم عبد أوحى إلى المعدة أن يأخذ
من كل طبع منها ضده من نبات الأرض الذي وقع في المعدة فيأخذ طبع الحرارة طبع البرودة من المأكول ويأخذ
طبع الرطوبة طبع اليبوسة من المأكول فتعتدل الطبائع باستواء المزاجات فيكون ذلك سببا لصحة الجسم
من علله وإذا أراد سقم جسم أمر كل طبيعة أن تأخذ جنسها ومثلها من المأكولات فيأخذ طبع الحرارة من
المعدة جنسه من الحرارة من نبات الأرض ويأخذ طبع الرطوبة جنسه من الرطوبة من المأكول ويأخذ طبع البرودة
مثله من المأكول فتميل الطبائع بأمثالها من المأكولات من نبات الأرض ميلة واحدة فتضطرب المزاجات
ثم يدور ذلك في الجسد بمجاري العروق ويصبها إلى الأعضاء المتفاوتة والأدوات فيقع على كل أداة في عضو
ضدها فيعتل بها ويغشى كل آلة من جارحة ما لا يلائمها من طبعها فيسقم الجسم وتتفاوت العلل فيكون
ذلك سبب الأمراض والعوارض وقد روينا أصل بنية الإنسان عن الله سبحانه في صفة خلق آدم عليه السلام
حديثا عن ابن البراء قال حدثنا عبد المنعم بن إدريس قال حدثني أبي عن وهب بن منبه اليماني أنه وجد
في التوراة صفة خلق آدم عليه السلام حين خلقه الله عز وجل وابتدعه فقال إني خلقت آدم وركبت جسده
من أربعة أشياء ثم جعلتها وراثة في ولده تنمى في أجسادهم وينمون عليها ركبت جسده من رطب ويابس
وسخن وبارد وذلك لأني خلقته من التراب ورطوبته من الماء وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح
ثم خلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق هن ملاك الجسم بإذني وقوامه لا يقوم الجسم
إلا بهن ولا تقوم منهن واحدة إلا بالأخرى منهن المرة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم ثم أسكنت
بعض هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء ومسكن الرطوبة في المرة الصفراء ومسكن
الحرارة في الدم ومسكن البرودة في البلغم فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربعة التي جعلتها ملاكه

وقوامه فكانت على كل واحدة منهن ربعا لا تزيد ولا تنقص كملت صحته واعتدلت بنيته فإن زادت
منهن واحدة عليهن قهرتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيتها بقدر غلبتها حتى تضعف عن
طاقتهن وتعجز عن مقاربتهن ثم ذكر الحديث بطوله وقد تغلب الحرارة على بعض المريدين من قبل
قوة المزاج وحدة الشباب بتبيغ المني على العزاب كما تقوى الحرارة بتبيغ الدم لأن أصل المني هو دم
يتصاعد في خرزات الصلب وهناك مسكنه فتنضجه الحرارة بتبيغ الدم فيستحيل أبيض فإذا امتلأت
منه خرزات الصلب وهو الفقار طلب الخروج من مسلكه فقويت الصفة لذلك فهذا حين هيجان الإنسان
إلى النكاح فلا يصلح لمثل هذا أن يأكل الحارات من الأطعمة وليطفئ ذلك بأكل البرودات والأشياء القاطعة
وليجتنب أكل كل حار يابس أو بارد رطب فإنه يهيج الطبع ويقوي العضو وقد روينا عن قتادة
في تفسير قوله عز وجل لا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال الغلمة وقال فياض بن نجيح إذا قام ذكر الرجل ذهب
ثلثا عقله وقد روينا عن ابن عباس في تفسير قوله سبحانه ومن شر غاسق إذا وقب قال قيام الذكر وقد
أسنده بعض الرواة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من شر
سمعي وبصري ولساني وقلبي ومنيي وروينا عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهن كن يأكلن الخل
والبرودات بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطعن به الشهوة وحدثني بعض أشياخ الصوفية قال
استفحلت علي صفتي مرة في بدو إرادتي فكنت أكثر الضجيج إلى الله عز وجل فرأيت شخصا في المنام
فوضع يده على صدري فوجدت بردها على فؤادي وجميع جسدي فأصبحت وقد انكشف ما بي فبقيت معافى
سنة ثم عاودني ذلك بمثله أو أشد فأكثرت الاستغاثة إلى الله عز وجل فجاءني شخص في المنام فقال
تحب أن يذهب ما تجد وأضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور فضرب
به عنقي فأصبحت وقد انكشف ما بي فبقيت معافى مدة ثم عاودني ذلك بمثله أو أشد فرأيت شخصا
يخاطبني فيما بين صدري وجنبي فقال ويحك كم تسأل الله عز وجل دفع ما لا يحب دفعه قال فتزوجت فانقطع
ذلك عني وكان ذلك سبب ذرية تولد له فإذا كان العبد جائعا بجوعه ذاكرا لربه عز وجل فهو يشبه
الملائكة عليهم السلام وإذا كان شبعان منهوما في طلب الشهوات فهو أشبه شيء بالبهائم ويقال إن
الجوع ملك والشبع مملوك وإن الجائع عزيز والشبعان ذليل وقيل الجوع عز كله والشبع ذل
كله وقال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة وقد
روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء باب وباب العبادة الصوم والخبر المشهور صوموا تصحوا
فصحة القلوب من علل النفوس أعلى وأحسن من صحة الأجسام من علل الأسقام وقد روينا عن الحسن

عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت كيف نديم قرع باب الجنة يا رسول الله قال بالجوع والظمأ ورويناه عن أبي سعيد الخراز قال قال جماعة من الحكماء إن الله عز وجل لا يكلم أحداً وفي بطنه شيء من الدنيا فهذا يدل على أمره كأمره لموسى بترك اليد خالية من الدنيا ونفس ساكنة من النزاع إلى شيء من الملك وروح روحانية قد أحياها الحي يحيا به فعند ذلك صلح هذا الشخص لمخاطبته قبلاً بلا ترجمان وقد نوّع أبو سعيد الخراز مقامات أهل الجوع في مقاصدهم عن مواجيدهم بنياتهم وهممهم حدثني الجهضمي عن أحمد بن شاذي قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول سمعت الثقة من علمائنا يقول عن عبد الواحد بن زيد أنه كان يقسم بالله عز وجل أن الله تعالى ما صافى أحداً إلا بالجوع ولا مشوا على الماء إلا بالجوع ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ولا والاهم الله تعالى إلا بالجوع فكان يعد الأخلاق السنية الشريفة المحمودة ويحلف أنهم ما نالوها إلا بالجوع وقال أبو سعيد معنى الجوع اسم معلق على الخلق افترقوا في الدخول فيه والعمل به لعلل كثيرة فمنهم من يجوع ورعاً إذا لم يصب الشيء الصافي ومنهم من وجد الشيء الصافي فتركه زهداً فيه من مخافة طول الحساب والوقوف والسؤال ومنهم من استدام العبادة والنشاط بها والخفة ورأى أن النيل من الطعام والشراب قاطع له وشاغل له عن الخدمة والخلوة ومنهم من قرب من الله عز وجل فلزم قلبه حقيقة الحياء حين علم أن الله عز وجل مشاهده وكان الحياء مقامه لا غير فشوّقهم أن الله تعالى يراه وهو يمضغ بين يديه ويأكل ويشرب فيؤديه ذلك إلى الأخلاف الكثيف فيجوع من هذه العين وهذا الذي كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومنهم من أذهله الشهود عن حاجته من الدنيا فسلا عن نيل مصلحته حتى يذكر في الغيبة ويذكّر وحدثني الحسن بن يحيى البستي عن أحمد بن مسروق الطوسي قال لقيت سهل بن عبد الله رحمه الله فلما دخلت عليه قربني وقبلني وكان في إرادة وتذلل فقلت له أحب أن تصف لي بدايتك وما كنت تتقوت به فقال في كل سنة بثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبساً وبدرهم سمناً وبدرهم دقيق الأرز فأسويه مخلطاً ثلثماية وستين أكرة آخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها فقلت الساعة كيف تعمل فقال آكل بلا حد ولا توقيت وحدثونا في أخبار الملوك أن ملك الهند أهدى إلى المنصور تحفاً منها أنه وجّه إليه بفيلسوف طبيب فأذن له المنصور وأحسن إليه فلما دخل عليه قال الفيلسوف قد جئتك يا أمير المؤمنين بثلاث خصال تتنافس فيها الملوك لا تصنعها إلا لهم قال وما هي قال أخضب لحيتك بسواد لا تنصل أبداً ولا تتغير عن حالها قال وما الخصلة الثانية قال أعالجك بعلاج تتسع به في الأكل فتأكل أي شيء شئت ولا تتخم ولا يؤذيك الطعام قال وما الثالثة قال أقوّي صلبك بتقوية تنبسط في الجماع فتجامع ما شئت ثم لا

من ذلك ولا يضعف بصرك ولا تنقص قوتك قال فأطرق المنصور ثم رفع رأسه إليه فقال قد كنت أظن أنك أعقل مما أنت أما ما ذكرت من السواد فلا حاجة لي به فإن ذلك غرور وزور والشيبة هيبة ووقار ولم أكن لأغير نوراً جعله الله تعالى في وجهي بظلمة السواد وأما ما ذكرت من الأكل فوالله ما أنا بشره وما لي في الاستكثار من الطعام حاجة لأنه يثقل الجسم ويشغل عن النوائب وأقل شيء فيه كثرة الاختلاف إلى الخلاء فأرى ما أكره وأسمع ما لا أحب وأما ما ذكرت من الجماع فإن الجماع شعبة من الجنون وما أقبح بخليفة مثلي يجتهد بين يدي صبية أبح المحاجك مذموماً مدحوراً فلا حاجة لي فيك ولا فيما جئت به

وحدثونا عن بعض أهل هذه الطائفة قال أتيت قاسماً الجوعي فسألته عن الزهد أي شيء هو فقال لي أي شيء سمعت فيه فقلت قالوا الزهد قصر الأمل فقال حسن وأي شيء سمعت أيضاً فقلت قالوا الزهد ترك الادخار فقال حسن حتى عددت عليه أقوالاً قال فسكت فقلت أي شيء تقول أنت فقال اعلم أن البطن دنيا العبد فبمقدار ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبمقدار ما يملكه بطنه تملكه الدنيا

وعلى هذا المعنى قال وهب بن منبه حكيم الأمة لكل شيء وسط وطرفان فإذا أمسكت أحد الطرفين مال الآخر وإن أمسكت الوسط اعتدل الطرفان فكذلك البطن وسط بين الجوارح إذا أمسكته اعتدلت الأطراف والسمع والبصر واللسان والفرج والرجل وكذلك كان شيخنا أبو الحسن بن سالم رحمه الله يقول إذا أعطيت البطن حظه من الشبع طلبت كل جارحة حظها من اللهو فجمحت بك النفس إلى الهلكة وإذا منعت البطن حظه قصرت كل جارحة عن حظها فاستقام القلب بذلك واعتدل وكان بشر بن الحارث رحمه الله قد اعتل فسأل عبد الرحمن المتطبب عن شيء يوافقه من المأكول فقال له عبد الرحمن تسألني فإذا وصفته لك لم تقبل مني فقال له بشر رحمه الله صف لي حتى أسمع فقال تحتاج أن تستعمل ثلاثة أشياء فإن فيهن صلاح جسمك قال وما هن قال تشرب سكنجبيناً وتمص سفرجلاً وتأكل بعد ذلك إسفيذباج فقال له بشر رحمه الله أتعلم شيئاً أقل ثمناً من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال فأنا أعرف قال وما هو قال الهندبا بالخل يقوم مقامه ثم قال أتعرف شيئاً أقل ثمناً من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال فأنا أعرف قال وما هو قال الخرنوب الشامي في معناه قال فهب ثم قال أتعرف أقل ثمناً من الإسفيذباج يقوم مقامه قال أما هذا فلا قال بلى قال وما هو قال الحمص بسمن البقر في معناه فقال له عبد الرحمن فأنت أعلم بالطب مني فلم تسألني ويستحب للعبد إذا كان جائعاً فتاقت نفسه إلى الجماع أن لا يأكل للأجمع لنفسه بين حظين فتطلبهما فربما طلبت النفس الجماع للتعفف وهي تريد الأكل وربما طلبت الأكل لتنبسط به إلى الجماع وفي الجمع بين شهوتين تقوية للنفس وإجراء عادة لها واستحب

للعبد اذا اكل ان ينام على اكله فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصلّ او ليجلس فيذكر الله عز وجل فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات ويسبح مائة تسبيحة او يقرأ جزءا من القرآن عقيب كل اكلة وقد كان سفيان الثوري رحمه الله اذا شبع في ليلة احياها واذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يتمثل فيقول اشبع الزنجي وكده وكان اذا جاع كانه يتراخى في ذلك وينبغي للمتقشف ان ياكل اللحم او الدسم في الشهر مرتين فان اكله اربعا فلا باس قد كان السلف يفعلون ذلك وفي الخبر عن علي عليه السلام من ترك اكل اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقد نهى عن مداومة اللحم وقيل ان له ضراوة كضراوة الخمر وقد كان ابو محمد سهل رضي الله عنه يقول للمتقللين من اهل عبادان احفظوا عقولكم وتعاهدوها بالادهان والدسم فانه ما كان ولي لله تعالى ناقص العقل وان احب المريد ان ياكل شيئا من الطيبات والفاكهة فليجعل ذلك بدلا من الخبز وينقطع به جوعه فيكون ذلك له قوتا عند الحاجة ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة فيكون ذلك اسرع للملل لانه اذا شبع من الطيبات غير الخبز شبعة او شبعتين كان اقرب الى تركه وانقطاع شهوته ونظر ابو محمد سهل رضي الله عنه الى ابن سالم رحمه الله وفي يده خبز وتمر فقال له ابتدئ بالتمر فان قامت كفايتك به والا اخذت من الخبز بعده حاجتك وقال ان التمر مبارك والخبز مشؤوم يعني انه كان سبب اخراج آدم عليه السلام من الجنة واما بركة التمر فان الله تعالى ضرب النخلة مثلا لكلمة التوحيد في قوله عز وجل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت الآية وقال ابن عباس كلمة التوحيد لا شيء احلى منها كشجرة طيبة هي النخلة ليس في الثمار احلى من الرطب وكذا شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن في حلاوته ولينه وقوته وثبات اصله بالنخلة فقال لا يسقط ورقها مثلها كمثل المؤمن فيقول سهل رحمه الله اذا استغنيت عن الخبز بغيره من الطعم كان خيرا لك يريد ان لا يقف نفسه مع عادة فتنازعه اليها فذكرت هذه الحكاية لابي بكر الجلاء رحمه الله فاعجبته وقال هذا كلام الحكماء وكان ذلك يلائم حاله وان خشي المريد ان يكون شيئا من اكل الطيبات له عادة ولم يامن تولّه قلبه وتوقان نفسه اليه ومنازعتها اياه وكان العبد مبتديا غرّا لا يعرف حيل النفس ودواهيها ولا يفطن لمكرها وآفاتها فان ترك ذلك افضل فليتركه حينئذ لاجل الله عز وجل خوفا ان يشتهيه فيحرص على نيله ويدخل في مداخل السوء من اجله ويبيع دينه به او خشية تمكن العادة منه فتتعذر عليه التوبة منه لدخوله في الشبهات عند اعتياد الشهوات لان العادة جند من جنود الله عز وجل يغلب العقل والابتلاء سلطان من سلطان الله عز وجل

يقهر العلم لاجله وتعذرت استقامته ولولا العادة لكان الناس تائبين ولولا الابتلاء لكان الناس مستقيمين فليترك حينئذ اكل الطيبات اذا صارت شهوات وخشي منها مطالبة العادات ودواعي النفس بالآفات ناويا بذلك ما ذكرناه لصلاح قلبه وشكر نفسه ليملك بذلك نفسه قبل ان تملكه ويفطم عادتها قبل ان تهلكه ويغلب بالترك طبعه وهواه قبل ان يكون بالشهوة يقهره كما قال بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون اروح لنفسي وكما قال آخر اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة استقرضته من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي فيصير الترك حينئذ والمنع للنفس غذاء وعادة كما كان الاخذ والاكل عادة ففي هذا عون له على صلاح قلبه ودوام حاله وكان ابراهيم بن ادهم رحمه الله يسال اصحابه عن الشيء من الماكول فيقال انه غال فيقول ارخصوه بتركه وقد قال بعض الادباء

واذا غلا شيء علي تركته ... فيكون ارخص ما يكون اذا غلا

وهو حينئذ تارك للشهوات لاجل الله عز وجل وعامل من عمال الله تعالى وقد كان هذا طريق طائفة من السلف رضي الله عنهم الى الله عز وجل ثم انقرضوا فانمحى طريقهم وخلف بعدهم خلف من العلماء اتبعوا الشهوات ولم يقاموا في هذه المقامات ولا سلك بهم هذه الطرقات فلم يتكلموا في ترك الشهوات فلذلك درس هذا الطريق وعفا اثره لفقد سالكيه وعدم كاشفيه فمن عمل به وسلكه فقد اظهره ومن اظهره فقد احيى اهله وحدثني بعض علمائنا عن بعض المريدين من اهل البصرة قال نازعتني نفسي في خبز ارز وسمك فمنعتها فقويت مطالبتها فاشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة قال فمات الرجل فرايته في النوم فقلت ما فعل الله تعالى بك فقال لا احسن اصف لك ما تلقاني به ربي عز وجل من النعيم والكرامة وكان اول شيء استقبلني به خبز ارز وسمك فقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب وقد قال الله عز وجل كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية فكانهم اسلفوا ترك الشهوات لما تركوها وقدموا الجوع والعطش في خلو ايامهم فاستقبلهم بالاكل والشرب ويقال الاكل عمل جزاء في الآخرة من جنسه ومعناه وقال سري السقطي رحمه الله منذ ثلاثين سنة اشتهي ان اغمس جزرة في دبس وانا امنع نفسي وكان ابو سليمان الداراني يقول ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقال لان اترك لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلة لايثاره التقلل وخفة المعدة من الطعام او خشية الاعتياد للشبع وسمعت ابا بكر الجلاء رحمه الله يقول اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اتركي هذه الشهوة التي اشتهيتيها ورايته اخذ بجلدة ذراعه فقال

رجل رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فأخذ بجلدة ذراعه وجعل يقول جعت هذا الجوع حلّه ولم يقل له
اترك الجوع ولو قال له اتركه لعله كان يتركه وكان رحمه الله قد ترك أكل الشهوات وأكل الخبز أيضاً
يقال بضع عشرة سنة وكان الجنيد رضي الله عنه يقول يقوم أحدهم في صلاته فيجعل بينه وبين الله عز وجل
زنبيل طعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة أو يسمع فهم الخطاب ومثل البطن مثل المزهر وهو العود
المجوف ذو الأوتار إنما حسن صوته لخفته ورقته ولأنه أجوف غير ممتلئ ولو كان ثقيلاً جاسياً ممتلئاً
لم يكن له صوت فكذلك الجوف إذا خلا من الامتلاء كان أرق للقلب وأعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل
للمنام وروي أن عتبة الغلام قال لعبد الواحد بن زيد إن فلاناً يصف من قلبه منزلة لا أعرفها فقال لأن
فلاناً لا يأكل التمر وأنت تأكله فقال إذا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها قال فأخذ يبكي
فقال له بعض أصحابه لا أبكى الله عينيك أعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فإن نفسه قد عرفت صدق
عزمه في الترك هو إذا ترك شيئاً لم يعاود إليه أبداً وكان بعض شيوخنا ترك أكل الخبز الحار لأنه كان
يشتهيه سنين كثيرة فعوتب في ذلك فقال لو طمعت نفسي في أكل الخبز بعد عشرين سنة ما أطقتها الساعة وكان لو أطمعت صح
ربما بكى من شدة شهوة نفسه وقوة عزمه لاستشعار نفسه صدقه وحسن وفائه فتيأس من شهوتها
آخر الدهر فلذلك كان يقع عليه البكاء للإياس من المشتهى واعلم أن الشهوات لا حد لها وإنما الحد للقوت
فمثل الشهوات مثل الجهل لا حد له ومثل القوت مثل العلم ذو حدود فكم من شهوة دنية منعت رتبة علية
فإن لم تنقطع الشهوات وتحسمها أحب ما كانت إليك أعطتك أرغب ما كنت فيها فلا تقعد عن التوبة
تنتظر آخرها فإن النفس لا آخر لشهواتها إلا أن ترى الملائكة عليهم السلام فعند ذلك تمحى صفاتها فتغيب
الشهوات لأنها من أوصافها فإن لم تترك الشهوات المعتادة فلا تتعمل في مثلها من الزيادة بل يكون عملك
في النقصان فهو أقرب إلى أخلاق الإيمان وقد كان بعضهم يقول لأصحابه لا تأكلوا الشهوات فإن
أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تحبوها وكانوا يقولون ما زاد على الخبز فهو شهوة حتى الملح
وقال بعضهم الخبز من أكل الشهوات واعلم أن ما زاد على الخبز فهو فاكهة يتفكه به فقد روينا عن عمر
أنه قال ما يأتينا من العراق فاكهة أحب إلينا من الخبز فإن كان لا بد من تفكه مع الخبز الذي هو قوت النفس
فما أطعم الله عز وجل الفقراء في الكفارة وهو التوسط في الإدام الذي أمر به وأوجبه لفقرائه مثل الجبن
واللبن لأن أعلى الإدام اللحم والحلو وأدناه الملح والخل فلم يأمر الله تعالى بأعلاه لأنه يشق على الأغنياء
ولم يأمر بأدناه لئلا يشق على الفقراء وتوسط الأمر بينهما فقال تعالى من أوسط ما تطعمون أهليكم
وهو ما ذكرناه وعلى ذلك فإن ابتلي العبد بأكل الشهوات وحبها فليظهر ذلك ولا يخفيه وليشترها

بنفسه ولا يستترها فإن ذلك من صدق الحال وهو طريق السلف فإن فاته المجاهدة في الأعمال فلا يفوته
الصدق في الحال وإن لم يكن صديقاً فليصدق في كذبه فإن الصدق في الكذب أحد الصدقين وإن أخفى الكذب
والنقص وأظهر ضده من الإخلاص والتمام هو كذاب لأنه نقص ثم أظهر حال الكاملين واعتل وأبدى
شعار المعصومين وكذب من طريقين واستحق المقت من وجهين فلذلك غضب الله على المنافقين ومقتهم
مقتين ثم لم يرض منهم إلا بتوبتين واشترط عليهم شرطين فقال تعالى إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار
يعني أسفل من الكفار لأن الكافر أخلص في كفره فسوى بين ظاهره وباطنه والمنافق كفر وأشرك في إيمانه
وخالف بين ظاهره وباطنه واستخف بنظر الله تعالى إلى قلبه وعظم عين المخلوقين فزاد الله تعالى في هوانه
وشدد في توبته بما وكد من شرطه فقال تعالى إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم
لله وهذا مما لا يمتحن به عالم بالله تعالى ولا عاقل عن الله سبحانه وتعالى ولله عز وجل الحمد وإن ابتلي بأكل
الشهوات وبعض المعاصي كما يجري الذنوب على العارفين بالرجاء وليس للسلف في هذا الباب إلا طريقان طريق
هو المجاهدة للنفس وترك الشهوات فمنهم من كان يخفيه لأنه أسلم له ومنهم من كان يظهره لأنه مؤمن قوي
نيته في ذلك القدوة والتأسي وطريق آخر كان فيه طائفة من العلماء والعاملين فكانوا يأكلون الطيبات
ويتسعون في المآكل إذا وجدوها إلا أنهم كانوا يظهرون ذلك ويكشفون نفوسهم به فإن فاتك الطريق الأقرب
الأعلى فلا يفوتنك الطريق الأوسط الأسلم فأما أن يكون عبداً يأكل الشهوات في السر ويخفيها في العلانية
ويظهر شعار ضدها من الترك لها والزهد فيها فليس هذا طريق الموقنين ولا مسلك الصادقين وهذا قد عرج
عن طريق المسالك وسلك سبيل المهالك وإياك أن تترك محجة الطريق فتقع في حيرة المضيق حدثت
أن عابداً من بني إسرائيل انتهى في سياحته إلى أرض لقوم رأى في وسطها طريقاً مستطرقاً تسلك فيه السابلة
فقال هذه أرض لقوم كيف أسلكها قال وشق عليه أن يجاوز الأرض فيبعد عليه الطريق فتفكر وقال
هذا طريق مسلوك لا بأس علي أن أسلكه فسلكه فلما خرج من تلك الأرض عوقب على ذلك ونسي ذنبه فجعل
يستكشف فقيل له لأنك سلكت الأرض على غير طريق دخلت حرث قوم بغير إذنهم فقال يا رب هذه معذرة
البكاء إني رأيته قد جعل طريقاً فأوحى الله عز وجل إليه أو كلما اتخذ الظالمون طريقاً جعلته إلى سبيلا
فمن سلك طريق ظالم بغير ولم يكن في سلوكه معذوراً وأوقعه في الحيرة والغرور فهلك وأهلك من اقتدى به
وهذا طريق متصنع جاهل متطرق بذلك إلى الدنيا متسوق عند الناس بترك الشهوات مظلم التوحيد
في الوحدة ضعيف اليقين في غيبه عن العيون وقد كان من شأن الصادقين من السلف اشتراء الشهوات
بأنفسهم وتعليقها في منازلهم يظهرون للناس شعار الراغبين وهم فيها عند الله تعالى من الزاهدين

ا يأكلونها انما يريدون بذلك اسقاط منزلتهم من قلوب الجاهلين واخفاء حالهم عن الناظرين وليصرفوا عنهم
قلوب الغافلين فيقطعون بذلك الفالات ويستترون به المقامات لان هذا مقام من زهد في الاشياء
واخفى زهده فمن نهاية اخفاء الزهد اظهار ضده واستصغار المزهود فيه ثم ايثار له والا يتمتع به
فيكون هذا اشد على النفس من المجاهدة لانه قد حمل عليها ثقلين ثقل المنع من الحظ وثقل سقوط
المنزلة عند الخلق فحرمت النفس لذة المتعة به وفقدت اثبات المنزلة بتركه فجرعها كاس الصبر
مرتين مرة بتركه ومرة بفقده وتذرفه فهذا حال الصادقين في ترك الشهوات وطريق الاقوياء من اهل
الارادات وهو شبه فعل الزاهدين في باب العطاء ان منهم من كان ياخذ العطاء علانية ثم يخرجه سرا
فيكون له في الاخذ سقوط الجاه بظهور الرغبة ويكون له في الاخراج معاملة السر بحقيقة الزهد
فلا هو متع نفسه بالجاه مع الرد ولا هو اتاها لحظها بتناوله مع الاخذ فهذا هو اشد شي على النفس
وهو طريق علماء الزهاد ومن سلكه اخرجه الى مقام الصديقية وهذان طريقان قد درسا وعفا اثرهما
في وقتنا هذا لا يسلكه الا من عرفه الفرد بعد الفرد والا بله من القراء على طرقات التصنع والتزين
برآء من هذا وروى عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال اذا قدمت الى شهوة نظرت الى نفسي
فان اظهرت شهوتها لها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت العزوف
عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيا تفسير ذلك ان اظهار النفس للشهوة ان لا تبالي ان تعرف باكل
الشهوات وان تحب ان يظهر على ذلك من يعرفه من اهل الديانات واخفاء النفس للشهوة ان تشتهي
وتحب ان لا يعلم انها تشتهي وتكره ان تعرف بانها ممن يشتهي فيقال هذه هي المعاقبة بترك اكلها
لانه اذا ترك اكل شهوة لاجل الشهوة ثم اشتهى ان يعرف بتركها فهذه شهوة الشهوات فقد وقع في اعظم
مما كره وتعجل بشهوة النظر اليه والمدح له اكثر من متعته بترك شهوة الماكول وهذا من الشهوة الخفية
التي جاءت في الخبر اخوف ما اخاف على امتي الريا والشهوة الخفية فالريا بالمعاملات وخفي الشهوة ان
تشتهي ان تعرف وتوصف بترك الشهوات وسئل بعض العلماء عن بعض القراء فسكت عنه فقيل
له تعلم به باسا فقال لا اعلم به باسا الا في شي واحد يكره ياكل في الخلوة ما لا ياكل في الجماعة فاعله
بذلك ولعمري انه موضع علة لان الصادقين قد كانوا ياكلون في الجماعة ما لا ياكلون في الخلوة فهذا
اخذ بضد حالهم فان اتفق للعبد لونان احدهما الطف من الاخر ابتدا فاكل الالطف منهما فلعل
كفايته تتم به فيستريح من الاخر وانما قدم ابنا الدنيا غليظ الالوان على رقيقها ليتسعوا في الاكل
وتتفتق شهواتهم فيكون لكل لون لطيف مكان اخر وشبه بعضهم المعدة بمنزلة جراب ملئ ته

جوز احتيج لم يبق فيه فضل للجوز فجئت بسمسم فصببته عليه فاخذ لنفسه موضعا في خلال الجوز
فوسع الجراب السمسم للطفه مع الجوز فكذلك المعدة اذا القيت فيها طعاما رقيقا لطيفا بعد طعام
خشن غليظ اخذته الشهوات في اماكنها فتمكن فيها بعد الشبع مما قبله والعرب تعيب ذلك ولا تفعله
اذ من سنتها ان تبتدي باللحم قبل الثريد قال رجل من العرب لبعض الانباط تبا لكم انكم تبتدون
بالثريد قبل الشوى يذم اهل العراق بذلك هذا اذا استوى اللونان في الحكم او لم يكن للمريد في ترك الافضل
منهما نية فاما ان كان قد ترك الشهوات ثم قدمت اليه وكان على عقد نيته وقوة عزمه فلا باس
باكل الادون وقد كان بعض الصادقين ممن ترك اكل الشهوات في الانفراد اذا قدمت اليه نال منها شيا
ليستر به عن نفسه ابصار الناظرين ويصرف عنه قلوب المادحين وقال ابو سليمان اذا قدمت اليك
شهوة وكنت تاركا لها فاصب منها يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت عن نفسك
الشهوة ويكون قد نغصت عليها اذ لم تبالغ في شهوتها فان فعل هذا حسن وانما خاف عليه ابو سليمان
ما ذكرناه قبل من ان يظهر ترك الشهوة فتصير شهوته باعتقاد فضله في ترك الشهوات ابلغ من اكل
الشهوات او خاف عليه ان ياكلها فتشرف عليه نفسه بلوغ شهوته التي كان تركها بعلة الاخلاص كما
تقول العامة بعلة الصبي تشبع الداية فان قوي يقينه وغاب الخلق عن عينه تركها بلا تعلل
وقلبه مطمئن بالايمان لانه لم يعتل بالنظر فيتداوى بالتناول للبعض فاما ان كان قد اعتقد ترك
شهوة لمعنى دخل عليه يخرجه من الورع او للعزم على المجاهدة ثم اتى لها فهذا اختبار من الله تعالى له
لينظر كيف يعمل بالوفاء بالعهد فاحب الى ان لا ينال منها شيا ويتعلل ويدافع عن نفسه بالمعاني
والمعاريض حتى لا يفطن له انه تركها للمجاهدة فيكون قد فعل الوصفين معا الوفا بالعهد في تركها والتواري
بلطيف الحيلة عن الفطنة له في قصده وهذا طريق المريدين وضعاف اليقين وهو الطريق الادنى الذي
ذكرناه اولا وان ظهر قرب الله تعالى منه وغلب نظره عليه اغناه عن الحيلة والاحتيال لقوته بشاهد به
ذا الجلال وهذا الطريق الاعلى الذي ذكرناه اخرا وهو للموقنين فان كان اللون الغليظ الخشن هو احل
في الحكم وابعد من الشبهة فهو الاطيب والافضل في العلم فلا باكل الا منه يقال اول لقمة ياكلها
العبد من حلال يغفر له ما سلف من ذنبه فلعل الله تعالى ان يشكر له تركه لقمة شبهة لزيدة في
الطعم اذ كانت كريهة في الحكم بتركها لاجله فيغفر له ما سلف من ذنبه انه غفور شكور قيل
غفور لذنوب كثيرة شكور لعمل يسير كيف وقد وصف المومنين اهل الهدى والتوحيد والى الرحمة
والرشد بحسن التفقد في الطعمة خاصة فقال انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا

على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض يعني بشهادتهم لله عز وجل بالتوحيد فكان من قيامهم
حسن تفقدهم في المأكول ومراقبتهم للواحد تعالى في قولهم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر
أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه يعني أيها أحل طعاما وأفضل فأمروا رسولهم بتحري الحلال إذ
قاموا للذي الجلال والإكرام لما أمرهم بأكله إذ قدمه على الأعمال الصالحة في قوله تعالى كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا ورعا منهم وتقوى وكذلك فافعل لتتبع سبيل المؤمنين فتكون معهم ولا تتبع سبيل
الظالمين فتحشر معهم   هذه رياضة المريدين وطريق المجاهدين   فأما العارفون فليس لهم في الأكل
ولا في الصوم توقيت ولا في المأكول تجزئة وتقسيم فهم إذا أطعموا أكلوا وشكروا فإن رأوا له مكانا
آثروا وإن كانوا هم المكان له به استأثروا وإذا جوعوا تحملوا وصبروا   قالت عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان صلى الله عليه وسلم
يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شيء فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني صائم وكان يقدم
إليه الشيء فيقول أما إني كنت أردت الصوم ثم يأكل   وفي الخبر أنه خرج صلى الله عليه وسلم يوما فقال
إني صائم ثم دخل فقالت عائشة رضي الله عنها قد أهدي إلينا حيس فقال قد كنت أردت الصوم
ولكن قربيه فكان بينه وبين الله عز وجل علامة في صومه وفطره فكان الوجود علامة فطره يكون مرادا
به وكان العدم علامة صومه يكون معه مرادا به وكان صلى الله عليه وسلم متحركا به في الأفعال وآخذا به
في الترك والمنال وهذا مقام محبوب رفع الله عز وجل حاله عن مقام محب إلى مقام محبوب ولذلك
قال بعد قوله يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ثم قال في مقام محبوب فإذا أحببته كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به فملك عليه حدوده إذ كان هو في الأشياء موجوده وعلى هذا المعنى
تصريف قلوب العارفين من هذه المشكاة تضيء بصائر الشاهدين لا يوكلون إلى حال ولا يوقفون
مع مقام ولا يصح من الآكل إلا بثلاث خلال أحدها عدم الهوى وتوقان النفس بالعادة والثانية
أن يكون له في أكله نية كما له في صومه نية فيكون أكله لله عز وجل فيستوي فطره وصومه إذ كان العامل
فيهما واحدا والثالث أن يحفظ الجوارح الست بحسن الرعاية فيكون صائما بها فهي أفرض عليه وأفضل
له وهي السمع والبصر والقلب واللسان واليد والرجل ويكون مفطرا بالبطن والفرج فيكون ما حفظ أكثر
وأبلغ ويكون أفضل ممن صام بجارحتين فإن لم يكن من أصبح صائما ثم أفطر بهذه الشهوات الثلاث
دخلت عليه الشهوة الخفية التي فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روينا أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما قال أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية سئل ما الشهوة الخفية فقال أن يصبح أحدكم

صائما ثم يعرض الطعام يشتهيه فيفطر لأجله فالأفضل لمن عقد لله عز وجل صوما أن يتمه
فإن فسخه لغير الله سبحانه عوقب على ذلك من عقوبات القلوب وعقوبات الجوارح في طريق الآخرة
فتلك عقوبة ترك فضائل الأعمال وفي خبر نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح   والذي روينا لفظه
وقيل لبشر إن فلانا الغني يصوم الدهر كله ولا يفطر فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال
غيره إنما حال هذا أن يطعم الجياع ويكسو العراة ويواسي المحاجين فهو أفضل من صيامه الدهر ثم
قال بشر عبادة الغني كروضة على مزبلة وعبادة الفقير كعقد الجوهر في جيد الحسناء   وحدثونا
عن أبي محمد سهل رحمه الله أنه سئل كيف كنت في بدايتك فأخبر بضروب من الرياضات إلا أنه ذكر
منها أنه اقتات دقاق التبن ثلاث سنين وأنه اقتات دق السدر مدة وأنه تقوت بثلاثة دراهم في ثلاث
سنين فقيل له وما هو قال كنت أشتري في كل سنة بدانقين تمرا وأربع دوانيق دبسا ثم أعجنها
عجنة ثم أجزئها ثلثمائة وستين كبة أفطر في كل ليلة على كبة قال فقلت له فكيف أنت في وقتك هذا
مطلب
قال تركت ذلك كله وصرت آكل بلا حد ولا توقيت   ودخل إبراهيم بن أدهم على أبي إسحق الفزاري رحمهما الله
فقدم إليه قصعة فيها خبيص فقال لولا أني صائم لأكلت معك فقال له الفزاري دخل علي أخوك
سفيان الثوري فقعد في موضعك هذا فقدمت إليه خبيصا في مثل هذه القصعة فأكل فلما أراد أن
يخرج قال أما إني كنت صائما إلا أني أحببت أن آكل معك قال فوضع إبراهيم يده فجعل يأكل
وقال بعض إخوان بشر دخلت عليه وهو يأكل فقال لي كل فقلت إني صائم فناولني كسرة وقال كل فأكلتها
فقال سلمت من آفة الصوم وأدخلت علي السرور   وكان بشر رحمه الله قد أصبح ذات يوم صائما فزاره
فتح الموصلي قال خادمه حسن المغازلي فدفع إلي كفا من دراهم فقال اشتر به أطيب ما تجد من الطعام
وأطيب ما تجد من الطيب قال وما قال لي مثل ذلك قط ففعلت ما قال فوضعت الطعام بين أيديهم فجعل
بشر يأكل معه وما رأيته أكل مع غيره   وكان بعض هذه الطائفة يقول إذا أعطاك مولاك مقطعة
فقد شهاك أن تشتري ما تشتهي وإن أعطاك ما تهوى بعينه فكل ذلك ولا تتخير سواه   ودفع
إبراهيم بن أدهم رحمه الله إلى بعض إخوانه كفا من دراهم فقال خذ لنا بهذا زبدا وعسلا وخبزا حواري
وذكر شيئا آخر فقلت يا أبا إسحق بهذا كله فقال ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدمنا
صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما وأكثر ودعا نفرا يسيرا منهم الأوزاعي والثوري فقيل
له أما تخاف أن يكون هذا إسرافا فقال ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في اللباس والأثاث   والذي
حكي عن سيرة السلف قال كانوا في الرجال مخاصيب وفي الثياب والزي تقصير وفي [illegible] أصلح

طعامًا فدعا اليه بعض اخوانه فقال اني صايم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال صنع لك اخوك
طعامًا فلم تاكل الا افطرت وصمت يومًا مكانه وقد كان معروف رضي الله عنه يهدى اليه الطيبات
من الطعام فياكل فيقال له ان اخاك بشرًا لا ياكل من هذا فقال اخي قبضه الورع وانا بسطتني
المعرفه ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي عز وجل اذا اطعمني اكلت واذا اجاعني صبرت ما لي وللاعتراض
والتخيير وحدثونا عن بعض العلماء وكان قاضيًا بصنعاء انه دخل على اميرهم فحضر وقت غدايه
فعرض عليه الغدا فقال اني صايم فلما نصبت المايده واخذ الامير في الاكل وهو يحدثه نظر
القاضي واذا حمل مشوي قد جاوا به فجعل الامير ياكل ويحدث القاضي قال فجعل القاضي يزحف يتقدم
الى المايده ثم مد يده فاخذ فاكل فقال له الامير الم يقل القاضي اني صايم فقال ايها الامير انا على
قضاء يوم اصومه اقدر مني على قضاء مثل هذا الحمل وكان ابو سليمان الداراني يقول لا تضر الشهوات
من لم يتكلفها انما تضر من حرص عليها وكان يدعو اصحابه فيقدم اليهم الطيبات فيقولون له
تنهانا عنها وتقدمها الينا فقال اني اعلم انكم تشتهونها فتاكلونها عندي خير ولو جاني من يزهد
ما زدته على الملح وقد كان يقول اكل الطيبات يورث الرضى عن الله عز وجل وقال غيره شرب الماء
بالثلج يخلص الشكر لله تعالى واوحى الله عز وجل الى بعض اوليايه ادرك لطف الفطنه وخفي اللطف
فاني احب ذلك قال يا رب وما لطف الفطنه قال اذا وقعت عليك ذبابة فاعلم اني انا اوقعتها
فاسالني ارفعها قال وما خفي اللطف قال اذا اتتك فولة مسوسه فاعلم اني ذكرتك بها فاشكرني
عليها واوحى الله سبحانه الى بعض انبيايه عليهم السلم لا تنظر الى قلة الهديه وانظر الى عظمة مهديها
ولا تنظر الى صغر الخطيه وانظر الى كبريا من واجهته بها واذا نزل بك فقر وضر فلا تشكني الى
خلقي كما اذا صعدت الي مساويك لم اشكك الى ملايكتي وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر
فاليه تجارون آخر كتاب ترتيب الاوقات والحمد لله رب العالمين

كتاب الاطعمة

ذكر ما يجمع الاكل من الاداب والسنن وما يشتمل على الطعام من الكراهة والاستحباب ذكرنا ذلك
متفرقًا ومبثوثًا اذ لم نشتغل بتصنيفه مبوبًا وموصوفًا كما سهل الله تعالى الحفظ وقرب من
الوجد قال الله الصمد الذي لا يطعم اغير الله اتخذ وليًا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم
فتمدح تعالى بالاطعام وتمجد باتخاذ الولاية على الانام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المومن
كمثل النحل اكلت طيبًا ووضعت طيبًا وان وقعت على عود لم تكسره وقال صلى الله عليه وسلم افضل
ما اهدى المرء الى اخيه ورقًا او يطعمه خبزًا وذلك ان الورق قيم الاشياء وقد يتخير العبد جميع المشتهى

وان الاصل في الاقوات الخبز افرده الله تعالى تفضيلًا من الحبات في قوله تعالى فانبتنا به جنات
وحب الحصيد فالجنات ما اشتمل عليه الفاكهة والحب هو المقتات من الاطعمة وروى ابن المبارك
عن هشام بن العاد رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب الاعمال الى الله تعالى ادخال السرور على المسلم
ان يفرج عنه غمًا او تقضي عنه دينًا او تطعمه من جوع وقال صلى الله عليه وسلم من وافق من اخيه
شهوة غفر له وسيل صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم
في الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وسيل عن الحج المبرور فقال اطعام
الطعام وطيب الكلام وكان ابن عمر يقول من كرم الرجل طيب زاده في سفره وبذله لاصحابه وقال الله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله فقدم الامر بالاكل على الامر بالشكر كما قال سبحانه وتعالى
لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا انفسكم فقدم النهي عن الاكل للحرام على القتل للنفس تفضيلًا
لاكل الحلال وتعظيمًا للاكل بالباطل وكان ابو عبد الله احمد بن حنبل رضي الله عنه يقول الاكل من الدين قدمه
الله تعالى على العمل فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليوجر حتى في
اللقمة يرفعها الى فيه والى في امراته وروى عنه صلى الله عليه وسلم ما اطعم المسلم نفسه واهله محتسبًا فهو
له صدقه وروينا عن علي عليه السلم لان اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي من ان اعتق رقبة
والخبر المشهور اذا وضع الطعام واقيمت الصلاة فابدوا بالعشا قبل الصلاه فكان ابن عمر ربما سمع
الاقامة وقراة الامام فلا يقوم من عشايه وهذا لحرمة الطعام وتفضيل الاطعام وروى هشام بن عروة
عن ابيه قال وضع الطعام فقام القاسم بن محمد يعني ابن ابي بكر يصلي فقالت عايشه رضي الله عنها نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلى بحضرة الطعام حتى يوكل ويرفع وكذلك يقال اذا وضع الطعام قامت
الملايكة عليهم السلام ينتظرون فلا يزالون قيامًا حتى يرفع فكانوا يكرهون ان يقدم الطعام ولا يوكل
وروى حميد عن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يدخل عبده الجنة بالاكلة والشربة يحمد الله
عز وجل عليها ورواه سعيد بن ابي بردة عن انس فقال فيه ان الله تعالى ليرضى عن العبد ياكل الاكلة او يشرب
الشربة فيحمده عليها وذكر معناه كعب الحبر وساله رجل فقال ما ايسر ما يدخل به العبد الجنة فقال ياكل
طعامًا طيبًا او يجامع امراته فيشكر الله تعالى على ذلك فيدخل به الجنة اسنده عبد الوارث عن انس
في الطعام قال فيه ان احدكم ليضع طعامه بين يديه فما يرفع حتى يغفر له قيل يا رسول الله وبم ذلك
قال يقول بسم الله اذا وضع والحمد لله اذا رفع وروى منصور عن ابرهيم شكر الطعام ان تسمي اذا اكلت
وتحمد الله تعالى اذا فرغت وقال غيره من اكل او شرب ثم حمد الله عز وجل كان له اجر الصايم القايم اسنده

سعيد المقبري عن ابي هريرة فقال فيه للطاعم الشاكر كالصائم الصابر وقال ابرهيم بن طهمان عن تميم بن
سلمة قال من اكل طعاما فذكر اسم الله تعالى حين اكل وحمد الله عز وجل حين فرغ لم يسال عن نعيم ذلك
الطعام هذا لعظيم اسم الله عز وجل وكبير وصفه بالحمد الذي تحمد وتمدح به وللتفضيل بسم الله والحمد لله
اذ هما ثنتا الكلمتين افتتح كتابه العزيز وكذلك جاء في الخبر تفضيل من برئ من حوله وقوته واعترف
بالتوحيد لمولاه عز وجل رواه سهل بن معاذ بن انس الجهني عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من
اكل طعاما فقال الحمد لله الذي اطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه
وانما غفر له بالتوحيد بعز اليقين حيث لم يشرك نفسه في اوصاف رب العالمين فاذا جمع الطعام خلتين
تمت النعمة اللحم والحلاوة لقوله سبحانه وتعالى في تفسير الطيبات ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من
طيبات ما رزقناكم فالمن الحلاوة والسلوى اللحم قيل سمي سلوى لانه يسلي به عن جميع الادام واذا جمع
الشراب خصلتين تمت به النعمة العذوبة والبرودة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شرب قال الحمد لله الذي
سقانا برحمته عذبا فراتا ولم يجعله بذنوبنا ملحا اجاجا وكان عمر رضي الله عنه اذا جاءه البريد من الآفاق
او قدم عليه الوفد من الامصار اول ما يسال يقول كيف اللحم فيقولون رخيص يا امير المؤمنين شاة باربعة
دراهم فيقول الحمد لله هي شجرة العرب التي لا قوام لها الا به كيف الطعام فيقولون رخيص قفيز بدرهمين
فيقول الحمد لله وقيل للعرب ما اطيب الطعام فقال باي شي يطيب اكل الطعام قالوا باللسان فقال اللسان
لحم وليس للحم الا اللحم وكذلك كان ابو عبد الرحمن الثوري يعجب بالرؤوس ويسمي الراس طعام العرس
لما يجمع من الالوان فيقول للعينين طعم وللدماغ طعم ويقول الراس سيد البدن والدماغ معدن العقل
والعينان باب الالوان الشحم اطيب من المخ وانعم من الزبد وادسم من السلا وكان لا يشتري الراس الا
في زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ ولا يشتريه الا يوم السبت وكان هذا من حكماء العرب والعرب لا تقدم
على الثريد شيا لفضله على الادام وجمعه للاصابع على الطعام ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل
عايشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقال صلى الله عليه وسلم افضل الطعام ما كثرت
عليه الايدي ذلك لبركة ايدي المسلمين اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجو بركة ايديهم فمن دونه من الناس
البركة بايديهم ادخل كما روينا عنه صلى الله عليه وسلم انه سيل الوضوء من جر مخمر احب اليك ام من
هذه المطاهر المستبلة فقال بل من هذه المطاهر المستبلة التماس بركة ايدي المسلمين ورويناه من طريق
آخر عنه من فعله وامره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل الى المطاهر فيؤتى بالماء منها فيتوضا به
فسيل عن ذلك فقال التمس بركة ايدي المسلمين فلهذا قال بعض السلف ان الرجل اذا دعا اخوانه على طعام

قالوا ثم رفع فضل ذلك لا يحاسب عليه من اكله بعد لبركة الجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم الجماعة بركة
قال وكان بعض علماء خراسان وهو راوي هذا الخبر يقدم الى اخوانه الفقراء من الحبوب وغير ذلك ليفضل
منهم فلا يحاسب عليه من اكله بعد لاجل الخبر فيه حدثنا عبد الله بن احمد المقرى عن ابن ابي الدنيا قال حدثني
عبد الرحمن بن عبد الله الباهلي عن عمه قال سمعت جعفر بن سليمان بن علي يقول ما سادنا الا سخي على
الطعام وكذلك يقال السخا على الطعام اجود منه وابلغ من السخاء بالمال ذاك لان اللوم على الطعام
الام وابلغ منه على المال وقد فرقوا بين الشح والبخل وبين اللوم والشوم فقيل الشح على الطعام والبخل
في المال وقيل اللوم في الاطعام والشوم في الاقتار وقال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام وبعده
ينفي الفقر يعني به غسل اليد وكان ابو محمد رحمه الله يقول من لم يحسن ادب الاكل لم يحسن ادب العمل
قال والذي يتصنع في الاكل هو الذي يتصنع في عمله وقال مرة الذي نودي في الاكل هو الذي نودي
في الصلاة وقال بعض السلف اني لاحب ان تكون لي نية في كل شي حتى في الاكل والنوم وقد كان السلف
الصالح يكون لاحدهم في الاكل نية صالحة كما يكون له في الجوع نية صالحة والذي ياكل بغير نية الآخرة فاضلة
للعادة والشهوة والمتعة قد يجوع لغير الآخرة للعادة والشهوة ايضا والتزين للخلق وهذا من دقايق
آفات النفوس وقد يجوع بالشغل بالدنيا والانقطاع عن الطعام بحلاوة الادخار وللتحدث والتفكر
بالافراح فحسن من اكل بنية الآخرة ولاجل الله تعالى كحسن من جاع لله تعالى بنية الآخرة والاكل باب
من ابواب الهوى وقبح من جاع لغير الله عز وجل من معاني الشهوة الخفية كقبح من اكل لغير الله تعالى للمتعة
النفس وشهوة الطبع وعادة الجسم فلا يشكر الله عز وجل سعيه كما يطالب من جاع لغيره بما نقص من
ضعف جسمه فالطعام والاكل يشتمل على مائة وسبعين خصلة ما بين فرض وسنة وادب وفضيلة واستحباب
وكراهة ومروة وفتوة من طرايق السلف وصنايع العرب اول ذلك ان يكون الماكول حلالا وعلامة الحلال
ثلاث ان يكون عينه معروفة لم يخالطها غير ذمتها العلم من جنايته او ظلم ويكون سببه مباحا لم يحوه
سبب محظور في الشرع لاجل هوى او مداهنة في دين او دنيا ويكون قد وافق فيه حكم السنة لا يكون على
وصف مكروه من غرر او خطر او خلابة او غش او ترك نصح ثم ينوي بالاكل التقوي على البر والتقوى
والاستعانة به على خدمة المولى تعالى ويعرف النعمة فيه انها من المنعم بها وحده لا شريك له فيها ويعتقد
الشكر له عليها ويؤثر التقلل على الاتساع والقناعة على الحرص والادب فيه على الشره والصبر على الخشن
من الطعام والرضى باليسير من الطعام ثم غسل اليد في اوله للاستحباب وفي آخره للنظافة والتسمية
في اوله والحمد في آخره والاكل باليمين ويبتدي بالملح ويختم به وان لا يذم ماكولا ولا يعيبه ان اعجبه

أهله والا تركه القناعة بالقسم والرضى بالموجود من الرزق وأن تكثر الأيدي على الطعام وفي الخبر
اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وتصغير اللقمة وتجويد المضغ وأن لا ينظر في وجوه الآكلين ولا يتفقد
مآكلهم وأن يقعد على رجله اليسرى وينصب اليمنى ولا يأكل متكئا ولا مضطجعا ولا يكون أول من يبتدي
بالأكل حتى يسبق صاحب المنزل أو الأكبر إلا أن يكون إماما يقتدى به أو يكون القوم منقبضين فيبسطهم
بالابتداء ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمعهما في كفه إلا بأن يضع النواة على ظهر كفه من فيه ثم يلقيها
وكذلك ما كان في معناه مما له عجم وثفل ويستحب أن يأكل من التمر وترا سبعا أو إحدى عشرة أو
إحدى وعشرين وأن يفطر على رطب إن وجده وإلا فتمر فإن لم يجد فعلى الماء وكان وهب بن منبه يقول
الصائم يزيغ بصره فإذا أفطر على حلاوة رجع بصره ولا يقرن بين تمرتين في الجماعة إلا أن يفعلوا ذلك
أو يستأذنهم وأن يأكل بعد الجوع ويرفع يده قبل الامتلاء بمقدار ثلث بطنه أو نصفه كذلك سنة السلف
ومصالح للجسم يقال أساس كل داء البردة يقال هي التخمة ويقال في أخبار الحكماء أن خادما
لأرسطاطاليس استقضى رجلا من أهل السواد حاجة له فلم يقضها له فقيل له لعلك أن تحتاج إليه فقال
ما بي إليه من حاجة فأخبر الخادم الحكيم بذلك فقال إن كان يأكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع ويتقلل
من ذلك فقد صدق ما له إلينا حاجة وقد أحكم الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله ما ملأ ابن آدم وعاء
شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث
للنفس والطعام إنما وضع دواء من الجوع إذا وجدت علة الجوع به فإذا لم تجده صار الأكل داء وصار التأذي
بالأكل مثل التأذي بالجوع أو أشد وليأكل مما يليه إلا الفاكهة فله أن يجيل يده ويأكل بثلاث
أصابع إلا الثريد فله أن يأكل بأصابعه كلها ولا يأكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام وليأكل
من نواحيه وأن لا يصمتوا على الطعام فإنه من سيرة العجم وليتكلموا بالخير والمعروف ولا يقطع اللحم
بالسكين فقد نهي عن ذلك ولكن ينهشوه نهشا ولا يقطع الخبز بالسكين وليأكل من استدارة الرغيف
إلا أن يكون في الخبز قلة وفي الآكلين كثرة فيستعان بتكسير الخبز على التفرقة ولا يكثر قول كل
على أخيه فإن ذلك مما يحشمه فربما قطعه ولا يحوج أخاه إلى تفقده في الأكل وتكرير قوله له كل وقال
بعض الأدباء أحسن الآكلين أدبا من لم يحوج صاحبه إلى تفقده في الأكل وحمل عن أخيه مؤونة القول
ولا يدع شيئا يشتهيه من المأكول لأجل نظر الغير إليه فإنه من التصنع فإن تركه إيثارا لأخيه
أو قدمه إلى إخوانه فحسن ولا ينقص من أكله المعتاد في الوحدة وإن زاد بنية المساعدة للجماعة أو
بنية فضل الأكل مع الإخوان فلا بأس بذلك والترتيب في تضعيف الأكل مستحب من أجل الطب ما لم

يبتدئ به أو يكثر منه يقال إنه دباغ المعدة والشرب متكئا مكروه للمعدة أيضا من جهة الطب والأكل
متكئا أدناهما ليس من السنة إلا ما يتناول أو يتنقل به من الحبوب في معناهما فقد روي عن علي عليه السلام
وهو يأكل منبطحا من ترس كعكا ويقال مضطجعا والعرب تفعله وما رده من المأكول مع الجماعة
فلا يرده في القصعة فيأكله غيره بل إن وقع بيده أكله وإلا تركه مع الثفل ولا يغمس الخل بالدسم ليصطبغ
بالخل قبل اللحم وقد جاء فيما ذكرناه آثار عن السلف رضي الله عنهم كرهنا الإطالة بذكر جميع ذلك والتقصي
فيه ولكن نذكر بعضه ما قرب تناوله من ذلك ما أخبرني عبد الله بن أحمد المقرئ عن ابن أبي الدنيا قال حدثني
حفص بن عمر قال حدثنا إسمعيل بن عياش عن عبد الله بن أبي حسين عن شهر بن حوشب قال كان يقال
إذا جمع الطعام أربعة أشياء فقد كمل كل شيء من شأنه إذا كان أوله حلالا وذكر اسم الله عز وجل عليه
وكثرت عليه الأيدي وحمد الله عز وجل حين يفرغ منه فأما الحسن رحمه الله فإنه جعلها اثنتي عشرة خصلة
وقال يجب على المسلم تعلمها حدثنا أبو بكر القرشي بمكة قال حدثنا محمد بن عمرو العقيلي قال حدثنا إبرهيم بن
مهدي عن أبي المبارك عن هشام عن الحسن قال اثنا عشر خصلة في الطعام ينبغي للمسلمين أن يتعلموها أربعة
منها فريضة وأربعة سنة وأربعة أدب فأما الفريضة فالتسمية والمعرفة والرضى والشكر وأما السنة
فالجلوس على رجله اليسرى والأكل مما يليه والأكل بثلاثة أصابع ولعق الأصابع إذا فرغ وأما الأدب فغسل
اليدين وتصغير اللقمة والمضغ الشديد وقلة النظر إلى وجوه أصحابه وفي حديث عائشة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فإن نسي في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره
واجتمعوا يوما مع يحيى بن معاذ رحمه الله على طعام فقال له زاهد ما أدب الطعام فقال أدبه أن يستوفي
إذا حضر دعونا من حماقات القراء وأما إبرهيم بن أدهم فإنه سأل بعض العارفين عن أدب الأكل فقال
أدبه أن تأكل بثلاث أصابع وأن تصغر اللقمة وذكر أشياء من هذا النوع فقال إبرهيم ليس هذا من أدب
الأكل عندنا قيل له فما أدبه قال أدب الأدب أن تحسن النفقة في المأكول فيكون حلالا لا شبهة فيه
وتجتهد في النصح للمسلمين به فإذا وجدناه حلالا صافيا ضربنا فيه بالخمس وأكلنا حتى نشبع وقد كان
أبو معاذ يقول أكل المخبز أكل الطير كل ساعة لقمة ولا يستوفي من باب التقلل من المطعوم وقال
بعض الحكماء البطنة تغلب الفطنة فالعاقل من قهرت فطنته بطنته وقال بعض أهل الطب ليس
لشبعة خير من جوعة كما ليس لجوعة أنفع من شبعة وكان الحسن يقول ويح ابن آدم أسير الجوع
صريع الشبع وسأل عبد الملك بن مروان أبا الربعونة الأعرابي هل اتخمت قط فقال لا قال وكيف ذاك
قال لأنا إذا طبخنا أنضجنا وإذا مضغنا دققنا ولا نكظ المعدة ولا نخليها وأنشد بعضهم

في كراهية اعتياد الشبع ۔ وعادة الجوع فيها عصمة وتقى وقد يريدك جوعا عادة الشبع
يقول اذا ألفت أن تشبع ابدا ثم انقطع ذلك عنك ازداد جوعك بكثرة اعتياد الشبع ۔ وانشد آخر
في تألف النفس عن الأكل ۔ اذا لم ازن الا لآكل اكلة فلا رفعت كفي الى طعامي فما اكلة ان نلتها بغنيمة
والجوعة ان جعتها بغرام ۔ وفي حديث زياد بن حماد عن ابي الصديق الناجي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال خير تمراتكم البرني يذهب بالداء ولا داء فيه ۔ وفي خبر حماد بن زيد عن زياد النميري قال قالت عائشة
رضي الله عنها من اكل التمر وترا لم يضره ۔ وفي حديث انس كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم تمرات
يفطر عليها في المسجد قبل ان يصلي المغرب خمسا او سبعا ولا ادري اذكر الثلاث ام لا ۔ وقال الاصمعي حدثني
شيخ عالم قال اطيب التمر صيحاني بنه مصليه ۔ قال وحدثني رجل من آل جرم قال كان يقال من خلا عن
التمر فالعجوة ومن اكله على ثقل فالصيحاني ۔ وكان بعض العرب يفضل الرطب على العسل ويقول النحل
عسله من جنا ذباب كعسلة في جو السماء لها محارس من حديد وذوائب من زمرد وليس تقدم العرب
على التمر والزبد شيا من الطعام يمثلونه في الاعتدال كالخل والزيت في الادام ۔ وقيل رأى اعرابي دقيقا
وتمرا فاشتهى التمر فقيل له كيف آثرته وسعر التمر والدقيق واحد فقال ان في التمر ادمه وماءه ۔ وقال
طلك بن حنظلة لحسان بن ثابت لما وفد اليه ما تزودت لنا قال الحيس قال ثلثة اشفية في وعاء ۔ وكان
الحيس اكثر طعام النبي صلى الله عليه وسلم والعرب تستجيبه وهو جامع لثلاثة الوان كان السلف رضي الله عنهم
يخمرون اصله اللبن والتمر والسمن يجاس جميع ذلك عجنا كالخبيص ويتزودونه في السفر ويتحلى به
في الحضر ۔ وقال عمر رضي الله عنه للاحنف بن قيس اي الطعام احب اليك قال الزبد والكماة فقال
عمر رضي الله عنه احببت الخصب للمسلمين ۔ وقال بعضهم عاب رجل في مجلس الاحنف بن قيس التمر والزبد
فقال الاحنف رب ملام لا ذنب له ۔ وحدث عن ابي حاتم المقرى عن الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء
قال قال الحجاج يوما لجلسائه ليكتب كل رجل منكم في رقعة اطيب الطعام عنده ويجعلها تحت مصلاي
ففعلوا فاذا في الرقاع كلها الزبد والتمر ۔ وقال الاصمعي قيل لبعض العرب ما رأيك في اكل الجري
فقال تمرة نرسيانة عن الطرق صفر الساتر عليها زبدا احب الي منها ثم اذكر الورع فقال ولا احرمها
وقال بعض الكوفيين رأيت الشعبي اشترى جريا وحمله الى عياله فقلت يا ابا عمرو انطعم عيالك الجري
فقال لو علمت ان عيالي يأكلون الضفادع لاطعمتهم ۔ وقيل لبعض العرب انشدنا يا ابا حسن
بيتا سمعته في الغزل فقال الغزل لا اعرفه ولكن ان اردتم انشدتكم احسن بيت عندي قالوا فافعل
الا ليت خبزا قد تسربل رائبا وخيلا من البرني فرسانها الزبد ۔ وفي حديث ابن عباس ان النبي

صلى الله عليه وسلم سئل عن افضل الشراب فقال الحلو البارد فتأول بعض اهل اللغة انه عنى هذا العسل
خاصة قال لان العرب تسمي العسل البارد واحتج بقول الاعشى ۔ كأس شيب براح بارد عسل النحل
ولكن في حديث عائشة رضي الله عنها اخبرت عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يعجبه الحلو والعسل
وفي لفظ آخر كان يعجبه الحلو البارد من الشراب فهذا وصف عام في كل باب ۔ ويقال اجود العسل الذي هو
الذي اذا قطرت منه قطرة على التراب استدار كما يستدير الزيبق ولم ينفش ولم يختلط بالتراب وكذا الروم
تقول اجوده ما يلطخ على فتيلة ثم يشعل فيها النار فتعلق ۔ وسئل حكيم البقراط هل شيء يزيد في العمر
فقال لو كان ذاك كان من ادام اكل العسل ودهن جسمه لو سمح عنبا زاد في عمره ولحيته ذكر
النغمين ۔ وفي حديث عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي عن ابيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلثة لا ترد اللبن والدهن والوسادة ۔ وفي خبر علي رضي الله عنه وقد دخل على قوم يأكلون تمرا فسئل
ان يطعم منه فقال ناولوني واحدة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من عرضت عليه هدية
وفي لفظ آخر الحلاوة فلا يردها ليصيب ما قل او كثر ۔ وفي الخبر الآخر ثلثة لا ترد الحلوا والطيب
والريحان ۔ ابو عبيد الناجي عن الحسن الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم كذا كان
عندي ولحسبه ينفي الهم ۔ وقال ابو زيد حماد عن عبد الرحمن بن عوف بلغني انه من غسل يده قبل الطعام
كان في سعة من الرزق حتى يموت ۔ واما فرقد السبخي فانه كان يعلم المريدين الاكل حدثنا عن جعفر
الضبعي قال كنا نأتي فرقدا السبخي ونحن شببة فيقدم الينا الطعام ويعلمنا فيقول شدوا الازر
على انصاف البطون وصغروا اللقم وشددوا المضغ ومصوا الماء مصا واذا اكل احدكم فلا يحلن
ازاره فتتسع امعاؤه واذا جلس احدكم ليأكل فليجلس على اليته وليلزق فخذه ببطنه واذا فرغ فلا
يقعد وليجيء وليذهب ۔ وكان الحسن رحمه الله عليه يعيب عليه مثل هذا ويقول في ذلك فرقد يدع الناس
يأكلون كيف شاؤوا فقال لوددت ان الرماد يكون قوتي الى الموت فقال له الحسن رحمه الله جعله الله
قوتك وقوت اصحابك ۔ وكان فرقد من القراء المتقفرين والصلابية المتقشفين وكان الحسن رحمه الله
يتسع في الطعام ۔ حماد بن زيد قال حدثنا داود قال قلت للحسن رضي الله عنه انا ننفق في هذه الاطعمة
نكثر فقال ليس في الطعام سرف ۔ وقال ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه لما زاره الاوزاعي فقدم اليه
طعاما فيه كثرة فقال له الاوزاعي يا ابا اسحق ما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام
سرف ۔ وزاد سفيان الثوري رضي الله عنه ولا في البناء سرف ۔ وقال رجل للثوري وروى الحديث
ان الله عز وجل يبغض اهل بيت لحمين فقال ليس هو بالذي يوكل فيه اللحم انما هو الذي يوكل فيه لحوم الناس

يعني الغيبة أسنده ابن أبي زياد وزاد فيه ويبغض الحبر السمين وفسره في الحديث مدرجا قال هو أهل
بيت يأكلون لحوم الناس، وسمع الحسن رضي الله عنه رجلا يعيب الفالوذ فقال سبحان الله لباب البر
بلعاب النحل بخالص السمن ما عاب هذا مسلم" والتفت إلى فرقد فقال يا فرقد بلغني عنك أنك لا تأكل
الفالوذ فقال يا أبا سعيد أخاف أن لا أؤدي شكره فقال يا لكع هل تؤدي شكر الماء البارد لنعمة
الله تعالى عليك في الماء البارد أعظم من نعمته عليك في الفالوذ فكان الحسن رضي الله عنه في هذا الباب على
سنة السلف رضي الله عنهم من الأصحاب والتابعين من ذوي الألباب روى مالك عن إسحق بن أبي طلحة قال
سمعت أنس بن مالك يقول رأيت عمر رضي الله عنه يلقى له الصاع من التمر فيأكله حتى حشفه وكان يقول
لجاريته برفق وتحك أنضج العصيدة تذهب حرارة الزيت، وكان فرقد السبخي من قراء البصريين
في طبقة ابن أبي المؤمل الجوعيين كان يقول رحم الله رجالا كنا نواكلهم ما رأت قصعة رفعت من
بين أيديهم إلا وفيها فضل وكان يقول الإدام أعداء الخبز وأعداها الملح فلولا أن الله عز وجل أعان عليه
بالماء لطلب آجله لأنا على جميع الخوان وقال ما بال الرجل إذا قال اسقني ماء أتاه بقلة على قدر الري
أو أصغر وإذا قال أطعمني شيئا أو هات لفلان طعاما أتاه من الخبز ما يفضل عن الجماعة والماء والطعام
أخوان وقال لولا رخص الماء وغلاء الخبز ما كلبوا على الخبز وزهدوا في الماء والناس أشد شيء تعظيما
للمأكول إذا كثر ثمنه أو كان قليلا في منبته وعنصره هذا الجزر الصافي والباقلى الأخضر أطيب من
الكمثرى خراسان والموز البستاني وهذا الباذنجان أطيب من الكماة لكن الناس لقصد همهم وذهابهم
في التقليد والعادة لا يشتهون إلا على قدر الثمن إلا أن ابن المؤمل لشدة اقتصاده وفرط تقلله
كان يحمل على الكلام ونحوه منه على البخل وقد كان يعلم بعض أصحابه عند الأكل ويأمرهم بشرب الماء
ويقول لو شرب الناس الماء على طعامهم ما اتخموا وذلك أن الرجل لا يعرف مقدار ما أكل حتى ينال من الماء شيئا
لأنه ربما كان شبعان وهو لا يدري فإذا ازداد على مقدار الحاجة بشم وقال بعض الأدباء ممن نقل عنه
هذا لصدقه قال في قول الناس ماء دجلة أمرأ من ماء الفرات وماء مهران أمرأ من ماء بلخ وفي قول العرب هذا
ماء نمير يصلح المال عليه دليل أن الماء يمري حتى قالوا الماء الذي يكون عليه العاطاف أمرأ من الماء الذي يكون
عليه العبادات فعليكم بشرب الماء على الطعام، وكان الحارثي يقول الوحدة خير من جليس السوء، وأكيل السوء
خير من جليس السوء لأن كل أكيل جليس وليس كل جليس أكيلا فإن كان لا بد من المواكلة ولا بد من المعاشرة
فمع من لا يستأثر عليك بالأطعمة ويكره إيثارك على نفسه بطيب الطعام وخياره وقال لا تشتهي الغرائب
ولا تمتحن الإخوان بالأطعمة المثمنة ولا تكشف أستار الناس بأن تشتهي بما عسى أن لا يكون موجودا

أو لا يقدر عليه أخوه وقد أنشد إسحق الموصلي في معناه: خير الصديق صديق لا يكلفنا
ذبح الدجاج ولا شي الفراريج. يرضى بلونين من كشك ومن عدس فإن تشهى فزيتون بطسوج
وفي حديث الأعمش عن أبي وائل قال انطلقت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملح
جريش فقال صاحبي لو كان سعتر فخرج سلمان فرهن مطهرته واشترى سعترا فلما أكلنا قال
صاحبي الحمد لله الذي رضانا بما قسم لنا فقال له سلمان لو رضيت بما قسم لك ما كانت مطهرتي مرهونة
بقيراط وكان أبو عبد الرحمن الثوري يقعد ابنه بين يديه إذا أراد أن يذهب إلى الدعوة فيعلمه ويقول
يا بني إياك ونهم الصبيان ونهش الأعراب وخبط الملاحين والفعلاء وأخلاق النوائح وكل من بين
يديك فإنما حظك الذي وقع قصارا إليك واعلم أنه إذا كان في الطعام شيء طريف أو لقمة كريمة أو مضغة
شهية فإنما ذلك للشيخ المعظم أو للصبي المدلل ولست واحدا منهما وأنت قد تأتي الدعوات وتجيب
الولائم وتدخل منازل الإخوان وعهدك باللحم قريب وإخوانك أشد قرما إليه منك وإنما هو طعام واحد
فلا عليك أن تتجافى عن بعض وتصيب بعضا وأنا أكره لك الموالاة بين اللحم فإن الله تعالى يبغض
أهل بيت لحميين وكان يقال مدمن اللحم كمدمن الخمر ورأى رجل رجلا يأكل لحما فقال لحم يأكل
لحما أف لهذا عملا وكان عمر رضي الله عنه يقول إياكم وهذه المجازر فإن لها ضراوة كضراوة الخمر ومن
وصية أبي عبد الرحمن الثوري لابنه أي بني عود نفسك الأثرة ومجاهدة الهوى والشهوة ولا تنهش نهش
السباع ولا تخضم خضم البراذين ولا تدمن الأكل إدمان النعاج ولا تلقم لقم الجمال إن الله عز وجل
خلقك إنسانا وفضلك فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سبعا واحذر سرعة الكظة ونهم البطنة
فقد قال بعض الحكماء إذا كنت بطنا فعد نفسك في الزمنى وقال الأعشى والبطنة يوما تسفه الأحلاما
وكان يقال الشبع داعية البشم والبشم داعية السقم والسقم داعية الموت ومن مات هذه الميتة
فقد مات ميتة لئيمة وهو مع هذا قاتل نفسه وقاتل نفسه ألوم من قاتل غيره وقال بعض الفقراء
ما أدى حق الركوع والسجود ذو كظة ولا خشع لله عز وجل ذو بطنة والصوم مصحة والوجبات
عيش الصالحين الوجبة أكلة من وقت إلى مثله أو في اليوم مرة وقال بعض العرب قد بلغت سبعين
عاما ما نقص لي سن ولا انتشر لي عصب ولا عرفت داء ولا عررت عين ولا سلس بول إلا لذلك
سبب إلا التخفيف من الزاد ولله در الحارث بن كلدة حيث زعم أن الدواء هو الأزم وأن الداء هو
إدخال الطعام في إثر الطعام ومنه صفت أذهان العرب وصحت أبدان الرهبان مع طول الإقامة
في الصوامع حتى لم يعرف النقرس ولا المفاصل ولا الأورام لقلة الرزي وخفة الزاد وكيف لا يرغب في شيء

بجمع لصاحبه صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح المعاد وكثرة المال والقرب من عيش الملائكة عليهم السلام
وبعض العرب يقول إنما كان الضب والظبي أحسن شيء جسماً وأطوله عمراً لأنهما يقنعان بالنسيم
ويجتنبان شرب الماء. وأوصى بعض حكماء الملوك من يؤدبه ممن وكل بأدبه فقال إذا أكلت فضم شفتيك
ولا تلتفتن يميناً ولا شمالاً ولا تتخذن خلالك ملفظاً ولا تلقم بسكين أبداً ولا تجلس فوق من هو أسن
منك وأرفع منزلة ولا تتخلل بعود آس ولا تتمسح بثياب جسدك ولا تشرب ماء وأنت نائم ولا تحفر أرضاً
بأظفارك ولا تجلس على حائط أو باب ولا تتكئ عليهما فتلعن ولا تشرح على أسكفة فتجهل ولا تنظر
مرآة بأصابعك فيورثك الباسور ولا تمتخط حيث يسمع امتخاطك ولا تبصق في الأماكن المنظفة. ويقال
إن عمرو قال لمعاوية رضي الله عنهما وقد حكم الحكمين أكثروا الطعام لهم فوالله ما بطن قوم قط إلا فقدوا
بعض عقولهم وما مضت عزمة رجل بات بطيناً. وكان يقال أقلل طعامك تحمد منامك. وروي أن عبد الملك
دعا رجلاً إلى الغداء فقال ما فيّ فضل فقال ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يكون فيه فضل فقال يا أمير المؤمنين
عندي مستزاد ولكن أكره أن أصير إلى الحال التي استقبح أمير المؤمنين. وقال بعض أحبار قبيل الشيخ
من العرب ما أحسن أكلك فقال هو عملي منذ ستين سنة. وروى العيسي عن أبيه قال قال الأحنف جنبوا
مجلسنا ذكر الطعام والنساء فإني أكره الرجل يكون وصافاً لبطنه وفرجه. وقال إن الملائكة عليهم السلام
تحضر المائدة إذا كان عليها بقل. وفي الخبر أن المائدة التي أنزلت على بني إسرائيل من السماء كان عليها من كل
البقول إلا الكراث وكان فيها سمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وكان عليها سبعة أرغفة على
كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا من أحسن الطعام إذا اتفق فإن لم يكن فكما قال بعض الأدباء إذا
دعوت إخوانك فقدمت إليهم حصرمية أو بورانية وسقيتهم ماء بارداً فقد أكملت الضيافة. ودعا بعض
الرؤساء إخوانه فأنفق مائتي درهم فقال له بعض الحكماء لم تكن تحتاج إلى هذا كله كان خبز جيداً
وخل حامضاً وماء بارداً فهو كفاية. وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان والتمكن
على المائدة خير من زيادة لونين. وقال آخر شرب الماء البارد على الطعام خير من زيادة ألوان. وفي الخبر
كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه واملكوا العجين فإنه أعظم للبركة. وليأكل الرجل في منزل أخيه على سجيته
أكله في منزله بغير تكلف ولا تزين لأنه قد يدخل من الرياء والتصنع في الطعام مثلما يدخل في سائر
الأعمال من الصلاة والصيام والأكل عمل وكل عمل يحتاج إلى نية وإخلاص فلتكن نيته في أكله وحده
الاستعانة على الطاعة ولتكن نيته مع إخوانه إكرامهم بذلك وإدخال السرور عليهم والتبرك بالجماعة
لقول النبي صلى الله عليه وسلم الجماعة بركة وينوي إقامة السنة في إجابة الدعوة ليكون مأجوراً في أكله

عاملاً في جميع ذلك بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ودخل هذا الأكل في حسن الخلق وهو من معنى قول الرسول
صلى الله عليه وسلم إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم قيل هو الرجل يسأله إخوانه أن يفطر
معهم نهاراً أو يسهر معهم ليلاً ويكون من عادته الصيام والقيام فيساعدهم تخلقاً معهم فيدرك بحسن
خلقه درجة من صام وقام. وقال بعض العلماء ليس من السنة ولا المروءة أن يزور الرجل إخوانه فيتشاغل
عنهم بالصلاة النافلة أو يستزير إخوانه فيقدموا إليه الطعام فلا يساعدهم عليه لأجل صيامه
وقال ابن هانئ قلت لبعض الأدباء وكان يكثر الأكل وحده لم تأكل وحدك وتدع الجماعة فقال ليس علي
من هذا الموضع سؤال إنما السؤال على من أكل مع الجماعة لأنه تكلف إذ لم تكن له فيه نية وأكلي وحدي هو
الأصل ولعمري إن المواكلة عشرة وفيها تبذل فإن لم يجد العبد من يصلح للمعاشرة وتحمد معه المواكلة فإن
الأكل على الوحدة أصلح للقلب وأجمع للهمة. حدثني محمد بن القاسم الأموي قال حدثنا العباس بن أحمد عن المدائني
عن علي بن محمد قال قال بعض الحكماء من الزيادة في الطعام مواكلة الكريم الودود ويقال الأكل مع الأسخياء
دواء ومواكلة اللئام داء. وليلعق أصابعه قبل أن يمسحها بخرقة أو يلعقها غيره كذلك السنة وكانوا
يكرهون المسح بالمنديل قبل اللعق. ولما أكل الجارود مع عمر رضي الله عنه طعاماً فقال يا جارية هاتي
الدستور فقال عمر رضي الله عنه امسح باستك أو ذره كره أن يمسح بالخرقة وهي كلمة أعجمية. وكان
بعض الصحابة يمسح بطرف نعله وكثير منهم كانوا يمسحون ببواطن أرجلهم. ويقال من لعق أصابعه
قبل أن يمسحها أو لعق الصحفة أو شرب ماءها كان له عتق رقبة. وليأكل ما سقط من فتات الطعام عن المائدة
فإنه ينفي الفقر ويقال مهور الحور. **باب في الضيافة وإكرام الضيف** روينا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه. وروي عنه صلى الله عليه وسلم الضيافة
ثلاث فما زاد فهو صدقة ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه يعني يضيق عليه بعد ثلاث حتى يشق عليه
وقال صلى الله عليه وسلم الضيف جائزته يوم وليلة وليلة الضيف واجبة وفي لفظ آخر حق. وفي حديث
شعبة عن أبي الجودي قال سمعت سعيد بن مهاجر يحدث عن المقدام بن أبي كريمة أنه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول أيما مسلم أضاف قوماً فأصبح الضيف محروماً كان له على كل مسلم نصرة حتى يأخذ
بقرى ليلته من زرعه وماله. ورواه القطان يحيى بن سعيد عن زيد بن العجاج عن أبيه قال قال لي أبو هريرة
إذا نزلت برجل فلم يقرك فقاتله. ورواه كثير بن سليمان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخير أسرع إلى مطعم الطعام من الشفرة في سنام البعير. وفي خبر آخر الخير أسرع إلى البيت الذي يطعم
فيه الطعام من السيل إلى مستقره. وفي الخبر الآخر الضيف يحل فيأكل رزقه ويرتحل بذنوب أهل
البيت

أخبرني عبد الله بن أحمد عن ابن أبي الدنيا قال حدثنا إسحق بن إسمعيل حدثنا جرير بن عبد العزيز بن رفيع عن
مجاهد قال كان لرجل من الأنصار ضيف فأبطأ عن أهله فلما جاءهم قال عشيتم ضيفي قالوا لا فقال
والله لا أطعمه فقال الضيف إذًا والله لا أطعمه أيضا قال يبيت ضيفي بغير طعام قربوا طعامكم فأكل
وأكلوا معه فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال أطعت الله تعالى وعصيت
الشيطان حدثت عن يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن أن رجلا جهده الجوع فتفطن له رجل من الأنصار
فلما أمسى أتى به رحله وقال لامرأته هل لك أن نطوي ليلتنا هذه لضيفنا قالت نعم قال فإذا قربت
الطعام فادني إلى السراج كأنك تصلحينه فأطفئيه ففعلت وجاءت بثريدة كأنها قطاة فوضعتها بين أيديهم
ثم أتت إلى السراج كأنها تصلحه فأطفأته وجعل الأنصاري يضع يده في القصعة ولا يأكل وأكل الضيف
حتى أتى على ما في القصعة فاطلع على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح الأنصاري صلى مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفجر فلما سلم أقبل إلى الأنصاري فقال أنت صاحب الكلام الليلة ففزع الأنصاري
وقال أي كلام قال كذا وكذا قوله لامرأته قال قد كان ذلك يا رسول الله قال فوالله لقد عجب الله تعالى من صنيعكما
الليلة وفي غير حديث يزيد لقد ضحك الله سبحانه إليكما في هذه الليلة وفي الخبر ما ضحك الله تعالى إلى عبد
في موطن إلا غفر له وأخبرني عبد الله عن ابن أبي الدنيا قال حدثني العباس بن جعفر قال حدثنا إسمعيل بن أبان
قال حدثنا عثمان بن عبد الرحمن القرشي عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من السنة
أن يمشي الرجل مع ضيفه إلى باب الدار حدثني عبد الله الفريقي بمكة قال حدثنا جعفر بن أنس قال
حدثنا الهيثم بن خالد عن المحرمي قال قال أبو الوليد الرياحي أحرج شيء على الضيف أن يكون صاحب المنزل
شبعان حدثنا عن محمد بن عبيد قال حدثنا مسعر عن المسعري عن عون بن عبد الله قال ظل رجل صائما عام
سنة فأتى بسائل عند فطره وقد أتي بقرصين فألقى إليه أحدهما ثم قال ما هذا بمشبعه ولا هذا بمشبعي
لأن يشبع واحد خير من أن يجوع اثنان فألقى إليه الآخر فلما أوى إلى فراشه أتي فقيل له سل فقال
أسأل المغفرة قال قد فعل ذلك بك فسل فقال إني أسأل أن يغاث الناس أبو حاتم الأصم عن الأصمعي
قال سئل أقرى أهل اليمامة للضيف كيف ضبطتم القرى قال إنا لا نتكلف ما ليس عندنا وقال بعض
النساك قد دعاني أن أنزل على رجل يعلم أني لست آكل من رزقه شيئا وكان بعضهم يقول لا آكل إلا
عند رجل يرى أنك أكلت رزقك أي لا يشهد نفسه في رزق الله عز وجل ولا يرى فعله في إطعام الله تعالى
وكان آخر ينشد

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

وأنشد بعض الكرام من العرب

لحافي لحاف الضيف والبرد برده ولم يلهني عنه الغزال المقنع
أحادثه إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

وكذلك يقال إطلاق الوجه للضيف والضحك إليه أفضل من القرى ومحادثته بحسن إقباله نصف
القرى وعلى معنى هذا تأولوا قوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه أي عند الطلقاء المتبسمين
لا عند المتقبضين المعبوسين الذين قيل فيهم

ذهب الناس واستقلوا وساروا وبقينا في أرذل النسناس
من أناس نرى بهم الناس ناسا وإذا فتشوا فليسوا بناس
وإذا جئت أبتغي الفضل منهم ابتدروني عند البواس بياس
ودّثوا لي حتى تمنيت أني مفلت عند ذاك راسا براس

ولا كمن قال



وإني لأجفو الضيف من غير عسرة مخافة أن يغرى بنا فيعود

أخبرني عبد الوهاب الأصفهاني عن
أبي بكر القرشي قال حدثنا داود بن رشيد قال حدثنا أبو المليح الرقي قال قال ميمون بن مهران إذا نزل بك
ضيف فلا تتكلف له ما لا تطيق وأطعمه من طعام أهلك والقه بوجه طلق فإنك إن تكلفت ما لا تطيق
أوشك أن تلقاه بوجه يكرهه وقد كان الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه
فيتكلف له فيحتشمه أن يعود إليه ثانيا ومن إكرام الضيف تعجيل الطعام له وتقديم ما حضر إليه ولا ينتظر
به الغائب وأدخل وأفضل ما يكرمه به اللحم وخير اللحم السمين النضيج فإنه إذا جمع السمن والنضج تمت النعمة
به فإن كان بعد اللحم حلاوة فقد جمع له الطيبات وينتظم هذه المعاني التي ذكرناها قوله عز وجل هل أتاك
حديث ضيف إبراهيم المكرمين قيل في وصفهم بالإكرام ثلاثة أقوال أحدها أنه خدمهم بنفسه والثاني أخدمهم أهله
وكانت فوق رؤوسهم بحمل الطعام إليهم والثالث أنه أكرمهم بتعجيل الطعام إليهم من غير تربص كما قال تعالى
فما لبث أن جاء بعجل حنيذ أي ما احتبس ولا تأخر ولا تباعد والحنيذ النضيج وقال تعالى فراغ إلى أهله
فجاء بعجل سمين الروغان الذهاب بسرعة وقيل الذهاب في خفية ويقال جاء بفخذ من لحم فسمي عجلا
لأنه عجله ولم يلبث به ثم وصفه بأنه سمين نضيج يقال حنيذ ومحنوذ أيضا إذا كان نضيجا وأحسنه
ما يشوى في الحجارة المحماة على سنة العرب وقال سبحانه في وصف الطيبات وأنزلنا عليكم المن والسلوى
المن العسل والسلوى الطير ويسمى اللحم سلوى من جهة المعنى أنه يسلى به عن جميع الإدام أي فيه غنية من
جميعها وليس في كلها مقامه ثم قال تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا يقصر الرجل عن بغيته في
المأكول فيكون بترك الأكل مع حاجته إليه غير محمود ولا مأجور إن لم تكن له نية في تركه أو لسبب أوجب
عليه ذلك وقال جعفر الصادق أحب إخواني إلي أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة وأثقلهم علي من
يحوجني إلى تعاهده في الأكل وقال أيضا تتبين محبة الرجل لأخيه بجودة أكله في منزله وقال آخر

يحسن انس الرجل باخيه بجودة اكله عنده فان قلل الاكل مع الفقرا ايثارا لهم او لقلة الطعام فحسن
روينا ان سفيان الثوري دعا ابرهيم بن ادهم واصحابه الى الطعام فقصروا في الاكل فلما رفع الطعام
قال له الثوري انك قصرت في الاكل فقال ابرهيم لانك قصرت في الطعام فقصرنا في الاكل قال ودعا
ابرهيم الثوري واصحابه رضي الله عنهم على طعام فاكثر منه فقال له سفيان يا ابا اسحق اما تخاف ان يكون
هذا سرفا فقال ابرهيم رضي الله عنه ليس في الطعام سرف قلت ذلك اذا قدم الى الاخوان فاطعم في الله
عز وجل فاما ان قدم مباهاة ومفاخرة دخله السرف وقد كان عبد الله بن العباس احد الاجواد على الطعام
كان ينحر في كل يوم جزورين اخبرني بذلك المقبري عن ابن ابي الدنيا قال حدثني محمد بن صالح القرشي قال
حدثنا ابو اليقظان قال حدثني جويرية بن اسماء ان عبد الله بن عباس كان ينحر جزورا فقال له عبد الله تنحر
في كل يوم جزورا فقال اكثر ذلك يا اخي والله لانحرن كل يوم جزورين فهذا كما قال
فما زادني الواشون الا صبابة ولا كثرة الناهين الا تماديا وكما قال الآخر
اغراه عذلكما بما يهواه فكانما عذراه اذ عذلاه فلم يعد ذلك سرفا لانه كان يطعم اخوانه في الله
عز وجل ومن علامة السخي انه لا يملك نفسه عند العطاء وان من عذله في العطاء او نهاه فكانما اشاطه
واغراه وقد كانت عايشة رضي الله عنها لا تملك نفسها في العطاء وكانت احدى الاسخياء قسمت في مجلس
واحد مائة الف قبل ان تقوم وفرقت مرة سبعين الفا وان درعها لمرقوع وافطرت ليلتها على خل وزيت
واهدى اليها معاوية رضي الله عنها وعنه جوهرا قوم مائة الف فقسمته في صواحبها من ازواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى قال ابن الزبير اريد ان احجر عليها وهذا كان سبب غضبها عليه فحلفت ان لا تكلمه
فدخل عليها في جماعة فسلم عليها فردت عليه مرحجة ذلك فاعتقت اربعين رقبة لذلك قال يحيى على
الطعام لا تميز في الطعام ولا تفرق بين مراتب الايام فهذه خلائق الكرام كما حدثت عن عمارة بن يحيى
قال سالت ابن مهدي يجي الرجل يسلم على القوم وهم ياكلون وهو صاحب هوى او فاسق ايدعونه الى
طعامهم قال نعم يتقي احدكم دناءة الاخلاق كما يتقي الحرام وحدثت عن بشر بن منصور قال
عبد الرحمن بن مهدي ما رايت مثله قط قال اني لادعو الى طعامي من لو نبذته الى الكلب كان احب الي من
ان اطعمه وحدثت عن سهل بن محمد عن الاصمعي قال حدثني شيخ من بني العجيف عن ابي داود بن ابي بسر
قال قال بلال بن ابي بردة تحضر طعام هذا الرجل يعني ابن عبد الاعلى بن عامر فقلت ايها والله قال
حدثني عنه فقلت ناتيه فان سكتنا احسن الحديث وان تحدثنا احسن الاستماع فاذا حضر الغدا
جا خبازه فمثل بين يديه فيقول ما عندك فيقول عندي بطة كذي ودجاجة كذي وعندي لوز كذا

يعد الوانه فقال وما تريد الى ذلك قلت لكي يحبس كل انسان نفسه لما يشتهي فاذا وضع الخوان
حواه الظليم فما له الا موضع متكايه فيجد القوم ويهزل حتى اذا رآهم قد فتروا وكلوا اكل اكل
الجائع المعرور حتى يستطعم باكله انشد الاصمعي حياك ربك واصطبحت عصيدة
وادامها زبد فدبل وادف دبل اي خزها دبلة دبلة اي قطعة قطعة والعصيدة عند العرب
من الدقيق وهي الحبوا عند العجم حدثت عن ابي حاتم عن الاصمعي قال كان لابرهيم بن صالح حام من
جبنان مد فوق يسف منه من كل لون ملعقة حتى يعرف اختلاف الالوان ومن اكل حلالا فليقل
عند فراغه الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبرحمته تنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا واستعملنا
صالحا وليكثر شكر الله عز وجل على ذلك فان اكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله
قوة لنا على معصيتك ولا تبلنا بكفر نعمتك وليكثر الحزن والاستغفار وهذا بمعنى ما رويناه في خبر
مجمل اذا راى احدكم ما يحب فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات واذا راى ما يكره فليقل الحمد لله
على كل حال ورويناه في خبر اذا دعي احدكم الى طعام فلم يجب فلا يقل كل هنيا فلعله يكون اخذه
من غير حله ولكن ليقل اطعمك الله طيبا وليقل اذا كان لبنا اللهم بارك لنا فيما رزقتنا
وزدنا منه وان كان غيره فليقل اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه كذلك رويناه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لان اللبن اعم نفعا من غيره لكافة المسلمين وليقل في اول لقمة بسم الله وفي الثانية
بسم الله الرحمن وفي الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم فهذا على ترتيب التنزيل وهو من اول ما كتب في المصاحف
كذلك مرتبا وان كان صايما فليقل اللهم لوجهك صمنا ان شا الله وعلى رزقك افطرنا والحمد لله روي
عن ابن عمر رحمه الله نحوه وليشرب الكوز في ثلثة انفاس يقطعه يختتم بذلك دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد امره به من قوله صلى الله عليه وسلم اذا شربتم فاشربوا في ثلثة انفاس ولا تعبوه عبا فانه اهنا وامرا
وابرا والعب في نفس واحد لا يقطع كشرب الطير من الحمام ولا ينفخ في الكوز اذا اراد ان يشرب ولا في
الطعام اذا اراد ان ياكل فانه قد نهي عن ذلك ولا يشرب من كسر الانا فانه مجمع الوسخ والا عند
العروة فانها مقعد الشيطان وقد كره الشرب قايما ويسمي في اول جرعة ويحمد اذا قطع كذلك
ثلاثا من التسمية والحمد وان سمى في كل لقمة فحسن وليقرا بعد فراغه من الاكل قل هو الله احد
لان فيها الصمد الذي يطعم ولا يطعم وسورة الضحى لان فيها تعديد النعم وسورة لايلاف قريش
اذ ذكر فيها الاطعام من جوع ثم ليحمد بمعاني ما فيهما من الانعام فيقول اطعمت من جوع فلك الحمد
وآمنت من خوف فلك الشكر اويت من يتم فلك الحمد هديت من ضلالة فلك الشكر اغنيت من عيلة

فلك الحمد وإن ذكره بلفظ التحميد فلا بأس أن يقول الحمد لله الذي أطعم من جوع الحمد لله الذي هدى
من الضلالة ثم كذلك وتقديم الفاكهة قبل الطعام أوفق وفي القرآن ترتيب ذلك من قوله وفاكهة
مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ولا يرفع يده قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون أو يحتاجون
إلى بسط فإن كان قليل الأكل تربص حتى يضعوا أيديهم فيأكلوا صدرًا من الطعام ثم يقعد بعدهم
ليستوي أكله مع أكلهم فإن كانوا علماء لم يكرهوا ذلك منه وقد فعله كثير من الصحابة منهم أبو ذر
وأبو هريرة كانوا يأكلون مع إخوانهم إذا توسطوا الأكل ولا يتكلف لإخوانه من المأكول ما يثقل عليه ثمنه أو يأخذه
بدين أو يكسبه بمشقة أو من شبهة قال بعض البصريين أتينا سميرًا أبا عاصم فقرعنا بابه فخرج إلينا
وهو يلعق أصابعه وقال لولا أني أخذته بدين لأحببت أن تنالوا منه ولا يدخر على إخوانه شيئًا
مما يحضره ولا يتكلف غائبًا بمشقة ولا يضر بعياله روينا أن رجلًا دعا عليًّا عليه السلام إلى منزله فقال
أجيبك على شروط ثلاث لا تدخل علي ما ليس عندك ولا تدخر عنا ما عندك ولا تجحف بالعيال وكان يقول
شر الإخوان من تكلف له وزار بعض الأدباء أخاه فقدم إليه الغداء ثم قال هذه تكرمة الزيارة ولم
يستعد فلعل تقصيرًا يقع فيما أحب بلوغه من برك فقال أخوه حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلف
لي وقد كان من سيرة السلف إذا دعا أحدهم أخاه أن يقدم جميع ما يحضره ويخرج من كل شيء عنده شيئًا
مما يحب أن يطعمه ليأكل مما يشتهي ما يحب وكان بعض الرؤساء من الأجواد إذا دعا الناس إلى طعامه
أعلمهم بما عنده ليستبقي الرجل نفسه لما يشتهي من الألوان أو لئلا ينتظر شيئًا لم يحضره كان
يتركهم حتى يأكلوا فإذا وقفوا جثى على ركبتيه ومد يده إلى الطعام فأكل وقال لهم بسم الله ساعدوني
بارك الله عليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه وليس من السنة أن يقصد الرجل قومًا يتحين
حضور طعامهم ليصادفه فإن ذلك من المفاجاة وقد نهي عنه وقد قال سبحانه لا تدخلوا بيوت النبي
إلى قوله تعالى غير ناظرين إناه يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر من مشى إلى طعام لم يدع إليه
مشى فاسقًا وأكل حرامًا ورواه أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن دخل
على غير دعوة دخل سارقًا وخرج مغيرًا ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله فشدد في الأمرين
جميعًا على من دعي فلم يجب لأن فيه طرفًا من الاستهانة وعلى من جاء من غير أن يدعى لأن فيه حرصًا وطمعًا
ولكن إن صادفهم يأكلون فسألوه أن يأكل وعلم أنهم يحبون أكله معهم فلا بأس وليس ذلك داخلًا في
المفاجاة إذا لم يعلم حضور الطعام فإن سألوه أن يأكل وعلم أنهم لا يحبون ذلك وأن الأحب إليهم أن لا يفعل
وإنما عرضوا عليه عرضًا أو سألوه تعذيرًا أو حياء كره له الأكل وإن أظهروا القول وكذلك كان

وقيس بن صعصعة يقول لمن عرض عليه الطعام إن أقسمت علي وإلا لم آكل كأنه يرى إبرار القسم
واجبًا فيستجيز به الأكل ويزيل به الشك للأثر فيه حق المسلم على المسلم ست منها أن يبر قسمه
إذا أقسم وفي لفظ آخر وإبرار القسم وفيه يجيبه إذا دعاه فإذا أقسم عليه مع الدعوة فهو أبلغ
وآكد وقد وجبت الإجابة وحدثت عن المروزي قال سألنا أبا عبد الله رضي الله عنه عن طعام المفاجاة
فقال فيه عن إبراهيم كراهية قال أبو عبد الله هو الرجل ينتظر القوم حتى يوضع طعامهم ثم يجيء قال
المروزي قلت لأبي عبد الله الرجل يكون قاعدًا يأكل فيدعو الرجل إلى طعامه وليس من نيته الذي
دعاه أن يأكل معه فقال هذا رجل لا يشتهي أن يؤكل منه وعجب قلت فالرجل يدعى إلى وليمة أو يدعوه
الرجل للطعام فيدخل إلى البيت فيه مائدة ترى له أن يأكل وربما جيء بالألوان لا توضع على المائدة
يخص بها ولا يؤبه به فعجب فقال إذا دعاه أن يأكل كأنه توسع عليه إذا دعي للطعام أن يأكل من غير أن
يقول له صاحب المنزل كل هذا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في المدعو إذا جاء مع الرسول أن ذلك
له إذن وليس عليه أن يستأذن لدخوله سعيد عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال إذا دعي أحدكم فجاء مع الرسول فإن ذلك له إذن ورواه غيره مطلقًا من غير أن يقيده بمجيئه
معه فقال فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الرجل إلى الرجل إذنه والعلماء مختلفون
في المدعو إذا أجاب هل عليه أن يطعم أو تكفيه الإجابة حسب فمنهم من قال عليه أن يجيب أخاه المسلم
إذا دعاه لما فيه من الأمر وقضاء الحق وليس عليه أن يأكل ومنهم من قال إنما البغية من الدعوة الطعمة
والمقصود في الإجابة المطعوم الذي لأجله كانت الدعوة ووقعت الإجابة وإلا فلا فائدة للإجابة
إذا لم يصادف قصد البغية من الدعوة وهذا قول وأما ابن عمر فكان إذا دعي أجاب لأجل السنة
ولا يأكل إذا كان صائمًا وحدثت عن عبد الواحد بن زيد قال حدثني ليث عن مجاهد أن ابن عمر كان
إذا دعي إلى الطعام وهو صائم يجيب وكان يهيئ اللقمة بيده ثم يقول كلوا بسم الله فإني صائم وقد
جاء في خبر علي رضي الله عنه نحو ذلك إذا دعي أحدكم إلى الطعام فليجب فإن كان مفطرًا فليأكل وإن كان
صائمًا فليصل يعني يدعو ومن كان جائعًا فقصد بعض إخوانه ليطعمه بعد أن لا يتحين وقت أكله
فلا بأس بذلك فإن المسلم يستحق على أخيه سد جوعته وستر عورته بحق الإسلام وكرمة الأخوة في
الدين فليكن له في ذلك نية بأن يستخرج من مال أخيه لأخيه ليأجره الله عز وجل فيه وليعلمه ما لم
يعلم لأن أخاه لو علم أنه أتاه قاصدًا إليه لسارع إلى إطعامه فرضًا وفضلًا فيكون يقيم نفسه مقام غيره
في أن يستطعم للغير فيؤجر على إطعامه نفسه ويثاب على إدخال الثواب على أخيه كما يؤجر على الدلالة

على الخير في غيره من المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم في عموم الخبر الدال على الخير كفاعله والقول في خصوصه
ما صدقة أفضل من أن يأمر الرجل بصدقة في ذوي رحمه لصدقة وصلة فيحسب ذلك له من نفسه وأهله
كفعله في غيره وقد قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من جوع
أصابهم أبا الهيثم بن التيهان وأبا أيوب الأنصاري فقدم إليهم عناقا فطبخ منها وشوى منها ولم يكن ذلك
ثم عزل قطعة من لحم بين رغيفين فأرسل بها صلى الله عليه وسلم إلى المنزل فاطمة عليها السلام فهذا أثر في الإذن
لمن أراد أن يحتج لسنة وقد كان قوم من أهل البسط والأنس يدعون نفوسهم إلى إخوانهم ويهدونها
إلى أحبائهم وألافهم من غير أن يدعوا ويحتجون لذلك ويعتذرون لإخوانهم في ترك دعائهم كما أنشدت
لمن فعل ذلك من الأدباء   نحن قوم متى دعينا أجبنا ومتى ننس يدعنا التطفيل
وثقيل إذا دعينا فعنا أو أتانا فلم يجبنا الرسول   وقال الآخر الداعي نفسه   ولا يجيب الرسول صح
دعوت نفسي حين لم تدعني فالحمد لي لا لك في الدعوة   وقلت ذا أحسن من موعد أخلفه يدعو إلى الجفوة
ولكن هذا لا يستعمل إلا مع أهله ولا يصلح ولا يليق إلا بالكرام إلى الفضل من شكله وفصل الخطاب
لأولي الألباب في هذا الباب أن الخبر ليس كالمعاينة فمن رأيت وعاينت أن هذا الفن يحسن عنده ويحمد
معه ويليق به وهو من نمطه فاعمل بذلك ومن لم يليق به فأمسك عنه فإنه لا ينبسط به ولا يحسن معه
لأن الشيء لا يطيب إلا مع أهله كما لا يحسن إلا بأهله بعد أن ترى شاهدا منه منفصلا وتجد شاهدا منك
متصلا يتلوه فاحكم حينئذ بعقد حلك إذا أقام شاهدان كما قلنا في نحوه شعر
فقلت أشهد وأشهد أن حكما سيظهر حين يشهد شاهدان   ومن السنة أن يخرج الرجل مع
ضيفه إلى باب الدار إذا انصرف كما رويناه فيما قبل وليس من السنة أن يخرج الرجل الضيف من المنزل
من غير إذن صاحب الدار ولا أن يقيم في الضيافة فوق ثلاث حتى يخرجه أو يتبرم به فيقوم فيه فيأثمان
معا وقد تقدم الأثر فيه وقال بعضهم إذا قصدت فقدم ما حضر وإذا دعوت فلا تبق ولا تذر
وفي الحديث دخلنا على جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن
التكلف لتكلفنا لكم   وفي حديث يونس النبي صلى الله عليه وسلم أن إخوانا له زاروه فقدم لهم كسرا من
شعير وجز لهم بقلا من مزرعته ثم قال كلوا لولا أن الله عز وجل لعن المتكلفين لتكلفت لكم والملعونون
من المتكلفين المستصنعون للخلق المتزينون بالرياء والسمعة للتكاثر والتفاخر لا للقربة إلى الله تعالى
ولا طلب ما عنده من الباقيات الصالحات ورويناه عن أنس وغيره من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقدمون
إلى إخوانهم ما حضر من الكسر اليابسة والحشف من التمر ويقولون لا ندري أيهم أعظم وزرا الذي يحتقر

ما يقدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه وكذلك جاء في الخبر بلفظه   وقد روينا أن أنس بن مالك وغيره
كانوا يقربون ما حضر ويقولون إن الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق وفي خبر أنس رضي الله عنه
هو من أخلاق أهل الجنة   وفي الخبر أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يجتمعون على قراءة القرآن والذكر
ولا يتفرقون إلا عن ذواق وأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجتمعون في منزل بعضهم فإذا حضرت الصلاة
قدموا أحدهم يصلي بهم ولا يخرجون إلى المسجد فهذا من أخلاق السلف ولا ينبغي للمدعو أن يقترح على
الداعي شيئا بعينه فيشق عليه فليس من أخلاق الصالحين إدخال مشقة في دنيا ولا دين وهو أيضا خارج
من القناعة وداخل في الضراعة فإن خيره أخوه بين طعامين فليختر أقربهما منه وأيسرهما عليه كذلك
السنة كما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما   فإن كان أخوه
من أهل الأنس والكرم وعلم أن اقتراحه عليه مما يحبه فلا بأس بذلك فعله الشافعي رضي الله عنه ببغداد مع الزعفراني
كان نازلا عليه في درب الزعفراني وكانا يخرجان يوم الجمعة إلى الصلاة وكان الزعفراني يكتب في رقعة
للجارية ما تصلح من الألوان فدعا يوما الشافعي رضي الله عنه الجارية فنظر في الرقعة ثم زاد لونا
اشتهاه ألحقه بخطه فلما جاء الزعفراني وقدمت الجارية ذلك اللون أنكره إذ لم يأمرها به فسألها
عنه فأخبرته بأن الشافعي رضي الله عنه زاده في الرقعة فقال أريني بها فلما نظر إليها وخط الشافعي
ملحقا في الرقعة بذلك اللون سره ذلك فقال أنت حرة فأعتقها فرحا منه وإليه ينسب درب الزعفراني
بباب الشعير   فإن شهاه أخوه وسأله فلا بأس أن يذكر له شهوته فيعينه على فضيلتها فقد روينا
في فضل ذلك غير خبر منها من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله عز وجل
ورويناه عن أبي الزبير عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله عز وجل له
ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله عز وجل من ثلاث جنان
جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد   والخلال بعد الأكل أدب حسن فلا بأس عنه وهو ما بين الملأ غير
أدب إلا أن يعتزل ناحية   وفي الخبر ما من شيء أبغض إلى الملائكة عليهم السلام من أن ترى بين أسنان
العبد شيئا من الطعام   وما عطر الإنسان من بينهما بلسانه فليزدرده وما دله بالخلال فليلفظه
ولا يشرب الماء بعد أن يتخلل حتى يتمضمض بخرقة ذلك عن أهل البيت رضي الله عنهم   ولا بأس بغسل
اليد في طست ولكن يجتمعون عليه حتى يملوه   وليس من الأدب التنخم فيه إذا غسل يده في جماعة
فإن كان منفردا فلا بأس   ويكره أن يشل الطست من غسل يد واحد بعد واحد هو من فعل الجبابرة
كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله فيما يكتب من أوامره ونصائحه للمسلمين فكتب إلى أمراء الأجناد

مروا أن الناس يجتمعوا في غسل أيديهم على طست واحد ولا يرفع الطست إلا مملوءة ولا تتشبهوا بالعجم
روينا أن أنس بن مالك اجتمع هو وثابت البناني على طعام فقدمت الطست إلى ثابت ليغسل يده فامتنع
فقال له أنس رضي الله عنهما إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها فإنه إنما يكرم الله تعالى وقد روينا
عن ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحدة ولا تتشبهوا بسنة الأعاجم ومن رفع الطست
بعد أن يفرغ الجماعة منه ودفع فلا بأس بذلك ولا يقومن الخادم الذي يغسل أيديهم قائماً بل يجلس فإنه من
التواضع وقيامه أو قيام الخدم على الطعام والناس يأكلون مكروه وهو من سنن الأكاسرة روينا
أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فأكل معه فلما فرغ صب الرشيد رحمه الله على يده في الطست
فلما رفعت قال له يا أبا معاوية تدري من صب على يدك قال لا قال أمير المؤمنين فقال إنما أكرمت العلم
وأجللته فأجلك الله عز وجل كما أجللت العلم وليقل عند طعامه الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا
وآوانا سيدنا ومولانا كافي من كل شيء ولا يكفي منه شيء كن كافينا من كل شيء حتى لا نبغي سواك شيئاً أحمد
لله حمداً كثيراً دائماً طيباً نافعاً مباركاً فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم أطعمنا طيباً واستعملنا صالحاً
اجعله عوناً لنا على طاعتك ونعوذ بك أن نستعين به على معاصيك وفي الأكل مع الإخوان فضائل جمة
يكثر تعديدها وروي عن الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها إلا
نفقته على إخوانه في الطعام فإن الله تعالى يستحيي أن يسأله عن ذلك وعن بعض العلماء لا يحاسب
العبد على ما يأكله مع إخوانه وكان بعضهم يكثر من الأكل في الجماعة لأجل هذا ويروى أن الإخوان إذا رفعوا
أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك الطعام وفي الخبر ثلاث لا يحاسب عليها العبد أكلة السحر
وما أفطر عليه والأكل مع الإخوان وروي عن جعفر بن محمد عليهما السلام إذا قعدتم مع الإخوان على مائدة
فأطيلوا الجلوس فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال الملائكة
تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع فمن لم تكن له نية في مزيد الأكل مع الجماعة
في الإخوان لأجل هذه الآثار فإن التقلل أحب إلي لما فيه من الزهد وكذلك من لم تكن له نية في تقديم
فضول الأطعمة للخبر في أن من أكله لم يحاسب عليه ولإرادة اتساع الآكلين منه وتوسعة الأجر له بذلك
فإني أكره أن يقدم من الطعام إلا قدر ما يؤكل ومقدار ما يحب صاحبه أن يأكلوه ولا يترك منه شيء
ولا يستثني هو ولا أهل البيت في أنفسهم رجوع شيء منه لأنهم قد أخرجوه لله تعالى فمكروه لهم أن يسترجعوا
منه شيئاً كما إذا أخرج الرجل إلى السائل رغيفاً أو كسرة ثم لم يصادفه مكروه له أن يرد ذلك إلى المنزل
حتى يدفعه إلى سائل آخر وكذلك من جعل درهماً لفقير ثم لم يجده لم يرجع في ذلك ولا يرده إلى ماله بل يخرجه

الغير وكذلك الطعام لأجل الله تعالى والآكلين ما يقدمه إلى الإخوان مما ينوي رجوع بعضه أو لا يحب
أكل كله فيكون ذلك تصنعاً ويدخل في التزين والمباهاة فإن علم بذلك من قدم إليه لم أستحب له
في الورع أن يأكل منه لأن المأكول إذا قدم ليؤكل بعضه فهو تصنع وتزين لا يصنع الورعون ذلك ولا
يأكل المتقون من هذا لأنه لا يدري مقدار ما يحبون أن يأكلوا منه وروينا عن ابن مسعود نهينا
أن نجيب دعوة من يباهي بطعامه وقد كره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة والمباراة وهذا
مكروه لمن يقدمه هذه النية إلى إخوانه لأنه قد عرضهم لتناول ما يكرهون وقد دلس عليهم ما لا يعلمون
وقد جاءت الآثار بنحو ما ذكرناه ما رفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لا خبز
ولا سواه وفي لفظ آخر ما رئيت على طبق النبي عليه السلام إذا رفع فضل طعام قط ذلك بأنهم كانوا مخلصين
ويقدمون قدر ما يأكلون وكان منهم تقلل ومنهم تزهد فكان ذلك كذلك وينبغي أن يعزل أنصبة
أهل البيت قبل تقديم الطعام إلى إخوانه لئلا يحدثوا أنفسهم بارتجاع شيء منه فإنه مكروه لهم ولعله
أن لا يرجع منه شيء فيكون ذلك إحراجاً من الآكلين ومنقصة لهم في قلوبهم وهذا أشد عليهم من إكرامهم بالطعام
أو يكون ذلك مضراً بالأهل فيصير مضيعاً للأصل إلا أن يكون حال أهله في العلم واليقين كحاله فيؤثرون
أضيافهم وإخوانه على نصيبهم من الطعام فهذه طريقة السلف في أخلاق الكرام ولا ينبغي له أن يقدم
من كل شيء إلا ما يحب أن يأكلوه أيضاً أو مقدار الحاجة والكفاية من المأكول ليكون عاملاً إما في فضله
بالزيادة أو بالواجب في تقديم الحاجة مما لا يرد منه فضل وهذا داخل في معنى الخبر الوارد ما رفع من بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لأنهم كانوا يقدمون كفايتهم من الطعام فلم يكونوا
يأكلون إلا بعد جوعهم ولا يتركون الأكل وفي نفوسهم منه شيء للاقتصاد الذي كان فيهم وفيما ذكرناه
من تقديم الكفاية لئلا ترد فضول الأطعمة موافقة السنة وفي تقديم المأكول الكثير ليرجع أكثره نية
حسنة لما جاء فيه أن من أكل ما فضل من الإخوان لم يحاسب عليه ومن كان في جماعة فلا بأس بتعجيل
الطعام فلعل فيهم من يختلج إلى تقديمه إلا أن يتفقوا على تأخيره فلا بأس حينئذ بتقديمه لأجل نفسه
وإذا حضر الطعام والصلاة فإن كانت نفوسهم تتوق إليه وفي الوقت سعة قدموا الأكل وإن كانت نفوسهم
ساكنة أو ضاق الوقت وخشوا أن يتطاول بهم الأكل صلوا قبل الطعام واستحب الأكل على الأرض
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتي بطعام وضعه على الأرض وكان يأكل مقعياً على قدميه ويقول
لا آكل متكئاً إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وربما جثا للأكل على ركبتيه
وجلس على ظهر قدمه اليسرى ونصب رجله اليمنى وهي جلسة العرب للأكل إلى اليوم وإن أكلوا على السفر

فهو سنة ويتذكر به السفر ويتزود لسفره وخير زاده تقواه وخير تقوله توحيده وطاعته مولاه
ويكره الأكل على الموائد العالية لأنهم كانوا يكرهون أن يعلوا الطعام على الأيدي ويستحبون أن تحط
الأيدي إليه والموائد محدثة وهي من صنائع الفرس قال أنس بن مالك ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان
ولا على سكرجة قط قيل فعلى ما كنتم تأكلون قال على السفر وكانوا يحفرون في البطحاء تحت السفر لتكون
كالجفنة وتقوم ذلك مقام السكرجة للخل ونحوه وقيل أول ما أحدثت هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم
أربع الموائد والمناخل والأشنان والشبع قال ابن عمر لم نكن نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت مناديلنا بواطن أرجلنا كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها قال وكنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأكلون الشوى في المسجد فإذا أقيمت الصلاة أدخلوا أيديهم في التراب والحصباء ففركوها ثم كبروا قبل
وكانوا ينامون في المسجد بعد العشاء فتدخل الكلاب فتلحس أيديهم فلذلك أمروا بغسلها إذا استيقظوا
واحتج بنحو هذا مالك رحمه الله في طهارة لعاب الكلب قال وإجابة الدعوة سنة وتركها معصية
وأوكدها الوليمة وهو من حق المسلم على المسلم وإبرار القسم فيها واجب بأخبار رويناها عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ذلك وهي طريق إلى الله سبحانه حسن وكانت من سيرة السلف الصالح وهي مقام لطائفة
من المؤمنين أعني إجابة الدعوة والإجابة إليها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعي أحدكم فليجب
فإن كان مفطرا فليطعم وإن كان صائما فليصل وكان ابن عمر لا يتخلف عن إجابة الدعوة فإن صادف
فطره أكل وإن وافق صومه دعا لهم وبرك عليهم ثم انصرف ودعا رجل من الصحابة أخا له فلم يطعم
وقال إني صائم فأخبر الداعي رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمدعو دعاك أخوك
وتكلف لك طعاما فلم تأكل فقال يا رسول الله إني كنت صائما قال فألا أفطرت وصمت يوما مكانه
فمن دعي إلى طعام وهو صائم فليجب وله أن يفطر وأن يقعد معهم فإن كان الطعام صنع لأجله فالأفضل
له أن يأكل ففي هذا سنة فإن سألوه أن يأكل وعلم أن فطره يسرهم ففطره أفضل لأن صومه لنفسه
وفطره لإخوانه فقد آثرهم على نفسه وهذا داخل في معنى الخبر أن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة
الصائم القائم لأنه قد حسن خلقه بتخلقه معهم في غير معصية فإن كان يشهد فضله في صومه
على أحد منهم فصومه ذلك معصية فإن وجد في قلبه نكتا وعتبا عليه نحو أحد من جملة الجماعة فإن
هذا فيكون حجة له وتوبيخا له وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعة بركة وقال بعض السلف
كدر الجماعة خير من صفو الفرقة ولو كان ممن يصوم الدهر كان فطره أحب إلي ليستر صومه
بفطره ويخفي سريرته في صومه لئلا يفطر له فهو إذا أدنى إلى الإخلاص وأبعد من التزين والانتقاص

وهذا طريق الصادقين وقد كان أبو سليمان الداراني يقول في معناه إذا كنت تاركا لشهوة فأتيت بها
في الجماعة فلا تترك أكلها ترى الجماعة أنك تارك لها ولكن تناول منها اليسير ولا تعط نفسك منها شهوتها
بالاستكثار فهذا له فيه عملان أحدهما إسقاط شهوة نفسه بالزهد عندهم بتناول شهوته والثاني
منعه النفس مهنأها بالمبالغة في شهوتها لأن منعه النفس أن ينظر الناس إليه بعين الزهد
أمنع للعقل من تناول الأكلة ولأن النفس قد تسترق على العبد بلوغ شهوتها بالتوصل إلى الذي هي
بعلة الإخلاص وبترك المراياة فيتناول شهوتها في سر وهذا من الشهوة الخفية فإذا فعل ما قاله أبو سليمان
فقد علا الناس جميعا على نفسه بأن أسقط زهده عند الناس بالتناول ولم يعط نفسه بغيتها من
التمتع بشهوتها وهذا طريق الحذاق ولا يصبر عليه إلا الصادق روينا عن أبي إسحق الفزاري قال زارني
الثوري رحمه الله فتحدثنا ثم قمت إلى المرأة فقلت أصلحي لنا عصيدة قال فقدمتها إليه في قصعة
وقلت كل يا أبا عبد الله فقال لولا أني صائم لأحببت أن آكل معك فقلت اسمع حتى أحدثك عن أخيك
إبرهيم بن أدهم زارني يوما وقعد في موضعك هذا فقمت إلى المرأة فأمرتها أن تصنع لنا مثل هذا
ثم قدمته إليه وقلت له كل يا أبا إسحق فأكل فلما أراد أن يخرج قال لي أما إني كنت صائما ولكني
أفطرت لأجلك قال فوضع سفيان يده فأكل تأدبا بإبرهيم رضي الله عنهما وكذلك لعمري أن حسن
من أفطر لأجل الله عز وجل كفضل من صام لله تعالى فمن علم أن إفطاره يسر إخوانه وأن صومه
بترك الأكل معهم يغمهم ففطره أفضل لإدخال السرور على مسلم ودفع الغم عنه وأن فيه إدخال الغم
على أخيه وقد نهي عن ذلك ومن لم يحزن على علم من فرح أخيه ولا يقين من دخول غم عليه فإتمامه
لصومه أحب إلي لئلا يخرج من عقد عقده لله تعالى بغير نية في الله تعالى إلا أن يقسم عليه
في الأكل فالسنة حينئذ إبرار القسم وترك إحناث المقسم للأخبار في ذلك أنها من واجب حق المسلم
فإن اتفق داعيان أجبت السابق منهما فإن كانا معا في وقت واحد أجبت أقربهما منك بابا ففي معناه
أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإيثار بالهدية من قول عائشة رضي الله عنها يا رسول الله
لي جاران فإلى أيهما أهدي فقال إلى أقربهما منك بابا وكما قيل في المسجدين يكونان في المحلة
أن الصلاة في الأقرب أولى فإن كان الداعيان في القرب سواء أجبت أفضلهما في نفسك وأقدمهما صحبة
لك وأفضل الناس في الإجابة من جاء قبل الناس ولم يحوج إلى رسول ثان أو إلى معاودة بقول
وأثقلهم من انتظر إلى آخر وقت وأحوج إلى إعادة رسول وتكرار قول أو أخلف موعدا ومن
أراد أن يدعو أخاه فليس له أن يجيء في وقت بعينه في نهار أو ليل وليراع أخوه ذلك الوقت الذي

واعز منه ولا يخلفه ولا يحوج اخاه الى ان يتبطأ منه ولا تكرر رسول اليه فليس ذلك من الادب وقد كان
بعض السلف اذا احب ان يدعو اخاه اعلمه قبل ذلك لئلا يستوفي اكله المعتاد فينقص عنده
فيغمه ذلك او خشية ان يزيد على اكله المعهود فيضر به ذلك ولانهم كانوا ياكلون الوجبة والغبوق
وهي الاكلة في كل يوم مرة ولا ياكلون في اليوم مرتين وكان بعض الخلف الصالح اذا دعي عشية الى الطعام
قال لا اجيب الا اعلمتني من اول النهار وقال بعضهم لاخيه اذا اردت ان تدعوني يوما فاعلمني من الامس
وروينا عن علي عليه السلام انه دعي الى هريسة صلاة الغداة فقال الا اعلمتني من الليل فافرح
فهذا فرح الطبع بالطعام الذي هو قوامه كقوله صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان فرحة عند افطاره
وفرحة عند لقاء ربه وكقوله تعالى في سكون النفس الى وصف الجنس وجعل منها زوجها ليسكن اليها
وليس هذا سكون القلب للمؤمن لانه يسكن الى مقلبه الذي يطمئن به ولا ذاك فرح الايمان بالمؤمن الذي
آمن به لانه يفرح بوصف موصوفه كقوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فتدبروا يا اولي
الابصار واعتبروا يا اهل البصائر والفطن واستحب لمن اراد ان يدعو عشية ان يعلمه غدوة وان
دعاه للغداء يتقدم اليه من الليل كذلك كان السلف يفعلون لانهم كانوا اذا تعشوا لم يتغدوا واذا
تغدوا لم يتعشوا على نحو ما ذكرناه فمن دعي الى الطعام فلا ياكل قبل مضيه شيئا لمعان منها ان يستوفي
اكله مع اخوانه والثاني ان لا يتصنع في التقلل عندهم والثالث ان لا يغتلي من الطعام الا ان يكون كثير
الاكل فيخاف ان يجاوز في اكله جملة الآكلين او يكون قد طوى يوما او يومين فلياكل حينئذ قبل
ان يجيب شيئا ليستوي اكله معهم لكثرة اكله او طول جوعه او يكون القوم فقراء فينوي ايثارهم
بالماكول ويكسر عنه كلب الجوع قبل مواكلة الجماعة فاما ان لم يكن على احد هذه المعاني واكل وحده
قبل ذهابه فانه تصنع وتزين لهم لا يؤجر عليه بل يسال عنه وقد كان بعضهم اذا دعاه قوم اكل
شيئا قبل ذلك فيقول اسكن كلب الجوع الا انهم كانوا فقراء وكان في الشيء قلة وكانوا يؤثرون على انفسهم
وكانت نياتهم على احد تلك المعاني التي ذكرناها ووصف لبعض العلماء رجل من العباد فلم يثن عليه
فقيل له اتعلم به باسا فقال رايته متصنعا في الاكل ومن تصنع في الاكل لم يؤمن عليه التصنع في
العمل وكان ابن المبارك يقدم الى اخوانه فاخر الرطب ويقول من اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما
وكان يعد النوى فيعطي من كان له فضل نوى على صاحبه بعدده دراهم وحدثت ان الحسن وفرقدا
السبخي اجتمعا على مائدة وكان فرقد يتتبع اساقط الطعام ورذاله فياكله وكان الحسن يقصد
اطايبه فسال رجل الحسن فقال يا ابا سعيد رايتك تقصد اطايب الطعام فقال نعم ايها الرجل

انما قدم اليك اخي الطعام لتصيبه فاذا قصدت اجوده فقد بالغت في حاجته وادركت من الثواب
بغيته فكان اجزل لمثوبته واذا قصرت عن ذلك انكسرت حاجة اخيك في قصده وصدره او كما قال
رسمته حفظا لا من كتاب وقد اخبت القاطرة المعروفة قال وسئل فرقد السبخي عن تتبع اراذل الطعام
وسقطه فقال ان لم آكله انا فقد رضيته لاصحابي واخواني فانا اريد ان اتحمله دونهم واوثرهم بجيده
وكل يعمل على شاكلته ولكل امرئ ما نوى فالحسن اراد لاخيه الآخرة وفرقد رحمهما الله اراد لاخوانه
الدنيا والآخرة خير وابقى وقال بعض العلماء اكلتان لا يحاسب العبد عليهما من اكل مع اخوانه
اذا دعاهم الطعامه والرجل ياكل عند اخيه اكراما له بذلك ومن دعي الى الطعام وعنده جماعة او
انسان من حيث يسمعون الداعي ويعلمون الدعوة فليستثن الواحد او الجماعة معه فانه من السنة
والادب الا ان يعلم ان الواحد والجماعة لا يحبون حضور تلك الدعوة فتسقط عنه المسالة لهم فان
فان دعي وحده او مع نفر باعيانهم او اعدادهم فلا يزيد على العدد المرسوم له احدا فان تبعهم واحد ولم يكن
في العدد او احب المدعو المقصود بالدعوة حضور احد فليذكره للداعي قبل دخولهم ليأذن له معهم
كذلك السنة في الحالين معا دعا يهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة رضي الله عنها الى طعامه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه معي فقال اليهودي لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فلا اذا ولم
يجب وكانت اليهود تبغض عائشة رضي الله عنها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعي الى الطعام
يقول انا ومن معي او يقول في كذا من اصحابي وربما بداه الداعي فيقول انت يا رسول الله في خمسة نفر
او ستة كذلك كان من اخلاقهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصاري الذي دعاه انا في خمسة
نفر فقال الرجل نعم قال فذهب اليه النبي صلى الله عليه وسلم في الخمسة كما ذكر فتبعهم رجل لم يكونوا
دعوه فلما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالباب خرج اليه الداعي فقال له انا قد تبعنا رجل
فان اذنت له دخل والا امرته ان يرجع فقال بل قد اذنت له فليدخل فهذا سنة في رد من
لم يدع وذلك الاول سنة في حضور الزوجة مع زوجها في الدعوة ومن دعي في جماعة وفوض اليه
الامر فيهم فليعرف صاحب المنزل عدتهم قبل مجيئهم ليعتد لهم بعد ان يعرف عددهم ومن دعا
رجلا في غير دعوة عامة وعنده قوم او رجل بعينه فليعلمه بمن عنده ليدخل معهم على بصيرة
فلعله ان يكون عنده من يكره هذا المدعو الاجتماع معه او لعله لا يحب مواكلة غيره فان اكل مع الغير
فعلى تكره وتمضض فاحرجه بمواكلته فان لم ياكل فقد ترك البغية من الاجابة لاجل من معه فيكون
قد حمله على ترك سنته او داخله في مشقته وليس اذا اختار رجل مواكلة رجل لمعنى من معانيه

أحب أن يأكل مع غيره لغير معنى فيه إذ المواكلة معاشرة وفيها بعض البذلة وليس كل إنسان
يحب معاشرة الناس والتبذل مع الكل خاصة الرؤساء ومن دعا خصوص إخوانه فدخل عليه داخل
فلا يقعده معهم للأكل ليصرفه أو يفرده عنهم حدثني بعض الأشياخ عن أبي الخير التيناتي
الشيخ الصالح وكان قليل النظير أنه دعاه رجل في طائفة من الصوفية إلى الطعام قال فكنا نأكل
فدخل رجل من العامة فجلس يأكل معنا فوسعنا له فخرج إلينا أبو الخير فرآه يأكل فقبض على يده
وأقامه وقال هذه طائفة لا يأكل معها غيرها ولكن تشته على أي لون شئت من الطبيخ حتى أضعه
لك وأحمله في القدر على رأسي إلى موضعك بدلا من هذا أو كما قال ومن كان يأكل مع رجل من طعامه
فوقف عليه سائل فلا يعطيه من الطعام شيئا إلا بإذنه أو يسأل له صاحب الطعام حتى يكون هو الذي
يعطيه من طعامه ما أحب فإن أعطاه بغير إذن لم يكن له فيه أجر بل يجب عليه الوزر وروينا ذلك
عن أبي الدرداء أن إنسانا كان يأكل معه فأعطى سائلا بغير أمره فقال له أبو الدرداء بئسما صنعت لقد
كنت غنيا أن يكون الأجر لي والوزر عليك ومثل هذا لا يدعو إلى الطعام غيره أحدا بغير إذن صاحبه
ومن دخل عليه داخل وهو يأكل فلا يرفع الطعام فليس ذلك من السنة ولا من فعل أهل المروة وهو خارج
عن الإخلاص ولعل الداخل إلى الطعام قد بعث به إليه اختبارا له وكان الجنيد وابن المبارك
إذا أرادا الغداء أو العشاء فتحا بابهما فمن دخل عرضا عليه الأكل من غني أو فقير وقد كان هذا من
سيرة السلف أنهم يفتحون الباب عند حضور الطعام فمن صادف دخوله أكل معهم ومنهم من كان
ينصب المائدة في دهليز داره ويفتح الباب وكل من مر به في الطريق دعاه إلى الطعام من فقير
أو غيره وكان ابن المبارك ممن يفعل هذا على أنه كان أحد الأجواد كانت مائدته راسية في الأرض
ويمدها بالأطعمة لا تنقطع فكل من دخل أكل بلا تمييز ولا عدد وكذلك كان الليث بن سعد يفعل
بمصر على أنه كان له ضيافة في كل يوم ولم يكن يحدث أحد من الغرباء الوافدين عليه إلى مصر حتى يحضر
ضيافته شهرا وكان مالك بن أنس رحمه الله بالمدينة على ضد هذا الوصف فقدم عليه رجل من أهل مصر
من أصحاب الليث فرام منه عادته من الليث فلم يصادف فعله فحجبه الخادم وقال إن الشيخ يأكل
فاصبر حتى يفرغ فقال له المصري فهذا أجود للدخول عليه إذا كان يأكل فقال اصبر حتى أعلمه فأعلمه
ثم خرج إليه فقال له يقول لك قف حتى فرغ فلما غسل يده ولبس ثيابه وقلنسوته أذن للرجل
فلما رآه قال له لست الليث وليست المدينة مصر وقال بعض التابعين ألا إن خياركم آكلكم
في الأفنية وأوسعكم آنية وأحلاكم أطلية ألا إن شراركم آكلكم في الأخبية وأصغركم آنية

وأحمضكم أطلية وقد عاب الناس على فلان فعله وقوله في هذا الباب وكان أحد البخلاء فنقلوا عنه من
النوادر عنه أنه قال لابنه يا بني هات المائدة وأغلق الباب فقال الغلام يا أبه من الاحتياط أن أغلق الباب
أولا ثم آتي بالمائدة قال فضمه إليه وقال فديتك أنت ابني حقا ومن دعاه رجل إلى طعامه وهو يعلم أن
الأحب إليه أنه لا يأكل فيكره له أن يجيب ولا يعبأ بقوله إذا علم منه خلافه فإن لم يعلم حقيقة ذلك فله
أن يجيبه على ظاهر قوله وليس له أن يسيء الظن به دعا رجل الأحنف بن قيس في سفر إلى طعامه فقال له
الأحنف لعلك من العراضين قال وما العراضون قال الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فسكت الرجل
فلم يجبه الأحنف إلى طعامه وكان الثوري يمشي مع رجل فمر بباب منزله فعرض عليه الرجل الدخول ليأكل
عنده فقال له الثوري اصدقني عن شيء أسألك عنه أيما أحب إليك أدخل أو أنصرف فسكت فانصرف الثوري
فلم يدخل وكان رحمه الله يقول من دعا رجلا إلى طعامه وهو يحب أن لا يجيبه فإن لم يجب كتبت عليه خطيئة
وإن أجاب فأكل كتبت عليه خطيئتان فالمعنى في الخطيئة الأولى أنه أظهر بلسانه خلاف ما في قلبه فتصنع بالكلام
وهذا من السمعة وداخل في محبة أن يحمد بما لم يفعل والمعنى في الخطيئتين أن أجابه أخوه فالخطيئة الثانية
أنه حمل أخاه على ما لم يعلم حقيقته منه وعرضه لما يكره فلم ينصحه فيما أظهر له من نفسه لأن أخاه لو علم
أنه غير محب لإجابته لم يأكل معه ولأنه قد أدخله في السمعة فعاونه عليها فهذه خطيئة ثانية مضافة إلى
الأولى وقد كان من المتقدمين من إذا دخل عليه وهو يأكل قوته لم يعرض على إخوانه الأكل فيقال له في ذلك
فيقول هو قوتي فإن نقصت منه شيئا أضر بي سيما إن كان أجيرا مستأجرا ودفع إليه من أجره نزله فيقول
ينقص من قوتي فيكون في ذلك ترك النصيحة وقد فعل هذا في الإجارة نبي من الأنبياء وعرفناه من سير
بعض الأولياء وكان من السلف من لا يعرض على الداخل عليه وهو يأكل الأكل إذا لم تكن له فيه نية أو أحب أن
لا يواكله خشية التزين بالقول ولئلا يعرضهم إلى ما لا يحبون لأنهم لا يعملون هذه المعاني من أبواب الإخلاص
وهي من أفعال الصادقين وهي أهدى سبيلا ممن عرض بلسانه وأعرض بقلبه وممن أعطى بظاهر القول
ومنع من باطنه النية للفعل فهذا من أبواب الرياء والسمعة ولا يدخل فيه المخلصون خرج أبو عاصم البصري
العابد على إخوانه إلى الباب وهو يلعق أصابعه وقال إني كنت آكل وقد كنت أحب أن تصيبوا منه لولا
أني أخذته بدين وكان بعض التابعين يقول في تفسير التكلف في الطعام هو أن يأخذه بدين أو يطعمه من
خيانة وبعضهم قال من التكلف الإضرار بالعيال وإدخال التكلف أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت وحدك
أي لا يكون من مالك في الجودة أو ماله قيمة فتجهد نفسك بذلك أو تطعم إخوانك ما لا تطعمه أهلك فكل
هذا من أبواب التكلف وقد قال الفضيل إنما تقاطع الإخوان بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له

فيقطعه ذلك عن الرجوع إليه فلذلك كان السلف رحمهم الله يقدمون ما حضر ويؤخرون ما غاب ولا يتكلفون
لإخوانهم ما يجهدهم أو يحشمهم من العود مرة بعد مرة فيفعل هذا أدوم للمراجعة وأذهب للحشمة والكراهة
ولعمري أن ما أديم عليه وإن قل خير مما كثر وانقطع لعموم الخبر في الأعمال فهذا من أنفس الأعمال وليس
ينافس فيه إلا النفساء الرفعاء من الرجال وقد ذم الله تعالى من أعطى وقطع في قوله تعالى أعطى قليلا
وأكدى أي قطع مأخوذ من الكدية وهي الصخرة التي إذا بلغ إليها الحافر للبئر أيس من الماء فقطع الحفر
ولأن الإطعام باب من العطاء فلأن تدعو إخوانك أو أخوك في الشهر مرارا في قلة واقتصاد خير من أن
تدعوهم في السنة مرة مع الإكثار والازدياد ولأن تقدم إلى من حضر من الوراد ما حضر عندك من الزاد
مرات كثيرة أفضل من أن تحرمهم القليل رغبة في الكثرة وقال بعض الأدباء لبعض من يأنس به من إخوانه
كان لك صنيع فلم تدعني فقال لم يكن شيء أرضاه لك فقال قد رضيت لي بأقل منه وهو لا شيء وقال
بعضهم لا أبالي من أتاني من إخواني فإني لا أتكلف له إنما أقرب إليه ما عندي ولو تكلفت ما ليس حاضرا
لمللته وكرهت دوام مجيئه فهذا لعمري ثمرة التكلف للكثرة والجودة للملل في الحال وكراهة العودة
وقال بعض أشياخنا كنت آلف بعض إخواني وآنس به فكنت أكثر زيارته فكان يتكلف الأشياء
الطيبة المثمنة فقلت له يوما حدثني عن شيء أسألك عنه إذا كنت وحدك تأكل مثل هذا الذي تقدم
إلي قال لا قلت وكذلك أنا في منزلي إذا كنت وحدي لا آكل مثل هذا فما بالنا إذا اجتمعنا نأكله ونحن لا نأكله
على الانفراد فإما أن تقطع هذا وتقدم إلي ما نأكله جميعا على الانفراد أو أقطع مجيئي قال فقطع ذلك وكان
يقدم ما عنده وما نأكل جميعا مثله على الوحدة فدامت معاشرتنا وإن دعاك أخوك وأنت صائم فعلمت
أنه يسر بأكلك فلا بأس أن تفطر لأجله فإن لم تعلم ذلك منه وقال لك إني أسر بأكلك فصدقه وأحسن
به الظن وإن لم تعلم ذلك ولم يلفظ به بلسانه فإني أكره خروجك من عقد الصوم بغير نية هي أبلغ منه أو
مثله فصومك حينئذ أفضل وإن أكلت مع أخيك تريد إكرامه بذلك فهذه نية صالحة وقد كان بعضهم إذا
كان يوم صومه أكل مع إخوانه ويحتسب في أكله ما يحتسب في صومه وروينا عن ابن عباس أنه قال من أفضل
الحسنات إكرام الجلساء ومن لم يرد أن يطعم قوما من طعام فلا يظهره عليه ولا يصفه لهم سواء كان هو
قد أكله أو لم يأكله وكان الثوري يقول إذا أردت أن لا تطعم عيالك من شيء تأكله فلا تحدثهم به ولا
يرونه معك ومن علم من أخيه أنه يحب أن يأكل من طعامه فلا بأس أن يأكل بغير إذنه لأن علمه
بحقيقة حاله ينوب عن إذنه له في الأكل لقوله صلى الله عليه وسلم في المعنى رسول الرجل إلى الرجل إذنه أي قد
علم بإذنه له بالدخول عليه فأغناه عن الاستئذان وكفعله صلى الله عليه وسلم والنص من أجله من لحم تصدق

بها على بريرة من غير أن يستأذنها لما تحقق حاضرها لعلمه أنها تسر بذلك فقال إن الصدقة قد بلغت
محلها هو عليها صدقة ولنا هدية ففي تدبر فعله صلى الله عليه وسلم أن من علمت كراهته أكلك من طعامه
أن لا تأكل وإن أذن لك فتدبر وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون
بغير إذن وكان الحسن ربما دخل فوجدهم كذلك فيسر فيقول هكذا كنا وروي عنه أنه كان قائما يأكل
من متاع بقال يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه اليابسة قسبة فقال له هاشم الأوقص ما بدا لك
يا أبا سعيد في الورع تأكل من متاع الرجل بغير إذنه فقال يا لكع اتل علي آية الأكل فتلا لا جناح عليكم
أن تأكلوا من بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم إلى قوله أو صديقكم قلت فمن الصديق يا أبا سعيد قال من استروحت
إليه النفس واطمأن إليه القلب فإن كان كذلك فلا إذن له في ماله وجاء قوم إلى منزل سفيان الثوري رحمه الله
فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني أخلاق
السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن له عنده ما يقدم إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه
فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر إلى القدر قد طبخها وإلى الخبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه إلى أصحابه
وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فسأل عنه فقالوا قد جاء فلان فأخذه فقال قد أحسن فلما لقيه
قال يا أخي إن عادوا فعد وعمل بعض السلف صنيعا فدعا رجلا فلم يصادفه الرسول ثم علم وقد انصرف
الناس من عنده فقصد منزله فدق عليه الباب فخرج إليه الرجل فقال هل من حاجة قال إنك دعوتني فلم تشفق
ذلك وقد جئت الآن لما علمت فقال قد انصرف الناس فقال هل بقي منهم بقية قال لا قال فكسرة إن
بقيت قال لم يبق شيء قال فالقدر أمسحها قال قد غسلناها قال فانصرف يحمد الله عز وجل فقيل له في مسألته
عن ذلك فقال قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فنفس هذا في الضعة والذلة وسقوطها من مراتب
الأنفة والعزة تشبه بنفس ابن الكرنبي وهو أستاذ أبي القاسم الجنيد دعاه صبي إلى دعوة أبيه فرده
الأب أربع مرات في دعوة واحدة وهو يرجع إليه في كل إتيانه وهو يرده فهذه نفوس مطمئنة بالتوحيد
مشاهدة للبلوى من المولى المبلي للعبيد مذللة بالذلة موضوعة على الضعة وهذا طريق مفرد الأفراد
وحال مجرد آحاد والمتكبرون لا يجيبون الدعوات وهي عند بعضهم من أنفة النفوس قال قائلهم أنا لا
أجيب دعوة قيل فلم قال انتظار المرقة ذل وقال آخر إذا وضعت يدي في قصعة غيري ذلت له رقبتي
ومنهم من لم يكن يجيب الفقير لكبره في نفسه عنه ويجيب الأغنياء لعظمهم في عينه ومن أبناء الدنيا
الموصوفين بها من لا يجيب إلا نظراءه وأشكاله من مثل طبقته ومرتبته في الرياسة والدنيا وهذا على
خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعاله أنه كان يجيب دعوة المسكين ويجيب دعوة العبد ومن

قوله صلى الله عليه وسلم بئس الطعام أو شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء ويترك الفقراء ثم قال
ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله تعالى ومر الحسين بن علي عليه السلم بقوم من المساكين الذين يسألون الناس
على قارعة الطريق وقد نثروا كسرًا على الأرض في الرمل وهم يأكلون وكان على بغلته فلما مر بهم سلم عليهم
فردوا عليه وقالوا هلم إلى الغداء يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم إن الله لا يحب المستكبرين
ثم ثنى وركه فنزل عن دابته وقعد معهم في الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وفي خبر آخر زيادة
فقال أجبتكم فأجيبوني فقالوا نعم فوعدهم المجيء في وقت من النهار فجاؤوا فرحب بهم ورفع مجلسهم
ثم قال يا ذوات هاتي ما كنت تدخرين فأخرجت الجارية فاخر ما عندها من الطعام فأقبل يأكل معهم ه
وقال بعض أهل الاعتبار ما أجيب الدعوة إلا لأتذكر بها نعيم الجنة طعام ينقل بغير كلفة ولا مؤونة
وكذلك قيل اجتماع الإخوان في وجود الكفاية على الأنس والألفة ليس هو من الدنيا وقد كان بعض الصوفية
يقول لا أجيب دعوة إلا من يرى أني أكلت رزقي وأنه سلم إلي وديعة كانت لي عنده ويرى لي الفضل
عليه في قبولها منه فهذه شهادة العارف من الداعين كذلك شهادة المدعو من الموحدين أن يشهدوا الداعي
الأول والمجيب الآخر والمعطي الباطن والرازق الظاهر كما امتحن بذلك أصحابه بعض الصوفيين بلغني
أن رجلاً دعا إمامًا من الصوفية في أصحابه إلى الطعام فلما أخذ القوم مجالسهم ينتظرون الطعام ينقل
عليهم خرج إليهم شيخهم فقال إن هذا الرجل يزعم أنه دعاكم وأنكم تأكلون طعامه ففي حرج أو قال حرام على
من لم يشهده في فعله أن يأكل قال فقاموا كلهم فخرجوا ولم يستحلوا الأكل إذ كانوا لا يرونه في الفعل
إلا غلامًا حدثًا فقعد إذ لم تثبت شهادته ولم ينفذ نظره العبارة لي والمعنى لقائله مثله أو نحوه
وينبغي أن يكون للمجيب للدعوة نيات سبع إذ الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وإذ الإجابة من
الأعمال فمن نواها دنيا كانت له دنيا العاجل حظه ومن أرادها الآخرة كانت له آخرة بحسن نيته ومن
لم تخلص نيته واعتل لفسادها فليقف حتى يهيئ الله عز وجل نية صالحة تكون الإجابة عليها أو ترك الإجابة
إذا لم تكن نية لأنها من أفاضل الأعمال فيحتاج إلى أحسن النيات لوجود العلم فيها فتكثر بها الحسنات
ولفقد الهوى منها فتسلم من السيئات وإلا كانت إجابته هوى وكان عاملاً في باب من أبواب الدنيا ساعيًا
في حظ نفسه وملء جوفه وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها فهجرته إلى ما
هاجر إليه فيصير مأزورًا لفساد النية أو يكون غير مأجور لعدمها فأول النيات طاعة الله تعالى وطاعة
رسوله صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم من لم يجب الدعوة الخبر والثانية إقامة سنة لقوله صلى الله
عليه وسلم لو دعيت إلى كراع الغميم لأجبت وهو موضع على أميال من المدينة أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم

في رمضان لما بلغه وقصر عنده في سفره وقال في الخبر الآخر لو دعيت إلى ذراع لأجبت فهذا ظاهر في الإجابة
على القليل والأول محتمل في الإجابة إلى الموضع البعيد وقد نقل أن في التوراة أو في بعض الكتب سر ميلاً عد
مريضًا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زر أخًا في الله فبعد في إجابة
الدعوة وفضلها على العيادة وشهود الجنازة لأن فيها قضاء حق الحي وفيها إجابة الداعي النية الثالثة
إكرام أخيه في الخبر من أكرم أخاه المؤمن فإنما يكرم الله عز وجل وفي حديث الحسن وعطاء من جاءه شيء من
غير مسألة فرده فإنما يرد على الله عز وجل فترك الإجابة رد للعطاء وفي تأويل الخبر عن الله سبحانه وتعالى
معناه أنه يقول للعبد يوم القيامة جعت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول جاع
أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت قد أطعمتني فمن ظاهره تعظيم الله عز وجل حرمة المسلم لأنه أقامه
مقامه وفي باطنه من الفهم أنه إذا أجابه فقد جاء فيه على الطعام نفسه فكأنه أطعمها فإذا لم يجب دعوته فقد
ترك معاونته على إطعامه فدخل تحت التقريع بأنه لم يطعم نفسه وهو المسلم إذا لم يجب الدعوة فتفكروا
النية الرابعة إدخال السرور على أخيك المؤمن وفي الخبر الآخر من سر مؤمنًا فقد سر الله عز وجل الخامسة
دفع الغم عن قلبه ووضع الهم عن نفسه في ترك إجابته من ترجيم الظنون به وتوقيع الرجم بالغيب فيه
لم لم يجب كيف لم يجب وإلا كان يجيب فيرتفع عنه ذلك ويسقط عنه مؤونة سوء الظن به ويزيل الشك
فيه واليقين به والنية السادسة أن ينوي زيارته فيصير ذلك بإقامة تمامًا على الذي يحسن فقد
جاء في فضل الزيارة في الله عز وجل وأن بها يستحق ولاية الله عز وجل وأنها علامة المتحابين في الله عز وجل
فاشترط لذلك شيئان التباذل والتزاور فيه فقد فضل البذل من أحدهما بقيت الزيارة من الآخر على
الخبر السابع أن الإجابة من التواضع كما ذكرنا قيل إن المتكبرين لا يجيبون الداعي فهذه سبع نيات
لمن وفق لفعلها والعمل بها وإذا عرضت على أخيك الطعام مرة أو مرتين فلا تلحن عليه وكذلك إذا دعوته
فكره فقد قالوا لا تلزم أخاك بما يشق عليه ولا تزيدن على ثلاث مرات فالإلحاح واللجاج ما زاد على ثلاث
وليس ذلك من السنة ولا الأدب إلا فيما لا بد منه مما للجميع فيه إرب قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا خوطب في شيء ثلاثًا لم يراجع بعد ثلاث وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعيد كلامه ثلاثًا ويكرر القول
ثلاثًا وكان الحسن بن علي يقول الطعام أهون من أن يحلف عليه وقال مرة أيسر من أن يدعى إليه ذلك
لعظم حق المؤمن وقد كان سعيد بن أبي عروبة بهذه المنزلة والمثوبة لم يكن يعرض على إخوانه الطعام
ولكنه كان يظهره ويعرض به وكان اللحم مسلوخًا معلقًا والخبز موجودًا ظاهرًا وكذلك كان يفعل
بالثياب والأثاث كان جميع ما في منزله مظهره مسبل وكل من دخل عليه من إخوانه إن شاء قطع من

المبلوح فسوى او طبخ وان شاء اكل من الخبز بما يجده من الادم ومن شاء لبس من ثيابه ما شاء فكان
ذلك مشاعا في منزله لمن اراد تناوله وكان الثوري يقول اذا زارك اخوك فلا تقل له كل او اقدم اليك
ولكن قدم اليه ما عندك فان اكل والا فارفعه ومن ظن فيه فاقة من الفقراء فقصد بعض اخوانه ليتصدى
الاكل عنده فجائز له ذلك بشرط الا يكون عنده مجهود طعام ولكن بنيته ان يوجر اخاه ويكون هو
الجالب الاجر لانه عرضه للثوبة فهذا داخل في التعاون على البر والتقوى وداخل في التحاض على طعام
المسكين ونفسه كغيره من الفقراء ولان اخاه لا يعلم بصورة حاله ولو علم لسره ذلك ففيه ادخال
السرور عليه من حيث يعلم وقد فعل هذا جماعة من السلف وقد روي بمعناه اثر من طريق السلف
الصالح منهم عون بن عبد الله المسعودي كان له ثلثمائة وستون صديقا فكان يكون عند كل واحد يوما
وآخر كان له ثلثون صديقا فكان يكون عند كل واحد ليلة وبعضهم كان له سبعة اخوان فكان يكون
عند كل واحد يوما وليلة كانوا يتقدمون بهذه الاخلاق مع اخوانهم فيوثرونها على المكاسب والمعلوم
وكان اخوانهم معلومهم ولم يكن هولاء يتكسبون ولا يدخرون وكانت لاخوانهم فيهم نية صالحة
يسالونهم ذلك ويغتنمون عليهم فيه ويرونه من افضل اعمالهم وكان هولاء الاضياف يكرمون اخوانهم
باجابتهم وكونهم عندهم ومنهم من كان منقطعا في منزل اخيه قد افرده بمكان يقوم بكفايته ولا
يبرح من منزله على الدوام يحكم فيه ويتحكم كما يكون في منزل نفسه **ذكر** غسل اليد ليس كل احد
يحسن ادب الغسل كما ليس كل انسان يعرف سنة الاكل فمن غسل يده بالاشنان ابتدا بغسل اصابعه
الثلاث اولا ثم جعل الاشنان في راحته اليسرى يابسا ثم امره على شفتيه حسنا وانعم غسل فيه
باصابعه ظاهر اسنانه وباطنها وحنكه ولسانه ثم غسل اصابعه من ذلك بالماء ثم دلك ببقية الاشنان
اليابس اصابعه ظهرا وبطنا ثم لم يدخل الاشنان ثانيا الى فيه لئلا يعود بالغمر اليه من يده وهذا
يكفيه من تنقية الغسل ومن غسل يد اخوانه بعد اكلهم من طعامه فمن الادب ان يصب على ايديهم
الماء العذب فمثل هذه اللطيفة ونحوها يعرف حسن تفقد الرعاة ويستبين تعاهد الدعاة كان
بعضهم يقول يدعو الرجل اخوانه فينفق في الطيبات جملة ويحليهم بالحلاوة ثم يمر افواههم
بالماء المالح فهذا يكون من نقص التعاهد وقلة التفقد **ذكر** اخبار رويناها في آثار جاءت منثورة
في الاطعمة والاكل من بين نقص وفضل من طريق السلف في صنايع العرب لم نكن ادخلناها في تضاعيف
كلامنا لانها منقولة من كلام القدماء من حديث اسحق بن ابي نجيح عن عطاء بن ميسرة عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده وفي خبر

سعـ

سعيد بن لقمان عن عبد الرحمن الانصاري عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الاكل في السوق دناءة هذا غريب سنده وليس بذلك الصحيح انه من قول التابعين ابراهيم النخعي ودونه
وعنه عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي عليه السلام قال من ابتدا غداءه بالملح اذهب الله
عز وجل عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل داء في بطنه ومن اكل
كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمرا لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والفسفاجات
تعظم البطن وترخي الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولم
يستشف الناس بشيء افضل من الرطب والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم
ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين وفي اخبار الامراء
ان الحجاج قال لياذوق متطبب صف لي صفة آخذ بها ولا اعدوها قال له لا تنكح من النساء الا فتاة
ولا تاكل من اللحم الا فتيا ولا تاكل من المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة ولا تاكل من
الفاكهة الا نضيجها ولا تاكلن طعاما الا اجدت مضغه وكل من الطعام ما احببت ولا تشرب
عليه فان شربت فلا تاكل عليه شيئا ولا تحبس الغائط والبول واذا اكلت بالنهار فنم واذا اكلت بالليل
فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة فهذا قاله الفيلسوف كلمة قد ورد في بعضها آثار قد روينا في
خبر مقطوع ذكره ابو الخطاب عن عبد الله بن بكير السهمي يرفعه من استقل بدائه فلا يتداوى فرب
دواء يورث الداء وكانت الحكماء تقول دافع بالدواء ما حملتك قوتك الداء وقال بعضهم مثل شرب الدواء
مثل الصابون للثوب ينقيه ولكنه يخلقه وقال بقراط الفيلسوف الدواء من فوق والداء من تحت
فمن كان داؤه في بطنه فوق سرته سقي الدواء ومن كان داؤه تحت سرته حقن ومن لم يكن به داء من فوق
ولا من تحت لم يسق الدواء فان سقي عمل في الصحة داء اذا لم يجد داء يعمل فيه وفي الخبر قطع العروق مسقمة
وترك العشاء مهرمة والعرب تقول ترك الغداء يذهب شحم الكاذة يعني الالية وقال بعضهم نهاني
الاطباء عن الشرب في تضاعيف الطعام والعرب تقول تغش وتمش وتغد وتمد يريدون تمدد
فابدلوا الالف من الدال الثانية كراهة التكرار ولازدواج الكلام ومنه قوله تعالى ثم ذهب الى اهله
يتمطى اي يتمطط فابدل من الطاء الثانية الفا يعني يمد مطاه برفع ظهره واما في حبس الغائط
فقد قال بعض الفلاسفة الطعام اذا خرج نحوه قبل ست ساعات فهو مكروه من المعدة واذا بقي
فيها اكثر من اربعة وعشرين ساعة فهو ضرر على المعدة ويقال ان حبس البول يفسد الجسد كما يفسد
النهر ما حوله اذا سد مجراه ففاض من جوانبه ويقال ان ارواح المفاصل من حبس الريح ٥

اوجاع [illegible]

قال الشيخ ابو طالب رضي الله عنه قرأت في كتاب الحكماء ان صلاح الامور في اربع الطعام لا يوكل
الا على شهوة والمراة لا تنظر الا الى زوجها والملك لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل
وقيل لبعض حكماء الروم اي وقت الطعام فيه اصلح قال اما لمن قدر فاذا جاع واما لمن لا يقدر فاذا
وجد ويقال اذا كثرت المقدرة نقصت الشهوة وقال كسرى لجلسائه اي خصلة في الانسان اضر
فقالوا الفقر فقال البخل اضر من الفقر لان الفقير لا يجد والبخيل يجد ولا ياكل وقيل لرجل رءي
سمينا ما اسمنك فقال اكل الحار وشرب البارد والاتكاء على شمالي والاكل من غير مالي وقيل لآخر
رءي حسن الجسم ما احسن جسمك قال قلة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظة وقيل لآخر رآه
حكيم سمينا ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك فما هي قال اكل لباب البر بصغار المعز وادهن بخام
البنفسج والبس الكتان والعرب تقول لعاشية تهيج الآبية اي الذي لا يشتهي الطعام اذا نظر
الى من ياكل هاجه ذلك على الاكل الذي يأباه لما راى الآخر يتعشاه ذكر الاصمعي ان بعض الحكماء اوصى
ابنه فقال يا بني لا تخرج من منزلك حتى تاخذ حلمك يعني تتغدى وكذلك يقال في تناول الشي قبل
الخروج الى السوق وقبل لقاء الناس انه اقل للشهوة في الاسواق واقطع للطمع بلقاء الناس وانشد
لابن حسيم وان قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوءات الامور اجتنابها ورءي بعض الصوفية
يمشي في السوق ومعه ما ياكل وكان ممن يشار اليه قال فقلت له رحمك الله تاكل في السوق فقال عافاك الله
فاذا جعت في السوق آكل في البيت فقلت لو دخلت بعض المساجد قال استحي منه ان ادخل بيته للاكل
هذا لانه راى الاكل من ابواب الدنيا فتحشم من طريقها كما قيل الاسواق موائد الله فما ابقوا من الحرمة
فحبسوا في الاسواق وفي خبر ابن عمر قال كنا ناكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي
ونشرب ونحن قيام وقال بعض اهل الطب الحمية احدى العلتين ويقال ان الحمية للصحيح ضارة
كما انها للعليل نافعة والدوا اذا لم يجد داء يعمل فيه وجد الصحة فعمل فيها وانشد بعض العرب
ورب حزم كاد للسقم علة وعلة برء الداء خبط التعلل وقال آخر من احتمى فهو على يقين
من المكروه وفي شك مما ياتل من العوافي وكان يقال ليس الطبيب من حمى الملوك ومنعهم من الشهوات
انما الطبيب من خلاهم وما يريدون ثم دبر سياستهم على ذلك حتى تستقيم اجسامهم وقال مدني
عندنا بالحجاز لبعض الاعراب اخبرني بما تاكلون وما تدعون فقال ناكل كل ما دب ودرج الا ام حبين
فقال المدني لتهن ام حبين العافية وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى صهيبا ياكل
تمرا وبه رمد فقال له تاكل التمر وانت رمد فقال يا رسول الله انما امضغ بهذا الشق الآخر يعني

صحا

جانب العين السليمة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر اخبار جاءت في التقلل والحمية وذم البطنة
في حديث اسمعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم قال قال ابو الدرداء بئس العون على الدين قلب نخيب
وبطن رغيب ونعظ شديد نخيب يعني خفيفا ضعيفا ورغيب يعني واسعة طامعة وقيل لبعض الحكماء
اي الطعام اطيب قال الجوع اي به يطيب الطعام كما قيل نعم الادام الجوع ما القيت اليه من شي قبله وقال
العتبي عبيد الله قلت لرجل من اهل المدينة يا اخي اني لاعجب ان فقهاءكم اظرف من فقهائنا وعوامكم
اظرف من عوامنا ومجانينكم اظرف من مجانيننا قال او تدري لم ذلك قلت لا قال الجوع الا ترى العود
انما صفا صوته من خلاء جوفه ويقال دعا عبد الله بن الزبير الحسين بن علي رضي الله عنهما فحضر هو
واصحابه فاكلوا ولم ياكل فقيل له الا تاكل قال اني صائم ولكن لا تحفة الصائم قالوا ما هي قال الدهن
والمجمر وكذلك يقال الكحل والدهن احد القرابين واللبن احد اللحمين والفاكهة والحديث للضيف
احدى الضيافتين فيستحب لمن كان صائما وحضر ولم ياكل ان يطيب ويحيى فذلك زاده وروي
ان عبد الرحمن بن ابي بكرة كان على خوان معاوية رضي الله عنهما فراى معوية لقم عبد الرحمن فلما كان بالعشي
راح اليه ابو بكرة وحده فقال له ما فعل ابنك التلقامة قال اعتل قال معاوية مثله لا يعدم العلة وقيل
لابي بكرة ان ابنك اكل حتى بشم فقال لو مات ما صليت عليه ويقال للبشم سكر كسكر الخمر وقيل لجالينوس
انك تقل من الطعام فقال غرضي من الطعام ان آكل لاحيى وغرض غيري في الطعام ان يحيى لياكل وسئل
الحارث بن كلدة طبيب العرب ما الدوا الذي لا داء فيه فقال هو الازم يعني الحمية ويقال ما ادخل الانسان
جوفه انفع من الرمان ولا اضر من المالح وان يتقلل من المالح خير من ان يستكثر من الرمان هذا لذم
الاستكثار وان كان مما ينفع ومدح القلة ولو كان مما يضر حدثت عن عبد المنعم بن ادريس عن
ابيه عن وهب قال لقمان لابنه ان طول الجلوس على الخلاء يرفع الحرارة الى الراس ويورث الباسور ويفجع
له الكبد اجلس هوينا وقم قال حكمة على باب الحش ويقال سال الحجاج جلساءه ما اذهب الاشياء
للاعياء قالوا اكل التمر وقال بعضهم الحمام وقال بعضهم الجماع وقال الآخر الصماخ فقال ساذوق اذهب
الاشياء للاعياء قضاء الحاجة حدثت عن بعض الاطباء ان رجلا شرب خبث الحديد المعجون فبقي
في جوفه واشتد به وجعه قال فسحقت له قطعة من حجر المغناطيس وسقيته فتعلق بالخبث فخرج
مع الغائط روى الاصمعي عن جعفر بن سليمان قال قال ساذوق الفيلسوف ان اللحم على اللحم يقتل السباع
في البرية قال ثم قال لي جعفر قالت جارية لنا كان لنا ظبي فمر بعجين قد هيئ فاكل منه حتى حبط واحبط
انتفاخ الجنبين فسلخ فوجد قد شرق بالدم فقال يونس الطبيب كذلك يصيب الانسان اذا بشم يشرق

قلبه بدينه وقال الاصمعي عن جعفر والي البصرة انه قال الانسان اكول يبقى اذا اكل الافعى فان المعدة
بصعن الى المي كما تصعن الدابة الى العلف ولا تنضج الطعام معنى بصعن اي تالف وتعتاده وقال بعضهم سئل
شاذروق عن البخر فقال دواه الزبيب تعجن بالكسعة ثم يوكل اسبوعين اوثلاثة وقال الاطبا معرفة
خفة الماء ان يكون سريع الغليان سريع البرد يكون قباله الشمس ومجراه على الشمال ومروره على الطين الاحمر وعلى
الرمل ذكر الشيخ ابو طالب رضي الله عنه ان هذا آخر الزيادة من الاقوال وينبغي اذا حضرت
الالوان ان يبتدي بتقديمة الالطف فالالطف والاطيب فالاطيب لونا مثل ان يبتدي بالشوي قبل الثريد
ويتقديم الطباهج قبل السكباج فذلك سنة العرب وطريقة السلف ليصادف جوعهم اطيب الطعام فيستوفوا
من ذلك وافر النصيب فيكون اثوب لصاحبه واقل لاكلهم فيما بعد فان احتاجوا الى ما بعده من غليظ الطعام
تناولوا منه قليلا يسير خلا ان يتقى وانما قدم ابنا الدنيا الالوان الغليظة على اللطيفة ليتسع
اكلهم وتنفتق شهواتهم فيكون اللون اللطيف يجد موضعا آخر ليكونوا قد اكلوا من اللون الاطيب
الجود اكل وهذا غير مستحب عند ابناء الآخرة وقد كان بعض المتقدمين يقدم جملة الالوان في مكان
واحد ليأكل كل انسان ما يشتهي على المعاينة الموجودة وهذا حسن ليكون ما ياكلون معلوما لهم فيتخيرون
ولو قال لهم ان لم يكن لهم الا لون واحد ليس يحضر غير هذا ليستوفوا منه ولا يتطلعوا الى غيره كان صوابا
حدثني ابو بكر الذهبي قال قدم الي رجل بالشام وكان قد دعاني لونا من طبيخ فقلت له عندنا بالعراق
يقدم هذا اللون آخر الالوان قال وهكذى هو عندنا بالشام قال فاستحيت اذا لم يكن عنده غيره
وقال آخر عن شيخ له كنا عند رجل في جماعة فجعل يقدم الينا الوان الرؤوس منها طبيخا ومنها شوي
وقديرا قال فجعلنا نقصر في الاكل نتوقع بعدها الابدان او غيرها من الالوان فجانا بالطست ولم يقدم
غيرها فقال لنا شيخ لنا كان معنا من الصوفية هو سبحانه يقدر ان يخلق رؤوسا بلا ابدان قال فبتنا
تلك الليلة جياعا وطلب بعضنا في آخر الليل خبزا وفتيتا للسحور وينبغي ان يمكنهم من تبقية
الالوان عندهم ولا يسرع رفعها من بين ايديهم حتى يرفعوا ايديهم ويقضوا من كل لون وطرهم فانه
من الادب المعروف ولعل فيهم من يكون عنده ما حضر اشهى اليه مما غاب مما يقدم في المستقبل
وقد يكون فيهم من به حاجة الى فضل اكل لفضل جوع فيتنغص عليه بعد قبل ان يقضي ما في نفسه
حدثني ابو عبد الله الوراق عن الستوري الصوفي انه حضر على مائدة عند بعض ابناء الدنيا وكان مبخلا
قال فقدم حملا فلما رآهم يمزقونه كل ممزق ضاق صدره فقال يا غلام ارفع الى الصبيان قال فرفع
الحمل الى داخل الدار فقام الستوري يعدو خلف الحمل فقال له صاحب الدار الى اين يا ابا عبد الله فقال

امرت آكل مع الصبيان فاستحيى الرجل وامر برد الحمل حتى يستوفي منه الجماعة قلت فتصبر على حلم الله
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اكرموا الخبز فان الله عز وجل انزله من بركات السماء
فمن اكرام الخبز ان لا ينتظر به الادم ويوكل معما حضر معه من الملح والخل والبقل وان لا يجعل تحت شي
من آلة المائدة ولا تحت غضارة مثل ان يسند به شي ولا يتخذ طبق لشي فان وضع عليه ما يوكل
به فلا باس ومن السنة والادب ان لا ينتظر بالطعام غائب اذا حضر جماعة ولكن ياكل من حضر فان حرمة
الحاضر مع حضور الطعام اوجب من انتظار الغائب الا ان يكون الغائب من الفقراء فلا باس ان ينتظر
ليرفع من شانه ولا ينكسر قلبه فان كان الغائب غنيا لم ينتظر مع حضور الفقراء فان انتظار الغني معصية
لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليه الاغنياء ويترك الفقراء
فسمى الطعام شرا لاجل الاغنياء والطعام لا اثم عليه وانما الشر اسم لاهل الطعام الداعين
عليه الاغنياء التاركين للفقراء لانهم دعوا اشباههم من اهل الدنيا وتركوا اهل الله تعالى من ابناء
الآخرة لبعدهم من الله تعالى وقربهم من الدنيا ولا ينتظر الواحد مع حضور الجماعة وبعضهم يقول
لا ينتظر الجماعة مع حضور الواحد كانه يجعل الطعام لمن حضر واذا حضر الطعام لم يتوقف دونه
ولا يتشاغل عنه بشي من صلاة فما دونها فيترك الطعام موضوعا ولا يستعمل مكروه ويقال ان الملائكة
عليهم السلام تقف اذا وضع الطعام حتى يوكل او يرفع فاذا اكل او رفع قعدت الملائكة عليهم السلام واكره
وضع الرجل بين يدي اخيه شيئا من الاطعمة لمعان شتى احدها لعله اخذ الطعام من موضع احب اليه
من موضعه بين يديه فيلتزم اكل ما جعله تجملا او لعله يكره تلوث الرغيف بالادام وربما بقي الرغيف
موضوعا غير ماكول فيكون مكروها او لعل غيره ممن يحمل اليه يكره اكله وربما كان تبقية الرغيف
فارغا اوفق لانه يصلح لغيره فاذا لوث به لم يصلح الا له فيضطر العبد الى اكله فان كان الآكل شديد
الحياء مقصرا عن تناول الطعام او بعيد المكان منه او كان الماكول نوعا واحدا فلا باس بذلك ولو
جعل في طرف كان اوفق لما ذكرناه والتلقيم حسن قد فعله الاخوان ما لم يستحي الملقم من ذلك او يكره
فيتحمله على تكره ولا يصلح ان تقام العبيد قياما على الطعام يعاطون الصحاف والاكواب فان
هذه سيرة الاكاسرة اما ان ينصرفوا او يقعدوا فان احتيج اليهم دعي بما معهم عند الحاجة وقيامهم
بالشمع والمراوح مكروه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكل عنده رجل امر عبده ان يقعد
او ينصرف فاذا طعم الجماعة فلينصرفوا ولا يقعدوا للحديث فلعله ان يثقل على اهل المنزل
ويستحيون وروينا عن الحسن عن الاحنف بن قيس قال نزلت هذه الآية في الثقلاء فاذا طعمتم

فانتشروا ولا مستأنسين لحديث وقال أنس بن مالك ذكر الله تعالى الثقلاء في كتابه فقال تعالى
فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث وكان أبو حنيفة يقول ينبغي للإنسان أن يخاف الثقل من
نفسه فمن أين أن لا يثقل تثقل به وكان الأعمش إذا أطال الرجل الجلوس عنده ينشد
فما الفيل تحمله ميتا بأثقل من بعض جلاسنا ولو علم الثقل من نفسه تثاقل عنا فلم يأتنا
وقال حماد بن سلمة الصوم في الصحراء من الثقل وكان الجنيد يقول وقد ذكره مرة عن يحيى بن أكثم القاضي
من خرج إلى الصحراء يتنزه ولم يكن معهم طعام تنزه هذه الصحراء في عقولهم وقال بعض الأدباء الانقباض
مع المنبسطين ثقل والانبساط مع المنقبضين سخف فهذا كأنه أراده مع أبناء الجنس من الإخوان على
ترتيب الأخلاق نظام الحكمة وهو مع غيرهم على غير هذا الترتيب ينقلب انقلاب أوصافهم فيصير الانقباض
مع المنقبضين ثقل لأنه يزيدهم قبضا فيكون زيادة على القدر وقد جعل الله لكل شيء قدرا كما جعل
لكل أمر وقتا ولكل وقت حكما ويصير الانبساط أيضا مع المنبسطين سخفا لأنه مجاوزة القدر معهم فيكون
المحمود من ذلك على هذا الوجه أن ينقبض مع المنبسطين من العموم وينبسط مع المنقبضين لتبسطه
ببسطك له القبض وصفه والتوسط من هذا ما قاله الشافعي رضي الله عنه في الجملة الانقباض عن الناس
مكسبة لعداوتهم والانبساط مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط فأما الإخوان والنظر
في الحال والخصوص من أهل الأحوال والعلماء على كل حال فإنهم آحاد وأفراد لا يقاس عليهم غيرهم من الأعداد
قال بعض الصوفيين الأكل على ثلاثة معان مع أبناء الدنيا بالأدب ومع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان بالانبساط
وقال آخر ومع الإخوان كيف شئت وحدثني بعض أشياخنا عن بعض الصوفية قال قلت لشيخ من أصحاب
الجنيد رضي الله عنهم كنتم تخرجون مع الجنيد إلى الصحراء فكان يمزح معكم ويضحككم قال لي هو كان
يبسطنا ويعلمنا المزاح ولقد رأيته يوما ونحن نأكل وقد أخذ أبو أحمد القلانسي صاحبنا لقمة
وطيبها وهيأها ورفعها إلى فيه ليأكلها فاستلبها منه الجنيد رضي الله عنه وجعلها في فيه فجعل
أبو أحمد يقول حرام حرام فقال الجنيد رحمه الله ما رأيت إلا أنك قد جعلت عليها سكرا ثم بلعها وقد
قيل لابن المبارك ما الأدب بين الإخوان فقال ترك الأدب وقال آخر ترك الأدب مع أهل الأدب من الأدب
ذلك بأن الأدب فيه تجمل وتحمل وهو من باب الرياضة للمريدين والمستعمل مع المبتدئين والعلماء قد نفذوا
والأدباء قد عبروا الطريق وكان جعفر الصادق رضي الله عنه يقول أثقل إخواني علي من تكلف
له وأحبهم إلي من أكون عنده كما أكون وحدي وقال بعضهم بمعناه وأطيب الأكل مع الإخوان كما يأكل
الرجل وحده أو مع عياله وقد قال علي عليه السلام شر الأصدقاء من تكلفت له وقال أيضا شر الإخوان

من أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار وكان ابن المبارك يقول إذا قلت لأخيك قم بنا فقال إلى أين
فليس ذلك بأخ وقال مسلمة بن زياد في معناه إذا أشرت إلى أخيك فلم يتبعك فليس أخاك وقال سفيان
ألذ الأشياء محادثة الإخوان والانقلاب إلى كفاية وكان بعضهم يقول في حضور الدعوة مع الإخوان
والمؤانسة على الطعام ليس هو من الدنيا هو من نسيم الآخرة أخرج إلى الدنيا تروح به القلوب يعني من الكروب
من مجالسة العامة ومن النظر إلى الكافة وفي الخبر أول ما ترفع من هذه الأمة الخشوع ثم الألفة ن
وكان بشر بن الحارث يقول قد ذهب عن قلبي كل شيء من الدنيا إلا الألفة فإنها لم تنصرف عن قلبي ن
لأنه يقال لا تكون الألفة إلا في كريم ولا يوجد الأنس إلا من كريم ذلك لأن الأنس نوري والألفة جوهري
فإذا وجد النور من الأنس والألفة من الجوهر فهو الكوكب الدري فتدبر هذا ضده فإذا رأيت ظلمة في طيني
وجدت وحشة في نفور فأثر الوحدة في مجالسة القبور وقد كان بشر رحمه الله يقول لا تجب دعوة بخيل
ولا شره فإن الله تعالى يكره أن ترى بخيلا وقال أيضا صاحب ذنب سخي أحب إلي من عابد بخيل
وقاله ابن عباس رضي الله عنه الفاجر السخي أرجى من العابد البخيل وقال أبو الحارث النظر إلى الأحمق
سخنة عين والنظر إلى البخيل قسوة قلب وكان بعض السلف يقول مؤاكلة الأسخياء دواء ومؤاكلة البخلاء
داء وقد قيل إن السخاء على الطعام أفضل من السخاء بالمال لأنه أقرب إلى شهوة النفس لحضوره ولأنه
هو المبتغى من المال إذ كان المال إنما يراد لأجله فهو لب المال ولذلك هو شقيق النفس لأنه هو المخالط للجسم
وقيل هو سخاء النفس بالمحبوب وهو أحد الوجهين في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
قيل بذل الطعام للعام وكذلك نص الله تعالى عليه مفردا ثم نوع المطعمين منه أصنافا فقال تعالى
ويطعمون الطعام على حبه فالهاء عائدة على الطعام فصار محبوب النفس فمن سخي بما آثر محبوبه أخاه
في الله عز وجل فقد جاد بنفسه وهو نهاية السخاء كما قال بعضهم يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود وكذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم أحسبه ابن مسعود
أسخى الناس عائشة رضي الله عنها آثرت على نفسها من الجنة فوهبت لعمر رضي الله عنه موضع قبر وهو
روضة من رياض الجنة وكذلك قال الله تعالى في وصف المحبين من الأنصار المهاجرين الأخيار رضي الله عنهم
لما آثروهم على نفوسهم عن المحبة فقال يحبون من هاجر إليهم ويؤثرون على أنفسهم فالإيثار بالطعام لأنه
محبوب النفس كما ذكرناه لأجل محبة الإخوان من أجل الله من أجود الجود وأفضل الأعمال وأحسن الأخلاق
مطلب وكذلك قيل السخاء عشرة أجزاء تسعة منها في الإطعام إذ به تستبين جواهر النفوس وقيل والبخل
عشرة أجزاء تسعة منها في الشح على الإطعام وكان بعض الحكماء يقول السخاء على الطعام يستر البخل بالأموال

والبخل على الطعام يعطي السخا بالمال وفرق بعضهم بين البخل والشح فقال البخل في النوافل والشح في
الواجب والأكل مع العيال أفضل من أكل الرجل وحده والأكل مع الإخوان أفضل من الأكل مع العيال
ويقال اتخذ الله ابرهيم خليلاً بإطعام الطعام ويقال بأنه كان يحب أن يعطي ولا يأخذ وكان ابرهيم
صلى الله عليه يدعى أبا الضيفان ولم يكن يأكل وحده وكان يسير الميل والميلين والثلاثة في طلب من يأكل
معه وهو أول من اتخذ غرفة لها أربعة أبواب باباً شرقياً وباباً غربياً وباباً قبلياً وباباً دبرياً لئلا
يفوته أحد من نواحي الأرض فمن اتخذ أبواباً أربعة على مثله واستن بسنته كما اتخذه هو وإلا فهو
لدعبث كما قال تعالى بكل ريع آية تعبثون وأما القول في الزلة فهي كما سميت زلة إلا عند
النبل الأجلة وكان بعض أهل الحديث إذا أكل مع إخوانه نزل من الطعام على غيف يعزله معه وكان سيار
ابن حاتم الزاهد إذا حضر على مائدة أكل لقمات ثم يقول اعزلوا نصيبي وذكره أبو عبد الله رحمه الله يوماً
فتبسم ثم قال رحمه الله قد كنا ربما نضحك منه نستغفر الله عز وجل حضرنا يوماً في دعوة فلما
رفع الطعام وجيء بالحلواء نزع قلنسوة طويلة من ورد مخططة وكان يقلبها ويقول اجعلوا
نصيبي فيها وهذا شيخ لأحمد رضي الله عنه سمع منه كتاب الزهد لمالك بن دينار وكان عنده عن جعفر
الضبعي ولا يصلح فعل هذا إلا مع الأجواد وأهل الأنس من ذوي الوداد فمن لم يحسن هذا عنده ولم
يحبه من الداعين فلا يعامل به وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً فيه شاة مشوية فعزل من
الشوي بين رغيفين وأرسل به إلى فاطمة عليها السلام فمن أراد أن يعزل له عن مائدة فليستأذن
صاحب الطعام أو يسأله ذلك فيكون عن إذنه أو من فعله فلعله يكره ذلك وإن كان يراه فقد يستحي
أن يمنعه ذكر أخبار وردت في طعام السلف وأكل العرب في شهوات القدماء من الأطعمة قبل أن يحدثوا
الألوان ويبتدعوا الأفنان روينا في أخبار العرب أن أعرابياً أدخل على كسرى ليتعجب من جفائه وجهله
فقال له كسرى أي شيء أطيب لحماً قال الجمل فقال أي شيء أبعد صوتاً قال الجمل فقال أي شيء أنهض
بالحمل الثقيل قال الجمل فقال كسرى كيف يكون لحم الجمل أطيب من البط والدجاج والفراخ والجدي قال
الأعرابي يطبخ لحم الدجاج والجدي وما ذكرت بماء وملح ويطبخ لحم الجمل بماء وملح حتى تعرف فضل ما بين
الطعمين قال كسرى كيف يكون الجمل أبعد صوتاً ونحن نسمع صوت الكركي من كذا وكذا ميلاً فقال الأعرابي
ضع الجمل موضع الكركي وضع الكركي مكان الجمل حتى تعرف أيهما أبعد صوتاً قال كسرى تزعم أن
الجمل يحمل الثقيل والفيل يحمل كذا وكذا رطلاً فقال ليبرك الفيل وليبرك الجمل ثم يحمل الفيل حمل
الجمل فإن نهض به فهو أحمل للأثقال حدثت عن أبي حاتم المقري عن الأصمعي قال لعاد مديني الكاذات

أربعة العصيدة والمريسة والسميدة والحيسة قال صفوان الأعرابي أطول الليالي ثلاث ليلة الهريسة
وليلة العقرب وليلة جرة إلى مكة قال سهل بن محمد السجزي عن الأصمعي كنا عند الرشيد فقرب
إلينا فالوذجه فقال يا أصمعي حدثنا حديث مزرد فقال نعم إن مزرداً كان غلاماً جشعاً وكانت أمه
تؤثر عيالها عليه بالطعام فيحفظ ذلك فخرجت أمه ذات يوم تمير أهلها فدخل مزرد الخيمة وعمد
إلى صاع دقيق وصاع تمر ومثله سمناً فجمعه وخبصه ثم جعل يأكل ويقول

ولما غدت أمي تمير بناتها أغرت على العكم الذي كان يمنع
لبكت بصاع حنطة صاع عجوة إلى صاع سمن فوقه يتريع
ودبلت أمثال الأثافي كأنها رؤوس نقاد قطعت يوم تجمع
وقلت لبطني أبشر اليوم إنه حمى أمنا فيها تجور وترتع
فإن تك مصفوراً فهذا دواؤه وإن تك غرثان فذا يوم تشبع

فضحك الرشيد حتى استلقى وقال كلوا بسم الله فهذا يوم نشبع
في هذا غريب يحتج به في أشياء قوله تمير من الميرة أي تجلب لهم الطعام ومنه قوله تعالى ونمير أهلنا العكم
الغرارة المشدودة ومنه قول المرأة في حديث عائشة رضي الله عنها عكومها رداح أي أوعيتها واسعة تمدح
زوجها أبا زرع بذلك لبكت خلطت خلطاً فيه لزوجة قوله يتريع من الريع وهو النماء والزيادة دبلت
أخذت دبلة دبلة أي قطعة قطعة كقول الأول فدبل وأزدرد وقد ذكرناه قبل الأثافي قوائم
القدر واحدها أثفية رؤوس نقاد الجدي مصفور من الصفراء يعرض للجوف من التخمة الغرثان
الجائع قيل لبعض العرب أي شيء تشتهي في يوم قر فقال ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص
ذات جناجز من اللحم أضرب فيها ضرب ولي السوء في مال اليتيم حدثنا عن ثعلب عن ابن الأعرابي
قال يقال أطيب اللحم عوذه هو ما ولي العظم فيعلق به كأنه عاذ به وروينا مرة قيل لابن الأعرابي
ما أطيب اللحم قال ما عاذ بالعظم وهذا يحتج به في الاستعاذة من قوله تعالى أعوذ بالله أي أتعلق به
وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الفرائص من اللحم الفريصتان لحمتا الكتف لرقتها واتصالها
بالعظم وفي الخبر المفسر كان يعجبه لحم الكتف ويأكله ويقول هو أقرب إلى الهادي أي العنق وكان يكره
لحم المثانة والمباعر وما قرب من الثدي والألية لقربها من الخبث وكان لا يأكل الألية فخذ من العرب
ويقول هي الاست وأصل الجاعرة يقال منه فلان ألوى وبعض العرب يأنف من أكل المخ ويراه
من الرقة والشره وأنشد في مدح رجل ولا يتنقى المخ الذي في الجماجم التنقي المخ والشاة التي
تنقى لا تجوز في الهدي لأنها مهزولة فقوله يتنقى أي يتفعل من التنقي وحدثنا عن أبي يعلى المنقري
قال حدثنا الأصمعي قال قيل لأعرابي أتحسن أن تأكل الرأس فقال نعم أبخص عينيه وأسحا خديه

واكل لجنبيه وادمى بالدماغ الرخ هو الخرج اليه متى يقال يخص عينيه بالهضاء ونحص بالسمين النقص في الوزن قال جعفر بن سليمان شيئان اذا بهما كثرة النفقة شيئا الطيب والقدر ولكن يطيبهما اصابة القدر والمعنى في مواضعه ووقته وقال ابو حوارة الارز الابيض بالسمن السلا بالسكر الطبرزذ ليس من طعام اهل الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت ليس فيه تمر جياع اهله وقال صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل وقال سيد الادام الملح والخبر الاخر سيد الادام في الدنيا والاخرة اللحم وقال صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا بالزيت فانه من شجرة مباركة ورواه يزيد بن ابي حبيب عن ابي الخير عن عقبة بن عامر فقال فيه عليكم بالشجرة التي نادى الله عز وجل منها موسى عليه السلام زيت الزيتون ادهنوا به فانه شفا من الباسور وروى محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رفعه اكرموا الخبز فان الله تعالى سخر له ما في السموات والارض هذا لانه يقال لا يستدير الرغيف حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صنعة اولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من البحر المطبق الاعلى للخزنة ثم السحاب الذي يحمله ثم الرياح التي تثيره واخره الخباز فكم من نعمة في جميع ذلك وكم في كل نعمة من نعم فسبحان المنعم على خلقه بوصفه واحمد الله على نعمه ورحمته وفضله وفي الاسرائيليات شكا نبي من الانبياء الى الله عز وجل الضعف فاوحى الله تعالى اليه اطبخ اللحم باللبن فان القوة فيهما وفي خبر آخر شكا نبي من الانبياء الى الله قلة الولد فاوحى الله عز وجل كل البيض ومن اخبار العرب ان رجلا اسر رجلين من الاعراب فخيرهما بم يعشيهما بين لحم وتمر فاختار احدهما اللحم واختار الاخر التمر فعشيا ثم القيا بالفناء وذلك في برد شديد فاصبح صاحب اللحم خامدا واصبح صاحب التمر ترى عيناه وقال النابغة يصف الصيحانية صغار النوى مكنوزة ليس قشرها اذا طار قشر التمر عنها بطائر قال الاصمعي عن ذي الرمة اذا قلت للرجل اي اللبن اطيب فان قال القارص فقل عبد من انت وان قال الحليب فقل ابن من انت ومر رجل من قريش بامراة من العرب في بادية فقال هل من لبن يباع فقالت انك للئيم او قريب عهد بقوم لئام فكانها استنكرت بيع اللبن لانهم يمنحونه مجانا ووقف معاوية رضي الله عنه على امراة من الاعراب فقال هل من قرى قالت نعم قال ما عندك قالت خبز خمير ولبن فطير وما نمير اي صاف فالعرب تقول ان الرثيئة مما يفثا الغضب وهو اللبن الحامض يحلب عليه الحليب فيصير رائبا وانشد

واذا خشيت من الفواد بحاجة فاضرب عليه بجرعة من رائب

زعم بعضهم ان اللبن اذا سخن بالنار وسيط بعود من شجر التين رائب من ساعته قيل فاذا اراد صاحبه الا يروب وان كانت فيه ذوبة جعل فيه شيئا من الحبق وهو الفوذنج فانه يبقي كهيئته قيل لاعرابي ما بالكم تاكلون اللحم قبل الثريد

قال لان اللحم ظاعن والثريد مقيم قيل فما تسمون المرق قال السخين قال فاذا برد قال لا ندعه يبرد ذكر العتبي عن ابيه قال كان عبيد الله بن زياد ياكل كل يوم اربع جرادق اصبهانية وجبنة قبل غدائه قال العتبي وحدثنا عيسى بن القاسم عن المسعودي وكان اكل آل عمرو بن العاص قال قدم سليمان بن عبد الملك الطائف وقد عرفت استجاعته فقال يا غلام افرغت من غدائنا قلت نعم فقال وما هو قلت نيف وثمانون قدرا قال فائتني بها قدرا قدرا فاتاه بها وطبق عليه رقاق فاكثر ما اكل من قدر ثلاث لقم واقل ما اكل لقمة ثم مسح يده واستلقى على فراشه واذن للناس فوضعت الخوان فقعد ياكل مع الناس باكلهم ورواه القحذمي عن عمه عن سليمان بن قبيصة قال عددت للحجاج اربعا وثمانين لقمة في كل لقمة رغيف من خبز الماء فيه ملء كفه من سمك طري ذكر بعض الاخباريين عن سعيد بن اسعد الانصاري امام جامع البصرة انه كان طفيليا ولم تكن تفوته وليمة الا سعى اليها واذا كان دعوة سبق اليها فربما بسط معهم البسط وامر ونهى ويعجل الاكل ثم ينصرف فقيل له في ذلك فقال اني ابادر برد الماء وصفو القدور ونشاط الخباز وخلاء المكان وغفلة الذباب حدثنا عن زيد بن هارون عن محمد بن سالم قال دخلت على الشعبي بعد صلاة الغداة فاذا بين يديه طبق خلاف عليه خبز وجبن وزيتون وذكر غير ذلك فقلت يا ابا عمرو باكرت الغداء فقال نعم قبل ثلاث قبل ان يسخن الماء ويكثر الذباب ويأتيني ثقيل يشكك عبد الرحمن عن ابن عباس قال رايت ابن عباس في وليمة اكل والقى للخباز درهما وفي اخبار هشام بن الكلبي عن عبد العزيز بن عمران قال نزلت بابنة لابن هرمة فقلت انحروا جزورا قالت لا والله ما هي عندنا قلت فبقرة قالت لا والله قلت فشاة قالت لا والله قلت فدجاجة قالت ولا دجاجة قلت فاين قول ابيك

لا امتع العوذ بالفصال ولا ابتاع الا قريبة الاجل

قالت فذاك الذي افنى ما عندنا فبلغ ابن هرمة ما قالت فقال اشهدوا انها ابنتي حقا واشهدوا ان داري لها دون الذكور من ولدي العوذ الابل المسنة يقول لا امتعها باولادها بل انحرها فصالا ولا اشتري الا سريع النحر قال المدائني كان لزياد بن عبد الله الحارثي جدي يوضع على مائدته بعد الطعام لا يمسه هو ولا غيره فتعشى في شهر رمضان قوم فيهم اشعث فاقدم اشعث على الجدي من بين الجماعة فمزقه وذلك بعين الحارثي فتصبر فلما رفعت المائدة قال زياد وهو الامير يومئذ ما لاهل السجن امام يصلي بهم التراويح قالوا لا قال فليصل بهم اشعث فقال اشعث ايها الامير او غير ذلك قال وما هو قال احلف اني لا اكلت لحم جدي ابدا فضحك وخلى عنه وقال بعضهم مررت بطريق من طرقات الكوفة فاذا رجل يخاصم رجلا وهما جاران ويقتتلان فقلت اصلح بينهما واوجر فقلت ما بالكما تقتتلان فقال احدهما لا والله الا ان صديقا لي زارني

فاشتهى على راسًا فاشتريته وتغدينا به واخذت عظامه فوضعتها على باب داري اتجمل بها عند
جيراني فجاء هذا فاخذها فوضعها على باب داره يوهم الناس انه هو الذي اشتراه قال المدايني كان للمغيرة
ابي عبد الله الثقفي وهو على الكوفة جدي يوضع على مايدته لا يمس فعرض له اعرابي لم يعرف الرسم فاكل لحمه
ومزق جلده فقال له المغيرة يا هذا تطالب هذا البايس بذحل هل نطحتك امه فقال الاعرابي وابيك
انك لشفيق عليه هل ارضعتك امه حدثنا ان قاضي صنعاء دخل على اميرها فما زال يحادثه الى ان حضر
غداوه فقدمت المايدة عليها قصعة من ثريد فقال الامير ايها القاضي تقدم فقال اني صايم فاكل الامير
والقاضي يحدثه الى ان جي بحمل في آخر الطعام فزحف القاضي الى المايدة ومد يده فاكل منه فقال الامير
ايها القاضي الم تزعم بانك صايم فقال قد كنت صايما ولكني على قضاء يوم اقدر مني على قضاء مثل هذا الحمل
ورواه غيره عن رجل آخر بمعناه ان الوالي قال له هلم الى الغداء فقال اني صايم فقدم في الطعام جدي
فتقدم الرجل واخذ ياكل فقال الامير زعمت انك صايم فقال نعم ولكن الايام اكثر من الجدي ويقال
ثلثة اشيا تورث الهزال شرب الماء البارد على الريق والنوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت
ويقال اربعة تهدم العمر وربما قتلن دخول الحمام على بطنة والجماع على الشبع واكل القديد اليابس ومجامعة
العجوز ويقال اربعة اشياء تفسد العقل اذا اكثر منها اكل البصل والباقلى والخيار والجماع وقال النظام
ثلثة اشياء تخلق العقل وتفسد الذهن طول النظر في المراة ودوام النظر الى البحر والاستغراق في الضحك
ويقال عشا الليل يورث العشا وعشرة خصال تورث النسيان اكل سور الفار واكل التفاح الحامض
واكل الكزبرة الرطبة والحجامة في النقرة والبول في الماء الراكد وطرح القملة في الطريق والمشي بين
جملين مقطورين وقراة كتاب القبور والنظر الى المصلوب وكنس البيت بالخرقة قال الاصمعي وسمعت
اعرابيا يقول اللهم اني اسالك ميتة كميتة ابي خارجة اكل بزجا وشرب معسلا ونام في الشمس ولقي
ربه عز وجل شبعان ريان دفان معسلا لبنا مشوبا بالعسل والبزج الحمل ومن الزيادات
عن اهل الطب في الطبايع الماكوله روى سليمان بن ارقم عن الزهري حديثا غريبا لم يتابع عليه تفرد به
عن صالح بن زياد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من بات في بطنه جزرة او جزرتان او ثلاث امن
من القولنج والدبيلة روى معمر بن خثيم عن جدته ربيعة قالت سمعت عليا عليه السلام يقول اذا اكلتم
الرمان فكلوه بشحمه فانه دباغ المعدة وذلك يوم الجمعة على المنبر وفي حديث اسمعيل عن ابي خالد
عن طارق بن شهاب قال بعث سليمان صلى الله عليه وسلم بعض عفاريته وبعث معه رجلا وقال انظر الى
صنيعه واخبرني به ثم رده الي قال فدخل السوق فنظر الى الثوم يكال كيلا والى الفلفل يوزن وزنا

فضحك وذكر بقية الخبر من افعاله لم يكن فيه من الطعوم غير هذا فلما رده الى سليمان صلى الله عليه وسلم
قال له مم ضحكت من الثوم والفلفل قال نظرت الى الثوم وهو شفا يكال كيلا والى الفلفل وهو دا يوزن
وزنا ورواه عبد المنعم بن ادريس عن ابيه عن وهب فقال له كيلا من الفلفل قال ومر بعجوز دهرية تطبب
تصف للناس البصل وتترك الثوم قال فضحك فقال له سليمان مم ضحكت فقال عجبت من هذه العجوز المطببة
تصف للناس البصل وهو من الدا وتترك الشفا وهو الثوم وانما كان بها مرة فاكلت البصل فصادف منها
برءا فظنت انه دوا قال بعض الاخباريين عن اهل الطب ان الثوم اذا شوي بالنار ووضع على الضرس
الماكول او دلكت به الاسنان التي يعرض فيها الوجع من الرطوبة والريح ذهب ما فيها وقالوا ينفع من العطش
الحادث من البلغم ويقوم مقام الترياق في لسع الهوام والامراض الباردة قال ويقول الروم في الثوم انه دوا
لمن اصابه وجع السقي في بطنه وان اكله من ظهر به جرب او غيره برا وان دق الثوم يابسا واغلي بسمن
ولبن ثم جعله من اشتكى ضرسه فيه سخنا فامسكه ساعة ذهب وجع ضرسه وهو نافع لمن اجتوى ماءه
وقد ذكر في البصل اشيا من المنافع وغيرها ويقال دخل على نصر بن سيار وحوله بنون له صغار فقال
هل تدرون ما والد هولاء هولاء هم بنو البصل ناكله نيا ومطبوخا ومشويا فننتاج قال ويقول
الاطبا في البصل انه يشهي الطعام ان اكل نيا او مطبوخا ويشهي الجماع وان دق وشممه انسان عطس
ويشهي الطعام وان اكتحل بمائه مع العسل جلا البصر وان وضع مع الملح والسذاب على عضة الكلب نفع
والمسلوق منه يدر البول والاكثار منه يفسد العقل وقال خالد بن صفوان يوما لجاريته اطعمينا جبنا
فانه يشهي الطعام ويهيج المعدة وهو بعد من زاد العرب قالت ما عندنا منه شي قال لا عليك انه ما علمت
ليقرح في الاسنان ويستولي عليه البطن وهو من صنيع اهل الذمة وروينا عن ابن عمر ما يابنا من العراق
فاكهة احب الينا من الخبز قال وسمع علي يخطب على المنبر فقال الا انا لم نغتنم من بيت مالكم شيا
الا هذه القارورة فيها مسك اهداه الي دهقان قال ثم حل ميزره فاخرج القارورة ثم قال اللهم ورمانات
من رمان حلوان قال وكان يعجبه الرمان ما ذكر به السويق روي عن الحسن رحمه الله لا تسقوا
نساكم السويق فان كنتم لا بد فاحفظوهن وقال الرقاشي السمنة للنساء غلمة وهي للرجال غفلة
يعني انه يهيج النساء ويقطع الرجال كان غسان بن عبد الحميد كاتب سليمان بن علي يقول لجاريته اذا
قلت لك حوضي لنا سويقا فاخثريه فان الرجل لا يستحيي ان يزداد ما يرفقه به ويستحيي ان يزداد
سويقا يخثره به ومر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار عليه السلم بعبد الحميد بن علي
وهو في مزرعته وقد عطش فاستسقاه فخاضوا له سويقا بسكر طبرزذ وسقاه فقال عبد الحميد

شيئا طبرزذا بعريض مرتب كذوب الثلج خالطه الرضاب فما انا كعريض مرتب ولكن الملاح بكم عذاب
وما ليس بالطبرزد طاب لكن بمس كل اليه طاب التراب وانت اذا وطئت تراب ارض يطيب اذا مشيت بها التراب
لان بذاك سعي النحل عنها وتجنيها ابا ديك الرطاب حدثنا عن عبد الرحمن بن اخي الاصمعي عن عمه قال
كانت الطفاوية امراة من بكر بن وائل تنزل الطفاوة وكانت ادركت بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان
العباد يغشونها في منزلها فغاب غايب عندها السويق فقالت لا تفعل انه طعام المسافر والعجلان
والحزين والمريض والمسنة والنفسا وطعام من لا يشتهي الطعام وكانوا يقولون السويق من غذ المسافر
وغدا المبكر وبلغة المريض ويشد فواد الحزين ويرد من نفس الضعيف وهو جيد في التسمين وبعاده
يجلو البلغم ومسمونه يصفي الدم وان شيت كان ثريدا وان شيت كان خبيصا وان شيت كان خبزا وعن
عايشة رضي الله عنها كنت اسمن وانا جارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالتمر والبطيخ وفي الخبر بالقثا
والرطب وفي حديث ابي جعفر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل الرطب بالبطيخ وهو ياكل من هذا مرة ومن
هذا مرة وروى هذا مجملا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل القثا بالرطب والخبر المشهور اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقمة ثم وضع عليها تمرة وقال هذه ادام هذه وفي الخبر اذا اكل العبد التمر بالطلع غضب
الشيطان وقال بقي ابن ادم حتى اكل الحديث بالعتيق وروى عن عمر رضي الله عنه عليكم بالزيت فان خفتم
ضرره فاسخنوه بالنار يصير كالسمن من كتاب الطب قال اهل المعرفة بطبايع الاطعمة
احمد التمور المعروف بالبرني واحمد البسور الحسوان وقال ما اصفر من التمر احمد مما اسود قالوا
خير السمك الشبوط والبني والتباح وخير البيض بيض الدجاج السود ولا خير في بيض الهرمة
واخف البيض الرقيق واثقله الصلب ولا تعرض من الراس للدماغ ولا للسان ولا الغلصمة ولا الخراطيم
ولخفة لحم العنق من كل الحيوان وفي الخبر العنق هادية الشاة وابعدها من الاذى والفقاع يشرب
قبل الطعام ولا يشرب بعده ولا يشرب اللبن ولا يوكل الا بعد وضع الشاة بشهر او عشرين يوما ويوكل
بعد الباقلي الفوذنج فانه يذهب بنفخه ويطرح في المضيرة الفوذنج ويوكل بعد اللوبيا الخردل الرطب
يقال اول ما عرفت به حكمة بزرجمهر ان الملك حبسه فقال سلوا الملك مكان الادم الاترج ليكون القشر
لطيبكم ولحمه لفاكهتكم والحماض لصداعكم والحب لدهنكم قال الفيلسوف يغسل السويق بالماء
الحار ثلاثا ثم يغسل بالماء البارد مرة ثم يشرب والملح يستقبل به الطبيخ في اوله ولا يوكل من الفاكهة
الا ما نضج في شجره ثم يلقي ثفله وعجمه ولا يوكل الا على ريق ولا يوكل منه الا لبه ولا يوكل من الخيار
الا لبه الباذنجان يشق ويحشى ملح ويترك في الماء البارد ساعة ثم يصب عنه ثم يستعمل بعد ذلك

يوكل من الاسعر او خله ولا يعصر بحبه وقال الحجر حساد الشبان يورثان القمل النبت اليابس
اذا اكل وبخار اللبان اذا دخن به قالت الاطبا ورق الخوخ اقماعه اذا دق وعصر وشرب اسهل
حب القرع والحيات والديدان المتولدة في البطن وان تدلك يورقه بعد النورة نفع الجسد حماض الاترج
اذا طبخ به الحلق والقوبا اذهبه وحب الاترج نافع من السموم ورق التفاح الغض اذا دق
بالرفق ايا ما خمسة او ستة ثم ضمد به الوشم قلعه من غير ان يقرح موضعه التفاح يشم ولا يوكل
قال حكما الروم والحبق الذي ينبت على شطوط الانهار نافع من الرمد اذا دق ونخل واكتحل به وان
مضغه ماضغ ثم وضعه على عينه نفعه قالوا واما الفوذنج النهري يبرد الطمث فان اخذت منه الجلي اوقية
وطبخ بنصف رطل ما حتى يبقى منه الثلث وشرب اسهل السودا الطرخون يوكل مع الكرفس نافع الراس
يقوي المثانة وينفع من يقطر البول اذا كان من برد والكشوث يذهب بالادقان عنب الثعلب قاطع لدم
الحيض ان شرب او تحمل به والكرفس ان طبخ وشرب ماوه كان دوا من وجع الكليتين من الاثر قالوا والحمص
محسن للون زايد في لبن المرضع يدر دم الحيض وهو مكثر للمني زايد في الجماع وان خلط بالباقلي
سمن والباقلي اذا ادمن عليه اكل البصر واحال الاحلام اضغاثا لا تاويل لها والخردل نافع من حمى
الربع والحميات المتقادمة وينفع من وجع الارحام ويخفف اللسان الثقيل من البلغم وينزل الرطوبة
من الراس الحرف يخرج حب القرع من الجوف وينفع من عرق النسا ووجع الورك واذا سخن بالما الحار وشرب
منه وزن خمسة دراهم اسهل الطبيعة ونفع من القولنج حدثنا ابو حاتم عن الاصمعي قال قلت لابن
ابي عطارد بلغني ان اباك كان ذا منزلة من ابن سيرين فما حفظت منه قال قال ابي قال لي ابن سيرين
يا ابا عطارد ان سويق العدس بارد وهو يقطع الدم الباذنجان اذا اكثر منه ولد الكلف في الوجه واورث
السرطان والاورام الصلبة شم الخيار صالح لمن اصابه الغشي من الحرارة بزر القثا اذا شربه من
به الاثر نفعه وان اصاب ضبعا حمى فالزقت قثاتان بمثان جلده احدهما عن يمينه والاخرى
عن شماله ساعة واحدة قلعت الحمى عنه السلق ان دق مع اصله وعصر ماوه وغسل به الراس
اذهب الاثر واطال الشعر القرع اذا شوي بالنار ثم عصر فجعل ماوه في اذن من يشتكي اذنه نفعه
وان دهن منابت شعر اللحية بدهن القرع المر وقثا الحمار مداف فيه شحم ارمني اسرع فيها انبات الشعر
بقلة الرجلة اذا مضغت اذهبت شهوة الجماع وتذهب الضرس السذاب قاطع لشهوة الجماع الخرشف
اذا اكل على الريق نافع لتغير الماء ومن تاذى بالاحلام اذا شرب بزره بماء بارد الحوك مكثر للبن
مدر للبول الا انه مدر للبول الا انه يورث ضعفا في البصر وان اغلي ماوه ثم صفي واكتحل به جلا البصر

الضعيف من الرطوبة وهو الباذروج وتزعم الروم أن ماءه ينفع الأطفال من الحمى إذا أصابتهم قالوا
وهو يفسد الذهن ويورث النسيان وقال الروم من نظر عند رؤية الهلال إلى الهندبا فحلف بالقمر
لا يأكل هندبا ولا لحم قريش سلم في كل شهر يحلف فيه من وجع الضرس وقالت الأطباء الكراث النبطي
إذا أدمن كانت منه الأحلام الرديئة وولد في الرأس بخارا فإن صب في مائه خل ودقاق كندر واستعط
به سكن الصداع وإن سلق وضمد للبواسير العارضة من الرطوبة نفع منها وماء الكراث إذا خلط بمثله
من ألبان النساء ودهن الورد والكندر فكحل به عين من أصابته غشوة في بصره فلم يبصر ليلا نفعه
وأكل البصل نافع لذلك أيضا قال بعضهم شكوت الحنين المتطبب علة كنت أجدها في حلقي لا أكاد
معها أقدر على ابتلاع ريقي فقال لي تغرغر بعقيد العنب مع خمير ثلاثة أيام في كل يوم ثلاث مرات ففعلت
ذلك فذهب قالوا إذا دق الكرنب وخلط بشيء من زاج الآس كهيئة وشيء من خل فأديف ذلك
كالخطمي ثم طلي به جرب أو برص نفع بإذن الله تعالى قالوا في الفجل هاضم للطعام وإن أكل بزره
بعسل كان دواء من السعال والفواق وإن شدخ الفجل الرطب فطرح على عقرب ماتت وماؤه وبزره
بمنزلة الترياق للسموم وإن طلا أحد يده بمائه ثم قبض على حية أو غيرها من الهوام لا يضره ذلك الموضع
وإن دق بزره مع الكندس وطلي به البهق الأسود في الحمام أذهبه وإن شرب ما دق به نفع من اليرقان
الحادث من الطحال البصل إذا اكتحل بمائه مع العسل جلا البصر والمسلوق منه يدر البول والإكثار منه
يفسد العقل قالوا في لحم الماعز تحرك السوداء ويفسد الدم ويورث الهم وأحمد اللحمان ما خصي من
المعز والضأن وكان فتيا ولا خير فيما أسن ولحم الضأن نافع من السوداء واللحم أقل الطعام نحو لحم الدجاج
الدجاج الهرم شر اللحمان وأغلظها البيض إن سلق بالخل وأكل بالسماق وحب الرمان المقلو والملح
المشوي عقد الطبيعة الزبد إن طلي على منابت أسنان الطفل كان معينا على نباتها وطلوعها والمخ
والدماغ يفعلان ذلك أيضا حكى الأصمعي عن بعض أشياخه ثلاثة أشياء ربما صرعنا أهل البيت
عن آخرهم لحوم الإبل والجراد والفطر يقول الأطباء أرداء الفطر ما ينبت تحت ظلال الشجر وأرداء كله
ما كان في ظل شجر الزيتون والفطر يورث الذبحة قالوا والكمأة تورث وجع القولنج والفالج
والسكتة والذباب لا يقرب قدرا فيها كمأة ومن أراد اتخاذ الكمأة الكمأة اليابسة جعلها
في الطين الحر يوما وليلة ثم غسلها واستعملها قد روى قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رفعه
الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم وقال بعض أهل الطب
الفقاع المتخذ بدقيق الشعير نافع من الجذام قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه وأرضاه هذا

ما نقلناه نقلا وسمعناه تقبلناه من كتب أهل الأثر ونقلة الأخبار على أهل العلم بطبائع النبات وهي خلق
الله سبحانه أودعها خواص الأشياء نافعة وضارة بإذنه وقدرته عز جلاله وحكمته وأنا بريء من عهدتها
إذ لا يقين عندي بحقائقها * آخر زيادات من الآثار المنقولة من كلام العلماء من الأصل الأول

باب ذكر من لا ينبغي أن تجاب دعوته والشيء الذي إذا رآه المدعو فله أن يخرج من دعوته

قد كان السلف الصالح رضي الله عنهم لا يجيبون في طعام التباهي والتنادي ولا ما يتقدم للتزين به
والتجمل ولا مما لا يحبون أن يؤكل جميعه أو مما يراد أن يؤكل بعضه أو يترك للزينة أو يراد به الرياء والسمعة
أكل هذه الأشياء إذا علم هذه المعاني منها مكروه إذا أحضرت لهذه الأسباب وكذلك الإجابة إذا دعي
إليها غير مستحبة قال بعض المكيين قلت لوهيب بن الورد إنا لنراك تدعى إلى هذه الدعوات
وتكره الإجابة إلى بعضها فهل تعلم من رخصة في ترك الإجابة إذا دعينا فقال نعم حدثنا ابن مسعود
نهينا عن إجابة دعوة من يباهي بطعامه ونهينا عن إجابة من يتجدد بيته ونهينا عن إجابة
من يدعو الأغنياء ويترك الفقراء وروينا أن عثمان رضي الله عنه دعي إلى الطعام فقال إني أخاف
أن يكون صنع مباهاة وأما ابن عمر فإنه دعي إلى الطعام فرأى البيت قد تجدد فرجع ولم يدخل والتجديد
وضع بساط على بساط وأن يستر الحيطان بالستور ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تستر البيوت
بالثياب كما تستر الكعبة ونهى أن ينصب ستر فيه تصاوير فمن رأى شيئا من ذلك فلا يقعد فقد كان
السلف يخرجون إذا رأوا البيوت مستورة والأستار عليها صورة منصوبة وربما هتكوه وأنكروه
عليهم فعل ذلك مما لا يحصى من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فهذا مما ابتدع ولم يكن يعرف فيما سلف
ولم يكونوا يجيبون في ختان جارية ولا في اليوم الثالث من الوليمة لأنهم كانوا يقولون الطعام في الوليمة
أول يوم سنة وثاني يوم معروف وثالث يوم سمعة وروينا عن عبد الرزاق عن معمر أن ابن المسيب
دعي في وليمة أول يوم فأجاب ثم دعي اليوم الثاني فأجاب فجاءه للدعوة في اليوم الثالث فرماهم بالحصى
وقال اذهبوا أهل سمعة هذا لحرصهم على الإطعام وكثرة بذلهم للطعام كانوا يدعون على الوليمة ثلاثا
لاختصاصها بالنكاح للأمر بها وللأمر بالإجابة للدعوة إليها لقوله صلى الله عليه وسلم أولم ولو بشاة وقوله
الوليمة حق فمن لم يجب فقد عصى الله عز وجل وكل طعام صنع لأجل سبب محظور فلا تجيبن فيه
كان بعض العلماء يقول انظر عند من تأكل فإن العبد ليأكل الأكلة فيتقلب قلبه فلا يعود إلى ما كان عليه
أبدا وقال آخر إن الرجل ليأكل الطعام يدعى إليه فيتغير قلبه عليه كما يتغير الأديم العتيق فلا يصلح
بشيء أبو صالح الفراء عن ابن أسباط قلت للثوري من أجيب قال لا تدخل على رجل إذا دخلت عليه

انه عليك فهلك وقد كان يكره الدخول على اهل البسط يعني الاغنياء فاما الطعام لاهل الميت فهو على ضربين
ضرب منه يصنعه اهل الميت للنوائح والبواكي ومن يعينهم على الجزع وتجديد الحزن فاكل هذا مكروه واجابة
الداعي اليه لا تجوز والضرب الآخر يحمل اليهم على المعروف والصلة من الحاملين لهم لشغلهم عن انفسهم
واصلاح طعامهم لميتهم فهذا لا باس بحمله اليهم ويجوز الاكل منه وان اطعموا غيرهم لانه من البر والمعروف
اذا لم يرد به النوائح ولا المجالسة على القبور للجزع والاسى وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لما جا نعي جعفر بن ابي طالب ان آل جعفر قد شغلوا بميتهم عن صنيع طعامهم فاحملوا اليهم ما
ياكلون فهذا سنة في حمل الطعام الى اهل الميت ومن دعي الى الطعام وكان في بيت الداعي احد خمس خصال
فلا تجب دعوته ولا حرج في ترك الاجابة ان كانت مائدة يشرب بعدها مسكر وان لم يعاينه في الحال او كان الاثاث
فراش حرير او ديباج او كان في الآنية ذهب او فضة او كان البيت منجد الحيطان مستر ابالثياب او كانت
صورة ذات روح في ستر منصوب او في الحائط ومن اجاب الدعوة فان راى احد هذه الخمسة فعليه
ان يخرج او يخرج ذلك فان قعد فقد شركهم في فعلهم دعي احمد بن حنبل رضي الله عنه الى الطعام فاجاب في
جماعة فلما استقر في المنزل راى آنا من فضة في البيت فخرج وخرج اصحابه معه ولم يطعموا ويقال
انه خرج من اشنانه رآها كان راسها المغطى به من فضة فخرج من ذلك حدثنا عن احمد بن عبد الخالق
قال حدثنا ابو بكر المروذي قال سالت ابا عبد الله عن الرجل يدعى الى الوليمة من اي شي يخرج فقال خرج
ابو ايوب حين دعي فراى البيت قد ستر ودعي حذيفة فراى شيا من زي الاعاجم فخرج وقال من تزيا
بزي قوم فهو منهم قلت لابي عبد الله فان راى شيا من فضة فقال اما كان يستعمل يعجبني ان يخرج
قلت ان كانت اشنانة راسها مفضض ترى ان يخرج قال نعم ارى ان يخرج قال وسمعته يقول دعانا
رجل من اصحابنا قبل المحنة وكنا نختلف الى عفان فاذا انا من فضة فخرجت فاتبعني جماعة فنزل
بصاحب البيت امر عظيم قلت لابي عبد الله الرجل يدعى فيرى المكحلة راسها مفضض قال نعم هذا يستعمل
كل ما استعمل فاخرج منه انما رخص في الضبة او نحوها فهو اسهل سالته عن الكلة فكرهها قلت فالقبة
او المجلة فلم ير بها باسا وقلت لابي عبد الله ان رجلا دعا قوما فجي بطست فضة وابريق فكسره
فاعجبه كسره قال ابو بكر المروذي سالته عن الرجل يدعى فيرى فرش ديباج ترى ان يقعد عليه او
يقعد في بيت آخر قال يخرج قد خرج ابو ايوب وحذيفة وقد روي عن ابن مسعود الخروج قلت ترى
ان يامرهم قال نعم يقول هذا لا يجوز قلت لابي عبد الله الرجل يكون في بيت فيه ديباج يدعوا به للشي
قال فلا يدخل عليه ولا يجلس معه قلت الرجل يدعى فيرى الكلة فكرهها وقال هو رياء لا يرد من

حر ولا برد قلت الرجل يدعى فيرى سترا فيه تصاوير قال لا ينظر اليه قلت فقد نظر اليه قال ان امكنه خلعه
خلعه قال سالت ابا عبد الله عن الستر يكتب عليه القرآن فكرهه وقال لا يكتب القرآن على شي منصوب
لا ستر ولا غيره قلت الرجل يكترى البيت فيه التصاوير ترى ان يحكه قال نعم قلت لابي عبد الله رحمه الله
دخلت حماما فرايت فيه صورة ترى ان احك الراس قال نعم وسالته عن الجوز ينثر فكرهه وقال
يعطون يقسم عليهم يعني الصبيان كما صنع ابن مسعود اسنده حدثه ابو حصين عن خالد بن مسعود
رحمه الله قال ابو بكر المروذي دخلت على ابي عبد الله رحمه الله وقد حذق ابنه وقد اشترى جوزا يريد ان
يعده على الصبيان يقسمه عليهم وكره النثر وقال هذه نهبة وقال هاشم بن القاسم حدثنا محمد
قال كان طلحة وزبير يكرهان النثر في كل شي في العرس والختان وغيرهما من الجوز والسكر قال وسالت
ابا عبد الله عن قرص الرغيف والخبز فلم ير به باسا آخر الزيادة في الحديد من الاصل الاول خمسة لا تجاب
دعوتهم وان دعي رجل ولم يعلم فلا حرج عليه ان يخرج من بيته المبتدع واعوان الظلمة وآكل الربا
والفاسق المعلن بفسقه ومن كان الاغلب على ماله الحرام ولم يكن يتورع عن الاثام في معاملة الانام
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي ذلك ان التقي قد كفاك
الاجتهاد في الماكول لتقواه فاغناك عن سؤال عنه ولان التقي اذا اطعمته استعان بالطعمة على البر
والتقوى فتصير معاونا له عليها كما قال تعالى فيشركك في بره والفاجر والظالم ان اكلت طعامهما
صرت من اعوان الظلمة بمثل ذلك لهما في الطعمة كما سال خياط لابن المبارك فقال اني اخيط لبعض
ولاة هاولا يعني الامرا فهل اخاف ان اكون من اعوان الظلمة فقال لست من اعوان الظلمة بل انت من
الظلمة انما اعوان الظلمة من يبيع منك الابر والخيوط وقد عمل ذو النون المصري اغمض من هذا
في الورع ما سمعت ادق منه ان السلطان لما سجنه في كلام انكره عليه العامة من العلم الغامض كانت
المائدة من قبل السلطان تختلف اليه فلم يكن يطعم منها شيا ولم ياكل اياما كثيرة مدة مقامه
في السجن فكانت له اخت له قد آخته في الله تعالى تبعث اليه من مغزلها وتدفعه الى السجان فيحمله اليه ويعرفه
انه من قبل تلك العجوز الصالحة قال فلم يكن ايضا ياكل منه فلما خرج لقيته العجوز فعاتبته على رد
الطعام وقالت قد علمت انه كان من مغزلي فقال نعم الا انه جاني على طبق ظالم فرددته لاجل الظرف
يعني بها يد السجان ولعمري انا روينا عن علي عليه السلام انه اهدى له دهقان بالكوفة في يوم عيد لهم
خبيصا على جام من فضة يكرمه بذلك فرده ولم ياكل منه وقال رددته لاجل ظرفه الذي كان فيه وقيل
من اكل لقمة حرام قسا قلبه اربعين يوما ويقال اظلم قلبه ومن اكل الحرام اربعين يوما لم يزهد في الدنيا ابدا

فهذا كما قيل في صدره من أكل الحلال أربعين يوما زهد في الدنيا وأدخل الله تعالى النور في قلبه وأجرى الحكمة على لسانه وقال بعض السلف أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وقال الآخر من أقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر في الشتاء وكان سهل رحمه الله يقول في السياحين في الأمصار والمنقطعين بالأسفار إن الرجل ليدخل قرية فيجوع ولا يقدر على الحلال فيعرض عليه الشبهات فلا يأكل ويبيت تلك الليلة جائعا فيجعل في ميزانه جميع أعمال أهل تلك القرية ومن أجبره سلطان على طعام أو قدمت إليه شبهة أكره على أكلها فليتعلل بعلالة منه ولينقر نقرا ولا يقصد الأطيب ولا يكبر اللقمة ولا يستكثر في الطعمة وليأكل ما يسد رمقه ولا يخاف التلف على نفسه إن هو فارقه حدثني بعض الشهود أن من كان من أهل العلم بخراسان رد شهادة شاهد أكل من طعام سلطان كان أجبره فقال إنه كان أجبرني على الأكل فقال قد علمت ذلك ولم أرد شهادتك أنك أكلت ولكني رأيتك تقصد الأطيب وتكبر اللقمة فهل كان أجبرك على هذا فلأجل هذا جرحتك عند الحاكم قال لنا الشيخ رضي الله عنه وأجبر السلطان هذا المزكي على الأكل من ماله فقال اختاروا إحدى خصلتين إما أن آكل كما ذكرتم فلا أزكي بعد ذلك أحدا ولا أجرح ولا أعدل شاهدا وإما أن أترك على حالي هذا في الجرح والتعديل بالتزكية ولا آكل من طعامكم قال فنظر السلطان وذووه فإذا هم محتاجون إليه لأنه كان قليل النظير ولم يكن لهم بد من حسن نظره ومن قيامه بشأن الحكم فتركوه وحده فلم يأكل من طعامهم شيئا وأجبروا من معه وكانوا قد حملوا من نيسابور إلى بخارا في قصة طويلة حذفت سببها المعنى هذا باختلاف الألفاظ التي سمعتها ولكن توخيت ما سمعت على المعنى وقد كان بشر بن الحارث يقول في الأكل من الشبهات يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وكان إذا سئل وتكلم في الحلال قيل له فأنت يا أبا نصر من أين تأكل فكان يقول من حيث تأكلون وليس من يأكل وهو يبكي مثل من يأكل وهو يضحك وقد قال سري السقطي رحمه الله لا يصبر على ترك الشبهات إلا من ترك الشهوات ففي تدبره أن من أحب الشهوات لم يترك الشبهات كما كان الزهري رحمه الله إذا عوتب في صحبة بني مروان يقول أصدقكم أخي اتسعنا في الشهوات فضاق علينا ما في أيدينا فانبسطنا إليهم وهذا فصل الخطاب لأولي الألباب قال الشيخ أبو طالب رحمة الله عليه هذا آخر كتاب الأطعمة

ذكر فرائض الفقر وفضائله

قال الله تعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض فقدم وصف أوليائه بالفقر على مدحهم بالهجرة والحصر والله سبحانه لا يصف من يحب إلا بما يحب فلولا أن الفقر أحب الأوصاف إليه ما مدح به أحباءه وشرفهم به وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالفقر وأخبر بفضله في غير موضع منه حديث إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله تعالى في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به فقالوا فمن خير يا رسول الله فقال فقير يعطي جهده ومنه حديث بلال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا وفي الحديث الذي روي عن الأعرابي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لا أفضل من الفقير إذا كان راضيا وفي الحديث الآخر أن الله تعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال وفي الخبرين المشهورين يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام والحديث الآخر اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فهذا منه تفضيل للفقراء وإكرام لهم وحث وتنبيه على فضل الفقر وروينا عنه عليه السلام خير هذه الأمة فقراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وروينا في خبر إسماعيل النبي صلى الله عليه وسلم المفسر بخبر موسى عليه السلام أن إسماعيل قال يا رب أين أطلبك فقال عند المنكسرة قلوبهم من أجلي قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال أبو سليمان الداراني الأعمال كلها في الخزائن مطروحة إلا شيئين فإنهما مخزونان مختوم عليهما لا يعطيهما إلا من طبع بطابع الشهداء الفقر مع المعرفة وكان يقول تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غني ألف عام وقال بشر بن الحارث لرجل قال له ادع الله لي يا أبا نصر فقد أضر بي العيال والفقر فقال له بشر إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله تعالى لي ذلك الوقت فإن دعاءك أفضل من دعائي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل عبادة الفقير مثل عقد جوهر في جيد الحسناء وقال العبادة لا تليق بالأغنياء والتقوى لا يحسن إلا بزهد وقال بعض العلماء أبى أهل المعرفة أن يقبلوا هذا العلم إلا من الفقراء وكرهوا أن يسمعوه من الأغنياء وزعموا أنه لا يليق بهم وقد كان بعض العارفين يقول هذا العلم عوضه الله تعالى للفقراء بدلا من الدنيا لا يظهره إلا لهم ولا يوجده إلا عندهم روحهم به في الدنيا وجعله عوضا لهم مما تركوا له اليوم فإذا كان غدا لم تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وله من المزيد وقد روينا في تفسير قوله سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم قال على الفقر في الدنيا فمن فرائض الفقر عند الفقراء الصبر عليه بترك المسألة قبل ورود الفاقة وقطع الهم عن التشوف إلى الخلق ولا يتناول عند الحاجة ما حظره الله تعالى ولا يتجاوز حدا من حدود الله عز وجل وإن سأل عند فاقة لم يستكثر ولم يدخر فإن أعطي فوق كفايته فاقتناه ليكفه عن المسألة فلا بأس به ويتوخى في مسألته المتفقر ومن يعلم أنه يتحرى في مكسبه فإن مسألته عمل له يلزمه التورع

فيها كما يلزمه الورع في مكسبه ولا يسأل من يعلم انه لا يبالي من اين اكل ولا من لا يتورع عن الحرام في
مكسبه والعبد بنفس الحاجة والجوع يستحق على اخوانه شبعة يقيم بها نفقه ويسكن بها نفسه وبنفس
العدم والعري يستحق عليهم ان يواروا عورته وذلك لانه للمسلمين وواجب له عليهم فان قام به بعضهم
سقط عن غيره وجوبه وان سأل فلا شيء عليه ويقال ان كفارة المسألة صدق السائل في مسألته وصدقه
ان لا يسأل الا بعد فاقته ومع خوف التقصير في اداء الفرائض من اختلاف عقله وتشتت قلبه وان يكف
مع اول الكفاية ولا يدخر بعد الشبع ليستكثر ولا يجعل المسألة له عادة ووكدا ولا حرفة وكدا ومهما
استغنى عن السؤال فليكن ذلك احب اليه فانه افضل له وقد سأل ثلثة من الانبياء عليهم السلام عند فاقاتهم
منهم سليمان بن داود وموسى والخضر صلى الله عليهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم للسائل حق ولو جا على فرس
وفي الحديث لا تردوا السائل ولو بظلف محترق فلو كانت المسألة اثما وعدوانا لم يكن يحث على الاعطاء
فيكون معاونا على الاثم والعدوان ولكنه من البر والتقوى ومعاون عليه بالعربيه لحرمة الاسلام ولان
المواساة من البر وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال يا يرفا عش الرجل فعشاه ثم
سمعه ثانية يسأل فقال الم اقل لك عش الرجل قال قد عشيته فنظر عمر رضي الله عنه فاذا تحت يده مخلاة
مملوة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم نثر المخلاة بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال
لا تعد وروينا عن علي عليه السلام ان لله عز وجل في خلقه مثوبات فقر وعقوبات فقر فمن علامة الفقر
اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه عز وجل ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن نبي
علامة الفقر اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي به ربه عز وجل ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء
فهذا كما قال علي عليه السلم وهذا النوع من الفقر الذي هو عقوبة هو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم
وليس هو الفقر من المال وانما هو فقر النفس الى الخلق والفقر بين صدق الحال وروينا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مسألة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوما على الاسلام واشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيئا وكان يأمر
صلى الله عليه بالعزة والتعفف والكف عن المسألة ويقول من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله
وقال من لم يسألنا فهو احب الينا وقال استعفوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك
يا رسول الله فقال ومني فلو لم يكن في ترك السؤال الا دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته لكان
خيرا كثيرا وقال عليه السلم من سأل عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء
يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم وفي خبر آخر كانت مسألته كدوحا وخدوشا

في وجهه وفي الحديث استغنوا بغنى الله فقالوا وما هو فقال غدا يوم او عشا ليلة وفي الخبر من سأل
وله خمسون درهما او نحوها من الذهب فقد سأل الحافا ومن كان معه هذا القدر من الدنيا لم يخرجه من
عموم الفقراء فان سأل مع ذلك اخرجه من عمومهم ومن سأل قبل الجوع او بعد الشبع او سأل ليدخر او سأل
وله غداء يوم او عشا ليلة اخرجه ذلك من خصوص الفقراء وسئل سفيان الثوري عن افضل الاعمال
فقال التجمل عند المحنة وعلى الفقير ان لا يزكي غنيا لاجل عطائه ولا يذمه ولا يمدحه ولا يمقته لاجل
منعه ولا يعظم اهل الدنيا ولا يكرمهم لاجل دنياهم قال ابن المبارك من تواضع الفقير ان يتكبر على الاغنياء
وعن علي عليه السلام انه قال ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله تعالى واحسن منه تيه الفقير
على الغني ثقة بالله عز وجل ومن فرائض الفقراء ان لا يسكت الفقير عن حق ولا يتكلم بهوى لاجل دوام
العطاء من احد ولا لاجتلاب نفع فان ذلك مداهنة في الدين ومن فضائل الفقر ان لا يدخر اكثر من اربعين
يوما ولا يكون المدخر اكثر من اربعين درهما والاصل في ذلك ان الله تعالى قال وواعدنا موسى ثلثين ليلة
واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة فاذا فسح له في تاميل الاربعين فالادخار على قدر الامل
لان من امل حيوة اربعين يوما جاز ان يدخر اربعين ومن قصر امله الى يوم وليلة لم يدخر الا ليومه وليلته
فترك الادخار مقتضى قصر الامل وقد جعل غنى الفقير في اربعين درهما فهذا لعموم الفقراء فاما خصوصهم
فان غناهم غدا يوم او عشا ليلة لقصر املهم كما جا في الخبر الذي ذكرناه آنفا ومن فضل الفقر ان لا يهتم
لرزق غد كما ان الله تعالى لا يطالبه بعمل غد قبل مجيئه ولان الرزق معلوم مقسوم والوكيل حفيظ
قيوم وان يكون راضيا بفقره شاكرا عليه ويغتبط بالفقر لعظيم نعمة الله تعالى فيه ويخاف ان يسلب
فقره اشد من خوف الغني ان يسلب غناه لشدة اغتباطه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معشر الفقراء اعطوا الله من نفوسكم الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب الله تعالى لفقركم والا فلا وروى
عبد الرحمن بن سابط عن علي عليه السلم عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل احب العباد الى الله تعالى
الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى وينبغي ان يغتنم بالايثار ويفرح بالمصيبة والضيق
ويحب المساكين ويفضلهم على ابناء الدنيا ويرحم الاغنياء ولا يذمهم لاجل غناهم ويؤثر الفقراء ويقربهم
ويحسن على الفقر خلقه ويجمل عليه صبره ويستر بالتعفف فقره ولا يظهره بالتكره والشكوى
وفي الخبر عن الله سبحانه اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا
فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلم يا رب من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك
فقال كل فقير فقير والتكرير لمعنيين احدهما المتحقق بالفقر والثاني الشديد الحاجة وقال عيسى عليه السلم

إني أحب المسكنة وأبغض الغنى وقيل كان من أحب أسمائه إليه أن يقال له يا مسكين وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في دعائه الذي لقاه من ربه وأمره به اللهم إني أسألك الطيبات وترك المنكرات وحب
المساكين ومما يعتبر به فضل الفقر على الغنى أن أفضل الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن شركه
وقاربه بمعنى وصفه فهو الأفضل لأنه الأمثل فالأمثل وهم الفقراء الذين وصفهم الله تعالى بوصفه
فقال ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه إلى قوله أن لا يجدوا ما ينفقون فلما
شاركوه في العدم وكان حال الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأفضل والأتم دل على فضل حالهم على غيرهم وقد
قال الله تعالى كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وقال إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم
أغنياء فوصف الأغنياء بالطغو وأوقع عليهم الحجة وقال في الفقراء يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف
فلولا أن الأغنياء مفضولون ما نسبوا بأوصافهم إلى النقص والغنى باب الدنيا وأصل التكاثر والتفاخر
المذموم والفقر باب الآخرة وأصل الزهد التواضع المحمود وعند أهل المعرفة أن الغنى من معاني الصفات
التي لا ينبغي أن ينازع فيها ومكروه لمن ابتلي بمعانيها وأنه مثل العز والكبر وحب المدح والذكر فمن أحب
شيئا من ذلك وطلبه فقد نازع الله تعالى ليستة فتركوا ذلك إجلالا لله تعالى لأنه من صفات الربوبية وسلموه
له خوفا منه أو حبا له وأن الفقر من صفات العبودية مثل الخوف والرجاء والتواضع والذل فمن طلب ذلك
وأحبه فقد تحقق بوصف العبودية والله تعالى يحب أن يتحقق العبد بأوصافه لأنه عبد ذليل ويكره
أن ينازعه معاني صفاته لأنه ملك جبار جليل ومن أحب الغنى دل على حب البقاء وكان سهل رحمه الله يقول
حب البقاء شرك في الربوبية لأن البقاء من صفات الباقي ومن فضل الغنى على الفقر دل على حب الغنى
وظهر بذلك محبته للأغنياء لأن حب الوصف دليل على حب الموصوف وحب الشيء أيضا دليل على بغض ضده
فإذا أبغض الفقراء أبغض الفقر وإذا أبغض الفقر فقد أحب الغنى فقد اختار الرغبة على الزهد والكثرة
على القلة والعز في الدنيا على الذل ولا خفاء بفساد هذا القول ونقصه عند العلماء بالله عز وجل ثم
الفقراء على ثلاثة منازل فقراء الأغنياء وهم أهل السؤال عند الفاقات الكافون نفوسهم القانعون بالكفاف
وهم طهرة الأغنياء وغرمهم من الله تعالى وهم الذين جعل الله تعالى لهم في أموال الأغنياء سهما لأن منهم
السائل والمحروم ومنهم القانع والمعتر والطبقة الثانية فقراء الفقراء وهم المتحققون بالفقر المختارون
له المؤثرون له على الغنى العظيم معرفتهم لعظيم فضيلة أهل التعفف والصيانة وهم الذين لا يبتذلون بالسؤال
ولا يتعرضون في المقال راضون بالميسور من مولاهم تعرفهم إذا رأيتهم بسيماهم يحسبهم الجاهل أغنياء
من التعفف لترك المسألة والشكوى ومنهم المحروم حرم السعي للدنيا ومنهم المحارف المنحرفة عنه الأسباب

ومنهم القانع قنع بما يصل إليه من غير استشراف ولا تبذل فيه ومنهم المعتر رضي عن الله عز وجل بما يعتريه
وقيل إنه ما طلب أحد شيئا من الدنيا إلا قيل له خذه على ثلاث شغل هم وطول حساب
فأما الطبقة الثالثة فهم أغنياء الفقراء وهم الأجواد الأسخياء أهل البذل والعطاء يأخذون ويخرجون
لا يستأثرون ولا يدخرون إن منعوا شكروا المانع لأنه هو المعطي فصار منعه عطاء وإن ضيق عليهم
حمدوا الواسع لأنه هو المحمود فصار ضيقه رخاء وإن أعطوا بذلوا وآثروا به لأنهم زاهدون في الدنيا
لا راغبون وقد نام اليقين غناء وقال إبراهيم بن أدهم لشقيق بن إبراهيم حين قدم عليه من خراسان كيف
تركت الفقراء من أصحابك فقال تركتهم إن أعطوا شكروا وإن منعوا صبروا فقال إبراهيم هكذا تركت
كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق وكيف الفقراء عندك يا أبا إسحق فقال الفقراء عندنا إن منعوا شكروا
وإن أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ وكان بشر يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل
وإن أعطي لم يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسأل وإن أعطي أخذ فهذا مع المقربين
في جنات الفردوس وفقير يسأل عند فاقته فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين وصدقه في حاله كفارة
مسألته ودفع إلى إبراهيم بن أدهم ستون ألفا وكان عليه دين وبه حاجات إليها فأخرجها من يومه
فقيل له في ذلك فقال كرهت أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بستين ألفا وقد كانت عائشة رضي الله عنها
تفرق مائة ألف درهم في يوم كان يوجه بها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وإن درعها لمرقوع فتقول لها
الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما وكانت صائمة فقالت لو ذكرتيني لفعلت وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم أوصاها فقال إن أردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي
درعا حتى ترقعيه فأما قول النبي صلى الله عليه وسلم للفقراء ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فلعل
شيئا لم يتدبر أول الكلام يظن أن هذا تفضيل للأغنياء على الفقراء وإنما هو تحقيق لقوله الأول
وهو قولوا كذا وكذا فإنه لا يسبقكم أحد قبلكم ولا يدرككم أحد بعدكم فقالوه فلما سمع الأغنياء بذلك
فقالوا كقولهم جعل في قلوب الفقراء منه شيء فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليثبتوا في قوله
فقال الأمر كما قلت لكم لا يسبقكم أحد قبلكم ولا يدرككم أحد بعدكم إذ قد صح منه هذا القول في الأول
وهو معصوم فيه فلو لم يكن كذلك لنقض آخر قوله أوله ولا يجوز ذلك وأيضا فإن حمل على ظاهره
كما تأوله فإنه فضل الله في الدنيا لا تفضيل لهم به في الآخرة على مقامات الفقراء لأن الأدلة قد قامت
بتفضيلهم ويصلح بمعناه فضل أعطاهم الله تعالى بهذا القول الذي قلتموه زادهم به لأنه من مقامكم
وحالكم بغيره وإذ قد ثبت فضلكم عليهم بوصف الفقر وحال الصبر بغير هذا الذكر وهذا التسبيح رجحان

[illegible]
لكم تمام على فضلكم بغيره وبهذا القول ترى الأغنيا بفضل من الله عليهم ودرجتهم لأنهم يفضلون بنعم عليكم
ونحن فلم نقل ليس الغنى طريقا للأغنياء إلى الله سبحانه وتعالى وإنما فضلنا طريق الفقراء لأنهم الأمثل
فالأمثل بالأنبياء وعن الحسن في قوله تعالى وما يستوي الأحيا ولا الأموات قال الفقراء والأغنياء
فجعل الفقراء أحياء بمولاهم وجعل الأغنيا موتى بدنياهم وقال الثوري إذا خالط الفقير الأغنيا فاعلم
أنه مراء وإذا خالط السلطان فاعلم أنه لص وقال بعض العارفين إذا مال الفقير إلى الأغنياء انحلت
عروته فإذا طمع فيهم انقطعت عصمته وإذا سكن إليهم ضل فمن فضل الغنى على الفقر بعد الأخبار
التي وردت بها الآثار في تفضيل الفقر والفقرا وذم الغنى والأغنياء فأحسن حاله الجهل بالسنن
لإيثاره الرأي والهوى على ما فيه أثر وسنة لأن الأثر إذا جا في شي لم يكن للرأي فيه مدخل وكان في
مخالفة الأثر مع العلم به عناد ومحادة نعوذ بالله من الجهل والهوى ونسأله العلم والتقوى

ذكر حكم من لا معلوم له من الأسباب فإن لم يكن للفقير معلوم من الدنيا وكان رزقه قد أجرى
على أيدي العباد عن غير تعريض منه لهم من صنائع الدنيا معتاد فقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن هذا المال مال الله عز وجل فمن أخذه بحقه بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه
وكان كالآكل ولا يشبع وروينا من آتاه الله تعالى شيئا من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف
فإنما هو رزق ساقه الله تعالى إليه وفي لفظ آخر فلا يرده فإن كان محتاجا إليه وإلا صرفه إلى من هو
أحوج إليه منه وقد روينا عن الحسن وعطاء حديثا مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من آتاه
الله تعالى رزقا من غير مسألة فرده فإنما يرده على الله عز وجل وروينا عن عائذ بن شريح عن أنس
بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم ما المعطي من سعة بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا وقال
بعض العلماء لو هرب العبد عن رزقه لطلبه حتى يصل إليه كما لو هرب من الموت لأدركه وقال سهل
رحمه الله لو أن العبد سأل ربه عز وجل فقال لا ترزقني لما استجاب له وكان عاصيا ولقال له يا جاهل
لابد من أن أرزقك كما خلقتك وقد حدثنا عن بعض أهل المعرفة أن زاهدا زهد في الدنيا فبلغ من
زهده أن فارق الناس وخرج من الأمصار وقال لا أسأل أحدا شيئا حتى يأتيني رزقي إن كان لي رزق
قال وأخذ يسيح فأقام في سفح جبل سبعا لم يأته شي حتى كاد أن يتلف فقال يا رب إن أحييتني
فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك فأوحى الله تعالى إليه وعزتي وجلالي لا أرزقنك حتى
تدخل الأمصار وتقيم بين الناس قال فدخل المصر للأمر وأقام بين ظهراني الناس فجاءه هذا بطعام
وهذا بإدام وهذا بشراب فأكل وشرب قال فأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله عز وجل إليه أردت أن

تذهب

تذهب حلمي بزهدك في الدنيا أما علمت أني أن أرزق عبدي بأيدي عبادي أحب إلي من أن أرزقه
بيد قدرتي وقال بعض العارفين كنت ذا صنعة جليلة فأريد مني تركها فجاءك في ضميري من أين
المعاش فهتف بي هاتف لا أراه تنقطع إلي وتتهمني في رزقك علي أن أخدمك وليا من أوليائي
أو أسخر لك منافقا من أعدائي وفي خبر عن بعض السلف أوحى الله تعالى إلى الدنيا أخدمي من خدمني
وأتعبي من خدمك وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للإنفاق في سبيل الله تعالى
فرأيت ذات ليلة فقيرا يطوف بالليل بالكعبة حسن السمت والهدي قال فكنت أتبع آثار قدميه وأمشي
خلفه من حيث لا يشعر فلما قضى أسبوعه وقف في الملتزم بين الباب والحجر فسمعته يدعو دعاء
خفيا فأصغيت إليه فإذا هو يقول جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى
قال فنظرت فإذا عليه خلقان رثة لا تكاد أن تواريه فقلت في نفسي ما أجد لتلك الدراهم موضعا
خيرا من هذا قال فتبعته حتى انصرف إلى الناحية قبة زمزم يصلي ركعتي الطواف فذهبت إلى منزلي
فجئت بالدراهم فدفعتها إليه وقلت رحمك الله أنت في مثل هذا الموضع وعلى مثل هذه الحال فلو أخذت
هذه تكون معك تنفقها على نفسك قال وصببتها في طرف إزاري بين يديه على الأرض فنظر إليها
ثم أخذ منها خمسة دراهم فقال أربعة ثمن مئزرين ودرهم أنفقه ثلاثا ولا حاجة لي بسائرها
قال فرأيته في الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان قد اشتراهما قال فهجس في نفسي منه شي فالتفت
إلي فأخذ بيدي فأطافني معه أسبوعا كل طوف منها في جوهر من معادن الأرض يتخشخش تحت أقدامنا
إلى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر لم يظهر للناس فقال هذا كله قد أعطيناه
فزهدنا فيه ونأخذ من أيدي الخلق أحب إلينا لأنه أحب إلى الله تعالى وأخف علينا في الطالبة ولأن
في هذه أثقالا وفتنة وروينا في خبر البلاد بلاد الله والخلق عبيده فأين ما وجدت رزقا فأقم
واحمد الله تعالى وروينا عن ابن عباس اختلف الناس في كل شي إلا في الرزق والأجل فالكل أجمعوا
أن لا رازق إلا الله ولا مميت إلا الله وقال إن الله عز وجل لما خلق الأرزاق أمر الرياح أن تفرقها في
أقطار الأرض ففرقتها فمن الناس من وقع رزقه في مائة ألف موضع ومنهم في عشرة آلاف موضع
وأقل وأكثر ومنهم من وقع رزقه على باب منزله يغدو ويروح إليه وكل عبد يسعى بأثر الذي كتب له
حتى يستوفي رزقه الذي كتب له فإذا فني أثره واستوفى رزقه جاءه ملك الموت فقبض روحه واعلم
أن العبد لا ينقطع رزقه أبدا منذ ظهرت خلقته في بطن أمه غذاه بما تغيض الأرحام من دم
الحيض يعيش بذلك جسمه من معاه المستطيل من سرته متصل بمعا أمه يصل من بطنها مخ الطعام

الى بطنه فيعيش بذلك في البطن فاذا اذن الله عز وجل بخروجه بعث اليه الملك فقطع ذلك العلاق من موضع
اتصاله بمعا امه فاذا دخل الى الدنيا جعل رزقه من الدنيا فاذا خرج منها فآخر رزقه من الدنيا اول رزقه
من الآخرة فاذا دخل في الآخرة كان رزقه في البرزخ كما كان في الدنيا بتلك المعاني لمعانيه المحتملة لذلك
فاذا خرج من البرزخ ودخل في القيامة كان رزقه في الموقف على قدر حاله هنالك فاذا خرج من الموقف
ودخل في احدى الدارين انتقل رزقه اليها فكان منها الى ابد الابد فهذه حدود رزقه الاربعة وكذلك
عمره واثره ومكانه من المواضع لا يبقيه بمعانيها فهو ثابت في الوجود لم يرجع منه الى العدم لكن ينتقل
من مكان الى مكان وهو بمعان عن معان كما قال في فطرة الاربع التي هي اوليته خلقه من تراب ثم نطفة
ثم علقة ثم مضغة وهذه الطباقة التي ذكرها عز وجل في قوله لتركبن طبقا عن طبق فاذا شهد العبد
هذا بيقين ايمانه اطمأن قلبه فاستوى عنده الرزق والاجل وعلم يقينا ان لا بد من رزق كما لا بد من
اجل فلم يجز عليه الا مراعاة الاحكام فيه ويشهد من هذه الشهادة ان خلقا لا يقدر ان يزيد في رزقه
ولا ينقص منه ذرة كما لا يقدر ان يزيد في عمره ساعة ولا ينقص منه ساعة فاذا ايقن هذا كان مشغولا
بالمخالصة لمولاه فيما تعبده به وتولاه فلم يتفرغ مما خلف الى ما لدنياه يتخلف ثم ان الرزق
على وجهين عن معان لا تحصى وباسباب لا تنضبط فمن الرزق ما ياتي العبد بسكونه وقعوده فيكون
الرزق هو الذي تحرك اليه فياتيه ومنه ما ياتي العبد بحركته وقيامه فيكون العبد هو الذي يتسبب اليه
ويطلبه فالرزق فيهما واحد والرازق فيهما واحد والحكمة والقدرة في المتحرك القائم وفي الساكن القاعد
من واحد الا ان الاحكام فيهما متفاوتة ثم ان الاشياء كلها على ضربين مسخر لك ومسلط عليك فما سخر
لك سلطت عليه وهو نعمة عليك وعليك الشكر عليه وهذا مقام الشكر عن معنى الرفق وما سلط عليك
فقد سخرت له انت وهو بلاء عليك وعليك الصبر عليه وفيه وهذا مقام الصبر عن معنى الابتلاء فمن شهد
ما ذكرناه عرف حاله من مقامه فقام بحكم ما عرف ومن لم يشهده جهل حاله ولم يدر مقامه فاضطرب
فيه فضيع حكم الله تعالى عليه فالمستحب لمن لا معلوم له ان لا ياخذ مما اتاه الا قدر حاجته وعلامة
حاجته هو ان لا ياخذ الا ما يحتاج ان يشتريه مما جاءه من الله تعالى على ايدي عباده فاذا اتاه شيء
مما يحتاج ان يشتريه او عنده مثله فهو اختبار له وابتلاء لينظر كيف زهده في فضول حاجته
وكيف رغبته في الاستكثار لانه اذا ملك الشيء فكانه قد كان له فيعلم الآن بمعرفته ان هذا ابتلاء
من الله عز وجل له وفيه حالان افضلهما ان ياخذه في العلانية ويخرجه في السر الى من هو احوج اليه منه
هذا طريق الاقوياء وهو من اشد الاشياء على النفس وهو الذي امر به النبي صلى الله عليه وسلم

عمر رضي الله عنه

عمر رضي الله عنه وهو طريق جاد الزاهدين وحالهم والحكم الآخر ان لا ياخذه ليصرفه في حاجته الى من هو
احوج اليه منه وهذا الطريق الاوسط من طرق الزهاد فاما ان ياخذه من غير حاجة فيستكثر به
او يدخره فلا اعلم في هذا طريقا الى الله تعالى وما لم يكن طريقا الى الله تعالى فهو طريق الهوى الى عدو الله
ثم ينظر الآخذ فيما اتاه من الله سبحانه الى احكامه فيه فان كان ما ياتيه من الزكوات المفروضة على اربابها
المشترط لها الاصناف الستة المنصوص عليهم في الكتاب فذلك اضيق عليه والزم له في الاحتياط
لاخيه ان يضعه في حقيقة موضعه عند اخيه نصحا لله عز وجل في دينه ونصحا لاخوانه في ربه
فان الافضل من ذلك ان لا يضعه الا في اربعة اشياء مطعم وملبس ومسكن ودين ان كان عليه فهذا
افضل ما صرفت الواجبات فيه وقد روينا عن ابن عباس من اشترى ما لا يحتاج اليه باع ما يحتاج اليه
وفضول الدنيا وهي الزيادة على الكفاية لا يحتاج اليها والدين يحتاج اليه فلا ينبغي للعاقل ان يبيع
ما يحتاج اليه من دينه ويشتري ما لا يحتاج اليه من دنياه فتكون صفقته خاسرة وتجارته بائرة
وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم به صلبه وثوب يواري
به عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب وهذه الثلاث مع ابن آدم في بطن امه وفي قبره وبين
ذلك في دنياه وبعد ذلك في عقباه فالآخذ لمصالح هذه الثلاث العبد ماجور عليه والرد لما زاد عليها
هو افضل من الاخذ وينبغي ان يكون العبد الذي لا معلوم له عارفا باحكام العطاء فان العطاء من الله تعالى
لعبده على اربعة انواع نوعان محمودان ونوعان مذمومان فالمحمودان ما كان بمعنى الرفق والمعونة والمذموم ما
كان بمعنى الاختبار والابتلاء فعلى العبد ان يفرق بين الاختبار والابتلاء وبين المعونة والرفق فتفصيل
ذلك ان الابتلاء ما جاءه من الاسباب قبل الحاجة اليه او جاءه وله غنية عنه فهذا ابتلاء من الله له
لينظر عمله فيه والافضل في هذا ان يخرجه فيكون معاملا لله عز وجل به في السر مسقطا لمنزلته عند
الناس في العلانية وان لم يقو على هذا الثقل فالافضل له ان لا ياخذه ليحكم الله عز وجل فيه بما يشاء
نصحا لله عز وجل في خلقه ونصحا لاخيه في حاله لا سيما ان كان من الواجب والاختيار ان يكون
هذا العبد قد نوى ترك اكل شيء او عقد التقلل في شيء قربة الى الله عز وجل بمخالفة هوى نفسه
وعملا في صلاح قلبه يتباعد به مما يقوى عليه صفة نفسه فيجيئه ذلك الشيء بعينه او معناه
مما يدخله في الكثرة ويحل عليه عقده فرده هذا افضل وهو من الزهد وان اخذه ثم اخرجه الى من
هو احوج اليه منه فهذا هو زهد الزهد وله في هذا معاملات كثيرة منها ان المؤمنين قد ندبوا الى الايثار
والى المواساة فاذا كان فقيرا ثم ملك شيئا فاخرجه كان في ميزانه ومنها موافقة السنة في انه قد

ثم يأخذه ويدفعه الى من هو أحوج اليه منه ومنها أن أخذ هذا في العلانية من الناس وردّه لله تعالى
في السر فيه حمل على النفس الا على الاكابر لان النفس تسقط فيه منزلتها ثم لا تنال به متعتها فلا يصبر
على هذا الا الموقنون وهو مقام الزاهدين في أنفسهم وهو حال أغنياء الفقراء وعلماء فقراء الزهاد
وهم أهل الطبقة العليا الذين قدمنا ذكرهم والوجهان الآخران من العطاء هو الرزق وصورته أن يأتيه
الرزق عند الحاجة أو مع شهوة للشيء الذي لا يقدر عليه فيعلم الله عز وجل ذلك منه فيبعث به اليه من
غير طمع في خلق أو يأتيه ما يصلح أن يشتريه لمن يتفق بما فيه فهذا النوع من العطاء رزق من الله عز وجل
فالأفضل للعبد أن يأخذه وربما خيف في رده هذا عقوبة من زوال عقل أو رد الى الطمع في خلق أو دخول
في دني من مكسب وقال بعض العلماء من أعطي ولم يأخذ سأل ولم يعط وهذا من النوع الذي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما المعطي من سعة بأعظم أجرا من الآخذ اذا كان محتاجا فآخذ هذا مشارك للمعطي في
الأجر من حيث استواء ذلك على البر والتقوى المأمور بهما ولا يضر هذا العطاء آخذه وقد كان سري
السقطي يوصل الى أحمد بن حنبل رضي الله عنهما شيئا فيرده فقال له سري السقطي يا أحمد احذر آفة الرد
فانها أشد من آفة الأخذ فقال له أحمد أعد علي ما قلت فأعاده فقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما رددت
عليك الا لأن عندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فأنفذه الي والرابع من العطاء هو المعونة
وهذا يكون مخصوصا لأهله وهو أن يكون في خلق هذا الفقير البذل والافضال وفي غريزته السخاء والاتساع
من اطعام الطعام وايثار الفقراء ولا تتسع لذلك حاله وتضيق عنه يده فيبعث الله عز وجل اليه العطاء
معونة له على أخلاقه ليبلغه به مراده وينفذ له به من المعروف والبر عادته ويعينه على خلقه ومروته
فهذا النوع من العطاء هو الاختيار عند العارفين فالأفضل أخذه وامضاؤه فيما ذكرناه من المروات والأخلاق
وهذا كان طريق كثير من السلف وقد غلط في هذا الطريق قوم لم يكن لهم زهد وكانت فيهم رغبة وهمم دنية
فاتسعوا لقبول هذا العطاء لنفوسهم وتملكوه واستأثروا به وزعموا أن هذا هو الاختيار فخالفوا السلف
في معرفة الابتلاء من الاختيار لأن هذا كان عند العارفين اذا لم ينفذه ويؤثر به ابتلاء فاذا وافقوا أهواءهم
في التوسع منه والتكثر به وتملكوه بالدعوى أخطأوا في العلم لاحالة المعنى وغلطوا في طريق الحال
لوجود الهوى وقد كان بعض العارفين من الصادقين يتدين على الله عز وجل بحسن ظنه به فاذا
رزقه الله عز وجل قضاه فان مات هذا على نيته فلا تبعة عليه في دينه وعلى مولاه قضاؤه وأن يرضي
عنه غرماءه وقد كان قديما يقضى دين مثل هذا من بيت مال المسلمين وقد كان السلف يتجاوزون هذا الدين
عن اخوانهم وهي الحمالة التي أبيح أخذ مال الزكوات لمن تحملها ليقضيها وكان آخرون لا يقترضون حتى

يبيع أحدهم أحد ثوبيه أو فضل ما يحتاج اليه وهو أحد الوجوه في قوله عز وجل ومن قدر عليه رزقه فلينفق
مما آتاه الله قال من ضيق عليه معاشه فليبع أحد ثوبيه وقيل ليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله
عز وجل وقال بعضهم لله عز وجل عباد ينفقون على قدر بضاعتهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن
ظنهم بربهم ومات بعض السلف فأوصى بماله أن يفرق على ثلاث طوائف من الناس على الأقوياء والأسخياء
والأغنياء فقيل له من هؤلاء فقال أما الأقوياء فهم أهل التوكل على الله عز وجل وأما الأسخياء فهم أهل
حسن الظن بالله عز وجل وأما الأغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله عز وجل وينبغي لمن لا معلوم له من الأسباب
أن يتورع في أخذها ويتحرى المعطين لها كما يتحرى أهل المكاسب في الاكتساب لأن لله عز وجل في كل شيء حكما
والقعود عن المكاسب لا يسقط أحكامها والقاعد عن الطلب لا يسقط عنه أحكام الطالب لأن ترك العمل
عمل يحتاج الى علم ولم يكن سيرة الفقراء الصادقين أن يأخذوا من كل أحد ولا في كل وقت ولا يأخذون
كل ما يعطون مما زاد على كفايتهم الا أن يكونوا ممن يخرجه الى غيرهم وانما كانوا يقبلون ممن يخف
على قلوبهم القبول منه وممن ترتفع الوحشة والحشمة فيما بينهم لأن ذلك هو الذي يفرح بقبولك
ويرى نعمة الله عز وجل عليه في أخذك وممن يثقل على قلبك معروفه فهو الذي يثقل على قلبه اخراج ما في
يده ولا يغتنم برك عليه وقد كان بعض العارفين يقول ما تواخى اثنان في الله عز وجل فاحتشم أحدهما
من أخيه أو استوحش منه الا من علة في أحدهما فلا يستحب لهذا العبد أن يأخذ الا من صديق ولا
يقبل الا ممن يحب لأن لأهل المعرفة بالله عز وجل أن يحكموا في الأسباب بما أراهم الله عز وجل من الرد ومن
القبول فان اعتل معتل بالخبر المروي من جاءه شيء من غير مسألة فرده فانما يرده على الله عز وجل
وأهل المعرفة يشهدون أن العطاء من الله عز وجل فلا يصلح أن يردوا عليه قيل له ان من يشهد القسم
بالعطاء من الله هو الذي يشهد الرد بالمنع منه فكما شهد به غيره بالعطاء به لله عز وجل للاختبار
شهد به نفسه بالرد به الله عز وجل بالاختبار فالشهادة واحدة الا أن الحكمين في العلم متفاوتان
فان رده اليه له أو رده اليه به لمعرفته بابتلائه واختباره حسن الرد منه وشكر الفعل له فهو أيضا اذا
شهد تصريف الخلق بالعطاء بفعل الله عز وجل شهد فعل نفسه بالرد بما فعل الله عز وجل بالمنع فالحالات
سواء عند من علم الأحكام ولم يتبع الهوى وقام بحكم ما منه يقتضي وليس في هذا حجة الا لعالم مستكثر
أو لعابد جاهل غير مستبصر على أن في القبول من بعض الناس دون بعض وفي رد بعض الهدية سنة أهدي
الى النبي صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وكبش فقبل السمن والأقط ورد الكبش وقد كان يقبل من
بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت أن لا أقبل الا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي

وفعل هذا جماعة من التابعين جاء الى فتح الموصلي بصرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطا ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتاه رزق من غير مسالة فرده فانما يرده على الله ثم فتح الصرة فاخذ
منها درهما ورد سائرها وقد كان الحسن يروي هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا عنه
ان رجلا اهدى اليه كيسا فيه الوف ورزمة فيها من دق خراسان فرد ذلك فقال له بعض اصحابه في ذلك
فقال من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس شيا مثل هذا لقي الله عز وجل يوم القيامة وماله عند الله
من خلاق وقد كان الحسن يقبل من اصحابه وقد كان ابرهيم التيمي يسال اصحابه الدرهمين ونحوهما ويعرض
غيرهم المال الكثير فلا ياخذ وقد كان بشر بن الحارث لا يقبل من الناس شيا وكان بعضهم يقول احب
ان اعلم من اين ياكل فقال له من يخبر امره انا ادري من اين ياكل كان له صديق عاقل يعني نظيره في العقل
والدين كان يقوم بكفايته ولم يكن يظهر امره ولا يلتقي معه هو سري السقطي لانه حدثنا عن بشر انه
قال ما سالت احدا قط شيا من الدنيا الا سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح
بخروج الشي عن يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون اعينه على ما يحب وقد كان سري يوجه الى احمد بن حنبل
رضي الله عنهما في حاجاته فيقبل منه وكان اذا ذكر عنده احمد رحمه الله يقول ذلك الفتى المعروف بطيب
الغذاء انه ليعجبني امره وكان بعض العباد اذا دفع اليه بعض اهل الدنيا شيا قال دعه عندك
واعرض على قلبك حالي كيف انا عندك بعد الاخذ افضل او دون ذلك واصدقني فان قال له انت عندي
الان افضل مثل قبل ذلك او قال انت عندي بعد الاخذ مثلما كنت قبل ذلك قبل منه وان اخبره بنقصانه
في قلبه لم يقبل منه وكان بعض الناس يرد على اكثرهم صلتهم فعوتب في ذلك فقال انما ارد عليهم اشفاقا
عليهم ونصحا لهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم ومن ذهب
الى هذا سفيان الثوري رحمه الله وقد كان يشترط على بعض من كان ياخذ منه ان لا يذكره اشفاقا
عليه من ذهاب اجره لانه قيل في معنى قوله عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال المن ان تذكره
والاذى ان تظهره وقال الجنيد رحمه الله لرجل خراساني جاءه بمال وساله ان ياكله فقال الجنيد
بل فرقه على الفقراء فقال الخراساني انا اعلم بالفقراء منك ولم اختر هذا فقال الجنيد فانا اؤمل ان
اعيش حتى اكل هذا قال اني لم اقل لك انفقه في الخل والكامخ والبقل انما قلت انفقه في الطيبات
والوان الحلاوة فكلما نفد اسرع كان احب الي فقال الجنيد مثلك لا يحل ان يرد عليه فقبله
فقال الرجل ما ببغداد لاحد اعظم منة علي منك فقال الجنيد وما ببغداد لاحد ينبغي ان يقبل منه شي
الا من كان مثلك فهذه كانت طرايق اهل الحقايق ولا ينبغي للقاعد عن المكاسب الا ان يكون تاركا

لذلك لوجه الله عز وجل عالما في قعوده باحكام الله تعالى فانما يعلم حاله فيحسن حينئذ قعوده عن الاسباب
ثقة منه بالمسبب الوهاب ويجعل تركه للمعلوم نصيبا منه بالعلم وقد كان بعض العلماء يقول ما اكل الا
من عند من يعلم انك اكلت رزقك ولا تشكر عليه الا ربك عز وجل ودعا بعض الناس شقيقا البلخي
وكان في طبقة من اصحابه نحو خمسين رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وانفق نفقة كثيرة فلما قعدوا
قال لهم شقيق ان هذا الرجل يقول من لم ير اني صنعت هذا الطعام واني قدمته اليه فطعامي عليه
حرام قال فقاموا كلهم فخرجوا الا شاب كان فيهم نقصت مشاهدته عنهم فقال صاحب المنزل لشقيق
رحمه الله ما اردت بهذا قال اردت ان اختبر توحيد اصحابي اي لا يرونه فيما صنع ولا ينظرون اليه فيما
قدم فلم يكن فيهم من نقص توحيده الا ذلك الرجل وحده وحدثونا عن موسى عليه السلام قال يا رب جعلت
رزقي على ايدي بني اسرائيل هكذا يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فاوحى الله عز وجل اليه هكذا
اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي ليوجروا فيهم والعالم القاعد عندهم
افضل من الجاهل المتصرف والعالم المكتسب افضل من القاعد الجاهل والقوي التارك للتصرف افضل
من الضعيف المتصرف والقوي المتصرف افضل من الضعيف التارك للتكسب فعلى هذا مدار هذه الامة
وقد جعل الله عز وجل المستحقين للعطاء ستة انفس ذكرهم في ثلاث ايات فقال في الاية الاولى
انما الصدقات للفقراء والمساكين وقال في الاية الثانية وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم وقال في
الاية الثالثة فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر فمن لا معلوم له من كسب او تصرف فهو ادخل شي في
هذه الايات واحوج اخذ الى العطاء ومن كان ذا معلوم يحتاج الى اكثر منه لوجود عيلة او كثرة نفقة
فانما يدخل معهم بمعنى من اوصافهم وكان ابن عباس يقول في هذه الاية انما الصدقات للفقراء والمساكين
نزلت في اهل الصفة ومن كان في معناهم الى يوم القيامة قال وكانوا اربعمائة وخمسين رجلا لم يكن لهم
عشاير بالمدينة ولا اموال كانوا مهاجرين والانصار بل كانوا نزاع القبايل اسكنهم النبي صلى الله عليه وسلم
صفة المسجد وقسم الله عز وجل لهم الاموال ثم ان الله عز وجل افرد طبقة سابعة عن جملة هولاء الستة
ووصفهم بافضل الصفات وفضل اجور المنفقين لطيب الاكتساب عليهم الطالبين وجه الله عز وجل بطلبهم
فقال تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم وقال وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما
تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون وكل هذا متصل متعلق
بقوله للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض الى اخر اوصافهم فوصفهم
بالاحصار في سبيله وبالعفة عن الدنيا واهلها وانهم لا يلحفوا بها الحافا لزهدهم فيها وسمى من لا يعرف

اوصافهم جاهلًا لهذه الطائفة الموصوفة بالصدقة المقسوم عليها الزكوات وأمر المؤمنين بالانفاق عليهم
من الاكتساب الطيبات من بعد وصف المحسنين الخالقين منهم والله تعالى لا يحب عبدًا الا وصفه فاذا
مدحه بوصف واثنى عليه ثبتت محبته له فالمدح والوصف دليل على الحب والمحبة دليل على الفضل
العظيم كما قال في آخر وصف المحبين ذلك فضل الله يؤتيه من يشا وقد قال بعض الصوفية في معنى قول
النبي صلى الله عليه وسلم يد المعطي هي العليا ويد المعطى هي السفلى ان المعطي هو الفقير وان المعطى
هو الغني ويصلح ان يستدل له بان حقيقة الاعطاء هو النصيب من الآخرة فالفقير هو نصيب
الغني من الآخرة وعطاؤه منها فصار هو المعطي وصار الغني هو المعطى ويكون دليل هذا القول الخبر
الآخر ان الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل ان تقع بيد السائل وهو يضعها في يد السائل فقد صارت
يد الفقير هي الوسطى والخبر الآخر يد الله العليا ويد المعطي هي الوسطى فصح بهذا الخبر ان الفقير
هو المعطي اذ كانت يد الله عز وجل فوقه لانها هي التي تضع في يده وكانت يده هي الوسطى ويد المعطى
هي السفلى فينبغي ان يكون المعطى هو الغني اذ كان العطا يظهر عندنا على الترتيب قيل له ان يد الله
عز وجل فوقهما معًا وهي لا تدخل تحت الترتيب فيده سبحانه هي العليا عليهما جميعًا قال الله تعالى يد الله
فوق ايديهم وقد علمنا ان ايديهم بعضها فوق بعض ثم اخرج ذلك انها فوق الكل ولانه هو المعطي الاول
لهما جميعًا فكما لا اول منه في العطاء فكذلك لا يد فوق يده في الاعطاء وانما الترتيب بين الغني والفقير
ايهما المعطي بعد يد الله عز وجل فقلنا ان الفقير هو المعطي في الحقيقة اذ كان العطا الحقيقي هو ما يبقى
ويدوم لا ما يفنى ويزول وذلك هو العطا من الآخرة الباقية فصار الفقير هو المعطي للغني في الدنيا نصيبه
من الآخرة لانه عمارة منازله فيها والغني رفق الفقير من الدنيا وعمارة دنياه الفانية والدنيا موصوفة
بلا شي فادنى ما يعطي من الآخرة افضل من الدنيا وما فيها فاما يد الله عز وجل فانها فوقهما وهي التي
اعطتهما جميعًا لان يده فوق الفوق وفوق التحت ولا يوصف بتحت ولا باسفل تعالت وصفاته العليا
عن نعوت الخلق السفلى وهو لا يدخل تحت القياس والتشبيه وقد حدثنا بعض اشياخنا عن بعض
اشياخه قال رأيت ابا الحسن النوري يمد يده ويسال الناس في بعض المواطن قال فاعظمت ذلك
واستقبحته له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسال الناس ليأخذ
منهم انما سالهم ليعطيهم قلت وكيف ذلك قال سالهم لا له ليثيبهم من الآخرة فيوجرون من حيث
لا يضرهم ذلك ثم قال ولعلي اخطات عليه هات الميزان قال فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها
على المائة ثم قال احملها اليه قال فقلت في نفسي هذا عجب انما يوزن الشي ليعرف مقداره وهذا

فتخلط فيه شيئا آخر فصار مجهولًا قال فاستحييت ان اساله عن ذلك فذهبت بالصرة الى النوري فقال
هي قلت لا ادري فقال هات الميزان قال فوزن مائة درهم فردها اليه وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل
منك انت شيئًا واخذ ما زاد على المائة قال فعجبت من قوله اكثر مما عجبت من فعل الجنيد فقلت له لم
فعلت هذا رددت مائة واخذت ما زاد عليها فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه
وزن هذه المائة لنفسه للثواب من الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله تعالى فاخذت ما كان لله عز وجل
ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله ورد مالنا الله المستعان
وما بلغنا ان نبيًا بعثه الله عز وجل الى امته فانزل عليه كنزًا يأكل منه ولا جعل معه ملائكة تخدمه
وانما كانت طعمته بايدي امته وكان اتباعه منهم يخدمونه فيثابون على ذلك فتكون الحكمة فيه ابلغ
لما يعود من النفع ولو كانت طعمته بيد القدرة واظهار الكينونة لم تكن في ذلك منفعة للامة ولا
احكام تقتضي مقامًا ولله الحجة البالغة ذكر اختلافهم في اخفاء العطاء واظهاره ومن رأى
ان اظهاره افضل وتفصيل ذلك قد اختلف فعل المخلصين في ذلك فرأى بعضهم ان يخفي ما ياخذ
من العطاء لانه ادخل في التعفف واقرب الى التصون وانه اسلم لقلوب الغير واصلح لنفوس العامة
وان فيه النصرة لاخوانه من الغيبة والتهمة بمثل ذلك او باكثر منه وفيه الاحتياط لاخيه المعطي وعون
له على البر والتقوى في قوله عز وجل وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وللخبر الذي جا افضل الصدقة
جهد المقل الى فقير في سر ولان عمل السر يفضل على عمل العلانية سبعين ضعفًا فاذا لم يعاونه هذا
على اخفاء عطائه ولم يساعده على كتم معروفه لم يتم له ذلك فيفسد لانه سر من اثنين ان افشاه
احدهما او لم يتفقا على كتمه فقد ظهر من ايهما كان الخبر كيف وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
استعينوا على اموركم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وهذا هو مذهب القراء العابدين وقال ايوب
السختياني اني لاترك لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث في جيراني حسد وقال بعض الزهاد ربما
تركت استعمال الشي لاجل اخواني يقولون من اين لك هذا وروي عن ابرهيم التيمي انه رأى على صاحب له
قميصًا جديدًا فقال من اين لك هذا فقال كسانيه اخي خيثمة ولو علمت ان اهله علموا به ما قبلته ودفع
رجل الى بعض العلماء شيئًا ظاهرًا فرده ودفع اليه آخر شيئًا في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان
الذي اخفى معروفه عمل بالادب في معاملته فقبلناه والذي اظهر معروفه اساء الادب في معاملته فرددنا
عليه عمله ودفع بعض الناس الى بعض الصوفية شيئًا من الملا فرده فقيل له لم ترد على الله عز وجل
ما اعطاك فقال لانك اشركت غير الله تعالى فيما لله عز وجل ولم تقنع بعين الله فرددنا عليك شركك

وقد كان بعض العلماء لا يقبل في العلانية ويأخذ في السر فسئل عن ذلك فقال إن إظهار الصدقة إذلال
للعلم وامتهان لأهله فما كنت بالذي أرفع شيئاً من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله وكذلك حدثنا
أن رجلاً دفع إلى بعض العارفين شيئاً علانية فرده ثم دفعه إليه سراً فقبله فقال له رددت في الجهر وأخذت
في السر فقال لأنك أطعت الله عز وجل في الإسرار فأعنتك على برك بقبوله وعصيته في الجهر فلم أكن لك عوناً
على المعصية وقد كان الثوري يقول لو علمت أن أحداً لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلتها ودفع أنيس
ابن جابر فقيه أهل الكوفة إلى أويس القرني ثوبين وكان يجالسه فانقطع عن مجلسه لأجل القرى فردهما
عليه بعد أن أخذهما منه وقال إن الناس يقولون من أين له هذان الثوبان من خدع عليهما قبل أن
ينوه باسمه عمر على المنبر وكان ذلك الوقت بمجالس الفقهاء ويظهر الناس وفي هذا المعنى مواطاة
لما ندب الله عز وجل إليه من الإخفاء ولما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله من أعمال البر وهو
أيضاً لا يدخل الأحد في نهي النبي صلى الله عليه وسلم من قوله من أهدي إليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه
فيها وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الورق هدية كالهدايا بما روي عنه أفضل ما أهدى الرجل إلى أخيه
ورقاً أو يطعمه خبزاً فالآخذ للهدية جهراً يلزمه إشراك الحاضرين فيها إلا أن يهبوا له ذلك فإن
لم يفعلوا كرهت له قبول هديته وذهب آخرون من أهل المعرفة الموصوفون بالتوحيد إلى أن إظهار الأخذ
أفضل لأنه أسلم ولأنه يجذب إلى شهادة التوحيد وأدخل في الإخلاص والصدق وأخرج من إثبات المنزلة
والحال والجاه بالزهد بالرد قال وقد قال الله عز وجل لا تكلف إلا نفسك وليس علينا إذا عملنا
في سلامتنا من إثبات المنزلة وفي إسقاط جاهنا بالأخذ علانية ولتمام حالنا وتحقيق إخلاصنا
ما وراء ذلك من أقوال الناس ويتولى الله عز وجل من ذلك ما ابتلاهم به فقالوا ولأن في التوحيد الظاهر
والباطن هو المعطي فلا معنى للرد عليه في الظاهر وقد قال بعضهم سر العارف في علانيته واحد لأن
المعبود فيهما واحد فاختلاف فعل أحدهما شرك في التوحيد وقال بعض العارفين كنا لا نعبأ بدعاء
من يأخذ في السر ويرد في العلانية ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئاً في السر فرفع يديه علانية
وقال هذا من الدنيا والعلانية في أمور الدنيا أفضل والسر في أمور الآخرة أفضل وقال بعض المريدين
سألت أستاذي وكان أحد العارفين عن إظهاري السبب أفضل أو إخفائي له فقال إظهار الأخذ على
كل حال إن كنت آخذاً فإنك لا تخلو من أحد رجلين رجل تسقط من قلبه إذا فعلت ذلك فذاك هو
الذي تريد لأنه أسلم لدينك وأقل لآفات نفسك فينبغي أن تعمل في ذلك فقد جاءك بغير تكلف أو رجل
تزداد درجتك في قلبه فذلك هو الذي يريد أخوك فإنه يزداد ثواباً بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك
تزيد أخيك

[illegible]
فهو جزاؤك إذ كنت سببه فينبغي أن تعمل في ذلك وقال بعض العارفين إذا أخذت فأظهر فإنها
نعمة من الله عز وجل فإظهارها أفضل وإذا رددت فأخف فإنه عمل من أعمالك وإسراره أفضل وهذا
نعم فصل وهو طريق العارفين وقال بعض علمائنا إظهار العطاء من الآخذ آخرة وكتمه دنيا وإظهار
الأعمال من الدنيا وكتمها آخرة فكان هذا لا يكره الإظهار وهذا كما قال لأن الله عز وجل قال وأما بنعمة
ربك فحدث وقد ذم الله تعالى من كتم ما آتاه الله تعالى من فضله وقرنه بالبخل والبخل باب كبير من الدنيا
فقال سبحانه الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال النبي
صلى الله عليه وسلم إذا أنعم الله عز وجل على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته عليه وهذا هو الأقرب إلى قلوب الموحدين
من العارفين لأنه مقتضى حالهم وموجب شهادتهم لاستواء ظروف الأيدي عندهم من العبيد ونفاذهم دبهم
بالنظر إلى الأول المعطي فاستوى سرهم وعلانيتهم في الأخذ من يده وفصل الخطاب في هذا الباب
عندي أنه يحتاج إلى تفصيل فنقول والله أعلم إن الخلق مبتلى بعضهم ببعض وفرض كل عبد القيام
بحكم حاله ليفضل بقيامه ويسلم له حاله فعلى المعطي أن يخفي ويسر جهده فإن أظهر ترك علم حاله
تنقص بذلك وكانت هذه آفة من آفات نفسه وبابا من دنياه وعلى المعطي أن يذكر وينشر فإن
أخفى وكتم فقد ترك الإخلاص في عمله والقيام بحكم حاله فنقص بذلك وكان آفة من آفات نفسه
وبابا من دنيا مثله فإن كانت له نية في إخفاء العطاء لما يوجبه الوقت ويقتضيه السبب من أجل المعطي
لإخلاص عمله أو من أجل الحاضرين لصلاح قلوبهم وسكون نفوسهم بنفسه ورأى الأدب في المعاونة لأخيه
على الفضل في إخفاء السبب لم يضره الكتم ويكون فاضلاً بأدبه يوافقه العلم وروينا أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قيل له إن فلاناً أعطيته ديناراً فأثنى وشكر فقال عليه السلام لكن فلاناً أعطيته
ما بين الثلاثة إلى العشرة فما أثنى ولا شكر فكان صلى الله عليه وسلم يريد أن يشكره أو يثني عليه لأنه
أراد منه القيام بحكم حاله لعلمه أن في الشكر والثناء حضاً وتحريضاً وحثاً على المعروف وأنه خلق
من أخلاق الربوبية أحبه الله تعالى من نفسه فشكر المنفق وهو الرازق وأحب من أوليائه أن
يشكروا الأواسط ويثنوا به عليهم فإن شهدوا فيه الأول لأنه جعلهم المكان وهو الأول في كل ما كان
وكذلك لما قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا خيراً من قوم نزلنا عليهم قاسمونا الأموال حتى خفنا
أن يذهبوا بالأجر كله فقال كلا ما شكرتم لهم وأثنيتم عليهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الخبر العام
من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد أمر به في قوله من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطيعوا

[illegible]
فاثنوا عليه خيرًا وادعوا له حتى تروا انكم قد كافيتموه والنوع الثاني من التفصيل ان على المعطي ان
لا يحب ان يذكر معروفه ولا يشكر فان علم من يقتضيه ذلك ويحبه منه فهذا يدل على نقصان علمه وقوة
آفات نفسه فترك الثناء على مثل هذا والكتم من الفقير افضل فان شكره واظهر عطاءه فقد ظلمه بذلك
لانه اعانه على ظلم نفسه وقوى آفات نفسه وهذا اذا فعله به من المعاونة على الاثم والعدوان فقد كان
ينبغي للمعطي ان ينصح اذ كان ظالمًا من حيث لا يعلم بان يخفي عليه ما يعمل نوع آخر من التفصيل
للفقير ان من الناس من يستوي عنده اظهاره للعطاء واخفاؤه لصحة قصده بذلك واخلاص نيته
فيه ونفاذ مشاهدته بدوام نظره الى المنعم الاول فهذا ان قبلت منه علانية صلح وان اثني عليه بذلك
جاز لقوة معرفته وكمال عقله وسرعة نظره الى مولاه فيما وفقه له وتولاه فيشكر له ذلك ويراه نعمة منه
فيشغله نظره اليه عن نظره اليك ويعطفه رؤية النعمة انها منه عن رؤية ما اسداه اليك نعمة منه
وبمثل هذا جاء الخبر اذا علم احدكم من اخيه خيرًا فليعلمه فانه يزداد رغبة في الخير والخبر المشهور
اذا مدح المومن ربا الايمان في قلبه وقال بعض العارفين يمدح الرجل على قدر عقله وقال الثوري
من عرف نفسه لم يضره مدح الناس له ومن الآخذين من يستوي له ويصح اظهار العطاء واخفاؤه
لاعتدال معرفته ووجود حكمته في علمه ومعاملته فان اظهر ما يجده من انشراح قلبه فللاخلاص والعرف
وان اخفى لما يراه وعلمه من صلاح حال المعطي وتدبر شانه هو لنفسه فللحكمة والعلم فهذا ان اخفى
لم يضره وان اظهر لم ينفعه لاعتدال وجده بالله تعالى في الحالين من شهادته بجملة ذلك ان المعطي
حاله الاخفاء وان الآخذ حاله الاظهار فمن خالف ذلك فارق حاله وان فرض المعطي ان يكره عظيم
المدح ولا يحب الثناء والذكر فمن علمت منه ذلك فعليك ان تثني عليه وتشكره ومن علمت انه
يحب الاظهار ويقتضي منك الاشهار ويكره الاخفاء فحالك ان لا تعاونه على ظلم نفسه فترك
الثناء لمثل هذا افضل والنوع الرابع من التفصيل من الناس من ان اظهر معروفه فسد قصده
بذلك واعتورته الآفات من التصنع والتزين فمثل هذا لا يصلح ان تقبل منه ما اعلن به لانه يكون
معينًا له على معصيته وهذا ايضًا لا يصلح ان يثني عليه فان ذكر بمعروفه او مدح به كان ذلك مفسدة
له واغترارًا منه لقوة نظره الى نفسه ونقصان معرفته بربه عز وجل فمن مدح هذا فقد قتله ومن
ذكر معروفه فقد اعانه على شركه ومدح رجل رجلًا عند النبي عليه السلام فقال ضربت عنقه لو سمعها
ما افلح وقد كان هو صلى الله عليه وسلم يثني على قوم في وجوههم من حيث يسمعون لثقته بيقينهم

وعلمه ان ذلك مزيد لهم من ذلك قيس بن عاصم قال عندما اقبل اليه هذا سيد اهل الوبر وقال لجرير بن
عبد الله من حيث يسمع اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وتكلم رجل بكلام بين فصل فاعجبه فقال ان
من البيان سحرًا وقال مرة هذا السحر الحلال وقد كان يخفي الثناء على آخرين اذا علم ان ذلك خير لهم وقد
قال الثوري ليوسف بن اسباط اذا اوليتك معروفًا وكنت انا اسر به منك ورايت ذلك نعمة من الله
عز وجل علي وكنت اشد حياء منك فاشكر والا فلا تفصيل آخر ان الله عز وجل في اظهار العطاء
حكمة ونعمة ولطفًا ورحمة قد يكون ذلك سببًا للقدوة وطريقًا الى التاسي بالتحاض عليه والحث
فيتنافس بعضهم بعضًا ويحب احدهم من نفسه لنفسه ما احبه من غيره فيصير الاظهار مفتاحًا لكثرة
المعروف وبابًا لافعال العطاء فلذلك جاء الامر والندب الى الاظهار وهو داخل في قوله عليه السلام المومن كالبنيان
يشد بعضه بعضًا ولهذا جاء الخبر ان من الخيلاء ما يحبه الله عز وجل ومنها ما يكره والخيلاء بالصدقة
يحبه الله عز وجل وفي حديث آخر بمعناه الخيلاء في الحرب يحبها الله عز وجل ولقد جاء بلفظ المباهاة
في المعروف وفي القتال يحبه الله عز وجل يعني بذلك ان ينافس بعضهم بعضًا فيه ويدعو بعضهم بعضًا
اليه فيظهر فعله لاخوانه ويظهر حركته واقدامه ما جبنوا عنه من الطاعات بجملة ذلك ان المعطي
حاله الاخفاء وان الآخذ حاله الاظهار فمن خالف ذلك فارق حاله وان فرض المعطي ان يكره المدح ولا
يحب الثناء والذكر فمن علمت منه ذلك فعليك ان تثني وتشكر وتنشر ومن علمت انه يحب الاظهار
ويقتضي منك الاشهار ويكره الاخفاء فحالك ان لا تعاونه على ظلمه لنفسه وترك الثناء لمثل هذا
افضل وان علمت ان اظهار العطاء سبب لفعل المعروف والاقتداء اظهرت وان رايت ان كتمه اقرب
الى الصلاح النفوس لاجل الحسد اخفيته وقال بعض الحكماء من كان يريد لنفسه ما يريد فلا يثني ولا يشكر
ولا يظهر وهذا تفصيل ما اجمله الصادقون وبالله التوفيق ثم اختلفوا في الاخذ من الواجب افضل
او التطوع فراى بعضهم ان ياخذ من الواجب ولا يقبل من التطوع لان الواجب ياخذه باذن الله تعالى
عن قسمه وان الله تعالى اوجب عليه ان ياخذه من حيث اوجب الزكاة لان الفقراء والمساكين لو تواطوا
على ان لا يقبلوا الزكوات اثموا بذلك اجمعين ولعصوا بذلك كلهم لاسقاطهم فرض الله عز وجل من الاموال
بالزكوات قالوا ولان هذا ادخل لنا في جملة الفقراء والمساكين واقرب الى التواضع والذلة قالوا ولا منة
لاحد علينا فيه ولا حق له يلزمنا عليه اذ كنا نستحق ذلك منه قالوا ولانه اسلم لديننا لانه لا
يدخل علينا الاذى بالدين لانا انما نستوجبه بالحاجة وحرمة الاسلام فقط ونخاف ان يكون اخذنا التطوع
اذلالًا بديننا وانا اعطيناه لصلاحنا فلا نحب ان نخص بشيء دون الفقراء وهذا مذهب القراء العابدين

ومن لم ينظر الى صلاحه وتثقيف نفسه في الدين فهو مقتضى حالهم وموجب شهادتهم واختار قبض طائفة
ان ناخذ من النوافل دون الفرائض واجروا ذلك مجرى الهدية وقالوا قد امر بقبولها وندب الى التهادي
للتآلف والتحبب قالوا ولا نزاحم المساكين في حقوقهم ولعلنا لا نحمل اوصافنا ونحمل اوصافهم
ونخاف ان لا يوجد فينا ما شرط الله عز وجل للواجب ولا نضعه في حقيقة موضعه ولا نخلط بمن
يسقط عنه الواجب به والتطوع اوسع علينا ومع ذلك فانهم يشهدون النعمة من الله عز وجل وان
الدين انما هو لله كما قال الا لله الدين الخالص وانهم مستعملون بالديانة لا عاملون بانفسهم من
حيث كانوا منعماً عليهم لا منعمين على انفسهم وهذه طريقة بعض اهل المعرفة منهم ابرهيم الخواص وابو القاسم
الجنيد ومن وافقهما والامر في ذلك عندي ان من لم ياخذ من كل انسان للتحرج ولا في كل وقت للتحري
ولا يقبل الا عند الحاجة ولا ياخذ الا للفاقة وما لا بد منه ثم قام بحكم الله تعالى في الواجب وحكمه
في التطوع ان الحالين يتقاربان لان الواجب امر الله تعالى وله فيه حكم والتطوع ندب وله فيه حكم فنعم
العبد ان ينظر بنور الله عز وجل الى ما يوجب حكم الوقت ولا ينظر بظلمة النفس في هواها وسلامتها في ذلك
وبالله التوفيق ذكر احكام المسافر فان سنح لهذا المريد سفر ففي الحديث البلاد بلاد الله
والخلق عباده فحيث ما وجدت رزقاً فاقم واحمد الله تعالى والخبر المشهور سافروا تغنموا فغنيمة
ابناء الدنيا المال وغنيمة ابناء الآخرة ربح تجارة الآخرة وقد قال الله تعالى هو الذي جعل لكم الارض
ذلولاً فامشوا في مناكبها قيل مناكبها جبالها وقيل قراها وقال سبحانه الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها وقال سيروا في الارض فانظروا وقال وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون
فمن جعل آياته في نفسه تبصر ففطن ومن جعل له الآيات في الآفاق سير ليرى وكذلك قال عز وجل
وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وقوله عز وجل وكاين من آية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون فمن سار وكانت له بصيرة اعتبر وعقل ومن مر على الآيات فنظر اليه منها
تذكر واقبل وقد امر الله عز وجل بالمشي في مناكب بساطه والاكل من رزقه بعد اظهار نعمته
بتذليل مهاده فقال هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه قيل في
اسواقها وقيل قراها وقيل جبالها وهو الاحب الي لان احداب الارض قراها ومناكبها جبالها واعاليها
وكان بشر الحافي يقول يا معشر الفقراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مقامه في موضع تغير
وقال انما سمي سفراً لانه يسفر عن اخلاق النفس وايضاً يسفر عن آيات الله عز وجل وقدرته وحكمه
في ارضه والسفر عمل من اعمال العبد يحتاج الى نية واخلاص ينقسم اربعة اقسام منه فرض وهو

ما هرب به من معصية او خرج فيه الى اداء فريضة ومنه فضل وهو ما طلب به طاعة ومنه مباح
وهو ما ضرب به في تجارة ومنه معصية وهو ما سعى به في فساد وهذا الضرب من الاسفار لا يجوز فيه قصر
الصلاة ولا اكل الميتة عند الاضطرار فاذا عزم على السفر فليصل ركعتين للاستخارة وليعقد التوكل
على الله تعالى وكفى به ناظراً وساكناً اليه ومعتمداً عليه وواثقاً به ومسترزقاً له وراضياً عنه في تقلبه
ومثواه وليتوخ في سفره الاعتبار بالآثار والنظر الى الآيات باستبصار والابتغاء من فضل الله
فيما ندبه اليه من الاسباب يقال ان الله عز وجل وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون الى مقاصدهم
فيعطي كل واحد على نحو نيته فمن كانت نيته طلب الدنيا اعطي منها ونقص من آخرته اضعافه وفرق
عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته طلب الآخرة واهلها اعطي من البصيرة والفطنة
وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه وقلل من الدنيا بالقناعة والزهد شغله
ودعت له الملائكة واستغفرت له فلتكن نية هذا المسافر استصلاح قلبه ورياضة نفسه واستكشاف
حاله وامتحان اوصافه لان النفس ربما اظهرت الاذعان والانقياد في الحضر وربما استكانت واجابت
في المصر فاذا وقع عليها اثقال الاسفار ولزمها حقائق الاستخبار خرجت عن معتاد ذلك المعتاد
واسفرت حقيقتها وانكشفت دواعيها فيكون للمسافر في ذلك علوم وبصائر يعرف به خبايا نفسه وما منها
فيكون هذا من خبء الله الذي يخرجه الله عز وجل للمجتهد متى شاء كما قال عز وجل يخرج الخبء في السموات
والارض فان سافر سائحاً في طلب العلم فقد جاء ذلك في تفسير قوله عز وجل والسائحون قيل في طلب العلم
وقد كان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي رحمه الله لو سافر رجل السائحى
من الشام الى اقصى اليمن في كلمة تدله على هدى ما رايت ان سفره كان ضائعاً ورحل جابر بن عبد الله
من المدينة الى مصر فسار شهراً في حديث بلغه عن عبد الله بن انيس الانصاري يحدثه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى سمعه منه ومن سافر في طلب العلم من عهد الصحابة الى يومنا هذا اكثر من ان يحصى وهذا
طريق اهل الاثر في نية طلب العلم بالسفر وفي الخبر من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله تعالى
حتى يرجع وفي حديث آخر من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله عز وجل له طريقاً الى الجنة ويقال
ان النفقة في العلم كالنفقة في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة ومن سافر في لقاء الصالحين
فقد جاء في الاثر انهم كانوا يحجون للقاء الصالحين ولقاء الاخوان والحج من اكبر الاسفار فيجعلونه
للقاء الاخوان واخذ الاخبار وان نوى الهرب من الامصار طلباً لسلامة دينه وبعداً من تعلق النفوس
بما في الحضر من الاخطار فحسن وربما خرج طلباً للخمول والذلة خشية الفتنة بالشهرة والجاه

صلاح قلبه واستقامة حاله في البعد من المعارف ورياضة لنفسه بالتغرب والتوحد الى ان يقوى يقينه ويطمئن قلبه فيستوي عنده الحضر والسفر ويعتدل عنده وجود الخلق وعدمهم لسقوط الاهتمام بهم وقد كان الثوري يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل فكيف بالمشهور هذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف في موضع تحول الى غيره وقال ابو نعيم رأيت سفيان قد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت الى اين يا ابا عبد الله فقال بلغني عن قرية ان فيها رخصا فانا اريد ان اقيم بها فقلت وتفعل هذا يا ابا عبد الله فقال نعم اذا بلغك عن بلد فيها رخص فاخرج اليه فانه اقل لهمك واسلم لدينك وقد كان سري يقول للصوفية اذا خرج الشتاء فقد خرج آذار واورقت الاشجار وطاب الانتشار ومن افضل الاسفار ما خرج له في سبيل الله عز وجل من الجهاد والحج والرباط وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم زيارة اصحابه رضي الله عنهم محتسبا بذلك ما عند الله عز وجل والسفر في زيارة الاخ في الله تعالى مستحب مندوب اليه روينا في حديث بعض اهل البيت صلوات الله عليهم قال مكتوب في التوراة سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلثة اميال اجب دعوة سر اربعة اميال زر اخا في الله عز وجل وفي الخبر ان رجلا زار اخا له في قرية اخرى فارصد الله تعالى على مدرجته ملكا فقال اين تريد قال اخ لي في هذه القرية ازوره قال أبينك وبينه رحم تصلها قال لا قال فله عليك نعمة تربها قال لا قال فلم قال اني احببته في الله تعالى قال فاني رسول الله عز وجل اليك يبشرك بالجنة ويخبرك انه قد غفر لك بزيارة اخيك وان سافر الى بعض الثغور ناويا رباطا اربعين يوما او ثلثة ايام فحسن وان قصد عبادان فرابط بها ثلاثا فقد انتابها ثلثمائة من العلماء والعباد للرباط فيها وروينا ان عليا رضي الله عنه سأل رجلا بالبصرة ان يرابط بعبادان ثلاثا ويشركه في عمله حتى يشركه في صحبته وقال بعض العارفين كوشفت بالابصار فرأيت الثغور كلها تسجد لجدة ورأيت جدة تسجد لعبادان وممن قصد عبادان للرباط نحو من ثلثمائة من العلماء والصالحين قد جمع ذلك بعض اهل الاخبار ومن قصد في سفره احد المساجد الثلثة المندوب اليها لشد الرحال فهو افضل اعلاها المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد بيت المقدس فيقال من جمع في هذه المساجد الثلاث الصلاة من سنته غفر الله عز وجل له ذنوبه كلها ومن اهل بحج او عمرة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وخرج ابن عمر رضي الله عنه من المدينة قاصدا الى بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد الى المدينة وسأل سليمان نبي الله عز وجل ان من قصد هذا المسجد لا يعمده الا للصلاة فيه ان لا تصرف نظرك عنه

ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه وان تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته امه فاعطاه الله عز وجل ذلك ولما فضائل المسجدين في الحرمين حرم الله عز وجل وحرم الرسول صلى الله عليه وسلم فاكثر من ان يذكر وان سافر طلب الحلال وهربا من طعمة الحرام فذلك له قربان وقد فعله صالحو السلف في كل زمان وليكن العبد في سفره مراعيا لهمه حافظا لقلبه من التشتت والطمع في الخلق والتعرض للمسألة والتعريض بها فان التعريض عند اهل العفاف احد المسألتين فان لم يكن ذا معلوم معهود كان معلومه العلام الودود وكان طريقه اليه صدق التوكل عليه وزاده في طريقه حسن التقوى له بصحة الاياس من الناس وعليه حينئذ الصبر على بلائه والرضى بتصريف قضائه والشكر على لطيف نعمائه من منع او عطاء او شدة ورخاء لانه في يد الوكيل يقلبه كيف شاء والتوكل عند المتوكلين هو الصبر للصبور وتسليم الحكم للحاكم ومنه قوله عز وجل الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقوله عز وجل ان الحكم الا لله عليه توكلت وقال رجل لبشر الحافي اني اردت سفرا ولكني منعني منه ان ليس عندي شيء قال لا يمنعك العدم من سفرك اخرج لقصدك فان لم يعطك ما لغيرك لم يمنعك ما لك وكان ابرهيم الخواص يقول كف فارغ وقلب طيب ومر حيث شئت ومن طرقته فاقة او رهقته حاجة لم يخرج من التوكل ان يسأل اذا عدم القوة والصبر لانه حينئذ يسأل لربه عز وجل لا لنفسه يحركه العلم لا الهوى لاقامة فرضه وحفظ عقله الذي هو مكان تكليفه وفي الخبر من جاع فلم يسأل فمات دخل النار لان ترك السؤال عند تحقق الموت مع عدم الصبر سببه التلف اذ كان الجوع احد الحتوف القاتلة وقد تأول بعض الصوفية قول النبي صلى الله عليه وسلم احل ما اكل العبد من كسب يده قال المسألة عند الفاقة وانا بريء من عهدة هذا التأويل وقد كان جعفر الخلدي يحكي هذا عن شيخ من الصوفية وكان هو يستحسنه ولكن كان ابو سعيد الخراز يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شيء لله عز وجل وحدثونا عن ابي جعفر الحداد وكان هذا شيخ الجنيد له علم في التوكل وحال من الزهد كان يقتات بخروجه بين العشائين يسأل من باب او بابين فيكون ذلك معلومه الى حاجته بعد يوم او يومين ولم يعب هذا عليه احد من عموم ولا خصوص وقد رأى بعض الناس رجلا من الصوفية دفع اليه كيس فيه مائتا درهم في اول النهار ففرقه كله ثم سأل قوتا في يده بعد عشاء الآخرة فعاتبه على ذلك وقال دفع اليك شيء فاخرجته كله فلو كنت تركت [illegible] منه شيئا فقال ما ظننت اني اعيش الى المساء ولو علمت ذلك لفعلت وكان هذا زاهدا قصير الامل وقد سأل ثلثة من الانبياء عند الفاقة موسى والخضر وسليمان عليهم السلام وذلك في قوله عز وجل استطعما اهلها وسليمان عليه السلام سأل حين سلب ملكه اربعين يوما الا ان السؤال للمتوكل عند الخاص يخرجه من التوكل

وقد كان سهل يقول المتوكل لا يسأل ولا يرد ولا يدخر وقد كان الخواص يرد وقت ما خلفا في هذا
وليس يخرج عندي من التوكل المسألة عند الفاقة بعد عدم الصبر والقوة وفقدهما وجود الإذن
من الله عز وجل له في السؤال وعلامة رده إلى الحكمة إذ كان ناظرا إلى تصريف الوكيل في كل حال ولأن الولي
الحميد يقلب قلبه في جميع الأحوال فمن رجع بالله عز وجل إلى حكمته لم يخرج من توكله عليه بحركته من أدلة
العلوم لأن المسلم يستحق على إخوانه ستر عورته بحرمة الإسلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة الضيف واجبة وقال الضيافة حق وقد استطعم النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من لحم واستهدى
شيئا من لبن وكان الثوري يسأل في البوادي من الحجاز إلى صنعاء اليمن قال وكنت أذكر لهم حديث
عبد الله هذا في الضيافة فكانوا يخرجون إلي طعاما فآكل شبعي وأترك ما بقي والمسافر هو ابن السبيل
الذي أوجب الله عز وجل حقه في الأموال لأن السبيل هو الطريق ورا كبها ابنها لأنه صاحب طريق وسالكه
وليس عليه أيضا في المقام عند أخيه المسلم ملة أيام شيئا لأنه مقيم على ما أبيح له وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الضيافة ثلاث فما زاد فهو صدقة ولا يقيمن فوق ثلاث وتأويل قوله عندي فما زاد
فهو صدقة عليه أي مكروه لا مندوب إليه ولا مأمور به فإن اختار الصدقة ولم ينزه نفسه عنها فهو أعلم
أي وما كان في الثلاث فهو حق له وواجب على مضيفه فإن سألوه الإقامة فوق ثلاث وعلم أنهم يحبون
إقامته فلا بأس به وقد تأول بعض الصوفية قول النبي صلى الله عليه وسلم فما زاد فهو صدقة أي فوق
الثلاث صدقة على أهل المنزل من الضيف تصدق عليهم بإقامته لأنه مثوبة لهم ولا يعجبني هذا التأويل
وليحافظ على صلواته في أوقاتها بحسن طهارة وجميل أداء وليحفظ قلبه أن يتشتت همه فإن السفر
يشتت همم المريدين ويجمع هم العارفين ويشغل قلوب الضعفاء ويروح قلوب الأقوياء وهو محنة
وكشف لأخلاق العبد وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للذي عدل رجلا ليزكيه للشهادة هل صحبته
في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق فقال لا فقال ما أراك تعرفه وعن بعضهم أنه قال إذا أثني
على الرجل في معاملته في الحضر ورفقائه في السفر فلا تشكوا في صلاحه لأن السفر يظهر الضجر ويسيء الأخلاق
ويخرج مكامن النفس من الشره والإملاق فمن حسنت أخلاقه في سفره وكثرت أوقاته وأمنت من ضجره
فهذا يعتبر من الأخلاق وكل من صلحت صحبته في السفر صلحت صحبته في الحضر وليس كل من صلح أن
يصحب في الحضر يصلح أن يصحب في السفر وقال بعض العلماء ثلاثة لا يلامون على الضجر الصائم
والمريض والمسافر ولا ينبغي أن يفارقه من الأسباب أربعة الركوة والحبل والإبرة بخيوطها والمقراض
وكان الخواص من المتوكلين لم يكن يحمل زادا ولا يعرف بالتقلل معتادا ولم تكن هذه الأربع تفارقه وكان يقول

ليست من الدنيا وكان بعض الصوفية يقول الفقير إذا لم يكن معه ركوة وحبل دل ذلك على نقصان
دينه وقد كان جماعة من أرباب القلوب وأهل العناية بالأحوال إذا استوطنت نفوسهم مصرا
أو سكنت إلى موضع عملوا في الغربة لرفع العادة وإيثار القلة والذلة وكانوا إذا خافوا الاستشراف
إلى الخلق خرجوا في الأسفار لقطع ذلك وحسمه من الأذكار وقد كان الخواص لا يقيم في بلد أكثر من
أربعين يوما ويرى ذلك علة في توكله فيعمل في كشفها واختبار نفسه وحدثنا بعض الشيوخ
عنه قال لبثت في البرية اثني عشر يوما لم أطعم شيئا وتطلعت نفسي أن تعرج على حشيش البرية قال
فرأيت الخضر عليه السلام مقبلا نحوي فهربت منه فلما رآني عند هربي التفت إليه فإذا هو قد رجع عني
وقال انظر إلى قلب الله عز وجل كيف لم يفسد عليه توكله فقيل له لم هربت منه قال استشرفت نفسي إليه
أن يعينني وعلى المسافر من أهل القلوب أن يفرق بين سكون القلب إلى الوطن والسفر وبين سكون النفس
إليهما فإن ذلك قد يلتبس فيحسب من لا بصيرة له ولا تفتيش لحاله ولا صدق في أحواله أن سكون
النفس هو سكون القلب فينقص بذلك ولا يفطن لنقصانه فإن كان قلبه يسكن إلى أحدهما وفيه
صلاح دينه وعمارة آخرته ومحبة ربه عز وجل فهذا طريقه وهو مراد به فهذا سكون القلب لأنه يسكن
إلى أخلاق الإيمان لأنه لها مكان وما ورد به العلم لأنه له علم وعلامة ذلك مفارقة الهوى بكل معنى فصاحب
هذا من أرباب القلوب وإن كانت نفسه تسكن إلى أحدهما مما فيه عاجل حظوظه وعمارة دنياه وموافقة
هواه فهذا سكون نفس لأنها تسكن إلى معاني الهوى فليتحول من الوطن إلى الغربة وليرجع من الغربة
إلى المصر ومن كان في سفره على غير هذا النعت من التفقد لحاله وحسن القيام بأحكامه فهو على هوى
وفتنة وسفره بلاء عليه ومحنة وفصل الخطاب أن من لم يكن له في سفره حال يشغله وهم يجمعه
ووقت يحبسه ومأوى يظله وسكن يؤنسه وزاد من باطنه وعلم من عالمه فإن الحضر أوفق لحاله
وأصلح لقلبه وأسكن لنفسه من السفر لأنه يكون في السفر مشتت السر مفرق الهم تارة بوجود
معلوم يخاف عليه ومرة بفقد معتاد يحن إليه ومرة باستشراف الخلق يطمع فيه فمرة يضعف
قلبه مع العدم ومرة يقوى بالاستطلاع إلى البشر هذا يكون في السفر في نقصان ما ادعى والسفر
مطلب يجمع هم الأقوياء ويبصر العلماء ويشتت قلوب الضعفاء ويعمي بصائر الجهلاء ويذهب أحوال أهل
الابتداء وأنشد بعض الشاكرين في وصف الغريب ألفت التفرد والغربة وفي كل يوم أطا تربة
فيوم مقيم على نعمة ويوم مظل على نكبة ومما يطيب نفس الغريب حبيب تطيب به الصحبة
وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسافر الرجل وحده وقال إذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم قال

وكانوا يفعلون ذلك ويقولون ذاك أمين أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي عليه السلم خير الأصحاب
أربعة فالأسفار والنزه لا تطيب إلا في جماعة وأقل الجماعة اثنان والسياحة لا تحسن إلا على الانفراد
والوحدة قال الله عز وجل فمن منعه النصرة ومنعه نية الصحبة لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم
منا يصحبون فمن نصره الله عز وجل على نفسه فقد صحبه ومن أصحبه نفسه فقد خذله ومن غلبته
نفسه فقد عدم النصرة ألم تسمع إلى قوله عز وجل إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي
ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون

كتاب ذكر أحكام الإمام والمأموم

فإن كان هذا المريد إماماً لجيشه كان عليه أن يقوم بحكم الإمامة حتى يتمها فيستحق أجر الإمام بأن يكون له
مثل أجر من صلى خلفه وبأن يكون داعياً إلى الله عز وجل قائماً بين الله تعالى وبين عباده فهو وجهتهم
وطريقهم إليه وفي الخبر إنما الإمام أمير فإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا وفي الحديث فإن أتم فله
ولهم وإن نقص فعليه ولا عليهم وفي لفظ آخر فلا تسابقوه بالركوع والسجود ورويناه في حديث غريب
أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل فإن أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم فأول ما عليه من الشروط
أن يكون مجتنباً للفسوق وهي الكبائر غير مصر على الصغائر قارئاً لكتاب الله عز وجل بحسن أداء وجودة
تقويم من غير لحن ولا إحالة معنى عالم بفرائض الصلاة وسننها وما يفسدها وما يوجب السهو وما
لا يوجبه منها وإن حدثت عليه حادثة في الصلاة أو ذكر أنه على غير وضوء ورع واتقى الله عز وجل
وخرج من صلاته وأخذ بيد أقرب الناس إليه واستخلفه في صلاته وقد أصاب ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم إمام الأئمة خرج إلى الصلاة ثم ذكر أنه كان جنباً فرجع فاغتسل ثم رجع فدخل في الصلاة فإن
كانت الحادثة في الصلاة فعل ذلك وإن كان ذكر أنه دخل في الصلاة على غير طهارة خرج ولم يستخلف
واستأنف القوم الصلاة فليكن الإمام مأموناً على طهارته بإكمالها مأموناً في صلاته بإقامتها مخلصاً بالإمامة
مريداً بها وجه الله عز وجل وما عنده ولا يحل له أن يأخذ على الصلاة أجراً ولا على الأذان إذ هو
طريق إليها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبي العاص الثقفي أن يتخذ مؤذناً لا يأخذ على الأذان
أجراً فهذا الداعي إلى الصلاة لا يحل له أن يأخذ على دعائه أجراً فكيف المصلي القائم بين الله وبين عباده
وكان بعضهم يقول ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء ولا بعد العلماء أفضل من أئمة المصلين لأن
هؤلاء قاموا بين الله وبين عباده هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهي الصلاة وبهذه
الحجة احتج علي عليه السلم في تقدمة أبي بكر رضي الله عنه في الخلافة لما أهله رسول الله صلى الله عليه وسلم
للإمامة قال فنظرنا فإذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لديننا

ولهذه الحجة احتج عمر رضي الله عنه على الأنصار في بيعة أبي بكر رضي الله عنه فقال أيكم تطيب نفسه أن
يتقدم من قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم إماماً ولهذا احتج أبو عبيدة على أبي بكر رضي الله عنهما
لما أخذ بيده وبيد عمر فقال بايعوا أحد هذين فقد رضيته لكم فقال أبو عبيدة ما كنت لأصلي
أمام من صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه، وقال رجل يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة
فقال كن مؤذناً قال لا أستطيع قال كن إماماً قال لا أستطيع قال فصل بإزاء الإمام وعليه أن
يراعي أوقات الصلوات ليصلي في أول وقت فيدرك رضوان الله وبين فضل الصلاة في أول وقتها وبين
الصلاة في آخر وقتها كفضل الآخرة على الدنيا كذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث آخر أن
العبد ليصلي الصلاة في آخر وقتها ولم يفته ولما فاته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها وليتم الركوع
والسجود والاعتدال والقعود فيكون ذلك قريباً من السواء حتى يدرك ذلك من وراءه من الضعفاء والمرضى
وكذلك كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً من ركوعه وسجوده وجلوسه بين السجدتين مثل ركوعه
وسجوده معتدلاً قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث من الركعة حتى نقول قد نسي وكذلك جاء عنه
في التشهد الأخير وينبغي أن يكون له ثلاث سكتات كذا روي في صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أولهن إذا كبر وهي الطولى منهن ليقرأ من وراءه الحمد والثانية إذا فرغ من قراءة الحمد ليتم من
بقي عليه شيء منها وهي على النصف من الأولى والثالثة إذا أراد أن يركع وهي أخفهن تكون كنصف الثانية
وذلك لئلا يكون مواصلاً في صلاته بأن يصل التكبير بالقراءة أو يصل القراءة بالركوع فقد نهي عن ذلك
وعلى المأموم أن لا يصل تكبيره بتكبير الإمام ولا تسليمه بتسليمه وعليهما أن لا يصلا التسليمتين ليفصلا
بينهما فقد نهي عن المواصلة في الصلاة بأثر عن السلف وعلى المأموم أن يكبر ويركع ويسجد ويرفع ويضع
بعد الإمام ولا يخرون سجداً حتى تقع جبهة الإمام على الأرض وهم قيام ثم يخرون بعد ذلك كذلك
كانت صلاة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه وقد قيل إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة
أقسام قسم بخمسة وعشرين صلاة وهم هؤلاء الذين يرفعون ويضعون بعده وقسم بصلاة واحدة
وهم الذين يكبرون ويركعون ويسجدون معه مواصلة له ومبادرة وطائفة يخرجون بغير صلاة وهم الذين
يرفعون ويضعون قبله وليس يقنت ولا يقرأ في صلاة الغداة بسورتين من المثاني وهو ما دون
المائة فإن الإطالة في صلاة الغداة والتغليس بها سنة ولا يضره خروجه منها مسفراً إذا كان قد دخل
مغلساً وقالت عائشة فرضت الصلاة ركعتين ثم زيد في كل صلاة ركعتين إلا المغرب فإنها وتر النهار
وصلاة الصبح لأجل طول القيام ولا يكبر حتى يعتدل الصف وراءه يلتفت يميناً وشمالاً فإن كان

اعوج اشار بيده وان راى خللا امر بسده فان تسوية الصف من تمام الصلاة وكان السلف يتحاذون
بين المناكب ويتضامون في الحجاب ولا اكره ان يقرا في الركعة الثانية منها باواخر السور من نحو
الثلث والعشرين الى ان يتمها لان في ذلك مزيد تذكرة وفضل تبصرة لانه يبعد طرقة الاسماع لكثرة
الاعتياد لتلاوة السور القصار فهو ادنى الى الانتفاع والتفكر وانما اكره ان يقرا من اولها كذلك
ثم يقطع او يقرا من وسطها ثم يركع قبل ان يختمها هذا الذي كرهه بعض العلماء وليس لقائل ان يقول
ان هذا بدعة لان البدعة لا يقال الا فيما فيه ترك سنة وهذا من المطلق المباح بعموم قوله عز وجل فاقرؤوا
ما تيسر منه ومن قوله عز وجل وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فهذا اقرب الذكرى امر به لقربه طرقه
السمع ولقوله عز وجل وافعلوا الخير وقوله عز وجل ومن تطوع خيرا فهو خير له فهذه ادلة العموم
وهو على الاطلاق اذ لم يحصر بتحريم وليس فيه ترك سنة فيوصف ببدعة وقد روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون اخذته سعلة قطع فركع وروينا حديثا اشهر
منه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا في ركعتي الفجر باية من سورة البقرة قولوا آمنا بالله الآية وفي الثانية ربنا
آمنا بما انزلت وسمع بلالا يقرا من هاهنا وهاهنا فساله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فلم
ينكر عليه وروينا عن ابن مسعود انه ام الناس فقرا في الثانية من صلاة عشاء الآخرة بالعشر الاواخر
من آل عمران وانه قرا لهم ايضا في ركعة منها آخر العشر من الفرقان تبارك الذي وروينا ان ابا بكر رضي الله عنه
قرا في الركعة الثانية من صلاة المغرب بعد الحمد ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الآية فلذلك يستحب
ان يقرا بهذه الآية خاصة في الثانية من صلاة المغرب ووهم بعض الناس في هذا فخشي ان يكون هذا
تنكيس القرآن وليس كذلك لانه لو كان تنكيس القرآن لما جاز ان يقرا قارئ اذا زلزلت الارض ثم يقرا
بعدها انا انزلناه في ليلة القدر ولما قال الفقهاء المستحب ان يقرا الحمد وسورة او ثلاث آيات من
سورة او آيتين وروينا عن جابر بن زيد فقيه اهل البصرة وكان ابن عباس يقول سلوا جابرا روينا
عنه انه افتتح الصلاة فقرا الحمد لله ثم قرا مدهامتان فذهب الى ان في ذلك مخالفة الترتيب
في نظم السور وان ذلك عكس القرآن والترتيب في النظم لا يعتبر كما لم يعتبر الترتيب في التنزيل لانهم لم
يرتبوا نظم سور القرآن على ترتيب التنزيل لان اول ما نزل سورة اقرا باسم ربك ونزل يا ايها المدثر
ثم المفصل فاذا لم يعتبروا التنزيل في الترتيب لم يعتبر النظم في الترتيب وتنكيس القرآن هو عكسه وهو الذي
لا يجوز وقد كان بعض الشباب قديما فعل ذلك في غير صلاة يريد به الحذق وجودة الحفظ فيقرا
من آخر السورة الى اولها وكان احدهم يقول ينكس احدهم القرآن نكس الله قلبه يقول من اقرا مني

ومن احذق مني ومن احفظ مني فيقرا من آخر السورة الى اولها فهذا تاويل الوهم وقد رايت بعض
الائمة في جامع عظيم من جوامع المسلمين قرا في الركعة الثانية من صلاة عشاء الآخرة باخر سورة يونس
وخلفه العلماء والاشهاد فما انكر عليه احد وليقرا في صلاة الظهر بطوال المفصل الى الثلاثين آية وفي العصر
اوسط المفصل على نصف صلاة الظهر كذلك كان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما وفي المغرب
باواخر المفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرا فيها بسورة والمرسلات ما صلى
بعدها حتى قبض صلى الله عليه وسلم وروينا في حديث صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر
فسجد فيها في قيامه فقدرنا انه قرا سورة السجدة فان كانت هذه السورة تنزيل السجدة فهذا تقدير
في القيام فمن قرا سورة سجدة فيما يخافت فيه فليسجد لذلك وفي الخبر قلنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرا في صلاة الظهر والعصر شيئا قالوا نعم قلنا باي شيء كنتم تعرفون قراءته قالوا باضطراب لحيته
وقد جاء في الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في صلاة الظهر ويسمعنا الآية احيانا وقال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخف الناس صلاة في تمام ثم قال في حديث آخر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامر بالتخفيف في الصلاة وان كان ليؤمنا بالصافات وقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم في الرخص اذا
صلى احدكم بقوم فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شاء
وقد كان معاذ بن جبل يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينصرف الى قومه صلاة عشاء الآخرة
فافتتح بسورة البقرة فخرج رجل من الصلاة بعد ان صلى لنفسه ثم انصرف فقال معاذ نافق الرجل
وتشاكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتكى الرجل وزبر معاذا وقال افتان انت اقرا سورة
سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها فينبغي ان يعرف هذا الامام ويسبح في ركوعه وسجوده سبعا
ليدرك من وراءه ثلاثا او خمسا خمسا وروي انهم كانوا يسبحون وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الركوع والسجود عشرا عشرا وان قرا في الاخريين من الاولى والعصر بعد الحمد بسورة قصيرة او آيتين
من سورة فحسن ليدرك من وراءه الحمد على مهل وقد اختلف مذهب السلف في الامام يكون راكعا
فيسمع خفق النعال هل ينتظر في ركوعه حتى يدخل في الركعة او لا ينتظر فقال بعضهم ينتظر حتى يدخلوا
معه وممن اختار هذا المعنى الشعبي وقال آخرون لا ينتظرهم فان حرمة من دخل فيها وراءه اعظم من
حرمتهم وممن قال بهذا ابراهيم النخعي والذي عندي في هذا التوسط ينتظر فان سمع وقع نعالهم في اول
ركوعه فلا باس ان يمده حتى يلحقوا بزيادة تسبيح لئلا يكون فارغا بعمل غير الصلاة فان سمعها في آخر
ركوعه عند رفع راسه لم احب ان يزيد في الصلاة لاجلهم فليرفع ولا يبالي بهم واستحب للامام

أن يقرأ في صلاته بالسور المتنوعة التي رويناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الصلوات منها
انه كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة بقل يا أيها الكافرون وبقل هو الله أحد وفي صلاة عشاء الآخرة
ليلة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقون وفي صلاة الفجر يوم الجمعة تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان
وقد روي انه كان يقرأ في صلوة الجمعة يوم الجمعة بسورة الجمعة ايضا والمنافقون وقرأ في صلاة الغداة
بسورة الكوثر وفي العشاء بالتين والزيتون وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قرأ في صلاة المغرب الأعراف
ولا ينكر هذا وقد صليت بها في المغرب مع ابن حنش فانه قرأ فيها سمر الحشر وكان يوتر بسبح اسم ربك
الأعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفي الخبر كان يحب سورة سبح اسم ربك وافضل التشهد
عندي الذي رواه ابن مسعود وجابر وقد اختلفت الروايات في ألفاظ التشهد فالذي اختاره واقول له
ما رويناه عن عبد الله باثبات الواوات وتقديم اسم الله عز وجل في اولها واقول ايضا والزاكيات وزيادة
والمباركات واقول بسم الله قبل قوله التحيات واذكر قوله لله في آخرها فاكون بذلك جامعا بين جميع الروايات
ولان في حديث عمر وابن عباس ذكر المباركات وتأخير قوله لله وفي حديث ابن مسعود ذكروا الزاكيات وتقديم
قوله لله ومن فعل ابن عمر ذكر التسمية في اولها وقول لله في آخرها فقد روينا في حديث الثوري عن ايمن
ابن نابل عن ابي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول بسم الله وبالله التحيات لله والصلوات
والطيبات والزاكيات والمباركات لله ولا يزاد على هذه الاربع ثم اختلفوا في مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم
بالاشارة باليد في السلام او تركها فالذي اختاره واقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين لانه قد جاء في بعض الاخبار كالتفسير لما ذكرناه قال كنا نقول اذ كان
رسول الله حيا بين اظهرنا السلام عليك ايها النبي ورحمة الله فلما قبض صرنا نقول السلام على النبي
وفي كل الروايات واشهد ان محمدا عبده ورسوله وكذلك اختار الأخ رواية عمر فانه قال رسول الله
واختار ايضا قوله عبده ورسوله لانه في رواية عبد الله حدثنا بعض العلماء رواه عن بعض الصالحين
قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله قد اختلف العلماء في التشهد فبما آخذ
فقال التشهد هو الذي رواه ابن ام عبد ولا يدع ان يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس فيقول
اعوذ بك من عذاب القبر وعذاب جهنم واعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال
وان اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر به
والمسيح بنصب الميم والحاء مع التخفيف لانه قيل سمي بذلك معدولا من ماسح اي يمسح الارض مسحا
لانه تطوى له الارض كلها في اربعين يوما وقيل بل هو عدل ممسوح العين اي مطموسها والتكبير

والتسليم بالجزم والاذان بالجزم وقد قيل هذا واستحب ان يكون المؤذن غير الامام كذلك كان السلف
وقد قيل كانوا يكرهون ان يكون الامام مؤذنا روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال عمر رضي الله عنه
لما ذكر فضل الاذان لولا الخلافة لاذنت وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاذان الى المؤذن
والاقامة الى الامام اي هو املك بها وللمؤذن ان ينتظر الامام وليس على المأموم والامام انتظار المؤذن
اذا دخل الوقت ولا على المؤذن انتظار احد اذا دخل الوقت وحضر الامام ولا ينتظر احد بعد الامام اذا دخل
الوقت لان حضوره يمنع من انتظار غيره ولان الصلاة في اول الوقت افضل من انتظار الجماعة لها وقيل
كانوا اذا حضر اثنان في الصلاة لم ينتظر الثالث واذا حضر اربعة في الجنازة لم ينتظر الخامس وقيل انتظار
المأموم مع شهود الامام مكروه والنعي للميت والايذان به بدعة هذه آثار قد درست وقد تأخر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وانما تأخر للطهارة فلم ينتظروا وقدموا عبد الرحمن بن عوف
فصلى بهم حتى فاته رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فلما اتمها قال قد احسنتم هكذا فافعلوا وتأخر في
صلاة الظهر فقدموا ابا بكر رضي الله عنه حتى جاء وهم في الصلاة فقام الى جانبه وليدخل في الصلاة
مكبرا اذا قال المؤذن قد قامت الصلاة ويكون الناس قد قاموا اذا قال المؤذن حي على الصلاة قام
الناس للدعوة فاذا قال قد قامت الصلاة كبر الامام ويبقى المؤذن وحده يتم الاقامة ويدخل في
الصف والامام يقرأ سورة الحمد لان حقيقة قوله قد قامت الصلاة ان قد قام الناس او قد قام المصلون
لان الصلاة لا تقوم واذا قاموا عند قوله قد قامت الصلاة لم يكن المؤذن قد كذب في قوله وان كان
جائزا على المجاز لقرب الوقت وظهور سبب القيام ولذلك كره ان يكون الامام مؤذنا لانه حينئذ يحتاج
ان يكبر ويدخل الناس في الصلاة عند قوله قد قامت الصلاة وكذلك جاء عن السلف من السنة ان يكون
الاذان في المنارة والاقامة في المسجد ليتقرب على المؤذن الدخول في الصلاة ولذلك قال بلال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبقني بآمين اي تمهل علي حتى ادرك التأمين معك لفضله اذ قد علم انه يسبقه
بافتتاح الحمد وفي هذا دليل على صحة مذهب من قال ان الامام ينتظر اذا سمع خفق النعال حتى يدخل في
الصلاة بعد قوله لا تسبقني اي توقف علي الا انه على قول من قال اذا سبح الداخل بالامام وهو راكع
لزمه ان يتوقف عليه لانه قد آذنه بالتوقف فاذا لم يسبح لم يجب عليه ان يتوقف له فهو على هذا القول
اشد جوازا لان تسبيحه بالامام يسأله ان يتوقف عليه بمنزلة قول بلال رضي الله عنه لا تسبقني بآمين
ولا استحب للامام الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وان كانت آية من سورة الحمد فاكثر الروايات واثبتها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الجهر بها وانه الآخر من فعله فقد كانوا يأخذون بالآخر من فعله عليه السلام

كانوا

ولمواطاة فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لذلك بعده عليه السلم وهو مذهب الأكثر من الصحابة والعلماء
وقد روينا عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم كراهية الجهر بها. وقال ابن عباس ليس من السنة
الجهر بها قال ابن مسعود ومن السنة الإخفاء بها واستحب أن يقول في تشهده وأسألك من الخير كله
عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك
مما سألك عبادك الصالحون وأعوذ بك مما استعاذ منه عبادك الصالحون وإن قال أسألك الجنة وما قرب
إليها من قول وعمل ربنا لا تزغ قلوبنا الآيتين ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة الآية ثم يستغفر
للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات وليس بعد هذا دعاء مفضل ولا كلام مأثور فإن اقتصر على
الاستعاذة بالكلمات الخمس التي ذكرناها آنفا أجزأه وهذا كله من فضائل التشهد ومندوب إليه
وليس في جميعه شيء واجب إلا قوله التحيات لله والسلام على رسوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
والشهادة ويكره للإمام أن يخص نفسه بدعاء دون من خلفه فإذا دعا في صلاته فيجمع بالنون فيقول
نسألك ونستعيذ وهو ينوي بذلك إياه ومن خلفه ولسائر المؤمنين فإن اختار المريد التأذين على الإمامة
فقد قال بعض العلماء إن الأذان أفضل من الإمامة وإن المؤذن أعظم أجرا لقول النبي صلى الله عليه وسلم المؤذن
أمين والإمام ضامن فشبههما بالأمانة والضمان ثم قال فإن نقص فعليه لا عليهم فقالوا إن الأذان أسلم
ولعله لا يقوم بحكم الإمامة ولا يتم وصف الإمام فيكون عليه نقص صلاة المصلين كما يكون له أيضا
في الإتمام مثل أجرهم وأيضا فإن النبي صلى الله عليه وسلم دعا للمؤذنين دعاء هو أمدح من دعائه للإمام بقوله
اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم يغفر للمؤذن مدى صوته ويشهد له كل رطب
ويابس ووصف بوصف هو أبلغ فقال المؤذن مؤتمن وفي لفظ آخر مؤذنوكم أمناؤكم وأئمتكم ضمناؤكم
فالأمين أرفع حالا من الضامن لأن الضامن غارم وقد لا يكون أمينا والأمين مكين ولا ضمان عليه ومن
أذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين سنة دخل الجنة بغير حساب والمؤذن بين
أذانه وإقامته كالمتشحط بدمه في سبيل الله عز وجل وقد روينا في تفسير قوله عز وجل ومن أحسن
قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا قال دعا إلى الله الأذان وعمل صالحا قال الصلاة بين الأذان والإقامة
وقيل نزلت هذه الآية في المؤذنين ويستحب له إذا فرغ من أذانه أن يقول وأنا من المسلمين والحمد لله
رب العالمين ويستحب أيضا قول ذلك لجميع من سمعه فقد أمر بذلك بعض المؤذنين وتلا قوله تعالى
وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين وقوله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثة يوم القيامة على كثبان المسك لا يخافون إذا خاف الناس ولا يفزعون إذا فزع الناس رجل

أم قوما وهم به راضون ورجل أذن في مسجد سبع سنين ابتغاء وجه الله عز وجل واستحب أن يصلي
المؤذن والناس أيضا أربع ركعات بين الأذان والإقامة وفي سير السلف كانوا يكرهون أربعة أشياء ويتدافعونها
الفتيا والإمامة والوصية والوديعة ولكن إذا أقيمت الصلاة فليتقدم من أمر بالصلاة ولا يتدافعونها
فقد جاء في العلم أن قوما كانوا يتدافعونها بعد إقامة الصلاة فخسف بهم ولكن لا يقيم المؤذن حتى يحصل
الإمام فلذلك قيل الإقامة إلى الإمام ومن أذن فهو يقيم لا غيره فإن أذن جماعة فلا بأس أن يقيم أحدهم
دون جماعتهم وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعوا في منزل أحدهم فجعل ابن مسعود يقدم أبا ذر
وأبو ذر يقدم عمارا وعمار يقدم حذيفة فلم يتقدم أحدهم وأمروا مولى لأحدهم أن يتقدم فيصلي
بهم ففيه حجة ورخصة وكان بشر يقول من أراد سلامة الدنيا والآخرة فليجتنب لا يحدث ولا يشهد
ولا يؤم ولا يفتي قال وفي بعضها ولا يجيب دعوة وقال لا يقبل هدية وهذا من تشديده والذي أختار
من التأذين والإقامة مذهب أهل الحجاز تثنية الأذان وإفراد الإقامة وأن يزيد في أذان الفجر الصلاة خير
من النوم مرتين وأن يؤذن لها قبل دخول الصبح خاصة ليتأهب الناس لها ويتقدموا في وقتها لأجل
المنام ولفضل الظهور إلا أن يتفقوا على صحة الحديث شغلونا عن صلاة الوسطى العصر فيدع الاختيار
للآثار وقال أبو حازم كان سهل بن سعد يقدم فتيان قومه يصلون به فقلت رحمك الله أنت
صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ولك من السابقة والفضل ما لك لا تؤم قومك قال يا ابن أخي سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الإمام ضامن فأكره أن أكون ضامنا ويمد المؤذن صوته جهده ويزيد في
رفعه إذا رجع بذكر الشهادتين فإن تمهل بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من عشائه والمتوضي
من وضوئه فهذا توقيت لإكمال أشغال المصلين بما لا بد منه ومن كانت به الحاجة إلى الحدثين فليقدمه
قبل دخوله في الصلاة لئلا يشغله شيء عن صلاته وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مدافعة
الأخبثين في الصلاة وأمر بتقدمة العشاء في قوله عليه السلم إذا أقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء ذلك
ليكون القلب فارغا لربه عز وجل والهم خاليا من نوائبه فذلك من إقامة صلاته وإتمامها وفيه أيضا
دليل على جواز ترك الصلاة جماعة في السفر وأنها ليست بفرض وأكره الإمامة لمن كثر سهوه في الصلاة
ودام شغل قلبه عن فهم المناجاة ولمن علم أن وراءه من هو أقرأ منه وأفقه في الدين والعلم منه
وإن كان هو موصوفا بالصلاة والعبادة لأن حاجة الصلاة إلى تجويد القراءة والفقه بأعمالها أولى
وأوجب ولا يؤم الأمي القارئ ولا العجمي ولا المتيممون للمتوضئين وإن اتفقوا أميين قدموا
أقرأهم وإن حضر أئمة قراء فليتقدم أعلمهم وأدينهم فإن اتفق رجلان أحدهما أفقه في الدين

وليس يحفظ القرآن والآخر حافظ لجميعه إلا أنه لا علم له قدم أعلمهما وإن اتفق رجلان أحدهما
قد جمع القرآن والآخر أحسن تجويداً وتثبيتاً لما يقرأ منه وليس يحفظ جميعه فليتقدم أقرؤهم قراءة وأشدهم
تجويداً وفي الخبر يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأفقههم في دين الله عز وجل
فإن كانوا في الفقه سواء فأكبرهم سناً وكذلك الأمر وقال رجل للحسن يا أبا سعيد إن لنا إماماً
يلحن فقال أخروه والخطأ أسهل من اللحن لأن فيه تحريفاً وإحالة وليس في الخطأ ذلك والرجل أحق
بالإمامة إذا كان في منزله ولا يتقدم أحد إلا بإذنه كذلك السنة فيه وفي السلطان إذا حضر إلا أن
السلطان اليوم إن لم تخف سطوته فلا بأس أن يتقدمه الإمام واستحب للإمام إذا سلم أن يسرع
الانفتال بوجهه إلى الناس وأكره للمأموم القيام قبل انفتال الإمام فقد روينا في ذلك سنة حسنة
عن طلحة والزبير أنهما صليا بالبصرة خلف إمام فلما سلما قالا للإمام ما أحسن صلاتك وأتمها
مع ما كنا نصلي إلا شيئاً واحداً إنك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالا للناس ما أحسن ما صليتم
إلا أنكم انصرفتم قبل أن يلتفت إمامكم فلذلك قلنا ذلك وإمام المحلة أحق بالصلاة في مسجده فمن
طرأ عليه ممن صلى خلفه فإن كان أعلم منه أذن له إمام المحلة في التقدم ومن كرهه جيرانه أو كرهه
من وراءه من المأمومين فلا يحل له التقدم فإن اختلفوا أنكره قوم وأحبه آخرون نظر إلى أهل العلم
والدين منهم فحكم بذلك ولا يعتبر الأكثر إذا كان الأقلون هم الأخير ولا يصلي خلف شارب خمر
ولا فاسق ولا مقيم على كبيرة ويختار من الأئمة إذا اتفقوا في المحلة الأفضل والأعلم والأزكى للصلاة
ولا يصلي خلف مبتدع فإن صلى خلفه ولم يعلم فليعد ومن سمع الأذان وهو في طريق يمشي فليدخل
المسجد وليصل ولا يؤخر إلى مسجد آخر إلا لأحد معنيين أن يكون على يقين من لحوق إمام آخر هو أفضل
من هذا أو يكون يعرف هذا ببدعة أو فسوق وإلا فالصلاة مع أول من قام بها من المسلمين
سيما إذا سمع التأذين فهو أوجب وليس عليه أن يسأل عن الإمام وقد اختلف رأي العلماء فيمن اتفق
في جواره مسجدان فمنهم من قال الأقرب منه أولى وإليه ذهب الحسن وقال آخرون الأقدم أولى وإليه ذهب
أنس وغيره من الصحابة قال كانوا يتجاوزون المساجد المحدثة إلى العتيق واستحب للإمام أن يتحول
إذا صلى المكتوبة فلا يصلي في موضعه النافلة فإن فعل ذلك المأموم فحسن إلا أنه مأثور في الإمام
وأن يجلس بعد الفريضة قليلاً للتسبيح والدعاء ومن كان في جيرته مسجدان عتيقان فأولاهما بالصلاة
فيه أقربهما إلا أن تكون له نية في كثرة الخطى إلى الأبعد أو يكون الإمام في الأبعد هو الأفضل ومن كان
مأموماً فلا يقرأ سورة مع الحمد فيما يجهر به الإمام ولا يقرأ الحمد أيضاً إلا في سكتات الإمام وإن قطعها

وإن لم يكن للإمام سكتات في الحمد قط فيما يجهر به كان وزر القراءة في قراءة المأموم على الإمام لأنه قد نقص
صلاته وترك ما عليه فإذا لم يجهر إمامه فليقرأ الحمد وسورة إذا أمكنه ولا بد من الحمد وحدها

كتاب ذكر الأخوة في الله عز وجل وحسن الصحبة

قد كان المؤاخاة في الله عز وجل
والصحبة له في الحضر والسفر طريقين للعاملين في كل طريق فريق لما في ذلك من الفضل ولما جاء فيه
من الأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم والندب إذ كان الحب في الله تعالى من أوثق عرى الإيمان وكانت
الألفة والمزاورة من أحسن أسباب المتقين وقد كثرت الأخبار في تفضيل ذلك والحث عليه وليس قصدنا
الجمع لما روي لميلنا إلى الإيجاز في الباب ولكن نذكر الأفعال المستحبة وما يتعلق بها مما لا بد منه
على أن رأي التابعين قد اختلف في التعرف فمنهم من كان يقول أقلل من المعارف فإنه أقل لغمك في الدنيا
وأسلم لدينك وأكثر لسقوط الحقوق عنك لأنه يقال كلما كثرت المعارف كثر الغرماء أي كثرت
الحقوق وكلما كانت الصحبة توكدت الرعاية والمحافظة وقال بعضهم هل رأيت شراً إلا ممن تعرف
وكلما نقص هذا فهو خير وقال بعضهم أقلل ممن تعرف فإنه أقل لفضيحتك يوم القيامة فإنه
ليس أحد يفتضح غداً فتخفى فضيحته على أحد من معارفه وقال كثير منهم أنكر من تعرف ولا تتعرف
إلى من لا تعرف وممن مال إلى هذا الرأي سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وسليمان الخواص وأبو سليمان
الداراني والفضيل وداود الطائي وبشر بن الحارث الحافي ويوسف بن أسباط وحذيفة بن قتادة المرعشي
وقال أكثر التابعين باستحباب كثرة الإخوان في الله عز وجل وقال بعضهم إنهم زين في الرخاء وعون
عند الشدائد وتعاون على البر والتقوى والفقه في الدين وقال لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل
في شفاعة أخيك وكانوا يأمرون بالأخوة ويتحاضون على الألفة وقال إن غفر للعبد شفع في إخوانه
وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً غريباً في تفسير قوله ويستجيب الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في إخوانهم فيدخلون الجنة معهم وممن مال إلى هذا
الوجه سعيد بن المسيب والحسن والشعبي وشريك بن عبد الله وابن أبي ليلى وابن شبرمة وهشام بن عروة
وشريح وابن عيينة وابن المبارك والثوري ومال أحمد بن حنبل رضي الله عنهم إلى هذا الوجه
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم إن أحبكم إلى الله عز وجل وفي لفظ آخر إن أقربكم مني مجلساً أحاسنكم
أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله عز وجل المشاؤون بالنميمة
المفرقون بين الأحبة وروينا عنه صلى الله عليه وسلم المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف
وقال كونوا مؤتلفين ولا تكونوا متفرقين وقال يسروا وبشروا ولا تعسروا ولا تنفروا وقال إن منكم منفرين

وقد جاء في خبر آخر أول ما يرفع من هذه الأمة الأمانة ثم الخشوع ثم الورع ثم الألفة وفي الحديث
إذا أراد الله بعبد خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكّره وإن ذكر أعانه وروي مثل الأخوين إذا التقيا
مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وما التقيا وقد جاء في الأثر من آخى أخاً في الله عز وجل رفعه الله عز وجل
في الجنة درجة لا ينالها بشيء من أعماله ويقال إن الأخوين في الله تعالى إذا كان أحدهما أعلى من الآخر
مقاماً رفع الآخر إلى مقامه وإنه يلحق به كما تلحق الذرية بالأبوين لأن الأخوة عمل كالولادة وقد قال
الله عز وجل ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ولذلك يقال ليس بعد الفرائض أفضل
من صلة الإخوان وإنها تعدل صلة الأرحام لأن الله تعالى ضم الصديق إلى الأقارب في قوله عز وجل أو
صديقكم وكذلك قال لأن أعطي أخاً في الله عز وجل درهماً أحب إلي من أن أتصدق بعشرين ولأن أعطي
أخاً لي عشرين أحب إلي من أن أتصدق بمائة وهدية أصل بها أخي أحب إلي من أن أعتق رقبة وقال عز وجل
مخبراً عمن لا صديق له حميم ينفعه شفاعته فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ومعنى حميم قريب ووصف
الصديق بالقربة والنسبة وبعضهم يقول معنى حميم أي هميم أبدلت الهاء حاء لتقاربهما مأخوذ من الاهتمام
أي مهتم بأمره ففيه دليل أن الصديق هو المهتم بأمرك وأن الاهتمام صفة الصداقة كالأنساب
والقرابة وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن كثير بأخيه وعن عمر رضي الله عنه ما أعطي عبد
بعد الإسلام خيراً من أخ صالح وقال أيضاً إذا رأى أحدكم وداً من أخيه فليتمسك به فقل ما يصيب
ذلك وقال بعض الحكماء في معناه كلاماً منظوماً ما نالت النفس على بعده الذي من ود صديق أمين
من فاته ود أخ صالح فذلك المغبون حقاً يقين وقد يروى هذا المصراع الثاني فذلك المقطوع منه الوتين
وروينا في أخبار السالفة أوحى الله عز وجل إلى موسى صلى الله عليه وسلم كن يقظاناً وارتد لنفسك إخواناً
وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو وفي بعضها إن أطعتني فما أكثر إخوانك في الناس
المعنى إن واسيت الناس وأشفقت عليهم وسلم صدرك لهم ولم تحسدهم كثر إخوانك وفي أخبار
داود عليه السلام أن الله عز وجل أوحى إليه مالي أراك منتبذاً وحدانياً قال إلهي قليت الخلق من أجلك
قال يا داود اتخذ لنفسك إخواناً وكل خدن لا يواتيك على مسرتي فلا تصحبه فإنه يقسي قلبك ويباعدك
مني قال يا رب كيف لي أن يحبني الناس كلهم فقال خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بيني وبينك
وفي بعضها خالق أهل الدنيا بأخلاق أهل الدنيا وخالق أهل الآخرة بأخلاق أهل الآخرة وروينا عن بعض
علماء السلف خالق المنافق بمخالقة وخالص المؤمن بمخالصة فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن
وإنه يحق عليك أن تخالص المؤمن وفي الأخبار أن أحد الأخوين إذا مات قبل صاحبه وقيل له ادخل الجنة

سأل عن منزل أخيه فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منازله قال ولا بد أن يسأل به
لمن كذي ومن كذي فيقال إنه لم يعمل ما يستحق ذلك فيقول أخوه إني كنت أعمل لي وله فالّب
فيعطى جميع ما سأل له ويرفع إلى درجته معه وروي معنى ذلك في خبرين جمعت بينهما اختصاراً
فقد كانوا يتواخون ويتعاونون لمنافع الآخرة الباقية لا لمرافق الدنيا الفانية وأفضل الأخوة
ما قال بعض العلماء المحبة الدائمة والألفة اللازمة من قبل أن الأخوة والمحبة عمل وكل عمل يحتاج
إلى حسن خاتمة ليتم العمل ويكمل أجره وإن لم يختم له بالآخرة ولم تحسن عاقبة الصحبة والمحبة
فهذا عبد قد أدركه سوء الخاتمة وبطل عنه ما كان قبل ذلك وقد كان يصطحب الاثنان ويتواخى
الرجلان ثلاثين سنة وأربعين سنة ولا يختم لهما بحسن الأخوة فيحبط عنهما ما سلف منهما فلذلك
شرط العالم المحبة الدائمة والألفة اللازمة إلى آخر الوفاة عليها ليختم له بها ومن هذا كان السلف
يحافظون على الأخوة ويراعون منهم المحبة ويأمرون بالتمسك بها والإبقاء عليها لنفاستها
وشدة الخطر بها كما قال بعضهم مثل الأخوة في الله عز وجل مثل الزجاجة الرقيقة ما لم تصنها
وتحذر عليها كانت معرضة للآفات فمن عرف فضل الأخوة ارتبط بها ومن ارتبط بشيء خاف
فوته فعمل بتبقيته وإن كان في ذلك حملاً على نفسه وماله ويقال يحسد العدو متعاونين
على بر حسده متواخيين في الله عز وجل ومتحابين فيه فإنه يجهد نفسه ويحث قبيله على فساد
ما بينهما وقد قال الصادق عز وجل وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم
يعني يقولوا الكلمة الحسنة بعد نزغ الشيطان وقال عز وجل مخبراً عن أخوة يوسف من بعد أن
نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي وقد قيل ما تواخى اثنان في الله عز وجل فيفرق بينهما إلا ذنب
يرتكبه أحدهما وكان بشر يقول إذا قصر العبد سلبه الله عز وجل من يؤنسه لأن عنده أن
وجود الأنس في الأخ نعمة من الله عز وجل إذ لا يوجد ذلك في كل أخ وقد كان أيضاً يقول ينبغي
للرجل أن يكون له ثلاثة إخوة أخ للدنيا وأخ للآخرة وأخ يأنس به أي وقد يكون الأخ من أهل الآخرة
والفضل ولا يوجد الله تعالى به الأنس من قبل أن الأنس يجد منه وأنه لا قرب في روح لا يوجد الأنس به
ولا يوجد الأنس إلا في روحاني والميت لا أنس فيه ويقال إن للعدو شيطاناً ليس له عمل إلا
الفرقة بين الإخوان وروى أبو يونس عن مجاهد قال المتحابون في الله عز وجل إذا التقوا فبش
بعضهم إلى بعض تتحات عنهم الخطايا كما تتحات ورق الشجر في الشتاء إذا انترق وقد روينا هذا
وكان الفضيل وغيره يقولون نظر الأخ إلى وجه الأخ على المودة والرحمة عبادة وقد روي

فيحبط

ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله عز وجل في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله
منهم اثنين تحابا في الله عز وجل اجتمعا على ذلك وتفرقا على ذلك فاشترط لذلك التفرق على الأخوة
والمحبة والحيطة في الغيب كالاجتماع ولا تصح الأخوة إلا بذلك لأنه حقيقة المحبة وتمام الوفاء
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه وكان بعض السلف يقول ما ذكر
أخي عندي في غيب قط إلا تمثلته جالسا فقلت فيه ما يحب أن يسمع في حضوره وقال آخر ما ذكر
أخي في غيب إلا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال في وقد كان ابن عباس
يقول في وصيته ولا تذكر أخاك إذا غاب عنك إلا بما تحب أن يذكرك به إذا غبت واعف عنه مما
تحب أن يعفى عنك ولذلك عز في الناس حقيقة الأخوة قديما لأن صحتها لا تكون إلا هكذا فقد
ذكر في الأخبار عن جماعة من الأحبار اثنان عزيزان لا يزدادان إلا عزة درهم حلال وأخ يسكن إليه
وقيل وأخ يؤنس به وقال ابن معاذ بلية عزيزة في وقتنا هذا ذكر منها حسن الإخاء مع الوفاء
يعني بالوفاء أن يكون له في غيبه ومن حيث لا يعلم ولا يبلغه مثل ما يكون له في شهوده ويكون له بعد
موته ولأهله من بعده كما كان له في حياته فهذا هو الوفاء وهو المعنى الذي شرط النبي صلى الله عليه وسلم
للمواخاة وجعل جزاءه ظلال العرش فقال اجتمعا على ذلك وتفرقا وكما قال بعض الأدباء قليل الوفاء بعد
الوفاة خير من كثير في حال الحياة وكذلك كان السلف فيما ذكره الحسن قال كان أحدهم ليخلف أخاه
في عياله بعد موته أربعين سنة ما يفقدون إلا وجهه وقال إن مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على
أخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين أخيه خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة سرا فقضى
دين مسروق ولم يعلمه ومن حقيقة المحبة وإخلاص الأخوة استواء الوجه والغيب واستواء القلب
واللسان واستواء السر والعلانية والجماعة والخلوة فإذا استوى ذلك ولم يختلف فهو إخلاص الأخوة
وإن اختلف ذلك فهو المداهنة في الأخوة والمماذقة في المودة وهذا لعمري لا يكون إلا في حقيقة الإيمان
وقد سأل أبو رزين العقيلي النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فشرط له أشياء منها أن يحب غير ذي
نسب لا يحبه إلا لله عز وجل ومن شرط المحبة لله أن لا يكون لرحم يصلها ولا لنعمة يربها كما سأل
الملك الرجل الذي زار أخاه في قرية فقال له أبينك وبينه رحم تصلها أو نعمة تربها فلما قال له
لا قال فلم تزوره قال أحببته في الله عز وجل قال فإني رسول الله تعالى إليك يخبرك أنه يحبك كما أحببته
فيه وقد روينا عن عمر وابنه رضي الله عنهما لو أن رجلا صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم
يحب في الله ويبغض في الله لما نفعه ذلك شيئا وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال

لأصحابه أي عرى الإيمان أوثق قالوا الصلاة قال حسنة وليس به قالوا الزكاة قال حسنة وليس به
قالوا الحج والجهاد قال حسن وليس به قالوا فأخبرنا يا رسول الله قال أوثق عرى الإيمان الحب في الله
والبغض في الله عز وجل وقد اختلف مذهب الصحابة في الأخ يحب أخاه في الله عز وجل ثم ينقلب الآخر
عما كان عليه ويتغير هل يبغضه بعد ذلك أم لا كان أبو ذر يقول إذا انقلب عما كان عليه وتغير
فأبغضه من حيث أحببته وهو صاحب شدائد وعزائم وهذا من عزائمه وشدائده وكان أبو الدرداء
يقول هو أخي كما كان لا أبغضه إنما أبغض عمله وعن أبي الدرداء أن شابا غلب على مجلسه حتى أحبه
أبو الدرداء فكان يقدمه على الأشياخ ويقربه فحسدوه قال ثم إن الشاب وقع في كبيرة من الكبائر
فجاءوا إلى أبي الدرداء فحدثوه وقالوا إنه قد فعل وفعل فلو أبعدته وهجرته فقال سبحان الله لا نترك
صاحبنا لشيء من الأشياء ووافقه سلمان وتابعهما عمر بمعنى ذلك وروينا عن بعض التابعين وعن الصحابة
أيضا مثل ذلك في أقاصيص يطول ذكرها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا أعوانا للشيطان
على أخيكم ثم أتوا به وعنه عليه السلام احذروا زلة العالم فإن زل فلا تقطعوه وانتظروا فيئته
فإن العالم قد يزل ثم يفيء وعن بعض الصحابة وقد قيل له في أخيه فقال إنما أبغض عمله وإلا
فهو أخي وكذلك قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في عشيرته فإن عصوك فقل إني بريء مما
تعملون ولم يقل إني بريء منكم للحمة النسب وقد قيل للصداقة لحمة كلحمة النسب وقيل لحكيم
مرة أيما أحب إليك أخوك أو صديقك فقال إنما أحب أخي إذا كان صديقا وقد كان الحسن يقول
كم من أخ لك لم تلده أمك وأنشد بعض الأدباء
كم صديق عرفته بصديق صار أحظى من الصديق العتيق
ورفيق رأيته في طريق صار عندي مثل الصديق الحقيق
وقد كان أبو الدرداء يقول إذا تغير عليك أخوك وحال عما كان فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك
يعوج مرة ويستقيم أخرى وكان يقول دار أخاك ولن له فإن معاينة الأخ خير من فقده ومن
لك بأخيك كله لا تطيعن فيه حاسدا فتكون مثله عسى أن يأتيه الموت فتراك تبكيه بعد موته
وفي حياته تذكر فضله ولذلك قيل القرابة تحتاج إلى المودة والمودة لا تحتاج إلى قرابة وفي حديث
النبي صلى الله عليه وسلم لما شتم القوم الرجل الذي أتى فاحشة فقال مه لا تكونوا أعوانا للشيطان
على أخيكم وفي بعض الآثار في زلة الأخ قال ودّ الشيطان أن يلقي على أخيكم مثل هذا حتى تهجروه
وتقطعوه فماذا اتقيتم من محبة عدوكم وكان الحسن يقول أي الرجال المهذب وقال إبراهيم لا تقطع
أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فإنه يركبه اليوم ويتركه غدا وقال مرة لا تحدثوا الناس بزلة
العالم

فإن العالم يزل ثم يتركها وقد تحيّز بها الناس دينا وفي الخبر ألا أنبئكم بشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة
المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب وقد كان سعيد بن المسيب يقول إني لأكره أن أفرق بين اثنين
وقال مرة بين المتحابين وقال بعضهم لو ارتد أخي ما ارتددت عن أخوته لأنه أحوج ما كان إليّ الآن ولا أقطع
به ودعا بعض التابعين لبعض أصحابه وقد كان أسرف على نفسه فقيل له أتدعو له وقد فعل وفعل فقال
لمن أدعو للحسن وابن سيرين هو أحق أن أدعو له منهما واعلم أن في الأخوة في الله مزيد الأعمال ووجد
حلاوة الإيمان واعلم أن في الخبر لا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله عز وجل وإن
من فضل الحب في الله عز وجل أن جعله شرطا لوجود الإيمان وقرن بحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
إذ قد روي في الخبر الآخر لا يؤمن عبد حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواه ومن ذلك جاء لا يؤمن عبد
حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله تعالى ومن المحبة في الله عز وجل التزاور في الله تعالى والتباذل فيه فبذلك
يستحق العبد ولاية الله تعالى ويحق له محبة الله تعالى كما روي في حديث أبي ذر لما قال له أبو إدريس
الخولاني إني أحبك في الله تعالى قال أبشر ثم أبشر ثم حدثه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن لله عز وجل
عبادا على منابر من نور يوم القيامة وجوههم وثيابهم نور عن يمين العرش لا يخافون إذا خاف الناس
ولا يفزعون إذا فزع الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بمكانهم وقربهم من الله تعالى
قيل من هم يا رسول الله قال المتحابون في الله عز وجل المتزاورون في الله تعالى المتجالسون في الله تبارك
وتعالى وفي حديث عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى حقت
محبتي للمتحابين فيّ وحقت محبتي للمتجالسين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ والمتصافين فيّ
وقال موسى بن عقبة كنت ألقى الأخ من إخواني مرة فأقيم عاقلا بلقائه أياما وقال جعفر بن سليمان
كنت إذا وجدت في نفسي فترة نظرت إلى محمد بن واسع فأعمل على ذلك جمعة فأول ما نصح به الأخوة
في الله عز وجل أن لا يكون قصد ذلك عن محبة لأجل معصية ولا على حظ من دنياه ولا لأجل ارتفاقه
به اليوم ولا لمنافعه ومصالحه ولا يكون ذلك مكافاة على إحسان أحسن إليه ولا النعمة يجزيه عليها بمحبته
له ولا لأجل هوى بينه وبينه ليس فيه طريق لله عز وجل فإذا سلم من هذه المعاني فهذه أبواب المحبة
وهي إذا مواخاة في الله عز وجل فإن أحبه لأخلاقه اللائقة به ومعانيه الكائنة به لم يخرجه ذلك
من الحب لله تعالى ولا يقدح في الأخوة لأن هذه سيما ثابتة فيه مثل أن يحبه لحسن خلقه وكثرة
علمه وحلمه أو لحسن عقله ولوجود الأنس به والائتلاف الذي جعل بينه وبينه وإنما يخرجه من حقيقة
الحب في الله تعالى أن يحبه لما يكون حاصلا بينه وبينه ولمحبة بين الدنيا والآخرة ولما انفصل عنه

فلم يكن سخطه إلا بمثل الإنعام والإفضال عليه ومثل الارتفاق به والإحسان إليه فهذا الحب لا
يمتنع القلب من وجده لأنه جبل على حب من أحسن إليه وبغض من أساء إليه وليس يأثم ولا يعصي
بوجود هذه المحبة لمكان هذه الأسباب المعروفة كما أنه إن أساء إليه وجد بغضه له فلا يأثم على هذا
البغض ما لم يخرجه ذلك إلى أذى يوجب عليه حرجا إلا أن هذين العينين يخرجان من حقيقة الحب في
الله تعالى لأنه لا يكون محبا مع وجود الأسباب خالصا لله عز وجل من قبل أنها إذا زالت زالت المحبة
وكذلك إن أبغضه لتغير هذه الأسباب من الإساءة إليه بعد أن كان أحبه لله عز وجل ولم يتغير لأن صحة
الحب في الله عز وجل والبغض لا ينقلب بسبب بغض جعل في الطبع أو حب وكل محبة تكون عن عوض
فإنه إذا فقد العوض نفدت المحبة فأما حقيقة الحب في الله تعالى فأولها أن لا يحسد على دين ولا دنيا
كما لا يحسد نفسه عليها وأن يؤثره بالدين والدنيا إذا كان محتاجا إليهما كنفسه وهذان شرطا الحب في
الله تعالى اللذان ذكرهما الله تعالى في قوله يحبون من هاجر إليهم ثم وصف حقيقة محبتهم إذ كان لا
يصف إلا حقا ولا يمدح إلا محقا فقال ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا يعني مما أوتي إخوانهم
من دين ودنيا والحاجة في هذا الموضع الحسد أي لا يجدون في صدورهم لأنفسهم حسدا فهذه حقيقة
الوجد ثم قال في الشرط الثاني ويؤثرون على أنفسهم فهذا فصل الخطاب ونعت الأحباب فينبغي أن يؤثر
أخاه بنفسه وماله إن احتاج إلى ذلك منه فإن لم يكن في هذه المنزلة وهو مقام الصديقين فيواسيه
في ذلك وهذا مقام الصادقين فإن لم يكن هناك فيواسيه منه وهذا أقل منازل الأخوة وهو من أخلاق
المؤمنين وإنما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الغني والفقير ليعتدلان وينبغي أن يقدمه على أهله
وولده وأن يحبه فوق محبته لهم لأن محبة أولئك تقعد بهم من الدنيا ومحبة الإخوان تقعد بهم
من الآخرة وأمور الآخرة مقدمة في كل شيء عند المتقين كان أبو قلابة يقول لإخوانه أنتم أحب إليّ
من أهلي وولدي أولئك يذكروني الدنيا وأنتم تذكروني الآخرة وقد كان عبد الله بن الحسن البصري
يصرف إخوان الحسن إذا جاءوه لطول لبثهم عنده ولشدة ميله إليهم وكان الحسن رحمه الله إذا علم ذلك
يقول دعهم لا أم لك فإنهم أحب إلي منكم هؤلاء يحبوني لله عز وجل وأنتم تحبوني للدنيا وقال أبو معاوية
الأسود إخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذلك قال كلهم يرى الفضل لي عليه ومن فضلني على نفسه
فهو خير مني وقال علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم لما جلس بينه وبين فاطمة عليهما السلام
وهما مضطجعان أيما أحب إليك أنا أو هي فقال هي أحب إلي منك وأنت أعز علي منها ففرق
بين الحب والعز وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم

من تخالل وفي حديث آخر وأجر في صحبته من لا يرى لك مثل الذي ترى له وكان الأعمش يقول
من أخفى علينا بدعته لم تخف علينا ألفته أي ننظر إلى إخوانه الذين يألفهم فنستدل عليه بهم
وأنشدنا محمد بن جامع الفقيه   تذلل لمن إن تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال على الأصدقاء يرى الفضل له   ولا تصح مواخاة مبتدع في الله تعالى
ولا فاسق يصحب على فسوقه فتثبت محبته لله تعالى ولا فقير لحب غني لأجل دنياه وقد تصح المحبة
بين الفقير والغني وتوجد الأخوة وإن لم يقم الغني بحقوق أخوة أخيه إذا آثر أخوه بذلك فلم يقتضه
وقد تصلح الأخوة بين الاثنين وتثبت المحبة لله عز وجل وإن كان أحدهما دون الآخر في العلم والدين وإن كان
أحدهما من الخاطئين يعني من طرقات المؤمنين ينوبها أخوة فيه ويعامله بها مندوبا إليها أحدهما بحسن
الخلق فيه والإشفاق عليه والتواضع له عند نفسه فيراه في كل حال فوقه أو جميل الستر عليه فقد كان من
طرقات الإخوان فيها حسن ثواب وينبغي أن يعلمه ما يجهل مما هو يعلم فيعينه على البر والتقوى كما يعينه
بماله فإن فقر الجهل أشد من فقر المال وإن الحاجة إلى العلم ليست بدون الحاجة إلى المال وكان الفضيل
يقول سمي صديقا ليصدقه ورفيقا ليرفقه فإن كنت أعلم منه فارفقه بعلمك وينبغي أن ينصره
وأن يعينه بماله ولسانه وقلبه فإن النصرة في الله عز وجل تكون بهذه الخصال وعليه أن يحفظ غيبه
وأن يستر عيبه ويحسن الثناء عليه وينشر فضله ويمسك عن زلله ويقال ما من الناس أحد إلا وله
محاسن ومساوي فمن غلبت محاسنه على مساويه فهو المؤمن والمؤمن يقول في أخيه أحسن ما يعلم والمنافق يذكر
أقبح ما يعلم فيه ومن النصرة بالنفس السعي في نوائبه ومن النصرة بالمال بذله له في محبته وحاجاته
ومن النصرة باللسان نشر محاسنه ورد مساويه والنصرة بالقلب اعتقاد فضله عليه وجميل دعائه
بالغيبة فيه وحسن الظن على كل حال به ويمحص الطمع عنه القلب والإزراء عليه من التكبر والفخر عليه
ولا تكون حقيقة الأخوة مع وجود ذلك لأن الله عز وجل وصف المؤمنين بالصبر على إخوانه والرحمة لهم
فقال تعالى وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ووصفهم بالذلة لهم فقال عز وجل
أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وهذا كله داخل في الاهتمام به وهو مقتضى الصداقة له وحقيقة
صدقه فيها كما قال تعالى ولا صديق حميم أي هميم وينبغي أن لا يخالفه في شيء ولا يعترض عليه في مراد
قال بعض العلماء إذا قال الأخ لأخيه أعطني من مالك فقال كم تريد وما تصنع به لم يقم بحق الإخاء
وقال أبو سليمان الداراني كان لي أخ بالعراق وكنت أجيئه في النوائب فأقول أعطني من مالك شيئا
فكان يلقي إلي كيسه فآخذ منه ما أريد فجئته ذات يوم فقلت له أحتاج إلى شيء من المال فقال كم تريد

قال فخرج حلاوة إخائه من قلبي وعن ابن عمر وأبي هريرة لم نكن نرى أخانا أحق بديناره ودرهمه من أخيه
ومن أخلاق السلف أنهم قالوا لم يكن أحد منا يقول في رحله هذا لي وهذا لك بل كان كل من احتاج إلى
شيء استعمله من غير مؤامرة ولذلك قال بعض الصوفية لما سئل عن الورع بين الأخوة بين الأخوين فقال او
ترك الورع أي ليس هم كالأجانب فيستحل بعضهم بعضا أو يتورع فيتوقف عن أخذ ملك أخيه وقد
وصف الله تعالى المؤمنين بهذا فقال عز وجل وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون أي مشاع بينهم
غير مقسوم هم فيه سواء أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض أي نثرا وجاء عتبة
الغلام إلى منزل رجل كان قد واخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف درهم فقال خذ ألفي درهم
فأعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله تعالى أما استحييت أن تدعي الأخوة في الله تعالى وتقول مثل هذا
وجاء فتح الموصلي إلى منزل أخ له فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ من كيسه حاجته فذهبت
الجارية إلى مولاها فأعلمته فقال إن كنت صادقة فأنت حرة لوجه الله تعالى سرورا بما صنع وروي
أن ابن شبرمة قضى لبعض إخوانه حاجة كبيرة فجاءه الرجل بهدية جليلة فقال له ما هذا فقال لما أسديت
إلي فقال خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة
وكبر عليه أربع تكبيرات وعده في الموتى وعلى معنى ذلك قال بعضهم وقد كان ميمون بن مهران يقول
من أراد من الإخوان ترك الأفضال فليواخ أهل القبور وجاء رجل إلى أبي هريرة فقال إني أريد أن أواخيك
في الله عز وجل فقال أتدري ما حق الأخوة فقال عرفني قال لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني
قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال علي بن الحسين رضي الله عنه لرجل هل يدخل أحدكم يده
في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما شاء من غير إذن ولا امتناع قال لا قال فلستم بإخوان ودخل قوم على
الحسن فقالوا أصليت يا أبا سعيد قال نعم قالوا فإن أهل السوق لم يصلوا بعد فقال ومن يأخذ دينه عن
أهل الأسواق وبلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم وروي أن أخوين ابتلي أحدهما بالهوى فأظهر عليه أخاه
فقال إني قد اعتللت بالهوى فإن شئت أن لا تعقد على محبتي في الله عز وجل فافعل فقال ما كنت لأحل
أخوتك لأجل خطيئتك أبدا قال ثم اعتقد أخوه أنه لا يأكل ولا يشرب حتى يعافي الله تعالى أخاه من هواه
قال فطوى أربعين يوما في كلها يسأله عن هواه كيف أنت منه فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال
أخوه الآخر ينحل ويسقم من الغم عليه ومن ترك الطعم والشرب قال فزال الهوى عن قلب أخيه بعد أربعين
فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يتلف هزلا وأضرا وهذا في قصة طويلة اختصرناها وكذلك
روينا في الإسرائيليات أن أخوين عابدين في جبل نزل أحدهما يشتري من المصر لحما بدرهم فبصر ببغي

عند اللحام فهو بها فواقعها ثم اقام عنده ثلاثا فاستحيى ان يرجع الى عند اخيه قال فافتقده اخوه
واغتم بشأنه فنزل الى المصر فلم يزل يسأل عنه ويصفه حتى دل عليه فدخل اليه وهو جالس مع البغي
فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وانكر الآخر انه يعرفه لفرط استحيائه منه فقال قم يا اخي فقد
علمت شانك وقصتك وما كنت قط احب الي ولا اعز علي منك في يومك هذا ولا ساعتك هذه فلما رأى
ذلك انه لم يسقط عنده قام فانصرف معه فهذه من احسن النيات وهي سبيل العارفين من الطرقات
وان احب هذا الاخ ان يؤثر اخاه بما آثره به ولا ينقصه حق لحاله فحسن قد فعل ذلك عبد الرحمن بن
عوف لما آثره سعد بن الربيع بالمال والنفس فقال له بارك الله لك فيهما فآثره بما به آثره فكانه
استانف هبته له لانه قد كان ملكه اياه لسماحة نفسه وحقيقة زهده وصدق مودته فكانت
المواساة لسعد وكانت الاثرة لعبد الرحمن فزاد عليه وهذا من فضل المهاجرين على الانصار اذ كانت
لهم المواساة دون الايثار وقد كان مضا بن عيسى وسليمان يقولان من احب رجلا ثم قصر في حقه
فهو كاذب في حبه وكان ابو سليمان يقول هو صادق في حبه مفرط في حقه ثم قال لو ان الدنيا كلها
لي ثم جعلتها في فم اخ من اخواني لاستقللتها له ثم قال ايضا اني لالقم الاخ من اخواني اللقمة فاجد
طعمها في حلقي واوصى بعض الحكماء ابنه فقال يا بني ادخل بين الاعداء ولا تدخل بين الاصدقاء قال
وكيف ذلك قال الدخول بين الاعداء يكسب الصداقة والدخول بين الاصدقاء يورث العداوة ولا ينبغي
للاخ ان يخون اخاه في غيبه بما يكرهه وان كان مباحا لعلمه انه يكرهه ولا ينكر عليه ما لا يقوم
في علمه اذا فعله اذا كان اخوه اعلم منه او كان له وجه يخرج عليه ولا ينبغي له ان يكذبه في امره
ولا يفشي له سرا ولا يعرضه لريبة ولا لنميمة ولا يحوجه الى المداراة ولا يلجئه الى الاعتذار ولا يتكلف
له ما يشق عليه او ما لا يحبه هو منه وليس هذا كله من شرط الاخوة قال العباس لابنه عبد الله
اني ارى هذا الرجل يقدمك على الاشياخ ويقربك دونهم فاحفظ عني ثلاثا لا تفشين له سرا
ولا تغتابن عنده احدا ولا يجربن عليك كذبة وفي الرواية الاخرى ولا تضيعن له امرا ولا يطلعن
منك على خيانة قال قلت للشعبي وقد رواه كل كلمة خير من الف فقال كل كلمة خير من عشرة
آلاف وقال علي عليه السلم شر الاصدقاء من احوجك الى المداراة والجاك الى الاعتذار وقال مرة
شر الاصدقاء من تكلف له وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف
له ما لا يفعله كل واحد منهما في منزله فيحشمه ذلك عن الرجوع اليه وروينا عن عائشة رضي الله عنها
المؤمن اخو المؤمن لا يغتنمه ولا يحتشمه وحدثنا بعض اشياخنا عن الجنيد قال صحبت اربع

طبقات من هؤلاء الطف ثقة يعني الصوفية كل طبقة ثلاثون رجلا حارث المحاسبي وطبقته وحسن المسوحي
وطبقته وسري السقطي وطبقته وابن المبارك وطبقته ما تواخى اثنان في الله عز وجل فاحتشم
احدهما عن الآخر واستوحش الا لعلة في احدهما ولا يدع نصحه ودرسه بما يعلم ويحمل زلات
اخيه ولا يقطعه معها ولا يغضب عليه عندها وان غضب واغتاظ فليسرع الرضى فان الله تعالى
لم يصف المؤمنين بانهم لا يغضبون ولا يغتاظون اذ ذلك لا يملك وانما وصفهم بانهم اذا غضبوا
يغفرون وانهم كاظمين الغيظ وعافين عن الناس وهذا هو الاحسان فلذلك كانوا المحسنين وسُمي بذا
المحسنين وفي الحديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذه بهذه وقد كان الشافعي رحمه الله يقول
من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقال عمرو بن دينار
زهدك في راغب فيك نقص حظك ورغبتك في زاهد فيك ذل نفسك وليستر عورة اخيه
ما استطاع ففي الحديث من ستر عورة اخيه ستره الله عز وجل في الدنيا والآخرة وفي حديث آخر
من ستر على اخيه عورة فكانما احيى موؤودة وروينا عن عيسى صلى الله عليه انه قال للحواريين
كيف تصنعون اذا رأيتم اخاكم نائما فكشفت الريح بعض عورته قلنا نرد عليه ثوبه ونستره
فقال ليس تفعلون ذلك ولكن تكشفون اكثر قلنا سبحان الله ومن يفعل هذا قال انتم تسمعون
بالكلمة من الفحش لا تدفنونها ولكن تزيدون عليها وتذيعونها بما يكون من الحسد المتمكن في
القلب والغل المحتقن في الصدر على اخيه الدهر الطويل فلا يظهر ذلك لانه لا يجد مساغا ولا يصادف
متمكنا فاذا ظهر له ادنى سبب وسمع اقل متكلم ظهر ما كان من الحسد بطن وعلن ما كان من الغل
استكن فيسمع الكلمة مثلها وعضها بالجنبها بمجيء وقتها فعند هذا يعرف منه انه كان حاسدا
له وحاقدا عليه ولكن تبين الآن لما آن وقته فاما من عوفي من دقائق الحسد وعصم من لطائف
الغل وسلم قلبه لاخيه اعتقد حسن الظن فيه فانه اذا ظهر سيئ من اخيه فيه زلل وبدا منه
امر فيه خطل ستر ذلك وكتمه واخفاه وابهمه وقد يقطعه الحزن عليه والهم به عن الذكر له
والخبر عنه فعند ذلك يعرف القلب السليم وبيان الود المستقيم وهذه طريقة عقلاء المؤمنين
والاولى طريقة اهل الدخل في الدين وقد يكون ذلك من الكبر في القلب والفخر على اخيه بالعجب انما
ظهر عليه بعورة اظهرها او سمع له بهفوة اعلنها ليعرف فضله وما هو عليه ويرتفع بوصفه على
اخيه وهذا داخل في آفات النفوس وهو داخل في الشهوة الخفية والغل المستتر في الصدر
وينبغي ان يحمل لاخيه ثلاثة معان من الظلم ظلم الهفوة وظلم الغضب وظلم الدالة حكي هذا عن
بعض السلف

قال وقيل للاحنف اي اخوانك احب اليك قال من يسد خللي ويستر زللي ويقبل عللي وقال آخر الاخا
جوهرة رقيقة فهي ما لم توقها وتحرسها معرضة للآفات فارض للاخلاء بالبذلة حتى تصل الى قربه
وبالكظم حتى تعتذر اليه من ظلمك وبالرضى حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من اخيك التقصير ويقال
من لم يظلم نفسه للناس ويتظالم لهم ويتغافل عنهم لم يسلم منهم وقد قيل يحمل الرجل لاخيه الى سبعين
زلة فيطلب له المعاذير فان اعياه ذلك قال لعل لاخي عذرا غاب عني علمه وحكي هذا عن ابن سيرين وغيره
وكان ابن سعيد الثوري يقول اذا اردت ان تواخي رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك فان قال
خيرا فاصحبه وقال آخر لا تواخين احدا حتى تبلوه او تفشي اليه سرا ثم اخفه واستغضبه فانظر
فان افشاه عليك فاجتنبه وقيل لابي يزيد من نصحب من الناس قال من يعلم منك مثل ما يعلم الله
عز وجل ثم يستر عليك كما يستر الله عز وجل وقد كان ذو النون المصري يقول لا خير لك في صحبة من يحب
ان يراك الا معصوما وقيل لبعض العلماء من نصحب من الناس فقال من يرفع عنك ثقل التكلف ويسقط
بينك وبينه مؤونة التحفظ وقد كان جعفر بن محمد يقول اثقل اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ
له واخفهم علي قلبي من اكون معه كما اكون وحدي وقال بعض الادباء من اقتضى من اخوانه فوق
ما يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضاهم مثلما يقتضونه فقد انصفهم ومن لم يقتضهم مثلما يقتضونه
فقد تفضل عليهم وكذلك روينا عن بعض حكماء الفرس من جعل نفسه فوق قدره اثم واثموا فيه
ومن جعلها في قدره تعب وتعبوا معه ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا منه يريدون بهذا كله ان من
لم يكن بهذه الاوصاف دخل عليه التزين والتصنع فاخرجه الى الرياء فذهبت بركة الصحبة وبطلت
حقيقتها كما قال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص باثم
يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سواء وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الآخرة بالعلم
ومع العارفين كيف شئت وقال آخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر اليك اذا اسأت
ويحمل عنك مؤونة نفسه ويكفيك مؤونة نفسك وهذه من اعز الاوصاف في هذا الوقت كما قال رجل
للجنيد قد عز في هذا الوقت اخ في الله قال فسكت عنه ثم اعاد ذلك فتغافل عنه فلما اكثر
قال له الجنيد ان اردت اخا في الله عز وجل يكفيك مؤونتك ويتحمل اذاك فهذا لعمري قليل وان اردت
اخا في الله عز وجل تتحمل انت مؤونته وتصبر على اذاه فعندي جماعة اعرفهم لك قال فسكت الرجل
فهذا لعمري يكون محبا لنفسه اذا اقتضى من اخيه هذه الاعباء لا اخا في الله عز وجل وقد قيل ليس
الاخا كف الاذى هذا واجب بل الاخا الصبر على الاذى وكانت هذه الطائفة من الصوفية لا يصحبون

الا على السواء لانه معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعراض من بعض ان اكل احدهم النهار
كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم فصل
وان صلى الليل كله لم يقل له نم بعضه ويستوي حالاه عنده بلا مزيد لاجل صيامه وقيامه ولا نقصان
لاجل افطاره ونومه قال واذا كان يزيد عنده بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة اسلم للدين وابعد
من المراياة من قبل ان النفس مجبولة على حب المدح وكراهية الذم ومبتلاة بان تزين حالها التي
عرفت به وان تظهر احسن ما يحسن عند الناس منها وان تجتلب ما يوجب المدح منهم وتجتنب ما يوقع الذم
عندهم من صحبة من يعمل معه هذا فليس ذاك طريق الصادقين ولا بغية المخلصين ومجانبة هؤلاء اصلح
للقلب واسلم للدين وفي معاشرة امثالهم فساد القلوب ونقصان الايمان وضعف اليقين لان هذه اسباب
الرياء وفي الرياء حبط الاعمال وخسران رأس المال والسقوط من عين ذي الجلال العظيم وكان الثوري
يقول من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فيه فهلك كما هلكوا وكان
بعض الحكماء يقول لا تواخ من الناس من يتغير عليك في اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه
لان هذه المعاني تتغير لها الطباع لدخول الضرر منها على النفس وفقد الانتفاع وقال بعض الادباء
لا تصحب من الناس الا من كان بهذا الوصف يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك في النوائب ويؤثرك
بالرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وانشد

وندمان اخي ثقة كان حليته جره ... يريك حسن ظاهره وتحمل منه مخبره
يساعد خله كرما وفي اخلاقه اثره ... ويطوي سره ابدا وان يطوي مخا سره
ويستر عيب صاحبه ويستر انه ستره

وانشد في الفرق بين الكريم واللئيم اذا انقضى وصلهما

وترى الكريم اذا تصرم وصله ... يخفي القبيح ويظهر الاحسانا
وترى اللئيم اذا تقضى وصله ... يخفي الجميل ويظهر البهتانا

فالمؤمن الكريم متخلق باخلاق مولاه الكريم المتسمع اليه الدعاء المأثور يا من اظهر الجميل وستر القبيح
فذلك صفات المؤمن على معاني اخلاق الربوبية وقال علي عليه السلم في وصف اخلاق الاخ كلاما وجيزا
جامعا مختصرا يوفي على جميع ما ذكرناه بالفاظ وصف الاخ وحقيقة معناه
ان اخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك ومن اذا ريب زمان صدعك شتت فيه شمله ليجمعك
وقال بعض الحكماء لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيئا من امر دينك فينفعك ورجل تعلمه
شيئا من دينه فيقبل منك والثالث اهرب منه وقال ابن ابي الحواري قال لي استاذي ابو سليمان

احد لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلق منه في دنياك و رجل تزيد معه وتنتفع به في آخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كثير وقد كان المامون يقول الاخوان ثلاثة احدهم مثله مثل الغذا لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه فالعبد يبتلى بهذه الثلاث وهو الذي لا انس عاجل فيه ولا نفع آجل به ولا والعبد منعم عليه به هو الذي فيه الفة وانس وعنده غنيمة في الآخرة ونفع وقد قال ابو ذر الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة وقال بشر يكون للرجل ثلثة اخوان اخ لآخرته واخ لدنياه واخ يانس به فاخر ان اخ المؤانسة لا يكون متصوفا عابدا وان الانس مخصوص يقال لا يوجد الا في محبة ومثل جملة الناس ايضا كجملة الشجر منهم من له ظل وليس فيه ثمر وهذا يصلح للآخرة ولا يصلح للدنيا ومنهم من فيه ظل وثمر فهذا الذي يصلح للدين والدنيا ومن الناس من لا ظل له ولا ثمر فيه تمثل هذا من الشجر مثل شجر الغضا وهو شوك البرية الذي تسميه العامة ام غيلان يمزق الثياب لا طعم فيه ولا شراب فهو اي من الناس من يضر ولا ينفع ويكثر ولا يدفع تمثلهم كمثل الفارة والعقرب وبوصف قول الله تعالى يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وقال المؤمل

الناس شتى اذا ما انت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوي الشجر

هذا له ثمر حلو مذاقته وذاك ليس له طعم ولا ثمر

واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت قرب منك وان استغنيت لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك وان ابتذلت له صانك وان احتجت اليه مانك وان اجتمعت معه زانك فان لم تجد هذا فلا تصحبن احدا وقال بعض الحكماء في احد معاني هذا اذا ولي اخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فكثير وحدثنا ابو القاسم المالكي القرشي عن الربيع عن الشافعي رحمه الله عليه انه آخى رجلا من اهل بغداد ثم ان اخاه ولي السيبين فتغير له عما كان عليه فكتب اليه الشافعي هذه الابيات

اذهب فودك طالق مني وليس طلاق ذات البين

فان ارعويت فانها تطليقة ويدوم ودك لي على ثنتين

وان امتنعت شفعتها بمثالها فتكون تطليقين في حيضين

فاذا الثلاث اتتك مني بتة لم تغن عنك ولاية السيبين

فذكر هذا الكلام لبعض الفقهاء فاستحسنه وقال هذا طلاق فقهي الا انه طلاق قبل النكاح وقد كان الشافعي آخى محمد بن عبد الله بن الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمني بمصر غيره ولولا صحبة محمد لنا لخرجت من مصر فاعتل محمد فعاده الشافعي فحدثنا عن محمد بن مسلم قال حدثني الربيع قال سمعت الشافعي يقول وقد عاد محمدا فتنفس ثم قال مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذري عليه

وأتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري اليه

فما شك اهل مصر ان الشافعي يفوض امر حلقته اليه وانه يأمر الناس بالحضور عنده في المجلس بعده وفاته فسئل عن ذلك في علته التي مات فيها وقيل له يا ابا عبد الله الى من نجلس بعدك وكلنا الى من نختلف بعدك وهم يظنون انه يشير بمحمد بن عبد الله بن الحكم فاستشرف له محمد وكان عند راسه ليومي اليه فقال الشافعي سبحان الله في هذا ابو يعقوب البويطي فانكسر لها محمد ومال اصحابه الى ابي يعقوب البويطي وقد كان محمد حمل عن الشافعي مذهبه ونفذ في الفقه الا ان البويطي كان افقه منه وادين واقرب الى الزهد والورع فحمل الشافعي رحمه الله نصحه لله تعالى في الدين والنصح لجماعة المسلمين ولم يداهن ولا اتبع مرضاة الخلق في ذلك لانه وجد الامر الى ابي يعقوب وآثره به لانه كان احق به واولى فلما قبض الشافعي رحمه الله انقلب محمد بن عبد الله بن الحكم عنه ورجع عن مذهبه وفارق اصحابه فهو من كبار اصحاب مالك واخمل البويطي نفسه وانفرد عن الناس ولم يعجبه الجمع وآثر الخمول والعبادة وصنف كتاب الام الذي ينسب الآن الى الربيع بن سليمان ويعرف به وانما هو كتاب البويطي وجمعه وتصنيفه لم ينسبه اليه ولم يذكر لنفسه فيه واخرجه الى الربيع فزيد فيه واظهره وسمع الناس منه وقد كان البويطي قد حمل في المحنة ورفع الى السلطان وحبس في امر القرآن قال الربيع فكتب البويطي الي من السجن يحثني على المجالس ويأمرني بالمواظبة على العلم والرفق باصحابه والاقبال عليهم وان اتواضع لهم وكان كثيرا ما يسمع الشافعي يقول

اهين لهم نفسي لكي يكرموها ولن تكرم النفس التي لا تهينها

ومن حق الاخوة في الله تعالى ما نقل الينا من سيرة السلف قال كان الرجل يجيء الى منزل اخيه من حيث لا يعلم فيقول لاهله هل عندكم دقيق الكم زيت تحتاجون الى هذي وكذي فان قالوا ليس عندنا اشترى لهم مصالحهم وان قالوا عندنا قال اروني انظر اليه قال ولم يكن الاخ يفرق بين عياله وعيال اخيه يقاسمهم المؤونة والا ويلقى اخاه ولا يعلمه بشيء من ذلك وقد جعل الله تعالى الالفة بين المؤمنين من آياته التي تفرد بجعلها في القلوب وتمدح بوصفها الى الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يجعل لاحد فيها صنعا حتى حبيبه عليه السلام فقال عز وجل هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم اي عزيز عز الالفة وعظمها عند المؤمنين حكيم حكم بجعلها مع الحكماء من الصالحين في الحكمة ومعنى آخر عزيز لا يؤلف غيره ما فرق ولا يفرق سواه ما الف حكيم تفرد بالحكمة في التاليف كما قد توحد في التوحيد بالتعريف ونظر ابو الدرداء الى ثورين يحرثان في فدان فوقف احدهما يحك جسده فوقف الآخر فبكى ابو الدرداء فقيل له في ذلك فقال هكذي الاخوان

حتى

سنة حق الاخوة الاخ

في الدنيا يتحابان لله عز وجل ويتعاونان على أمره فإذا وقف أحدهما وقف الآخر لوقوفه وكان
أكثر عبادة أبي الدرداء التفكر وقال بعض السلف الصالح المودة خير من القرابة القرابة تحتاج
إلى المودة والمودة لا تحتاج إلى قرابة وقد روينا أن عمر رضي الله عنه كتب إلى بعض عماله من الأقارب
أن تزاوروا ولا تجاوروا في كلام طويل وقد كان أبو الدرداء يقول إني لأدعو لسبعين من إخواني
في سجودي أسميهم بأسمائهم وفي الخبر إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك وفي
لفظ آخر يقول الله عز وجل بك أبدأ وفي الحديث يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه وفي
الحديث دعوة الأخ لأخيه في الغيب لا ترد فهو أيضاً من واجب الأخوة تخصيصه وإفراده بالدعاء له
والاستغفار له في الغيب فلو لم يكن في بركة الأخوة إلا هذا لكان كثيراً وكان محمد بن يوسف الأصفهاني
يقول وأين مثل الأخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بأمرك
وما قدمت يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى فقد أشبه هذا الأخ الصالح الملائكة جاء
في الخبر إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون له بما قدم وقال بعض العلماء
لو لم يكن في اتخاذ الإخوان إلا أن أحدهم يبلغه موت أخيه فيترحم عليه ويدعو له فلعله يغفر له بحسن
نيته وقال من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه وقد
روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة
من أخ من قريب وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار أمثال الجبال وقد قال بعض
السلف الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء من أهل الدنيا كما يهدي بعضهم إلى بعض الهدية قال
فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند أخيك
فلان ومن عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية إذا جاءته من الحي وقد كان
بعض الإخوان يوصون إخوانهم بعدهم بدوام الدعاء لهم ويرغبون في ذلك بحسن يقينهم وصدق نياتهم
ويتقي أن يعاشر أخاه بخمس خصال فليست من الأدب ولا المروءة أولها أن لا يلزمه ما يكره مما يشق عليه
والثانية أن لا يسمع فيه بلاغة ولا يصدق عليه قالة والثالث أن لا يكثر مسألته من أين تذهب وإلى
أين تجيء وأن لا يتجسس عنه ولا يتحسس عليه والفرق بينهما أن التجسس يكون في تقفي الآثار والتحسس
في تطلع الأخبار قد روينا كراهية هذه الخمس خصال في سنن السلف قال محمد بن سيرين لا تلزم أخاك
ما يشق عليه وقال مجاهد يا هذا إذا لقيت أخاك في طريق فلا تسأله من أين جئت ولا أين تذهب فلعله
أن يصدقك فيكره ذلك أو يكذب فتكون قد حملته على الكذب وروينا أن حكيماً جاء إلى حكيم فقال

جئتك خاطباً إليك مودتك فقال إن جعلت مهرها ثلاثاً فعلت فقال وما هن قال لا تخالفني في الهوى ولا
تقبل عليّ بلاغة ولا تغط في هفوة فقال قد فعلت قال قد أجبتك وأما التحسس والتجسس تعط
فقد نهى الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عنهما وجعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنهي عنه
كالتدابر والتقاطع فورد الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً فالمقاطعة في المشاهدة أن تقطع مواصلته وتنحرف عن جريان عادته
والتدابر في الغيب يؤخذ منه إذا ولاك الدبر أي لا تدبره إلا بما يحب كما تكون له في المقابلة كما أخرجت
الغيبة من الغيب أي لا تخلفه في غيبه بما يكره وقد كان الإخوان يتثابتون على العلوم والأعمال
وعلى التلاوة والأذكار وبهذه المعاني تحسن الصحبة وتحق المحبة وكانوا يجدون من المزيد في ذلك والنفع
عنده في العاجل والآجل ما يجدونه في التخلي والانفراد من تحسين الأخلاق وتلقيح العقول ومذاكرة العلوم
وهذا لا يصح إلا لأهله وهم أهل سلامة الصدور والرضى بالميسور مع وجود الرحمة وفقد الحسد واستعمال
الإنصاف ومجانبة الخلاف ووجد التناصر وعدم التظاهر وسقوط التكلف وثبوت التألف فإذا عدمت
هذه الخصال ففي وجود أضدادها تقل المناسبة وتقع المباينة وقد قيل من سقطت كلفته دامت
ألفته ومن خفت مؤونته دامت مودته وقال علي عليه السلام شر الإخوان من تكلف له وقال بعض
الصحابة إن الله عز وجل لعن المتكلفين وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنا والأتقياء من أمتي برآء
من التكلف فجملة التكلف عمل ما لا نية للعبد فيه ودخوله فيما لا يعنيه وتفتيشه عما قد كفيه
وفي وجود الحسد والغل وهو ثبوت الحقد تكون المباينة وفي التطاول والتظاهر تقع المجانبة ومع
الخب والمكر تكون المنافرة وهذا كله يذهب بالألفة وينقص المحبة وتبطل فضيلة الأخوة وتفسد
حقيقة الصحبة وقال بعض أهل البيت أثقل إخواني عليّ من أحتشمه ويحتشمني وقال بعض السلف
كانوا لا يحتشمون ولا يعسمون وسئل الحسن عن الصديق الذي يحل أكل ماله بغير إذن منه قال من
استراحت إليه النفس وسكن إليه القلب فإذا كان كذلك فلا إذن له في ماله وسئل ذو النون عن الأنس
فقال أن تأنس بكل وجه صبيح وبكل صوت فصيح وبكل خلق مليح وكل ريح صحيح والله تعالى فيما بينك
وبين ذلك أي يكون ذلك بمشاهدة قرب وحضور قلب لا بطبع ونفس ولا بوجود هوى وإذا علمت أن
أخاك يسره بأخذك من رحله وماله أو علمت أنه لا يكره ذلك إن فعلته حل لك أن تأخذ وإن كان لم يأذن
لك لأن علمك يقوم مقام إذنه وعلامة هذا منك انشراح صدرك بذلك وخفته على قلبك فذلك دليل
سروره به وعلى قياسه مهما علمت من إنسان أنه يكره أن تأخذ من ماله شيئاً أو عرفته ببخل أو ضن بما في يديه

فإني أكره لك أن تأخذ من ماله شيئاً إن أذن لك بعد أن تعلم أن الأحب إليه أن لا تأخذ فمن الورع ترك ما
أعطاك إذا لا تأخذ فإن بذله مع علمك بأمره لغو من الحقيقة له ودليل لك ضيق صدرك به ووجود
الحشمة في القلب فقد جاء في الأثر الإثم حوّاز القلوب والإثم ما حاك في صدرك والبر حسن الخلق
والبر ما سكنت إليه النفس واطمأن به القلب هذه ألفاظ جاءت في أحاديث متفرقة وعلى معنى ما ذكرناه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل من لحم لبريرة تصدق به عليها وكانت غائبة لما علم أنه يسرها
فلم يستأذنها فعلى مثال ذلك قياسه ما ذكرناه ونظرها هاشم الأوقص إلى الحسن البصري وهو يأكل
من خوان لبقال من هذه بسرة ومن هذه تينة فقال له يا أبا سعيد تأكل مال الرجل قبل أن يأذن لك
فقال يا لكع اتل علي آية الأكل ثم قرأ الحسن لا جناح عليكم أن تأكلوا من بيوتكم إلى قوله أو صديقكم
وقد كان أصحاب محمد بن واسع وفرقد السبخي يدخلون على منزله فيأكلون من غير أن يأذن لهم ويقول
ذكرتموني أخلاق قوم قد مضوا هكذا كنا من قبل وكان بعضهم يفجأه الضيف فلا يكون عنده ما
يقدمه إليه فيذهب إلى منزل أخيه فيأخذ خبزه وقدراً كان طبخها فيحملها إلى ضيفه فيتلقاه أخوه
بعد ذلك فيستحسنه منه ويأمره بأن يفعل مثل ذلك في كل نائبة وقال بعض العلماء إذا عمل الرجل
في منزل أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به إذا أكل عنده ودخل الخلاء ونام وصلى ذكرت هذه
الحكاية لبعض شيوخنا فقال صدق وبقي خصلة قلت ما هي قال يجامع أيضاً فإنما قال هذا ليتم
أنسه به لأن هذه الخمس لأجلها تتخذ البيوت ويقع الاستخفاء لما فيها من التبذل والعورة ولولاها
كانت بيوت الله تعالى أطيب وأروح ففي الأنس بالأخ وارتفاع الحشمة من هذه الخمس مثال الأنس
في الوحدة بالنفس عن غير عيب من غائب ولا ضد لكن اتفاق جنس ولهذا لعمري نهاية الأنس وأما
الخامسة وهي قول شيخنا ويجامع فعلى ذلك يصلح أن يستدل له بقول العرب في تسليمهم وترحيبهم
مرحباً وأهلاً وسهلاً أي ذلك عندنا مرحب من السعة في القلب والمكان ذلك عندنا أهل بالأنس بهم
بلا وحشة منها وسهلاً أي لك عندنا سهولة ذلك يسهل ذلك علينا ولا يشتد فهو سهولة للقاء
وسهولة من الأخلاق والإنفاق واعلم أن للناس في التعارف سبع مقامات بعضها فوق بعض أولها
المعرفة عن الرؤية والسمع فقط فهذا له حرمة الإسلام وحق العامة ثم المجاورة له حق الجوار وهو ما في
حقوق الإسلام لأنه قد جمع حرمة الإسلام وحرمة الجوار وزاد عليها بأنه ابن سبيل ثم الصحبة وهي الملاوة
والاتباع فهذا فوق ذلك ثم الصداقة وهي حقيقة الصحبة ومنها تكون المعاشرة وهي اسم يجمع معه
المخالطة وتجد فيه المؤانسة وهو حكم يحكم عليه بالمزاورة والمباثة والمواكلة وهذا حقيقة العشرة

فالمعاشر مأخوذ من العشير وهو الخليط المقارب ولذلك يسمى الزوج عشيراً في قول النبي صلى الله عليه وسلم
ويكفرن العشير وقد يسمى المعاشر في قوله تعالى لبئس المولى يعني ابن العم ولبئس العشير يعني القريب
المخلط به فقيل معاشر على وزن مفاعل لأنه يقع بين اثنين المضاربة والمقاتلة والمشاتمة إذا فعل كل
واحد بصاحبه كفعله به ثم الأخوة فوق الصداقة وهذا لا يكاد يكون إلا بين النظراء في الحال والمتقاربين
في الجنس والمعاني بأن يوجد في أحدهما من القلب والهمة والعلم والخلق والفعل ما يوجد في الآخر وإن تفاوتوا
حكماً وقد قال الله عز وجل إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وليسوا من جنسهم ولا على وصفهم من
الخلقة ولكن لما تشابهت قلوبهم وأحوالهم آخى بينهم فهذه أخوة الحال وهي حقيقة الصداقة ثم المحبة
وهي خاصية الأخوة وهذا ما يجعله الله عز وجل من الألفة ويوجد من الأنس والقلب يتولاه بنفسه ولا
يوليه غيره وهو ارتياح القلوب وانشراح الصدور ووجد السرور وفقد الوحشة والحشمة ثم الخليل
من هذا فوق الحبيب ولا يكون هذا إلا في عاقلين عالمين عارفين على معنى معيار واحد وطريق واحد وقلب
واحد ومعها يكون حقيقة الحب والإيثار وكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلاً لأن الخلة تحتاج
إلى فضل عقل ومزيد علم وقد لا يوجد ذلك في كل محبوب فلذلك عز طلبه وجل وصفه وقد رفع الله
عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم في مقام المحبة فأعطاه الخلة ليلحقه في مقام أبيه إبرهيم عليه السلام فكانت
الخلة مزيد المحبة ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً من الخلق خليلاً لاتخذت
أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله فلما اتخذه الله عز وجل خليلاً لم يصلح أن يشرك في خلة الخالق
تعالى خلة خلق ثم قال ولكن أخوة الإسلام فأوقفه مع الأخوة لأن فيها مشاركة في الحال كما فعل بعلي
عليه السلام فقال علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة فأقامه مقام الإخاء وعدل به عن
النبوة كما عدل بأبي بكر رضي الله عنه عن الخلة فشارك أبو بكر علياً عليهما السلام في الأخوة وزاد
بمقاربة الخلة لأنه عرض لها وأهل لها إلا أن غيرة الله على خليله منعه من الشرك بخليقه وخلته
إيثاراً للتوحيد وقيام شاهد الوحدانية بمعنى مقتضى صفة الربوبية وفي الحديث الآخر أن النبي
صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فرحاً مستبشراً فقال ألا إن الله عز وجل قد اتخذني خليلاً كما اتخذ
إبرهيم خليلاً فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تبارك وتعالى وليس قبل المعرفة اسم يوجب حكماً ولا
بعد الخليل وصف يعرف إلا نعت حبيب ثم تتزايد الحرمات في الإخوان ما بين المعرفة والخلة وتعظم
الحقوق بطول الصحبة وجميل العشرة ويقال صحبة سنة أخوة ومعرفة عشر سنة قرابة وقد
ضم الله عز وجل الصديق إلى الأهل ووصله بهم ثم رفع الأخ وقدمه على الصديق وهو قوله عز وجل

او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم كان الاخ يدفع مفاتيح خزانته الى اخيه ويتصرف في الحضر ويقلده
في السفر ويقول لاخيه حكمك فيما املك كحكمي وملكي لك كما لك فكان اخوه يتضايق ويتحرج فيقتر
على نفسه لاجل غيبة اخيه فيقول لو كان حاضرا لاتسعت واكلت رغدا ولا ادري مقدار ما اذن
لي فيه ولعله يكره ان اكثر مما رزق فيه وايثارا له ونصحا لاخيه ففرج الله عز وجل تضايقهم وشكر
تورعهم واطلق لهم الاذن ووسع عليهم في الاكل فقال لا جناح عليكم ولا اثم ولا ضيق ان تاكلوا
من بيوتكم يعني الابناء او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم ثم نسق الاقارب على ترتيب الاحكام وضم اليهم
الاخ بما وصفه بتمليكه مفاتحه اخاه فاقام ذلك مقام ملك اخيه لانه اقام اخاه مقامه فقال او ما ملكتم
مفاتحه ثم اخر الصديق بعده اذ لم يكن حقيقا بوصفه ثم قال ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او
اشتاتا بحضرة الاخوان او اشتاتا في حال تفرقهم فسوى بين غيبهم ومشهدهم ليسووا به احوالهم
بينهم وبين املاكهم وليسووا قلوبهم مع السنتهم في البذل والمحبة ليتناولوا المبذول وهذا تحقيق
وصفه لهم في قوله عز وجل امرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون اي هم في الامر والانفاق
سوا وكان ابن المعتز مواخيا لثعلب خليطا له في العشرة وكان يدفع اليه اشعاره ينفقها ويجيزها
له الى ان حبس ومنع من الدخول اليه فكانت بينهما مكاتبة فمما اعجبني من مكاتبته من شعره ما
وجد هذه الابيات الثمانية قال بعض الادباء اذا ائتلف الاخوان الجماعة ثم اجتمع بعضهم على
لذة وقعد البعض نقص من اللذة بمقدار ما نقص منهم وهذا يكون لوجود الانس ومقاربة
الذكر وروينا ان مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فاخرج محمد بن
واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل ياكل فقال له مالك كف يدك حتى يجي صاحب
البيت فلم يلتفت محمد الى قوله واقبل على الاكل وكان ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن فقال
يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض حتى ظهرت انت واصحابك يعني هكذا كنا اهل الصفة
لان يسارا والد الحسن كان مولى لام سلمة وكان خادما لاهل الصفة وقوله حتى ظهرت انت واصحابك
يعني الصوفية الذين ظهروا بعد القراء الذين كانوا بعد اهل الصفة لبسوا الصوف تشبها بسيما
اهل الصفة وتاسيا بشمائلهم فنسبوا اليهم فقيل صوفية كما اضيف القراء الى صفة المسجد
فقيل اهل الصفة وقيل نسبوا الى لبس الصوف فقيل صوفية لانهم اختاروا لبسه لخشونته وبقائه
واحتماله البذلة زهدا في الدنيا وتواضعا وذلة واعلم انه ليس بين الاخوين والصاحبين ريا في
اعمالهما وان تراءى برأي العين اعمالهما لهما ثواب البر والخلوة لانهما كالاهل في الحضر وكالصحابة

في السفر ليس بين الرجل واهل بيته ولا بين المسافرين رفقاء رياء ولا سمعة ولا عليه منهم اخفا
ولا خلوة فان صحبه اخوه في سفر كان حرمة عليه الزم وحقه اوجب فينبغي ان لا يخالفه ولا يعترض
عليه ان احب النزول في منزل لم يكره اخوه ذلك وان اختار احدهما الرحيل لم يحب الآخر المقام
وان سار احدهما لم يقعد صاحبه وان استراح الآخر وقف له رفيقه ولم يزعجه بالسير وان اشترى
شيئا لم ينهه عنه ولا يستاثر بمطعوم ولا مشروب عليه بل يؤثره بذلك وفي الخبر ما اصطحب اثنان قط
الا كان احبهما الى الله عز وجل ارفقهما بصاحبه وروينا ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من صاحب يصاحب الا يسأله الله عز وجل عن صحبته هل اقام فيه حق الله او اضاعه ومن كان
ناظرا في اخوة اخيه او في صحبته الى كثرة اعماله ووافقه مع اجمل احواله دل على جهله بهذا الطريق
الذي ينفذ الى التحقيق لانها تحول وانما العمل على حقائق القلوب لانها ثابتة الاصول وان اقترن
الى جهله نقص معرفة الآخر دخل عليه التزين له والتصنع عنده لتعلو منزلته وتحسن عنده اثرته
فيدخله ذلك في الشرك ويخرجه الشرك عن حقيقة التوحيد فتزل قدم بعد ثبوتها ويسقط من عين
مولاه فلا يتولاه لان النفس مستلذة بحب الثناء والمدح واثبات المنزلة باظهار الوصف فيكون
هذا الصاحب من اشام الناس واضرهم له ويصير احدهما بلاء على صاحبه فليفارقه حينئذ لانه جاهل
ولا يصحبه فانه يجد النقصان بصحبته وتدخل عليه الآفات بمقاربته ولينفرد بنفسه فيصدق في حاله
عالية كانت او دنية وضيعة كانت او رفيعة من غير مقاربة احد ولا مباينة فهو خير له واحمد عاقبة
وهذا باب لطيف قد هلك فيه خلق كثير وهو على ضربين منهم من صاحب واخى وثابت على هذه العلل
فساكنها ومع هذه الآفات فقادته الضعف يقينه وقوة هواه وكبر الناس وعظم قدر الدنيا مما
يناله منهم في قلبه فهلك بالتزين والتصنع واهلك اخاه بنحو ذلك وهذه صفة كثير من القراء فاما
العارفون فمن ذلك برآء والضرب الثاني من المتعبدين المعروفين بالستر والصلاح خافوا من هذا ولم
يحبوا ان يظهروا على حالهم كراهية الذم وخيفة النقص لهم فلم يحبوا ان يختبروا بالمباينة ولا يكشفوا
بالمصاحبة ولا تعرف احوالهم لطول الممارسة واحبوا مع ذلك ان يشار اليهم من بعيد فيتوسم فيهم العبادة
من غير طول ملاقاة فاظهروا التفرد والعزلة ورفضوا المباينة والصحبة وانكروا هذا وعابوه
يريدون ان يتميزوا بذلك على نظرائهم وينفردوا به عن جملة الخلق بدعوى الحال ليختص بعزتها
عندهم من غير حال ولا انقطاع الى الله عز وجل ولا اشتغال ولقلة معرفة العامة باحوال الصادقين
فهلك هؤلاء ايضا بالمباينة وعريها كالذين تركوا السنة من اجابة الدعوة ومخالطة الامة كبرا

وتطاولا على العامة وتوهما منهم على من لا يعرف سيرة الائمة واوهم بذلك انه مشغول عنهم بسلوك
الطريق اعلمه انهم لا يعرفون محجة التحقيق وهو في ذلك منكشف للصادقين ظاهر عند العارفين
وقد جا في مخالطة المسلمين وفي الاكل مع المسلمين والاختلاط بالعامة والمشي في الاسواق واشترا الحوايج
وحملها والتواضع ما يكثر رسمه ويطول وصفه وكذلك سيرة الصحابة وشيم الصالحين والتابعين
باحسان منهم عمر رحمه الله عليه كان يحمل القربة على ظهره لاهله وعلي عليه السلام كان يحمل التمر والملح
في ثوبه وفي يده ويقول لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله ومنهم ابن مسعود وحذيفة
وابو هريرة كانوا يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على اكتافهم وظهورهم وسيد المرسلين وامام المتقين
رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم كان يشتري الشي فيحمله بنفسه فيقول له صاحبه اعطني احمله
عنك فيقول صاحب الشي احق بحمله وكان الحسن بن علي رحمه الله عليه يمر على السؤال في الطريق وبين ايديهم
كسر ملقاة في الارض فيسلم عليهم فيقولون هلم الغدا يا ابن رسول الله صلى الله عليه فيثني رجله
من بغلته وينزل فيقعد معهم بالارض وياكل ثم يركب ويقول ان الله لا يحب المستكبرين ثم يدعوهم
بعد ذلك الى منزله فيقول للخادم هلمي ما كنت تدخرين فياكلون معه وروينا في الاسرائيليات
ان حكيما من الحكما صنف ثلثمائة وستين مصنفا في الحكمة حتى ظن انه قد نال المنزلة عند الله عز وجل
فاوحى الله عز وجل الى نبيه عليه السلام ان قل لفلان انك قد ملات الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك
شيئا فسقط في يده وتخلى وانفرد في سرب تحت الارض وقال قد بلغت محبة الله ربي عز وجل فاوحى
الله عز وجل الى نبيه قل له انك لم تبلغ رضاي قال فدخل الاسواق وخالط العامة وجالسهم وواكلهم
واكل الطعام بينهم ومشى في الاسواق معهم فاوحى الله عز وجل اليه قل له الآن حين بلغت رضاي او قال
الآن قد رضيت فلو ايقن البايس المتصنع للخلق الاسير في ايديهم الرهين لنظرهم ان الخلق لا
ينقصون في رزق ولا يزيدون في عمر ولا يرفعون الى الله عز وجل ولا يضعون عنده وان هذا كله بيد الله تعالى
لا يملكه سواه ولو سمع خطاب المولى الله تعالى لاستراح من جهد البلاء اذ يقول عز وجل ان الذين تدعون من
دون الله عباد امثالكم لكفر بعبادة الخلق وطلب من مولاه الرزق فعتق من ذل الملكة وتجابر
العزيز من كل هلكة ولو سمع بندا الاعلى تعالى في قوله وانظر الى الاهك الذي ظلت عليه عاكفا فتاله
بالنظر اليه وكان عاكفا في جميع احواله عليه فلو عقل لذلك لاطرح الخلق عن قلبه اشتغالا بمقلبه
ولاعرض عن الناس بن همته نظرا منه الى مهمه واظهر حاله وكشف امره تقربا بربه وغنية بعلمه
وتعززا بوصفه فلم يبل ان يراه الناس على كل حال يراه فيه مولاه ان كان لا يعبد الا اياه ولا يفرح

ولا ينفعه سواه فعمل ما يصلحه وان كان عند الناس يضعه وسعى فيما يحتاج اليه وان كان عند المولى
يزرا عليه لكن ضعف نفسه وقوي الى الخلق نظره واحب ان يستتر عنهم خبره لاثبات المنزلة عندهم
ولاستخراج الجاه لنفسه منهم حتى كانهم له ارباب او اليهم المآب ثم تقوى نظره الى نفسه فنفخه
الخيلا والعجب وموه بحاله على من لا حال له واوهم بمقام عند من لا مقام له فاعتقدوا بذلك فضله
لنقصهم وتوهموا عليه بجهلهم ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهذه طريقة العارفين الذين راوا الخلق
لا شي اذ لم يكونوا شيا وشهدوا الاول بحل سكون وحركة لانه القديم لم يزل وحدثونا عن يونس
الصوفي قال قال لي الشافعي والله ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل
فانظر ما يصلحك فافعله ولا تلتفتن الى احد وحدثونا عن المعافى عن الثوري قال رضى المتجني
من الناس غاية لا تدرك فاحمق الناس من طلب ما لا درك له وقال بعض الحكما قولا منظوما
من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور ونظر ابو محمد رحمه الله الى رجل من الفقراء بمكة
فقال له شيا فقال يا استاذ لا اقدر على هذا لاجل الناس فالتفت الى اصحابه فقال لا ينال عبد
حقيقة هذا الامر حتى يكون باحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدار الا هو وخالقه
وان احدا لا يقدر يضره ولا ينفعه او عبدا اسقط الناس عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه وحدثونا
عن امام الزاهدين الحسن بن يسار البصري ان رجلا قال له يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس
بغيتهم الفايدة منك ولا الاخذ عنك انما قصدهم تتبع سقط كلامك وتعنتك في السؤال ليغشوك
بذلك وينقصوك فتبسم الحسن ثم قال هون عليك يا ابن اخي اني حدثت نفسي بسكنى الجنان فطمعت
وحدثت نفسي بمعانقة الحور الحسان فطمعت وحدثت نفسي بمجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي
قط بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم فكيف
احدث نفسي بالسلامة منهم وبمعناه ما روي عن موسى صلى الله عليه وسلم انه قال يا رب احبس السنة الناس
عني فقال الله عز وجل يا موسى هذا شي لم اسقطه عن نفسي فكيف افعله بك وفي حديث آخر لو خصصت
بهذا احدا خصصت به نفسي وقد كان ابو الدردا يقول ما من يوم اصبح فيه حيا وامسى ان لم يرميني
الناس فيه بداهية الا عددته نعمة من الله عز وجل علي وانشد فان امرا يمسي ويصبح سالما
من الناس الا ما جنى لسعيد واوحى الله عز وجل الى عزير ان لم تطب نفسا بان اجعلك علكا
في افواه الماضغين لم اكتبك عندي من المتواضعين ومثله روينا عن عيسى صلى الله عليه وسلم انه كان
يقول معشر الحواريين ان اردتم ان تكونوا اخوانا فوطنوا انفسكم على العداوة والبغضا من الناس

وقد جعل الله تعالى في المخالطة للمؤمنين من البركة ما لو لم يجر فيه الا هذا كان كثيرا وروينا ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت غدا الى زمزم ليشرب منها واذا التمر المنقع في حياض الادم قد مغثه
الناس بايديهم وهم يتناولون منه كفا كفا يشربون فاستسقى منه فقال اسقوني فقال العباس ان
هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالايدي افلا آتيك بشراب نظيف انظف من هذا فقال لا اسقوني
من هذا الذي يشرب منه المسلمون فسقي من ذلك وشرب وروينا في خبر آخر قيل يا رسول الله الوضوء من
جر مخمر احب اليك ام من المطاهر السابلة التي يتطهر منها الناس فقال بل من هذه المطاهر التماس
بركة ايدي المسلمين وروينا في خبر اذا التقى المسلمان فتصافحا وتبسم احدهما الى صاحبه تحاتت ذنوبهما
كما تتحات ورق الشجر وفي لفظ الحديث الآخر قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لابشهما بصاحبه
وقد روينا ايضا خير الاصحاب عند الله تعالى ارفقهما بصاحبه وخير الجيران ارفقهما بجاره واياك
ان تصحب جاهلا فتجهل بصحبته او غافلا عن مولاه متبعا لهواه فيصدك عن سبيله فتردى كما قال
الله تعالى فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون فاول الاستقامة صحبة العلماء بالله عز وجل
وقد قال الله عز وجل ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه فتردى وقال عز وجل ولا يصدنك
عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى اي فتكون رديا فتهلك وقال عز وجل فاعرض عمن تولى ففي دليله
الاقبال بالصحبة على من اقبل الى ذكره تعالى والاعراض عمن اعرض عن وجهه ولا تصحبن الا مقبلا عليه
كما قال عز وجل واتبع سبيل من اناب الي واياك ان تصحب من الناس خمسة المبتدع والفاسق والجاهل
والحريص على الدنيا والكثير الغيبة للناس فان هؤلاء مفسدة للقلوب مذهبة للاحوال مضرة في الدنيا
والآخرة وقد كان الثوري يقول النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة وقال سعيد بن المسيب لا تنظروا
الى الظلمة فتحبط اعمالكم الصالحة ولكن قد كان صعصعة بن صوحان يقول اذا لقيت المؤمن فخالطه
واذا لقيت المنافق فخالقه مخالقة وقد كان ابو الدرداء قبله يقول انا لنكشر في وجوه قوم وان
قلوبنا لتلعنهم وهذا من الائمة محمول على المداراة طلبا للسلامة يشك ان ياثم فيك ولسلامتك منه
ان تتاذى به فيكون ذلك منه رحمة ومنه قول اللطيف الرحيم ادفع بالتي هي احسن وقوله عز وجل ويدرؤن
بالحسنة السيئة قال ابن عباس يدفعون الفحش وهو السيئة بالسلام والمداراة وهي الحسنة وكان
الحسن يقول افضل الحسنات اكرام الجلساء وقيل لبعضهم من احب الناس اليك قال جليسي وكذلك قولهم خالص
المؤمن وخالق الفاجر فالمخالصة بالقلوب من المودة واعتقاد المواخاة والمخالقة المخالطة في المعاملة
وعند اللقاء وقد جاء خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم في القلوب وقد قال الله عز وجل في وصف اوليائه

واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي سلمنا من شركم وسلمتم من اثمنا وقوله سلاما يعني سلاما
الالف بدل من الهاء لانه واحد الكلم وقد كان ابو الدرداء يقول في زمانه كان الناس ورقا لا شوك فيهم واليوم
شوك لا ورق فيه ان ناقدتهم ناقدوك وان تركتهم لم يتركوك فاقرضهم من عرضك ليوم فقرك وكان يقول
كل يوم اصبح لا يرميني الناس فيه بداهية اعده علي من الله تعالى نعمة وقال حكيم الحكماء صلى الله عليه وسلم
من خالط الناس فصبر على اذاهم افضل ممن لم يخالطهم ولم يصبر على اذاهم وقال العلام ذو الجلال والاكرام
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يدفعون بالكلام الحسن الكلام السيء
وقال في المبشر ادفع بالتي هي احسن يعني بالكلمة الحسنى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ثم
قال عز وجل وما يلقاها يعني الكلمة الحسنى الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم قيل من الحلم والعلم

وقيل ذو حظ عظيم عند الله تعالى وقيل ادفع بالتي هي احسن المداراة وقيل السلام وقد قال الشافعي
رحمه الله في صحبة الناس كلاما متوسطا وخير الامور اوساطها حدثنا عن يونس بن عبد الاعلى قال
قال الشافعي الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن
بين المنقبض والمنبسط وهذا لعمري باب من الحكمة لا يقوله الا حكيم ومعناه اوصى لقمان لابنه فقال
يا بني لا تكن حلوا فتبلع ولا مرا فتلفظ والمعنى لا تمكن الناس من نفسك ولا توافقهم في كل شيء
فلا يبقوا عليك وينشطوا اليك ولا تنافرهم وتخالفهم في كل شيء فيجانبوك ويرفضوك فيقعوا فيك
وقال بعض السلف الصالح كل خليل لا يريد ما تريد فانبذ عنك محبته وقال بعض علماء العرب مثل الصاحب
كالرقعة في الثوب ان لم تكن من جنسه شانته وقال بعض الحكماء كل انسان مع شكله كما ان كل طير
مع جنسه وكان مالك بن دينار يقول مثل هذا ويقول لا يتفق اثنان في عشرة ودوام صحبة الا وفي
احدهما وصف من الآخر وان اشكال الناس كاجناس الطير ورأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك
وقال كيف اتفقا وليسا من شكل قال ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من ههنا اتفقا وقال اذا
اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد من ان يفترقا وقد انشدنا بعض العرب
لبعض الحكماء في معناه

وقائل كيف تفارقتما فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلي ففارقته والناس اشكال والاف

وقد روينا في حديث ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف تلتقي
فتتشام في الهوا قيل معناه في المذهب والخلق وفي هذا الخبر زيادة ولو ان مؤمنا دخل الى مجلس فيه
مائة منافق وفيه مؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه وقد ذكر لهذا الحديث سبب على ما ذكرناه ان امرأة

عطارتين كانت بالمدينة مداحة فقدمت امراة من مكة عطارة وكانت مداحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
على من نزلت قيل على فلانة المداحة فقال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة وبعض العلماء يقول
ان الله تعالى خلق الارواح ففلق بعضها فلقا وقدر بعضها قدرا ثم اطافها حول عرشه فاي روحين
من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا هنا في الدنيا وتوافقا واي روحين من قدرتين او فلقة وقدرة
اختلفا ثم تناكرا هناك فاختلفا في الجولان فان هذين اذا ظهرا الآن تنافيا وتنافرا فهذا تاويل الخبر
عنده فما تعارف منها اي في الطواف فتقابلا تعارفا هنا وترافقا ائتلفا وما تناكرا ثم في الجولان فتدابرا
تناكرا هاهنا اليوم في الخلق والحال لما ظهرا اختلفا وليس الائتلاف يقع بنفس الاجتماع ووجود الاتفاق
وانما الائتلاف يكون بمجانسة الحال ومشاكلة الاخلاق لانهم شبهوا اجناس الناس باجناس الطير وقد
يتفق الطيران من جنسين يجتمعان في مكان فلا يكون ذلك ائتلافا في الحقيقة ولا اتفاقا في الخليقة لتباينهما
في التشاكل ولا يتبين ذلك في الاجتماع وانما يتبين في الطواف اذا طارا او يقع احدهما ووقع الآخر وعلا
احدهما وقصر الآخر فلا بد من افتراق حينئذ لفقد التشاكل ولا بد من مباينة لعدم التجانس عند الطيران
فهذا مثال ما ذكرناه من الافتراق او لعدم حقيقة تشاكل الحال والوصف بعد الاتفاق واعلم ان الائتلاف
والاختلاف يقع بين اثنين اذا اشتركا وافترقا واعلم ان الائتلاف في اربعة معان اذا استويا في العقود
واشتركا في الحال وتقاربا في العلم واتفقا في الاخلاق فان اجتمعا في هذه الاربعة فهو التشاكل والتجانس
ومعه يكون الائتلاف والاتفاق وان اختلفا في جميعها فهو التباعد والتضاد وعنده يكون التباين
والافتراق وان اتفقا في بعضها واختلفا في البعض كان بعض الاتفاق وبعض الخلاف فيوجد من الائتلاف
بمقدار ما وجد من التعارف ويوجد من الخلاف نحو ما فقد من الاتفاق وهذا هو تناكر الارواح لبعد
تشابهها وتشامها في الهواء وذلك الاول هو تعارف الارواح لقرب التشام باجتماع الاوصاف
وحدثت عن يعقوب ابن اخي معروف قال جاء اسود بن سالم الى عمي معروف وكان مواخيا له فقال ان بشر بن
الحارث يحب مواخاتك وهو يستحيي ان يشافهك بذلك وقد ارسلني اليك يسالك ان تعتقد له فيما بينك
وبينه اخوة تحتسبها وتعتد بها الا انه يشترط فيها شروطا لا يحب ان يشتهر بذلك ولا يكون بينك
وبينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف اما انا فلو احببت احدا لم احب
ان افارقه ليلا ولا نهارا ولزرته في كل وقت ولآثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب
في الله عز وجل احاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين علي عليه السلم فشاركه
في العلم وقاسمه البلاء وانكحه افضل بناته واحبهن اليه وخصه بذلك لمواخاته وانا اشهدك اني قد عقدت

له اخوة بيني وبينه واعتقدت اخاه في الله عز وجل لرسالتك ومسالتك على ان لا يزورني ان كره ذلك
ولكني ازوره متى احببت وآمره بلقائي في مواضع نلتقي فيها وآمره ان لا يخفى علي شيئا من شانه
وان يطلعني على جميع احواله قال فانصرف بذلك اسود بن سالم فاخبر به بشرا ورضي بذلك وسر به وهذا
اسود بن سالم احد عقلاء الناس وفضلائهم وكان فيه اتساع للاصحاب وصبر عليهم وهو الذي اشار معروف
به على الرجل الذي ساله مستشيرا فقال يا ابا محفوظ هذان الرجلان اماما هذا البلد فاشر علي ايهما اصحب
فاني اريد ان اتادب به احمد بن حنبل وبشر بن الحارث فقال له معروف اتصحب احدهما فان احمد رضي الله عنه
صاحب حديث وكثير الاشتغال بالناس فان صحبته ذهب ما تجد في قلبك من حلاوة الذكر وحب الخلوة والعبادة
واما بشر رضي الله عنه فلا يتفرغ لك ولا يقبل عليك شغلا بحاله ولكن اصحب اسود بن سالم فانه يصلح
ويقبل عليك ففعل الرجل ذلك فانتفع به وانما ضمه معروف الى الاسود دونهما لانه كان الايق بحاله
واشبه بوصفه وكذلك روينا في حديث المواخاة الذي آخى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه
فآخى بين كل اثنين شكلين في العلم والحال آخى بين ابي بكر وعمر وبين عثمان وعبد الرحمن وهما نظيران وآخى
بين سلمان وابي الدرداء وهما شكلان في العلم والزهد وآخى بين عمار وسعد وكانا نظيرين وآخى بين علي
وبينه صلى الله عليهما وعلى اصحابه وهذا من اعلى فضائله لان علمه من علمه وحاله من وصفه ثم آخى بين
الغني والفقير ليعتدلا في الحال وليعود الغني على اخيه الفقير بالمال وقال ابو سليمان احمد بن ابي الحواري
اذا واخيت احدا في هذا الزمان فلا تعاتبنه في امر تكرهه منه فلا تامن ان يعتبك بشر من الاول
قال احمد فجربته فوجدته كما قال وقال بعض العلماء الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته ومعاتبته
خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة وقال بعضهم كدر الجماعة خير من صفو الفرقة ومثل
الاخوة مثل الزجاجة الرقيقة ما لم تحفظها ان توقيها معرضة للآفات واستتمام الاخاء الى حين
الوفاة اشد من ابتدائه في حال الحيوة وقال بعض الادباء الناس اربعة فواحد حلو كله فهذا لا يشبع
منه وآخر مر كله وهذا لا يؤكل منه وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل ان ياخذ منك وآخر فيه ملوحة
فخذ منه اذا احتجت اليه وقال بعض الائمة الناس اربعة فاصحب ثلاثة ولا تصحبن واحدا رجل
يدري ويدري انه يدري فهذا عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فهذا غافل فنبهوه ورجل
لا يدري ويدري انه لا يدري فهذا جاهل فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فهذا مائق فاجتنبوه
ومثل هذا الرابع قول سهل ما عصي الله تعالى بمعصية شر من الجهل واعظم من الجهل الجهل بالجهل وقال
بعض الادباء الناس ثلاثة اصحب رجلين واهرب من الثالث رجل اعلم منك فاصحبه تتعلم منه ورجل

انت اعلم منه تقبل منك فاصحبه تعلّمه ورجل معجب بنفسه لا علم عنده ولا يتعلم فاهرب منه وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدًّا حتى يجعل الله تعالى له منه فرجًا فمعاملة غير تقي ومعاشرته من احوال الاضطرار ومعاشرة التقي ومصافاته من احسن الاحسان وكان ابن مهران يقول اخرج من منزلي فانا بين ثلاثة ان لقيت من هو اعلم مني فهو يوم فائدتي اتعلم منه وان لقيت من هو مثلي فهو يوم مذاكرتي وان لقيت من هو دوني فهو يوم مثوبتي فاحتسب فيه الاجر وقال ابو جعفر محمد بن علي لابنه جعفر بن محمد عليهما السلام لا تصحبن من الناس خمسة واصحب من شئت الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب والاحمق فانك لست منه على شيء يريد ان ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع بك احوج ما تكون اليه والجبان فانه يسلمك ونفسه عند الشدة والفاجر يبيعك باكلة او باقل منها قلت وما اقل منها قال الطمع فيها وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلًا صحبه في طريق فدخل النبي صلى الله عليه وسلم غيضة فاجتنى سواكين من اراك احدهما معوج والآخر مستقيم فاخذ المعوج واعطى صاحبه المستقيم فقال الرجل انت احق بالمستقيم مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من صاحب يصحب رجلًا ولو ساعة من نهار الا سأله الله تعالى عن صحبته هل ادّى فيها حق الله عز وجل ام لا فكرهت ان يكون لك علي مقال اوده واعلم ان الاخوة في الله عز وجل والمحبة في الله وحسن الصحبة كانت طرائق السلف الصالح وقد درست اليوم مناهجها وعفت آثارها فمن عمل بها فقد احياها ومن احياها كان له مثل اجر من عمل بها فمن رزقه الله عز وجل اخًا صالحًا تطمئن به نفسه ويصلح معه قلبه فهي نعمة من الله عز وجل مضافة الى محاسن نعمه والله اعلم واحكم وعلمه المقدم وهو حسبنا ونعم الوكيل

كتاب التزويج وتركه ايهما افضل وجامع احكام النساء

فالافضل للمريد في مثل زماننا هذا ترك التزويج اذا امن الفتنة وعوّد العصمة ولم تنازعه نفسه الى معصية ولم تترادف خواطر النساء على قلبه حتى يتشتت قلبه او يقطعه عن حسن الاقبال على الخدمة من مساكنة الفكر ومحادثة النفس بامر النساء وما يخرج بصره الى محظور ولم يخالط ذكره شهوة تستولي عليه لان اول خطايا الفرج شهوة القلب بمساكنة الفكر وهو مغفور والخطيئة الثانية انبساط الفرج عن شهوة القلب وهذا عمل وقبض الرجل على فرجه تغبّط معصية ثالثة وان ظهرت الشهوة من الفرج فهي معصية رابعة ومس الفرج باليمين مكروه فمتى تعقبه هذه المعاني فانها تغير القلب عن الخشوع وتدخل عليه النقصان ومتى لم يبتل العبد بها فان الخلوة افضل لمعانٍ فيها يجد لذة الوحدة وحلاوة المعاملة ويقبل على نفسه ويشتغل بحاله

ولا يهتم بحال غيره فيحمل حاله على حاله فيقصر او يقوم بحال نفس اخرى فيعجز ويعالج شيطانًا آخر مع شيطانه وتنضم نفس اخرى الى نفسه ولا في مجاهدة نفسه ومصابرة عدوه اكبر الاشغال ومنها ان المكاسب قد فسدت فليس يقال اكثرها الا بمعصية وهو مسؤول من اين اكتسبه وفيما انفقه فان كسب من غير حله حسب ذلك عليه وان انفق على هواه لم يحسب ذلك له ومنها ان النساء اكثرهن قليلات الدين والصلاح والاغلب عليهن الجهل والهوى فلا يأمن ان ينقاد لهن لاجل هواه فيخسر آخرته او يمايلهن ويغالطهن فلا ينقدن له فيتنغص عليه عيش دنياه وقال الحسن رحمه الله والله ما اصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا كبّه الله عز وجل في النار ومنها ان الاغنياء في مقام الظالمين للفقراء لبخس حقوقهم عنهم وتقصيرهم عما اوجب الله عز وجل عليهم لهم فان كان المتأهل فقيرًا لقي شدة وجهدًا وعنتًا وكدًّا ولم يأمن من دخول الآفات عليه لاجل عيلته وقد سئل ابن عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال وقال بعض السلف قلة العيال احد اليسارين وكثرة العيال احد الفقرين ويقال ان العيال عقوبة طلب فضول الحلال وان جمع فوق الكفاية عقوبة الموحدين وقد جاء في الاثر الوحدة خير من قرين سوء وهو من القرين الصالح على غير يقين فلا يزال اليقين بالشك فان الاكثر من النساء من لا صلاح فيه لغلبة الهوى وحب الدنيا عليهن وقد جاء في الخبر مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الاعصم بين مائة غراب يعني الابيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يا بني اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل المشيب واتق شرار النساء وكن من خيارهن على حذر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في خيار خيرات النساء انكن صويحبات يوسف عليه السلام يعني انّ صرفكنّ ابا بكر رضي الله عنه عن الامامة ميل منكن الى الهوى وتزيين واغواء كما ان زليخا حين راودت يوسف عليه السلام كان ذلك منها غواية وتسويل ففيه اعتذار ليوسف عليه السلام وايقاع اللوم عليها وتشبيه لهن بها وقال الله عز وجل فيهما حين افشين سر النبي صلى الله عليه وسلم ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما يعني مالت الى الهوى فامرهما بالتوبة للميل الى الهوى ثم قال وان تظاهرا عليه يعني تعاونا وهما من خير الازواج فما ظنك بمن شاكلته الجهالة ووصفه الهوى والضلالة وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما افلح قوم ملكتهم امرأة وقال عز وجل مخبرًا بعداوة بعض الازواج والاولاد اللاتي هن سبب الولادة ان من ازواجكم واولادكم عدوًّا لكم فاحذروهم يعني في الآخرة لاختلاطكم في اهوائهن وميلكم الى آرائهن فصاروا اعداء غدًا فكيف وقد تكون المرأة والولد اعداء عدوٍّ للرجل اليوم قبل يوم القيامة اذا خالف اهواءهم وعمل بالعلم في احوالهم

وكان ابراهيم بن ادهم يقول من تعود افخاذ النساء لم يفلح وكان بشر يقول لو كان لي عيال لخشيت
ان اكون جوازا على الجسر فالوحدة اروح للقلب واقل للهم لخفة المؤونة وقلة المطالبة وامن النازعة
وسقوط حلم من احكام الشرع عنه وقد كان السلف رحمهم الله يعملون في اسقاط الحلم عنهم خوف
العجز عن القيام بها ويغتنمون ذلك وفي التخلي قلة الاهتمام بالادخار والجمع وترك المراعاة
والتحفظ للمبيت في البيت وسقوط المسايلة والاستخبار وترك التجسس للآثار التي نهى الله عز وجل
ورسوله صلى الله عليه وسلم عنها اذ لا بد من ذلك مع زوجة السوء وانما زهد الزاهدون في الدنيا لراحة
القلب واطراح الهم وسقوط المطالبة وقد ابيحت العزبة وفضل التعزب لهذه الامة في آخر الزمان
وفي الخبر اذا كان بعد المائتين ابيحت العزبة لامتي ولان يربي احدكم جرو كلب خير من ان يربي
ولدا ولخبر المشهور خير الناس بعد المائتين الخفيف الحال الذي لا اهل له ولا ولد وفي خبر آخر ياتي على الناس
زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويحملونه ما لا يطيق فيدخل المداخل
التي يذهب فيها دينه فيهلك وربما كانت المرأة عقوبة للعبد وقد حدثونا في اخبار الانبياء عليهم السلام
ان قوما دخلوا على يونس صلى الله عليه فاضافهم وكان يدخل ويخرج الى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل
عليه وهو ساكت فعجبوا من ذلك وهابوه ان يسألوه قال لا تعجبوا من ذلك فاني سألت الله عز وجل فقلت يا
رب ما كنت معاقبي في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تزوج بها فتزوجت
بها وانا صابر على ما ترون منها وهذا كله لمن لم يخش العنت فاما من يخاف العنت وهو الزنا واصل
العنت في اللغة هو الكسر بعد جبر يقال للدابة اذا كسرت بعد ما جبرت قد عنتت فكانه كان مجبورا
بالعصمة وبالتوبة فمن خشي الزلل والعادة فنكاح الامة حينئذ خير له من العنت والصبر عن نكاح
الامة خير من نكاحها وهذا معنى قوله في نكاح الامة ذلك لمن خشي العنت منكم وكذلك ان كثرت
الخواطر والوساوس في قلبه فشغله ذلك عن فرضه او شتت همه فان نكاح الامة ايضا خير له على ان نكاح
الامة محرم على من وجد طولا لحرة وانصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح
فاطال القعود فقال له ابن عباس هل لك من حاجة فقال نعم لي حاجة استحييت ان اسألك عنها بحضرة
الملا قال سلني عما شئت قال اني اهابك واجلك فقال ابن عباس رحمه الله انما العالم بمنزلة الوالد لا
حشمة على السائل منه فمهما افضيت به الى ابيك فافض الي به فانه لا عيب عليك عندي قال اني شاب
لا زوجة لي وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه
ابن عباس ثم قال اف وتف نكاح الامة خير من هذا وهذا خير من الزنا ونكاح الامة عند علماء

كلب … تربية الولد

العراقي حرام على من وجد عشرة دراهم وعند بعض علماء الحجاز اذا كان واجدا لثلاثة دراهم لم يحل له نكاح
الامة وعن بعض اصحاب ابن المسيب ان وجد الرجل درهمين حرم عليه نكاح الامة وقال بعض السلف احمق
الناس حر تزوج بامة واعقل الناس عبد تزوج بحرة لان هذا يعتق بعضه وذاك يرق بعضه لانه يرق
ولده وقد جاء في كراهية الاستمناء وتحريمه والتغليظ فيه اخبار شديدة روينا ان الله عز وجل
اهلك امة من الامم كانوا يعبثون بمذاكيرهم وقد اسنده اسمعيل بن ابان عن انس بن مالك وسئل ابو محمد
رحمه الله عن النساء فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وكذلك
قال بعض العلماء قبله معالجة العزبة خير من معالجة النساء وقال بعض علمائنا البصريين من اهل الورع
واليقين وقد سئل عن التزويج في مثل زماننا هذا فذكر ضيق المكاسب وقلة الحلال وكثرة فساد
النساء فكرهه للورع وامر بالمدافعة فاعيد عليه في ذلك فقال انه يدخل في المعاصي لدخول الانسان
في الآفات وفي المكاسب المحرمات من اجله بدينه وتصنعه للخلق ولا يصلح التزويج في مثل هذا الوقت
الا لرجل يدركه من الشبق ما يدرك الحمار اذا نظر الى الاتان لم يملك نفسه ان يثب عليها حتى يضرب
راسه وهو لا ينثني فاذا كان الانسان على مثل هذا الوصف كان التزويج له افضل وقد روينا عن قتادة
مطلب
رحمه الله في قوله عز وجل لا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال الغلمة وعن عكرمة ومجاهد وخلق الانسان
ضعيفا قال لا يصبر عن النساء وروينا عن فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله
وبعضهم يقول ثلث دينه وروينا في نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق اذا وقب قال قيام
الذكر وقد اسنده بعض الرواة الا انه قال فيه الذكر اذا دخل ولم يذكر قيام وفي الخبر اذا
تزوج الرجل فقد احرز نصف دينه فليتق الله تعالى في الشطر الآخر وفي دعاء البراء بن عازب
اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وكان المني اذا امتلأ به خرز الصلب فاض منها فطلب
الخروج فيخيف منه فساد القلب ومرضه بمنزلة الدم يتبيغ احتاج الى اخراجه والا افسد منه الجسم
وصار سببا للامراض والمني من الدم اذا كان في العروق فاذا انصاع من الصلب طبخه وغيره وصار
منيا باذن الله تعالى وذكر النساء في مجلس معاوية فذمهن قوم فقال لا تفعلوا ما علل المريض ولا عمر
البيت مثلهن ولا احتاجت الرجال الى شيء مثلهن وفي بعض التفسير انا جعلنا ما على الارض زينة لها
قال النساء وعن ابن عباس لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج وكان يجمع غلمانه لما ادركوا عكرمة
وكريبا وغيرهما فيقول ان اردتم النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنى نزع نور الايمان من قلبه
وقد قال عمر رضي الله عنه لابي الزوائد رحمه الله ما يمنعك من النكاح الا عجز او فجور وحدثنا بعض

علماء خراسان عن شيخ له من الصالحين كان يصحب عبدان صاحب ابن المبارك ووصف من صلاحه
وعلمه قال وكان يحث على التزويج حتى لم يكن يخلو من اثنتين او ثلاث فعوتب في ذلك فقال هل تعرف
واحدا منكم انه جلس بين يدي الله تعالى مجلسا او وقف بين يدي الله عز وجل موقفا في معاملة فخطر على
قلبه خاطر شهوة فافكر في ذلك فقال قد يصيبنا هذا كثيرا فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم
في وقت واحد لما تزوجت ثم قال لكني ما خطر على قلبي قط خاطر يشغلني عن حالي الا نفذته واستريح
منه وارجع الى شغلي ثم قال منذ اربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر معصية وسمع بعض العلماء بعض الجهال
وطعن على الصوفية فقال يا هذا ما الذي تنقصهم عندك قال يأكلون كثيرا قال وانت ايضا لو جعت كما
يجوعون اكلت كما يأكلون ثم ماذا قال ويتزوجون كثيرا قال وانت ايضا لو حفظت فرجك كما يحفظون
تزوجت كما يتزوجون واي شيء ايضا قال يسمعون القول قال وانت ايضا لو نظرت كما ينظرون سمعت
كما يسمعون وقد سئل بعض الناس عن القراء لم يكثرون الاكل ويكثرون الجماع وتعجبهم الحلاوة
قال انهم يطول جوعهم ويتعذر عليهم معلوم الطعام فاذا وجدوه استكثروا منه واما الحلاوة
فانهم تركوا شرب الخمر وكثرة لذات النفوس فاجتمعت لذتهم في الحلاوة فهم يأكلونها فاما الجماع فانهم
غضوا ابصارهم في الظاهر وضيقوا على قلوبهم في الخواطر فاتسعوا في النكاح فاكثروا منه لما منعوا
جوارحهم عن الانتشار في الابصار وقد كان الجنيد رحمه الله يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت
وكان ابن عمر من زهاد اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعلمائهم وكان يصوم كثيرا وكان يفطر على الجماع
قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي المغرب وروي عنه انه جامع اربعا من جواريه في رمضان قبل
صلاة عشاء الآخرة وقد كان ابن عباس يقول خير هذه الامة اكثرهم نساء فالنكاح سنة ماضية
وخلق من اخلاق الانبياء عليهم السلام وقد روينا في اخبار الانبياء عليهم السلام ان عابدا تبتل
وبلغ من العبادة ما فاق اهل زمانه ووصف بذلك قال فذكر لنبي ذلك الزمان عليه السلم فاثنى عليه
بالحسن الثناء فقال نعم الرجل هو لولا انه تارك لشيء من السنة قال فنمي ذلك الى العابد فاهمه
وقال ما ينفعني عبادتي ليلا ولا نهارا وانا تارك للسنة فجاء الى ذلك النبي عليه السلم فسأله فقال
نعم انت تارك للتزويج قال ما تركته اني حرمته وما منعني منه الا اني فقير لا شيء لي وانا عيال
على الناس يطعمني هذا مرة وهذا مرة فكرهت ان اتزوج امراة اعضلها وارهقها جهدا فقال
ما يمنعك الا هذا قال نعم قال فانا ازوجك ابنتي قال فزوجه النبي صلى الله عليه ابنته في قصة طويلة
وروينا في نوادر اخبارهم ايضا ان يحيى بن زكريا تزوج امراة ولم يكن يقربها لغض بصره وقيل للفضل

في ذلك كانه اراد ان يجمع الفضائل كلها وقيل للسنة وكان بشر بن الحارث يعتقد فضل احمد بن حنبل
رضي الله عنهما ويقول فضل علي بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وانا اطلب الحلال لنفسي وباتساعه
في النكاح وضيقي عنه وقد جعل اماما للعامة وانا رجل اطلب الخلوة لنفسي وقيل ان احمد بن حنبل
رضي الله عنه تزوج في اليوم الثاني من وفاة ام عبد الله ولده ويقال انه لم يبت بعدها فانها اعزبا
الا ليلة وحدثونا ان بشرا رضي الله عنه رؤي في المنام بعد وفاته فسئل عن حاله فقال لي رفعت سبعين
درجة في عليين واشرفت على مقامات الانبياء عليهم السلم ولم ابلغ منازل المتأهلين وبلغنا عنه انه
قال عاتبني ربي عز وجل فقال يا بشر ما كنت احب ان تلقاني اعزب قال فقلت له ما فعل ابو نصر
التمار فقال رفع فوقي بسبعين درجة قال فقلت بماذا وقد كنا نراك فوقه قال بصبره على بنياته
والعيال وقد كان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام اموت في آخرها يوما احببت
ان اتزوج ولا القى الله عز وجل وانا اعزب وماتت امراة معاذ بن جبل في الطاعون وكان ايضا مطعونا
فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عز وجل اعزب وقد كان بعض الصحابة انقطع الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تتزوج
فقال يا رسول الله انا فقير ولا شيء لي وانقطع عن خدمتك فسكت له ثم اعاد عليه ثانية الا تتزوج
فقال له مثل ذلك ثم تفكر الصحابي في نفسه فقال والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم بما يصلحني
في دنياي وآخرتي وما يقربني الى الله عز وجل مني لئن قال لي الثالثة لافعلن فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا تتزوج فقلت يا رسول الله زوجني فقال اذهب الى بني فلان فقل لهم ان رسول الله يأمركم
ان تنكحوني فتاتكم فقال يا رسول الله انه لا شيء لي فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن نواة من ذهب
فجمعوا له فذهب به الى القوم فانكحوه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم فقال يا رسول الله لا شيء
عندي فقال صلى الله عليه وسلم اجمعوا لاخيكم ثمن شاة فجمعوا له واصلح طعاما دعا عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه وفي الخبر المشهور من كان ذا طول فليتزوج وفي الخبر الآخر من استطاع
منكم الباءة يعني الجماع فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء
واصل الوجاء عصر الخصيتين للفحل من الغنم لتذهب فحولته وضرابه وكانت العرب تجأه بحجرين الوجى
فتقطع ضرابه فيسكن بذلك عبثه ويسمن ومن ذلك الخبر ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين
املحين موجوءين يعني ابيضين مرضوضي الخصية وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تناكحوا
تناسلوا فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة حتى بالسقط والرضيع وفي الخبر الآخر من احبني

فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح وحديث ابي سعيد الخدري من ترك النكاح مخافة العيلة فليس منا
وقد كان عمر يكثر النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد وقد كانت هذه نية جماعة من السلف
يتزوجون لاجل ان يولد لهم فيعيش فيوحد الله عز وجل او يموت فيكون فرطا صالحا يثقل به ميزانه
وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الطفل يجر ابويه يسيرهما الى الجنة وان المولود يقال
له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا اي ممتلئا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل
الا وابواي معي وروينا خبرا غريبا ان الاطفال يجمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب
فيقال للملائكة عليهم السلام اذهبوا بهولاء الى الجنة قال فيقفون على باب الجنة فتقول لهم الخزنة مرحبا
بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون واين آباونا وامهاتنا فتقول الخزنة ان آباءكم وامهاتكم
ليسوا مثلكم انه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون فيضجون على باب الجنة
ضجة واحدة فيقول الله عز وجل للملائكة عليهم السلام وهو اعلم ما هذه الضجة فيقولون يا ربنا ان اطفال المسلمين
قالوا لا ندخل الجنة الا مع آبائنا قال فيقول الله عز وجل تخللوا الجمع فخذوا بايدي آبائهم فادخلوهم
معهم وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات له اثنان من الولد احتظر بحظار من النار وخبر آخر
من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحلم ادخله الله عز وجل الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يا رسول الله واثنان قال
واثنان وكان بعض الصالحين يعرض عليه التزويج فيابى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم
فقال زوجوني فسئل عن ذلك فقال لعل الله عز وجل ان يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة
في الآخرة ثم حدث عن سبب ذلك فقال رايت في نومي كان القيامة قد قامت وكاني في جملة الخلائق في
الموقف وبي من العطش ما كاد ان يقطع عنقي وكذلك الخلائق في شدة العطش من الحر والشمس والكرب قال
فبينا نحن كذلك اذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم اباريق من فضة واكواب من
ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد ويجاوزون اكثر الناس قال فمددت يدي الى احدهم فقلت اسقني
شربة فقد اجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقي آباءنا فقلت ومن انتم فقالوا نحن من مات
من اطفال المسلمين وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نسائكم الودود الولود وروي ايضا حصير
في البيت خير من امراة لا تلد قال وروينا ايضا سوداء ولود خير من حسناء لا تلد هذا كله لاجل هذا
وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني وان من سنتي النكاح وفي لفظ آخر
فليستن بسنتي ويقال ان الله تعالى لم يذكر في كتابه من الانبياء عليهم السلام الا المتاهلين وهم خمسة
وثلثون واما عيسى عليه السلام فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له وقيل فضل المتاهل على العزب

كفضل المجاهد على القاعد وان ركعة من متاهل افضل من سبعين ركعة من عزب وقال الله عز وجل
في وصف الرسل ومدحهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فعد الازواج والذرية
من مدحهم وذكر ما في وصفهم وكذلك الحق بهم اولياءه في المدح والفضل في قوله عز وجل ربنا هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا قرة اعين فسألوهما الله عز وجل من فضله وكل ما ذكرناه من فضل النكاح يشرك في فضل ذلك
النساء بل هو لهن افضل واثوب لسقوط المكاسب عنهن وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم المراة بالتزوج وندبها
اليه واخبر بفضل الرجل وفضل المتزوجة على العزباء في غير حديث وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله المتبتلين
من الرجال الذين يقولون لا نتزوج لعن الله المتبتلات من النساء اللاتي يقلن لا نتزوج بعد ما ذكر من
عظم حق الرجل على المراة وثقل واجبه حتى قالت المراة اذا لا اتزوج ابدا قال بلى تزوجي فهو خير والاخبار
في فضل النكاح للتزويج معا اكثر وليس مذهبنا الاطالة والاغراق في الجمع وقد ندب الله تعالى الى النكاح
في قوله عز وجل وانكحوا الايامى منكم وقوله فأتوا حرثكم انى شئتم وفي انى ثلاث معان معنيان منها يكون
انى بمعنى كيف شئتم ويكون انى بمعنى متى شئتم ليلا او نهارا وكيف شئتم مقبلة او مدبرة ومن ذلك
بعد ان يكون في موضع الحرث وقد يكون انى في موضع آخر بمعنى اين ولا يصلح هذا الوجه هاهنا ثم قال عز وجل
وقدموا لانفسكم قبل النكاح معطوف به على الاتيان وهو احد الوجوه الثلاثة لما فيه من فضل الاغتسال
من الجنابة ولما فيه من فضل مباشرة المراة وان المراة اذا لاعبها بعلها وقبلها كتب له من الحسنات ما
شاء الله واذا اغتسلا خلق الله عز وجل من كل قطرة ملكا يسبح الله عز وجل الى يوم القيامة ويجعل ثواب
ذلك لهما ولما في ذلك من التحصين لهما ووضع النطفة في حلها وفي ذلك فضائل جمة وقد امر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قوله ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مومنة تعينه على امر آخرته
والوجه الثاني في قوله وقدموا لانفسكم قبل الولد قدموه لآخرتكم لانه عمل من اعمالكم كما قال عز وجل
الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء اي ما نقصناهم اولادهم اي جازيناهم بهم وجعلناهم
مزيدا في حسناتهم لانهم من اعمالهم واكسابهم وكما قال عز وجل ما اغنى عنه ماله وما كسب يعني ولده
وفي الخبر ولد الرجل من كسبه فاحل ما اكل من كسب ولده والوجه الثالث في قوله تعالى وقدموا لانفسكم
قبل التسمية عند الجماع اي اذكروا اسم الله عز وجل عنده فذلك تقدمة لكم وانه يستحب للمجامع ان
يسمي الله عز وجل عند جماعه ويقرأ قل هو الله احد قبله كان بعض اصحاب الحديث اذا اراد الجماع
كبر وهلل حتى يسمع اهل الدار تكبيره واذا كانت المراة معينة لزوجها على الطاعة طالبة للقناعة
والتقلل فهي نعمة من الله عز وجل عليه يطالبه بشكرها قال الله تعالى واصلحنا له زوجه فعدد ذلك

من نعمه عليه واحسانه اليه وقيل في التفسير كان خلقها بينا فحسن وقيل كان في لسانها طول فقطع
ورويناعن نبينا صلى الله عليه وسلم فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجتي عونا لي على المعصية وازواجي
عون لي على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يامرني الا بخير فعدّ ذلك صلى الله عليه
من فضائله واذا كانت المراة حسنة الوجه خيرة الاخلاق سودا الحدقة والشعر كبيرة العينين
بيضا اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهذه على صورة الحور العين قال الله عز وجل في جماع
ذلك فيهن خيرات حسان قيل خيرات الاخلاق وحسان الوجوه وقال حور عين الحور البيض والعين
كبار الاعين والحورا البيضا شديدة بياض العين شديدة سوادها وسودا الشعر وقال عز وجل
عربا اترابا العروبة على معنيين يكون العاشقة لزوجها وتكون المشتهية للجماع وذلك يكون من تمام اللذة
في الوقاع لان المراة اذا لم تكن محبة لزوجها ولا مشتهية لافضائه اليها نقص ذلك من لذته ولذلك
وصف الله عز وجل نساء اهل الجنة بتمام اللذة ويقال رجل شبق وامراة عربة يوصفان بشهوة
الجماع كيف وقد روي خير نسائكم الغلمة على زوجها وقال عز وجل قاصرات الطرف اي قصر طرفها
على زوجها فليست ترى احسن منه ولا تريد بدلا غيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نسائكم التي
اذا نظر اليها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله ورويناعن محمد بن كعب
القرظي في معنى قوله عز وجل ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال المراة الصالحة وفي بعض التفسير فلنحيينه
حياة طيبة قال الزوجة الصالحة وقد كان عمر رضي الله عنه يقول ما اعطي عبد بعد ايمان بالله عز وجل
خيرا من امراة صالحة وكان ابو سليمان الداراني يقول المراة الصالحة ليست من الدنيا لانها تفرغك للآخرة
ووصف عمر رضي الله عنه النساء فقال منهن غنم لا يجزى منه يعني غنيمة لا يعتاض منها بعطاء الجزيا
بي العطا ومنهن غل لا يفتدى منه اي لا قيمة له فيفتدى منه ويجوز ان لا راحة منه كالغل فصاحبها
اسيرتحتها لا يفتدى ابدا الا بموتها وقال ايضا منهن غل قمل كانت العرب من نهاية عقوبتها للاسير
تسلخ جلد الشاة ثم تلبسه اياه حارا فيلتزق على جسده وينقبض ثم لا ينزعه عنه حتى يقمل وينتشر
منه الهوام فتلك هو الغل القمل مثل للمراة المكروهة واعلم ان النساء على اوصاف النفس
من عرف صفات النفس عرفها اوصاف النساء ومن عرف اوصاف النساء وقاسهن بالتجربة والخبر
عرف بذلك صفات النفس فمنهن المسولة وهي ادناهن ومنهن الامارة وهي شرهن لا تفتر من الاذى
ولا تني عن خلق السوء والبذاء ومنهن بمنزلة النفس اللوامة وهي من صالحي النساء ومنهن المطمئنة وهي
هي الصالحة الخيرة الساكنة الراضية وفصل الخطاب ان كان صلاح قلب العبد واستقامة

حاله بالعزوبة فلا اعدل بالوحدة شيئا لان اقل ما فيها السلامة والسلامة في وقتنا هذا الفضيلة وغنيمة
وان تاقت نفسه الى التزويج وامن دواعي الهوى فليتزوج اذا ادى الى سلامة دينه فمن لم
تتم كفايته بواحدة فليضم اليها اخرى فان لم تكن بهما غنيته وتمام حاله وتحصينه فالى ثالثة
الى اربع فان الاربعة مع توقان النفس الى الجماع وقوة شهوتها في التنقل من المناكح بمنزلة الواحدة
فان الواحدة مع وقوع الكفاية ووجود الاستغناء ينوب عن الاربع كذلك حكم الله عز وجل صورة
النفس فيما عليه جبلها وفاوت بين الطباع بما عليه جعلها يقال ان الله عز وجل اباح الجمع بين
الاربع لاجل الطبائع الاربع لكل طبيعة واحدة على قدر حركتها وتوقان النفس عندها ولا نقص على العبد
في ذلك اذا قام بما عليه لهن او سمحن بحقهن من النفقة والمبيت له بل ذلك مزيد له ودلالة على قوته
وتمكنه في الحال وهذه طرائق الاقويا والائمة من الرجال وايضا فان الله عز وجل جعل ما انعم به
من استمتاع الاربع من النساء من الحكمة وتكوين الطبع في الصبغة مثل ما انعم به من تكوين سير المطايا
التي جعلها مراكب عباده فجعل تفاوت تكوين وطي الاربعة بمنزلة تغاير مشي دواب الارض في البر فقال
عز وجل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقال عز وجل في الفلك والانعام ما تركبون يعني الابل
فسير الناقة غير سير الفرس وسير البغل مخالف لمشي الحمار وكذلك جعل لمن جمع الاربع بالوطي ما لم
يجعل في الآحاد والمثنى والثلاث لحسن ذلك واباحه لمن جمع بينهن اربعا كاطلاقه لمن جعل من المطايا
اربعة ينتقل على دابة بعد دابة فكان له بعير وفرس وبغل وحمار اذا اتسع لذلك وكان يقوم بهن
وقد يكتفي الواحد بدابة واحدة فيكون فيها بلاغ الى حين ذلك تقدير العزيز العليم واتقان صنع المنيع
الحكيم وقد شرط الله تعالى مع الزوجة ثلاث شروط ان وجدت تمت بها كفاية العبد وسكنت بها
نفسه وكان ذلك من آيات الله الدالة عليه وان لم توجد الشروط الثلاثة مع الواحدة كان له المزيد عليها
الى الرباع ولكن في المعنى كالآحاد لعدم الشروط التي اخبر الله عز وجل بسكون النفس عندها وعند الاربع
توجد الشروط في قلوب المومنين لا محالة كما اخبر عز وجل وكان ذلك ايضا من آياته وحكمته الدالة عليه
فقال تعالى ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة
فان يجد العبد سكون النفس ورحمة القلب ومودة المراة في الواحدة فهو من آيات الله عز وجل وهي كفايته
وغنيته وان لم يجد السكون ولا الرحمة ولا المودة الا في الاربع فهو حينئذ كفايته وغنيته والله تعالى
يغني ويقني يغني بالواحدة ويغني بالاربع له ان يجعل الواحدة غنيه ويجعل قنيه جماعة وقد خبرا
وذلك ايضا من آيات الله عز وجل والحيان لمن قوي عليه واستقام به وقد شبه بعض الناس

الأزواج بالقمص فقال ليس من السرف أن يجمع الرجل أربعة أقمصة وما زاد على ذلك كان سرفاً كما أن
الله عز وجل أمر بالجمع بين أربع من النساء ويصلح أن يستدل له بقوله تعالى هن لباس لكم فجعلهن
في معنى الملبوس ورفع فيهن إلى الأربع وفي قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء ثم ابتدأ فنص على
مثنى ولم يقل إحدى دليل على الندب والاستحباب لمن خاف الجور فيهن فقال عز وجل فإن خفتم ألا تعدلوا
فواحدة ففي دليل خطابه اشتراط العدل في الأربع ثم ذكره فقال تعالى أدنى ألا تعولوا يعني أقرب ألا تجوروا
وقد قال بعض الفقهاء من أهل الحجاز واللغة أن لا تعولوا أي لا يكثر عيالكم فالأول أحب إلي لأنه أشبه
بالقرآن كأنه عطف على النص ثم قال أن لا تعولوا قال ذلك أدنى أن لا تجوروا والأول أحب إلي ويصلح
هذا الوجه أيضاً في اللغة من قال عال يعول إذا جار وأعال يعيل من العيلة إذا كثر عياله وشاذ نادر
من يجعلهما لغتان بمعنى فليتوخ العدل بين أزواجه من جمع بينهن في النفقة والكسوة والطيب
ولا يحيف على بعض فيقصر عن كفايتها وواجبها في ذلك فقد جاء في الحديث من كانت له امرأتان فمال
إلى إحداهما دون الأخرى وفي لفظ آخر ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل ولا عدل عليه
في المحبة والجماع لأن ذلك لا يملك إذا ساوى بين البيتوتة ولا عليه أن يجامع من بات عندها إنما عليه المبيت
ليلة وليلة وفي تفسير قوله عز وجل ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم قال لا تقدروا
على العدل بينهن في الحب والجماع لأن ذلك فعل الله عز وجل في القلوب في شهوة النفوس وروينا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقسم بين نسائه في العطاء والمبيت وكان يقول اللهم هذا جهدي
فيما أملك ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك يعني في المحبة والجماع فقد كان يحب بعضهن أكثر من بعض
وكانت عائشة رضي الله عنها أحبهن إليه وكان يطاف به محمولاً في كل ليلة في مرضه فيقول أين أنا غداً
ففطنت امرأة منهن فقالت إنما يسأل عن بيت عائشة رضي الله عنها فقلن يا رسول الله إنه يشق
عليك أن تحمل وقد أذنا لك أن تكون في بيت عائشة رضي الله عنها فقال قد رضيتن بذلك قلن نعم قال
حولوني إلى بيت عائشة فلذلك كانت تقول قبض في بيتي بين سحري ونحري تفتخر بذلك ثم قال الله عز وجل
ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء فإذا لم تستطيعوا العدل في الحب فلا تميلوا كل الميل يعني على
واحدة دون الأخرى في التقصير في النفقة فتذروها كالمعلقة أي موقوفة غير مستقرة كأنها لا ذات
زوج ولا مطلقة أي لا أيم فتتحمل لنفسها ولا ذات زوج ينفق عليها فتستغني بزوجها والعرب
تقول علقت الأمر إذا أوقفته وقوله معلق موقوف غير مطلق بحكم فعليه أن يقسم بينهن أيامه
ولياليه فيكون عند كل واحدة يوماً وليلة إلا أن تهب لصاحبتها ليلتها أو تسمح له بذلك فكذلك كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه وأراد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها
لعائشة رضي الله عنها وسألته أن يقرها على الزوجية لتحشر في نسائه فتركها ولم يكن يقسم عليها
فكان يقسم لعائشة رضي الله عنها ليلتين ولسائرهن ليلة ليلة إلا أنه عليه السلام لشدة عدله كانت
نفسه إذا تاقت إلى واحدة في غير ليلتها أو نهاراً في غير يومها أتاها فجامعها ثم طاف في ليلته على سائرهن
وكذلك كان يفعل في يومه فمن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف
على نسائه في ليلة واحدة وعن أنس طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على تسع نسوة في ضحوة ومن
لم يكن له إلا واحدة فإني أستحب له أن يفضي إليها في كل ثلاث ليال بمنزلة من له أربع نسوة يكون
يباشرها في الليلة الرابعة وبهذا قضى عمر وكعب بن سوار للرجل أن يأتيها في كل أربع ليال ليلة فإن علم
حاجتها إلى أكثر من ذلك كان عليه أن يفعل ما هو أقرب إلى تحصينها وأثبت لعفافها وإن علم منها كراهة
ذلك وقلة همتها به لم يكن عليه الإفضاء إليها إلا في كل شهر مرة أو في كل سنة وعليها أن لا تمنعه
ليلاً ولا نهاراً وفي كل وقت وإن كانت صائمة فلا يحل لها أن تصوم إلا بإذنه وتزوج علي عليه السلام بعشر
نسوة وتوفي عن أربع وسبع عشرة سرية وكان بعض أمراء الشام إذا بلغه عنه كثرة نكاحه يقول
لست بنكحة ولا طلقة يعرض له بذلك ويقال إنه تزوج بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها بتسع
ليال ونكح أمامة بنت زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فاطمة رضي الله عنها أوصته بذلك
وتزوج الحسن بن علي رضي الله عنهما مائتين وخمسين امرأة وقد قيل ثلاثمائة وكان علي عليه السلام يضجر من
ذلك ويكره حياء من أهلهن إذا طلقهن وكان يقول في خطبته إن حسناً مطلاق فلا تزوجوه
فقام رجل من همدان فقال والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء فمن أحب أمسك ومن كره فارق
فسر علي عليه السلام بذلك فأنشأ يقول   ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام
وهذا أحد ما كان الحسن رضي الله عنه يشبه فيه برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه في الخلق
والخلق وقد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبهت خلقي وخلقي وقال حسن مني وحسين من
علي رضي الله عنهم وكان الحسن رضي الله عنه ربما عقد على أربع وربما طلق أربعاً في يوم وأرسل
غلامه بطلاق امرأتين متع كل واحدة بعشرة آلاف فقال له الرسول أما إحداهما فبكت وقالت متاع
قليل من حبيب مفارق فأطرق ثم قال لو كنت مراجعاً امرأة لراجعتها ودخل على الحارث بن هشام
يخطب ابنته فقال إنك لأحب الناس إلي ولكنك مطلاق وأكره أن يتغير قلبي عليك فإن ضمنت
أنك لا تفارقها فعلت فسكت ثم أتى على بعض أصحابه ثم قال ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل

انشر طوقا في عنقي وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحب النكاح ويكره
الطلاق فانكحوا ولا تطلقوا وهذا ايضا يصلح لمن اراد اكثر من اربع وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة
وقد كان في الصحابة رضي الله عنهم من له الثلاث والاربع وكثير منهم لا يحصى من كانت له اثنتان لا يخلو
منهما ويقال ان كثرة النكاح من شدة غض البصر وقطع المشي بالاثر اذ اخشع الطرف وقصر
عن الحرام وانقطع المشي على الارض غاض البصر في النفس فاتسع في الحلال وذلك ان للنفس استراحات
الى ما جانسها هو نفورها عن الذكر فاستراحات نفوس المتقين الى المباح من ذلك قوله عز وجل ليسكن اليها
وهذا سكون النفس الى الجنس بما يلائمه من الصفات المجانسة وهو احد المعاني في قول علي رضي الله عنه روحوا
القلوب تعي الذكر قيل روحوها باستراحة النفس الى المباح يعني ذكر الآخرة لان للذكر اثقالا وهو معنى
قول النبي صلى الله عليه وسلم لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى والشرة
الجد والمكابدة والفترة الوقوف والاستراحة وقد كان ابو الدرداء يقول اني لاستجم نفسي بشيء
من اللهو لاتقوى بذلك فيما بعد ذلك على الحق وقد كان النساء قديما على غير وصفهن الآن كان
الرجل اذا خرج من منزله تقول له امرأته يا هذا وتقول له ابنته يا ابانا لا تكسب اليوم شيئا من غير حله فيدخلك
النار ونكون نحن سببه فانا نصبر على الجوع والضر ولا نكون عقوبة لك واراد رجل من السلف يغيب
عن اهله في غزو فكره ذلك اخوانه لانسهم به فجاؤوا الى اهله فقالوا لا تتركين زوجك يسافر ولا يدع
لك نفقة ويغيب عنك ولا تدرين متى يقدم فقالت زوجي منذ عرفته اكالا ما عرفته قط رزاقا فاولى
رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق ومع ذلك احب ان اكون مشؤومة عليه اقطعه عن سبيل الخير
وقال احمد بن عيسى الحرار لما تزوج بامرأته على اي شيء تزوجت بي ورغبت في قالت على ان اقوم بحقك
علي واسقط حقي عنك وخطبت رابعة بنت اسمعيل احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه
من العبادة فاكثرت عليه والحت فقال لها يا هذه ما لي همة في النساء لشغلي بحالي فقالت والله
اني لاشغل بحالي من حالك وشغلك وما لي شهوة في الرجال ولكني ورثت عن زوجي ثلثمائة الف دينار
وهو حلال فاردت ان انفقها عليك وعلى اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون طريقا لي الى الله عز وجل
فقال حتى استاذن استاذي قال فجئت الى ابي سليمان فذكرت قولها وقد كان ينهاني عن التزويج
ويقول ما تزوج احد من الصحابة الا تغير فلما ذكرت له ما قالت ادخل راسه في جيبه
وسكت ساعة ثم دفع راسه فقال يا احمد تزوج بها فان هذه ولية لله عز وجل هذا كلام الصديقين
قال فتزوجتها قال احمد وكان في منزلها كرين جصا فلم يبق منه شيء في غسل ايدي المستعجلين

بعد الاكل سوى من كان يغسل يده بالاشنان في البيت قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني
الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك وكانت هذه من ارباب القلوب كان
الصوفية يسألونها عن الاحوال وكان احمد يرجع اليها في بعض المسائل وتأدبت ايضا بابي سليمان وبعض
اشياخ ابن ابي الحواري في وقتها معه وكانت فاضلة تشبه في اهل الشام برابعة العدوية في اهل البصرة
وقد كان ابو سليمان رحمه الله يقول في التزويج قولا عدلا قال من صبر على الشدة فالتزويج لا افضل والوحيد
يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل وقال مرة ما رأيت احدا من اصحابنا تزوج فثبت
على مرتبته الاولى وروينا عنه انه قال ثلاث من طلبهن فقد رغب في الدنيا من طلب معاشا او تزوج
او كتب الحديث ولعمري ان المرأة تحتاج الى فضل مداراة ولطيفة من الحكمة وطرف من المؤانسة وباب
من الملاطفة واتساع صدر للنفقة وحسن خلق ولطف لفظ وهذا لا يحسنه الا عالم حليم ولا يقوم به
الا عارف حكيم فمن لم يقم بذلك ولم يهتد اليه ولم يعتد النفقة ولم يألف الجماعة وكان قد الف وحدته
واعتاد الانفراد بخلوته وكان ضيق القلب بخيل الكف سيء الخلق غليظ القلب فظ اللفظ فالوحدة
لهذا اصلح والبعد من النساء لقلبه اروح فمن تزوج ممن هذا وصفه فقد عذب وعذب وآذى وتأذى
واثم واثم لان النساء يحتجن الى فضل حلم يحمل سفههن والى سعة علم يغمر جهلهن والى حسن لطف
وحكمة يداري اخلاقهن ويتغافل عن زللهن فاذا كان الرجل جاهلا سفيها او كان سيء الخلق فظا
غليظا اجتمع الجهل وافترق العقل وتفادح الجفا وغلظ القلب والاذى فافسد اكثر مما يصلح وتنافرا
ولم يكن بينهما صلح وليس هذا وصف العقلاء واستحب للرجل اذا اراد التزويج ان يشرح شأنه ويبين
اخلاقه للمرأة حتى تكون على بصيرة من امره وتتبين من حاله وتدخل على اختيار منها فذلك من الورع وقد
فعله بعض السلف وقد تزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه كان يخضب بالسواد فلما دخل بامرأته
نصل خضابه فظهرت شيبته فاستعدى عليه اهل المرأة الى عمر رضي الله عنه وقالوا حسبناه شابا
فاوجعه ضربا وقال غررت القوم وفرق بينهما وروينا ان شعيب بن حرب لما اراد ان يتزوج قال
للمرأة اني سيء الخلق قالت يا هذا اسوأ خلقا منك من يحوجك الى سوء الخلق وروينا ضد هذا
ان رجلا اراد ان يتزوج فقال للمرأة ان لي اخلاقا اوقفك عليها فان رضيت بها تزوجتك قالت
افعل فقال انا رجل ملول حقود سيء النظر غيور ضيق الصدر واسع الضرب ان كثرت عندي
مللت وان بعدت عني قلقت وان تكلمت اوغرت صدري وان سكت شغلت قلبي قالت المرأة اما بعد
فقد ذكرت من نفسك اخلاقا ما كنا نرضاها لبنات ابليس فكيف نرضاها لبنات آدم انصرف راشدا

لا حاجة له لذلك ومن خشي على نفسه الآفات ووفق له امرأة فيها بعض الاوصاف المحمودة فالتزويج له
افضل فليكن حينئذ له في النكاح نيات لانه من اكبر الاعمال ولا يكون ناكحا من اجل هواه مجردا فقد
قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اذا وافق الحق الهوى فذاك الزبد بالنرسيان فلتكن نيته اقامة سنته
وصلاح قلبه وسلامة دينه وغض بصره وتحصين فرجه وقد امر بذلك ويحتسب في الكسب على العيال
المثوبة من الله عز وجل ويحتسب مثل ذلك للمرأة بان يحبها في امر الآخرة كما يحبها لنفسه حتى
يؤجر بسببها مثلما يثاب به لنفسه فهو من النصيحة لها والاشفاق عليها وليجعل ذلك لوجه الله عز وجل
فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما انفق الرجل على اهله صدقة وان الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى في
امرأته ومنها انه كالمجاهد في سبيل الله عز وجل وقال رجل لبعض العلماء وهو يعدد نعم الله عز وجل
عليه من كل عمل قد اعطاني الله عز وجل نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وصنوف العبادات فقال له
العالم فاين انت من عمل الابدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك
لاخوانه وهم في الجهاد في سبيل الله تعالى تعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك جهاد في سبيل
الله عز وجل وقتال الاعداء في سبيل الله تعالى اي شيء افضل من هذا قال لكني اعلم قالوا وما هو قال رجل
متعفف ذو عيلة قام في الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمل
هذا افضل من جهادنا في سبيل الله عز وجل وقال رجل لبشر قد اضر بي الفقر والعيال فادع الله
عز وجل فقال له بشر اذا قال لك عيالك ليس عندنا خبز ولا دقيق ونحن جياع فادع الله عز وجل لي
انت في ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائي وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسنت
صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين وفي الخبر الآخر ان الله عز وجل
يحب الفقير المتعفف ابا العيال ومن النيات في ذلك ان الاهتمام بمصلحتهم والغم على نوائبهم زيادة
في حسناته لانه عمل من اعماله وفي خبر آخر اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله عز وجل بالهم ليكفرها
وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الغم بالعيال وقد روينا ان من الذنوب ذنوبا
لا يكفرها الا الغم بطلب المعاش وله في الصبر عليهن وجميل الاحتمال لاذاهن وحسن العشرة لهن
ثواب اعمال الصالحات وربما كان موت العيال عقوبة للعبد ونقصان حظ اذا كان الصبر عليهم والانفاق
مقاما له كان مفارقته ذلك مفارقة لحالة تفضي له به وحدثنا بعض العلماء ان بعض المتعبدين
كان له زوجة وكان يحسن القيام عليها الى ان توفيت فعرض عليه اخوانه التزويج فامتنع وقال ان الوحدة
اروح لقلبي واجمع لهمي قال فرأيت في المنام بعد جمعة من دفنها كان ابواب السماء قد فتحت وكان رجالا

ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضا فكلما نزل واحد نظر الي فقال لمن وراءه هذا هو المشؤوم
فيقول الآخر نعم ويقول الثالث لمن وراءه هذا هو المشؤوم فيقول الرابع نعم قال فراعني ذلك وعظم علي
هيبتهم ان اسألهم الى ان مر بي آخرهم وكان غلاما فقلت له يا هذا من المشؤوم الذي تومئون اليه فقال
انت فقلت ولم ذاك فقال كنا نرفع اعمالك في اعمال المجاهدين في سبيل الله عز وجل فمنذ جمعة
امرنا ان نضع عملك في المتخلفين فما ندري ما ذا احدثت فقال لاخوانه زوجوني زوجوني فلم تكن
تفارقه زوجة او زوجتان او ثلاثة وربما كانت الانفس الامارة اضر على العبد من اربع نسوة وانما كره
من كره الاهل والولد لاجل الشغل بهم عن الله سبحانه وتعالى وما قرب اليه فاذا كان من لا اهل له ولا ولد
مشغولا ببطالته عن الله عز وجل منهمكا في شهواته على سبيل هواه كان اسوأ حالا من ذي الاهل والولد
وقد يكون من لا يطلب الاهل والمال لان يتكفف للناس وللانهماك في الوصف المكروه وقد روي في الخبر
ان من اهل النار الضعيف الذي لا دين له هم فيكم تبع لا يبغون اهلا ولا مالا قيل هم السؤال المنهومون
في المسألة الذين همهم بطونهم لا يبالون كيف طلبوا ولا على اي حال من الفحش تقلبوا فمن لم يشغله اهله
وولده عن الله سبحانه وتعالى كان افضل ممن لا اهل له ولا ولد وهو عبد بطنه وفرجه اسير هواه وشهوته
وقد اخبر الله عز وجل ان للمؤمنين اموالا ثم امرهم ان لا يشغلهم ذلك عن الله سبحانه وقد وصف اقواما ان
تجارتهم وبيعهم لا تشغلهم عن عبادته وانهم اهل خوف يوم تتقلب فيه القلوب والابصار وقد مدح
قوما سألوه الازواج والذرية وجعل ذلك من وصفهم في قوله تعالى ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة
اعين وقرة العين لا تشغل ولا تحجب عن قرة العين بل تكشف عنده ويتقرب منه كما قال صلى الله عليه وسلم
حبب الي من دنياكم الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلاة وقد كان ابو سليمان يقول انما تركوا
التزويج لتتفرغ قلوبهم لذكره وروينا عن ابن ابي الحواري الحديث الذي رواه عن حبيش عن الحسن اذا اراد
الله بعبد خيرا لم يشغله باهل ولا مال قال احمد فتناظرنا في هذا الحديث جماعة من العلماء فاذا ليس
معناه ان لا يكون له امرأة ولكن يكونون له ولا يشغلونه وانما يحسن ترك النكاح لمشغول الهم عن الفكر
فيه ذي نفس مطمئنة وعين خاشعة وارب ذي سكينة وقلب ذي خشية كما حدثونا عن داود الطائي
قال منذ خمسين سنة ما خالط ذكري ريح وقيل لبعضهم هل دخل ذكرك ريح لشهوة فقال اما منذ
قرأت القرآن فلا وقال بعض العلماء منذ عشرين سنة ما وقع نظري على فرجي فاما بطال ذو نفس امارة
ونظرة باقية وشهوة قوية فالنكاح من احسن اعماله وارفع احواله لان المباح مقام من لا مقام له
فان عزم العبد على النكاح فلا يكون همته من النساء الا ذات الدين والصلاح والعقل والقناعة فليس

تخلص له النيات التي ذكرناها آنفاً الا على هذه القواعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لمالها
وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين وفي خبر آخر من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها
وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله عز وجل مالها وجمالها ورويناه ايضاً لا تنكح المرأة لجمالها فلعل
جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكح المرأة لدينها فنكاح المرأة للدين والصلاح طريق
من الآخرة والرغبة في المرأة الناقصة الخلق الدنية الصورة الكبيرة السن باب من الزهد وقد
كان ابو سليمان يقول الزهد في كل شيء حتى يتزوج الرجل العجوز او غير ذات الهيئة ايثاراً للزهد
في الدنيا وقد اختار احمد بن حنبل رحمه الله امرأة عوراء على اختها وكانت اختها صحيحة جميلة فقال من
اعقلهما قيل العوراء فقال زوجوني اياها وقد يكون في تزويج المرذولة المجدوعة نية بان يرفع من
قلبها اذ لا يرغب في مثلها واستحب له ان ينظر الى وجهها قبل التزويج بها والى ما يدعوه منها فان
ضم الى الوجه الكفين فلا بأس بذلك عند علماء الحجاز وفي النظر الى الوجه احاديث مأثورة منها
حديث محمد بن مسلمة قال رأيته يتتبع بنظره فتاة في نخل حتى توارت بالنخل فقلت له تفعل هذا
وانت من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله امرنا بهذا قال اذا اوقع الله في قلب احدكم
خطبة امرأة فلينظر اليها ليرى منها ما يدعوه اليها وفي الحديث الآخر ان في عيون الانصار شيئاً فاذا
اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن وفي لفظ آخر اذا اوقع الله عز وجل في نفس احدكم من امرأة
شيئاً فلينظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينهما معنى يؤدم وقوع الادمة على الادمة وهو ابلغ من البشرة
لان البشرة ظاهر الجلد والادمة باطنه جاء هذا في المبالغة على ضرب المثل وقد كان الاعمش يقول
كل تزويج يقع على غير نظر آخره غم وهم ولا يغالي في المهر فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث البيت وكان رحى وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف واولم
على احدى نسائه بمدين من شعير وعلى اخرى بمدي تمر فالوليمة سنة وترك الاجابة اليها معصية وقد
كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى عن المغالاة بمهور النساء ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرأة من نسائه ولا زوج على اكثر من اربع مائة وروينا عن عايشة رضي الله عنها كانت مهور ازواج
رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر اوقية ونصف وقد كان زوج اصحابه على وزن نواة من ذهب
والنواة صغيرة هي نواة التمر الصيحاني يقال قيمتها خمسة دراهم وفي خبر زوج رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعض اصحابه على نواة من ذهب قومت بثلاثة دراهم وثلث وقد زوج سعيد بن المسيب
وهو من خيار التابعين وعلمائهم ابنته من ابي هريرة على درهمين ثم حملها هو اليه ليلاً ولا اكره التزويج

على عشرة دراهم وهو اكره الاستحباب في القلة ليخرج بذلك من اختلاف العلماء ولا استحب ان ينقص
المهر من ثلثة دراهم وهذا هو القول الاوسط من مذاهب الفقهاء وفي هذه القيمة تقطع يد السارق
وهذا مذهب اهل الحجاز وقد روينا ابركهن اقلهن مهراً وروينا ايضاً من بركة النكاح سرعة تزويجها
وسرعة رحمها يعني الولادة ويسر مهرها قال عروة واقول ان من شؤمها كثرة صداقها ولا يصلح للمتزوج
ان يسأل اي شيء للمرأة ولا يحل له ان يدفع شيئاً لياخذ اكثر منه ولا يحل لهم ان يهدوا اليه
شيئاً ليضطروه الى ان يكافئ باكثر منه وليس عليه ان يزيد فوق قيمته ان كافأ وله ان لا يقبل هديتهم
اذا علم ذلك منهم وهذا كله بدعة في النكاح وهو كالتجارة في التزويج وهو داخل في الربا وهو يشبه
القمار ومن تزوج او زوج على هذا بهذه النية فهذه نية فاسدة وليس نكاحه هذا للدين ولا للآخرة
وقد كان الثوري يقول اذا تزوج الرجل وقال اي شيء للمرأة فاعلم انه لص فلا تزوجوه ولا ينكح الى
مبتدع ولا فاسق ولا ظالم ولا شارب خمر ولا آكل ربا فمن فعل ذلك فقد ثلم دينه وقطع رحمه ولم يحسن
الولاية لكريمته لانه ترك الاحسان وليس هؤلاء اكفاء للحرة المسلمة العفيفة وقد قال بعض السلف
النكاح رق فلينظر احدكم عند من يرق كريمته وقال بعضهم لا تنكح الا تقياً فانه ان احبها اكرمها
وان ابغضها انصفها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وانكحوا الاكفاء وانكحوا اليهم
ولا نكاح الا بولي وشاهدي عدل وان كانت ثيباً فالسلطان ولي من لا ولي له ومن ولاه الحاكم
كذلك السنة وليتعلم المتزوج علم الحيض واختلاف اوقاته وزيادته ونقصانه واحكام الاستحاضة
من ذلك علم وقت الاطهار ليعلمها ذلك وليغنيها عن السؤال والظهور للرجال ثم ليعلم اهله
ما لا يسعهم جهله من الفرايض واحكام الصلاة وشرائع الاسلام واعتقادات المؤمنين من السنة
وما عليه مذهب اهل الجماعة فاذا فعل ذلك لم يكن لها ان تخرج الى العلماء فان قصر عن تعليمها
علم التوحيد ومباني الاسلام وعقود الايمان ومذهب اهل السنة فلها ان تخرج الى السؤال عما لا يسعها
جهله وليس لها ان تخرج بغير اذنه لطلب علم ترجى فضله وليس للمرأة ان تحمل زوجها على المكاسب
الحرام ولا ان تكلفه ما يقترف به الآثام ولا للرجل ان يدخل مداخل السوء ولا ان يبيع آخرته بدنياه
فان صبرت معه على البر والتقوى امسكها وان حملته على الاثم والعدوان فارقها وان يتفرقا يغن الله
كلاً من سعته ويقال اول ما يتعلق بالرجل يوم القيامة زوجته وولده فيوقفونه بين يدي الله عز وجل
فيقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا من هذا فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم قال
فيقتص لهم منه وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات مثل الجبال فيسأل عن رعاية

لعيالهم والقيام بهم وعن حماله من ابن كسبه وفيما انفقه حتى تستفرغ تلك المطالبات كل اعماله
فلا تبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم باعماله فلهذا
قال بعض العلماء اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا انيابا تنهشه يعني العيال وروينا في الخبر
لا يلقى الله عز وجل عبد بذنب اعظم من جهالة اهله والخبر المشهور كفى بالعبد اثما ان يضيع من يعول
وروي ان الآبق من عياله بمنزلة العبد الآبق من سيده ولا يقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم
وقد قال عز وجل يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا فاضاف الاهل الى النفس وامرنا ان نقيهم
النار بتعليم الامر والنهي كما نقي انفسنا باجتناب النهي وجاء في تفسير ذلك علموهن وادبوهن وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالمرأة راعية على مال زوجها وهي
مسؤولة عنه والرجل راع على اهله وهو مسؤول عنهم ويقال اذا انفقت المرأة من مال زوجها بغير
علمه لم تزل في سخط الله تعالى حتى يأذن لها ولا يحل لها ان تطعم من منزله الا الرطب الذي تخاف
فساده فان اطعمت وانفقت عن اذنه ورضاه كان لها مثل اجره بخبر ورد في ذلك وينبغي ان تعرف
عظيم حقه عليها فانه يقال ليس شيء يستوعب حق الابوين الا الزوج وقد اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
الزوج مقام الوالدة في قوله للمرأة عليك بطاعة زوجك فانه جنتك ونارك وقال صلى الله عليه وسلم
ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج في سفر وعهد الى امرأته ان لا تنزل
من العلو الى السفل من الدار وكان ابوها في السفل فمرض ابوها فارسلت المرأة تستأذن ان تنزل
الى ابيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيعي زوجك فمات ابوها فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تنزل اليه فقال اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرها ان الله
عز وجل قد غفر لابيها بطاعتها لزوجها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلت المرأة خمسها
وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت جنة ربها عز وجل فاضاف طاعة الزوج
الى ابنية الاسلام التي لا تدخل الجنة الا بها واشترط طاعته لدخولها وذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات باولادهن لولا ما ياتين الى ازواجهن
دخل مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اطلعت في النار فرأيت اكثر اهلها النساء واطلعت
في الجنة فرأيت اكثر اهلها البله فقلنا اين النساء فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران
يعني الحلي ولبس المصبغات كانت العرب مستهترة بذلك وقال صلى الله عليه وسلم للنساء تصدقن
من حليكن فاني رأيتكن اكثر اهل النار فقلن لم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير

يعني الزوج المعاشر تكفرن نعمته عليكن فلذلك قالت الفتاة يا رسول الله فلا اتزوج ابدا وروينا
عن ام عبد المغيثة عن عائشة ان فتاة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله اني فتاة
اخطب واني اكره التزويج فما حق الزوج على المرأة فقال لو كان من فرقه الى قدمه صديد فلحسته
ما ادت شكره قالت فلا اتزوج قال بلى فتزوجي فانه خير فهذا مجمل خبر الخثعمية وقد فسر حقه
في حديثها وروينا عن عكرمة عن ابن عباس ان امرأة من خثعم اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني
امرأة ايم واني اريد ان اتزوج فما حق الزوج على الزوجة فقال ان من حق الزوج على الزوجة اذا
ارادها على نفسها وهي على ظهر بعير ان لا تمنعه والخبر الجامع لفضائل الزوج ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لو امرت احدا ان يسجد لشيء لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ومن حقه ان لا
تعطي شيئا من بيته الا باذنه فان فعلت كان الاصر عليها والاجر له ومن حقه ان لا تصوم تطوعا
الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها ومن حقه ان لا تخرج من بيتها الا باذنه
فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب فينبغي ان تعرض نفسها عليه في كل ليلة
وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم اقرب ما تكون المرأة من وجه ربها عز وجل اذا كانت في قعر بيتها وان
صلاتها في صحن دارها افضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها افضل من صلاتها في قعر دارها
وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك لانها عورة فما كان استر
لها فهو اسلم والاسلم هو الافضل كيف وقد روي ان المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان
وفي حديث غريب للمرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة واذا ماتت ستر القبر
عشر عورات فان امرها بما يصلحه ويصلحها مما ابيح لهما نحا الفتنة وعظها وزجرها فان تمادت
بخلافه هجرها في المضجع فبعض العلماء يقول يوليها ظهره وبعضهم يقول يعتزل فراشها في ليلة الى
ثلاث ليال سبع ليال فان لم ينجع فيها ذلك لم يبال ضربها والعلماء يقولون ضربا غير مبرح وتفسيره
ان لا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جسما وله ان يغضب عليها في الامر من امور الدين من عشرة ايام الى شهر
وذلك انه
فقد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا في كلام كلمه بعض ازواجه ارسل بهدية الى بيت زينب
فردته عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقمأتك اذ ردت عليك هديتك فقال انتن اهون
على الله ان تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا ومعنى اقمأتك استصغرتك واذلتك فهذه كلمة
من الاتباع تقول العرب قد اذلته واقمأته ويقولون لتفعلن ذلك صاغرا قميئا وما زال كذلك
حتى ذل وقمئ فيتبعون بهذه الكلمة السبب بالتصغير والتذليل للمبالغة في الوصف ولا ينبغي ان يقتر

على اهله من الانفاق وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وكان لعلي عليه السلام
اربع نسوة فكان يشتري لكل واحدة في كل اربعة ايام بخمس درهم وقال الحسن رضي الله عنه كان في
الرجال مخاصيب في الاثاث والثياب تقاربا وقال ابن سيرين استحب للرجل ان يعمل لاهله في كل
جمعة فالوذج وان كان من اهله زلة او هفوة احتمل ذلك ورفق بها ولم يعنفها وفي الحديث خلقت
المراة من ضلع اعوج ان قومته كسرته وان تركتها استمتعت بها على عوج وفي لفظ آخر وكسرها طلاقها
وقد كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه القول وتهجره احداهن يوما الى الليل ودفعت احداهن
في صدره فزبرتها امها فقال دعيها فانهن يصنعن اكثر من هذا وجرى بينه وبين عايشة كلام
حتى ادخل بينهما ابا بكر رضي الله عنه حكما واستشهده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين او اتكلم
فقالت بل تكلم انت ولكن لا تقول الا حقا فلطمها ابو بكر رضي الله عنه حتى دمي فوها وقال اي عدوة
نفسها او يقول غير الحق بل انت وابوك يقولان الباطل ولا يقول رسول الله الا حقا نصرة لرسول الله
حتى استجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك
لهذا ولم نرد هذا منك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعايشة رضي الله عنها اني لاعرف غضبك
من رضاك علي قالت وكيف تعرف ذلك قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابرهيم
قالت صدقت انما اهجر اسمك وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح مع ازواجه ويقاربهن في
عقولهن في المقال والاخلاق وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من افكه الناس مع نسائه
وقد كان لقمان الحكيم رضي الله عنه يقول العاقل في بيته ومع اهله كالصبي فاذا كان في القوم وجد
رجلا وفي تفسير الخبر المروي ان الله عز وجل يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على اهله المتكبر
في نفسه وفي احد المعاني في قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم قيل الفظ اللسان الغليظ القلب على اهله
وما ملكت يمينه وروينا في الخبر غيرة يبغضها الله عز وجل هي غيرة الرجل على اهله في غير ريبة
لانه يكون من سوء الظن الذي نهى الله عز وجل عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم وعن علي عليه السلام لا تكثر
الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك ولعمري ان الغيرة لها حد فاذا جاوزها الرجل قصر عن
الواجب او زاد على الحق وقد كان الحسن يقول اتدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق قبح الله
من لا يغار وقد قال ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فقال رجل
بل والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوهن بلى
فتقول بل نمنعهن وقد قال الله عز وجل قد جعل الله لكل شيء قدرا وقال بعض الحكماء من
بلى

جاوز الشيء فمذموم كمن قصر عنه فلا باس بالحرة العفيفة ان تخرج فيما تحتاج اليه مما لا بد لها
منه من قضاء حوائجها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لكن ان تخرجن في حوائجكن وكذلك يخرجن
في الاعياد خاصة اطلق لهن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا يخرجن الا باذن ازواجهن
وعن رضاهم ولا يخرجن ايضا الا فيما يعني مما لا بد منه ومهما استغنين عن الخروج وان لا يراهن
احد فهو افضل واصلح لقلوبهن روينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة عليها
السلام يا بنية اي شيء خير للمراة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من
بعض وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا يطلع النسوان
وقد كان عمر رضي الله عنه يقول اعروا النساء يلزمن الحجال وقال ايضا عودوا نساءكم وتكلم مرة
في شيء من الامر فاخذت امراته تراجعه فيه القول فزبرها وقال ما انت ولهذا انما انت لعبة في جانب
البيت ان كانت لنا اليك حاجة والا فلا وهو ماجور على احتماله هفوات اهله وصبره على اذاهن ومثاب
على حسن عشرتهن وقد كان محمد بن الحنفية يقول ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته
بدا حتى يجعل الله عز وجل له منه فرجا ومخرجا فان كانت بذية اللسان قليلة القبول عظيمة الجهل
كثيرة الاذى فطلاقها اسلم لدينهما واروح لقلوبهما في عاجل دنياه وآجل آخرته وقد شكا رجل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذاء امراته فقال له طلقها قال اني احبها قال امسكها اذا فخشي عليه
تشتت همه بفراقها مع المحبة وتشتت الهم اعظم من اذى الجسم وفي معنى قوله عز وجل لا تخرجوهن من
بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة قال ابن مسعود اذا بذت على اهله وآذت زوجها فهي
فاحشة وهذا يعني به في العدة لان الله عز وجل يقول اسكنوهن من حيث سكنتم فهو متصل بقوله
عز وجل واحصوا العدة لا تخرجوهن من بيوتهن اي في العدة ومن الناس من يظن ان الطلاق محظور
يتاول هذه الآية على غير تاويلها فالطلاق مباح الا انه مكروه على غير سبب لتفرقة الالفة وقد روي
في خبر ما احل الله عز وجل شيئا ابغض اليه من الطلاق ولا باس ان تفتدي المراة من زوجها اذا خافت
ان لا تقيم فيه حدود الله ولا تقوم بواجب حقوقه عليها واكره ان ياخذ منها في الفدية اكثر مما اعطاها
وقد قال الله عز وجل فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وهذا هو
الخلع الجائز عند اكثر العلماء ولا يحل للمراة ان تسال زوجها طلاقها ولا ان تختلع منه بغير
رضاه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة سالت زوجها طلاقها من غير ما باس لم ترح رائحة الجنة
وقال المختلعات هن المنافقات والنشوز قد يكون من الزوجين معا الا انه ابيح للزوج

يجمعهما في النشوز والشح فهذا الصلح في نشوز الزوج قال الله تعالى والصلح خير واصل النشوز ان يعلو
احدهما على صاحبه ويرتفع عنه كانه يجفو عليه ويجتنبه فيكون في نحو عز نحوه فيكون من هذا الكلام
الفاحش ويكون منه الاذى ويكون منه الهجر والانفراد وتحكيم الحكمين في هذا احدهما من اهله والآخر من
اهلها يعدلون وينظرون فيما بينهما وقد وعد الله عز وجل الغنى مع الفرقة كما وعده في النكاح
فقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته كما قال وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان
يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله فقد يكون الغنى بالمال وتكون الغنى في القلب ويكون الغنى بالدين
ويكون بان يستغني كل واحد منهما عن صاحبه بما يخصه الله عز وجل من خفي لطفه وروينا
في خبر ثلاثة لا يستجاب دعوتهم رجل له امراة سوء يقول اللهم اخني الله منك وقد جعل الله تعالى الطلاق بيده
ان شاء طلق والآخران في المملوك السوء والجار السوء وليحسن الرجل عشرة اهله والقيام بهن فقد قال الله
عز وجل فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي انطلبوا فريقا الى الفرقة ولا الى الخصومة ومكروه ذلك
وهذه حينئذ على صورة النفس المطمئنة اذا استجابت الى الايمان وطوعت لك الى اخلاق المومنين فبوها
من الارفاق فارفق بها في منالها من المباح وقد شبه الله عز وجل حسن القيام على الزوجة بحسن القيام
على الوالدين فقال فيهما وصاحبهما في الدنيا معروفا وقال في امر النساء وعاشروهن بالمعروف ثم اجمل
للنساء جميع ما فوقه من حق الزوج في كلمة واحدة فقال عز وجل ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وقال
في عظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا غليظا وقال عز وجل والصاحب بالجنب قيل هي المراة واخر ما وصى
به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة
وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون والله الله في النساء فانهن عوان في ايديكم يعني اسرى اخذتموهن
بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق المراة على الرجل
قال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يهجر الا في البيت وينبغي ايضا ان يعلم
اذا اراد النكاح ما يحتاج اليه المراة من حسن العشرة والقيام بما لها عليه وجميل المداراة ولطف المفاوضة
ويعلمها حسن قيامها بما يجب عليها ويعرفها ما اوجب الله عز وجل عليها من ذلك ولا تملك المراة شيا
من امرك فان الله عز وجل قد ملكك اياها فلا تقلب بهواك حكمة الله عز وجل فينقلب الامر عليك فكانك
قد اطعت العدو وافتتنه في قوله عز وجل ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقد قال عز وجل ولا تؤتوا
السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما الآية يعني النسا والصبيان ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
تعس عبد الزوجة لانه اذا اطاعها فيما تهواه فقد دخل تحت التعس فكانه قد بدل نعمة الله كفرا

حق الزوج في

ان الله عز وجل جعله سيدا في قوله والفيا سيدها لدى الباب يعني زوجها قال الحسن ما اصبح اليوم
رجل يطيع امراته فيما تهواه الا اكبه الله عز وجل في النار ولا تعودها عادة فتجري عليك
وتطلب المعتاد منك فهي على مثال اخلاق النفس سوا اذا ارسلت عنانها جمحت بك وان ارخيت
عنانها قيدا اخرتك ذراعا وان شددت يدك عليها وجمحتها وكبحتها ملكتها فلعلها ان تطوع
لك وكان الشافعي يقول ثلثة ان اكرمتهن اهانوك وان اهنتهم اكرموك المراة والخادم والنبطي
وكن نساء العرب يعلمن اولادهن اختبار ازواجهن كانت المراة اذا زوجت ابنتها قالت لها يا بنية
اختبري حليلك قبل ان تقدمي عليه انزعي زج رمحه فان سكت لذلك فقطعي اللحم على ترسه فان
اقر فكسري العظام بسيفه فان صبر فاجعلي الاكاف على ظهره واركبي منكبه فانما هو حمار واوصى
اسماء بن خارجة الفزاري وكان من حكماء العرب ابنته ليلة زفافها فقال يا بنية قد كانت والدتك
احق بتاديبك مني لو كانت باقية واما الآن فاني احق بتاديبك من غيري افهمي عني ما اقول انك قد خرجت
من العش الذي فيه درجت وصرت الى فراش لا تعرفيه وقرين لم تالفيه فكوني له ارضا يكون لك سما
وكوني له مهادا يكون لك عمادا وكوني له امة يكون لك عبدا لا تلحفي به فيقلاك ولا تتباعدي
عنه فينساك اذا دنا فاقربي منه وان نأى فابعدي عنه واحفظي انفه وسمعه وعينيه لا يشم منك
الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا وانا الذي اقول لامك ليلة بنائي بها
خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة فانك لا تدرين ما في المغيب واني رايت الحب في الصدر والاذى اذا اجتمعا
لم يلبث الحب يذهب واوصى بعض العرب بنيه فقال لا تنكحوا من النساء ستة انانة ولا
منانة ولا حنانة ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة تفسير ذلك الانانة التي تعصب راسها كثيرا
وتكثر الانين والتوجع والتشكي والمنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت بك وفعلت بك وانا افعل
وافعل والحنانة تكون على وجهين تكون ذات ولد من غيره فهي تحن اليه وقد تكون ذات زوج قبله
فيحن قلبها اليه وقوله حداقة التي ترمي بحدقتها فتشتهي كل شي وتطالب زوجها بما تشتهيه من
كل شي وقد تلحظ الرجال كثيرا كما يلاحظ بعض الرجال النساء والبراقة يحتمل تاويلان احدهما
ان تكون غضوبا في الطعام فتبرق لعلته ولسوء خلقها ولا تكاد البراقة تاكل الا وحدها لشرهها
وتكون ايضا التي تشغل نصيبها من كل شي وهذه لغة يمانية يعرفها اهلها فاشية عندهم يقال
قد برقت المراة وبرق الصبي الطعام اذا غضب عليه والوجه الآخر من البراقة ان تكون من البريق

تكره اصلها وزوجها وخضابه فتتصنع في زوقه ابداً وات الشداقة التي تتشدق بكثرة الكلام وكذلك
بذية اللسان مقوعة في المنطق ومن ذلك الخبر الذي جا ان الله عز وجل يبغض الثرثارين المتشدقين
وفي قصة الرجل السائح الاردني انه لقي الياس عليه السلم في سياحته فامره بالتزويج وقال هو
خير لك ونهاه عن التبتل وقال له لا تنكح من النساء اربعا وانكح من سواهن المختلعة والمبارية
والعاهر والناشز فالمختلعة هي التي تطلب الخلع والمبارية المباهية بغيرها المفاخرة باسباب
الدنيا التي تطلب من زوجها ما تباهي به غيرها وتفخر به على نظائرها والعاهر الفاسدة التي تعرف
بخليل وخدن وهذا الذي قال الله عز وجل ولا متخذات اخدان والناشز التي تعلو على زوجها في
الفعال والمقال وقد كان علي عليه السلم يقول شر خصال الرجال خيار خصال النساء البخل والزهو
والجبن فان المراة اذا كانت بخيلة تحفظ مال زوجها واذا كانت مزهوة اي معجبة استنكفت
ان تكلم الرجال واذا كانت جبانة فرقت من كل شي فلم تخرج من بيتها واكره العزل كراهة شديدة
فانه دقيقة من الشرك الخفي وفيه نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرهه جماعة من السلف ولم يكن خيار
المتقين يعزلون واقل ما فيه الخروج من التوكل على الله سبحانه وتعالى وقلة الرضى بحكم الله عز وجل
وكان ابن عباس يقول العزل هو المووده الصغرى ولقوله هذا استنباط حسن من السنة وذاك
انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضايل الجماع ان الرجل ليجامع اهله فيكتب له من الجماع
اجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله عز وجل فقتل فقيل وكيف ذلك يا رسول الله فقال انت خلقته انت
رزقته انت هديته عليك محياه عليك مماته قالوا بل الله عز وجل خلقه ورزقه واحياه وامانه قال
فاقره في لذة المعنى في هذا انه يقول اذا جامعت فامنيت في الفرج وقد قال الله عز وجل افرايتم ما تمنون
انتم تخلقونه ام نحن الخالقون فاذا لم يخلق الله عز وجل من منيك خلقا حسب لك كانه قد خلق
منه ذكرا على اكمل احواله واجل اوصافه بان يقاتل في سبيل الله فيقتل لانك قد جئت بالسبب
الذي عليك وليس عليك خلقه ولا هدايته وانما يقدر على ذلك من عدم اختيار الله فعله مجددا وكان
لك اجر ما لو فعله الله عز وجل اذ قد اتيت بما امكنك عمله فلذلك قال ابن عباس هي المووده الصغرى
لان بوجود العزل يوجد عدم هذا الفعل اذ كان العبد سبب عدمه لانه لم يفعل ما يتاتى منه
الولد فذهب فضله وحسب عليه قتله وانما قلنا ان العزل دقيقة من الشرك لان اهل الجاهلية
كان سبب قتلهم بناتهم معان احدها خشية العار بهن ومنها كراهية الانفاق عليهن ومنها الشح
وخوف الفقر والاملاق وكانت العرب من ولد له بنون وبنات فمات البنون وعاش البنات سموه

الابتر اذ موتوه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الوصف الذي يكرهون مات له الذكور
وعاش البنات فلذلك كانوا يسمونه مذمما اي مذموما عندهم ومنه سمعه العاص بن وايل
حتى قال انك ابتر فرد الله عز وجل عليه فقال تعالى ان شانيك هو الابتر اي لا ذكر لك بعد موتك
قد انقطع ذكرك بموت الذكور من ولدك فقال الله عز وجل بل شانيك هو الابتر الذي ينقطع ذكره
وثناه فلا يذكر بخير بعد موته فاما انت فقد رفعت لك ذكرك تذكر معي اذا ذكرت وكانت
العرب تقول من كن له احدى الحوبات الثلاث لم يشرف عشيرته ولم يسد قومه يعنون بالحوب
الام والاخت والبنت والحوبات جمع حوب وهي كبيرة قال الله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه
كان حوبا كبيرا عندي ليس هذا الذي قلتم عندكم وكان من خيار المومنين من يستحب له الجمع
بين هاولاي الثلاث الام والاخت والبنت لما فيهن من عظيم المثوبة والفضل ليخالف بذلك الجاهلية
وقد توجد هذه المعاني او بعضها في العزل فلذلك سميناه شركا وكرهناه وهو مذهب الخوارج من
النساء كان فيهن تقذر وتعمق من استعمال كثرة الماء للطهارة ودخول الحمامات ومجاوزة الحد
في الطهور وكن ايضا يقضين الصلاة ايام الحيض ويصمن في حيضهن ولا يصلين في ثياب الحيض
حتى يغسلنها ولا يدخلن الخلا الا عراة فكانوا يكرهون الولادة طلبا للنظافة والتقزز وخلافا
لسنة نساء العرب من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ابتدعوا هذه البدع ففارقوا بها سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسنة نسائه وهن انباط العراق واهل النهروان كان بعضهن دخل على عايشه رضي
الله عنها لما قدمت البصرة فلم تاذن لهن في الدخول عليها وايضا فان الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم
ندبا الى اتخاذ الاولاد بقوله تعالى فاتوا حرثكم انى شيتم وقدموا لانفسكم قيل الولد وقوله صلى الله عليه وسلم
تناكحوا تناسلوا فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة وبقوله صلى الله عليه وسلم خير نسائكم الودود
الولود وقوله صلى الله عليه وسلم سودا ولود خير من حسناء لا تلد وحصير في البيت خير من امراة لا
تلد ومن بركة المراة ان يسر رحمها احوج ما يكون الى الجماع اذا طهرت من الحيض وفي هذا الوقت
اكثر ما يعلق النسا بالحمل واحمد ما يكون المولود عاقبة اذا علق به قبل الطهر فاتوهن من حيث
امركم الله عز وجل ولا اضدادهما في الكراهة والنعم امر الله باعتزال النساء في المحيض ويقال ان
كل مبذول كان او مجنونا او مجذوما او مخبلا او في حالة مخبلا لانه كان غرسه في سبخة
من الارض فلم يزغ ولم يزك ومن زرع في حرث طيب زكا زرعه وهو الغشيان في الطهر فلذلك قال
من حيث امركم الله وقد رخص طايفة في العزل روينا في ذلك رخصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد كان شعبة يعزل فتناكر على عليه السلام على ابن عباس في قوله في العزل انه هو الموؤدة الصغرى
فقال انها لا تكون موؤدة الا بعد سبع ثم تلا قوله عز وجل واذا الموؤدة سئلت انها ذكرت بعد سبع
ثم تلا قوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة الى قوله تعالى ثم انشاناه
خلقا آخر اي نفخنا الروح فيه قال فلا تكون موؤدة اي مقتولة الا بعد هذه السبع الخصال ولان
الله تعالى ذكرها في كورت بعد سبع معان ثم جمع بينهما في الفهم واستنبط ذلك وهذا من دقيق العلم
وغامض الفهم ولطف الاستدلال الذي تفرد به عليه السلام لتفرد علمه ونفاذ فطنته وخفي استدلاله
ولا يجامعها بعد خروجها من الحيض حتى تغتسل فذلك معنى قوله عز وجل ولا تقربوهن حتى يطهرن
فاذا تطهرن فاتوهن يعني بالماء ويكره الجماع مستقبل القبلة لحرمة القبلة وفي الخبر اذا جامع
احدكم اهله فلا يتجردان تجرد العيرين يعني الحمارين وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
جامع غطى راسه وخفض صوته وقال للمراة عليك السكينة ومن جامع مرة فاراد ان يعود فليغسل
فرجه قبل ذلك فان احتلم فلا يجامعن حتى يغتسل فرجه او يبول فان جامع بعد الاحتلام من غير غسل خيف
على ولده ان كان من جماعه ان يصيبه لمم من شيطان ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر في اول
ليلة وفي آخر ليلة وفي ليلة النصف يقال ان الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي وقيل ان الشياطين
يجامعون فيها وروينا كراهية ذلك عن علي عليه السلام وابي هريرة ومعاوية رضي الله عنهم ومن العلماء من
كان يستحب الجماع يوم الجمعة لاحد التاويلين في قوله صلى الله عليه وسلم غسل واغتسل اي غسل اهله
واكره له الجماع في اول الليل لان لا ينام على غير طهارة فان الارواح تعرج الى العرش فما كان منها طاهرا
اذن له بالسجود وما كان جنبا لم يؤذن له والرؤيا ايضا على طهارة من غير جنابة وعلى وضوء اصح
والافضل الا ان يغتسل ثم ينام فان لم يغتسل وجامع فلا ينام ولا يطعم حتى يتوضا وضوءه للصلاة
وقد جاء رخصة في النوم بعد الجماع من غير ان يمس ماء فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم واكره ان يحلق
الرجل راسه او يقلم ظفره او يستحد او يتنور او يخرج دما وهو جنب فان العبد يرد اليه جميع شعره
وظفره ودمه يوم القيامة فما سقط منه من ذلك وهو جنب رجع اليه جنبا وقيل طالبته كل شعرة
بجنابتها وقد روينا معنى هذا في حديث مقطوع موقوف على الاوزاعي ويحيى بن كثير قال الاوزاعي قد
كنا نقول لا باس ان يطلي الرجل الجنب حتى سمعنا هذا الحديث والنص فيه على النهي ان يطلي الرجل جنبا
ولا يحل للرجل من امراته الا الفرج لا غير على اي حال شاء وكيف شاء ومن جامع فليتمهل على اهله وليتوقف
حتى تنقضي نهمتها كما قضى هو نهمته فربما تاخر انزال المراة بعد الرجل فيكون ذلك كرهها

المهل فان علم انها قد سبقت بالشهوة لم يحتج الى التوقف وليس يخفى سبقها بالشهوة على فطن
وادق ما يكون الجماع بينهما اذا اتفقت الشهوتان منهما معا واكثر ما يكون التباغض بين الزوجين
لاختلافهما في طبع الانزال الا ان يكون طبعه سابقا طبعها ابدا وقد كان بعض العلماء من ادبائه
يتاخر عن المراة حتى يستنامها في ذلك وينبغي ان يعلمها ان المراة اذا بلغت واحتلمت وجب عليها
الغسل كما يجب على الرجل لان في ذلك سنة لان ام سلمة سالت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرها
بذلك وقال نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء ان يتفقهن في الدين واذا كانت المراة حائضا
ائتزرت بمئزر صغير من حقويها الى انصاف الفخذين وكان له المتعة بجميع جسدها كيف شاء الا ما
تحت المئزر وبعض علماء اهل العراق يجوز من الحائض المباشرة بما تحت المئزر خلا الفرجين ولا يعجبني
هذا ولا حرج عليه في الاستمتاع بيدها واستحب للرجل اذا دخل في لحافها ان يتزر بحقو
صغير يكون في وسطه وهو المئزر لئلا يتجردا عريانا فان هذا من الادب ويضاجع الرجل الحائض
كيف شاء وتناوله ما شاء ويواكلها ولا يجانبها في شيء من الاشياء الا الجماع في الفرج اتفقوا عليه
واختلفوا فيما دونه فذكره اهل الحجاز كما ذكرناه آنفا وهو استحباب واجمعوا على تجويز ما فوق المئزر
من السرة الى انصاف الفخذين وينبغي للمتزوج ان يعرف حكم الطلاق فان عرض عليه طلق واحدة في
طهر لا جماع فيه فان التطليقة الواحدة اذا انقضت عدة المراة منها بحيض او اشهر تعمل عمل التحريم
بالثلاث سواء الا انه يربح في التطليقة الواحدة اربع خصال احدها موافقة الكتاب والسنة
من قوله عز وجل فطلقوهن لعدتهن وفي قراءة عمر وابن عباس فطلقوهن لقبل عدتهن فقد دل
ان الاقراء هي الاطهار وكذلك هو عندي وان كانا ذلك في اللغة وتساويا في المعاني بان يكون الحيض
اصلا اساسه تيسير العدة عليها وسرعة خروجها منه فخروجها من الطلاق محتسب بالطهر الذي طلقها فيه
من غير جماع قرءا فتستعجل الخروج من العدة لانها من حدود الله عز وجل ويربح ايضا هو انه ان ندم
على طلاقها كان له رجعتها في العدة من غير احداث عقد ثان ولا مهر آخر وان احب رجعتها بعد
انقضاء العدة كان له تزويجها ثانية من غير زوج ثان يحدثه وهذا ممتنع في الثلاث دفعة واحدة
وموجود فيه التحريم وان ندم لم يجعل الله عز وجل له مخرجا لانها لا تحل له الا بعد زوج ويخبر العبد
خروج المراة من يده فان ابتلي بهواها احتاج ان ينتظر فراغ الزوج الثاني او التجا الى ان يعمل
في تزويجها لغيره فيكون محللا لنفسه ومفسدا لنكاح ثان بالتحليل فيقع في ثلاثة معان من المعاصي
وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له وقال بعض العلماء ان نكاح الاول بعده على التحليل

لا يجوز ايضا ويدخل ثمرة الجهل في مخالفة السنة وقد قال الله عز وجل فطلقوهن لعدتهن ثم
قال لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا يعني ندما من المطلق فتجب الرجعة فاذا كان قد طلق تطليقة
واحدة او اثنتين حلت له في العدة بغير عقد وبعد انقضائها بغير زوج ثم قال ومن يتق الله يجعل له
مخرجا اي يتقي الله في الطلاق يجعل له مخرجا في جواز الرجعة كما ذكرنا ومن طلق ثلاثا مرة واحدة او طلق
في الحيض وقع الطلاق وحرمت المرأة ولم تحل له الا بعد زوج وكان قد خالف السنة ووافق كراهة
الائمة بآثار قد كثرت في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر وابنه وابي بن كعب وزيد بن ثابت
وابن عباس وجملة من الصحابة والتابعين رحمة الله عليهم ورضوانه والاصل فيما ذكرناه من العزيمة والرخصة
من فعل النكاح وتركه قول الله عز وجل وانكحوا الايامى منكم فامر بالنكاح وهو اعلم بالخير والصلاح والايامى
جمع ايم وهي التي لا بعل لها وقد يسمى به الرجل الذي لا زوجة له ايضا كما يقال ثيبا وبكرا ثم قال والصالحين
من عبادكم فلولا ان النكاح فاضل ما خص به الصالحين وضمه الى فضلهم وهم اهل ولايته لقوله عز وجل
وهو يتولى الصالحين ثم قال ان يكونوا فقرآء يغنهم الله من فضله والله تعالى اعلم بالاغناء كيف هو
يغنيهم بالاشياء كقوله تعالى اغنى واقنى وقد يغنيهم عن الاشياء بالقناعة والزهد وقد يغني نفوسهم
عن الاعراض كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقد
يغنيهم باليقين كما قال ايضا كفى باليقين غنى وقد يغنيهم بغض البصر وتحصين الفرج كما قال من استطاع
الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ثم ان الله عز وجل قال في اخر الاي من وعد الغنى
في التفرق كذلك ايضا في قوله وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته فقد اصلح وجوه الاغناء كلها في هذا
المعنى الآخر ايضا ويزيد عليه الغنية بالعصمة والاستغناء عن المكاسب وعن السؤال والمحاسبة على الاكتساب
والغنية عن حال النساء واحكامهن ثم قال في الامر الثاني فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث
ورباع فهذا ادون من الامر الاول لانه علقه باختيارنا ان طاب لنا ثم رفع فيه الى الاربع توسعة منه
وتفضلا لعلمه بصلاح القلوب وطبائع النفوس وتفاوت سكونها وحركاتها ووجود كفايتها ومصالحنا
ثم رجحنا فقال فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ذلك ادنى الا تعولوا فردنا الى الواحدة وهو حال الاوسط
بين الاربع وبين التعزب وخير الامور اوساطها وفي قوله الا تعولوا اوجه تعولوا تجوروا وهو احسنها
واحبها الي لانه يواطئ قوله تعالى فان خفتم الا تعدلوا لان العدل ضد الجور فعطف عليه فقال ذلك
ادنى الا تعولوا اي تجوروا عن العدل والعرب تقول عال يعول عولا اذا جار والوجه الثاني ان تعولوا
تفتقروا واشتقاقه من العيلة وهي الفقر يقال عال يعيل عيلة وعالة اذا افتقر ومنه قوله تعالى

فان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ومع العيال الفقر لا محالة والوجه الثالث تعولوا
يكثر عيالكم فيكون المعنى ذلك اقرب الا يكثر من تعولونه وخوف الها التي هي اثم العيال وهذا
مذهب لبعض اهل الحجاز يرجع الى قوله عال الرجل عياله يعولهم مثل مانهم يمونهم وما رهم يميرهم واصابهم
يصونهم فيكون مشتقا من لفظ العيال والاول اجود واشهر والله سبحانه ما افترض النكاح ولا
العزبة كما لم يوجب الاربع من النسوة وافترض صلاح القلب وسلامة الدين وسكون النفس والدخول في الاوامر
عند الحاجة اليها فمن كان صلاحه في التزويج فهو افضل له ومن كان استقامته وسكون نفسه عند الاربع
فجائز له طلب السكون وصحة الحال مع القيام بالاحكام ومن وقعت كفايته بواحدة فالواحدة اصلح
وافضل لانها الى السلامة اقرب ومن كان صلاح حاله واستقامة قلبه وسكون نفسه في العزبة فذلك
له اسلم والاسلم لمثله في زماننا هذا هو الافضل اذ لهذا يراد النكاح فاذا وجد لم يضره فقده ولعمري
انا اذا قلنا ان في الدين طريقين طريق عزيمة وطريق رخصة فان في النكاح ايضا طريقين لانه من الدين
وفي تركه يكون لاهل الدين طريقان طريق الاقوياء وهم اهل النكاح والصبر على احكامه ومعاشرة النساء وطريق
آخر للاقوياء بالصبر عنهن ووجود العصمة منهن والتفرغ للآخرة وكفى بها شغلا وطريق آخر يا من من
وجود الوسوسة وخوف العنت لقوة الطبع وضعف الحال بوجود الاخلاط فيتداوى بالنكاح طلبا للاستقامة
والصلاح وقد كان الثوري يقول يا حبذا الغرفة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح لا صخب فيه ولا صياح
لله الامر من قبل ومن بعد

ذكر دخول الحمام — كتاب — الافضل في وقتنا هذا ترك دخول
الحمام لكثرة العراة فيه والعجز عن القيام باحكامه الا ان دخوله مباح وقد اختلف مواجيد الصحابة
رضي الله عنهم في دخوله وكل فيه قدوة وهدى فقال بعضهم بئس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب
الحياء روي هذا عن ابن عمر وعن علي رضي الله عنهما معناه وقال بعضهم نعم البيت الحمام يذهب الدرن
ويذكر النار روي هذا عن ابي الدرداء وابي ايوب وقد دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشام
الحمامات فمن كان داخل الحمام فلا يدخلها لعاجل حظ دنيا ولا عابثا لاجل الهوى لانه عمل من اعمال
العبد مسؤول عن دخوله اذ كان محاسبا على جمل اعماله فيقال لم دخلت وكيف دخلت ولمن دخلت
كما يقال له في كل عمل فعله وفي دخول الحمام ثمانية احكام اربعة فرائض واربعة نوافل فاما الفرائض
فستر العورة وغض البصر وان لا يباشر جسده غير يده وان يامر بالمعروف وهو ان يرى عريانا فيقول
له استتر وان هذا حرام عليك او ان هذا لا يحل لك او قد حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول الحمام
بغير ازار فان هذه الالفاظ اذا قالها سقط عنه ما وراء ذلك من كل شيء يراه من المنكر وليس عليه

المقبول لا الاجبار على المعروف فان هذا على العالم القائم بصلاح الدين والراعي لرعية المسلمين اما بالبطش
والعقوبة والتمكن في الارض والتسليط فهو ساقط عن الرعية بحمد الله ومنه واما النوافل الاربع
فانه ينوي الطهارة لاجل الدين والنظافة للعبادة لان الطهارة من افضل امور الآخرة والحمام هو غاية
الطهور وان يعطي صاحب الحمام الاجرة قبل الدخول وكذلك يستحب في كل ما يشتريه ويستعمله خاصة
الشيء المجهول مقداره من شرب الماء او اجرة الحمام والذي لا يتقاضى عليه ولا يشترط فيه فانه يكون
غير معلوم فاذا نظر الحمامي اليه صار معلوما والثالثة لا يكثر صب الماء عليه من غير حاجة اليه ولا يستعمل
ما يكفي رجلين بل ثلاثة سيما من الماء الحار فان له مؤونة فلا يستعملن من ذلك الا ما لو رآه صاحب الحمام
لم يكره ذلك ولم يشق عليه وما علم ان الحمامي لو رآه يستعمل من الماء الكثير لشق عليه ذلك فانه مكروه له
في غيبته والرابعة ان يتذكر النار بحرارة الحمام ولذع مسه وغشيان ظلمته لان الحمام في الظلمة
اشبه شيء بجهنم الحرارة من تحتك والظلمة من فوقك فهذا وصف جهنم نعوذ بالله منها فليذكر بقلبه صبره
على الحمام وعظيم كربه فيه حبسه في جهنم وانه لو اقام في الحمام فضل ساعة لضعفت روحه حتى يخرج
حبوا فيكون له الحمام عبرة اذ عبر اولي الابصار ومواعظ اهل التقوى لا تنقضي ولهم في كل شيء
عبرة وموعظة وبكل شيء تذكرة وجل قد احياهم حياة طيبة وهذه علامة من كان له قلب
ومن مقامه المزيد ولا باس ان يذكر الله عز وجل والتسمية والاستغفار ومكروه له قراءة القرآن فيه
الا في نفسه سرا ولا يسلمن على احد فيه بلفظ السلام وروينا ان رجلا سلم على الحسن بن علي عليه السلام
في الحمام فقال ليس في الحمام سلام ولا تسليم فان احتاج الى ان يكلم رجلا فيه فلا باس ان ياخذ بيده
استيناسا للكلام او يقول له عافاك الله وادام سلامتك ومكروه له كثرة الكلام فيه وان يكلم رجلا
بما لا يعنيه ولكن يسمي الله عز وجل اذا دخله ويستعيذ بالله من الرجس النجس الخبيث الشيطان الرجيم
وان اعطى الحمامي اجرة ليخليه له اجر على ذلك قال بشر ما اعرف رجلا لا يملك الا درهما يعطيه
لخلوة الحمام وكان بشر يعطي ليخلي له الحمام وكان يغلقه عليه من داخل ومن خارج فان ولي جارية
للاطلا في الحمام اذا كان خاليا ستيرا فلا باس قال بعضهم رايت ابن عمر في الحمام مستقبلا بوجهه الحائط
وقد عصب عينيه بعصابة ومد يده الى الحائط وقيل لابرهيم الحربي يصلى خلف شارب النبيذ
قال نعم قيل فيصلى خلف من يدخل الحمام بغير ميزر قال لا واستحب له دخول الحمام في وقت خلوة
من اهله ودخول الحمامات الخالية من الزحام ومكروه دخول الحمام عند الغروب وبين العشائين فان تلك
الساعة وقت انتشار الشياطين وليعرف بدخوله نعمة الله عز وجل عليه وتسخيره له من شاء من

خلقه لما يتعب نفسهم والكد فيه فهذا من لطيف افضال الله عز وجل على المتنعمين به ومن لا يدخل الحمام
وقام بهذه الاحكام كان دخوله افضل لان له فيه اعمالا كثيرة ودخل الاعمش الحمام فراى عريانا قد غمض
عينيه وجعل يتلمس الحيطان فقال له العريان متى كف بصرك يا هذا فقال له الاعمش منذ هتك الله
سترك وكان الشافعي عن مالك رحمهما الله يشبهان فيما ذكر حضور المجلس بغير محبرة ودخول الحمام
بغير كرنيب قال فقلت للشافعي لم يذكر الميزر فقال قد احسن ترك الميزر فسوق وقال النبي صلى الله
عليه وسلم حرام على النساء دخول الحمام وحرام على الرجال الا بميزر وقد كان ابن عمر رضي الله عنه يقول الحمام
من النعيم الذي احدثوه وفي احد الوجوه من معنى قوله عز وجل ثم لتسالن يومئذ عن النعيم قال الماء الحار
في الشتاء ولا باس ان يباشره رجل بالتدليك خلا موضع العورة وحدثني بعض اخواني عن بعض العلماء
انه دخل معه الحمام قال فاردت ادلكه فامتنع ثم قال دخلت معه بعد ذلك فجعلت ادلكه فلم يمتنع
فقلت قد كنت امتنعت اول مرة قال لم اكن اعلم فيه اثرا ثم وجدت بعد ذلك يصعم الراسبي
ان رجلا دلكه في الحمام فراى على فخذه مكتوب الله بعرق في جسده فقال لا تنظر اما انه ما كتبه انسان
وفي ذلك ايضا اثر عن يوسف بن اسباط انه لما حضرته الوفاة اوصى ان يغسله فلان انسان لم يكن من
اصحابه ولا كان معروفا بفضل فقيل له في ذلك فقال انه قد كان مرة دلكني في الحمام ولم اكافيه على ذلك
وانا اعلم انه يحب ان يغسلني فاوصيت اليه فيكون ذلك مكافاة مني له ويصلح ان يستدل على ذلك ايضا
بتجويز الغمز للجسد والنظر فقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل منزلا في بعض اسفاره
قال بعض اصحابه فذهبت امشي اتخلل النخل او قال الشجر فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم نائم على
بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال اما ان الناقة تقحمت بي وقال
بعضهم لا يحل دخول الحمام الا بميزرين ميزر لوجهه وميزر لعورته وراى ابن عمر رضي الله عنه رجلا
رجلا عريانا فخرج وهو يقول اعوذ بالله من الشيطان رايت شيطانا وقال مالك رحمه الله من دخل الحمام
وخرج عريانا فلا شهادة له فان كان قاعدا عند الحوض ليغتسل فلا باس وغسل الرجلين بالماء البارد
بعد الخروج من الحمام امان من النقرس والماورد بعده قبل غسل الوجه يشيب اللحية والحنا بعد النورة
يقال انه امان من الجذام ويستحب اهل الطب البول قايما في الحمام بعد الايتار وقبل غسل النورة
وامر بعض اطباء الغرب بالنورة في كل شهر واخبر انها تطفي المرارة وتنقي اللون وتزيد في الجماع
وفي السنة الاستحداد في كل اربعين يوما لا يتجاوز ذلك وبعض الطب يقول بولة في الحمام في الشتاء
انفع من شربة دواء والبول في المستحم مكروه من جهة السنة وقيل ان البول في المستحم يورث الوسواس

وبعض اهل الطب يقول نومة في الصيف بعد دخول الحمام تعدل شربة دواء ويستحبون ايضا الغسل
بماء بارد بعد نومة في الصيف وانه نافع للجسد ويقال ان الانسان اذا جاوز الاربعين سنة نقص
في كل يوم الا اليوم الذي يدخل فيه الحمام وان الحمام عندهم في الصيف انفع منه في الشتاء ويكره شرب
الماء البارد عند الخروج من الحمام وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء دخول الحمام وحرمه
على الرجال الا بمئزر فان دخلت امراة الحمام ضرورة من علة او حيض او نفاس في شتاء فلا باس
قد دخلته عائشة رضي الله عنها من سقم كان بها وليمنع الرجل امراته واهله عن دخول الحمام فان لم
يقبلن لم يحل له ان يعطيهن اجرة الحمام وكان الاجر عليهن ولا تحل للمسلمة في الحمام ان تليها
ذمية نهى عمر وابو عبيدة رضي الله عنهما عن ذلك

كتاب حكم التسبب في المعايش وما يجب على التاجر من تعرف العلم

قال الله عز وجل وجعلنا النهار معاشا فذكره فيما عدد
من آياته ونعمه وقال عز وجل وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعل المعايش نعمة طالب بالشكر
عليها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعايش
وقال احل ما اكل العبد من كسب يده وكل بيع مبرور وفي لفظ آخر احل ما اكل العبد كسب يد الصانع
اذا نصح وفي الخبر التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وجاء في الحديث من طلب
الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله عز وجل ووجهه
كالقمر ليلة البدر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ذات يوم جالسا مع اصحابه فنظر الى شاب ذي
جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا الغلام لو كان شبابه وجلده في سبيل الله عز وجل فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن
الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم
فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان وقال ابن مسعود
اني لابغض الرجل اراه فارغا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقال ابراهيم النخعي كان الصانع بيده
احب اليهم من التاجر وكان التاجر احب اليهم من البطال وسئل ابراهيم التاجر الصدوق هو احب
اليك او المتفرغ للعبادة فقال التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد ياتيه الشيطان من
طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهده وقد خالفه الحسن البصري في هذا وروي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما من موطن ياتيني الموت فيه احب الي من موطن اتسوق فيه لاهلي
ابيع واشتري في رحلي وقال ايوب قال لي ابو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعني الغنى

عن الناس والله اعلم ان الغنى من الذي يطاع الله به وكان يقول او بعض السلف اتجروا يا معشر [illegible]
ولو راس المال يجعل لكم من البركة ما لا يجعل لصاحب الزرع وقال ابن محيريز وكان من عباد اهل
الشام ما من طعام آكله ما بين جنبي بعد غنيمة في سبيل الله عز وجل من فيء المشركين اقيم بها حق
الله عز وجل احب الي من طعام من تاجر صدوق قال وكانوا يعدون الكاسب على عياله كالمجاهد في الله عز وجل
ويرون فضله على غيره وروي فيه اثر ان الله عز وجل يحب المؤمن المحترف وفي خبر آخر ان الله عز وجل
يحب العبد يتخذ المهنة يستغني بها عن الناس وحدثني بعض اخواني عن ابي جعفر الفرادي قال
كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما
يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد رحمه الله كم ممن هو في السوق حكمه
ان يدخل الى المسجد فياخذ باذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه اني لاعرف رجلا يدخل السوق
ورده كل يوم ثلثمائة ركعة وثلثين الف تسبيحة قال فسبق وهمي انه يعني نفسه فان كان العبد سوقيا
فليبدا بتعلم علم البيع والشرى والاخذ والاعطاء ومعاملة الناس في البيوع ومعرفة ابواب الربا ليعلم
ذلك قبل الوقوع فيه فيجتنب ذلك ويتقيه وليغد الى المفتي فيساله عن علم حاله كل يوم من وجوه
معاملته ان لم يكن قد تقدم علمه بذلك او لم يكن عالما به في وقت المعاملة فليجعل بكوره الى المفتي
قبل غدوه الى السوق فان لكل عمل علما ولله تعالى في كل شيء حكم ولا يغنيك كبر علم شيء عن صغير علم
غيره فان لم يفعل ذلك دخل عليه الربا والبيوع الفاسدة وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف
في الاسواق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من تفقه والا اكل الربا شاء
او ابى ثم لينصرف بعد العلم بما يدخل فيه فيما ابيح له من تجارة او صناعة بصدق معاملة ونصح
في مبايعة ناويا في ذلك اقامة سنة وامرا بمعروف ونهيا عن منكر وجهادا في سبيل الله عز وجل لان
من اخذ الحق واعطى الحق وعامل بصدق ونصح فهو معاون على البر والتقوى وفي جهاد العدو والهوى
سيما في زمان يكثر فيه الباطل لان فلاح الدين بصلاح الدنيا وفساده بفسادها لتعلق احدهما بالآخر
وحاجة كل واحد منهما الى صاحبه وفي الخبر لا يستقيم عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه
حتى يستقيم لسانه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن قوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون من هؤلاء فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام
قلبه وعف بطنه وفرجه ثم لينو المتصرف في معاشه كف نفسه عن المسألة والاستغناء عن الناس
وقطع الطمع فيهم والتشوف اليهم فذلك له عبادة اذا نوى تركه ثم ليستحب السعي على نفسه واطعام عياله

فهو بصيغة وعليه الصدق في القول والنصح في معاملة إخوانه المسلمين لأجل الدين وبفعله بصحة
النية منه ونصحه لهم ورحمته إياهم ويعمل في ذلك بكون أبدا متقيا للدين والتقوى في كل شيء فإن
انطمست دنياه بعد ذلك حمد الله عز وجل فكان ذلك ربحا ورجحانا وإن تكدرت لذلك دنياه وتعذرت
لأجل الدين والتقوى أحواله في أمور الدنيا كان قد أحرز دينه وربحه وحفظ رأس ماله من تقواه وسلم له
فهو المعول عليه والحاصل له لأن من ربح من الدنيا مثل المال وخسر عشر الدين فما ربحت تجارته ولا
هدي سبيله وهو عند الله عز وجل من الخاسرين وقال بعض السلف أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه
في الآجل وأحوج شيء إليه في العاجل أحمده عاقبة في الآجل وكذلك قال معاذ بن جبل في وصيته إنه لا بد
لك من نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فابدأ بنصيبك من الآخرة فخذه فإنه سيمر
على نصيبك من الدنيا فينتظمه لك انتظاما ثم يزول معك أينما زلت وقد قال الله عز وجل ولا تنس
نصيبك من الدنيا معناه لا تترك نصيبك في الدنيا من الدنيا للآخرة لأنك ههنا تكتسب الحسنات فتكون
هناك في مقام المحسنين ففي الخطاب مضمر لدليل الكلام عليه في قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك
ولا تبغ الفساد في الأرض وقد قال بعض العلماء من دخل السوق ليشتري ويبيع وكان درهمه أحب
إليه من درهم أخيه لم ينصح المسلمين في المعاملة وقال عالم آخر من باع أخاه شيئا بدرهم وهو يصلح
له بخمسة دوانيق فإنه لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه حتى لا يبيع أخاه شيئا بدرهم إلا وهو يصلح
له اشتراؤه بدرهم فينبغي لهذا المتصرف أن يستوي في قلبه درهمه بدرهم أخيه ورحله برحل أخيه ليعدل
فيما يبيعه أو يشتري منه سواء بسواء ويكون مراعيا لموافقة حكم الله عز وجل الذي ورد به الشرع
في الشرى والبيع مراعيا للسبب الذي يصل به إليه الدرهم أن يكون السبب معروفا في العلم مباحا في الحكم
ويكون متورعا في عين الدرهم المعاوض لا يكون خيانة أو سرقة أو فسادا أو غصبا أو غيلة أو حيلة
فهذه وجوه الحرام التي تحرم بها المكاسب المباحة فإذا كان متجنبا لهذه المعاني لم يشهد أحدها بعينه
أو لم يعلمه من غيره فكسبه حينئذ شبهة ولا يكون مع ذلك حلالا لإمكان دخول أحد هذه الأسباب
فيه ولأنه على غير تيقن ومعاينة فيه بصحة أصله وأصل أصله لقلة المتقين وذهاب الورعين
إلا أنه شبهة الحلال وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بلبن فقال من أين لكم هذا فقيل من شاة
كذا فقال ومن أين هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال إنا معاشر الأنبياء أمرنا
أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا وقال إن الله عز وجل أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال
يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال كلوا من طيبات ما رزقناكم فسأل النبي صلى الله
عليه وسلم

من أصل الشيء وأصل أصله ولم يسأل عما وراء ذلك لأنه قد يتعذر الوقوف على حقيقة ذلك في أموال
التجار والصناع قد اختلطت بأموال الأجناد وهم يأخذون ذلك بغير استحقاق فكانوا من أكل المال
بالباطل إذ قد وافقوا نفوسهم وارتبطوا دوابهم في سبيل الهوى فصاروا يأخذون العطاء بغير حق ولا
يملكون ذلك ثم يفشو ذلك في أموال التجار والصناع وهم لا يحترزون من ذلك ولا يتورعون عنه لقلة
التقوى وعدم الورع فلذلك غلب الحرام لأن الحلال إنما هو فرع التقوى والورع إذا كثر المتقون وظهر
الورعون كثر الحلال وإذا قلوا فشا الحرام وانتشر فصار الحلال مستهلكا غامصا في الحرام لغربة الورعين
وخفية المتقين وإنما كان الحلال في القرن الأول موجودا لوجود السلف الصالح وكان الناس ورعين وكانوا
لا يأخذون ما ليس لهم بحق وكانوا متقين فكانوا يتركون بعض حقهم خشية دخول الشبهة عليهم فمن
أجل ذلك كان الحلال كثيرا وقد حكي عن بعض فقهاء العراق أنه قال لا أقبل شهادة شحيح فقيل له لم
قال الشح يحمله على استيفاء حقه وفي استيعاب حقه أخذ ما ليس له ثم قال حدثني عطاء عن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه أنه قال ما استقصى كريم قط ثم تلا قوله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض وفي الخبر
كنا نترك سبعين بابا من الحلال مخافة باب واحد من الحرام وقال الحسن أدركت من مضى يعرض على أحدهم
المال الحلال فيقول لا حاجة لي به أخاف أن يفسد علي قلبي وقد كانت الأئمة عدولا فكانت الجنود
لهم معاونين على التقوى يأخذون عطاءهم بحق وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذكر الخيل
اختصرناه فقال والخيل لرجل وزر وهو الذي يربطها فخرا ورياء وسمعة ونواء على الإسلام فما أكلت
وشربت في أجوافها حتى أبوالها وأرواثها أوزار في ميزانه يوم القيامة وقد قال الله سبحانه احشروا
الذين ظلموا وأزواجهم يعني أشباههم وأعوانهم وقال الثوري يقال يوم القيامة ليقم ولاة السوء
وأعوانهم قال فمن لاق لهم دواة أو حمل لهم لبدا أو أعانهم على أمر فهو معهم وجاء رجل إلى ابن المبارك
فقال إني خياط فربما خطت شيئا لبعض ولاة السلطان فماذا ترى أكون من أعوان الظلمة فقال لست
من أعوان الظلمة بل أنت من الظلمة إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الإبر والخيوط وكان بعض العلماء
قد جلس في ديوان بعض الأمراء فكتب الأمير كتابا فقال ناولني الطين أختم به الكتاب فقال له ناولني
الكتاب الذي كتبته حتى أنظر فيه ولم يناوله وفعل مثل ذلك سفيان الثوري مع المهدي وكان
بيد المهدي درج أبيض وقد أدخل عليه الثوري فقال له يا أبا عبد الله أعطني الدواة حتى أكتب
فقال أخبرني بأي شيء تكتب فإن كان حقا أعطيتك وإلا كنت عونا لك على الظلم وكان بمكة
أمير قد أمر رجلا أن يفرض له على الصباغ في عمارة سور ثغر من الثغور قال فوقع في نفسي من ذلك شيء

فسألني شعبان عن ذلك فقال لا تفعل ولا تكن عونا لهم في قليل ولا كثير فقلت يا أبا عبد الله سور
في سبيل الله عز وجل للمسلمين فقال نعم ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفوك أجرك
فتكون قد أحببت من يعصي الله عز وجل وقد جاء في الخبر من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله بقا
عز وجل في أرضه وفي الحديث إن الله عز وجل ليغضب إذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من أكرم فاسقا
فكأنما أعان على هدم الإسلام وليجتنب هذا السوقي البيوع الفاسدة مثل بيع الغرر وبيع الخطر والمجهول
ومثل بيعتين في بيعة أحدهما مصارفة ومشارطة ولا يبيع ما ليس عنده ولا ما اشتراه حتى يقبضه
ولا يبيع الدين بالدين ولا يبتاعان الثمار حتى يبدو صلاحها وتؤمن عليها العاهة ومن النخيل حتى تحمر
أو تصفر ومن العنب حتى يلين أو يسود ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجش وهو أن يعطي
بسلعة شيئا وهو لا يريد أن يشتريها إنما يغري غيره بها ولا يبتاعان شيئا من ذهب وخرز مثل
القلادة وغيرها حتى يفصل كل واحد على حدته كذلك السنة ولا يبتاعان ما لم يظهر من الحيوان بعد
والثمار ويجتنب القبالات مشاهرة إلا شهرا بشهر أو سنة فقد كره ذلك وليتق كل بيع وشرى
أخبر العلم ببطلانه من دخول ربا فيه أو خروج من حكم العلم به فإن ذلك كله منقصة للدين محبطة
للكسب فإن أشكل عليه شيء من هذه الأمور بحقائقها سأل أهل العلم والفتيا وأخذ عنهم مثل مذهب
الورعين ورأي المتقين وليحتط لدينه وينظر لنفسه ولا يبعض أمر آخرته فذلك خير له وأحسن
توفيقا وليجتنب الصنائع المحدثة من غير المعروفة والمعايش المبتدعة في زماننا هذا فإن ذلك بدعة
ومكروه إذ لم يكن فيما مضى من السلف وكلما كان سببا لمعصية من آلة وأداة هو معصية فلا يصنعه
ولا يبيعه فإنه من المعاونة على الإثم والعدوان وكل ما أخذ من المال على عمل بدعة أو منكر فهو بدعة ومنكر
وكل معين لمبتدع أو عاص فهو شريكه في بدعته ومعصيته وآخذ العوض على جميع ذلك من آكل المال
بالباطل ومن آكل الحرام فقد قتل نفسه وقتل أخاه لأنه أطعمه إياه قال الله عز وجل ولا تأكلوا أموالكم
بينكم بالباطل ثم قال ولا تقتلوا أنفسكم وليس هذا من سبيل المؤمنين وقد قال الله عز وجل ويتبع غير
سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم ولا ينبغي للسوقي أن يقطعه معاش الدنيا عن معاش
الآخرة ولا تقطعه تجارة الدنيا عن تجارة الآخرة ولا يمنعه سوق دنياه عن سوق آخرته لأنه من الموقنين
وبيوت الله عز وجل في الأرض هي سوق الآخرة قال الله عز وجل رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وقال عز وجل في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له
فيها بالغدو والآصال رجال فليجعل العبد طرفي النهار لخدمة سيده بذكره وتسبيحه في بيته

بحسن معاملته وقد كان عمر رضي الله عنه يأمر التجار فيقول اجعلوا أول نهاركم لله عز وجل وما بعد
ذلك لسوقكم وفي أخبار السلف كانوا يجعلون أول النهار للآخرة وآخره للدنيا ويقال إن الهريسة
والرؤوس لم يكن يبيعها في الشتاء إلا الصبيان وأهل الذمة لأن الهراسين والرواسين يكونون في المساجد
إلى طلوع الشمس ويقال إنهم كانوا يجتمعون في المساجد بعد العصر للذكر والتسبيح حتى يدخل الرجل فيقول
المسلم العصر نظن أنهم قعود للصلاة وإنما كانوا يقعدون للتسبيح إلى غروب الشمس وهذا طريق قد
درس فمن عمل به فقد كشفه قال بعض العارفين الناس ثلاثة رجل شغله معاده عن معاشه فذلك
درجة العابدين ورجل شغله معاشه لمعاده وتلك درجة التاجر ورجل شغله معاشه عن معاده
فهذه حال الهالكين وقال عالم فوقه من أحب الله عز وجل عاش ومن أحب الدنيا طاش والأحمق يغدو ويروح
في لا شيء وكان عمر رضي الله عنه إذا دخل السوق يقول اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر
ما أحاطت به السوق اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة كاذبة خاسرة ولذاكر الله عز وجل في السوق
ما لا يجد في سواه فليغتنم ذكر الله عز وجل في ساعات الغفلة وعند تزاحم الناس في الشرى والبيع وكان
الحسن رضي الله عنه يقول ذاكر الله عز وجل في السوق يجيء يوم القيامة وله ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان
الشمس ومن استغفر الله عز وجل في السوق غفر له بعدد أهله وفي الخبر العام ذاكر الله عز وجل في الغافلين
كالمقاتل عن الفارين وكالحي بين الأموات وفي الحديث خاص من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله عز وجل
له ألفي ألف حسنة وكان ابن عمر ومحمد بن واسع يدخلان السوق قاصدين ليذكرا الله عز وجل طلبا للفضيلة
فإن دخلت سوقا أو كنت فيه فلا يفوتنك التهليل والذكر فهو عمل وقتك ولا تقعدن في السوق لغير
ذكر الله عز وجل أو لغير معاش فقد كره ذلك فإذا سمعت التأذين للصلاة فليأخذ في أمر الصلاة لا يؤخرها
عن الجماعة وإلا كان فاسقا عند بعض العلماء إلا أن يكون في الوقت سعة أو يكون ناويا للصلاة في جماعة
أخرى في مسجد آخر وإدراكه لتكبيرة الإحرام في الجماعة أحب إليه من جميع ما يربح من جميع الدنيا إلى أن
يموت وفوتها أعز عليه وأشد من جميع ما يخسر من الدنيا هذا إذا عقل وأبصر تبين له ذلك وقد كان
السلف من أهل الأسواق إذا سمعوا الأذان ابتدروا المساجد يركعون إلى الإقامة وكانت الأسواق
تخلو من التجار وكان في أوقات الصلوات معاش للصبيان ولأهل الذمة وهذه سنة قد عفت من
عمل بها فقد نعشها وجاء في تفسير قوله عز وجل لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة
قيل كانوا حدادين وخرازين فكان أحدهم إذا رفع المطرقة أو غرز الإشفى فسمع الأذان لم يخرج الإشفى

من المغرب ولم يرفع الطرف فقد رمى بها وقاموا الى الصلاة ورويناه عن ابن وهب قال قال مالك في رجل
باع بعد النداء يوم الجمعة يفسخ ذلك البيع قيل عامدا ترك القيام اليها وهو حر قال يستغفر الله
عز وجل وقال ربيعة ظلم واساء وقال مالك يحرم البيع حين يخرج الامام يوم الجمعة وليجتنب الصانع
عمل الزخرف من الاشياء وما يكون لهوا وزينة وشغلة من التصاوير والسوس وتخريم العاج ودقايق
النقوش من العاج وتشييد الجص والتزويق والاصباغ المشهرات فان عمل ذلك يكره حله واخذ الاجر
عليه شبهة وقد كان بعض السلف يقول تخيروا لاولادكم الصنايع وروي عن حذيفة ان الله عز وجل
خلق كل صانع وصنعته وقد كانوا يكرهون بيع الطعام وبيع الدقيق وقد روي في كراهية بيعهما حديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الخبر ان الله عز وجل يحب العبد الحاذق في صنعته وفي خبر آخر ان
الله عز وجل يحب اذا عمل عبده عملا ان يحكمه وفي لفظ آخر ان يتقنه واوصى بعض العارفين
رجلا لا تسلم ولدك في بيعتين ولا صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانما يتمنى الغلاء ويتمنى
موت الناس والصنعتان ان يكون جزارا فانها صنعة تقسي القلب او صواغا فانه يزخرف الدنيا
بالفضة والذهب وروى عثمان الشحام عن ابن سيرين انه كره الدلالة وسعيد عن قتادة انه كره اجر
الدلال وكانت العرب تقول بع الحيوان واشتر الموتان كانهم كرهوا رد الثمن في الحيوان لما يخاف من تلفه
واستحبوا شرى الموات ما لا روح فيه وقد كانوا يستحبون التجارة في البز قال ابن المسيب ما من تجارة
احب الي من البز ان لم تكن فيه ايمان وقد روي خبر آخر خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز
وفي حديث آخر لو اتجر اهل الجنة لتجروا في البز ولو تجر اهل النار لتجروا في الصرف وقد كره الحسن وابن
سيرين التجارة في الصرف وسئل الحسن عن الصيرفي فقال الفاسق لا تستظلن بظله ولا تصلين
خلفه والبستاني والجمال والملاح وصاحب الحمام والحشاش والمزين وقد كانت هذه الصنايع العشر
اعمال الاخيار والابرار الخرز والتجارة والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد
وعمل المغازل وصيد البر والبحر والوراقة حدثونا عن عبد الوهاب الوراق قال قال لي احمد بن حنبل رضي الله عنه
ما صنعتك فقلت وراق فقال كسبك طيب وصنعتك طيبة ولو كنت صانعا بيدي شيئا لصنعت
صنعتك ثم قال لي لا تكتب الا مواصفة واستثن الحواشي وظهور الاجزاء وكان مالك بن دينار
وراقا فكان السلف رضي الله عنهم يستطيبون كسبه ويفضلونه وكل عمل يتقرب به الى الله عز وجل
ويكون من اعمال الآخرة ومن البر والمعروف فاخذ الاجر عليه مكروه مثل تعليم القرآن وتعليم العلم
ومجالس الذكر والصلاة بالناس في رمضان وغسل الموتى وما كان في هذا المعنى لان هذه تجارات الآخرة

قال ابو محمد فمن اخذ اجرها من الدنيا فقد خسر خسرانا مبينا من اخذ اجره اليوم من الدنيا اذا ربح المخلصون فيها
واخذوا اجورهم التي صبروا عليها في الدنيا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان بن ابي العاص واتخذ
مؤذنا لا ياخذ على الاذان اجرا وقال في حديث ابي عبادة وقد اهدى اليه قوس وكان قد علم رجلا سورة
من القرآن اتحب ان يقوسك الله عز وجل قوسا من نار فردها وليجتنب التاجر الاحتكار لما يوكل ويقتات
من القطنية وغيرها اشد ذلك الحنطة التي هي قوت الكافة فقد نهي في كراهة الاحتكار والتشديد فيه
اخبار كثيرة روى ابو حذيفة رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم من احتكر طعام المسلمين فليس منا
وفي خبر آخر من احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره وقيل من
احتكر اربعين يوما فكانما قتل نفسا وفي خبر آخر القاه الله عز وجل في معظم من جهنم وعن علي عليه السلام
من احتكر الطعام اربعين يوما قسا قلبه وروي في فضل ترك الاحتكار من جلب طعاما فباعه بسعر
يومه فكانما تصدق به وفي لفظ آخر فكانما اعتق رقبة ومن العلماء من كان يجعل الاحتكار في كل
ماكول من الحبوب والادام مثل العدس والباقلي والسمن والعسل والشيرق والجبن والتمر والزيت ويكره
احتكار جميع ذلك وروي نحو هذا عن ابن عباس وفي قوله عز وجل ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من
عذاب اليم قيل الاحتكار من الظلم وحدثونا عن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة
الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم تدخل البصرة ولا تؤخره الى غد قال فوافق السعر
فيه سعة فقال له التجار ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافا فاخره جمعة فربح فيه امثاله فكتب الى
صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا قد كنا قنعنا ان نربح الثلث مع سلامة ديننا وانك
قد خالفت امرنا وقد جنيت علينا جناية فاذا اتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء
اهل البصرة وليتني انجو من الاحتكار كفافا لا لي ولا علي وحدث شيخنا عابد الشط مظفر بن
سهل قال سمعت غيلان الخياط يقول اشترى سري السقطي كر لوز بستين دينارا وكتب في
روزنامجه ثلثة دنانير ربحه فصار بسبعين دينارا فاتاه الدلال فقال له ان اللوز اريده فقال خذه
قال بكم قال بثلاثة وستين دينارا قال الدلال قد صار الكر بسبعين قال قد عقدت بيني وبين الله
عز وجل عقدا لا احله لست ابيعه الا بثلثة وستين دينارا فقال الدلال وانا قد عقدت بيني وبين الله
ان لا اغش مسلما لست آخذ منك الا بسبعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا سري باعه وحدثونا
عن رجل من التابعين كان بالبصرة له غلام بالسوس يجهز اليه السكر فكتب اليه غلامه ان قصب
السكر قد اصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته

ربح فيها ألف قال فانصرف بها إلى منزله فافتكر ليلته في الربح فقال ربحت على ألف وتركت
نصح رجل مسلم فلما أصبح غدا إلى الرجل الذي كان اشترى منه السكر فدفع إليه الثلث ألفا فقال هذه
لك بارك الله لك فيها قال ومن أين صارت لي قال لما اشتريت منك السكر لم آت الأمر من وجهه إن غلامي
قد كان كتب إلي أن قصب السكر قد أصابته آفة فلم أعلمك ذلك ولعلك لو علمته لم تكن تبيعني
فقال رحمك الله فقد أعلمتني الآن وقد طيبتها لك قال فرجع بها إلى منزله فبات تلك الليلة ساهرا
وجعل يتفكر في ذلك ويقول لم آت الأمر من وجهه ولم أنصح مسلما في بيعه ولعله استحيى مني فتركها
لي فبكر إليه من الغد فقال عافاك الله خذ مالك إليك فهو أصلح لقلبي قال فدفع إليه الثلث ألفا ○
وقال سليمان التيمي لقد ترك محمد بن سيرين أربعين ألفا من شيء حاك في صدره فلم يختلف العلماء أن
ليس به بأس ويقال إن ذلك كان سبب فقره وعلة الدين عليه ثم ليتق البائع مدح السلعة وتنفيقها
بزخرف الكلام وليحذر المشتري ذمها وعيبها بما ليس فيها للخداع وأما الأيمان على ذلك فهي معصية
وتمحيق للكسب وقد كان السلف يشددون في ذلك قال أبو ذر كنا نتحدث أن نفرا لا ينظر الله
عز وجل إليهم منهم التاجر الفاجر وكنا نعد من الفجور أن يمدح السلعة بما ليس فيها وروي أن يونس
ابن عبيد كان خزاز الخز فأتاه رجل يطلب ثوب خز فأمر غلامه أن يخرج رزمة الخز فلما فتحها قال الغلام
أسأل الله الجنة فقال شد الرزمة ولم يبع منها شيئا خشية أن يكون قد مدح ويقال إنه كان عنده
حلل على ضربين أثمان ضرب منها أربعمائة كل حلة وأثمان أخر مائتان فذهب إلى الصلاة وخلف ابن أخيه
يبيع فجاءه أعرابي فطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها
منه فمشى بها وهي على يده ينظر إليها خارجا من السوق فاستقبله يونس بن عبيد خارجا من المسجد
فعرف حلته فقال بكم أخذت هذه الحلة فقال بأربعمائة قال لا تساوي ذلك إنما قيمتها مائتا درهم
فقال يا هذا إن هذه تساوي ببلدنا خمسمائة درهم فقال له يونس إن النصح في الدين خير من الدنيا كلها
ثم أخذ بيده فرده إلى ابن أخيه فجعل يخاصمه ويقول أما اتقيت الله عز وجل أما استحييت أن تربح
مثل هذا الثمن وتترك النصح لعامة المسلمين فقال والله ما أخذ إلا عن تراض فقال وإن رضي فألا
رضيت له ما رضيت لنفسك ثم رد على الأعرابي مائتي درهم وقد فعل ذلك محمد بن المنكدر وكان عنده
شقاق حابية وبصرية أثمان بعضها خمسة خمسة وأثمان الأخر عشرة عشرة فخلف غلامه في الحانوت
فغلط فباع أعرابيا شقة من الخمسيات بعشرة فجاء ابن المنكدر فتفقد الشقاق فعرف غلطه
فقال له ويلك أهلكتنا اذهب فاطلب الأعرابي في الأسواق فلم يزل يطلبه يومه أجمع حتى يجده

فقال ابن المنكدر يا هذا إن الغلام غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال
إن رضيت لنفسك فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث خصال إما أن تأخذ شقة
من العشريات بدراهمك وإما أن نرد عليك خمسة وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك فقال أعطني خمسة
فرد عليه من دراهمه خمسة وانصرف الأعرابي فجعل يسأل عنه فيقول من هذا الشيخ فقيل هذا محمد بن المنكدر
فقال لا إله إلا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قحطنا وقد سئل بعض العلماء عن الورع في البيع
فقال لا يصح الورع في البيع إلا بحقيقة النصح قال وكيف ذلك قال إذا بعته شيئا بدرهم نظرت فإن
صلح لك أن تشتريه بدرهم فقد نصحت في البيع وإن كان يصلح لك بخمس دوانيق وقد بعته بدرهم فإنك
لم ترض له ما رضيت لنفسك فقد ذهب النصح وإذا ذهب النصح عدم الورع ويقال إن البائع يوقف يوم القيامة
مع كل رجل باعه شيئا وقفة ويحاسب مع كل واحد محاسبة على عدد من اشترى منه ومن عامله في الدنيا عمل
وذكر بعضهم قال رأيت بعض التجار في النوم فقلت ما فعل الله بك قال نشر علي خمسون ألف صحيفة فقلت
هذه كلها ذنوب قال هذه معاملات الناس عدد من كنت عاملته في الدنيا لكل إنسان صحيفة مفردة
فيما بينك وبينه من أول معاملته إلى آخرها فإن كان البائع ذا ميزان فليرجح في الوزن إذا باع وأعطى ولينقص
لنفسه إذا أخذ سيما إن كان ذا ميزانين كان الأمر عليه أشد وقد كان بعضهم يقول لا أشتري الويل من الله تعالى
بحبة فكان إذا أخذ نقص نفسه حبة وإذا أعطى زاد غيره حبة لقول الله عز وجل ويل للمطففين يعني الذين
رضوا بالتطفيف بالحبة والحبتين فباعوا بذلك جنة عرضها السموات والأرض بجهلهم بأمر الله عز وجل وقلة
يقينهم بالآخرة إذا اشتروا الويل بطوبى ويقال إن هذه المظالم لا تؤدى أبدا ولا تصح التوبة منها لتعذر
معرفة أصحابها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اشترى شيئا فلما وزن ثمنه قال للوزان زن وأرجح
ونظر الفضيل بن عياض إلى ابنه علي رحمهما الله وهو يغسل كحلا من دينار أراد أن يصرفه فجعل ينقيه
ويغسله من كحله فقال يا بني فعلك هذا أفضل من عشرين حجة وقال بعض السلف عجبت للتاجر والبائع
كيف ينجو من يحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان عليه السلام كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل
الخطيئة بين المتبايعين وحدث أن بعض السلف صلى على مخنث كان يجمع بين الرجال والنساء وغير ذلك
فقيل له إنه كان فاسقا وكان كذا وكذا فسكت فأعاد عليه القائل فسكت فأعاد عليه القائل فسكت قال
فمه كأنك قلت لي كان صاحب ميزانين يأخذ بأحدهما ويعطي بالآخر هذا على التغليظ والوعظ أراد أن التطفيف يأخذ
مظالم بين الخلق وأن الفسوق ظلم العبد لنفسه وبين مظالم العباد إلى ظلم العبد لنفسه بون كبير من
قبل أن الخلق فقراء جهلة لئام فليستوفوا حقوقهم لحاجتهم إليها والله عز وجل عالم غني كريم فيسمح بحقه

لا ينبغي للمشتري أن يسأل البائع الرجحان لأن الله عز وجل قال وأقيموا الوزن بالقسط يعني العدل لا هو
الميل وهو استواء اللسان في البحرة لا ميلا إلى إحدى الكفتين وفي قراءة عبد الله ولا تطغوا في الميزان
وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان فهذا متشرع في هذا الحرف ويكره المعاملة بالمزيفة ولا
تصلح بدرهم تكون الفضة فيه مجهولة أو مستهلكة ولا بما لا يعرف قيمته وما يختلط بالفضة من غيرها
فلا يمتاز منه فقد كان بعض السلف يشدد في ذلك ويحرمه منهم الثوري والفضيل بن عياض ووهيب بن الورد
وابن المبارك وبشر بن الحارث والمعافى بن عمران ويقال إن كل قطعة من المزيف ينفقها صاحبها يجدها
ملصقة في صحيفته بعينها وصورتها تحتها مكتوب ألف سيئة خمسة آلاف سيئة على قدر وزنها وزن كل
ذرة منها سيئة والذرة نقطة من هباءة من شعاع الشمس في الضوء حدثني بعض العلماء عن بعض الغزاة
في سبيل الله عز وجل قال فحملت على فرسي لأتناول بعض العلوج فقصر فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت
عليه ثانية لأتناوله فقصر فرسي ثم حملت عليه الثالثة وقد قرب مني فنفر بي فرسي ولم أكن أعتاد ذلك منه
فرجعت حزينا فجلست إلى جنب فسطاطي منكسر القلب للذي فاتني من أخذ العلج ولما خالف علي من خلق
فرسي قال فوضعت رأسي على عمود الفسطاط فنمت وفرسي قائم بين يدي فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبني
ويقول بالله عليك أردت أن تأخذ علي العلج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت علفا ودفعت في ثمنه
درهما زائفا لا يكون هذا أبدا قال فانتبهت فزعا فذهبت إلى العلاف فقلت له أخرج إلي الدراهم التي
اشتريت بها منك بالأمس العلف قال فأخرجها إلي فأخذت منها الدرهم الزائف فقلت إني كنت قد
جوزت عليك هذا الدرهم بالأمس قال فأبدلته له وانصرفت وقال عبد الوهاب سألت بشرا عن المعاملة
بالمزيفة فقال سألت المعافى عنها فقال سألت الثوري عنها فقال حرام وحدثنا عن أبي داود قال
سمعت أحمد رضي الله عنه أنكر التجارة والمعاملة بالمزيفة والمكحلة وقد كان بعض علمائنا يقول إنفاق
درهم مزيف أشد من سرقة مائة درهم قال لأن سرقة مائة درهم معصية واحدة منقضية وإنفاق دانق
مزيف بدعة أحدثها في الدين وأظهر سيئة يعمل بها بعده وإفساد مال المسلمين فيكون عليه وزره بعد موته
إلى مائة سنة وأكثر ما بقي ذلك الدرهم يدور في أيدي الناس ويكون عليه إثم ما أفسد ونقص من أموال المسلمين
إلى آخر فنائه وانقراضه فطوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه بعده
مائة سنة ومائتي سنة يعذب بها في قبره ويسأل عنها إلى آخر انقراضها قال الله عز وجل ونكتب ما قدموا ما عملوا
وآثارهم ما سنوا بعدهم فعمل به وقال في وصفه ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر قيل بما قدم من
عمل وما أخر من سيئة فعمل بها بعده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة يعمل بها بعده

كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينتقص من أوزارهم شيئا وإنفاق الدرهم الردي على من يعرف النقد
أشد وأغلظ وهو على من لا يعرفه أسهل ويكون به أعذر لأن هذا لا يتعمد الغش والأول يتعمده ويقصده
وإنما كان المسلمون يتعلمون جودة النقد لأجل إخوانهم المسلمين لئلا يغشوهم بالردي وإلا فإن تعلم النقد
بلاء وإثم على صاحبه لأنه علم علمه ولم يعمل به فهو يسأل عن علمه ومن ردت عليه قطعة فليقطعها ولا يجوز بها
على بيع آخر ويحتسب بذلك الثواب من الله عز وجل فله من الأجر بوزن كل ذرة منها حسنة وله في طرحها أعمال
كثيرة ونيات حسنة وذلك أفضل له من أن يتصدق بأمثالها جيادا وخير له من كثير من الصوم والصلاة
فإن كان في القطعة تجوز وقد يتصرف بمثلها وأراد أن يشتري بها شيئا فليعلم البائع الثاني أنها قد ردت
عليه فإن أخذها على بصيرة وعن سماحة فلا بأس فإن لم يعلمه فإنه لم ينصحه وربما كان غير بصير بالنقد
فقد روي عن عمر رضي الله عنه من زافت عليه دراهمه فليضعها في كفه وليناد عليها في السوق من سحق ثوب
بدرهم زائف وهذا إذا كانت زائفة على وجهها كالصفر والرصاص كان لها قيمة مثلها وفي قول ابن عمر
لنافع لو حفظت عني كما حفظ عكرمة عن ابن عباس لكان أجل لي من أن يكون درهما زائفا قيل له أفلا
جعلته جيدا قال كذلك كان في نفسي وروينا عن النخعي إذا كان في الدرهم شيء من الفضة وإن قل
فلا بأس به وحدثت عن أبي داود قال سألت ابن راهويه عن إنفاق المزيفة فقال لا بأس به ففيه رخص
بالانتفاع بالزائف إذا عرف ومن سمح في النقد وتجوز في أخذ الردي طلبا للأجر فيما يحتسب ثم أخرج ذلك
على المسلمين وجوزه عليهم بعد ذلك فقد أثم في سماحته وتشديده حينئذ وتقصيه في أخذ الجيد أفضل
وهذا من دقائق الأعمال وباطن الشر في ظاهر الخير اللهم إلا أن يأخذ الردي ثم يلقيه ولا يخرجه على أحد
وإن فعل هذا كان فاضلا محتسبا محسنا في سماحته وله في احتسابه ذلك مثوبة وأجر وينبغي للتاجر
أن يكثر من الصدقة لتكون فيها كفارة خطاياه وأيمانه وكذبه فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم التجار
بالصدقة لذلك وينبغي للتاجر والصانع أن يكونا مستعملين لهذه الخصال فإنها جامعة تشتمل
على جمل أعمال البر فليأخذوا أنفسهم بها فإنها من أخلاق المؤمنين وطرائق المتقدمين وقد ندبوا إلى جميعها
منها أن يسمح إذا باع ويسمح إذا اشترى ويحسن إذا قضى ويحسن إذا اقتضى وليمش بشيء غريمه إليه
ولا يحوجه إلى اقتضائه فيشق عليه وليصبر صاحب الدين على أخيه ويحسن تقاضيه ويجمل له النظرة
ويؤخر حقه إلى ميسرة وليغتنم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم على ذلك ويتنافس في مدحه لمن
فعل ذلك فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اسمح يسمح لك وقال صلى الله عليه وسلم خير الناس
أحسنهم قضاء وقال صلى الله عليه وسلم خذ حقك في عفاف وافيا أو غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا

الإكثار مطلب للتجار

وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله سمح البيع سمح الشرى حسن القضاء حسن الاقتضاء وقال صلى الله عليه وسلم
من مشى الى غريمه بحقه اظلته الملائكة وقال صلى الله عليه وسلم من انظر معسرا او ترك له حاسبه الله حسابا
يسيرا وفي خبر آخر اظله الله عز وجل في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر صلى الله عليه وسلم رجلا كان
مسرفا على نفسه حوسب فلم يجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني كنت رجلا اداين
الناس فاقول لفتياني سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفي لفظ آخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله عز وجل
نحن احق بذلك منك فغفر له وفي خبر آخر من اقرض دينارا الى اجل فله بكل يوم صدقة الى اجله فاذا حل
الاجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة وفي الحديث من ادان دينا وهو ينوي قضاءه
وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يداينون وهم واجدون لاجل هذا
الخبر وكان جماعة لا يحبون ان يقضيهم غرماؤهم دينهم لاجل ذلك الخبر الاول ان له بكل يوم تأخر قضاءه
صدقة وفي الحديث رأيت على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشرة امثالها والقرض بثمانية عشر قيل معناه
ان الصدقة تقع في يد محتاج وغيره والقرض لا يقع الا في يد محتاج مضطر اليه ونظر النبي صلى الله عليه وسلم
الى رجل ملازم رجلا بدين عليه فاومى الى صاحب الدين بيده ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فاعطه
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ادان دينا الى اجل فجاءه صاحب الدين عند حلول الاجل ولم يتفق عند
النبي صلى الله عليه وسلم قضاؤه فجعل الرجل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ويشدد عليه في الكلام فهم اصحابه
به فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوه فان لصاحب الحق مقالا واحب ان يكون اكثر معاونة الانسان بين
البيعين مع المشتري منهما واستحب ان يكون عونه ايضا بين المتداينين مع الذي عليه الدين الا ان
يعتدي من عليه الدين او يعتدي المشتري فيكون حينئذ على المعتدي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
المستبان بالسبة ربا والمتساويان ما قالا فعلى البادي منهما ما لم يعتد المظلوم ويسير المغابنات
في التجارات جائزة موضوع التجارة على الغبن اذا كان عن تراض فاذا تفاوتت القيمة وعظم الغبن
فمكروه وقد يروى في حديث ان غبن المسترسل حرام وفي حديث فيه مقال المغبون لا محمود ولا ماجور
هذا والله اعلم اذا تغابن وهو يعلم فيخسر نفسه حقه ويحمل غيره على ظلمه وكان اياس بن معاوية
قاضي البصرة رحمه الله من علماء الزمان ومن عقلاء التابعين وكانت لابيه صحبة كان يقول لست بخب
والخب لا يخدعني ولا يخدع محمد بن سيرين ولكن يخدع الحسن ويخدع ابي معاوية بن قرة وكان الزبير بن
علي يقول ادركت ثمانية عشر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم رجل يحسن يشتري لحما
بدرهم وقد روي ان الحسن باع بغلة له باربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا ابا سعيد

فقال قد اسقطت عنك مائة قال له المشتري فاحسن يا ابا سعيد فقال قد وهبت لك مائة درهم اخرى فنقص
من حقه مائتي درهم وفي رواية اخرى فقال الحسن قد وهبت لك مائتي درهم فقيل له يا ابا سعيد هذا نصف الثمن
فقال هكذا يكون الاحسان والا فلا وقد كان الحسن والحسين عليهما السلام من خيار السلف يستقصون في الاشتراء
ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال
قائلهم ان الواهب يعطي فضله وان المغبون يغبن عقله وقال آخر انما اغبن عقلي وبصيرتي او قال معرفتي
فلا امكن الغابن من ذلك واذا وهبت انما اعطي لله عز وجل فلا استكثر له شيئا والاخبار في هذه المعاني
تكثر والفضائل فيها تطول ولم نقصد جمع ذلك وقد ذكرنا جملة وهذا كله داخل في البر والتقوى وفي العدل
والاحسان وفي تطوع الخير وفعل المعروف وقد امر الله عز وجل بذلك في مواضع من كتابه وينبغي ان يستعمل
النصح في البيع والشرى وفي الصنعة ويستوي علمهم في المبيع والمشترى وفي المصنوع ويفطن كل واحد منهما
صاحبه بعيب ان كان في السلعة او نقص ان كان في الصنعة ان لم يفطن المشتري لذلك او المستعمل
ليستويا في العلم ويثني كل واحد منهما على صاحبه باحسان وفي الخبر البيعان اذا صدقا ونصحا بورك
لهما في بيعهما واذا كذبا وكتما نزعت بركة بيعهما وفي الخبر يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا
نزعت بركة بيعهما وفي لفظ فاذا تخاونا رفع يده عنهما ولما بايع النبي صلى الله عليه وسلم جريرا على الاسلام
ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم قال فكان جرير اذا قام على السلعة يبيعها
بصر عيوبها ثم خيره فقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقلنا رحمك الله انك اذا فعلت هذا لم ينفذ
لك بيع فقال انما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصيحة لاهل الاسلام وكان واثلة بن الاسقع
واقفا بالكناس في الكوفة فباع رجل ناقة بثلاثمائة درهم وغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى
وراءه وجعل يصوت به حتى رجع فقال يا هذا اللحم اشتريت هذه ام للظهر فقال بل للظهر قال
فان بخفها نقبا قد رأيته وانها لا تتابع السير عليه قال فردها فنقصه البائع مائة درهم فقال
لواثلة رحمك الله افسدت علي بيعي فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم
وفي خبر آخر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد يبيع شيئا الا يبين ما فيه ولا يحل لمن
يعلم ذلك الا يبينه فانظر رحمك الله الى النصح للمسلمين التي يتعذر فعله على كثير من المسلمين
انما جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرط صحة الاسلام وكان يبايع عليه الا انه جعله من فضائل
الدين ولانه قال الدين النصيحة الدين النصيحة ثلاثا ثم سوى بين طبقات الناس فيه فقال لله ولكتابه
ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وقد روي في خبر مشهور لا يزال لا اله الا الله يدفع عن الخلق سخط الله

عز وجل ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم وآخرتهم وفي خبر آخر ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة
دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وفي لفظ آخر
ردت عليهم وفي خبر كأنه مفسر لحديث مجمل من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصها
قال أن يحجزه عما حرم الله عز وجل عليه وخبر مشهور ما آمن بالقرآن من استحل محارمه وقد روينا
عن بعض التابعين لو دخلت هذا الجامع وهو غاص بأهله فقيل لي من خيرهم لقلت من أنصحهم
لهم فإذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قالوا من شرهم قلت من أغشهم لهم فإذا قالوا هذا قلت هو شرهم
والغش في البيوع والصنائع محرم على المسلمين ومن كثر ذلك منه فهو فاسق ومن الغش أن ينشر على
المشتري أجود الطرفين أو يظهر من المبيع أجود اللونين أو يكشف من الصنعة أحسن الوجهين روي
أن النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما فأعجبه ظاهره فأدخل يده فرأى بللا فقال ما هذا
قال أصابته السماء قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غش فليس مني وفي حديث
عبد الله بن أبي ربيعة مر على طعام مصبر فارتاب منه فأدخل يده فإذا الطعام ممطور فقال ما هذا
فقال والله طعام واحد يا رسول الله قال فهلا جعلت هذا وحده وهذا وحده حتى يأتوك إخوانك فيشترون
شيئا يعرفونه من غشنا فليس منا وحدثني بعض إخواننا أن رجلا حذاء سأل أبا سالم كيف أسلم
في بيع النعال قال استجد الأسفل وليكونا سواء واجعل الوجهين شيئا واحدا لا تفضل اليمين وجود
الحشو ليكن واحدا وقارب بين الخرز ولا تطبق إحدى النعلين على الأخرى فينبغي للبائع والصانع أن
يظهر من المبيع والمصنوع أردأ ما فيه وأرذله ليقف المشتري والصانع على عيوبه ويكونا على بصيرة صنع
من باطنه وباع ابن سيرين شاة له فقال للمشتري أبرأ إليك من عيب فيها قال وما هو قال تقلب
العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري إنها قد تنخمت مرة عندنا دما ويبين
دقائق الأعمال والبيان في ذلك مما لا يعلمه المشتري أو المستعمل فهو من النصح والصدق وذلك
من التقوى والورع في البياعات والإجارات ويكون الكسب من ذلك أحل وأطيب فليجتنب المسلم
بجهده ذلك كله ويكرهه فهذه سيرة السلف وطريقة صالحي الخلف رضي الله عنهم واستحب له أن يتوخى
في الشراء والبيع ويتحرى أهل التقوى والدين ويسأل عمن يريد أن يبايعه ويشاريه وأكره له معاملة من
لا يرع عن الحرام ومن الغالب على ماله الشبهات حدثنا عن محمد بن شبيبة ابن أخت ابن المبارك قال
كتب غلام ابن المبارك إليه أنا نبايع أقواما يبايعون السلطان فكتب إليه ابن المبارك إذا كان الرجل
يبايع السلطان وغيره فبايعه وإذا فضل شيئا فاقبض منه إلا أن يقضيك شيئا تعرفه بعينه حراما

فلا تأخذه وإذا كان لا يبايع إلا السلطان فلا تبايعه وحدثنا بعض الشيوخ عن شيخ له من الخلف
الصالح قال أتى على الناس زمان كان الرجل يأتي إلى مشيخة الأسواق فيقول من ترون لي أن أعامل
من الناس من أهل الصدق والوفاء فيقال له عامل من شئت ثم أتى عليهم وقت آخر فكان الرجل
يقول من ترى لي أن أعامل فيقال عامل من شئت إلا فلانا وفلانا ونحن في زمان إذا قيل لنا من نبايع
قيل لفلان وأخشى أن يأتي على الناس زمان يذهب هذا أيضا ولا يحلف ولا يكذب ولا يخلف موعدا
فإن اليمين الكاذبة ممحقة للكسب وقد قيل ويل للتاجر من لا والله وبلى والله وويل للصانع من اليوم
وغد وبعد غد أبو عمرو الشيباني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر الله
عز وجل إليهم يوم القيامة عبد مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه ولا يمدح إذا باع
أو صنع صنعة ولا يذم إذا اشترى واستعمل صانعا فإن هذا لا يزيد في رزقه ولا ينقص من تركه وهذا
من اليقين بالرزق في هذا الباب وفعله يزيد في الذنوب وينقص من الدين وعلى الصانع أن يبلغ غاية النصح
في صنعته ويتقي فسادها بسرعة فناء الصنعة أو كثرة بقائها فينبغي أن يشفق بنهاية علم الصانع بصلاح ح
الصنعة وحسن بقائها مع نهاية بغية مستعملها من تجويدها وإحكامها ويتقي من فسادها ومما يسرع
إلى فنائها مما لا يفطن له مستعمله فإذا فعل الصانع والتاجر ذلك كانا قد عملا بعلمهما وسلما من المطالبة
والمسائلة عنه وإلا فهما يسألان عن ذلك فيقال ماذا علمتم فيما عملتم إذ كانوا على علم من التجارة والصناعة
وبهذه الأشياء عماد المملكة فلا بد أن يسألا عن ذلك كما يسأل من كان على علم من الدين والإيمان لأن لهم
في علوم العقل والتمييز من أبواب الدنيا أحوالا أيضا ومقامات من حيث كان عليهم في ذلك تكليف وعبادات
ويقال إذا أثنى على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه
وشهد عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل بشهادة فقال ائتني بمن يعرفك فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا
فقال له عمر رضي الله عنه أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه قال لا قال فكنت رفيقه في السفر
الذي يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا قال فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجال
قال لا قال أظنك رأيته قائما في المسجد يصلي يخفض رأسه طورا ويرفعه له زمزمة بالقرآن قال نعم قال
اذهب فلست تعرفه وقال مرة أنت القائل ما لا تعلم ثم قال للرجل اذهب فأتني بمن يعرفك وقد كان
من سيرة السوقة فيما سلف أنه كان للبائع دفتران للحساب أحدهما ترجمته مجهول فيها أسماء من لا يعرف
من الفقراء والضعفاء وذلك أن المسكين والضعيف كان يرى المأكول فيشتهيه أو يحتاج إليه ولا يمكنه
أن يشتريه فيقول للبائع أحتاج إلى خمسة أرطال من هذا أو عشرة وليس عندي ثمنه فيقول خذ إلى ميسرة

فاذا رزقتهم فاقبض واكتب اسمه في الدفتر المجهول قال ولم يكن يفعل هذا من خيار المسلمين الا كان الحسن
خير اهل عصره الا يكتب اسمه في دفتره ولا يجعله دساجيا عليه مظلمة عنده لكن يقول خذ حاجتك
مما تريد فان وجدت فاقبض وان لم تجد فانت في حل ولا تضيقن فليكن لذلك وهذا طريق من مات
ممن قام به فقد احياه وكان مثل هولاء من المتقدمين اكثر من ان نستعهم كتاب ومن نصح دقائق
النصح وشدد على نفسه غاية التشديد وسمح لاخوانه نهاية الجود اكثر من ذلك وانما ذكرنا هولاء
لننبه الغافلين على اعمالهم ونكشف بعض ما عفا من طريقهم ولم يكن هولاء المذكورون من السوقة
من خيار الناس كلهم انما كان الاخيار المسجدية العباد والنساك المنقطعين الى الله عز وجل والزهاد
واذا حصلت كفاية السوقي في بعض يومه فليجعل بقيته لآخرته فقد كان السلف رضي الله عنهم من
يتخلف في حانوته بعد صلاة الظهر ويجعل نصف يومه لربه عز وجل ومنهم من ينصرف بعد العصر فيكون
آخر يومه لآخرته كان بعضهم اذا حصلت كفايته في يومه وتأتى قوت عياله في اي وقت من نهاره غلق
حانوته وانصرف الى منزله او مسجده وتعبد بقية يومه وكان منهم من اذا ربح دانقا او قيراطا انصرف
قناعة وزهدا وقلة حرص على الدنيا واعجب من ذلك ما سمعت عن حماد بن سلمة انه كان يبيع الخز في
سفط بين يديه فكان اذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف وقال ابراهيم بن بشار قلت لابراهيم بن ادهم
امر اليوم اعمل في الطين فقال يا ابن بشار انك طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب من لا يفوتك
اما رايت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا فقلت ان لي دانقا عند البقال فقال عز علي انك تملك
دانقا وتطلب العمل وقد كان كثير من الصناع يعمل نصف يومه وثلثي يومه ثم ياخذ ما استحقه
من كفايته وينصرف الى مسجده ومنهم من كان يعمل في الاسبوع يوما او يومين ويجعل باقي الاسبوع
في خدمة سيده وقد كانوا يجعلون اول النهار وآخره للآخرة من تجارة المعاد والمرجع ويجعلون اوسط
النهار لتجارة الدنيا وفي الخبر ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد من اول النهار وعن آخره فيها خير
وذكر كفر الله عز وجل عنه ما بينهما من سيئ العمل وفي الخبر تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع
الفجر فتعرج ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار وعند صلاة العصر فتنزل ملائكة الليل وتعرج ملائكة النهار
فيقول الله عز وجل كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون وجئناهم يصلون فيقول
الله عز وجل اشهدكم اني قد غفرت لهم وقد كان علي عليه السلام يمر في سوق الكوفة ومعه الدرة
وهو يقول يا معشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا ولا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره
ما منع بعضهم درهم من حق الا ذهب اضعافه في باطل وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما كان سبب يسارك

[illegible]
فقال بلال ما ردت بحائط ولا اطلب مني جوارا فاخرب بيعه ولا يعرف نفسا ويقال ابتاع الف
ناقة فربح عقالها قيل كل عقال بدرهم فربح فيها الفي درهم الفا اخذها والفا نفقة عليها يومها
وقد كان الورعون يكرهون ركوب البحر للتجارة للدنيا ويقال من ركب البحر للتجارة فقد استقصى
في طلب الرزق وفي الخبر لا يركب البحر الا حاج او غاز او لعمرة وعن زيد بن وهب عن عمر رضي الله عنه
كان يقول ابتاعوا باموال اليتامى لا تاكلها الزكوة وثمروها لهم بالارباح واياكم والحيوان فانه ربما
هلك واياكم ولجج البحار وان تتجروا فيها مالا وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول لا تكن اول
داخل السوق ولا آخر خارج منها فان بها باض الشيطان وفرخ وروينا عن معاذ وعبد الله بن عمرو
ان ابليس يقول لولده زلنبور سر بكتائبك فانك صاحب الاسواق زين لهم الكذب والخديعة والمكر والخيانة
والحلوف وكن مع اول داخل وآخر خارج منها وروينا عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما سمعا النبي
صلى الله عليه وسلم ينهى ان يدخل السوق اوائل النهار وان يخرج منها آخر اهلها فاذا كان المتسبب في
المعايش والمتصرف في الاسواق على هذه الاوصاف المحمودة ولهذه الشروط الموصوفة فانما يحكم حاله
حافظا لمقامه فانه في سبيل من سبل الله عز وجل افعاله وآثاره حسنات وكل ما تسبب به الى الآخرة
وكان عونا له عليها وطريقا له اليها من الدنيا فهو من الآخرة واذا خالف هذه الشروط ولم يستعمل العلم
في احواله وفارق التقوى في تصرفه او كان يسعى تكاثرا او حرصا على الدنيا جزوعا على ما فاته من الدنيا
منوعا لما في يديه منها لا يبالي ما ذهب من دينه اذا سلمت دنياه ولا يبالي من اين اكتسب وفيما انفق
فهذا يتقلب في المعاصي والمكاره ظهرا لبطن متعرضا للمقت من الله عز وجل والبعد والقرب غير مستعد
للموت ولا موقن بالحساب افعاله وآثاره سيئات فترك التجارة على هذه الاوصاف المكروهة خير لهذا
واهدى سبيلا ولا قوة الا بالله العلي العظيم حسبنا الله ونعم الوكيل

كتاب احكام التصرف وتفصيل الحلال من الشبهة وتمثيل ذلك بصور الالوان وفضل الحلال وطريقة اهل الورع من السلف

روينا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ياتي
على الناس زمان لا يبقى فيه احد الا اكل الربا فمن لم ياكله اصابه من غباره يعني والله اعلم انه يدخل
عليه وان لم يعلم به وعن غير قصد له ولا اكتساب كما يدخل الغبار في المشام للمجتاز لفشو الربا
وانتشار مداخله مما لا يمكن التحرز منه وفي الخبر درهم من ربا اعظم عند الله عز وجل من ثلثين
زنية في الاسلام وما توعد الله عز وجل ولا تهدد في معصية مثلما توعد في اكل الربا فانه عز وجل
عظم شأنه بوصفين عظيمين اعظاما له وترهيبا منه فذكر في اوله المحاربة لله عز وجل ولرسوله عليه السلام

وفي آخر الخلود في النار لا يشترط ذلك في قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا
إن كنتم مؤمنين ثم اشترط للإيمان ترك الربا بقوله إن وهي للشرط والجزاء ثم قال فإن لم تفعلوا
فأذنوا بحرب من الله ورسوله ثم أوجب التوبة منه بعد إعلامه الظلم منهم فقال وإن تبتم فلكم رؤوس
أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ثم نص على تحريمه بقوله عز وجل وأحل الله البيع وحرم الربا ثم توعد بالخلود
بعد ذلك كله فقال أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وهذا من شديد الخطاب وعظيم العذاب وروي
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم بعد الفريضة فسوى بينه وبين
العلم في الفرض وأوجب أن يطلب العلم لهما فمثل فرض طلب الحلال للآكل كمثل طلب العلم للجاهل والفرائض
إذا شرعت تثبت إلى يوم القيامة وإذا أمر بطلبها دل على وجودها لأنه لا يؤمر بطلب شيء مفترض علينا
يكون معدوما فالحلال موجود من حيث افترض علينا وأمرنا بطلبه ولكن طريقه ضيق ووجوهه غامضة
والتسبب إليه فيه مشقة والحاصل منه فيه خشونة وقلة ومع ذلك فإن المعاون عليه قليل والطالب له غريب
وهذه أسباب تكرهها النفوس وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ثم إن الفرائض لها علوم وأحكام
فمن لم يعرف علومها ولم يقم بأحكامها فكأنه لم يعلمها وكان عمر رضي الله عنه يضرب أهل السوق بالدرة
ويقول لا يتجر في سوقنا إلا من فقه وإلا أكل الربا وقد كان بعض العلماء يقول تفقه ثم ادخل السوق
وبع واشتر وتأول معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم قال هو علم الحلال والحرام
والبيع والشرى إذا أراد الإنسان يدخل فيه افترض عليه علمه وفي الخبر من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد
في سبيل الله تعالى ومن طلب الدنيا حلالا في كفاف كان في درجة الشهداء ويقال إن أول لقمة يأكلها
العبد من حلال يغفر له بها ما سلف من ذنوبه ومن أقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه
ذنوبه كما تساقط ورق الشجر في الشتاء إذا يبس وكان بعض العلماء يقول لبعض المجاهدين أين أنت
عن عمل الأبطال كسب الحلال والنفقة على العيال وقد كان شعيب بن حرب وغيره يقول لا تحقرن درهما من
حلال تكسبه تنفقه على نفسك وعيالك وأخ من إخوانك فلعله لا يصل إلى جوفك أو لا يصل إلى غيرك حتى
يغفر لك وفي خبر من أكل من حلال أربعين يوما نور الله تعالى قلبه وأجرى ينابيع الحكمة في قلبه
وفي بعض الروايات زهده الله عز وجل في الدنيا ويقال من أكل حلالا وعمل في سنة فهو من أبدال هذه
الأمة وكان سهل رحمه الله يقول لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يأكل الحلال بالورع وروينا عن إبرهيم
بن أدهم وعن الفضيل بن عياض لم ينبل من نبل بالحج ولا بالجهاد ولا بالصوم ولا بالصلاة وإنما نبل
عندنا من كان يعقل ما يدخل جوفه يعني الرغيفين من حله وقال يوسف بن أسباط لشعيب بن حرب أشعرت

أن الصلاة جماعة سنة وأن كسب الحلال فريضة قال نعم وسأل رجل إبرهيم بن أدهم فقال له يا رجل إني
أكتسب في السوق وإذا عملت فاتتني الصلاة في جماعة فأيما أحب إليك أصلي الصلاة في جماعة أو أكتسب
فقال اكتسب من حلال وأنت في جماعة وقد كان إبرهيم بن أدهم يعمل هو وإخوانه في الحصاد في شهر
رمضان فكان يقول لهم انصحوا في عملكم بالنهار حتى تأكلوا حلالا ولا تصلوا بالليل فإن لكم ثواب الصلاة
في جماعة وأجر المصلين بالليل وقال بعض السلف أفضل الأشياء ثلاث عمل في سنة ودرهم من حلال
وصلاة في جماعة وكان سهل رحمه الله يقول لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه هذه الأربع
أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي في الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الممات
وقال من لم يكن مطعمه من حلال لم يكشف الحجاب عن قلبه ولم ترفع العقوبة عنه وما يبالي بصلاته
وصيامه إلا أن يعفو الله عز وجل عنه وقال من أحب أن يرى خوف الله عز وجل في قلبه ويكاشف بآيات
الصديقين فلا يأكل إلا حلالا ولا يعمل إلا في سنة أو ضرورة وكان يقول إنما حرموا مشاهدة الملكوت
وحجبوا عن الوصول بشيئين سوء الطعمة وأذى الخلق وكان يقول بعد سنة ثلثمائة لا يصح الحديث به
قيل ولم قال يفسد الخبز وهم لا يصبرون عنه وقد روي مرة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم جسم غذي بالحرام لا يدخل الجنة النار أولى به وفي الخبر أنه أكل من كسب غلامه
ثم سأل عنه فقال رقيت لقوم فأعطوني وفي لفظ آخر تكهنت لهم فأدخل يده في فيه وجعل يتقيأ حتى
استقاءه عن آخر لقمة ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء وقد روي أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال أما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيبا وروي أن
سعد بن أبي وقاص سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله مجاب الدعوة فقال
يا سعد أطب طعمتك تجب دعوتك وقال بعض العلماء الدعاء محجوب عن السماء بفساد الطعمة
ويقال إن الله عز وجل لا يستجيب دعاء عبد حتى يصلح طعمته ويرضى عمله وقال جماعة من السلف
رضي الله عنهم الجهاد عشرة أجزاء تسعة في طلب الحلال وقال علي بن فضيل لأبيه رضي الله عنهما يا أبه
إن الحلال عزيز فقال يا بني وإن عز فقليله عند الله عز وجل كثير وقال إن من صلى وفي بطنه طعام
من حرام أو على ظهره سلك من حرام لم تقبل صلاته وقال بعض السلف يا مسكين إذا صمت فانظر عند
من تفطر وطعام من تأكل فإن العبد يأكل الأكلة فيتقلب قلبه وينغل نغل الأديم فلا يعود إلى حاله
أبدا وهذا أحد التأويل في قوله صلى الله عليه وسلم كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش قيل هو
الذي يصوم ويفطر على حرام وفي الخبر من طلب الدنيا مفاخرا مكاثرا لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان

وحكي لنا عن آثار السلف رضي الله عنهم أن الواعظ والمذكر كان اذا جلس للناس ونصب نفسه سئل أهل
العلم عن مجالسته فكانوا يقولون تفقدوا منه ثلاثا انظروا الى صحة اعتقاده والى غريزة عقله
والى طعمته فان كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فانه عن لسان الشيطان ينطق وان كان سيئ الطعمة
فانه ينطق عن الهوى وان كان غير مكين العقل فانه يفسد بكلامه اكثر مما يصلح فلا تجالسوه وهذا
المعتقد والبحث طريق قد مات فمن عمل به فقد احياه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الحريص على الدنيا
فذمه ثم قال رب اشعث اغبر مشرد في الآفاق مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه في
صلاته فيقول يا رب يا رب فأنى يستجاب لذلك وفي الحديث عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله
عز وجل ملكا على بيت المقدس ينادي في كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل قيل الصرف النافلة
والعدل الفريضة وفي حديث ابي هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت
العروق عنها بالصحة واذا سقمت صدرت العروق بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان
اذا ثبت الاساس وقوي استقام البناء وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان ووقع وقد
قال الله احسن القائلين افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن اسس بنيانه على شفا جرف
هار فانهار به في نار جهنم وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكتسب مالا من حرام فان تصدق
به لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار وقيل في معنى قوله عز وجل ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل
ولا تقتلوا انفسكم قيل من اكل حراما فقد قتل نفسه لانه كان سبب اهلاكها وتعذيبها وفي الاخبار
المشهورة عن علي عليه السلم وغيره ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وقال يوسف بن اسباط وسفيان
الثوري لا طاعة للوالدين في الشبهة وقال الفضيل بن عياض رحمه الله من اقام نفسه مقام ذل
في طلب الحلال حشره الله عز وجل مع الصديقين ورفعه الى الشهداء في موقف القيامة وقال ابو سليمان وغيره
من العلماء لا يفلح من استحيى من طلب الحلال وفي لفظ آخر من انف من الحلال وفي بعض التفاسير
فان له معيشة ضنكا قيل اكل الحرام كما قيل في قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال يرزقه حلالا
وقد قال الله سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم قيل من الحلال كما قال يا
ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اي من الحلال فامر باكل الحلال قبل العمل الصالح وكذا
قال بعض العلماء زكوة الاعمال باكل الحلال فكلما كانت الطعمة احل كان العمل ازكى وارفع وكان
بشر بن الحارث اذا ذكر احمد بن حنبل رضي الله عنهما يقول قد فضل علي بثلاث ذكر انه يطلب الحلال
لنفسه ولغيره وانا اطلبه لنفسي وكان بشر رضي الله عنه يقول انا اترك الشهوات زهدا فيها وانما

اكرهها لانه لا يصفو لي درهم ولو صلح لي الدرهم الذي اشتريها به لاكلتها وقد قال علماء الظاهر ان
الحلال من عشرة اوجه ومنهم من قال يوجد من سبعة اشياء واصل ذلك كله يرجع الى ثلاثة اشياء تجارة
بصدق وصناعة بنصح وعطية بحكم ثم تنقسم العطية اربعة اقسام فتكون فيئا او ميراثا او
هبة عن طيب نفس او صدقة مع وجود فقر ومدار ذلك كله وقطبه ان الحلال مشتق من اسمه بمعنيين
ما انحل الظلم عنه او حل العلم فيه فما انحل عنه الظلم انحلت المطالبة عنه وما حل فيه العلم حلت الاباحة
والامر به والحلال عند العلماء ما لم يعص الله عز وجل في اخذه وقال بعض علماء الباطن الحلال ما لم يعص
الله عز وجل في اوله فلم ينس في آخره وذكر عند تناوله وشكر بعد فراغه وكان سهل رحمه الله اذا سئل
عن الحلال يقول هو العلم وقال لو فتح العبد فمه الى السماء وشرب القطر ثم تقوى بذلك على معصية او
لم يطع الله عز وجل بتلك القوة لم يكن ذلك حلالا وقالت طائفة من اهل العلم ان المتصنع للناس والمتزين
لهم ياكل حراما لانه لم ينصح لمولاه عز وجل وقال بعض الموحدين لا يكون حلالا حتى لا يشهد فيه سوى الله
عز وجل وان من اشرك في رزق الله عز وجل العباد فذلك شبهة وادخل من طريق الاحكام واحتجوا بقول
عيسى عليه السلم تاكلون رزقه وتشكرون فيه خلقه ومن الابدال من يقول الحلال ما لم يوخذ من ايدي الخلق
ولم يتنقل الى املاكهم وكان بعضهم لا ياكل الا ما انبتت الارض التي هي غير مملوكة والقول العدل ان الحلال
ما لم يوخذ من ايدي الظالمين او ما اخذ من ايدي المتقين وحدثت عن بعض الابدال في قصة يطول ذكرها
ان بعض العامة من السائحين دفع اليه شيئا من الطعام فلم ياكل فساله عن امتناعه فقال نحن لا ناكل
الا الحلال فلذلك تستقيم قلوبنا على الزهد في الدنيا وندوم على حال واحد ونكاشف بالملكوت ونشاهد
الآخرة ثم قال لو اكلت مما تاكلون ثلاثة ايام ما رجعت الى شيء مما نحن عليه من علم اليقين ولذهب
الخوف والمشاهدة من قلوبنا في كلام طويل قال له الرجل في آخره فاني اصوم الدهر واختم القرآن في كل
شهر ثلثين ختمة فقال له البدل هذه الشربة من اللبن التي رايتني قد شربتها احب الي من ثلثين ختمة
في ثلثمائة ركعة من اعمالك وكانت شربة لبن من اروى وحشية وهي الانثى من الوعل وقال بعض السائحين
قلت لبعض الابدال وقد حدثته عن اكل الحلال مثل هذا الحديث انتم تقدرون على الحلال فلم لا تطعمونه
اخوانكم من المسلمين فقال لا يصلح لجملة الخلق ولم يومر بذلك لانهم لو اكلوا كلهم حلالا لبطلت المملكة
وتعطلت الاسواق وخربت الامصار ولكنه قليل في قليل من الخلق وخصوص في مخصوصين ومعنى هذا
الكلام وقال بعض العلماء لا اعلم حلالا لا اشكل فيه الا ماء الغدران وما انبتت ارض غير مملوكة
او هدية من اخ صالح او معاملة تقي صدوق ونصح وكان يحيى بن معين قد صحب احمد بن حنبل رحمهما الله

في المال الحلال والطعام الحلال

في اكل الغير ... واكل الغير المملوك

في السفر سنين ولم يكن احمد رحمه الله يأكل معه لاجل كلمة بلغته عنه وهو انه قال انا لا اسأل احدا
شيئا ولو اعطاني الشيطان شيئا لاكلته فهجره احمد حتى اعتذر اليه يحيى وقال انما كنت امزح قال
تمزح بالدين اما علمت ان الاكل من الدين قدمه الله عز وجل على العمل فقال كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا وكان كثير من الورعين يقول منذ اربعين سنة ما دخل جوفي الا ما اعلم من اين هو وبعضهم
يقول منذ ستين سنة ما اكلت الا من حيث اعلم وكان وهيب بن الورد لا يأكل الا من حيث يعلم
ويشهد عنده شاهدان بصحته وقد كان بشر يقول من تفقر جاع ومن تغافل شبع وعند العلماء ان
من طلب الدنيا حلالا فهو ازهد فيها ممن اكل الشبهات بغير طلب وفي الخبر من لم يبال من اين مطعمه
لم يبال الله عز وجل من اي ابواب النار ادخله وقيل ذلك مكتوب في التوراة **ذكر** تفصيل الحلال
من الشبهة والشبهة ايضا اختلف فيه لخفاء ادلته ولتكافئها بالسوية وما لم تره عينك فيقطع
على عينه والحلال والحرام اجمعوا عليه وظهرت الادلة فيه والشبهة ايضا ما حل سببه ووصف فيه
حكمه الا ان عينه مجهولة غير متيقن بتحليلها والشبهة ايضا ما فقد منه القيام ببعض الاحكام او
ما اعتل سببه الذي توصل اليه العبد وتطرق اليه من دخول جهل او حدوث آفة من آفات النفوس فهذه
الانواع كلها من الشبهات ثم تختلف نفس الشبهات فيكون ذلك شبهة الحلال عند علماء الباطن على
ثلاث مقامات حلال كاف وهذا عموم وكانه ما حل من طريق الحكم وحلال صاف وهذا خصوص
وكانه ما ظهرت الادلة فيه وحل سببه ووجدت السنة فيه وحلال شاف وهذا خصوص الخصوص
وكان ذلك ما علم اصله واصل اصله وجرى على ايدي المتقين ولم يخالطه جهل فلذلك تفاوتت الشبهات
لتفاوت حلال ضدها فاما الحرام فطعمة الفاسق اكله فسوق وطلبه فسوق والمعاونة عليه فسوق
والمدمن عليه فاسق وهو من الكبائر وليس من حاجة المسلمين ولا بغيتهم والحلال ما احله الكتاب والسنة
وحللته الاحكام والعلوم من سائر الاسباب والمعاني المطلقة المباحة التصريف هي بغية المتقين
ومقام الصالحين وطلبه جهاد واطعامه بر والمعاونة عليه تقوى واكله عبادة والمدمن عليه مؤمن تقي
والشبهة اختلف العلماء فيه ولم يجمعوا عليه وما التبس باطنه فاشتبه لغموض الادلة وخفي الاستدلال
فلم يكن بينا فلم يجمع اهل الظاهر والورع عليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلمه كثير من الناس
فهذه طعمة عموم المسلمين فان ابتليت بهذا فخذ منها حاجتك وضرورتك فتكون بذلك فاضلا ويصح لك
مقام في الورع والاستكثار منه والاقتناء مكروه وتركه اذا امكن افضل لان في الخبر من تركه
فقد استبرأ لدينه اي تنزه وتنظف وتفقد دينه واحتاط له وفي الخبر الايمان الاصل في ذلك

حديث النعمان بن بشير حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك لا يعلمها كثير من الناس فمن تركها
فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه وان لكل ملك حمى وان حمى الله
عز وجل في ارضه محارمه فيقال ان هذا الحديث ثلث العلم فالحلال ما ظهر وتبين وانكشف وكنت
على يقين منه واطمأن به قلب المؤمن العالم والحرام ايضا ما تبين وانكشف وكنت على يقين منه فلم يختلف
احد من المسلمين فيه ونفر فيه قلب المؤمن واشمأز وقد تطمئن بعض القلوب الى شيء لغفلة ورعها وقد
تنفر بعض القلوب من شيء لغفلة علمها ليس يقع بمثل هذين القلبين اعتبار وانما الاعتبار بقلب المعيار
الذي قد جعل المحك يعتبر به معادن الملكوت وهو قلب المؤمن الموقن العالم وهذا القلب في القلوب اعز
من الذهب الابريز في [illegible] المعادن وقد روينا عن بعض السلف في تفسير قوله عز وجل وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون قال اذا فسدت اعمال الناس جعل عليهم ولاة يشبهون اعمالهم
وقال بعض العلماء في معناه اذا فسدت اديان الناس فسدت ارزاقهم والشبهات على وجوه احدها ما
اشبه الحلال من وجه واشبه الحرام من وجه وما اختلط ايضا بهما فلم يتميز منهما والشبهة ايضا ما
دل ظاهر العلم على تحليله فهو حلال الحكم واظهر باطن الورع الوقوف عنه والشبهة ايضا ما اباحه علماء الظاهر
وكرهه علماء الباطن بحك القلوب وحوازها ولعدم الطمأنينة ومواجيد القلوب كنحو ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه
وهو يعلم خلافه فمن قضيت له على اخيه فانما اقطع له قطعة من النار فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
انه يحكم بظاهر الامر وردهم الى حقيقة علم العبد بما شهد وعرف من غيب نفسه عن الابصار وفي الخبر
الايمان نزه نظيف فتنظفوا وتنزهوا ومعنى التنزه التباعد من الدناءة والاوساخ ومن ذلك
قيل خرجنا نتنزه وخرج فلان في نزهة اذا تباعد من المصر وفارق جملة الناس ثم قال وعرضه
اي واستبرأ لعرضه ان يتكلم الناس فيه بسوء او ينسبونه الى الخبث وقد جعلت الشبهة طريقا
الى الحرام وموقعة فيه لان الخبر من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه اي من يطلب الشبهة ويدمن عليها
ويستكثر منها يسرع الوقوع في الحرام اي تسرع الشبهة اليه وتدخل فيه وقال بعض العلماء ما اخذ من
يد تقي عدل بحكم جائز فهو حلال وما اخذ من يد من لا يعرف بعدالة ولا جرح فهو شبهة وما اخذ
من يد ظالم او فاجر فهو حرام وان اخذ بحكم جائز وهذا القول يقرب من الحق ومثله من المقال مثل
ما قال بعض اهل العلم ايضا ان من لم يعرف ان ماله خالطه خيانة ولا معاملة ظالم جائر فذلك حلال
ومن خالط الظلمة واكتسب المال من خيانات فما في يده حرام وان اختلط ماله فلم يتميز وكان يعامل

بعض الطلبة ويتجاهل أهل التقوى والإيمان فما في يده شبهة وقد جاء في الخبر دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الخير طمأنينة وإن الشر ريبة معناه دع ما تشك فيه أنه حلال إلى شيء آخر لا تشك فيه فإن الشر ريبة أي شيء ليس بمتيقن وفي لفظ آخر الإثم حزاز الصدور وقد جاء في الحديث الإثم حواز القلوب أي ما حز في القلب وأثر فيه بنكت فهو إثم إن الله عز وجل علق الإثم بالقلب وجعله من أوصافه في قوله ومن يكتمها فإنه آثم قلبه وفي الخبر البر ما اطمأن إليه القلب وسكنت إليه النفس والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس فدعه لأنه قال عليه السلام المؤمنون شهداء الله وقال ما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله عز وجل حسن وما رأوه قبيحا فهو عند الله عز وجل قبيح كما قال سبحانه فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون لأن كراهتك نظر الناس إليك دليل على وجود الريبة فيك وفصل الخطاب من ذلك أنه ليس على العبد أكثر من جهده وطاقته وأن يعمل في دينه بمبلغ علمه وما يؤدي إليه اجتهاده ووسعه وأن لا يحابي من نفسه خبيئة ولا يرخص لنفسه لهواه بخصلة فإن قصر علمه استعان بعلم غيره فما أخطأ حقيقته وراء ذلك فهو معفو الخطأ وبعض الورعين يقول الحلال ما لم تتداوله أيدي الظالمين وقال بعضهم ما لم يجر على يد ظالم وقال بعض العلماء لا يكون حلالا حتى لا يتخالج في القلب منه شيء وحتى يسكن القلب إليه ويطمئن به وقال آخر الحلال ما عرض على أهل الظاهر والباطن فإذا لم ينكروا منه شيئا فذلك الحلال وقد كان اجتمع جماعة من العلماء يتذاكرون أي الأعمال أشد فقال بعضهم الجهاد وقال بعضهم الصيام والصلاة وقال آخرون مخالفة الهوى وقال بعضهم الورع فأجمعوا على الورع ورجعوا إلى هذا القول وقال حسان بن أبي سنان ما شيء عندي أسهل من الورع قيل وكيف قال إذا حاك في صدري شيء تركته وهذا سهل على من ساعده القدر بالزهد وأعانه على ذي النفس الشهوانية كما أن الزهد أيضا سهل على من أمد بروح التأييد وعزيز على من ابتلي بحب الدنيا وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل الأعمال والذي نقيم وجهنا عند الله عز وجل هو الورع فقال له أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم صدقت ولعمري إن اليقين إذا وجد والزهد إذا حصل سهل الورع والإخلاص وهما عمدة الأعمال وحكي عن يوسف بن أسباط وحذيفة المرعشي وغيرهما من عباد أهل الشام أن قائلهم يقول منذ ثلاثين سنة ما حاك في صدري شيء إلا تركته وبعضهم يقول منذ أربعين سنة ما وقف على قلبي وتخالج فيه إلا تركته وقال بعضهم منذ ثلاثين سنة ما أبالي على أي حال رآني الناس إلا أن يكون حاجة الإنسان وحكي أن بعض الورعين وقع منه دينار فانكب ليأخذه فوجد دينارين فلم يعرف دينارا منهما فتركهما معا

وحكي أن امرأة من المتعبدات من أهل القلوب سألت الخواص عن تغير وجدته في قلبها فقال لها عليك بالتفقد فقالت قد تفقدت فما رأيت شيئا أعرفه فأطرق ساعة ثم قال ألا تذكرين ليلة المشعل فقالت بلى فقال هذا التغير من ذلك فذكرت أنها كانت تغزل فوق سطح لها فانقطع خيطها فمر مشعل السلطان فغزلت في ضوءه خيطا ثم أدخلته في غزلها وعملت منه قميصا فلبسته قال فنزعت القميص وباعته وتصدقت بثمنه فرجع قلبها إلى حال الصفاء وقد حكي عن ذي النون المصري فوق ذلك قيل إنه لما سجن لم يأكل طعاما ولم يشرب أياما فوجهت إليه امرأة يعرفها من العابدات بطعام إلى السجن وقالت هذا من حلال فلم يأكله فقالت له بعد ذلك فقال كان الطعام من حلال إلا أنه جاءني في يد السجان وهو ظالم فلذلك لم آكل وهذا حال الورعين والورع هو باب الزهد ومفتاح الخوف وحقيقة الصدق فعموم الورع أول عموم الزهد وخصوصه أول خصوص الزهد وينبغي للعبد أن يبتدئ بطلب الحلال فيكون هو همه وقصده فيجعل ما استطاب من المكاسب وأعلى ما قدر عليه مما يسلم فيه يجعل ذلك لخاصة نفسه فيما يطعم ويلبس ويجعل ما دخل عليه من الشبهات مما في نفسه منه حزازات في مؤونة عياله أو فيما ينفق به من مؤن البيت مما لا يطعم ولا يلبس مثل الحطب والبزر وأجرة البيت وما أشبهه وسنذكر تمثيل ذلك بصور الألوان حتى تعرفه وفي هذا رخصة وله فيه مجاهدة وحسن نية ومعاملة إذا أخذ نفسه به وصبر عليه وكان ذلك من إلهه وهمه فاحتسب في ذلك ما عند الله عز وجل وتحرى بذلك لدين الله تبارك وتعالى فإن الله تعالى يشكر له سعيه ويجزل عليه أجره وهذا طريق يوصل إلى الله عز وجل وهو محجة كثير من السلف الصالح رضي الله عنهم ولو أن عبدا شك في شيء فتحرج عنه تقى لشكر الله عز وجل له ذلك لنيته وإن كان قد أخطأ حقيقة الشيء عنده وكان الشيء حلالا في علم الله عز وجل ولو أنه أقدم على شيء يفعله بقلة مبالاة فلم يورع عنها وتناول شيئا على أنه حرام عنده كان مأزورا لسوء نيته وقلة ورعه وإن كان قد أصاب حقيقة الشيء عند الله تعالى وأنه حلال في علم الله عز وجل ولكن من استعمل العلم وأصاب الحقيقة عند الله عز وجل فهو أفضل وله أجران أجر العلم ومقام التوفيق ومن قصد ترك العلم وأخطأ الحقيقة عند الله عز وجل فعليه وزران وزر الجهل ونقض العصمة ومن علم فعمل بعلمه فأخطأ الحقيقة فله أجر واحد ومن عمل بجهل وأصاب الحقيقة فعليه إثم الجهل وهو معصوم في الفعل وحكى وهب مما نقل من الزبور أن الله عز وجل أوحى إلى داود عليه السلام قل لبني إسرائيل إني لا أنظر إلى صلاتكم ولا صيامكم ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجلي فذلك الذي أؤيده بنصري

[illegible] انه اول ما يبتلى به المتقى وقد كان بعض العلماء يقول لاهله انفقوا اين المصباح [illegible] وروى
[illegible] كيف قال لانكم تؤتون من كسبي وكسبي ديني ودينى لحمي ودمي [illegible] من تفقد
من اين يكتسب الدرهم تبصر اين يضعه ومن لم يبال من اين كسبه لم يبال فيما انفقه وقد قال
بعض العلماء لرجل راه بطالا وكان ذا عيال قال له احترف فانه اذا كان لك كسب اكل عيالك كسبك
وان لم يكن لك كسب اكلوا دينك وروى ان بعض الزهاد دفعت منه قطعة فجعل يطلبها عامة
يومه فقيل له فانت قد زهدت في الدنيا كلها وانت تطلب هذه القطعة هذا الطلب فقال انا طلبي
هذه القطعة من زهدي في الدنيا لاني اعتاض منها غيرها لانها من حيث اعلم وانا لا اكل من حيث لا اعلم
وقد كان بشر يقول المال اذا جمع من الشبهات لم ينفق الا في الشهوات وقال سري السقطي لا يصبر على
ترك الشهوات الا من ترك الشبهات وفي الخبر ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام فنهاه
عنه فاعاد مسالته عنه وقال ان لي غلاما حجاما فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان كان لا بد فاعلفه
ناضحك واطعمه رقيقك وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن فارة وقعت في سمن فماتت فقال
لا تاكلوه وفي خبر آخر ان كان جامدا فالقوها وما حولها وكلوه وان كان ذايبا فاستصبحوا به وعن
جماعة من علماء الكوفة لا باس بشحوم الميتة يطلى بها السفن ويدبغ بها الجلود وقد روينا فيه خبرا
مسندا فهذا حجة فيما ذكرناه من حكم الشبهات لمن يرتفق بها فيما لا يطعم ولا يلبس الا ان يضطر
اليها فيتناول مقدار الحاجة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتي بلبن فسال عن اصله فاخبر به
فسال عن اصل الاصل فاخبر به فلما رضيه شرب منه فهذا حكم الحلال ان تعرف عن الشيء ثم تعرف
اصله فاذا صح اصله واصل اصله سقط عنك ما وراء ذلك فان لم تعلم ذلك فاي عبد واخ لك مسلم
تقي قام اخبارك لك مقام علمك وفي الخبر لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي لان التقي
قد استبرا لدينه واجتهد بعلمه واحتاط لنفسه فقد سقط عنك البحث والاجتهاد لانه قد ناب
عنك فيه وقام لك به فكفاك كلفته فغنيت عن تكلفه وكذلك جاءت الاحاديث على هذا المعنى اذا
دخل احدكم منزل اخيه فقدم اليه طعاما فلياكل من طعامه ولا يسال ويشرب من شرابه ولا يسال
لانه قد كفي السوال عما قد كفي تكلفه والتكلف ليس مما يعني المسلم وفي الخبر الآخر من حسن اسلام
المرء تركه ما لا يعنيه فلهذا سقط عنا السوال والبحث ولذلك كان المتقدمون يستحبون اكل
طعام العلماء والصالحين واما من لا يحتاط لنفسه ولا يستبري لدينه ولا يتقي في مكسبه حتى
لا يبالي من اين اكل ومن اين اكتسب وكيف جاءه الدرهم فهذا غير تقي فحينئذ يلزمك ان تبحث لنفسك

[illegible] في نحو ذلك الاحتياط لدينك اذ لم يقم به غيرك ولم يتكلفه اخوك فقد نهيت في الخبر لا يأكل طعامك
الا تقي ولا تاكل الا طعام تقي والتقي هو الورع المتقي الحرام والمجتنب للآثام فقد دل خطابه
لا تاكل طعام غير تقي ولا يصح التقوى من عبد منصرف حتى يكون مستعملا في تجارته وصناعته حكم الكتاب
والسنة ويشهد له العلم بسلامته وبراءة دينه من الخيانة والمكر في المعاملة من الكذب والغش
في التجارة والصناعة بالصدق والنصح في جميع ذلك ويحل السبب المعتاض منهما وكل تجارة وصناعة
يخالف العبد فيهما حكم الكتاب والسنة فليست بتجارة ولا صناعة حلال وان كان الاسم موجودا لعدم
المعنى الذي يصح به الاسم في الحكم لان وجود الاسماء فارغة لا يغني مع عدم صحة المعاني الموافقة للاحكام
شيئا فاذا كان ما تسميه الجاهلون تجارة وصناعة وما تسميه المستحلون بيعا وشرى ومعاملة وهو
في ذلك غير موافق للعلم فليس ذلك بتجارة ولا صناعة ولا معاملة يستحل به اكل المال لانه باطل واسمه
عند العلماء خيانة او خلابة او غيلة او حيلة او محايلة وهذه اسماء محرمة للمكاسب لفساد معانيها
وعدم حقائقها يتعلق عليها احكام مذمومة لا يحل بها اخذ المال لان التسمية الى العلماء من قبل
ان ايجاب الاحكام منهم يسمون على صحة المعاني بوقوع الاحكام اذ كانوا هم الحكام فقد اعتل هذا
التصرف وان وجد فيه الاسم المباح لفقد المعنى وهو حكم الكتاب والسنة فان وجد الاسم بحقيقة المعنى
حتى يسميه العلماء تجارة وصناعة الا انهما لم يصادفا حكم الله عز وجل فيه بالسلامة من الربا واجتناب
البيوع الفاسدة فهذا حرام ايضا لعدم حكم الله عز وجل فيه بالاطلاق وهو اذنه وان كان السبب مباحا
موصوف الاحكام فيه الا ان عين المعتاض الماخوذ حرام براي عين او خبر من عدل فهذا الكسب حرام
ايضا لانا على يقين من وجود الحرام فيه حتى يصفو العوض المستنبر من عين الحرام باحد معنيين اما بيقين
انه حلال الاصل وحلال اصل الاصل وبان لا نعلم في عينه حراما رايناه ولا اخبرناه فيحل به حينئذ اكل
المال ونسميه مع ذلك شبهة وهو شبهة الحلال اذ لسنا على يقين من حلاله لامكان دخول الحرام فيه
لغلبة الاموال الماكولة بالباطل وبالاسباب المكروهة من قبل الاجناد ومن قلة المتقين واختلاط
ذلك بالاملاك الصحيحة وباموال التجار والصناع فما كان من حلاله على علم ظن سميناه شبهة لفقد
علم اليقين وفي الخبر جاء عقبة بن الحارث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني تزوجت امراة فجاءتنا
امة سوداء فزعمت انها قد ارضعتكما وهي كاذبة فقال دعها فقلت انها كاذبة قال كيف وقد زعمت
انها قد ارضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك وفي لفظ آخر كيف وقد قيل وفي حديث عبد الله بن زمعة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالولد له لانه ولد على فراشه وابطل دعوى الرجل فيه وان كان منه

ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم شبهاً بيناً قال لسودة احتجبي منه يا سودة وهي احكم فلذلك الولد
للفراش وذلك بحسب التقوى في الشبهات بالورع وان كان الاحكام على الظواهر بحسبها فيكون تركها
مقاماً للورعين والحلال عند اهل المعرفة اسم لما انحلت عنه المطالبة او حل فيه العلم على كل المعنيين
في قوله تعالى وحلائل ابنائكم وحلائل جمع حليلة وقيل انما سميت المراة حليلة الرجل لانها تحل معها
اين حلت اي يوجد عندها ويقيم كانها فعيلة من فعول اي حلول والمعنى الآخر سميت حليلة
وسمي الرجل حليلها لان الآثام قد انحلت بينهما اي لانها تحل له وهو يحل لها والحلال في العلم اسم
لما اباحه الكتاب والسنة بسبب جائز مباح وكان الحلال هو ما وجد فيه ثلاث معان سبب مباح في
العلم وعلم باصل الدرهم المعتاض به وباصل اصله انه خالص من شبهة ومصادفة حكم الله عز وجل
في المعاطة فاذا فقد احد هذه المعاني فهو شبهة الى الحلال اقرب فاذا فقد معنيان فهي شبهة
الحرام فاذا فقدت الثلاث معان حتى يكون السبب الذي وصل به الدرهم او المعتاض منه مكروهاً او يكون
عين الدرهم مجهولاً ولم يصادف فيه حكم الشرع في البيع والهبة بطيب نفس فهذا هو الحرام بعينه والحلال
والحرام ضدان ظاهران والشبهتان اعني شبهة الحلال وشبهة الحرام مختلطان فهي تشبه الحلال
من وجه وتشبه الحرام من وجه فمثل الحلال والحرام من اصول الالوان مثل البياض والسواد فهما
اصلان ليسا فرعين لشيء ولا متولدين من شيء ومثل شبهة الحلال كمثل الصفرة لانه لون متولد
من البياض ومثل شبهة الحرام كالخضرة لانه لون متولد من السواد فان رايت الصفرة فهي علامة
شبهة الحلال رددتها اليه وحكمت عليها به لما ان الصفرة اقرب الى البياض وان رايت الخضرة فهي شبهة
الحرام رددتها اليه وحكمت عليها به لما ان الخضرة اقرب الى السواد فان اجتمع في لون خضرة وصفرة فهذه
الشبهات المختلطة في الشيء فانظر الى الاغلب منهما والاكثر فاحكم عليه به وان كانت الصفرة هي الاغلب
والاكثر فهذا شبهة الحلال تتناول منه غير متسع منه اذ ليس حلالاً صافياً وهذا مثل اموال التجار والصناع
المختلطة بارزاق الجند والمعاملات وان رايت الخضرة اغلب واكثر فهذا شبهة الحرام خذ منه ضرورة تك
اذ ليس بشبهة صافية وهذا مثل لاملاك اولياء السلطان لا التباس ملك ايديهم في خدمتهم لا
حتى ترى البياض المحض الذي هو علامة الحلال فخذه كيف شئت واتسع فيه لا جناح عليك على انك لا تكون
زاهداً بذلك وهذا مثل لفيء المشركين والغنائم في سبيل الله تعالى ومثل المواريث الطيبة وما انبتت
الارض الغير مغصوبة ومثل ماء السماء السيح في الانهار وصيد البر والبحر وان رايت السواد الغربيب
فهو علامة الحرام فاجتنبه ولا تاخذ منه شيئاً فان فعلت كنت بذلك فاسقاً واكل الحرام من الكبائر

وهذا

وهذا مثل للمعصوم الحافظ وما احل باسباب المعاصي وما يملك عن غير طيب نفس من الصاحب
واعلم ان الحلال والحرام فرعان للتقوى والفجور والعلم والجهل والعلم والتقوى مما جاء المتقون العلماء فاذا
كثر المتقون ووجد المؤمنون كان الحلال اكثر واظهر وقل وجود الحرام وظهوره وكثرته بكثرة وجود الجهل
والفجور وهما حالا الجاهلين الفجار فاذا كثر الجاهلون وظهر الفاسقون كان الحرام اغلب واكثر واصل
وجود الحلال في الكافة عدل الائمة واستقامة الولاة وطاعة اوليائهم لله عز وجل بغيتهم معهم في
سبيل الله تعالى لصلاح الدين وحيطة المسلمين كما ان اصل ظهور الحلال وانتشاره تقوى الرعية فاذا قل
ذلك وكانت الامراء على ضد ذلك غمض الحلال واختفى وظهر الحرام وفشا فكان الحلال قليلاً عزيزاً وكان في
خصوص من المسلمين يخص الله به من يشاء ويوفق له من يشاء ويصرفه الى من احب كيف احب من طريق
التوفيق والهداية وبمعنى العصمة والوقاية وقد جاء في الخبر اذا فسدت اديان الناس فسدت ارزاقهم
وقال بعض اهل التفسير في قوله عز وجل وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون قال اذا فسدت
اعمال الناس جعل عليهم ائمة يشبهون اعمالهم وقد روينا عن عائشة رضي الله عنها انها قالت رزق
المؤمن كقطر الحب فهذا يحتمل معنيين احدهما انها ارادت الضيق والقلة والثاني في الصفا وهذا
على معنى ما قال سهل رحمه الله لو كانت الدنيا دماً عبيطاً لكان قوت المؤمن منها حلالاً فهذا على معنيين
احدهما ان المؤمن موفق معصوم قد عمل لله عز وجل بما علم والله عز وجل قد حفظه من حيث لا يعلم بان
يستخرج له الحلال من الحرام باختياره عن علمه كما يستخرج له العلم من الجهل والتوحيد من الشرك بلطف
قدرته بمن يذكره ويبصره اذا اقامه مقام التوحيد من الحكمة والمعنى الثاني ان المؤمن لا يتناول شيئاً الا
قواماً وضرورة فقد حلت له وان حرمت على غيره وهذا هو المؤمن الصديق وقد قيل لابن المبارك
يا ابا عبد الرحمن بعد المائتين عدل فقال تذاكرنا ذلك عند حماد بن سلمة فغضب وقال ان استطعت ان تموت
بعد المائتين فمت فانه يحدث في ذلك الزمان امراء فجرة ووزراء ظلمة وامناء خونة وقراء فسقة
حديثهم فيما بينهم التلاوم يسمون عند الله عز وجل الانتان وقال بعض السلف الصالح اني لاستحيي
الله عز وجل ان اساله بعد المائتين ان يرزقني حلالاً ولكني اساله ان يرزقني رزقاً لا يعذبني عليه
وقال ابراهيم بن ادهم ما ترك لنا بنو فلان من الحلال شيئاً يعني الملوك والامراء ويقال ان علياً عليه السلم
لم ياكل بعد قتل عثمان رضي الله عنه ونهب الدار الا طعاماً مختوماً عليه وروي في خبر العامل
الذي اراد علي عليه السلم ان يستعمله على الصدقات قال فدعا بطينة مختومة ظننت ان فيها جوهراً
وتبراً ففض ختمها فاذا سويق شعير فنثره بين يدي وقال كل من طعامنا فقلت اتختم عليه

يا امير المؤمنين فقال نعم هذا شيء اصطنعه لنفسي فاخاف ان يخالطه غيره منه والحديث فيه طول
فاختصرت هذا منه وروي ان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ما شبعوا من الطعام من حين قتل
عثمان رضي الله عنه لاختلاط اموال اهل المدينة فانتهبت الدار منهم ابن عمر وسعد واسامة بن زيد وقد كان
يوسف بن اسباط ووكيع بن الجراح يقولان الدنيا عندنا على ثلاث منازل حلال وحرام وشبهات
فحلالها حساب وحرامها عقاب وشبهاتها عتاب فخذ من الدنيا ما لا بد لك منه فان كان ذلك حلالا
كنت زاهدا وان كان شبهة كنت ورعا وكان في ذلك عتاب يسير وقد روينا عنهما ايضا قالا لو
زهد احد في زماننا هذا حتى يكون كابي ذر وابي الدرداء في الزهد ما سميناه زاهدا قيل ولم قالا انما الزهد
عندنا انما هو في الحلال المحض والحلال المحض لا نعرفه اليوم ومات يوسف ووكيع قبل المائتين
وقد كان وكيع بن الجراح رحمه الله اشبه العلماء بالسلف رضي الله عنهم كان يشبه بعبد الله بن مسعود
وقد كان يشدد في الطعمة فيسال عن الحلال فيعوزه ويقول اين الحلال وكيف لي بالحلال ثم قال
لو سالنا مسترشد عن علمنا في الحلال لقلنا له كل اصول البردي والق ثوبك وادخل في الفرات
فقيل له فانت يا ابا سفيان من اين تاكل فقال آكل من رزق الله تعالى وارجو عفو الله عز وجل
وقد كان بشر بن الحارث من المتقدمين يسال عن الحلال فقيل له من اين تاكل يا ابا نصر فقال من حيث
تاكلون وليس من ياكل وهو يبكي مثل من ياكل وهو يضحك وقال مرة في رواية اخرى عنه ولكن يد اقصر
من يد ولقمة اصغر من لقمة وسال رجل عما لا يسكر من النبيذ فقال انظر في الدرهم الذي تشتري
به التمر من اين هو فان كان حلالا والا هلكت ودع عنك ما لا يسكر وقد كان سري السقطي رحمه الله يتحرى
في اكل الحلال ولم يكن ياكل الا من حيث يعرف وكان اذا ذكر لاحمد بن حنبل رضي الله عنه اثنى عليه وقال
تعنون ذلك الفتى المعروف بطيب الغذاء وكان يقول لا يقوى على ترك الشهوات الا من ترك الشبهات
ويقال ان بشر بن الحارث كان ياكل من قبله وذكر لنا ان سريا السقطي رحمه الله وقف على بشر وهو
يتكلم على الناس فاطلع في حلقته فقال يا ابا نصر نعل بدانقين تلبسها وتستريح من هذا الاسم يعني
قولهم بشر الحافي فسكت بشر فظن اصحاب سري ممن كان عند بشر رحمهما الله انه قد وجد عليه
فقالوا يا ابا نصر ان الشيخ لم يرد بذلك الا الخير فقال سبحان الله هو سري كما سمي سريا وكان سري
رحمه الله قد وجه الى احمد بن حنبل رضي الله عنه شيئا فرده فجاءه سري وكلمه بكلام من هذا العلم عرفه
فيه ما يدق من آفة الرد فقبل منه ولم يكن بعد ذلك يرد عليه شيئا وحدثونا عنه انه قال انتهيت
ذات يوم في سفري الى نبات من الارض عند غدير ماء قال وكنت جائعا فاكلت من ذلك الحشيش

[illegible] ثم استلقيت على ظهري فخطر بقلبي ان كنت ذات يوم اكلت حلالا
فهذا اليوم فهتف بي هاتف يقول يا سري تزعم انك اكلت حلالا فالقوة التي بلغتك الى هذا الموضع
من اين هي قال فاستغفرت الله تعالى مما كان وقع في قلبي وقد كان شقيق البلخي رحمه الله يقول
ان المكاسب اليوم قد فسدت فان التجارات والصنائع شبهات كلها ولا يحل الا الاستكثار والادخار
منها لوجود الغش وعدم النصح قال وانما ينبغي للمسلم ان يدخل فيها ضرورة وقال الناس كقتلة
الانبياء عليهم السلام لانهم اعانوا على اماتة السنن ودروس طرق الانبياء عليهم السلام ومن ابطل سنن
نبي فكانما قتله هذا يقوله في سنة سبعين ومائة فاذا كان الامر بها المسلم الموقن بوعد الله عز وجل
ووعيده على هذا عند العلماء السلف والاخيار من الخلف في ذلك الوقت فكيف بوقتك هذا فقد افترض
عليك الزهد في الدنيا وقد وجب عليك اخذ البلغة مما لا بد منه من كل شيء فان استكثرت او جمعت
من مثل هذه الاشياء كان ذلك معصية فكلما يظهر الله عز وجل لك من غير الامور وامارات المصائب
فانما هو تنزيه لك في الدنيا ان فطنت لذلك وكلما صرف عنك مثل هذا فهو خير وان كرهت وفي الخبر
ما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطن ولو ملئ من حلال فان كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث
نفس فقد صار الاكل في ثلث البطن خيرا من الاكل في ملئه لانه شر وما نقص من الشر فهو خير وفي
الخبر ما من شيء ابغض الى الله عز وجل من بطن ملئ ولو من حلال وقد جاء في الخبر لا يعذب الله عز وجل
عبدا جعل رزقه في الدنيا قوتا وفي قوله عز وجل ورزق ربك خير وابقى قيل يوم بيوم وقيل القناعة
وقد كان المسلمون يرعون عن الشبهات في وقت العدل ومع وجود الفضل حدثونا عن فضيل بن عياض
وابن عيينة وابن المبارك اجتمعوا عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من احب
الطعام الي الا اني لا آكله قيل ولم قال لانه قد اختلط رطب مكة بهذه البساتين التي اشتروها
هؤلاء يعني زبيدة وانسابها فقال له ابن المبارك رحمك الله ان نظرت مثل هذا ضاق عليك الخبز
فقال وما سببه قال نظرت في اصول الضياع بمصر فاذا قد اختلطت بالصوافي قال فغشي على وهيب
فقال له سفيان ما اردت الا هذا قتلت الرجل فقال ابن المبارك والله ما اردت الا ان اهون عليه
قال فلما افاق وهيب قال لله عز وجل علي لا آكل خبزا ابدا حتى القاه قال فكان يشرب اللبن فاتته
امه بلبن فقال من اين لك هذا فقالت من شاة بني فلان قال ومن اين لهم ثمنها قالت من كذا وكذا
فرضيه فلما ادناه من فيه قال قد بقي شيء واين ترعى هذه الشاة فسكتت فقال لتخبريني فاذا
هي ترعى مع غنم لابن عبد الصمد الهاشمي امير مكة في الحمى فقال هذا اللبن للمسلمين فيه حق لا اعلم

الى ابن الزبير ... فيه فقالت اللهم اشربه فان الله لم يرض لك ... لم تبكي
لشربة وانه لتغفر لي قالت لم قال اكره ان لا يغفر لي بمعصيته. وقد كان لطاوس اليماني
بضاعة يتجر فيها من اليمن فاشترى مضاربه بضاعة عنده يعني من بعض اولياء السلطان فكتب
المضارب بذلك فكتب اليه طاوس افسدت علينا مالنا ما احب ان التبس بشيء منه فبع الاديم بالثمن
وتصدق بجميع المال على الفقراء ولا يدخل منه الى الحرم درهم واحد وانا استغفر الله تعالى من طيبته
للفقراء وارجو ان انجو كفافا لا علي ولا لي يقال ان ذلك كان سبب فقره ولم يكن له مال غيره فبقي
بغير معلوم من دنيا وكان خالد القسري لما ولي مكة بعد ابن الزبير اجرى نهرا في طريق اهل اليمن
الى مكة فكان طاووس ووهب بن منبه اليمانيان اذا مرا عليه لم يرجادوا بهما تشرب منه، وقد كان
سهل رحمه الله يقول رجل بات في قريته جايعا نام الى الغداة لم يقدر يصلي من الجوع اعطاه الله عز وجل في
ميزانه ثواب جميع صلاة المصلين والقائمين في قريته قيل وكيف ذلك قال طلب الحلال فلم يجد فكره ان
يدخل جوفه حراما فبات طاويا فله اجر الصائمين والقائمين في تلك الليلة وقد كان سليمان التيمي رحمه الله
ترك اكل الحنطة فقيل له في ذلك فقال من قبل انها تطحن في هذه الارحاء قيل له وما تكره من طحن الارحاء
فقال المسلمون شركاء في الماء وهؤلاء ياخذون خراجها دون سائر الناس وحدثت ان امراة اهدت
بشر بن الحارث سلة عنب فقالت كل هذه فردها بشر عليها فقالت سبحان الله تشك في كرم ابي وصحة ملكه
وميراثي منه وشهادتك مكتوبة في كتاب الشرى فقال صدقت ملك ابيك صحيح ولكنك افسدت الكرم
فقالت بماذا قال سقيتيه من نهر طاهر يعني طاهر بن الحسين بن مصعب بن عبد الله بن طاهر صاحب المامون
وهذا النهر هو الخندق المعترض في الجانب الغربي ولم يكن بشر يشرب من الخندق ولا يمشي على الجسر
وقد كان بشر يقول منذ ثلثين سنة اشتهي شوى وما اتركه زهدا فيه ولو صح لي درهمه اكلته ...
سنن المتقدمين وطريقة السالفين من سلكها لحق بهم وكان كاحدهم ومن خالفها فليس على سنة السلف
ولا من صالحي الخلف ويسعه رحمة الله عز وجل الواسعة بمشيئته السابقة فاعتبروا يا اولي الابصار وقد
كان من سيرة القدماء من اهل الورع ان لا يستوعب احدهم كلية حقه بل يترك منه شيئا خشية
ان يستوفي الحلال كله فيقع في الشبهة فانه يقال من استوعب الحلال حام حول الحرام فكانوا يستحبون
ان يتركوا بينهم وبين الحرام حاجزا من عين حقهم من الحلال لقول الرسول صلى الله عليه وسلم من حام
حول الحمى يوشك ان يواقعه ومنهم من كان يترك من حقه شيئا بغير هذه النية ولكن لقوله عز وجل
ان الله يامر بالعدل والاحسان قالوا فالعدل ان تاخذ حقك وتعطي الحق والاحسان ان تترك بعض

حقك ... لتكون محسنا ولان الله عز وجل لما امر بالعدل ثم امر بالاحسان
لقوله الى حقا على المتقين حقا على المحسنين وهذه الطريقة قد جهلت من عمل بها فقد اظهرها
حدثونا عن بعضهم قال اتيت بعض اهل الورع من يدين له علي وكان خمسون درهما قال ففتح يده فعد
الى تسعة واربعين درهما فقبض يده فقلت هذا درهم قد بقي لك من حقك فقال قد تركته
اني اكره ان استوعب مالي كله فاقع فيما ليس لي وقد قال عبد الله بن المبارك وغيره من اتقى من تسعة
وتسعين شيئا ولم يتق من شيء واحد لم يكن من المتقين ومن تاب من تسعة وتسعين ذنبا ولم يتب
من ذنب واحد لم يكن من التوابين ومن زهد في تسعة وتسعين شيئا ولم يزهد في شيء واحد فليس من
الزاهدين وقد روى عطية السعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يترك
ما لا باس به حذرا مما به الباس وروينا عن ابي الدرداء تمام التقوى ان يتقي الله عز وجل العبد في
مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما يكون حجابا بينه وبين الحرام وبمعنى
هذا روي عن ابي بكر رضي الله عنه قال كنا نترك سبعين بابا من الحلال مخافة باب من الحرام وهذا
قد مات اهله فمن سلكه فقد احياهم فاما اموال التجار والصناع والمتصرفين في المعايش
حقه بالاسباب الجائزة في العلم مع موافقة الكتاب والسنة فهي شبهات ثم تتنوع نوعين
من شبهة حلال اذا عاملت المتقين واخذت من الورعين وتكون شبهة حرام اذا عاملت قليلي التقوى
الورع واما غير ذلك من اموال الجنود فانه حرام لفساد سببه ولمخالفة الاحكام به فما كان من
معاملة لهم وكسب ولم تعلم شيئا بعينه غصبا ولا خيانة فهو اسهل وما علمته فهو نص الحرام فالله الله
في نفسك انظر ايها المسكين لمعادك واحتط لدينك فان كسبك من دينك وطعمتك من ايمانك فان
اهملت ذلك فقد تهاونت بالدين ونبذت الاحكام وضيعت يوم نفسك فلم تنظر فيما قدمت
لديك نعوذ بالله عز وجل من سوء القضاء ويقال ان العدو اذا ظفر من العبد بسوء الطعمة
ابغض عليه في الاعمال ويقول قد بلغت حاجتي منك اعمل الآن ما شئت فلم يعد عليه من اعماله
الا ذلة في قلبه وقسوة والا ضعف في عزمه وفتور ومعصية وحرم التوفيق والعصمة ولم يورث
علم الحكمة واذا كان المتصرف في السوق على الوصف المكروه مخالف العلم في تصرفه مخالفا
للاحكام في معاملته وساعيا للجمع والتكاثر حريصا على ما قد كفي منه او في اخذ الدرهم لا يبالي من
اين جاء ظهر او لا يرى سببه عليه قدر غير متق في كسبه ولا مراع لدين الله عز وجل فيه وحكمه فهو
داخل إما الباطل قاتل لنفسه مفسد لدينه غاش لاخوانه المسلمين والله لا يصلح عمل المفسدين

كما لا يضيع اجر المحسنين ومع ذلك فهو غير ناصح لله عز وجل ولخلقه في الدين مقامه الظلم وحاله
الهوى والله لا يحب الظالمين فهو مامور بالتوبة من جميع تصرفه مفترض عليه الانابة في جميع منقلبه
قبل ان يبغته الموت ويفجاه الفوت فيلقى الله عز وجل ظالما ذا هوى وقد قال الله عز وجل ومن
لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون قال بعض العلماء
الدنيا بحر عجاج والتجارة فيه غامضة فواحد يغوص فيخرج درا وهاولاء ابناء الآخرة وآخر
يغوص فيخرج آجرا وهاولاء عمال الدنيا وطلابها وآخر يخرج سمكا وهاولاء المقتصدون
وآخر في قعره قد غرق وهاولاء المطرودون عن الطاعة الى الاسواق وكلما ارادوا اعمال البر طردوا
عنها الى السوق وشغلوا فقد غرقوا في بحر الخطايا وآخر طاف مع الامواج يضطرب بطلب النجاة
كلما رفعته موجة طمع في النجاة ثم تلطمه موجة اخرى فيخاف الهلكة وهاولاء المريدون الاستقامة
في زماننا هذا ترفعهم التوبة الى النجاة وتخفضهم العادة الى الهلكة وروينا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا واوحى الله عز وجل الى بعض الانبياء لا تتخذوا
الاهل والمال في زمن العقوبات ولا قوة الا بالله العلي العظيم اخر كتاب قوت القلوب
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه واتباعه وسلم تسليما
وحسبنا الله ونعم الوكيل



ووافق الفراغ نسخا مع اجتهاد فيه
قدر الطاقة البشرية الناسخة اواخر شهر شوال من سنة خمس وسبعين وستمائة
وقد اقترح على ناسخه محمد بن المروزي عفا الله عنه طائفة من اخوانه في الدين ان يحوث لهم
من النسخة مستجدة تبقى بينهم ممر الايام تذكرة منه يذكروه بها في صالح اوقاتهم سيما
وقت مطالعته ومباحثته والانتفاع بما فيه عند سامرته والمرجو من اشارتهم اثابته
بالدعاء والمغفرة والترحم له اذ هو في التراب رميم وحاله في غياهب الغيب ذميم
وحسبنا يا اخواني الرب الرحيم الرؤوف الكريم والسلام

فاجابهم الله



